

البرهان

في علوم القرآن

تأليف

الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

٧٤٥-٧٩٤ هـ

تحقيق

أبي الفضل الزمياطي

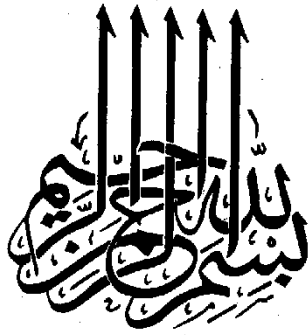
دار الحديث

التاموق

البرهان في علوم القرآن

تأليف
الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركسي
٧٤٥-٧٩٤هـ

بتحقيق
أبي فضل الدمياطي



جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

اسم الكتاب : البرهان في علوم القرآن
اسم المؤلف : الإمام بدر الدين الزركشي
اسم المحقق : أحمد علي
القطع : ١٧ × ٢٤ سم
عدد الصفحات : ١٢٢٢ صفحة
عدد المجلدات : مجلد واحد
سنة الطبع : ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع : ١٣٢٠٨ / ٢٠٠٦ م
الترقيم الدولي : ٢ - ١٤٨ - ٢٠٠ - ٩٧٧



طبع . نشر . توزيع



١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون : ٥٨٩٩٤٠٩ / ٥٩١٨٧١٩ / ٥٩١٩٦٩٧ / ٥٩١٩٦٩٧ فاكس : ٥٩١٩٦٩٧
www.darelhadith.com E-mail: info@darelhadith.com

مقدمة المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.
ثم أما بعد:

فلا يزال بفضل الله تعالى العمل في خدمة القرآن الكريم وعلومه موصولاً، فقد تقدم على كتاب (البرهان) والذي نحن بصدد التقديم له، كتب عدّة قمنا بفضل الله بخدمتها وإخراجها منها:

١- مناهل العرفان للزرقاني .

٢- تفسير جمال الدين القاسمي .

٣- الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي .

وكتاب «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، رابع هذه الكتب المتقدمة، وهو أوسع وأشمل من «مناهل العرفان» وكذا من «الإتيقان»، وإن زعم صاحب «الإتيقان» أنه أتى على ما لم يأت عليه غيره في كتابه المذكور، فإن من طالع الكتابين وجد أن السيوطي اختصر «البرهان» وهذه هي السمة الغالبة على كتب الإمام السيوطي رحمه الله تعالى وهي اختصار كتب المتقدمين .

وكل ما أُلّف قبل «البرهان» لا يشفي عليل، ولا يروي غليل، وكل ما أُلّف بعده فمته أخذ وعلى طريقته سلك .

ونحن بفضل الله تبارك وتعالى قمنا بخدمة كتاب «البرهان» بما يَسّر الله وأعان فجاء عملنا فيه ممثلاً فيما يلي :

- ١- ضبط نص الكتاب، وذلك على أصل خطي كامل، من مصورات معهد جامعة الدول، وقد رمزت له بالرمز (م)، ويشمل الضبط فيما يلي:
 أولاً: إخراج الكتاب خالياً من التحريف والتصحيح، وأضرب لك مثلاً يبين لك مدى فحش التحريف الذي تتابعت الطبعات السابقة على نقله.
 قال المصنف في «النوع الخامس: إطلاق اسم الملزوم على اللازم:
 «وقوله حكاية عن نبيه ﷺ: (وأنا أول المسلمين) وعن موسى: (وأنا أول المؤمنين) ولم يرد الكل؛ لأن الأنبياء قبله ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين».
 وهذا كما ترى خطأ فاحش، والصواب أن الأنبياء قبله كانوا مسلمين ومؤمنين.
 ثانياً: إتمام السقط، وإن كنا قلنا في مقدمة «الإتقان» إني وقفت على مقاطع ساقطة قد تصل في بعض الأوقات إلى خمسة أسطر». فإني وقفت في «البرهان» على سقط قد يصل إلى صفحة كاملة وربما يزيد.
 ثالثاً: ضبط الكتب والأبواب التي اشتمل عليها الكتاب، فإني وجدت بعض الأبواب متقدمة على بعض، بل من عجيب ما وقفت عليه أن ديباجة النوع الثالث والعشرين: معرفة الوقف والابتداء وضعت للنوع الرابع والعشرين: معرفة توجيه القراءات، وديباجة معرفة توجيه القراءات، وضعت ديباجة للوقف والابتداء، فتقرأ الديباجة وتجد أن الكلام تحتها لا يناسبها، فقمنا بفضل الله بإصلاح هذا كله.
- ٢- توثيق نصوص الكتاب، وذلك بالرجوع إلى موارد الزركشي في «البرهان» ومطابقة ما نقله منها عليها، وبيان طريقة النقل حرفياً أم بتصرف.
- ٣- تخريج الآيات.
- ٤- تخريج الأحاديث وكثير من الآثار.
- ٥- عزو الأشعار والنقول إلى مصادرها الأولى.
- ٦- عرفت ببعض الكتب التي نقل منها المؤلف رحمه الله تعالى.
- ٧- رأيت حرصاً على الفائدة أن أشير عند كل نوع من أنواع البديع وغيره إلى موضعه من الكتب المتخصصة؛ وذلك ليتسنى للدارس أن يرجع في وقت وجيز إلى هذه الكتب، كما فعلنا في «الإتقان».
- ٨- قمت بالتعليق على بعض المسائل إما لزيادة بيان أو لتعزيد رأي، أو لتصحيح آخر.
- ٩- أعددت بين يدي الكتاب مقدمة أعربت فيها عن منهجي في تحقيقه، وترجمة للمؤلف.

١٠- نقل الشيخ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق نسخة دار التراث بعض الزيادات المهمة في بعض النصوص، وقد رأيت إثبات هذه الزيادات كما هي؛ لأهميتها في استقامة النص أو توضيحه وقد رمزت له برمز (ف)، والله يجزيه خير الجزاء.

وإني لأتقدم بخالص الشكر والتقدير لشيخنا الكريم المبارك فضيلة الشيخ العلامة محمد بن رزق ساطور، وشيخنا الأديب الأريب العلامة الأستاذ الدكتور علي لقم - حفظهما الله تعالى- على هذه الكلمات المباركة والتي قدما بها لهذا الكتاب المبارك، فأسال الله تعالى أن يبارك لنا فيهما وفي علمهما وأعمارهما وأن يبارك في ذريتهما وأن يجعلنا وإياهم من المخلصين وأن يجعلنا عنده من المقبولين آمين .

كما أن الشكر موصول لأصحاب دار الحديث الكرام، وأسأل الله تعالى أن يبارك في خطاهم، وأن يستعملهم في طاعته آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

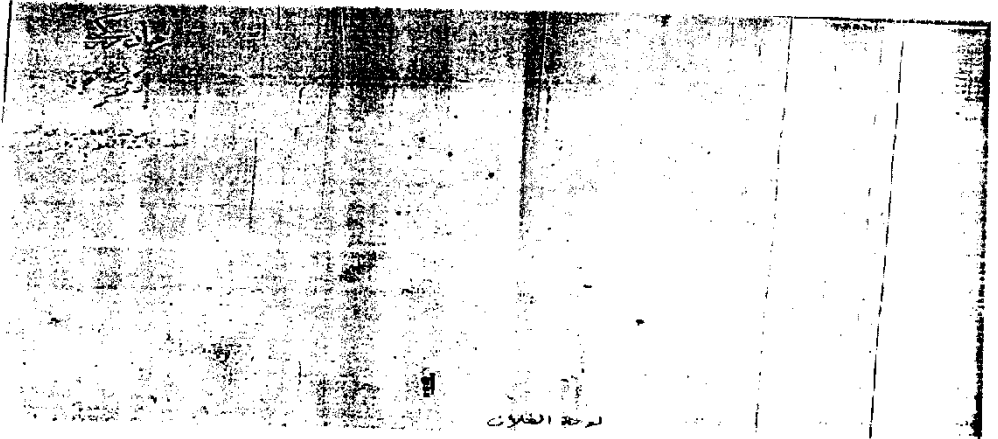
وكتبه

أبو الفضل الدمياطي

عفا الله عنه وعن والديه وشيوخه

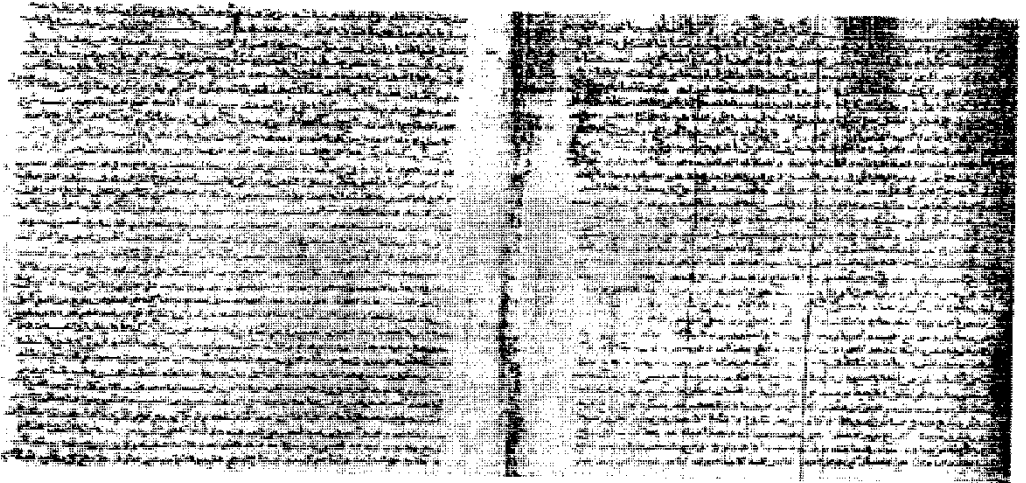
وجميع المسلمين

أمين

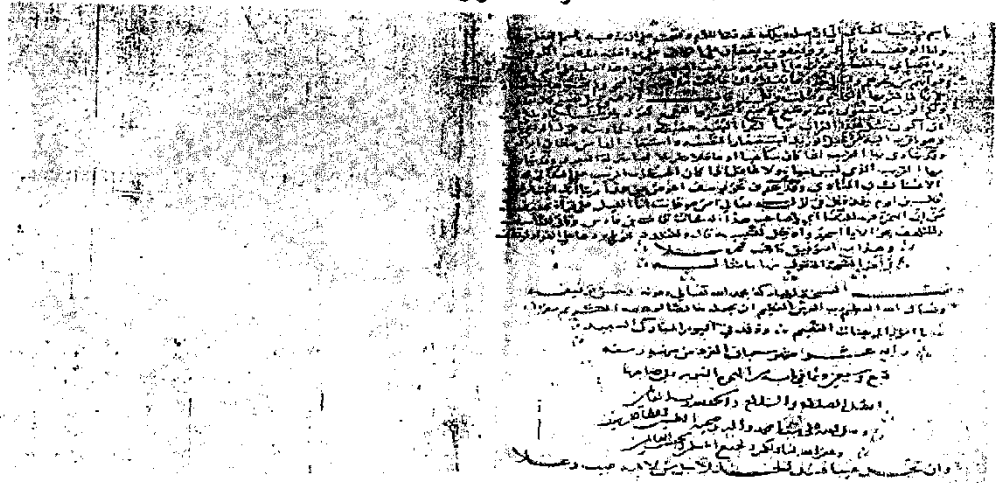


لوحة الغلاف

لوحة الغلاف



اللوحه الأولى



اللوحه الأخيرة

ترجمة المؤلف

- اسمه ومولده:

هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله .

- شيوخه:

- ١- جمال الدين الإسني .
- ٢- سراج الدين البلقيني .
- ٣- شهاب الدين الأذرعي .
- ٤- صلاح الدين عمر بن أميلة .

- ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن حجر: «كان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، وإذا حضر إليها لا يشتري شيئاً، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره، ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه» .

- مؤلفاته:

- ١- الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة .
- ٢- إعلام الساجد بأحكام المساجد .
- ٣- البحر المحيط .
- ٤- البرهان في علوم القرآن . وهو كتابنا هذا .
- ٥- اللآلئ المنتثرة في الأحاديث المشتهرة .
- ٦- تشنيف المسامع بجمع الجوامع .
- ٧- تفسير القرآن .
- ٨- تكملة شرح المنهاج .
- ٩- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح .
- ١٠- الخادم .
- ١١- خبايا الزوايا .
- ١٢- خلاصة الفنون الأربعة .

- ١٣- الديباج في توضيح المنهاج .
 - ١٤- الذهب الإبريز في تخريج أحاديث فتح العزيز .
 - ١٥- ربيع الغزلان .
 - ١٦- رسالة في كلمات التوحيد .
 - ١٧- زهر العريش في أحكام الحشيش .
 - ١٨- سلاسل الذهب في الأصول .
 - ١٩- شرح الأربعين النووية .
 - ٢٠- شرح البخاري .
 - ٢١- شرح التنبيه .
 - ٢٢- شرح الوجيز في الفروع .
 - ٢٣- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان .
 - ٢٤- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر .
 - ٢٥- فتاوى الزركشي .
 - ٢٦- أحكام التمني .
 - ٢٧- القواعد في الفروع .
 - ٢٨- لقطه العجلان وبله الظمان .
 - ٢٩- ما لا يسع المكلف جهله .
 - ٣٠- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر .
 - ٣١- النكت على عمدة الأحكام .
 - ٣٢- النكت على ابن الصلاح .
- وفاته:
- توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد، ثالث شهر رجب الفرد، سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

تقديم فضيلة الشيخ العلامة محمد رزق ساطور - حفظه الله -

الحمد لله الذي بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد هو سبحانه وتعالى فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ختم به أنبياءه وهدى به أوليائه ونعته بقوله في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته أفضل صلاة وأفضل تسليم .

أما بعد، ، ،

فقد أنزل الله تعالى القرآن ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنِيرُ الْآمِنِينَ الَّذِينَ يَمَعُونَ الصَّلَاحَ أَن لَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] ، ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧] ، أنزله الله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦] ، وأودع فيه من الأحكام والحكم والعلوم ما ينفع به كل من تعلمه وقصده، ففيه التوحيد والعقيدة والفقه وقواعد اللغة والبلاغة والقصص والمواعظ والإعجاز ما يبهر العقول ويقنع النفوس ويشفي الصدور والأبدان، وكان من جملة إعجازه علوم القرآن، ولذا ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «قانون التأويل» أن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضمومة في أربعة قال بعض السلف: إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومقطع وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل، قال: وأما علوم القرآن فثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب، ولذا بدأ الإمام الزركشي كتابه البرهان في علوم القرآن بكلمة القاضي أبي بكر بن العربي، وبعد

البرهان في علوم القرآن

فقد أكرم الله تعالى أخي الحبيب / أحمد بن علي بتحقيق كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، وقد أكرمه الله من قبل ووفقه في تحقيق كتاب جلال الدين السيوطي الإتيقان في علوم القرآن فأحسن وأجاد وأفاد حتى إنك تستطيع أن تجزم أنه صحح الأخطاء وضم كثيراً من شتات الكتاب الذي كان قد وقع في كل الطبعات قبله مما يجسب له، ثم وفق بعد ذلك في تحقيق كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ثم يأتي تحقيقه لكتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي تنويحاً لشغله في علوم القرآن ليكتمل له أجر الثلاثة إن شاء الله عز وجل، وقد نظرت إلى ما بذله في هذا الكتاب، نظرة سريعة فوجدت جهداً مشكوراً في مقابلة المخطوطات وعدم الاكتفاء بالمطبوع وجهد من سبقه في تحقيق الكتاب في الطبعات السابقة، وقد أظهرت تلك المقابلات أن المطبوع قبله فيه أخطاء كثيرة وبعضها جسيمة تغير المعنى بالكلية، بل تأتي بالضد، زد على ذلك ما سقط من أصل الكتاب ولم يتداركه أحد قبله وهو كثير يصل في بعض الأحيان لصفحة كاملة أو أقل قليلاً، ثم خرَّج أحاديث الكتاب مما يزيد من الاستفادة لقارته ويزيد في توثيق الكتاب، وأقول: ليس كل من خرَّج الأحاديث يفيد، فهناك فارق كبير لا يميزه إلا أهل الصنعة، فكما أنه ليس كل من جنى الثمار يمكنك أن تأكل من جنيته، مع أنه يأتي به من البستان ولكن بعض من يجني يفسد، وبعضهم يزيد بحسن صنعته وبهجة طلعه الثمار رونقاً وتمعنة فتشتيتها قبل أن تأكلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والسيف بضاربه لا بحده، ورحم الله من قال:

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان

تلقي الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان

ثم تجده أيضاً يترجم لبعض الأعلام لإزالة الالتباس ويبين الالتباس عندما يتطلب الأمر ذلك، ثم يعزو الشعر لقائله وموضعه، وله مع ذلك مناقشات وصولات لكثير من القضايا اللغوية والبلاغية بل ويناقش المؤلف أحياناً في عقيدته ثم يبين مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وهذا ليس غريباً على مثل الأخ / أحمد بن علي فهو معروف عندنا بأدبه الجم وطلبه للعلم ومحبة لأهل العلم وتقديره لهم، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، ويصدق عليه قول القائل:

تراه إذا ما زرته متواضعاً جليلاً على حشد الندي وحفله

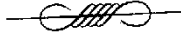
وتعرف منه الفضل من قبل نطقه كما يُعرف الهندي من قبل سلّه

وتبصر منه أمةً وهو واحد وما زاد في ذي عدة مثل نبيله

إذا كان في أفق وأظلم حادث سرى خائف العشواء في ضوء عقله
 فالله أسأل أن يبارك في خطواته وسعيه، وأن يزيده علمًا وفهمًا وأدبًا، وأن يجعل ذلك
 في ميزان حسناته يوم يلقاه، كما أخص أيضًا دار الحديث التي تشارك في إحياء ونشر كتب
 التراث بعد التحقيق والتوثيق بالدعاء بأن يبارك الله تعالى فيهم وأن يجعل ذلك في صحيفة
 حسناتهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

محمد رزق ساطور



تقديم الأستاذ الدكتور: علي علي لقم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على الرسول المجتبي والنبى المصطفى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على هديه إلى يوم الدين، وارحم اللهم شيوخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

وبعد، ، ، ، .

فروع العلم كثيرة متشعبة، وشرف كل علم إما بشرف موضوعه، وإما بشرف غرضه، وإما لشدة الحاجة إليه، والحكمة مقسومة بين العباد لم تؤثر بها الأزمنة، ولا خصت بها الأمكنة، بل هي باقية إلى يوم القيامة يؤتيها الله من يشاء من عباده، والعلم ضالة لا يوجدها إلا جد الطالب، وظهر لا يركبه إلا استظهار الراغب، وعقبة لا يصعدوها إلا الصابرون الدائبون، ودرجة لا يرتقيها إلا الباحث المواظب، وإنما يتفاضل الناس فيه بالاجتهاد والدؤوب وحسن الارتياح، ومن أدمن قرع الباب فيوشك أن يدخل، ومن واصل السير فأحر به أن يصل .

وعلوم القرآن الكريم من العلوم التي نالت أنواع الشرف كلها من الموضوع والغرض وشدة الحاجة .

وقد كانت لي دراسة لغوية في زمن مضى تتعلق بكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وكنت وأنا أطالع فيه أتمنى أن يقوم أحد المحققين بتحقيقه، وتحقق الأمنة وهياً الله - سبحانه وتعالى - أخانا الكريم الشيخ / أحمد بن علي - حفظه الله - فقام بتحقيق كتاب الإتقان وبذل فيه جهداً مشكوراً، ثم قام أيضاً بتحقيق كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي والكتابان متشابهان في كثير من الأبواب وكتاب البرهان من المصادر المعتمدة في بابه فجزى الله خيراً أخانا الكريم على سعيه لسد هذه الثغرة التي كانت المكتبة الإسلامية والعربية في حاجة إليها، وها هو كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي بين أيدي القراء في ثوبه الجديد القشيب شاهد على ما بذله المحقق من بحث وتنقيب وغوص في بحار المصادر والمراجع حتى خرج بهذه الصورة الطيبة أسأل الله - تعالى - أن ينفع به وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

علي علي لقم

استاذ اللغويات بجامعة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم] (١)

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العلامة، وحيد الدهر، وفريد العصر، جامع أشاتات الفضائل، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، بلغه الله منه ما يرجوه:

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكرت فصاحته الخطباء.

أحمده أن جعل الحمد فاتحة أسراره، وخاتمة تصاريفه وأقداره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى، ونبيه المرتضى، الظافر من المحامد بالخصل، الظاهر بفضله على ذوي الفضل. معلّم الحكمة، وهادي الأمة، أرسله بالنور الساطع، والضيء اللامع، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار.

أما بعد؛ فإنّ أولى ما [أعملت] (٢) فيه القرائح، وعليقت به الأفكار اللوائح، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، الذي [تقوم] (٣) به المعالم، وتثبت الدعائم. فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو الفضل الذي ليس بالهزل؛ سراج لا ينجو ضياؤه، وشهاب لا يجمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره. بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كلّ [مقول] (٤)، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطععه، وحوث كلّ البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه، إلى ما ينشط السامع،

(٢) في م: أعلمت، والمثبت هو الصواب.

(٤) في م: معقول.

(١) زيادة من م.

(٣) في م: يقوم.

ويقرط المسامع، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ما له مزيد؛ إلى غير ذلك مما [احتوى] ^(١) من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فالآذان بأقراطه حالية، والأذهان من أسماطه غير حالية؛ فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق؛ ومن تبسم زهره، وتنسّم نشره، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق؛ كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرّة، ومن بهجتها دُرّة، لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل من له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمّرة، بهر تمكّن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته؛ من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار؛ إن كان سياق الكلام ترجيةً بسط، وإن كان تخويلاً قبض، وإن كان وعداً أبهج، وإن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة حذب، وإن كان زجرة أربب، وإن كان موعظة أقلت، وإن كان ترغيباً شوق.

هذا، وكم فيه من مزايا وفي زواياه من خبايا
 ويُطمع الجبر في التقاضي فيكشف الخبْر عن قضايا
 فسبحان مَنْ سلكه ينابيع في القلوب، وصرّفه بأبداع معنى وأغرب أسلوب، لا يستقصى معانيه فهُم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكّره، فهو يرتع منه في رياض، ويكرع منه في حياض.

أندى على الأكبَادِ من قَطَرِ النَّدى والذُّ في الأجفان من سِتَةِ الكَرَى ^(٢)
 يملأ القلوب [بشرا] ^(٣)، ويبعث القرائح عبيراً ونشراً، يحيى القلوب بأوراده، ولهذا سمّاه الله روحاً؛ فقال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فسّمّاه روحاً لأنه يؤدي إلى الحياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد، فجعل هذا الروح سبباً للاقتدار، وعلماً على الاعتبار.

يزيدُ على طولِ النَّاملِ بهجةً كأن العيونَ الناظراتِ صياقِلُ
 وإنما يفهم بعض معانيه، ويطلع على أسراره ومبانيه؛ مَنْ قَوَى نظره، واتسع مجاله في

(١) في المطبوع: أجرى، والثبت من م.

(٢) لأبي بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهدي أوندلسي (٤٢٢-٤٧٩) هـ.

(٣) في م: بشرى.

الفكر وتدبره؛ وامتد باعه، ورقّت طباعه، وامتدّ في فنون الأدب، وأحاط بلغة العرب . قال الحرّالي في جزء سماه: «مفتاح الباب المغفل، لفهم الكتاب المنزل»: لله تعالى مواهب، جعلها أصولاً للمكاسب، فمن وهبه عقلاً يسّر عليه السبيل، ومن ركّب فيه حُرْقاً نقص ضبطه من التحصيل، ومن أيّده بتقوى الاستناد إليه في جميع أمورهِ علّمه وفهّمه . قال: وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهما في كلامه، ووعياً عن كتابه، وتبصرة في الفرقان، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن، ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين؛ إذ فيه كلّ العلوم .

وقال الشافعي رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شرح للسته، وجميع الستة شرح للقرآن . وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى، وصفاته [العليا] ^(١) - زاد غيره: وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم - وكما أنّه أفضل من كل كلام سواه، فعلموه أفضل من كل علم عداه؛ قال تعالى: ﴿أَفَنَنْتَهُمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ لَمَّا كُنْ هُوَ أَمْرًا﴾ [الرعد: ١٩] . وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] . قال مجاهد: الفهم والإصابة في القرآن . وقال مقاتل: يعني علم القرآن .

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، قال أحرمهم فهم القرآن .

وقال سفيان الثوري: لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً . وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيله سواه . وقال ذو النون المصري: أبى الله عز وجل أن [يكرم] ^(٢) قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن .

وقال عز وجل: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] . وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] .

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: القرآن، يقول: أرشدنا إلى علمه .

وقال الحسن البصري: [علم] ^(٣) القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال . وقال الله

(١) في م: العلي .

(٢) في المطبوع: أبى الله عز وجل إلا أن يكرم، والمثبت من م .

(٣) سقط من م .

البرهان في علوم القرآن

جلّ ذكره: ﴿فَإِن لَّنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]؛ يقول: إلى كتاب الله.

وكلّ علم من العلوم منتزَع من القرآن، وإلا فليس له برهان. قال ابن مسعود: من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين. رواه البيهقي في المدخل وقال: أراد به أصول العلم.

وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم علماء؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم كعلي رضي الله تعالى عنه بالقضاء، وزيد بالفرائض، ومعاذ بالحلل والحرام، وأبي بالقراءة، فلم يسمّ أحد منهم بحرّاً إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل؛ وقال فيه علي بن أبي طالب: كأنما ينظر إلى الغيب من [وراء] ^(١) ستر رقيق. وقال فيه عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس؛ وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين؛ وعمّر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود! نعم؛ كان لعلي فيه اليد السابقة قبل ابن عباس؛ وهو القائل: لو أردت أن أمليّ وقرّ بعير على الفاتحة لفعلت.

وقال ابن عطية: فأما صدر المفسّرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب، ويتلوه ابن عباس رضي الله عنهما؛ وهو تجرّد للأمر وكَمَله، وتبعه العلماء عليه؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما.

وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيّب [و] ^(٢) الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقديمهم.

ثم جاء بعدهم طبقة فطبة، فجدّوا واجتهدوا؛ وكلٌّ ينفق مما رزق الله؛ لهذا [كان] ^(٣) سهل بن عبد الله [رضي الله عنه] ^(٤) يقول: لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته. وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه؛ وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه. وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه محدثة مخلوقة [ق/١].

ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية [بالقدر] ^(٥) الممكن. ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

(٥) كذا في م.

بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى -وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه، وضمنته من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما يهز القلوب طرباً، ويبهر العقول عجباً، ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه؛ معيناً للمفسر على حقائقه، ومطلعاً على بعض أسراره ودقائقه؛ والله المخلص والمعين، وعليه أتوكل، وبه أستعين، وسميته: «البرهان في علوم القرآن». وهذه فهرست أنواعه:

- الأول: معرفة سبب النزول .
- الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات .
- الثالث: معرفة الفواصل .
- الرابع: معرفة الوجوه والنظائر .
- الخامس: علم المتشابه .
- السادس: علم المبهمات .
- السابع: في أسرار الفواتح .
- الثامن: في خواتم السور .
- التاسع: في معرفة المكي والمدني .
- العاشر: معرفة أول ما نزل .
- الحادي عشر: معرفة على كم [لغة نزل] ^(١)
- الثاني عشر: في كيفية إنزاله .
- الثالث عشر: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .
- الرابع عشر: معرفة تقسيمه .
- الخامس عشر: معرفة أسمائه .
- السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
- السابع عشر: معرفة ما فيه من لغة العرب .
- الثامن عشر: معرفة غريبه .

(١) سقط من م .

- التاسع عشر: معرفة التصريف .
العشرون: معرفة الأحكام .
الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثاني والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
الثالث والعشرون: معرفة توجيه القراءات .
الرابع والعشرون: معرفة الوقف [والابتداء]^(١) .
الخامس والعشرون: علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون: معرفة فضائله .
السابع والعشرون: معرفة خواصه .
الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء .
التاسع والعشرون: في آداب تلاوته .
الثلاثون: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن .

- الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه .
الثاني والثلاثون: معرفة أحكامه .
الثالث والثلاثون: في معرفة جدله .
الرابع والثلاثون: معرفة ناسخه ومنسوخه .
الخامس والثلاثون: معرفة توهم المختلف .
السادس والثلاثون: في معرفة المحكم من المتشابه .
السابع والثلاثون: في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات .
الثامن والثلاثون: معرفة إعجازه .
التاسع والثلاثون: معرفة وجوب تواتره .
الأربعون: في بيان معاضدة السنة للكتاب .
الحادي والأربعون: معرفة تفسيره .

(١) سقط من م .

الثاني والأربعون: معرفة وجوب المخاطبات .

الثالث والأربعون: بيان حقيقته ومجازه .

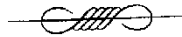
الرابع والأربعون: في [الكناية]^(١) والتعريض .

الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام .

السادس والأربعون: فذكر ما يتيسر من أساليب القرآن .

السابع والأربعون: في معرفة الأدوات .

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه، لاستفرغ عُمره، ثم لم يُحْكَمْ أمره؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله، والرمز إلى بعض فصوله؛ فإن الصناعة طويلة والعمر قصير؛ وماذا عسى [أن]^(٢) يبلغ لسان التقصير! قالوا خذ العَيْن من كل فقلت لهم في العَيْن فضل ولكن ناظر العَيْن^(٣)



(١) في م: الكنايات .

(٢) سقط من م .

(٣) المنصور بن إسماعيل الفقيه .

فصل [في علم التفسير]

التفسير [علم] ^(١) يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من: علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات، ما بين [مختصر ومبسوط] ^(٢)، [منهم] ^(٣) يقتصر على الفن الذي يغلب عليه فالزجاج والواحدي في «البيسط» يغلب عليهما الغريب [والنحو] ^(٤)، والثعلبي يغلب عليه القصص، والزنجشري علم البيان، والإمام فخر الدين علم الكلام، وما في معناه من العلوم العقلية. واعلم أن [من] ^(٥) المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سنذكر، بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده، فقصده بالشرح ظهور تلك المعاني [الخفية] ^(٦)، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

وثانيها: [قد يكون] ^(٧) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها [شروطاً] ^(٨) اعتماداً على وضوحها، أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعان ثلاثة، كما في المجاز والاشتراف ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشيء، وحذف المهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك. وإذا علم هذا فنقول: إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي [مبين] ^(٩) في زمن أفصح العرب،

(١) سقط من م. (٢) في م تقديم وتأخير.

(٣) في المطبوع: وكلهم. (٤) سقط من المطبوع، والمثبت من م.

(٥) سقط من م. (٦) في م: الحقيقية.

(٧) زادها ف. (٨) كذا في م.

(٩) سقط من م.

وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، من سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر: كسؤالهم لما نزل: ﴿وَلَوْ يَلَيْسُوا بِإِيمَانِهِمْ يَظُنُّوهُ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ ففسره النبي ﷺ بالشرك^(١)، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وكسؤال عائشة رضي الله عنها. عن الحساب اليسير فقال: «ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب»^(٢) وكقصة عدى ابن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه^(٣)، وغير ذلك مما سألوا عن آحاد [منه]^(٤).

ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير.

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه، ومركباتها وسياقه، وظاهره، وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق عنه الفهم.

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما سواه كلام^(٥) وفي هذا تفاوت الأذهان، وتتسابق في النظر إليه مسابقة الرهان، فمن سابق بفهمه، وراشق كبد الرمية بسهمه، وآخر رمى فأشوى، وخبط^(٦) في النظر خبط عشوا. كما قيل: وأين الدقيق من الركيك، وأين الزلال من الزعاق^(٧)!

وقال القاضي شمس الدين الخوي [رحمة الله عليه]^(٨): علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه: أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسمع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار، فإن الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلم بأن يسمع منه، أو يسمع ممن سمع منه، أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٨١٧)، ومسلم (١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) في م: له منه. (٥) لابن المعتز.

(٦) كذا في م. (٧) الزعاق: الملح.

(٨) في الطبوع: رحمه الله، والمثبت من م.

من الرسول عليه السلام، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل .
 فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد [ق/ ٢]، وإنما هو عليه السلام صوب رأى جماعة من المفسرين، فصار ذلك دليلاً قاطعاً على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله .
 قال: واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول: كتبت هذا وما طالعت شيئاً من الكتب، ويظن أنه فخر، ولا يعلم أن ذلك غاية النقص، فإنه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل، ولا مزية ما قيل على ما قاله . فماذا يفتخر؟ ومع هذا ما كتبت شيئاً إلا خائفاً من الله مستعيناً، به معتمداً عليه، فما كان حسناً فمن الله وفضله، [بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين]^(١) . وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمانة بالسوء .

فصل

[في علوم القرآن]

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي: في كتاب «قانون التأويل» إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة . قال بعض السلف: إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد [ومقطع]^(٢)، وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه [وما بينها من روابط]^(٣)، وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل .

قال: وأم [علوم]^(٤) القرآن ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام، فالتوحيد: تدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والتذكير: ومنه الوعد، والوعيد، والجنة، والنار، وتصفية الظاهر، والباطن . والأحكام: ومنها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار، والأمر، والنهي، والتدب .

فالأول: ﴿وَاللَّهُ وَحْدَهُ﴾ فيه التوحيد كله في الذات، والصفات، والأفعال، والثاني: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَيْنِ لَنُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، والثالث: ﴿وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾، ولذلك قيل في معنى [قوله ﷻ]^(٥): «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن^(٦) . يعنى: في الأجر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) سقط من م . (٢) كذا في م، وفي «قانون التأويل»: ومُطَّلَع .

(٣) في «قانون التأويل»: ونُضِدَ بعضه إلى بعض وما بينهما من روابط على الاستيفاء في ذلك كله .

(٤) سقط من م . (٥) في م: تعالى .

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

وقيل ثلثه في المعنى، لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا، وهذه السورة اشتملت على التوحيد.

ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب. لأن فيها الأقسام الثلاثة:

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، وأما الأحكام ف: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وأما التذكير فمن قوله ﴿أَهْدِنَا﴾ إلى آخرها، فصارت بهذا أمًا لأنه يتفرع عنها كل بنت.

وقيل: صارت أمًا لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية، والأم قبل البنت.

وقيل: سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه [مذكورة] (١) في مواضعها (٢).

وقال أبو الحكم بن بركان في كتاب «الإرشاد» وجملة القرآن تشتمل على ثلاثة علوم: علم أسماء الله تعالى، وصفاته، ثم علم النبوة وبراهينها، ثم علم التكليف والمحنة، قال: وهو أعسر لإغرابه (٣)، وقلة انصراف الهمم إلى تطلبه من مكانه.

وقال غيره: القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم: أمر ونهي، وخبر واستخبار، وقيل ستة وزاد الوعد، والوعيد.

وقال محمد بن جرير الطبري: يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والأخبار، والديانات، ولهذا قال [النبي] (٤) ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن» (٥). وهذه السورة تشمل التوحيد كله.

وقال علي بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئًا: الإعلام، والتنبيه، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، ووصف الجنة، والنار، وتعليم الإقرار باسم الله وصفاته، [وأفعاله] (٦)، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والرد على الملحدين، والبيان عن الرغبة والرغبة، والخير والشر، والحسن، والقبیح، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجار، والتسليم والتحسين، والتوكيد، والتفريع، والبيان عن ذم الإخلاف، وشرف الأداء.

قال القاضي أبو المعالي عزيبي: وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير

(٢) قانون التأويل (ص/٢٢٦).

(١) في «قانون التأويل»: بيانها.

(٣) كذا في م.

(٤) زيادة من م.

(٥) تقدم.

(٦) زادها (ف) من الإتيان.

تشمل هذه كلها، بل أضعافها، فإن القرآن لا يُستدرك، ولا تحصى غرائبه وعجائبه، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال غيره: علوم ألفاظ القرآن أربعة:

الإعراب: وهو في الخبر.

والنظم: وهو القصد نحو ﴿وَالَّتِي لَمْ يَمِضْ﴾ معنى باطن نُظِمَ بمعنى ظاهر، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [يونس: ٣٤] كأنه قيل: قالوا: ومن يبدأ الخلق ثم يعيده فأمر النبي [ﷺ] ^(١) أن يقول: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [يونس: ٣٤] لفظ ظاهر نظم بمعنى باطن.

والتصريف في الكلمة: كأقسط: عدل، وقسط: جار، وبعد ضد: قرب، وبعد: هلك.

والاعتبار: وهو معيار الأنحاء الثلاثة، وبه يكون الاستنباط والاستدلال، وهو كثير، منه ما يعرف بفحوى [الخطاب] ^(٢)، ومعنى اعتبرت الشيء طلبت بيانه، عبرت الرؤيا ببيتها قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ بعد ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٢] دل على [أن] ^(٣) انتقامه بالخروج من الدار من أعظم الوجوه و﴿لَأَوَّلُ الْحَسْرِ﴾ [الحشر: ٢] [دل] ^(٤) على أن [لها] ^(٥) توابع، لأن «أول» لا يكون إلا مع «آخر»، وكان هذا في بنى النضير، ثم أهل نجران ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٢] إلا بنياً، وأنهم يستقلون عدد من كان مع النبي ﷺ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣] فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشدة، إذ جعل بدله.

وقد يتعدد الاعتبار، نحو: أتاني [عين] ^(٦) زيد، أي: [إتيانه] ^(٧) أو أتاه غير زيد. لا هو، لو شئت أنت لم أفعل، أي أنت أمرتني، أو نهيتني، قال الله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عِندَنَا﴾ [النحل: ٣٥] رد عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] فالاعتبار بإباحة.

ومن الاعتبار ما يظهر بأى آخر، كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَيْتَ اللَّهُ كَانَ يَعْكِدُهُ

(١) سقط من م.

(٢) في المطبوع: الكلام. والمثبت من م. وفحوى الخطاب هو: ما يفهم من الكلام بطريق القطع.

(٤) كذا في م.

(٣) سقط من م.

(٦) كذا في الأصول. وفي المطبوع: غير.

(٥) كذا في م.

(٧) في المطبوع: أتياء.

بَصِيرًا ﴿فاطر: ٤٥﴾ فهذه تعتبر بآخر^(١) الواقعة، من أن الناس على ثلاثة منازل، أي: أحل كل فريق في منزلة له، والله بصير بمنازلهم.

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ [البقرة: ٩٧] بمعنى الحديث إن اليهود قالوا: لو جاء به ميكائيل لاتبعتك، لأنه يأتي بالخير، وجبريل لم يأت بالخير قط وأى خير أجل من القرآن؟.

ومن ضروب النظم: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ﴾ [فاطر: ١٠] إن حمل على أن يعتبر أن العزة له، لم ينتظم به ما بعده، وإن حمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم.



(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جِمْرِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤]

النوع الأول

معرفة [أسباب] ^(١) النزول

وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم، وأفردوا فيه تصانيف، منهم، على بن المديني شيخ البخاري ^(٢)، ومن أشهرها تصنيف الواحدي في ذلك ^(٣)، وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد:

منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها: تخصيص الحكم به، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومنها: الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق [قوي] ^(٤) في فهم معانى الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة، بقرائن تحتف بالقضايا.

ومنها: أنه قد يكون اللفظ عامًا، ويقوم الدليل على التخصيص، فإن محل السبب لا يجوز إخراجها بالاجتهاد والإجماع، كما حكاه القاضي أبو بكر في (مختصر التقريب) ^(٥)، لأن دخول السبب قطعي، ونقل بعضهم الاتفاق على أن لتقدم السبب على ورود العموم أثرًا.

ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم، من تجويز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين: أحدهما: أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا يجوز.

والثاني: أن فيه عدولاً عن محل السؤال، وذلك لا يجوز في حق الشارع، لثلا يلتبس على السائل.

واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة، وتؤثر أيضًا فيما وراء محل السبب، وهو إبطال الدلالة على قول، والضعف على قول.

(١) في م: سبب.

(٢) أشار إليه السيوطي في «الإتقان» وطاش كبرى زاده في «مفتاح السعادة» (٢/٣٨٥).

(٣) وكتابه هذا مطبوع متداول، ومن أفضل بل أفضل ما صُتِفَ في هذا الباب كتاب الحافظ ابن حجر الموسوم بـ «العجاب في بيان الأسباب» لكنه لم يتمه رحمه الله، حتى إنه مات عن الجزء الموجود مسودة وطبع هذا الجزء.

(٥) انظر: «التقريب» (٣/٢٨٤).

(٤) سقط من م.

ومن الفوائد أيضًا: دفع توهم الحصر. قال الشافعي^(١) ما معناه في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمِدُّ فِي مَا أُمِرْتُ إِلَىٰ محرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحاذاة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما [أحللتموه]^(٢)، نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة فتقول: لا أكل اليوم إلا الحلاوة والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة فكأنه قال: لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة، والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم، لا إثبات الحل.

قال إمام الحرمين: «وهذا في غاية الحسن ولو لا سبق الشافعي [ق/٣] إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة [مالك]^(٣) في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية^(٤). وهذا قد يكون من الشافعي، أجراه مجرى التأويل». ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل. وقد جاءت [آيات]^(٥) في مواضع، اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية ونزول حد القذف في رماة عائشة رضي الله عنها ثم تعدى إلى غيرهم، وإن كان قد قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤] فجمعها مع غيرها إما تعظيمًا لها إذ أنها أم المؤمنين، ومن رمى أم قوم فقد رماهم وإما للإشارة إلى التعميم ولكن الرماة لها كانوا معلومين فتعدى الحكم إلى من سواهم فمن يقول بمراعاة حكم اللفظ كان الاتفاق هاهنا هو مقتضى الأصل، ومن قال بالقصر على الأصل، خرج عن الأصل في هذه الآية بدليل، ونظير هذا تخصيص الاستعادة بالإناث في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] لخروجه على السبب وهو أن بنات لبيد [بن الأعصم]^(٦) سحرن رسول الله ﷺ.

كذا قال أبو عبيد: وفيه نظر فإن الذي سحر النبي ﷺ، هو لبيد بن الأعصم كما [جاء]^(٧) في الصحيح^(٨).

(١) انظر: «الأم» (٢/٢٤٧)، ومعرفة السنن (١٤/٨٢)، رقم (١٩١٩٧).

(٢) في م: حللتموه.

(٣) سقط من م.

(٤) انظر: «مرويات الإمام مالك في التفسير» (٣٠١).

(٥) زاداها ف.

(٦) سقط من م.

(٧) زيادة من م.

(٨) أخرجه البخاري (٣٠٩٥)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: «أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوع. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. لكن ربما سحرته معه كما قال الثعلبي في تفسيره (٤/٤٥٢) فأنهن كن ساحرات.

البرهان في علوم القرآن

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب خاص للمناسبة، إذا كان مسوقاً لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام أو كان من جملة الأفراد الداخلة وضعت تحت اللفظ العام، فدلالة اللفظ عليه هل هي كالسبب فلا يخرج ويكون مراداً من الآيات قطعاً، أو لا ينتهي في القوة إلى ذلك لأنه قد يراد غيره وتكون المناسبة مشبهة به؟ فيه احتمال.

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب، وفوق العموم المجرد ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فإن مناسبتها للآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آتَوْا نَصِيحًا مِنَ الْكُفَّابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّلُوتِ وَفَعَلُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّوْلَهُ أَسَدِي مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء: ٥١] أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف كان قدم إلى مكة وشاهد قتلى بدر وحرص الكفار على الأخذ بثأرهم، وغزو النبي ﷺ فسألوه مَنْ أهدى سبيلاً النبي ﷺ أو هم؟ فقال: أنتم كذباً منه وضلالة لعنه الله. فتلك الآية في حقه وحق من شاركه في تلك المقالة وهم أهل كتاب يجدون عندهم في كتابهم بعث النبي ﷺ وصفته، وقد أخذت عليهم المواثيق ألا يكتموا ذلك وأن ينصروه وكان ذلك أمانة لازمة لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها وذلك مناسب لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] قال ابن العربي في تفسيره: وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات^(١). انتهى.

ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عقب بدر ونزول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ في الفتح أو قريباً منها وبينهما ست سنين لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول، ولا يشترط في المناسبة لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها ويأمر النبي ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها.

ومن فوائد هذا العلم: إزالة الإشكال ففي الصحيح^(٢) عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذب أجمعون؟ فقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] إلى قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٩٢).

أَتَوًّا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴿ [آل عمران: ١٨٨] .

قال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، فاستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من [كتمانهم] ^(١) ما سألهم عنه، انتهى .

قال [بعضهم]: وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفي ^(٢)، لأن اللفظ أعم من السبب، ويشهد له قوله ﷺ: «المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور» ^(٣) وإنما الجواب: أن الوعيد مرتب على أثر الأمرين المذكورين، وهما الفرح وحب الحمد، لا عليهما أنفسهما إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف أمراً ولا نهيًا:

قلت: لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنه أن اللفظ أعم من السبب، لكنه بين أن المراد باللفظ خاص، ونظيره تفسير النبي ﷺ بالظلم بالشرك فيما سبق ^(٤).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية فحكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد [يكرب] ^(٥) أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بهذه الآية وخفى عليهما سبب نزولها فإنه يمنع من ذلك، وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر؟ قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ [المائدة: ٩٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَيَّسْنَ مِنَ الْمَجِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق: ٤] الآية، قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة وقد بينه سبب النزول، روى أن ناساً قالوا: يا رسول الله قد عرفنا عدة ذوات الأقرء فما عدة اللاتي لم يحضن من الصغار والكبار؟ فنزلت ^(٦)؛ فهذا يبين معنى: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي: إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدّن فهذا حكمهن .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الشَّرِيفُ وَالْمَقْرَبُ فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥] ^(٧) فإننا لو

(١) في م: من الكتمان.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨١)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود.

(٤) سقط من م.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٩٤)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١٣١٦)، والحاكم في

«المستدرک» (٣٨٢١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٥٨٢٢). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٧) سقط من م.

تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب [عليه] (١) استقبال القبلة سفرًا ولا حضرًا، وهو خلاف الإجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى عليه وسلم على راحلته وهو مستقبل من مكة إلى المدينة، حيث توجهت به فعلم أن هذا هو المراد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فإن سبب نزولها: أن قومًا أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم: فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة: فقال: ﴿وَإِنْ تَقَفُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

فصل

[فيما نزل مكرراً]

وقد ينزل الشيء مرتين تعظيمًا لشأنه وتذكيرًا به عند حدوث سببه، خوف نسيانه وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة وكما ثبت في الصحيحين (٢) عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود: أن رجلا أصاب من امرأة قيلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الْسَيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: إلي هذا؟ فقال: بل لجميع أمتي فهذا كان في المدينة، والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره، أنه أبو اليسر (٣) وسورة هود مكية بالاتفاق، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ولا إشكال، لأنها نزلت مرة بعد مرة.

ومثله ما في الصحيحين (٤): عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح؟ وهو في المدينة ومعلم أن هذه في سورة ﴿سُبْحَانَ﴾ وهي مكية بالاتفاق فإن المشركين لما سألوه عن ذى القرنين، وعن أهل الكهف؟ قيل: ذلك بمكة وأن اليهود أمرتهم أن يسألوه عن ذلك، فأنزل الله الجواب كما قد بسط في موضعه.

(١) سقط من م.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٣) قال الحافظ ابن كثير: وذكر الخطيب البغدادي أنه أبو اليسر. «تفسير ابن كثير» (٢/٤٦٤). قلت: الذي ذكره الحافظ هو الصواب فقد أخرجه الخطيب البغدادي في «الأسماء المبهمة» (٢٠٩)، واسم أبي اليسر: كعب بن عمرو.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤).

وكذلك ما ورد في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] [من] (١) أنها جواب للمشركين بمكة وأنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما [ورد] (٢) في الصحيحين (٣) : من حديث المسيب : لما حضرت أبا طالب الوفاة وتلكا عن الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ : «والله لأستغفرن لك ما لم أنه» فأنزل الله : ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] [ق/ ٤] وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ، وموت أبي طالب كان بمكة فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخيراً ، وجعلت أخيراً في «براءة» .

والحكمة في هذا كله : أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها (٤) ، وبأنها تتضمن هذه والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل ، مع حفظه لذلك النص .

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب ، لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد [بذلك] (٥) أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، [لأن] (٦) هذا كان السبب في نزولها وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ، كما في قول ابن عمر (٧) في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيَ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ، وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند ، وكذلك مسلم وغيره وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ، لا من جنس النقل لما وقع .

فصل

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ وقال الزمخشري في [تفسير] (٨) سورة الهمزة : «يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول

- (١) زيادة من م .
 (٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤) ، ومسلم (٢٤) .
 (٣) في م تقديم وتأخير .
 (٤) في م : لأن .
 (٥) سقط من م .
 (٦) البخاري (٤٢٥٣) ، وفيه قال ابن عمر : يأتيهما .
 (٧) في المطبوع : نفس .

كل من باشر ذلك القبيح ، وليكون جارياً مجرى التمرريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه^(١) .

[تقدم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قَدْ أَلْحَ مِنْ تَرَكِّي﴾ [الأعلى : ١٤] فإنه يستدل بها على زكاة الفطر روى البيهقي بسنده إلى ابن عمر ، أنها نزلت في زكاة رمضان^(٢) ، ثم أسند مرفوعاً نحوه .

وقال بعضهم : لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن [هذه]^(٣) السورة مكية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأجاب البغوي في تفسيره^(٤) : بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم ، كما قال : ﴿لَا أَقِيمُ يَهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ جِلُّ يَهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد : ١-٢] فالسورة مكية وظهور أثر الحل يوم فتح مكة ، حتى قال عليه السلام «أحلت لي ساعة من نهار»^(٥) .

وكذلك نزل بمكة : ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾ [القمر : ٤٥] قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدري أي الجمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقول : ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾ [القمر : ٤٥]^(٦) .

(١) الكشاف (٤/٧٩٥) .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢٠) ، وابن عدي في «الكامل» (٦/٦٠) ، والبيهقي في «الكبرى» (٧٧٦١) من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده رفعه وكثير بن عبد الله عامة ما يرويه لا يتابع عليه . فهذا سند ضعيف جداً .

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢٢٩) لسند البزار وقال : فيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف . وللحديث شاهد من حديث ابن عمر موقوفاً عند البيهقي (٧٤٥٦) إلا أنه لا يصح فإنه فيه أبو حماد الخنفي وهو متروك .

ورواه البيهقي أيضاً عن أبي العالية موقوفاً (٧٤٥٨) من حديث أبي العالية . قال البيهقي : روياه عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين وغيرهما من التابعين رضي الله عنهم أجمعين .

(٤) (ص/٤٠٢) .

(٣) سقط من م .

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٤) ، ومسلم (١٣٥٥) .

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩١٢١) ، وقال : لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إبراهيم بن المنذر .

قال الهيثمي : فيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف . «مجمع الزوائد» (٦/٧٨) .

فائدة

روى البخاري في كتاب (الأدب المفرد)^(١) في بر الوالدين: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب حتى [أفارق]^(٢) محمداً ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَيْهِ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، والثانية: أني كنت أخذت سيفاً فأعجبني، فقلت: يا رسول الله هب لي هذا فنزلت ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، والثالثة: أني كنت مرضت فأتاني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد أن أقسم مالي [أفأوصي]^(٣) بالنصف؟ فقال: لا، فقلت: الثلث؟ فسكت، فكان الثلث بعد جائزاً والرابعة: أني شربت الخمر مع قوم من الأنصار فضرب رجل منهم أنفي [بلحى جمل]^(٤)، فأتيت رسول الله ﷺ فأنزل الله [عز وجل]^(٥) تحريم الخمر، واعلم أنه جرت عادة المفسرين، أن يبدأوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث: [في أنه]^(٦) أيما أولى البداءة به بتقدم السبب على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول؟ .
والتحقيق: التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول، كالأية السابقة في ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب: تقديم الوسائل على المقاصد وإن لم يتوقف على ذلك، فالأولى تقديم وجه المناسبة.



- (١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤)، ومسلم (١٧٤٨)، وعبد بن نصر المروزي في «البر والصلة» (٥٧)، وأبو يعلى (٧٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٣٢).
 (٢) في م: تفارق، والثبت من «الأدب المفرد».
 (٣) زادها (ف) من «الأدب المفرد».
 (٤) زادها (ف) من «الأدب المفرد».
 (٥) زادها (ف) من «الأدب المفرد».
 (٦) زيادة من م.

النوع الثاني

معرفة المناسبات بين الآيات

[وقد]^(١) أفردته بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(٢)؛ شيخ الشيخ أبي حيان وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك .

واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول والمناسبة في اللغة^(٣) : المقاربة وفلان يناسب فلاناً أي : يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم [ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة في العلة]^(٤) في باب القياس ، الوصف المقارب للحكم ، لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ، ونحوه [أو]^(٥) التلازم الخارجي كالترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر .

وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعتاق بعض فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، وعن أكثر منه الإمام فخر الدين [الرازي]^(٦) وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال [بعض]^(٧) الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض [لثلا يكون منقطعاً . وهذا النوع يهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم وفوائده غزيرة . قال القاضي أبو بكر بن

(١) سقط من م .

(٢) واسم كتابه : « البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن » ، ولبرهان الدين البقاعي كتاب حافل في هذا

الباب موسوم بـ «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وهو مطبوع متداول .

(٤) سقط من م .

(٣) انظر : اللسان (١/٧٥٦) .

(٦) سقط من م .

(٥) في م : و .

(٧) سقط من م .

العربي في (سراج المريدين): «ارتباط أي القرآن بعضها ببعض»^(١) حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه [فلما]^(٢) لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البظلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه».

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه [الآية]^(٣): لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب [عن مثله]^(٤) حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضها ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمر متوافقة، [ومختلفة]^(٥) ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها، واختلاف أوقاتها انتهى.

قال بعض مشايخنا المحققين^(٦): قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقاً، بل

(١) سقط من م.

(٢) في الأصول: «أنا» وصوبه (ف) من «الإتقان».

(٣) سقط من م.

(٤) في المطبوع: عنه، والمثبت من م.

(٥) في المطبوع: ومتخالفة. والمثبت من م.

(٦) هو الشيخ ولي الدين الملوي.

كما [أنزل] (١) جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، فإنه ﴿كَتَبَ أُعْرِمَكَ ءَايَتُهُمْ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

قال: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له.

قلت: وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفي [وهذا] (٢) الراجح كما سيأتي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿الْحَمْدُ﴾ أيضًا، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبا: ٥٤] [ق/ ٥] وكما قال تعالى: ﴿فَقَطَّ دَائِرَ الْقَوَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الْعَرَبُ ۗ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢] [فإنه] (٣) إشارة إلى ﴿الصِّرَاطِ﴾ في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط [المستقيم] (٤)، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب.

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة، وهو يرد سؤال الزمخشري في ذلك.

وتأمل ارتباط سورة ﴿لَا يَلْفُ فُرَيْشٍ﴾ بسورة الفيل حتى قال الأخفش اتصالها [بها] (٥) من باب قوله: ﴿فَاللَّقَطَةُ ءَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصر: ٨].
ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها (٦)؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المناقق بأمر أربعة: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة. فذكر هنا في مقابلة البخل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة «فَصَلِّ» أي دم عليها وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للناس وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَأَحْسِرْ﴾، وأراد به التصديق بلحم الأضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

- | | |
|----------------------|-----------------|
| (٢) في م: وهو. | (١) في م: نزل. |
| (٤) سقط من م. | (٣) زيادة من م. |
| (٦) أي سورة الماعون. | (٥) سقط من م. |

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد، يقال سبحان الله والحمد لله.

وذكر الشيخ كمال الدين الزمكاني في بعض دروسه، مناسبة [استفتاحهما]^(١) بذلك ما ملخصه إن سورة بنى إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله ﷺ، وأنه رسول من عند الله والمشركون كذبوا ذلك وقالوا: كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس وعادوا وتعنتوا وقالوا: صف لنا بيت المقدس، فرفع له حتى وصفه لهم والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادعاه، لأن تكذيبهم له تكذيب عناد فتره نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه أما الكهف فإنه لما احتبس الوحي وأرجف الكفار بسبب ذلك أنزلها الله ردّاً عليهم: وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ بل أتم عليه بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة.

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عدنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض، فنقول:

ذكر الآية [بعد الأخرى]^(٢)، إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعبءه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية [للأولى]^(٣) على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولاً.

القسم الأول: أن تكون معطوفة، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَلَّغَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْقَهُ تَرْجُومَهُمْ وَيَنْبُطُ وَيَلْسَهُ رُجُومَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين.

وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة

(١) في المطبوع: استفتاحها. المثبت من م.

(٢) سقط من م.

(٣) في م: بالأخرى.

البرهان في علوم القرآن

بعد الرهبة وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعدًا، ليكون ذلك باعًا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة، وغيرها تجده كذلك.

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فنتحتاج إلى شرح ونذكر من ذلك صورًا يلتحق بها ما هو في معناها:

فمنها قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالصَّحُفُ وَلَيْسَ إِلَهُ بِنَاسٍ أَتَى عَلَى الْبَشَرِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الظُّهُورِ﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهله وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه:

أحدها: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهله ونقصانها معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براءً.

الثاني: أنه من باب الاستطراد لما [ذكرنا]^(١) أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج، ففي الحديث^(٢): أن ناسًا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطًا ولا دارًا ولا فسطاطًا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبًا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلمًا يصعد به وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الحباء فليل لهم ليس البر يتخرجكم من دخول الباب لكن البربر من اتقى ما حرم الله، وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهله ونظيره في الزيادة على الجواب قوله ﷺ لما سئل عن المتوضئ بماء البحر فقال «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»^(٣).

الثالث: أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم كمثله من يترك بابًا ويدخل من ظهر البيت فليل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ولكن البر من اتقى ذلك، ثم قال الله سبحانه: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] أي:

(١) في المطبوع: ذكر، والمثبت من م.

(٢) أصله عند البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٣٠٢٦) من حديث البراء.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٣)، والشافعي في «الأم» (٧/١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/٢٠٥)، وأبو داود (٨٤)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩) و(٣٣١)، وابن ماجه (٣٨٦)، وابن خزيمة (١١١)، وابن حبان (١٢٤٣)، وابن الجارود في «المتقى» (٤٣) من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال: سألت عنه البخاري فقال: هو حديث صحيح، وصححه البيهقي في «المعرفة» (١/١٣٢)،

وابن المنذر في «الأوسط» (١/٢٤٧).

باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا، والمراد أن يصمم القلب على [أن] (١) جميع أفعال الله حكمة منه، وأنه ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] [فإن في السؤال] (٢) اتهامًا.

ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] إلى أن قال: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: ١-٢] فإنه قد يقال: أي رابط بين الإسراء، و ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، ووجه اتصالها بما قبلها: أن التقدير: أطلعناه على الغيب عيانًا وأخبرناه بوقائع من سلف بيانًا لتقوم أخباره على معجزته برهانًا أي: سبحانه الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكرًا وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين لتكون قصتهما آية أخرى أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه، كما أسرى بموسى من مصر [حين خرج منها خائفًا يترقب ثم ذكر بعده ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديمًا] (٣) حيث نجاهم من الغرق إذ لو لم ينج أباهم من أبناء نوح، لما وجدوا وأخبرهم أن نوحًا كان عبدًا شكورًا وهم ذريته والولد سر أبيه، [فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم، لأنه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا.

وتأمل كيف أثنى عليه، وكيف تليق صفته بالفاصلة ويتم] (٤) النظم بها مع خروجها مخرج المرور عن الكلام الأول [إلى] (٥) ذكره ومدحه بشكره وأن يعتقدوا تعظيم تخلصه إياهم من الطوفان، بما حملهم عليه ونجاهم منه حين أهلك من عداهم، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قتلهم، ثم عاد عليهم بالإحسان والإفضال، كي يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولد لهم وهم ذريته فلما صاروا إلى جهالتهم وتمردوا عاد عليهم التعذيب.

ثم ذكر تعالى في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة، بكلمات قليلة العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير والكلام [الطويل] (٦) [مع] (٧) ما اشتمل عليه من التدرج العجيب [والموعظة العظيمة] (٨) بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] [ولم] (٩) ينقطع بذلك نظام الكلام إلى أن خرج إلى قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْجِعَكُمْ﴾

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٦) في م: المطول.

(٥) في م: لمَّا.

(٨) سقط من م.

(٧) سقط من م.

(٩) في م: وإن لم.

وَلِإِنَّ عُدَّتُمْ عُدَاكُمُ ﴿٨﴾ [الإسراء: ٨] يعنى إن عدتم إلى الطاعة، عدنا إلى العفو ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن لأنه الآية الكبرى، وعلى هذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام، حتى ينقطع الكلام.

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلص^(١) وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى، وقال: ليس في القرآن الكريم منه شيء لما فيه من التكلف، وليس كما قال:

ومن أحسن أمثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية فإن فيها خمس تخلصات وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجاة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت [يستمد منه، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت]^(٢)، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور، وتضاعفه ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] الآية فإنه سبحانه ذكر أولاً عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ثم تخلص إلى قوله: ﴿تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَأُتْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] بوصف ﴿أَنَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَّوْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] فهذا تخلص [ق/ ٦] من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا وتمنى الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول، وهذا تخلص عجيب.

وقوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾^(٤) أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ^(٥) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ^(٦) قَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ^(٧) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ^(٨) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ^(٩) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ^(١٠) [الشعراء: ٧٢-٧٨] الآيات، وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال: إن أولئك لى أعداء إلا الله فانقل بطريق الاستثناء المنفصل.

(١) قال ابن أبي الأصبغ: «وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح.

وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم، فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثرها منها، وهي لعمري من المحاسن، وهذا الباب قديم، وهو من أجل أبواب المحاسن، ويسمى معرفة الفصل من الوصل. ١ هـ.

«تحرير الحبير» (ص ٤٣٣)، و«الإيضاح في علوم البلاغة» (ص ٣٩٣)، و«المثل السائر» (٢/ ٢٤٤).

(٣) سقط من م.

(٢) سقط من م.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَتْلِيكُمُ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٢٧﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٢٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢٩﴾ [النمل: ٢٢٦-٢٢٩].

وقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجْدَةُ الرَّقْمِ﴾ [الصافات: ٦٢] ، وهذا من بديع التخلُّص ، فإنه سبحانه خالص من وصف المخلصين وما أعد لهم إلى وصف الظالمين وما أعد لهم .

[ومنه : أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام ، إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام فقال في آخرها: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِيبِقِينَئِنَّمَا أَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] إلى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، وهو من بديع التخلُّص] (١) .

واعلم أنه حيث قصد التخلُّص فلا بد من التوطئة له ومن بديعه قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] يشير إلى قصة يوسف عليه السلام فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة ، يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز وكقوله سبحانه موطئاً للتخلُّص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣] الآية .

ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشْرَقُ وَالْعَرَبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَمَّ رَجَعُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فإنه قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤] الآية . قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره: سمعت أبا الحسين الدهان يقول: وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أي فلا يجرمكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب .

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٨] الآية ، فإنه يقال : ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض ، في هذه الآية والجواب: أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر وهو سبب ثقل وجوههم في السماء ، ثم لا بد لهم من ماوى يؤويهم وحصن يتحصنون [به] (٢) ولا شيء في ذلك كالجبال ثم لا غنى لهم لتعذر طول

(١) زادها (ف) .

(٢) سقط من م .

البرهان في علوم القرآن

مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء [حاضرة] ^(١) فيه على الترتيب المذكور.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: ٣٣] فيقال: أي ارتباط بينهما. وجوابه: أن المبتدأ وهو «مَنْ» خبره محذوف أي: أفمن هو قائم على كل نفس ترك عبادته؟ أو معادل الهمزة تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم؟ ووجه العطف على التقديرين واضح أما الأول فالمعنى: أتترك عبادة من هو قائم على كل نفس ولم يكف الترك حتى جعلوا له شركاء وأما على الثاني فالمعنى: إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوى حكم المساوى؟.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَيْبِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) أو كالأدى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ [البقرة: ٢٥٨-٢٥٩] عطف قصة على قصة مع أن شرط العطف المشاكلة فلا يحسن في نظير الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ...﴾ ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾.

ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمنزلة: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم، وإنما كانت بمنزلتها لأن ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ولذلك يجاب ببلى والاستفهام يعطى النفي، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفي ونفى النفي إيجاب فصار بمثابة «رأيت» غير أنه مقصود به الاستفهام، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللفظ فلذلك أعطى معنى: هل رأيت. فإن قلت: من أين جاءت «إلى» ورأيت يتعدى بنفسه؟ أجيب لتضمنه معنى، «تنظر».

القسم الثاني: ألا تكون معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط والأول [مزج لفظي] ^(٣) وهذا مزج معنوي، تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب:

أحدها: التنظير ^(٣)، فإن إلحاق النظر بالنظر من دأب العقلاء، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥] عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَعْرِفَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤] فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضى لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون

(١) كذا في م.

(٢) قال ابن أبي الأصبح: «التمزيج وهو أن يمزج المتكلم معاني البديع بفنون الكلام»، «تحرير التحرير»

(ص/٥٣٦).

(٣) هو المطابقة بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق. «خزانة الأدب» (١/١٢٩).

وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبي ﷺ وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله ﷺ في النفل فأنزل الله هذه الآية وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين ووصف المؤمنين، ثم قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ [وَلِإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ [الأنفال: ٥] يريد أن كراهم لما فعلته من الغنائم ككراهم للخروج معك.

وقيل: معناه أولئك هم المؤمنون حقًا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق^(١)، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَظِيفُونَ ﴿٢٣﴾ [الدَّارِيَات: ٢٣].

وقيل: الكاف صفة لفعل مضمر وتأويله: أفعال في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر وإن كره القوم ذلك ونظيره قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] معناه: كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتى عليكم، فشبّه كراهم ما جرى من أمر الأنفال وقسمتها بالكراهة في نخرجه من بيته وكل ما لا يتم الكلام إلا به، من صفة وصلة فهو من نفس الكلام.

وأما قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] بعد قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْأَمِينُ﴾ [الحجر: ٨٩] فإن فيه محذوفًا: كأنه قال: قل أنا النذير المبين عقوبة أو عذابًا، مثل: ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما قوله تعالى ﴿لَا تَحْرُوكَ يَدُكَ لِأَنَّكَ تَتَعَبَلُ يَدُكَ﴾ [القيامة: ١٦]، وقد اكتنفته من جانبيه قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١١﴾ وَكَوَالَّذِي مَعَادِيرُهُ ﴿١٤﴾ [القيامة: ١٤-١٥]،

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٥﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٠﴾ [القيامة: ٢٠-٢١] فهذا من باب قولك للرجل؟ وأنت تحدّثه بحديث فيستقل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل علي واسمع ما أقول وافهم عنى ونحو هذا الكلام، ثم تصل حديثك فلا يكون [بذلك]^(٢) خارجًا عن الكلام الأول قاطعًا له وإنما يكون به مشوقًا للكلام، وكان رسول الله ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب^(٣) وكان إذا نزل

(١) سقط من م.

(٢) أثار جماعة من أهل هذه المسألة - أعني أمية النبي ﷺ - وتكلموا فيها ووقع بينهم فيها الخلاف وعلى رأس هؤلاء الإمام الباجي فقد قرئ عليه بدانية حديث البخاري المروي في عمرة القضاء، والكتابة إلى قريش، فتكلم عليه وشرحه ذاكراً قول من قال بظاهر لفظه من كون النبي ﷺ كتب بيده، وكون ذلك لا يقدح في معجزته ﷺ، وأشار الباجي إلى تصويب هذا الرأي ومال إليه.

ف قيل له: وعلى من يعود ضمير قوله: (كتب)؟

فقال: على النبي ﷺ.

ف قيل له: وكتب بيده؟

البرهان في علوم القرآن

[عليه] (١) الوحي وسمع القرآن حرك لسانه [بذكر الله] (٢)، فقيل: له تدبر ما يوحي إليك ولا تتلقفه بلسانك فإنما نجمعه لك ونحفظه عليك .

ونظيره قوله في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ نَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣] إلى قوله ﴿الْإِسْلَامَ وَبَيِّنَا﴾ [المائدة: ٣] فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولاً ﴿ذَلِكُمْ فَتَقَى﴾ [المائدة: ٣] ، ووسط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً في قبول هذه الأحكام والعمل بها والحث على مخالفة الكفار، وموت كلمتهم وإكمال الدين ويدل على اتصال ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ بقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَتَقَى﴾

قال: نعم، ألا ترونه يقول في الحديث: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وكان من قوله: إن النبي الأمي يجوز أن يكتب بعد أميته، فيكون ذلك من معجزاته .

فتكلم في هذه القضية كثير من أهل العلم، وأنكر بعضهم على الباجي إجازته الكتابة على النبي الأمي واعتبروا ذلك تكديفاً للقرآن الكريم، وقبحوا عند العامة ما أتى به وأكثر القالة فيه من لم يفهم غرضه، حتى أطلق عليه اللعنة غلامهم، وضمنوا البراءة منها أشعارهم .

ومن كانوا يشنعون على الباجي أبو بكر بن الصائغ الزاهد وأبو محمد عبد الله بن سهل الأنصاري الأندلسي المرسي المقرئ وكان يلعن الباجي في حياته وبعد موته .
ووصل الأمر بخطيب جامع دانية أن يضمن خطبة الجمعة بيتاً في البراءة من الباجي وينشده على رؤوس الناس وهو من نظم الشاعر عبد الله بن هند:

برئت ممن شرى دنيا بأخرة
وقال: إن رسول الله قد كتب

وقد تصدى الباجي للرد على مخالفيه فأفرد هذه المسألة برسالة رد فيها على خصومه وانتصر فيها لما ذهب إليه وهي موسومة بـ «تحقيق المذهب في أن النبي كتب» وطلب من أمير بلده أن يكتب في المسألة إلى علماء إفريقية وصقلية فجاءت الأجوبة من هنالك بتصديقه وتصويب مقالته، وأدى ذلك إلى تسليم بعض الناس برأي الباجي .

وذكر الحافظ ابن حجر أن الباجي تمسك بظاهر رواية الحديث فشنع عليه بعض علماء الأندلس ورموه بالزندقة فجمعهم الأمير للمناظرة فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة .
وذكر أن جماعة من أهل العلم وافقوا الباجي على رأيه ومنهم شيخه أبو ذر الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو بكر بن العربي .

وقال الذهبي: «ما المانع من جواز تعلم النبي ﷺ يسير الكتابة بعد أن كان أمياً لا يدري ما الكتابة، فلعله لكثرة ما أملي على كتاب الوحي وكتاب السنن والكتب إلى الملوك عرف من الخط وفهمه، وكتب الكلمة والكلمتين كما كتب اسمه الشريف يوم الحديبية (محمد بن عبد الله) وليست كتابته لهذا القدر اليسير مما يخرجه عن كونه أمياً بكثير من الملوك أميون ويكتبون العلامة» .

ومن انتصر لابن الصائغ في هذه المسألة، ورد على الباجي الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن مفوز المعافري الذي أُلّف في ذلك جزءاً نحو كراسة وقد ردّ عليه محمد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي المدني في رسالة حافلة . والله أعلم .

(٢) في م: يستذكره .

(١) سقط من م .

آية الأنعام ﴿قُلْ لَا أَمِدُّ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَخْضَطَرَ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

الثاني: المضادة ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم وأن من شأنه كيت وكيت، وأنه لا يهدى [القوم]^(١) الذين من صفاتهم كيت وكيت، [فرجع]^(٢) إلى الحديث عن المؤمنين فلما أكمله، عقب بما هو حديث عن الكفار فبينهما جامع وهمى بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل:

وبضدها تتبين الأشياء^(٣)

فإن قيل: هذا جامع بعيد لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن الكتاب، لأنه مفتتح القول.

قلنا: لا يشترط في الجامع ذلك بل يكفى التعلق على أي وجه كان، ويكفى في وجه الربط ما ذكرنا لأن القصد تأكيد [ق/ ٧] أمر القرآن والعمل به والحث على الإيمان به، ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] الآية. فرجع إلى الأول.

الثالث: الاستطراد^(٤)، كقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ مَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ نَفْسِكُمْ وَيُرِيدُ الْإِنْسَانُ الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأحرف: ٢٦].

قال الزمخشري^(٥): هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة. وإشعاراً بأن [الستر]^(٦) باب عظيم من أبواب التقوى.

وجعل القاضي أبو بكر في كتاب [عجاز القرآن]^(٧) من الاستطراد قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَحُونَ لِلظُّلُمِ مِنَ الْأَيْمِينِ وَالشَّمَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ ذِكْرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨-٤٩].

وقال: «كأن المراد أن يجري بالقول الأول، إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز

- (١) زيادة من [عجاز القرآن] (ص/ ٣٤).
- (٢) في م: ثم رجع.
- (٣) لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأشبيلي (ت ٥٢٠هـ) وقيل: ٥٢٨.
- (٤) وهو الخروج من معنى إلى آخر. «تحرير التحبير» (ص/ ١٣٠).
- (٥) الكشاف (٢/ ٩٧).
- (٦) في «الكشاف»: التستر.
- (٧) (ص/ ٣٤).

وجل وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص^(١). انتهى، وفيه نظر.

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع: كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩]، فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة تقول: أشير عليك بكذا ثم تقول بعده: هذا الذي عندي والأمر إليك، وقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩] ^(٢) كما يقول المصنف: هذا باب يشرع في باب آخر، ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال: ﴿هَذَا وَاتَّكَ لِلطَّافِينَ لَشَرِّ مَآبٍ﴾ [ص: ٥٥].

فصل

[في اتصال اللفظ والمعنى على خلافه]

وقد يكون اللفظ متصلاً بالآخر، والمعنى على خلافه كقوله تعالى ﴿وَلَيْنَ أَصَابِكُمْ فَضَّلْ مِنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ [النساء: ٧٣] فقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ [النساء: ٧٣] متظوم بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ [النساء: ٧٢] لأنه موضع الشماتة وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦] فإنه متصل بقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٥-٦].

وقوله ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذَرْنَهُمْ إِن تَحْمِلُهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] جواب الشرط قوله [تعالى: ﴿تَوَلَّوْا﴾] ^(٣) وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ ، وقوله: ﴿قُلْ لَّا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] داخل في الشرط.

وقوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣] إلى قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٣] فقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ متصل بقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ومثل بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: ٨٣] [على تأويل] ^(٤) ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلاً ممن لم يدخله في رحمته واتبعوا الشيطان لاتبعتهم الشيطان. وما يحتمل الاتصال والانقطاع قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] يحتمل أن يكون متصلاً بقوله: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: المصباح في بيوت، ويكون تمامه

(١) إعجاز القرآن (ص/ ٧٩-٨٠) ط. مكتبة مصر، (ص/ ٣٤) ط. الحلبي.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من م.

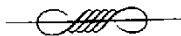
على قوله: ﴿وَيَذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ ، و﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ صفة للبيوت ويحتمل أن يكون منقطعاً واقعاً خبراً لقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ﴾ .

ومما يتعين أن يكون منقطعاً قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] مستأنف لأنه لو جعل متصلاً «ببعض» ، لاختل المعنى ، إذ يصير على حد قولك: ما يعزب عن ذهني إلا في كتاب ، أي: استدراكه .

وقوله ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم من قضى باستثناؤه على أنه مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل ﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾ ، و﴿هُدًى﴾ نصب على الحال في تقدير: «هادياً» ولا يخفى انقطاع ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْأَمْرَ﴾ [غافر: ٧] عن قوله ﴿أَنْتُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٦] .

وكذا ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦] عن قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] .

وكذلك قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] عن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْتُمْ مَنْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [المائدة: ٣٢] .



النوع الثالث

معرفة الفواصل، ورءوس الآي

وهي كلمة آخر الآية: كفاية الشعر وقرينة السجع .

وقال الداني^(١) : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبري^(٢) : وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه^(٣) بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ، و﴿مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ ، وليساً رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية ، ويلزم أبا عمرو إمالة ﴿مَنْ أَعَطَّنْ﴾ لأبي عمرو .

وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني انتهى .

وفرق الإمام أبو عمرو والداني بين الفواصل ورءوس الآي ، قال^(٤) : أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رءوس آي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضريبن ، ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ، ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ، و﴿مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ ، وهما غير رأس آيتين بإجماع مع ﴿إِذَا يَسِرُّ﴾ ، وهو رأس آية باتفاق انتهى .

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ، لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام . وتسمى فواصل لأنه يفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجاعاً .

فأما مناسبة فواصل ، فلقوله تعالى : ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُمْ﴾ [فصلت : ٣] ، وأما تجنب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير^(٥) ، فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل [في صوت]^(٦) الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه

(٢) الكتاب (٢/ ٢٨٩) .

(١) الكتاب (٢/ ٢٨٩) .

(٤) الكتاب (٢/ ٢٨٩) .

(٣) الكتاب (٢/ ٢٨٩) .

(٦) هكذا في م .

(٥) أي: ردد صوته .

بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى، ثم فرقوا بينهما فقالوا: السجع هو الذي يقصد في نفسه، ثم يحيل المعنى عليه والفاصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها.

قال الرماني في كتاب (إعجاز القرآن) [وبنى عليه أن الفواصل بلاغة، والسجع عيب، وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب (إعجاز القرآن)]^(١) [٢] ونقل عن الأشعرية، امتناع كون في القرآن سجعا قال: «ونص عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري»^(٣) في غير موضع من كتبه.

قال: «وذهب كثير من مخالفيهم إلى إثبات السجع في القرآن وزعموا أن ذلك مما تبين فيه فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات ونحوها»، قال: «وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولما كان السجع قيل في موضع: ﴿هَٰرُونَ وَمُوسَى﴾، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

قالوا: وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعرا وذلك القدر يتفق وجوده من [المفحم]^(٤)، كما يتفق وجوده في الشعر وأما ما جاء في القرآن من السجع، فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه.

قال: «وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع»، قال أهل اللغة: هو موالة الكلام على [وزن]^(٥) واحد، قال ابن دريد^(٦): «سجعت الحمامة: [معناه]^(٧) رددت صوتها».

قال القاضي: وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع مما [كانت كهان العرب تألفه]، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة [تخالف]^(٨) النبوات بخلاف الشعر.

(١) (ص/ ٥٠-٥٦) ط. مكتبة مصر، (ص/ ٢١-٢٤) ط. الحلبي.

(٢) سقط من م.

(٣) في «الإعجاز» وذكره الشيخ أبو الحسن.

(٤) كذا في «إعجاز القرآن»، وفي الأصل: العجم.

(٥) في م: على روي.

(٦) جمهرة اللغة (٢/ ٩٣).

(٨) في «إعجاز القرآن»، وم: تنافي.

(٧) زيادة من م.

وما توهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته، لا يقتضى كونه هو لأن السجع [من الكلام] ^(١) يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع، كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال: و[أما] ^(٢) ما ذكروه في تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لأجل السجع ولتساوى مقاطع الكلام فمردود بل الفائدة فيه إعادة القصة الوحيدة بألفاظ مختلفة، تؤدي [معنى واحداً] ^(٣) وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتقوى البلاغة، ولهذا أعيدت كثير من القصص [في مواضع كثيرة مختلفة] ^(٤) على ترتيبات متفاوتة، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان [بمثله] ^(٥) مبتدأ به ومكرراً.

ولو أمكنهم المعارضة، لقصدوا تلك القصة، وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها [وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما حُكي وجاء به. وكيف وقد قال لهم: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤] فعلى هذا يكون [المقصد] ^(٦) بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها، إظهار الإعجاز [على الطريقتين جميعاً] ^(٧) دون السجع [الذي توهموه] ^(٨).

إلى أن قال: فبان [بما قلنا] ^(٩) أن الحروف الواقعة في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في باب السجع [ق/ ٨]. وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها يبلغ كلمات ولا يرون ذلك فصاحة، بل يرونه عجزاً فلو فهموا اشتغال القرآن على السجع لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل، فنزيد في الفصاحة على طريق القرآن، انتهى ما ذكره القاضي والرماني.

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) زادها (ف) من «إعجاز القرآن». | (٢) زادها (ف) من «إعجاز القرآن». |
| (٣) كذا في م. | (٤) تكملة من كتاب إعجاز القرآن. |
| (٥) في م: به. | (٧) زادها (ف) من «إعجاز القرآن». |
| (٦) في م: المقصد. | (٩) زادها (ف) من «إعجاز القرآن». |
| (٨) زادها (ف) من «إعجاز القرآن». | |

رد عليهما الخفاجي في كتاب (سر الفصاحة) فقال: «وأما قول الرماني: إن السجع عيب والفواصل على الإطلاق بلاغة فغلط فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى وكأنه [غير]^(١) مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف، فذلك عيب والفواصل مثله».

قال: «وأظن أن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً، ورتبهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض في التسمية قريب، والحقيقة ما قلناه».

ثم قال: «والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل».

فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلاً ورد القرآن كله مسجوعاً؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع؟ قلنا: إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع لا سيما فيما يطول من الكلام فلم يرد كله مسجوعاً جرياً منه على عرفهم في [الطبقة]^(٢) العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة وعليها ورد في فصيح كلامهم، فلم يميز أن يكون عالياً في الفصاحة وقد أدخل فيه بشرط من شروطها، فهذا هو السبب في ورود بعضه كذلك وبعضه بخلافه».

وخصت فواصل الشعر باسم القوافي، لأن الشاعر يقفوها، أي: يتبعها في شعره لا يخرج عنها وهي في الحقيقة فاصلة، لأنها تفصل آخر الكلام فالقافية أخص في الاصطلاح. إذ كل قافية فاصلة ولا عكس. ويمتنع استعمال القافية في كلام الله تعالى، لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضاً عنه لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح. وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن لا تطلق الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه.

قيل: وقد يقع في القرآن الإيطاء^(٣) وهو ليس بقبيح فيه، إنما يقبح في الشعر كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثم قال في آخرين: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ثلاث فواصل متوالية «يعلمون»، يعلمون، يعلمون فهذا لا [يقبح]^(٤) في القرآن قولاً واحداً.

(١) سقط من م.

(٢) في المطبوع: اللطيفة، والمثبت من «سر الفصاحة» وم.

(٣) الإيطاء في الشعر هو: أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة.

(٤) في م: لا يقبل.

قيل: ويقع فيه التضمين^(١) وليس بقبيح، إنما يقبح في الشعر ومنه سورتا الفيل وقريش، فإن اللام في ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ قيل: إنها متعلقة: ﴿بِجَعَلَهُمْ﴾ في آخر الفيل. وحكى حازم في (منهاج البلغاء)^(٢) خلافاً غريباً فقال: وللناس في الكلام المنشور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكمية وتناسب مقاطعها على ضرب منها أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين أو أكثر إلى ضرب آخر مزدوج، في كل ضرب ضرب منها أو يزيد على الازدواج ومن جهة ما يكون غير مقطع إلى مقادير، بقصد تناسب أطرافها وتقارب ما بينها في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب:

منهم: [من]^(٣) يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف، غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف، إلا ما يقع به الإلمام في النادر من الكلام. والثاني: أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية، وتحليلها بمناسبات المقاطع أكيد جداً.

والثالث: وهو الوسط: أن السجع لما كان زينة للكلام فقد يدعو إلى التكلف، فرئى ألا يستعمل في جملة الكلام وأن لا يخلى الكلام بالجملة منه أيضاً، ولكن يقبل من [الخاطر فيه]^(٤) ما اجتلبه عفواً بخلاف التكلف، وهذا رأى أبي الفرج قدامة.

قال حازم: وكيف يعاب السجع على الإطلاق؟ وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب، وإنما لم يجيء على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد لما فيه من التكلف، [ولما في الطبع]^(٥) من الملل عليه ولأن الافتتان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على [ضرب]^(٦) واحد، فلهذا وردت بعض أي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل.

(١) وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية، أو معنى مجرداً من كلام، أو مثلاً سائراً، أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة. «تحرير التحبير» (ص/ ١٤٠) ومنه نقلت، و«العمدة» (٢/ ٦٨)، و«المثل السائر» (٢/ ٢٤١).

(٢) هذا ضمن القسم المفقود من كتاب «منهاج البلغاء» لحازم، فإنه لم يطبع منه سوى نصفه الأخير في «دار غرب» ونصفه الأول مفقود.

(٣) في م: أي طرف.

(٤) سقط من م.

(٥) في م: ولما فيه من الطبع.

(٦) في م: طريق.

[إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث [تطرد] (١) متأكد جداً، [ومؤثر] (٢) في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه [في اليقين] (٣) من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع:

أحدها: زيادة حرف لأجلها (٤)، ولهذا ألحقت الألف بـ«الظنون» في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠] لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفت منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد على النون ألف لتساوى المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل ومثله ﴿فَأَصَلُونَا السَّبِيلَا﴾، ﴿وَأَطَعْنَا أَرْسُولَا﴾.

وانكر بعض المغاربة ذلك وقال: لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآي كما قال قوم لأن في سورة الأحزاب: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٤]، وفيها ﴿فَأَصَلُونَا السَّبِيلَا﴾، وكل واحد منها رأس آية وثبتت الألف بالنسبة إلى حالة أخرى، غير تلك في الثاني دون الأول فلو كان لتناسب رؤوس الآي لثبت [في] (٥) الجميع.

[قال] (٦): وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك، وكذلك لحاق هاء السكت في قوله: ﴿مَا هِيَ﴾ [القارعة: ١٠] في سورة القارعة هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضوع تأثير عظيم في الفصاحة.

وعلى هذا والله أعلم ينبغي أن يحمل لحاق النون في المواضع التي [قد] (٧) تكلم في لحاق النون إياها نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] [فإن] (٨) من مآخذ [الفصاحة] (٩) ومذاهبها أن يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأنحاء للآي راجح الأصالة في الفصاحة، لتكون فواصل السور الوارد فيها ذلك قد استوثق فيما قبل حروفها المتطرفة، وقوع حرفي المد واللين.

(٢) في م: ويعتبر تأثيراً.

(١) في م: يطرد.

(٣) زيادة من م.

(٤) انظر: «المقنع» لأبي عمرو (ص/ ٣٨-٣٩).

(٥) في المطبوع: من. والمثبت من م.

(٧) سقط من م.

(٦) في م: قالوا.

(٩) في م: البلاغة.

(٨) في م: قال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَسَخْنَا﴾ ، وهو طور سيناء لقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾

[المؤمنون: ٢٠] .

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦] كرر «لعل» مراعاة لفواصل الآي إذ لو جاء على الأصل لقال: لعل أرجع إلى الناس، فيعلموا بحذف النون على الجواب .

الثاني: حذف همزة أو حرف اطراداً كقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر: ٤] .

الثالث: الجمع بين المجرورات وبذلك يجاب عن سؤال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْتًا بِهِ يَتَّبِعًا﴾ [الإسراء: ٦٩] فإنه قد توالى المجرورات بالأحرف الثلاثة وهي اللام في ﴿لَكُمْ﴾ ، والياء في ﴿بِهِ﴾ ، و«على» في ﴿عَيْتًا﴾ ، وكان الأحسن الفصل .

وجوابه أن تأخر ﴿يَتَّبِعًا﴾ ، وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط وكذلك الآيات التي تتصل بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْتًا بِهِ يَتَّبِعًا﴾ [الإسراء: ٦٩] فإن فواصلها كلها منصوبة منونة فلم يكن بد من تأخير قوله: ﴿يَتَّبِعًا﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة .

الرابع: تأخير ما أصله أن يقدم كقوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّؤْمِنٍ﴾ [طه: ٦٧] لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن أخر الفاعل وهو «موسى» لأجل رعاية الفاصلة .

قلت: للتأخير حكمة أخرى وهي أن النفس تتشوق لفاعل ﴿فَأَرْجَسَ﴾ ، فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع .

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] فإن قوله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [١] معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ ، ولهذا رفع والمعنى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ١٩] في التأخير ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكان العذاب لزاماً لكنه قدم وأخر لتشتبك رءوس الآي . قاله ابن عطية (٢) .

وجوز الزمخشري (٣) [ق/٩] عطفه على الضمير في ﴿لَكَانَ﴾ أي لكان الأجل العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمرود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأجل العاجل .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ إِدَّاءَ الْفَرْعُونَ أَثَدُّرُ﴾ [القمر: ٤١] فأخر الفاعل لأجل الفاصلة .

(٢) المحرر الوجيز (٤/٦٩) .

(١) سقط من م .

(٣) الكشاف (٣/٩٦) .

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] آخر الفعل عن المفعول فيها، وقدمه فيما قبلها في قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣] لتوافق [رءوس] (١) الآي قاله أبو البقاء (٢) وهو أجد من قول الزمخشري قدم المفعول للاختصاص.

ومنه تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي قبل العبادة وإنما أخرجت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة.

الخامس: إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّطِيفِينَ فِي جَنَّتِ رَهْرَهٍ﴾ [الفرق: ٥٤] قال الفراء (٣): الأصل «الأنهار». وإنما وحد، لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رءوس الآي ويقال: النهز الضياء والسعة فيخرج من هذا الباب.

وقوله ﴿وَمَا كُنْتُ مَخْذَ الْمُضِيِّينَ عَضْدًا﴾ [الكهف: ٥١] قال ابن سيده في المحكم: أي [أعضاداً] (٤) وإنما أفرد ليعدل رءوس الآي بالإفراد والعضد: المعين.

السادس: جمع ما أصله أن يفرد كقوله تعالى: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ [إبراهيم: ٣١] فإن المراد «ولا خلة» بدليل الآية الأخرى، لكن جمعه لأجل [مناسبة] (٥) رءوس الآي.

السابع: تثنية ما أصله أن يفرد كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]. قال الفراء (٦): هذا باب مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله: «ديار لها بالرقمتين» وقوله: «بطن المكتين» وأشير بذلك إلى نواحيها، أو للإشعار بأن لها وجهين، وأنتك إذا أوصلتها ونظرت إليها يميناً وشمالاً، [رأيت] (٧) في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة، وصدرك مسرة.

قال: وإنما ثناهما لأجل الفاصلة، رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن، والقوافي تحتل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام.

وأكرر ذلك ابن قتيبة عليه وأغلظ، وقال: إنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزة أو حرف فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآي فمعاذ الله، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنتين، قال: ﴿ذَرَاتَا أَفْئَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] ثم قال فيها: ﴿فِيهَا﴾، ولو أن قائلًا قال في خزنة النار إنهم عشرون، وإنما

(١) زادها (ف) من «إملاء ما من به الرحمن».

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٢٨٥).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١١١).

(٤) أي أعواناً. ومنه المعاوضة، وهي المعاونة، وقولهم: اعتضد به، أي استعان به.

(٥) سقط من م.

(٦) معاني القرآن (٣/ ١١٨) بمعناه.

(٧) في م: نظرت.

جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ما كان هذا القول إلا كقول الفراء .

قلت : وكان الملجئ للفراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٠٦﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [التازعات: ٤٠-٤١] ، وعكس ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١١٧] على أن هذا قابل للتأويل فإن الألف واللام للعموم، خصوصاً أنه يرد على الفراء قوله : ﴿ ذَوَاتًا أَقْبَانٍ ﴾ .

الثامن : تأنيث ما أصله أن يذكر كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [المدثر: ٥٤] ، وإنما عدل إليها للفاصلة .

التاسع : كقوله : ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الأعلى: ١] ، وقال في العلق ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] فزاد في الأولى ﴿ الْأَعْلَىٰ ﴾ ، وزاد في الثانية ﴿ خَلَقَ ﴾ مراعاة للفواصل في السورتين وهي في «سبح» : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ٢] ، وفي «العلق» : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ٢] .

العاشر : صرف ما أصله ألا ينصرف كقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] صرف الأول لأنه آخر الآية وآخر الثاني بالألف، فحسن جعله منوناً ليقلب تنوينه ألفاً، فيتناسب مع بقية الآي كقوله تعالى : ﴿ سَلْسِلًا وَأَعْلَانًا ﴾ فإن ﴿ سَلْسِلًا ﴾ لما نظم إلى ﴿ وَأَعْلَانًا وَسَوِيرًا ﴾ صرف ونون للتناسب وبقي «قوارير» الثاني فإنه وإن لم يكن آخر الآية، جاز صرفه لأنه لما نون «قوارير» الأول ناسب أن ينون قوارير الثاني ليتناسباً، ولأجل هذا لم ينون «قوارير» الثاني إلا من ينون «قوارير» الأول .

وزعم إمام الحرمين في (البرهان)^(١) ، أن من ذلك صرف ما كان جمعاً في القرآن ليناسب رءوس الآي كقوله تعالى : ﴿ سَلْسِلًا وَأَعْلَانًا ﴾ .

وهذا مردود، لأن «سلاسل» ليس رأس آية، ولا «قوارير» الثاني وإنما صرف للتناسب واجتماعه مع غيره من المنصرفات فيرد إلى الأصل ليتناسب معها .

وتظيره في مراعاة المناسبة أن الأفصح أن يقال : «بدأ» ثلاثي قال الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] ، وقال تعالى ﴿ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [المنكوت: ٢٠] ثم قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴿٢﴾ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [المنكوت: ١٩] فجاء به رباعياً فصيحاً، لما حسنه من التناسب بغيره، وهو قوله ﴿ يُعِيدُهُ ﴾ .

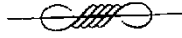
الحادي عشر : إمالة ما أصله ألا يمال كما إمالة ألف : ﴿ وَالصَّحْحٰن ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ١-٢]

ليشاكل التللفظ بهما التللفظ بما بعدهما .

والإمالة^(١) : أن تنحو بالألف نحو الياء : والغرض الأصلي منها هو التناسب وعبر عنه بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ، كألف «تلا» في قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ﴾ [الشمس: ٢] فأميلت ألف ﴿ نَلَّهَا ﴾ [ليشاكل اللفظ بها اللفظ الذي بعدها مما ألفه غير ياء نحو : ﴿ جَلَّهَا ﴾ ، و﴿ يَسْنَهَا ﴾ .

فإن قيل : هلا جعلت إمالة ﴿ نَلَّهَا ﴾ [٢] مناسبة ما قبلها أعنى ﴿ سُنَّهَا ﴾ قيل : لأن ألف ﴿ سُنَّهَا ﴾ عن واو وإنما أميل مناسبة ما بعده .

الثاني عشر : العدول عن صيغة المضى إلى الاستقبال كقوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] حيث لم يقل : « وفريقًا قتلتم » كما سوى بينهما في سورة الأحزاب ، فقال : ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦] ، وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .



(١) انظر : «القواعد والإشارات في أصول القراءات» (ص/ ٥٠) .

(٢) سقط من م .

تفريعات

[ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين]

ثم هنا تفريعات:

الأول: قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكّن من التطريب بذلك.

قال سيبويه رحمه الله^(١): «أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء [ما ينون وما لا ينون]^(٢)؛ لأنهم أرادوا مد الصوت وإذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترتم، وناس من بني تميم يبدلون مكان المدة النون» انتهى.

وجاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف.

[مبنى الفواصل على الوقف]

الثاني: إن مبنى الفواصل على الوقف ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: ١١] مع تقدم قوله: ﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾، و ﴿شِهَابٌ مُنْقَلَبٌ﴾، وكذا ﴿يَمَآءٍ مُّنتَهِرٍ﴾، و ﴿قَدَّ قُدِيرٌ﴾، وكذا ﴿وَمَا لَهُمْ﴾^(٣) مِّنْ دُونِهِ مِنْ ءَالٍ﴾ [الرعد: ١١] مع ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

وعبارة السكاكي قد تعطى اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة في الإعراب، لما قبله على تقدير عدم الوقوف عليه كما يشترط ذلك في الشعر وبه صرح ابن الخشاب معترضاً على قول الحريري في المقامة التاسعة والعشرين^(٤).

يا صارقاً عنى المودة والزمان له صروف
ومعنفى في فضح من جاوزت تعنيف العسوف^(٥)
لا تلحنى^(٦) فيما أتيت فإننى بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أهرم يراعون الضيوف

(١) الكتاب (٢/٢٩٨-٢٩٩).

(٢) في م: لكم.

(٣) الأخذ بحاله قبل التجربة.

(٤) زادها (ف) من «الكتاب».

(٥) انظر: «شرح المقامات» (٣/٤٠٦-٤٠٧).

(٦) أي: لا تلمني.

وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهمو^(١) زيوف^(٢) ألا ترى أنها إذا أطلقت ظهر الأول والثالث مرفوعين والرابع والخامس منصوبين والثاني مجرورًا وكذا باقي القصيدة.

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق. ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفًا عليها لأن الغرض [المجانسة]^(٣) بين القرائن والمزاوجة ولا يتم ذلك إلا [بالوقف]^(٤)، ولو وصلت لم يكن بد من إجراء كل القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فعطلت عمل الساجع وفوت غرضهم.

وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج، فيقولون: «آتيك بالغدايا والعشايا» مع أن فيه ارتكابًا لما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك.

[المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتثامه]

الثالث: ذكر الزمخشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتثامه كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع، السلسلة على اللسان، إلا مع مجيئها متقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة فأما أن تحمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤاده على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو نقيير ومع ذلك يكون قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِرُونَ﴾ [البقرة: ٣] [ق/ ١٠] لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية، إيثارة للفاصلة لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص.

[تقسيم الفواصل باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف].

الرابع: أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع، ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعًا ولا يخلو كل واحد من هذين [القسمين]^(٥)، أعنى التماثل والمتقارب من أن [يأتي]^(٦) طوعًا سهلًا تابعًا للمعاني أو متكلفًا يتبعه المعنى.

(١) أي: خبرتهم.

(٢) أي: دراهم رديئة.

(٣) في م: المجاوزة.

(٤) في م: الوقوف.

(٥) في م: المذهبين.

(٦) في م: يكون باقي.

فالقسم الأول: هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان والثاني: هو المذموم فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة .
وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة .

مثال التماثلة: قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَفِيٍّ مُنْشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ [الطور: ١-٥] .

وقوله تعالى: ﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَعَ ۝ إِلَّا نَذْكُرَكَ لِمَنْ يَخْشَى ۝ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفَلَا ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ ﴾ [طه: ١-٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَةِ قَدْحًا ۝ فَالْعَبْرِيَةَ صَبْحًا ۝ فَاتْرَانَ يَوْمَ نَعْمًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١-٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْرِ ۝ وَيَالِ عَنَبٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَالْيَلِيلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ [الفجر: ١-٤] إلى آخره وحذفت الياء من: ﴿ يَسَّرَ ﴾ طلباً للموافقة في الفواصل .

وقوله تعالى: ﴿ اقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَأْتَ الْقَمْرَ ﴾ [القمر: ١] ، وجميع هذه [السورة]^(١) على الازدواج .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقِيمُ بِالنَّجِيسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنْزِ ۝ وَالْيَلِيلِ إِذَا عَسَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴾ [التكوير: ١٥-١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقِيمُ بِالسَّقْفِ ۝ وَالْيَلِيلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩] .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَلِيَّةُ فَلَا تَهْجُرُ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴾ [الضحى: ٩-١٠] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْرًا مُّزَفًّيًا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الاسراء: ١٦] .

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِعَمَّةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ [وَإِنَّكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَعْنُونٍ] ﴾ [القلم: ٢-٣] .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَخَوَّاهُمْ يُمْدُدُونَهُمْ فِي الْغَيِّْ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١-٢٠٢] .

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِقَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة: ٢٦-٢٧] الآية .

وقوله تعالى: ﴿ لَتُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَتَمُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف: ٨٨] .

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

(٢) سقط من م .

(١) في م: السور .

وقوله تعالى: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا نَسْيٌ عَجِيبٌ﴾ [ن: ١-٢].

وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن، لأن السجع ما تماثلت حروفه.

إذا علمت [هذا] (١)، فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في التماثلة والمتقاربة وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد الفاتحة سبع آيات مع البسمة، وذلك لأن الشافعي المثلث لها في القرآن قال ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ آية ومذهب الشافعي أولى لأن فاصلة قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة، ورعاية التشابه في الفواصل لازم، وقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع، وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات لكن الخلاف في كيفية العدد (٢).

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف]

الخامس: قسم البديعيون السجع والفواصل أيضاً إلى متوازٍ ومطرف، [ومتوازن] (٣). وأشرفها المتوازي، وهو: أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٦﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤]، وقوله ﴿وَالتَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٨﴾ وَرَسُولًا إِنْ بَيْنَ إِسْرَءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨-٤٩].

والمطرف أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤].

[والمتوازن] (٤): أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط كقوله تعالى: ﴿وَمَقَارِفُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرِزْقًا مَبْنُوتَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥-١٦].

(١) هكذا في م.

(٢) قال ابن الجوزي: فاتحة الكتاب سبع آيات بلا خلاف في جملتها، واختلف في آيتين منها: فعَدَّ الكوفيون والمكيون وجماعة من الصحابة والتابعين ﴿بِسْمِ آقَرِ الْكِتَابِ النَّحْسِ﴾ آية، وتركوا: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

وعَدَّ الشاميون والبصريون: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية. فنون الأفتان (ص/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٣) زادها (ف) من «الإفتان».

(٤) في الأصول: المتوازي، والمثلث هو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرْوَهُ يُعِيدُهُمْ عَلَيْهِمْ ﴿١٦﴾ وَرَزَقَهُمْ قَرِيبًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِيِّ ﴿١٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٩﴾ [المعارج: ٥-٩].

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْزِيلٌ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَعَّ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنشَى ﴿١٦﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَمَّى ﴿١٧﴾ [الليل: ١-٢] إلى آخرها.

وقوله: ﴿وَالصُّحْحِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿١٧﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿١٨﴾ [الضحى: ١-٣] إلى آخرها^(٢).

وقد تكرر في سورة «جمعت» في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُجَاحِدُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ ﴿١٦﴾ [الشورى: ١٦-٢٢] إلى آخر الآيات السبع فجمع في فواصلها بين «شديد» و«قريب» و«بعيد» و«عزيز» و«نصيب» و«أليم» و«كبير» على هذا الترتيب^(٣)، وهو في القرآن كثير وفي المنفصل خاصة في قصاره.

ومنهم، من يذكر بدله الترصيع^(٤)، وهو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلمات مختلفة والثاني مؤلفاً من مثلها في ثلاثة أشياء، وهي الوزن والتقفية [وتقابل القرائن]^(٥)، قيل: ولم يجيء هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلف.

وزعم بعضهم أن منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَثْرَارَ لَفِي نَسِيمٍ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَسِيمٍ ﴿١٧﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، وليس كذلك لورود لفظة «إن» و«لفي» في كل واحد من الشطرين، وهو مخالف لشرط الترصيع إذ شرطه اختلاف الكلمات في الشطرين جميعاً.

وقال بعض المغاربة: سورة الواقعة من نوع الترصيع، وتتبع آخر آياتها يدل على أن فيها موازنة. قالوا: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيهاً بالشعر، فإن أبياته متساوية كقوله تعالى ﴿فِي يَدْرِ تَحْضُورٍ ﴿١٧﴾ وَطَلْحٍ مَنُضُورٍ ﴿١٨﴾ وَظَلِّ مَنُذُورٍ ﴿١٩﴾ [الواقعة: ٢٨-٣٠]، وعلته أن السجع ألفت الانتهاء إلى غاية في الخفة بالأولى، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده.

(١) في الأصول: متوازيان، والثبت هو الصواب.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

(٤) الترصيع كالتسجيع في كونه يُجزئ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً أو أربعة إن كان ثمانية.

انظر: «تحرير التحجير» (ص/ ٣٠٢-٣٠٤)، و«سر الفصاحة» (ص/ ٢٢٣)، و«نقد الشعر» (ص/ ١١).

(٥) سقط من م.

ثم ما طالت قرينته الثانية، كقوله: ﴿وَالنَّجْوَىٰ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢] أو الثالثة كقوله تعالى ﴿غَدُوهُ فَعَلُوهُ ۝١٠ تَرَىٰ لِلجَحِيمِ صُلُوهَ ۝١١ ثُمَّ فِي سَبِيلِهِ دَعَاهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(١) [الحاقة: ٣٠-٣٢]

وهو إما قصير كقوله: ﴿وَالرَّسُلَاتِ عُرْمًا ۝١ فَالْمَصْنَعَتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١-٢].

أو طويل كقوله: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ فَلْيَسَّاءَ وَلَوْ أَرْسَلْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتَهُمْ وَلِنَنْزِعْنَاهُنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١١ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

أو [متوسط]^(٢) كقوله: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعْتَبٌ﴾ [القمر: ١-٢].

[اقتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام]

السادس: اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً وإلا خرج بعض الكلام عن بعض.

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل لليب.

وهي منحصرة في أربعة أشياء: التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير [ليكون صدر كل منها يدل على عجز...]^(٣).

والفرق بينها، أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحاً وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالاً وربما اختلط التوشيح بالتصدير، لكون كل منهما صدره يدل على عجزه والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية.

الأول: التمكين وهو أن يُمهّد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم.

وهذا الباب يُطَّلِعُ على سر عظيم من أسرار القرآن فأشدد يديك به.

(٢) في م: مبسوط.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

البرهان في علوم القرآن

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكان الله قوتًا عزيزًا ﴿[الأحزاب: ٢٥]﴾ فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥] لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا وأن ذلك أمر اتفاقي فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنون ويزيدهم يقينًا وإيمانًا على أنه الغالب الممتنع، وأن حزبه كذلك وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقًا بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته، وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانًا وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر وتارة بالريح كيوم الأحزاب وتارة بالرعب كبنى النضير، وطورًا ينصر عليهم كيوم أحد تعريفًا لهم أن الكثرة لا تغني شيئًا وأن النصر من عنده كيوم حنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزَ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٦-٢٧] فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [ق/ ١٠] ولم يقل: ﴿أولم يروا﴾ وقال بعد ذكر الموعظة: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾؛ [و] لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يسمع وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرتية ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، وقال بعدها: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجزز مرئي.

[ومنه] ^(٢) قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْشِئِيبَ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيدًا تامًا لذكر الحلم والرشد لأن الحلم [الذي يصح به التكليف] والرشد حسن التصرف في الأموال فكان آخر الآية مناسبة لأولها مناسبة معنوية، ويسميه بعضهم ملاءمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنه سبحانه لما قدم نفى إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ خطابًا للسامع بما يفهم إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون والكون من كل متكون، فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات ولذلك لما قال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عطف عليه قوله: ﴿الْخَبِيرُ﴾ مخصصًا

(١) زيادة من م.

(٢) سقط من م.

(٣) في م: و.

لذاته سبحانه بصفة الكمال لأنه ليس كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى، أنه يدرك كل شيء مع الخبرة [به] ١) وإنما خص الأبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضرباً من المحاسن، يسمى التعطف ولو كان الكلام لا تبصره الأبصار، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظنا ﴿اللَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ مناسبتين لما قبلهما.

[ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٢) لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ] [الحج: ٦٣-٦٤] إلى قوله: ﴿رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وإنما فصل الأولى بـ «لطيف خبير» لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث، وإخراج النبات من الأرض ولأنه خبير بنفعهم وإنما فصل الثانية بـ «غنى حميد» لأنه قال: ﴿لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي لا حاجة بل هو غنى عنهما جواد بهما لأنه ليس غنى نافعاً غناه، إلا إذا جاد به وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر «الحمد» على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وإنما فصل الثالثة بـ «رؤوف رحيم» لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم وإجراء الفلك في البحر لهم وتسييرهم في ذلك الهول العظيم، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع حسن ختامه بالرفقة والرحمة.

ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها، قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾ [الأنعام: ٩٧] [الآيات: ٢].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٦٤] قال: «الغنى الحميد» لينبه على أن ما له ليس حاجة بل هو غنى عنه، جواد به وإذا جاد به حمده المنعم عليه إذ «حميد» كثير المحامد الموجبة تنزيهه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص فيكون «غنياً» مفسراً بالغنى المطلق، لا يحتاج فيه لتقدير «غنى عنه».

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَأَفْلَاكُ تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١] لما كان سبحانه هو الجاحض الأشياء على الحقيقة وأضاف إلى نفسه جعل الليل سمرماً إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير وظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر لاسيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم إذ نسب وجوده إلى غير موجد والليل كأنه لا موجود سواه، إذ جعل سمرماً منسوباً إليه سبحانه فاقترضت البلاغة أن

يقول: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال في الآية التي تليها: ﴿قُلْ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلٍ مُّبِينٍ إِنَّ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمِن لَّيْلَةٍ عَزُزَ اللَّهُ يُاتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢] لأنه لما أضاف جعل النهار سمرمداً إليه صار النهار كأنه سمرمد وهو ظرف مضيء تنور فيه الأبصار وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة فصار الليل كأنه معدوم إذ نسب وجوده إلى غير موجد والنهار كأنه لا موجود سواه، إذ جعل وجوده سمرمداً منسوباً إليه فاقتضت البلاغة أن يقول: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ إذ الظرف مضيء صالح للإبصار وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .

ومنه قوله تعالى في أول سورة الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّهِ مَا يَنْتَظِرُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَنجَا بِهِنَّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٥] .

فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنه سبحانه ذكر العالم بجملة حيث قال: ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أن المخترع له قادر عليهم حكيم وإن دل على وجود صانع مختار لدالاتها على صفاته مرتبة على دلالتها على ذاته فلا بد أولاً من التصديق بذاته حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته لتقدم الموصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات .

وكذلك قوله في الآية الثانية: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فإن سر الإنسان وتدبر خلقه الحيوان أقرب إليه من الأول وتفكره في ذلك مما يزيده يقيناً في معتقده الأول .

وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وإنزال الرزق من السماء وإحياء الأرض بعد موتها، وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ورسائته لتعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع العالم الكلى التي هي أجرامه وعوارض عنه ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً، فقد قام البرهان على أن للعالم الكلى صناعاً مختاراً فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وإن احتيج إلى العقل في الجميع إلا أن ذكره هاهنا أنسب بالمعنى الأول إذ بعض من يعتقد صانع العالم، ربما قال: إن بعض هذه الآثار يصنع بعضاً فلا بد إذا من التدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿يَبْنِيْهَا إِنَّا كُنَّا نَبْنِيُّهَا وَإِنَّا لَنَحْكُمُ بِهَا إِنَّ تَكُ مِنْكُمْ حَجْرٌ مِّنْ حَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي

صَحْرَةَ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿[لقمان: ١٦] .
ومنه قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [أفلا] (١)
تَقُولُونَ ﴿[البقرة: ٧٦] ، والمناسبة فيه قوية لأن من دل عدوه على عورة نفسه وأعطاه سلاحه
ليقتله به فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل، فلهذا ختمها بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .
وهذه الفاصلة لا تقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل، نحو قوله تعالى:
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] لأن فاعل غير
المناسب ليس بعاقل .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٦] ختم
بصفة العلم إشارة إلى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم وما نحن عليه من الحق، وما أنتم عليه من
الباطل وإذا كان علما بذلك فنسأله القضاء علينا [وعليكم] (٢) بما يعلم منا ومنكم .

فصل

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها وذلك في مواضع:

منها: في أوائل النحل وذلك [أنه] (٣) سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال: ﴿خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: ٤] ، وأشار إلى
عجائب الحيوان فقال: ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ ثم عجائب النبات فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٥﴾ يُثْمِتُ كُرْمَهُ الرَّزْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ
كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠-١١] فجعل مقطع هذه الآية
[التفكير] (٤) ؛ لأنه [استدلال] (٥) بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر
المختار .

وفيه جواب عن سؤال مقدر وهو أنه: [لم] (٦) لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول
وحركات الشمس والقمر؟ ولما كان الدليل لا يتم [إلا] (٧) بالجواب عن هذا السؤال لا جرم
كان مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً، [ثم] (٨) إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين:
أحدهما: أن تغيرات العالم الأسفل مربوطة بأحوال حركات الأفلاك فتلك الحركات

(١) في المطبوع: فلا .

(٢) سقط من م .

(٣) سقط من م .

(٤) في م: التفكير .

(٥) سقط من م .

(٦) زيادة من م .

(٧) في م: استدلال .

(٨) سقط من م .

حيث حصلت فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى، لزم التسلسل وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإقرار بوجود الإله تعالى وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٧]. فجعل مقطع هذه الآية العقل والتقدير كأنه قيل: إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدتها غير متحرك وهو الإله القادر المختار.

والثاني: أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة [والحبة الواحدة واحدة]^(١) ثم إننا نرى الورقة الواحدة من الورد، أحد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد، فلو كان المؤثر موجباً بالذات [لامتنع]^(٢) حصول هذا التفاوت في الآثار، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار [ق/١١]، وهذا هو المراد من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣] كأنه قيل: قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن الموجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره فإذا نظرت إلى حصول هذا الاختلاف، علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكرة.

تنبيه

من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين، والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا اللَّهَ لَا تُخْصِمُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ثم قال في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا اللَّهَ لَا تُخْصِمُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. قال القاضي ناصر الدين بن المنير في تفسيره الكبير كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً وكونك كفاراً ولي عند إعطائها وصفان: وهما أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ولا أجازي جفائك إلا بالوفاء انتهى.

وهو حسن، لكن بقي سؤال آخر وهو: ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم، في وصف الإنسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في [درجة]^(٣) البلاغة!

(٢) في المطبوع: لا تمتنع.

(١) سقط من م.

(٣) في م: وجه.

ونظيره قوله تعالى في [سورة] (١) الجاثية ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥] ، وفي فصلت ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٦] .

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] ، فناسب الختام بفاصلة البعث لأن قبله وصفهم بإنكاره وأما الأخرى فالختم بها مناسب، أي: لأنه لا يضيع عملاً صالحاً ولا يزيد على [من] (٢) عمل شيئاً .

ونظيره قوله في سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ختم الآية مرة بقوله: ﴿فَقَدْ أَفْرَقْنَا إِنَّمَا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] ، ومرة بقوله: ﴿صَلَاةً بِعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] لأن الأولى نزل في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه والثاني: نزل في الكفار ولم يكن لهم كتاب وكان ضلاهم أشد .

وقوله في المائدة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٤] فذكرها ثلاث مرات وختم الأولى بالكافرين والثانية بالظالمين، والثالثة بالفاسقين فقليل: لأن الأولى نزلت في أحكام المسلمين والثانية نزلت في أحكام اليهود والثالثة نزلت في أحكام النصارى .

وقيل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إنكاراً له فهو كافر ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق، وحكم بضده فهو ظالم ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق .

وقيل: الكافر، والظالم، والفاسق، كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

تفسيه

عكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف، كقوله تعالى في سورة النور ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَمَنُونَ﴾ [النور: ٥٨] إلى قوله [تعالى] (٣): ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨] ، ثم قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْعُمُرَ فَلْيَسْتَقْرِئُوا كَمَا اسْتَقْدَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ ءآيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩] .

قال ابن عبد السلام في تفسيره: في الأولى: «عليم» بمصالح [عباده «حكيم» في بيان مراده] (٤) . وقال في الثانية: «عليم» بمصالح الأنام؛ «حكيم» ببيان الأحكام، ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار .

(٢) سقط من م .

(١) سقط من م .

(٤) سقط من م .

(٣) زيادة من م .

تنبيه

حق الفاصلة في هذا القسم تمكين المعنى المسوق إليه، كما بينا ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] ، ووجه مناسبتها أن بعث الرسول تولية والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد وتعليم الرسول الحكمة لقومه ، إنما يكون مستنداً إلى حكمة مرسله لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه ، فلا بد وأن يكون حكيماً فلا جرم كان اقترانها مناسباً .

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوْسَىٰ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢] ، وجه المناسبة في الحكم محمول على قول مجاهد^(١) : إن من حضر الموصى فرأى منه جنفاً على الورثة في وصيته مع فقرهم فوعظه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رضوا فلا إثم عليه وهو غفور للموصى ، إذا ارتدع بقول من وعظه فرجع عما همَّ به وغفرانه لهذا برحمته لا خفاء به والإثم المرفوع عن القائل ، يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق في الآية قبلها في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا سِئَمًا﴾ [البقرة: ١٨١] يعني من الموصى أي : لا يكون هذا المبدل داخلاً تحت وعيد من بدل على العموم لأن تبديل هذا تضمن مصلحة راجحة فلا يكون كغيره وقد أشكل على ذلك مواضع منها قوله تعالى: ﴿إِن تُعَدِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة: «الغفور الرحيم» وكذا نقلت عن مصحف أبي رضي الله عنه وبها قرأ ابن [شبنوذ]^(٢) ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز عزاً؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم: عزه يعزه عزاً إذا غلبه ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً لأن الحكيم من يضع الشيء في محله ، فالله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، [فكان]^(٣) في الوصف بالحكيم احتراص حسن ، أي : وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته وقيل : لا يجوز «الغفور الرحيم» لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] ، وقيل : لأنه مقام تبرر^(٤) فلم يذكر الصفة المقتضية استمطار العفو لهم ، وذكر

(١) انظر: «تفسير مجاهد» (١/١٩٥) ، و«ابن جرير» (٢/١٢٧) .

(٢) في م : مسعود .

(٣) في م : وكان .

(٤) قال أبو جعفر بن الزبير : فللسائل أن يسأل عن وجه ورود آيتي المائدة والمتعنة معقبتين بما ذكر؟ والجواب عن ذلك ، والله أعلم : يتفصل في الآيتين : أما آية المائدة فمبنية على التسليم لله سبحانه =

صفة العدل في ذلك بأنه العزيز الغالب وقوله ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يعترض عليه إن عفا عمن يستحق العقوبة .

وقيل: ليس هو على مسألة الغفران وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى من هو أملك لهم، ولو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم» لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة

= وأنه المالك للكل يفعل فيهم ما يشاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: «وإن تغفر لهم فأنت الغفور الرحيم» لكان تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك بالآية وإنما قيل ذلك على لسان عيسى - عليه السلام - تبرئاً وتسليماً لله سبحانه وليس موضع طلب مغفرة لهم وإنما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم، قال القرطبي - رحمه الله - : لم يقل: «الغفور الرحيم» لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر الغفور تعريضاً للسائل والكلام لتسليم الأمرين والحكمة تقتضيهما، وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك ولا تخرج عن حكمتك .

وأما قوله في سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا يَوْمًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فالجواب عندي هنا أن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مبني على قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا يَوْمًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، فإن المراد لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيكون سبب فنتهم، فلا تفعل ذلك بنا فأنت القادر على كفهم ونصرنا عليهم فإنك العزيز الذي لا معارض لما تريده ولا مانع مما تشاؤه، لما كان المؤمنون يعلمون أن ما يصيبهم من مصيبة إنما هي بما كسبت أيديهم سألوا المغفرة من مجترحاتهم، وأورد سؤالهم مورد جمل الاعتراض فقدم، وهو قوله: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ ، فإن الكلام في تقدير التقديم والتأخير: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا يَوْمًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، فقدم قوله: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ أثناء الكلام إحراراً لأدائهم ومعتقدهم الإيماني، فقد تبين حال المناسبة في آية العقود وآية الممتحنة بين الآيتين وبين ما أعقبتا به، وأنه لا يمكن على ما تقرر سواه، والله أعلم بما أراد. فإن قلت فما جوابك عما ذكر عن بعض المتأخرين من أن جواب قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ محذوف، أي وإن تغفر لهم فإنهم عبادك، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، وأن المناسبة إنما تحصل بهذا التقدير؟ قلت: هنا خطأ من وجهين: توجيه المناسبة وتوجيه الإعراب، أما المناسبة فقد تبينت على أتم وجه، وأما الإعراب فبممتنع تقديره فيه على ما نبينه، ثم في هذا المرتكب فساد المعنى إذ ليس الكلام وارداً مورد الاستلطاف وقد بين، وأما امتناع ما اختاره في الإعراب فمن وجهين: أحدهما: التهيئة والقطع وهو متفق على منافرتة إذا أمكنت المندوحة، والثاني: وهو عاضد لهذا وقاطع في المسألة وهو أن سبويه - رحمه الله - قد نص أن العرب لا تتكلم به إلا في الشعر، قال في باب الجزاء: وقبح في الكلام أن تعمل أن أو شيء من حروف الجزاء في الفعل حتى تجزمه في اللفظ ثم لا يكون له جواب فيجزم ما قبله، ألا ترى أنك تقول: آتيك إن آتيتني ولا تقول آتيك إن تأتيتني إلا في الشعر لأنك أخرت إن وما عملت فيه فلم تجعل لها جواباً ينجزم بما قبله، فهكذا جرى هذا في كلامهم، وقد زاده الإمام بسطاً في الكتاب، فهذا قاطع من كلام سبويه وقد تقدم قبله ما يحصل في الكلام من التهيئة والقطع وهو كاف لانفراق النحويين على قبح التهيئة والقطع، ثم قد انضم إلى ذلك من نص سبويه: إن العرب لا تتكلم بهذا فلا تأتي بكلام قد انجزم فيه الفعل بأداة الشرط ثم لا تأتي بجواب مجزوم في اللفظ أما إذا أتيت بالفاء في الجواب فلا خلاف في هذا كما في الآية، وعلى ما قاله سبويه - رحمه الله - كافة النحويين من متقدمهم ومتأخرهم، فوضح خطأ هذا القول.

لمن مات على شركه لا لنبي ولا لغيره وأما قوله: ﴿فَاتَّبَعْتُمْ عِبَادَتَهُ﴾ ، وهم عباده عذبهم أو [لم] (١) يعذبهم فلأن المعنى إن تعذبهم تعذب من العادة أن تحكم عليه ، وذكر العبودية التي هي سبب القدرة كقول رؤبة (٢) :

يا رب إن أخطأت أو نسيت فأنت لا تنسى ولا تموت
والله لا يضل ولا ينسى ولا يموت ، أخطأ رؤبة أو أصاب فكأنه قال : إن أخطأت
تجاوزت لضعفى وقوتك ونقصى وكمالك ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة براءة
﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] ، والجواب ما ذكرناه .

[ومثله] (٣) قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥] .

ومثله في سورة غافر في قول السادة الملائكة ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨] .

ومنه قوله تعالى ﴿وَالْفَلْسَفَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٩-١٠] فإن الذي يظهر في أول النظر ، أن الفاصلة ، «تواب رحيم» لأن الرحمة مناسبة للتوبة وخصوصا من هذا الذنب العظيم ، ولكن هاهنا معنى دقيق من أجله قال ﴿حَكِيمٌ﴾ ، وهو أن ينبه على فائدة مشروعية اللعان وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة وذلك من [عظيم] (٤) الحكم ، فلهذا كان ﴿حَكِيمٌ﴾ بليغا في هذا المقام دون «رحيم» .

ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى في سورة البقرة ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] .

وقوله في آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ تَحْقُقُوا مَّا فِي سُؤْبَاتِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَمَانَةً اللَّهُ وَيَسْلَمَ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩] [ق/ ١٢] فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة وفي آية آل عمران الختم بالعلم ، لكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة في الآيتين ؛ [وكذلك قوله] (٥) تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] مع أن ظاهر الخطاب «ذو عقوبة شديدة» وإنما قال ذلك نفيًا للاغترار

(٢) ديوانه (ص/ ٢٥) .

(٤) في م: أعظم .

(١) في م: لا .

(٣) في م: ومنه .

(٥) في م: وذلك كقوله .

بسعة رحمة الله تعالى في الاجترأ على معصيته وذلك أبلغ في التهديد ومعناه: لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى في الاجترأ على معصيته فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم .

وقريب منه ﴿زَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبا: ٣٧] .

وأما قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] فمناسبة الجزاء للشرط أنه لما أقدم المؤمنون - وهم ثلاثمائة وبضعة عشر - على قتال المشركين وهم زهاء ألف متوكلين على الله تعالى، وقال المنافقون ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَنَاهُمْ﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عدداً أو أكثرهم قال الله تعالى رداً على المنافقين وثببتاً للمؤمنين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] في جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] فإن قيل: ما وجه الختام بالحلم والمغفرة عقيب تسابيح الأشياء وتنزيهاها: أجاب صاحب [العنوان] ^(١) بثلاثة أوجه:

أحدها: إن فسرنا التسبيح على ما درج في الأشياء من العبر وأنها مسبحات بمعنى مودعات من دلائل العبر ودقائق الإنعامات، والحكم ما يوجب تسبيح المعبر المتأمل فكأنه سبحانه يقول: إنه كان من كبير إغفالكم النظر في دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك وموضع العتب قوله: ﴿وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] كذلك موضع المعتبة قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه فهذا موضع حلم وغفران عما جرى في ذلك من الإفراط والإهمال .

الثاني: إن جعلنا التسبيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها فمعناه: الأشياء كلها تسبحه وتحمده ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون فالحلم والغفران للتقدير في الآية، وهو العصيان .

وفي الحديث «لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً» ^(٢) .

الثالث: أنه [سبحانه] ^(٣) قال في أولها: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ

(١) في المطبوع: الفنون، والمثبت من الأصل .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤٠٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧٠٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢٤٣/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٦١٨٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٤/٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

والحديث ضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله - في «الضعيفة» (٤٣٦٢)، و«الضعيف الجامع» (٤٨٥٧) .

(٣) سقط من م .

شَاءَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿[الإسراء: ٤٤]﴾ أي: أنه كان لتساييح المسبحين حليماً عن تفریطهم غفوراً لذنوبهم ألا تراه قال في موضع آخر: ﴿وَاللَّيْلُ كُفً يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَتَى اللَّهَ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ ﴿[النورى: ٥]﴾ ، وكأنها اشتملت على ثلاثة معان: إما العفو عن ترك البحث المؤدى إلى الفهم لما في الأشياء من العبر وأنتم على العصيان أو يريد بها الأشياء كلها تسبحة، ومنها ما يعصيه ويخالفه فيغفر عصيانهم بتساييحهم.

تنبيه

قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن، كقوله تعالى عقب الأمر بالغض في سورة النور ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا بَصَنُّوْنَ﴾ [النور: ٣٠] ، وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ، وقيل: فيه تعريض بليلة القدر أي: لعلهم يرشدون إلى معرفتها وإنما يحتاجون للإرشاد^(١) إلى ما لا يعلمون فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه وأن أرجى أوقات الإجابة فيه ليلة القدر.

الثاني: التصدير كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١] .

وقوله: ﴿فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] .

وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

وقوله: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩] ، وقوله: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠] .

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] .

وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١] فجعل الفاصلة ﴿يَزُرُونَ﴾ لجناس ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ، وإنما قال: ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ ، ولم يقل على رؤوسهم لأن الظهر أقوى للحمل، فأشار إلى ثقل الأوزار.

وقوله: ﴿فَتَلَّكَ أَسْتَفْزِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] .

[وقوله]^(٢): ﴿وَنَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

وقوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّيْلُ كُفً يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] .

(٢) سقط من م .

(١) في م: إلى الإرشاد.

[وقوله] ^(١): ﴿رَجَالٌ يُحِثُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ جُنُودًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثالث: التوشيح ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشع، اللذين يجول عليهما الوشاح ولهذا قيل فيه ^(٢): إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها.

وسماه ابن وكيع: المطمع لأن صدره مطمع في عجزه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْتَهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

[وقوله] ^(٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة إذ المذكورون نوع من جنس العالمين.

وقوله: ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ سَلَخٌ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] فإنه من كان حافظاً لهذه السورة متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة وسمع في صدر هذه الآية ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ سَلَخٌ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ علم أن الفاصلة: ﴿مُظْلِمُونَ﴾ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ^(٤) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨] فإن قوله ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ يدل على التقسيم. وقوله: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلَيَّ إِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ^(٥) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣-١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. الرابع: الإيغال ^(٤)؛ وسمى به؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو أخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد يقال: أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل كقوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهَنَّمِ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورِ يُوقُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فإن الكلام تم بقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنى زائداً.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِينًا﴾ [النمل: ٨٠] فإن المعنى قد تم بقوله: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال: ﴿إِذَا وَلُوا مَدِينًا﴾:

(١) سقط من م.

(٢) انظر: «تحرير التخبير» (ص/ ٢٢٨) فهذا نص كلام ابن أبي الأصعب هناك.

(٣) سقط من م.

(٤) انظر: «تحرير التخبير» (ص/ ٢٣٢-٢٤١)، و«العمدة» (٢/ ٤٥)، و«الصناعتين» (ص/ ٢٨٠).

فإن قيل: ما معنى ﴿مُدْرِيْرٍ﴾، وقد أغنى عنها ﴿وَلَوْأ﴾ قلت: لا يغنى عنها ﴿وَلَوْأ﴾ فإن التولى قد يكون بجانب دون جانب بدليل قوله ﴿أَرْضَ وَنَا بِحَائِيْرِ﴾ [الإسراء: ٨٣]، وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب لينفى عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة ثم إن التولى قد يكون بجانب مع لحاظه بالجانب الآخر فيحصل له إدراك بعض الإشارة، فجعل الفاصلة ﴿مُدْرِيْرٍ﴾ ليعلم أن التولى كان بجميع الجوانب بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً فاحتجب المخاطب عن المخاطب أو صار من ورائه فخفيت عن عينه الإشارة، كما صم أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة من عدم الإسماع [بالكلية]. وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفي الإسماع البتة، فهو من إيغال الاحتياط الذي أدجت فيه المبالغة في نفي الاستماع^(١). وقد يأتي الاحتياط في غير المقاطع من مجموع جمل متفرقة في ضروب من الكلام شتى [يجمعها]^(٢) معنى واحد كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية .
وقوله: ﴿قَاتُوا سُورَةَ بَيْنِ يَمِينِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] .

وقوله: ﴿قَاتُوا بِمِثْرِ سُورِ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] كما يقول الرجل لمن يجحد ما يستحق: علي درهماً ولا دانقاً ولا حبة [ق/١٣]، ولا كثيراً ولا قليلاً ولو قال: ما يستحق علي شيئاً لأغنى في الظاهر لكن التفصيل أدل على الاحتياط وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار .
ومنه قوله تعالى: ﴿أَجْعَلُوا مِنْ لَأِ يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُتَهَدُونَ﴾ [يس: ٢١] فإن المعنى تم بقوله ﴿أَجْرًا﴾ ثم زاد الفاصلة لمناسبة رءوس الآي، فأوغل بها كما ترى حتى أتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام .

فصل في ضابط الفواصل

ذكره الجعبري ولمعرفتها طريقان: توقيفي وقياسي:

الأول: التوقيفي روى أبو داود^(٣)، عن أم سلمة لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ

(١) سقط من م .
(٢) في المطبوع: يحملها .
(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٠١)، والترمذي (٢٩٢٧)، وأحمد (٢٦٦٢٥)، والدارقطني (٣١٢/١)، والحاكم (٢٩٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٧٨/٢٣)، حديث (٦٠٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٢١٢)، و«الشعب» (٢٥٨٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
قال الترمذي: هذا حديث غريب .
قلت: هو إن شاء الله صحيح بمجموع طرقه .

قالت: «كان يقطع قراءته آية آية وقرأت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى ﴿الذِينَ﴾ تقف على كل آية» فمعنى «يقطع قراءته آية آية» أي يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته ﷺ كذلك ليعلم رؤوس الآي.

قال: ووهم فيه من سماه وقف السنة لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدًا، فهو مشروع لنا وإن كان لغيره فلا فما وقف عليه السلام عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريفهما أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

الثاني: القياسى وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز، [ووصل القرآن كله جائز] (١)، فاحتاج القياسى إلى طريق تعرفه، فأقول فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في النظم وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع والتوجيه، فليس بعيب في الفاصلة وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة، وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيد.

ومن ثم ترى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ مع ﴿عَلِيمٌ﴾، و ﴿أَلَيْعَكَدُ﴾ مع ﴿أَثْرَابٍ﴾، و ﴿أَلْفَارِئُ﴾ مع ﴿أَثَابٍ﴾.

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة، ومن ثم أجمع العادون على ترك عد ﴿وَيَأْتِ بِفَاخِرِينَ﴾، و ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] بالنساء و ﴿كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَادُ﴾ [الإسراء: ٥٩] بسبحان و ﴿يُنشِئُ بِهِ السَّمْعَاتِ﴾ [مريم: ٩٧] بمريم، و ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ بطله، و ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، و ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] بالطلاق لم حيث يُشاكل طرفيه.

وعلى ترك عد ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] بآل عمران و ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] بالمائدة وعدوا نظائرها للمناسبة نحو ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ بآل عمران و ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بالكهف، و ﴿وَالسَّلَوَاتِ﴾ بطله.

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها فمنها البسمة وقد نزلت بعض آية في النمل وبعضها في أثناء الفاتحة [ونزلت أولها] (٢) في بعض الأحرف السبعة.

(٢) زيادة من م.

(١) سقط من م.

فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها آية، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنص المتقدم، خلافاً للداني ومن قرأ بحرف لم تنزل معه لم يعدها، ولزمه من الإجماع على أنها سبع آيات أن يعد عوضها وهو بعد ﴿أَهْدِنَا﴾ لقوله ﷺ عن الله تعالى «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(١).

أي قراءة الصلاة تعد منها ولا للعبد إلا هاتان و ﴿الْمُسْتَقِيدَ﴾ محقق فقسمتا بعدها قسمين فكانت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى وهي مماثلة في الروى [لما قبلها]^(٢).

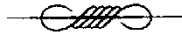
ومنها، حروف الفواتح؛ فوجه عدها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروى والردف ووجه عدمه الاختلاف في الكمية والتعلق على الجزء.

ومنها بالبقرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، و ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فوجه عده مناسبة الروى ووجه عدمه تعلقه بتاليه.

ومنها ﴿إِلَىٰ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] بآل عمران حملاً على ما في الأعراف والشعراء والسجدة والزخرف.

[ومنها ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧] بالزمر لتقدير تاليه مفعولاً ومبتدأ.

ومنها ﴿وَالطُّورِ﴾، و ﴿الْحَجَّزِ﴾، و ﴿الْمَأْتَةِ﴾ [٣]، و ﴿الْقَارِعَةِ﴾، و ﴿وَالْعَصْرِ﴾ حملاً على ﴿وَالْقَمَرِ﴾، و ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ للمناسبة لكن تفاوتت في الكمية.



(١) أخرجه مسلم (٣٩٥)، وأبو داود (٨١٩)، والترمذي (٢٩٥٣)، والنسائي (٩٠٩)، وابن ماجه (٨٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

النوع الرابع

في جمع الوجوه والنظائر

وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغوني وأبو الفرج بن الجوزي، والدامغاني الواعظ وأبو الحسين بن فارس وسمى كتابه (الأفراد).
[فالوجه^(١)]: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ «الامة».
والنظائر: [كالألفاظ]^(٢) المتواطئة.

وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف، لأنه لو أريد هذا لكان الجمع [في]^(٣) الألفاظ المشتركة [وهم يذكرون]^(٤) في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال.
وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن، حيث كانت الكلمة [الواحدة]^(٥) تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.
وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً: «لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة».

فمنه «الهدى» سبعة عشر حرفاً:
بمعنى البيان كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦)
[البقرة: ٥].

وبمعنى الدين: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣].
وبمعنى الإيمان: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدُوا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

(١) في المطبوع: فالوجوه.
(٢) سقط من م.
(٣) كذا في م.
(٤) سقط من م.
(٥) سقط من م.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/٦) موقوفاً على أبي الدرداء.
قال العيني: قال أبو عمر: لا يصح مرفوعاً وإنما الصحيح أنه من قول أبي الدرداء وصدقة السمين راويه مرفوعاً مجمع على ضعفه. «عمدة القاري» (٥٥/٢).

- وبمعنى الداعي: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]
- وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]
- وبمعنى المعرفة: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]
- وبمعنى الرشاد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]
- وبمعنى محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آزَلْنَا مِنْ آلَيْنَتِكَ وَالْهُدًى﴾ [البقرة: ١٥٩] . ﴿مَنْ بَدَّلْ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدًى﴾ [محمد: ٣٢]
- وبمعنى القرآن: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدًى﴾ [النجم: ٢٣]
- وبمعنى التوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى﴾ [غانر: ٥٣]
- وبمعنى الاسترجاع: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، ونظيرها في التغابن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] أي في المصيبة أنها من عند الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] للاسترجاع .
- وبمعنى الحجية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] بعد قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِزْرَهُمْ فِي رَيْبِهِ﴾ أي لا يهديهم إلى الحجية .
- وبمعنى التوحيد: ﴿إِنْ نَنبِئُكَ الْهُدًى مَعَكَ﴾ [الفصص: ٥٧]
- وبمعنى السنة: ﴿وَأِنَّا عَلَيَّ ءَأَثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]
- وبمعنى الإصلاح: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]
- وبمعنى الإلهام: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] هدى كلاً في معيشته .
- وبمعنى التوبة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي تبنا .
- وهذا كثير الأنواع .

وقال ابن فارس في كتاب (الأفراد):

كل ما في كتاب الله من ذكر «الأسف» فمعناه الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥] فإن معناه «أغضبونا» وأما قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿غَضِبْنَا عَلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فقال ابن عباس: «مغناظاً»^(١) .

وكل ما في القرآن من ذكر «البروج» فإنها الكواكب، كقوله تعالى ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ

(١) لكن الذي أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦٤/٩)، وفي «تاريخه» (٢٥٠/١) أن ابن عباس قال: حزينا وهو أيضا ما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس .

الْبُرُوجِ ﴿ البروج: ١٠﴾ إلا التي في سورة النساء: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٌ﴾ [النساء: ٧٨] فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة .

وما في القرآن من ذكر «البر» و«البحر» فإنه يراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس، غير واحد في سورة الروم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] فإنه بمعنى البرية والعمران وقال بعض علمائنا: ﴿فِي الْبَرِّ﴾ قتل ابن آدم أخاه وفي ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أخذ الملك كل سفينة غصبًا .

والبخس في القرآن: النقص مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ يَمْسِرًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣] إلا حرفًا واحدًا في سورة يوسف ﴿وَشَرَوْهُ بِشَعْبٍ بِخَيْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فإن أهل التفسير قالوا بخس: حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل، فهو الزوج، كقوله تعالى: ﴿وَيُعَوِّلِينَ أَخَاهُ رِيحِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إلا حرفًا واحدًا في الصفات ﴿أَنْذَرْتَنِي بَعْلًا﴾ فإنه أراد صنمًا .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان، كقوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ﴾ إنما أراد ﴿بَكْمٌ﴾ عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم، إلا حرفين أحدهما: في سورة بني إسرائيل: ﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصُمًّا﴾، والثاني: في سورة النحل قوله عز وجل: ﴿أَحَدُهُمَا أَتَيْكُمْ﴾ فإنهما في هذين الموضعين اللذان لا يقدران على الكلام .

وكل شيء في القرآن: ﴿جِيئًا﴾ فمعناه «جميعًا» إلا التي في سورة الشريعة: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ فإنه أراد تجئوا على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن «حسبان» فهو من العدد، غير حرف في سورة الكهف: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] فإنه بمعنى العذاب .

وكل ما في القرآن: «حسرة» [ق/١٤] فهو الندامة كقوله عز وجل: ﴿يَنْحَسِرَةٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] إلا التي في سورة آل عمران ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] فإنه يعني به «حزنًا» .

وكل شيء في القرآن «الداحض» و«الداحض» فمعناه: الباطل كقوله: ﴿مَجْنُومًا دَاحِضَةً﴾ إلا التي في سورة الصفات: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصفات: ١٤١] .

وكل حرف في القرآن من «رجز» فهو العذاب كقوله تعالى في قصة بني إسرائيل ﴿لَئِن كَشَفْتِ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] إلا في سورة المدثر ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فإنه يعني الصنم فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من «ريب» فهو شك غير حرف واحد وهو قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ يَدَيْ رَبِّي الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] فإنه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن «يَرْجُمُكُمْ» و«يَرْجُمُوكُمْ» فهو القتل غير التي في سورة مريم عليها السلام ﴿لَا رَجْمَ لَكَ﴾ يعني لأشمتك .

قلت : وقوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي ظناً والرجم أيضاً : الطرد واللعن ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء في القرآن من «زور» فهو : الكذب ويراد به الشرك غير التي في المجادلة ﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] فإنه كذب [من] ^(١) غير شرك .

وكل شيء في القرآن من «زكاة» فهو المال ، غير التي في سورة مريم [عليها السلام] ^(٢) : ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ [مريم: ١٣] فإنه يعني تعطفاً .

وكل شيء في القرآن من «زاغوا» ولا «تزغ» فإنه من «مالوا» ولا «تمل» غير واحد في سورة الأحزاب ﴿وَلَا زَاغُوا﴾ [الأحزاب: ١٠] بمعنى «شخصت» .

وكل شيء في القرآن من «يسخرون» و«سخرنا» فإنه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف ﴿لِيَسْخِذَ بَعْضُهُمَّ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] فإنه أراد [أعواناً] ^(٣) وخدماء .

وكل سكينه في القرآن طمانينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنَ رَبِّكَمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فإنه يعني : شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .

وكل شيء في القرآن من ذكر «السعير» فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي سَلَاطِئٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧] فإنه العناد .

وكل شيء في القرآن من ذكر «شيطان» فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله [تعالى] في سورة [البقرة] ^(٤) ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] فإنه يريد كهنتهم مثل: كعب بن الأشرف ، وحيى بن أخطب وأبي ياسر أخيه .

وكل «شهيد» في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ فإنه يريد شركاءكم .

وكل ما في القرآن من «أصحاب النار» فهم أهل النار إلا قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] فإنه يريد خزنتها .

وكل «صلاة» في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : ﴿وَصَلَّوْا وَسَجِدُوا﴾ فإنه يريد بيوت عباداتهم .

(٢) زيادة من م .

(١) زيادة من م .

(٤) في م : عز وجل في .

(٣) في م : عوناً .

وكل «صمم» في القرآن، فهو عن الاستماع للإيمان، غير واحد في بنى إسرائيل قوله عز وجل: ﴿عَمِيًّا وَبِكَمَا وَصُمَّا﴾ [الإسراء: ٩٧] معناه لا يسمعون شيئاً. وكل «عذاب» في القرآن فهو التعذيب، إلا قوله عز وجل: ﴿وَلَسَنَهَذَا عَذَابُهُمَا﴾ فإنه يريد الضرب.

والقانتون: المطيعون لكن قوله عز وجل في البقرة: ﴿كُلُّ لَمْ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] معناه: «مقرون» وكذلك في سورة الروم: ﴿وَلَمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦] يعني: مقرون بالعبودية.

وكل «كنز» في القرآن فهو المال، إلا الذي في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه أراد صحفاً وعلماً.

وكل «مصباح» في القرآن فهو [الكوكب] ^(١) إلا الذي في سورة النور: ﴿الْيَصْبَاحُ فِي دُجَايَةٍ﴾ [النور: ٣٥] فإنه السراج نفسه.

النكاح في القرآن الزوج إلا قوله [جَلَّ] ^(٢) ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فإنه ^(٣) يعني الحلم.

النبا والأنباء في القرآن الأخبار، إلا قوله [تعالى] ^(٤): ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [القصص: ٦٦] فإنه بمعنى الحجج.

الورود في القرآن الدخول، إلا في القصص ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] يعني: هجم عليه ولم يدخله.

وكل شيء في القرآن من ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَسْتًا إِلَّا وُسْمَهُا﴾ [البقرة: ٢٨٦] يعني عن العمل إلا التي في سورة النساء: ﴿إِلَّا مَا آتَيْنَهُا﴾ [الطلاق: ٧] يعني النفقة.

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط، إلا التي في الرعد: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣١] أي ألم يعلموا قال ابن فارس: أنشدني أبي، فارس بن زكريا:

أقول لهم بالشعب إذ يبسروني ألم تيشسوا أنى ابن فارس زهدم

قال الصاغاني: البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي ^(٥). وكل شيء في القرآن من ذكر الصبر محمود إلا قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، و﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦٠] انتهى ما ذكره ابن فارس.

(١) في م: الكواكب. (٢) في المطبوع: جعل.

(٣) سقط من م. (٤) في م: عز وجل.

(٥) نُسب هذا البيت خطأً لأحمد فارس الشدياق المتوفى سنة (١٣٠٤هـ).

وزاد غيره: كل شيء في القرآن «لعلكم» فهو بمعنى: «لكي» غير واحد في الشعراء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] فإنه للتشبيه أي كأنكم^(١).

وكل شيء في القرآن «أقسطوا» فهو بمعنى العدل إلا واحد في [سورة] الجن^(٢) ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] يعني: العادلين الذين يعدلون به غيره^(٣)، هذا باعتبار صورة اللفظ وإلا فمادة الرباعي تخالف مادة الثلاثي.

وكل «كسف» في القرآن يعني: جانبًا من السماء غير واحد في سورة الروم ﴿وَجَعَلَهُ كِسْفًا﴾ [الروم: ٤٨] يعني: السحاب قطعًا^(٤). وكل «ماء معين» فالمراد به الماء الجاري غير الذي في سورة تبارك فإن المراد به الماء الطاهر الذي تناله الدلاء، وهي زمزم. وكل شيء في القرآن «لثلا» [فهو]^(٥) بمعنى: «كيلا» غير واحد في الحديد: ﴿ثَلَا يَمَلُّ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] يعني لكي يعلم^(٦). وكل شيء في القرآن «من الظلمات إلى النور» فهو بمعنى الكفر والإيمان. غير واحد في أول الأنعام ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] يعني: ظلمة الليل ونور النهار^(٧). وكل «صوم» في القرآن فهو الصيام المعروف، إلا الذي في سورة مريم ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] يعني صمتًا^(٨). وذكر أبو عمرو الداني في قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] أن المراد بالحضور هنا: المشاهدة قال: وهو بالطاء بمعنى: المنع والتحويل قال: ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا كَثِيرًا مِّنَ الضَّالِّينَ﴾ [القمر: ٣١].

قيل: وكل شيء في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أخبرنا به وما فيه ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فلم يخبرنا به حكاه البخاري رحمه الله في تفسيره^(٩)، واستدرك بعضهم عليه موضعًا وهو قوله: [﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]]^(١٠).

وقيل: الإنفاق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة، إلا قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاهُ بِمَثَلٍ مَّا أَنْفَقُوا﴾ [المنحة: ١١] فإن المراد به: المهر وهو صدقة في الأصل تصدق الله بها على النساء.

(١) انظر: «فتح الباري» (٤٩٧/٨).

(٢) زيادة من م.

(٣) انظر: «فتح الباري» (٥٣٩/١٣).

(٤) سقط من م.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٦٠٢/٨).

(٦) انظر: «فتح الباري» (٤٩٤/١٣).

(٧) انظر: «فتح الباري» (٦٢٨/٨).

(٨) انظر المواضع السابقة من «الفتح».

(٩) انظر: «فتح الباري» (٤٤٠/٩).

(١٠) سقط من م.

النوع الخامس

علم التشابه

وقد صنف فيه جماعة، ونظمه [السخاوي]^(١) وصنف في توجيهه الكرمانى [في]^(٢) كتاب (البرهان)، [والرازي]^(٣) [في]^(٤) كتاب (درة التأويل)^(٥)، وأبو جعفر بن الزبير، وهو أبسطها في مجلدين^(٦). وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً، وأكثر أحكامه تثبت من وجهين فلهذا جاء باعتبارين.

وفيه فصول:

الفصل الأول

[المتشابه باعتبار الأفراد]

الأول باعتبار الأفراد، وهو على أقسام:

الأول: أن يكون في موضع على نظم، و[هو]^(٧) في آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في القرآن منه كثير.

-
- (١) في م: البيضاوي.
 (٢) زيادة من م.
 (٣) زيادة من م.
 (٤) في م: الدارمي.
 (٥) أسماء السيوطي «درة التنزيل وغرة التأويل» وبهذا أسماء مؤلفه في مقدمته.
 قال السيوطي: إنه أحسن من «البرهان»، وأحسن منهما «ملاك التأويل».
 وقال: وللقاضي بدر الدين ابن جماعة كتاب لطيف سماه «كشف المعاني عن متشابه المثاني» وفي كتاب «قطف الأزهار في كشف الأسرار» من ذلك الجم الغفير والإتقان» (٣/٢٨٦).
 (٦) في كتابه «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل» وهذا الكتاب مطبوع في مجلدين. ط دار الغرب الإسلامي.
 وصنف أيضاً في هذا الباب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري كتابه الحافل: «فتح الرحمن بكشف ما تليس في القرآن» وهو مطبوع طبعة رديئة في مجلد واحد.
 (٧) زيادة من م.

ففي البقرة ﴿وَادْخُلُوا أَبْجَابَ سُدُجَدَا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] ، وفي الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا أَبْجَابَ سُدُجَدَا﴾ [الأعراف: ١٦١] .

وفي البقرة: ﴿وَالصَّاعِدِينَ وَالصَّاعِدِينَ﴾ ، وفي الحج: ﴿وَالصَّاعِدِينَ وَالصَّاعِدِينَ﴾ [الحج: ١٧] .
في البقرة والأنعام: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لِي بِهِ لَعْنَةً إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لِي بِهِ لَعْنَةً﴾ [البقرة: ١٢٠] ، وفي آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ
أَهْتَدَى اللَّهُ فَمَا لِي بِهِ لَعْنَةً﴾ [آل عمران: ٧٣] .

في البقرة: ﴿وَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ، وفي الحج: ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ .
في البقرة: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ، وباقي القرآن: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ بِهِ﴾
[المائدة: ٣] .

في البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ، وفي إبراهيم: ﴿وَمَا
كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

في آل عمران: ﴿وَلِيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ، وفي الأنفال: ﴿وَلِيَطْمِئِنَّ بِهِ
قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠] .

في النساء: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْمَانِ شَاهِدَةً لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] ، وفي المائدة: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ
شَاهِدَةً بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨] .

في الأنعام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، وفي حم المؤمن: ﴿خَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غانم: ٦٢] .

في الأنعام: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّا لَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] ، وفي بني إسرائيل: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا لَهُمْ﴾
[الإسراء: ٣١] .

في النحل: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] ، وفي فاطر: ﴿فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ [فاطر: ١٢] .
في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٩] ، وفي الكهف: ﴿فِي هَذَا
الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ [الكهف: ٥٤] .

في بني إسرائيل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] ، وفي العنكبوت:
﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت: ٥٢] .

في المؤمنين: ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ [المؤمنون: ٨٣] ، وفي النمل: ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [النمل: ٦٨] .

في القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَعِينُ﴾ [القصص: ٢٠] ، وفي يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْتَعِينُ﴾ [يس: ٢٠] .

في آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاقِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] ،
 وفي كهيعص: ﴿وَكَاَنَّتِ آمْرَاقِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] .
 الثاني: ما يشتهه بالزيادة والنقصان ففي البقرة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾
 [البقرة: ٦] ، وفي يس [ق/ ١٥] ﴿وَسَوَاءٌ﴾ بزيادة واو لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم «إن»
 وما في يس جملة عطف بالواو على جملة .

في البقرة: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ بِنِ مَثَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ، وفي غيرها بإسقاط ﴿مِنْ﴾ لأنها للتبعيض
 ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول ﴿مِنْ﴾ فيها ليعلم أن
 التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره بخلاف غيرها من السور، فإنه لو دخلها
 ﴿مِنْ﴾ لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض ولم يكن ذلك بالسهل .

في البقرة: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨] ، وفي طه: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [طه: ١٢٣] لأجل
 قوله هناك ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ .

في البقرة: ﴿يُدْعُونَ﴾ بغير «واو» على أنه بدل من ﴿يَسْتَوْمُونَكُمْ﴾ ، ومثله في الأعراف
 ﴿يُقْتُلُونَ﴾ ، وفي إبراهيم ﴿وَيُدْعُونَ﴾ بالواو لأنه من كلام موسى [عليه السلام] ^(١) يعدد
 المحن عليهم .

في البقرة: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] ، وفي آل عمران: ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧] .

في البقرة: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٥] ، ثم قال:
 ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٤] .

في البقرة: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] ، وسائر ما
 في القرآن بإسقاط ﴿مِنْ﴾ .

وفيها: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٤] ، وفي آل عمران: ﴿وَلَا
 يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

قالوا: وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء إلا قوله تعالى في طه:
 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] الآية لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد
 السؤال وفي طه كانت قبل السؤال وكأنه قيل: إن سئلت عن الجواب فقل .

في الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: ٥٩] بغير «واو» وليس في القرآن غيره .

(١) سقط من م .

في البقرة: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] ، وفي الأنفال: ﴿كَلِمَةً لِلَّهِ﴾ .
 في آل عمران: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ، [وفي المائدة: ﴿بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ﴾] ^(١) .

في آل عمران: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] بباء واحدة إلا في
 قراءة ابن عامر ^(٢) ، وفي فاطر: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] بثلاث باءات .
 في آل عمران: ﴿هَكَاتِهِمْ أُولَاءَ تُحِبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] ، وسائر ما في القرآن:
 ﴿هَؤُلَاءِ﴾ بإثبات الهاء .

في النساء: ﴿حَكِيمِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] بالواو وفي ﴿بِرَّاءة﴾
 ﴿ذَلِكَ﴾ بغير واو .

في النساء: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] ، وفي المائدة بزيادة: ﴿مِنَهُ﴾ .
 في الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾
 [الأنعام: ٥٠] فكرر لكم وقال في هود: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] لأنه تكرر ﴿لَكُمْ﴾ في
 قصته أربع مرات فاكتفى بذلك .

في الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧] .
 وفي القلم: ﴿يَمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النحل: ١٢٥] [بزيادة الباء ولفظ الماضي وفي
 النجم] ^(٣) : ﴿هُوَ أَعْلَمُ يَمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ يَمَنْ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠] .
 في الأنعام: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وفي سورة المؤمنين
 بزيادة نموت وفيها أيضا ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ليس فيها
 غيره .

وفيها: ﴿جَعَلَكُمْ خَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ، وفي فاطر: ﴿خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ﴾
 [يونس: ١٤] بإثبات ﴿في﴾ .

(١) سقط من م .
 (٢) قال ابن خالويه: قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ يقرأ بإثبات الباء في «الزبر» وطرحها . وهي في
 مصاحف أهل الشام بالباء . واختلف النحويون في ذلك . فقالت طائفة: إثباتها وطرحها بمعنى واحد .
 وفرق الخليل بينهما فقال: إذا قلت: مررت بزيد وعمرو . فكأنك مررت بهما في مرور واحد . وإذا
 قلت: مررت بزيد وعمرو ، فكأنك قد مررت بهما في مرورين حتى تقع الفائدة بإثبات الحرف لأنه جاء
 لمعنى . «الحجة في القراءات السبع» (ص/ ٥٨) .
 (٣) سقط من م .

في الأعراف: ﴿مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْبِجًا﴾ [الأعراف: ١٢] ، وفي صن: ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾ ، وفي الحجر: ﴿إِلَّا تَكُونُ مَعَ التَّاسِفِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] فزاد ﴿لَا﴾ .

في الأعراف: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمَلٌ فَلِذَا جَاءَ أَمَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] بالفاء وكذا حيث وقع إلا في يونس .

في الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩] بغير واو وفي المؤمنين وهود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بالواو .

في الأعراف: ﴿كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١] ، وفي يونس [بزيادة] ^(١) ﴿بِيَدِهِ﴾ .

في الأعراف: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾ [الأعراف: ١١٠] ، وفي الشعراء بزيادة ﴿بِسِحْرِهِ﴾ [الشعراء: ٣٥] .

في هود: ﴿وَأَنَّا لِنَبْلُو مَا تَدْعُونََنَا [إِلَيْهِ مُرِيبًا] ^(٢)﴾ [هود: ٦٢] ، وفي إبراهيم: ﴿وَأَنَّا لِنَبْلُو مَا تَدْعُونََنَا﴾ [إبراهيم: ٩] .

في يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يوسف: ١٠٩] ، وفي الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ [الأنبياء: ٧] .

في النحل: ﴿فَأَحْيَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] ، وفي العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] .

وكذلك حذف «من» من قوله: ﴿لِئِنْ لَا يَعْتَرِ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠] ، وفي الحج: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] .

في الحج: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] ، [وفي السجدة: ﴿مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]] ^(٣) .

في النمل: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ ، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١] .

في العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٣] ، وفي هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾ [رسلنا لوطًا] ^(٤) بغير «أن» [في العنكبوت] ^(٥) : ﴿فَأَحْيَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] بزيادة من ليس غيره .

في سورة المؤمن: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ﴾ [غافر: ٥٩] ، وفي طه ﴿مَائِنَةٌ﴾ .

(٢) سقط من المطبوع .

(١) سقط من م .

(٣) سقط من م .

(٥) سقط من م .

(٤) سقط من المطبوع .

في النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النحل: ٢٠] ، وفي الأعراف من دونه .
في المؤمنين: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٦] ، وفي المؤمن بإسقاط ذكر «الأخ» .

في البقرة: ﴿يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] ، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَيَذَّبِحُونَ﴾ بالواو ووجهه أنه في سورة إبراهيم تقدم ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: ٥] ، وهي أوقات عقوبات إلى أن قال: ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] ، واللائق أن يعدد امتحانهم تعديداً يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنة ولذلك أتى بالعاطف ليؤذن بأن إسماتهم العذاب مغاير لتذبيح الأبناء وسبى النساء وهو ما كانوا عليه من التسخير بخلاف المذكور في البقرة، [فإن] ^(١) ما بعد ﴿يَسْؤُونَكَ﴾ تفسير له فلم يعطف عليه ولأجل مطابقة السابق جاء [في الأعراف] ^(٢) ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١] ليطابق ﴿سَقَطُوا أَبْنَاءَهُمْ وَسَقَتِهِمْ نِسَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

الثالث: [التقديم] ^(٣) والتأخير: وهو قريب من الأول ومنه في البقرة ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] مؤخر وما سواه: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ وَمُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] ، ومنه تقديم «اللعب» على «اللهو» في موضعين من سورة الأنعام وكذلك في القتال والحديد .

وقدم «اللهو» على «اللعب» في الأعراف والعنكبوت، وإنما قدم اللعب في الأكثر لأن اللعب زمان الصبا واللهو زمان الشباب، وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو .

تنبيه: ما ذكره في الحديد ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [الحديد: ٢٠] أي كلعب الصبيان ﴿وَاللهو﴾ أي كلعو الشباب ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النساء ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخر الإخوان ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر السلطان وقريب منه في تقديم اللعب على اللهو قوله: ﴿وَمَا يَبْنِيهِمَا لَعِينٌ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْتَهُ مِن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧] .

وقدم «اللهو» في الأعراف لأن ذلك يوم القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحاليين .

وأما العنكبوت فالمراد [بذكرهما] ^(٤) زمان الدنيا، وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء ﴿وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِيُمْسِي أَلْحْيَانُ﴾ أي الحياة التي لا أبد لها ولا نهاية لأبداً فبدأ بذكر اللهو

(٢) سقط من م .

(١) في م: قال .

(٤) في م: بهما .

(٣) في م: بالتقديم .

لأنه في زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب، وهو زمان الصبا^(١).
ومنه تقديم [لفظ]^(٢) «الضرر» على «النفع» في الأكثر، لأن العابد يعبد معبودًا خوفًا من عقابه أولاً ثم طمعًا في ثوابه.

وحيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع، وذلك في سبعة مواضع ثلاثة منها بلفظ الاسم وهي في الأعراف، والرعد وسبأ^(٣) وأربعة بلفظ الفعل وهي في الأنعام ﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] ، وفي آخر يونس ﴿مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] ، وفي الأنبياء ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦] ، وفي الفرقان ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥] .

أما في الأعراف فلتقدم قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ﴾ [الأعراف: ١٧٨] فقدم الهداية على الضلال وبعد ذلك ﴿لَا تَسْتَخِرُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَسْتَعِينُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فقدم الخير على السوء وكذا قدم النفع على الضرر.

أما في الرعد فلتقدم «الطوع» في قوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ .

أما في سبأ فلتقدم «البسط» في قوله: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] .

وفي يونس قدم [الضرر]^(٤) على الأصل ولموافقة ما قبلها فإن فيها: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] ، وفيها: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢] فتكون الآية ثلاث مرات. وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن نفعًا.

أما الأنعام ففيها: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَآ يُوَفِّدُهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ثم وصله بقوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] .

وفي يونس تقدم قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] ثم قال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] .

وفي الأنبياء تقدم قول الكفار لإبراهيم في المجادلة: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَتَوْلَاءَ يَنْطِقُونَ﴾^(٥) قَالَ أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥-٦٦] .

وفي الفرقان تقدم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] نعمًا جمة في الآيات ثم

(١) انظر: «ملاك التأويل» (١/٤٤٤-٤٤٨).

(٢) سقط من م.

(٣) سورة الأعراف الآية (١١٨)، سورة الرعد الآية (١٦)، سورة سبأ الآية (٤٢).

(٤) سقط من م.

قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥].
فتأمل هذه المواضع المطردة التي هي أعظم اتساقاً من العقود، ومن أمثلته قوله تعالى:
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] ثم قال
سبحانه [بعد خمس وسبعين آية من] (١) السورة ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾
[البقرة: ٤٨] الآية.

وفيها سؤالان:

أحدهما: أنه سبحانه في الأولى قدم نفى قبول الشفاعة على أخذ العدل وفي [الثانية] (٢)
قدم نفى قبول العدل على الشفاعة.

السؤال الثاني: أنه سبحانه وتعالى قال في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] ، وفي
الثانية: ﴿وَلَا تَنْفَعُكَ شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] فغاير بين اللفظين فهل ذلك لعنى يترتب عليه أو من
باب التوسع [ق/ ١٦] في الكلام والتنقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب (٣)
والجواب: أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر، لكنه يشتمل مع
ذلك على فائدة وحكمة قال الله تعالى ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِنَا لِمَنْ قَبِلَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [مود: ١]
، ولم يقل «من رحمن ورحيم» للتنصيص على أنه لا بد من الحكمة وهاتان الآيتان كلاهما في
حق بنى إسرائيل وكانوا يقولون: إنهم أبناء الأنبياء وأبناء آبائهم وسيشفع لنا آباؤنا
فأعلمهم الله أنه لا تنفعهم الشفاعة ولا تجزى نفس عن نفس شيئاً.
وتعلق بهذه الآية المعتزلة على نفى الشفاعة، كما ذكره الزمخشري (٤) ؛ وأجاب عنها أهل
السنة بأجوبة كثيرة ليس هذا محلها.

وذكر الله [في] (٥) الآيتين «النفس» متكررة، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعه إلى الأولى أو
إلى الثانية، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ولكن قد يعود إلى غيره كقوله تعالى
﴿وَتُزَيَّدُ وَتُوقَرُّهُ وَتُسَبِّحُهُ بِحُكْرَةٍ وَأَسْبَلًا﴾ [الفتح: ٩] فالضمير في التعزير والتوقير راجع إلى
النبي ﷺ وفي التسبيح عائد إلى الله تعالى، وهو متقدم على ذكر النبي ﷺ فعاد الضمير على
غير الأقرب.

(١) في م: بعد مائة وثلاثين آية من السورة. والثبت هو الصواب.

(٢) في المطبوع: الثاني.

(٣) انظر: «ملاك التأويل» (١/ ١٩٦-١٩٧)، و«درة التنزيل» (ص/ ٦-٧).

(٤) «الكشاف» (١/ ١٣٦-١٣٧) مع حواشيه.

(٥) سقط من م.

إذا علمت ذلك فقوله في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] الضمير راجع إلى النفس الأولى وهي الشفاعة لغيرها .

فلما كان المراد في هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له، أخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم الاحتراف به وهذا الخبر يكون باعثاً للسامع في ترك الشفاعة إذا علم أن المشفوع عنده لا يقبل شفاعته، فيكون التقدير على هذا التفسير ﴿لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] «لو شفعت» يعنى: وهم لا يشفعون فيكون ذلك مؤيساً لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء ينفعونهم من غير عمل منهم .

وقوله: ﴿وَلَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] إن جعلنا الضمير في «منها» راجعاً إلى الشافع أيضاً فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى المشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً لقبول شفاعته فمن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل، وإن جعلنا الضمير راجعاً إلى المشفوع فيه فهو أحرى بالتأخير ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤسساً لحصول مقصود الشفاعة وهو ثمرتها للمشفوع فيه .

وأما الآية الثانية فالضمير في قوله: ﴿مِنْهَا عَدْلٌ﴾ راجع إلى النفس الثانية وهي النفس التي هي صاحبة الجريمة فلا يقبل منها عدل لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدماً على الشفاعة فيه، ليكون ذلك أبلغ في تحصيل مقصوده فناسب ذلك تقديم العدل الذي هو الفدية من المشفوع له على الشفاعة .

ففي هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ولهذا قال في الأولى ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] ، وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تنفع المشفوع له .

وقال الراغب إنما كرر «لا» فيهما على سبيل الإنذار بالواعظ، إذا وعظ لأمر فإنه يكرر اللفظ لأجله تعظيماً للأمر قال: وأما تغييره النظم فلما كان قبول العدل وأخذه، وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرق في المعنى .

وقال الإمام فخر الدين^(١): لما كان الناس متفاوتين فمنهم من يختار أن يشفع فيه مقدماً على العدل الذي يخرج، ومنهم من يختار العدل مقدماً على الشفاعة ذكر سبحانه وتعالى القسمين فقدم الشفاعة باعتبار طائفة، وقدم العدل باعتبار أخرى .

(١) التفسير الكبير (٣/ ٥٤).

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى: الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفى قبول الشفاعة لا نفعها ونفى أصل العدل الذي هو الفداء وبدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذي هو الفداء على ما هو المعروف في دار الدنيا، وفي الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذي هو الخلاص بالعدل وثنى بنفع الشفاعة فقال: ﴿وَلَا نَنْفَعُهَا شَفَعَةً﴾ [البقرة: ١٢٣]، ولم يقل: لا تقبل منها شفاعة وإن كان نفى الشفاعة يستلزم نفى قبولها لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة، وتنفع لأغراض: من وعد بخير وإبدال المشفوع بغيره فنفى النفع أعم فلم يكن بين نفى القبول ونفى النفع بالشفاعة تلازم كما ادعاه الراغب، وكان التقدير بالفداء الذي هو نفى قبول العدل ونفى نفع الشفاعة شيئين مؤكدين، لاستقرار ذلك في الآية الثانية.

ومما يدل على أن نفى الشفاعة أمر زائد على نفى قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن المشركين أخبر بنفي النفع لا بنفي القبول فقال ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، وقال ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ﴾ [سبا: ٢٣] الآية.

وفي الحديث الصحيح^(١) أنهم قالوا: يا رسول الله هل نفعت عمك أبا طالب: فقال «وجدته فنقلته إلى ضحضاح من النار» مع علمهم أنه لا يشفع فيه فإن قيل: فقد قال في آخر السورة ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] فنفى الشفاعة ولم ينفع نفعها.

قيل: من باب زيادة التأكيد أيضًا فإنه سبحانه ذكر في هذه الآية الأسباب المنجية في الدنيا ونفاها هناك، وهي إما البيع الذي يتوصل به الإنسان إلى المقاصد أو الخلة التي هي كمال المحبة وبدأ بنفي المحبة لأنه أعم وقوعًا من الصداقة والمخالطة، وثنى بنفي الخلة التي هي سبب لنيل الأغراض في الدنيا أيضًا وذكر ثالثًا نفى الشفاعة أصلًا وهي أبلغ من نفى قبولها فعاد الأمر إلى تكرار الجمل في الآيات ليفيد قوة الدلالة.

الرابع: بالتعريف والتنكير، كقوله في البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، وفي آل عمران ﴿يَتَّبِعِ حَقًّا﴾.

وقوله في البقرة ﴿هَذَا بَلَدٌ آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي سورة إبراهيم ﴿هَذَا أَلْبَلَدُ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] لأنه للإشارة إلى قوله ﴿يُؤَادِي عَيْرٍ ذِي زُرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ويكون ﴿بَلَدًا﴾ هنا هو المفعول الثاني و﴿آمِنًا﴾ صفته وفي إبراهيم ﴿أَلْبَلَدَ﴾ مفعول أول و﴿آمِنًا﴾ الثاني.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

وقوله في آل عمران: ﴿وَمَا أَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وفي الأنفال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقوله في حم السجدة: ﴿فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وفي الأعراف: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، لأنها في «حم» مؤكدة بالتكرار بقوله: ﴿وَمَا يُقَلِّدُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥] فبالغ بالتعريف وليس هذا في سورة الأعراف فجاء على الأصل المخبر عنه معرفة والخبر نكرة.

الخامس: بالجمع والإفراد كقوله في سورة البقرة ﴿كُن تَمَسَّنَا التَّكَاثُرُ إِلَّا أَنْكَا مَا مَقْدُودَةٌ﴾ [البقرة: ٨٠].

وفي آل عمران ﴿مَمْدُودَتٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكراً أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٧﴾ وَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَائِيٌّ مَبْنُوتَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] فجاء في البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع.

السادس: إبدال حرف بحرف غيره كقوله تعالى في البقرة ﴿أَسْكَنْتَ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا﴾ [البقرة: ٣٥] بالواو وفي الأعراف: ﴿فَكَلَّا﴾ بالفاء وحكمته أن ﴿أَسْكَنْتَ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة فلم يصلح إلا بالواو، ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكناً فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمناً متجدداً، وزاد في البقرة: ﴿رَعْدًا﴾ لقوله: ﴿وَقُلْنَا﴾، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها: ﴿قَالَ﴾، وذهب قوم إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول وما في البقرة بعد الدخول.

ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَنْزِلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ [البقرة: ٥٨] بالفاء وفي الأعراف بالواو.

في البقرة: ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿فِيهَا بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

في البقرة: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]، وفي غيرها: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢].

في البقرة: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَّا مِنَ الْبَقَرَةِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي آل عمران: ﴿عَلَيْنَا﴾.

في الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ [الأنعام: ١١]، وفي غيرها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩].

البرهان في علوم القرآن

- في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٨٢] بالواو وفي غيرها بالفاء^(١).
- في الأعراف: ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ ، وفي الباقي ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ .
- في سورة الرعد: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢] ، وفي [سورة لقمان] (٢): ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، لا ثاني له .
- في الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] ، وفي السجدة: ﴿أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢] .
- في طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [طه: ١٢٨] ، [ق/ ١٧] بالفاء وفي السجدة: ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [السجدة: ٢٦] .
- في القصص: ﴿وَمَا أُوْتِشِرَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٦٠] ، وفي الشورى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ بالفاء .
- في الطور: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الصافات: ٢٧] ، و ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨] بالواو فيهما وفي الصافات: [] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الصافات: ٥٠] ، وفي القلم: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القلم: ٤٨] بالفاء فيهما^(٣) كما أن ﴿وَبَشِّرِ الْقَرَآنِ﴾ ، و ﴿وَيَذِّحْنَاهُ﴾ بالواو فيهما في إبراهيم .
- في الأعراف: ﴿سُقْنَتُهُ لِيَذِّبَ مَيْتَ﴾ [الأعراف: ٥٧] [وفي فاطر: ﴿إِلَىٰ بَكْرِ﴾ [النحل: ٧]]^(٤) .
- السابع: إبدال كلمة بأخرى:
- في البقرة: ﴿مَّا آفَنَّا عَلَيْهِ ءِآبَاءَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٧٠] ، وفي لقمان: ﴿وَجَدْنَا﴾ .
- في البقرة: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿فَأَبْجَسْتُمْ﴾ .
- في البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ، وفي الأعراف: [﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠]]^(٥) .
- في آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] ، وفي مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: ٢٠] ؛ لأنه تقدم ذكره في: ﴿لَأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] .
- في النساء: ﴿إِنْ يُدْأُوا حَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ [النساء: ١٤٩] ، وفي الأحزاب: ﴿شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ [الأحزاب: ٥٤] .
- (١) سورة النمل الآية (٥٦) ، وسورة العنكبوت الآية (٢٤) و(٢٩) .
- (٢) زيادة من م .
- (٣) زادها (ف) .
- (٤) زادها (ف) .
- (٥) سقط من م .

في الأنعام: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْحَيَّةِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، والثاني: ﴿يُخْرِجُ﴾
بالفعل .

في الكهف: ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٦] ، وفي حم: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ﴾ .
في طه: ﴿فَلَمَّا آتَاهَا﴾ ، وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ .

في طه: ﴿وَسَلِّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣] ، وفي الزخرف: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾
[الزخرف: ١٠] .

في الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الأنبياء: ٢] ، وفي الشعراء: ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾
[مريم: ٤٥] .

في النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ﴾ [النمل: ٨٧] ، وفي الزمر: ﴿فَصَصِقَ﴾ .

في الأحزاب في أولها: ﴿يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [النساء: ٩٤] ، وفيها: ﴿يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
[الأحزاب: ٩] بعد ﴿وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] .

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بعد ﴿لِيَسْتَلَّ الضَّالِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٨] ، و ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ بعد ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾
و﴿رَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [بعد ﴿تَجِئْتَهُمْ يَوْمَ يَقُولُهُمْ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] ، و ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ بعد:
﴿تَوْنَهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١] (١) .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨] موضعان في الأحزاب ، [وفي سورة غافر:
﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ [غافر: ٨٥] (٢) .

في البقرة: ﴿وَهْدَىٰ وَيُضِلُّ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] ، وفي النحل: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ في
موضعين .

في المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ [المائدة: ٦٠] ، وبالنون في الكهف .

الثامن: الإدغام وتركه:

في النساء والأنفال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥] ، وفي الحشر بالإدغام .

في الأنعام: ﴿لَمَّا بَقِعْتَهُمْ بِضُرْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] ، وفي الأعراف: ﴿بِضُرْعُونَ﴾ [بالإدغام] (٣) .

(١) سقط من م .

(٢) سقط من م .

(٣) سقط من المطبوع .

الفصل الثاني

ما جاء على حرفين

﴿لَمَلَكُمْ تَنَفَّكُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] في القرآن، اثنان في البقرة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠] اثنان في يونس والنمل.

﴿أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥] في البقرة وفي آل عمران [﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾] آل

عمران: [١٥٥] (١)؛ وأما ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فواحدة في البقرة. وكذلك فيها: ﴿عَفَى حَلِيمٌ﴾ ، وليس غيره.

﴿الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ حرفان في الزخرف وفي الذاريات.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ﴾ [المؤمنون: ٢٤] اثنان في قصة نوح، في

هود والمؤمنون في السورتين بالفاء.

و ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْعِصْرِ﴾ [هود: ٢٦] اثنان في هود والزخرف.

﴿مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: ٦٢] اثنان في العنكبوت وسبأ وأما الذي في القصص،

فهو ﴿مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ﴾ [القصص: ٨٢] ، وباقي القرآن ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فقط.

﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ ، حرفان في يوسف ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] ، وفي القصص ﴿فَلَمَّا أَنْ

أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾ [القصص: ١٩] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ [الأنعام: ٢١] بالواو حرفان في الأنعام وفي يونس ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾

بالفاء.

﴿أَعْرَضَ﴾ حرفان في الكهف وفي السجدة إلا أن الأول ﴿فَأَعْرَضَ﴾ ، والثاني ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ﴾ .

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ من غير تكرار الطاعة حرفان وهما في آل عمران: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: ٣٢] ، و ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ٨٦] بغير تاء التانيث حرفان وهما في آل عمران .

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٩٢] حرفان في آل عمران وفي الأنفال .

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ بالفاء، حرفان في آل عمران وفي الأنعام .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ﴾ [الأنعام: ٤٠] حرفان، وهما في الأنعام .

﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨] حرفان في التوبة وفي المنافقين .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] بزيادة اللام حرفان في الحج [﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِييَةً ﴾ [هود: ٦٧] حرفان^(١) في هود في قصة صالح وشعيب . قال بعض المشايخ : ما كان فيه «الصيحة» فهو ﴿ وَيَكْرِهْتُمْ ﴾ على الجمع وما كان فيه الرفع فهو دارهم بالتوحيد .
 ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ ﴾^(٢) قِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [هود: ٢٠] بتكرير «من» حرفان هما في هود .
 ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨] حرفان في العنكبوت والزمر .
 ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٧] بلفظ التوحيد حرفان في الحجر والعنكبوت .
 ﴿ تَبِعَ ﴾ بإسقاط الألف حرفان في البقرة وآل عمران .
 ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان: ٥٩] حرفان في الفرقان، وفي آلم السجدة .

﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ حرفان في لقمان وحم عسق .
 «اللهو» قبل «اللعب» حرفان في الأعراف والعنكبوت .
 ﴿ أَوْلَمَّا يَهْدِ ﴾ بالواو حرفان في الأعراف وآلم السجدة .
 ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النحل: ٢٧] حرفان في النحل والعنكبوت .
 ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا ﴾ [آل عمران: ٨٩] بزيادة «من» حرفان في آل عمران والنور .
 ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ [البقرة: ١٦٠] بغير «من» حرفان في البقرة والنساء .
 ﴿ وَلِلَّهِ وِزْرَتٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] حرفان، في آل عمران وفي الحديد .
 ﴿ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٣] في الزمر وحم عسق .
 ﴿ هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤٧] إخباراً عن الجماعة الغيب حرفان في الأعراف وسبأ .

﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بالرفع في البقرة ﴿ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ، وفي النحل ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل: ٢١] .

الفصل الثالث ما جاء على ثلاثة أحرف

﴿ أَوْلَمَّا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ثلاثة في القرآن في الروم وفاطر والمؤمن .
 ﴿ فَجَنَّتْهُ ﴾ بالفاء في يونس والأنبياء والشعراء .

(٢) سقط من المطبوع .

(١) زادها (ف) .

﴿قِيلَا مَا تَدَّكَّرُونَ﴾ ثلاثة في الأعراف والنمل والحاقة .
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ اثنان في الأعراف والثالث في الأنفال .
 ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتائين متكررتين ثلاثة في الأنعام وآل السجدة والمؤمن .
 ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ في البقرة وآل عمران وإبراهيم .
 ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُ لَهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ في النساء والتوبة والصف .
 ﴿وَبِالْأَنْزِيلِ الْأَخِيرِ﴾ بزيادة الباء في أول البقرة وفي النساء والتوبة ولكن هو فيهما بالنفي .
 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُونِي فِي الْبَقْرَةِ وَفِي الْمَائِدَةِ وَفِي الْصَّفِّ .
 ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في البقرة اثنان والثالث في التين والزيتون إلا أنه بإسقاط الهاء والميم .
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في هود والرعد والمؤمن .
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ في البقرة ويوسف والمؤمن .
 ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ في هود ويوسف والسجدة .
 ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ تَرِينِ قَرْنٍ﴾ بزيادة «من» في الأنعام وص وآل السجدة لكن بلفظ ﴿مِنْ
 الْقُرُونِ﴾ .

﴿أَجْمَعُونَ﴾ بالواو في الحجر والشعراء وص .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في المائدة والنور والحشر .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ في آل عمران والمائدة ولقمان .
 ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في الأعراف والفرقان وآل السجدة .
 ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بزيادة «من» في إبراهيم والأحقاف ونوح .
 ﴿مُتَّبِعَاتٍ﴾ في النور اثنان والثالث في الطلاق .
 ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ﴾ في الرعد اثنان والثالث في يونس .
 ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ في الرعد والنحل وفاطر .
 ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ يَطْلَمَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٠] في الروم والتوبة والعنكبوت لكن بالواو ﴿لَعَلَّ﴾
 في الحج وسبأ ونون .

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ في سبأ اثنان وفي آخر فاطر .
 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بواو في البقرة والحجر وص .

﴿وَزَلْنَا﴾ ثلاثة أحرف في طه والنحل وق، والباقي ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ .
 ﴿فَإِنْ قَوْلَيْتُمْ﴾ في المائدة ويونس والتغابن .
 ﴿أَمْ يَرَوْنَ﴾ بغير واو في النحل والنمل ويس .
 ﴿أَمْوَاتًا﴾ بالنصب في البقرة: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ ، وآل عمران ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ ،
 وفي الرسائل ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ .

﴿أَجَلًا﴾ بالنصب في الأنعام وبنى إسرائيل والمؤمن .
 ﴿أَوَدَا كَمَا تَرْبَا﴾ [الرعد: ٥] بغير ذكر «العظام» في الرعد والنمل وق .
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الرعد: ٣٨] في الرعد والروم والمؤمن .

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بتكرير ﴿مَنْ﴾ في يونس والحج والنمل والزمر .
 ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في المائدة اثنان في ص وآخر الزخرف .
 ﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بإسقاط «من» في بنى إسرائيل والأنبياء، والفرقان وسبأ .
 ﴿أَهْلُؤَلَاءِ﴾ بألف قبل الهاء، في المائدة والأنعام والأعراف، وسبأ .
 ﴿مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ في الأنعام، والأعراف ويونس والكهف؛ وأما ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْآَنْهَارُ﴾
 فموضع واحد في براءة .

﴿أَوْ أَنْ﴾ بهمزة قبل الواو في هود: ﴿أَوْ أَنْ فَعَلَّ﴾ [هود: ٨٧] ، وفي بنى إسرائيل ﴿أَوْ إِنْ
 يَسْأُ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤] ، وفي طه ﴿أَوْ أَنْ يَطْفَأَ﴾ [طه: ٤٥] ، وفي المؤمن: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي
 الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] في النساء اثنان وفي الأحزاب، والإنسان .
 ﴿ءَابَاؤُهُمْ﴾ بالرفع في البقرة ﴿أَوْلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَقُولُكَ شَيْئًا﴾ .
 وفي المائدة: ﴿أَوْلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَلْمُونَكَ شَيْئًا﴾ [المائدة: ١٠٤] . وفي هود: ﴿إِلَّا كَمَا يَبْدُ
 ءَابَاؤُهُمْ﴾ [هود: ١٠٩] ، وفي يس: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] .
 ﴿قَدْ يَكْفِيهَا النَّاسُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] في الأعراف وفي يونس اثنان منها وفي الحج .
 ﴿نُصِرَفَ الْآَايَاتِ﴾ في الأنعام ثلاثة والرابع في الأعراف .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾ [المائدة: ٥١] في المائدة والأنعام والقصص والأحقاف .
- ﴿مِبْرَاكًا﴾ بالنصب في آل عمران ومريم والمؤمنين ، وق .
- ﴿مِبْرَاكًا﴾ بالرفع ، في الأنعام اثنان وفي الأنبياء وص .
- ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ بحذف الباء من أوله في البقرة ، وآل عمران اثنان ، وفي إبراهيم .
- ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ بإثبات الهمزة قبل الواو في آل عمران والنساء ، والنحل وغافر .
- ﴿أَمْ يَرَوْنَ﴾ بغير واو في الأنعام ، والأعراف ، والنمل ويس .
- ﴿وَلَيْسَ﴾ في البقرة اثنان ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ﴾ ، و ﴿وَلَيْسَ الْمَهَادُ﴾ . وفي الحج : ﴿وَلَيْسَ الْمَشِيرُ﴾ ، وفي النور : ﴿وَلَيْسَ الْعَصِيرُ﴾ . وأما ﴿فَلَيْسَ﴾ بالفاء ، فموضع واحد في النحل ﴿فَلَيْسَ مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] .
- ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع في النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف .
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ في يوسف ، وفي الحج وفي المؤمن ، وفي القتال .
- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ، في الأنعام : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ ، وليس في القرآن «ثم» غيره ، وفي النمل ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩] ، وكذا في العنكبوت والروم .
- ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بالفاء بعد الهمزة في مريم والشعراء ، والجنائفة والنجم ، اللعاب قبل اللهو في الأنعام اثنان وفي القتال والحديد .
- ﴿لَأَيُّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بلفظ الجمع في البقرة ، والرعد ، والروم ، والنحل :
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيُّتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧] ^(١) [على لفظ الجمع] ^(٢) في يونس .
- ﴿آيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥] بالتوحيد في النحل كذلك وبالجمع في الروم والم سجدة .
- ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [مريم: ٧٣] في مريم والعنكبوت ويس والأحقاف .
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في هود والنحل اثنان وفي الزخرف .
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ في البقرة وبنى إسرائيل والكهف وطه .
- والأنبياء والنبئين بغير حق في آل عمران : ﴿الَّذِينَ بَعَثُوا فِي آل عمران: ٢١﴾ .

(٢) كذا في م .

(١) سقط من م .

وفيها: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [آل عمران: ١١٢] . وفيها أيضاً: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [آل عمران: ١٨١] ، وفي النساء فأما الذي في البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْبَقْرَةَ﴾ [البقرة: ١٧١] . فليس له نظير .

الفصل الخامس

ما جاء على خمسة [حروف] (١)

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ في الأنعام ثلاثة، والرابع في الحجر والخامس في النمل .
 ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في [الأطفال اثنان، وفي الحج والنور، وسبأ] (٢) .
 الأرض قبل السماء في آل عمران، ويونس وإبراهيم وطه والعنكبوت .
 ﴿لَا يَأْتِيَنَّ لَكُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بلفظ الجمع في الرعد والروم والزمر والجاثية ولفظ التوحيد في النحل (٣) .

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بتكرير الطاعة في النساء والمائدة والنور والقتال والتغابن .

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] منها حرفان بالواو في التوبة ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، وكذلك في المؤمن والباقي بلا واو في يونس والدخان والحديد .

الفصل السادس

ما جاء على ستة [حروف] (٤)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ في الأنعام، والنحل، والنمل والعنكبوت والروم والزمر .

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] منها بواو واحد في النساء ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ و﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] ، وفي المائدة: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] ، ومثله في التوبة (موضعان)، والصف والتغابن .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ بالفاء في الأنعام (موضعان)، والأعراف، ويونس، والكهف، والزمر .
 ﴿وَيَقْتُلُونَكَ﴾ بالواو (ثلاثة) في البقرة وبنى إسرائيل، والكهف، وطه .

(١) سقط من م .

(٢) في م: آل عمران والأحقاف والأنعام . والمثبت هو الصواب .

(٣) سقط من م . (٤) سقط من م .

﴿فَيْسَسَ﴾ بالفاء: في ص (اثنان)، وفي الزمر وفي غافر، والزخرف، والمجادلة.
 ﴿زَلْنَا﴾ بغير واو في البقرة والنساء والأنعام (موضعان)، والحجر، والإنسان. ﴿قَلَّ
 يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤] في آل عمران ثلاثة وفي المائدة ثلاثة.

الفصل السابع

ما جاء على سبعة [حروف] (١)

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في البقرة وإبراهيم والقصص، (ثلاثة مواضع)، [والزمر] (٢) والدخان.
 ﴿السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في مريم والشعراء، والصفاء، وص (موضعان)
 [والزخرف] (٣) والدخان.
 «المرأة» مكتوبة بالثاء في سبعة مواضع: في آل عمران وفي يوسف، (موضعان)، ﴿أَمْرَأَتُ
 الْعَزِيزِ﴾، وفي القصص ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾، وفي التحريم (ثلاثة مواضع).

الفصل الثامن

ما جاء على ثمانية [حروف] (٤)

النفع قبل الضر: في الأنعام والأعراف ويونس، والرعد، والأنبياء، والفرقان
 والشعراء، وسبأ.
 ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بقاء في الرعد، وطه، والملائكة وص [والزمر] (٥)، والمؤمن، [والنازعات] (٦)
 والفجر.

الفصل التاسع

ما جاء على تسعة [حروف] (٧)

﴿مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بغير تكرار «من» في آل عمران، والرعد، وفي بنى إسرائيل
 ومريم والأنبياء، والنور والنمل والروم والرحمن.
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم في الأنعام، والأعراف، والأنفال ويونس

(٢) في م: المؤمن. والمثبت هو الصواب.

(٤) سقط من م.

(٦) في م: الطامة.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٧) سقط من م.

والقصص موضعان، [والزمر]^(١). والذي في الدخان والطور.
﴿يَكُ﴾ بالياء من غير نون بعد الكاف في الأنفال، والتوبة، والنحل ومريم، والمؤمن
(موضعان) وفي المدثر (موضعان) بالنون في أوله وفي القيامة ﴿أَلَمْ يَكُ نُفُكًا﴾ [القيامة: ٣٧].

الفصل العاشر

[ما جاء على عشرة أحرف]^(٢)

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو في هود، ويوسف، وفي غيرهما بالفاء في هود أربعة أحرف وفي يوسف ستة.
﴿أَنْ لَّا﴾ تكتب في المصحف بالنون منفصلة عشرة: في الأعراف موضعان والتوبة وفي
هود موضعان، والحج [ويس]^(٣) والدخان والمنتحنة، والقلم.

الفصل الحادي عشر

[ما جاء على أحد عشر حرفاً]^(٤)

﴿جَنَّتٍ عَٰدِيٍّ﴾: في التوبة، والرعد، والنحل، والكهف، ومريم، وطه، والملائكة،
وص، والمؤمن، والصف، ولم يكن.
﴿مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾: في البقرة، [والنساء]^(٥)، والأنعام، ويونس، والنحل
والنور والعنكبوت، ولقمان، [والحديد]^(٦) والحشر والتغابن.
﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا﴾ في النساء، ثلاثة مواضع، والمائدة والتوبة (موضعان) والأحزاب
والتغابن، والطلاق، [والجن]^(٧) والبرية.
﴿وَتِلْكَ﴾ بالواو في البقرة، وآل عمران والأنعام، [وهود]^(٨)، والكهف، والشعراء،
والعنكبوت والزخرف والمجادلة، والحشر، والطلاق.
﴿يَعْتَمَتِ اللّٰهُ﴾ كتبت بالياء [في المصحف]^(٩) في أحد عشر موضعاً: في البقرة، ﴿وَأَذْكُرُوا﴾
﴿يَعْتَمَتِ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ﴾، وفي آل عمران، والمائدة وإبراهيم (موضعان)، والنحل (ثلاثة مواضع)،
ولقمان، وفاطر، والطور.

(٢) في م: في العشرة.

(٤) في م: أحد عشر.

(٦) سقط من م.

(٨) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) في م: يونس.

(٥) سقط من م.

(٧) سقط من م.

(٩) زيادة من م.

- ﴿ فِي مَا ﴾ كتبت منفصلة في أحد عشر موضعًا:
- في البقرة: ﴿ فِي مَا قَعَلْتِ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].
- وفي المائدة: ﴿ لِيَسْبُلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨].
- وفي الأنعام: ﴿ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ، وفيها أيضًا: ﴿ لِيَسْبُلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
- وفي الأنبياء: ﴿ وَهُمْ فِي مَا آسَفْتُم أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].
- [وفي النور: ﴿ لَسْتُمْ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ ﴾ [النور: ١٤] ^(١) .
- وفي الشعراء: ﴿ أَنْتَرَكُونَ فِي مَا هَلُنَا آمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦].
- وفي الروم: ﴿ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨].
- وفي الزمر: ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣].
- وفيها أيضًا: ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا ﴾ [الزمر: ٤٦].
- وفي الواقعة: ﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦١].

الفصل الثاني عشر

ما جاء على خمسة عشر وجهًا

- ﴿ جَلَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾؛ ليس فيها «خالدين» في البقرة (موضعان)، وآل عمران، والمائدة، والرعد والنحل والحج (موضعان) والفرقان، والزمر، والقتال والفتح والصف والتحريم، والبروج.
- ﴿ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ بالتوحيد في البقرة والأعراف، ويونس والأنبياء (موضعان) [وفي الحج، والنمل، (موضعان)] ^(٢) والروم وسبأ، والملائكة وص، والدخان والذاريات والحديد.

الفصل الثالث عشر

ما جاء على ثمانية عشر [وجهًا] ^(٣)

- ﴿ أَلَمْ ﴾، ﴿ نَكَ ﴾، و﴿ يَك ﴾، و﴿ تَك ﴾ بحروف المضارعة في أولها، وبغير نون في

آخرها.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من م.

- في النساء: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ [النساء: ٤٠] .
 والأنفال: ﴿لَمْ يَكُ مَغْرِبًا﴾ [الأنفال: ٥٣] .
 وفي التوبة: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤] .
 وفي هود موضعان: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْدُ هَتُولَاءُ﴾ [هود: ١٠٩] ، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ [هود: ١٧] (١) .
 وفي النحل موضعان: ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] ، ﴿وَلَا تَكُ فِي صَبَقٍ﴾ [النحل: ١٢٧] .
 وفي مريم: ثلاثة مواضع، [وفي لقمان، وغافر، أربع مواضع] (٢) ، وفي المدثر، موضعان، وفي القيامة .

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهًا

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [البقرة: ٢٤٨] على التوحيد في البقرة، وآل عمران، وهود [والحجر] (٣) ، وفي النحل خمسة أحرف بالتوحيد وفي الشعراء [ثمانية] (٤) في النمل والعنكبوت، وسبأ .

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفًا

- وذلك ﴿نَزَّلَ﴾ ، و«[نزل]» (٥) .
 في البقرة: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٧٦] .
 وفي آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٣] .
 وفي النساء موضعان: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿وَمَدَّ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٤٠] .
 وفي الأنعام: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٧] .

(٢) سقط من م .

(١) سقط من م .

(٣) في م: الحجرات . والمثبت هو الصواب .

(٥) في المطبوع: أنزل . والمثبت هو الصواب .

(٤) سقط من م .

- وفي الأعراف موضعان: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١] ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] .
- وفي [الحجر] (١): ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦] .
- وفي النحل: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] .
- وفي بني إسرائيل: ﴿وَيَأْتِيَنِي نَزْلٌ﴾ .
- وفي الفرقان ثلاثة مواضع: أولها: [﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١]] (٢)، ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُتُكَ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ، ﴿لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ [الفرقان: ٣٢] .
- وفي الشعراء: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .
- وفي العنكبوت: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] ، وليس في القرآن: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] بزيادة «من» غيره .
- وفي الصافات: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَكِينٍ﴾ [الصافات: ١٧٧] .
- وفي الزمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اللَّحْدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] .
- وفي الزخرف موضعان: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [الزخرف: ٣١] ، ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾ [الزخرف: ١١] .
- وفي القتال موضعان: ﴿وَمَا تَأْتُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢] . ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطُوعًا﴾ [محمد: ٢٦] .
- وفي الحديد: ﴿وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] .
- وفي تبارك: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ سَمَوٍ﴾ [الملك: ٩] .



(١) في م: الحجرات. والمثبت هو الصواب.

(٢) سقط من م.

النوع الساس

علم المبهات

وقد صنف فيه أبو القاسم السهيلي^(١) كتابه المسمى بالتعريف والإعلام و[تلاه]^(٢) تلميذه ابن عساكر في كتابه المسمى [ق/١٩] بالتكميل والإتمام^(٣).

وهو المبهات المصنفة في علوم الحديث، وكان [في]^(٤) السلف من يعنى به، قال عكرمة: طلبت الذي خرج [من]^(٥) بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة.

إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستثناؤه بعلمه، كقوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا يَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والعجب ممن تجرأ وقال: قيل: إنهم قريظة، وقيل: من الجن^(٦). وله أسباب:

الأول: أن يكون [أبهم في موضع، استغناء]^(٧) ببيانه في آخر في سياق الآية كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] بينه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانتظار: ١٧] الآية. وقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وبينه بقوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ والمراد آدم والسياق بينه.

(١) كتاب «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» طبع قديماً.

(٢) سقط من م.

(٣) ذكر السيوطي أن ابن جماعة أيضاً له فيه مصنف، وللسيوطي «مفحومات الأقران» مطبوع عدة طبعات ومتداول.

(٤) في م: من. (٥) في المطبوع: في.

(٦) قال السيوطي: «قلت: ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم، وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه علم بكونهم من قريظة، أو من الجن، وهو نظير قوله في المنافقين: ﴿وَيَمَنَّ حَوَكُّمُ بِرَبِّكَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِتْقَانِ لَا تَمْلِكُهُمْ نَحْنُ تَمْلِكُهُمْ﴾ فإن المنفي علم أعيانهم، ثم القول في أولئك بأنهم بنو قريظة، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد، والقول بأنهم من الجن. أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عريب عن أبيه مرفوعاً، عن النبي ﷺ، فلا جراًءاً هـ. الإتيان: (٤/٣٧١).

(٧) في م: أن يكون المبهم في موضع استغنى ببيانه في آخر.

وقوله: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقَضُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ، والمراد بهم المهاجرون لقوله في الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] ، وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال: نحن الصادقون وقد أمركم الله أن تكونوا معنا، أي: تبعنا لنا وإنما استحقتها دونهم لأنه الصديق الأكبر .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا إِبْنَ مَرْيَمَ وَآلَتَهُ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] يعني مريم وعيسى وقال: ﴿ءَايَةً﴾ ، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنها قضية واحدة، وهي ولادتها له من غير ذكر . والثاني: أن يتعين لاشتهاره كقوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، ولم يقل: حواء لأنه ليس غيرها .

وكقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، والمراد النمرود لأنه المرسل إليه .

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اشْتَرَيْنَهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [يوسف: ٢١] ، والمراد العزيز .

وقوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِأَلْحَقَ﴾ [المائدة: ٢٧] ، والمراد قابيل وهابيل .

وقوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلاَّ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الانعام: ٢٥] .

قالوا: وحيشما جاء في القرآن ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فقائلها النضر بن الحارث بن كلدة وإنما كان يقولها، لأنه دخل بلاد فارس وتعلم الأخبار ثم جاء، وكان يقول: أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد، وإنما يحدثكم أساطير الأولين، وفيه نزل ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُرِيكَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الانعام: ٩٣] ، وقتله النبي ﷺ صبراً يوم بدر .

وقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [التوبة: ١٠٨] ، فإنه ترجع كونه مسجد قباء بقوله ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] [لأنه أسس قبل مسجد المدينة، وحدث هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت وكلاهما أسس على هذا من أول يوم]^(١) ، أي: من أول عام من الهجرة، وجاء في حديث تفسيره بمسجد المدينة^(٢) ، وجمع بينهما بأن كليهما مراد الآية .

الثالث: قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه، ولهذا كان النبي ﷺ إذا بلغه عن قوم شيء، خطب فقال: «ما بال رجال قالوا كذا»^(٣) وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] قيل: هو مالك بن الصيف .

(١) سقط من م .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٨) من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه مرفوعاً .

(٣) روت عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «ما بال أناس يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله . . .» أخره البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (١٥٠٤) .

وقوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ١٠٨] ، والمراد: هو رافع بن حريملة ووهب بن زيد .

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤] .

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا صِيبًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٢٣] .

[وقوله] ^(١): ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَنْبِ﴾ [آل عمران: ٧٢] .

الرابع: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ^(٢) والمراد بها بيت المقدس .

﴿وَسَأَلْتَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ، والمراد أيله ، وقيل: طبرية .

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً﴾ [يونس: ٩٨] ، والمراد نينوى .

﴿أَنبِيَاءَ أَهْلِ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧] قيل: برقة .

فإن قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ﴾ [الأنعام: ٧٤] . قيل: أزر اسم صنم وفي الكلام حذف أي: دع أزر ، وقيل: [بل] ^(٣) كلمة زجر وقيل بل [هو] ^(٤) اسم أبيه وعلى هذا الفائدة أن الأب يطلق على الجد ، فقال: [«أزر»] ^(٥) لرفع المجاز .

الخامس: التنبيه على التعميم وهو غير خاص بخلاف ما لو عين: كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] قال عكرمة: أقمت [أربع عشرة سنة] ^(٦) أسأل عنه حتى عرفته هو ضمرة بن العيص وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضًا ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم .

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قيل: نزلت في علي [رضي الله عنه] ^(٧) ، كان معه أربع دوانق فتصدق بواحد بالنهار ، وآخر بالليل وآخر سرًا وآخر علانية ^(٨) .

(١) سقط من م .

(٢) قيل: عزيز ، وقيل: أرمياء ، وقيل: حزقيل .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) سقط من م .

(٥) سقط من م .

(٦) في م: عشر سنين . والمثبت هو الصواب .

(٧) زيادة من م .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٨/١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٣/٢) ، حديث (٢٨٨٣) ، والطبراني في «الكبير» (٩٧/١١) ، حديث (١١١٦٤) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/٣٥٨) من حديث ابن عباس وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف .

البرهان في علوم القرآن

وقوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] قيل: نزلت في عدى بن حاتم كان له كلاب [خمسة]^(١)، قد سماها [باسماء]^(٢) أعلام.

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله ﴿وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضِيلِ مِنْكُمْ﴾ [التور: ٢٢]، والمراد الصديق.

وكذلك ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] يعني: محمداً ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني أبا بكر ودخل في الآية كل مصدق ولذلك قال: ﴿أَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

السابع: تحقيره بالوصف الناقص كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَتْنَا﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئَتِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، والمراد فيها العاصي بن وائل.

وقوله: ﴿إِنْ جَاءَ كُرْفَاسِقٌ﴾ [الحجرات: ٦]، والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وأما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [السد: ١] [فذكره هنالك]^(٣) لتنبهه على أن مآله للنار ذات اللهب.

تنبيهات

الأول: قد يكون للشخص اسمان فيقتصر على أحدهما دون الآخر، لنكتة فمنه قوله تعالى في [مخاطبة]^(٤) الكتابيين: ﴿يَبْنِيْ إِمْرًا يَلِ﴾، ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا دون «يا بني يعقوب» وسره أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتبنيها من غفلتهم سموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل، ولهذا لما دعا النبي ﷺ قوماً إلى الإسلام يقال لهم: «بنو عبد الله» قال: «يا بني عبد الله إن الله قد حسن اسم أبيكم»^(٥) يرضهم بذلك على [ما يقتضيه]^(٦) اسمه من العبودية، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال: يعقوب وكان أولى من [إسرائيل]^(٧)، لأنها موهبة تعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى، فقال: ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] [وإن كان اسم يعقوب]^(٨) عبرانياً؛ لكن لفظه موافق للعربي، من العقب والتعقيب فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فإنه من العجائب.

(١) زادها (ف) من «تفسير القرطبي».

(٢) زادها (ف) من «تفسير القرطبي».

(٣) في م: خطاب.

(٤) سقط من م.

(٥) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٨٩/١)، وابن إسحاق في «سيرته» كما في «السيرة» لابن هشام (٢/٢٧١).

(٦) في م: بني إسرائيل.

(٧) في م: يقتضي.

(٨) سقط من م.

وكذلك حيث ذكر الله نوحًا، سماه به واسمه عبد الغفار، للتنبية على كثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه .

ومنه قوله تعالى حاكياً عن عيسى: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولَ رَبِّكَ بِأَنَّ مِنْ بَعْدِي نَسَبٌ آخَرٌ﴾ [الصف: ٦] ، ولم يقل: «محمد»؛ [لأنه لم يكن محمداً]^(١) حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به .

ومنه أن مدين هم أصحاب الأيكة، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال: «أخاهم شعيباً» وحيث أخبر عن الأيكة لم يقل «أخوهم» والحكمة فيه: أنه لما عرفهم بالنسب وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره، ولما عرفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم وأخرجه عنهم .

ومنه ﴿وَدَا النُّونَ﴾ فأضافه إلى الحوت، والمراد، يونس وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمُوْتِ﴾ [القلم: ٤٨] ، والإضافة «بذي» أشرف من الإضافة «بصاحب»، ولفظ «النون» أشرف من «الحوت» ولذلك وجد في حروف التهجي كقوله: ﴿تَّ وَالْقَلَمِ﴾ ، وقد قيل: إنه قسم وليس في الآخر ما يشرفه بذلك .

ومنه قوله [تعالى]: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] فعدل عن الاسم إلى الكنية إما لاشتهاره بها أو لقبح الاسم فقد كان اسمه عبد العزى .

واعلم أنه لم يسم الله قبيلة من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشاً، سماهم بذلك في القرآن ليبقى على مر الدهور ذكرهم، فقال تعالى: ﴿إِلَيْكَ قُرَيْشٌ﴾ [٢] .

الثاني: أنه قد بالغ في الصفات للتنبية على أنه يريد إنساناً بعينه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمْ كُلُّ حَلْفِ مَهِينٍ﴾ هَذَا مَشَامٌ يَنْبِئُ [القلم: ١٠-١١] الآية قيل إنه الأحنس بن شريق .

وقوله: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لَمْرَةً﴾ [الهمزة: ١] قيل: إنه أمية بن خلف كان يهمز النبي ﷺ .
الثالث: قيل لم يذكر الله تعالى «امرأة» في القرآن وسماها باسمها إلا مريم [بنت]^(٣) عمران فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً^(٤)، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال: إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يبتذلون أسماءهم يكونون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحوه فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصرارى في مريم وفي ابنها ما قالت، صرح الله تعالى باسمها ولم

(٢) سقط من م .

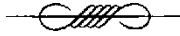
(٤) ذكرت في أربع وثلاثين موضعاً .

(١) سقط من م .

(٣) في م: ابنة .

يُكَنُّ عنها تأكيدًا لأمر العبودية التي هي صفة لها وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها، ومع هذا فإن عيسى لا أب له واعتقاد هذا واجب فإذا تكرر ذكره منسوبًا إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله.

الرابع: وأما الرجال فذكر منهم كثيرًا وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ذَرَفَ وَمَنْ خَلَقَتْ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] أنه الوليد بن المغيرة، وقد سمي الله زيدًا في سورة الأحزاب، للتصريح بأنه ليس بابن النبي ﷺ وأضيف إلى ذلك السجل، قيل: إنه كان يكتب للنبي ﷺ وأنه المراد بقوله تعالى: ﴿كَطَبَى السَّجِلَ لِلْكَتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ^(١) [ق/ ٢٠].



(١) هذا لا يصح.

النوع السابع

في أسرار الفواتح والسور^(١)

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة، وفيها يلغز فيقال: أي شيء إذا عددته زاد على المائة وإذا عددت نصفه كان دون العشرين .
وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها .

[١- الاستفتاح بالثناء]

الأول: استفتاحه بالثناء عليه عز وجل والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح ونفى وتنزيه من صفات النقص .

والإثبات نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [في خمس سور]^(٢)، و﴿تَبَارَكَ﴾ [في سورتين]^(٣):
الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١] ، [والمملك]^(٤): ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدْرُؤُ الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١] .

(١) قال الدكتور حنفي محمد شرف: «المخاطر السواتح في أسرار الفواتح، تكلم ابن أبي الأصبع عن فواتح سور القرآن المعجزة والمعربة، وبناء على ثلاثة أركان كل ركن منها يتضمن باين: الركن الأول: تكلم فيه عن حصر الفواتح وأقسامها وتعريف إعرابها وإعجامها. الباب الأول: تكلم فيه عن الفواتح المعجزة وتعريفها، وأعدادها المنقسمة إليها. الباب الثاني: تحدث فيه عن الفواتح المعربة، وأعدادها البسيطة والمركبة. الركن الثاني: كشف فيه عن أسرار هذه الفواتح وإيضاح خصائصها. الباب الأول: تكلم فيه عن أسرار الفواتح المعجزة وحكمها وتبيين جملها وقسمها. الباب الثاني: كشف فيه عن أسرار الفواتح المعربة وأشكالها ومبانيها. الركن الثالث: أبان فيه عن دلالة الفواتح على الصانع والمصنوعات الكليات والجزئيات، البسائط والمركبات، وما يتنخل ذلك من المعجزات المعجزات للبلغاء في كل زمان ومكان. الباب الأول: تكلم فيه على الاستدلال بها على الصانع والمصنوعات. الباب الثاني: استنبط من هذه الفواتح والمعجزات المعجزات، «مقدمة تحقيق تحرير التحبير» (ص/ ٥٠-٥١).

(٢) زادها (ف).

(٤) زادها (ف).

(٣) زادها (ف).

والتنزيه نحو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] ، ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ، ﴿سُبَّحَ لِلَّهِ﴾ ، كلاهما في [سبح] ^(١) سور فهذه أربع عشرة، سورة استفتحت بالثناء على الله: نصفها لثبوت صفات الكمال ونصفها لسلب النقائص.

قلت: وهو سر عظيم من أسرار الألوهية. قال صاحب العجائب:

«سبح لله» هذه كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بنى إسرائيل، لأنه الأصل ثم الماضي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ في الحديد والحشر والصف، لأنه أسبق الزمانين ثم المستقبل في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر والماضي والمستقبل، والأمر المخاطب فهذه أعجوبة وبرهان.

٢- الاستفتاح بحروف التهجّي

الثاني: استفتاح السور بحروف التهجي نحو: المّ، المصّ، المرّ، كهيعص، طه طس طسم حم جمعسق، قن وذلك في تسع وعشرين سورة.

قال الزمخشري ^(٢): «وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور، وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر: الألف، واللام، والميم والصاد، والراء والكاف والهاء والياء والعين، والطاء والسين والحاء والقاف، والنون، في تسع وعشرين عدد حروف المعجم ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف المهموسة والمجهورة، والشديدة والمطبقة والمستعملية، والمنخفضة، وحروف القلقلة ثم إذا استقرت الكلام تجده هذه الحروف هي أكثر دوراً مما بقي ودليله: أن الألف واللام لما كانت أكثر تداوراً جاءت في معظم هذه الفواتح، فسبحان الذي دقت [في] ^(٣) كل شيء حكمته!». انتهى.

قيل: وبقي عليه من الأصناف الشديدة والمفتحة وقد ذكر تعالى نصفها أما حروف الصفير فهي ثلاثة، ليس لها نصف فجاء منها السين والصاد ولم يبق إلا الزاي وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ذكر منها اثنين: الألف، والياء، أما المكرر وهو الراء والهاوى وهو الألف، والمنحرف وهو اللام فذكرها ولم يأت خارجاً عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرخوة فإنه ذكر فيه أكثر من النصف، وهذا التداخل موجود في كل قسم قبله ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها ووهم الزمخشري في عدد حروف القلقلة، إنما ذكر نصفها فإنها خمسة ذكر منها حرفان القاف والطاء.

(١) في م: خمس. والمثبت هو الصواب.

(٢) الكشف (١/٢٩-٣٠) بتصرف واختصار. (٣) سقط من م.

وقال القاضي أبو بكر: إنما جاءت على نصف حروف المعجم كأنه قيل: من زعم أن القرآن ليس بأية فليأخذ الشطر الباقي، ويركب عليه لفظاً معارضة للقرآن وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق.

واعلم أن الأسماء [المتهجاة]^(١) في أول السور ثمانية وسبعون حرفاً، فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين والصاد في ثلاثة والطاء في أربعة، والسين في خمسة، والراء في ستة والحاء في سبعة، والألف واللام في ثلاثة عشر والميم في سبعة عشر، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما.

كن واحد عيهق اثنان ثلاثة صا دُ الطاء أربعة والسين خمس علا
والراء ست وسبع الحاء آل [ودج]^(٢) وميمها سبع عشر تم واكتملا
وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر» وجمعها السهيلي في قوله «ألم يسطع نور حق كره». وهذا الضابط في لفظه ثقل، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ، ولو قال: «لم يكرها نص حق سطح» لكان أعذب.

ومنهم من ضبط بقوله: «طرق سمعك النصيحة»، و«صن سرًا يقطعك حمله» و«على صراط حق يمسكه». وقيل: «من حرص على بطنه كاسر» وقيل: «سر حصين قطع كلامه». ثم بنيتها ثلاثة حروف موحدة: ص ق ن وعشرة مثنى طه طس يس حم، واثنان عشر مثلثة الحروف الم، الر، طسم واثنان حروفها أربعة المص، المر، واثنان حروفها خمسة كهيعص حمعسق.

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها: [ما هو]^(٣) ثلاثة أحرف، وما هو أربعة أحرف (سورتان) وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان).

وأما ما بدئ بحرف واحد فاختلفوا فيه: فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جعله اسماً لشيء خاص. ومنهم: من جعله حرفاً وقال: أراد أن يتحقق الحروف مفرداً ومنظوماً. فأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سر، وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد الحروف اعتماداً على اللسان، والميم آخر الحروف، ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف

(٢) ودج: تعني ثلاثة عشر بحروف الجمل.

(١) في م: المهجاء.

(٣) سقط من م.

أعنى الحلق واللسان، والشفيتين، وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية. فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة، التي يتفرع منها ستة عشر غرَجًا ليصير منها تسعة وعشرون حرفًا، عليها مدار كلام الخلق أجمعين، مع تضمنها سرًّا عجيبيًا وهو أن الألف للبداية واللام للتوسط، والميم للنهاية فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما.

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف [الثلاثة]^(١) فهي مشتملة على مبدأ الخلق، ونهايته وتوسطه مشتملة على خلق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر، فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم.

وأيضًا: فلأن الألف واللام كثرت في الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها في الكلام.

وأيضًا من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرثة، فهي أعمق الحروف واللام غرَجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم، والميم مطبقة، لأن غرَجها [من]^(٢) الشفتين إذا طبقتا، ويرمز بهن إلى باقي الحروف، كما رمز ﷺ بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٣) إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمها.

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن [الطاء]^(٤) جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها: وهي الجهرُ والشدة والاستعلاء والإطباق [والإصمات]^(٥) والسين مهموس رخو مستفل صفيير منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها، كالسين والهاء؛ فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف.

وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف؛ فمن ذلك: ﴿قَدْ أَفْرَأَنَ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر [الساق]^(٦)، والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن]^(٧) والتنقيب في البلاد، وذكر القتل

(١) زيادة من م.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٦) سقط من م.

(٧) في المطبوع: السابق.

مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبُسُوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك. وسرّ آخر وهو أن [كل معاني السورة] (١) مناسب لما في [حرف] (٢) القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح.

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة «ص» من الخصومات المتعددة؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ. وقولهم: ﴿أَجْعَلِ آلَهُ أَلِيَّةَ وَوَجْدًا﴾ [ص: ٥]، إلى آخر كلامهم، ثم اختصاص الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصاص الملائ الأعلی في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم تخاصم [ق/ ٢١] إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود ثم اختصاصه ثانيًا في شأن بنيه وحلفه ليغيوثهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم.

وكذلك سورة ﴿تَّ وَالْقَلَمِ﴾ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية. وتأمل سورة الأعراف زاد فيها «ص» لأجل قوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢]، وشرح فيها قصص آدم، فمن بعده من الأنبياء ولهذا قال بعضهم: معنى الْمَصِّ ﴿الرَّشَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وقيل: معناه المصور وقيل: أشار بالميم لمحمد وبالصاد للصادق، وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له. وجعل السهيلي هذا من أسرار الفواتح، وزاد في الرعد «راء» لأجل قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ [الرعد: ٢]، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما. واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ﴿الرَّ ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١-٢]، وقد جاء بخلاف ذلك في العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك.

[تنبيهات]

ثم لا بد من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة:

الأول: أن البصريين لم يعدوا شيئًا منها آية وأما الكوفيون فمنها ما عدوه آية، ومنها ما لم يعدوه آية وهو علم توقفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما ﴿الرَّ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتحة بها. وهي ست (٣)، وكذلك ﴿الْمَصِّ﴾ [آية و] (٤) ﴿الْتَرِّ﴾ لم تعد آية، و ﴿الرَّ﴾ ليست بآية، من سورها الخمس و ﴿طَسَّرَ﴾ آية في سورتها و ﴿طه﴾، و ﴿يَسَّ﴾

(١) في م: معاني كل هذه السور. (٢) في م: حروف.

(٣) سورة البقرة. «فنون الأفتان» (ص/ ٢٧٩)، سورة آل عمران. «فنون الأفتان» (ص/ ٢٨١)، سورة لعنكبوت. «فنون الأفتان» (ص/ ٢٩٨)، سورة الروم. «فنون الأفتان» (ص/ ٢٩٩)، سورة لقمان. فنون الأفتان» (ص/ ٢٩٩) سورة السجدة. «فنون الأفتان» (ص/ ٣٠٠) هذا في عدّ الكوفي وحده.

(٤) سقط من م.

البرهان في علوم القرآن

آيتان، و ﴿طس﴾ ليست بآية، و ﴿حم﴾، آية في سورها كلها و ﴿حم﴾ ﴿عسق﴾ آيتان، و ﴿كهيعص﴾ آية واحدة و ﴿ص﴾، و ﴿ق﴾، و ﴿ت﴾، لم تعد واحدة منها آية، وإنما عما هو في حكم كلمة واحدة آية كما عد ﴿الرحمن﴾، وحده، و ﴿مدهاتان﴾، وحدها آيتين، على طريق التوقيف.

وقال الواحدي في (البيسط) في أول [سورة] (١) يوسف لا يعد شيء منها [آية] (٢) إلا في ﴿طه﴾، وسره: أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رموس الآي فهذا لم يعد آية بخلاف ﴿طه﴾ فإنها تشاكل ما بعدها.

الثاني: هذه الفواتح الشريفة على ضربين: أحدهما: ما لا يتأتى فيه إعراب نحو ﴿كهيعص﴾، و ﴿العر﴾، والثاني: ما يتأتى فيه، وهو إما أن يكون اسماً مفرداً كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد ك «حم»، و «طس»، و «يس» فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك «طسم» يتأتى فيها أن تفتح نونها فتصير (ميم) مضمومة إلى «طس» فيجعل اسماً واحداً، كدار انجرد، فالنوع الأول محكى ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران: الإعراب والحكاية.

الثالث: أنه يوقف على جميعها وقف التمام إن حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده: وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور [وينعق] (٣) بها كما ينعق بالأصوات، أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله تعالى: ﴿آلَ ٱللَّهِ﴾ [ال عمران: ١-٢] أي: هذه [السورة] (٤) «الم» ثم ابتداء فقال: ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

الرابع: أنها كتبت في المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها لا على صورة أساميها وعلل ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف، واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب: اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها فحمل على ذلك للمشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح، وأيضاً فإن شهرة أمرها وإقامة السنة الأحمر (٥) والأسود لها؛ وأن الالفاظ بها غير متهجاة لا يجيء بظائل فيها، وأن

(١) سقط من م.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٤) في م: ينطق.

(٥) قال أبو عبد الله النمري: «العرب تدعو الأبيض أحمر، وتقول في أمثالها: «الحسن أحمر» وسميت عائشة عليها السلام «الحمراء» لبياضها، ومنه قوله ﷺ: «بعثت إلى الأسود والأحمر» أي: الأبيض، وفي الحديث: «غلبنا عليك الحمراء» أي: العجم، وقيل لهم ذلك لبياضهم» ا. هـ. «نزهة الأنبياء» (ص/ ٥٤١).

بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يبنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف أشار إلى هذه الأحكام المذكورة صاحب الكشاف^(١).

وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على قولين^(٢):

أحدهما: أن هذا علم مستور وسر محبوب استأثر الله به، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور، قال الشعبي: إنها من المتشابهة تؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل.

قال الإمام الرازي^(٣): وقد أنكر المتكلمون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق لأن الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه، ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه في الأفعال، فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم.

القول الثاني: أن المراد منها معلوم وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهًا فمنها البعيد ومنها القريب.

أحدها: ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه، فالألف من «الله» واللام من «لطيف» والميم من «مجيد» أو الألف من «آلته»، واللام من «لطفه» والميم من «مجده» قال ابن فارس: وهذا وجه جيد وله في كلام العرب شاهد: «قلنا لها قفي فقالت: ق»
فعبّر عن قولها «وقفت» بق.

الثاني: أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لا شك فيه وذلك يدل على جلاله قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان، [وما في]^(٤) كتب الله المنزلة باللغات المختلفة، وهي أصول كلام الأمم بها يتعارفون، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿أَلْقَبْرٍ﴾ ﴿وَأَنْطُورٍ﴾ فكذاك شأن هذه الحروف في القسم بها.

الثالث: أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح

(٢) انظر «ملاك التأويل» (١/١٧٣-١٧٧).

(٤) في م: ومباني.

(١) الكشاف (١/٣٠-٣١).

(٣) التفسير الكبير (٢/٤-٥).

البرهان في علوم القرآن

اسم من أسمائه عز وجل أو آلائه أو بلائه أو مدة أقوام أو آجالهم، فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون روى عن الربيع بن أنس، قال ابن فارس: وهو قول حسن لطيف لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان، فلم يدع نظماً عجيباً ولا علماً نافعاً إلا أودعه إياه، علم ذلك من علمه وجهله من جهله.

الرابع: ويروى عن ابن عباس^(١) أيضاً في قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ أنا الله أعلم، وفي ﴿الَّتِ﴾ أنا الله أفصل و ﴿الرَّ﴾ أنا الله أرى ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام والصفة التامة.

الخامس: أنها أسماء للسور ف ﴿الرَّ﴾ اسم لهذه و ﴿حَمَّ﴾ اسم لتلك، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ونقله الزخشي عن الأكثرين^(٢)، وأن سيبويه نص عليه في كتابه^(٣). وقال الإمام فخر الدين^(٤): هو قول أكثر المتكلمين فإن قيل: فقد وجدنا ﴿الرَّ﴾ افتتح بها عدة سور، فأين التمييز؟ قلنا: قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت، كما يقال: زيد وزيد ثم يميزان، بأن يقال: زيد الفقيه، وزيد النحوي، فكذا إذا قرأ القارئ ﴿الرَّ﴾ ذلك الكتاب ﴿البقرة: ٢-١﴾ فقد ميزها عن ﴿الرَّ﴾ ﴿الله لا إله إلا هو القيوم﴾ [آل عمران: ١-٢].

السادس: أن لكل كتاب سرّاً، وسر القرآن فواتح السور قال ابن فارس: وأظن قائل ذلك أراد أنه من السر الذي لا يعلمه إلا الله، والراسخون في العلم واختاره جماعة، منهم أبو حاتم بن حبان.

قلت: وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١-٢] فتوح بيت المقدس واستنقاذه من العدو في سنة معينة وكان كما قال.

السابع: أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم: ﴿لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ فِيهِ﴾ [نصت: ٢٦] فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم سبباً لاستماعهم واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده، فترق القلوب وتلين الأفتدة.

الثامن: أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي: أ ب، ت ث، فجاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها مؤلفاً، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعقلونها وبينون كلامهم منها.

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٠٧/١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣٢/١).

الكتاب (٢٥٦-٢٥٩).

الكشاف (٢١/١).

التفسير الكبير (٥-٤/٢).

التاسع: واختاره ابن فارس وغيره: أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً واحداً فيقال: إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف [ق/ ٢٢] منها على معان كثيرة لا على معنى واحد، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله تعالى وأن يكون الله عز وجل قد وضعها هذا [الوضع]^(١) فسمى بها وأن كل حرف منها في آجال قوم وأزاق آخرين، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى في إنعامه وإفضاله ومجده وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع وأن فيها إعلماً للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد ﷺ بهذه الحروف، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعاطلة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة.

قال: وهذا القول الجامع للتأويلات كلها. والله أعلم بما أراد من ذلك.

العاشر: أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل والأخذ في التفاضل، وهي بمنزلة زجرة الرعد قبل الناظر في الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام [.....]^(٢)، وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه.

الحادي عشر: التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط، ولم يعان الطريقة، على ما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُّونَ بِسِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمَطْلُونُ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

الثاني عشر: انحصارها في نصف أسماء حروف المعجم، لأنها أربعة عشر حرفاً على ما سبق تفصيله وهذا واضح على من عد حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفاً: وقال لا مركبة من اللام والألف، والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفاً والنطق بلا في الهجاء كالنطق في «لا رجل في الدار» وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسمه إلا الألف فإنه لما لم يمكن أن يبتدأ به لكونه مطبوعاً على السكون، فلا يقبل الحركة أصلاً توصل إليه باللام لأنها شابهته في الاعتداد والاتصاف، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده.

فإن قلت: فقد تقدم اسم الألف في أول حروف الهجاء قلت: ذلك اسم الهمزة لوجهين أحدهما: [أنها]^(٣) صدره، والثاني: أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثاً، وإنما كانت صدره لأن صورتها كالمتكررة أربع مرات لأنها تلبس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يعرض من الحركة والسكون، ولذلك أخروا ما بعد الطاء والظاء

(١) قدر خمس كلمات في م غير مقروءة.

(٢) في م: الموضوع.

(٣) في المطبوع: أنه.

والعين لأن صورتها ليست متكررة وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز.

الثالث عشر: مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف، فإن قلت: هلا روعي صورتها كما روعي عددها؟ قلت: عرض لبعضها الثقل لفظًا فأهمل.

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضرورية في النطق، واجبة في الهجاء لازمة التقدم في الخط والنطق إذ المفرد مقدم على المركب فقدمت هذه المفردات على مركباتها في القرآن فليس في المفرد ما في المركب بل في المركب ما في المفرد، وزيادة ولما كان نزول القرآن في أزمنة متطاولة تزيد على عشرين سنة وكان باقياً إلى آخر الزمان لأنه ناسخ لما قبله ولا كتاب بعده، جعل الله تعالى حروفه كالعلامم مبينة أن هذه السورة هي من قبيل تلك التي أنزلت من عشر سنين مثلاً حتى كأنها تنمة لها وإن كان بينهما مدة.

وأما نزول ذلك في مدد وأزمنة، أو نزول سور خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع وأما ترتيب وضعها في المصحف أعنى السور فله أسباب مذكورة في النوع الثالث عشر.

وأما زيادة بعض الحروف في بعض السور وتغيير بعضها، فليعلم أن المراد الإعلام بالحروف فقط وذلك أنه متى فرض الإنسان في بعضها شيئاً، مثل: ﴿الْعَر﴾ السجدة لزمه في مثلها مثله كآلف لام ميم البقرة، فلما لم يجد دله ذلك الثاني على بطلان الأول وتحقق أن هذه الحروف هي علامات المكتوب والمنطوق وأما كونها اختصت بسورة البقرة، فيحتمل أن ذلك تنبيه على السور وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة ولهذا حصلت في تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف، ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب لجاأت في أربع عشرة سورة وهذا الاحتواء ليس من كل وجه، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية وما يقتضى أن يقع فيه التعجيز، ويحتمل لأن يكون لمعان آخر يجدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر أو هبة من لدنه سبحانه.

ولا يمتنع أن يكون في بقية السور أيضاً كما في ذوات الحروف، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تعلم عليها السور لينبه على فضلها، وهذا من باب الاحتمال والأولى أن الأحرف إنما جاءت في تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين.

[٣- الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور: النداء نحو: ﴿يَأْتِيهَا الذِّكْرُ آمَنًا﴾ ، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ ، ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْرِيَّةُ﴾ ؛ وذلك في عشر سور .

[٤- الاستفتاح بالجمل الخبرية]

الرابع: الجمل الخبرية نحو: ﴿يَتْلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ . ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهِ﴾ . ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ . ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ . ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ . ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ . ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ . ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ . ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ . ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ . ﴿الْمَقَادُ﴾ . ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ . ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ . ﴿لَا أَقِيمُ﴾ في موضعين . ﴿عَسَى﴾ . ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ . ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ . ﴿الْفَاعِصَةُ﴾ . ﴿الْهَنُكُمُ﴾ . ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ ؛ فتلك ثلاث وعشرون سورة .

[٥- الاستفتاح بالقسم]

الخامس: القسم نحو: ﴿وَالصَّفَّاتِ﴾ . ﴿وَالدَّارِينِ﴾ . ﴿وَالطُّورِ﴾ . ﴿وَالنَّجْرِ﴾ . ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ . ﴿وَالنَّبَاتِ﴾ . ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ . ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ . ﴿وَالنَّجْرِ﴾ . ﴿وَالشَّمْسِ﴾ . ﴿وَاللَّيْلِ﴾ . ﴿وَالضُّحَى﴾ . ﴿وَاللَّيْلِ﴾ . ﴿وَالْعَدِيَّةِ﴾ . ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ؛ فتلك خمس عشرة سورة .

[٦- الاستفتاح بالشرط]

السادس: الشرط نحو: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ . ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ . ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ . ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾ . ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ . ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ . ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ؛ فذلك سبع سور .

[٧- الاستفتاح بالأمر]

السابع: الاستفتاح بالأمر في ست سور: ﴿قُلْ أَوْحَى﴾ . ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ . ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ . ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ في سورتين .

[٨- الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن: لفظ الاستفهام في: ﴿هَلْ أَتَى﴾ . ﴿عَمَّ يَسْتَأْذِنُونَ﴾ . ﴿هَلْ أُنثِيَ﴾ . ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾ . ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ . ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ، فتلك ست سور .

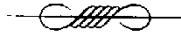
[٩. الاستفتاح بالدعاء]

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّينَ﴾ . ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ﴾ . ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ .

[١٠. الاستفتاح بالتعليل]

العاشر: التعليل في موضع واحد نحو: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ .
 هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسى . قال: وما ذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فإنه يدخل أيضًا في قسم الأمر و ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ . يحتمل الأمر والخبر ونظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ت المدح والسلب لما استفتح السورا
 والأمر شرط النداء بالتعليل والقسم الدعا حروف التهجى استفهم الخبرا



النوع الثامن

في خواتم السور

وهي مثل الفواتح في الحسن ، لأنها آخر ما يقرع الأسماع ، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة ، مع إيذان السامع بانتهاه الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد .
ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم ﴿ هَذَا بَلَدٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ، وخاتمة سورة الأحقاف ﴿ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ، ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواظب وتحميد وتهليل ووعد ووعيد ، إلى غير ذلك ، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب ، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسيبة لغضب الله والضلال ، ففصل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] ، والمراد: المؤمنين ، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام ؛ [ق/ ٢٣] لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان ، فقد أنعم عليه بكل نعمة لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله [وبين: (١)] والضلال المسيبين عن معاصيه وتعدى حدوده .

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآياتان من آخر سورة البقرة .

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران ، بالصبر على تكاليف الدين ، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم والصبر على شدائد الحرب ، والمرابطة في الغزو المحضوض عليها بقوله : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق في المضايق وسهولة الرزق في قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] . وبالفلاح لأن : ﴿ لَعَلَّ ﴾ من الله واجبة .

وكالوصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء ، وحسن الختم [بها: (٢)] لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع . وكالتبجيل ، والتعظيم الذي ختمت به المائة : ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠] ، ولإرادة المبالغة في التعظيم ، اختيرت «ما» على من لإفادة العموم ، فيتناول الأجناس كلها .

(٢) سقط من م .

(١) زيادة من م .

وكالوعد، والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ، ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة، وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الأعراف . والحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم [بها] ^(١) الأنفال .

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على [الصلاة] ^(٢) الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذي ختمت به براءة .

وتسليمته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس ، ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة يوسف .

والرد على من كذب الرسول الذي ختم به الرد .

ومدح القرآن، وذكر فائدته، والعلة في أنه إله واحد الذي ختمت به إبراهيم، ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر .

وتسليّة الرسول بطمأنينته ووعده الله سبحانه الذي ختمت به النحل، والتحميد الذي ختمت به سبحان .

وتخصيصة الرسول على [البلاغ] ^(٣) ، والإقرار بالتنزيه والأمر بالتوحيد الذي ختمت به الكهف .

وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقيته .

فصل

[في مناسبة فواتح السور وخواتمها]

ومن أسرارها مناسبة فواتح السور وخواتمها، وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالملكامة، وختمها بأمر النبي ﷺ بالألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليمته بخروجه من مكة، والوعد بعوده إليها [لقوله في أول السورة] ^(٤) : ﴿إِنَّ إِلَهِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِنَّكَ مَعَادِي﴾ [القصص: ٨٥] .

(٢) زيادة من م .

(١) في المطبوع: به .

(٤) في المطبوع: بقوله . والمثبت من م .

(٣) في م: الإبلاغ .

قال الزمخشري^(١): [وقد]^(٢) جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ، وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّكُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٧] فستان ما بين الفاتحة والخاتمة^(٣).

فصل

[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها]

ومن أسرارها مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها: حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما قيل في: ﴿جَمَلَهُمْ كَمِصْفٍ مَّاكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] ، ﴿لَا يَلْفِ قَرَيْشٍ﴾ وفي الكواشي لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد، والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].



(١) الكشاف (٣/ ٢٠٧).

(٢) ليست في الكشاف.

(٣) سقط من م.

النوع التاسع

معرفة المكي والمدني^(١) وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ، والمكي أكثر من المدني .
اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات^(٢) :

أحدها : أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة .

والثاني : وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة .

والثالث : أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي، لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطبوا بـ«يا أيها الناس» وإن كان غيرهم داخلاً فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بـ«يا أيها الذين آمنوا» وإن كان غيرهم داخلاً فيهم .

وذكر الماوردي أن البقرة مدنية في [قول]^(٣) [الجميع إلا آية، وهي : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى انتهى .
ونزولها هناك لا يخرجها عن المدني بالاصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو بغيرها .

وقال الماوردي في سورة النساء : هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان ابن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة ويسلمها إلى العباس فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ، والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها «يا أيها الناس» وليس فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي مكية، وفي الحج اختلاف وكل سورة فيها «كلًا» فهي مكية وكل سورة فيها حروف المعجم

(١) قال السيوطي : أفردته بالتصنيف جماعة منهم : مكّي والعز الديريني . «الإتقان» (١/٤٨) .

(٢) انظر : «المكي والمدني» (١/٤٢-٥٦) لعبد الرزاق حسين أحمد .

(٣) سقّط من م .

فهي مكية إلا البقرة، وآل عمران، وفي الرعد، خلاف وكل سورة في أولها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت.

وقال هشام عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض، فهي مدنية وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد [الداري] ^(١) بإسناده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني، وما كان من القرآن «يا أيها الذين آمنوا» فهو مدني وما كان «يا أيها الناس» فهو مكي ^(٢). وذكر أيضاً بإسناده إلى عروة بن الزبير قال: ما كان من حد أو فريضة، فإنه أنزل بالمدينة وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه أنزل بمكة.

وقال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي: قال علقمة: عن عبد الله كل سورة فيها يأياها الناس فقط أو كلا أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين والرعد في وجه أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية انتهى.

وذكر ابن أبي شيبه في مصنفه ^(٣) في كتاب فضائل القرآن حدثنا وكيع، عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: كل شيء نزل فيه «يا أيها الناس» فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه «يا أيها الذين آمنوا» فهو بالمدينة، وهذا مرسل قد أسند عن عبد الله بن مسعود.

ورواه الحاكم في مستدركه ^(٤) في آخر كتاب الهجرة، عن يحيى بن معين قال: حدثنا وكيع، عن أبيه، عن الأعمش وعن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود به.

(١) في المطبوع: الدارمي تحريف.

وهذا هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداري، عالم القراءات والمحدث المشهور، وليس عثمان بن سعيد الدارمي كما قال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، فإن الدارمي كنيته أبو سعيد، والداري كنيته أبو عمرو كما هو مذكور، أضف إلى هذا أن هذا الأثر مخرَج في كتاب «البيان في عَدَّ آي القرآن» (ص/ ١٣٢) لأبي عمرو الداري. قلت: وهو أثر ضعيف لإرساله ولضعف علي بن الحسين بن واقد.

(٢) انظر السابق.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٦/ ١٤٠)، والبيزار (١٥٣٠).

قال البيزار: وهذا الحديث يرويه غير قيس مرسلًا ولا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس. وأخرجه الحاكم (٤٢٩٥) من حديث الجراح عن الأعمش مسندًا.

(٤) انظر السابق.

ورواه البيهقي في أواخر دلائل النبوة وكذا رواه البزار في مسنده ثم قال وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلًا، ولا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس انتهى .

ورواه ابن مردويه في تفسيره في سورة الحج، عن علقمة، عن أبيه، وذكر في آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه^(١). وقد نص على هذا القول جماعة من الأئمة، منهم أحمد بن حنبل وغيره وبه قال كثير من المفسرين ونقله عن ابن عباس .

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وفيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]. وسورة النساء مدنية، وفيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ [النساء: ١]، وفيها: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١٣٣]. وسورة الحج مكية، وفيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧] فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح ولذا قال مكى: هذا إنما هو في الأكثر، وليس بعام وفي كثير من السور المكية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]^(٢) انتهى .

والأقرب تنزيل قول من قال: مكى ومدني على أنه خطاب المقصود به، أو جل المقصود به أهل مكة «يأيا الذين آمنوا» كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة .

وفي تفسير الرازي^(٣)، عن علقمة والحسن أن ما في القرآن يأيا الناس مكى، وما كان «يأيا الذين آمنوا» فبالمدينة وأن القاضي قال: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلم وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم [واسمهم وجنسهم]^(٤)، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة، كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها انتهى .

فصل

ويقع السؤال: [في]^(٥) أنه هل نص النبي ﷺ على بيان ذلك؟ قال القاضي أبو بكر في الانتصار^(٦): إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم، كما أنه لا بد في العادة من معرفة معظمي العالم والخطيب، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا

(١) انظر: «تخریج الأحاديث والآثار» (٢/ ١٨٣-١٨٤).

(٢) الإيضاح (ص/ ١١٢) لمكي.

(٤) في «التفسير الكبير» (٢/ ٨٤): باسم جنسهم.

(٥) زيادة من م. (١/ ٢٤٧-٢٤٨).

ما صنفه أولاً وآخرًا، وحال القرآن في ذلك أمثل، والحرص عليه أشد غير أنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك قول، ولا ورد عنه أنه قال: اعلّموا أن قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا وفصله لهم، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر وإنما لم يفعله أنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ليعرف الحكم الذي تضمنهما، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه، وقوله هذا هو الأول المكي، [وهذا هو الآخر المدني وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع] ^(١) المكي والمدني، مما لا يسوغ الجهل به لم تتوفر [لهم] ^(٢) الدواعي على إخبارهم به ومواصلة ذكره على أسماعهم، وأخذهم بمعرفته وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني وأن يعلموا في القول بذلك ضربًا من الرأي والاجتهاد، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكي والمدني ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه مكية أو مدنية، فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين، وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس، ولزوم العلم به لهم ووجوب ارتفاع الخلاف فيه.

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن) ^(٣) من أشرف علوم القرآن: علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطًا وانتهاءً وترتيب ما نزل بالمدينة، كذلك ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم ما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية، ثم ما نزل ليلاً وما نزل نهارًا وما نزل مشيًا وما نزل مفردًا ثم الآيات المدنية في السور المكية والآيات المكية في السور المدنية ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل بجمالًا وما نزل مفسرًا وما نزل مرموزًا ثم ما اختلفوا فيه فقال بعضهم: مدني هذه خمسة عشرون وجهًا، من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى.

(١) سقط من م.

(٢) زيادة من م.

(٣) (٢٢٢ ق/أ-ب).

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿أَفْرَأَ يَا سُوْرِيكَ﴾ ، ثم ﴿تَّ وَالْقَلِيْرُ﴾ ، ثم ﴿يَأْتِيَا الرِّزِيْلُ﴾ ، ثم ﴿يَأْتِيَا الْمَدِيْنَةَ﴾ ، ثم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ، ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوْرَتْ﴾ ، ثم ﴿سَبِيْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، ثم ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَنْتَبَهُ﴾ ، ثم ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ، ثم ﴿وَالضُّحَى﴾ ، ثم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ، ثم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ، ثم ﴿وَالْعَدِيْبَاتِ﴾ ، ثم ﴿إِنَّا أَنْطَقْنَاكَ الْكُوْرَةَ﴾ ، ثم ﴿أَلَمْ نَكْمُ الْكَاذِبُ﴾ ، ثم ﴿أُوْرِيْتُكَ الْوَدِيَّ﴾ ، ثم ﴿قُلْ يَأْتِيَا الْكُفُوْرُونَ﴾ ، ثم «سورة الفيل» ، ثم «الفلق» ، ثم «الناس» ، ثم ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ، ثم ﴿وَالْتَجِرْ إِذَا هُوَ غَائِبٌ﴾ ، ثم ﴿عَسَى وَوُوْكَ﴾ ، ثم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، ثم ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ ، ثم ﴿[وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوْجِ]﴾^(١) ، ثم ﴿وَاللَّيْلَ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبَاتِ﴾ ، ثم ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَوَاقِ الْأَيْمَانِ﴾ ، ثم «الهمزة» ، ثم «الرسالات» ، ثم ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ﴾ ، ثم ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ، ثم «الطارق» ، ثم ﴿أَفَقَرْتُ السَّاعَةَ﴾ ، ثم ﴿صَ وَالْقُرْآنِ﴾ ، ثم «الأعراف» ، ثم «الجن» ، ثم «يس» ، ثم «الفرقان» ، ثم «الملائكة» ، ثم «مريم» ، ثم طه» ، ثم «الواقعة» ، ثم «الشعراء» ، ثم «النمل» ، ثم «القصص» ، ثم «بنو إسرائيل» ، ثم «يونس» ، ثم «هود» ، ثم «يوسف» ، ثم «الحجر» ، ثم «الأنعام» ، ثم «الصفات» ، ثم «لقمان» ، ثم «سبأ» ، ثم «الزمر» ، ثم «حم المؤمن» ، ثم «حم السجدة» ، ثم «حم عسق» ، ثم «حم الزخرف» ، ثم «حم الدخان» ، ثم «حم الجاثية» ، ثم «حم الأحقاف» ، ثم «الذاريات» ، ثم «الغاشية» ، ثم «الكهف» ، ثم «النحل» ، ثم «نوح» ، ثم «إبراهيم» ، ثم «الأنبياء» ، ثم «المؤمنون» ، ثم ﴿التَّ ۝ تَزِيْلُ﴾ ، ثم ﴿وَالطُّورِ﴾ ، ثم «الملك» ، ثم ﴿الْمَلَأْتُهُ﴾ ، ثم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ، ثم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ، ثم ﴿وَالنَّجِيْبَاتِ﴾ ، ثم ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ، ثم ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، ثم «الروم» .

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس: [هي]^(٣) العنكبوت وقال الضحاك وعطاء: المؤمنون وقال مجاهد: ﴿وَبُرِيْلٌ لِلْمُطَفِّفِيْنَ﴾ فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات^(٤) وهي خمس وثمانون سورة .

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها: سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم המתحنة ثم النساء ، ثم ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ ثم الحديد ثم محمد ثم الرعد ثم الرحمن ثم ﴿هَلْ أَتَى﴾ ثم الطلاق ثم

(٢) في م: النزاعات .

(١) في م: البروج .

(٣) زيادة من م .

(٤) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧) .

﴿لَمْ يَكُنْ﴾ ، ثم الحشر، ثم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم [﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾] ^(١) ، ثم الصف، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الفتح، ثم التوبة، ثم المائدة.

ومنهم من يقدم [سورة] ^(٢) المائدة على التوبة، وقرأ النبي ﷺ المائدة في [خطبة حجة الوداع] ^(٣) وقال: «يا أيها الناس إن آخر القرآن نزولاً سورة المائدة فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها» ^(٤).

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة. وأما ما اختلفوا فيه ففاتحة الكتاب ^(٥)، قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء، إنها مكية وقال مجاهد: مدنية واختلفوا في ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فقال ابن عباس: مدنية وقال عطاء: هي آخر ما نزل بمكة فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة على اختلاف الروايات.

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية ولها قصة يطول بذكرها الكتاب، ونزولها بمكة يوم فتحها، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة. ومنها قوله في المائدة ^(٦): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] إلى قوله: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات فبركت ناقة النبي ﷺ من هيبة القرآن ^(٧). وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة، وهي عدة آيات يطول ذكرها.

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكي

منه الممتحنة إلى آخرها، وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة، وسارة والكتاب الذي دفعه إليها وقصتها مشهورة فخاطب بها أهل مكة.

(١) زيادة من م.

(٢) في م: لم تحرم.

(٣) في م: خطبة يوم حجة الوداع.

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٣) لأبي عبيد.

(٥) قال السيوطي: الأكثرون على أنها مكية، بل ورد أنها أول ما نزل. «الإتقان» (١/٥٥). وانظر:

«المكي والمدني» (١/٤٤٨-٤٦٨).

(٦) ذهب الشعبي، وأبو جعفر بن بشر، وأبو سليمان الدمشقي، والحازن إلى مكية هذه الآية.

قال ابن الجوزي: مدنية - أي المائدة - لإجماع، وإن أنزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، بعرفة فإن العبرة في المدني بالنزول بعد الهجرة، زاد المسير (٢/٢٦٧).

(٧) أخرجه البخاري (٤٦٠٦).

ومنها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: ٤١] إلى آخر السورة مدنيات يخاطب بها أهل مكة^(١).

ومنها سورة الرعد يخاطب أهل مكة وهي مدنية.

ومن أول براءة إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] خطاب لمشركي مكة وهي مدنية. فهذا من جملة ما نزل بمكة في أهل المدينة، وحكمه مدني وما أنزل [بالمدينة]^(٢) في أهل مكة وحكمه مكّي.

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية.

من ذلك قوله تعالى في النجم: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ [النجم: ٣٢] معنى: كل ذنب عاقبته النار ﴿وَالْفَوَاحِشُ﴾ معنى: كل ذنب فيه حد ﴿إِلَّا اللَّعْمُ﴾، وهو بين الحدين من الذنوب^(٣)، نزلت في نهبان، والمرأة التي راودها عن نفسها فأبت والقصة مشهورة واستقرت الرواية بما قلنا والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حد ولا غزو.

ومنها قوله تعالى في هود: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] الآية نزلت في أبي مقبل [الحسين بن عمر بن قيس]^(٤) والمرأة التي اشترت منه التمر فراودها.

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

من ذلك قوله تعالى [ق/٢٥] في الأنبياء: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ لَهَذَا لَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] نزلت في نصارى نجران، [ومنهم]^(٥) السيد والعاقب.

ومنها سورة ﴿وَالْمَدِينَتِ ضَبْحًا﴾ في رواية الحسين بن واقد، وقصتها مشهورة ومنها قوله تعالى في الأنفال: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

ما نزل بالجحفة

قوله عز وجل في سورة القصص: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٥] نزلت بالجحفة والنبي ﷺ مهاجر.

(١) ذهب جابر بن زيد، ومقاتل بن سليمان، وقنادة إلى مدنية هذه الآية، وليس لهم فيما ذهبوا إليه كبير مستند.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) قال ابن عباس: إلا ما قد سلف. وقال أبو هريرة: القُبلة والنظرة والمباشرة. وقال الحسن: اللمسة من الزنى أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود. وقال: أن يقع الواقعة ثم ينتهي.

(٤) في م: الحسن بن عمرو.

(٥) سقط من م.

ما نزل بببيت المقدس

قوله تعالى في الزخرف: ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] نزلت عليه ليلة أسرى به .

ما نزل بالطائف

قوله تعالى في الفرقان: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥] الآية ولذلك قصة عجيبة .

وقوله في: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ : ﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ ﴿ فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٢-٢٤] يعنى كفار مكة .

ما نزل بالحديبية

قوله تعالى في الرعد: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد: ٣٠] نزلت بالحديبية، حين صالح النبي ﷺ أهل مكة فقال رسول الله ﷺ لعلى: اكتب: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن الرحيم ولو نعلم أنك رسول الله لتابعناك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد: ٣٠] إلى قوله ﴿ مَتَابِ ﴾ (١) .

ما نزل ليلا

قوله تعالى في أول سورة الحج: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] نزلت ليلاً في غزوة بني المصطلق، وهم حي من خزاعة والناس يسبيرون (٢) .

وقوله تعالى في المائدة: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] نزلت في بعض غزوات رسول الله ﷺ وذلك أن النبي ﷺ كان يجرس كل ليلة .

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: قال رسول الله ﷺ: «من يجرسنا الليلة؟» فأتاه حذيفة وسعد في آخرين معهم الحجف والسيوف وكان رسول الله ﷺ في خيمة من آدم، فباتوا على

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٠/١٣) عن قتادة مرسلًا، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٥٠/٤) لأبي الشيخ وابن أبي حاتم عن قتادة أيضًا مرسلًا .

(٢) قال السيوطي: ذكره ابن حبيب، ومحمد بن بركات السعدي في كتابه «الناسخ والمنسوخ»، وجزم به السخاوي في جمال القراء . «الإتقان» (٨٧/١)، و«جمال القراء» (١٤٧/١) .

باب الخيمة فلما أن كان بعد هزيع من الليل، أنزل الله عليه الآية فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من الخيمة فقال: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله»^(١).

ومنها قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصر: ٥٦] الآية قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وأنا معه في اللحاف، ونزل عليه أكثر القرآن نهارًا.

ما نزل مشيخًا

سورة الأنعام نزلت مرة واحدة شيعة سبعون ألف ملك، طبقوا ما بين السموات والأرض، لهم زجل بالتسييح، فقال رسول الله ﷺ «سبحان الله» وخر ساجدًا^(٢).

قلت: ذكر أبو عمرو بن الصلاح في (فتاويه) أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي ابن كعب عن النبي ﷺ، وفي إسناده ضعف ولم نر له إسنادًا صحيحًا وقد روى ما يخالفه، فروى أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالمدينة، اختلفوا في عددها فقيل: ثلاث هي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَالَوْا﴾ [إلى ﴿ءَامِنُوا﴾] ^(٣) الآيات، وقيل: ست وقيل: غير ذلك وسائر ما نزل بمكة.

وفاتحة الكتاب: نزلت ومعها ثمانون ألف ملك^(٤).

وآية الكرسي: نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم (٣٢٢١)، وابن جرير (٣٠٨/٦)، وسعيد بن منصور (٧٦٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨٢٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٦/٦)، وابن سعد في «الطبقات» (١/١٧١). قال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٤٧)، والبيهقي في «الصغرى» (١٠٠٧)، و«الشعب» (٢٤٣٣)، والإسماعيلي في «معجمه» (٥٥٢/٢) من حديث أنس.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي سهيل نافع بن مالك إلا عمر بن طلحة ولا عن عمر بن طلحة إلا ابن أبي فديك، تفرد به أحمد بن محمد السالمي.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (٢٠١/٧).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) قال السيوطي: «أما الفاتحة، وسورة يس، فلم أقف على حديث فيهما بذلك ولا أثر». «الإتقان» (١/١٣٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٩٧٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٠/٢٠)، حديث (٥١١)، والرويان في «مسنده» (١٣٠٧).

قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه راوٍ لم يُسَم، ورواه الطبراني في «الأوسط» وأسقط المهيم. «مجمع الزوائد» (٣١١/٦).

[وسورة [يس] (١): نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك (٢) [٣].

﴿وَسَقَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف: ١٧] نزلت ومعها عشرون ألف ملك وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشييع .

الآيات المدنية في السور المكية (٤)

منها: سورة الأنعام، وهي كلها مكية خلاست آيات، واستقرت بذلك الروايات .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] نزلت هذه في مالك بن الصيف إلى آخر الآية والثانية والثالثة . ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أخى عثمان من الرضاعة حين قال: ﴿سَأُرْسِلُ وَمِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ، وذلك أنه كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] ، فأملأها عليه رسول الله ﷺ ، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قال رسول الله ﷺ : اكتب: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الخ الآية، فقال: إن كنت نبياً فأنا نبي لأنه خطر ببالي ما أملت على فلحق كافراً .

وأما قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] فإنه نزل في مسيلمة الكذاب حين زعم أن الله سبحانه أوحى إليه، وثلاث آيات من آخرها: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ .

سورة الأعراف: مكية إلا ثلاث آيات ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَرَادَ نَفَقًا أَلْبَلٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] .

سورة إبراهيم مكية، غير آيتين نزلتا في قتلى بدر ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] [إلى آخر] (٥) الآيتين .

سورة النحل، مكية إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: ٤١] ، والباقي مدني .

سورة بني إسرائيل: مكية غير قوله ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] يعني ثقيفاً وله قصة .

(١) في المطبوع: يونس .

(٢) انظر كلام السيوطي السابق .

(٣) سقط من م .

(٤) انظر: «المكي والمدني» (٥٨٩/٢) .

(٥) في المطبوع: إلخ .

سورة الكهف مكية، غير قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ نزلت في سلمان الفارسي وله قصة .
 سورة القصص: مكية غير آية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ - يعني: الإنجيل - ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ هُمْ
 بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] يعني: الفرقان نزلت في أربعين رجلاً من مؤمني أهل الكتاب، قدموا
 من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب فأسلموا ولهم قصة .
 سورة الزمر: مكية غير قوله: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية .
 الحواميم كلها مكيات، غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] .

الآيات المكية في السور المدنية

منها قوله تعالى في الأنفال: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية يعني:
 أهل مكة [يا محمد]^(١) حتى يخرجك من بين أظهرهم استقرت به الرواية .
 سورة التوبة: مدنية غير آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ [إلى آخره]^(٢) السورة .
 سورة الرعد: مدنية غير قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] إلى قوله:
 ﴿جَمِيعًا﴾ .
 سورة الحج: مدنية وفيها أربع آيات مكيات قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيِّ
 إِلَّا إِنَّا تَمَتَّيْنَا﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله: ﴿عَقِيرٍ﴾ ، وله قصة .
 سورة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مكية إلا قوله: ﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ﴾ إلى آخرها، فإنها مدنية كذا قال
 مقاتل بن سليمان .

ما حمل من مكة إلى المدينة

أول سورة حملت من مكة إلى المدينة سورة يوسف، انطلق بها عوف بن عفراء في الثمانية
 الذين قدموا على رسول الله ﷺ مكة فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وهم أول من أسلم من
 الأنصار، قرأها على أهل المدينة في بنى زريق فأسلم يومئذ بيوت من الأنصار روى ذلك
 يزيد بن رومان عن [عطاء بن يسار]^(٣) عن ابن عباس، ثم حمل بعدها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
 إلى آخرها، ثم حمل بعدها الآية التي في الأعراف: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِيَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
 جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] إلى قوله: ﴿تَهْتَدُونَ﴾ فأسلم عليها طوائف من أهل المدينة وله قصة .

(٢) في المطبوع: إلخ .

(١) زيادة من م .

(٣) في المطبوع: عطاء عن ابن يسار .

ما حمل من المدينة إلى مكة

من ذلك الأنفال التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَالَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية وذلك حين أورد عبد الله بن جحش كتاب مسلمى مكة على رسول الله ﷺ، بأن المشركين عيرونا قتل ابن الحضرمي وأخذ الأموال والأسارى في الشهر الحرام، فكتب بذلك عبد الله بن جحش إلى مسلمى مكة إن عيروكم فعيروهم بما صنعوا بكم^(١).

ثم حملت آية الربا من المدينة إلى مكة في حضور ثقيف وبنى المغيرة، إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ على مكة، فقرأ عتاب عليهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الزَّيْوَٰٓءِ﴾ [البقرة: ٢٧٨] فأقروا بتحريمه، وتابوا وأخذوا رءوس الأموال، ثم حملت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة، قرأهن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النحر على الناس وفي ترتيبها قصة. ثم حملت من المدينة إلى مكة. الآية التي في النساء ﴿إِلَّا الَّتَضَعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾ [النساء: ٩٨] إلى قوله: ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلا تعاقبهم على تخلفهم عن الهجرة، فلما بعث رسول الله ﷺ بها إلى مسلمى مكة قال جندع بن ضمرة^(٢) الليثي ثم الجندعي لبنيه وكان شيخاً كبيراً: ألسنت من المستضعفين وأنى لا أهدى إلى الطريق، فحملة بنوه على سيره متوجهاً إلى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ أصحاب رسول الله ﷺ موته فقالوا: لو لحق بنا لكان أكمل لأجره فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] إلى قوله: ﴿عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

ما حمل من المدينة إلى الحبشة

هي ست [ق/٢٦] آيات، بعث رسول الله ﷺ إلى جعفر بن أبى طالب في خصومة الرهبان والقسيسين: ﴿يَأْهَلِ الْكُتُبِ تَمَلَّؤْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [آل عمران: ٦٤] فقرأها جعفر بن أبى طالب عليهم عند النجاشي، فلما بلغ قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] قال النجاشي: صدقوا ما كانت اليهودية والنصرانية إلا من بعده، ثم قرأ جعفر: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] الآية قال النجاشي: اللهم إني ولى لأولياء إبراهيم، وقال: صدقوا والمسيح ثم أسلم النجاشي وأسلموا.

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢/٣٥٠)، و«الدر المشور» (١/٦٠٢).

(٢) قال الحافظ: «هذا هو المشهور عن ابن إسحاق، ورواه حماد بن سلمة عن ابن إسحاق فقال: جندب بن ضمرة، وبذلك جزم الواقدي، وروى ابن منده، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والفاكهي أنه جندب بن ضمرة» ا.هـ. الإصابة (١/٥١٥).

النوع العاشر

معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله: ففي صحيح البخاري^(١) في حديث بدء الوحي ما يقتضى أن أول ما نزل عليه ﷺ ﴿أَقْرَأْ بِأَنزِيلِ رَبِّكَ﴾ ثم المدثر.

وأخرجه الحاكم في مستدرکه، من حديث عائشة رضي الله عنها صريحا، وقال: صحيح الإسناد^(٢).

ولفظ مسلم^(٣): أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِأَنزِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

ووقع في صحيح البخاري إلى قوله: ﴿وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ﴾، وهو مختصر، وفي الأول زيادة وهي من الثقة مقبولة.

وقد جاء ما يعارض هذا، ففي صحيح مسلم عن جابر: «أول ما نزل من القرآن سورة المدثر».

وجمع بعضهم بينهما^(٤) بأن جابرا سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزلت وليس كذلك نعم هي أول ما نزل بعد سورة ﴿أَقْرَأْ﴾، وفترة الوحي؛ لما ثبت في الصحيحين^(٥) أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: «بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فحُثت منه [فرقا]^(٦)، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تبارك وتعالى: [يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴿١﴾ فَرَأَيْنَا زَيْنَرَ ﴿٢﴾ [المدثر: ١-٢]»^(٧).

فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة، وأخبر في حديث

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧١)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الحاكم (٣٩٥٣) و(٣٩٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٦١) من حديث جابر. (٤) انظر «الفتح» (٦٧٨/٨).

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٤١)، ومسلم (١٦١).

(٦) زادها (ف) من صحيح مسلم. (٧) في م: يا أيها المزمّل.

عائشة أن نزول: ﴿أَقْرَأُ﴾ كان في غار حراء وهو أول وحى ثم فتر بعد ذلك، وأخبر في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ فعلم بذلك أن ﴿أَقْرَأُ﴾ أول ما نزل مطلقاً وأن سورة المدثر بعده وكذلك قال ابن حبان في صحيحه: ^(١) لا تضاد بين الحديثين، بل أول ما نزل: ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] بغار حراء فلما رجع إلى خديجة رضي الله عنها وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ فظهر أنه لما نزل عليه ﴿أَقْرَأُ﴾ رجع فتدثر فأنزل عليه ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ .

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة روى ذلك من طريق أبي إسحاق، عن أبي مسيرة قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الصوت انطلق هاربا، وذكر نزول الملك عليه وقوله قل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخرها ^(٢) .

وقال القاضي أبو بكر في (الانتصار) ^(٣): وهذا الخبر منقطع وأثبت الأقاويل ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، ويليه في القوة ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾، وطريق الجمع بين الأقاويل، أن أول ما نزل من الآيات ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة.

وهذا كما ورد في الحديث «أول ما يحاسب به العبد الصلاة» ^(٤)، و«أول ما يقضى فيه الدماء» ^(٥) وجمع بينهما، بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة.

وقيل: أول ما نزل للرسالة: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾، وللنبوة: ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ فإن العلماء قالوا قوله تعالى: ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ دال على نبوة محمد ﷺ، لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ ^(٦) قُرْ فَأَنْزِرْ [المدثر: ١-٢] دليل على رسالته ﷺ، لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام.

(١) (٢٢٠/١) باختصار.

(٢) قال الحافظ: «قلت: وهو مرسل ورجاله ثقات، فإن ثبت حمل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي، والعلم عند الله تعالى» العجائب (ص/ ٦٥-٦٦).

قلت: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٩/٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص/ ١٩) من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي مسيرة مرسلًا.

(٣) الانتصار للقرآن (١/ ٢٤١).

(٤) أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥) و(٤٦٦)، وابن ماجه (١٤٢٥) و(١٤٢٦). قال

الترمذي: حسن غريب. قلت: صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في «الصحيح» (١٣٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧١)، ومسلم (١٦٧٨) من حديث ابن مسعود.

وذكر القاضي في (الانتصار) ^(١) رواية ثم نزل بعد سورة ﴿أَقْرَأ﴾ ثلاث آيات من أول [نون] ^(٢)، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أول سورة أنزلت «اقرأ» ثم [نون] ^(٣) .

وذكر الحاكم في (الإكليل) أن أول آية أنزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] .

وروى في المستدرک ^(٤) عن ابن عباس : أول آية أنزلت فيه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] الآية .

وأما آخره فاختلّفوا فيه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر: ١] ^(٥) وعن عائشة : سورة المائدة ، وقيل : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

وقال السدي : آخر ما نزل ﴿إِن تَوَلَّوْا فَعَلَّ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] . وفي (صحيح البخاري) ^(٦) في تفسير سورة براءة ، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ، وآخر سورة نزلت براءة .

وفي رواية غيره : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة وآخر آية نزلت خاتمة النساء ^(٧) ، وذكر ابن الأنباري عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ^(٨) ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ثم ساق سنده من طرق إلى ابن عباس آخر آية أنزلت : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] ، وكان بين

(١) (١/٢٤٠) .

(٢) في المطبوع : نوح . والمثبت من «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص/٥٢) ، وم ، و«الانتصار» (١/٢٤٠) ، ومصنف ابن أبي شيبة» (٧/١٣٥) .

(٣) انظر السابق .

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٧١) ، والنسائي في «المجتبى» (٣٠٨٥) ، و«الكبرى» (٤٢٩٢) ، وأحمد (١٨٦٨) ، وابن حبان (٤٧١٠) ، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٣٦) ، والبيهقي في «الكبرى» (١٨٢٣٨) . قال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٥) أخرجه مسلم (٣٠٢٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٢٩) ، ومسلم (١٦١٨) . (٧) انظر «تفسير ابن جرير» (٤/٣٧٨) .

(٨) المصدر السابق (٤/٣٧٨) .

نزولها ووفاة النبي ﷺ أحد وثمانون يوما، وقيل: تسع ليال انتهى .

وفي مستدرک الحاکم^(١) عن شعبة، عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ثم قرأها إلى آخر السورة ورواه أحمد في المسند عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] [ثم قرأ]^(٢) إلى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] . قال: هذا آخر ما نزل من القرآن فختم بما فتح به، بالذي لا إله إلا هو، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانباء: ٢٥] .

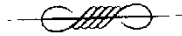
وقال بعضهم: روى البخاري آخر ما نزل آية الربا^(٣) .

وروى مسلم: آخر سورة نزلت جميعا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾^(٤) .

قال القاضي أبو بكر في (الانتصار)^(٥): وهذه الأقوال ليس في شيء منها، ما رفع إلى النبي ﷺ، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .

ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو لمفارقتة له ونزول الوحي عليه بقرآن بعده .

ويحتمل أيضا: أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ، مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معهما وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخر وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب^(٦) .



(١) حديث (٣٢٩٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٢) سقط من م .

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٧٠) عن ابن عباس .

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٣٤) عن ابن عباس .

(٥) (١/٢٤٥-٢٤٦) .

(٦) انظر: «فتح الباري» (٨/٢٠٥)، و«الإتقان» (١/١٠٤) ط . الحديث .

النوع الحادي عشر^(١)

معرفة على كم لغة [نزل]^(٢)

ثبت في الصحيحين^(٣): من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «أقرأني جبريل على حرف فراجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيديني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف» زاد مسلم قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة، إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.

وأخرج أيضا^(٤) من حديث عمر بن الخطاب، قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وفي رواية على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها؟ فقال رسول الله ﷺ: «[أرسله]^(٥) اقرأ» فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» [ثم قال لي]: «اقرأ» فقرأت فقال: «هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه».

وأخرج مسلم نحوه^(٦) عن أبي بن كعب، وفيه [ق/ ٢٧] فقال النبي ﷺ: «فإنني أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي فردّ إلي الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فردّ إلي الثالثة: [أن]^(٧) اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم [يرغب]^(٨) إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام».

وأخرج [قاسم]^(٩) بن أصبغ في مصنفه من حديث المقبري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقراءوا ولا حرج ولكن لا

(١) أفردته بالتصنيف أبي عمرو الداني في «الأحرف السبعة للقرآن» وهذه الرسالة مطبوعة متداولة.

(٢) في م: نزلت.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (٨١١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (٨١٨).

(٥) سقط من م.

(٦) سقط من م.

(٧) أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٨) في م: ترغب.

(٩) في م: أبو القاسم. خطأ.

نحتموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة»^(١).

وأما ما رواه الحاكم في المستدرک عن سمرة يرفعه: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف»^(٢) فقال أبو عبيد^(٣): تواترت الأخبار بالسبعة إلا هذا الحديث.

قال أبو شامة^(٤): يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِنْ بَعْضُهُ أَنْزَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ كَ[جذوة]^(٥)، والرهب والصدق، فيقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذه القراءة المشهورة. أو أراد أنزل ابتداء على ثلاثة، ثم زيد إلى سبعة، ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يقرأ على حرفين وعلى ثلاثة وأكثر إلى سبعة أحرف توسعة على العباد، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ المترادفة وما يقارب معناها.

وقال ابن العربي: لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها. وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي^(٦): اختلف الناس فيها على خمسة وثلثين قولاً. وقد وقفت منها على كثير؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ، ولم يقصد به الحصر والأكثر على أنه محصور في سبعة، ثم اختلفوا؟ هل هي باقية إلى الآن نقرؤها أم كان ذلك أولاً ثم استقر الحال بعده على قولين.

وقال القرطبي^(٧): إن القائلين بالثاني، وهو أن الأمر كان كذلك ثم استقر على ما هو الآن هم أكثر العلماء منهم سفيان بن عيينة وابن وهب والطبري، والطحاوي، ثم اختلفوا هل استقر في حياته ﷺ، أم بعد وفاته والأكثر على الأول، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب وابن عبد البر وابن العربي، وغيرهم، ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٥/١)، والبيهقي في «الصغرى» (١٠٥٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٨٨/٨) من حديث أبي هريرة بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٤٩)، والحاكم (٢٨٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣٨/٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٥٣)، وتمام في «الفوائد» (٧٤٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢٦٢/٢)، والخطيب في «التاريخ» (٢٨٥/٣).

قال ابن عدي: وهذا الحديث لا أعلم يرويه بهذا الإسناد غير حماد بن سلمة، وقال: على ثلاثة أحرف. ولم يقله غيره.

قلت: ضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله - في «الضعيفة» (٢٩٥٨)، و«ضعيف الجامع» (١٣٣٥).

(٣) فضائل القرآن (ص/٢٠٣). (٤) المرشد الوجيز (ص/٨٨).

(٥) في المطبوع: حذرة. والمثبت من (المرشد الوجيز) لأبي شامة.

(٦) قال السيوطي: «حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزني المرسي»، الإتيقان (١/١٦٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/٤٥-٤٦).

نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر؛ فأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه أي على طريقته في اللغة، إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد، وتدربت الألسن وتمكن الناس من الاختصار على الطريقة الواحدة، فعارض جبريل النبي ﷺ القرآن مرتين في السنة الآخرة واستقر على ما هو عليه الآن فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاختصار على هذه القراءة التي تلقاها الناس، ويشهد لهذا الحديث الآتي من مراعاة التخفيف على العجوز والشيخ الكبير، ومن التصريح في بعضها بأن ذلك مثل: هلم وتعال.

[القول في القراءات السبع]

والقائلون بأنها كانت سبعا اختلفوا على أقوال^(١):

أحدها: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، لأن العرب تسمى الكلمة المنظومة حرفا وتسمى القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة والحرف أيضا المعنى والجهة، قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي.

والثاني: - وهو أضعفها - أن المراد سبع قراءات، وحكى عن الخليل بن أحمد. والحرف هاهنا القراءة، وقد بين الطبري في كتاب (البيان)^(٢) وغيره أن اختلاف القراء إنما هو كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف.

وحكى ابن عبد البر^(٣) عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة.

منها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ، و ﴿أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ و ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ .

ومنها: ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا يتغير صورته كقوله: ﴿رَبِّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ، و ﴿رَبِّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩] .

ومنها: ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا يتغير صورته كقوله: ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾ ، و ﴿نُنشِرُهَا﴾ .

ومنها: ما يتغير صورته ولا يتغير معناه: ﴿كَأَلَمَهِنَّ الْمَنْفُوشِ﴾ ، و ﴿الصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ﴾ ومنها ما يتغير صورته ومعناه مثل ﴿وَطَلَّحَ مَنُضُورِ﴾ ، و ﴿طلع﴾ .

(١) انظر: «الانتصار للقرآن» (١/٣٦٧) . (٢) (١/٥٧-٥٨) .

(٣) التمهيد (٨/٢٩٥)، والاستذكار (٢/٤٨٣-٤٨٤) .

ومنها: بالتقديم والتأخير ك: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾، و«سكرة الحق بالموت» .
ومنها: الزيادة والنقصان مثل: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] ،
وصلاة العصر . وقراءة ابن مسعود: ﴿تَبَعٌ وَسَعُونَ نَجْمَةً﴾ [ص: ٢٣] أنثى . ﴿وَأَمَّا الْفُلُكُ فَكَانَ أَبْوَاهُ
مُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف: ٨٠] ، وكان كافرا . قال أبو عمرو: وهذا وجه حسن من وجوه معنى
الحديث^(١) . وقال بعض المتأخرين: هذا هو المختار قال: والأئمة على أن مصحف عثمان
أحد الحروف السبعة، والآخر مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: «وَالذِّكْرَ وَالْأُنْثَى» كما
ثبت في الصحيحين^(٢) ، ومثل قراءة ابن مسعود: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ
فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» . وقراءة عمر: «فامضوا إلى ذكر الله»، والكل حق والمصحف
المنقول بالتواتر مصحف عثمان، ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه المصاحف، وهو
بضعة عشر حرفا مثل «الله الغفور» و«إن الله هو الغفور» .

والثالث: سبعة أنواع، كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن، بخلاف غيره من أنحاءه،
فبعضها أمر ونهى ووعد ووعيد وقصص وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثال وغيره .
قال ابن عبد البر^(٣): وفي ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعا قال «كان الكتاب الأول
نزل من باب واحد على وجه واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجر وأمر
وحلال وحرام ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأجلُّوا حلاله وحرّموا حرامه واعتبروا بأمثاله،
وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [إل عمران: ٧]^(٤) قال: وهو حديث عند
أهل العلم لا يثبت وهو مجمع على ضعفه .
وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال^(٥): هذا التفسير منه ﷺ للأحرف السبعة،

(١) التمهيد (٨/ ٢٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦٠)، ومسلم (٨٢٤) . (٣) التمهيد (٨/ ٢٧٥) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٧٤٥)، والحاكم (٣١٤٤)، وابن جرير (٥٣/١)، وأبو عمرو الداني في «الأحرف
السبعة» (٦٧) مرفوعا .قال الحافظ: «وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي
سلمة وابن مسعود، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلأ، وقال: مرسل
جيد». الفتح (٢٩/٩)، وقلت: حسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٨٧) . وأخرجه أحمد في «مسنده»
(٤٢٥٢)، وفي «العلل» (٣٧٢٥)، وابن أبي داود في «المصاحف» (١٨)، وابن جرير (٥٣/١)، وابن
عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٢/٣٣) موقوفاً .قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه،
وبقية رجاله ثقات . «مجمع الزوائد» (٣١٧/٧) .

(٥) الانتصار (١/ ٣٦٧) .

ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١].

وقال ابن عبد البر^(١): قد رده من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران، قال: من أوّله بهذا فهو فاسد؛ لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما، لا ما سواه أو يكون حلالا لا ما سواه، لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله، أو أمثال كله، حكاه الطحاوي عنه أنه سمعه منه وقال: هو كما قاله.

وقال ابن عطية: هذا القول ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرفا، وأيضا فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

وقال الماوردي^(٢): هذا القول خطأ لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف، وإبدال حرف بحرف وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام.

وقال البيهقي في (المدخل): وقد روى هذا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، ثم قال هذا مرسل جيد وأبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود، ثم قال: فإن صح هذا فمعنى قوله: «سبعة أحرف» أي: سبعة أوجه، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول [ق/٢٨] القرآن على سبعة أحرف، ولكن المراد به اللغات التي أبيحت القراءة عليها وهذا المراد به الأنواع التي نزل القرآن عليها.

والرابع: أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا ما لم يسمع قط أي: نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش، [وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم وبعضه بلغة أزد وربيعة]^(٣) وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر وكذلك سائر اللغات، ومعانيها في هذا كله واحدة وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤) وأحمد بن يحيى ثعلب، وحكاه ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر.

وقال الأزهري في (التهذيب): إنه المختار، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف: وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر ما نزل بلسانهم.

وقال البيهقي في (شعب الإيمان)^(٥): إنه الصحيح أي: أن المراد اللغات السبع التي هي

(١) التهيد (٢٧٦/٨) بتصرف واختصار

(٢) قال السيوطي: واختاره ابن عطية، وصححه البيهقي في «الشعب».

(٣) سقط من م. (٤) انظر: «فضائل القرآن» (ص/١٨٤).

(٥) الشعب (٢٢٧١)، و«السنن الكبرى» (٤٠٩٤).

شائعة في القرآن، واحتج بقول ابن مسعود: سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين اقراءوا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما هو كقول أحدهم هلم، وتعال، وأقبل. قال: وكذلك قال ابن سيرين. قال: لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة في المصحف الذي هو الإمام، بإجماع الصحابة وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف وإن كانت جائزة في اللغة، وكأنه يشير إلى أن ذلك كان عند إنزاله ثم استقر الأمر على ما أجمعوا عليه في الإمامة.

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول، وقالوا: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال ابن قتيبة: ولا نعرف في القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه، وغلطه ابن الأنباري بحروف منها: ﴿وَعَبْدَ الظَّلْمُونَ﴾، وقوله: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبِ﴾ [يوسف: ١٢]، وقوله: ﴿بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩]، وقوله: ﴿بِعَذَابٍ يَبِينِ﴾، وغير ذلك. وقال ابن عبد البر^(١): قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأن ذلك من لغته التي طبع عليها وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي، وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته.

ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع، فأكثروا وقال بعضهم: أصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر، لأن النبي ﷺ استرضع فيهم ونشأ وترعرع وهو مغالط في اللسان كنانة، وهذيل، وثقيف وخزاعة وأسدًا، وضبة، وألفافها لقريش من مكة وتكرارهم عليها ثم من بعد هذه تميمًا، وقيسًا، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب.

قال قاسم بن ثابت: إن قلنا من الأحرف لقريش ومنها كنانة، ولأسد، وهذيل وتميم وضبة وألفافها وقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبع، تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر أنه نبيه بجزها عن معارضة ما أنزل عليه، ويثبت سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز، ونجد، وتامة فلم تفرقها الأمم.

وقيل: هذه اللغات السبع كلها في مضر واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلسان مضر. قالوا: وجائز أن يكون منها لقريش ومنها كنانة، ومنها لأسد ومنها لهذيل، ومنها لضبة، ولطابخة فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد.

(١) التمهيد (٨/ ٢٨١)، والاستذكار (٢/ ٤٨٢).

قال أبو عمر بن عبد البر: ^(١) وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن، لأن فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس، وعننة تميم فكشكشة قيس، يجعلون كاف المؤنث شيئاً فيقولون في: ﴿جَمَلٌ رَبِّيكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا﴾ [مریم: ٢٤] «ربش تحنش»، وعننة تميم، ويقولون في أن عن فيقروا: ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] «فمسي الله عن يأتي بالفتح» وبعضهم يبدل السين تاء فيقول في الناس الناء، وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها، وما نقل عن عثمان معارض بما سبق أنه نزل بلغة قريش، وهذا أثبت عنه لأنه من رواية ثقات أهل المدينة.

وقد يشكل هذا القول على بعض الناس، فيقول: هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات، فيقال له: إنما يلزم هذا إن قلنا: إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ونحن قلنا كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمر سبعة.

وقال الكلبي: خمسة منها لهوازن وثنان لسائر الناس.

والخامس: المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة نحو أقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع وأنظر وأخر، وأمهل، ونحوه وكاللغات التي في أف ونحو ذلك.

قال ابن عبد البر ^(٢): وعلى هذا القول أكثر أهل العلم وأنكروا على من قال إنها لغات، لأن العرب لا تتركب لغة بعضها بعضاً ومحال أن يقرئ النبي ﷺ أحداً بغير لغته وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرُؤًا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] «سعوا فيه»، قال: فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث منهم سفيان بن عيينة وابن وهب، ومحمد بن جرير الطبري والطحاوي وغيرهم، وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد.

وقال الزهري ^(٣): إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد، وليست تختلف في حلال ولا حرام.

واحتج ابن عبد البر ^(٤) بحديث [سليمان] ^(٥) بن سرد، عن أبي بن كعب، قال: قرأ أبي آية وقرأ ابن مسعود آية خلافها، وقرأ رجل آخر خلافهما، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألم تقرأ آية كذا؟ [قال: بلى] ^(٦) وقال ابن مسعود ألم تقرأ آية كذا؟ [قال: بلى] ^(٧)، فقال: «كلكم محسن مجمل» وقال «يا أباي إنني أقرئت القرآن فقلت: على حرف أو حرفين؟ فقال لي الملك: على

(١) التمهيد (٢٧٧/٨)، والاستذكار (٤٨١/٢). (٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (٨١٩). (٤) التمهيد (٢٨٢/٨).

(٥) في المطبوع: سلمان. والمثبت هو الصواب.

(٦) سقط من المطبوع. (٧) سقط من المطبوع.

حرفين فقلت: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال: على ثلاثة هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ليس فيها إلا شاف كاف قلت: غفوراً رحيماً أو قلت: سميعاً حكيماً أو قلت: عليماً حكيماً أو قلت: عزيزاً حكيماً أي ذلك قلت فإنه كذلك»^(١).

قال أبو عمر^(٢): إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى، وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً يتفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده.

وكذلك حديث أبي بكر قال: ^(٣) جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: اقرأ على حرف فقال ميكائيل: استزده فقال: على حرفين، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ إلى سبعة أحرف فقال: اقرأه فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، وآية عذاب بآية رحمة، [على]^(٤) نحو هلم وتعال، وأقبل، واذهب، وأسرع وعجل. وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب، أنه كان يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَظْهُرًا﴾ [الحديد: ١٣] أمهلونا، أخرونا، ارقبونا و﴿كَلَّمَآ أَصْحَابَهُمْ مَّشَؤًا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] مروا فيه سعوا فيه.

قال أبو عمر^(٥): إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم، هو فيها حرف واحد وعلى هذا أهل العلم.

قال: وذكر ابن وهب^(٦) في كتاب الترغيب من جامعه قال: قيل لمالك أتري أن تقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب «فامضوا إلى ذكر الله» قال: جئت قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه» ومثل: يعلمون، وتعلمون، قال مالك: لا أرى باختلافهم [في هذا]^(٧) بأساً وقد كان الناس ولهم مصاحف.

قال ابن وهب: سألت مالكا عن مصحف عثمان؟ فقال لي: ذهب وأخبرني مالك قال: اقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُوفِ ﴿٣٤﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] فجعل الرجل يقول: «طعام اليتيم» فقال: «طعام الفاجر»^(٨) فقلت لمالك: أتري أن يقرأ بذلك قال: نعم أرى أن ذلك واسعاً.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٤٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٨٠٢)، و«الصغرى» (١٠٥٣) بسند صحيح.

(٢) التمهيد (٢٨٣/٨). (٣) أخرجه أحمد (٢٠٤٤١).

(٤) زيادة من م. (٥) التمهيد (٢٩١/٨).

(٦) التمهيد (٢٩٢/٨). (٧) زيادة من م.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٩٨٦)، والحاكم (٣٦٨٤)، وابن جرير (١٣١/٢٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/١٨٣)، وابن حزم في «الإحكام» (٥٥٩/٤). قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

قال [ق/ ٢٩] أبو عمر: معناه عندي: [أن يقرأ]^(١) به في غير الصلاة وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة لأن ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه، وإنما يجزى مجزى خبر الآحاد، لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده.

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف، لم يصل وراءه^(٢).

قال: وعلماء مكين مجتمعون على ذلك، إلا شذوذاً لا يعرج عليه منهم إلا عثمان، وهذا كله يدل على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد بن ثابت، الذي جمع عثمان عليه المصاحف.

السادس: أن ذلك راجع إلى بعض الآيات، مثل قوله: ﴿أَفِي لَكُرٍّ﴾ فهذا على سبعة أوجه بالنصب، والجر والرفع وكل وجه التنوين وغيره وسابعها الجزم، ومثل قوله: ﴿تَشَقَّطَ عَلَيْكَ﴾ ونحوه، ويحتمل في القرآن تسعة أوجه، ولا يوجد ذلك في عامة الآيات.

قال ابن عبد البر:^(٣) وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه، وكلماته، وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف، ولا شيء منها ولا يمكن ذلك فيها، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل مثل: ﴿وَعَبْدَ الطَّغَوْتِ﴾ و﴿تَشَبَّهَ عَلِيًّا﴾ و﴿يُعَذِّبُ بَيْسِينَ﴾ ونحوه وذلك ليس هذا.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة:^(٤) وهذا المجموع في المصحف، هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها، أو حرف واحد منها؟ ميل القاضي أبي بكر إلى أنه جميعها، وصرح [أبو جعفر]^(٥) الطبري والأكثر من بعده، بأنه حرف منها ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضى الله عنه.

والسابع: اختاره القاضي أبو بكر^(٦) وقال: الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ، وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف. وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة، وألفاظها أخرى، وليست متضادة ولا منافية.

(٢) التمهيد (٢٩٢/٨).

(٤) المرشد الوجيز (ص/ ١٣٨).

(٦) الانتصار (١/ ٣٧٥).

(١) في م: أنه تقرأ.

(٣) التمهيد (٢٧٣/٨-٢٧٤).

(٥) في م: أبو بكر. تحريف.

والثامن: قول الطحاوي أن ذلك كان في وقت خاص لضرورة دعت إليه، لأن كل ذي لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته ثم لما كثر الناس والكتاب، ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم الأحرف السبعة، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد.

والناسع: أن المراد [أن] ^(١) علم القرآن يشتمل على سبعة أشياء: علم الإنبات والإيجاد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وعلم التوحيد، كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ﴿وَاللَّهُ يَكْفُرُ بِالْإِلَهِاتِ وَيَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

وعلم التنزيه كقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وعلم صفات الذات كقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ ﴿الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ﴾.

وعلم صفات الفعل كقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ و﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾.

وعلم العفو، والعذاب كقوله ﴿وَمَنْ يَفِرُّ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ال عمران: ١٣٥] ﴿تَتَقَى عِبَادِي﴾ ﴿أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وعلم الحشر، والحساب، كقوله ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ﴾ [غافر: ٥٩] ﴿أَفَرَأَى كَيْفَ يَتَفَسِّكُ﴾ ﴿يَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]

وعلم النبوات كقوله ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَرْسُلَانِ قَوْمَهُ﴾ [إبراهيم: ٤]

والإمامات كقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

والعاشر: أن المراد [به] ^(٢) سبعة أشياء، المطلق والمقيد والخاص، والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ، والمجمل، والمفسر والاستثناء وأقسامه، حكاه أبو المعالي بسند له عن أئمة الفقهاء.

والحادي عشر: حكاه عن أهل اللغة، أن المراد الحذف والصلة والتقديم، والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار والكنائية، والحقيقة، والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.

والثاني عشر: وحكاه عن النحاة أنها التذكير، والتأنيث والشرط، والجزاء والتصريف،

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

والإغراب، والأقسام، وجوابها والجمع، والتفريق، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى، وما لا يختلف في الأداء واللفظ جميعاً.

والثالث عشر: حكاة عن القراء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها: من إظهار، وإدغام، وتفخيم، وترقيق، وإمالة وإشباع، ومد، وقصر، وتخفيف، وتلين، وتشديد.

والرابع عشر: وحكاة عن الصوفية أنه [يشتمل]^(١) على سبعة أنواع من المبادلات، والمعاملات وهي الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة.

وقال ابن حبان: قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات، والسر في إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [النجم: ١٧] فلو كان تعالى أنزله على حرف واحد، لانعكس المقصود قال: وهذه السبعة التي نتداولها اليوم غير تلك، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة، كانت مشهورة، وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن، رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ولم يثبت من وجه صحيح تعين كل حرف من هذه الأحرف، ولم يكلفنا الله ذلك غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة.

وقال بعض المتأخرين: الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم من الإظهار والإدغام، والإمالة والتفخيم، والإشمام، والهمز، والتلين، والمد، وغير ذلك من وجوه اللغات [على]^(٢) سبعة أوجه، منها [ما]^(٣) في الكلمة الواحدة فإن الحرف هو الطرف والوجه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِدُ اللَّهُ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على وجه واحد وهو أن يعبد في السراء دون الضراء، وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة فإنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء فإن كل واحد اختار فيما روى، وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى، ولزم طريقة منها، ورواها وقرأ بها واشتهرت عنه ونسبت إليه فليل: حرف نافع وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر، ولا أنكروه بل سوغه وحسنه وكل واحد من هؤلاء السبعة، روى عنه اختياران وأكثر وكل صحيح.

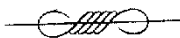
(٢) في المطبوع: إلى.

(١) في المطبوع: يشمل.

(٣) زيادة من م.

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار، على الاعتماد على ما صح عنهم، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة، إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها من الإمامة، والهمز والتلين والمد، وغيره لشق عليهم.

ويشهد لذلك ما رواه الترمذي، عن أبي بن كعب أنه لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «يا جبريل إنى بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»^(١) وقال حسن صحيح.



(١) أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، وأحمد (٢١٢٤٢)، وابن جرير (٣٥/١)، والضياء في «المختارة» (١١٦٩)، وابن طهمان في «مشيخته» (١٢٥).

النوع الثاني عشر

في كيفية إنزاله

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ [القدر: ١]

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.

والقول الثاني: أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل: في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة في كل ليلة، ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجمًا في جميع السنة على [سيدنا]^(١) رسول الله ﷺ.

والقول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

والقول الأول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون [ويؤيده]^(٢) ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة^(٣) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج النسائي في تفسير من جهة حسان، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ^(٤). وإسناده صحيح وحسان هو ابن أبي الأشرس، وثقه النسائي وغيره.

(١) زيادة من م.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٦٨٩)، والحاكم (٢٨٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٨٢)، وابن جرير (١٤٥/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٨٦٠٦)، و«الشعب» (٣٦٥٩)، وابن منده في «الإيمان» (٧٠٤) من طرق عن ابن عباس وهو حديث صحيح كما قال الحاكم.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٩٩١)، و«فضائل القرآن» (١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٨١)، والحاكم (٢٨٨١) و(٤٢١٦)، والضياء في «المختارة» (١٥١) و(١٥٣) و(١٥٤).

وبالثاني قال مقاتل، والإمام أبو عبد الله الحلبي في المنهاج والماوردي في تفسيره .

وبالثالث قال الشعبي وغيره .

واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل، واختلفوا في معنى الإنزال، فقيل: معناه إظهار القرآن، وقيل: إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو عال من المكان، وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان .

والتنزيل له طريقان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة، وأخذه من جبريل والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه والأول أصعب الحالين .

ونقل بعضهم عن السمرقندي، حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي ﷺ ما هو .

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ، ونزل به وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله عز وجل وهذا معنى قول الغزالي: إن هذه الأحرف سترة لمعانيه .

والثاني: أنه إنما نزل جبريل على النبي ﷺ بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني، وعبر عنها بلغة العرب وإنما تمسكوا بقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]

والثالث: أن جبريل ﷺ، إنما ألقى عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك .

فإن قيل: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء؟ قيل: فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلان سكان السموات السبع، أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ولقد صرفناه إليهم لينزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجماً بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة .

فإن قيل: في أي زمان نزل جملة إلى سماء الدنيا بعد ظهور نبوة محمد ﷺ أم قبلها؟ قلت: قال الشيخ أبو شامة^(١): الظاهر أنه قبلها، وكلاهما محتمل، فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ما ذكرناه وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر .

فإن قلت: فقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] من جملة القرآن الذي نزل جملة

(١) المرشد الوجيز (ص/ ٢٥)، ورجحه السيوطي في «الإتقان» (١/ ١٤٥) ط. الحديث .

أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة؟ قلت: ذكر فيه وجهين أحدهما: أن يكون معنى الكلام ما حكمنا بإنزاله في القدر وقضائه وقدرناه في الأزل ونحو ذلك، والثاني: أن لفظه لفظ الماضي، ومعناه الاستقبال، أي: ينزل جملة في ليلة مباركة هي ليلة القدر، واختير لفظ الماضي إما لتحقيقه وكونه لا بد منه، وإما لأنه حال اتصاله بالمنزل عليه يكون الماضي في معناه محققاً، لأن نزوله منجماً كان بعد نزوله جملة.

فإن قلت: ما السر في نزوله إلى الأرض منجماً؟ وهلاً نزل جملة كسائر الكتب؟ قلت: هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه فقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل. فأجابهم الله بقوله ﴿كذلك﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقاً ﴿لِنُنشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] أي لتقوى به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام.

وقيل معنى: ﴿لِنُنشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [لنحفظه]^(١)، فإنه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه [لييسر]^(٢) عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة.

فإن قلت: كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي ﷺ دفعة.

قلت: ليس كل ممكن لازم الوقوع، وأيضاً في القرآن أجوبة عن أسئلة فهو سبب من أسباب تفرق النزول، ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً. وقال ابن فورك: قيل أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب، وهو موسى وأنزل القرآن مفرقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي، وقيل: مما لم ينزل لأجله جملة واحدة أن منه الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور، ومنه ما هو إنكار لما كان انتهى.

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد النبوة، فقيل: عشر وقيل [ثلاث]^(٣) عشرة

(٢) في م: ليثبت.

(١) في المطبوع: لنحفظه.

(٣) في المطبوع: ثلاث.

وقيل: خمس عشرة ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر وكان كلما أنزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابه ويقول في مفترقات الآيات: ضعوا هذه في سورة كذا^(١) وكان يعرضه [على]^(٢) جبريل في شهر رمضان كل عام مرة وعام مات مرتين.

وفي صحيح البخارى قال مسروق، عن عائشة، عن فاطمة رضى الله عنهما أسر النبى ﷺ إلى: «أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضور أجلى»^(٣).

وأسنده البخارى في مواضع، وقد كرر النبى ﷺ الاعتكاف، فاعتكف عشرين بعد أن كان يعتكف عشراً.



(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٠٧)، و«فضائل القرآن» (٣٢)، وأحمد (٣٣٩) و(٤٩٩)، والحاكم (٣٢٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٢٠٥). قال الشيخ أحمد شاكر: «في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له». وضعفه الشيخ الألباني - رحم الله الجميع -.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) أخرجه البخارى (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٤٥٠).

النوع الثامن عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضى الله عنهم

جمع القرآن على عهد أبي بكر

روى البخارى في صحيحه^(١)، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر [بن الخطاب]^(٢) عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف فعل [ق/٣١] شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: والله إن هذا خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، وقد رأيت في ذلك الذى رأى عمر قال زيد: وقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا أتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه قال زيد: فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فتتبع القرآن أجمعه من العسب [والرقائع]^(٣) والخفاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر التوبة: ﴿لقد جاءكم﴾ مع [خزيمة]^(٤) الأنصارى [الذى جعل النبى ﷺ شهادته بشهادة رجلين]^(٥) لم أجدها مع أحد غيره، فألحقها في سورتها فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى قبض، ثم عند حفصة بنت عمر.

وفي رواية: قال ابن شهاب^(٦) وأخبرنى خارجة بن زيد، سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من الأحزاب حين نسختها المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى ﴿مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ فِرَّانًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها وخزيمة الأنصارى [هو الذى جعل رسول الله ﷺ]^(٧) شهادته بشهادتين.

(٢) زادها (ف) من صحيح البخاري.

(٤) في المطبوع: أبى خزيمة.

(٦) أخرجه البخاري (٣٨٢٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٢).

(٣) سقط من المطبوع.

(٥) سقط من م.

(٧) سقط من المطبوع.

وقول زيد: لم أجد لها إلا مع خزيمة ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد، لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ وكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها، فلما سمع ذكره وتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم وسيأتي أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول الله ﷺ أربعة والمراد أن هؤلاء كانوا اشتهروا به، فقد ثبت أن غيرهم حفظه وثبت أن القرآن مجموعته محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي ﷺ مؤلفا على هذا التأليف إلا سورة براءة.

قال ابن عباس: قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم [إلى الأنفال] ^(١) وهى من المثانى، وإلى براءة وهى من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وتنزل عليه السور وكان إذا نزل عليه شىء دعا بعض من كان يكتبه فقال: ضعوا هذه الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل من المدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتبت ^(٢) فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين.

نسخ القرآن في المصاحف

واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف، وليس كذلك لما بيناه بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف هكذا [رواه] ^(٣) البيهقي ^(٤).

قال: وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي ﷺ وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر، والنسخ في المصاحف في زمن عثمان وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم بما كان مثبثا في صدور الرجال، وذلك كله بمشورة من حضره من [جماعة من علماء] ^(٥) الصحابة وارتضاه على بن أبى طالب وحمد أثره فيه.

(٢) تقدم، وهو صحيح.

(٤) الشعب (١/١٩٧).

(١) سقط من م.

(٣) في المطبوع: نقله.

(٥) سقط من المطبوع.

وذكر غيره أن الذي استبد به عثمان جمع الناس على قراءة محصورة، والمنع من غير ذلك قال القاضي أبو بكر في «الانتصار»^(١) لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، [ومفروضة]^(٢) قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد انتهى.

وقد روى البخاري في صحيحه^(٣)، عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال [حذيفة]^(٤) لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [في الكتاب]^(٥) اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسل إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

وفي [هذا]^(٦) إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص، والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقاً في العصب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أحرأوا، وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم على ذلك وأن هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أن سعى الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على [هذا]^(٧) الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله ﷺ مدة حياته عند الحاجة كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

(١) (٦٥/١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٢).

(٤) زادها (ف) من صحيح البخاري.

(٦) في المطبوع: هذه.

(٥) زادها (ف) من صحيح البخاري.

(٧) سقط من م.

فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة، ورحمة من الله على عباده وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وزال بذلك الاختلاف واتفقت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي^(١): كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة كانوا يقرءون القراءة العامة، وهى القراءة التى قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين فى العام الذى قبض فيه وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق فى جمعه وولاه عثمان كتبة المصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس فى المسائل الخمس: جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذى تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور فهو توقيفى تولاه النبى ﷺ .

وقال الحاكم فى المستدرک وقد روى حديث عبد الرحمن بن [شماسة]^(٢)، عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف [ق/٣٢] القرآن من الرقاع الحديث^(٣) .

قال: وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة فقد جمع بعضه بحضور النبى ﷺ، ثم جمع بحضور الصديق؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان فى خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى فى كتاب «فهم السنن»: كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعُسب؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان [مجتمعا]^(٤)، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم كانوا يُؤدّون

(١) عزاه المتقى الهندي لابن الأنباري فى «المصاحف» «كنز العمال» (٤٨٠٢).

(٢) فى المطبوع وم: شماس .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٩٥٤)، وأحمد (٢١٦٤٧)، وابن حبان (١١٤)، وابن أبى شيبة (٢١٨/٤)،

والطبرانى فى «الكبير» (٤٩٣٣)، والبيهقى فى «الشعب» (١٧١)، والحاكم (٢٠٩١) و(٤٢١٧).

قال الترمذى: حسن غريب .

(٤) سقط من المطبوع .

عن تأليف مُعْجَز ونظم معروف، وقد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة، فكان تزويد ما ليس منه مأموناً؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيفته^(١).

فإن قيل: كيف لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك؟ قيل: لأن الله تعالى كان قد أمّته من النسيان بقوله: ﴿سَتُفْرِكُ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧] أن يرفع حكمه بالنسخ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن، فأحدث بضبطه ما لم يُحْتَج إليه قبل ذلك.

وفي قول زيد بن ثابت: «فجمعتهم من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال» ما أوهم بعض الناس أن أحداً لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ؛ وأن مَنْ قال: إنه جمع القرآن أبي بن كعب وزيد ليس بمحفوظ. وليس الأمر على ما أوهم؛ وإنما طُلب القرآن متفرقاً ليعارض بالمجتمع عند مَنْ بقى تَمَن جمع القرآن ليشترك الجميع في علم ما جمع فلا يغيب عن جمع القرآن عنده منه شيء ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف، ولا [يشكوا]^(٢) في أنه جمع عن ملأ منهم.

فأما قوله وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت، ولم أجدها مع غيره، يعنى ممن كانوا في طبقة خزيمة ممن لم يجمع القرآن.

وأما أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل، فبغير شك جمعوا القرآن والدلائل عليه متظاهرة.

قال: ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن في كتاب إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن، قال: ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التي كتب منها القرآن، كانت عند الصديق لتكون إماماً، ولم تفارق الصديق في حياته ولا عمر أيامه، ثم كانت عند حفصة لا تمكن منها و[لما]^(٣) احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة وقع الاختيار عليها في أيام عثمان فأخذ ذلك الإمام، ونسخ في المصاحف التي بعث بها إلى الكوفة، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون من قراءتهم المختلفة حتى خيف الفساد فجمعوا على القراءة التي نحن عليه.

قال: والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه، وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهدته من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن.

(٢) في المطبوع: يشكو.

(١) في المطبوع: صحيحه.

(٣) في م: ثم.

فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق روى عن علي أنه قال رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين^(١).

ولم يحتاج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى جمعه على وجه ما جمعه عثمان لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان، ولقد وفق لأمر عظيم ورفع الاختلاف وجمع الكلمة وأراح الأمة.

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرق المصاحف فإنه جهل منهم وعمى، فإن هذا من فضائل وعلمه فإنه أصلح ولم الشعث وكان ذلك واجبا عليه، ولو تركه لعصى لما فيه من التضييع وحاشاه من ذلك.

وقولهم إنه سبق إلى ذلك ممنوع لما بيناه أنه كتب في زمن النبي ﷺ في الرقاع والأكتاف، وأنه في زمن الصديق جمعه في حرف واحد.

قال: وأما قولهم: إنه أحرق المصاحف فإنه غير ثابت ولو ثبت لوجب حمله على أنه أحرق مصاحف قد أودعت ما لا يحل قراءته.

وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا [طاعن]^(٢) في التنزيل، ولم يحرق إلا ما يجب إحراقه ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك، بل رضوه وعدوه من مناقبه حتى قال علي: لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل، انتهى ملخصا.

فائدة

في عدد مصاحف عثمان

قال أبو عمرو الداني في «المقنع»^(٣) أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب [المصاحف]^(٤)، جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية واحدا الكوفة والبصرة والشام، وترك واحدا عنده، وقد قيل إنه جعله سبع نسخ، وزاد إلى مكة، وإلى اليمن وإلى البحرين، قال: والأول أصح وعليه الأئمة.

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢٨٠)، وابن أبي شيبة (١٤٨/٦) و(٢٤٨)، وخيشمة في «جزء من حديث خيشمة» (ص/١٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧٩/٣٠) من حديث عبد خير عن علي.

(٢) في المطبوع: طاع.

(٣) (ص/٩) بتصرف واختصار.

(٤) في المقنع: المصحف.

فصل في بيان من جمع القرآن حفظاً من الصحابة على عهد رسول الله ﷺ

حفظه في حياته جماعة من الصحابة، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حد التواتر، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذي، والمستدرک وغيرهما من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»^(١). قال الترمذي: هذا حديث [حسن]^(٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وفي البخاري^(٣): عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد. [وفي رواية^(٤)]: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد^(٥) قال الحافظ البيهقي في كتاب (المدخل) الرواية الأولى أصح، ثم أسند عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد، [وأبو زيد]^(٦)، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبو الدرداء، وعثمان وقيل عثمان، وتميم الداري.

وعن الشعبي، جمعه ستة: أبي زيد ومعاذ وأبو الدرداء وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة، قال: ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٧): وقد أشيع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب (الانتصار) الكلام في حملة القرآن في حياة النبي ﷺ، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة، وأن العادة تحمّل خلاف ذلك ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة، وذلك في أول خلافة أبي بكر وما في الصحيحين قتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة كانوا يسمون القراء ثم أول القاضي الأحاديث السابقة بوجوه

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩٩)، ومسلم (٢٤٦٥).

(٣) البخاري (٤٧١٨).

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٦) سقط من م.

(٧) المرشد الوجيز (ص/٣٨/٣٩).

منها: اضطرابها، وبين وجه الاضطراب في العدد وإن خرجت في الصحيحين، مع أنه ليس منه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، ومنها: بتقرير سلامتها فالمعنى: لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل به إلا أولئك النفر، ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة، ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله ﷺ وأخذه من فيه تلقيا غير تلك الجماعة، وغير ذلك.

قال الماوردي: وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة والصحابة [ق/ ٣٣] متفرقون في البلاد وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه [مثنون] ^(١) لا يحصون. قال الشيخ: وقد سمي الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة في أول كتاب القراءات له، فسمى عددا كثيرا.

قلت: وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي في كتاب (معرفة القراء) ^(٢) ما يبين ذلك، وأن هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي ﷺ، واتصلت بنا أسانيدهم وأما من جمعه منهم، ولم يتصل بنا فكثير فقال: ذُكِرَ الذين عرضوا على النبي ﷺ القرآن وهم سبعة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب - وقال الشعبي ^(٣): لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان، ثم ردّ على الشعبي قوله: بأن عاصمًا قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ - وأبي بن كعب - وهو أقرأ من أبي بكر وقد قال: يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله وهو مشكل - وعبد الله بن مسعود، وأبي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء.

قال ^(٤): وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة، كعاذ بن جبل وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن [عمرو] ^(٥)، وعقبة بن عامر، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم [فلهذا اقتصرنا على هؤلاء السبعة] ^(٦)، قال: وقرأ على أبي جماعة من الصحابة؛ منهم أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب.



(٢) (١٠٢-١٢٦).

(٤) معرفة القراء (١/١٢٥-١٢٦).

(١) في م: أميون.

(٣) معرفة القراء (١/١٠٧).

(٥) في المطبوع وم: عمر. والمثبت من «معرفة القراء».

(٦) سقط من المطبوع.

النوع الرابع عشر

معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها

تقسيم القرآن بحسب سوره

قال العلماء رضي الله عنهم: القرآن العزيز أربعة أقسام: الطول، والمثون والمثاني والمفصل. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع، أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة، عن أبي المليح عن وائلة بن الأسقع، عن النبي ﷺ قال «أعطيت السبع الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل»، وهو حديث غريب، وسعيد بن بشير فيه لين وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، عن عمران، عن قتادة به.

فالسبع الطول أولها البقرة، وآخرها براءة لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة ولذلك لم يفصلوا بينهما لأنهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله ﷺ وسميت طولا لطولها، وحكى عن سعيد بن جبير أنه عد السبع الطول: البقرة، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف ويونس.

والطول، بضم: الطاء جمع طولى، كالكبر جمع كُبْرَى قال أبو حيان التوحيدي: وكسر الطاء مرذول.

والمثون: ما ولى السبع الطول، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. والمثاني: ما ولى المئين وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، ومنه قوله تعالى: ﴿كُنُوزًا مُّثَنِّيَةً﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]. وإنما سمي القرآن كله مثاني لأن الأنبياء والقصاص تُثْنَى فيه. ويقال: إن المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] هي آيات سورة الحمد، سماها مثاني لأنها ثنتي في كل ركعة.

والمفصل: ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور بيسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقللة المنسوخ فيه. وآخره ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾ [الناس: ١]، وفي أوله اثنا عشر قولاً:

أحدها: الجاثية. ثانيها: القتال، وعزاه الماوردي للأكثرين.

ثالثها: الحجرات.

رابعها: ق، قيل: وهي أوله في مصحف عثمان رضي الله عنه، وفيه حديث ذكره الخطابي في غريبه^(١)، يرويه عيسى بن يونس قال: حدثنا [عبد الله بن] (٢) عبد الرحمن يعلى الطائفي، قال: حدثني [عثمان] (٣) بن عبد الله بن أوس بن حذيفة، عن جده أنه وفد على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فسمع من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يجزب القرآن، قال: وحزب المفصل من ق وقيل: إن أحمد رواه في المسند^(٤). وقال الماوردي في تفسيره: حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة، للحديث المذكور.

الخامس: الصافات.

السادس: الصف.

السابع: تبارك. حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصيف اليمنى في نكت التنبيه.

الثامن: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ حكاه الدذماري في شرح التنبيه المسمى رفع التمويه.

التاسع: ﴿الْكَزْبُ﴾ حكاه ابن السيد في أماليه على الموطأ وقال: إنه كذلك في مصحف ابن مسعود قلت: رواه أحمد في مسنده كذلك.

العاشر: ﴿هَذَا أَقْرَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

الحادي عشر: ﴿سَجَّ﴾ حكاه ابن [الفركاخ] (٥) في تعليقه عن المرزوقي.

الثاني عشر: ﴿وَالضُّحَى﴾، وعزاه الماوردي لابن عباس، حكاه الخطابي في غريبه^(٦)، ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير، قال: وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة.

والصحيح عند أهل الأثر: أن أوله «ق» قال أبو داود في سننه، في باب تحزيب القرآن^(٧): حدثنا مسدد حدثنا جرار بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج،

(١) (٤٥٢/٢).

(٢) في المطبوع: عمر.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٤٢)، وابن أبي شيبه (٢/٢٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٩)، والخطيب في «موضح أوامم الجمع والتفريق» (١/٣٧٦-٣٧٧).

(٤) في م: الفرج. تصحيف.

(٥) أخرجه أبو داود (١٣٩٣)، وأحمد (١٦٢١١)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٧٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٧٨)، حسنه العراقي في «المغني» (٢).

قلت: ضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله - في «ضعيف أبي داود» (٢٩٧).

حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده أوس، قال عبد الله بن سعيد في حديث أوس بن حذيفة قال: قدمنا على رسول الله ﷺ: [في] ^(١) وقد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائما على [راحلته] ^(٢) ثم يقول: «لا سواء، كنا مستضعفين مستذلين قال مسدد: بمكة فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم [ويدالون] ^(٣) علينا، [فلما] ^(٤) كانت ليلة، أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلت: لقد أبطأت علينا الليلة، قال: إنه طرأ على حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أمه». .

قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ، كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. رواه ابن ماجه ^(٥) عن أبي بكر بن شيبه عن أبي خالد الأحمر به. ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي به.

وحيثئذ فإذا عدت ثمانيا وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة «ق».

بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء وخمس: المائدة والأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة. وسبع: يونس، وهود ويوسف، والرعد وإبراهيم، والحجر والنحل. وتسع سبحان، والكهف، ومريم، وطه والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم ولقمان، وآم السجدة، والأحزاب وسبأ وفاطر ويس، وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحَم، السجدة، وحَم عسق، والزخرف، والدخان، والجنائية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات ^(٦)، ثم بعد ذلك حزب المفصل وأوله سورة «ق» وأما آل حاميم فإنه يقال: إن حم اسم من أسماء الله تعالى، أضيفت هذه السورة إليه، كما قيل: سور الله لفضلها وشرفها، وكما قيل: بيت الله قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقى ومعرب
وقد يجعل اسما للسورة ويدخل الإعراب عليها ويصرف، ومن قال هذا قال في الجمع

(١) زادها (ف) من سنن ابن ماجه.

(٢) في م: وكذا يكون.

(٣) في م: وكذا يكون.

(٤) في م: و.

(٥) سنن ابن ماجه (١٣٤٥).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/١).

الحواميم، كما يقال طس والطواسين، وكره بعض السلف: منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم، وإنما يقال آل حم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: آل حمّ ديباج القرآن^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن حم أو قال: الحواميم^(٢).

وقال [ق/ ٣٤] مسعر بن كدام: كان يقال لهن العرائس، ذكر ذلك كله أبو عبيد في فضائل القرآن^(٣).

وقال حميد بن زنجويه: ثنا [عبيد]^(٤) الله إسرائيل عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن [عبد الله]^(٥) قال: إن مثل القرآن كمثّل رجل انطلق يرتاد [لأهله]^(٦) منزلا، فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب [منه]^(٧) وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات مثل «حم» في القرآن. أورده البغوي^(٨).

فصل

في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ: عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وقال: بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة فجمعهم واختار منهم الحسن البصري، وأبا العالية ونصر بن عاصم وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم وقال: عدوا حروف القرآن فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة^(٩)، وأجمعوا على أن [عدد]^(١٠)

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٠٣١)، وابن أبي شيبة (١٥٣/٦)، والحاكم (٣٦٣٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/ ١٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٧١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/ ١٣٧)، والبغوي في «تفسيره» (ص/ ١٣٤)، والرافعي في «التدوين» (٦٦/٢) بسند ضعيف.

(٣) فضائل القرآن (ص/ ١٣٧).

(٤) في المطبوع: عبد.

(٥) في المطبوع: أبي عبد الله.

(٦) زيادة من «تفسير البغوي».

(٧) زيادة من «تفسير البغوي».

(٨) تفسير البغوي (ص/ ١٣٤).

(٩) انظر: «فنون الأفتان» (ص/ ٢٤٥-٢٤٦).

(١٠) سقط من م.

حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً^(١). انتهى.

وقال غيره: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: مائتان وتسع عشرة آية، وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية، وقيل: مائتان وست وثلاثون. حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب (البيان).

وأما كلماته فقال^(٢) [الفضل]^(٣) بن شاذان: عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة.

وأما حروفه^(٤): فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد، ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف [وخمسة عشر حرفاً]^(٥)، وقال سلام أبو محمد الحماني: إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال: فحسبناه فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً، قال: فأخبروني عن نصفه؟ فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف: ﴿وَيَتَنَطَّفُ﴾، وثلاثة الأول: عند رأس مائة من براءة، والثاني: على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثالث: إلى آخره وسبعة الأول إلى الدال، في قوله: ﴿فَيَنْتَهُم مِّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنَهُمْ مَّنْ صَدَّقَهُ﴾ [النساء: ٥٥]، والسبع الثاني: إلى التاء من قوله في الأعراف: ﴿حِطَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾، والثالث: إلى الألف الثانية من قوله في الرعد: ﴿أَكْثَمَهَا﴾، والرابع: إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جَعَلْنَا مَسْجِدًا﴾، والخامس: إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والسادس: إلى الواو من قوله في الفتح: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَ السَّوَةَ﴾ [الفتح: ٦]، والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام: علمنا ذلك في أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام والثاني إلى ﴿وَيَتَنَطَّفُ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر المؤمن، والرابع إلى آخر القرآن، وحكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتاب (البيان) خلافاً في هذا كله.

(١) انظر: «فنون الأفتان» (ص/٢٤٦-٢٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص/٢٤٥-٢٤٦).

(٣) في المطبوع: الفضيل. والمثبت هو الصواب، وهو الفضل بن شاذان بن عيسى المقرئ، أبو العباس.

(٤) فنون الأفتان (ص/٢٤٦-٢٤٩).

(٥) سقط من المطبوع.

وأما التحزيب والتجزئة: فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وقد أخرج أحمد في مسنده وأبو داود، وابن ماجه، عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل من «ق» حتى يختم^(١).

أسند الزبير في كتاب الطبقات عن المبرد، أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي. وذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف نُقِطَ له يحيى بن يعمر، وذكر أبو الفرج: أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا [الأسود]^(٢) أن ينقط المصاحف، وذكر الجاحظ في كتاب (الأمصار) أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف، وكان يقال له: نصر الحروف.

وأما وضع الأعشار، فقليل: إن المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما هي في المصحف العثماني أولها الفاتحة وآخرها الناس. وقال مجاهد: ثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسمة ويرده تسمية النبي ﷺ كلا منهما، وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان لشبهة الرقية وجوابه رجوعه إليهم وما كتب الكل، وفي مصحف أبي ست عشرة وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين، ولا دليل فيه لموافقتهما، وهو دعاء كتب بعد الختمة.

وعدد آياته في قول علي رضي الله عنه: ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة، وعطاء: ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون. وحמיד: ستة آلاف ومائتان واثنا عشرة، وراشد: ستة آلاف ومائتان وأربع.

وقال حميد الأعرج: نصفه ﴿مَعَى صَبْرًا﴾ في الكهف وقيل: عين ﴿سَنَطِيعٌ﴾، وقيل: ثاني لامي ﴿وَلَيْتَاطَفٌ﴾.

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عد الآي والكلم والحروف أن النبي ﷺ، كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة. وأيضا البسمة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها.

(١) تقدم.

(٢) في المطبوع: الأسود.

وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز، [ولفظ] ^(١) ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز .
وأطول سورة في القرآن، هي البقرة وأقصرها الكوثر .
وأطول آية فيه آية الدين، مائة وثمانية وعشرون كلمة، وخمسمائة وأربعون حرفاً .
وأقصر آية فيه ﴿ وَالصُّحُفِ ﴾ ، ثم ﴿ وَالنَّجْرِ ﴾ كل كلمة خمسة أحرف تقديراً ثم لفظاً ستة رسماً لا ﴿ مَدَاهَاتَانِ ﴾ لأنها سبعة أحرف لفظاً ورسماً، وثمانية تقديراً، ولا ﴿ تَمَّ نَظَرَ ﴾ لأنها كلمتان، خمسة أحرف رسماً وكتابة؛ وستة أحرف تقديراً، خلافاً لبعضهم .
وأطول كلمة فيه لفظاً وكتابة بلا زيادة ﴿ فَاسْتَقِيمُوا ﴾ أحد عشر لفظاً ثم ﴿ أَقْرَبْتُمَا ﴾ عشرة وكذا ﴿ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ ، ﴿ وَالسَّمْعَيْنِ ﴾ ثم ﴿ لِيَسْتَحْلِفْنَهُمْ ﴾ تسعة لفظاً، وعشرة تقديراً .
وأقصرها نحو باء الجر، حرف واحد لا أنها حرفان، خلافاً للداني فيهما .

فصل

[أنصاف القرآن ثمانية]

قال بعض القراء: إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آية .
فنصفه بالحروف «التون» من قوله: ﴿ تَكْرًا ﴾ في سورة الكهف، والكاف من نصفه الثاني ^(٢) .
ونصفه بالكلمات «الدال» من قوله: ﴿ وَاللَّوْدِ ﴾ في سورة الحج، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَ مَقْلُوعٍ مِنْ حديدٍ ﴾ [الحج: ٢١] من نصفه الثاني .
ونصفه بالآيات: ﴿ يَا كُونُ ﴾ من سورة الشعراء، وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ ﴾ من نصفه الثاني .
ونصفه على عدد السور، فالأول الحديد، والثاني من المجادلة .

فائدة

سئل ابن مجاهد: كم في القرآن من قوله: ﴿ إِلَّا عُرُونًا ﴾ فأجاب في أربعة مواضع: من النساء، وسبحان والأحزاب، وفاطر .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) قال ابن الجوزي: «فالتون والكاف من النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني» . فنون الأفتان

(ص/٢٥٣) .

وسئل الكسائي: كم في القرآن آية أولها شين؟ فأجاب أربع آيات: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ ، ﴿شَهَدَ اللَّهُ﴾ ، ﴿شَاحِرًا زَانِعِيًّا﴾ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣] ، وسئل: كم آية آخرها شين؟ فأجاب اثنان ﴿كَالْمُهِنِ الْمَفُوشِ﴾ ﴿لَا يَلْفُ فَرَيْشِ﴾ .

وسئل آخر كم ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؟ قال: خمسة، ثلاثة في الأنعام، وفي [الحجر] (١) واحد وفي [النمل] (٢) واحد .

أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية، وذلك في موضعين من سورة يوسف: أحدهما: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَمَدَ عَشْرٍ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] ، فبين واو «كوكبا» وياء «رأيت» ثمانية أحرف، كلهن متحرك . والثاني قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَٰ بِأَيِّ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف: ٨٠] على قراءة من حرك الياء في قوله: «لي»، و«أي». ومثل هذين الموضعين ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] .

وفي القرآن سور متواليات كل سورة تجمع حروف المعجم، وهو من أول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى آخر القرآن .

وآية واحدة [ق/٣٥] تجمع حروف المعجم، قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية . وسورة، كل آية منها فيها اسمه تعالى، وهي سورة المجادلة .

وفي الحج ستة آيات متواليات، في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى وهي [من] (٣) قوله: ﴿لِيُدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِمْ﴾ [الحج: ٥٩] .

وفي القرآن آيات أولها: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا﴾ ثلاث: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤] ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَزَقْتُمْ﴾ [الجمعة: ٦] ، ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكاغرون: ١] . وفيه: [﴿يَتَّيِبُهَا الْإِنْسَانُ﴾ آيتان] (٤): ﴿يَتَّيِبُهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَافِرِينَ﴾ [الانشطار: ٦] ﴿يَتَّيِبُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَاذِبٌ﴾ [الانشقاق: ٦] .

آية في القرآن فيها ستة عشر ميمًا، وهي: ﴿قِيلَ يَنْبُؤُا أَهِيْطُ بِسَلْمِوِ﴾ [هود: ٤٨] الآية . وآية فيها ثلاث وثلاثون ميمًا: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا إِذَا تَدٰاٰنَسْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] . سورة تزيد على مائة آية، ليس فيها ذكر جنة ولا نار سورة يوسف . آية فيها ﴿الْجَنَّةُ﴾ مرتان: ﴿لَا يَسْتَوِيْ أَصْحٰبُ النَّٰرِ وَأَصْحٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحٰبُ الْجَنَّةِ﴾ [الحجر: ٢٠] .

(٢) في المطبوع وم: النحل . خطأ .

(١) في م: الحج . خطأ .

(٤) سقط من المطبوع .

(٣) زيادة من م .

ثلاث آيات متواليات : الأولى رد على المشبهة، والأخرى رد على المجبرة، والأخرى رد على المرجئة، قوله: ﴿إِذْ سَأَلْتُم مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨] رد على المشبهة، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا آلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٩] رد على المجبرة ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠] رد على المرجئة .

ليس في القرآن «حاء» بعدها «حاء» لا حاجز بينهما إلا في موضعين في البقرة: ﴿عُقَدَةَ الذِّكَاكِجِ حَتَّىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، وفي الكهف: ﴿لَا أُنَبِّئُ حَتَّىٰ﴾ [الكهف: ٦٠] .

ليس فيه كافان في كلمة واحدة لا حرف بينهما إلا في موضعين: في البقرة ﴿تُنَاسِكَكُمْ﴾ ، وفي المدثر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: ٤٢] .

وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه ولهذا لا يجوز تعكيسها .

قال مكِّي وغيره: ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة .

وقال القاضي أبو بكر^(١): ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا .

وأسند البيهقي في كتاب (المدخل والدلائل) عن زيد بن ثابت قال: كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن إذ قال: «طوبى للشام»، فقيل له: ولم؟ قال: لأن ملائكة الرحمن بأسطة أجنحتها [عليهم] (٢) (٣) زاد في الدلائل: «نؤلف القرآن في الرقاع» .

قال: وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من [القرآن من] (٤) الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ .

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال: فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان بحضرة عثمان، واختلف في الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف، فقيل: حرف زيد بن ثابت وقيل: حرف أبي بن كعب، لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله ﷺ، وعلى الأول أكثر الرواة ومعنى حرف زيد أي: قراءته وطريقته .

(٢) في المطبوع: عليه .

(٤) زيادة من م .

(١) الانتصار (١/٥٩-٦٠) .

(٣) تقدم .

(٥) المستدرک (٢/٢٤٩) .

وفي كتاب (فضائل القرآن)^(١) لأبي عبيد، عن أبي وائل، قيل: لابن مسعود: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذاك منكوس القلب. ورواه البيهقي.

وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلاف؟ هل هو توقيف من النبي ﷺ أو من فعل الصحابة أو يفصل؟ في ذلك ثلاثة أقوال:

مذهب جمهور العلماء: منهم مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب^(٢)، فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من [أحد]^(٣) قوله إلى الثاني، وأنه ﷺ فوض ذلك إلى أمته بعده.

وذهبت طائفة إلى الأول، والخلاف يرجع إلى اللفظ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم فأل الخلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي؟ وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر فإن قيل: فإذا كانوا قد سمعوه منه كما استقر عليه ترتيبه ففي ماذا أعملوا الأفكار؟ وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار؟ قيل: قد روى مسلم في صحيحه^(٤) عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلى بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح [سورة]^(٥) النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران، الحديث. فلما كان النبي ﷺ ربما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة، وتبيانا لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف حتى استقر النظر على رأى ما كان من فعله الأكثر، فهذا محل اجتهادهم في المسألة. والقول الثالث، مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية^(٦): أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطول والحواميم، والمفصل وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف، كقوله: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران» رواه مسلم^(٧). ولحديث سعيد بن خالد: صلى رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص/٥٦)، وابن أبي شيبة (٦/١٥٦)، وعبد الرزاق (٧٩٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢٣١٣).

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (٧/١٦٨).

(٢) الانتصار (١/٢٧٩-٢٩٩). (٣) سقط من م.

(٤) حديث (٧٧٢). (٥) زيادة من م.

(٦) المحرر الوجيز (١/٤٩). (٧) حديث (٨٠٤) من حديث أبي أمامة.

في مصنفه وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل في ركعة .
 وروى البخاري^(١) : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل ، والكهف ، ومريم
 وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تлады فذكرها نسفاً كما استقر ترتيبها .
 وفي صحيح البخاري^(٢) : أنه عليه الصلاة والسلام . كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع
 كفيه ثم نفث فيهما فقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ، والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ ،
 وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ، ثم ساق بإسناده إلى أبي داود الطيالسي : حدثنا عمران
 القطان ، عن قتادة ، عن أبي المليح الهذلي ، عن وائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : « أعطيت
 مكان التوراة السبع [الطول]^(٣) ، وأعطيت مكان الزبور المثني وأعطيت مكان الإنجيل
 المثاني ، وفضلت بالمفصل »^(٤) .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ ، وأنه
 مؤلف من ذلك الوقت وإنما جمع في المصحف على شيء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث
 بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن ، وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورة على
 حدة ، وليست من براءة .

قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب «المسائل الخمس» جمع القرآن على ضربين
 أحدهما : تأليف السور كتقديم السبع الطول وتعقيبها بالمثني ، فهذا الضرب هو الذي تولاه
 الصحابة رضوان الله عليهم ، وأما الجمع الآخر : فضم الآي بعضها إلى بعض وتعقيب القصة
 بالقصة فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل ، وكذا
 قال الكرمانى في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ ، وهو على
 هذا الترتيب كان يعرض عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه
 في السنة التي توفي فيها مرتين .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿ قَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ ﴾ [هود : ١٣] ^(٥) معناه

(١) حديث (٤٤٣١) .

(٢) حديث (٤٧٣٠) .

(٣) سقط من م .

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٢٣) ، والطيالسي في «مسنده» (١٠١٢) ، والطبراني في «الكبير» (٧٥/٢٢) ،
 حديث (١٨٦) ، وابن جرير (٦٧/١) ، والبيهقي في «الشعب» (٢٤١٥) ، وصححه العلامة الألباني -
 رحمه الله - كما في «صحيح الجامع» (١٠٥٩) .

(٥) في م : بسورة مثله .

مثل البقرة إلى سورة هود وهي العاشرة، ومعلوم أن سورة هود مكية، وأن البقرة، وآل عمران والنساء، والمائدة، والأنفال والتوبة، مدنيات نزلت بعدها.

وفسر بعضهم قوله: ﴿وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أي: أقرأه على هذا الترتيب، من غير تقديم ولا تأخير وجاء النكير على من قرأه [منكوسًا]^(١) ولو حلف أن يقرأ [ق/ ٣٧] القرآن على الترتيب لم يلزم إلا على هذا الترتيب ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب وإنما تفرقت سورة وآياته نزولاً للحاجة الناس إليها حالة بعد حالة، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ولم يكن ليجتمعا نزولاً، وأبلغ الحكم في تفرقه ما قال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى النَّبِيِّ عَنِّي مُمَكِّتًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وهذا أصل بنى عليه مسائل كثيرة.

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: فإن قيل: قد اختلف السلف في ترتيب القرآن، فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها، وقدم المكي على المدني، ومنهم [من جعل]^(٢) أوله: ﴿أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ﴾، وهو أول مصحف على، وأما مصحف ابن مسعود فأوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم البقرة، ثم النساء على ترتيب مختلف، وفي مصحف أبي كان أوله الحمد ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة على اختلاف شديد.

فالجواب: أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وذكر ذلك مكي في سورة براءة، وأن وضع البسمة في الأول هو من النبي ﷺ.

وقال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرق في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية، فانساق السور كانساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم الآيات.

قال القاضي أبو بكر: ومن نظم السور على المكي والمدني، لم يدر أين يضع الفاتحة لاختلافهم في موضع نزولها، ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة، إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به.

تنبهه [ترتيب وضع السور في المصحف]

لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم أحدها: بحسب الحروف، كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد

(٢) في المطبوع: جعل من.

(١) في المطبوع: معكوساً.

في المعنى وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ كآخر تبث وأول الإخلاص ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل: ﴿وَالضُّحَى﴾ ، و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ .
قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه منها [ظهوراً] ^(١) الحجة والبيان، فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصراني وآخرها يتعلق بيوم أحد، والنصارى تمسكوا بالمتشابه فأجيبوا عن شبههم بالبيان، ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال فقبولوا بالبيان وبه يعلم الجواب لمن تتبع المتشابه من القول والفعل وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر [بإتمامه] ^(٢) بعد الشروع فيه ولهذا ذكر البيت والصفاء والمروة، وكان خطاب النصراني في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء فخطب بها جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخطبوا يا أهل الكتاب يا بني إسرائيل .

وأما سورة النساء فتتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان مخلوقة لله تعالى ومقدورة لهم، كالنسب والصهر ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] ، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ، وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم، وما تعلق بذلك من أحكام الأموال، والفروج، والموارث ومنها العهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها الله على الرسل .

وأما المائة فسورة العقود، وبين تمام الشرائع، قالوا: وبها تم الدين فهي سورة التكميل . بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد، كالتحليل والتحريم كتحرير الدماء والأموال، وعقوبة المعتدين، وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين، وتحريم الميتة والدم والمنخقة، وتحريم الصيد على المحرم من تمام الإحرام، وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والحكم بالقرآن فقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨] ، وذكر أنه من ارتد عوض الله بخير منه،

(٢) في المطبوع: بتمامه .

(١) في المطبوع: بظهور .

ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا قيل: إنها آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها، وحرّموا حرامها.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، من أحسن الترتيب، وهو ترتيب المصحف العثماني، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قدمت فيه سورة النساء على آل عمران، وترتيب بعضها بعد بعض، ليس هو أمراً أوجبه الله، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب، ولكن ترتيب المصحف العثماني أكمل، وإنما لم يكتب في عهد النبي ﷺ مصحف لثلاث يفضى إلى تغييره كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ فكتب أبو بكر والصحابة بعده، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار.

فائدة

[سبب سقوط البسملة أول براءة]

اختلف في السبب في سقوط البسملة أول براءة: فقيل: كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتاباً، ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت «براءة» بنقض العهد الذي كان للكفار، قرأها عليهم على ولم يبسم على ما جرت به عادتهم، ولكن في صحيح الحاكم^(١) أن عثمان رضي الله عنه قال: كانت الأنفال من أوائل ما نزل، وبراءة من آخره، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقضى النبي ﷺ ولم يبين لنا أنها منها وظننا أنها منها ثم فرقت بينهما، ولم أكتب بينهما البسملة.

وعن مالك: أن أولها لما سقط سقطت البسملة.

وقد قيل: إنها كانت تعدل البقرة لطولها.

وقيل: لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان، اختلفوا هل هما سورتان أو الأنفال سورة وبراءة سورة، تركت البسملة بينهما.

وفي مستدرك الحاكم^(٢) أيضاً عن ابن عباس، سألت علياً عن ذلك؟ فقال: لأن البسملة أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان.

قال القشيري^(٣): والصحيح أن البسملة لم تكن فيها، لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها.

(١) تقدم.

(٢) حديث (٣٢٧٣).

(٣) لطائف الإشارات (٥/٢).

فائدة

[في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحاً]

قال القتيبي: السورة، تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسارت أي: أفضلت، من السور وهو ما بقى من الشراب في الإناء، كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهّل همزتها.

ومنهم من شبهها بسور البناء، أي: القطعة منه، أي: منزلة بعد منزلة.

وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد وعلى هذا فالواو أصلية.

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً، وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات.

وقال ابن جنى في شرح منهوكة أبي نواس إنما سميت سورة لارتفاع قدرها، لأنها كلام الله تعالى وفيها معرفة الحلال والحرام، ومنه رجل سوار أي: معربد، لأنه يعلو بفعله ويشتط ويقال: أصلها من السورة، وهي الوثبة، تقول: سرت إليه وثرث إليه، وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو، وجمع سورة البناء سور بسكونها، وقيل [ق/ ٣٨]: هو بمعنى العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْخَرَابَ﴾ نزلوا عليه من علو، فسميت القراءة به لتركب بعضها على بعض، وقيل: لعلو شأنه وشأن قارئه، ثم كره بعضهم أن يقال: سورة كذا، والصحيح: جوازه ومنه قول ابن مسعود: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة^(١).

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري: حد السورة قرآن يشتمل على أي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات، فإن قيل: فما الحكمة في تقطيع القرآن سوراً؟ قلت: هي الحكمة في تقطيع السور آيات معدودات، لكل آية حد، ومطلع، حتى تكون كل سورة بل كل آية فئاً مستقلاً وقرآناً معتبراً، وفي تسوير السورة تحقيق لكون السورة بمجرد ما معجزة وآية من آيات الله تعالى وسورت السور طوالاً وقصاراً وأوساطاً، تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريب الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيراً، يسيراً، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على حد معتبر، وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٠)، ومسلم (١٢٩٦).

مرحلة بعد مرحلة أخرى، إلى أن كل سورة نمط مستقل فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين، وكامن أسرارهم وغير ذلك .

فإن قلت: فهلا كانت الكتب السالفة كذلك؟ قلت: لوجهين أحدهما: أنها لم تكن معجزات من ناحية النظم والترتيب، والآخر: أنها لم تيسر للحفظ .

وقال الزمخشري^(١): الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة، وبوب المصنفون في كتبهم أبوابًا موشحة الصدور بالتراجم، منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بابًا واحدًا، ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة أو بابًا من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه، لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسحًا وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للمسير، ومن ثمة جُزئ القرآن أجزاء وأخاسًا، ومنها: أن الحافظ إذا حذق^(٢) السورة، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة، فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران [جدًا]^(٣) فينا، ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل، ومنها: أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم، إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة

[في بيان معنى الآية لغة واصطلاحاً]

أما الآية فلها في اللغة ثلاثة معانٍ:

أحدها: جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بأيّتهم بجماعتهم .

ثانيها- الآية: العجب، تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، قال الشاعر .
آية في الجمال ليس له في الـ حسن شبه وما له من نظير
فكان كل آية عجب في نظمها، والمعاني المودعة فيها .

ثالثها- العلامة، تقول العرب: خربت دار فلان، وما بقى [فيها]^(٤) آية، أي: علامة،

(٢) حذق الشيء: أي مهر فيه .

(٤) في م: لها .

(١) الكشاف (٩٨/١) بتصرف .

(٣) في المطبوع: بجل .

فكان كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ .

واختلف في وزنها فقال سيبويه: «فَعَلَةٌ» بفتح العين، وأصلها «أبِيَّة» تحركت الياء [الأولى] (١) وانفتح ما قبلها فجاءت آية، وقال الكسائي: أصلها «أبِيَّة» على وزن «فاعلة» حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة .

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري في كتاب «المفرد في معرفة العدد» حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة ومنه: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨] لأنها علامة للفضل، والصدق أو الجماعة، لأنها جماعة كلمة . وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس [بينهما] (٢) شبه بما سواها .

وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدى بها .

وقيل: لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعدها، قال الواحدي: وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال ابن المنير في البحر: ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿مُدَّاهَاتَانِ﴾ (٣)، وقال بعضهم: الصحيح أنها إنما تعلم بتوقيف من الشارع، لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة فالآية طائفة حروف من القرآن، علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعن الكلام الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك، قال: وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري (٤): الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، فعدوا ﴿الرَّ﴾ آية حيث وقعت من السورة المفتتح بها، وهي ست وكذلك ﴿الْتَصَّ﴾ آية، و ﴿الْتَرَّ﴾ لم تعد آية، و ﴿الَّرَّ﴾ ليست بآية في سورها الخمس، و ﴿طَسَّرَ﴾ آية في سورتها، و ﴿طَهَ﴾ ، و ﴿بَسَّ﴾ آيتان، و ﴿طَسَّ﴾ ليست بآية، و ﴿حَمَّ﴾ آية في سورها كلها، و ﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ آيتان، و ﴿كَبَيْعَصَ﴾ آية واحدة، و ﴿صَنَّ﴾ ، و ﴿قَنَّ﴾ ، و ﴿تَنَّ﴾ ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين، ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية (٥) .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع: بينها .

(٣) وسيأتي مثله عن أبي عمرو الداني بعد قليل .

(٤) تقدم التنبيه على هذا .

(٥) الكشف (١/١٥) .

وقال بعضهم إنما عدوا ﴿يَسَّ﴾ آية ولم يعدوا ﴿طَسَّ﴾ لأن ﴿طَسَّ﴾ تشبه المفرد كقبايل في الزنة والحروف، و ﴿يَسَّ﴾ تشبه الجملة، من جهة أن أوله ياء وليس لنا مفرد أوله ياء.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، قال: وتعدد الآي من مفصلات القرآن، ومن آياته طويل، وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنائه كقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على مذهب أهل المدينة، فإنهم يعدونها آية، وينبغي أن يعول في ذلك على فعل السلف.

وأما الكلمة، فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و«لى» و«له» و«لك» وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل: ﴿لَيْسَتَ لِيَنَّهِنَّ﴾، و﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾، و﴿فَلَسْفَيْنَا كُؤُوهُ﴾: وقد تكون الكلمة آية مثل ﴿وَالْفَجْرِ﴾، و﴿وَالصُّحُفِ﴾، و﴿وَالْمَصْرِي﴾، وكذلك ﴿الْعَر﴾، و﴿طه﴾، و﴿يَسَّ﴾، و﴿حَمَّ﴾ في قول الكوفيين، و﴿حَدَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول: هذه فواتح لسور.

وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله: ﴿مُدَاهَمَاتَانِ﴾ في سورة الرحمن.

خاتمة [في تعدد أسماء السور]

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان: كسورة البقرة، يقال: لها فسطاط القرآن، لعظمتها وبهاثها وآل عمران يقال: اسمها في التوراة طيبة، حكاها النقاش والنحل تسمى سورة النعم لما عدد الله فيها من النعم على عباده، وسورة ﴿حَدَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾، وتسمى الشورى وسورة الجاثية وتسمى: الشريعة، وسورة محمد ﷺ وتسمى: القتال.

وقد يكون لها ثلاثة أسماء، كسورة المائدة والعقود، والمنقذة، وروى ابن عطية فيه حديثاً وكسورة غافر، والطول، والمؤمن، لقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ [غانم: ٢٨].

وقد يكون لها أكثر من ذلك، كسورة براءة والتوبة، والفاضحة، والحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. قال ابن عباس: ما زال ينزل ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتى ظننا [ق/ ٣٩] أنه لا يبقى أحد إلا ذكر فيها وقال حذيفة: هي سورة العذاب. وقال ابن عمر: كنا ندعوها [المقشقة] (١). وقال [الحارث] (٢) بن يزيد كانت تدعى المبعثرة. ويقال لها: المسورة ويقال لها: البحوث.

(٢) في المطبوع: الحرث.

(١) في المطبوع: المشققة.

البرهان في علوم القرآن

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسمًا: الفاتحة، وثبت في الصحيحين وأم الكتاب، وأم القرآن، وثبتا في صحيح مسلم وحكى ابن عطية كراهية تسميتها عن قوم^(١)، والسبع المثاني، والصلاة ثبتا في صحيح مسلم والحمد رواه الدارقطني. وسميت مثنائي، لأنها تثني في الصلاة أو أنزلت مرتين والوافية بالفاء، لأن تبعيضها لا يجوز ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن، والكنز لما ذكرنا، والشافية، والشفاء، والكافية والأساس.

وينبغي البحث عن تعداد الأسماء، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني، فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضى اشتقاق أسمائها وهو بعيد.

خاتمة أخرى [في اختصاص كل سورة بما سميت]

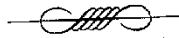
ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من التسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريته ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لَنَا الْحَمُولَ وَفَرِّسًا﴾ [الأنعام: ١٤٢] إلى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: ١٣٣] لم يرد في غيرها كما ورد ذكر النساء في سور، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها.

فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح، وصالح، وإبراهيم، ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام فلم تختص باسم هود وحده، وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟ قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف، وسورة هود، والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا.

(١) قال ابن عطية: «كره ذلك ابن سيرين، وجوزه جمهور العلماء». المحرر الوجيز (١/٦٥).

وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها وذلك أكثر من تكرر اسم هود؟ قيل: لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها، غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وأن تكرر اسمه فيها أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام.

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رعى التسمية ما ذكرنا، وانظر سورة ﴿ق﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات، بلفظ القاف ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة ووجه اختصاص كل واحدة، بما وليته حتى لم تكن لترد ﴿الْعَر﴾، في موضع ﴿الر﴾، ولا ﴿حَم﴾ في موضع ﴿طَر﴾ لا سيما إذا قلنا: إنها أعلام لها، وأسماء عليها. وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلمها، ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة إفراةً وتركيبًا أكثر عددًا في كلماتها منها في نظيرتها، ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلمها ففي اطراد ذلك في المماثلات مما يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك، وقد اطردها في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع موضع ﴿ق﴾ من سورة ﴿ت﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى، وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها ﴿الر﴾ مائتا كلمة وعشرون، أو نحوها فلماذا افتتحت بـ ﴿الر﴾، وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل وهي أطول منها مما يركب على ﴿الر﴾ من كلمها مائتا كلمة، مع زيادتها في الطول عليها، فلذلك وردت الحروف المقطعة في أولها ﴿الر﴾.



النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

[أسماء القرآن]

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءاً، وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين .

وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سمي القرآن

بخمسة وخمسين اسماً .

• سماه كتاباً فقال : ﴿ حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الزخرف: ١-٢] .

• وسماه قرآناً فقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَقَرَاءٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧] الآية .

• وسماه كلاماً فقال : ﴿ حَقٌّ يَسْمَعُ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] .

• وسماه نوراً فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤] .

• وسماه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان: ٣] .

• وسماه رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس: ٥٨] .

• وسماه فرقاناً فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١] الآية .

• وسماه شفاء فقال : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

• وسماه موعظة فقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس: ٥٧] .

• وسماه ذكراً فقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] .

• وسماه كريماً فقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَقَرَاءٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧] .

• وسماه علياً فقال : ﴿ وَإِنَّمِ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤] .

• وسماه حكمة فقال : ﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ﴾ .

• وسماه حكيماً فقال : ﴿ أَلَمْ يَلِكْ مَا يَنْتَ أَلْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [يونس: ١] .

• وسماه مهيمناً فقال : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

• وسماه مباركاً فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص: ٢٩] الآية .

- وسماه حبلاً فقال: ﴿وَأَغْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].
- وسماه الصراط المستقيم فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].
- وسماه القيم فقال: ﴿وَلَوْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢].
- وسماه فصلاً فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣].
- وسماه نبأ عظيمًا فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ١-٢].
- وسماه أحسن الحديث فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية.
- وسماه تنزيلاً فقال: ﴿وَلِئَلَّا لَنُنزِّلَ رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].
- وسماه روحاً فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].
- وسماه وحياً فقال: ﴿إِنَّمَا أَنزَلْنَاكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].
- وسماه المثاني فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧].
- وسماه عربياً فقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ، قال ابن عباس: غير مخلوق.
- وسماه قولاً فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَكُمْ الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١].
- وسماه بصائر فقال: ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠].
- وسماه بياناً فقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].
- وسماه علماً فقال: ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمُ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧].
- وسماه حقاً فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].
- وسماه الهادي فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي﴾ [الإسراء: ٩].
- وسماه عجباً فقال: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي﴾ [الجن: ١-٢].
- وسماه تذكرة فقال: ﴿وَلِئَلَّا لَتَذَكَّرَ﴾ .
- وسماه بالعروة الوثقى فقال: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].
- وسماه متشابهاً فقال: ﴿كُنُبًا مَّتَشَابِهًا﴾ .
- وسماه صدقاً فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] أي بالقرآن.
- وسماه عدلاً فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].
- وسماه إيماناً فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].
- وسماه أمراً فقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الطلاق: ٥].

وسماه بشرى فقال: ﴿هَدَىٰ وَشَرَىٰ﴾ .

وسماه مجيداً فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] .

وسماه زبوراً فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الانبياء: ١٠٥] الآية .

وسماه مبيناً فقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] .

وسماه بشيراً ونذيراً فقال: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَمْرٌ﴾ [فصلت: ٤] .

وسماه عزيزاً فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنُزُّ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١] .

وسماه [ق/ ٤٠] بلاغاً فقال: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ [ابراهيم: ٥٢] .

وسماه قصصاً فقال: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ .

وسماه أربعة أسامٍ في آية واحدة فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٤١﴾ تَرْفَعُهُمْ فَطَهَّرَهُمْ﴾ [عبس: ١٣-١٤]

[الآية] (١) . انتهى .

تفسير هذه الأسماء

فأما الكتاب، فهو مصدر كتب يكتب كتابة، وأصلها الجمع، وسميت الكتابة لجمعها الحروف، فاشتق الكتاب لذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة، ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً، قال الله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ﴾ [الواقعة: ٧٨] أي: اللوح المحفوظ، والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود، وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شيء .

وأما القرآن، فقد اختلفوا، فيه فقيل: هو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل: مشتق من القرى وهو الجمع ومنه قرئت الماء في الحوض، أي: جمعته، قاله الجوهري وغيره .

وقال الراغب (٢): لا يقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن ولعل مراده بذلك في العرف والاستعمال لا أصل للغة .

وقال الهروي (٣): كل شيء جمعته فقد قرأته .

وقال أبو عبيدة (٤): سمي القرآن قرآناً، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .

(١) زيادة من م .

(٢) مفردات القرآن (ص/ ٦٦٧-٦٦٨) .

(٣) لسان العرب (١/ ١٢٨) .

(٤) في م والمطبوع: المبيد . والمثبت هو الصواب: «مجار القرآن» (١/ ١) .

وقال الراغب^(١): سُمي قرآنًا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

وقال بعض المتأخرين: لا يكون القرآن وقرأ مادته بمعنى جمع، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] فغاير بينهما وإنما مادته قرأ بمعنى أظهر وبين، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه والقرء: الدم لظهوره، وخروجه والقرء: الوقت، فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل: سُمي قرآنًا لأن القراءة عنه، والتلاوة منه وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفي (تاريخ بغداد)^(٢) للخطيب في ترجمة الشافعي قال: وقرأت القرآن على إسماعيل ابن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم وليس مهموزًا، ولم يؤخذ من «قرأت» ولو أخذ من «قرأت» لكان كل ما [قريء]^(٣) قرآنًا ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت ولا يهمز القرآن .

وقال الواحدي: كان ابن كثير يقرأ بغير همز، وهي قراءة الشافعي أيضًا قال البيهقي: كان الشافعي يهمز «قرأت» ولا يهمز القرآن، ويقول: هو اسم لكتاب الله غير مهموز .

قال الواحدي: قول الشافعي هو اسم لكتاب الله، يعني أنه اسم علم غير مشتق، كما قاله جماعة من الأئمة .

وقال: وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه، فسمى بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة، قران، قال: وإلى هذا المعنى ذهب الأشعري .

وقال القرطبي: القران بغير همز مأخوذ من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضًا ويشابه بعضها بعضًا، فهي حينئذ قرائن .

قال الزجاج^(٤): وهذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهذا ما أشار إليه الفارسي في الحلييات وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: جمعه في قلبك حفظًا وعلى لسانك تلاوة، وفي سمعك فهما

(١) مفردات القرآن (ص/ ٦٦٧-٦٦٨) .

(٢) (٢/ ٦٢) .

(٣) زادها (ف) من تاريخ بغداد .

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٥٣) .

وعلمنا ولهذا قال بعض أصحابنا: إن عند قراءة القارئ تسمع قراءته المخلوقة، ويفهم منها كلام الله القديم وهذا معنى قوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [نصت: ٢٦] أي: لا تفهموا ولا تعقلوا، لأن السمع الطبيعي يحصل للسامع شاء أو أبى.

وأما الكلام فمشتق من التأثير، يقال: كَلَّمَهُ إِذَا أَثَرَفِيهِ بِالْجِرْحِ، فسمى الكلام كلامًا لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده.

وأما النور؛ فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما تسميته «هدى» فلأن فيه دلالة بيّنة إلى الحق، وتفريقًا بينه وبين الباطل.

وأما تسميته «ذكرًا» فلما فيه من المواعظ، والتحذير، وأخبار الأمم الماضية، وهو مصدر ذكرت ذكرًا، والذكر الشرف قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي شرفكم.

وأما تسميته «تبيانًا» فلأنه بين فيه أنواع الحق وكشف أدلته.

وأما تسميته «بلاغًا» فلأنه لم يصل إليهم حال أخبار النبي ﷺ وإبلاغه إليهم إلا به.

وأما تسميته «مبينًا» فلأنه أبان وفرق بين الحق والباطل.

وأما تسميته «بشيرًا ونذيرًا» فلأنه بشر بالجنة وأنذر من النار.

وأما تسميته «عزيرًا» أي يعجز ويعز على من يروم أن يأتي بمثله فيتعذر ذلك عليه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية. والقديم لا يكون له مثل إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع، وقيل: المراد بالعزير نفى المهانة عن قارئه إذا عمل به.

وأما تسميته «فرقانًا» فلأنه فرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، وبه سمي عمر بن الخطاب الفاروق.

وأما تسميته «مثنائي» فلأن فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانيًا للأول الذي تقدمه فيبين الأول الثاني، وقيل: سمي مثنائي لتكرار الحكم والقصص، والمواعظ فيه. وقيل: إنه اسم الفاتحة وحدها.

وأما تسميته «وحيًا» ومعناه تعريف الشيء خفية، سواء كان بالكلام كالأنبياء والملائكة، أو بالهام كالنحل وإشارة النمل، فهو مشتق من الوحي والعجلة، لأن فيه إلهامًا بسرعة وخفية.

وأما تسميته «حكيمًا» فلأن آياته أحكمت بذكر الحلال والحرام، فأحكمت عن الإتيان بمثلها، ومن حكمته أن علامته: من علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش.

وأما تسميته «مصدقًا» فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تغير وتبدل .
 وأما تسميته «مهيمنًا» فلأنه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله .
 وأما تسميته «بلاغًا» فلأنه [كاف^(١)] في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .
 وأما تسميته «شفاء» فلأنه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ، ومن علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .
 وأما تسميته «رحمة» فإن من فهمه وعقله كان رحمة له .
 وأما تسميته «قصصًا» فلأن فيه قصص الأمم الماضين وأخبارهم .
 وأما تسميته «مجيدًا» والمجيد الشريف فمن شرفه أنه حفظ عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان وجعله معجزا في نفسه عن أن يؤتى بمثله .
 وأما تسميته «تنزيلاً» فلأنه مصدر نزلته لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه فأداه هو كما فهمه وعلمه . وأما تسميته «بصائر» فلأنه مشتق من البصر والبصيرة وهو جامع لمعاني أغراض المؤمنين كما قال تعالى : ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ﴾ [الأنعام: ٥٩] .
 وأما تسميته ذكرى فلأنه ذكر للمؤمنين ما فطروهم الله عليه من التوحيد وأما قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فالمراد بالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى .
 وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في (المرشد الوجيز)^(٢) في قوله تعالى : ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١] قال : يعنى القرآن . وقال السخاوي^(٣) : يعنى ما رزقك الله من القرآن خير [وأبقى]^(٤) مما رزقهم من الدنيا .

فائدة

ذكر المظفرى في تاريخه : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سموه فقال بعضهم : سموه إنجيلا فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السفر فكرهوه من يهود فقال ابن مسعود : رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به .

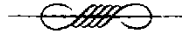
(١) في المطبوع : كان . (٢) (ص/٢٠٩) .

(٣) نَسَبَ هذا القول السفیان بن عیینة وأخرج أبو حاتم في تفسيره (٢٤٤٢/٧) عن قتادة قال : ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ : مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا . وقال السدي : رزق الجنة .

(٤) سقط من المطبوع .

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت أبا الكرم [الخوزي]^(١) ببغداد، [يقول: سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: سمعت أبا الحسن الرماني]^(٢) وسئل: كل كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].



(١) في المطبوع: النحوي.

(٢) تكملة من «الإتقان» (١/١٤٦) لا بد منها.

النوع الحادي عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

قد تقدم في النوع الحادي عشر الإشارة إلى الخلاف في ذلك، والمعروف أنه بلغة قريش وحكى عن أبي الأسود الدبلي أنه نزل بلسان الكعبين: كعب بن لؤى جد قريش وكعب بن عمرو جد خزاعة فقال له خالد بن سلمة: إنما نزل بلسان قريش ولسان خزاعة، وذلك أن الدار كانت واحدة^(١).

وقال أبو عبيد في كتاب (فضائل القرآن)^(٢) عن ابن عباس، رضي الله عنهما، نزل بلغة الكعبين كعب قريش وكعب خزاعة، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة.

قال أبو عبيد^(٣): يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

وأما الكلبي: فإنه روى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن^(٤)، قال أبو عبيد^(٥): العجز هم: سعد بن بكر وجشم [ابن بكر]^(٦) ونصر بن معاوية، وثقيف، وهذه القبائل هي التي يقال لها: عليا هوازن وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا وهوازن وسفلى تميم، فهذه عليا هوازن وأما سفلى تميم فبنو دارم.

وقال أبو ميسرة: بكل لسان، وقيل: إن فيه من كل لغات العرب، ولهذا قال الشافعي في (الرسالة)^(٧): لا نعلمه يحيط باللغة إلا نبي.

قال الصيرفي: يريد من بعث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به.

قال: وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات، وزعم أنهم يسمعون كلام العرب

(٢) (ص/٢٠٤).

(٤) المصدر السابق (ص/٢٠٤).

(٦) زادها (ف) من الصاحبي.

(٧) الرسالة (ص/٤٢) وهي في أصول الفقه على مذهبه، وليست في الفقه كما قال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله.

(١) انظر: «جامع البيان» (١/٤٨).

(٣) المصدر السابق (ص/٢٠٤).

(٥) المصدر السابق (ص/٢٠٤).

فيختارون من كل لغة أحسنها فصفا كلامهم، وذكر قبح عنعنة تميم وكسكسة ربيعة، وعجرفة قيس.

وذكر أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه، ولنحن العرب حقاً فقال رسول الله ﷺ: «إن ربي علمني فتعلمت وأدبني فتأدبت». قال الصيرفي: ولست أعرف إسناد هذا الحديث، وإن صح فقد دل على أن النبي ﷺ قد عرف السنة العرب.

وقال أبو عمر بن عبد البر في (التمهيد)^(١) قول من قال: نزل بلغة قريش، معناه عندي: في الأغلب لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف صار في عجز هوازن منها خمسة.

وقال أبو حاتم: خص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب، لقرب جوارهم من مولد النبي ﷺ ومنزل الوحي وإنما ربيعة، ومضر أخوان، قال: وأجب الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش، ثم أدناهم من بطون مضر.

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك: أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين، إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين، فمن القليل إدغام: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ﴾ [الحشر: ٤] في الحشر: ﴿وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] في قراءة غير نافع وابن عامر، فإن الإدغام في المجزوم، والاسم المضاعف، لغة تميم ولهذا قل، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر، نحو: ﴿وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿فَلْيَسْلِلْ رِئُوسَهُ﴾، و﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾، و﴿يَزِدْكُمْ﴾، و﴿وَمَنْ يُشَاقِ﴾ في النساء، والأنفال و﴿مَنْ يُكَادِ اللَّهُ﴾ ﴿فَلْيَمْدَدْ﴾، و﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً﴾، و﴿أَشَدُّ بِهِ أَرِي﴾، و﴿وَمَنْ يَجْلَلْ عَلَيْهِ عَصِي﴾.

قال: وأجمع القراء على نصب ﴿إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ﴾ لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع، وإن كان بنو تميم يتبعون كما أجمعوا على نصب ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين.

وزعم الزمخشري^(٢) أن قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] أنه استثناء منقطع جاء على لغة تميم ثم نازعه في ذلك.

(١) (٨/٢٨٠)، والاستذكار (٢/٤٨١).

(٢) الكشف (١/٤٩٣).

النوع السابع عشر

معرفة ما فيه من غير لغة العرب^(١)

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب، فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا﴾ [نصت: ٤٤] الآية، وهذا يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام ودلالة قاطعة لصدقه وليتحدى العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بأياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة، هذا مذهب الشافعي، وهو قول جمهور العلماء، منهم: أبو عبيدة ومحمد بن جرير الطبري، والقاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب «التقريب» وأبو الحسين بن فارس اللغوي، وغيرهم.

وقال الشافعي في (الرسالة)^(٢) في باب البيان الخامس ما نصه: «وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به، [وأقرب من السلامة له]^(٣)، فقال قائل منهم: إن في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب [ووجد]^(٤) قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له، وتركاً للمسألة [له]^(٥) عن حجته ومسألة غيره عن خالفه، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم؛ والله يغفر لنا ولهم». هذا كلامه.

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس^(٦): «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول. قال: ومعناه: أتى بأمر عظيم؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه، وإن كان كذلك فلا وجه لقول من يبيح القراءة في الصلاة بالفارسية؛ لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير، وهذا لا يقول به أحد، انتهى».

(١) أفرده بالتصنيف السيوطي - رحمه الله - في «المهذب فيما وقع في القرآن من المغرب» وهو مطبوع متداول.

(٢) (ص/ ٣٤).

(٣) زادها (ف) من الرسالة.

(٤) في م: وجدنا.

(٥) زادها (ف) من الرسالة.

(٦) أشار أبو عبيدة إلى هذا في مجاز القرآن (٨/١).

البرهان في علوم القرآن

ومن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة^(١)، لكن صح رجوعه عن ذلك^(٢) ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم .

فمن ذلك «الطور»: جبل بالسريانية و«طفقا» أي: قصدا بالرومية و«القسط» و«القسطاس» العدل بالرومية ﴿إِنَّا هَدْنَا لِيَكْ﴾ [الأعراف: ١٥٦] تبنا بالعبرانية و«السجل» [الكتاب]^(٣) بالفارسية. و«الرقيم»: اللوح بالرومية و«المهل»: عكر الزيت بلسان أهل المغرب والسندس: الرقيق من الستر بالهندية، والإستبرق: الغليظ بالفارسية بحذف القاف. السرى: النهر الصغير باليونانية. طه أي: طأ يارجل بالعبرانية. يصهر أي ينضج بلسان أهل المغرب. سينين: الحسن بالنبطية. المشكاة: الكوة بالحبشية. وقيل: الزجاجة تسرح. الدرى: المضيء بالحبشية. الأليم: المؤلم بالعبرانية ﴿نَظْرَيْنِ إِنَّهُ﴾: أي نضجه بلسان أهل المغرب ﴿أَلَمَلَةَ الْآخِرَةِ﴾ أي الأولى بالقبطية، والقبط يسمون الآخرة الأولى، والأولى الآخرة. ﴿وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ﴾ أي: أمامهم بالقبطية. اليم: البحر بالقبطية. بطائنها ظواهرها بالقبطية. الأب: الحشيش بلغة أهل المغرب، ﴿إِنَّ نَاقِثَةَ آلِ لَيْلٍ﴾ قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة: قام من الليل. ﴿كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ضعفين» بلغة الحبشة: القسورة: الأسد بلغة الحبشة.

واختار الزمخشري أن التوراة والإنجيل أعجميان، ورجح ذلك بقراءة «الأنجيل» بالفتح ثم اختلفوا، فقال الطبري: هذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد، وحكاها ابن فارس عن أبي عبيد. وقال ابن عطية^(٤): «بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسن بتجارات، وبرحلتى قريش وبسفر مسافرين، كسفر أبي عمرو إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة، وصحبه [لنصاراها]^(٥) مع كونه حجة في اللغة، فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت في تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاواراتها، حتى جرت مجرى العربى الفصيح ووقع بها البيان. وعلى

(١) المبسوط (٢/١٣١)، والجامع الصغير (ص/٩٤)، والنافع الكبير (١/٩٤)، وبدائع الصنائع (١/٤٣٠).

(٢) مراقي الفلاح (ص/١٢٦)، والنافع الكبير (١/٩٤).

(٣) سقط من م.

(٥) زادها (ف) من مقدمة «المحرر الوجيز».

(٤) المحرر الوجيز (١/١٥).

هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربى فكجهله الصريح [بما في لغة] ^(١) غيره، وكما لم يعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك، قال: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه.

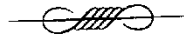
قال: «وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظه فذلك بعيد، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر؛ لأننا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاقات إلا قليلاً شاذاً».

وقال القاضي أبو المعالي عزيبي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه في كلام العرب، لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ، وقد ثبت أن النبي ﷺ [ق/ ٤٢] مبعوث إلى كافة الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل العربية. ثم قال أبو عبيد: «والصواب عندي [مذهب فيه] ^(٢) تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألستها وحولتها عن [الفاظ] ^(٣) العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: «إنها عربية فهو صادق، ومن قال: [إنها] ^(٤) أعجمية فصادق، قال: وإنما فسر هذا لثلاثا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أراه الله جل وعز» ^(٥)، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن».

قال ابن فارس: «وليس كل من خالف قائلاً في مقاله ينسبه إلى الجهل، فقد اختلف الصدر الأول في تأويل [آي من] ^(٦) القرآن».

قال: «فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره».



- (١) في م: بلغة.
 (٢) سقط من م.
 (٣) في المطبوع: ألفاظ.
 (٤) سقط من المطبوع.
 (٥) زادها (ف) من كتاب الصاحبى.
 (٦) زادها (ف) من كتاب الصاحبى.

النوع الثامن عشر

معرفة غريبه

وهو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة؛ منهم أبو [عبيدة] ^(١) كتاب «المجاز» وأبو عمر غلام ثعلب «يا قوته الصراط» ومن أشهرها كتاب ابن عزيز، و(الغريبين للهروي) ومن أحسنها كتاب «المفردات» للراغب.

وهو يتصيد المعاني [من السياق؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة. قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: «قال أهل المعاني»] ^(٢)، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزجاج ومن قبله، وفي بعض كلام الواحدي «أكثر أهل المعاني الفراء والزجاج، وابن الأنباري قالوا كذا». انتهى.

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة، اسماً وفعلاً وحرفاً، فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم.

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة وأكثر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن سيد، فإن الخافظ أبا محمد على بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر بدأ بالفلك وختم بالذرة، ومن الكتب المطولة كتاب [(الأزهري)] ^(٣) و[(الموعب)] ^(٤) لابن التياني و«المحكم» لابن سيده وكتاب «الجامع» للقرظي و«الصحاح» للجوهري و«البارع» لأبي علي القالي، و«مجمع البحرين» للصاغاني.

ومن الموضوعات في الأفعال: كتاب [ابن] ^(٥) القوطية، وكتاب ابن طريف، وكتاب السرقسطي المنبوز بالحمار، ومن أجمعها كتاب ابن القطاع.

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. [قال يحيى بن نضلة المدني: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله] ^(٦) غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً.

(٢) سقط من م.

(٤) في م: المستوعب.

(٦) سقط من م.

(١) في المطبوع: عبيد.

(٣) في م: الزهري.

(٥) سقط من م.

وقال مجاهد: لا يجل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب .

وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب .

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧] قال: «ما جمع» وأنشد .

[إن لنا قلائصاً حقائقا] ^(١) مستوثقات لو يجدن سائقا

وقال: ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

[الأعراف: ٨٩] حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفتحك، يعني أفاضيك] ^(٢).

وفي سورة السجدة ﴿مَنْ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨] يعني: متى هذا القضاء

وقوله: ﴿وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيُّ﴾ [سبا: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] .

وقال أيضاً: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في

بشر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني ابتدأتها ^(٣)، وجاءه رجل من هذيل، فقال له ابن عباس:

ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء، فقال ابن عباس ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِاسْحَاقَ وَمِمَّنْ وَرَاءَهُ إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] . قال: ولد الولد .

ومسائل نافع له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس في كل جواب [بيت] ^(٤)

ذكرها الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء» بإسناده ^(٥)، وقال: فيه دلالة على بطلان قول

من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن،

وليس كذلك، وإنما أراد النحويون أن يشبثوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله

تعالى قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] .

وقال ابن عباس ^(٦): الشعر ديوان العرب، فإذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذي

أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك ثم إن كان ما تضمنته ألفاظها

(١) سقط من م .

(٢) أخرجه ابن جرير (٣/٦)، وابن أبي شيبة (٥/٢٨٠) .

(٣) أخرجه ابن جرير (٧/١٥٩)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/٣٧٣)، والبيهقي في «الشعب»

(١٦٨٢)، وحسنه المناوي في «الفتح السماوي» (٤٨٧) .

(٤) في المطبوع: بيت .

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٩٧)، وفيه جويز وهو متروك .

(٦) أخرجه ابن جرير في «تهذيب الآثار» (٩٤٢)، والخطيب في «جامعه» (١٦٠٣) .

يوجب العمل دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهد من الشعر.

وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع [في] ^(١) الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته، ولا يدرى عن شفع أو وتر. قال الحسن: مه يا أبا العالية ليس هكذا بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ فلما لم يتدبر أبو العالية حرف «في» و«عن» تنبه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم» فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت، [وكذلك] ^(٢) قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: ٣٦] أنه من عشوت [النار] ^(٣) أعشو عشواً إذا نظرت [ليها] ^(٤)، وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يعرض؛ وإنما غلط؛ لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه.

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُؤْمِنٍ فَدَرِيًّا﴾ [القصص: ١٠] قال: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، ومنه دم فراغ أي لا قود فيه ولا دية ^(٥).

وقال بعض الأدباء: أخطأ أبو عبيدة في المعنى، لو كان قلبها فارغاً من الحزن عليه لما قال: ﴿تَوَلَّى أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] لأنها كادت تبدى به.

وهذا الباب عظيم الخطر، ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين، وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئاً من غريب القرآن، وحكى عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ فسكت وقال: هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف: ولم يزد على هذا، ولهذا حث النبي ﷺ على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني [العربية] ^(٦).

واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من [كلام الله] ^(٧)، ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر، وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أفصح قریش، سئل أبو بكر عن

(١) سقط من المطبوع. (٢) في المطبوع: ولذلك.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

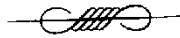
(٥) مجاز القرآن (٩٨/٢).

(٦) في م: كتاب الله.

(٧) في م: الغريب منه.

«الأب» فقال أبو بكر: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم! ^(١) وقرأ عمر سورة «عَبَسَ»، فلما بلغ «الأب» قال: الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال: لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ^(٢). وروى عنه أيضا أنه قال: ﴿مَأْمَنًا يَدُ كُلِّ مَنٍ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [ال عمران: ٧]، وفي رواية قال: فما الأب؟ [ثم قال: ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا. وما ذاك بجهل منهما لمعنى «الأب»] ^(٣) وإنما يحتمل -والله أعلم- أن «الأب» من الألفاظ المشتركة في لغتهما أو في لغات، فخشيا إن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره؛ ولهذا اختلف المفسرون في معنى «الأب» على سبعة أقوال: فقيل: ما ترعاه البهائم، وأما ما يأكله الآدمي فالحصيد، والثاني: الثبن خاصة، والثالث: كل ما نبت على وجه الأرض، والرابع: ما سوى الفاكهة. والخامس: الثمار [ق/٤٣] الرطبة وفيه بعد؛ لأن الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة، ولا يقال: أفردت للتفصيل، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو: ﴿فَلِكِهْمُ وَمَخَلٌ وَمَرْمَأٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. والسادس: أن رطب الثمار هو الفاكهة، وبإسها هو الأب والسابع: أنه للأنعام كالفاكهة للناس.

ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين، أحدهما: أن يكون خفى عليه، معناه وإن شهر كما خفى على ابن عباس معنى «فاطر السموات»، والثاني: [أراد] ^(٤) تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم، كما كان يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم، يريد الاحتراز، فإن من احترز قلت روايته.



- (١) أخرجه ابن جرير (٥٨/١)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/٢٢٧)، وابن أبي شيبة في «أخبار المدينة» (٦٩٠)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/٢١٣)، وهو صحيح.
- (٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/١٣٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٤٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/٢٢٧)، والحاكم (٣١٤٥)، وأبو يوسف في «مسند عمر» (٣٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٩٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/٤٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٨٠)، وهو صحيح.
- (٣) سقط من م.
- (٤) سقط من م.

النوع التاسع عشر

معرفة التصريف

وهو ما يلحق الكلمة ببنيتهما، وينقسم قسمين .

أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني، وينحصر في التصغير والتكبير، والمصدر، واسمى الزمان والمكان، واسم الفاعل، واسم المفعول، والمقصود والممدود .

والثاني: تغيير الكلمة لعنى طارئ عليها، وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام .

وفائدة التصريف: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها . وهو من العلوم التي يحتاج إليها^(١) المفسر .

قال ابن فارس^(٢): من فاته علمه فاته المعظم، لأننا نقول: وجد كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت، فقلنا في المال: «وجدا» وفي الضالة «وجداناً»، وفي الغضب «موجدة» وفي الحزن «وجداء» وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَلَسِيطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] ، وقال تعالى: ﴿وَأَقِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال، فيقولون للطريق في الرمل: «حُبة» وللأرض المخصبة والمجدبة «حُبة» وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهري أن مادة (دكر) بالبدال المهملة مهملة غير مستعملة، فكتب التاج الكندي على الطرة ما ذكر أنه مهمل: مستعمل قال الله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّوٍ﴾ ﴿فَهَلَّ مِنْ مَّذَكَّرٍ﴾ . وهذا الذي قاله سهو أوجه الغفلة عن قاعدة التصريف، فإن الدال في الموضعين بدل من الذال؛ لأن ادكر أصله «اذتكر» افتعل من الذكر، وكذلك مذكر أصله . «مذتكر» مفتعل من الذكر أيضاً، فأبدلت التاء ذالاً والذال كذلك، وأدغمت إحداهما في الأخرى، فصار اللفظ بهما كما ترى .

(٢) الصاحبي (ص/١٦٢) .

(١) في المطبوع: إليه .

وقال الزمخشري^(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سهل لهم ركوب المعاصي، من السؤل وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا يعرض بابن السكيت .

وقال أيضًا^(٢) : من بدع التفاسير أن «الإمام» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] جمع «أم» وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، لثلا يفتضح أولاد الزنا قال: وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظة أمه أم [بهاء]^(٣) حكمته .

يعنى أن «أما» لا يجمع على إمام، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب .
وقال الراغب^(٤) في قوله تعالى: ﴿فَأَدْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ فيها: هو «تفاعلت»، [أصله «تدارأتم»]^(٥) ، فأريد منه الإدغام تخفيفًا، وأبدل من التاء دال فسكن للإدغام فاجتلبت لها ألف الوصل، فحصل على افاعلتم .

وقال بعض الأدباء «أدْرَأْتُمْ» «افتعلتم» وغلط من أوجه :

أولا: أن «أدْرَأْتُمْ» على ثمانية أحرف، و«افتعلتم» على سبعة أحرف .

والثاني: أن الذي يلي ألف الوصل تاء فجعلها دالا .

والثالث: أن الذي يلي الثاني دال فجعلها تاء .

والرابع: أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحركا، وقد جعله هذا ساكتا .

والخامس: أن هاهنا قد دخل بين التاء والدال زائد، وفي افتعلت لا يدخل ذلك .

والسادس: أنه أنزل الألف منزلة العين وليست بعين .

والسابع: أن تاء «افتعل» قبله حرفان وبعده حرفان، و«أدْرَأْتُمْ» بعدها ثلاثة أحرف .

وقال ابن جنى: من قال: «اتخذت» «افتعلت» من الأخذ فهو مخطئ قال: وقد ذهب إليه

أبو إسحاق الزجاج، وأنكره عليه أبو علي وأقام الدلالة على فساد، وهو أن ذلك يؤدي إلى إبدال الهمزة تاء، وذلك غير معروف .



(٢) الكشاف (١/٦٩١) .

(٤) المفردات (ص/٤٦٩) .

(١) الكشاف (١/٥٧٦) .

(٣) زادها (ف) من الكشاف .

(٥) زادها (ف) من المفردات .

النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها

ويؤخذ ذلك من علم النحو، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضحها كتاب (الحوافي) ومن أحسنها كتاب «المشكل» وكتاب أبي البقاء العكبري، وكتاب «المنتخب» الهمداني وكتاب الزمخشري وابن عطية وتلاههم الشيخ أبو حيان.

قالوا: والإعراب يبين المعنى، وهو الذي يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين بدليل قولك: ما أحسن زيدًا ولا تأكل السمك وتشرب اللبن، وكذلك فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني، فقالوا: يفتح للآلة التي يفتح بها ويفتح لموضع الفتح، ومقصد للآلة، ومقصد للموضع الذي يكون فيه القص، ويقولون: امرأة طاهر من الحيض؛ لأن الرجل يشاركها في الطهارة.

وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرًا، أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة، إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاة أمور:

أحدها: وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه، مفردًا كان أو مركبًا قبل الإعراب فإنه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثره الله بعلمه، ولهذا قالوا في توجيه النصب في «كلالة» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النساء: ١٢]: إنه يتوقف على المراد بالكلالة، هل هو اسم للميت أو للورثة، أو للمال؟ فإن كان اسمًا للميت فهي منصوبة على الحال، وإن [كانت] (١) تامة لا خبر لها بمعنى وجد، ويجوز أن تكون ناقصة والكلالة خبرها، وجاز أن يخبر عن النكرة؛ لأنها قد وصفت بقوله: ﴿يُورَثُ﴾، والأول أوجه، وإن كانت اسمًا للورثة فهي منصوبة على الحال من ضمير يورث لكن على حذف مضاف أي: ذا كلالة، وعلى هذا فكان ناقصة ويورث خبر، ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة. ويجوز أن يكون خبرًا فتكون صفته، وإن كانت اسمًا للمال فهي مفعول ثان ليورث، كما تقول: ورثت زيدًا مالا، وقيل: تمييز، وليس بشيء.

(١) في المطبوع: كان.

ومن جعل الكلالة الوارثة فهي نعت لمصدر محذوف أي: وارثه: كلاله أي: يورث بالورثة التي يقال لها: الكلالة هذا كله على قراءة ﴿يُورَثُ﴾ بفتح الراء فأما من قرأ ﴿يُورَثُ﴾ بكسرها مخففة أو مشددة، فالكلالة هي الورثة أو المال.

ومن ذلك «تقاة» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُنَّ فُتْنَةً﴾ [ال عمران: ٢٨] في نصبها ثلاثة أوجه مبنية على تفسيرها، فإن كانت بمعنى الانقضاء فهي مصدر كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ بِكَأَنَّ﴾ [نوح: ١٧]، وإن كانت بمعنى المفعول أي أمرًا يجب اتقاؤه، فهي نصب على المفعول به. وإن كانت جمعًا كرام ورماة، فهي نصب على الحال.

ومن ذلك إعراب «أحوى» من قوله: ﴿غَنَاءٌ أَحْوَى﴾، وفيه قولان متضادان أحدهما: أنه الأسود من الجفاف واليبس، والثاني: أنه الأسود من شدة الخضرة، كما فسر ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ فعلى الأول هو صفة لغناء، وعلى الثاني هو حال من المرعى، وأخر [ق/٤٤] لتناسب الفواصل، ومنه قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٥٠﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٦] فإنه قيل: الكفات: الأوعية ومفردا «كفت»، والأحياء والأموات كناية عما نبت، وما لا ينبت. وقيل: الكفات مصدر كفته إذا ضمه وجمعه، فعلى الأول: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ صفة لكفاتا، كأنه قيل: أوعية حية وميتة، أو حالان، وعلى الثاني فهما مفعولان لمحذوف، ودل عليه ﴿كِفَاتًا﴾ أي يجمع أحياء وأمواتًا.

ومنه قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ اللَّكَّاتِي﴾ [الحجر: ٨٧] فإنه إن كان المراد به القرآن، فمن للتبعيض، والقرآن حينئذ من عطف العام على الخاص، وإن كانت الفاتحة فمن لبيان الجنس، أي: سبعا هي المثاني.

تنبيه: قد يقع في كلامهم: هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب، والفرق بينها أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك، وقد قال سيبويه^(١) في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْوَيْدِ الَّذِي يَبْقَى﴾ [البقرة: ١٧١] تقديره: مثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به.

واختلف الشارحون في فهم كلام سيبويه، فقيل: هو تفسير معنى، وقيل: تفسير إعراب، فيكون في الكلام حذفان، حذف من الأول، وهو حذف داعيهم وقد أثبت نظيره في الثاني، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق، وقد أثبت نظيره في الأول، فعلى هذا يجوز مثل ذلك في الكلام.

والثاني: تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش. قال الزمخشري في كشافه القديم^(١): القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب، دون الشاذ النادر الذي لا يعثر عليه إلا في موضع أو موضعين. وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والعربيين، حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى: ﴿وَأَرْجِلِكُمْ﴾ في قراءة الجر^(٢)؛ وإنما ذلك ضرورة، فلا يحمل عليه الفصح؛ ولأنه إنما يصار إليه إذا أمن اللبس، والآية محتملة؛ ولأنه إنما يجيء مع عدم حرف العطف، وهو هاهنا موجود، وأيضاً فنحن في غنية عن ذلك كما قاله سيبويه: إن العرب يقرب عندها المسح مع

(١) لم أقف عليه في المطبوع حيث إن المطبوع ليس بالكشاف القديم.

(٢) قال أبو علي الفارسي: واختلفوا في نصب اللام وخفضها في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجِلِكُمْ﴾. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة: «وأرجلكم» خفضاً. وروى أبو بكر عن عاصم: «وأرجلكم» خفضاً، وحفص عن عاصم «وأرجلكم» نصباً.

قال أبو علي: الحجة لمن جرَّ فقال: «وأرجلكم» أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجازئة. ووجه العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن تحمل على الأقرب منهما دون الأبعد، وذلك نحو قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَمَعَ اللَّهُ عَمَلًا﴾، ونحو قوله: ﴿يَسْتَشْفُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُبَيِّنُكُمْ فِي الْكَلِمَاتِ﴾، ونحو قوله: ﴿هَازِمٌ آتَرُوا كَيْبَةَ﴾، وقوله: ﴿قَالَ مَا تَوَدُّ أَرْغِ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، فلما رأى العاملين إذا اجتمعا جمل الكلام على أقربهما إلى المعمول، حمل في هذه الآية أيضاً على أقربهما، وهو الباء دون قوله: ﴿فَأَغْسِلُوا﴾ وكان ذلك الموضع واجباً، لما قام من الدلالة على أن المراد بالمسح الغسل.

وقيام الدلالة من وجهين:

أما أحدهما: فإن من لا تنهمه روى لنا عن أبي زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة، فحمل المسح على أنه غسل. ويقوي ذلك أن أبا عبيدة ذهب في قوله تعالى: ﴿تَطْفِئْ نَارَ الشُّوفِ وَالْأَفْسَاكِ﴾ إلى أنه الضرب.

وحكى التوزي عنه أنه قال: قالوا مسح علاوته بالسيف إذا ضربه، فكان المسح في الآية غسل خفيف، كما أن الضرب كذلك، ليس في واحد منهما متابعة ولا موالة. فإن قلت: فإن المستحب أن يغسل ثلاثاً؛ قيل: ذلك السنة والاستحباب، وإنما جاءت الآية بالمفروض دون المستحب، فهذا وجه.

والوجه الآخر: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجيء في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد. فإن قلت: فقد يجوز أن يكون على المسح، ألا ترى أنك تقول: مررت بزبيد وعمراً فتحملهما على موضع الجار والمجرور، فحملهما على المسح قد ثبت وجاز، جررت اللام أو نصبت؟ قيل: ليس الحمل على الموضع في هذا النحو في الكسرة كالحمل على اللفظ.

ووجه من نصب فقال: «وأرجلكم» أنه حمل ذلك على الغسل دون المسح، لأن العمل من فقهاء الأمصار فيما علمت على الغسل دون المسح. وروي أن النبي ﷺ رأى قوماً وقد توضؤوا وأعقابهم تلوح، فقال عليه السلام: «ويل للعراقيب من النار» وهذا أجدر أن يكون في المسح منه في الغسل؛ لأن إفاضة الماء لا يكاد يكون غير عام للعضو. «الحجة» (٣/ ٢١٤-٢١٦).

الغسل؛ لأنهما أساس الماء، فلما تقاربا في المعنى حصل العطف [كقوله:

متقلدا سيفاً ورمحاً

ومهما أمكن المشاركة في المعنى حسن العطف] ^(١) وإلا امتنع، فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى: ﴿سَلْسِلًا وَأَعْتَلًا﴾ وإنما أجزى في الكلام، لأنه رد إلى الأصل، والعطف على الجوار خروج عن الأصل، فافترقا.

الثالث: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم: الباء زائدة ونحوه مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها، لا أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن ذلك لا يحتمل من متكلم، فضلاً عن كلام الحكيم.

وقال ابن الخشاب في (المعتمد): اختلف في هذه المسألة، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، وهو كثير؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة، ومنهم: من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها، فلا أقضى عليها بالزيادة، ونقله عن ابن درستويه، قال: والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل، لأنه عبث فتعين أن إلينا به حاجة، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة، كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها مزيدة عليه، وبه يرتفع الخلاف.

وكثير من القدماء يسمون الزائد: صلة وبعضهم يسميه مقحماً، ويقع ذلك في عبارة مستوية.

الرابع: تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام، كتجويد الزمخشري ^(٢) في ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ في سورة الحشر أن يكون بدلاً من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾، وهذا فصل كبير، وإنما حمله عليه؛ لأن أبا حنيفة يقول: إنه لا يستحق القريب بقرابته بل لكونه فقيراً والشافعي يخالفه. ونظيره إعراب بعضهم: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدلاً من المجرور في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

الخامس: تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة، ولا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر امرئ القيس وغيره، و[من ذلك] ^(٣) أن نقول في نحو ﴿أَغْفِرْ لَنَا﴾، و ﴿اهدنا﴾ فعلى

(١) سقط من م.

(٢) زيادة من م.

(٣) الكشاف (٤/٥٠٣).

دعاء أو سؤال، ولا نقول: فعلى أمر تأديباً من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء على الخلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدي في (البصائر) سألت السيرافي عن قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^١ بم انتصب؟ قال: بالحال قلت: لمن الحال؟ قال لله تعالى قلت: فيقال لله حال؟ قال: إن الحال في اللفظ لا لمن يلفظ بالحال عنه، ولكن الترجمة لا تستوفي حقيقة المعنى في النفس إلا بعد أن يصوغ الوهم هذه الأشياء صياغة تسكن إليها النفس، وينتفع بها القلب ثم تكون حقائق الألفاظ في مفادها غير معلومة ولا منقوضة باعتقاد، وكما أن المعنى على بعد من اللفظ كذلك الحقيقة على بعد من الوهم .

السادس: البحث عن الأصل والزيادة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَبْقُوتَ أَوْ يَمْوُتَ﴾^٢ الذي يَبْقُوتُ عَقْدَةُ الْبَقَاءِ [البقرة: ٢٣٧] فإنه قد نوههم «الواو» في الأولى ضمير الجمع، فيشكل ثبوت النون مع «أن» وليس كذلك بل الواو هنا لام الكلمة، والنون ضمير جمع المؤنث فبنى الفعل معها على السكون، فإذا وصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون، ومثله: «النساء يرجون» بخلاف «الرجال يرجون»، فإن الواو فيه ضمير الجمع والنون حرف علامة للرفع، وأصله: «يرجون» أعلت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف، فإذا دخل الجازم حذف النون، وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف في التقدير .

وكذلك يبحث عما تقتضيه الصناعة في التقدير، ولا يؤخذ بالظاهر ففي نحو قوله تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾^٣ يتبادر إلى الذهن أن «مَرْحَبًا» نصب اسم لا، وهو فاسد؛ لأن شرط عملها في الاسم ألا يكون معمولاً لغيرها، وإنما نصب بفعل مضمر يجب إضماره، ﴿لَا﴾^٤ دعاء و ﴿بِهِمْ﴾^٥ بيان للمدعو عليهم . وأجاز أبو البقاء أن ينصب على المفعول به أي لا يسمعون مرحباً وأجاز في جملة ﴿لَا مَرْحَبًا﴾^٦ أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً أي هذا فوج مقولاً له: ﴿لَا مَرْحَبًا﴾^٧ ، وفيه نظر؛ لأنه قدر «مقولاً» فمقولاً هو الحال، ولا مرحباً محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧] يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خير «أن» على التقديم، وهو فاسد؛ لأنه ليس المراد الإخبار بأن رسول الله ﷺ فيهم، وإنما الغرض أنه لو أطاعكم في كثير من الأمر لعنتم، وإنما «فيكم» حال والمعنى: واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا .

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُضْمَنُ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] ، وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَكُمْ فِيمَنْزِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فإن الجواب وقع فيهما بعد النفي مقروناً بالفاء، وفي الأولى حذف النون وفي

الثانية أثبتها، فما الفرق بينهما؟ وجوابه: أن حذف النون جواباً للنفي هو على أحد معنى نصب: «ما تأتينا فتحدثنا» أي: ما يكون إتيان ولا حديث، والمعنى الثاني: إثبات الإتيان، ونفي الحديث، أي: ما تأتينا محدثاً أي: تأتينا غير محدث، وهذا لا يجوز في الآية، وأما إثبات النون فعل العطف.

وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعَهُ﴾ [الزمر: ٢٤]، وقوله ﴿أَبَشْرًا يَهْدُونَنَا﴾ حيث انتصب «بشراً» في الأول وارتفع في الثاني، فيقال: ما الفرق بينهما؟ والجواب: أن نصب «بشراً» على الاشتغال، والشاغل للعامل منصوب، فصح لعامله أن يفسر ناصباً، وأما في الثانية فالشاغل مرفوع مفسر رافعاً، وهذا كما تقول: أزيد قام؟ فزيد مرفوع على الفاعلية لطلب أداة الفعل [ق/ ٤٥]، فهذا في الاشتغال والشاغل مرفوع، وتقول فيما الشاغل فيه منصوب: أزيداً ضربته؟.

وقريب منه: إجماع القراء على نصب «قليل» في: ﴿فَسَتْرِيُوا مِنِّي إِلَّا قَلِيلاً﴾ [البقرة: ٢٤٩] اختلفوا في^(١) ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء: ٦٦]، وإنما كان كذلك؛ لأن ﴿قَلِيلاً﴾ الأول استثناء من موجب، والثاني استثناء من منفي.

فإن قيل: فلم أجمعوا على النصب في ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ مع أنه استثناء من غير موجب؟ قيل: لأن هذا استثناء مفرغ وهو نعت لمصدر محذوف، فالتقدير فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً.

ومثله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [النساء: ٩٥] في سورة الحديد، قرأها ابن عامر^(٢) برفع «كل» ووافق الجماعة على النصب في النساء، والفرق أن الذي في سورة الحديد شغل الخبر بهاء مضمرة، وليس قبل هذه الجملة جملة فعلية، فيختار لأجلها النصب فرفع بالابتداء، وأما التي في سورة النساء فإنما اختير فيها النصب، لأن قبله جملة فعلية وهي قوله: ﴿وَقَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [النساء: ٩٥].

تنبيه

قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد، وكان أبو على الفارسي يلم به كثيراً، وذلك أنه يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه قالوا: والتمسك بصحة

(١) كلهم قرأ: «ما فعوه إلا قليلاً منهم» رفعاً، إلا ابن عامر فإنه قرأ: «إلا قليلاً منهم» نصباً. (الحجة) (١٦٨/٣).

(٢) الحجة (٢٦٦/٦).

المعنى يؤول لصحة الإعراب، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ سَعِيدٍ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٨-٩] فالظرف الذي هو ﴿يَوْمٍ﴾ يقتضى المعنى أن يتعلق بالمصدر الذي هو رجع أي: إنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي يجعل العامل فيه فعلا مقدرًا دل عليه المصدر.

وكذا قوله سبحانه ﴿لَمَقَّتْ لَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠] فالمعنى يقتضى تعلق إذ بالمقت والإعراب يمنعه للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر فيقدر له فعل يدل عليه المقت.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَاحَةٌ فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١]. فالمعنى: أن العامل في إذا «خبير» والإعراب يمنعه، لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها فاقضى أن يقدر له العامل.

تنبيه

على النحوى بيان مراتب الكلام، فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة، ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر، ومرتبة ما يصل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر، وإن كانا فصلتين ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني، وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التقديم وهو يعود على ما مرتبه التأخير، فلا يجوز أن يتقدم؛ لأنه يكون متقدماً لفظاً ومرتبة، وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التأخير، وهو يعود على ما مرتبه التقديم فلا يجوز أن يتقدم؛ لأنه يكون مقدماً لفظاً مؤخرًا رتبة، فعلى هذا يجوز: «في داره زيد» لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير، ولا يجوز: «صاحبها في الدار» لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم.



النوع الحاروي والعشروه

معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين قدمهما أمام تفسيره، وما وضعه حازم الأندلسي المسمى بـ«بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء»^(١). وهذا العلم أعظم أركان المفسر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخى بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر، وغير ذلك وأملأ الناس بهذا صاحب «الكشاف». قال السكاكي: واعلم أن [شأن]^(٢) الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحه، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما.

وقال الزمخشري^(٣): من حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدى سليماً من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل.

وادعى القاضي أبو الطيب في كتاب «إعجاز القرآن» أن كثيراً من محاسن هذا العلم لا يعد من البلاغة القرآنية، بناء على اختياره في أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم، وسيأتي الكلام في ذلك.

فإن قلت: كيف عدت هذا من أنواع علومه مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين [رحمهم الله]^(٤) لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك، وإنما هذا أحدثه المتأخرون؟

قلت: إنما سكت الأولون عنه؛ لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة، وإنما جاءت

(١) طبع منه المجلد الثاني فقط، والمجلد الأول مفقود، وأكثر نقول الزركشي هنا من الجزء المفقود، وسيأتي التنبيه على هذا في موضعه.

(٢) الكشاف (١/٣٢).

(٣) في م: بيان.

(٤) زيادة من م.

لتكون معجزة، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه، فلم يكن الخوض فيه [موسغاً] ^(١)؛ إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً؛ لأنه موجود في الصحف الأولى، لامع هذه البلاغة المعينة، وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم؛ فهذا لم يتكلم السلف في ذلك، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان، بخلاف استنباط الأحكام، فهذا تكلموا في الثاني دون الأول.

واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة، ولو لم يجب الفصاحة لإقوال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾ [الرحمن: ١-٤] [الكفى] ^(٢) والمعلومات كثيرة ومنن الله تعالى جمة ولم يخصص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [ال عمران: ١٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ولحذف الواو في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ نكتة علمية، فإنه جعل تعليم البيان في وزان خلقه وكالبديل من قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ لأنه حى ناطق، وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم في حد الإنسان: حيوان ناطق.

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه، ليتمكن بها من اتباع التصديق به، وإذعان النفس له.

وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مثبتاً وناقياً.

فمنها: تحقيق العقائد الإلهية كقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ مَاجِي الْمَوْتِ﴾ [القيامة: ٤٠] بعد ذكره النطفة [وتنقلها] ^(٣) في مراتب الوجود، وكقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَوْمِ بَعْثَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] فمن يقرع سمعه هذا الكلام المعجز استشعر من روعة النفس، واقشعرار الجلد ما يمكن خشية الله وعظمتته من قبله.

ومنها: بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَحَدُوا لِلسَّلَامِ فَأَجَبْنَا لَهُمْ وَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ﴾ [الانفاد: ٦١]، وكقوله ﷺ: «فمن أين يكون الشبه» ^(٤). فانظر كيف أعطى في هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام المرأة فلا أبين من هذا البيان، ولا أشقى للمرتاب من هذا القول، فإنه يرى إحدى المقدمتين عياناً وهو شبه الولد بأمه، ويعلم

(٢) سقط من م.

(١) في م: مشرعاً.

(٣) في المطبوع: ومتعلقها.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١١).

قطعاً أنه ليس هناك سبب يحال الشبه عليه غير الذي أنكر.

ومنها: تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض، والإرضاء والإغضاب والتشجيع والتخويف، ويكون في مدح وذم، وشكايه واعتذار، وإذن ومنع، وينضم إلى قوة القول البلاغى معنى متصل إعانة لها، مثل فضيلة القائل وحمية النازع، وقوة البليغ على إطرء نفسه وتحسين رأيه.

ومن ذلك: استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل وزيادة تفهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خُوفٍ﴾ [سبا: ٤٦]، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وسر هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثني عليهم، فيسارع إلى التصديق، ويلقى في نفسه نور من التوفيق.

ويكون هذا القول البلاغى ما يسمى الضمير، ويسمى التمثيل، وأعنى بالضمير أن يضمم بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه، كقول الفقيه: النبيذ مسكر فهو حرام. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِيحُونَ الشَّيْطِينَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقد يكون هذا الإضمار في القياس الاستثنائي أيضاً، كقولك: لو كان فلان عزيزاً لمنع بأعنة الخيل جاره، أو جواداً لشب لسارى الليل ناره، معولاً على أنه قد علم أنه ما منع ولا شب فيثبت بذلك مقابله وهو البخل والذلة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد شهد الحس والعيان أنهم ما انفضوا من حوله، وهي المضمرة، فانتفى عنه صلوات الله عليه أنه فظ غليظ القلب.

ومن أحسن ما أبرز فيه هذا المضمرة قول الشاعر:

ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
ومثال: الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لُرَّ تَتَفَرَّ لَنَا وَتَرَحَّمًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وحسبك إمام المتقين حين سمع شعر القائلة (١):
ما كان ضرك لو مننت وربما [من الفتى وهو المغيظ المحتق] (٢)
قال: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لما قتلتها»، وقال الآخر (٣):

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا
ومن الاستمالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أنفذ منه إلى القلوب، وأوقع على

(١) هي قتيلة بنت النضر بن الحارث. «الإصابة» (٨/ ٧٩-٨٠).

(٢) سقط من م.

(٣) غضب المنصور على رجل من الكُتَّاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ هذا البيت.

المطلوب، قوله ﷺ للأَنْصار - وقد وجدوا في نفوسهم قسمة الغنائم في غيرهم - : «يا معشر الأنصار ألم أجدكم كذا، ألم أجدكم كذا، ثم قال: «أجيبوني» فما زادوا على قولهم: الله ورسوله آمن، فقال عليه الصلاة والسلام: «أما إنكم إن شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم، جئنا بحال كذا وكذا» فانظر ما أعجب هذا استشعر منهم عليه السلام أن إمساكهم عن الجواب أدب معه لا عجز عنه، فأعلمهم بأنهم لو قالوا صدقوا، ولم يكن هو بالذي يغضب من سماعه، ثم زادهم تكريماً بقوله: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتنصفوا برسول الله إلى رحالكم»^(١) ثم زاد يمينه المباركة البرة على فضل ما ينصرفون به، اللهم انفعنا بمحبته وتفضل علينا بشفاعته.

ومما تجدد من هذا الطراز قول بعضهم^(٢):

أناس أعرضوا عنا	بلا جرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا	فهلا أحسنوا الظننا!
فإن عادوا لنا عدنا	وإن خانوا فما خنا
وإن كانوا قد استغفروا	فإننا عنهم أغنى
وإن قالوا: ادن منا بعد	د باعدنا من استدنى

ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ أَن قَوْلُهُمْ وَمَنْ يُوَلِّمْهُم فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عِدُوِّي وَعَدُوِّيكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقوله: ﴿أَفَتَجِدُوكُمْ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، ولله در القائل:

إذا والى صديقك من تعادى فقد عاداك وانقطع الكلام
ومن قسم التشجيع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُومًا﴾ [الصف: ٤]، وكفى يحب الله مشجعاً على منازلة الأقران ومباشرة الطعان، وقوله عز وجل: ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وكيف لا يكون والقوم صبروا والمملك الحق جل جلاله وعدهم بالمدد الكثير، ثم قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّن عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، وفي مقابلة هذا القسم، ما يراد به الأخذ بالحزم والثاني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى:

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) هو كشاجم، محمود بن الحسين بن السندي، أبو الفتح الرملي، المتوفى سنة (٣٦٠هـ).

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

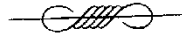
ومنه الإبانة بالمدح، وربما مدح الكريم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب، كما أشار إليه القرآن فيما أسر سيد البشر لبعض نسائه ممن أظهره على إفشائه، فأخبر سبحانه أنه عرف بعضه وأعرض عن بعض؛ ولذلك قيل:

ليس الغيبى بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابى
ومنه: التمثيل، وإنما يكون بأمر ظاهر يُسَلِّمه السامع، ويقويه ما في القرآن من قصص الأشقياء تحذيراً لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء، ترغيباً لما صاروا إليه من الثواب. وفي الحديث: «أرأيت لو مَضِضْتِ، أرأيت لو كان على أبيك دين»^(١) كيف ظهر إمكان نقل الحكم من شبه إلى شبه.

ومنه: أن يذكر الترغيب مع التهيب، ويشفع البشارة بالإنذار قال الزمخشري: وسره إرادة التسليط لاكتساب ما [به]^(٢) يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعذاب ثناء ببشارة عباده المؤمنين.

تفنيه

ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى [كان]^(٣) غيره مطروح.



(١) أخرجه أحمد (١٦١٧٠)، والدارمي (١٨٣٦)، وابن أبي شيبة (٣/٣٨٠)، وأبو يعلى (٦٨١٢)، والضياء في «المختارة» (٣١٨) و(٣١٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨٤١٧) من حديث عبد الله بن الزبير. وأخرجه النسائي (٢٦٣٩) من حديث ابن عباس وأصله عند البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٣٣٤).
(٢) زيادة من م.
(٣) في المطبوع: كأنه.

النوع الثاني والعشرون

معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وذلك متواتر وآحاد، ويوجد هذا الوجه من علم [القراءات]^(١)، وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب «التيسير لأبي عمرو الداني» وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبي، في لاميته التي عم النفع بها وكتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذش، وفي القراءات العشر كتاب «المصباح» لأبي الكرم الشهرزوري.

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كفيتهما، من تخفيف وتثقيل وغيرهما، ثم هاهنا أمور:

أحدها: أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل مشهورة، ولا عبرة بإنكار المبرد^(٢) قراءة حمزة: «وَالْأَرْحَامِ»^(٣) و«بِمُصْرِحِي»^(٤) ولا بإنكار مغاربة النحاة كابن عصفور قراءة ابن عامر «قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ»^(٥) والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين

(١) في المطبوع: القراءة.

(٢) قال: هذا لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه الشاعر. «الكامل» (٩٣١/٢).

(٣) قرأ حمزة وحده: «وَالْأَرْحَامِ»، وقرأ الباقون: «وَالْأَرْحَامِ» نصيباً. «الحجة» (١٢١/٣)، و«السبعة» (ص/٢٢٦).

(٤) حرك حمزة يائها الثانية إلى الكسر، وحركها الباقون إلى الفتح، وروى إسحاق الأزرق عن حمزة «بِمُصْرِحِي» بفتح الياء الثانية.

قال أبو علي: قال الفراء في كتابه في التصريف: هي قراءة الأعمش، ويحيى بن وثاب، قال: وزعم القاسم بن معن أنه صواب، قال: وكان ثقة صغيراً، وزعم قطرب أنه لغة في بني يربوع يزيدون ياء الإضافة ياء. «الحجة» (٢٨-٢٩/٥)، و«السبعة» (ص/٣٦٢).

(٥) قرأ ابن عامر وحده: «وكذلك زَيْنٌ» برفع الزاي «لكثير من المشركين قتلٌ» برفع اللام «أَوْلَادِهِمْ» بنصب الدال «شركائهم» بياء. وقرأ الباقون: «زَيْنٌ» بفتح الزاي «لكثير من المشركين قَتْلٌ» بنصب اللام «أَوْلَادِهِمْ» خفض «شركاؤهم» رفع. «الحجة» (٤٠٩/٣).

والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه (المرشد الوجيز)^(١) إلى شيء من ذلك.

الثاني: استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب [من]^(٢)، قولنا: إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء، ومثله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة، يعنى فإنها ليست متواترة.

وهذا ضعيف، والحق أن المد والإمالة لا شك في تواتر المشترك بينهما، وهو المد من حيث هو مد والإمالة من حيث إنها إمالة، ولكن اختلف القراء في تقدير المد فمنهم من رآه طويلاً، ومنهم من رآه قصيراً، ومنهم من بالغ في القصر، ومنهم من تزايد فحمزة وورش بمقدار ست [ألفات]^(٣)، وقيل خمس، وقيل أربع، وعن عاصم ثلاث، وعن الكسائي ألفان ونصف وقالون ألفان، والسوسى ألف ونصف.

قال الداني في التيسير: أطولهم مداً في الضريين جميعاً يعنى المتصل والمنفصل ورش وحمزة، ودونهما عاصم، ودونه ابن عامر والكسائي، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق وقالون من طريق أبي نسيب بخلاف عنه، وهذا كله على التقريب من غير إفراط، وإنما هو على مقدار مذاهبهم من التحقيق والحذف، انتهى كلامه.

فعلم بهذا أن أصل المد متواتر، والاختلاف والطرق إنما هو في كيفية التلفظ به.

وكان الإمام أبو القاسم [ق/٤٧] الشاطبي يقرأ بمدتين: طولى لورش وحمزة، ووسطى

لمن بقى.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة لما فيها من طول المد وغيره فقال: لا تعجبني، ولو كانت متواترة لما كرهها. وكذلك ذكر القراء أن الإمالة قسمان: إمالة محضة، وهي أن ينحى بالألف إلى الياء، وتكون الياء أقرب بالفتحة إلى الكسر، وتكون الكسرة أقرب وإمالة تسمى بين بين وهي كذلك، إلا أن الألف والفتحة أقرب وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة، ولا شك في تواتر الإمالة أيضاً، وإنما اختلافهم في كيفية مبالغة وحضوراً.

أما تخفيف الهمزة، وهو الذي يطلق عليه تخفيف، وتلين وتسهيل، أسماء مترادفة فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف، وكل منها متواتر بلا شك.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) (ص/١٤٦-١٩٢).

(٣) في المطبوع: لغات.

أحدها: النقل، وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ بنقل حركة الهمزة، وهي الفتحة إلى دال «قد» وتسقط [الهمزة] ^(١) فيبقى اللفظ بدال مفتوحة بعدها فاء، وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش في حال الوصل والوقف، وقراءة حمزة في حال الوقف.

الثاني: أن تبدل الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، إن كان قبلها فتحة أبدلت ألفها، نحو «باس» وهذا البدل قراءة أبي عمرو بن العلاء ونافع من طريق ورش في فاء الفعل وحمزة إذا وقف على ذلك.

الثالث: تخفيف الهمز بين بين، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو، أو مفتوحة فبين الهمزة والألف، أو مكسورة فبين الهمزة والياء، وهذا يسمى إشمامًا، وقرأ به كثير من القراء وأجمعوا عليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَلَّذَكِّرِينَ﴾، ونحوه ^(٢)، وذكره النحاة عن لغات العرب.

قال ابن الحاجب في تصريفه: واغتفر التقاء الساكنين في نحو: أحسن عندك؟ وآيمن الله يمينك؟ وهو في كل كلمة أولها همزة وصل مفتوحة، ودخلت همزة الاستفهام عليها، وذلك ما فيه لام التعريف مطلقًا، وفي أيمن الله وإيم الله خاصة؛ إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها، وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخبار، ألا ترى أنهم لو قالوا: أحسن عندك؟ وحذفوا همزة الوصل على القياس في مثلها لم يعلم استخبار هو أم خير؟ فأتوا بهذه عوضًا عن همزة الوصل قبل الساكن، فصار قبل الساكن مدة فقالوا: أحسن عندك؟ وكذلك آيمن الله يمينك؟ فيما ذكره. وبعض العرب يجعل همزة الوصل فيما ذكرنا بين بين، ويقول: أحسن عندك وآيمن الله يمينك فيما ذكرنا، وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك، والمشهور الأول. وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بين بين في رسم المصاحف العثمانية، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ أُوَيْسِكُمْ﴾، وأوًا على إرادة التسهيل بين بين، قاله الداني وغيره.

الرابع: تخفيف الإسقاط، وهو أن تسقط الهمزة رأسًا وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأى الشاطبي، وقيل: الثانية في نحو: ﴿جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾، ووافق على ذلك في المفتوحتين نافع، من طريق قالون، وابن كثير من طريق البزى، وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قبل، عن ابن كثير في ﴿أَيْنَ﴾

(١) في المطبوع: الهمز.

(٢) انظر: «المكرر» (ص/١٢٣)، «الإتحاف» (ص/٢٧٦).

شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُتِبَتْ تُشَاقِقَاتٌ فِيهِمْ ﴿ [النحل: ٢٧] بإسقاط همزة ﴿شُرَكَاءَ﴾^(١).

الثالث: أن القراءات توقيفية وليست اختيارية، خلافاً لجماعة منهم الزمخشري، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء، ورد على حمزة قراءة ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ بالخفض، ومثل ما حكى عن أبي زيد والأصمعي، ويعقوب الحضرمي، أن خطئوا حمزة في قراءته ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُضْرَجٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] بكسر الياء المشددة، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ﴾.

وقال الزجاج^(٢): إنه خطأ فاحش، ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت: مُرئى بكذا؛ لأن الراء حرف مكرر، ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به، فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء، ولو أدغمت اللام في الراء لزم التكرير من الراء، وهذا إجماع النحويين انتهى.

وهذا تحامل، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنة متبعة، ولا مجال للاجتهاد فيها، ولهذا قال سيويه في كتابه^(٣) في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ «وينو تميم [يرفعونه]^(٤) إلا من درى كيف هي في المصحف».

وإنما كان كذلك، لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه انتهى.

الرابع: ما تضمنه التيسير والشاطبية قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: لم يحويا جميع القراءات السبع، وإنما هي نزر يسير منها، ومن عنى بفن القراءات، وطالع ما صنفه علماء الإسلام في ذلك علم ذلك العلم اليقين، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقرأ السبع، لبعدها عن بلاد الإسلام، واجتازوا عند الحج بديار مصر، وتحفظوا ممن كان بها من المصريين شيئاً يسيراً من حروف السبع، وكان المصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات متسعة، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات كأبي الطيب بن غلبون وابنه أبي الحسن طاهر، وأبي الفتح فارس بن أحمد، وابنه عبد الباقي وأبي العباس بن نفيس، وكان بها أبو أحمد السامري، وهو أعلاهم إسناداً.

وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية عليها، وقتل ملوكهم العلماء.

فكان من قدماء علمائنا ممن حج يأخذ بمصر شيئاً يسيراً، كأبي عمر الطلمنكي صاحب

(١) الحجة (٥/٦٠)، السبعة (ص/٣٧١).

(٢) معاني القرآن (٥/٢٢٧-٢٢٨).

(٣) في الكتاب: يعرفونها.

(٤) (١/٥٩).

«الروضة»، وأبي محمد مكي بن أبي طالب ثم رحل أبو عمرو الداني لطول إقامته بدانية فأخذ عن أبي خاقان وفارس، وابن غلبون وصنف كتاب «التيسير» وقرأ على هؤلاء. ورحل أيضًا أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي، فأبعد في الشقة وجمع بين طريق المشرق والمغرب، وصنف كتاب «الكامل» يحتوي على القراءات السبع وغيرها، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه، ولا أكثر شيوخًا.

وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبري، وأبو عبد الله [الكارزيني] (١) وكانا متسعي الرواية.

وكان بمصر أبو علي المالكي مؤلف «الروضة» وكان قد قرأ بالعراق، وأقرأ بمصر.

ويعدهم التاج الكندي فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا.

وكان أيضًا ابن ماموية بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر.

وبمصر النظام الكوفي يقرئ بالعشر وبغيرها، كقراءة ابن محيصن والحسن.

وكان بمكة أيضًا زاهر بن رستم، وأبو بكر الزنجاني، وكانا قد أخذوا عن أبي الكرم

الشهرزوري كتاب «المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر» وأقرأه الزنجاني لبعض

شيوخنا.

وكان عز الدين الفاروئي بدمشق، يقرئ القرآن بروايات كثيرة حتى قيل: إنه أقرأ بقراءة

أبي حنيفة.

والحاصل اتساع روايات غير بلادنا، وأن الذي تضمنه التيسير والتبصرة والكافي وغيرها

من تأليفهم، إنما هو قل من كثر ونزر من بحر.

وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية: ورش، وقالون، وقد روى الناس

عن نافع غيرهما، منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني، وأبو خلف، وابن حبان والأصمعي،

والسبتي وغيرهم، ومن هؤلاء من هو أعلم وأوثق من ورش وقالون وكذا العمل في كل راو

وقارئ.

الخامس: أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء نقض

وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في «لَسْتُمْ»، و«لَمَسْتُمْ»، وكذلك جواز

وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في حتى يطهرن.

(١) في م: الكازروني. تصحيف.

وكذلك [آية] ^(١) السجدة في سورة النمل مبنية على القراءتين، قال الفراء ^(٢): من خفف ﴿أَلَا﴾ كان الأمر بالسجود، ومن شدد لم يكن فيها أمر به، وقد نوزع في ذلك.

إذا علمت ذلك فاختلفوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين: أحدهما: أن الله تعالى قال بهما جميعاً. والثاني: أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين.

وهذا الخلاف غريب رأيته في كتاب «البيستان» لأبي الليث السمرقندي ثم اختاروا في المسألة توسطاً، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءات بمنزلة آيتين، مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وإن كان تفسيرهما واحداً كالبيوت، والبيوت، والمحصات، والمحصات بالنصب والجر، فإنما قال بأحدهما، سس وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود لسانهم.

فإن قيل: إذا صح أنه قال بأحدهما فبأى القراءتين؟ قال: قيل: بلغة قريش انتهى.

السادس: أن القراءات [السبع] ^(٣) لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعمائة، جمعها أبو بكر بن مجاهد، ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره، والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة:

أحدهم: عبد الله بن كثير المكي القرشي مولاهم، أبو سعيد، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو بكر. وقيل أبو الصلت ويقال له: الدار، وهو من التابعين، وسمع عبد الله بن الزبير وغيره توفي بمكة سنة عشرين ومائة وقيل: اثنتين وعشرين.

الثاني: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي، هو مدني أصله من أصبهان كنيته أبو رويم، وقيل: أبو الحسن، وقيل أبو عبد الرحمن وقيل: أبو عبد الله توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة.

الثالث: عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي الدمشقي، قاضي دمشق وهو من كبار التابعين، ولد في أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة. وقيل: ولد سنة ثمان من الهجرة ومات وهو ابن مائة وعشر سنين، وفي كنيته سبعة أقوال أصحابها: أبو عمرو، وقيل: أبو محمد وأبو عبد الله وأبو موسى وأبو نعيم، وأبو عثمان وأبو مغيث.

الرابع: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصرى، قيل: اسمه زبان وقيل:

(٢) معاني القرآن (٢/٢٩٠).

(١) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

البرهان في علوم القرآن

يحيى، وقيل: عثمان، وقيل: محبوب، وقيل: اسمه كنيته. توفي بالكوفة سنة أربع وخسين ومائة وقرأ على ابن كثير وغيره.

الخامس: عاصم بن أبي النجود (بفتح النون) أبو بكر الأسدي الكوفي، توفي بالكوفة سنة سبع وقيل: ثمان وعشرين ومائة، قال: سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما بهدلة هو أبو النجود. وقال عمرو بن علي: بهدلة أمه. قال أبو بكر داود: هذا خطأ.

وقال عبد الله بن أحمد: قال أبي: أنا أختار قراءة عاصم.

السادس: حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الزيات التيمي، مولاهم الكوفي أبو عمار، توفي بحلوان سنة ثمان، وقيل: ست وخسين ومائة.

[السابع: الكسائي على بن حمزة الأسدي، مولاهم الكوفي، توفي سنة تسع وثمانين ومائة^(١)] كان قرأ على حمزة. قال مكى: وإنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون وإنما كان السابع يعقوب الحضرمي، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب. وليس في هؤلاء السبعة من العرب، إلا ابن عامر وأبو عمرو.

قال مكى: وإنما كانوا سبعة لوجهين: أحدهما: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف. الثاني: أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك، إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى.

وقد ألف ابن جبير المقرئ، وكان قبل ابن مجاهد كتاباً في القراءات وسماه «كتاب الخمسة» ذكر فيه خمسة من القراء لا غير، وألف غيره كتاباً وسماه «الثمانية» وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي، انتهى.

قلت: ومنهم من زاد ثلاثة وسماه «كتاب العشرة».

قال مكى: والسبب في اشتهاؤ هؤلاء السبعة دون غيرهم: أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيرى العدد، فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل [مصر]^(٢) على عدالته، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة

(٢) في المطبوع: مصر.

(١) سقط من م.

وسوادها، والكسائي من العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة كلهم ممن اشتهرت إمامتهم، وطال عمرهم في الإقراء، وارتحل الناس إليهم من البلدان.

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة، وتابعه الناس وألحق المحققون، منهم: البغوي في تفسيره بهؤلاء السبعة [قراءة] (١) ثلاثة، وهم يعقوب الحضرمي وخلف وأبو جعفر بن قعقاع المدني، شيخ نافع؛ لأنها لا تخالف رسم السبع.

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتاب «الكافي» له: فإن قال قائل: فلم أدخلتم قراءة أبي حفص المدني، ويعقوب الحضرمي في جملتهم، وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم؟ قلنا: إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا السبعة، لأننا وجدنا قراءتهما على الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ممن بعدهما في العلم والثقة بهما، واتصال إسنادهما، وانتفاء الطعن عن روايتهما ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة، وإنما السنة أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت [روايتها] (٢) نقلاً، وقراءة ولفظاً ولم يوجد طعن على أحد من رواتهما، ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك نقدم أبا جعفر، ويعقوب على غيرهما.

ولا يتوهم أن قوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» (٣) انصرافه إلى قراءة سبعة من القراء يولدون [من] (٤) بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة، لأنه يؤدي إلى أن يكون الخبر متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأه إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه، قال: وإنما ذكرناه؛ لأن قومًا من العامة يتعلقون به.

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي: كل ما صح سنده واستقام مع جهة العربية، ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبع المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو تفرقين، فعلى هذا الأصل يبني من يقول: القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ومتى فقد أحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة، ولا يقرأ بشيء من الشواذ، إنما يذكر ما يذكر من الشواذ، ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً.

وقال مكى: وقد اختار الناس بعد ذلك، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع به ثلاثة أشياء: قوة وجه العربية وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه، والعامة ندهم: هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية توجب

(١) في المطبوع: رواها.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٤) تقدم.

البرهان في علوم القرآن

الاختيار، وربما جعلوا العامة: ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أولى القراءات وأصحها سندًا وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(١): كل قراءة [ق/٤٩] ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة. أشار إلى جماعة من الأئمة المتقدمين، ونص عليه الشيخ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنفه في معاني القراءات السبع، وأمر بإلحاقه بكتاب «الكشف» وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال القراء^(٢).

قال أبو شامة رحمه الله^(٣): وقد ورد إلى دمشق استفتاء من بلاد العجم عن القراءة الشاذة: هل تجوز القراءة بها، وعن قراءة القارئ عشرًا كل آية بقراءة قارئ؟ فأجاب عن ذلك جماعة من مشايخ عصرنا منهم شيخنا الشافعية والمالكية حينئذ، وكلاهما [أبو عمرو عثمان]^(٤) يعنى ابن الصلاح، وابن الحاجب.

قال شيخ الشافعية: يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآنًا واستفاض نقله بذلك، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع؛ لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة، في الصلاة وخارج الصلاة، وممنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني ومن لم يعرف ذلك، وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك، وإنما نقلها من نقلها من العلماء لفوائد منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها، هذا طريق من استقام سبيله، ثم قال: والقراءة الشاذة ما نقل قرآنًا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة، كما يشتمل عليه «المحتسب» لابن جنى وغيره، وأما القراءة بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآنًا فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلًا والمتجري على ذلك متجري على عظيم، وضال ضلالاً بعيداً، [فيعزز]^(٥) ويمنع بالحس ونحوه ويجب منع القارئ بالشواذ، وتأثيمه بعد تعريفه، وإن لم يمتنع فعليه التعزيز بشرطه. وأما إذا شرع القارئ في قراءة فينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقى للكلام متعلق بما ابتدأ به، وما خالف هذا

(٢) انظر: «جمال القراء» (٢/١٨٣).

(٤) في المطبوع: أبو عمر وعثمان.

(١) المرشد الوجيز (ص/١٧١-١٧٢).

(٣) المرشد الوجيز (ص/١٨٣-١٨٥).

(٥) في المطبوع: فيعزز.

فمنه جائز، وممتنع وعذره مانع من قيامه بحقه، والعلم عند الله تعالى.

وقال شيخ المالكية رحمه الله^(١): لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها عالماً بالعربية كان أو جاهلاً، وإذا قرأها قارئ فإن كان جاهلاً بالتحريم عرف به وأمر بتركها، وإن كان عالماً أدب بشرطه، وإن أصر على ذلك أدب على إصراره، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك وأما تبديل «آتيناً» «بأعطيناً»، و«سولت» «بزينت» ونحوه، فليس هذا من الشواذ، وهو أشد تحريماً والتأديب عليه أبلغ، والمنع منه أوجب.

وأما القراءة بالقراءات المختلفة في آي العشر الواحد، فالأولى ألا يفعل، نعم إن قرأ بقراءتين في موضع إحداها مبنية على الأخرى مثل أن يقرأ «نغفر لكم» بالنون، و«خطيئاتكم» بالجمع ومثل ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] بالنصب فهذا أيضاً ممتنع وحكمه المنع كما تقدم.

قال الشيخ شهاب الدين^(٢): والمنع من هذا ظاهر، وأما ما ليس كذلك فلا يمنع منه فإن الجمع جائز، والتخيير فيه بأكثر [من ذلك]^(٣) كان حاصلاً بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة حروف توسعة على القراءة، فلا ينبغي أن يضيق بالمنع من هذا، ولا ضرر فيه، نعم أكره ترداد الآية بقراءات مختلفة كما يفعله أهل زماننا في [جميع القراءات]^(٤) لما فيه من الابتداع، ولم يرد فيه شيء [عن]^(٥) المتقدمين، وقد بلغت كراهته عن بعض متصديري المغاربة المتأخرين.

قلت: وما أفتى به الشيخان نقله النووي في «شرح المذهب»^(٦) عن أصحاب الشافعي فقال: قال أصحابنا وغيرهم: لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة، لأنها ليست قرآناً لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والقراءة الشاذة ليست متواترة، ومن قال غيره فغالط أو جاهل، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ، ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ، ولا يصلى خلف من يقرأ بها.

الأمر السابع: أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه:

الأول: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو ﴿البُخْلُ﴾، و﴿بِالبُّخْلِ﴾، و﴿مِيسِرَةٌ﴾، و﴿مِيسِرَةٌ﴾، و﴿مَا

(١) الفتاوى (ص/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) المرشد الوجيز (ص/ ١٨٥).

(٣) في المرشد وم: منه.

(٤) في المطبوع: جمع القرآن. والمثبت من المرشد.

(٥) في المطبوع: من.

(٦) المجموع (٣/ ٣٤٧).

هُنَّ أَهْنِهِنَّ» ، «هُنَّ أَطَهَّرَ لَكُمْ» ، و «أَطَهَّرَ لَكُمْ» ، «وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ» [سبا: ١٧] ،
«وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورَ» .

الثاني : الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الخط ، نحو «رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا» [سبا: ١٩] ، و «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» ، و «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ» ، و «تَلَقَّوْنَهُ» ، «وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» ، و «بَعْدَ أُمَّةٍ» ؛ وهو كثير يقرأ به ، لما صحت روايته ووافق العربية .

الثالث : الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يغير صورة الخط بها في رأي العين ؛ نحو «كَيْفَ تُنْشِرُهَا» ، و «ننشرها» ، و «فُزَّعَ عَن قُلُوبِهِمْ» ، و «فَزَّعَ عَن قُلُوبِهِمْ» ، و «يَقْضَى الْحَقُّ» و «يَقْضِي الْحَقُّ» وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأي العين .

الرابع : الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو : «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً» [يس: ٢٩] ، و «إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً» ، و «كَأَلَمِئِنَّ الْمُنْفُوسِ» [القارعة: ٥] ، و «كَالصَّوْفِ الْمُنْفُوسِ» فهذا يقبل إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ؛ ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس : الاختلاف في الكلمة بما يُزيل صورتها في الخط ويُزيل معناها ، نحو : «آتَرَ ﴿١﴾ نَزِيلَ الْكِتَابِ» [السجدة: ٢١-٢٠] في موضع «أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ» . و «وَطَلَّحَ مَنُصُورًا» ، و «طلع منضود» فهذا لا يقرأ به أيضًا ، لمخالفته الخط ، ويُقبل منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف .

السادس : الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ عند الموت : «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ» ، وبهذا قرأ ابن مسعود فهذا يقبل لصحة معناه ، إذا صحت روايته ولا يقرأ به لمخالفته المصحف ؛ ولأنه [خير] ^(١) واحد .

السابع : الاختلاف بلزادة والتقص في الحروف والكلم نحو «وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» [يس: ٣٥] «وما عملت» و «نعجة أنثى» ونظائره ، فهذا يقبل منه ما لم يحدث حكما لم يقله أحد ، ويقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف في إثباته وحذفه ، نحو «تَجْرِي تَحْتَهَا» [الزينة: ١٠٠] في براءة عند رأس المائة و «مِنْ تَحْتِهَا» ، و «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَقِيُّ الْعَمِيدُ» [الحديد: ٢٤] في الحديد و «فَإِنَّ اللَّهَ الْعَقِيُّ» ونحو ذلك ، مما اختلف فيه المصاحف التي وجه بها عثمان إلى الأمصار فيقرأ به ؛ إذ لم يخرج عن خط المصحف ، ولا يقرأ منه ما لم تختلف فيه المصاحف ، لا يزداد شيء لم يزد فيها ولا ينقص شيء لم ينقص منها .

(١) في المطبوع : غير .

الأمر الثامن: قال أبو عبيد في كتاب (فضائل القرآن): إن القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، وذلك كقراءة عائشة وحفصة: «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلاة العصر».

وكقراءة ابن مسعود: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما».

ومثل قراءة أبي: «للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فيهن».

وكقراءة سعد بن أبي وقاص: «وإن كان له أخ أو أخت من أم فلكل...».

وكما قرأ ابن عباس: «لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج».

قلت: وكذا قراءته «وأيقن أنه الفراق» وقال: ذهب الظن. قال أبو الفتح: يريد أنه ذهب اللفظ الذي يصلح للشك، وجاء اللفظ الذي هو مصرح باليقين انتهى.

وكقراءة جابر: «فإن الله من بعد إكراههن له غفور رحيم».

فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو الآن أكثر من [ق/ ٥٠] التفسير وأقوى، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل، على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله إنما يعرف ذلك العلماء، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن، كقراءة من قرأ ﴿يَقُضُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٥٧] فلما وجدت في قراءة عبد الله «يقضى الحق»^(١) علمت أنها إنما هي ﴿يَقِضُ﴾ [عبس: ٢٣] فقرأتها على ما في المصحف واعتبرت صحتها بتلك القراءة، وكذلك قراءة من قرأ: ﴿أَخْرَجْنَا لِمَنْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] ثم لما وجدت في قراءة أبي «تتنبهم» علمت أن وجه القراءة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] في أشباه من هذا كثيرة.

فائدة:

مكي الحافظ عن اليماني: كانوا يكرهون أن يقولوا: قراءة عبد الله، وقراءة سالم، وقراءة أبي، وقراءة زيد، بل يقال: فلان كان يقرأ كذا، وفلان كان يقرأ بوجه كذا^(٢).

فائدة

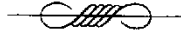
قيل: قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان وقراءة عاصم وحزرة والكسائي إلى عثمان وعلى وابن مسعود.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

فائدة

قال ابن مجاهد: إذا شك القارئ [في حرف هل هو بالتاء أو بالياء فليقرأ بالياء فإن القرآن مذكر، وإن شك في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليترك الهمز، وإن شك في حرف هل يكون موصلاً أو مقطوعاً فليقرأ بالوصل، وإن شك]^(١) في حرف هل هو ممدود أو مقصور فليقرأ بالقصر، وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأ بالفتح؛ لأن الأول غير لحن في بعض المواضع [والثاني لحن في بعض المواضع]^(٢).



(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

النوع الثامن والعشرون

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ

وهو فن جليل، وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً منها كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي وكتاب «الكشف» لمكي وكتاب «الهداية» للمهدوي وكل منها قد اشتمل على فوائد.

وقد صنفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ، ومن أحسنها كتاب «المحتسب» لابن جنى وكتاب أبي البقاء وغيرهما.

وفائدته كما قال الكواشي: أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضى؛ لأن كليهما متواترة.

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب «اليواقيت» عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس فضلت الأقوى وهو حسن.

وقال أبو جعفر النحاس: وقد حكى اختلافهم في ترجيح ﴿فَأَكْرَبَهُ﴾ بالمصدرية والفعلية فقال: والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي ﷺ، وقد قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداها على الأخرى. انتهى.

وقال في سورة المزمل: السلامة عند أهل الدين أنه إذا صححت القراءتان عن الجماعة ألا يقال: أحدهما أجود، لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك. وكان رؤساء الصحابة رضي الله عنهم ينكرون مثل هذا.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله: قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة «ملك» و﴿مَلِكٍ﴾ حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين واتصاف الرب تعالى بهما ثم قال: حتى إنى أصلى بهذه في ركعة وبهذه في ركعة.

وقال صاحب «التحريير» وقد ذكر التوجيه في قراءة «وعدنا» و﴿وَعَدْنَا﴾ لا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين والقراء والنحويين، وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول بل مرجعه بكثرة الاستعمال في اللغة والقرآن أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام.

وحاصله أن القارئ يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها أو نحو ذلك وقد تجرأ بعضهم على قراءة الجمهور في ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فقال: أكره التأنيث لما فيه من موافقة دعوى الجاهلية في زعمها أن الملائكة إناث، وكذلك كره بعضهم قراءة من قرأ بغير تاء؛ لأن الملائكة جمع وهذا كله ليس بجيد، والقراءتان متواترتان، فلا ينبغي أن ترد إحداها ألبتة، وفي قراءة عبد الله «فناداه جبريل» ما يؤيد أن الملائكة مراد به الواحد.

فصل

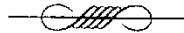
[في توجيه القراءة الشاذة]

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب «المحتسب» لأبي الفتح إلا أنه لم يستوف، وأوسع منه كتاب أبو البقاء العكبري وقد يستبشع ظاهر الشاذ بادي الرأي فيدفعه التأويل كقراءة: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَرَأَى فَأَطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] على بناء الفعل الأول للمفعول دون الثاني وتأويل الضمير في ﴿وَهُوَ﴾ راجع إلى الولي.

وكذلك قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] بفتح الواو والراء على أنه اسم مفعول وتأويله أنه مفعول لاسم الفاعل الذي هو البارئ فإنه يعمل عمل الفعل كأنه قال: الذي برأ المصور.

وكقراءة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وتأويله أن الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم لا الخوف.

وكقراءة: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بضم التاء على التكلم لله تعالى وتأويله على معنى، فإذا أرشدتك إليه وجعلتك تقصده وجاء قوله: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ على الالتفات وإلا لقال: فتوكل على. وقد نسب العزم إليه في قول أم سلمة «ثم عزم الله لي» وذلك على سبيل المجاز وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].



النوع الرابع والعشرون

معرفة الوقف والابتداء

وهو فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات.

وقد صنف فيه الزجاج قديماً كتاب «القطع والاستئناف» وابن الأنباري وابن عباد والداني والعماني، وغيرهم^(١).

وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا [يتعلمون]^(٢) ما ينبغي أن يوقف عنده، كما يتعلمون القرآن.

وروى عن ابن عباس: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ [النساء: ٨٣] قال: فانقطع الكلام.

واستأنس له ابن النحاس بقول ﷺ للخطيب: «بئس الخطيب أنت» حين قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصمها ووقف قال: قد كان ينبغي أن يصل كلامه فيقول: ومن يعصمها فقد غوى، أو يقف على ورسوله فقد رشد^(٣)، فإذا كان مثل هذا مكروها في الخطب ففي كلام الله أشد.

وفيما ذكره نزاع ليس هذا موضعه وقد سبق حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كل كاف شاف ما لم تحتم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب»^(٤).

وهذا تعليم للتمام؛ فإنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار وتفصل عما بعدها، نحو: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، ولا توصل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، وكذا قوله: ﴿حَقَّتْ لِكُلِّ نَفْسٍ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غانر: ٦]، ولا توصل بقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ لِلْكَافِرِينَ﴾ [غانر: ٧]، وكذا: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨]، ولا يجوز أن يوصل بقوله: والظالمون وقس على هذا نظائره.

(١) زاد السيوطي: النحاس، والسجاوندي.

(٢) في المطبوع: يعلمون.

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٠).

(٤) تقدم.

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة، قال أبو بكر بن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوى عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، وقال غيره: وكذا علم الفقه: ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف عند قوله ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]. فإما احتياجه إلى معرفة النحو [ق/ ٥١] وتقديراته، فلأن من قال في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّأَيِّكُمْ إِتْرَاهِيمُ﴾ [الحج: ٧٨] إنه منصوب بمعنى «كلمة» أو عمل فيها ما قبلها لم يقف على ما قبلها.

وكذا الوقف على قوله: ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَكُمْ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] ثم يبتدئ ﴿وَيْمًا﴾، لثلاثي تخيل كونه صفة له؛ إذ العوج لا يكون قيمًا، وقد حكاها ابن النحاس عن قتادة. وهكذا الوقف على ما في آخره هاء، فإنك في غير القرآن تثبت الهاء إذا وقفت وتحذفها إذا وصلت، فتقول: قه وعه وتقول: قي زيدًا وع كلامي، فأما في القرآن من قوله تعالى: ﴿كَيْبِيَّةٌ﴾، و﴿جَسَّابِيَّةٌ﴾، و﴿سُلْطَانِيَّةٌ﴾، و﴿مَاهِيَّةٌ﴾، و﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، و﴿أَفْتَدِيَّةٌ﴾، وغير ذلك، فالواجب أن يوقف عليه بالهاء، لأنه مكتوب في المصحف بالهاء ولا يوصل؛ لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل، فإن أثبتتها خالف العربية، وإن حذفها خالف مراد المصحف، ووافق كلام العرب، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين، واتبع المصحف وكلام العرب.

فإن قيل: فقد جوزوا الوصل في ذلك.

قلنا: أتوبه على نية الوقف، غير أنهم قصروا زمن الفصل بين النطقين، فظن من لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضًا وليس كذلك.

ومثله قراءة ابن عامر ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] ^(١) بإثبات الألف في حال الوصل، اتبعوا في إثباتها خط المصحف؛ لأنهم أثبتوها فيه على نية الوقف، فلهذا أثبتوها في حال الوصل، وهم على نية الوقف.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي «لكنَّ هو الله ربِّي» بإسقاط الألف في الوصل، وإثباتها في الوقف، وقرأ نافع في رواية المسيبي: «لكنَّا هو الله ربِّي» يثبت الألف في الوصل والوقف، وقال ابن جاز وإسماعيل بن جعفر وورش عن قالون عن نافع: بغير ألف في الوصل، ويقف بالألف، وقرأ ابن عامر: «لكنَّا هو الله ربِّي» يثبت الألف في الوصل والوقف. «الحجة» (٥/ ١٤٤-١٤٥).

وأما احتياجه إلى معرفة التفسير؛ فلأنه إذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦] كان المعنى محرمة عليهم هذه المدة، وإذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٦] كان المعنى محرمة عليهم أبداً، وأن التيه أربعين [سنة] ^(١)؛ فرجع في هذا إلى التفسير فيكون [التفسير] ^(٢) بحسب ذلك .

وكذا يستحب الوقف على قوله ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢] ثم يتدئ فيقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [يس: ٥٢]، لأنه قيل: إنه من كلام الملائكة .

وأما احتياجه إلى المعنى فكقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦] فيقف على ﴿قَالَ﴾، وقفة لطيفة، لثلا يتوهم كون الاسم الكريم فاعل: ﴿قَالَ﴾، وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام .

وكذا يجب الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] ثم يتدئ: ﴿إِنَّ أَمْرَةَ اللَّهِ جَبِيحًا﴾ [يونس: ٦٥] .

وقوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَبْئِينَآ﴾ [القصص: ٣٥]، قال الشيخ عز الدين: الأحسن الوقف على ﴿إِلَيْكُمَا﴾ ^(٣)؛ لأن إضافة الغلبة إلى الآيات، أولى من إضافة عدم الوصول إليها، لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها، وقد غلبوا بها السحرة ولم تمنع عنهم فرعون .

وكذا يستحب الوقف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾، والابتداء بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤] فإن ذلك يبين أنه رد لقول الكفار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وقال الداني: إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، والابتداء بما بعده أي: لأن يرحمهم، فإن ابن عباس قال في تفسير الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] يعني: اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٩] يعني: أهل الإسلام ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، والابتداء بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ فإن بذلك يتبين الفصل بين الأمرين، لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض، وهو الصفح عن جهل من جهل قدره وأراد ضربه، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها؛ لأنها همت بما يجب الاستغفار منه؛ ولذلك أمرت به، ولم يهه بذلك يوسف عليه السلام؛ ولذلك لم يؤمر بالاستغفار منه، وإنما هم بدفعها عن نفسه لعصمته، ولذلك أكد

(١) سقط من المطبوع .

(٢) زيادة من م .

(٣) سقط من م .

أيضاً بعض العلماء الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْمَ﴾ [يوسف: ٢٤] ، والابتداء بقوله: ﴿وَهُمْ يَهَا﴾ ، وذلك للفصل بين الخبرين . وقد قال الداني: إنه كاف ، وقيل : تام وذكر بعضهم أنه على حذف مضاف أي : هم بدفعها ، وعلى هذا فالوقف على ﴿هَمَّتْ يَوْمَ﴾ كالوقف على قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَسِيتُ لَكُمْ﴾ ، والابتداء بقوله: ﴿وَهُمْ يَهَا﴾ كالابتداء بقوله ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥] .

ومثله الوقف مراعاة للتنزيه على قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ ، وقد ذكر صاحب «الاكتفا» أنه تام وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : وهو الله يعلم سرهم وجهرهم في السموات والأرض .

وكذلك حكى الزمخشري في «كشافه القديم» عن أبي حاتم السجستاني في قوله: ﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [الله يَسْتَهْزِئُ يَوْمَ] [البقرة: ١٤-١٥] قال : ليس ﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بوقف صالح لا أحب استئناف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْتَهْزِئُ يَوْمَ﴾ [البقرة: ١٥] ، ولا استئناف ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينِ﴾ [ال عمران: ٥٤] حتى أصله بما قبله . قال : وإنما لم يستحب ذلك ، لأنه إنما جاز إسناد الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزاجية ، فإذا استأنفت وقطعت الثاني من الأول أوهم أنك تسنده إلى الله مطلقاً ، والحكم في صفاته سبحانه أن تصان عن الوهم .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْأَلُكُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ال عمران: ٧] قال صاحب «الاكتفا» (١) : إنه تام ، على قول من زعم أن الراسخين لم يعلموا تأويله ، وقول الأكثرين ، ويصدقه قراءة عبد الله «ويقول الراسخون في العلم أمنا به» .

وكذلك الوقف على: ﴿وَقَالُوا أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] ، والابتداء بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ، وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، في كتابه الذي تعقب فيه على صاحب «الاكتفا» ، واستدرك عليه فيه مواقف كثيرة وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم: ﴿أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] ثم رد قولهم ونزه نفسه بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فينبغي أن يفصل بين القولين .

ومثله الوقف على قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] ، والابتداء بقوله ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ قال صاحب «الكافي»: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ كاف سواء قرئ ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ على ما يسم فاعله أو ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ على الإخبار ، لأن الإملاء في كلتا القراءتين مسند إلى الله تعالى لقوله ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فيحسن قطعه من التسويل الذي هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال : وإنما يحسن

قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين ، ولقد نبه بعض من وصله على حسن هذا الوقف فاعتذر بأن الرصل هو الأصل .

ومثله : الوقف على قوله : ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] ، والابتداء بقوله : ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ [الحديد: ٢٧] ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم ، أي : خلق كما جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم ، وإن كانوا قد ابتدعوها فالله تعالى خلقها ، بدليل قوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] هذا مذهب أهل السنة . وقد نسب أبو على الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في «الإيضاح» حين تكلم على هذه الآية فقال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿جَعَلْنَا﴾ مع وصفها بقوله ابتدعوها ؛ لأن ما يجعله الله لا يبتدعونه ، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذهبين .

ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التحریم: ٤] ، والابتداء بقوله : ﴿وَحَبْرِيلُ وَمَصْلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] أي : معينون له ﷺ ، فتكون هذه الجملة مستأنفة .

وأما احتياجه إلى المعرفة بالقراءات ؛ فلأنه إذا قرأ «وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا» بفتح الحاء كان هذا التمام ، وإن ضم الحاء وهي قراءة الحسن فالوقف عند «حُجْرًا» لأن العرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدة قال : «حُجْرًا» فقليل له : «محجورًا» أي : لا تعاذون كما كنتم تعاذون في الدنيا ، حجر الله ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] إلى قوله : ﴿فَصَاصٌ﴾ فهو التام إذا نصب ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ ، ومن رفع فالوقف عند ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ، وتكون «وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ» ابتداء حكم في المسلمين وما قبله في التوراة .

واعلم أن أكثر القراء يبتغون في الوقف المعنى ، وإن لم يكن رأس آية ، ونازعهم فيه بعض المتأخرين في ذلك ، وقال : هذا خلاف السنة ، فإن النبي ﷺ كان يقف عند كل آية فيقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ويقف ثم يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وهكذا روت أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية^(١) ، ومعنى هذا [ق/٥٢] الوقف على رءوس الآي ، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة قال : وهذا هو الأفضل ، أعنى : الوقف على رءوس الآي وإن تعلق بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقف عند رءوس انتهائها ، واتباع السنة

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٠١) ، والترمذي (٢٩٢٧) ، وأحمد (٢٦٠٤٣) ، والدارقطني (٣١٢/١) ، والحاكم (٢٩٠٩) ، والبيهقي في «الكبرى» (٢٢١٢) ، و«الشعب» (٢٣١٩) وهو صحيح .

أولى . وعن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (شعب الإيمان) ^(١) وغيره، ورجح الوقف على رءوس الآي، وإن تعلق بما بعدها .

قلت : وحكى النحاس عن الأخفش على بن سليمان، أن يستحب الوقوف على قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنه رأس آية وإن كان متعلقاً بما بعده .

[أقسام الوقف]

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك .

وقسمه بعضهم إلى ثلاثة، وأسقط الحسن، وقسمه آخرون إلى اثنين وأسقط الكافي والحسن .

فالتام : هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، كقوله تعالى : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، وأكثر ما يوجد عند رءوس الآي كقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، ثم يتدئ بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، وكذا ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ثم يتدئ بقوله : ﴿يَبْنَئِيٰ إِسْرَءِيلَ﴾ .

وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة كقوله : ﴿وَيَعْمَلُوا أَعْرَءَةً أَهْلَهَا أَذًى﴾ [النمل : ٣٤] هنا التمام، لأنه انقضى كلام بلقيس ثم قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ، وهو رأس الآية .

وكذلك : ﴿عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِ﴾ [الفرقان : ٢٩] هو التمام؛ لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو أبي بن خلف ثم قال تعالى : ﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ [الفرقان : ٢٩] ، وهو رأس آية .

وقد يوجد بعدها كقوله تعالى : ﴿مُصْبِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَيَأْتِلُ﴾ ﴿مصبحين﴾ رأس الآية ﴿وبالليل﴾ التمام : لأنه معطوف على المعنى أي : والصبح وبالليل .

وكذلك ﴿يَتَكُونُ﴾ ﴿وَرُحْرُقًا﴾ رأس الآية ﴿يَتَكُونُ﴾ ، ﴿وَرُحْرُقًا﴾ هو التمام؛ لأنه معطوف على ما قبله من قوله : ﴿سَقَفًا﴾ .

وآخر كل قصة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام، والأحزاب والأنصاف والأربع والأثمان والأسباع، والاتساع والأعشار والأحاس، وقبل ياء النداء وفعل الأمر والقسم ولامه دون القول، و«الله» بعد رأس كل آية، والشرط ما لم يتقدم جوابه، و«كان الله»

و«ذلك» و«لولا» غالبهن تام، ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه .

والكافي: منقطع في اللفظ متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضا بما بعده نحو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] هنا الوقف ثم يتدئ بما بعد ذلك وهكذا باقى المعطوفات، وكل رأس آية بعدها «لام كى»، و«إلا» بمعنى «لكن» و«إن» المكسورة المشددة، والاستفهام و«بل» و«ألا» المخففة، و«السين»، و«سوف» على التهديد و«نعم» و«بئس»، و«كيلا»، وغالبهن كاف ما لم يتقدمهن قول أو قسم . وقيل: «أن» المفتوحة المخففة خمسة لا غير، البقرة: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾، والنساء: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾، والنور: ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ﴾ .

والحسن: هو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به في اللفظ والمعنى، نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الزَّكَاةَ الرَّحِيمَ﴾، والوقف عليه حسن، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الزَّكَاةَ الرَّحِيمَ﴾، و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا يحسن؛ لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح؛ لأنه تابع .

والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد نحو ﴿الْحَمْدُ﴾ فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة ولا على البديل دون المبدل منه، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه نحو ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعِدِ﴾ [الحاقة: ٤]، ولا على المجرور دون الجار .

وأقبح من هذا الوقف على قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ منهم والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿إِنَّ إِلَهًا﴾؛ لأن المعنى يستحيل بهذا في الابتداء، ومن تعمدته وقصد معناه فقد كفر، ومثله في القبح الوقف على ﴿قَبِهُتِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، و﴿مَثَلُ السَّوَةِ وَاللَّهِ﴾ [النحل: ٦٠]، وشبهه، ومثله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَجْدَةً فَلَهَا النَّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [النساء: ١١]، و﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ [الأنعام: ٣٦] .

وأقبح من هذا وأشنع، الوقف على النفي دون حروف الإيجاب، نحو ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وكذا ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ① و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٩-١٠]، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْيُنُهُمْ﴾ ② و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [محمد: ١-٢] فإن اضطر لأجل التنفس جاز ذلك، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج .

وقال بعضهم: إن تعلق الآية بما قبلها تعلقًا لفظيًا كان الوقف كافيًا، نحو ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ③ صِرَاطَ الَّذِينَ﴾، وإن كان معنويًا فالوقف على ما قبلها حسن كاف

نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وإن لم يكن لا لفظياً ولا معنوياً فتام كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] بعده ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وإن كانت الآية مضادة لما قبلها كقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْعَرْسَ﴾ [غانر: ٦-٧] فالوقف عليه قبيح .

واعلم أن وقف الواجب إذا وقفت قبل «والله» ثم ابتدأت بوالله وهو الوقف الواجب كقوله تعالى: ﴿حَدَّرَ أَلْمَوْتَ وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] .

وقال بعض النحويين: الجملة التاليفية إذا عرفت أجزاؤها، وتكررت أركانها كان ما أدركه الحس في حكم المذكور فله أن يقف كيف شاء وسواء التام وغيره، إلا أن الأحسن أن يوقف على الأتم وما يقدر به .

وذهب الجمهور إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب: تام وشبيه به وناقص وحسن وشبيه به، وقبيح، وشبيه به وصنفوا فيه تصانيف، فمنها ما أثره عن النحاة، ومنها ما أثره عن القراء ومنها ما استنبطوه، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط، كالوقف على أواخر الآي، وهي مواقف النبي ﷺ .

وذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن التام، والناقص، والحسن والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومتعمد الوقف على نحوه مبتدع، قال: لأن القرآن معجز وهو كالقطعة الواحدة، فكله قرآن وبعضه قرآن وكله تام حسن، وبعضه تام . حكى ذلك أبو القاسم بن برهان النحوى عنه .

وقال ابن الأنباري: لا يتم الوقف على المضاف [دون المضاف إليه] ^(١)، ولا على الرفع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرفع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا عكسه ولا على المؤكد دون التأكيد، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا على إن وأخواتها دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، وكذا ظننت ولا على المستثنى منه دون الاستثناء، ولا على المفسر عنه دون التفسير، ولا على المترجم عنه دون المترجم، ولا على الموصول دون صلته، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم به عنه، ولا على حرف [الجزاء دون الفعل الذي بينهما] ^(٢)، ولا على الذي يليه دون الجواب، وجوز أبو على الوقف على ما قبل «إلا» إذا كانت بمعنى «لكن» كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا أَصْطَرَيْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وكقوله: ﴿إِلَّا آيَةً وَجِئَ رَبِّيَ الْأَهْلُ﴾ [الليل: ٢٠]، و ﴿إِلَّا آيَاتِ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، ونحوه .

وقال أبو عبيد: يجوز الوقف دون ﴿إِلَّا خَطَا﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿إِلَّا اللَّهُمَّ﴾ ، ﴿إِلَّا سَلَمًا﴾

(٢) في م: حروف الجر دون الذي يليها .

(١) زادها (ف) .

لأن المعنى لكن يقع خطأ، ولكن قد يلزم، ولكن يسلمون سلامًا، وجميعه استثناء منقطع .
وقال غيره : لا يجوز الوقف على المبدل دون البديل إذا كان منصوبًا، وإن كان مرفوعًا جاز
الوقف عليه .

والحاصل : أن كل شيء كان تعلقه بما قبله كتعلق البديل بالمبدل منه، أو أقوى لا يجوز
الوقف عليه .

مسألة

فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها
وبين أن تكون للمدح فيجوز، وجرى عليه الرماني في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَيَذَرُ
الضَّيِّيرَ﴾ قال : ويجوز الوقف عليه خلافا لبعضهم، وعامل الصفة في المدح غير عامل
الموصوف، فلهذا جاز قطعها عما قبلها بخلاف الاختصاص، فإن عاملها عامل الموصوف
وسياتي في كلام الزمخشري ما يؤيده .

مسألة

لا خلاف في التسامح بالوقف على المستثنى منه، دون المستثنى إذا كان متصلًا واختلف
في الاستثناء المنقطع، فمنهم من يجوزه مطلقًا، ومنهم من يمنعه مطلقًا، وفصل ابن
الحاجب في أماليه^(١) فقال : يجوز إن صرح بالخبر ولا يجوز إن لم يصرح [به]^(٢) لأنه إذا
صرح بالخبر استقلت الجملة واستغنت عما قبلها، وإذا لم يصرح به كانت مفتقرة إلى ما
قبلها . قال : ووجه من [جوز]^(٣) مطلقًا [أنه]^(٤) في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه،
فكان مثل [قولنا]^(٥) : زيد لمن قال : من أبوك؟ ألا ترى أن تقدير المنقطع في قولك : ما في
الدار أحد إلا [الحارث]^(٦)، لكن [الحارث]^(٧) في الدار ولو قلت : «لكن [الحارث]^(٨)»
[ق/٥٣] مبتدئًا به بعد [الوقف]^(٩) على ما قبله لكان حسنًا، ألا ترى إلى جواز الوقف
بالإجماع على مثل قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس : ٤٤] ، والابتداء بقوله :
﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس : ٤٤] فكذلك هذا ووجه من قال بالمنع ما أرى من

- (١) (٢/٨٣١-٨٣٢) .
(٢) ليست في الأمالي .
(٣) في الأمالي : يجوز .
(٤) في الأمالي : أنها .
(٥) في الأمالي : قولك .
(٦) في الأمالي : الحمار .
(٧) في الأمالي : الحمار .
(٨) في الأمالي : الحمار .
(٩) في المطبوع : الوقوف .

احتياج الاستثناء المنقطع إلى ما قبله لفظاً ومعنى: أما اللفظ: فلأنه لم يعهد استعمال «إلا» وما في معناها إلا [متصلة]^(١) بما قبلها لفظاً ألا ترى أنك إذا قلت: ما في الدار أحد غير حمار فوقفت على ما قبل «غير» وابتدأت به كان قبيحاً فكذلك هذا. وأما المعنى فلأن ما قبله مشعر بتمام الكلام في المعنى؛ فإن [قولك]^(٢): ما في الدار أحد إلا الحمار هو الذي صحح قولك: إلا الحمار، ألا ترى أنك لو قلت «إلا الحمار» على انفرادة كان خطأ!

مسألة

اختلف في الوقف على الجملة الندائية، والمحققون كما قاله ابن الحاجب على الجواز؛ لأنها مستقلة، وما بعدها جملة أخرى، وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت هي في المعنى.

قاعدة

[في الذي والذين في القرآن]

جميع ما في القرآن من «الذين»، و«الذي» يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً له، والقطع على أنه خبر مبتدأ إلا في سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو المعين.

الأول قوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

الثاني قوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] في البقرة.

الثالث في الأنعام كذلك.

الرابع قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

الخامس في سورة التوبة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً

عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠].

السادس قوله في سورة الفرقان: ﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤].

السابع قوله في سورة حم المؤمن: ﴿أَتَتْهُمْ آصْحَابُ النَّارِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾

[غافر: ٦-٧].

وقال الزمخشري في تفسير سورة الناس^(٣): يجوز أن يقف القارئ على الموصوف ويتبدى

﴿الَّذِي يُوسِسُ﴾ إن جعله على القطع بالرفع والنصب، بخلاف ما إذا جعله صفة، وهذا

(١) في المطبوع: متصلاً.

(٢) الكشاف (٤/٨٢٤).

(٣) زيادة من الأمالي.

يرجع لما سبق عن الرماني من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .
وجميع ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول . قاله
الجويني في تفسيره .

وهذا الإطلاق مردود بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يونس : ٦٥] فإنه يجب الوقف
هنا ؛ لأن قوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٦٥] ليس من مقولهم .

قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حسن الوقف
مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ [الْبَحْرَ] ^(١) ﴾ [الشعراء : ٦٣] فيحسن الوقف
هاهنا ؛ لأن فيه إضمارًا ، تقديره : فضرب فانفلق .

فصل

[ملخص في تقسيمات الوقف]

فصل جامع لخصته من كلام صاحب «المستوفى» في العربية

قال : تقسيمهم الوقف إلى الجودة ، والحسن ، والقبح ، والكفاية ، وغير ذلك ، وإن كان
يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعملها ، وقد حصل لقائلها من
التشويش ما إذا شئت وجدته في كتبهم المصنفة في الوقوف .
فالوجه أن يقال :

الوقف ضربان اضطراري ، واختياري .

فالاضطراري : ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط ، وذلك لا يخص موضعًا دون موضع ،
حتى إن حمزة كان يقف في حرفه على كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطة ، أو متطرفة إذا أراد
تسهيلها ، وحتى إنه روى عنه الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، في نحو قوله : ﴿ وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] قالوا : وقف هنا بالتاء على نحو : جاءني
« طلحت » إشعارًا بأن الكلام لم يتم عند ذاك ، وكوقفه على ﴿ إِنَّ ﴾ ، من قوله : ﴿ وَإِذَا حَلَوُا إِلَى ﴾
[البقرة : ١٤] بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ، كهذه الصورة «خلولى» وعلى هذا يجوز أن
[تقف] ^(٢) في المنظوم من القول حيث شئت ، وهذا هو أحسن الوقفين .

والاختياري : وهو أفضلهما ، هو الذي لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأى القول ،
وينقسم بانقسام الانفصال أقسامًا :

(٢) في المطبوع : يقف .

(١) في المطبوع : الحجر .

الأول: التام، وهو الذي يكون بحيث يستغنى كل واحد من جزأى القولين اللذين يكتفانه عن الآخر، كالوقف على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والآخر: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] مستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظي.

الثاني: الناقص، وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ولا يكون ما بعده مستغنيا عما قبله كالوقف على ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ من قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ولأن لك أن تسكت على ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وليس لك أن تقول مبتدئا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

فإن قيل: ولم لا يجوز أن يقدر هاهنا الفعل الذي ينتصب به ﴿صِرَاطَ﴾؟

قلنا: أول ما في ذلك أنك إذا قدرت الفعل قبل ﴿صِرَاطَ﴾ لم تكن مبتدئا به من حيث المعنى، ثم إن فعلت ذلك كان الوقف تاما، لأن كل واحد من طرفيه يستغنى حينئذ عن الآخر.

والنحويون يكرهون الوقف الناقص في التنزيل، مع إمكان التام، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ﴾ [الجن: ١٠] إلى قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] إن كسرت بعده ﴿إِنَّ﴾ فإن فتحها فإلى قوله: ﴿كَادُوا يَكْفُرُونَ عَلَيْهِ لِيَكْفُرُوا﴾ [الجن: ١٩]؛ لأن الأوجه في «أن» في الآية أن تكون محمولة على ﴿أُوْحَىٰ﴾، وهذا أقرب من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾، وحمل ﴿وَأَلُوْا أَسْتَقْنَمُوا﴾ [الجن: ١٦] على القسم فاضطر في ﴿وَأَنَّ السَّجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] إلى أن جعل التقدير: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]؛ لأن المساجد لله.

فإن قيل: هذا هو الوجه في فتح «أن» في الجملة التي بعد قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١٠-٢] فلم لا يلزم من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾ ألا يقف قبله على هذه الجمل في كسر إن في أول كل واحدة منها؟

قلنا: لأن هذه الجمل داخله في القول، وما يكون داخلًا في القول لا يتم الوقف دونه، كما أن المعطوف إذا تبع المعطوف عليه في إعرابه الظاهر والمقدر، لا يتقدمه الوقف تاما.

فإن قيل: فهل يجوز الفصل بالمكسورات بين «أنه استمع» وبين «وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] فيمن فتحهما، وقد عطف بالثانية على الأولى؟

قيل: أما عندنا فليس ذلك بفصل؛ لأن ما بعد ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ من المكسورات معطوف عليها، وهي داخله في القول والقول أعنى ﴿فَقَالُوا﴾ معطوف على ﴿أَسْمَعُ﴾، و﴿أَسْمَعُ﴾ من

صلة «أن» الأولى المفتوحة، فالمكسورات تكون في خبر المفتوحة الأولى، فيعطف عليها الثانية بلا فصل بينها، والثانية عندنا هي المخففة في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْبَابِ عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: ١٦] ثم الثالثة هي التي في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨].

ثم إن فتحت التي في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] رابعة تابعة فإن فتحت التي بعد ﴿سَمِعْنَا﴾ كانت هي واللاتي بعدها إلى قوله: ﴿حَطَبًا﴾ داخله: في القول حلاً على المعنى، وقد يجوز أن تكون هي الثانية ثم تعد بعدها على النسق.

ونحو قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، وعلى هذا القياس.

الثالث: الأنقص ومثل له بقراءة بعضهم: «وَأِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوقِيَهُمْ» [هود: ١١١]، وقراءة بعضهم: «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ»، والفرق بينهما، أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ في اللفظ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأى القول إلا قليل لبث، والذي دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلاً.

ثم إن كلاً من التام، والناقص، ينقسم في ذاته أقساماً: فالتام أتمه ما لا يتعلق اللاحق فيه من القولين بالسابق معنى، كما لا يتعلق به لفظاً، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَمَّاءَ قَدَمَتِ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الله مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] [الشورى: ٤٨-٤٩]، وشأن ما يتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنى، وإن كان لا يتعلق به لفظاً، وذلك كقوله: ﴿يَحْضَرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]، وتعلق الثاني فيه بالأول تعلق الحال بذى الحال معنى.

ونحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِمْ وَقَوْمِي مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] إلى قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] إلى قوله [ق/ ٥٤]: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] فهذه الحال قد عطف بعضها في المعنى، وظاهر كل واحد منها الاستئناف في اللفظ.

ونحو قوله تعالى: ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧]، وأنت تعلم أن بل لا يبتدأ بها.

ونحو ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] فإن ما بعده منقطع عنه لفظاً؛ إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى، وتعلقه قريب من تعلق الصفة بالموصوف، إلى قوله ﴿وَنَصَلِيَّةٌ جَبِيَّةٌ﴾ [الواقعة: ١٠].

ونحو قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤًا رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١] فإن الوقف عليه تام، ولكنه ليس بالآتم، لأن ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] كالعلة لما قبلها، فهو

متعلق به معنى وإن كان لا تعلق له من جهة اللفظ فقس على هذا ما سواه، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالاً وليس إذا حاولت بيان قصة، وجب عليك ألا تقف إلا في آخرها، ليكون الوقف القول على الأتم، ومن ثم أتى به من جعل الوقف على ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من قوله: ﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَلَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] غير تام.

فصل

متى يحسن الوقف الناقص

يحسن الوقف الناقص بأمور:

منها: أن يكون لضرب من البيان كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلَ لَمْ عَرِمًا ۖ قِيمًا﴾ [الكهف: ١-٢] إذ به تبين أن «قيماً» منفصل عن «عوجاً»، وإنه حال في نية التقديم.
وكما في قوله تعالى: ﴿وَعَمَّتِكُمْ وَخَلَلْتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ [النساء: ٢٣] ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي.
قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَدَّنَا ۗ هَذَا﴾ [يس: ٥٢] ليبين أن هذا ليس من مقولهم.

ومنها: أن يكون على رءوس الآي كقوله تعالى: ﴿مَنْ كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ۖ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَاذًا﴾ [الكهف: ٣-٤]، ونحوه: ﴿لَمَلَكُمْ تُرْحَمُونَ ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٦]. وكان نافع يقف على رءوس الآي كثيراً ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ زَيْنٍ ۗ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

ومنها: أن تكون صورته في اللفظ، صورة الوصل بعينها نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا لَطَىٰ ۗ نَزَامَةَ اللَّسْوَىٰ ۗ﴾ [١٦] ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۗ﴾ [١٧] ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

ومنها: أن يكون الكلام مبنياً على الوقف، فلا يجوز فيه إلا الوقف صيغة كقوله: ﴿يَلْتَنِي ۗ لَوْ أُرْتِ كِنْيَةٌ ۗ﴾ [٢٥] ﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حَسَابِيَّةً ۗ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

هذا في الناقص؛ ومثاله في التام: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۗ﴾ [نار حامية] [القارعة: ١٠-١١].

فصل

[خواص الوقف التام]

من خواص التام المراقبة: وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل كل واحد منهما إذا فرض فيه وجب الوصل في الآخر، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر كالحال بين

«حياة» وبين «أشركوا» من قوله: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ وَيَمْنَهُمُ الَّذِي جَاءُوا بِشُرُكِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٦]، فإنك إن جعلت القطع على ﴿حَيَاتِهِمْ﴾، وجب أن تبتدئ فتقول: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَدْعُونَ إِلَىٰ بَيْتِهِمْ لِيُحَرِّمَ عَلَيْهِمْ الْكُفَّارَ﴾ [البقرة: ٩٦] على الوصل؛ لأن ﴿يَدْعُونَ﴾ صفة للفاعل في موضعه، فلا يجوز الوقف دونه، وكذلك إن جعل المقطع ﴿أَشْرَكُوا﴾، وجب أن يصل ﴿عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ﴾ على أن يكون التقدير: وأحرص من الذين أشركوا، والله أعلم بمراده.

ومنه أيضًا ما تراه بين ﴿لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ﴾، وبين ﴿فِيهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ﴾.

فصل

[انقسام الناقص بانقسام خاص]

ينقسم الناقص بانقسام ما مر من التعلق اللفظي بين طرفيه، فكلما كان التعلق أشد وأكثر كان الوقف أنقص، وكلما كان أضعف وأوهي كان الوقف أقرب إلى التمام، والتوسط يوجب التوسط.

فمن وكيد التعلق ما يكون بين توابع الاسم والفعلية وبين متبوعاتها، إذا لم يمكن أن يتمحل لها في إعرابها وجه غير الاتباع، ومن ثم ضعف الوقف على ﴿مُنْصِرِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقِي نُعْمٌ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ جِئْتُمْ بِأَمْرٍ رَبِّهِمْ فَخَذَتْهُمْ السُّلْبَةُ وَهُمْ لَا يَصِفُونَ﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٦] فيمن جر غاية الضعف.

وضعف على ﴿أَنْبِيَاءٍ﴾ من قوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُونَ﴾ [القلم: ١٠-١٣].

وضعف على ﴿بِهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ يَجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

وضعف على ﴿أَبَدًا﴾ من قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٤-٣].

على أن هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقسامًا، فإنه ليس بين البدل والمبدل منه من التعلق بين الصفة والموصوف على ما ذكرناه.

وأوهى من هذا التعلق ما يكون بين الفعل وبين ما يتتصب عنه من الزوائد التي لا يخل حذفها بالكلام كبير إخلال، كالظرف والتمييز والاستثناء المنقطع؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿عَجَبًا﴾ من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩-١٠] إذ أوى الفتيمة إلى الكهف [الكهف: ٩-١٠] أوهي من الوقوف المذكورة.

فإن وسط بين التعلق بالمذكور من المتعلق الذي للمفعول أو الحال المخصصة، أو الاستثناء الذي يتغير بسقوطه المعنى وانتصب كان لك في الوقف على نحو: ﴿مَسْقَبَةٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْقَبَةٍ﴾ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبٍ﴾ [البلد: ١٤-١٥] ، وعلى نحو ﴿قِيلًا﴾ من قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣] ، وعلى نحو: ﴿مَصِيرًا﴾ من قوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْفِينَ﴾ [النساء: ٩٧-٩٨] ، وعلى نحو ﴿واحدة﴾ و ﴿زَوْجَهَا﴾ ، من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] ، وعلى نحو ﴿نَذِيرًا﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤٥-٤٦] مرتبة بين المرتبتين المذكورتين .

فهذه ثلاث مراتب للوقف الناقص كما ترى، بإزاء ثلاث طبقات من التعلق المذكور، فإن قسمت طبقة من الطبقات انقسمت بإزائها مرتبة من المراتب، فقد خرج لك بحسب هذه القسمة، وهي القسمة الصناعية ستة أصناف من الوقف في الكلام: خمسة منها بحسب الكلام نفسه وهي الأتم، والتام، والذي يشبه التام، والناقص المطلق، والأنقص، وواحد من جهة المتكلم أو القارئ، وهو الذي بحسب انقطاع النفس كما سبق عن حمزة .

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس، وإن كان لا شيء من انقطاع النفس إلا ومعه الوقف، والوقوف أمرها على سبيل الجواز إلا الذي بنى عليه الكلام وما سواه، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل بشرط أن تطابق به انقطاع نفسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيًا على الكلام الذي تنشئه بإخراجه على الوجه المذكور . وما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل؛ فإنه أعون شيء عليه، وقد أمر الله تعالى به رسوله ﷺ في قوله: ﴿وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] .

ويدعو إليه اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريرًا من غير فصل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥-٦] ، وقوله: ﴿لَمَسْجِدًا أُيَسَسَ عَلَى الْآقْوَاعِ﴾ ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْشَرُونَ أَنْ يَبْظَهَرُوا رَبَّهُمْ يُحِبُّ الْمُظْهِرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

فصل

[في الكلام على كلا في القرآن]

«كلا» في القرآن على ثلاثة أقسام:

إحداها: ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعًا باعتبار معنيين .

والثاني: ما لا يوقف عليه ولا يبدأ به .

والثالث^(١): ما يبدأ به ولا يجوز الوقف عليه، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفاً تضمنها خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن، وليس في النصف الأول منها شيء، وللشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله:

وما نزلت «كلا» بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة وأكثرها جابرة، فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلك وضعفهم .
والأول اثنا عشر حرفاً:

منها في سورة مريم: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ كَلَّا ۗ﴾ [مريم: ٧٨-٧٩] .

ومنه فيها: ﴿لِيَكُونُوا لَكُمْ عِزًّا ۚ كَلَّا ۗ﴾ [مريم: ٨١-٨٢] .

وفي المؤمنين: ﴿فِيمَا تَرَكْتُمْ كَلَّا ۗ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

وفي المعارج: ﴿يُجِيبُهُ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [المعارج: ١٤-١٥] ، وفيها: ﴿جَنَّةٍ نَعِيمٍ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [المعارج: ٣٨-٣٩] .

وفي المدثر: ﴿أَنْ أَرِيدَ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [المدثر: ١٥-١٦] ، وفيها: ﴿صُحُفًا مُنشَرَةً ۖ كَلَّا ۗ﴾ [المدثر: ٥٢-٥٣] .

وفي القيامة ﴿إِنَّ الْمَعْرُ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [القيامة: ١٠-١١] .

وفي عبس: ﴿لَلَّهِ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [عبس: ١٠-١١] .

وفي التطهيف: ﴿قَالَ أَطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [المطففين: ١٣-١٤] .

وفي الفجر: ﴿أَهْنِينَ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [الفجر: ١٦-١٧] .

وفي الهمزة: ﴿أَخْلَدُمُ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [الهمزة: ٣-٤] .

والثاني ثلاثة أحرف:

في الشعراء: ﴿أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [الشعراء: ١٤-١٥] .

وفيها: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] .

وفي سبأ: ﴿الْحَقَّقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۗ﴾ [سبأ: ٢٧] .

(١) سوف ينبه المصنف على نوع رابع وهو: ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها.

والثالث ثمانية عشر حرفاً :

في المدثر: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]، ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [المدثر: ٥٤].

وفي القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِيزُونَ الْعَالَمَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].

وفي النبا: ﴿كَلَّا سَيَمَعُونَ﴾ [النبأ: ٤].

وفي عبس: ﴿كَلَّا لَنَا بَيْضٌ﴾ [عبس: ٢٣].

وفي الانفطار: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الانفطار: ٩].

وفي التطفيف: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ [المطففين: ٧]، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ﴾ [المطففين: ١٥].

وفي الفجر: ﴿كَلَّا إِذَا﴾ [القيامة: ٢٦].

وفي المعلق: ﴿كَلَّا إِنَّ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ [المعلق: ١٥]، ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُ﴾ [المعلق: ١٩].

وفي التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] [ق/ ٥٥].

وقسمها مكى أربعة أقسام:

الأول: ما يحسن الوقف فيه على «كلا» على معنى الرد لما قبلها والإنكار له، فتكون

بمعنى: ليس الأمر كذلك، والوقف عليها في هذه المواضع هو الاختيار، ويجوز الابتداء بها على معنى «حقاً» أو «إلا»؛ وذلك أحد عشر موضعاً:

منها الموضعان في مريم، وفي المؤمنين.

وفي سبأ: ﴿الْحَقُّنَّ بِرَبِّهِ شُرَكَاءَ كَلَّا﴾ [سبأ: ٢٧]، وموضعان في المعارج وموضعان في

المدثر وموضع في المطففين والفجر، [والحطمة] ^(١)، قال: فهذه أحد عشر موضعاً الاختيار

عندنا وعند أكثر أهل اللغة أن تقف عليها على معنى النفي والإنكار، لما تقدمها، ويجوز أن

تبتدئ بها على معنى «حقاً» لجعلها تأكيداً للكلام الذي بعدها أو الاستفتاح.

الثاني: ما لا يحسن الوقف عليه فيها، ولا يكون الابتداء بها على معنى «حقاً» أو «إلا» أو

تعلقها بما قبلها، وبما بعدها ولا يوقف عليها ولا يبتدأ بها، والابتداء بها في المواضع

أحسن، وذلك في ثمانية عشر موضعاً موضعان في المدثر: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾ [المدثر: ٣١-٣٢]،

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ① ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [المدثر: ٥٣-٥٤].

وثلاثة في القيامة: ﴿إِنَّ الْمَرْءَ ② كَلَّا﴾ [القيامة: ١٠-١١] ﴿يَوْمَ إِنَّ عَلَيْنَا لِيَأَنَّكُمْ ③ كَلَّا﴾ [القيامة:

١٩-٢٠] ﴿أَنْ يَسْأَلَ بِهَا فَافِرَةٌ ④ كَلَّا﴾ [القيامة: ٢٥-٢٦].

(١) سقط من م.

وموضع في عم: ﴿كَلَّا سَيَمْلُوكُنَّ﴾ .

وموضعان في عيس: ﴿إِنَّا شَاءَ أَنْشُرَنَّكَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [عيس: ٢٢-٢٣] ﴿لَلَّغْنِ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [عيس: ١٠-١١] .

وموضع في الانفطار: ﴿مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [الانفطار: ٨-٩] .

وثلاثة مواضع في المطففين: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ [المطففين: ٦-٧] ﴿مَا كَاوُوا

يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ﴾ [المطففين: ١٤-١٥] ﴿الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ تِلْكَ الْوَعْدُ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [المطففين: ١٧-١٨] .

وموضع في الفجر: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ٢٠-٢١] .

وثلاثة مواضع في العلق^(١): ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ٥-٦] ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ

رَبُّهُ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ١٤-١٥] . ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ١٨-١٩] .

وموضعان في التكاثر: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٢-٣] ، وقوله: [

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٥]]^(٢) .

فهذه ثمانية عشر موضعاً، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبتدأ بها

و«كلا» على معنى «حقاً» أو «إلا» وألا يوقف عليها .

الثالث: ما لا يحسن الوقف فيه عليها، ولا يحسن الابتداء بها، ولا تكون موصولة بما

قبلها من الكلام، ولا بما بعدها، وذلك موضعان في ﴿عَمَّ يَسْتَأْذِنُونَ﴾: ﴿كَلَّا سَيَمْلُوكُنَّ﴾ ﴿تُو كَلَّا

سَيَمْلُوكُنَّ﴾ [البا: ٤-٥] . وكذا في التكاثر: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] ، فلا يحسن الوقف

عليها ولا الابتداء بها .

الرابع: ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقف عليها، وهو موضعان في الشعراء: ﴿أَنْ

يَقْتُلُون﴾ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ١٤-١٥] . ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] .

قال: فهذا هو الاختيار، ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها

ولا تبدئ بها .

[الكلام على «بلى»]

وأما ﴿بِئْسَ﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعاً، في ست عشرة سورة

وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها، لأنها جواب لما قبلها غير

متعلق بما بعدها، وذلك عشرة مواضع موضعان: في البقرة: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِئْسَ مَنْ

(٢) سقط من م .

(١) في م: القلم، خطأ .

كَسَبَ سَيِّئَةً ﴿ [البقرة: ٨٠-٨١] ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ بَلَىٰ ﴿ [البقرة: ١١١-١١٢].
وموضعان في آل عمران: ﴿وَهُمْ يَمْلِكُونَ ﴿٥٠﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ ﴿ [آل عمران: ٧٥-٧٦] ﴿بَلَىٰ إِنْ
تَصِيرُوا﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وموضع في الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴿ [الأعراف: ١٧٢]، وفيه اختلاف.

وفي النحل: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ بَلَىٰ ﴿ [النحل: ٢٨].

وفي يس: ﴿أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ﴿ [يس: ٨١].

وفي غافر: ﴿رُسُلَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ ﴿ [غافر: ٥٠].

وفي الأحقاف: ﴿عَلَىٰ أَنْ يُجَيَّزَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ﴿ [الأحقاف: ٣٣].

وفي الانشقاق: ﴿أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ ﴿ [الانشقاق: ١٤-١٥].

فهذه عشرة مواضع يختار الوقف عليها، لأنها جواب لما قبلها غير متعلقة بما بعدها وأجاز بعضهم الابتداء بها.

والثاني: ما لا يجوز الوقف عليها، لتعلق ما بعدها بها، وبما قبلها وذلك في سبعة

مواضع:

في الأنعام: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّيَ﴾ . وفي النحل: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ ﴿ [النحل: ٣٨].

وفي سبأ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ [سبأ: ٣]، وفي الزمر: ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَ ﴿ [الزمر:

٥٨-٥٩].

وفي الأحقاف: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّيَ﴾ .

وفي التغابن: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبَعَثَنَّ ﴿ [التغابن: ٧].

وفي القيامة: ﴿أَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٤﴾ بَلَىٰ ﴿ [القيامة: ٣-٤].

وهذه لا خلاف في امتناع الوقف عليها، ولا يحسن الابتداء بها؛ لأنها وما بعدها جواب.

الثالث: ما اختلفوا في جواز الوقف عليها، والأحسن المنع؛ لأن ما بعدها متصل بها

وبما قبلها، وهي خمسة مواضع:

في البقرة: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ ﴿ [البقرة: ٢٦٠].

وفي الزمر: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ ﴿ [الزمر: ٣٧].

وفي الزخرف: ﴿وَيَعْبُدُهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلَنَا ﴿ [الزخرف: ٨٠].

وفي الحديد: [﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ .

وفي الملك^(١): ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدِ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٩] .

[الكلام على نعم]

﴿وأما نَعَم﴾ ففي القرآن في أربعة مواضع:

في الأعراف: ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، والمختار الوقف على «نعم»؛ لأن ما بعدها ليس متعلقاً بها ولا بما قبلها؛ إذ ليس هو قول أهل النار، و﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ من قولهم .

والثاني والثالث: في الأعراف والشعراء: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٤] .

الرابع: في الصافات: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٨] .

والمختار ألا يوقف على «نعم» في هذه المواضع لتعلقها بما قبلها لاتصاله بالقول، وضابط ما يختار الوقف عليه أن يقال: إن وقع بعدها «ما» اختير الوقف عليها وإلا فلا، أو يقال: إن وقع بعدها واو لم يجز الوقف عليها وإلا اختير، وأنت غير في أيهما شئت .



(١) سقط من م .

النوع الخامس والعشرون

علم مرسوم الخط^(١)

ولما كان خط المصحف هو الإمام الذي يعتمد القارئ في الوقف والتمام، ولا يعدو رسومه ولا يتجاوز مرسومه، قد خالف خط الإمام في كثير من الحروف والأعلام ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه . ولما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان رضي الله عنه اختلفوا في كتابة التابوت فقال زيد: «التابوه» وقال [النفر]^(٢) القرشيون: «التابوت»، وترافعوا إلى عثمان، فقال: اكتبوا «التابوت»، وإنما أنزل القرآن على لسان قریش^(٣).

قال ابن درستويه: خطان لا يقاس عليهما خط المصحف، وخط تقطيع العروض . وقال أبو البقاء في (كتاب اللباب)^(٤): «ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف، فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام، والعمل على الأول» . فحصل أن الخط ثلاثة أقسام: خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف، وخط جرى على ما أثبتته اللفظ وإسقاط ما حذفه، وهو خط العروض، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل، وخط جرى على العادة المعروفة، وهو الذي يتكلم عليه النحوي . واعلم أن للشيء في الوجود أربع مراتب: الأولى: حقيقته في نفسه . والثانية: مثاله في الذهن، وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة: اللفظ الدال على المثال الذهني والخارجي والرابعة: الكتابة الدالة على اللفظ، وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم كاختلاف اللغة العربية والفارسية والخط العربي والهندي؛ ولهذا صنف الناس في الخط والهجاء، إذ لا يجري على حقيقة اللفظ من كل وجه .

(١) قال السيوطي: «أفرده بالتصنيف خلافاً من المتقدمين والمتأخرين منهم: أبو عمرو الداني، وألف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشي كتاباً سماه: «عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل». «الإتقان» (٤/٤٣٠) . قلت: كتاب المراكشي اعتمد عليه الزركشي في هذا الباب، ولا أكون مبالغاً إن قلت: إنه نقله كله

هنا .

(٢) تقدم .

(٣) سقط من م .

(٤) الورقة/٢٠٠ مخطوطة دار الكتب المصرية . (ف) .

وقال الفارسي: لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب «الخط [والهجاء]»^(١) قال لي: اكتب كتابنا هذا قلت له: نعم إلا أنني آخذ بأخر حرف منه، قال: وما هو؟ قلت: قوله «ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط».

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب «فقه اللغة»: يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني، والكتب كلها: آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابًا فكتبوه، فأصاب إسماعيل [عليه السلام]^(٢) الكتاب العربي.

وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام. قال: والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة.

والذي نقوله: إن الخط توقيفي، لقوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۗ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤-٥] ، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنْتَ بِرَبِّكَ تُرِيدُ﴾ [القلم: ١]. [وإذا كان كذا]^(٣)، فليس يبعد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب. وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم [يعرفوا]^(٤) نحوًا ولا إعرابًا ولا رفعًا ولا نصبًا ولا همزًا. ومذهبنا [فيه التوقيف، فنقول]^(٥): إن أسماء هذه الحروف داخلية في الأسماء التي علم الله تعالى آدم عليه السلام.

قال: وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره، وإنما نقول: إن هذين العلمين كانا [قديمين]^(٦)، وأنت عليهما الأيام وقلا في أيدي الناس، ثم جدهما هذان الإمامان.

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم ذلك كتابتهم المصحف على الذي يعمله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو [بالألف]^(٧)، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنًا، نحو «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك [كله]^(٨) حجة، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع «المصحف».

وأسند إلى الفراء قال: اتباع المصحف إذا وجدت له وجهًا من كلام العرب [قول]^(٩)

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١) سقط من م. | (٢) زيادة من م. |
| (٣) زادها (ف) من الصاحبي. | (٤) في م: يعرفوها. |
| (٥) زادها (ف) من الصاحبي. | (٦) في المطبوع: قديمًا. |
| (٧) في المطبوع: بالواو. | (٨) زادها (ف) من الصاحبي. |
| (٩) في المطبوع: قراءة. | |

الفراء أحب إلى من خلافه .

وقال أشهب: سئل مالك رحمه الله: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتابة الأولى [ق/٥٦]. رواه [أبو عمرو الداني في المقنع] ^(١) ثم قال: ولا يخالف له من علماء الأمة ^(٢).

وقال في موضع آخر ^(٣): سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف، أترى أن تغير من المصحف إذا [وجدنا] ^(٤) فيه كذلك؟ فقال: لا. قال: أبو عمرو يعني: الواو والألف [المزيدتين] ^(٥) في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو [الواو في] ^(٦): ﴿أُولُوا الْأَيْكِبِ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ﴾، و ﴿الربوا﴾، ونحوه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك. قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حتى غض، وأما الآن فقد يخشى الإلباس، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة، لثلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لثلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة. وقد قال البيهقي في شعب الإيمان ^(٧): من كتب مصحفًا فينبغي [له] ^(٨) أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوه شيئًا، فإنهم أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي [لنا] ^(٩) أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم. وروى بسنده عن زيد قال: القراءة سنة ^(١٠). قال سليمان بن داود الهاشمي: يعني ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع.

قال: وبمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك: [وترى] ^(١١) القراء لم يلتفوا إلى [مذهب] ^(١٢) العربية في القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف، [واتباع] ^(١٣) حروف المصاحف [عندنا] ^(١٤) كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدها.

- | | |
|----------------------------|--------------------------|
| (١) في م: عمرو في المقنع. | (٢) المقنع (ص/٩). |
| (٣) المقنع (ص/٢٨). | (٤) في المقنع: (وجدت). |
| (٥) في المقنع: الزائدتين. | (٦) زادها (ف) من المقنع. |
| (٧) (٥٤٧/٢). | (٨) زيادة من الشعب. |
| (٩) زيادة من الشعب. | (١٠) الشعب (٢٦٧٩). |
| (١١) في الشعب: نرى. | (١٢) في الشعب: مذاهب. |
| (١٣) في الشعب: ورأوا تتبع. | (١٤) في الشعب: عندهم. |

مسألة [في كتابة القرآن بغير الخط العربي]

هل يجوز كتابة القرآن بقلم غير العربي؟ هذا مما لم أر للعلماء فيه كلامًا، ويحتمل الجواز؛ لأنه قد يحسنه من يقرأه بالعربية، والأقرب المنع كما تحرم قراءته بغير لسان العرب؛ ولقولهم: القلم أحد اللسانين، والعرب لا تعرف قلمًا غير العربي قال تعالى: ﴿يَلْسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه

واعلم أن الخط جرى على وجوه: فيها ما زيد عليه على اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه؛ وذلك لحكم خفية، وأسرار بهية تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه «عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل» وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها.

ومنها: التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات، والخط إنما [يرتسم]^(١) على الأمر الحقيقي لا الوهمي.

[الزائد وأقسامه]

الأول: ما زيد فيه، والزائد أقسام:

[القسم الأول: زيادة الألف]

الأول الألف: وهي إما أن تزد من أول الكلمة أو من آخرها، أو من وسطها: فالأول: تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود، مثل ﴿لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ و«ولا أوضعوا خلالكم» زيدت الألف تنبيهًا على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظًا فالذبح أشد من العذاب، والإيضاع أشد لإفسادًا من زيادة الخيال، واختلفت المصاحف في حرفين: «لا إلى الجحيم» و«لا إلى الله محشرون» فمن رأى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم، وأن حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم في الدنيا أثبت الألف، ومن لم ير ذلك؛ لأنه غيب عنا فلم يستو القسمان في العلم بهما لم يثبت، وهو أولى. وكذلك ﴿تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿أَفَلَمْ يَأْتَسِ﴾ لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار.

(١) في م: يرسم.

والثاني: يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود، لزيادتها بعد الواو في الأفعال، نحو «يرجوا» و«يدعوا»؛ وذلك لأن الفعل أثقل من الاسم، لأنه يستلزم فاعلاً فهو جملة، والاسم مفرد لا يستلزم غيره، فالفعل أزيد من الاسم في الوجود، والواو أثقل حروف المد واللين، والضممة أثقل الحركات، والمتحرك أثقل من الساكن، فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى، لأن الكلمة جملة، مثل: «قالوا»، و«عصوا» إلا أن يكون الفعل مضارعاً، وفيه النون علامة الرفع فتختص الواو بالنون التي هي من جهة تمام الفعل؛ إذ هي إعرابه فيصير ككلمة واحدة وسطها واو كالعيون والسكون، فإن دخل ناصب أو جازم مثل ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] ثبتت الألف.

وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو: ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ﴾ [سبا: ٥] فإنه سعى في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود.

وكذلك ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، و ﴿جَاءُوا ظُلْمًا زُرُورًا﴾ [الفرقان: ٤] ﴿وَجَاءَ رَبُّ آبَاهُمْ﴾ [يوسف: ١٦] ﴿وَجَاءَهُمْ عَلَى قَيْصِهِمْ﴾ [يوسف: ١٨] فإن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح. وكذلك ﴿فَإِنْ قَاءُوا﴾، وهو فيء بالقلب والاعتقاد.

وكذا ﴿تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] اختاروها سكنًا، لكن لا على الجهة المحسوسة؛ لأنه سوى بينهما، وإنما اختاروها سكنًا لمرضاة الله، بدليل وصفهم بالإيثار مع الخصاصة، فهذا دليل زهدهم في محسوسات الدنيا وكذلك ﴿قَاءُوا﴾؛ لأنه رجوع معنوي. وكذلك ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعَوْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٩٩] حذف ألفه؛ لأن كيفية هذا الفعل لا تدرك؛ إذ هو ترك المؤاخذة؛ إنما هو أمر عقلي.

وكذلك ﴿وَعَتَرُوا عُنُقًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] هذا عتو على الله، لذلك وصفه بالكبر، فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت من: ﴿وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]، ولم تسقط من ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] لأن «غضبوا» جملة بعدها أخرى، والضمير مؤكد للفاعل في الجملة الأولى، و«كالوهم» جملة واحدة الضمير جزء منها.

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في حرفين: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾ [المائدة: ٢٩] و﴿مَا إِنَّا مَفَاتِحُهُ لِنُؤْتِيَ﴾ [الفصم: ٧٦] تنبيهاً على تفصيل المعنى، فإنه يبوء بإثمين من فعل واحد، وتنوء المفاتيح بالعصبة، فهو نوءان للمفاتيح، لأنها بثقلها أثقلتهم فمالت وأمالتهم، وفيه تذكير بالمناسبة يتوجه به من مفاتيح كنوز مال الدنيا المحسوس إلى مفاتيح كنوز العلم الذي ينوء

بالعصبة أولى القوة في يقينهم إلى ما عند الله في الدار الآخرة. ﴿كَأَمْثَلِ الذُّلْفِ﴾ تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الأفراد، يدل عليه قوله: ﴿كَأَمْثَلِ﴾، وهو على خلاف حال ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُو﴾ فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل.

وقال أبو عمرو^(١): كتبوا ﴿الذُّلْفِ﴾ في الحج، والملائكة بالألف واختلفت في زيادتها، فقال أبو عمرو: كما زادوها في «كانوا» وقال الكسائي: لمكان الهمزة.

وعن محمد بن عيسى الأصبهاني: كل ما في القرآن من «لؤلؤ» بغير الألف في مصاحف البصريين، إلا في موضعين في الحج والإنسان.

وقال عاصم الجحدري: كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة.

والثالث: تكون لمعنى في نفس الكلمة ظاهر، مثل ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] زيدت الألف دليلاً على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور يتفصل بها عن معهود المجيء، وقد عبر عنه بالماضي، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله، فيستوي في علمنا ملكها وملكوها في ذلك المجيء، ويدل عليه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَبَرَزَتْ الْجَهَنَّمُ﴾، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَّانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] هذا بخلاف حال ﴿وَجَاءَ بِالتَّيْنِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٦٩] حيث لم تكتب الألف؛ لأنه على المعروف في الدنيا، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبت الألف فيه أيضاً.

وكذلك ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣] الشيء هنا معدوم وإنما علمناه من تصور مثله الذي قد وقع في الوجود، فنقل له الاسم فيه من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود، فزيدت الألف تنبيهاً على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود؛ إذ هو موجود في الأذهان معدوم في الأعيان.

وهذا بخلاف قوله في النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل: ٤٠] فإن الشيء هنا من جهة قول الله لا يعلم كيف ذلك، بل نؤمن به تسليمًا لله سبحانه فيه، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا، فلا تشبيه ولا تعطيل.

وكذلك ﴿إِنَّكَ فَرِحْتَ وَمَلَأَيْتَهُ﴾ [هود: ٩٧] زيدت الألف بين اللام والهمزة تنبيهاً على تفصيل مهم ظاهر الوجود.

ومثله زيادتها في «مائة»؛ لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبين: آحاد وعشرات.

(١) المقنع (ص/٤٢).

قال أبو عمرو في المقتنع^(١): لا خلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ [ق/ ٥٧] في الدرج نحو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [البقرة: ٨٧] ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] ، وهو نعت ، كما أثبتوها في الخبر نحو: ﴿عَزَّزْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ، و ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ، ولم تحذف إلا في خمسة مواضع .

قال^(٢): ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في «مائة» ، و«مائتين» حيث وقعا ، ولم تزد [قوله]^(٣) في «فئة» ولا «فئتين» وزيدت في نحو: «تبوأ بإثمى» و«لتنوأ بالمصبة» ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت [خطأ]^(٤) في المصحف إلا في هذين الموضوعين . [ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في قوله]:^(٥) ﴿مَوْبِلًا﴾ في الكهف لا غير .

[القسم الثاني زيادة الواو]

الزائد الثاني: الواو، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان، مثل: ﴿سَأُزَيِّدُكَ دَارَ النَّسِيِّينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ﴿سَأُزَيِّدُكُمْ مَائِي﴾ ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .

وكذلك «أولي» و«أولوا» و«أولات» زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على «أصحاب»، فإن في «أولى» معنى الصحبة وزيادة التمليك والولاية عليه، وكذلك زيدت في «أولئك» و«أولانكم» حيث وقعا بالواو، لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود، وليس للفرق بينه وبين «أولئك» كما قاله قوم لانتفاضه «بأولا» .

[القسم الثالث زيادة الياء]

الزائد الثالث: الياء، زيدت لاختصاص ملكوتي باطن، وذلك في تسعة مواضع كما قاله في المقتنع^(٦). ﴿أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [إم عمران: ١٤٤]. ﴿مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. ﴿مِنْ نَبَأِ نَفْسٍ﴾ [يونس: ١٥]. ﴿وَأَيُّ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. ﴿وَمِنْ أَمَّا يَأِي آلِيلٍ﴾ [طه: ١٣٠]. ﴿أَفَلَا يَنْ مَتَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. ﴿مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. ﴿وَأَلْسَمَاءَ بَلَيْتَهَا بِأَيْتِلُو﴾ [الذاريات: ٤٧]. و﴿بِأَيْتِكُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [القلم: ٦] .

(٢) المقتنع (ص/ ٤٢).

(٤) زادها (ف) من المقتنع .

(٦) (ص/ ٤٧).

(١) (ص/ ٣١-٣٢).

(٣) زيادة من المقتنع .

(٥) زادها (ف) من المقتنع .

قال أبو العباس المراكشي^(١): إنما كتبت «بأييد» بياءين فرقاً بين الأيد الذي هو القوة وبين «الأيدي» جمع «يد»، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في [الإدراك]^(٢) الملكوتي في الوجود. وكذلك زيدت بعد الهمزة في حرفين:

﴿أَفَإِنَّ مَاتَ﴾ ، ﴿أَفَإِنَّ مَاتَ﴾؛ وذلك لأن موته مقطوع والشرط لا يكون مقطوعاً به، ولا ما رتب على الشرط هو جواب له، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره، ولا رجوعه عن الحق، فتقديره: أهم الخالدون إن مت؟ فاللفظ للاستفهام والربط، والمعنى للإنكار والنفي، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى الظاهر للفهم الباطن في اللفظ [المركب]^(٣).

وكذلك زيدت بعد الهمزة في آخر الكلمة في حرف واحد في الأنعام «من نبأ المرسلين» تنبيهاً على أنها أنباء باعتبار أخبار، وهي ملكوتية ظاهرة.

وكذلك ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ كتبت بياءين تخصيصاً لهم بالصفة، لحصول ذلك وتحققه في الوجود، فإنهم هم المفتونون دونه فانفصل حرف أي: بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً، لكنه باطن فهو ملكوتي، وإنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة في الكلام والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكار كما جاء ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] ، ومعلوم أنا على هدى وهم على ضلال.

[الناقص وأقسامه]

الوجه الثاني: ما نقص عن اللفظ ويأتي فيه أيضاً الأقسام السابقة:

[القسم الأول: حذف الألف]

الأول: الألف كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود له اعتباران: اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية أو أمور علوية مما لا يدركه الحس، فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك، واعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم أو أمور سفلية، فإن الألف تثبت.

واعتبر ذلك في لفظتي «القرآن» و«الكتاب» فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل، قال الله تعالى في

(٢) في المطبوع: دراك. والمثبت من العنوان.

(١) العنوان (ص/ ٩١-٩٢).

(٣) زيادة من م.

البرهان في علوم القرآن

هود: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] ، وقال في فصلت: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣] ، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] ، ولذلك ثبت في الخط ألف القرآن، وحذفت ألف «الكتاب» .

وقد حذفت ألف «القرآن» في حرفين هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ، وفي الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ، والضمير في الموضوعين ضمير الكتاب المذكور قبله، وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ فقريته هي من جهة المعقولية، وقال في الزخرف: ﴿وَإِنَّكُمْ فِي أَرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] .

وكذلك كل ما في القرآن من «الكتاب» و«كتاب» فبغير ألف إلا في أربعة مواضع هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي:

في الرعد: ﴿لِكُلِّ آجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] فإن هذا «كتاب» الآجال، فهو أخص من الكتاب المطلق أو المضاف إلى الله .

وفي الحجر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَّا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] فإن هذا «كتاب» إهلاك القرى، وهو أخص من كتاب الآجال .

وفي الكهف: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الكهف: ٢٧] فإن هذا أخص من «الكتاب» الذي في قوله: ﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المنكوت: ٤٥] لأنه أطلق هذا وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنى في الوجود، والأخص أظهر تنزيلاً .

وفي النمل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١] هذا الكتاب جاء تابعاً للقرآن، والقرآن جاء تابعاً للكتاب كما جاء في الحجر: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١] فما في النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلي، فهو تفصيل للكتاب الكلي بجوامع كليته .

ومن ذلك حذف الألف في ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ﴾ تنبيهاً على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده، وأن عنه انقضت الأسماء فهو بكليتها، يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها، أولها؛ ولهذا لم يتسم به غير الله بخلاف غيره من أسمائه؛ فلهذا ظهرت الألف معها تنبيهاً على ظهور التسمية في الوجود، وحذفت الألف التي قبلها الهاء من اسم الله وأظهرت التي مع اللام من أوله دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان، الباطن من جهة الإدراك والعيان .

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه «الرحمن» حيث وقع بياناً؛ لأننا نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود، فلا يفرق في علمنا بين الوصف والصفة، وإنما الفرقان في

التسمية والاسم لا في معانى الأسماء المدلول عليها بالتسمية، بل تؤمن بها إيماناً مفوضاً في علم حقيقته إليه .

قلت: وعلماء الظاهر يقولون: للاختصار وكثرة الاستعمال، وهو من خصائص الجلالة الشريفة، فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ في الدرج تثبت خطأً إلا في البسمة، وفي قوله في هود: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ مَجْرِبَهَا﴾ [هود: ٤١]، ولا تحذف إلا بشرطين:

أن تضاف إلى اسم الله؛ ولهذا أثبتت في ﴿يَأْسِرْ رَبِّكَ﴾، وأن تكون قبله الباء. ولم يشترط الكسائي الثاني، فجوز حذفها كما تحذف في بسم الملك. والجمهور على الأول. وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء الفاعلين مثل «قدر» و«علم» وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة.

وكذلك الألف الزائدة في الجموع السالبة [المكثرة] (١)، مثل «القتلين» و«الأبرار» و«الجلل» و«الأكرام» و«اختلف» و«استكبر»، فإنها كلها وردت لمعنى مفصل، يشتمل عليه معنى تلك اللفظة فتحذف حيث يبطن التفصيل، وتثبت حيث يظهر.

وكذلك ألف الأسماء الأعجمية لإبراهيم؛ لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي؛ لأن العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي، لا ظهور له فحذفت ألفه.

قال أبو عمرو (٢): [اتفقوا] (٣) على حذف الألف من الأعلام الأعجمية [المستعملة] (٤)، كإبراهيم وإسماعيل وإسحق وهرون، ولقمن، [وشبهها] (٥) وأما حذفها من سليمان، وصلاح، وملك، وليست بأعجمية فلكثر استعمالها، فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية فبالألف كطالوت، وجالوت، ويأجوج، ومأجوج [وشبهها] (٦).

واختلفت المصاحف في أربعة: هاروت وماروت وهامان، وقارون، فأما داود فلا خلاف في رسمه بالألف، لأنهم قد حذفوا منه وأوأم لم يحذفوا بحذف ألف أخرى، ومثله «إسرائيل» ترسم بالألف [ق/ ٥٨]، [في أكثر المصاحف] (٧)؛ لأنه حذف منه الياء.

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في [جمع] (٨) السلامة، مذكراً كان كالعلمين والصبرين والصدقين، أو مؤنثاً كالمسلمت والمؤمنت والطيبت، والخبيثت، فإن جاء بعد الألف همزة،

- (١) في المطبوع: المكسرة.
 (٢) في المقنع: اتفق كتاب المصاحف.
 (٣) زادها (ف) من المقنع.
 (٤) زادها (ف) من المقنع.
 (٥) زادها (ف) من المقنع.
 (٦) زادها (ف) من المقنع.
 (٧) زادها (ف) من المقنع.
 (٨) سقط من م.

أو حرف مضعف، ثبتت الألف نحو: السائلين والصائمين، والظالمين والضالين، وحافين ونحوه.

قال أبو العباس^(١): وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية هي أظهر في الاسم فثبتت الألف: كالأواب، والخطاب، والعذاب ﴿وَأَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، و﴿الْوَسْوَسِ الْخَنَّاسِ﴾.

وقد تكون ملكية [جسمانية]^(٢)، وتعتبر من جهة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم، فتحذف الألف كالمحارب، ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك فيحتاج إلى تدبر وفهم.

ومنه: ما يكون ظاهر الفرقان «كالأخير» و«الأشهر»، تحذف من الأول دون الثاني.

ومنه: ما يخفى كالفراش، و«يطعمون الطعام»، فالفراش [مخدوف]^(٣) والطعام ثابت ووزنهما واحد وهما جسمان، لكن يعتبر في الأول [مقام]^(٤) التشبيه فإن التشبيه محسوس، وصفة التشبيه غير محسوس فالمشبه به غير محسوس، في حالة الشبه؛ إذا جعل جزءاً من صفة المشبه به من حيث هو [مستفرش]^(٥) مبيوث، لا من حيث هو جسم، وأما الطعام فهو المحسوس المعطى للمحتاجين.

وكذلك ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلًّا لَكَرَّ وَطَعَامِكُمْ حِلًّا لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥] ثبتت الألف في الأول؛ لأنه سفلى بالنسبة إلى طعامنا، لمكان التشديد عليهم فيه، وحذفت من الثاني؛ لأنه علوى بالنسبة إلى طعامهم لعلو ملتنا على ملتهم.

وكذلك ﴿كَأَنَّا يَأْكُلُونَ الطُّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فحذفت لعلو هذا الطعام.

وكذلك ﴿وَعَلَقَتِ الْآبُوتَابُ﴾ [يوسف: ٢٣] «غلقت» فيه التكرير في العمل، فدخل به أيضاً ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذفت الألف لذلك، ويدل عليه ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ ﴿وَأَلْفِيَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] فأفرد «الباب» المحسوس من أبواب الاعتصام.

وكذلك: ﴿وَوُضِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ مخدوف؛ لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية، و﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْآبُوتَابُ﴾ [ص: ٥٠] ملكية، من حيث هي لهم فثبتت الألف و﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: ٧٢]، ثابتة؛ لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية، وكذلك ﴿سِعَّةَ أَبْوَابٍ﴾ من حيث حصرها العدد في الوجود ملكية فثبتت الألف.

(٢) زيادة من م.

(١) العنوان (ص/ ٦٩-٧٦).

(٣) في المطبوع: محسوس. والمثبت من العنوان وم.

(٤) في المطبوع: مكان. والمثبت من العنوان.

(٥) في العنوان: ففرش.

وكذلك: «الجراد» و«الضفدع» الأول ثابت، فهو الذي في الواحدة المحسوسة، والثاني محذوف؛ لأنه ليس في الواحدة المحسوسة، والجمع هنا ملكوتى من حيث هو آية.

وكذلك ﴿أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ [الواقعة: ٦١] حذفت؛ لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها للفهم جهة التماثل، و ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْطِ﴾ ثابت الألف، لأنه تعين للفهم جهة التماثل، وهو البياض والصفاء ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣] حذفت للعموم و ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨] ثابت في الفرقان، لأنها المذكورة حسية مفصلة ومحذوفة في الإسراء؛ لأنها غير مفصلة باطنة.

وكذلك ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَفَعَّهٌ وَجِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، و ﴿فَذَكَّنَا ذَكَّةً وَجِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] الأولى محذوفة؛ لأنها روحانية لا تعلم إلا إيماناً، والثانية ثابتة [لأنها]^(١) جسمانية يتصور أمثالها من [الجزئي]^(٢)

وكذلك الف ﴿كَيْبِيَّةٌ﴾ محذوفة، لأنه ملكوتى، وألف حسابيه ثابتة، لأنها ملكية، وهما معاً في موطن الآخرة.

وكذلك: ﴿الْقَاصِيَّةُ﴾ ملكوتية، ﴿مَالِيَّةٌ﴾ ملكى محسوس، فحذف الأول وثبت الثاني. وكذلك ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] حذف؛ لأنه الاسم ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] ثبت؛ لأنه مجسد محسوس، فحذف الأول وثبت الثاني.

وكذلك ﴿سُبْحَانَ﴾ حذفت؛ لأنه ملكوتى، إلا حرفاً واحداً واختلف فيه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٩٣] فمن أثبت الألف قال: هذا تبرئة من مقام الإسلام [وحضرة]^(٣) الأجسام، صدر به مجاوبة للكفار في موطن الرد والإنكار، ومن أسقط فلعلو حال المصطفى ﷺ لا يشغله عن الحضور تغلبه في الملكوت الخطاب في الملك، وهو أولى الوجهين.

وكذلك ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَلَكْفَرُ﴾ [المائدة: ٧٣] ثبتت ألف ﴿تَالِكُ﴾ لأنهم جعلوه أحد ثلاثة مفصلة، فثبتت الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الإله تعالى الله عن قولهم وحذفت ألف ﴿تَلَكْفَرُ﴾ لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة.

وكذلك ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَجِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] حذفت من ﴿إِلَهُ﴾، وثبتت في ﴿وَجِدٌ﴾ ألفه؛ لأنه إله في ملكوته تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك، واحد في ملكه تنزهه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك، هذا من جهة إدراكنا، وأما من جهة ما

(٢) في المطبوع: الهوي. والمثبت من العنوان.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: حصره. والمثبت من العنوان.

هي عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك، بل يسلم علمه إلى الله تعالى فتحذف .

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل هاء التنبيه في النداء في ثلاثة أحرف :

﴿ أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ و ﴿ يَتَّأَيُّهُ السَّاجِرُونَ ﴾ و ﴿ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ والباقي بإثبات الألف، والسرفي سقوطها في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها، وتنبه على الاختصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي .

وقوله : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النور: ٣١] يدل على أنهم كل المؤمنين، على العموم والاستغراق فيه . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ إِنَّكَ هَذَا لَسَنِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ، وقول فرعون : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١] يدل على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿ سَنَفِرُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ فإقامة الوصف مقام الموصوف، يدل على عظم الصفة الملكية، فإنها تقتضى جميع الصفات الملكوتية والجبروتية، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله في بيان النعم، ليشكروا وبيان النقم ليحذروا .

وكذلك حذفت الألف الآتية لمد الصوت بالنداء مثل ﴿ يقوم ﴾ ، ﴿ يعباد ﴾ ؛ لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين، وذلك أمر باطن ليس بصفة محسوسة في الوجود .

قال أبو عمرو^(١) : كل ما في القرآن من ذكر «آيتنا» بغير الألف، إلا في موضعين في ﴿ يَتَّأَيُّنَا ﴾ و ﴿ أَيُّنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ .

وكل ما فيه من ذكر أيها فبالألف، إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف في النور ﴿ أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وفي الزخرف ﴿ يَتَّأَيُّهُ السَّاجِرُونَ ﴾ ، وفي الرحمن ﴿ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ .

وكل ما فيه من «ساحر» بغير الألف إلا في واحد، في الذاريات ﴿ وَقَالَ سَجْرٌ أَوْ جَحْتُونَ ﴾ [الذاريات: ٣٩] .

(٢) [القسم الثاني حذف الواو]

الثاني: حذف الواو اكتفاء بالضممة قصداً للتخفيف، فإذا اجتمع واوان والضم فتحذف الواو التي ليست عمدة، وتبقى العمدة سواء كانت الكلمة فعلاً مثل : ﴿ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ ﴾ أو صفة مثل «المودة»، و«ليؤس»، و«الغاوان»؛ أو اسماً، مثل : «داود» [إلا أن [يقوي]^(٣) كل واحد منهما فتثبتان جميعاً مثل : «تبوءوا» فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام

(١) المقنع (ص/ ٢٠) بتصرف واختصار .

(٢) في المطبوع: يقوي . والمثبت من العنوان .

(٣) المقنع (ص/ ٣٦) .

فنويت في الكلمة، والواو الثانية ضمير الفاعل فثبتا جميعاً.

وقد سقطت من أربعة أفعال تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود:

أولها: ﴿سَدَّخَ الزَّبَانِيَةَ﴾ فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية، وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وثانيها: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] حذفت منه الواو، علامة على سرعة الحق، وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وليس ﴿يَمْحُ﴾ معطوفاً على ﴿يَمْحُ﴾ الذي قبله؛ لأنه ظهر مع ﴿يَمْحُ﴾ الفاعل، وعطف على الفعل ما بعده وهو ﴿وَيُحَقُّ الْحَقَّ﴾.

قلت: إن قيل: لم رسم الواو في: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبَّيْتُمْ﴾ [الرعد: ٣٩]، وحذفت في ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] [ق/٥٩].

قلت: لأن الإثبات الأصل، وإنما حذفت في الثانية؛ لأن قبله مجزوم، وإن لم يكن معطوفاً عليه؛ لأنه قد عطف عليه، ﴿وَيُحَقُّ﴾ وليس مقيداً بشرط، ولكن قد يجيء بصورة العطف على المجزوم، وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو والله أعلم.

وثالثها: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١] حذف الواو، يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه، كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير. ورابعها: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة.

[القسم الثالث حذف الياء]

الثالث: حذف الياء اكتفاء بالكسرة نحو «فارهبون»، «فاعبدون».

قال أبو العباس^(١): الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيهما:

فالأول: هو باعتبار ملكوتي باطن وينقسم قسمين:

ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة.

فالأول: إذا كانت الياء ضمير المتكلم، مثل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦] ثبتت الياء

(١) العنوان (ص/٩٣-١٠٥).

الأولى، لأنه فعل ملكوتي وكذلك ﴿فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] حذفت الياء لاعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة، فهو المؤتى الملكوتي من قبل الآخرة، وفي ضمنه الجسماني للدنيا؛ لأنه فان والأول ثابت.

وكذلك ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]، وعلم هذا المسئول غيب ملكوتي بدليل قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] فهو بخلاف قوله: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدِيكَ لَكَ مِثُّهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]؛ لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

وكذلك ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: ١٨٦] فحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن.

وكذلك ﴿أَسَأَلْتُ رَبِّيَ لِيَّ وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] هو الاتباع العلمي في دين الله [وفريق الآخرة، يدل على ذلك قوله: ﴿أَسَأَلْتُ رَبِّيَ لِيَّ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فهو على غير حال قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فإن هذا في الأعمال الظاهرة^(١) بالجوارح المقصود بها وجه الله وطاعته.

وكذلك ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبِدَ﴾ [إبراهيم: ١٤] ثبتت الياء في «المقام» لاعتبار المعنى من جهة الملك، وحذفت من «الوعيد» لاعتباره ملكوتيًا، فخاف المقام من جهة ما ظهر للأبصار، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار.

وكذلك ﴿لَيْنَ أَخْرَجْنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء: ٦٢] هو التأخير بالمواخذه، لا التأخير الجسمي فهو بخلاف قوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠٠]؛ لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة.

وكذلك ﴿عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِن هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] سياق الكلام في أمور محسوسة، والهداية فيه ملكوتية، وقد هداه الله في قصة الغار، وهو في العدد ﴿ثَانِيًا﴾ [التوبة: ٤٠] حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم، على ما قص الله علينا فيه، وهذه الهداية بخلاف ما قال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين في عالم الملك، بدليل قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٢].

وكذلك ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

(١) سقط من المطبوع.

وكذلك ﴿وَلَا تَنعَّانَ﴾ [يونس: ٨٩] ، هو في طريق الهداية لا في مسير موسى إلى ربه ، بدليل ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣] ، ولم يأمره بالمسير الحسى ، إنما أمره أن يخلفه في قومه ويصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿فَأَلْيَعُوبَىٰ وَأَلْيَعُوبَىٰ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] فإنه اتباع محسوس في ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿وَأَلْيَعُوبَىٰ أَمْرِي﴾ ، وهو لا أمر له إلا الحسى .

وكذلك ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤] حيث وقع ؛ لأن النكير معتبر من جهة الملكوت لا من جهة أثره المحسوس ، فإن أثره قد انقضى وأخبر عنه بالفعل الماضى ، والنكير اسم ثابت في الأزمان كلها ، فيه التنبيه على أنه كما أخذ أولئك يأخذ غيرهم .

وكذلك ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢] خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامه لهم بالوحى ، فإنه كان على البيان ، لأنه كلم الرحمن فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم ، فيصير إفصاحه العالى عند فهمهم النازل عقدة عليهم في اللسان يحتاج إلى ترجمان ، فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم ، وبه تتم الحجة عليهم .

وكذلك ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾ [الصفوات: ٥٦] هو الإرادة الأخرى الملكوتى .

وكذلك ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ ليس هو الرجم بالحجارة إنما هو ما يرمونه من بهتانهم .

وكذلك ﴿حَقًّا وَعَيْدٍ﴾ ، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤] هو الأخرى الملكوتى .

وكذلك ﴿فَيَقُولُ رَيْتَ أَكْرَمِينَ﴾ [الفجر: ١٥] ، ﴿رَبِّ أَعْتَنِينَ﴾ هذا الإنسان يعتبر منزله عند الله في الملكوت بما يتلبه في الدنيا ، وهذا من الإنسان خطأ ؛ لأن الله تعالى يتلى الصالح والاطالح لقيام حجته على خلقه .

والقسم الثاني: من الضرب الأول ، إذا كانت الياء لام الكلمة ، سواء كانت في الاسم أو الفعل نحو ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦] حذف تبيينها على المخلص لله ، الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة ، لا في الدنيا .

وكذلك ﴿يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ [القمر: ٦] هو داع ملكوتى من عالم الآخرة .

وكذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ هو إتيان ملكوتى أخرى آخره متصل بما وراءه من الغيب .

وكذلك ﴿الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] .

وكذلك ﴿وَالْبَادِ﴾ حذف ؛ لأنه على غير حال الحاضر الشاهد ، وقد جعل الله لها سراً .

وكذلك ﴿كَلِّبُوا﴾ من حيث التشبيه ، فإنه ملكوتى ؛ إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكى .

وكذلك ﴿يَوْمَ النَّالِقِ﴾ ، و﴿النَّادِ﴾ كلاهما ملكوتي أخروي .

وكذلك ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ ، وهو السرى الملكوتي ، الذي يستدل عليه بآخره من جهة الانقضاء أو بمسير النجوم .

وكذلك ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ [الشورى: ٣٢] تعتبر من حيث هي آية يدل ملكها على ملكوتها ، فأخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله: ﴿إِنْ يَسْأَلْ سَكِينَ الرَّيْحِ فَيُظَلِّلَنَّ رَوَاكِدَ﴾ [الشورى: ٣٣] .

وكذلك حذف ياء الفعل من «يحيي» إذا انفردت وثبتت مع الضمير مثل ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ﴾ [يس: ٧٨] ، ﴿قُلْ يَحْيِيهَا﴾ ؛ لأن حياة الباطن أظهر في العلم من حياة الظاهر ، وأقوى في الإدراك .

الضرب الثاني: الذي تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبة عن باب الإدراك جملة ، واتصاله بالإسلام لله في مقام الإحسان ، وهو قسمان: منه ضمير المتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم ، فإنها إن كانت للعبد فهو الغائب ، وإن كانت للرب فالغيبة للمذكور معها فإن العبد هو الغائب عن الإدراك في ذلك كله ، فهو في هذا المقام مسلم مؤمن بالغيبة مكتف بالأدلة ، فيقتصر في الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة ، ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة الذات ، ولما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال ، واعتبار الآيات وضرب المثال دون التعرض لصفة الذات كما قال [تعالى] (١): ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَنَسُّكُ﴾ [ال عمران: ٢٨] ، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] كان الحذف في خواتم الآي كثيرًا مثل ﴿فَأَنْتَقُونَ﴾ ﴿فَأَرْهَبُونَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدريات: ٥٦] ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الدريات: ٥٧] ، وهو كثيرًا جدًا .

وكذلك ضمير العبد مثل ﴿إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ﴾ [يس: ٢٣] غائب عن علم إرادته الرحمن ، إنما علمه بها تسليمًا وإيمانًا برهائنا .

وكذلك قوله في العقود: ﴿فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْسَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] الناس كلى لا يدل على ناس بأعيانهم ولا موصوفين بصفة فهم كلى ، ولا يعلم الكللى من حيث هو كلى بل من حيث أثر البعض في الإدراك ، ولا يعلم الكللى إلا من حيث هو أثر الجزئى في الإدراك ، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة ، فوجب أن يكون الله أحق بذلك ، فإنه حق وإن لم نحط به

(١) زيادة من م .

علمًا كما أمر الله سبحانه بذلك ولا يخشى غيره، وهذا الحذف بخلاف ما جاء في البقرة ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] ضمير الجمع يعود على الذين ظلموا من الناس، فهم بعض لا كل ظهوروا في الملك بالظلم، فالخشية هنا جزئية فأمر سبحانه أن يخشى من جهة ما ظهر، كما يجب ذلك من جهة ماستر .

وكذلك حذفت الياء من ﴿فَبَشِّرْ عِبَادٌ﴾ ، و ﴿قُلْ يَبْعَادُ﴾ فإنه [ق/ ٦٠] خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا وغاب العباد كلهم عن علم ذلك فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب، لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول .

وهذا بخلاف قوله: ﴿يَبْعَادُ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨] فإنها ثبتت؛ لأنه خطاب لهم في الآخرة غير محبوبين عنه جعلنا الله منهم إنه منعم كريم، وثبت حرف النداء فإنه أفهمهم نداءه الأخرى في موطن الدنيا في يوم ظهورهم بعد موتهم، وفي محل أعمالهم إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخرى، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك ﴿يَبْعَادِي الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ﴾ [الزمر: ٥٣] ثبت الضمير وحرف النداء في الخط فإنه دعاهم من مقام إسلامهم، وحضرة امتثالهم إلى مقام إحسانهم، ومثله ﴿يَبْعَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العنكبوت: ٥٦] في العنكبوت فإنه دعاهم من حضرتهم في مقام إيمانهم، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم، إلى ما لا نعلمه من الزيادة بعد الحسنى .

وكذلك سقطتا في موطن الدعاء مثل ﴿رَبِّ أَغْفِرْ﴾ لي حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى، لغيبتنا نحن عن الإدراك، وحذف حرف النداء؛ لأنه أقرب إلينا من أنفسنا، وأما قوله: ﴿وَقِيلَ يَا بَرِّ﴾ فأثبت حرف النداء؛ لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ ، وأسقط حرف ضميره لغيبه عن ذاته في توجهه في مقام الملكوت، ورتبة إحسانه في إسلامه .

وكذلك في مثل ﴿يَقْوِمِ﴾ دلالة على أنه خارج عنهم في خطابه، كما هو ظاهر في الإدراك، وإن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني: إذا كانت الياء لام الكلمة في الفعل أو الاسم، فإنها تسقط من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً، فيكون حذف الياء منبهاً على ذلك، وإن لم يكمل اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب، بحسب عرض الخطاب مثل ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] هو ﴿مَا سَتْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَاَلَّذُ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] ، وقد ابتداءً ذلك لهم في الدنيا متصلاً بالآخرة .

وكذلك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٥٤] حذفت؛ لأنه يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والعبير إلى الصراط المستقيم، برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ . وكذلك ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى﴾ [الروم: ٥٣] في الروم، هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي التي ترقى العبد في هدايته من [الآثار]^(١) إلى ما يدركه العيان، ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان، ويدل على ذلك قوله قبلها: ﴿فَانظُرْ إِلَى ءَأَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠] الآية، فهذا النظر من عالم الملك ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت إلى ما لا يدرك، إلا إيماناً وتسليماً، وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى﴾ [النمل: ٨١] فثبتت الياء؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة بدليل قوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْقَائِمِينَ﴾ [النمل: ٧٩] .

وكذلك ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِينَ﴾ ، و ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ هما مبدأ التقديس، الذي وصفا به فانتقل التقديس واليمن منهما إلى الجمال ذاهباً بهما إلى ما لا يحيط بعلمه إلا الله .

وكذلك ﴿وَادِ النَّعْمِ﴾ هو موضع لابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق، وهي النملة إلى أعلاهم وهو الهدهد والطير، ومن ظاهر الناس وباطن الجن إلى قول العفريت إلى قول الذي عنده علم من الكتاب، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب، إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿وَالْجُودِ الْمُنْتَنَنَاتِ فِي الْبَحْرِ﴾ [الرحمن: ٢٤] سقطت الياء تنبيهاً على أنها لله من حق إنشائها بعد أن لم تكن، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من صفاتها .

وكذلك ﴿الْجُودِ الْكَثِيرِ﴾ حذفت الياء تنبيهاً على أنها تجري من محل اتصافها بالحناس، إلى محل اتصافها بالكناس، وذلك يفهم؛ لأنه اتصف بالحناس عن حركة تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر، يفهم منه وصف بالجوار في الباطن، وهذا الظاهر مبدأ [لفهمه]^(٢)؛ كالنجوم الجارية داخل تحت معنى الكلمة .

فصل [في حذف النون] (٣)

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذي هو لام فعل: فيحذف تنبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد، إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله مثل ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً﴾ [القيامة: ٣٧] حذفت النون تنبيهاً على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره، بحسب ما يدرك هو من نفسه ثم

(١) في المطبوع: الأرباب، وفي م: الأوثان. والمثبت من العنوان.

(٢) انظر: «العنوان» (ص/١٠٦-١٠٧).

(٣) في العنوان: ففهمه.

يترقى في أطوار التكوين ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّثَبِّتٌ﴾ [النحل: ٤] فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون، كذلك كل مرتبة ينتهي إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها، فالوجود الدنيوي كله ناقص الكون عن كون الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيْكَ الذَّارُ الْآخِرَةَ لَيْهِ الْحَيَوَانُ﴾ [المنكوت: ٦٤] .

كذلك ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] حذفت النون تنبيها على أنها - وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار - فإن إليه [تربيتها] (١) وتضاعفها ومثله ﴿إِنْ تَكُ يُثَقَّلَ حَبْرٌ مِّنْ حَرْدَلٍ﴾ [الزمر: ١٦] .

وكذلك ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾ [غافر: ٥٠] جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان، الذي أقل من مبدأ فيه وهو الحس، إلى العقل، إلى الذكر، ورفوهم من أخفض رتبة، وهي الجهل إلى أرفع درجة في العلم، وهي اليقين، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تَنزِيلَ عَلِيكَ﴾ [المؤمن: ١٠٥] فإن كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم .

وكذلك ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَبِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] هذا قد تم كونه .

وكذلك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١] هذا قد تم كونهم غير منفكين إلى تلك الغاية المجعولة لهم، وهي مجيء البينة .

وكذلك ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ﴾ [غافر: ٨٥] انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع، وأقله فانطفى أصله .

فصل

فيما كتبت الألف فيه وأوا على لفظ التفخيم

وذلك في أربعة أصول مطردة، وأربعة أحرف متفرعة:

فالأربعة الأصول هي ﴿الصلوة﴾ ، و﴿الزكاة﴾ ، و﴿الحياة﴾ ، و﴿الربوا﴾ .

والأربعة الأحرف قوله في الأنعام والكهف: ﴿بِالْعَذْرَةِ﴾ ، والنور ﴿كَيْشْكُورَةٍ﴾ ، وفي المؤمن ﴿النجوة﴾ ، وفي النجم ﴿وَمَنُوءَةٍ﴾ .

فأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٥] ، ﴿إِنْ صَلَاتِي﴾ ، ﴿حَيَاتِنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩] ، ﴿وَمَا أَيْتَمَّرَ بَيْنَ رَبِّيَا﴾ [الروم: ٣٩] ، فالرسم بالألف في الكل، والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف، فإن الصلاة والزكاة عمودا الإسلام، والحياة قاعدة النفس، ومفتاح البقاء، وترك

(١) في م والمطبوع: ترتيبها، وفي العنوان: فإن الله يرببها والمثبت هو المناسب للسياق .

الربا قاعدة الأمان، وفتح التقوى، ولهذا قال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] إلى قوله: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ويشتمل على أنواع الحرام، وأنواع الخبائث، وضروب المفسد، وهو نقيض الزكاة؛ ولهذا قوبل بينهما في قوله: ﴿يَمَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الْأَصْدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، واجتنابه أصل في التصرفات المالية، وإنما كتبت بالألف في سورة الروم؛ لأنه ليس العام الكلي، لأن الكلي؛ منفى في حكم الله عليه بالتحريم، وفي نفى الكلي نفى جميع جزئياته.

فإن قلت: فلم كتب ﴿الزكاة﴾ هنا بالواو، وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زِيَا﴾ [الروم: ٣٩]؟

قلت: لأن المراد بها الكلية في حكم الله؛ ولذلك قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. وأما كتاب ﴿النجوة﴾ بالواو؛ فلأنها قاعدة الطاعات، وفتح السعادات، قال الله تعالى: ﴿وَيَنْقُورُ مَا لِحِ ادَّعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ [غافر: ٤١].

وأما ﴿الغدوة﴾ فقاعدة الأزمان، ومبدأ تصرف الإنسان مشتقة من الغدو. وأما ﴿المشكوة﴾ فقاعدة الهداية، وفتح الولاية قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

وأما ﴿منوة﴾ فقاعدة الضلال، وفتح الشرك والإضلال، وقد وصفها الله بوصفين أحدهما: يدل على تكثيرهم الإله من مثني، ومثلث. والثاني: يدل على الاختلاف والتغاير، فمن معطل ومشبه تعالى الإله عما يقولون!

فصل [في مد التاء وقبضها] (١)

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل، صار لها اعتباران: أحدهما من حيث [ق/ ٦١] [هي أسماء وصفات، وهذا قبض منه التاء، والثاني: من حيث] (٢) أن يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود، فهذا تمد فيه كما تمد في «قالت» و«حققت»، وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة.

فمن ذلك «الرحمة» مدت في سبعة مواضع للعلة المذكورة:

بدليل قوله في أحدها: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأمراف: ٥٦] فوضعها على

التذكير فهو الفعل.

(١) انظر: العنوان (ص/ ١٠٩-١١٨)، والمقنع (ص/ ٧٧).

(٢) سقط من م.

وكذلك: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، والآثر هو الفعل ضرورة .

والثالث: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

والرابع في هود: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ [هود: ٧٣] .

والخامس: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢] .

والسادس: ﴿أَمْرٌ يُفَسِّمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

والسابع: ﴿وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

ومنه «النعمة» بالهاء إلا في أحد عشر موضعاً مدت بها:

في البقرة: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١] في آل عمران، والمائدة، وفي إبراهيم
موضعان، والنحل ثلاثة مواضع، وفي لقمان، وفاطر، والطور .

والحكمة فيها ما ذكرنا: أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد، نحو قوله في إبراهيم ﴿وَأَن
تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] بدليل قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾
[إبراهيم: ٣٤] فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار في تنزيلهما، وهذا بخلاف التي في سورة
النحل: ﴿وَأَن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] كتبت مقبوضة؛ لأنها بمعنى الاسم
بدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] فهذه نعمة وصلت من الرب، فهي ملكوتية
ختمها باسمه عز وجل، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك «الكلمة» مقبوضة إلا في موضع في الأعراف: ﴿وَوَكَّمَتْ كَلِمَتَ رَبِّكَ الْحَسَنَىٰ﴾
[الأعراف: ١٣٧] هو ما تم لهم في الوجود الأخروي بالفعل الظاهر، دليله في الملك وهو
الاختلاف، وتمامها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل فمدت التاء .

ومنها «السنة» مقبوضة؛ إلا في خمسة مواضع، حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام
الذي في الوجود:

أحدها في الانفال: ﴿فَقَدْ مَضَّتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] ، ويدل عليها أنها من
الانتقام قوله قبلها: ﴿إِن يَتَّبِعُوا يُقْفَرُ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] ، وقوله بعدها: ﴿وَقَلْبُهُمْ
حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

وفي فاطر: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ، وبدلك على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها: ﴿وَلَا يَحِبُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا
بِأَهْلِيهِ﴾ [فاطر: ٤٣] ، وسياق ما بعدها .

وفي المؤمن: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٨٥] أما إذا كانت السنة

بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية، بمعنى الاسم تقبض تاؤها كما في الأحزاب ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨] أي حكم الله وشرعه .

وفي الإسراء: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧] .

ومنه: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ فرد مدت تاؤه؛ لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس؛ لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

ومنه: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] فرد وصفها بأنها فطر الناس عليها، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء «كل مولود يولد على الفطرة»^(١) الحديث .

ومنه: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَرَأَيْتُ﴾ [القصص: ٩] فرد، مدت تاؤه، لأنه بمعنى الفعل؛ إذ هو خبر عن موسى، وهو موجود حاضر في الملك، وهذا بخلاف ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فإنه هنا بمعنى الاسم، وهو ملكوتي، إذ هو غير حاضر .

ومنه ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مدت في موضعين، في سورة المجادلة؛ لأن معناها الفعل والتقدير: ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول، ونفس هذا النجو الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النهي عنه .

ومنه «اللجنة» مدت في موضعين، في آية المباهلة، وفي آية اللعان، وكونها بمعنى الفعل ظاهر .
ومنه الشجرة في موضع: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ [الدخان: ٤٣]، لأنها بمعنى الفعل اللازم، وهو تزقمها بالأكل بدليل قوله تعالى: ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٥]، فهذه صفة فعل كما في الواقعة: ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ رَّقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢]، وهذا بخلاف قوله: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ﴾ [الصافات: ٦٢] فإن هذه وصفها بأنها: ﴿فَسُنَّةٌ لِلظَّالِمِينَ﴾، وأنها «شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» [الصافات: ٦٤] فهو حلية للاسم؛ فلذلك قبضت تاؤها .

ومنه الجنة مدت في موضع واحد في الواقعة ﴿وَحَتَّتْ بِمِيرٍ﴾ لكونها بمعنى فعل التمتع بالنعيم، بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنة، فهذه جنة خاصة بالمنعم بها، وأما ﴿مِن رَّوْدَةِ جَنَّةِ النَّبِيِّ﴾ [الشراء: ٨٥]، و﴿أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَبِيِّ﴾ [المعارج: ٣٨]؛ فإن هذا بمعنى الاسم الكلي . ولم تمد ﴿وَنَصَلِيَّةُ جَبْرِ﴾؛ لأنها اسم ما يفعل بالمكذب في الآخرة، أخبرنا الله بذلك فالؤمن يعلمه تصديقا ولا يحذف لفعل أبداً، والضابط لذلك: أن ما كان بمعنى الاسم لم تمد تاؤه مثل: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]، و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، و﴿زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾، و﴿مِحْلَةَ آيَاتِكُمْ﴾، و﴿رِيحَةَ الْبَسْتِ وَالصَّيْفِ﴾ [نبرش: ٢]، و﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ .

(١) أخرجه البخاري (١٣١٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ومنه: ﴿وَمَرِّمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحریم: ١٢] مدت التاء تنبيهاً على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة، ولم يصف في القرآن ولد إلى الد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام لما اعتقد النصرارى فيهما أنهما إلهان، فبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوثهما بعد عدمهما حتى أخبر تعالى في موطن بصفة الإضافة دون الموصوف، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] لما غلوا في إلهيته أكثر من أمه، كما نبه تعالى على حاجتهما، وتغير أحوالهما في الوجود بلحقهما ما يلحق البشر قال الله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ومنه «امرأة» هي في سبعة مواضع: وهي خمس من النساء «امرات عمران» و«امرات فرعون»، و«امرات نوح»، و«امرات لوط»، و«امرات العزيز»، كلها ممدودة تنبيها على فعل التبعيل والصحبة، وشدة المواصلة والمخالطة، والاتلاف في الوجود والمحسوس، وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن، وواحدة خاصة واصلت بعلمها باطنًا وظاهرًا، وهي امرات عمران، فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها بذلك، وفضلها على العالمين، وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلمها طاعة لله وتوكلًا عليه وخوفًا منه، فنجأها وأكرمها، وهي امرات فرعون، واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهما كفرًا بالله فأهلكهما الله ودمرهما، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله كما لم تضر امرات فرعون وصلتها الظاهرة بأخيث عبيد الله، وواحدة انفصلت عن بعلمها بالباطن، اتباعًا للهوى وشهوة نفسها، فلم تبلغ من ذلك مرادها مع تمكنها من الدنيا واستيلائها على ما مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها فلم يغن ذلك عنها شيئًا، وقوتها وعزتها إنما كانا لها من بعلمها العزيز، ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها، كما لم يضر يوسف ما امتحن به منها ونجاه الله من السجن ومكن له في الأرض؛ وذلك بطاعته لربه، ولا سعادة إلا بطاعة الله ولا شقاوة إلا بمعصيته، فهذه كلها عبر وقعت بالفعل في الوجود، في شأن كل امرأة منهن؛ فلذلك مدت تاءتهن.

(١) فصل في الفصل والوصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط، كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط، كما تفصل كلمة عن كلمة.

فمنه «إنما» بالكسر كله موصول إلا واحدًا ﴿إِنَّكَ مَا تُؤْكُدُكَ لَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] لأن

(١) العنوان (ص/١١٩-١٢٧) بتصرف واختصار.

حرف «ما» هنا وقع على مفصل، فمنه خير موعود به لأهل الخير، ومنه شر موعود به لأهل الشر، فمعنى «ما» مفصول في الوجود والعلم .

ومنه «أنما» بالفتح كله موصول إلا حرفان: ﴿وَأَنْتَ مَا يَكْفُورُكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] ، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠] ، وقع الفصل عن حرف التوكيد، إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود، وإنما وصلها في العدم والنفى بدليل قوله تعالى عن المؤمن: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لِي دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [غانر: ٤٣] فوصل «أنما» في النفي، وفصل في الإثبات لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه: «كلما» موصول كله إلا ثلاثة:

في النساء: ﴿كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١] فما ردوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود، بل أنواع مختلفة في الوجود، وصفة مردهم ليست واحدة بل متنوعة، فانفصل «ما» لأنه لعموم [ق/ ٦٢] شيء مفصل في الوجود .

وفي سورة إبراهيم: ﴿وَمَا آتَاكُم مِّنْ كَلِمَةٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فحرف ما واقع على أنواع مفصلة في الوجود .

وفي قد أفلح: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤٤] ، والأمم مختلفة في الوجود، فحرف «ما» وقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

وهذا بخلاف قوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنَّا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيحًا كَذَّبُوا وَفَرِيحًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠] فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة بدليل قوله: ﴿فَلَيْمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١] ، والمخاطبون على عهد النبي ﷺ ، لم يقتلوا الأنبياء إنما باشره آباؤهم، لكن مذهبهم في ذلك واحد، فحرف «ما» إنما يشمل تفاصيل الزمان، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود، إلا بالفرض والتوهم لا بالحس، فوصلت «كل» لاتصال الأزمنة في الوجود، وتلازم أفرادها المتوهم .

وكذلك: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنهَا مِن تَمَرَةٍ رَّزَقًا﴾ [البقرة: ٢٥] هذا موصول، لأن حرف «ما» جاء لتعميم الأزمنة، فلا تفصيل فيها في الوجود، وما رزقوا هو غير مختلف لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [البقرة: ٢٥] .

ومنه «أينما» موصول إذا كانت «ما» غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها مثل: ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ . ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا﴾ . ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا﴾ [الأحزاب: ٦١] . ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] ؛ فهذه كلها لم تخرج عن «الأيّن» الملكى، وهو متصل حساً، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع «ما» . وتفصل «أين» حيث تكون «ما» مختلفة

الأقسام في الوصف، الذي بعدها مثل ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجَابٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَلِيلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

ومنه «بئسما» موصول إلا ثلاثة أحرف: اثنان في البقرة: ﴿بئسما اشتروا يوم أنفسهم﴾ [البقرة: ٩٠] ﴿بئسما يأمرؤكُم يوم إيمانكُم﴾ [البقرة: ٩٣] ، وفي الأعراف ﴿بئسما خلقتوني﴾ .

فحرف «ما» ليس فيه تفصيل؛ لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً مذموماً على خلاف حال «ما» في المائدة: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢] فحرف ما يشتمل على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل، وكذلك ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ هُنَّ أَنفُسَهُمْ﴾ [المائدة: ٨٠] حرف «ما» مفصول؛ لأنه يعمل ما بعده من الأقسام الثلاثة الذي ذكره قبل، وكذلك: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ هُنَّ أَنفُسَهُمْ﴾ [المائدة: ٨٠] حرف «ما» مفصول؛ لأنه يشمل ما بعده من الأقسام^(١).

ومنه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] . ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ ، حرفان فصل الضمير منهما؛ لأنه مبتدأ، وأضيف «اليوم» إلى الجملة المنفصلة عنه .

و﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] ، و﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] ، وصل الضمير؛ لأنه مفرد، فهو جزء الكلمة المركبة من «اليوم» المضاف والضمير المضاف إليه .
ومنه «في ما» مفصول أحد عشر حرفاً:

في البقرة: ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنفُسِهِمْ مِّنْ مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ؛ وذلك لأن ما يقع على فرد واحد من أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود، وعلى البدلية أو الجمع، يدل على ذلك تنكيره «المعروف» ودخول حرف التبعية عليه، فهو حسي يقسم، وحرف «ما» وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع، وأما قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فهذا موصول؛ لأن «ما» واقعة على شيء واحد غير مفصل، يدل على وصفه بالمعروف .

وكذلك: ﴿فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] ، وهو مفصول، لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة في الوجود كذلك فتدبره في سائرهما .

ومنه ﴿رَيْكِبًا﴾ موصول في ثلاثة مواضع، وباقيها منفصل، وإنما يوصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي فيوصل؛ لأن نفي الكلي نفى لجميع جزئياته، فعلة نفيه هي علة نفي أجزائه، وليس للكلي المنفى أفراد في الوجود، وإنما ذلك فيه بالتوهم، ويفصل

(١) سقط من المطبوع .

حيث يكون حرف النفي دخل على جزئى، فإن نفي الجزئى لا يلزم منه نفى الكلى فلا تكون علتة علة نفى الجمع.

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج: ٥] في الحج وفي الأحزاب: ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وفي الحديد: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

فهذه هي الموصولة، وهي بخلاف: ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل: ٧٠] في النحل؛ لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار، وهو في الأول عام الاعتبار، لدخول من عليه، وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٦] اختص المظروف بقبل في الدنيا، ففيها كانوا مشفقين خاصة، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨] فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك في الدنيا والآخرة، فلم يختص المظروف بقبل بالدنيا.

وكذلك: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] فهذا المنفى هو حرج مقيد بظرفين.

وكذلك: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر: ٧] فهذا النفى هو كون: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ [الحشر: ٧] دولة بين الأغنياء من المؤمنين، وهذه قيود كثيرة.

ومن ذلك «هم» ونحوه من الضمائر، تدل على جملة المسمى من غير تفصيل، والإضمار حال لا صفة وجود، فلا يلزمها التقسيم الوجودى إلا الوهمى الشعرى والخطأ بما يرسم على العلم الحق.

ومن ذلك «مال» أربعة أحرف مفصولة؛ وذلك أن اللام وصلة إضافية، فقطعت حيث تقطع الإضافة في الوجود:

فأولها في سورة النساء: ﴿ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ﴾ [النساء: ٧٨] هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل لهم: ﴿ كَفَرُوا أَيَّدْتُمْ فَأَقْبُوا الصَّلَاةَ ﴾ [النساء: ٧٧] فقطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما كما أخبر سبحانه، والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨] فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل، فقطع لام وصلهم في الخط علامة لذلك، وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين، وذلك في يوم الفصل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِيَلْزِمُنَّكَ لِالَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ تَوْرِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣].

والثانى: في سورة الكهف ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ [الكهف: ٤٩] وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جعل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب، وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله، فلذلك يتكرونها على الكتاب في الآخرة،

ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف .

والثالث في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧] فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام، فأنكروا فقطعوا قولهم هذا، ليزول عن اعتقادهم أنه رسول فقطع اللام علامة لذلك .

والرابع: في المعارج: ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَئِمَّا هِيَ كَمَا كُفِّرُوا بِهَا ﴾ [المعارج: ٣٦] هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات كما يدل عليه ﴿ عَنِ الَّتِي وَعَنِ الشَّامِ عَزِيمٍ ﴾ [المعارج: ٣٧] قطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد ﷺ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة، ولذلك قطعت اللام علامة عليه . ومن ذلك ﴿ أَيْنَ أُمَّ ﴾ في الأعراف مفصول على الأصل، وفي طه ﴿ يَبْنُوهُمْ ﴾ موصول لسر لطيف، وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه، فناداه من قرب على الأصل الظاهر في الوجود، ولما تمادى ناداه بحرف النداء، ينبهه لبعده عنه في الحال لا في المكان مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط؛ فلذلك وصل في الخط، ويدل عليه نصب «الميم» ليجمعهما الاسم بالتعميم . ومن ذلك ستة أحرف، لا توصل بما بعدها وهي الألف، والواو، والذال، والذال، والراء والزاي؛ لأنها علامات لانفصالات ونهايات، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة .

(١) فصل في بعض حروف الإدغام

فمنه ﴿ عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] فرد، ظهر فيه النون، وقطع عن الوصل؛ لأن معنى «ما» عموم كلي، تحت أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النهي عنها، ومعنى «عن» المجاوزة، للكلي مجاوزة لكل واحد من جزئياته؛ ففصل علامة لذلك . وكذلك ﴿ مِّن مَّا ﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لا غير .

[ق/٦٣] في النساء: ﴿ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨]، وفي الروم: ﴿ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨] . وفي المنافقين: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [المنافقون: ١٠] .

وحرف «ما» في هذه كلها مقسم في الوجود بأقسام منفصلة غير متساوية في الأحكام، وهي بخلاف قوله: ﴿ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩] فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة، فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم، فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراده بالسوية .

وكذلك: «أم من» بالفصل أربعة أحرف لا غير:

في النساء: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [النساء: ١٠٩] ، وفي التوبة: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٩] . وفي الصافات ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ . وفي السجدة ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي﴾ .

فهذه الأربعة الأحرف «من» فيها تقسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها مثل: ﴿أَفَنْ يَمْسِي مِيكًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْسِي﴾ [الملك: ٢٢] فهذا موصول؛ لأنه من نوع واحد، حيث يمشى على صراط مستقيم، وكذا ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١] لا تفاصيل تحتها في الوجود.

وكذلك ﴿عَنْ مَنْ﴾ مفصول: حرفان في النور ﴿عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٣] ، وفي النجم: ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ [النجم: ٢٩] حرف «من» فيهما كلي، وحرف «عن» للمجازة والكلي، مجازة لجميع جزئياته دون العكس، فلا وصلة بين الجزأين في الوجود فلا يوصلان في الخط.

وكذلك «تمن» موصول كله؛ لأن «من» بفتح الميم جزئى بالنسبة إلى «ما» فمعناه أزيد من جهة المفهوم، ومعنى «ما» أزيد من جهة العموم، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجوداً بالخصص والحصاة منه لا تنفصل، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجوداً.

وكذلك: ﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠] في سورة الرعد فردة مفصولة ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين: أحدهما: أن الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا وهو البلاغ، بخلاف قوله: ﴿فَكَيْفًا تُرِيدُكَ﴾ فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط؛ لأن الجواب المرتب عليه بالفاء خفى عنا، وهو الرجوع إلى الله والثاني: أن القصة الأولى منفصلة من الشرط وجوابه، وانقسم الجواب إلى جزأين أحدهما: الترتيب بالفاء، وهو البلاغ؛ والثاني: المعطوف عليه وهو الحساب. وأحدهما في الدنيا والآخرة في الآخرة، والأول ظاهر لنا والثاني خفى عنا. وهذا الانقسام صحيح في الوجود، فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين لانفصال جوابها إلى قسمين متغايرين، ففصل حرف الشرط علامة لذلك، وإذا انفصلت لزم كتبه على الوقف، والشرطية الأخرى لا تنفصل بل هي واحدة لإيجاد جوابها، فانفصال حرف الشرط علامة لذلك.

وكذلك: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص: ٥٠] فرد في القصص ثابت النون وفي هود ﴿فَإِلَّا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: ١٤] فرد بغير نون أظهر حرف الشرط في الأول، لأن جوابه المرتب عليه بالفاء هو ﴿فَاعَلَّمْ﴾ متعلق بشيء ملكوتي ظاهر سفلى، وهو اتباعهم أهواءهم، وأخفى في الثاني؛ لأن جوابه المرتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفى علوى، وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد.

ومن ذلك «أن لن» كله مفصول إلا حرفان ﴿أَلَّنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨] في الكهف ﴿أَلَّنْ يَجْمَعْ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣] في القيامة سقطت النون منهما في الخط، تنبيهًا على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بمعلوم نسبه إلى الحى القيوم، فأدغم حرف توكيدهم الكاذب في حرف النفى السالب، هو بخلاف قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن: ٧] فهو لاء لم ينسبوا ذلك لفاعل، إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله، وأقيموا فيه مقام الفاعل، فعدم بعثهم تصوروه من أنفسهم، وحكموا به عليها توهمًا فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة، ولكونه حقًا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة، ثبت التوكيد ظاهرًا وأدغم في حرف النفى من حيث الفعل المستقبل الذي هو فيه كاذب.

ومن ذلك كل ما في القرآن «أن لا» فهو موصول إلا عشرة مواضع، فهي مفصولة تكتب النون فيها باتفاق، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة توكيد القضية ولزومها:

أولها: في الأعراف: ﴿أَنْ لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، و﴿أَنْ لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. و﴿أَنْ لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨] في التوبة. و﴿وَأَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤]، و﴿أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ﴾ [هود: ٢٦] في هود. و﴿أَنْ لَّا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] في الحج. و﴿أَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] في يس. و﴿وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة] [الدخان: ١٩] في الدخان. و﴿أَنْ لَّا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحنة: ١٢] في المتحنة. و﴿أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ [القلم: ٢٤] في القلم. وواحد فيه خلاف ﴿أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] في الأنبياء.

فتأمل كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير، فلم يدخلها عليهم مسكين على غير ما قصدوا وتحيلوا فيه.

وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيره، لما كانت للتعريف وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر لا أخفى وأستر ظهرت في الخط ووصلت بالكلمة، لأنها صارت جزءًا منها حيث هي معرفة بها هذا هو الأصل، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل «الليل» فإنه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها ويخفيها، وكونه واحدًا إما للجزئي أو للجنس فأخفى حرف تعريفه في مثله، فإن تعين للجزئي بالتأنيث رجع إلى الأصل، ومثل «الذي» و«التي» وتشتيتهما وجمعهما، فإنه مبهم في المعنى والكم؛ لأن أول حده للجزئي وللجنس وكثيرة للثلاث أو غيرها ففيه ظلمة الجهل كالليل، ومثل «التي» في الإيجاب فإن لام التعريف دخلت على «لا» النافية وفيها ظلمة العدم كالليل، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف التعريف.

وكذلك «الأيكة» نقلت حركة همزتها على لام التعريف، وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام، فاجتمعت الكلمتان فصارت «لَيْكَةَ» علامة

على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى، وذلك في حرفين: أحدهما في الشعراء جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان وجعلها جملة، فهي آخر قصة في السورة بدليل قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [البقرة: ٢٤٨] فأفردتها، والثاني في ص جمع الأمم فيها بألقابهم، وجعلهم جهة واحدة هم آخر أمة فيها، ووصف الجملة قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ، وليس الأحزاب وصفاً لكل منهم، بل هو وصف جميعهم .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان، نظير هذين الحرفين: أحدهما في الحجر: ﴿وَإِنْ كَانَ أَحْصَبُ الْأَيْكَةِ لَطَلِيمِينَ﴾ [العنبر: ٧٨] أفردهم بالذكر والوصف. والثاني: في «ق» ﴿وَأَحْصَبُ لَيْكَةً﴾ جمعوا فيه مع غيرهم، ثم حكم على كل منهم لا على الجملة قال تعالى: ﴿كُلُّ كَذَّبٍ أُرْسِلَ﴾ [ق: ١٤] فحيث يعتبر فيهم [التفصيل]^(١)، فصل لام التعريف، وحيث يعتبر فيهم التوصليل وصل للتخفيف .

وكذلك: ﴿لَتَتَخَذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] حذفت الألف، ووصلت [اللام]^(٢)؛ لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود، فلزم عليه الأجر واتصل به حكماً، بخلاف لاخذوك خليلاً ليس فيه صلة اللزوم .

فصل

في حروف متقاربة [تختلف]^(٣) في اللفظ لاختلاف المعنى^(٤)

مثل: ﴿وَرَزَادُمْ بَسَطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ، ﴿وَرَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسَطَةً﴾ [الاعراف: ٦٩] ، ﴿يَسْبُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرمع: ٢٦] ، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] فبالسين السعة الجزئية، كذلك علة التقييد، وبالصاد السعة الكلية، بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .

وكذلك ﴿فَأَتَوْا سُورَةَ﴾ ، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ ، ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُبُورًا﴾ [الحديد: ١٣] ، ﴿وَنُفِغَ فِي أَسُورٍ﴾ [الكهف: ٩٩] فبالسين ما يحصر الشيء خارجاً عنه، وبالصاد ما تضمنه منه .

وكذلك: ﴿يَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] ، ﴿وَكَاؤُوا بُرُوزًا﴾ فبالسين من السر، وبالصاد المتمادى .

وكذلك: ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ [القمر: ٤٨] ، و ﴿مَتَّأً يُصْحَبُونَ﴾ فبالسين من الجر، وبالصاد من الصحبة .

(٢) سقط من المطبوع .

(٤) العنوان (ص/١٣٩-١٤١) .

(١) في المطبوع: التفضيل .

(٣) في المطبوع: تختلف، بالحاء .

وكذلك: ﴿نَحْنُ قَسَمًا لِّبَنِيهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] ، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ بالسین تفريق الأرزاق والإنعام، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام .
وكذلك: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] بالصاد منعمة بما تشتهيه الأنفس، وبالظاء منعمة بما تلذ الأعين، وهذا الباب كثير يكفى فيه اليسير .

فصل

[في كتابة فواتح السور]

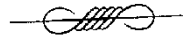
كتبوا «الم» و«المر» و«الر» موصولاً .

إن قيل: لم وصلوه والهجاء مقطع لا ينبغي وصله؟ لأنه لو قيل لك: ما هجاء زيد؟ قلت: زاي، ياء، دال، وتكتبه مقطعاً لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته؟ .

قيل: إنما وصلوه؛ لأنه ليس هجاء لاسم معروف، وإنما هي حروف اجتمعت يراد بكل حرف معنى .

فإن قيل: لم قطعوا «حم عسق»، ولم يقطعوا ألمص وكهيعص؟ .

قيل: «حم» قد جرت في أوائل سبع سور، فصارت اسماً للسور، فقطعت مما قبلها . وجوزوا في ﴿ق وَالْقُرْآن﴾ ، و ﴿ص وَالْقُرْآن﴾ ، وجهين: من جزمهما فهما حرفان، ومن كسر آخرهما، فعلى أنه أمر كتب على لفظهما .



النوع الساس والعسروه

معرفة فضائله

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والنسائي وغيرهم^(١)، وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعض السور بالتعيين، وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة [ق/٦٤] سورة سورة، فحديث موضوع. قال ابن الصلاح: ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم.

قلت: وكذلك الثعلبي، لكنهم ذكروه بإسناد، فاللوم عليهم يقل بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزخشرى، فإن خطاه أشد.

وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة.

ثم قد جرت عادة المفسرين عن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزخشرى، فإنه يذكرها في أواخرها. قال مجد الأئمة [عبد الرحيم]^(٢) بن عمر الكرمانى: سألت الزخشرى عن العلة في ذلك، فقال: لأنها صفات لها والصفة تستدعى تقديم الموصوف.

وقد روى البخاري رحمه الله حديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣). وروى أصحاب السنن في حديث إلهي «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيت أفضل ما أعطى السائلين»، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه^(٤)، وقال عليه

(١) أمثال ابن الضريس، وابن كثير، وهشام بن عمار، وجعفر بن محمد المستغفري، وفيض الله الرومي، ومحمد بن يعقوب الكليني، عبد بن أحمد الهروي، وداود الأودني، وعبد بن أحمد بن عفير، ومحمد الملاحى.

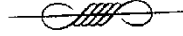
(٢) في م: عبد الرحمن.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٣٩) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، والدارمي (٣٢٣٤). قال الترمذي: حسن غريب.

قلت: ضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٨٥٠)، و«الضعيف الجامع» (٦٤٣٥).

السلام: «ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه»^(١) قال أبو النضر: يعنى القرآن .
 وروى أحمد من حديث أنس رضي الله عنه «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٢)
 وروى مسلم من حديث عمر رضي الله عنه «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به
 آخرين»^(٣) وقدم ﷺ في قتلى أحد في القبر أكثرهم قرآنًا .



(١) أخرجه الترمذي (٢٩١١)، وأحمد (٢٢٣٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٥٧)، والمروزي في «فضائل الصلاة» (١٧٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨٨/٧) و(٢٢٠/١٢) من حديث أبي أمامة مرفوعًا .

وهو ضعيف لضعف بكر بن خنيس، وليث بن أبي سليم، وفيه انقطاع .
 وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٩٥٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣١)، و«فضائل القرآن» (٥٦)، وابن ماجه (٢١٥)، والدارمي (٣٣٢٦)، والحاكم (٢٠٤٦)، والطيالسي (٢١٢٤) من حديث أنس، وهو حديث صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧) .

النوع السابع والعشرون

معرفة خواصه

وقد صنف فيه جماعة منهم التميمي، وأبو حامد الغزالي. قال بعضهم: وهذه الحروف التي في أوائل السور جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع فيحفظ.

وأخبر رجل من أهل الموصل قال: كان الكيا الهراسي الإمام -رحمه الله- إذا ركب في رحلة يقول هذه الحروف التي في أوائل السور، فسئل عن ذلك فقال: ما جعل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا حفظ تاليها وماله، وأمن في نفسه من التلف والغرق.

وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمداً، فكتب إليه في رقعته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]. ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَشِيرَةً﴾ [نمل: ٤٤] فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ.

وكان سفيان الثوري يكتب للمطلقة رقعة تعلق على قلبها: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذنتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ ﴿٤﴾ الانشقاق: ١-٤﴾ ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا ﴿٥﴾﴾ [الحجر: ٣٤]. ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [مريم: ١١].

وروى ابن قتيبة قال: كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل، وتثقل عليه فشكا ذلك لبعض الصالحين، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿مِدادًا﴾، ثم أضمر، في أي وقت أضمرت، فإنك تقوم فيه قال: ففعلت فقامت في الوقت المعين.

قال الغزالي: وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول، فكتب في صحيفة: البسملة ﴿وَوَسَّيْتُ الْجِبَالَ بُسًا ﴿١﴾ فَكَانَتْ هِبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٥-٦] ، ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّوا ذُكًّا وَجِدَّةً﴾ [الحاقة: ١٤]. ﴿ذُكًّا ذُكًّا﴾ ، وألقى عليه الماء وشربه فيسر عليه البول وألقى الحصى.

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبْرٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] يكتب على كاغد، ويوضع على شق الضرس الوجع، يبرأ بإذن الله تعالى.

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له رسول الله ﷺ: مالي أراك محزوناً؟ فقال: ولدي قد مرض واشتد عليه الحال فقال له: أين أنت عن آيات الشفاء ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]. ﴿وَنُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤] ا فقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ.

وحكى ابن الجوزي^(١)، عن ابن ناصر، عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية رضي الله عنها قالت: أذانا جار لنا فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن وقلت: اللهم اكفنا أمره ثم نمت وفتحت عيني وإذا به قد نزل وقت السحر، فزلت قدمه فسقط ومات.

وحكى عن ابنها أنه كان في دارها حائط له جوف، فقالت: هات رقعة ودواة، فناولتها فكتبت في الرقعة شيئاً، وقالت: دعه في ثقب منه، ففعلت فبقى نحواً من عشرين سنة فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس، فقمت فأخذه فوق الحائط، فإذا في الرقعة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمِيسِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنزُولًا﴾ [فاطر: ٤١] يا ممسك السموات والأرض، أمسكه^(٢).

تذبيبه

هذا النوع والذي قبله لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه وعمره به قلبه وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره، هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب، وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذباً لقوله، كما روى أن عارفاً وقعت له واقعة، فقال له صديق له: نستعين بفلان فقال: أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر، وقد صليتها قال صديقه: وأين هذا من هذا؟ قال: لأنى قلت في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإن استعنت بغيره كذبت، والكذب في الصلاة يبطلها، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم، لا تكون إلا مع تحقق العداوة، فإذا قبل إشارة الشيطان، واستنصحه فقد كذب قوله فبطل ذكره.



(١) المنتظم (٧/٢٢٦).

(٢) البداية والنهاية (١١/٣٣٣)، والمنتظم (٧/٢٢٦).

النوع الثامن والعشرون

هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

وقد اختلف الناس في ذلك، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري، والقاضي أبو بكر، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض، لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينهما، وروى معناه عن مالك قال يحيى بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها، احتجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه.

قال ابن حبان في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطي لقارئ أم القرآن؛ إذ الله بفضل فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاهما من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه» قال: وقوله: أعظم سورة أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض.

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث، ثم اختلفوا فقال بعضهم: الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب، بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلاء. وقيل: بل يرجع لذات اللفظ وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ كُورٌ إِلَهٌ وَجِدُّ لَأَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته، ليس موجوداً مثلاً في «تبت يدا أبي لهب»، وما كان مثلها بالتفضيل، إنما هو بالمعاني العجيبة، وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق.

ومن قال بالتفضيل: إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء.

وتوسط الشيخ عز الدين فقال: كلام الله في الله أفضل من كلام الله في غيره ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وعلى ذلك بنى الغزالي كتابه «المسمى بجواهر القرآن». واختاره القاضي أبو بكر بن العربي.

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٧٥) و(٣١٢٥)، والنسائي في «المتنبي» (٩١٣)، و«الكبرى» (٩٨٦)، وأحد (٢١١٣٢)، وابن حبان (٧٧٥)، والبيهقي في «الكبرى» (١٢٣٢). قال الترمذي: حسن صحيح.

لحديث أبي سعيد بن المعلی [ق/ ٦٥] في صحيح البخاري^(١): «إني لأعلمك سورة هي أعظم السور في القرآن قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]» .

ولحديث أبي بن كعب في الصحيحين^(٢) قال لى رسول الله ﷺ: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا أي تدرى أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، قال: فضرب في صدرى وقال: «ليهتك العلم أبا المنذر» .

وأخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن أبي هريرة «سيدة آي القرآن آية الكرسي»^(٣) .

وفي الترمذى غريباً عنه مرفوعاً: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي»^(٤) .

وروى ابن عيينة في جامعه عن أبي صالح عنه «فيها آية الكرسي، وهي سنام أي القرآن ولا تقرأ في دار فيها شيطان إلا خرج منها» وهذا لا يعارض ما قبله بأفضلية الفاتحة، لأن تلك باعتبار السور، وهذه باعتبار الآيات .

وقال القاضي شمس الدين الخويى: كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين، وهل يجوز أن يقال: بعض كلامه أبلغ من بعض؟ جوزوه بعضهم لقصور نظرهم، وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل: هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حسن ولطف، وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه فإن من قال: إن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أبلغ من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [السد: ١] يجعل المقابلة بين ذكر الله، وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين، وذلك غير صحيح بل ينبغي أن يقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [السد: ١] دعاء عليه بالخسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه، وكذلك في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها، فالعالم إذا نظر إلى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١] في باب الدعاء والخسران ونظر إلى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول: أحدهما أبلغ من الآخر، وهذا القيد يغفل عنه بعض من لا يكون عنده علم البيان .

قلت: ولعل الخلاف في هذه المسألة يلفت عن الخلاف المشهور: إن كلام الله شيء واحد

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) .

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠) .

(٣) أخرجه الحاكم (٣٠٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢١٨) بسند ضعيف .

(٤) أخرجه الترمذى (٢٨٧٨)، والحاكم (٣٠٢٦) وحسنه الشيخ الألبانى .

أولا؟ عند الأشعري أنه لا يتنوع في ذاته، إنما هو بحسب متعلقاته .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿مِنَهُ آيَاتٌ تُحَكِّمَتُّ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ، فجعله شيئين ، وأنتم تقولون بعدمه وأنه صفة واحدة .

قلنا : من حيث إنه كلام الله لا مزية لشيء منه على شيء ، ثم قولنا : «شيء منه» يوهم التبعض ، وليس لكلام الله الذي هو صفته بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع المخاطبات ، ولولا تنزله في هذه المواقع لما وصلنا إلى فهم شيء منه . وقال الحلبي : قد ذكرنا أخباراً تدل على جواز المفاضلة بين السور والآيات ، وقال الله تعالى : ﴿نَأْتِي بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] ، ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء :

أحدها : أن تكون آيتا عمل ثابتتان في التلاوة ، إلا أن إحداها منسوخة والأخرى ناسخة فنقول : إن الناسخ خير أي : أن العمل بها أولى بالناس وأعود عليهم ، وعلى هذا فيقال : آيات الأمر والنهي والوعيد والخير من آيات القصص ؛ لأن القصص إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والتبشير ، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص ، فكل ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجرى مجرى الأصول ، خير لهم مما يحصل تبعاً لما لا بد منه .

والثاني : أن يقال : إن الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته وقديسته أفضل أو خير ، بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدراً .

والثالث : أن يقال : سورة خير من سورة أو آية خير من آية ، بمعنى أن القارئ يتعجل بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ، ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كقراءة آية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ، فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى ، والاعتصام بالله جل ثناؤه ، ويتأدى بتلاوتها منه لله تعالى عبادة ؛ لما فيها من ذكر اسم الله تعالى جده بالصفات العلا على سبيل الاعتقاد لها ، وسكون النفس إلى فضل الذكر وبركته ، فأما آيات الحكم ، فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور ، بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب يحسب بقراءته ، لا بقراءتها أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء ، بل كانت دعوتهم ، والحجج غيرها ، وكان ذلك أيضاً نظير ما مضى .

وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار ، لا يظهر لنا كما يقال : إن قوماً أفضل من قوم ، وشهراً أفضل من شهر ، بمعنى أن

العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره، والذنب يكون أعظم من الذنب منه في غيره، وكما يقال: إن الحرم أفضل من الحل، لأنه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره، والله أعلم.

فصل

[في أعظمية آية الكرسي]

قال ابن العربي: إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته، وهي في أي القرآن كـ«قل هو الله أحد» في سورة، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين: أحدهما: أنها سورة، وهذه آية، فالسورة أعظم من الآية؛ لأنه وقع التحدى بها، فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها. والثاني: أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً، فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه مكتوب مدده السبعة الأبحر، لا ينفد عدد حروفه خمسون كلمة ثم يعبر عن معنى الخمسين كلمة خمسة عشر كلمة، وذلك كله بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية.

وقال أبو العباس أحمد بن المنير المالكي: كان جدى رحمه الله يقول: اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه اسم من أسماء الله تعالى، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً، فيها اسم الله ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض، ويظهر للكثير من العادين فيها ستة عشر إلا على حاد البصيرة، لدقة استخراجها: ١- الله، ٢- هو، ٣- الحى، ٤- القيوم، ٥- ضمير «لا تأخذه»، ٦- ضمير «له»، ٧- ضمير «عنده»، ٨- ضمير «إلا بإذنه»، ٩- ضمير «يعلم»، ١٠- ضمير «علمه»، ١١- ضمير «شاء»، ١٢- ضمير «كرسيه»، ١٣- ضمير «يؤوده»، ١٤- وهو، ١٥- العلي، ١٦- العظيم. فهذه عدة الأسماء.

وأما الحفى في الضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله: ﴿حَفَظْهُمَا﴾ فإنه مصدر مضاف إلى المفعول، وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل، وهو الله، ويظهر عند فك المصدر، فتقول ولا يؤوده أن يحفظهما هو.

قال: وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل المرسى، قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجد، فقال: يمكن أن تعد ما في الآية من الأسماء المشتقة كل واحد منها باثنين؛ لأن كل واحد منها يحمل ضميراً ضرورياً كونه مشتقاً، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله، وهو باعتبار ظهورها اسم، وقد اشتملت على آخر مضمير فتكون جملة العدد على هذا أحداً وعشرين

اسماً فأجريت معه وجهاً لطيفاً، وهو أن الاسم المشتق لا يحتل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً على الأصح، وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى، ثم ولو فرضناها محتملة للضماير بعد التسمية على سبيل التنزل، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمله ضميره ألا تراك إذا قلت: زيد كريم إذا وجدت كريماً إنما يقع على زيد لأن فيه ضميره، حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصاً بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس، ولا تجده مختصاً بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره، فليس المشتق إذاً مستقلاً بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه، فلا يمكن أن تجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم بوجوه إلى معين ألينة، قال: فرضى عن هذا البحث وصوبه.

وقال الغزالي [ق/٦٦] في قوله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس»^(١) إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك، واستحسنه فخر الدين الرازي.

قال الجويني: سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: آل حم ديباج القرآن^(٢).

وقال ابن عباس: لكل شيء لباب، ولباب القرآن آل حم أو قال: الحواميم^(٣).

وقال مسعر بن كدام: كان يقال لهن: العرائس^(٤).

روى ذلك كله أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن.

وقال حميد بن زنجويه: حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن

أبي الأحوص، عن عبد الله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً، فمر بأثر

غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه، إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث

الأول، فهذا أعجب وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هذه

الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي^(٥). وروى أبو عبيد عن بعض السلف،

منهم محمد بن سيرين كراهة أن يقال: الحواميم، وإنما يقال: آل حم^(٦).

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٨٧)، والدارمي (٣٢٩٢) بسند فيه مجهول.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/١٣٧).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/١٣٧-١٣٨).

(٥) تفسير البغوي (ص/١٣٤).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/١٣٨).

وفي الترمذى عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله قد شئت، قال: «شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(١). خص هذه السور بالشيب؛ لأنهن أجمع لكيفية القيامة وأهلها من غيرهن؛ ولهذا قال في حديث آخر^(٢): «من أحب أن يرى القيامة رأى العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]»، وروى الترمذى من حديث ابن عباس ومن حديث أنس «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل يأيها الكافرون تعدل ربعه»^(٣) وقال: في كل منهما غريب.

وقد تكلم ابن عبد البر^(٤) على حديث ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن^(٥)، وحكى خلاف الناس فيه، فقيل: لأنه سمع شخصاً يكررها تكرر من يقرأ ثلث القرآن، فخرج الجواب على هذا.

وفيه بعد عن ظاهر الحديث؛ قيل: لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات، وقل هو الله أحد كلها صفات فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار، واعترض على ذلك باستلزام كون آية الكرسي وآخر الحشر ثلث القرآن ولم يرد فيه.

وقيل: تعدل في الثواب، وهو الذي يشهد [له ظاهر]^(٦) الحديث.

قلت: ضعف ابن عقيل هذا، وقال: لا يجوز أن يكون المعنى: فله أجر ثلث القرآن؛ لقوله ﷺ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»^(٧).

ثم قال ابن عبد البر: على أنى أقول: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم. ثم أسند إلى إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل: قوله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» ما وجهه؟ فلم يقم لى فيها على امر. وقال لى إسحاق بن راهويه: معناه

(١) أخرجه الترمذى (٣٢٩٧)، والحاكم (٣٣١٤)، والروزي في «مسند أبي بكر» (٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٣٥٠)، والبعغوي في «تفسيره» (ص/٢٠٧). قال الترمذى: حسن غريب.

قلت: صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني رحم الله الجميع.

(٢) أخرجه أحمد (٤٨٠٦) و(٤٩٣٤) و(٥٧٥٥) وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذى (٢٨٩٣)، والبيهقى في «الشعب» (٢٥١٦). قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سليم. قال البيهقى: مجهول.

(٤) التمهيد (١٩/٢٢٩-٢٣٠).

(٥) أخرجه البخارى (٦٦٤٣)، ومسلم (٨١١).

(٦) في المطبوع: لظاهر.

(٧) أخرجه الدارمي (٣٣٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٧)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٦/١١٨)، والبيهقى في «الشعب» (١٩٨٧) من طرق عن عبد الله بن مسعود موقوفاً، وهو صحيح.

أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام، جعل لبعضه أيضاً فضلاً في الثواب لمن قرأه تحريصاً على تعلمه لا أن من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثلاث مرات، كان كمن قرأ القرآن جميعه، هذا لا يستقيم، ولو قرأها مائتي مرة.

قال أبو [عمر]^(١): وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة.

قلت: وأحسن ما قيل فيه: أن القرآن قسمان خير وإنشاء، والخير قسمان: خير عن الخالق، وخير عن المخلوق، فهذه ثلاثة، وسورة الإخلاص أخلصت الخير عن الخالق، فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن.

فائدة

[في أي آية في القرآن أرجى؟]

اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً:

الأول: آية «الدين» وماخذه أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير، فبمقتضى ذلك يرجى عفو الله تعالى عنهم، لظهور أمر العناية العظيمة بهم، حتى في مصلحتهم الحقيرة.

الثاني: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ سَكْرًا وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢] إلى قوله: ﴿أَلَا حُبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وهذا رواه مسلم في الصحيح^(٢) إثر حديث الإفك عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك.

الثالث: قال [الشبلي]^(٣) في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] قاله تعالى لما أذن للكافرين^(٤) بدخول الباب إذا أتوا بالتوحيد والشهادة أتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها؟

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجْرِبُ إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبا: ١٧].

الخامس: قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلٌ﴾ [طه: ٤٨].

السادس: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْبَغْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠].

السادس: قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلِيهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٧٠).

(١) في المطبوع: عمرو.

(٤) في المطبوع: الكافرين.

(٣) في م: السبكي.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

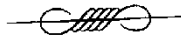
[حكى هذه الأقوال الخمسة الأخيرة الشيخ محيي الدين في رءوس المسائل] (١).

التاسع: رأيت في مناقب الشافعي للإمام أبي محمد إسماعيل الهروي، صاحب الحاكم بإسناده عن ابن عبد الحكم قال: سألت الشافعي أي آية أرجى؟ قال: قوله تعالى: ﴿يَسْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ يَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥-١٦]. قال: وسألته عن أرجى حديث للمؤمن قال حديث: «إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فيذهب به إلى النار».

العاشر والحادي عشر: روى الحاكم في مستدركه (٢)، عن محمد بن المنكدر قال: التقى ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، فقال ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى عندك؟ فقال عبد الله بن عمرو: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] قال: لكن قول إبراهيم: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] هذا لما في الصدور من وسوسة الشيطان، فرضى الله تعالى من إبراهيم بقوله: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال النحاس في سورة الأحقاف: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فقال: إن هذه الآية من أرجى آية في القرآن، إلا أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْرَبٍ لِّنَّاسٍ عَلَىٰ ظُهُبِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

وأما أخوف آية، فعن الإمام أبي حنيفة أنه قال: هي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْتَارَ الْبَلَىٰ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، ولو قيل: إنها ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ النَّقْلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] لكان له وجه؛ ولهذا قال بعضهم: لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم.



(١) سقط من م.

(٢) أخرجه الحاكم (٧٦٧٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

النوع التاسع والعشرون

في آداب تلاوته وكيفيتها^(١)

اعلم أنه ينبغي لمح موقع النعم على من علمه الله تعالى القرآن العظيم أو بعضه، بكونه أعظم المعجزات، لبقائه ببقاء دعوة الاسلام؛ ولكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كل عصر وزمان؛ لأنه كلام رب العالمين، وأشرف كتبه جل وعلا فليمر من عنده القرآن أن الله أنعم عليه نعمة عظيمة وليستحضر من أفعاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور والكف عن أمور، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة، فصاروا عبرة للمعتبرين حين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وأهلكوا لما عصوا، وليحذر من علم حالهم أن يعصى فيصير مآله مآلهم، فإذا استحضر صاحب القرآن علو شأنه بكونه طريقاً لكتاب الله تعالى، وصدوره مصحفاً له انكفقت نفسه عند التوفيق عن الرذائل وأقبلت على العمل الصالح الهائل، وأكبر معين على ذلك حسن ترتيله وتلاوته، وقال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْنٍ وَرَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فحق على كل امرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتله وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، والإفصاح لجميعة بالتدبر حتى يصل بكل ما بعده وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه وألا يدغم حرفاً في حرف؛ لأن أقل ما في ذلك أن يسقط من حسناته بعضها، وينبغي للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم، فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل.

وقيل: أقل الترتيل أن يأتي بما يبين ما يقرأ به، وإن كان مستعجلاً في قراءته وأكملة أن يتوقف فيها، ما لم يخرجها إلى التمديد والتمطيط، فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم.

وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها [ق/ ٦٧]، فإذا مر به آية رحمة وقف عندها [وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة. وإن قرأ آية عذاب وقف

(١) أفرده بالتصنيف جماعة من أشهرهم النووي في «التيبان في آداب حلة القرآن».

عندها^(١)، وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان، فقال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيده من النار.

وإن هو مر بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: «يأيها الذين آمنوا» وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربى وسعديك، وتأمل ما بعدها مما أمر به [أو]^(٢) نهى عنه، فاعتقد قبول ذلك، فإن كان من الأمر الذي قد قصر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في تقصيره وذلك مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

وعلى كل أحد أن ينظر في أمر أهله في صلاتهم وصيامهم، وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم وجناباتهم وحيض النساء ونفاسهن، وعلى كل أحد أن يتفقد ذلك في أهله ويراعيهم بمسألتهن عن ذلك، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألته تذكيراً له، وتأكيدياً لما في قلبه، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعليماً له، ثم هكذا يراعى صغار ولده ويعلمهم إذا بلغوا سبباً أو ثمانى سنين، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك، فمن كان من الناس قد قصر فيما مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيما يستقبل، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه إذا مر به تأمله وتفهمه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨] فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعاله في نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره، من الظلمات والغيبة وغيرها، ورد ظلامته، واستغفر من كل ذنب قصر في عمله ونوى أن يقوم بذلك، ويستحل كل من بينه وبينه شيء من هذه الظلمات من كان منهم حاضراً وأن يكتب إلى من كان غائباً، وأن يرد ما كان يأخذه على من أخذه منه، فيعتقد هذا في وقت قراءة القرآن، حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع، فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكمال ترتيل القرآن، فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ليكون متعلماً لذلك، طالباً للعمل به، وإن كانت الآية قد اختلف فيها، اعتقد من قولهم أقل ما يكون، وإن احتاط على نفسه، بأن يعتقد أوكد ما في ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه.

وإن كان ما يقرؤه من الآي فيما قصص الله على الناس من خبر من مضى من الأمم فلينظر في ذلك، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه فيجدد لله على ذلك شكراً.

وإن كان ما يقرؤه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام والانتهاج عن المنهى والاجتناب له، فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيداً وعد الله به المؤمنين فلينظر إلى

(٢) في المطبوع: و.

(١) سقط من م.

قلبه، فإن جنح إلى الرجاء فزعه بالخوف، وإن جنح إلى الخوف فسمح له في الرجاء حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين، فإن ذلك كمال الإيمان.

وإن كان ما يقرؤه من الآي من المتشابه، الذي تفرد الله بتأويله فليعتقد الإيمان به كما أمر الله تعالى فقال: ﴿قَالَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْوَيْبَاتِ وَأَبِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، يعني عاقبة الأمر منه ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وإن كان موعظة اتعظ بها، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل.

وقال بعضهم: الناس في تلاوة القرآن ثلاثة مقامات:

الأول: من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه، فينظر إليه من كلامه وتكلمه بخطابه، وتعلمه بمناجاته وتعرفه من صفاته، فإن كل كلمة تنبئ عن معنى اسم أو وصف أو حكم أو إرادة أو فعل؛ لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف، ويدل على الموصوف، وهذا مقام العارفين من المؤمنين؛ لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعم عليه بل هو مقصور الفهم عن المتكلم، موقوف الفكر عليه مستغرق بمشاهدة المتكلم، ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق: لقد تجلى الله لخلقه بكلامه، ولكن لا يبصرون.

ومن كلام الشيخ أبي عبد الله القرشي: لو طهرت القلوب لم تشبع من التلاوة للقرآن. الثاني: من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بالطافه، ويتملقه بإنعامه، وإحسانه، فمقام هذا الحياء والتعظيم، وحاله الإصغاء والفهم، وهذا لعموم المقربين.

الثالث: من يرى أنه يناجي ربه سبحانه، فمقام هذا السؤال والتمكن، وحاله الطلب وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين، فإذا كان العبد يلقي السمع من بين يدي سميعة مصغياً إلى سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفاته، ناظراً إلى قدرته تاركاً لمعقوله ومعهود علمه متبرئاً من حوله وقوته، معظماً للمتكلم متفرغاً إلى الفهم بحال مستقيم، وقلب سليم، وصفاء يقين، وقوة علم وتمكين، سمع فصل الخطاب، وشهد غيب الجواب؛ لأن الترتيل في القرآن والتدبر لمعاني الكلام، وحسن الاقتصاد إلى المتكلم في الإفهام، والإيقاف على المراد، وصدق الرغبة في الطلب سبب للاطلاع على المطلع من المسر المكنون المستودع. وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات، أولها الإيمان بها، والتسليم لها، والتوبة إليها، والصبر عليها، والرضا به، والخوف منها، والرجاء إليها، والشكر عليها، والمحبة لها، والتوكل فيها، فهذه المقامات العشر هي مقامات المتقين، وهي منظوية في كل كلمة يشهدها أهل التمكين، والمناجاة، ويعرفها أهل العلم والحياة؛ لأن كلام

المحبيب حياة للقلوب لا ينذر به إلا حى، ولا يجيبه إلا مستجيب، كما قال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلا من يتنقل في العشر المقامات، المذكورة في سورة الأحزاب.

أولها: مقام المسلمين وآخرها مقام الذاكرين، وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر، فعندها لا تمل المناجاة لوجود المصافاة، وعلم كيف تجلّى له تلك الصفات الإلهية في طى هذه الأدوات، ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى، ولا تمكن لفهم عظيم الكلام إلا على حد فهم الخلق، فكل أحد يفهم عنه بفهمه الذي قسم له حكمة منه.

قال بعض العلماء^(١): في القرآن ميادين وبساتين، وعرائس وديابيج، ورياض فالميتمات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصير القرآن، والمسبحات عرائس القرآن، والحواميم ديابيج القرآن، والمفصل رياضه، وما سوى ذلك، فإذا دخل المريد في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزه في الرياض، وسكن غرفات المقامات اقتطعه عما سواه، وأوقفه ما يراه وشغله المشاهد له عما عداه؛ ولذلك قال النبي ﷺ «[أعربوا]^(٢) القرآن والتمسوا غرائبه، وغرائبه فروضه وحدوده فإن القرآن على خمسة: حلال، وحرام، ومحكم وأمثال ومتشابه، فخذوا الحلال ودعوا الحرام، واعملوا بالمحكم وآمنوا المتشابه واعتبروا بالأمثال»^(٣).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً^(٤). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين، والآخريين فليثور القرآن^(٥).

قال ابن سبع في كتاب «شفاء الصدور»: هذا الذي قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصل

(١) انظر: «جمال القراء» (١/١٧٨-١٧٩).

(٢) في المطبوع: اعرفوا.

(٣) أخرجه الحاكم (٣٦٤٤)، وأبو يعلى (٦٥٦٠)، وابن أبي شيبة (٧/١٥٠)، والخطيب في «التاريخ»

(٧٧/٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٩٣).

وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري. متروك.

(٤) أخرجه ابن جرير (١/٢٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢١١)، وابن أبي شيبة (٦/١٤٢) وهو

صحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٦٤) و(٨٦٦٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٦٠).

قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» بأسانيد ورجال، أحدها رجال الصحيح. «مجمع الزوائد»

(١٦٥/٧).

بمجرد تفسيره الظاهر، وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمه أكثر. وقال آخرون: القرآن يحتوي على سبعة وسبعين ألف علم؛ إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعاً؛ إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع. وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله.

فصل

[في كراهة قراءة القرآن بلا تدبير]

تكره قراءة القرآن بلا تدبير، وعليه محل حديث عبد الله بن عمرو: لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث^(١). وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في [ليلة واحدة]^(٢): أهذا كهذا الشعر^(٣)! وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج: «يقراءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم»^(٤) ذمهم بإحكام ألفاظه وترك التفهم لمعانيه.

فصل

في تعلم القرآن

ثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٥) وفي رواية «أفضلكم»^(٦). وعن عبد الله يرفعه: «إن القرآن مأدبة الله فتعلموا [من]^(٧) ما أدبته ما استطعتم»^(٨) رواه البيهقي.

وروي أيضًا، عن أبي العالية قال: «تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن النبي ﷺ كان

- (١) أخرجه أبو داود (١٣٩٠) و(١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (٣٤٧)، وأحمد (٦٥٤٦).
- قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله -.
- (٢) في المطبوع: ليله.
- (٣) أخرجه البخاري (٧٤٢)، ومسلم (٨٢٢).
- (٤) أخرجه مسلم (٨٢٢).
- (٥) تقدم.
- (٦) البخاري (٤٧٤٠).
- (٧) سقط من المطبوع.
- (٨) أخرجه الدارمي (٣٣١٥)، وعبد الرزاق (٥٩٩٨)، والبزار (٢٠٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٣٣) موقوفًا.
- وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٧)، والحاكم (٢٠٤٠)، وابن أبي شيبة (١٢٥/٦)، والبيهقي في «الصغرى» (٩٨٣)، وفيه إبراهيم الهجري، لين الحديث، ورفع موقوفات. وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٨٦٧).

يأخذه من جبريل عليه السلام خمسًا خمسًا»^(١)، وفي رواية: «من تعلمه خمسًا خمسًا لم ينسه»^(٢).

قال أصحابنا [رحمهم الله]^(٣): تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة صرح به الجرجاني في «الشافى»، والعبادى وغيرهما. والمعنى فيه كما قاله الجوينى: ألا ينقطع عدد التواتر فيه ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقيين، وإلا فالكل آثم، فإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أئتموا بأسرهم، ولو كان هناك جماعة يصلحون للتعليم وطلب من بعضهم وامتنع لم يأنم في الأصح، كما قاله النووى في التبيان، وهو نظير ما صححه في كتاب «السير»: أن المفتى والمدرس لا يأنم بالامتناع، إذا كان هناك من يصلح غيره. وصورة المسألة: فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير، فإن كانت تفوت لم يجز الامتناع كالمصلى يريد تعلم الفاتحة، ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر، ولضيق الوقت عن التعليم.

وينبغي تعليمه على التأليف المعهود، فإنه توقيفى، وقد ورد عن ابن مسعود سئل عن الذي يقرأ القرآن منكوسًا قال: ذاك منكوس القلب^(٤).

قال أبو عبيد: وجهه عندي أن يتدئ من آخر القرآن من آخر المعوذتين، ثم يرتفع إلى البقرة كنحو ما تفعل الصبيان في الكتاب، لأن السنة خلاف هذا، وإنما وردت الرخصة في تعليم الصبى والعجمى من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما.

مسألة [في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

ويجوز أخذ الأجرة على التعليم، ففي صحيح البخاري^(٥): «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله». وقيل: إن تعين عليه لم يجز، واختاره الحلیمی، وقال: استقصر الناس المعلمين لقصرهم زمانهم على معاشر الصبيان، ثم النساء حتى أثر ذلك في عقولهم، ثم لابتغائهم عليه الأفعال، وطمعهم في أطعمة الصبيان، فأما نفس التعليم فإنه يوجب التشريف والتفضيل.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٩/٢) عن أبي العالية قوله. وأخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (١٧٤٩)، والخطيب في «التاريخ» (٢٨٧/١٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٥٩) عن أبي العالية عن عمر. قال أبو زرعة: أبو نعيم رواه عن أبي خلدة عن أبي العالية لم يذكر فيه عمر وهو الصحيح.

(٢) هذا قول لبعض أهل العلم، وليس برواية للحديث.

(٣) زيادة من م.

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه البخاري (٥٤٠٥).

وقال أبو الليث في كتاب (الباستان): التعليم على ثلاثة أوجه: أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضاً، والثاني: أن يعلم بالأجرة. والثالث: أن يعلم بغير شرط، فإذا أهدى إليه قبل. فالأول: مأجور عليه، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثاني: مختلف فيه قال أصحابنا المتقدمون: لا يجوز لقوله ﷺ «بلغوا عني ولو آية»^(١). وقال جماعة من المتأخرين: يجوز مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى، وأبي نصر بن سلام. وغيرهم قالوا: والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفظ، وتعليم الكتابة، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به؛ لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه.

وأما الثالث: فيجوز في قولهم جميعاً؛ لأن النبي ﷺ كان معلماً للخلق، وكان يقبل الهدية؛ ولحديث اللديغ لما رقه بالفاتحة، وجعلوا له جعلاً وقال النبي ﷺ: «واضربوا لي معكم فيها بسهم»^(٢).

[فصل] ^(٣) [في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه]

وليدمن على تلاوته بعد تعلمه، قال الله تعالى مثباً على من كان دأبه تلاوة آيات الله ﴿يَتْلُونَ مَا كَتَبَ اللَّهُ مَائَةً آيَةً﴾ [آل عمران: ١١٣]، وسماه ذكراً وتوعد المعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه. وفي الصحيحين^(٤): «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها».

وقال: «بسمنا لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِيَ واستذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيلاً في صدور الرجال من النعم في عقالها»^(٥).

مسألة [في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة]

يستحب الاستياك وتطهير فمه، والطهارة للقراءة باستياكه وتطهير بدنه بالطيب المستحب تكريماً لحال التلاوة لا بساً من الثياب ما يتجمل به بين الناس، لكونه بالتلاوة بين يدي المنعم المتفضل بهذا الإنسان، فإن التالي للكلام بمنزلة المكالم لذي الكلام. وهذا غاية

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٥٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) في م: مسألة.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٤٦)، ومسلم (٧٩١).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٤٤)، ومسلم (٧٩٠).

التشريف من فضل الكريم العلام . ويستحب أن يكون جالساً مستقبلاً القبلة، سئل سعيد بن المسيب عن حديث وهو متكئ فاستوى جالساً، وقال: أكره أن أحدث عن رسول الله ﷺ وأنا متكئ، وكلام الله تعالى أولى .

ويستحب أن يكون متوضئاً، ويجوز للمحدث . قال إمام الحرمين وغيره: لا يقال: إنها مكروهة فقد صح أنه ﷺ كان يقرأ مع الحدث، وعلى كل حال سوى الجنابة، وفي معناها الحيض والنفاس، وللشافعي قول قديم في الحائض تقرأ خوف النسيان^(١).

وقال أبو الليث^(٢): لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة، قال: وإذا أرادت الحائض التعلم فينبغي لها أن تلقن نصف آية، ثم تسكت، ولا تقرأ آية واحدة بدفعة واحدة. وتكره القراءة حال خروج الريح، وأما غيره من النواقض كاللمس والمس ونحوه فيحتمل عدم الكراهة، لأنه غير مستقذر عادة؛ ولأنه في حال خروج الريح يبعد بخلاف هذه .

مسألة [في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة]

يستحب التعوذ قبل القراءة، فإن قطعها قطع ترك وأراد العود جدد، وإن قطعها لعذر عازماً على العود كفاه التعوذ الأول ما لم يطل الفصل، ولا بد من قراءة البسملة أول كل سورة تحريراً من مذهب الشافعي، وإلا كان قارئاً بعض السور لا جميعها، فإن قرأ من أثنائها استحب له البسملة أيضاً نص عليه الشافعي رحمه الله فيما نقله العبادي .

وقال الفاسي في شرح القصيدة: كان بعض شيوخنا يأخذ علينا في الأجزاء القرآنية بترك البسملة، ويأمرنا بها في حزب: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي حزب: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [نصت: ٤٧] لما فيهما بعد الاستعاذة من قبح اللفظ، وينبغي لمن أراد ذلك أن يفعله إذا ابتداء مثل ذلك نحو: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤١]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]؛ لوجود العلة المذكورة، وقد كان مكى يختار إعادة الآية قبل كل حزب من الحزبين المذكورين للعلة المذكورة .

مسألة

ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتقان لهذا الشأن، الجامعين بين الدراية والرواية والصدق والأمانة، وقد كان النبي ﷺ يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن .

(١) انظر: «تحفة الفقهاء» (١/٥٧).

(٢) انظر: «روضة الطالبين» (١/١٣٥).

مسألة [في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة في المصحف أفضل، أم على ظهر القلب، أم يختلف الحال؟ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من المصحف أفضل؛ لأن النظر فيه عبادة، فتجتمع القراءة والنظر. وهذا قاله القاضي الحسين والغزالي، قال: وعلة ذلك أنه لا يزيد على [.....] (١) وتأمل المصحف، وجمله ويزيد في الأجر بسبب ذلك، وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع، وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف. ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن، إني لأصلي العتمة وأضع المصحف [في يدي] (٢)، فما أطبقه حتى الصباح.

وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي يقرأ في كل يوم سبعاً من القرآن لا يتركه نظراً.

وروى الطبراني من حديث أبي سعيد بن عون المكي، عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة» (٣) وأبو سعيد قال فيه ابن معين لا بأس به (٤).

وروى البيهقي في شعب الإيمان من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في المصحف [ق/٦٩] كانت له ألفا حسنة، ومن قرأه في غير المصحف فأظنه قال: كآلف حسنة» (٥) وفي الطريق الأخرى، قال: «درجة» وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف.

وروى ابن أبي داود بسنده، عن أبي الدرداء مرفوعاً «من قرأ مائتي آية كل يوم نظراً شفع في سبعة قبور حول قبره، وخفف العذاب عن والديه وإن كانا مشركين» (٦).

وروى أبو عبيد في فضائل القرآن بسنده، عن النبي ﷺ قال: «فضل القرآن نظراً على من قرأ ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة» (٧) وبسنده عن ابن عباس قال: كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه.

بياض في الأصل. (٢) في م: بين يدي.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢١٧) و(٢٢١٨)، وهو ضعيف لضعف أبي سعيد بن عوف.

قلت: بل ضعيف، وروى عن ابن معين أيضاً تضعيفه. «لسان الميزان» (٣١٧/١).

تقدم.

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» بسند صحيح.

انظر: «فضائل القرآن» (ص/٤٦)، وضعفه السيوطي في «الإتقان» (٣١٧/١).

وروى أبو داود بسنده، عن عائشة مرفوعاً «النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر في وجه الوالدين عبادة، والنظر في المصحف عبادة»^(١).

وعن الأوزاعي: كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنية. قال بعضهم: وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات سيرة ولا يتركه مهجوراً.

والقول الثاني: أن القراءة على ظهر القلب أفضل، واختاره أبو محمد بن عبد السلام فقال في أماليه قيل: القراءة في المصحف أفضل، لأنه يجمع فعل الجارحتين، وهما اللسان والعين والأجر على قدر المشقة، وهذا باطل، لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿لِيَذَّبَ بَعْضُهُمْ أَسْئَاتِهِمْ﴾، والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود، فكان مرجوحاً.

والثالث: واختاره النووي في الأذكار^(٣): إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف، فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، [وهو]^(٤) مراد السلف.

مسألة [في استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة، صح ذلك عن النبي ﷺ، واستحب [بعضهم]^(٥) الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار، إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر، وإن قرأ بالنهار أسر بالأكثر إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه، ولا صخب، ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن، ثم روى بسنده، عن معاذ بن جبل يرفعه «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»^(٦) نعم من قرأ والناس يصلون، فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به؛ فإن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد فقال: «يأيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة»^(٧).

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٦٤) بسند ضعيف.

(٢) في المطبوع: ليتدبروا.

(٣) الأذكار (ص/٢٥٠).

(٤) في الأذكار: وهذا.

(٥) أخرجه أبو داود (١٣٣٣)، والترمذي (٢٩١٩)، والنسائي (٢٥٦٠)، وأحمد (١٦٩١٧)، وأبو يعلى (١٧٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٩٢٣)، وابن حبان (٧٣٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٤٨٦١)، و«الشعب» (٢٦١٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن. قلت: صححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

(٦) أخرجه أبو داود (١٣٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢)، وأحمد (١١٤٨٦)، وابن خزيمة (١١٦٢)، وعبد الرزاق (٤٢١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٥٨)، وهو حديث صحيح.

مسألة [في كراهة قطع القرآن لمكاملة الناس]

ويكره قطع القرآن لمكاملة الناس، وذلك أنه إذا انتهى في القراءة إلى آية، وحضره كلام فقد استقبله التي بلغها والكلام، فلا ينبغي أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن، قاله الحلبي وأيده البيهقي بما رواه البخاري^(١) : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه .

مسألة [في حكم قراءة القرآن بالعجمية]

لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة وخارجها، لقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ، وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا﴾ [نصت: ٤٤] .

وقيل عن أبي حنيفة: تجوز قراءته بالفارسية مطلقاً، وعن أبي يوسف: إن لم يحسن العربية لكن صح عن أبي حنيفة الرجوع عن ذلك، حكاه عبد العزيز في «شرح البزدوي». واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز، لنقص الترجمة عنه؛ ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر الألسنة، وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لمكان التحدي بنظمه، فأحرى ألا تجوز الترجمة بلسان غيره، ومن هاهنا قال القفال من أصحابنا: عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية، قيل له: فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن؟ قال: ليس كذلك؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله، ويعجز عن البعض، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية، فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله، أي: فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير.

وما أحاله القفال من ترجمة القرآن، ذكره أبو الحسين بن فارس في فقه العربية^(٢) أيضاً فقال: «لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزيور، وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأن المعجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نَحْنُ قَوْمٌ حَيَّانَةٌ فَأَلَيْدٌ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] لم تستطع أن تأتي بهذة الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة، وعهد فخفت منهم خيانة ونقصاً، فأعلمهم أنك قد نقصت ما شرطته لهم وأذنبهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقص على سواء، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضْرِبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] . انتهى .

(٢) (ص/١٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥٣).

فظهر من هذا أن الخلاف في جواز قراءته بالفارسية لا يتحقق، لعدم إمكان تصوّره . ورأيت في كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة، فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة، وينبغي أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه والغريب المعنى بمقدار الضرورة من التوحيد وأركان العبادات، ولا يتعرض لما سوى ذلك ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربي، وهذا هو الذي يقتضيه الدليل؛ ولذلك لم يكتب رسول الله ﷺ إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة، لمعنى واحد وهو توحيد الله والتبري من الإشراف؛ لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق، فإذا كان معنى المترجم عنده واحداً قل وقوع التقصير فيه، بخلاف المعاني إذا كثرت، وإنما فعل النبي ﷺ للضرورة التبليغ أو لأن معنى تلك الآية كان عندهم مقرراً في كتبهم، وإن خالفوه .

وقال الكواشي في تفسير سورة الدخان: أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية، بشرطية وهي أن يؤدي القارئ المعاني كلها من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً، قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كالإجازة؛ لأن كلام العرب خصوصاً القرآن الذي هو معجز فيه من لطائف المعاني والإعراب ما لا يستقل به لسان من فارسية وغيرها .

وقال الزمخشري^(١): ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، مثل صاحبيه في القراءة بالفارسية .

مسألة [في عدم جواز القراءة بالشواذ]

ولا تجوز قراءته بالشواذ . وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على منعه، فقد سبق في الحديث، كان يمد مداً يعني أنه يمكن الحروف ولا يحذفها، وهو الذي يسميه القراء بالتجويد في القرآن، والترتيل أفضل من الإسراع، فقراءة حزب مرتل مثلاً في مقدار من الزمان أفضل من قراءة حزبين في مثله بالإسراع .

مسألة [في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب، لما يروى: «نزل القرآن بالتفخيم»^(٢) قال الحلبي: معناه أن يقرأ على قراءة الرجال، ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء، قال: ولا

(١) الكشاف (٤/٢٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٢٣)، وابن عدي في «الكامل» (٧٨/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٤٩)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٦٠). قال الطبراني: تفرد به بقية بن الوليد. وقال الذهبي: بقية بن الوليد ليس بمعتمد، والخبر منكر. وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٦٧).

يدخل في كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء، وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم، فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل عليه السلام .
وروى البيهقي من حديث ابن عمر: «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات»^(١).

مسألة [في فصل السور بعضها عن بعض]

وأن يفصل كل سورة عما قبلها، إما بالوقف أو التسمية، ولا يقرأ من أخرى قبل الفراغ من الأولى ومنه الوقف على رءوس الآي، وإن لم يتم المعنى. قال أبو موسى المديني: وفيه خلاف بينهم لوقفه ﷺ في قراءة الفاتحة على كل آية، وإن لم يتم الكلام. قال أبو موسى: ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه، وقد يتعلق بعضها ببعض كما في سورة الفيل مع قريش.

وقال البيهقي رحمه الله: وقد ذكر حديث: «كان النبي ﷺ، يقطع قراءته آية آية»: [ق/ ٧٠] ومتابعة السنة أولى [مما]^(٢) ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد^(٣).

ومنها: أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه؛ إذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر عرض الدنيا أجمع في جنب ما خوله الله تعالى، ويجتهد في شكره ومنها: ترك المباهاة فلا يطلب به الدنيا بل ما عند الله، وألا يقرأ في المواضع القذرة، وأن يكون ذا سكينه ووقار، مجانبًا للذنب محاسبًا نفسه يُعرف القرآن في سمته وخلقه؛ لأنه صاحب كتاب الملك والمطلع على وعده ووعيده وليتجنب القراءة في الأسواق، قاله الحلبي: وألحق به الحمام. وقال النووي^(٤): لا بأس به في الطريق سرًا حيث لا لغو فيها.

مسألة [في ترك خلط سورة بسورة]

عد الحلبي من الآداب ترك خلط سورة بسورة، وذكر الحديث الآتي. قال البيهقي^(٥): وأحسن ما يحتج به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ وأخذه عن جبريل، فالأولى بالقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول المجتمع عليه. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم. ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٢٩٤) وفيه بنية.

(٢) في المطبوع: فيما. (٣) الشعب (٢/ ٥٢٠).

(٤) التبيان (ص/ ٣٧). (٥) الشعب (٢/ ٤٣١).

كل سورة . وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ مر بأبي بكر وهو يقرأ يخفض صوته وبعمر يجهر بصوته ، وذكر الحديث وفيه فقال : «وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة» ، فقال : كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض فقال : «كلكم قد أصاب»^(١) .

وفي رواية لأبي عبيد في (فضائل القرآن)^(٢) قال بلال : أخلط الطيب بالطيب؟ فقال : «اقرأ السورة على وجهها» أو قال : «على نحوها» وهذه زيادة مليحة ، وفي رواية [لأبي عبيد في فضائل القرآن] : «إذا قرأت السورة فأنفذها» ، وروى عن خالد بن الوليد أنه أم الناس فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف فقال : شغلني الجهاد عن تعلم القرآن^(٣) . وروى المنع عن ابن سيرين^(٤) ، ثم قال أبو عبيد : الأمر عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ولكراهة ابن سيرين له ، ثم قال : إن بعضهم روى حديث بلال وفيه فقال النبي ﷺ «كل ذلك حسن» وهو أثبت وأشبه [بفعل] العلماء . انتهى^(٥) .

ورواه الحكيم الترمذي في (نوادير الأصول)^(٦) وزاد : «مثل بلال كمثله نحلة غدت تأكل من الحلو والمر ، ثم [يصير] حلوا كله» .

قال : وإنما شبهه بالنحلة في ذلك ؛ لأنها تأكل من الثمرات : حلوها [ومرها]^(٧) ، وحامضها ورطبها ويابسها وحارها وباردها فتخرج هذا الشفاء ، وليست كغيرها من الطير تقتصر على الحلو فقط لحظ شهوته ، فلا جرم أعضاها الله الشفاء فيما تلقيه كقوله : «عليكم باللبان البقرة فإنها ترم من كل الشجر فتأكل»^(٨) فبلال رضي الله عنه كان يقصد آيات

(١) أخرجه أبو داود (١٣٣٠) ، والبيهقي في «الكبرى» (٤٤٧٨) ، وفي «الشعب» (٢٣٠٥) وهو صحيح .

(٢) (ص/٩٥) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) فضائل القرآن (ص/٩٥) .

(٥) فضائل القرآن (ص/٩٦) .

(٦) في المطبوع : بنقل ، والمثبت من فضائل القرآن .

(٧) فضائل القرآن (ص/٩٧) .

(٨) (٣٢٠-٣١٩/٢) .

(٩) في النوادر : يمس .

(١١) أخرجه أحمد (١٨٨٥) ، والنسائي في «الكبرى» (٦٨٦٣) ، وابن حبان (٦٠٧٥) ، والبخاري (١٤٥٠) ، والطبراني في «الكبير» (٩٧٨٨) ، وعبد بن حميد (٥٦٠) ، وابن الجعد في «مسنده» (٢٠٧٢) ، والطيالسي (٣٦٨) ، والحاكم (٧٤٢٥) ، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣٢٦/٤) ، وأبو نعيم في «مسند أبي حنيفة» (ص/٢١٢) ، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٣٥٥) ، وفي «الشعب» (٥٩٥٥) ، وهو حديث صحيح .

الرحمة، وصفات الجنة فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة، كما أنزل الله تعالى فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ولو شاء لصنفها أصنافاً، وكل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل. قال: ولقد أذهلني يوماً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالسَّمِّمِ وَزَيْلِ الْمَلِكِ كُتُوبًا تَنْزِيلًا﴾ [الملك: ٢٥-٢٦] فقلت: يا لطيف علمت أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتترأى لهم تلك الأحوال، لا تتمالك فلطفت بهم فنسبت ﴿الْمَلِكُ﴾ إلى أعم اسم في الرحمة، فقلت: ﴿الْمَلِكُ﴾ ليلاقي هذا الاسم تلك القلوب التي يحل بها الهول فيمازج تلك الأحوال، ولو كان بدله اسماً آخر من «عزيز وجبار» لتفطرت القلوب، فكان بلال يقصد لما تطيب به النفوس، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين، فهو أعلم بالشفاء.

مسألة [في استحباب استيفاء الحروف عند القراءة]

يستحب استيفاء كل حرف أثبتته قارئ. قال الحلبي: هذا ليكون القارئ قد أتى على جميع ما هو قرآن فتكون ختمة أصح من ختمة، إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بهما ألا ترى أن صلاة كل من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلاته أجمع من صلاة من ترخص فحذف منها ما لا يضر حذفه.

فصل [في ختم القرآن]

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع، قال النبي ﷺ «اقرأ القرآن في كل سبع ولا تزدد»^(١). رواه أبو داود وروى الطبراني بسند جيد، سئل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كان رسول الله ﷺ يجزئ القرآن؟ قال: كان يجزئه ثلاثاً وخمسة^(٢)، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث وحملوا عليه حديث «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٣) رواه الأربعة وصححه الترمذي. والمختار وعليه أكثر المحققين أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة؛ لأنه روى عن عثمان رضي الله عنه: كان يجتمه في ليلة واحدة. ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً [بلا عذر نص عليه أحمد؛ لأن عبد الله بن عمر سأل

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (١١٥٩)، وأبو داود (١٣٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٩٩)، وابن أبي شيبة (٢٤٢/٢) بسند ضعيف.

فيه عبد الله بن عبد الرحمن صدوق يخطئ ويهم، وعثمان بن عبد الله لم يوثقه سوى ابن حبان. (٣) أخرجه أبو داود (١٣٩٠)، والترمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (١٣٤٧)، وأحمد (٦٥١٠)، وابن حبان (٧٥٨)، والدارمي (١٤٩٣). قال الترمذي: حسن صحيح.

النبي ﷺ في كم نختم القرآن؟ قال: «في أربعين يوماً»^(١) رواه أبو داود.

وقال أبو الليث في كتاب (البستان): ينبغي [للقارئ]^(٢) أن يختم القرآن في السنة مرتين، إن لم يقدر على الزيادة. وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقه؛ لأن النبي ﷺ عرضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين. انتهى.

وقال أبو الوليد الباجي: أمر النبي ﷺ بن عمرو أن يختم في سبع أو ثلاث يحتمل أنه الأفضل في الجملة أو أنه الأفضل في حق عمرو، لما علم من ترتيله في قراءته وعلم من ضعفه عن استدامته أكثر مما حد له، وأما من استطاع أكثر من ذلك، فلا تمنع الزيادة عليه، وسئل مالك عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة، فقال: ما أحسن ذلك إن القرآن إمام كل خير. وقال بشر بن السري: إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتها استخرجت حلاوتها، فحدث به أبو سليمان فقال: صدق إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتداء السورة أراد آخرها.

مسألة [في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف]

يُسَنُّ ختمه في الشتاء أول الليل، وفي الصيف أول النهار، قال ذلك ابن المبارك، وذكره أبو داود لأحمد، فكانه أعجبه ويجمع أهله عند ختمه ويدعو.

وقال بعض السلف^(٣): إذا ختم أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإذا ختم في أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، رواه أبو داود^(٤).

مسألة [في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى]

يستحب التكبير من أول سورة الضحى إلى أن يختم، وهي قراءة أهل مكة، أخذها ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس، وابن عباس عن أبي، وأبي عن النبي ﷺ، رواه ابن خزيمة والبيهقي في شعب الإيمان، وقواه ورواه من طريق موقوفاً على أبي بسند معروف، وهو

(١) سقط من المطبوع.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي.

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦/٥). قال الدارمي: هذا حديث حسن. قلت: وكذا حسنه السيوطي في «آداب تلاوة القرآن». لكن قال أبو نعيم: غريب من حديث طلحة، وتفرد به هشام عن محمد.

قلت: هشام هو ابن عبد الله، قال ابن حبان: كثرت مخالفته للأثبات.

وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٥٩١)، وفي «ضعيف الجامع» (٥٥٦٩).

حديث غريب، وقد أنكره أبو حاتم الرازي على عادته في التشديد، واستأنس له الحلبي بأن القراءة تنقسم إلى أبعاض متفرقة؛ [فكانت] ^(١) كصيام الشهر؛ وقد أمر الناس أنه إذا أكملوا العدة أن يكبروا الله على ما هداهم، فالقياس أن يكبر القارئ إذا أكمل عدة السور.

وذكر غيره أن التكبير كان لاستشعار انقطاع الوحي. قال: وصفته في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة، ثم قال: الله أكبر ثم وقف وقفة، ثم ابتداء السورة التي تليها إلى آخر القرآن، ثم كبر كما كبر من قبل ثم أتبع التكبير الحمد، والتصديق [ق/ ٧١]، والصلاة على النبي ﷺ والدعاء.

وقال سليم الرازي في تفسيره: يكبر القارئ بقراءة ابن كثير، إذا بلغ «والضحى» بين كل سورتين تكبيرة إلى أن يختم القرآن، ولا يصل آخر السورة بالتكبير بل يفصل بينهما بسكتة. وكان المعنى في ذلك: ما روى أن الوحي كان تأخر عن رسول الله ﷺ أياماً فقال ناس: إن محمداً قد ودعه صاحبه وقلاه، فنزلت هذه السورة فقال: الله أكبر، قال: ولا يكبر في قراءة الباقي، ومن حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن، بأن زيد عليه فيتوهم أنه من القرآن فيثبتوه فيه.

مسألة [في تكرير الإخلاص]

مما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم، نص الإمام أحمد على المنع ولكن عمل الناس على خلافه، قال بعضهم: والحكمة في التكرير ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن فيحصل بذلك ختمة.

فإن قيل: فعلى هذا كان ينبغي أن يقرأ ثلاثاً بعد الواحدة التي تضمنتها الختمة فيحصل ختمتان.

قلنا: مقصود الناس ختمة واحدة فإن القارئ إذا قرأها ثم أعادها مرتين، كان على يقين من حصول ختمة إما التي قرأها من الفاتحة إلى آخر القرآن، وإما التي حصل ثوابها بقراءة سورة الإخلاص ثلاثاً، وليس المقصود ختمة أخرى.

مسألة [فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم وقرأ المعوذتين قرأ الفاتحة، وقرأ خمس آيات من البقرة، إلى قوله: ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن «آم» آية عند الكوفيين، وعند غيرهم بعض آية. وقد روى الترمذي: أي

(١) في المطبوع: فكانته.

العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل»^(١) قيل: المراد به الحث على تكرار الختم، وختمه بعد ختمه، وليس فيه ما يدل على أن الدعاء لا يتعقب الختم.

فائدة

روى البيهقي في دلائل النبوة وغيره أن النبي ﷺ كان يدعو عند ختم القرآن: «اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي أماناً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعملني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل، واجعله لي حجة يا رب العالمين» رواه في شعب الإيمان بأطول من ذلك فلينظر فيه.

مسألة [في آداب الاستماع]

استماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها، ويكره التحدث بحضور القراءة. قال الشيخ أبو محمد بن محمد عبد السلام: والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع، وهو يقتضى أنه لا بأس بالتحدث للمصلحة.

مسألة [في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن]

وأفتى الشيخ أيضاً بالمنع من أن يشرب شيئاً كتب من القرآن، لأنه تلاقيه النجاسة الباطنة، وفيما قاله نظر؛ لأنها في معدنها لا حكم لها.

وعن صرح بالجواز من أصحابنا العماد النهي تلميذ البغوي فيما رأته بخط ابن الصلاح. قال: لا يجوز ابتلاع رقعة فيها آية من القرآن، فلو غسلها وشرب ماءها جاز وجزم القاضي الحسين والرافعي بجواز أكل الأطعمة التي كتب عليها شيء من القرآن.

وقال البيهقي^(٢): أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى في ذكر منصور بن عمار أنه أوتى الحكمة وقيل: إن سبب ذلك أنه وجد رقعة في الطريق مكتوباً عليها بسم الله الرحمن الرحيم فأخذها فلم يجد لها موضعاً، فأكلها فأرى فيما يرى للنائم كأن قائلاً قد قال له: قد فتح الله عليك باحترامك لتلك الرقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، والحاكم (٢٠٨٨) و(٢٠٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٦٠) و(٦/١٧٤٠)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (٨٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٠١). قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي. قلت: ضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٨٣٤)، وفي «ضعيف الجامع» (١٦٣).

(٢) الشعب (٢٦٦٢).

مسألة [القيام للمصاحف بدعة]

وقال الشيخ أيضًا في (القواعد): القيام للمصاحف بدعة، لم تعهد في الصدر الأول والصواب ما قاله النووي في (التبيان) ^(١)؛ من استحباب ذلك، والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به. وسئل العماد بن يونس الموصلي عن ذلك هل يستحب للتعظيم أو يكره خوف الفتنة؟ فأجاب: لم يرد في ذلك نقل مسموع، والكل جائز، ولكل نيته وقصده.

مسألة [في حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه، فلا يجوز وضعه في شق أو غيره ليحفظ؛ لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم، وفي ذلك إضرار بالمكتوب. كذا قاله الحلبي، قال: وله غسلها بالماء وإن أحرقتها بالنار فلا بأس أحرق عثمان مصاحف فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه.

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل، لأن الغسالة قد تقع على الأرض وجزم القاضي الحسين في (تعليقه) بامتناع الإحراق، وأنه خلاف الاحترام، والنووي بالكراهة فحصل ثلاثة أوجه. وفي (الواقعات) من كتب الحنفية، أن المصحف إذا بلى لا يحرق بل [يحفر] ^(٢) له في الأرض ويدفن. ونقل عن الإمام أحمد أيضًا، وقد يتوقف فيه لتعرضه للوطء بالأقدام.

مسألة [في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله]

ويستحب تطيب المصحف، وجعله على كرسى ويجوز تحليته بالفضة إكرامًا له على الصحيح. روى البيهقي ^(٣) بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سألت مالكًا عن تفضيض المصاحف، فأخرج إلينا مصحفًا فقال: حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه. وأما بالذهب فالأصح يباح للمرأة دون الرجل. وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه، والأظهر التسوية. ويجرم توسد المصحف وغيره من كتب العلم؛ لأن فيه إذلالًا وامتهانًا، وكذلك مد الرجلين إلى شيء من القرآن أو كتب العلم.

ويستحب تقبيل المصحف؛ لأن عكرمة بن أبي جهل كان يقبله، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود؛ ولأنه هدية لعباده فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير.

(١) (ص/١١٠).

(٣) السنن الكبرى (٧٣٦٩).

(٢) في المنطوق: تحفر.

وعن أحمد ثلاث روايات: الجواز، والاستحباب، والتوقف. وإن كان فيه رفعة وإكرام، لأنه لا يدخله قياس؛ ولهذا قال عمر في الحجر: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. ويجرم السفر بالقرآن إلى أرض العدو، للحديث فيه: «خوف أن تناله أيديهم»، وقيل: إن كثر الغزاة وأمن استيلاؤهم عليه لم يمنع لقوله: «مخافة أن تناله أيديهم»^(١).

ويجزم كتابة القرآن بشيء نجس، وكذلك ذكر الله تعالى، وتكره كتابته في القطع الصغير رواه البيهقي، عن علي^(٢) وغيره^(٣) وعنه تنوق رجل في ﴿يَسْمُ اللَّهُ الْكَذِبَ الرَّجْسَ﴾ فغفر له.

وقال الضحاك بن مزاحم^(٤): ليتنى قد رأيت الأيدي تقطع فيمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم يعني لا يجعل له سنات، قال: وكان ابن سيرين يكره ذلك كراهة شديدة.

ويستحب تجريد المصحف عما سواه، وكرهوا الأعشار والأحاس معه، وأسماء السور وعدد الآيات، وكانوا يقولون: جردوا المصحف. وقال الحلبي: يجوز؛ لأن النقط ليس له قرار فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً، وإنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها.

وروى ابن أبي شيبه في مصنفه^(٥) في الصلاة وفي فضائل القرآن، حدثنا وكيع عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم، قال عبد الله بن مسعود: «جردوا القرآن» وفي رواية: «لا تلحقوا به ما ليس منه» ورواه عبد الرزاق في مصنفه في أواخر الصوم، ومن طريقه رواه الطبراني في معجمه، ومن طريق ابن أبي شيبه، رواه إبراهيم الحربي في كتابه (غريب الحديث) وقال: قوله «جردوا» يحتمل فيه أمران: أحدهما أي: جردوه في التلاوة ولا تخلطوا به غيره، والثاني: أي جردوه في الخط من النقط والتعشير.

قلت: الثاني أولى؛ لأن الطبراني^(٦) أخرج في معجمه عن مسروق عن ابن مسعود أنه

(١) أخرجه مسلم (١٨٦٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٧٩٤٥)، وسعيد بن منصور (٨٠)، وابن أبي شيبه (٤٩٨/٢)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٦٤) بسند فيه انقطاع.

(٣) مثل إبراهيم النخعي.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٦٦٨).

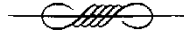
(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٠٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٦٤)، وعبد الرزاق (٧٩٤٤)، وابن أبي شيبه (٢٣٩/٢)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٧١) من طرق عن ابن مسعود، وهو صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٧٩٤٢)، وابن أبي شيبه (٢٣٨/٢)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٢٩)، وأبو عبيد في «الفضائل» (ص/٢٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٧٢).

كان يكره التعشير في المصحف، وأخرجه البيهقي في كتاب (المدخل) [ق/٧٢]، وقال: قال أبو عبيد: كان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف، ويروى عن عبد الله أنه كره التعشير في المصحف. قال البيهقي^(١): وفيه وجه آخر أبين منه، وهو أنه أراد لا تخلطوا به غيره من الكتب، لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى، إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمؤمنين عليها. وقوى هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي عن قرظة بن كعب، قال: لما خرجنا إلى العراق خرج معنا عمر بن الخطاب يشيعنا، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل، فلا تشغلوهم بالأحاديث فتصدوهم جردوا القرآن^(٢). قال: فهذا معناه أي لا تخلطوا معه غيره.

خاتمة

روى البخاري في تاريخه الكبير بسند صالح حديث «من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لمن بكل حرف عشر لعنات».



(١) وكلام البيهقي هنا أيده الحافظ في «الدراية» (٢/٢٣٧).
 (٢) أخرجه الحاكم (٣٤٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٨٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٦)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص/٨٨).

النوع (التلاوة)

في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير وحركة إعراب

جوز ذلك بعضهم للمتمكن من العربية، وسئل الشيخ عز الدين فقال: ورد عنه عليه السلام «وجهت وجهي» والتلاوة ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

وما روى البخاري ^(١) في كتاب إلى هرقل «سلام على من اتبع الهدى» ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَّابُ تَعَالَوْا إِلَيَّ كَلِمَةً سَوًّا﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة» ^(٢).

وفي حديث آخر لابن عمر: «قد كان لكم في رسول الله عليه السلام أسوة حسنة» ^(٣).

وقال عليه السلام: «اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكتا والشمس والقمر حسابا أقض عني الدين وأغنني من الفقر» ^(٤).

وفي سياق كلام لأبي بكر: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فقصد الكلام ولم يقصد التلاوة.

وقول علي رضي الله عنه: إني مبايع صاحبكم ﴿يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقول الخطيب ابن نباتة: هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب، ويجمع من له الثواب، وحق عليه العذاب فضرب بينهم بسور له باب. وقال النووي ^(٥) رحمه الله إذا قال: ﴿خُذِ الْكِتَابَ يَقُورُ﴾ [مريم: ١٢]، وهو جنب، وقصد غير القرآن جاز له، وله أن يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٠)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٧)، ومسلم (١٢٣٤).

(٤) أخرجه مالك (٤٩٣) بلاغا، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٦)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٤٤٢)، وأبو عمر الدوري في جزء فيه قراءات النبي عليه السلام (٤٣) مرسلًا.

(٥) التبيان (ص/٣٧).

قال إمام الحرمين: إذا قصد القرآن بهذه الآيات عصى، وإن قصد الذكر ولم يقصد شيئاً لم يعص.
وللطرطوشي:

رحل الظاعنون عنك وأبقوا في حواشى الأحشاء وجداً مقيماً
قد وجدنا السلام برداً سلاماً إذ وجدنا النوى عذاباً أليماً
وثبت عن الشافعي:

أنلنى بالذى استقرضت خطأ وأشهد معشراً قد شاهده
فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبتة الوجوه
يقول «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»

ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني، أن تضمين القرآن في الشعر مكروه^(١) وأئمة البيان
جوزوه، وجعلوه من أنواع البديع، وسماء القدماء تضميناً والمتأخرون اقتباساً، وسموا ما
كان من شعر تضميناً.

مسألة [يكره ضرب الأمثال بالقرآن]

يكره ضرب الأمثال بالقرآن، نص عليه من أصحابنا العماد النهي صاحب البغوي كما
وجدته في رحلة ابن الصلاح بخطه.

وفي كتاب (فضائل القرآن)^(٢) لأبي عبيد عن النخعي قال: كانوا يكرهون أن يتلو الآية
عند شيء يعرض من أمور الدنيا.

قال أبو عبيد: [وكذلك الرجل]^(٣) يريد لقاء صاحبه، أو يهيم بحاجته فيأتيه من غير
طلب فيقول كالمأزح: ﴿جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمْوُنِي﴾ [طه: ٤٠] فهذا من الاستخفاف بالقرآن. ومنه
قول ابن شهاب: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ، قال أبو عبيد: يقول^(٤): لا
تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل.

تنبيه [لا يجوز تعدى أمثلة القرآن]

لا يجوز تعدى أمثلة القرآن؛ ولذلك أنكر على الحريري قوله في مقامته الخامسة عشرة:
«فأدخلني بيتاً أخرج من الثابوت، وأوهى من بيت العنكبوت»^(٥)، فأى معنى أبلغ من معنى

(٢) فضائل القرآن (ص/٥٨).

(٤) فضائل القرآن (ص/٥٩).

(١) إعجاز القرآن (ص/١٤٩).

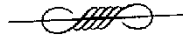
(٣) في الفضائل: وهذا كالرجل.

(٥) شرح المقامات (١/٢٣٠).

أكده الله من ستة أوجه، حيث قال: ﴿وَلِإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] فأدخل إن وبنى أفعل التفضيل، وبناء من الوهن وأضافه إلى الجمع، وعرف الجمع باللام، وأتى في خبر إن باللام وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وكان اللاتق بالحريرى ألا يتجاوز هذه المبالغة وما بعد تمثيل الله تمثيل، وقول الله أقوم، قيل: وأوضح سبيل ولكن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦]، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لما دون ذلك، فقال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة...»^(١) وكذلك قول بعضهم:

ولو أن ما بى من جوى وصبابة على جمل لم يبق في النار [خالد]^(٢)
غفر الله له، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْغِيَاظِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فقد جعل ولوج الجمل في السم غاية لنفى دخولهم الجنة، وتلك غاية لا توجد فلا يزال دخولهم الجنة منقياً، وهذا الشاعر وصف جسمه بالنحول بما يناقض الآية. ومن هذا جرت مناظرة بين أبى العباس أحمد بن سريج، ومحمد بن داود الظاهري، قال أبو العباس له: أنت تقول بالظاهر وتنكر القياس، فما تقول في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧-٨] ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فمن يعمل مثقال نصف ذرة ما حكمه؟ فسكت محمد طويلاً وقال: أبلعنى ريقى قال له أبو العباس: قد أبلعتك دجلة قال: أنظرنى ساعة، قال: أنظرتك إلى قيام الساعة، واقتربا ولم يكن بينهما غير ذلك^(٣).

وقال بعضهم: وهذا من مغالطات ابن سريج وعدم تصور ابن داود، لأن الذرة ليس لها أبعاد فتمثل بالنصف والربع، وغير ذلك من الأجزاء؛ ولهذا قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] فذكر سبحانه ما لا يتخيل في الوهم أجزاءه ولا يدرك تفرقه.



(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠)، والحاكم (٤٨٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤٦٥) و(١٠٤٦٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١)، والرويانى (١٠٥٩)، والطبرانى في «الكبير» (٥٨٤٠) و(٥٩٢١)، وأحمد في «الزهد» (١٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٣/٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٢٨)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٦٣/١٩) كلهم من حديث سهل بن سعد. قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

وأخرجه القضاعى (١٤٣٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩٢/٤) من حديث ابن عمر. قال الخطيب: هذا غريب جداً.

(٢) في «خزانة الأدب»: كافر. (١٤/٢).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨٧/٢).

النوع الحوى والاشارة

معرفة الأمثال الكائنة فيه

وقد روى البيهقي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال»^(١).

وقد عدّه الشافعي، مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المثبتة [لاجتناب]^(٢) معصيته وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل^(٣). انتهى.

وقد صنف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره، وحقيقته إخراج الأغمض إلى الأظهر، وهو قسمان: ظاهر وهو المصرح به، وكامن: وهو الذي لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال.

وقسمه أبو عبد الله البكر أباذي إلى أربعة أوجه:

أحدها: إخراج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه.

وثانيها: إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة. وثالثها: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة. ورابعها: إخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة.

وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبه للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال

أمر قال تعالى: ﴿وَصَرَيْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فامتد علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَيْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [المنكوت: ٤٣].

(٢) في المطبوع: لا جتناب.

(١) تقدم.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» (ص/٢٢)، و«الرسالة» (ص/٤١).

والأمثال مقادير الأفعال، والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته كالحياط يقدر الثوب على قامة المخيط، ثم يفريه ثم يقطع، وكل شيء به قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال.

وقال الخفاجي: سمي مثلاً لأنه مائل بخاطر الإنسان أبداً [ق/ ٧٣]، أي شاخص فيتأسى به ويتعظ، ويخشى ويرجو والشاخص: المنتصب، وقد جاء بمعنى الصفة كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي الصفة العليا وهو قول: لا إله إلا الله: وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٥] أي صفتها.

ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان.

فإن قلت: لماذا كان المثل عوناً على البيان؟ وحاصله: قياس معنى بشيء من عرف ذلك المقيس فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة؟! والجواب:

أن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة فإنها مجردة عن الحس؛ ولذلك دقت، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجرباً مسلماً عند السامع.

وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلي والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلاً إذا مثل له بالنور تأكيد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكيد قبحه في نفسه.

وفيه أيضاً تبيكيت الخصم، وقد أكثر تعالى في القرآن، وفي سائر كتبه من الأمثال وفي سور الإنجيل سورة الأمثال.

قال الزمخشري^(١): التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء التوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال المتمثل له ألا ترى أن الحق لما كان واضحاً جلياً تمثل له بالضيء والنور وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة وكذلك جعل بيت لعنكوت مثلاً في الوهن والضعف.

والمثل هو المستغرب قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ

(١) الكشاف (١١١/١) بمعناه.

أَلَجَنَّةُ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴿الرعد: ٣٥﴾ ، ولما كان المثل السائر فيه غرابية ، استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابية .

أما استعارته للحال فكقوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] أي : حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي الوصف الذي له شأن وكقوله : ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وكقوله : ﴿كَمَثَلِ صَقْوَانٍ عَلَيْهِ رَبَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ، وقوله : ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] ، وقوله سبحانه : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] .

وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها .

لا يقال : إن في هذه الأقسام الثلاثة تداخلاً ، فإن حال الشيء : هي وصفه ، ووضعها هو حاله ؛ لأننا نقول : الوصف يشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية ، أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه ، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ، ولا لازم فتغايرا ، وإن اطلق أحدهما على الآخر ، فليس ذلك إطلاقاً حقيقياً وقد يكون الشيء مثلاً له في الجرم وقد يكون ما تعلقه النفس ويتوهم من الشيء مثلاً كقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] معناه أن الذي يتحصل في النفس الناظر في أمرهم ، كالذي يتحصل في نفس الناظر من أمر المستوقد ، قاله ابن عطية^(١) ؛ وبهذا يزول الإشكال الذي في تفسير قوله : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ، وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لأن ما يحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ، ونفى ما لا يجوز عليه ليس يماثله فيه شيء ، وذلك المتحصل هو المثل الأعلى في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] ، وقد جاء : ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ففسر بجهة الوحدانية .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ السَّنَنُ﴾ [الرعد: ٦] : هي الأمثال . وقيل : العقوبات .

وقال الزمخشري^(٢) : المثل في الأصل بمعنى المثل أي النظير ، يقال : مثل ، ومثل ومثيل كشبهه ، وشبه وشبيهه ، ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابية . انتهى .

(٢) الكشاف (١/٣٤) .

(١) المحرر الوجيز (١/٩٩) .

وظاهر كلام أهل اللغة، أن «المثل» بفتحين الصفة كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، وكذا ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾، وما اقتضاه كلامه من اشتراط الغرابة، مخالف أيضًا لكلام اللغويين وما قاله من أن المثل والمثل بمعنى ينبغي أن يكون مراده باعتبار الأصل، وهو الشبه، وإلا فالمحققون كما قاله ابن العربي على أن المثل (بالكسر) عبارة عن شبه المحسوس، وبفتحةا عبارة عن شبه المعاني المعقولة، فالإنسان مخالف للأسد في صورته، مشبه له في جرائته وحدته، فيقال: للشجاع أسد، أي يشبه الأسد في الجرأة، ولذلك يخالف الإنسان الغيث في صورته، والكريم من الإنسان يشابهه في عموم منفعته.

وقال غيره: لو كان المثل والمثل ميان، للزم التنافي بين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [النورى: ١١]، وبين قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] فإن الأولى نافية له، والثانية مثبتة له. وفرق الإمام فخر الدين بينهما بأن المثل هو الذي يكون مساويًا للشيء في تمام الماهية، والمثل هو الذي يكون مساويًا له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية.

وقال حازم في كتاب (منهاج البلغاء)^(١): وأما الحكم والأمثال، فإما أن يكون الاختيار فيها بجرى الأمور على المعتاد فيها، وإما بزوالها في وقت عن المعتاد، عن جهة الغرابة أو الندور فقط لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه، إذ لا يحسن منها التحرز من ذلك ولتحدّر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه، وترهب فيما يجب أن ترهبه، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد لديها ما تستقر به وليبين لها أسباب الأمور وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها، فهذه قوانين الأحكام، والأمثال قلما يشذ عنها من جزئياتها شيء.

فمنه قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ﴾ [البقرة: ١٩]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَّا قَوْهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُنُوبِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]. وقوله: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَتَحِيلُ سَفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحریم: ١٠] إلى قوله: ﴿وَمَرْمٍ أَنْتَ عِمْرَنَ﴾ [التحریم: ١٢] الآيات. وقوله: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤] الآية. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْلَاهُمْ كَرَابٍ يَفِيعُهُ بِحَسْبِهِ الظَّمْثَانُ مَاءٌ حَوْثٌ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، ثم قال: ﴿أَوْ كَطُلُمُنَاتٍ فِي بَحْرِ بَيْحٍ﴾ [النور: ٤٠] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَضَّتْ عَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتَا﴾ [النحل: ٩٢].

(١) ضمن الجزء المفقود.

فهذه أمثال قصار وطوال مقتضبة من كلام الكشاف .

فإن قلت : في بعض هذه الأمثلة تشبيه أشياء بأشياء ، لم يذكر فيها المشبهات ، وهلا صرح بها كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غانر: ٥٨] ؟ .

قلت : كما جاء ذلك تصريحاً فقد جاء مطويًا ، ذكره على طريق الاستعارة كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٢] ، وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

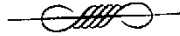
والصحيح الذي عليه علماء البيان ، أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة المقربة لا يتكلف لكل واحد شيء بقدر شبهه به ، بناء على أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض تشبهها بنظائرها ، كما جاء في بعض الآيات من القرآن ، وقد تشبه أشياء قد تضامت وتلاحقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] فإن الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذي يحمل أسفار الحكمة وليس له من حلها إلا الثقل والتعب من غير فائدة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الكهف: ٤٥] المراد قلة ثبات زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضره .

وقد ضرب الله تعالى لما أنزله من الإيمان والقرآن مثلين ، مثله بالماء ومثله بالنار ، فمثله بالماء لما فيه من الحياة ، وبالنار لما فيه من النو والبيان ، ولهذا سماه الله روحاً لما فيه من الحياة وسماه نوراً لما فيه من الإنارة ، ففي سورة الرعد قد [ق/ ٧٤] مثله بالماء فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . ﴾ [الرعد: ١٧] الآية فضرب الله الماء الذي نزل من السماء فتسيل الأودية بقدرها كذلك ما ينزله من العلم والإيمان ، فتأخذها القلوب كل قلب بقدره ، والسييل يحتمل زبداً رابياً ، كذلك ما في القلوب يحتمل شبهات وشهوات ، ثم قال : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ النُّعْلِ ﴾ [الرعد: ١٧] ، وهذا المثل بالنار التي توقد على الذهب ، والفضة ، والرصاص والنحاس فيختلط بذلك زيد أيضاً كالزبد الذي يعلو السيل قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧] كذلك العلم النافع يملك في القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ، يقول : كما اضمحل هذا الزبد ، فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته وكذلك يضمحل الباطل عن أهله .

وفي الحديث الصحيح: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء، فأنتبت الكلاً والعشب الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً وذلك مثل من فقه في دين الله فنعاه [فمثل]»^(١) ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(٢).

وقد ضرب الله للمنافقين مثلين مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] الآية، يقال أضاء الشيء وأضأه غيره، فيستعمل لازماً متعدياً فقوله ﴿أضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ [البقرة: ١٧] هو متعد؛ لأن المقصود أن تضيء النار ما حول من يريد لها حتى يراها وفي قوله في البرق: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] ذكر اللازم لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان، فإذا أضاء البرق سار وقد لا يضيء ما حول الإنسان إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان، فجعل سبحانه المنافقين كالذي أوقد ناراً فأضأته، ثم ذهب ضوءها ولم يقل «انطفأت»، بل قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها، فتضر وهذا المثل يقتضى أن المنافق حصل له نور، ثم ذهب كما قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَمَهَرٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].



(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

النوع الثاني والستون

معرفة أحكامه

وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه، وأولهم الشافعي ثم تلاه من أصحابنا إلكيا الهزاسي، ومن الحنفية أبو بكر الرازي، ومن المالكية القاضي إسماعيل، وبكر بن العلاء القشيري، وابن بكير ومكي، وابن العربي، وابن الفرس ومن الحنابلة القاضي أبو يعلى الكبير.

ثم قيل: إن آيات الأحكام [خمسائة آية وهذا ذكره الغزالي وغيره، وتبعهم الرازي، ولعل مرادهم المصريح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام] (١)، ومن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتاب الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

ثم هو قسمان: أحدهما: ما صُرح به في الأحكام وهو كثير، وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك، والثاني: ما يُؤخذ بطريق الاستنباط ثم هو على [نوعين] (٢):

أحدهما: ما يستنبط من غير ضمنية إلى آية أخرى، كاستنباط الشافعي تحريم الاستمناء باليد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦٠] إلى قوله: ﴿فَمَنْ أَبْتَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] واستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى: ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَأَمْرَأَتُ حَقْلَةَ الْحَطَبِ﴾ [المد: ٤] ونحوه واستنباطه عتق الأصل والفرع بمجرد الملك من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبْغِي الرَّحْمَنُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٢-٩٣] فجعل العبودية منافية للولادة حيث ذكرت في مقابلتها، فدل على أنهما لا يجتمعان واستنباطه حججة الإجماع من قوله: ﴿وَيَبْتَغِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. واستنباطه صحة صوم الجنب من قوله تعالى: ﴿فَأَلْفَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَنْ لَنَا يَوْمَئِذٍ آلَئِنَّآ لَكُلِّ قَوْمٍ لِدِينِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّا كَفَرْنَا بِهِمْ وَلَقَدْ تَمَرَّدُوا﴾ [البقرة: ١٨٧] فدل على جواز الوقوع في جميع الليل، ويلزم منه تأخير الغسل إلى النهار، وإلا لوجب أن يحرم الوطء [في] (٣) آخر جزء من الليل بمقدار ما يقع الغسل فيه.

والثاني: ما يُستنبط مع ضمنية آية أخرى، كاستنباط عليّ وابن عباس رضي الله عنهما أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُمْ وَفَصْلَتُهُمْ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: ١٥] مع قوله: ﴿وَفَصْلَتُهُمْ فِي عَمَامِينَ﴾ [لقمان: ١٤] وعليه جرى الشافعي، واحتج بها أبو حنيفة على أن أكثر الرضاع ستان ونصف ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ووجهه أن الله تعالى قدر لشيئين مدة واحدة فانصرفت المدة بكاملها إلى كل واحد

(٢) في المطبوع: قسمين.

(١) سقط من م.

(٣) في المطبوع: إلى.

منهما، فلما قام النص في أحدهما بقي الثاني على أصله ومثل ذلك [الأجل] ^(١) الواحد للديتين، فإنه مضروب بكماله لكل واحد منهما، وأيضا فإنه لا بد من اعتبار مدة يبقى فيها الإنسان بحيث يتغير الغذاء، فاعتبرت مدة يعتاد الصبي فيها غذاء طبيعياً غير اللبن ومدة الحمل قصيرة فقدمت الزيادة على الحولين.

فإن قيل: العادة الغالبة في مدة الحمل تسعة أشهر، وكان المناسب في مقام الامتنان ذكر الأكثر المعتاد لا الأقل النادر كما في جانب الفصال!.

قلنا: لأن هذه المدة أقل مدة الحمل ولما كان الولد لا يعيش غالباً إذا وضع حق لسته أشهر، كانت مشقة الحمل في هذه المدة موجودة لا محالة في كل مخاطب، [وكان] ^(٢) ذكره أدخل في باب المناسبة، بخلاف الفصال لأنه لا حد لجانب القلة فيه، بل يجوز أن يعيش الولد بدون ارتضاع من الأم، ولهذا اعتبر فيه الأكثر لأنه الغالب، ولأنه اختياري كأنه قيل: حملته ستة أشهر لا محالة إن لم تحمله أكثر. ومثله استنباط الأصوليين أن تارك الأمر يستحق العقاب من قوله تعالى: ﴿أَفَصَبَّيْتِ أَمْرِي﴾ مع قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣]. وكذلك استنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لأفعال العباد، من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] مع قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] فإذا ثبت أنه يخلق ما يشاء، وأن مشيئة العبد لا تحصل إلا إذا شاء الله، أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد.

فائدة في ضرورة معرفة المفسر قواعد أصول الفقه

ولا بد من معرفة قواعد أصول الفقه، فإنه من أعظم الطرق في [استنباط] ^(٣) الأحكام من الآيات. فيستفاد عموم [النكرة] ^(٤) في سياق النفي، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي الاستفهام من قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيْنَا﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الشرط من قوله: ﴿فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦].

وفي النهي من قوله: ﴿وَلَا يَلْفَيْتَ مِنْكُمْ أَحَدًا﴾ [هود: ٨١].

وفي سياق الإثبات بعموم القلة المقتضى من قوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾ [التكوير: ١٤]، وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]، وإذا أضيف إليها «كل» نحو: ﴿وَحَدَّاتٍ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [ق: ٢١]. ويستفاد

(٢) في المطبوع: فكان.

(٤) في المطبوع: الفكرة.

(١) في المطبوع: بالأجل.

(٣) في المطبوع: استشار.

عموم المفرد المحلى باللام من قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [المصر: ٢] ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ ، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ .

وعموم المفرد المضاف من قوله: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم: ١٢] ، وقوله: ﴿هَذَا كِتَابًا يُطَاقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الباقية: ٢٩] والمراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم .

وعموم الجمع المحلى باللام في قوله: ﴿وَإِذَا أُرْسِلُ أُنْتِ﴾ [المرسلات: ١١] ، وقوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] ، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخرها .

والشرط من قوله: ﴿وَمَنْ يَمَلْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ، وقوله: ﴿فَمَنْ يَمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] ، وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ،

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] ، وقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُجُوهَكُمْ سَتَّرْنَاهُ﴾ [البقرة: ١٥٠] ، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] ، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] .

هذا إذا كان الجواب طلبًا ، مثل هاتين الآيتين فإن كان ماضيًا لم يلزم العموم .

وكقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] ، و﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ، وإن كان مستقبلًا فأكثر موارد للعموم كقوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْفِرُوا مِنْهُمْ لِيَلْبَسُوا خُزُنًا﴾ [المطففين: ٣] ، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَغْفِرُونَ﴾ [المطففين: ٣٠] ، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] .

وقد لا يعم كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] .

ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب ^(١) من ذمه لمن خالفه وتسميته [ق/ ٧٥] إياه ، عاصيًا وترتيبه العقاب العاجل أو الآجل على فعله .

[ويستفاد كون النهي المطلق للتحريم] ^(٢) من ذمه لمن ارتكبه وتسميته عاصيًا ، وترتيبه العقاب على فعله] ^(٣) .

ويستفاد الوجوب بالأمر ، بالتصريح بالإيجاب ، والفرض ، والكتب ، ولفظة «على» ولفظة «حق على العباد» و«على المؤمنين» ، وترتيب الذم والعقاب على الترك ، وإحباط العمل بالترك ، وغير ذلك . ويستفاد التحريم من النهي ، والتصريح بالتحريم ، والحظر ، والوعيد على الفعل ، وذم الفاعل وإيجاب الكفارة ، وقوله «لا ينبغي» فإنها في لغة القرآن والرسول للمنع شرعًا أو عقلاً ، ولفظة «ما كان

(٢) سقط من المطبوع .

(١) انظر: «التبصرة» (ص/ ٢٦-٢٧) .

(٣) سقط من م .

لهم كذا وكذا»، «ولم يكن لهم» وترتيب الحد على الفعل، ولفظة «لا يحل» «ولا يصلح» ووصف الفعل بأنه فساد، أو من تزين الشيطان وعمله، وأن الله لا يحب، وأنه لا يرضاه لعباده، ولا يزيكي فاعله، ولا يكلمه، ولا ينظر إليه، ونحو ذلك.

ويستفاد الإباحة من الإذن، والتخيير، والأمر بعد الحظر^(١)، ونفي الجناح، والخرج، والإثم والمؤاخذة، والإخبار بأنه يعفو عنه وبالإقرار على فعله في زمن الوحي، وبالإنتكار على من حرم الشيء، والإخبار بأنه خلقه لنا، وجعله لنا، وامتنانه علينا به، وإخباره عن فعل من قبلنا له، غير ذام لهم عليه، فإن اقترن بإخباره مدح دل على رجحانه استحباباً أو وجوباً.

فصل

ويستفاد التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢٠] فكما يفهم منه وجوب الجلد والقطع، يفهم منه كون السرقة والزنا علة، وأن الوجوب كان لأجلهما، مع أن اللفظ من حيث النطق لم يتعرض لذلك بل يتبادر إلى الفهم من فحوى الكلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَثْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣] أي لبرهم، ﴿وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي بَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] أي لفجورهم.

وكذا كل كلام خرج مخرج الذم والمدح في حق العاصي والمطيع، وقد يسمى هذا في علم الأصول لحن الخطاب^(٢).

فصل

وكل فعل عظمه الله ورسوله، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو أحبه، أو أحب فاعله، أو رضى به، أو رضى عن فاعله، أو وصفه بالطيب، أو البركة، أو الحسن، أو نصبه سبباً لمحبه، أو لثواب عاجل، أو أجل، أو نصبه سبباً لذكره لعبده، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته، أو لقبوله، أو لنصرة فاعله، أو بشارته فاعله أو وصف فاعله بالطيب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفي الحزن، والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سبباً لولايته، أو أخير عن دعاء الرسول بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو أقسم به وبفاعله، كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتهما، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

(١) انظر «التبصرة للشيرازي» (ص/ ٣٨-٣٩).

(٢) المفهوم ينقسم إلى: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، ومفهوم الموافقة حيث يكون المسكوت عنه موافقاً للملفوظ به، فإن كان أولى من الحكم بالمنطوق به فيسمى فحوى الخطاب، وإن كان مساوياً فيسمى لحن الخطاب. «إرضاء الفحول» (١/ ٣٠٢).

فصل

وكل فعل طلب الشرع تركه، أو ذم فاعله أو عتب عليه أو لعنه، أو مقت فاعله، أو نفى محبته إياه، أو محبة فاعله، أو نفى الرضا به، أو الرضا عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهائم، أو بالشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى، أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه، أو أبغضوه، أو جعل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم أو ضلالة أو معصية، أو وصف بـ **بُخْبِثَ** أو **رَجِسَ**، أو **نَجَسَ**، أو بكونه فسقاً، أو إثمًا، أو سبباً لإثم أو رجس أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود أو قسوة أو خزي أو امتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربتة والاستهزاء به، أو سخريته. أو جعله الرب سبباً لنسيانه لفاعله، أو وصف نفسه بالصبر عليه، أو بالحلم أو بالصفح عنه، أو دَعَا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى عمل الشيطان وتزيينه، أو تولى الشيطان لفاعله. أو وصف بصفة ذم، مثل كونه ظلمًا أو بغيًا أو عدوانًا أو إثمًا أو تبرأ الأنبياء منه، أو من فاعله، أو **شَكَرُوا** إلى الله من فاعله، أو جاوهروا فاعله بالعداوة، أو نصب سبباً لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو ترتب عليه حرمان من الجنة، أو وصف فاعله بأنه عدو لله، أو أعلم فاعله بحرب [من] الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه، «لا ينبغي هذا»، و«لا يصلح» أو **أَمَرَ** بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل يضاده، أو هجر فاعله، أو **يُلَاعَنُ** في الآخرة، أو يتبرأ بعضهم من بعض، أو وصف صاحبه بالضلالة، أو أنه ليس من الله في شيء، أو أنه ليس من الرسول وأصحابه، أو **قُرِنَ** بمحرّم ظاهر التحريم في الحكم، أو أخبر عنهما بنخب واحد، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعله سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله: «هل أنت منته»، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إبعاداً وطرداً أو لفظة «**قُتِلَ مَنْ فَعَلَهُ**» أو «**قاتل الله من فعله**» أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزيكه، أو أن الله لا يصلح عمله، أو لا يهدي كيده، أو أن فاعله لا يفصح، أو لا يكون في القيامة من الشهداء، ولا من الشفعاء، أو أن الله تعالى يغار من فعله، أو **نَبَّهَ** على وجود المفسدة فيه، أو أخبر أنه لا يقبل من فاعله صرفاً ولا عدلاً، أو أخبر أن من فعله قَبِضَ له الشيطان فهو له قرين، أو جعل الفعل سبباً لإزاعة الله قلب فاعله، أو **صَرَفَهُ** عن آيات الله، وقَهَمَ الآية، وسؤاله سبحانه عن علة الفعل نحو: «**لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ**» [ال عمران: ٩٩]، «**لِمَ تَلْسُتُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**» [ال عمران: ٧١]، «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ**» [ص: ٧٥]، «**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**» [الصف: ٢]، ما لم يقترن به جواب عن السؤال، فإذا **قُرِنَ** به جواب كان بحسب جوابه.

فهذا ونحوه يدل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أطرّد من دلالته على مجرد الكرهة. أما لفظ يكرهه الله ورسوله وقوله «**عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**» [الإسراء: ٣٨] فأكثر ما يُستعمل في المحرم،

وقد يستعمل في كراهة التنزيه وأما لفظ (أما أنا فلا أفعل) فالمحقق فيه الكراهة، كقوله: (أما أنا فلا آكل متكثراً) وأما لفظ (ما يكون لك) و(ما يكون لنا) فاطرد استعمالها في المحرم، نحو ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] ، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: ١١٦] .

فصل

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ورفع الجناح، والإذن، والعفو، و«إن شئت فافعل»، و«إن شئت فلا تفعل»، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها من الأفعال، نحو ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا﴾ [النحل: ٨٠] ، ﴿وَبِالْتَّجَمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] ، ومن السكوت عن التحريم، ومن الإقرار على الفعل في زمن الوحي، وهو نوعان:

إقرار الرب تعالى، وإقرار رسوله، إذا علم الفعل فمن إقرار الرب قول جابر: «كنا نعزل والقرآن ينزل»^(١) ، ومن إقرار رسوله قول حسان: كنت أنشد^(٢) وفيه من هو خير منك^(٣) .

فائدة

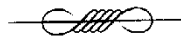
قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ عَادَمَ حُدُوءَ زَيْتَكُمُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] جمعت أصول أحكام الشريعة كلها، فجمعت الأمر والنهي والإباحة والتخيير.

فائدة

تقديم العتاب على الفعل من الله تعالى يدل على تحريمه، فقد عاتب الله سبحانه^(٤) في خمسة مواضع من كتابه في الأنفال، وبراءة، والأحزاب، والتحريم، وعبس، خلافاً [للشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث جعل العتاب من أدلة النهي^(٥) .

فائدة

لا يصح الامتنان بممنوع عنه^(٦) ، خلافاً لمن زعم أنه يصح، ويصرف الامتنان إلى خلقه للصبر عليهم .



(١) أخرجه البخاري (٤٩١١) ومسلم (١٤٤٠) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٠) ومسلم (٢٤٨٥) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) سقط من م .

(٦) الإشارة (ص/ ٢٠٨) .

فائدة

التعجب كما يدل على محبة الله للفعل نحو عجب ربك من شاب ليست له صبوة^(١) و«تعجب ربك من رجل ثار من فراشه ووطنه إلى الصلاة»^(٢) ونحو ذلك فقد يدل على بغض الفعل كقوله: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] ، وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢] ، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨] ، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١] . وقد يدل على امتناع الحكم وعدم حسنه، كقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٧] . ويدل على حسن المنع منه وأنه لا يليق به فعله كقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] .

قاعدة في الإطلاق والتقييد^(٣)

إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، والأفلا، والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب، والضابط: أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظِرَ، فإن لم يكن له أصل يُرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر.

فالأول: مثل اشتراط الله العدالة في الشهود على الرجعة، والفراق، والوصية وإطلاقه الشهادة في البيوع وغيرها، والعدالة شرط في الجميع.

ومنه: تقييد ميراث الزوجين بقوله: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِيٰ بِهَا أَوْ دَيْنًا﴾ [النساء: ١٢] ، وإطلاقه الميراث فيما أطلق فيه، وكان ما أطلق من الموارث كلها بعد الوصية والدَّيْنِ.

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة [ق/٧٦]، [وأطلقها في كفارة الظَّهَارِ واليمين، والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة .

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٢٠) وأبو يعلى (١٧٤٩) والطبراني (٣٠٩/١٧) حديث (٨٥٣) وابن المبارك في «الزهد» (٣٤٩) وتام في «الفوائد» (١٣٠٠) والقضاعي (٥٧٦) وابن أبي حاتم في «العلل» (١٨٤٣) والحارث في «مسنده» (١٠٩٩) وابن عدي في «الكامل» (١٤٧/٤) من حديث عقبة بن عامر وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٦) وأحمد (٣٩٣٩) وابن حبان (٢٥٥٧) وأبو يعلى (٥٢٧٢) وابن المبارك في «الجهاد» (١٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٧/٤) والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٠٥) من حديث ابن مسعود، وهو حديث حسن.

(٣) انظر «البرهان» (٣٥٦/١) و«الأحكام» (٤٠٣/١) ومختصر ابن الحاجب وشرحه (١٥٥/٢) وجمع الجوامع (٤٦/٢) والحدود (ص/٤٧) وإرشاد الفحول (١/١٦٤).

وكذلك تقييد الأيدي إلى المرافق^(١) في الوضوء، وإطلاقه في التيمم.

وكذلك ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [العائدة: ٥]، فأطلق الإحباط عليه وعلّقه بنفس الردة، ولم يشترط الموافاة عليه. وقال في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يَزِدْكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقيد الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر، فوجب رد الآية المطلقة إليها، وألا يقضي بإحباط الأعمال إلا بشرط الموافاة عليها وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه، وإن كان قد تورع في هذا التقرير. ومن هذا الإطلاق تحريم الدم وتقييده في موضع آخر بالمسفوح، وقوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] وقال في موضع آخر ﴿وَمِنْهُ﴾ . وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠] فإنه لو قيل: نحن نرى من يطلب الدنيا طلبًا حثيثًا، ولا يحصل له منها شيء! قلنا: قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، فعلق ما يريد بالمشيئة والإرادة.

ومثله قوله تعالى: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿ادْعُوِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فإنه [مطلق]^(٢).

تفسيه

اختلف الأصوليون في أنّ حمل المطلق على المقيد: هل هو من وضع اللغة أو بالقياس على مذهبين، والأولون يقولون: العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيد وطلبًا للإيجاز والاختصار، وقد قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧]، والمراد «عن اليمين قعيد» ولكن حذف لدلالة الثاني عليه. وزعم بعضهم أن القرآن كالأية الواحدة، لأن كلام الله تعالى واحد فلا بُدَّ أن يكون المطلق كالمقيد.

قال إمام الحرمين: وهذا غلط لأن الموصوف بالإتحاد الصفة القديمة المختصة بالذات، وأما هذه الألفاظ والعبارات فمحسوس تعددها، وفيها الشيء وتقيضه، كالألثبات والنفي، والأمر والنهي، [إلى غير ذلك من أنواع النفاضة التي لا يوصف الكلام القديم بأنه [اشتمل] عليها. والثاني: كإطلاق صوم الأيام في كفارة اليمين^(٣) [٣]، وقيدت بالتتابع في كفارة الظهار والقتل وبالتفريق في صوم التمتع، فلما تجاذب الأصل تركناه على إطلاقه.

(١) في المطبوع: معلق.

(١) سقط من م.

(٣) انظر «المغني» (٢٧٣/١١) و«الإنصاف» (٤١/١١) و«المدونة» (٤٣/٢) و«الهداية» (٣٥٨/٢).

(٤) سقط من م.

هذا كله إذا كان الحكمان بمعنى واحد، وإنما اختلفا في الإطلاق والتقييد، فأما إذا حكم في شيء بأمور لم يحكم في شيء آخر، ينقض تلك الأمور وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الإلحاق، كالأمر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء وذكر في التيمم عضوين، فلم يكن في الأمر بمسح الرأس، وغسل الرجلين في الوضوء دليل على مسحهما بالتراب في التيمم.

ومن ذلك ذكر العتق، والصوم، والطعام في كفارة الظهار، ولم يذكر الإطعام في كفارة القتل، فلم يجمع بينهما في إبدال الطعام عن الصيام.

وقريب من هذا قول السلف في قوله تعالى: ﴿وَأْمَهَتْ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إن اللام مبهمة وعنوا بذلك أن الشرط في الرِّبَاب خاصة.

قاعدة في العموم والخصوص (١)

لا يستدل بالصفة العامة إذا لم يظهر تقييد عدم التعميم، ويستفاد ذلك من السياق، ولهذا قال الشافعي: اللفظ بين في مقصوده، ويحتمل في غير مقصوده.

فمنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لا يصلح الاحتجاج بها في إيجاب الزكاة في قليل الذهب والفضة وكثيره، وفي المتنوع منهما من الحلي وغيره ألا ترى أن من ملك دون النصاب منهما غير داخل في جملة المتوعدين بترك الإنفاق منهما! وهذا يدل على أن القصد من الآية إثبات الحكم في ترك أداء الواجب من الزكاة منهما، وفيها دليل على وجوب الزكاة فيهما، وليس فيها بيان مقدار ما يجب من الحق فيهما.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ...﴾ [المؤمنون: ٥] الآية، القصد منها مدح قوم صانوا فروجهم عما لا يحل، ولم يواقعوا بها إلا من كان يملك النكاح أو اليمين، وليس في الآية بيان ما يحل منها وما لا يحل، ثم إذا احتيج إلى تفصيل ما يحل بالنكاح وملك اليمين صير إلى ما قصد، وتفصيله بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآية. كذا قاله الفقهاء الشافعي وفيه نظر لما سبق.

ومثله قوله [٢] تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَايِرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَحْبَبَ الْأَسْوَدَ﴾ [البقرة: ١٨٧] فلو تعلق متعلق بقوله ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا﴾ في إباحة أكل أو شرب كل شيء [قد] (٣) اختلف فيه، لكان لا معنى له لأن المخاطب قد غفل عن أنها لم ترد مبينة لذلك، بل مبينة لحكم جواز الأكل والشرب والمباشرة إلى الفجر، دفعا لما كان الناس عليه من حَظْر ذلك على من نام، فبين في الآية إباحة ما كان محظورا، ثم أطلق لفظ الأكل والشرب والمباشرة لا على معنى إبانة الحكم فيما يحل من ذلك وما

(١) سقط من م.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

محرم، ألا ترى أنه لا يدخل فيه شرب الخمر والدم وأكل الميتة ولا المباشرة فيما لا يبتغى منه الولد، ومثله في القرآن كثير، وهذا يدل على أن النظر في العموم إلى المعاني لا لإطلاق اللفظ.
قال القفال: ومن ضبط هذا الباب أفاد علمًا كثيرًا.

فصل الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب

ومما تُستثمر منه الأحكام تنبيه الخطاب، وهو إما في الطلب، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آوَىٰ﴾ [الإسراء: ٢٣] فنبهه عن القليل منه على الكثير، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] يدل على تحريم الإخراق والإتلاف.
وإما في الخبر:

فإما أن يكون بالتنبيه بالقليل على الكثير، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ [الزلزلة: ٧] فنبه على أن الرطل والقنطار لا يضيع لك عنده، وكقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤] ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١]، [فإنه يدل على أن من لم يملك نقييرًا أو قطميرًا مع قلتها فهو عن ملك ما فوقهما أولى، وعلم أن من لم يعزب عنه مثقال ذرة^(٢) مع خفائه ودقته، فهو بالأ يذهب عنه الشيء الجليل الظاهر أولى.]

وإما بالكثير على القليل، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] فهذا من التنبيه على أنه يؤدي إليك الدينار وما تحته، ثم قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] فهذا من الأول، وهو التنبيه بالقليل على الكثير، فدل بالتنبيه على أنك لا تأمنه بقنطار، بعكس الأول.

ومثل قوله في فرش أهل الجنة ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقد علمنا أن أعلى ما عندنا هو الإستربق الذي هو الخشن من الديباج، فإذا كان بطائن [فرش]^(٣) أهل الجنة ذلك فعلم أن وجوها في العلو إلى غاية لا يُعقل معناها.

وكذلك قوله في شراب أهل الجنة ﴿خَيْنُقُومٌ مَسْكٌ﴾ وإنما يُرى من الكأس الختام، وأعلى ما عندنا رائحة المسك، وهو أدنى شراب أهل الجنة، فليتبين اللبيب إذا كان الثفل الذي فيه المسك أيّس يكون حشو الكأس، فيظهر فضل حشو الكأس بفضله الختام، وهذا من التنبيه [الخفي].
وقوله: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] فنبه على حصول البركة فيه من باب أولى.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من م.

واعلم أن هذا النوع البديع يُنظر إليه من سِرِّ رقيق ، وطريق تحصيله فهم المعنى وتقبيده من سياق الكلام ، كما في آية التأفيف فإننا نعلم أن الآية إنما سيقت لاحترام الوالدين وتوقيرهما ففهمنا منه تحريم الشتم والضرب ، ولو لم يُفهم المعنى ، لا يلزم ذلك لأن الملك الكبير يتصور أن يقول لبعض عبيده اقتل قربي ولا تقل له : أف ، ويكون قصده الأمن عن مزاحمته في الملك فثبت أن ذلك إنما جاء لفهم المعنى . فإن قيل : فإذا ابتنى الفهم على تخيل المعنى كان بطريق القياس كما صار إليه الشافعي ! .

قيل : ما يتأخر من نظم الكلام وما يتقدم فهمه على اللفظ ، ويقترن به لا يكون قياساً حقيقياً لأن القياس ما يحتاج فيه إلى استنباط وتأمل ، فإن أطلق القائل بأنه قياس اسم القياس عليه ، وأراد ما ذكرناه فلا مضايقة في التسمية .

فصل في الحكم على الشيء مقيداً بصفة

وقد يحكم على الشيء مقيداً بصفة ، ثم قد يكون ما سكت عنه بخلافه ، وقد يكون [مثله] ^(١) فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] ، وقوله : ﴿ إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ ﴾ [الحجرات : ٦] ، وقوله : ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣] ، فاشترط أولاد الصُّلب تنبيهاً على إباحتهم للزواج ، وليس في ذكر الحلائل إباحتهم من وطئه الأبناء من الإماء بملك اليمين ، وهذه الآية مما اجتمع فيه النوعان أعنى : المخالفة والمماثلة .

وكذلك قوله : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ . . . ﴾ [الآية الاحزاب : ٥٥] ، فيه وقوع الجناح في إبداء الزينة لمن عدا المذكورين من الأجانب ولم يكن فيه إبدؤها لقرابة الرضاع . ومن الثاني قوله تعالى في [ق/ ٧٧] الصيد : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مْتَعِدًا فَجِرَاءً مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [المائدة : ٩٥] . فإن القتل إتلاف ، والإتلاف [يستوي] ^(٢) عَمْدَهُ وَخَطْوَهُ ، فيستدل به على أن التعمد ليس بشرط .

فإن قيل : فما فائدة التقييد في هذا القسم إذا كان المسكوت عنه مثله ، وهلا حُذِفَت الصفة واقتصر على قوله ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ ﴾ [المائدة : ٩٥] ؟ .

قلنا لتخصيص الشيء بالذكر فوائدها اختصاصه في جنسه بشيء لا يشركه فيه غيره من جملة الجنس ، كما في هذه الآية - أعني قوله ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مْتَعِدًا ﴾ [المائدة : ٩٥] إلى قوله : ﴿ فَيَسْئَلُكُمْ اللَّهُ يَتَىٰ ﴾ [المائدة : ٩٥] إن المتعمد إنما حُصِّصَ بالذكر ، لما عطف عليه في آخر الآية من الانتقام الذي لا يقع إلا في العمد دون [الخطأ] ^(٣) .

ومنها ما [يُحْصَى] ^(٤) بالذكر تعظيماً له على سائر ما هو من جنسه ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ

(٢) سقط من م .

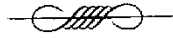
(٤) في م : يختص .

(١) سقط من م .

(٣) سقط من م .

حُرْمٌ ذَلِكَ اللَّيْنُ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴿[التوبة: ٣٦]﴾ فخص النهى عن الظلم فيهن وإن كان الظلم منهياً عنه في جميع الأوقات تفضيلاً لهذه الأشهر وتعظيماً للوزر فيها وقوله: ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوكَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ومنها: أن يكون ذلك الوصف هو الغالب عليه، كقوله تعالى: ﴿رَبِّبْتِكُمْ أَلْتَمِ فِي حُبُورِكُمْ﴾ [الآية النساء: ٢٣]، فإن الغالب من حال الربيبة أنها تكون في حجر أمها، ونحو: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور: ٥٨] إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [الآية] خص هذه الأوقات الثلاثة بالاستئذان، لأن الغالب تبذل البدن فيهن، وإن كان في غير هذه الأوقات ما يوجب الاستئذان، فيجب، وكذلك قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فالافتداء يجوز مع الأمر. وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣] فجرى التقييد بالسفر لأن الكاتب إنما يُعدم غالباً فيه، ولا يدل على منع الرهن إلا في السفر كما صار إليه مجاهد.



النوع الثامن والثلاثون

في معرفة جدله

وقد أفرده من المتأخرين بالتصنيف العلامة نجم الدين الطوفي [رضي الله عنه] (١).

اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم، وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أوردته تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. إِيَّابَيْتَ لَهُمْ...﴾ [إبراهيم: ٤] الآية.

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحااجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلقِزاً فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة، تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء.

وعلى هذا حمل الحديث المروي «إن لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حرف حداً ومطلقاً» (٢) لا على ما ذهب إليه الباطنية، ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته، أتبعها مرة بإضافته إلى أولي العقل ومرة إلى السامعين، [ومرة إلى المفكرين] (٣) ومرة إلى المتذكرين، تنبيهاً أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقته منها، وذلك نحو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] وغيرها من الآيات.

واعلم أنه قد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين، فمن ذلك الاستدلال على حدوث العالم بتغير الصفات عليه، وانتقاله من حال إلى حال وهو آية الحدوث، وقد ذكر الله تعالى في احتجاج إبراهيم الخليل عليه السلام، استدلاله بحدوث الأقل على وجود

(١) في م: رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٥) وأبو يعلى (٥٤٠٣) والطبراني في «الكبير» (١٠١٠٧) و«الأوسط» (٧٧٣) والبخاري.

(٣) وهو حديث صحيح.

(٤) سقط من م.

المحدث، والحكم على السموات والأرض بحكم النيرات الثلاث وهو الحدوث، طرداً للدليل في كل ما هو مدلوله لتساويها في علة الحدوث وهي الجسمانية .

ومن ذلك: الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار إليه في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إمامته، فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً .

ومن ذلك: الاستدلال على المعاد الجسماني بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ، ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥] .

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، نحو: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١] ، ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] .

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، وهو في كل موضع ذكر فيه إنزال المطر غالباً نحو: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] .

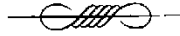
رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، وقد ورد أن أبي بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرها في الهواء، وقال: يا محمد من يحيى العظام وهي رميم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] ، فعلم سبحانه [وتعالى] ^(١) كيفية الاستدلال برد النشأة الأخرى إلى الأولى، والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد في الحجاج بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] ، وهذا في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما [بعلة الحدوث ثم زاد في الحجاج من حيث تنزيل] ^(٢) الأعراض عليهما .

خامسها: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨-٣٩] ، وتقريرها كما قاله ابن السيد: إن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن هاهنا

(٢) في المطبوع: من حيث تبديل.

(١) زيادة من م.

حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلية، ونقلها إلى جبلية غيرها، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحال التي وعد الله بالمصير إليها فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِن غَلِيٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] ولا بد من كون ذلك باضطرار إذ كان جواز الخلاف يقتضي الائتلاف، لأنه نوع من المضاف وكان لا بد من حقيقته فقد صار [الخلاف]^(١) الموجود كما ترى، أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون.



(١) سقط من م.

النوع الرابع والثلثون

معرفة ناسخه من منسوخه

والعلم به عظيم الشأن، وقد صنف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو داود السجستاني، وأبو جعفر، النحاس، وهبة الله بن سلام الضرير، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الأنباري، ومكي، وغيرهم (١).

ومن ظريف ما حكى في كتاب هبة (٢) الله، أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَنَحِيكَآ وَنَبِيآ وَأَسِيرآ﴾ [الإنسان: ٨] منسوخ من هذه الجملة ﴿وَأَسِيرآ﴾ والمراد بذلك أسير المشركين فقري الكتاب عليه [ق/٧٨] وابنته تسمع فلما انتهى إلى هذا الموضع، قالت: أخطأت يا أبت في هذا الكتاب، فقال لها: وكيف يا بنية؟ قالت: أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعاً.

قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر [كتاب] (٣) الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي بن أبي طالب لقاص: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكت وأهلكت (٤).

والنسخ يأتي بمعنى الإزالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحج: ٥٢].

ويأتي بمعنى التبديل كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١].

وبمعنى التحويل، كتناسخ الموارث، يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه، قال مكي (٥): وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن، وأنكر على النحاس (٦) إجازته

(١) كابن حزم، والبارزي، والزهري.

(٢) الناسخ والمنسوخ بهامش أسباب النزول للسيوطي (ص/ ٣٢٠-٣٢١).

(٣) في م: كلام.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٥٤٠٧) وابن أبي شيبة (٢٩٠/٥) وأبو خيثمة في «العلم» (١٣٠) وابن إسحاق في

«المذكر والتذكير» (١٤) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/١٢١) وابن بشكوال في «غوامض الأسماء» (١/

٢٥٨) والحري في «غريب الحديث» (٣/١٠٤٤) والبيهقي في «المدخل» (١٨٤).

(٥) الإيضاح (ص/ ٤٩-٥٠). (٦) الناسخ والمنسوخ (ص/ ١٠).

ذلك محتجاً بأن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ، وإنما يأتي بلفظ آخر. وقال الإمام أبو [عبد الله] (١) محمد بن بركات السعدي: يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال: ﴿وَإِذْ قُمْنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّ نَحْنُ كَاتِبُونَ﴾ [الزخرف: ٤] ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوماً جميعه في أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ كما قال: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْتُومٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُوهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨-٧٩].

ثم اختلف العلماء، فقيل: المنسوخ ما رفع تلاوة تنزيله كما رفع العمل به، ورُدَّ بما نسخ الله من التوراة بالقرآن والإنجيل وهما متلوان.

وقيل: لا يقع النسخ في قرآن يتلى وينزل (٢)، والنسخ مما خص الله به هذه الأمة في حكم من التيسير، ويفر هؤلاء من القول بأن الله ينسخ شيئاً بعد نزوله والعمل به، وهذا مذهب اليهود في الأصل، ظناً منهم أنه بدء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له، وهو باطل، لأنه بيان مدة الحكم، ألا ترى الإحياء بعد الإماتة، وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقير بعد الغنى وعكسه، وذلك لا يكون بدءاً فكذا الأمر والنهي.

وقيل: إن الله تعالى نسخ القرآن من اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب فأنزله على نبيه، والنسخ لا يكون إلا من أصل.

والصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعاً وعقلاً.

ثم اختلفوا فقيل: لا يُنسخ قرآن إلا بقرآن لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قالوا: ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن.

وقيل: بل السنة لا تنسخ السنة.

وقيل: السنة إذا كانت بأمر الله من طريق الوحي، نسخت وإن كانت باجتهاد فلا تنسخه. حكاه ابن حبيب النيسابوري في تفسيره.

وقيل: بل إحداهما تنسخ الأخرى ثم اختلفوا فقيل: الآيتان إذا أوجبتا حكمتين مختلفتين وكانت إحداهما متقدمة الأخرى، فالمتأخرة ناسخة للأولى، كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُوَدِّعُ لِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْشُ﴾ [النساء: ١١] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَرَثَةٌ وَوَرِثَتُهُمْ فَلَا يُؤْتَوْنَ فَلَا يُؤْتَوْنَ أَلْتَلْتُمْ﴾ [النساء: ١١] قالوا: فهذه ناسخة للأولى، ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث.

(١) سقط من م.

(٢) وهو مذهب أبي مسلم الأصفهاني «التبصرة» (ص/ ٢٥١-٢٥٤).

وقيل: بل ذلك جائز وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ، وإنما نسخ الوصية للوارث [بقوله] (١) عليه السلام «لا وصية لوارث» (٢) وقيل: ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة.

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخاً وذلك كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكاغرون: ٦] ، نسخها بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا وَآصِفْهُرَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، وناسخه قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشُّرْكَانَ﴾ [التوبة: ٥] ، ثم نسخها ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْحَرْبَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] [٣].

مسألة في جواز النسخ بالكتاب

لا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب، قال الله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] ، وقال: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرْسَلُ﴾ [النحل: ١٠١] ، ولذلك نسخ السنة بالكتاب، كالقصة في صوم عاشوراء برمضان وغيره.

واختلف في نسخ الكتاب بالسنة (٤) ، قال ابن عطية: حذاق الأمة على الجواز وذلك موجود في قوله [ﷺ] (٥) «لا وصية لوارث» (٦) ، وأبي الشافعي ذلك (٧) ، والحجة عليه من قوله في إسقاط الجلد في حد الزنا عن الثيب الذي رجم، فإنه لا مسقط لذلك إلا السنة فعل النبي ﷺ .

قلنا: أما آية الوصية فقد ذكرنا أن ناسخها القرآن، وأما ما نقله عن الشافعي فقد اشتهر ذلك لظاهر لفظ ذكره في الرسالة، وإنما مراد الشافعي أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له، وهذا تعظيم لقدر الوجهين، وإبانة تعاضدهما وتوافقهما وكل من تكلم على

(١) سقط من م .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠) والترمذي (٢١٢٠) وابن ماجه (٢٧١٣) وأحمد (٢١٧٩١) والطبراني في «الكبير» (٧٥٣١) والطيالسي في «مسنده» (١١٢٧) وابن الجارود في «المتقي» (٩٤٩) والبيهقي في «الكبرى» (١٢١٨٥) . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سقط من م .

(٤) اختلف في ذلك على مذهبين:

المذهب الأول: أن نسخ القرآن بالسنة المتواترة جائز عقلاً وشرعاً، وهو مذهب الحنفية، والمالكيين، وعامة المتكلمين، وأهل الظاهر، وهو مذهب الإمام أحمد في رواية عنه وبعض الحنابلة، وهو اختيار أكثر الفقهاء من الشافعيين وغيرهم . وهو الصحيح .

المذهب الثاني: أن نسخ القرآن بالسنة المتواترة جائز عقلاً، ولا يجوز شرعاً . ذهب إلى هذا الإمام الشافعي، وأحمد في رواية عنه، وبعض الحنابلة، واختاره أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو منصور البغدادي، والقلاسي، والحاثر المحاسبي، انظر تفصيل ذلك في «المهذب في علم أصول الفقه» (٦٠٢/٢) .

(٥) في م: عليه السلام .

(٦) تقدم .

(٧) انظر: الرسالة (ص/ ١٣٧-١٤٦) .

هذه المسألة لم يفهم مراده . وأما النسخ بالآية فليس بنسخ بل تخصيص ، ثم إنه ثابت بالقرآن الذي نسخت تلاوته وهو «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما» .

فصل فيما يقع فيه النسخ

الجمهور على أنه لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ، وزاد بعضهم الإخبار وأطلق ، وقيدها آخرون بالتي يراد بها الأمر والنهي .

تنبيهات

التنبيه الأول في تقسيم سور القرآن

بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله

اعلم أن سور القرآن العظيم [تنقسم] بحسب ما دخله النسخ وما لم يدخل إلى أقسام (١) :

أحدها : ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهي ثلاث وأربعون سورة وهي : الفاتحة ، ثم يوسف ، ثم يس ، ثم الحجرات ، ثم الرحمن ، ثم الحديد ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التحريم ، ثم الملك ، ثم الحاقة ، ثم نوح ، ثم الجن ، ثم المرسلات ، ثم النبأ ، ثم النازعات ، ثم الانفطار ، ثم المطففين ، ثم الانشقاق ، ثم البروج ، ثم الفجر ، ثم البلد ، ثم الشمس ، ثم الليل ، ثم الضحى ، ثم الانشراح ، ثم القلم ، ثم [القدر] ، ثم الانفكاك ، ثم الزلزلة ، ثم العاديات ، ثم القارعة ، ثم ألهاكم ، ثم الهمة ، ثم الفيل ، ثم قریش ، ثم الدين ، ثم الكوثر ، ثم النصر ، ثم تبت ، ثم الإخلاص ، ثم المعوذتين .
وهذه السور تنقسم إلى ما ليس فيه أمر ، ولا نهي وإلى ما فيه نهي لا أمر (٢) .

والثاني : ما فيه ناسخ ، وليس فيه منسوخ وهي ست سور : الفتح والحشر ، والمنافقون والتغابن ، والطلاق والأعلى .

الثالث : ما فيه منسوخ ، وليس فيه ناسخ وهو أربعون : الأنعام ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، والرعد ، والحجر ، والنحل ، وبنو إسرائيل ، والكهف ، وطه ، والمؤمنون ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، [والمضاجع] (٣) ، والملائكة ، والصفات ، وص ، والزمر ، والمصايح ، والزخرف والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وسورة محمد ﷺ ، والباسقات ، والنجم ، والقمر ، والرحمن ، والمعارج ، والمدثر ، والقيامة ، والإنسان ، وعيس ، والطارق ، والغاشية والتين ، والكافرون .

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص/٩-٢١) .

(٢) الناسخ والمنسوخ في (ص/١٦-١٧) .

(٣) في الناسخ والمنسوخ : المصايح .

الرابع: ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ، وهي إحدى وثلاثون سورة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة والأعراف، والأنفال، والتوبة، وإبراهيم والنحل، وبنو إسرائيل، ومريم، وطه، والأنبياء والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والشعراء، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى والقتال، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمنتحنة، والمزمل، والمدثر، والتكوير، والعصر^(١).

ومن غريب هذا النوع آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ، قيل: ولا نظير لها في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ذكره ابن العربي في أحكامه^(٢).

التنبيه الثاني في ضروب النسخ في القرآن

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

الأول: ما نسخ في تلاوته وبقي حكمه فيعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول، كما روى أنه كان يقال في سورة النور: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألته نكالا من الله» ولهذا قال عمر: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي. رواه البخاري في صحيحه معلقاً.

وأخرج ابن حبان في صحيحه [ق/٧٩]، عن أبي بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة [البقرة] فكان فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»^(٣).

وفي هذا سؤالان، الأول: ما الفائدة في ذكر الشيخ والشيخة، وهلا قال المحصن والمحصنة؟ وأجاب ابن الحاجب في أماليه^(٤) عن هذا: بأنه من البديع في المبالغة وهو أن يعبر عن الجنس في باب الذم بالأنقص، [فالأنقص]، وفي باب المدح [بالأكثر]^(٥) والأعلى، فيقال: لعن الله السارق [يسرق] ربع دينار فتقطع يده والمراد يسرق [ربع دينار فصاعداً إلى أعلى ما يسرق]^(٦).

(١) قال ابن الجوزي: «وضح أن التحقيق في الناسخ والمنسوخ يظهر أن هذا الحصر تحزيف من الذين حصروه». ناسخ القرآن ومنسوخه (ص/١٥٠).

(٢) الأحكام (٢/٢٢٥).

(٣) في المطبوع: النور.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٢٤٥) وابن حبان (٤٤٢٩) وعبد الرزاق (٥٩٩٠) والسنائي في «الكبرى» (٧١٥٠) والحاكم (٨٠٦٨) والطبراني في «الأوسط» (٤٣٥٢) والطيالسي (٥٤٠) والبيهقي في «الكبرى» (١٦٦٨٨) من حديث أبي، وهو حديث صحيح.

(٥) (٢/٧٩٤-٧٩٥).

(٦) سقط من م.

(٧) في «الأمالي»: بالأكثر.

(٨) ليست في الأمالي.

(٩) سقط من م.

[وقد يبالغ فيذكر ما لا تقطع به] ^(١)، كما جاء في الحديث «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده» ^(٢) وقد علم أنه لا [تقطع في البيضة] ^(٣) وتأويل من أوَّلُه بيضة الحرب تأباه الفصاحة.

الثاني: أن ظاهر قوله: «لولا أن يقول الناس...» إلخ أن كتابتها جائزة وإنما منعه قول الناس، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب، وقد يقال: لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر رضي الله عنه ولم يعرج على مقال الناس لأن مقال الناس لا يصلح مانعاً.

وبالجملة: فهذه الملازمة مشكلة، ولعله كان يعتقد أنه خير واحد ^(٤)، والقرآن لا يثبت به، وإن ثبت الحكم، ومن هنا أنكر ابن ظفر في «الينبوع» عد هذا عما نسخ تلاوته، قال: لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن، قال: وإنما هذا من المنسأ لا النسخ، وهما مما يلتبسان والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه ويثبت أيضاً، وكذا قاله في غيره القراءات الشاذة، كما يجاب التابع في صوم كفارة اليمين ونحوه أنها كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، لكن في العمل بها الخلاف المشهور في القراءة الشاذة.

ومنهم من أجاب عن ذلك بأن هذا كان مستفيضاً عندهم، وأنه كان [متلوّاً] ^(٥) من القرآن فأثبتنا الحكم بالاستفاضة، وتلاوته غير ثابتة بالاستفاضة. ومن هذا الضرب ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري: إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني أحفظ منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لا يبتغي وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» ^(٦). وذكر الإمام المحدث أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادى في كتابه «الناسخ والمنسوخ» مما رُفِع رسمه من القرآن، ولم يرفع من القلوب حفظه سورتنا القنوت في الوتر، قال: ولا خلاف بين الماضين والغابرين، أنهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبي بن كعب وأنه ذكر عن النبي ﷺ أنه أقرأه إياهما وتسمى سورتي الخلع والحفد.

هنا سؤال وهو أن يقال: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها، وثواب تلاوتها؟ وأجاب صاحب «الفنون» ^(٧) فقال: إنما كان كذلك ليظهر به

(١) عبارة الأمالي: «وقد تبالغ فتذكر ما لا يقطع به قليلاً».

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠١) و (٦٤١٤) ومسلم (١٦٨٧).

(٣) عبارة الأمالي: «لا يقطع بالبيضة».

(٤) قال السيوطي: «مردود، فقد صح أنه تلقاها من النبي ﷺ». و «الإتقان» (٦٨/٣ - ٦٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٠٥٠).

(٦) في م: مكتوباً.

(٧) مرتت على كتاب الفنون لابن الجوزي فلم أقف فيه على هذا الكلام، أضف إلى هذا أن هذا الكلام خارج عن موضوع كتاب ابن الجوزي.

مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استئصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طرق الوحي .

الضرب الثاني: ما نسخ حكمه وبقي تلاوته، وهو في ثلاث وستين سورة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا...﴾ الآية [البقرة: ٢٣٤]، فكانت المرأة إذا مات زوجها لزمت التريص بعد انقضاء العدة حولاً كاملاً ونفقتها في مال الزوج، ولا ميراث لها وهذا معنى قوله: ﴿مَتَّعْنَا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٠]، فنسخ الله ذلك بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهذا الناسخ مقدم في النظم على المنسوخ.

قال القاضي أبو المعالي: وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ إلا في موضعين هذا أحدهما، والثاني قوله: ﴿بَنَاتُهَا الَّتِي إِنَّا احْلَأْنَا لَكَ أَزْوَاجًا...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠]، فإنها ناسخة لقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

قلت: وذكر بعضهم موضعاً آخر وهو قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] هي متقدمة في التلاوة، ولكنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَدْ زُرَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقيل: في تقديم الناسخة فائدة وهي أن تعتقد حكم المنسوخة قبل العلم بنسخها،

ويجيء موضع رابع، وهو آية الحشر في قوله تعالى: ﴿مَّا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ الآية [الحشر: ٧]، فإنه لم يذكر فيها شيء للغانمين، ورأى الشافعي أنها منسوخة بآية الأنفال وهي قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤١].

واعلم أن هذا الضرب ينقسم إلى ما يحرم العمل به ولا يمتنع كقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَمْلِكُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥] ثم نسخ الوجوب.

ومنه قوله: ﴿وَلَا تَقْدُوا إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] قيل: منسوخ بقوله تعالى: ﴿مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقوله: ﴿وَمَا آذَى مَا يُفْعَلُ بِهِ وَلَا يَكْفُرُ﴾ [الأحقاف: ٩] نسختها آيات القيامة والكتاب والحساب.

وهنا سؤال، وهو أن يسأل: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله تعالى، فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً بالنعمة ورفع المشقة، وأما حكمة النسخ قبل العمل كالصدقة عند النجوى فيثاب على الإيمان به وعلى نية طاعة الأمر.

الثالث: نسخهما جميعاً فلا تجوز قراءته ولا العمل به، كآية التحريم بعشر رضعات فُسخن بخمس، قالت عائشة: كان مما أنزل «عشر رضعات معلومات»، فنسخن «بخمس معلومات» فتوفي رسول الله ﷺ [وهن] ^(١) مما يقرأ من القرآن رواه مسلم ^(٢).

وقد تكلموا في قولها: «وهي مما يقرأ» فإن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاة، والأظهر أن التلاوة نُسخت أيضاً، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ فتوفي وبعض الناس يقرؤها.

وقال أبو موسى الأشعري: نزلت ثم رفعت.

وجعل الواحدي من هذا ما روي عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: كنا نقرأ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر» وفيه نظر.

وحكى القاضي أبو بكر في «الانتصار» ^(٣) عن قوم إنكار هذا القسم، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

وقال أبو بكر الرازي: نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمِنَ الضُّحُفِ الْأُولَى﴾ ^(٤) صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿[الأعلى: ١٨-١٩]، ولا يعرف اليوم منها شيء، ثم لا يخلو ذلك من أن يكون [في زمن النبي ﷺ]، حتى إذا توفي لا يكون ^(٤) متلوًا في القرآن، أو يموت وهو متلو موجود في الرسم ثم ينسيه الله ويرفعه من أذهانهم، وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي ﷺ.

فائدة

قال ابن العربي: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ [التوبة: ٥] ناسخة لمائة وأربع عشرة آية، ثم صار آخرها ناسخةً لأولها وهي قوله: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] [ق/ ٨٠].

قالوا: وليس في القرآن آية من المنسوخ ثبت حكمها ست عشرة سنة إلا قوله [تعالى] ^(٥) في الأحقاف: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] وناسخها أول سورة الفتح.

(٢) حديث (١٤٥٢).

(٤) سقط من م.

(١) في م والمطبوع: هي.

(٣) حديث (١٤٥٢).

(٥) الأحكام (٢/ ٤٥٥).

قال ابن العربي^(١): «ومن أغرب آية في النسخ قوله تعالى: ﴿حُذِرَ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أولها وآخرها منسوخان ووسطها محكم.

وقسمه الواحدي أيضاً إلى [نسخ]^(٢) ما ليس بثابت التلاوة كعشر رضعات، وإلى نسخ ما هو ثابت [التلاوة بما ليس بثابت التلاوة كنسخ الجلد في حق المحصنين بالرجم، والرجم غير]^(٣) متلو الآن وإنه كان يتلى على عهد رسول الله ﷺ، فالحكم ثبت والقراءة لا تثبت، كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم، وإذا جاز أن يكون قرآن [ولا يعمل]^(٤) به جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا يتلى وذلك أن الله عز وجل أعلم بمصالحنا، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق العمل بهذا الوجه.

التنبيه الثالث في تقسيم القرآن على ضروب من وجه آخر

قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أضرب:

الأول: نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة، كأمر الخليل بذبح ولده وكتوبه تعالى: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَلِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، ثم نسخه سبحانه بقوله: ﴿وَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية [المجادلة: ١٣].

الثاني: ويسمى نسخاً تجوزاً، وهو ما أوجبه الله على من قبلنا كحتم القصاص، ولذلك قال عقب تشريع الدية: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وكذلك ما أمرنا الله به أمراً إجمالياً، ثم نسخ، كنسخه التوجه إلى بيت الله المقدس بالكعبة، فإن ذلك كان واجباً علينا من قضية أمره باتباع الأنبياء قبله، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان.

الثالث: ما أمر به لسبب، ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلّة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم نسخه إيجاب ذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنما هو نسء، كما قال تعالى: ﴿أَوْ تُنْسِئَهَا﴾ فالنسء هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى.

وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الأمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك بل هي من النسء، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة للحكم^(٥) حتى لا يجوز امتثاله أبداً، وإلى هذا أشار الشافعي في «الرسالة»^(٦) إلى النهي عن ادخار

(٢) الأحكام (٢/٣٥٨).

(٤) سقط من م.

(٦) (ص/٢٣٩).

(١) زيادة من م.

(٣) سقط من م.

(٥) سقط من م.

لحوم الأضاحي من أجل [الدافعة] ^(١) ، ثم ورد الإذن فيه فلم يجعله منسوخاً ، بل من باب زوال الحكم لزوال علته ، حتى لو فاجأ أهل ناحية جماعة مضررون تعلق بأهلها النهي .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ الآية المائدة : [١٠٥] ، كان ذلك في ابتداء الأمر فلما قوي الحال ، وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه . ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي ﷺ في قوله «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» ^(٢) عاد الحكم ، وقال ﷺ : «فإذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك» ^(٣) . وهو سبحانه وتعالى [حكيم] ^(٤) ، أنزل على نبيه ﷺ حين ضعفه ما يليق بتلك الحال راقفة بمن تبعه ورحمة ، إذ لو وجب لأورث حرباً ومشقة ، فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالإسلام أو بأداء الجزية - إن كانوا أهل كتاب - أو الإسلام أو القتل إن لم يكونوا أهل كتاب . ويعود هذان الحكمان - أعني المسألة عند الضعف والمسابقة عند القوة - يعود سببهما ، وليس حكم المسابقة ، ناسخاً لحكم المسألة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته .

فائدة

قيل في قوله تعالى : ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] ولم يقل : من القرآن ، لأن القرآن ناسخ مهيمن على كل الكتب ، وليس يأتي بعده ناسخ له وما فيه من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل ، بين الله ناسخه عند منسوخه ، كنسخ الصدقة عند مناجاة الرسول ، والعدة والفرار في الجهاد ونحوه ، وأما غير ذلك فمن تحقق علماً بالنسخ علم أن غالب ذلك من المنسأ ، ومنه ما يرجع لبيان [الحكم] ^(٥) المجمل ، كالسبيل في حق الآتية بالفاحشة ، فيبنته السنة ، وكل ما في القرآن مما يدعى نسخته بالسنة عند من يراه فهو بيان لحكم القرآن ، وقال سبحانه : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤] ، وأما بالقرآن على ما ظنه كثير من المفسرين فليس بنسخ ، وإنما هو نسا وتأخير ، أو مجمل أخر بيانه لوقت الحاجة ، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره أو مخصوص من عموم ، أو حكم عام لخاص أو لمداخلة معنى في معنى . وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ذلك نسخاً وليس به وأنه الكتاب المهيمن على غيره ، وهو في نفسه متعاضد ، وقد تولى الله حفظه فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

(١) في المطبوع : الراقفة . والمثبت هو الصواب ، وهم جماعة يقدون على بلد .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وابن حبان (٣٨٥) والطبراني في «الكبير»

(٢٢٠ / ٢٢٢) حديث (٥٨٧) وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٦٦) وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٤١) . قال

الترمذي : حسن غريب . قلت : ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠٢٥) .

(٥) سقط من م .

(٤) سقط من م .

النوع الخامس والثلاثون

معرفة موهم المختلف

وهو ما يوهم التعارض بين آياته، وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به، فاحتيج لإزالته، كما صُنِّفَ في مختلف الحديث وبيان الجمع بينهما وقد رأيت لقطرب فيه تصنيفاً حسناً جمعه على السور. وقد تكلم فيه الصدر الأول، ابن عباس وغيره.

وقال الإمام: وقد وُفِّقَ الحسن البصري بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] ، وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: ١٤٢] ، بأن قال: ليس المراد في آية الأعراف على ظاهره، من أن الوعد كان ثلاثين ليلة، ثم بعد ذلك وعده بعشر، لكنه وعده أربعين ليلة جميعاً انتهى.

وقيل: تجري آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين، ثم أتم بالعشر فاستقرت الأربعون، ثم أخبر في آية البقرة بما استقر.

وذكره الخطابي قال: وسمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ هَذَا إِلَيْكَ﴾ [البلد: ١] فأخبر أنه لا يقسم بهذا، ثم أقسم به في قوله: ﴿وَهَذَا إِلَيْكَ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] ، فقال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك أجيبك، ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك فقال: بل اقطعني ثم أجبني فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراي قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمراً وعليه مطعناً فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت ثم قال له: إن العرب قد تدخل «لا» في أثناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتاً، والقاعدة في هذا وأشباهه أن الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافاً.

فائدة عن الغزالي في معنى الاختلاف

سئل الغزالي [رضي الله عنه] ^(١) عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فأجاب بما صورته: الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، يقال: هذا كلام مختلف، أي: لا يشبه أوله

(١) زيادة من م.

آخره في الفصاحة إذ هو مختلف، أي: بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا. أو هو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه [ق/ ٨١] على أسلوب يخالفه وكلام الله تعالى منزّه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله وآخره، وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرّهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء والمرسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيقة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة، لأن الشعراء والفصحاء ﴿فِي كُتُبٍ وَإِدْرِيهِمْ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، فتارة يمدحون الدنيا، وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزمًا، وتارة يذمونهم ويسمونهم ضعفًا، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونهم صراحة، وتارة يذمونهم ويسمونهم تهورًا، ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات، لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال والإنسان تختلف أحواله، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه، ويتعذر عليه عند الانقباض، ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافًا في كلامه بالضرورة، فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد، ولقد كان [رسول الله] ^(١) ﷺ بشيرًا مختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى، فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفًا وهي أشد أنواع الاختلاف والله أعلم.

[فصل] ^(٢) في القول عند تعارض الآي

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب [والجمع]، طلب التاريخ وترك المتقدم منهما بالتأخر، ويكون ذلك نسخًا له وإن لم يوجد التاريخ وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها.

قال: ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تعربان عن هذين الوصفين.

(٢) في م: مسألة.

(١) في م: النبي.

وذكروا عند التعارض مرجحات:

الأول: تقديم المكّي على المدني وإن كان يجوز أن تكون المكية نزلت عليه ﷺ بعد عودته إلى مكة والمدنية قبلها، فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم إذ كان غالب الآيات المكية نزولها قبل الهجرة.

الثاني: أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة، والآخر على غالب أحوال أهل المدينة، فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران ٩٧]، مع قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فإذا أمكن بناء كل واحدة من الآيتين على البديل جعل التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] كأنه قال: إلا من وجب عليه القصاص. ومثل قوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، ونهيه ﷺ عن قتل صيد مكة مع قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، فجعل النهي فيمن اصطاده في الحرم وخص من اصطاده في الحل وأدخله حيًّا فيه.

الثالث: أن يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه والآخر مقتضياً لفظاً يزداد عليه فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، مع قوله: ﴿فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ قَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقد أجمعت الأمة على أن الهدي لا يجب بنفس الحصر، وليس فيه صريح الإحلال بما يكون سبباً له فيقدم المنع من الإحلال عند المرض بقوله: ﴿وَأَيُّمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] على ما عارضه من الآية.

الرابع: أن يكون كل واحد من العمومين محمولاً على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد، فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر كقوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣]، بقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، فيخص الجمع بملك اليمين بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] فتحمل آية الجمع على العموم، والقصد ليها بيان ما يحل وما يحرم، وتحمل آية الإباحة على زوال اللوم فيمن أتى بحال.

الخامس: أن يكون تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه، كقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] مع قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [الحجرات: ٦] الآية، فيمكن أن يقال في الآية بالتبين ندد شهادة الفاسق إذا كان ذلك من كافر على مسلم، أو مسلم فاسق على كافر، وأن يقبل الكافر على كافر، وإن كان فاسقاً، أو يحمل ظاهر قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، على [الفقه] (١)

(١) في المطبوع: القبيلة.

دون الملة، ويحمل الأمر بالثبوت على عموم النسيان في الملة، لأنه رجوع إلى تعيين اللفظ وتخصيص الغير [بالفقه] ^(١)، لأنه رجوع إلى الاسم على عموم الغير.

السادس: ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهراً، كتقديم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] على قوله: [﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾] [البقرة: ٩] ^(٢) فإن قوله ﴿وَأَحَلَّ﴾ يدل على حل البيع ضرورة، ودلالة النهي على فساد البيع إما ألا تكون ظاهرة أصلاً، أو تكون ظاهرة منحة عن النص.

فصل

في القول عند تعارض آي القرآن والآثار

قال القاضي أبو بكر في «التقريب»: ^(٣) لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما توجه أدلة العقل، فلذلك لم يجعل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] معارضاً لقوله: ﴿وَتَخَلَّقُونَ إِنْكَارًا﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالى، فيتعين تأويل ما عارضه فيؤول قوله: ﴿وَتَخَلَّقُونَ﴾ بمعنى «تكذبون» لأن الإفك نوع من الكذب، وقوله: ﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠] أي: «تصور».

ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] لا يعارضه قوله: ﴿أَنْتَ تَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨]، فإن المراد بهذا ما لا يعلمه أنه غير كائن، ويعلمونه وقوع ما ليس بواقع، لا على أن من المعلومات ما هو غير عالم به وإن علمتموه.

وكذلك لا يجوز جعل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [ال عمران: ٥] معارضاً لقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالضَّالِّينَ﴾ [محمد: ٣١]، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] معارضاً لقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، في تجويز الرؤية وإحالتها، لأن دليل العقل يقضي بالجواز، ويجوز [تخصيص] ^(٤) النفي بالدنيا والإثبات بالقيامة.

وكذلك لا يجوز جعل قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] معارضاً لقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] [ق/ ٨٢] بل يجب تأويل ﴿أَهْوَتْ﴾ على «هين».

ولا جعل قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] معارضاً لأمره نبيه وأمه بالجدال في قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فيحمل الأول على ذم الجدال الباطل.

(٢) سقط من م.

(١) في المطبوع: القبيلة.

(٤) في المطبوع: تخلص.

(٣) (٣/٣٦٠-٣٦١).

ولا يجوز جعل قوله: ﴿وَبَقِيَ وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] معارضاً لقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فصل في تعارض القراءتين في آية واحدة

وقد جعلوا تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين كقوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب والجر، وقالوا يُجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف، والثانية على غسل الرجل، إذا لم يجد متعلقاً سواهما.

وكذلك قراءة: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ و﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ حملت الحنفية إحداهما على ما دون العشرة، والثانية على العشرة.

واعلم أنه إذا لم يكن لها متعلق سواهما، تصدى لنا الإلغاء أو الجمع، فأما إذا وجدنا متعلقاً سواهما فالمتعلق هو المتبع.

فائدة في القول في الاختلاف والتناقض

قال أبو بكر الصيرفي في [شرح] ^(١) رسالة الشافعي: جماع الاختلاف والتناقض، [أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه، فليس فيه تناقض، وإنما التناقض] ^(٢) في اللفظ ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء، ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبداً وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين، بأن يُوجب حكماً ثم يجله، [أو يجرمه] ^(٣) وهذا لا تناقض فيه، وتناقض الكلام لا يكون إلا في إثبات ما نفي، أو نفي ما أثبت بحيث يشترك المثبت والنفي في الاسم والحدث والزمان والأفعال، والحقيقة، فلو كان الاسم حقيقة في أحدهما وفي الآخر مستعاراً ونفي أحدهما وأثبت الآخر لم يعد تناقضاً.

هذا كله في الأسماء، وأما المعاني وهو باب القياس، فكل من أوجد علة وحررها وأوجب بها حكماً من الأحكام ثم ادعى تلك العلة بعينها فيما ياباه الحكم فقد تناقض، فإن رام الفرق لم يُسمع منه لأنه في فرقه تناقض، والزيادة في العلة نقص أو تقصير عن تحريرها في الابتداء وليس هذا على السائل.

وكل مسألة يسأل عنها فلا تخلو من أحد وجهين: إما أن يسأل فيما يستحق الجواب عنه أو لا، [فأما المستحق للجواب فهو ما يمكن كونه ويجوز] ^(٤)، وأما ما استحال كونه فلا يستحق جواباً، لأن من علم أنه لا يجتمع القيام والقعود، فسأل: هل يكون الإنسان قائماً منتصباً جالساً في حال واحدة؟

(٢) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

فقد أحال وسأل عن محال، فلا يستحق الجواب. فإن كان لا يعرف القيام والقعود عُرف فإذا عرفه فقد استحال عنده ما سأله.

قال: وقد رأيت كثيراً مما يتعاطى العلم يُسأل عن المحال ولا يدري أنه محال، ويجاب عنه والآفات تدخل على هؤلاء لقلة علمهم بحق الكلام.

فصل في الأسباب الموهمة الاختلاف

وللإختلاف أسباب:

الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، كقوله تعالى في خلق آدم إنه ﴿مِنْ تَرَابٍ﴾ [ال عمران: ٥٩] ومرة ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] ومرة ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصفات: ١١] ومرة ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة، لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] وفي موضع ﴿تَهْتَرُ كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان: الصغير من الحيات، والشعبان: الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الشعبان العظيم، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.

السبب الثاني: لاختلاف الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّي مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]، وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠] مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، قال الحلبي: فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، حمله غيره على اختلاف الأماكن، لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يُسأل ويُناقش، وموضع آخر يُرحم ويُلطف به، وموضع آخر يُعنف ويُوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يُعنف وهم المؤمنون.

وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] مع قوله: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] مع قوله: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [هود: ٢٠] والجواب: أن التضعيف هنا ليس على حد التضعيف في الحسنات، بل هو راجع لتضاعيف مرتكباتهم، فكان لكل مرتكب منها عذاب يخصه، فليس التضعيف من هذا الطريق على ما هو في الطريق الآخر، وإنما المراد هنا تكثيره بحسب كثرة المجترحات لأن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء

عليها بدليل سياق تلك الآية، وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٧٨-١٧٩] فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيله وبعوها عوجًا وكفروا فهذه مرتكبات عذبوا بكل مرتكب منها.

وكقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] فإن الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم السابق.

والجواب: من وجهين، أحدهما: أن للقيامه مواطن ففي بعضها يقع منهم الكذب وفي بعضها لا يقع كما سبق، والثاني: أن الكذب يكون بأقوالهم والصدق يكون من جوارحهم فيأمرها الله تعالى بالنطق فتنتطق بالصدق.

وكقوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤] مع قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والجواب: أن المراد لا تكسب شرًا ولا إثماً، بدليل سبب النزول، أو ضمن معنى «تجني» وهذه الآية [اقتصر] ^(١) فيها على الشر، والأخرى ذكر فيها الأمران ولهذا [لما] ^(٢) ذكر القسمين ذكر ما يميز أحدهما عن الآخر، وهاهنا لما كان المراد ذكر أحدهما اقتصر عليه بـ «فعل» ولم يأت بـ «افتعل» ^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] مع قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، يحكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه جمع بينهما، فحمل الآية الأولى على التوحيد، والثانية على الأعمال، والمقام يقتضي ذلك، لأنه قال بعد الأولى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقيل: بل الثانية ناسخة، قال ابن المنير: الظاهر أن قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] إنما نُسِخَ حكمه لافضله وأجره، وقد فسر النبي ﷺ ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بأن قال: «هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر» فقالوا: أينما يطبق ذلك؟ فنزلت ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ^(٤)، وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر بالعبادة بلا فتره ولا نعاس كما كانت الصلاة خمسين، ثم صارت بحسب الاستطاعة حسماً والاعتدال منزل علي هذا الاعتبار ولم ينحط من درجاته.

وقال الشيخ كمال الدين الزملاكي: وفي كون ذلك منسوخاً نظر، وقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ هو

(١) سقط من م.

(٢) سقط من م.

(٣) في المطبوع: افتل.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٦/٧) وأبو نعيم في «الحلية». (٢٣٨/٧) وابن المبارك في «الزهد» (٢٢) والحاكم (٣١٥٩) وابن جرير في «تفسيره» (٢٨/٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٩٠٨) موقوفاً، وهو صحيح.

﴿حَقَّ تَقَائِبُهُ﴾، إذ به أمر، فإن حق تقائبه الوقوف على أمره ودينه. وقد قال بذلك كثير من العلماء. انتهى.

والحديث الذي ذكره ابن المنير في تفسيره: ﴿حَقَّ تَقَائِبُهُ﴾ لم يثبت مرفوعاً، بل هو من كلام ابن مسعود [رضي الله عنه] ^(١) رواه النسائي، وليس فيه [ق/ ٨٣] قول الصحابة أينا يطيق ذلك ونزول قوله تعالى: ﴿فَأَنقُضْنَا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَمْلِكُوا فُرُجَةَ﴾ [النساء: ٣] مع قوله في أواخر السورة: ﴿وَلَكِنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْوَعْدُ عِنْدَهُ﴾ [النساء: ١٢٩] فالأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه.

والجواب: أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه، والمراد به في الثانية الميل القلبي فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض، وقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا قسمي [فيما] ^(٢) أملكك فلا تؤاخذني بما لا أملكك» ^(٣) يعني ميل القلب. وكان عمر يقول: «اللهم قلبي فلا أملكه وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل». ويمكن أن يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام. أشار إليه ابن عطية.

وقد يحتاج الاختلاف إلى تقدير فيرتفع به الإشكال كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرْمَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَاتِ﴾ [النساء: ٩٥]، ثم قال سبحانه ﴿وَقَضَى اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، والأصل في الأولى «وفضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة»، والأصل في الثانية «وفضل الله المجاهدين على القاعدين من الأصحاء درجات».

ومن ذكر أن المحذوف كذلك الإمام بدر الدين بن مالك في شرح الخلاصة في الكلام على حذف النعت ولزخمشري فيه كلام آخر.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] مع قوله: ﴿أَمْرًا مُتَرَفِّحًا فَفَسَّقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، والمعنى: أمرناهم وملكتناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا، والمراد بالأمر في الأولى أنه لا يأمر به شرعاً ولكن قضاء، لاستحالة أن يجري في ملكه ما لا يريد، وفرق بين الأمر الكوني والديني.

الثالث: لاختلافهما في جهتي الفعل كقوله تعالى: ﴿قَلَّمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) زيادة من م.

(٢) في المطبوع: في ما.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٤) والترمذي (١١٤٠) والنسائي (٣٩٤٣) وابن ماجه (١٩٧١) وأحمد (٢٤٥٨٧)

وابن أبي شيبة. (٣٧/٤) والحاكم (٢٧٦١) وهو حديث حسن.

قَتَلَهُمْ ﴿[الأنفال: ١٧] أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير، ولهذا قال الجمهور: إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى.

وكذا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] أي: ما رميت خلقاً إذ رميت كسباً وقيل: إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال، وهما بكسب الرامي، وعلى التبليغ والإصابة، وهما بفعل الله عز وجل. قال ابن جرير الطبري^(١): وهي الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد، فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك [فعل]^(٢) واحد لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم، ومن نبيه بالحذف والإرسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة، فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد، ومن الخلق الاكتساب بالقوى.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَلْزَجَالَ فَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] وقال تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر لاختلاف جهتي الفعل.

الرابع: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز كقوله: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وهو يرجع لقول المناطقة: الاختلاف بالإضافة، أي: وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة.

ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: ﴿ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، فإنه لا يلزم من نفي النظر نفي الإبصار لجواز قولهم: «نظرت إليه فلم أبصره».

الخامس: بوجهين واعتبارين وهو الجامع للمفترقات كقوله: ﴿فَصَرَكَ أَيُّومَ حَدِيدٍ﴾ [ق: ٢٢]، وقال: ﴿حَشِيعِينَ مِنَ الَّذِينَ يُنظَرُونَ مِنْ طَرَفِ حَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، قال قطرب: ﴿فَصَرَكَ﴾ أي: علمك ومعرفتك بها قوية، من قولهم: «بصر بكذا وكذا» أي: علم، وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق: ٢٢] ووصف البصر بالحدة.

وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْعِلْمَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] مع قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فقيل: يجوز أن يكون معناه: ويذركم وأهلككم إن ساغ لهم ويكون إضافة الآلهة إليه ملكاً كان يعبد في دين قومه، ثم يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى كما تقول العرب: موالي من فوق وموالي من أسفل، فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنها مملوكة له فيحسن قولهم: «وأهلكك».

(٢) سقط من م.

(١) جامع البيان (٦/٢٠٢).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَلَمَّحِينَ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] مع قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، فقد يظن أن الوجل يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى وإنما تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿تَفَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم ووقفوا به فانفضى عنهم الشك.

وكقوله: ﴿حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] وفي موضع ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر، بدليل: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].
وكقوله: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وفي آية أخرى: ﴿بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾ [ال عمران: ١٢٤]، قيل: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف، وكان الأكثر مددا للأقل، وكان «الألف مردفين» بفتحها.

وكقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وفي آية أخرى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، ولا تنافي بينهما فالأول دال على أن الأرض وما فيها خلقت قبل السماء، وذلك صحيح ثم دُحيت الأرض بعد خلق السماء، وبذلك تتفق معاني الآيات في سورة القمر، والمؤمن والنازعات.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨]، وقوله: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمْ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩-١٠] إلى قوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وذلك يبلغ ثمانية أيام والجواب أن المراد بقوله: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] إلى قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠] مع اليومين المتقدمين ولم يرد بذكر «الأربعة» غير ما تقدم ذكره، وهذا كما يقول الفصحح: «سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام»، «وسرت إلى الكوفة في ثلاثة عشر يوماً» ولا يريد سوى العشرة، بل يريد مع العشرة ثلاثة، ثم قال تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] وأراد سوى الأربعة، وذلك لا مخالفة فيه لأن المجموع يكون ستة.

ومنه قوله تعالى في السجدة ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]، بلفظ «الذي» على وصف العذاب، وفي سبأ ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي﴾ [سبأ: ٤٢] بلفظ «التي» على وصف النار، وفيه أربعة أوجه، أحدها: أنه وصف العذاب في السجدة لوقوع «النار» موقع الضمير الذي لا يوصف، وإنما وقعت موقع الضمير لتقدم إضمارها مع قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا

أُعِيدُوا فِيهَا» [السجدة: ٢٠] فحق الكلام: «وقيل لهم ذوقوا عذابها»، فلما وضعها موضع المضمرة الذي لا يقبل الوصف عدل إلى وصف العذاب وأما في «سبأ» فوصفها لعدم المانع من وصفها. [ق/ ٨٤] والثاني: أن «الذي» في السجدة وصف النار أيضاً وذكر حملاً على معنى الجحيم والحريق. والثالث أن الذي في «السجدة» في حق من يقر بالنار، ويجحد العذاب، وفي «سبأ» في حق من يجحد أصل النار. والرابع: أنه إنما وصف العذاب في السجدة لأنه لما تقدم ذكر النار مضمراً ومظهراً عدل إلى وصف العذاب ليكون تلويناً للخطاب، فيكون أنشط للسامع بمنزلة العدول من الغيبة إلى الخطاب.

ومنه قوله تعالى: «تَوَفَّتْ رُسُلَنَا»، وقوله: «تَوَفَّنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ»، وبين قوله: «قُلْ يَتَوَفَّنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ» [السجدة: ١١]، وبين قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ» [الزمر: ٤٢]، «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُم بِالْأَيْلِ» [الأنعام: ٦٠]، وجمع البغوي بينها، لأن توفي الملائكة بالقبض والتزعم، وتوفي ملك الموت بالدعاء والأمر يدعو الأرواح فتجيبه، ثم يأمر أعوانه بقبضها وتوفي الله سبحانه خلق الموت فيه.

ومنه قوله تعالى في البقرة «فَاتَّقُوا النَّارَ» وفي سورة التحريم «نَارًا» بالتشكير لأنها نزلت بمكة قبل آية البقرة، فلم تكن النار التي وقودها الناس والحجارة معروفة فنكرها ثم نزلت آية البقرة بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً.

وقال في سورة البقرة «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا» [البقرة: ١٢٦]، وفي سورة إبراهيم: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» [إبراهيم: ٣٥]، لأنه في الدعوة الأولى كان مكاناً فطلب منه أن يجعله بلداً آمناً، وفي الدعوة الثانية كان بلداً غير آمن فعرفه وطلب له الأمن، أو كان بلداً آمناً وطلب ثبات الأمن ودوامه وكون سورة البقرة مدنية وسورة إبراهيم مكية لا ينافي هذا، لأن الواقع من إبراهيم كونه على الترتيب المذكور، والإخبار عنه في القرآن على غير ذلك الترتيب. أو لأن المكي منه ما نزل قبل الهجرة فيكون المدني متأخراً عنها، [ومنه ما نزل بعد فتح مكة فيكون متأخراً عن المدني] ^(١) فلم قلت: إن سورة إبراهيم من المكي الذي نزل قبل الهجرة.

فصل في الإجابة عن بعض الاستشكالات

ومما استشكلوه قوله تعالى: «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَسَتَفَرُّوهُ رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا» [الكهف: ٥٥]، فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشئتين، وقد قال تعالى في الآية الأخرى «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا» [الإسراء: ٩٤] فهذا حصر في ثالث غيرهما.

وأجاب ابن عبد السلام: بأن معنى الآية وما منع الناس أن يؤمنوا، إلا إرادة أن تأتيهم سنة من الخسف

(١) سقط من م.

وغيره ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَبُلا﴾ [الكهف: ٥٥] في الآخرة، فأخبر أنه [أراد] ^(١) أن يصيبهم أحد الأمرين، ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي المراد، فهذا حصر في السبب الحقيقي، لأن الله هو المانع في الحقيقة ومعنى الآية الثانية ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ [الإسراء: ٩٤] إلا استغراب بعثه بشراً رسولاً، لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان لأنه يصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام، وهو المناسب للمانعية واستغرابهم ليس مانعاً حقيقياً بل عادياً لجواز خلو الإيمان معه بخلاف إرادة الله تعالى، فهذا حصر في المانع العادي والأولى حصر في المانع الحقيقي فلا تنافي. انتهى.

وقوله: (ليس مانعاً من الإيمان) فيه نظر، لأن إنكارهم بعثه بشراً رسولاً كفر مانع من الإيمان وفيه تعظيم لأمر النبي ﷺ، وإن إنكارهم بعثته مانع من الإيمان.

فصل في وقوع التعارض بين الآية والحديث

وقد يقع التعارض بين الآية والحديث، ولا بأس يذكر شيء للتنبية لأمثاله، فمنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقد صح أنه شج يوم أحد ^(٢) وأجيب بوجهين:

أحدهما: أن هذا كان قبل نزول هذه الآية، لأن غزوة أحد كانت سنة ثلاث من الهجرة وسورة المائدة من أواخر ما نزل بالمدينة.

والثاني: [بتقدير] ^(٣) تسليم الأخير، فالمراد العصمة من القتل، وفيه تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء فما أشد تكليف الأنبياء.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَمَلُّونَ﴾ [النحل: ٣٢] مع قوله ﷺ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» ^(٤).

وأجيب بوجهين:

أحدهما: ونقل عن سفيان وغيره كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمة، وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال. ويدل له حديث أبي هريرة «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم» ^(٥) رواه الترمذي.

والثاني: أن الباء في الموضعين مدلولها مختلف ففي الآية باء المقابلة، وهي الداخلة على الأعراض

(١) سقط من م.

(٢) في م: تقديم.

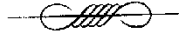
(٣) أخرجه مسلم (١٧٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٤٩) ومسلم (٢٨١٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وابن حبان (٧٤٣٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٤١/٣) وتمام

في «الفوائد» (١٥٨٦). ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٤٧٢).

وفي الحديث للسببية لأن المعطي يعوض قد يعطي مجاناً، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب ومنهم من عكس هذا الجواب وقال: الباء في الآية للسببية، وفي الحديث للعووض وقد جمع النبي ﷺ بقوله «سددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(١) ومنه قوله تعالى مخبراً عن [خلق]^(٢) السموات والأرض وما بينهما ﴿في ستة أيام﴾ [الأعراف: ٥٤] فإنه يقتضي أن يكون يوماً من أيام الجمعة [بقي لم يخلق فيه شيء، والظاهر من الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتداء يوم الأحد وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء]^(٣)، فهذا يستقيم مع الآية الشريفة، ووقع في صحيح مسلم أن الخلق ابتداء يوم السبت^(٤) فهذا بخلاف الآية، اللهم إلا أن يكون أراد في الآية الشريفة جميع الأشياء غير آدم، ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يخلق فيه شيء مما بين السماء والأرض لأن آدم حيثئذ لم يكن فيما بينهما.



(١) تقدم.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧).

النوع الساس والاشابه

معرفة المحكم من المتشابه

قال الله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، قيل: ولا يدل على الحصر في هذين الشيتين، فإنه ليس فيه شيء من الطرق الدالة عليه، وقد قال: ﴿ لَتَشِينَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ الْبَيْتَ ﴾ [الحل: ٤٤] والمتشابه لا يرجى بيانه، والمحكم لا توقف معرفته على البيان.

وقد حكى الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ ﴾ [هود: ١].

والثاني: كله متشابه لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣].

والثالث: وهو الصحيح أن منه محكمًا، ومنه متشابهًا لقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فأما المحكم: فأصله لغة: المنع^(١)، تقول: أحكمت بمعنى رددت، ومنعت، والحاكم لمنعه الظالم من الظلم، وحكمة اللجام هي التي تمنع الفرس من الاضطراب.

وأما في الاصطلاح: فهو ما أحكمته بالأمر والنهي، وبيان الحلال والحرام.

وقيل: هو مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقيل: هو الذي لم ينسخ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَآ حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبِّيكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . . . ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات وهي سبعة عشر حكمًا مذكورة في سورة الأنعام، وفي سورة بني إسرائيل.

وقيل: هو الناسخ.

وقيل: الفرائض والوعد والوعيد.

وقيل الذي وعد عليه ثوابًا أو عقابًا.

وقيل: الذي تأويله تنزيهه يجعل القلوب تعرفه عند سماعه كقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

(١) لسان العرب (١٨/١٤٢-١٤٣).

وقيل: ما لا يحتمل في التأويل إلا وجهًا واحدًا.

وقيل: ما تكرر لفظه.

وأما المتشابه فأصله أن يشتهب اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي متفق المناظر، مختلف الطعوم، ويقال للغامض: متشابه لأن جهة الشبه فيه كما تقول لخروف التهجي، والمتشابه مثل المشكل، لأنه أشكل [ق/ ٨٥] أي دخل في شكل غيره وشاكله واختلفوا فيه فقيل: هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضًا وقيل: هو المنسوخ الغير المعمول به وقيل: القصص والأمثال. وقيل: ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه وقيل: فواتح السور. وقيل: ما لا يُدرى إلا بالتأويل ولا بد من صرفه إليه كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، و﴿عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وقيل: الآيات التي يذكر فيها وقت الساعة ومجيء الغيث، وانقطاع الآجال، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقيل: ما يحتمل وجوهاً والمحكم ما يحتمل وجهًا واحدًا. وقيل: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره، وقيل غير ذلك وكلها متقارب.

وفصل الخطاب في ذلك: أن الله سبحانه قسم الحق بين عباده، فأولاهم بالصواب من عبر بخطابه عن حقيقة المراد قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] أي: على لسانك وألسنة العلماء من أمتك، وكلام السلف راجع إلى المشتبه بوجه لا إلى المقصود المعبر عنه بالمتشابه في خطابه، لأن المعاني إذا دقت تداخلت وتشابهت على من لا علم له بها، كالأشجار إذا تقارب بعضها من بعض تداخلت أمثالها واشتهبت، أي: على من لم يمعن النظر في البحث عن منبعث كل فن منها قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] إلى قوله: ﴿مُتَشَبِهًا﴾ وهو على اشتباكه غير متشابه وكذلك سياق معاني القرآن العزيز، قد تقارب المعاني ويتقدم الخطاب بعضه على بعض، ويتأخر بعضه عن بعض لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود فتشبتك المعاني وتشكل إلا على أولي الأبواب، فيقال في هذا الفن متشابه بعضه ببعض، وأما المتشابه من القرآن العزيز فهو يشابه بعضه بعضًا في الحق والصدق، والإعجاز، والبشارة والندارة، وكل ما جاء به وأنه من عند الله [فدم] ^(١) سبحانه الذين يتبعون ما تشابه منه عليهم افتتانًا وتضليلًا، فهم بذلك يتبعون ما تشابه عليهم تناصرًا وتعاضدًا للفتنة، والإضلال.

تفريعات

الأول: الأشياء التي يجب ردها عند الإشكال إلى أصولها.

فيجب رد التشابهات في الذات والصفات إلى محكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]

(١) سقط من م.

ورد التشابهات في الأفعال إلى قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] . وكذلك الآيات الموهمة نسبة الأفعال لغير الله تعالى من الشيطان والنفس، ترد إلى محكم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصَلِّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَافِيًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وما كان من ذلك عن تنزل الخطاب أو ضرب مثال أو عبارة عن مكان أو زمان^(١) أو معية أو ما يوهم التشبيه، فمحكم ذلك قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] ، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] .

ومنه ضرب في تفصيل ذكر النبوة ووصف إلقاء الوحي، ومحكمه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣] .

ومنه ضرب في الحلال والحرام، ومن ثم اختلف الأئمة في كثير من الأحكام بحسب فهمهم لدلالة القرآن .

ومنه شيء يتقارب فيه بين اللتين: لمة الملك ولة الشيطان لعنه الله، ومحكم ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . . .﴾ [النحل: ٩٠] الآية، ولهذا قال عقبه: ﴿يَعْظَمُكُمْ لَمَلَكُكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] أي: عندما يلقي العدو الذي لا يأمر بالخير بل بالشرا والإلباس .

ومنه الآيات التي اختلف المفسرون فيها على أقوال كثيرة تحتملها الآية ولا يقطع على واحد من الأقوال، وأن مراد الله منها غير معلوم لنا مفصلاً بحيث يقطع به .

الثاني: أن هذه الآية من التشابه أعني قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مُتَشَابِهَاتٌ . . .﴾ الآية من حيث تردد الوقف فيها بين أن يكون على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وبين أن يكون على ﴿وَالرَّسُوحُونَ فِي الْمَاءِ يَقُولُونَ مَائِنًا يَوْمَ﴾ [آل عمران: ٧] وتردد الواو في ﴿وَالرَّسُوحُونَ﴾ بين الاستئناف والعطف ومن ثم ثار الخلاف في ذلك .

فمنهم من رجح أنها للاستئناف، وأن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وأن الله تعبد من كتابه بما لا يعلمون . وهو التشابه . كما تعبدهم من دينه بما لا يعقلون - وهو التعبدات - ولأن قوله: ﴿يَقُولُونَ مَائِنًا يَوْمَ﴾ [آل عمران: ٧] متردد بين كونه حالاً فضلاً وخبراً عمدة .

والثاني أولى .

ومنهم: من رجح أنها للعطف . لأن الله تعالى لم يكلف الخلق بما لا يعلمون، وضعف الأول لأن الله لم ينزل شيئاً من القرآن إلا ليتنفع به عباده، ويدل به على معنى أراد فلو كان التشابه لا يعلمه غير الله للزمنا ولا يسوغ لأحد أن يقول: إن رسول الله ﷺ لم يعلم التشابه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله: ﴿وَمَا يَعْظَمُكُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته

(١) سقط من م .

والمفسرون من أمته، ألا ترى أن ابن عباس كان يقول: أنا من الراسخين في العلم، ويقول عند قراءة قوله في أصحاب الكهف ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]: أنا من أولئك القليل.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [ال عمران: ٧]: يعلمونه ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ [ال عمران: ٧]، ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ من التشابه إلا أن يقولوا: ﴿ءَأَمَّنَّا﴾ لم يكن لهم فضل على الجاهل، لأن الكل قائلون ذلك، ونحن لم نر المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن، فقالوا هو متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أمره على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة.

فإن قيل: كيف يجوز في اللغة أن يعلم الراسخون والله يقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ [ال عمران: ٧] وإذا أشركهم في العلم انقطعوا عن قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ لأنه ليس هنا عطف حتى يوجب للراسخين فعلين؟

قلنا: إن ﴿يَقُولُونَ﴾ هنا في معنى الحال، كأنه قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [ال عمران: ٧] قائلين آمنة كما قال الشاعر^(١):

الريح تبكي شجوها والبرق [يلمع]^(٢) في غمامه
أي: لامعاً.

وقيل: المعنى (يعلمون ويقولون) فحذف واو العطف كقوله: ﴿رُجُوعٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] والمعنى: يقولون علمنا وآمنة، لأن الإيمان قبل العلم محال، إذ لا يتصور الإيمان مع الجهل، وأيضاً لو لم يعلموها لم يكونوا من الراسخين، ولم يقع الفرق بينهم وبين الجهال.

الثالث: ومن هذا الخلاف نشأ الخلاف في أنه هل في القرآن شيء لا تعلم الأمة تأويله؟ قال الراغب في مقدمة تفسيره: وذهب [عامه]^(٣) المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوماً، وإلا لأدى إلى إبطال فائدة الانتفاع به وحلوا قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ بالعطف على قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ جملة حالية.

قال: ذهب كثير من المفسرين إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعض ما لا يعلم تأويله إلا الله، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام، ووجه لا يسع أحد جهالته، ووجه تعرفه العرب، ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله.

وقال بعضهم: التشابه اسم لمعنيين:

(١) هو ابن مفرغ الحميري.

(٢) في بعض الروايات: يضحك.

(٣) سقط من م.

أحدهما: لما التبس من المعنى لدخول شبهة بعضه في بعض، نحو قوله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا...﴾ [البقرة: ٧٠] الآية [ق/ ٨٦].

والثاني: اسم لما يوافق بعضه بعضًا وصدقه قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا...﴾ [الزمر: ٢٣] الآية.

فإن كان المراد بالمتشابه في القرآن الأول، فالظاهر أنه لا يمكنهم الوصول إلى مراده، وإن جاز أن يطلعهم عليه بنوع من لطفه، لأنه اللطيف الخبير. وإن كان المراد الثاني جاز أن يعلموا مراده.

الرابع: قيل: ما الحكمة في إنزال المتشابه من أراد لعباده البيان والهدى؟ قلنا: إن كان ممن يمكن علمه فله فوائد:

منها: ليحث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه، والبحث عن دقائق معانيه، فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب، وحذرا عما قال المشركون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ولیمتحنهم ويشبههم كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ الآية [الروم: ٢٧]، وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [يونس: ٤] فنبههم على أن أعلى المنازل هو الثواب، فلو كان القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويل، لسقطت المحنة وبطلت التفاضل، واستوت منازل الخلق ولم يفعل الله ذلك، بل جعل بعضه محكمًا ليكون أصلا للرجوع إليه، وبعضه متشابهًا يحتاج إلى الاستنباط والاستخراج ورده إلى المحكم، ليستحق بذلك الثواب الذي هو الغرض، وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَخْلِفُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

ومنها: إظهار فضل العالم على الجاهل، ويستدعيه علمه إلى المزيد في الطلب في تحصيله ليحصل له درجة الفضل، والأنفس الشريفة تتشوف لطلب العلم وتحصيله.

وأما إن كان ممن لا يمكن علمه فله فوائد:

منها: إنزاله ابتلاء وامتحانًا بالوقف فيه والتعبد بالاشتغال من جهة التلاوة، وقضاء فرضها، وإن لم يقفوا على ما فيها من المراد الذي يجب العمل به، اعتبارًا بتلاوة المنسوخ من القرآن وإن لم يجز العمل بما فيه من المحكم، ويجوز أن يمتحنهم بالإيمان [وإن لم يفصوا على حقيقة المراد فيكون هذا نوع امتحان، وفي ذلك هدم للمذهب الاعتزالي] ^(١) بها حيث ادعوا وجوب رعاية [الأصلح] ^(٢).

ومنها: إقامة الحججة بها عليهم، وذلك إنما نزل بلسانهم ولغتهم، ثم عجزوا عن الوقوف على ما فيها مع بلاغتهم وإفهامهم، فيدل على أن الذي أعجزهم عن الوقوف هو الذي أعجزهم عن تكرار الوقوف عليها وهو الله سبحانه.

(٢) في م: الأصل.

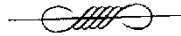
(١) سقط من المطبوع.

الخامس: أثار بعضهم سؤالاً وهو: هل للمحكم مزية على المتشابه بما يدل عليه، أو هما سواء؟ والثاني خلاف الإجماع، والأول ينقض أصلكم أن جميع كلامه سبحانه سواء وأنه نزل بالحكمة! . وأجاب أبو عبد الله محمد بن أحمد البكري اباذي: بأن المحكم كالمتشابه من وجه، ويخالفه من وجه فيتفقان في أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع، وأنه لا يختار القبيح، ويختلفان في أن المحكم يوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد، فمن سمعه أمكنه أن يستدل به في الحال، والمتشابه يحتاج إلى ذكر مبتدأ، ونظر مجدد عند سماعه ليحمله على الوجه المطابق؟ ولأن المحكم أصل والعلم بالأصل أسبق، ولأن المحكم يعلم مفصلاً والمتشابه لا يعلم إلا مجملاً.

فإن قيل: إذا كان المحكم بالوضع كالمتشابه، وقد قلتم: إن من حق هذه اللغة أن يصح فيها الاحتمال، ويسوغ التأويل فبماذا يميز المحكم في أنه لا بد له من مزية، سيما والناس قد اختلفوا فيهما كاختلافهم في المذاهب، فالمحكم عند السني متشابه عند القَدْرِي؟

فالجواب: أن الوجه الذي أوردته يلجئ إلى الرجوع إلى العقول، فيما يتعلق بالتفريد والتنزيه فإن العلم بصحة خطابه يفتقر إلى العلم بحكمته، وذلك يتعلق بصفاته، فلا بد من تقدم معرفته ليصح له مخرج كلامه، فأما في الكلام فيما يدل على الحلال والحرام فلا بد من مزية للمحكم، وهو أن يدل ظاهره على المراد أو يقتضي بانضمامه أنه مما لا يحتمل الوجه الواحد.

وللمحكم في باب الحجاج عند غير المخالف مزية، لأنه لا يمكن أن يبين له أنه مخالف للقرآن، وأن ظاهر المحكم يدل على خلاف ما ذهب إليه وإن تمسك بمتشابه القرآن، وعدل عن محكمه [كما] ^(١) أنه تمسك بالشبه العقلية، وعدل عن الأدلة السمعية، وذلك لطف وبعث على النظر لأن المخالف المتدين يؤثر ذلك ليتفكر فيه ويعمل، فإن اللغة وإن توقفت محتملة ففيها ما يدل ظاهره على أمر واحد وإن جاز صرفه إلى غيره بالدليل، ثم يختلف فيه ما يكره صرفه لاستبعاده في اللغة.



(١) في المطبوع: لما .

النوع السابع والثلاثون

في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق:
أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تجري على ظاهرها، ولا تؤول شيئاً منها وهم المشبهة.
والثاني: أن لها تأويلاً ولكننا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل، ونقول: لا يعلمه
إلا الله وهو قول السلف.

والثالث: أنها مؤولة وألوهها على ما يليق به.

والأول باطل، والأخيران منقولان عن الصحابة فنقل الإمساك عن أم سلمة أنها سئلت عن الاستواء؟ فقالت: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة^(١). وكذلك سئل عنه مالك فأجاب بما قالته أم سلمة، إلا أنه زاد فيها أن من عاد إلى هذا السؤال عنه أضرب عنقه. وكذلك سئل سفيان الثوري؟ فقال: [أفهم]^(٢) من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] [ما أفهم من قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]. وسئل الأوزاعي عن تفسير هذه الآية؟ فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كما قال: [٣] وإني لأراك ضالاً. وسئل ابن راهويه عن الاستواء أقاتم هو أم قاعد؟ فقال: لا يمل القيام حتى يقعد، ولا يمل القعود حتى يقوم وأنت إلى غير هذا السؤال أحوج.

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها، وإياها اختار

(١) أخرجه اللالكائي (٦٦٣) والصابوني في «عقيدة السلف» (١٠٠/١) وابن قدامة في «العلو» (٨٢) وفيه محمد بن أشرس وهو ضعيف جداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة -رضي الله عنها- موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. «مجموع الفتاوى» (٣٦٥/٥).

وأما ما روى عن مالك في ذلك فقد أخرجه اللالكائي (٦٦٤) والصابوني في «عقيدة السلف» (١١٠/١) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٥/٦) من طريق سلمة بن شبيب عن مهدي بن جعفر بن جعفر بن عبد الله عن مالك. وهذا إسناد ضعيف، فإن مهدي بن جعفر قال عنه البخاري: إنه منكر الحديث.

وأخرجه أيضاً الصابوني في «عقيدة السلف» (١١٠/١) وفيه جعفر بن ميمون ضعيف.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/٤٠٨) وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف أيضاً.

(٣) سقط من م.

(٢) سقط من م.

أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها. وأفصح الغزالي عنهم في غير موضع بتهجين ما سواها حتى ألجم آخرًا في إلجامه كل عالم أو عامي عما عداها. قال: وهو كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام»^(١) آخر تصانيف الغزالي مطلقًا أو آخر تصانيفه في أصول الدين، حث فيه على مذاهب السلف ومن تبعهم.

ومن نقل عنه التأويل: علي، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم.

وقال الغزالي في كتاب «التفرقة بين الإسلام والزندقة»^(٢): إن الإمام أحمد أول في ثلاثة مواضع، وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين.

قلت: وقد حكى ابن الجوزي^(٣) عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: وهل هو إلا أمره بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣].

واختار ابن برهان وغيره من الأشعرية التأويل قال: ومنشأ الخلاف بين الفريقين أنه هل يجوز في القرآن شيء لا يعلم معناه؟ فعندهم يجوز فلهذا منعوا التأويل، واعتقدوا التنزيه على ما يعلمه الله. وعندنا لا يجوز ذلك، بل الراسخون يعلمونه.

قلت: وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة التشابه، والجسمية في حق البارئ تعالى، والخوض في مثل هذه الأمور خطره عظيم وليس بين المعقول والمنقول تغاير في الأصول، بل التغاير إنما [يكون]^(٤) في الألفاظ واستعمال المجاز لغة العرب [ق/ ٨٧]، وإنما قلنا: لا تغاير بينهما في الأصول لما علم بالدليل أن العقل لا يكذب ما ورد به الشرع، إذ لا يرد الشرع بما لا يفهمه العقل، إذ هو دليل الشرع وكونه حقًا، ولو تُصوّر كذب العقل في شيء لتصور كذبه في صدق الشرع، فمن طالت ممارسته العلوم وكثر خوضه في بحورها أمكنه التلقيق بينهما، لكنه لا يخلو من أحد أمرين إما تأويل يبعد عن الأفهام، أو موضع لا يتبين فيه وجه التأويل، لقصور الأفهام عن إدراك الحقيقة والطمع في تلفيق كل ما يرد مستحيل المرام والمرد إلى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [النورى: ١١].

ونحن نجري في هذا الباب على طريق [المؤولين]^(٥) حاكين كلامهم.

فمن ذلك، صفة الاستواء فحكى: مقاتل والكلبي عن ابن عباس أن استوى: بمعنى استقر، وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم.

(٢) (ص/ ٤٣).

(١) هذا الكتاب مطبوع متداول.

(٣) عبارة ابن الجوزي: «المراد به قدرته وأمره»، وهو قول ابن عباس والحسن. زاد المسير (٤/ ٤٤٤).

(٥) في م: المتأولين.

(٤) في م: يقع.

وعن المعتزلة بمعنى استولى وقهر ورُدُّ بوجهين :

أحدهما : بأن الله تعالى مستول على الكونين ، والجنة والنار وأهلها فأى فائدة في تخصيص العرش؟!

الثاني : أن الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى منزّه عن ذلك . قاله ابن الأعرابي ^(١) . وقال أبو عبيد بمعنى : صعد . ورُدُّ بأنه يوجب هبوطاً منه تعالى حتى يصعد ، وهو منفي عن الله .

وقيل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فجعل (علا) فعلاً لا حرفاً ، حكاه الأستاذ إسماعيل الضرير في تفسيره ورُدُّ بوجهين :

أحدهما : أنه جعل الصفة فعلاً ومصاحف أهل الشام ، والعراق ، والحجاز قاطعة بأن على هنا حرف ، ولو كان فعلاً لكتبوها باللام ألف كقوله : ﴿ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] . والثاني : أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء .

وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [طه : ٥] ، ثم ابتدأ بقوله : ﴿ اسْتَوَى ﴾ لَمْ مَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [طه : ٥-٦] وهذا ركيك يزيل الآية عن نظمها ومرادها .

قال الأستاذ : والصواب ما قاله القراء ^(٢) ، والأشعري ، وجاعة من أهل المعاني إن معنى قوله ﴿ اسْتَوَى ﴾ أقبِل على خلق العرش ، وعمد إلى خلقه فسماه : استواء ، كقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [نفلك : ١١] ، أي : قصد وعمد إلى خلق السماء . فكذا ها هنا قال : وهذا القول مرضي عند العلماء ليس فيه تعطيل ولا تشبيه .

قال الأشعري : ﴿ عَلَى ﴾ هنا بمعنى «في» [كما قال تعالى : ﴿ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ومعناه أحدث الله في العرش فعلاً سماه استواء ، كما فعل فعلاً سماه فضلاً ونعمة ^(٣) قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلْيَمَنَ وَرَبِّنَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ ﴿ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِغْمَةً ﴾ [الحجرات : ٧-٨] فسمى التحبيب والتكريه فضلاً ونعمة . وكذلك قوله : ﴿ فَأَنبَأَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] أي فخرَّب الله بنيانهم . وقال : ﴿ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] أي قصدهم . وكما أن التخريب والتعذيب سماهما إتياناً ، فكذلك أحدث فعلاً بالعرش سماه استواء .

قال : وهذا قول مرضي عند العلماء لسلامته من التشبيه والتعطيل وللعرش خصوصية ليست

(١) انظر «اعتقاد أهل السنة» (٦٦٦) .

(٣) سقط من م .

(٢) معاني القرآن (٢٥/١) .

لغيره من المخلوقات، لأنه أول خلق الله وأعظم، والملائكة حاقون به، ودرجة الوسيلة متصلة به وأنه سقف الجنة وغير ذلك (١).

وقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ قيل: النفس هاهنا الغيب، تشبيهاً له بالنفس لأنه مستتر كالنفس. قوله: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [ال عمران: ٢٨] أي عقوبته وقيل: يحذركم الله إياه. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] اختار البيهقي معناه: أنه المعبود في السماوات والأرض مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وهذا القول هو أصح الأقوال، وقال الأشعري في (الموجز): ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٣] أي عالم بما فيهما. وقيل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: ٣] جملة تامة ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٣] كلام آخر، وهذا قول المجسمة، واستدللت الجهمية بهذه الآية على أنه تعالى في كل مكان، وظاهر ما فهموه من الآية من أسخف الأقوال.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] قيل: استعار الواو موضع الباء لمناسبة بينهما في معنى الجمع إذ الباء موضوعة للإلصاق وهو جمع، والواو موضوعة للجمع، والحروف ينوب بعضها عن بعض وتقول عرفاً: جاء الأمير بالجيش، إذا كان مجيؤهم مضافاً إليه بتسليطه أو بأمره، ولا شك أن الملك إنما يجيء بأمره على ما قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْلِكُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، فصار كما لو صرح به وقال: جاء الملك بأمر ربك، وهو كقوله: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤] أي: اذهب أنت بربك أي: بتوفيق ربك وقوته، إذ معلوم أنه إنما يقاتل بذلك من حيث صرف الكلام إلى المفهوم في العرف. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْتَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال قتادة: عن شدة. وقال إبراهيم النخعي أي: عن أمر عظيم قال الشاعر:

وقامت الحرب عن ساق

وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة ويحْد فيه شمر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة.

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] قال اللغويون: معناه ما فرطت في طاعة الله وأمره، لأن التفريط لا يقع إلا في ذلك، والجنب المعهود من ذوي الجوارح لا يقع فيه تفريط البتة، فكيف يجوز وصف القديم سبحانه بما لا يجوز؟.

قوله تعالى: ﴿سَفَرُكُمْ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، فرغ يأتي بمعنى قطع شغلاً، أنفرغ لك أي أقصد قصدك، والآية منه أي سنقصد لعقوبتكم ونحكم جزاءكم.

(١) المذهب الراجح والذي ندين لله عز وجل به في هذه المسألة هو مذهب السلف وهو ما روي عن مالك وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] إن قيل: لأي علة نسب الظن إلى الله وهو شك؟
قيل: فيه جوابان:

أحدهما: أن يكون الظن لفرعون وهو شك لأنه قال قبله ﴿فَأَطَّعَ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَى﴾ [غافر: ٣٧] وإني لأظن موسى كاذبًا فالظن على هذا لفرعون.

والثاني: أن يكون تم الكلام عند قوله: ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّعَ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] على معنى: وإني لأعلمه كاذبًا فإذا كان الظن لله كان علمًا ويقينًا، ولم يكن شكًا كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً﴾ [العنقبة: ٢٠].

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لم يرد سبحانه بنفي النوم، والسنة عن نفسه إثبات اليقظة والحركة، لأنه لا يقال لله تعالى: يقظان ولا نائم لأن اليقظان لا يكون إلا عن نوم ولا يجوز وصف القديم به، وإنما أراد بذلك نفي الجهل والغفلة كقوله: ما أنا عنك بغافل.

قوله تعالى: ﴿لِيَا خَلْقْتُ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] قال السهيلي: اليد في الأصل كالمصدر، عبارة عن صفة لموصوف، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار في قوله: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] ولم يمدحهم بالجوارح، لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر، قال: وإذا ثبت هذا فصح قول الأشعري: إن اليدين في قوله تعالى: ﴿لِيَا خَلْقْتُ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] صفة ورد بها الشرع، ولم يقل إنها في معنى القدرة كما قال المتأخرون من أصحابه، ولا بمعنى النعمة، ولا قطع بشيء من التأويلات تحزرًا منه عن مخالفة السلف، وقطع بأنها صفة تحزرًا عن مذاهب المشبهة.

فإن قيل: وكيف خوطبوا بما لا يعلمون إذ اليد بمعنى الصفة لا يعرفونه، ولذلك لم يسأل أحد منهم عن معناها، ولا خاف على نفسه توهم التشبيه، ولا احتاج إلى شرح وتنبية، وكذلك الكفار، لو كان لا يعقل عندهم إلا في الجارحة لتعلقوا بها في دعوى التناقض، واحتجوا بها على الرسول [ق/ ٨٨] ولقالوا: زعمت أن الله ليس كمثل شيء ثم تخبر أن له يداً ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر، علم أن الأمر عندهم كان جليلاً لا خفاء به، لأنها صفة سميت الجارحة بها مجازاً ثم استمر المجاز فيها حتى نسيت الحقيقة، ورُبَّ مجاز كثير استعمل حتى نسي أصله، وتركت صفته والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص، والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشيئة، فاليد أخص من معنى القدرة ولذا كان فيها تشريف لازم.

وقال البغوي في تفسير^(١) قوله تعالى: ﴿لِيَا خَلْقْتُ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥]: في تحقيق الله التثنية في اليد، دليل على أنه ليس بمعنى النعمة [والقوة]^(٢) والقدرة وإنما هما صفتان من صفات ذاته، قال

(٢) سقط من م.

(١) (ص/ ٦٩).

مجاهد: اليد هاهنا: بمعنى التأكيد والصلة مجازه ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ كقوله: ﴿وَبَدَّيْنِي وَجْهَ رَبِّكَ﴾ قال البغوي: وهذا تأويل غير قوي؛ لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول: إن كنت خلقتك فقد خلقتني، وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على إبليس. وأما قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا عَلَّمَتْ أُدْرِيَّتَا﴾ [يس: ٧١] فإن العرب تسمى الاثنين جمعاً كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِخْمَانٍ أَخْضَمُونَ﴾ [الحج: ١٩].
وأما العين في الأصل فهي صفة ومصدر لمن قامت به، ثم عبر عن حقيقة الشيء بالعين قال: وحيث إذ إضافة للبارئ في قوله: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلِيٍّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] حقيقة - لا مجاز كما توهم أكثر الناس - لأنه صفة في معنى الرؤية والإدراك، وإنما المجاز في تسمية العضو بها، وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم، فلا يضاف إلى البارئ سبحانه لا حقيقة ولا مجازاً.

قال السهيلي^(١): ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلِيٍّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] بحرف ﴿عَلِيٍّ﴾ وقال: ﴿تَجَرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] وما الفرق؟ والفرق: أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوناً، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يُغذون ويصنعون شراً، فلما أراد أن يصنع موسى ويُغذى ويُربى على جلي آمن وظهور أمر لا تحت خوف واستسرار دخلت ﴿عَلِيٍّ﴾ في اللفظ تنبيهاً على المعنى لأنها تعطي معنى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء، فكانه سبحانه يقول: ولتصنع على آمن لا تحت خوف، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلأ، وأما قوله: ﴿تَجَرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] فإنه إنما يريد في رعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كنتم فلم يحتاج الكلام إلى معنى (على).

ولم يتكلم السهيلي على حكمة الأفراد في قصة موسى، والجمع في الباقي وهو سر لطيف، وهو إظهار الاختصاص الذي خص به موسى في قوله: ﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] فاقتضى الاختصاص الآخر في قوله: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلِيٍّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، بخلاف قوله: ﴿تَجَرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، فليس فيه من الاختصاص ما في صنع موسى على عينه سبحانه.

قال السهيلي رحمه الله: وأما النفس فعبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد، وقد استعمل من لفظها النفاسة والشيء النفيس، فصلحت للتعبير عنه سبحانه؛ بخلاف ما تقدم من الألفاظ المجازية.

وأما الذات فقد استوى أكثر الناس بأنها معنى النفس والحقيقة، ويقولون: ذات البارئ هي نفسه، ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته، ويحتجون بقوله ﷺ في قصة إبراهيم: «ثلاث كذبات كلهن في ذات الله»^(٢).

قال: وليست هذه اللفظة إذا استقرتها في اللغة والشريعة كما زعموا وإلا لقليل: عبدت

(١) الروض الأنف (١١/٣) بمعناه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) بلفظ: «ثنتين في ذات الله».

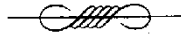
ذات الله واحذر ذات الله، وهو غير مسموع ولا يقال إلا بحرف في المستحلّ معناه في حق البارئ تعالى، لكن حيث وقع فالمراد به الديانة والشريعة التي هي ذات الله، فذات وصف للديانة هذا هو المفهوم من كلام العرب، وقد بان غلط من جعلها عبارة عن نفس ما أضيف إليه، ومنه إطلاق العجب على الله تعالى في قوله: «بل عجبٌ» على قراءة حمزة والكسائي^(١) بضم التاء على معنى: أنهم قد حلوا محل من يتعجب منهم.

قال الحسين بن الفضل: العجب من الله تعالى إنكار الشيء وتعظيمه، وهو لغة العرب وفي الحديث: «عجب ربكم من [إلكم]^(٢) وقنوطكم» وقوله: «إن الله يعجب من الشاب إذا لم يكن له صبوة»^(٣).

قال البغوي^(٤): وسمعت أبا القاسم النيسابوري قال: سمعت أبا عبد الله البغدادي يقول: سئل الجنيد عن هذه الآية؟ فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله فقال: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجِّبْ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] أي: هو كما يقوله.

فائدة

كل ما جاء في القرآن العظيم من نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] أو ﴿تَتَّقُونَ﴾ أو ﴿تَشْكُرُونَ﴾ فالمعتزلة يفسرونه بالإرادة، لأن عندهم أنه تعالى لا يريد إلا الخير ووقوع الشر على خلاف إرادته، وأهل السنة يفسرونه بالطلب لما في الترجي من معنى الطلب، والطلب غير الإرادة على ما تقرر في الأصول، فكأنه قال: كونوا متقين أو مفلحين؛ إذ يستحيل وقوع شيء في الوجود على خلاف إرادته تعالى، بل كل الكائنات مخلوقة له تعالى، ووقوعها بإرادته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.



(١) انظر: «الحجة» (٦/٥٣) والسبعة (ص/٥٤٧).

(٢) في المطبوع: زللكم.

(٤) التفسير (ص/٣٦).

(٣) تقدم.

النوع الثامن والثلاثون

معرفة إعجازه

وقد اعتنى بذلك الأئمة، وأفردوه بالتصنيف، منهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني. قال ابن العربي: ولم يُصنّف مثله، وكتاب الخطابي، والرماني، والبرهان لعزيزي، وغيرهم (١).

وهو علم جليل عظيم القدر، لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال سبحانه ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فلو لا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوْلَرُ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١-٥٠] فأخبر أن الكتاب آية من آياته، وأنه كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء.

ولما جاء به صلى الله عليه وسلم إليهم وكانوا أفصح الفصحاء، ومصارع الخطباء تحذاهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدرُوا، يقال: تحدى فلان فلاناً إذا دعاه إلى أمر ليظهر عجزه فيه ونازعه الغلبة في قتال أو كلام غيره، ومنه: أنا حُديّك أي ابرز لي وحدك.

واعلم أن النبي ﷺ، تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا: افتراه؛ فأنزل الله عز وجل عليه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تشاكل القرآن قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ثم كرر هذا فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] [أي من كلام مثله] (٢) وقيل: من بشر مثله ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقد ثبت أنه تحذاهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه، لأنهم لو قدرُوا على ذلك لفعلوا، ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر وتارة قالوا: «أساطير الأولين». كل ذلك من التحير والانقطاع.

قال [ابن أبي] طالب مكي في (اختصاره نظم القرآن للجرجاني)، قال المؤلف: أنزله بلسان عربي

(١) كابن سراقه، والزملكاني.

(٢) سقط من م.

مبين بضروب من النظم مختلفة على عادات العرب، ولكن الأعصار تتغير وتطول، فيتغير النظم عند المتأخرين لقصور أفهامهم [ق/ ٨٩] والنظر كله جار على لغة العرب، ولا يجوز أن ينزله على نظم ليس من لسانهم، لأنه لا يكون حجة عليهم بدليل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاقْنُوا يَسُورَةَ مَثَلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، وفي قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلِيهِ. وَلَمَّا يَا تَنَّهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩] فأخبر أنهم لم يعلموه لجهلهم به وهو كلام عربي.

قال أبو محمد: لا يحتمل أن يكون جهلهم إلا من قبل أنهم أعرضوا عن قبوله ولا يجوز أن يكون نزل بنظم لم يعرفوه؛ إذ لا يكون عليهم حجة، وجهلنا بالنظم لتأخرنا عن رتب القوم الذين نزل عليهم جائز ولا يمنع. فمن نزل عليهم كان يفهمه إذا تدبره، لأنه بلغته ونحن إنما نفهم بالتعليم. انتهى.

وهذا الذي قاله مشكل، فإن كبار الصحابة رضي الله عنهم حفظوا البقرة في مدة متطاولة لأنهم كانوا يحفظون مع التفهم.

وإعجاز القرآن بذكر من وجهين:

أحدهما: إعجاز متعلق بنفسه.

والثاني: بصرف الناس عن معارضته.

ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز، واختلفوا في إعجازه فقيل: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا تطيق، وفيه وقع عجزها. والجمهور على أنه إنما وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ.

فإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدي بشيء، مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي، ولا يتجه قول القائل لمثله: إن صنعت خاتماً كنت قادراً على أن تصنع مثله؛ إلا بعد أن يمكنه من الجهة التي تدعي عجز المخاطب عنها، فنقول: الإعجاز في القرآن العظيم إما أن يعني بالنسبة إلى ذاته، أو إلى عوارضه من الحركات والتأليف، أو إلى مدلوله، أو إلى المجموع، أو إلى أمر خارج عن ذلك؛ لا جائز أن يكون الإعجاز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فقط؛ لأن العرب [قاطبة] (١) كانوا يأتون بها، ولا جائز أن يكون الإعجاز وقع بالنسبة إلى العوارض من الحركات والتأليف فقط؛ لأنه يُجوج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماسة: «إنا أعطيناك الجواهر - فصل لربك وهاجر - إن شانك هو الكافر».

ولو كان الإعجاز راجعاً في الإعراب والتأليف المجرد، لم يعجز صغيرهم عن تأليف ألفاظ معربة فضلاً عن كبيرهم، ولا جائز أن يقع بالنسبة إلى المعاني فقط، لأنها ليست من صنع البشر، وليس لهم

(١) سقط من م.

قدرة على إظهارها من غير ما يدل عليها، ولا جائز أن ترجع إلى المجموع لأننا قد بينا بطلانه بالنسبة إلى كل واحد، فيتعين أن يكون الإعجاز لأمر خارج غير ذلك.

بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز^(١)

وقد اختلف فيه على أقوال:

أحدها: وهو قول النظام: إن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات.

وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِي أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِيَعْنِي ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سئلوا القدرة لم يبق فائدة، لاجتماعهم، لمنزلة منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منقعد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله.

وأيضاً يلزم من القول بالصرفة فساد آخر، وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة؛ فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى، ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة.

قال القاضي أبو بكر^(٢): وما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، [وإنما يكون المنع معجزاً]^(٣) فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه. وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم، أن الكل قادرون على الإتيان، بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لو وصلوا إليه ولا بأعجب من قول فريق منهم: إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله في هذا الباب [وإنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد]^(٤).

«وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكماً»^(٥)

الثاني: أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيباً ورتبة، وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.

واختاره ابن الزمكاني في البرهان.

(١) انظر: «مفتاح العلوم» (ص/ ٥١٢-٥١٣) و«الإشارة إلى الإيجاز» (ص/ ٢١٥).

(٢) الإعجاز (ص/ ٣٠) بتصرف واختصار.

(٣) سقط من م.

(٤) زادها (ف) من الإعجاز.

(٥) الإعجاز (ص/ ٣١).

الثالث: ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية، ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الفتح: ١٦]، وقوله في أهل بدر: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ [الفتح: ٢٧]، وكقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿اللَّهُ غَلَبَتِ الرُّومَ﴾ [الروم: ١-٢]، وغير ذلك مما أخبر به بأنه سيقع فوقه. ورُدَّ هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خير فيها بذلك لا إعجاز فيها وهو باطل، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها (١).

الرابع: ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين، حكاية من شاهدها وحضرها، وقال: ﴿تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ الَّتِي تُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا...﴾ الآية [هود: ٤٩]. وهو مردود بما سبق، نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز إلا أنه منحصر فيه.

الخامس: إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ فُتْسَلَا﴾ [ال عمران: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْكَ حَيَاتُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله: ﴿لَوْ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢) [إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون...]. الآية [الأنفال: ٧]، وإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً.

السادس: وصححه ابن عطية، وقال: إنه [الذي] (٤) عليه الجمهور والحدائق [وهو الصحيح في نفسه، وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه] (٥)، وجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك وبهذا [جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النطق] (٦) يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله، فلما جاءهم النبي ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه.

والصحيح: أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ولهذا ترى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولاً، ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله سبحانه لو نزعته منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظه أحسن منها لم توجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفي وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في

(١) انظر «الانتصار للقرآن» (١/٦٦-٦٧).

(٢) المحرر الوجيز (١/٥٢).

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٦) زاداها (ف) من مقدمة «المحرر الوجيز».

سلامة الذوق وجودة القرينة [وميز الكلام] (١) .

وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء و[في] (٢) موسى بالسحرة، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما تكون في زمن النبي الذي أراد [إظهاره] (٣)، فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته، وكذا الطب في زمان عيسى، والفصاحة في مدة محمد ﷺ .

السابع: أن وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب وغير ذلك مقترناً بالتحدي [ق/ ٩٠]، واختاره الإمام فخر الدين وهو قريب مما سبق، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] والمراد: بمثل نظمه بدليل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]: وقول من قال: إن الضمير في «من مثله» عائد على الله ضعيف بقوله: ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] والسياق واحد.

الثامن: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم. واختاره القاضي أبو بكر (٤). قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته.

قال ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي ادعواها في الشعر، لأنه ليس مما يخرق العادة، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدريب والتصنع له، كقول الشعر، ووصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحدق في البلاغة، وله طريق يسلك... فأما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً...

قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعض أدق وأغمض.

ثم قال القاضي (٥): فإن قيل: ما الذي وقع التحدي به. أهو الحروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غيره؟

قلنا: الذي تحداهم به أن يأتوا [على الحروف التي هي نظم القرآن منظومة حكمها، متتابعها كمتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحداهم إلى أن يأتوا] (٦) بالكلام القديم الذي لا مثل له.

وقال بعض الأئمة: ليس الإعجاز المتحدى به إلا في النظم لا في المفهوم، لأن المفهوم لم يمكن الإحاطة به، ولا الوقوف على حقيقة المراد منه، فكيف يتصور أن يتحدى بما لا يمكن الوقوف عليه،

(١) (٢) زادها (ف) من مقدمة «المحرر الوجيز» .

(٤) الإعجاز (ص/ ٣١) .

(٣) سقط من م .

(٦) سقط من م .

(٥) الإعجاز (ص/ ١٨٥) .

إذ هو يسع كل شيء فأى شيء قابل به ادعى أنه غير المراد ويتسلسل!

التاسع: أنه شيء لا يمكن التعبير عنه وهو اختيار السكاكي حيث قال في (الفتاح): واعلم أن شأن الإعجاز [عجيب] (١)، يُدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان، والتمرن فيهما.

وقال أبو حيان التوحيدي في البصائر: لم أسمع كلاماً ألصق بالقلب وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بُندار بن الحسين الفارسي، وكان بحرًا في العلم وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن؟ فقال: هذه مسألة فيها حَيْف على المفتي، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملة فقد حَقَّقْتَهُ، ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يُشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومَعَجَزَةٌ لمحاوله وهدى لقاتله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده.

العاشر: وهو قول حازم في «منهاج البلغاء» (٢) إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه، استمرارًا لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه، إلا في الشيء اليسير المحدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه، والفترات في الفصاحة تقع للفصيح، إما بسهوه يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلاً به أو من جهل به، أو من سامة تعتري فكره، أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يُجوش عليها خاطره، من اقتناص المعاني سميتًا كان أو غثًا فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل، والطبع الكامل وهو قريب مما ذكره ابن الزمكاني وابن عطية.

الحادي عشر: قال الخطابي في كتابه (٣) - وإليه ذهب الأكثرون من علماء النظر: إن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لكن لما صعب عليهم تفصيلها صغوا فيه إلى حكم الذوق والقبول عند النفس.

قال: والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجة البيان متفاوتة [ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية] (٤)، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرّسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود [دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد

(١) زادها (ف) من الفتاح.

(٢) ضمن الجزء المفقود.

(٣) بيان إعجاز القرآن (ص/ ٢١).

(٤) زادها (ف) من البيان.

في القرآن شيء منه البتة^(١).

فالقسم الأول: أعلاه، والثاني: أوسطه، والثالث: أدناه، وأقربه فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف [نمط]^(٢) من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوية، وهما على الانفراد في نعتيها كالمضادين لأن العدوية نتاج السهولة والجزالة والمتانة [في الكلام]^(٣) يعالجان نوعًا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل منهما عن الآخر، فضيلة تُخص بها القرآن. [يسرها الله بلطف قدرته]^(٤) ليكون آية بيته لنبيه، [ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه]^(٥).

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر:

منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية، وأوضاعها التي هي ظروف المعاني [والحوامل]^(٦).

ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون اتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلا أن يأتوا بكلام مثله.

وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلافؤًا وتشاكلًا من نظمه، وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقديم في أبوابه، والرقى في أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، وأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، [الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا]^(٧).

فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصح المعاني من توحيد الله تعالى، وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند

(١) زادها (ف) من البيان.

(٢) (٤) (٥) (٦) (٧) زادها (ف) من البيان.

(٢) زادها (ف) من البيان.

منهم، منبثًا عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الماضية من الزمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه. ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، ومناقضته في شكله، ثم صار المعاندون له [من كفر به وأنكره] ^(١) يقولون مرة: إنه شعر لما رأوه منظوماً، ومرة: إنه سحر لما رأوه معجوزاً عنه غير مقدور عليه، وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلب وقرعاً في النفس، يربيههم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف، ولذلك قالوا: إن له للحلاوة وإن عليه لطلاوة، وكانوا مرة لجهلهم وحيرتهم يقولون: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِطِرُّ الْآوَلِيكَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمَلِّكَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥] مع علمهم أن صاحبهم أمتى وليس بحضرته من يملأ أو يكتب شيئاً، ونحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل، والعجز وقد حكى الله عن بعض مردتهم وهو الوليد بن المغيرة المخزومي أنه لما طال فكره في القرآن وكثر ضجره منه، وضرب له الأخطاس من رأيه في الأسداس، فلم يقدر على أكثر من قوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَنَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] عناداً وجهلاً به، وذهاباً عن الحجة، وانقطاعاً دونها.

ثم اعلم أن عمود البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يفسد به الكلام، أو إذهاب الرونق الذي تسقط به البلاغة وذلك [أن] ^(٢) في الكلام ألفاظاً مترادفة متقاربة المعاني في زعم أكثر الناس، كالعلم والمعرفة، والشح والبخل، والنعمة والصفة، وكذا بلى ونعم، ومين وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف، والأمر فيها عند الحذاق بخلاف ذلك، لأن كل لفظة منها خاصة تتميز بها عن صاحبته في بعض معانيها وإن اشتركا في بعضها.

ولهذا قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] أنه الذي ينصرف ولا يدرى عن شفع أو وتر، فرد عليه الحسن بأنه لو كان كذلك لقال: «الذين هم في صلاتهم» فلم يفرق أبو العالية بين (في) و(عن) حتى تنبه له الحسن، وقال: المراد به إخراجها عن وقتها.

فإن قيل: فهلا جعل في كل سورة نوعاً من الأنواع؟

قيل: إنما أنزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة، وفي الآي المجموعة القليلة العدد ليكون أكثر لفائده وأعم لمنفعته، ولو كان لكل باب منه قبيل، ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائده، ولكان الواحد من الكفار المنكرين والمعاندين، إذا سمع السورة لا تقوم

(٢) سقط من م.

(١) زادها (ف) من البيان.

عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمنته السورة الواحدة فقط، وكان في اجتماع المعانى الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظاً وأجدى نفعاً من التخيير لما ذكرناه.

قال الخطابي: وقلت في إعجاز القرآن وجهاً [آخر] ^(١) ذهب عنه الناس [فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم] ^(٢)، وهو صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى، ما يخلص منه إليه، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية.

قلت: ولهذا أسلم جبير بن مطعم لما سمع قراءة النبي ﷺ للطور، [حيث] ^(٣) انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧] قال: خشيت أن يدركني العذاب. وفي لفظ كاد قلبى يطير، فأسلم ^(٤) وفي أثر آخر أن عمر لما سمع سورة طه أسلم وغير ذلك. وقد صنف بعضهم كتاباً فيمن مات بسماع آية من القرآن.

الثاني عشر: وهو قول [أهل التحقيق] ^(٥): إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد عن انفراده فإنه جمع ذلك [كله] ^(٦) فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق.

فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرئين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به بداخله روعة في أول سماعه وخشية، ثم لا [يزال] ^(٧) يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبة له، وإن كان جاحداً وجد فيه مع تلك الروعة نفوراً وغيماً لانقطاع مادته بحسن سمعه.

ومنها: أنه لم يزل ولا يزال ولا يزال غصاً طرياً في أسمع السامعين وعلى ألسنة القارئین. ومنها: ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال الله إياه في صورة كلام هو مخاطبة من الله لرسوله تارة، ومخاطبة أخرى لخلق، لا في صورة كلام يستمليه من نفسه من قد قُذِفَ [الرحى] ^(٨) في قلبه وأوحى إليه ما شاء أن يلقيه إلى عباده على لسانه، فهو يأتي بالمعاني التي ألهمها بألفاظه التي يكسوها إياه كما يشاهد من الكتب المتقدمة.

(٢) زادها (ف) من البيان.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٧٣).

(٦) سقط من م.

(٨) سقط من المطبوع.

(١) زادها (ف) من البيان.

(٣) في المطبوع: حتى.

(٥) في م: المحققين.

(٧) سقط من م.

ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعدوية، وهما كالتضادين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر، لأن الجزالة من الألفاظ التي لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة، والعدوية منها: ما يصادها من السلاسة والسهولة، فمن نحنا نحو الصورة الأولى فإنما يقصد الفخامة والروعة في الأسماح، مثل الفصحاء من الأعراب وفحول الشعراء منهم، ومن نحنا نحو الثانية قصد كون الكلام في السماع أعذب وأشهى وألذ، مثل أشعار المخضرمين ومن داناها من المولدين المتأخرين، وترى ألفاظ القرآن قد جمعت في نظمه كلتا الصفتين، وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز.

ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة، قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفَعُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

[فصل] (١) في قدر المعجز من القرآن

قال القاضي أبو بكر (٢): ذهب عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها.

قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز.

قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.

وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة. وقد حكى عنهم نحو قولنا إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة، بل شرط الآيات الكبيرة. وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها، ولم يخص. ولم يأتوا بشيء منها فعلم أن جميع ذلك معجز.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤] فلا يخالف هذا؛ لأن الحديث التام لا تُتَّحَصَّلُ حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهو يؤكد مذهب أصحابنا، وإن كان قد يتأول قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤] على القبيل دون التفصيل [وكذلك يحمل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] على القبيل، لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعة من أوله إلى آخره].

فإن قيل: هل يُعرف إعجاز السور القصار بما يعرف به إعجاز الطوال؟ وهل يعرف [إعجاز] كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه على ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها؟

قلنا: إن أبا الحسن الأشعري قد أجاب عن ذلك بأن كل سورة قد علم كونها معجزة بعجز العرب عنها، وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول: إنه يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً والطريقة

(١) كفي م: مسألة.

(٢) الإعجاز (ص/ ١٨١-١٨٢) بتصرف واختصار.

الأولى أسدٌ، وتظهر فائدتهما في أن الأولى تبين أن ما عُلِمَ به كون جميع القرآن معجزاً موجود في كل سورة قصرت أو طالت، فيجب أن يكون الحكم في الكل واحداً [ق/٩٢] والأخرى تتضمن تقدير معرفة إعجاز القرآن بالطريق التي سلكتهاها .

[فصل] (١)

اعلم أنه سبحانه تحداهم أولاً في الإتيان بمثله، فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم بعشر سور منه وقطع عندهم بقوله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِمِثْلِ سُورِ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١١٣] وإنما قال: ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ من أجل أنهم قالوا: لا علم لنا بما فيه من الأخبار الخالية والقصص البالغة، فقبل لهم ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ إزاحة لعلهم وقطعا لأعدارهم، فعجزوا، فردهم من العشر إلى سورة واحدة من مثله مبالغة في التعجيز لهم، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] أى يشهدون لكم أنها في نظمه وبلاغته وجزالته فعجزوا فقال تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَقْعَلُوا وَكُنْتُمْ تَفَعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] مبالغة في التعجيز وإفحاماً لهم ﴿فَأْتُوا النَّارَ﴾ وهذه مبالغة في الوعيد مع أن اللغة لغتهم والكلام كلامهم، وناهيك بذلك أن الوليد بن المغيرة لعنه الله كان سيد قريش، وأحد فصحاءهم لما سمعه أحرس لسانه، وبلد جنانه، وأطفئ بيانه، وقطعت حجته، وقُصم ظهره، وظهر عجزه، وذهل عقله، حتى قال: قد عرفنا الشعر كله هَزَجَه وَرَجَزَه وقريضه ومقبوضه، ومبسوطه فما هو بالشعر! قالت له قريش: فساحر؟ قال: وما هو بساحر، قد رأينا السُّحَارَ وسحرهم، فما هو بنفشته ولا عقده، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفلهُ لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلى، سمعت قولاً يأخذ القلوب. قالوا: مجنون. قال: لا والله ما هو بمجنون ولا بَحْتَفَه ولا بوسوسته ولا رعشته، قالوا: كاهن قال: قد رأينا الكهَّانَ فما هو بززمة الكهَّان ولا بسجعهم، ثم حملته الحمية فنكص على عقبيه وكابر حسه فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا نَجْمٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥] (٢).

مسألة في أن التحدى إنما وقع للإنس دون الجن

التحدى إنما وقع للإنس دون الجن، لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه، وإنما ذكروا في قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] تعظيماً لإعجازه، لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للأفراد، فإذا فُرض اجتماع جميع الإنس والجن، وظاهر

(١) في م: مسألة.

(٢) أخرجه الحاكم (٣٨٧٢) والبيهقي في «الشعب» (١٣٤) وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤٣٣/٢). قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

بعضهم بعضاً، وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز، ونظيره في الفقه تقدم والأخ الشقيق على الأخ للأب في ولاية النكاح، مع أن الأمومة ليس لها مدخل في النكاح.

[فصل] ^(١) في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة

قال القاضي: ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ضرورة، وكونه معجزاً يُعلم بالاستدلال. وهذا المذهب يحكى عن المخالفين.

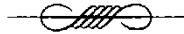
والذي نقوله: إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من ليس ببلغ فأما البليغ الذي أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.

مسألة في الحكمة في تنزيه النبي عليه السلام عن الشعر

قيل: للحكمة في تنزيه الله تعالى نبيه ﷺ عن الشعر وجوه:

أحدها: أنه سبحانه أخبر عن الشعراء بأنهم في كل واد يبيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأن للشعر شرائط لا يُسمى الإنسان بغيرها شاعراً كما قال بعضهم: وقد سئل عن الشاعر؟ فقال: إن هزل أضحك، وإن جد كذب، فالشاعر بين كذب وإضحاك فنزه الله نبيه عن هاتين الخصلتين، وعن كل أمر دنيء وإنا لا نكاد نجد شاعراً إلا مادحاً ضارحاً، أو هاجياً ذا قَدَحٍ وهذه أوصاف لا تصلح للنبي. والثاني: أن أهل العروض مُجمعون كما قال ابن فارس على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسمه بالحروف المتنوعة فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضَرَبٌ من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ، وقد قال «لست من دَدٍّ ولا دَدَمِي» ^(٢).

وأما ما حكى عنه ﷺ من ألفاظ [على] ^(٣) الوزن فالجواب عنها من وجهين: أحدهما: أنه لم يقصد بها الشعر ومن حقيقة الشعر قصده. قال ابن فارس: الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى، ويكون أكثر من بيت، لأنه يجوز اتفاق شطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر من غير قصد. والثاني: أنه صلى الله عليه سلم كان إذا أنشد شيئاً من ذلك غيرَه.



(١) في م: مسألة.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٥) وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٤٣) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٤٢٧) وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٣٨/٣٦٩). ومعنى الحديث: لست من الباطل ولا الباطل مني.

(٣) زيادة من المطبوع.

فصل في تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً

مع أن الموزون في الكلام رتبته فوق رتبة المنظوم غير الموزون، فإن كل موزون منظوم ولا عكس، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] فأعلم سبحانه أنه نزه القرآن عن نظم الشعر والوزن لأن القرآن يجمع الحق، ومنيع الصدق وقصارى أمر الشاعر التحصيل بتصوير الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء، والمبالغة في الذم والإيذاء، دون إظهار الحق، وإثبات الصدق منه كان بالعرض ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] أى: كاذب ولم يعن أنه ليس بشعر فإن وزن الشعر أظهر من أن يشبه عليهم حتى يحتاج إلى أن يُنفى عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سُمى المنطقيون القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب: شعرية.

فإن قيل ^(١): فقد وجد في القرآن ما وافق شعراً موزوناً إما بيت تام أو آيات، أو مصراع كقول القائل:

و[قد] ^(٢) قلت لما حاولوا سلوتي هيهات هيهات لما توعدون

وقوله: ﴿وَجَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبا: ١٣] قالوا: هذا من الرمل.

وكقوله: ﴿وَمَنْ تَرَكَّنْ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨] قالوا: هو [مجزوء] ^(٣) من الخفيف.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] قالوا: هو من

المتقارب [أى بإسقاط مخرجاً] ^(٤).

وقوله: ﴿وَدَائِبَةُ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] ويشبعون حركة الميم، فيبقى من

الرجز. وحكى أن أبا نواس ضمنه فقال

فتية فى مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا التثقيلا

دانية عليهمو ظلالها وذلت قطوفها تذليلة

وقوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ وَيَتَمَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] قالوا هو من

الوافر.

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ ۗ فَاَلْمُورِيَّتِ قَدَسًا﴾ [المدثر: ١-٢]، ونحوه قوله: ﴿وَالذَّارِيَّتِ ذَرًّا

قالوا هو من الخفيف.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَدْيَنِيَّتِ ضَبْحًا ۗ فَاَلْمُورِيَّتِ قَدَسًا﴾ [المدثر: ١-٢]، ونحوه قوله: ﴿وَالذَّارِيَّتِ ذَرًّا

فَاَلْمَدْيَنِيَّتِ وَقَرًّا ۗ فَاَلْمَدْيَنِيَّتِ مِثْرًا﴾ [المدثر: ٣-١] وهو عندهم شعر من بحر البسيط.

(٢) في المطبوع: و.

(١) إعجاز القرآن (ص/ ٧٧-٧٨).

(٤) زاداها (ف) من إعجاز القرآن.

(٣) زاداها (ف) من إعجاز القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَرُّهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ﴾ [ق: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنالُوا إِلَيْكَ حَتَّىٰ نُفِيقُوا وَمَا يُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ [الكهف: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا حَاجِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ﴾ [هود: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

وقوله تعالى: ﴿نَصَرَ مِنْ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مِمَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧٦].

ويحكى أنه سمع أعرابي قارئاً يقرأ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١٦٤] : كسرت إنما قال : «يا أيها الناس اتقوا ربكم زلزلة الساعة شيء عظيم» فقبل له : هذا القرآن وليس بشعر .

فالجواب : قال القاضي أبو بكر ^(١) : إن الفصحاء منهم لما أورد عليهم القرآن لو اعتقدوه شعراً ولم يروه خارجاً عن أساليبهم لبادروا إلى معارضته ، لأن الشعر [ق/ ٩٣] منقاد إليهم ، فلما لم يعمدوا إلى ذلك دل على أنهم لم يعتقدوا فيه ذلك ، فمن استدرك فيه شعراً زعم أنه خفى على أولئك النفر ، وهم ملوك الكلام مع شدة حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغض منه ، والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه ، فلن يجوز أن يخفى على أولئك وأن يبجلوه ويعرفه من جاء الآن ، فهو بالجهل حقيق .

وحينئذ فالذي أجاب به العلماء عن هذا بأن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً ، وأقل الشعر بيتان فصاعداً ، وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام .

وقالوا أيضاً : إن ما كان على وزن بيتين إلا أنه يختلف وزنها وقافيتها فليس بشعر أصلاً .

ثم منهم من قال : إن الرجز ليس بشعر أصلاً لا سيما إذا كان مشطوراً أو منهوكتاً وكذا ما يقاربه في قلة الأجزاء وعلى هذا يسقط السؤال .

ثم يقول : إن الشعر إنما ينطلق متى قصد إليه على الطريق التي تعمد وتسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء دون ما يستوى فيه العامى والجاهل ، [والعالم بالشعر واللسان وتصرفه] وما يتفق من كل واحد ، فليس بشعر فلا يسمى صاحبه شاعراً وإلا لكان الناس كلهم شعراء ، لأن كل متكلم لا ينفك أن يعرض في جملة كلامه ما يتزن بوزن الشعر [وينتظم بانتظامه] .

وقيل: أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات، وليس ذلك في القرآن بحال. قال القاضي^(١): وهذه [الطرق]^(٢) التي سلكوها في الجواب معتمدة أو أكثرها. ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس [تشوف]^(٣) إلى معارضته لأن طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان [الواحد، وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم].

فصل في اختلاف المقامات ووضع كل شيء في موضع يلائمه

مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافات المقامات، وذكر في كل موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الخلاوة.

فمن ذلك أن لفظ «الأرض» لم ترد في التنزيل إلا مفردة، وإذا ذكرت والسماء مجموعة لم يؤت بها معها إلا مفردة ولما أريد الإتيان بها مجموعة قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] لفادياً من جمعها. ولفظ (البقعة) لم تستعمل فيه إلا مفردة كقوله تعالى: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [النقص: ٣٠] لفان جمعت حسن ذلك ورودها مضافة كقولهم «بقاع الأرض».

وكذلك لفظ «اللب» مراداً به العقل كقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣] ﴿لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] لفانه يعذب [استعماله] دون الأفراد.

وكذلك قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، وفي موضع آخر ﴿فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]، استعمل «الجوف» في الأول، «والبطن» في الثاني مع اتفاقهما في المعنى، ولو استعمل أحدهما في موضع الآخر لم يكن له من الحسن والقبول عند الذوق ما [لاستعمال] كل واحد منهما في موضعه.

وأما بالنسبة إلى المقامات، فانظر إلى مقام الترغيب، وإلى مقام التهيب، فمقام الترغيب كقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِّن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] نجده تليفاً لقلوب العباد وترغيباً لهم في الإسلام.

قيل: نوكان سبب نزولها أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر معهما ثم قُتِلوا وعُدِّبوا فافتتنوا. قال: وكنا نقول: قوم لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً أبداً (قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به)، فنزلت وكان عمر كاتباً فكتب بها عمر بن الخطاب إليهم رضى الله عنه حين

(١) (الرص/ ٤٩).

(٢) (في المطبوع: الطريق).

(٣) (في المطبوع: تشوق).

(٤) (كقط من المطبوع).

فهم قصد الترغيب فآمنوا وأسلموا وهاجروا^(١)، ولا يلزم دلالتها على مغفرة الكفر لكونه من الذنوب، فلا يمكن حملها على فضل الترغيب في الإسلام، [وتأليف القلوب له لوجوه .

منها: أن قوله: ﴿يَقْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] عام دخله التخصيص بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] فيبقى معتبرًا فيما عداه^(٢).

ومنها أن لفظ [العباد] مضافًا إليه في القرآن مخصوص بالمؤمنين قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَتَرَبَّطُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] فإن قلت: فلم يكونوا مؤمنين حال الترغيب!

قلت: كانوا مؤمنين قبله، بدليل سبب نزولها وعمولوا هذه المعاملة من الإضافة مبالغة في الترغيب.

وأما مقام الترهيب، فهو مضاد له كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَالْحَلْدِيِّ فِيهَا﴾ [النساء: ١٤] أو يدل على قصد مجرد الترهيب بطلان النصوصية من ظاهرها على عدم المغفرة لأهل المعاصي، لأن (مَنْ) للعموم لأنها في سياق الشرط فيعم في جميع المعاصي، فقد حكم عليهم بالخلود، وهو ينافي المغفرة وكذلك كل مقام يصاد الآخر، ويعتبر التفاضل بين العبارتين من وجوه:

أحدها: المعاني الإفرادية بأن يكون بعضها أقوى دلالة، وأفخم مسمى، وأسلس لفظًا، ونحوه.

الثاني: المعاني الإعرابية بأن يكون مسمأها أبلغ معنى كالتمييز مع البدل في قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسَ شَيْبًا﴾ [مرم: ٤] مع اشتعل الرأس شيبة، وهذا أبلغ من (اشتعل شيب الرأس).

الثالث: مواقع التركيب كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، فإن الأولى جعل (اثنين) مفعول (يتخذوا) و(إلهين) صفة له تقدمت فانتصبت على الحال والتقدير: اتخذوا إلهين اثنين، لأن (اثنين) أعم من «إلهين».

فصل في اشتمال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز

وهو أن يقع التركيب بحيث لا يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسبًا ولا اعتدالًا في إفادة ذلك المعنى . وقد اختلف في أنه: هل تتفاوت فيه مراتب الفصاحة؟ واختار القاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب «الإعجاز»^(٣): المنع . وأن كل كلمة موصوفة بالذروة العليا، وإن كان بعض الناس أحسن إحساسًا له من بعض، وهذا كما أن بعضهم يظن للوزن بخلاف بعض .

(١) انظر «جامع البيان» (١١/٢٤) وأسباب النزول للواحي (٧٧٠) .

(٢) (٣) (ص/٥٤) .

(٣) سقط من م .

واختار أبو نصر بن القشيري في تفسيره التفاوت فقال: وقد رُدَّ على الزجاج وغيره تضعيفهم قراءة ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ بالجر، [ومثل] (١) هذا من الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات السبع متواترة عن النبي ﷺ، وإذا ثبت [شيء عن النبي ﷺ] فمن رد [بعد] (٢) ذلك فكان مارد على النبوة، وهذا مقام محذور لا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، [فإن العربية تُتلقى من النبي ﷺ]، ولا يشك أحد في فصاحته [ولعلمهم أروادوا أنه صحيح فصيح]، وإن كان غيره أفصح منه فإننا لا ندعى أن كل ما في القرآن على أرفع الدرجات في الفصاحة.

وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين في كتاب «المجاز» (٣) وأورد سؤالاً فقال: فإن قلت: فلم لم يأت القرآن جميعه بالأفصح والأملح؟ وقال فيه: إشكال [يسر الله] (٤) حله.

قال القاضي صدر الدين موهوب الجزري رحمه الله: وقد وقع لي حل هذا الإشكال بتوفيق الله تعالى فأقول: البارئ جلت قدرته له أساليب مختلفة على مجاري تصريف أقداره، فإنه كان قادرًا على إلقاء المشركين إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ولكنه سبحانه أرسل رسوله على أساليب الأسباب والمسببات، وجرى العوائد الواقعة من أهل الزمان، ولذلك تكون حروب الأنبياء سجلاً بينهم وبين الكفار، ويتبدى أمر الأنبياء بأسباب خفيفة ولا تزال تنمى وتشتد، كل ذلك يدل على أن أساليبهم في الإرسال على ما هو المألوف والمعتاد من أحوال غيرهم.

إذا عرف ذلك كان مجيء القرآن بغير الأفصح والأملح جميعه، لأنه تحداهم بمعارضته على المعتاد فلو وقع على غير المعتاد، لكان ذلك نمطًا غير النمط الذي أراه الله عز وجل في الإعجاز.

ولما كان الأمر على ما وصفنا، جاء القرآن على نهج إنشائهم الخطب والأشعار وغيرها ليحصل لهم التمكن من المعارضة، ثم يعجزوا عنها فيظهر الفلج بالحجة؛ [ق/ ٩٤] لأنهم لو لم يتمكنوا لكان لهم أن يقولوا: قد أتيت بما لا قدرة لنا عليه، فكما لا يصح من أعمى معارضة المبصر في النظر، لا يحسن من البصير أن يقول: غلبتك أيها الأعمى بنظري. فإن للأعمى أن يقول: إنما تم لك الغلبة لو كنت قادرًا، وكان نظرك أقوى من نظري، فأما إذا قُدم أصل النظر فكيف تصح [معنى] (٥)

المعارضة!؟

فإن قلت: فلو كانت المعجزة شيئًا لا يقدر عليه البشر كإحياء الموتى وأمثاله، فكيف كان ذلك ادعى إلى الانقياد.

(١) زادها (ف) من تفسير القرطبي.

(٢) زيادة من م.

(٣) يقصد به: كتاب الإشارة إلى الإيجاز.

(٤) زيادة من م.

(٥) سقط من م.

قلت : هذا السؤال سبق الجواب عنه في الكلام، وإن أساليب الأنبياء تقع على نهج أساليب غيرهم .

فإن قلت : فما ذكرته يدل على أن عجز العرب عن معارضته وإنما كانت لصرف دعاويهم مع أن المعارضة كانت مقدورة لهم .

قلت : قد ذهب بعض العلماء إلى ذلك ولكن لا أراه حقاً، ويندفع السؤال المذكور، وإن كان الإعجاز في القرآن^(١) بأسلوبه الخاص به، إلا أن الذين قالوا بأن المعجز فيه هو الصرفة؛ مذهبهم أن جميع أساليبه جميعاً ليس على نهج أساليبهم، ولكن شاركت أساليبهم في أشياء :
منها : أنه بلغتهم .

ومنها : أن أحاد الكلمات قد كانوا يستعملونه في خطبهم وأشعارهم، ولكن تمتاز بأمر آخر، منها : غرابة نظمه الخاص الذي ليس مشابهاً لأجزاء الشعر، وأوزانه، وهزجه، ورجزه، وغير ذلك من ضروبه، فأما توالي نظمه من أوله إلى آخره بأن يأتي بالأفصح والأملح، فهذا مما وقعت فيه المشاركة لكلامهم، فبذلك امتاز هذا المذهب عن مذهب من يقول : إنه كان جميعه مقدوراً لهم، وإنما صُرفت دواعيهم عن المعارضة . انتهى .

وقد سبق اختيار القاضى أنه ليس على أساليبهم البتة، فيبقى السؤال بحاله .

تنبيه في أن معرفة مقامات الكلام لا تدرك إلا بالذوق

ذكر ابن أبي الحديد:

اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيح والأرشق والجلي والأجلى، والعلى والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما : بيضاء مشربة حمرة، ودقيقة الشفتين، نقية الشعر، كحلاء العين، أسيلة الخد، دقيقة الأنف، معتدلة القامة، والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن؛ لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، وأليق وأملح ولا يُدرى لأي سبب كان ذلك لكنه بالذوق والمشاهدة يُعرف ولا يمكن تعليقه، وهكذا الكلام، نعم يبقى الفرق بين الوصفين؛ أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يعرفه إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو أو باللغة أو بالفقه، كان من أهل الذوق وعن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل، والخطب، والكتابة، والشعر، وصارت لهم بذلك ذُربة، وملكة تامة؛ فإلى أولئك ينبغي [أن يُرجع]^(٢) في معرفة الكلام، وفضل بعضه على بعض .

(٢) سقط من م .

(١) قدر كلمة غير مقروءة في م .

النوع التاسع والثلاثون

معرفة وجوب تواتره

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً فيأصله وأجزائه ، وأما في محله ووضعه وترتيبه فعند المحققين من علماء أهل السنة كذلك ، أي : يجب أن يكون متواتراً ، فإن العلم اليقيني حاصل أن العادة قاضية ؛ بأن مثل هذا الكتاب العزيز ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وأنه الهادي للخلق إلى الحق المعجز ، الباقي على صفحات الدهر الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، فمستحيل ألا يكون متواتراً في ذلك كله ؛ إذ الدواعي تتوافر على نقله على وجه التواتر ، وكيف لا وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، والحفظ إنما يتحقق بالتواتر ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧] ، والبلاغ العام إنما هو بالتواتر فما لم يتواتر مما نُقل أحاداً نقطع بأنه ليس من القرآن .

وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله ، وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه ؛ بل يكثر فيها نقل الآحاد ، وهو الذي يقتضيه صنع الشافعي في إثبات البسمة من كل سورة .

ورُدَّ بأن الدليل السابق يقتضى التواتر في الجميع ، ولأنه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر ، وثبوت كثير مما ليس بقرآن .

أما الأول فلأننا لو لم نشترط التواتر في المحل جاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة في القرآن مثل ﴿ فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣] ، و ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ١٥] .

وأما الثاني : فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل ، جاز إثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الآحاد .

وقال القاضي أبو بكر في «الانتصار»^(١) ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً ، بخبر الواحد دون الاستفاضة . وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه ، وقال قوم من المتكلمين : إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صواباً في اللغة العربية ، وإن لم يثبت أن النبي ﷺ قرأها ، بخلاف موجب رأى القياسيين ، واجتهاد المجتهدين ، وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطئوا من قال بذلك وصار إليه .

البرهان في علوم القرآن

قال القاضي : وقد رُدَّ الله عنه طعن الطاعنين ، واختلاف الضالين ، وليس المعتبر في العلم بصحة النقل والقطع على فنونه بألا يخالف فيه مخالف ، وإنما المعتبر في ذلك مجيؤه عن قوم بهم ثبت التواتر وتقوم الحججة ، سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيه ، ولهذا لا يبطل النقل إذا ظهر واستفاض ، واتفق عليه إذا حدث خلاف في صحته لم يكن من قبل .

وبذلك يسقط اعتراض الملحدين في القرآن ، وذلك دليل على صحة نقل القرآن ، وحفظه وصيانتة من التغيير ، ونقض مطاعن الرافضة فيه من دعوى الزيادة والنقص ، كيف وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُم حَافِظُونَ ﴾ [العنبر : ٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمَعَهُمُ وَقَوْلَهُمْ ﴾ [القيامة : ١٧] ، وأجمعت الأمة أن المراد بذلك : حفظه على المكلفين للعمل به ، وحراسته من وجوه الغلط والتخليط ، وذلك يوجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة وسلامته .

فصل

والمعوذتان من القرآن ، واستفاضتهما كاستفاضة جميع القرآن ، وأما ما روي عن ابن مسعود قال القاضي أبو بكر ^(١) : فلم يصح عنه أنهما ليسا بقرآن ، ولا حُفظ عنه أنه حَكَّهُما وأسقطهما من مصحفه لعلل وتأويلات .

قال القاضي : ولا يجوز أن يضاف إلى عبد الله أو إلى أبي بن كعب ، أو زيد ، أو عثمان ، أو علي ، أو واحد من ولده ، أو عترته : جحد آية ، أو حرف من كتاب الله [أو] ^(٢) تغييره ، أو قراءته على خلاف الوجه المرسوم في مصحف الجماعة بأخبار الآحاد ، وأن ذلك لا يحل ولا [يُسمع] ^(٣) بل لا تصلح إضافته إلى أدنى المؤمنين [منزلة] ^(٤) في عصرنا ؛ فضلاً عن إضافته إلى رجل من الصحابة ، وأن كلام القنوت المروي عن أبي بن كعب أثبتته في مصحفه لم تقم حجة بأنه قرآن منزل ؛ بل هو ضرب من الدعاء ، وأنه لو كان قرآناً لنقل نقل القرآن وحصل العلم بصحته ، وأنه يمكن أن يكون منه كلام كان قرآناً منزلاً ثم نُسخ وأبيح الدعاء به ، وحُط بكتابه ليس بقرآن ، ولم يصح ذلك عنه وإنما روي عنه أنه أثبتته في مصحفه ، وقد ثبت في مصحفه ما ليس بقرآن ^(٥) من دعاء وتأويل .

وقال النووي في «شرح المهذب» ^(٦) : أجمع المسلمون على أن المعوذتين ، والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل وليس بصحيح .

وقال ابن حزم في أول كتابه «المحلى» ^(٧) : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صح عنه

(١) الانتصار (١/ ٦١-٦٢) باختصار وتصرف .

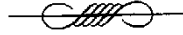
(٢) في المطبوع : و . (٣) في الانتصار : يسع .

(٤) سقط من المطبوع . (٥) سقط من م .

(٦) (٣/ ٣٥٠) . (٧) (١/ ١٣) .

قراءة عاصم عن زر بن حبيش عنه، وفيها المعوذتان والفاتحة .
وقال القاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب «التقريب»^(١): لم ينكر عبد الله بن مسعود كون
المعوذتين، والفاتحة من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف، وإثبات الحمد لأنه كانت السنة عنده
ألا يثبت إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته وكتبه، ولم يجده كتب ذلك ولا سُمع أمره به .
وهذا تأويل منه وليس جحدًا لكونهما قرأتًا .

وفي صحيح ابن حبان^(٢) عن زر: قلنا لأبي بن كعب: إن ابن مسعود لا يكتب في مصحفه
المعوذتين، فقال: قال لي رسول الله صلى عليه وسلم: قال لي جبريل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق
١: ﴿فَقُلْتَهَا﴾ وقال لي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] أفقلتها فنحن نقول ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم .



(١) للقاضي ثلاث كتب في الأصول باسم: الإرشاد الكبير، والأوسط، والصغير .
(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٢٤) وابن حبان (٧٩٧) وهو صحيح .

النوع الرابع

في بيان معاضدة السنة للقرآن

اعلم أن القرآن والحديث أبداً متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجه من مدارج الحكمة حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر ويبين إجماله .

ثم منه ما هو ظاهر، ومنه ما يغمض، وقد اعتنى بإفراد ذلك بالتصنيف الإمام أبو الحكم بن بُرْجان في كتابه المسمى (بالإرشاد) وقال: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعَمِه عنه [مَنْ عَمِه] ^(١)، قال الله تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ألا تسمع إلى قوله ﷺ في حديث الرجم «لأقضي بينكما بكتاب الله» ^(٢) وليس في نص كتاب الله الرجم .

وقد أقسم النبي ﷺ أن يحكم بينهما بكتاب الله، ولكن الرجم فيه تعريض مجمل في قوله تعالى: ﴿وَيَذُرُّهَا عَنْهَا الْعَذَابُ﴾ [النور: ٨].

وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب، وتفسير هذا المجمل فهو مبين بحكم الرسول وبأمره به، وموجود في عموم قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وهكذا حكم جميع قضاياه، وحكمه على طرقة التي أتت عليه، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه، ويبلغ منه الراغب فيه حيث بلغه ربه تبارك وتعالى لأنه واهب النعم ومقدر القسم .

وهذا البيان من العلم جليل، وحظه من اليقين جزيل، وقد نبهنا ﷺ على هذا المطلب في مواضع كثيرة من خطابه .

منها حين ذكر ما أعد الله تعالى لأولياته في الجنة فقال: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل ما اطلعتم عليه» ثم قال «اقرأوا إن شئتم»، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ^(٣).

(١) سقط من م .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٤٩) ومسلم (١٦٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٧٢) ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة .

ومنها: قالوا: يا رسول الله! ألا نتكل وندع العمل؟ فقال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْيسْرَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ يُجَلِّ وَأَسْتَفَى ﴿٤﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسْنَى ﴿٥﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْمُسْرَى ﴿٦﴾﴾ [الليل: ١٠-٥] (١)

ووصف الجنة فقال «فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها» ثم قال «اقرأوا إن شئتم: ﴿وَطَلِّ مَتَدُورٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠] (٢)

فأعلمهم مواضع حديثه من القرآن، ونبههم على مصداق خطابه من الكتاب، ليستخرج علماء أمته معاني حديثه طلباً لليقين، ولتستبين لهم السبيل، حرصاً منه عليه السلام على أن يزيل عنهم الارتياب، وأن يرتقوا في الأسباب، ثم بدأ رضى الله عنه بحديث «إنما الأعمال بالنيات» وقال: موضعه نصاً في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، ونظيرها في هود والشورى.

وموضع التصريح به قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] و﴿بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

وأما التعريض بكثير مثل قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَانَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْتَعُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، قد علم الله عز وجل أنهم كانوا يريدون الاعتزاز، لأن الإنسان مجبول على طلب العزة فمخطئ أو مصيب، فمعنى الآية والله أعلم: بلغ هؤلاء المتخذين الكافرين أولياء من دون الله؛ من ابتغاء العزة بهم أنهم قد أخطئوا مواضعها، وطلبوها في غير مطلبها، فإن كانوا يصدقون أنفسهم في طلبها فليوالوا الله جل جلاله، وليوالوا من والاه ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فكان ظاهر آية النساء؛ تعريضاً لظاهر آية المنافقين، وظاهر آية المنافقين تعريضاً بنص الحديث المروى.

ومن ذلك حديث جبريل في الإيمان والإسلام (٣) بين فيه: أن الشهادة بالحق والأعمال الظاهرة هي الإسلام، وأن عقد القلب على التصديق بالحق هو الإيمان، وهو نص الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة في مسنده (٤): «الإسلام ظاهر، والإيمان في القلب» موضعه من القرآن: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٦) ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٨٠) ومسلم (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦١٠).

(٤) أخرجه أحمد (١٢٤٠٤) وابن أبي شيبة (١٥٩/٦) وأبو يعلى (٢٩٢٣) وابن حبان في «المجروحين» (١١١/٢) وابن عدي في «الكامل» (٢٠٧/٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٢٥٠/٣) والخطيب في (موضح أوامم الجمع والتفريق» (٢٧٦/٢) والرافعي في «التدوين» (٢٨٦/٢) من حديث أنس، وهو صحيح.

[المجادلة: ٢٢] ، ونظائرها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ، قال: بنيت هاتين الصفتين على الصفات العليا، صفات الله - تعالى ظهورها - من الأسماء الحسنى، اسم السلام، واسم المؤمن . ومن ذلك حديث ضمام بن ثعلبة: «أفلح إن صدق»^(١) في قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] .

وقوله ﷺ «من قال لا إله إلا الله حرمه الله على النار»^(٢) في قوله: [﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ [الأنعام: ٨٢] وهو مفهوم من قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]]^(٣) ، فأخبر أنهم دخلوا النار من أجل استكبارهم، وإبانهم من قول لا إله إلا الله، مفهوم هذا أنهم إذا قالوها مخلصين بها حُرموا على النار .

وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٤) في قوله تعالى: ﴿حَدِيثُ صَيْفٍ يُرَاهِمَ الْمُكْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] ، وقوله: ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦] ، وهذه الأربع كلمات جعلن حسن الصحبة للخلق، لأن من كف سره وأذاه، وقال خيراً أو صمت عن الشر، وأفضل على جاره، وأكرم ضيفه فقد نجا من النار، ودخل الجنة إذا كان مؤمناً [بالله]^(٥) وسبقت له الحسنى، فإن العاقبة مستورة، والأمور بخواتيمها، ولهذا قيل: لا يغرركم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات .

وقوله: «رأس الكفر نحو المشرق»^(٦) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى . . .﴾ الآية [الأنعام: ٧٥-٧٦] . فأخبر أن الناظر في ملكوت الله لا بد له من ضروب الامتحان، وأن الهداية يمنحها الله للناظر بعد التبرى منها، والمعصوم من عصمه الله، قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي سَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ٩٩] ، وقال: ﴿فَلَمَّا أَغْرَقَهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مریم: ٤٩] ، وطلوع الكواكب نحو المشرق، ومن هناك إقبالها، وذلك أشرف لها وأكبر لشأنها عند المفتونين، وغروبها إدبارها، وطلوعها بين قرنى الشيطان من أجل ذلك ليزينها لهم، قال تعالى: ﴿وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤] ، ولما كان في مطلع النيرات من العبر بطلوعها من هناك، وظهورها عظمت المحنة بهن، ولما في الغروب من عدم تلك العلة التي تتبين هناك [قرن] بتزيين العدو لها، وإليه أشار ﷺ بقوله: «وتغرب بين قرنى الشيطان»^(٧) . [ق/ ٩٦] ولأجل ما بين معنى الإقبال والإدبار

- (١) أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم (١١) .
 (٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) ومسلم (٤٧) .
 (٣) سقط من م .
 (٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) ومسلم (٧٤) .
 (٥) زيادة من م .
 (٦) أخرجه البخاري (٣١٢٥) ومسلم (٥٢) .
 (٧) أخرجه البخاري (٣٠٩٩) ومسلم (٨٢٨) .

كان باب التوبة مفتوحاً من جهته إلى يوم تطلع الشمس منه ، ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠] ، أي وقعت عقولهم عليها ، وحجبت بها عن حالتها مع قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

وفي قوله عند طلوعها ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦] ، وعند غروبها ﴿ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَاحَ ﴾ [الأنعام: ٧٦] ، ﴿ لَنْ نَمَّ يَدِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧] ما يبين تصديق النبي ﷺ في قوله : « رأس الفتنة والكفر نحو المشرق ^(١) » ، وإن باب التوبة مفتوح من قِبَل المغرب ^(٢) .

ومن ذلك بدء الوحي في قوله سبحانه : ﴿ أَنْتَ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ ﴾ [النحل: ١] . إلى قوله : ﴿ يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [النحل: ٢] .

وقول خديجة : [كلا] ^(٣) «والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم» ^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] ، وقوله : ﴿ فَتَوَلَّى أَنْتَ كَانُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات: ١٤٣] ، وفي هذا بين ﷺ أصحاب الغار الثلاثة ؛ إذ قال بعضهم لبعض : ليدع كل واحد منكم بأفضل أعماله ، لعل الله تعالى أن يفرج عنا ^(٥) .

وقول ورقة : «يا ليتني حي إذ يخرجك قومك» ^(٦) إلخ ، وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ ﴾ ^(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١١٣] . وكذلك قوله : «لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي» ^(٨) من قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ [توحيده: ٥١] أتواصوا به بل هم قوم طاغوت ^(٩) [الذاريات: ٥٢-٥٣] .

ومن ذلك حديث المعراج مصداقه في سورة الإسراء ، وفي صدر سورة النجم . وقوله ﷺ : « رأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به » ^(٩) من مفهوم قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] ، وتصديق كلمة الله ، اتبعه كوناً وملة ، وهكذا حاله حيث جاءت «صدقا» و«عدلاً» فتطلب صدق كلماته بترداد تلاوتك لكتابه ، ونظرك في مصنوعاته ، فهذا هو قصد سبيل المتقين ، وأرفع مراتب الإيمان ، قال تعالى : ﴿ فَتَمَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وقال لزركريا : ﴿ أَنْ اللَّهُ يَبْشُرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا ﴾ [آل

(١) تقدم .

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩٩/٨) والطبراني في «الكبير» (٧٣٥٩) والضياء في «المختار» (٢٩) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) أخرجه البخاري (٤) ومسلم (١٦٠) .

(٥) أخرجه البخاري (٢١٥٢) ومسلم (٢٧٤٣) .

(٦) تقدم .

(٧) سقط من م .

(٨) أخرجه البخاري (٣٢٥٤) ومسلم (١٦٨) .

عمران: ٣٩] ، ولما كان عيسى عليه السلام من أسماء كلماته ، لم يأت يوم القيامة بذنب لطهارته وزكاته .

وقوله ﷺ : «إن الله لا ينام»^(١) في قوله : ﴿سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقوله : «ولا ينبغي له أن ينام» من قوله ﴿الْقِيَوْمُ﴾ وفسره ﷺ بقوله : «يخفف القسط ويرفعه ، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل» ومصادقه أيضاً قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [ال عمران: ٢٦] .

ومن ذلك قوله ﷺ : «الصلوات الخمس كفارات لما بينهن»^(٢) وقال : «الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة [ثلاثة أيام]»^(٣) «ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما»^(٤) في قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فهذا رمضان بعشرة أشهر العام ويبقى شهران داخلان في كرم الله تعالى وحسن معاملته .

قلت : قد جاء في حديث آخر «وأبعه بست من شوال فكانما صام الدهر»^(٥) ، مع قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] . انتهى .

وقال في الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩] ، وكذلك قال في الصوم ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، أشار إلى سر في الجمعة وفضل عظيم ، أراها الزيارة والرؤية في الجنة ؛ فإنها تكون في يوم الجمعة ، وكذلك أشار في الصيام بقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، إلى سر في الصيام وهو حسن [فائدته]^(٦) وجزيل عائدته ، فنبه ﷺ بقوله : «لخلاف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك»^(٧) .

وقوله وقد رأى أعقابهم تلوح لم يصبها الماء : «ويل للأعقاب من النار»^(٨) في مفهوم [قوله]^(٩) ﴿فَأَغْسِلُوا﴾ في معنى قوله : ﴿لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وغسل هو قدميه وعمهما غسلًا . وقال : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] مع قوله : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَالْحَلْدِيِّ فِيهَا وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] .

وقوله : «إذا توضع العبد المسلم فغسل وجهه خرج من [وجهه]^(١٠) كل خطيئة نظر إليها

- (١) أخرجه مسلم (١٧٩) .
- (٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) .
- (٣) سقط من م .
- (٤) أخرجه مسلم (٤٩٨) .
- (٥) تقدم .
- (٦) أخرجه مسلم (١١٦٤) .
- (٧) أخرجه البخاري (١٧٩٥) ومسلم (١١٥١) .
- (٨) أخرجه البخاري (٦٠) ومسلم (٢٤١) .
- (٩) زيادة من م .
- (١٠) سقط من المطبوع .

بعينيه . . . »^(١) الحديث، من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: من ذنوبكم، ﴿وَلِيُسَمِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: تَرْقُونَ في درجة الشكر فيقبل أعمالكم القبول الأعلى .

ولهذا قال ﷺ: «وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة^(٢) فله الشكر والشكر درجات» وإنما يتبين بأن يبقى من العمل بعد الكفارة فضل، وهو النافلة وهو المسمى بالباقيات الصالحات، لمن قَلَّتْ ذنوبه وكثرت صالحاته، فذلك الشكر ومن كثرت ذنوبه وقلت صالحاته فأكلتها الكفارات؛ فذلك المرجوله دخول الجنة، ومن زادت ذنوبه فلم تقم صالحاته بكفارة ذنوبه، فذلك المخوف عليه: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠]. قوله ﷺ: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة»^(٣) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]

وكذلك قوله ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(٤) وهذا كله داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِيُسَمِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦٠] وجاءت (لام كي) هاهنا إشعاراً ووعداً وبشارة لهم بنعم أخرى واردة عليهم من الشرائع، لم تأت بعد ولذلك قال يوم الإكمال في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]

ومن ذلك حديث الأذان وكيفيته بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» من قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [ال عمران: ١٨] أو تكررهما في قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله: «أشهد أن محمداً رسول الله» في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [ال عمران: ١٤٤] مع قوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وتكرار الشهادة للرسول في معنى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، والتنبيه أول الكثرة ولأنها عبارة شرعت للإعلام، فتكرارها أكد فيما شرعت له .

وأما إساراه بهما يعني بالشهادتين، فمن مفهوم قوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وأما إجهاره بهما ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] والنداء الإعلام ولا يكون إلا بنهاية الجهر .

وقوله: «حي على الصلاة» في قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٥٨]، ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ [الجمعة: ٩].

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩) .

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٦) .

وقوله: «حي على الفلاح» في قوله: ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْكُلُوا الْخَيْرَ لَكُمْ قُلُوبِكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

وقوله: «الصلاة خير من النوم» في قوله: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقوله: «الله أكبر، الله أكبر» من قوله: ﴿وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله: «لا إله إلا الله» كررها وختم بها في [ق/٩٧] قوله: ﴿وَأذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وأفضل الذكر لا إله إلا الله^(١) فختتم بما بدأ به لقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقوله ﷺ: «صلوا علي فإنه من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا»^(٢) في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله ﷺ: «ثم سلوا الله لي الوسيلة» في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيَّ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله: «حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(٣) في قوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وقوله ﷺ: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بشيء قال الملك: آمين»^(٤) «ولك بمثله» في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إلى آخر السورة، هذا دعاء من يأتي به لنفسه ولجماعة المسلمين بظهر الغيب، تقول الملائكة في السماء: (آمين)، وقد قال تعالى: «ولعبيدي ما سأل»^(٥).

ومن ذلك قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وأنا حرمت المدينة»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] يريد مكة، ثم قال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] يمكن أن يريد به المدينة، ويكون في الآية تعريض بحرمة البلدين حيث أقسم بهما، وتكراره البلد

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) من حديث جابر رضي الله عنه. وقال: حسن غريب. وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٠)

وابن حبان (٨٤٦) والحاكم (١٨٣٠٤) وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٣) والبيهقي في «الشعب» (٤٣٧١) من حديث جابر أيضاً.

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٣).

(٥) أخرجه مسلم (٣٩٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٢٢) ومسلم (١٣٦٠).

مرتين دليل على ذلك وجعل الاسمين لمعنيين أولى من أن يكونا معنى واحد، وأن يستعمل الخطاب في البلدين أولى من استعماله في أحدهما بدليل وجود الحرمة فيهما .
ومن ذلك حديث الدجال .

قلت: وقع سؤال بين جماعة من الفضلاء في: أنه ما الحكمة أنه لم يذكر الدجال في القرآن؟ وتلمحوا في ذلك حكماً ثم رأيت هذا الإمام قال: إن في القرآن تعريضاً بقصته في قصة السامري وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نَخْلَفَهُ﴾ [طه: ٩٧] ، وقوله في سورة الإسراء في قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ① فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٤-٥] ، فذكر الوعد الأول ثم ذكر الكرة التي لبني إسرائيل عليه، ثم ذكر الآخرة فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْثُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ [الآية: الإسراء: ٧] ، ثم قال: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] وفيه إشارة إلى خروج عيسى .

وكذلك هو في الآيات الأولى من سورة الكهف في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] والدجال مما على الأرض، ولهذا قال ﷺ: «من قرأ الآيات من أول سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال»، (١) يريد والله أعلم: من قرأها بعلم ومعرفة، وهو أيضاً في المفهوم من قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ومن الأمر بمجاهدة المشركين والمنافقين قوله ﷺ: «تخرج الأرض أفلاذ كبدها ويحسر الفرات عن جبل من ذهب» (٢) في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] ، فإن الأرض تلقى ما فيها من الذهب والفضة، حتى يكون آخر ما تلقى الأموات أحياء .

ومصادقه أيضاً في عموم قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] ، فتوجه القرآن إلى الإخبار عن إخراجها الأموات أحياء، وتوجه الحديث إلى الإخبار عن إخراجها كنوزها ومعادنها .
وقوله ﷺ: «حتى تعود أرض العرب مروجا» (٣) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَلَّتْ أَهْلِهَا أَنْتُمْ فَنَدُّونَ عَلَيْهَا أَنَّهُمْ لَيَلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ...﴾ [الآية: يونس: ٢٤] ، وذلك يكون عند إتمام كلمة الحق ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ، وقد تولوا، وقوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] يومئذ تظهر العاقبة ويلقى الأمر [بجرائه] (٤) ، وتضع الحرب أوزارها، ويكن ذلك علماً على الساعة، وآية على قرب الانقراض .

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٠٢) ومسلم (٢٨٩٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٧) .

(٤) في م: بحرايه .

وقوله ﷺ في مثل الدنيا: «إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزيتها»^(١) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ مُسْتَقْبِلًا ﴿٢﴾﴾ [الملق: ٦-٧] ، وقوله: ﴿أَنَا الْحَيُّهُ الدُّنْيَا لَوْبٌ﴾ [الحديد: ٢٠] .

ومن ذلك قوله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»^(٢) في مفهوم قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَنْقُوتُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، إلى أن الصوم ينتهي نفعه إلى اكتساب التقوى ولذلك قال ﷺ: «الصيام جنة»^(٣)، ولا يكون ذلك إلا بضعف حزب الشيطان، فتغلق عنه أبواب المعاصي وهي أبواب جهنم، وتفتح له أبواب الطاعة والقرابات، وهي أبواب الجنات .

وقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»^(٤) من آثار قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْغَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، ومن بركته حضوره الذي هو وصف نزوله جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة، فكأنه ﷺ يبتغي البركة في موضع خطاب ربه وفي موضع حضوره، أو ذكره أو اسم من أسمائه، ومن هنا وقع التعبد باسم المبارك واسم القدوس .

وقوله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم»^(٥) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وقوله: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْغَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْغَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، والبركة في اتباع مجارى خطابه وإن كان الخطاب حكمه حكم إباحة، كما أن البركة في اتباع السنة والافتداء، ولهذا كان أكثر الصحابة لا يصلون المغرب إلا على فطر، وكانوا يؤخرون السحور إلى بزوغ الفجر، ابتغاء البركة في ذلك والخير الموعود به .

وقوله ﷺ: «إنى أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»^(٦) في معنى قوله حكاية عن خليله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ [النساء: ٧٩] ، والمعنى بما يفتح الله لخاصته من خلقه الذين لا يطعمون، إنما غذاؤهم التسييح والتهليل والتحميد .

وقوله ﷺ في حديث الصعب بن جثامة: «إنا لم نره عليك إلا أنا حرم»^(٧) في مفهوم قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] ، والآكل راضٍ والراضي شريك .

- (١) أخرجه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٠٥٢) .
- (٢) أخرجه البخاري (١٨٠٠) ومسلم (١٠٧٩) .
- (٣) أخرجه البخاري (١٧٩٥) ومسلم (١١٥١) .
- (٤) أخرجه البخاري (١٨٢٣) ومسلم (١٠٩٥) .
- (٥) أخرجه البخاري (١٨٣٩) ومسلم (١١٠١) .
- (٦) أخرجه البخاري (١٨٦٤) ومسلم (١١٠٣) .
- (٧) أخرجه مسلم (١١٩٥) .

وقوله ﷺ في حديث حنظلة: «لو أنكم تدومون على ما كنتم عندي لصافحتكم الملائكة ولكن ساعة وساعة» (١) في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا نَجْوَىٰ لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢] ، وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٢) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤] ، فذكر تعالى اللجأ إليه عندما يلحق الإنسان الضر، وهو ذكر [صوري]، (٢) فلو كان الذكر بينهم على الدوام لم تفارقهم الملائكة السياحون الملازمون خلق الذكر، كما قال تعالى: عنهم ﴿يَسْتَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، ولو قربوا من الملائكة هذا القرب لبدت لهم عيائنا، ولاكرمهم الله منه بحسن الصحبة وجميل الألفة. وقوله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» (٣) في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ نَّجَّيْتَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجناب: ٢١] .

وقوله ﷺ: «إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب [العذاب]» (٤) من كان منهم ثم يبعثون على أعمالهم» (٥) في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] .

وقوله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء» ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» (٦) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ، ومع قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] ، [ق/٩٨] وقوله: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ [المنكوب: ١٣] مع ما جاء من نبا ابنى آدم.

وقوله ﷺ في جواب من سأله: أي الصدقة أعظم؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح ولا تمهل» ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ . . .﴾ [الواقعة: ٨٣] والحديث» (٧) ، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَسَرُّوا زَكَاتِهِمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلَىٰ﴾ [إبراهيم: ٣١] .
وقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى» (٨) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨] ، وقد جاء أن اليد السفلى الآخذة، والعليا هي المعطية، وشاهده قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَرِشُ اللَّهُ رِشًّا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١] .

- (١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) .
- (٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) .
- (٣) أخرجه البخاري (٦٦٩١) ومسلم (٢٨٧٩) .
- (٤) أخرجه مسلم (١٠١٧) .
- (٥) أخرجه البخاري (١٣٥٣) ومسلم (١٠٣٢) .
- (٦) أخرجه البخاري (١٣٦١) ومسلم (١٠٣٤) .
- (٧) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) .
- (٨) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) .

الرهان في علوم القرآن

وقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «من يُقرض غير عديم ولا ظلوم»،^(١) ووجه ذلك أن العطية من أيدينا مفتقرة إلى من يضع فيها حقًا وجب عليها، ويطهرها بذلك من ذنوبها وأنجاسها، ولولا اليد الآخذة ما قدر صاحب المال على صدقة.

وقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه»^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِنَّهُ وَجِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] إلى قوله: ﴿لَا يَكْتُمُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ، وقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، وقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] ، ووصف من لم يفهم عن المخلوقات بقوله: ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، ثم أعلم سبحانه سعة مغفرته لمن في الأرض: الذين لا يسبحونه ولا يفقهون تسبيح المسبحين من خلقه، ثم أعلم بالعلة التي لأجلها حرموا الفقه عن ربهم، وأن ذلك هو ختم عقوبة الإعراض بقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ . . .﴾ [الآية [الإسراء: ٤٥-٤٦] .

وبالجملة فالقرآن كله لم ينزله تعالى إلا ليفهمه، ويُعلم ويفهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب، الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون، ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب .

وكذلك ما خلق الله الدنيا إلا مثالا للآخرة، فمن فقه عن ربه عز وجل مراده منها، فقد أراح نفسه وأجم فكره من هذه الجملة .

وفي هذا النوع من الفقه أفنى أولو الألباب أعمارهم، وفي تعريفه أتعبوا قلوبهم وواصلوا أفكارهم .

رزقنا الله «من» فضله العظيم نوراً نمشي به في الظلمات، وفرقانا بفرق به بين المتشابهات .



(١) أخرجه مسلم (٧٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) .

النوع الحواري والأربعون

معرفة تفسيره وتأويله

معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

وهو يتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه:

قال ابن فارس: معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء ترجع إلى ثلاثة: المعنى والتفسير والتأويل، وهي وإن اختلفت فالمقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى: فهو القصد والمراد، يقال: عنيت بهذا الكلام كذا، أي: قصدت وعمدت وهو مشتق من الإظهار، يقال: عنيت القرية إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، ومنه عنوان الكتاب.

وقيل: مشتق من قولهم: عنيت الأرض بنبات حسن إذا أنبتت نباتًا حسنًا.

قلت: وحيث قال المفسرون: «قال أصحاب المعاني» فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزجاج ومن قبله وغيرهم، وفي بعض كلام الواحدي: أكبر أهل المعاني: الفراء، والزجاج، وابن الأنباري، قالوا: كذا وكذا، ومعاني القرآن للزجاج لم يُصنف مثله، وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني فمرادهم بهم مصنفو العلم المشهور.

وأما التفسير في اللغة: فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، [وفقها] ^(١) ومعناها، والسبب الذي أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر «فَعَّل» جاء أيضا على «تَفَعَّلَة» نحو جَرَّبَ تَجْرِبَةً، وكَرَّمَ تَكْرِمَةً.

وقال ابن الأنباري: قول العرب فسرت الدابة وفسرتها، إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها، وهو يؤول إلى الكشف أيضا.

فالتفسير: كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به، ويقال: فسرت الشيء أفسره تفسيرا، وفسرته أفسره فسرا، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال، وبمصدر الثاني منها سمي أبو الفتح بن جنى كتبه الشارحة «الفسر».

وقال آخرون: هو مقلوب من سفر ومعناه أيضا: الكشف يقال: سمرت المرأة سفورا إذا ألت

(١) في المطبوع: وقصصها.

خارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء وسافر فلان، وإنما بنوه على التفعيل، لأنه للتكثير كقوله تعالى: ﴿يَذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْيَابَ﴾ [يوسف: ٢٣] فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي تفصيلاً.

وقال الراغب^(١): المُسَرُّ والسفر يتقارب معناهما، كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: نفسرة، وسمي بها قارورة الماء، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح.

وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، وهذا الذي منع فيه القول بالرأى.

وأما التأويل فخالصه في اللغة: من الأول، ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي: إلام تقول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تكشف عاقبته، ويقال آل الأمر إلى كذا أي: صار إليه وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وأصله من المأل، وهو العاقبة والمصير وقد أولته فآل، أي: صرفته فانصرف، فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وإنما بنوه على التفعيل لما تقدم ذكره في التفسير.

وقيل: أصله من الإيالة، وهي السياسة فكان المؤول للكلام يسوى الكلام، ويضع المعنى فيه موضعه.

الفرق بين التفسير والتأويل

ثم قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال: والصحيح تباينهما واختلافهما، فقيل: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر.

قال الراغب^(٢): التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها. والتفسير

(١) المفردات القرآن (ص/٦٣٦).

(٢) المفردات القرآن (ص/٩٩-١٠٠) و(ص/٦٣٦).

أكثر ما يُستعمل في معانى مفردات الألفاظ .

واعلم أن التفسير في عرف العلماء : كشف معانى القرآن ، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتفسير أكثره في الجمل .

والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ ، كالبحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، أو في وجيز مبين بشرح ، كقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] ، وإما في كلام [تضمن لفظة] ^(١) لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧] ، وقوله : ﴿ وَلَيْسَ إِلَهَ بِيَّانٍ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩] ، وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عامًّا ، ومرة خاصًّا ، نحو «الكفر» يستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود البارئ خاصة ، و«الإيمان» المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق تارة [ق/ ٩٩] ، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة .

وقيل : التأويل كشف [ما] ^(٢) انغلق من المعنى ، ولهذا قال البجلي : التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية ، وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى . قال أبو نصر القشيري : ويعتبر في التفسير الاتباع والسماع ، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل ، وما لا يمتثل إلا معنى واحداً حمل عليه ، وما احتمل معنيين أو أكثر ؛ فإن وُضِعَ لأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق ، وإن وضع لمعان مختلفة فإن ظهر أحد المعنيين حمل على الظاهر ، إلا أن يقوم الدليل وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازاً أو في أحدهما حقيقة ، وفي الآخر مجاز كلفظة (المس) فإن تنافى الجمع فمجمعل يتوقف على البيان من غيره ، وإن تنافيا فقد قال قوم : يحمل على المعنيين . والوجه عندنا التوقف .

وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابورى ، والبغوى ، والكواشى ، وغيرهم : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها ، وما بعدها ، تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط . قالوا : وهذا غير محذور على العلماء بالتفسير ، وقد رخص فيه أهل العلم ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] قيل : هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل ، وقيل : هو الذي يقنط من رحمة الله ، وقيل : الذي يمسك عن النفقة ، وقيل : هو الذى ينفق الخبيث من ماله ، وقيل : الذى يتصدق بماله كله ثم يتكفف الناس ولكل منه مخرج ومعنى .

ومثل قوله تعالى للمندوبين إلى الغزو عند قيام النفير : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١] ؛ قيل : شيوخًا وشبابًا ، وقيل : أغنياء وفقراء ، وقيل عزابًا ومتأهلين ، وقيل : نشاطًا وغير نشاط ، وقيل : مرضى وأصحاء ، وكلها سائغ جائز والآية محمولة عليها ؛ لأن الشباب ، والعزاب ، والنشاط ،

(٢) سقط من المطبوع .

(١) في المطبوع : مضمن لقصة .

والأصحاء خفاف، وضدهم ثقال.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] قيل: الزكاة المفروضة، وقيل: العارية، أو الماء، أو النار، أو الكلال، أو الرغد، أو [المعرفة] ^(١)؛ وكلها صحيح لأن مانع الكل آثم.

وكقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] فسرهُ أبو عبيد: أي لا يدوم، وقال ثعلب أي: على شك. وكلاهما قريب، لأن المراد: أنه غير ثابت على دينه، ولا تستقيم البصيرة فيه.

وقيل: في القرآن ثلاث آيات في كل منها مائة قول، قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا مَا كُنتُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَإِنَّ عُدَّتُمْ عِدَّتًا﴾ [الإسراء: ٨]، و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فهذا وأمثاله ليس محظورًا على العلماء استخراجها، بل معرفته واجبة ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْتَغَاةً تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. ولولا أن له تأويلًا سائرًا في اللغة لم يبينه سبحانه، والوقف على قوله: ﴿وَالرَّسِيخُونَ﴾ قال القاضي أبو المعالي: إنه قول الجمهور، وهو مذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس. وما نقله بعض الناس عنهم بخلاف ذلك فغلط.

فأما التأويل المخالف للآية والشرع، فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض لقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩] أنهما على فاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الطُّورُ وَالْمَرْمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢] يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتٌ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَّكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ﴾ [البقرة: ٢٠٥]: إنه معاوية، وغير ذلك.

قال الإمام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري رحمه الله: وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل، ما اهدوا إليه، لا يحسنون القرآن تلاوة، ولا يعرفون معنى السورة أو الآية، ما عندهم إلا التشنيع عند العوام، والتكثير عند الطغام لنيل ما عندهم من الحطام، أعفوا أنفسهم من الكد والطلب، وقلوبهم من الفكر والتعب؛ لاجتماع الجهال عليهم، وازدحام ذوي الأغفال لديهم، لا يكفون الناس من السؤال، ولا يأنفون عن مجالسة الجهال، مفتضحون عند السبب والذواق، زانغون عن العلماء عند التلاق، يصادرون الناس مصادرة السلطان، ويحتفظون ما عندهم اختطاف السرحان، يدرسون بالليل صفحًا ويحكونه بالنهار شرحًا، إذا سئلوا غضبوا، وإذا نفروا هربوا القحة رأس مالهم، والخرق والطيش خير خصالهم، يتحلون بما ليس فيهم، ويتنافسون فيما يردلهم الصيانة عنهم معزل، وهم من الخنى والجهل في جوف منزل، وقد قال ﷺ: «المنشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» ^(٢) وقد قيل:

(١) في المطبوع: المفرقة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٢١٣٠).

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان
وجرى في السباق جرية سبكت نفته الجياد عند الرهان
قال: حكي عن بعضهم أنه سئل عن (الحاقة) فقال: الحاقة: جماعة من الناس إذا صاروا في
المجلس قالوا: كنا في الحاقة، وقال آخر في قوله تعالى: ﴿يَتَأْرَضُونَ لِمَاءِكُمْ وَيَسْمَأَةٌ أَلْيِي﴾ [هود: ٤٤]
قال: أمر الأرض بإخراج الماء، والسماء بصب الماء، وكأنه على القلب. وعن بعضهم في قوله تعالى:
﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَلَّتْ﴾ [التكوير: ٨] قال: إن الله ليسألكم عن الموءودات فيما بينكم في الحياة الدنيا.
وقال آخر في قوله: ﴿فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُنْتَلِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] قال: إنهم تعبوا في الدنيا، فإذا دخلوا
الجنة تنعموا.

قال أبو القاسم: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ
الرازي يقول: أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها صنائعها، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من
البيطار، والتمار من الزمار، والله المستعان على سوء الزمان وقلة الأعوان.

فصل في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم

كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله
بتقواه في السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات. واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى
السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل،
واللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام.

وللكل وصف ظاهر وباطن، وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد إحكام
الحلال والحرام، والمطلع أي: الإشراف من الوعد والوعيد، فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط
الموازنة، وظهر له حال المعاينة، وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:
«أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منه ظهر وبطن»^(١).

ثم فوائده على قدر ما يؤهل له سمعه، فمن سمعه من التالي ففائدته فيه علم أحكامه، ومن سمعه
كأنما يسمعه من النبي ﷺ يقرؤه على أمته بموعظته، وتبيان معجزته وانسراح صدره بلطائف خطابه،
ومن سمعه كأنما سمعه من جبريل عليه السلام، يقرؤه على النبي ﷺ يشاهد في ذلك مطالعات
الغيوب، والنطق إلى ما فيه من الوعود، ومن سمع الخطاب فيه من الحق فبني عنده، واتحَّت صفاته،
وصار موصوفاً بصفات التحقيق عن مشاهدة علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين، وقد قال أبو
الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين [ق/ ١٠٠] والآخرين فليثور القرآن.
قال ابن سبيع في (شفاء الصدور): هذا الذي قاله أبو الدرداء، وابن مسعود لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر.

وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر، وقال آخر: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع.

وبالجملية فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله، فهذه الأمور تدل على أن فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع، لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة، ولا بد من الإشارة إلى جل منها، ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

ومن ادعى فهم أسرار القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب، فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة؛ التي لا بد منها للفهم، وما لا بد فيها من استماع كثير؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، فما كان الرجوع فيه إلى لغتهم فلا بد من معرفتها؛ أو معرفة أكثرها، إذ الغرض مما ذكرناه التنبية على طريق الفهم ليفتح بابه، ويستدل المرید بتلك المعاني التي ذكرناها من فهم باطن علم القرآن وظاهره، على أن فهم كلام الله تعالى لا غاية له، كما لا نهاية للمتكلم به، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه للبشر، ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً.

ومن أحاط بظاهر التفسير - وهو معنى الألفاظ في اللغة - لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، فظاهر تفسيره واضح، وحقيقة معناه غامضة، فإنه إثبات للرمي، ونفي له، وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم ما رماه الله عز وجل.

وكذلك قال: ﴿فَتَلَوْتُمُوهُم مَّعَذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله تعالى هو المعذَّب؟ وإن كان تعالى هو المعذَّب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟ فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات، فلا بد أن يُعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة، وتفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى تتكشف وتتضح، فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير.

فصل في أمهات مآخذ التفسير للناظر في القرآن لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ

وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير . وإن سواد الأوراق سواد في القلب، قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير، قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير . فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] ^(١)، وتفسير (الحساب اليسير) بالعرض ^(٢) . رواهما البخاري . وتفسير (القوة) في ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] بالرمي ^(٣) . رواه مسلم . وبذلك يُردُّ تفسير مجاهد بالخيل . وكنتفسير العبادة بالدعاء في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] .

الثاني: الأخذ بقول الصحابي

فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، كما قاله الحاكم في تفسيره . وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل ألا يرجع إليه إذا قلنا: إن قوله ليس بحجة، والصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي . وقد أخرج ابن جرير عن مسروق، قال: وقال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته . وقال أيضًا: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن . وصدور المفسرين من الصحابة: علي، ثم ابن عباس، وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي إلا أن ابن عباس كان أخذ عن علي، ويتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص، وكل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم .

(١) أخرجه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦) .

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٧) .

مسألة في الرجوع إلى أقوال التابعين ثم ذكر طبقات المفسرين

وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل^(١) المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه، وقد حكوا في كتبهم أقوالهم، كالضحاك بن مزاحم، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وأبي العالية الرياحي، والحسن البصري، والربيع بن أنس ومقاتل بن سليمان، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني، ومرة الهمداني، وعلي بن أبي طلحة الوبلي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطية العوفي، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن زيد بن أسلم. فهذه تفاسير القدماء المشهورين، وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة، ولعل اختلاف الرواية عن أحمد إنما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم.

ومن المبرزين في التابعين: الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ثم يتلوهم عكرمة، والضحاك، وإن لم يلق ابن عباس وإنما أخذ عن ابن جبير، وأما عامر السدي، فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر.

وقال الحافظ أبو أحمد بن عدي في كتابه «الكامل»: ^(٢) للكلبي أحاديث صالحة، وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشيع فيه، وبعده مقاتل بن سليمان، إلا أن الكلبي يفضل على مقاتل؛ لما في مقاتل من المذاهب الرديئة، ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، والمفضل، وعبد الرزاق بن همام الصنعائي، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عباد، ويحيى بن قريش، ومالك بن سليمان الهروي، وعبد بن حميد الكشي، وعبد الله بن الجراح، وهشيم بن بشير، وصالح بن محمد اليزيدي، وعلي بن حجر بن إياس السعدي، ويحيى بن محمد بن عبد الله الهروي، وعلي بن أبي طلحة، وابن مردويه، وسنيد والنسائي وغيرهم. ووقع في مسند أحمد، والبزار، ومعجم الطبراني وغيرهم كثير من ذلك.

ثم إن محمد بن جرير الطبري، جمع على الناس أشات التفاسير، وقرب البعيد، وكذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وأما أبو بكر النقاش، وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سنتهما مكي، والمهدوي حسن التأليف، وكذلك من تبعهم كابن عطية وكلهم متقن مأجور فجزاهم الله خيراً.

(١) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن أحمد الظفري ولد سنة ٤٣٢، من كبار الخنابلة المتقدمين، صاحب التصانيف، مات سنة ٥١٣. وليس كما ذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم - رحمه الله - من كونه عبد الله بن محمد بن عقيل.

(٢) (١١٩/٦).

تنبيه فيما يجب أن يلاحظ عند نقل أقوال المفسرين

يكثُر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده، أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات [ق/ ١٠١]، كما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير
هذا كله حيث أمكن الجمع، [فأما إذا] ^(١) لم يمكن الجمع، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه إن استويا في الصحة، وإلا فالصحيح المقدم، وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قصر الآية على ذلك، ولقد بلغني عن شخص أنه أنكر على الشيخ أبي الحسن الشاذلي قوله في قوله تعالى: ﴿تَأْتِي بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة ١٠٦: ما ذهب الله بولي إلا أتى بخير منه أو مثله.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة

فإن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه - وقد سئل عن القرآن - تمثل له رجل بيت من الشعر، فقال ما يعجبني، فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة: روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً ^(٢).

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع

وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» ^(٣). وروى البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه. عن علي: هل خصكم

(١) في م: فإذا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٨٧).

رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل^(١).
وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل، فالنزول قد مضى، والتنزل باقٍ إلى قيام الساعة. ومن هاهنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى. ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقوله: ﴿لِئَلَّا يَأْتِيَ النَّاسُ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، [فأضاف البيان إليهم]^(٢).

وعليه حملوا قوله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(٣) رواه البيهقي من طرق من حديث ابن عباس. وقوله ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٤) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وقال: غريب من حديث ابن جندب.

وقال البيهقي في «شعب الإيمان»^(٥): هذا إن صح فإنما أراد -والله أعلم- الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به. وأما الرأي الذي يستند بهان فالحكم به في النوازل جائز، وهذا معنى قول الصديق: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله برأيي!»^(٦).

وقال في «المدخل»: في هذا الحديث نظر، وإن صح فإنما أراد -والله أعلم- فقد أخطأ الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة؛ الذين شاهدوا تنزيهه، وأدوا إلينا من سنن رسول الله ﷺ ما يكون تبيانا لكتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧) ومسلم (١٣٧٠).

(٢) سقط من م.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٥٠) والنسائي في «الكبرى» (٨٠٨٤) وأحمد (٢٠٧٠) والقضاعي (٥٥٤) وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٢٤/٥١) وابن عبد البر في «الجامع» (١٥٨٤) والبيهقي في «الشعب» (٢٢٧٥). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢) والترمذي (٢٩٥٢) والنسائي في «الكبرى» (٨٠٨٦) وأبو يعلى (١٥٢٠) والطبراني في «الكبير» (١٦٧٢) و«الأوسط» (٥١٠١) والبيهقي في «الشعب» (٢٢٧٧). قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم.

(٥) (٤٢٣/٢).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٦/٦) وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٣٠٦/٣٠) والبيهقي في «المدخل» (٧٩٢) و (٧٩٣). قال البيهقي: رواه البزار ورجال رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٣٨٤/٩). وقال السيوفي: أخرجه البزار بسند صحيح. «الدر المنثور» (١٣٢/٥).

فما ورد بيانه عن صاحب الشرع، ففيه كفاية عن ذكره من بعده، وما لم يرد عنه بيان فقيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد.

قال: وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب - وإن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة.

وقال الإمام أبو الحسن الماوردى في نكته: قد جهل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معانى القرآن باجتهاده، ولو صحبتها الشواهد، ولم يعارض شواهدا نص صريح، وهذا عدول عما تُعبدنا من معرفته من النظر في القرآن، واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِقُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. ولو صح ما ذهب إليه لم نعلم شىء بالاستنباط، ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً، وإن صح الحديث فتاويله: أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق، فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق، إذ الغرض أنه مجرد رأى لا شاهد له، وفي الحديث أن النبى ﷺ قال: «القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه» (١).

[وقوله: «ذلول» يحتمل وجهين أحدهما: أنه مطيع لحامله، ينطق بألستهم. الثانى: أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين] (٢).

وقوله: «ذو وجوه» يحتمل معنيين: أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل. والثانى: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه»، يحتمل أيضاً وجهين: أحدهما: الحمل على أحسن معانيه، والثانى: أحسن ما فيه من العزائم، دون الرخص والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله.

وقال أبو الليث (٣):

النهى إنما انصرف إلى التشابه منه لا إلى جميعه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [ال عمران: ٧]، لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وشأن النزول أن يفسره، وأما من كان من المكلفين ولم يعرف وجوه اللغة، فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع، فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على سبيل التفسير، فلا بأس [به] (٤) ولو أنه يعلم التفسير، فأراد أن يستخرج من الآية حكمة أو دليلاً لحكم فلا بأس به.

(١) أخرجه الدارقطني (١٤٤/٤) وهو ضعيف جداً كما في «الضعيفة» (١٠٣٦).

(٢) سقط من م. (٣) البستان (ص/٤١) بتصرف واختصار.

(٤) سقط من م.

ولو قال: المراد من الآية كذا من غير أن سمع منه شيئاً فلا يحل، وهو الذى نهى عنه. انتهى
وقال الرانجب في مقدمة تفسيره:

اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذى علم الخوض فيه؟ فمنهم من بالغ ومنع الكلام، ولو تفنن الناظر في العلوم، واتسع باعه في المعارف، إلا بتوقيف عن النبي ﷺ، أو عمن شاهد التنزيل من الصحابة، أو من أخذ منهم من التابعين، واحتجوا بقوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ» وفي رواية: «من قال في القرآن برأيه فقد كفر».

وقيل: إن كان ذا معرفة وأدب فواسع له تفسيره، والعقلاء والأدباء فوضى (١) في معرفة الأغراض، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لِيَذَّبَرُواْ بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

أقسام التفسير

وقد روى عبد الرزاق في تفسيره: حدثنا الثوري عن ابن عباس، أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام: قسم تعرفه العرب في كلامها، وقسم لا يعذر أحد بجهالته يقول: من الحلال والحرام، وقسم يعلمه العلماء خاصة، وقسم لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب (٢). وهذا تقسيم صحيح.

فأما الذى تعرفه العرب: فهو الذى يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب. فأما اللغة: فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ، ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد والاثنين [ق/ ١٠٢] والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان مما يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهد من الشعر.

وأما الإعراب: فما كان اختلافه محيلاً للمعنى، وجب على المفسر والقارئ تعلمه ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم، وليسلم القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلاً للمعنى وجب تعلمه على القارئ، ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر ليتوصل إلى المقصود دونه؛ على أن جهله نقص في حق الجميع. إذا تقرر ذلك؛ فما كان من التفسير راجعاً إلى هذا القسم، فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب، وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين.

الثانى: ما لا يعذر واحد بجهله، وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى.

(٢) انظر «جامع البيان» (١٢٧/٢٤).

(١) أي: يتساوون.

فهذا القسم لا يختلف حكمه ، ولا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ، [وأنه لا شريك له في إلهيته ، وإن لم يعلم أن (لا) موضوعة في اللغة للنفى ، (وإلا) للإثبات ، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ، ونحوها من الأوامر طلب إدخال ماهية المأمور به في الوجود ، وإن لم يعلم أن صيغة (افعل) مقتضاها الترجيح وجوباً ، أو ندباً ، فما كان من هذا القسم ، لا يقدر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه ؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة^(١) .

الثالث : ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب ، نحو الآى المتضمنة قيام الساعة ، ونزول الغيث ، وما في الأرحام ، وتفسير الروح ، والحروف المقطعة ، وكل مشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساع للاجتهاد في تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه : إمانص من التنزيل ، أو بيان من النبى ﷺ ، أو إجماع الأمة على تأويله ؛ فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات ، علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه .

والرابع : ما يرجع إلى اجتهاد العلماء ، وهو الذى يغلب عليه إطلاق التأويل ، وهو صرف اللفظ إلى ما يثول إليه ، فالمفسر ناقل ، والمؤول مستنبط ، وذلك استنباط الأحكام ، وبيان المجمل وتخصيص العموم .

وكل لفظ احتمال معنيين فصاعداً ، فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل ، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه على ما تقدم بيانه .
وكل لفظ احتمال معنيين فهو قسامان :

أحدهما : أن يكون أحدهما أظهر من الآخر ، فيجب الحمل على الظاهر ، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي ، دون الجلي ، فيحمل عليه .

الثانى : أن يكونا جليين والاستعمال فيهما حقيقة ، وهذا على ضربين :

أحدهما : أن تختلف أصل الحقيقة فيهما ، فيدور اللفظ بين معنيين هو في أحدهما حقيقة لغوية ، وفى الآخر حقيقة شرعية ، فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينته على إرادة اللغوية ، نحو قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ، وكذلك إذا دار بين اللغوية ، والعرفية ، فالعرفية أولى لطريقتها على اللغة ، ولو دار بين الشرعية والعرفية ، فالشرعية أولى لأن الشرع ألزم .

الضرب الثانى : لا تختلف أصل الحقيقة ، بل كلا المعنيين استعمل فيهما ؛ فى اللغة أو فى الشرع أو العرف على حد سواء . وهذا أيضاً على ضربين :

(١) سقط من م .

أحدهما: أن يتنافيا اجتماعًا ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد، كالقراء؛ حقيقة في الحيض والطهر، فعلى المجتهد أن يجتهد في المراد منهما، بالأمارات الدالة عليه؛ فإذا وصل إليه كان هو مراد الله في حقه، وإن اجتهد مجتهد آخر فأدى اجتهاده إلى المعنى الآخر؛ كان ذلك مراد الله تعالى في حقه، لأنه نتيجة اجتهاده، وما كلف به فإن لم يترجح أحد الأمرين لتكافؤ الأمارات فقد اختلف أهل العلم، فمنهم من قال: يُخَيَّرُ في الحمل على أيهما شاء، ومنهم من قال: يأخذ بأعظمهما حكمًا ولا يبعد اطراد وجه ثالث، وهو أن يأخذ بالأخف كاختلاف جواب المفتين.

الضرب الثاني: ألا يتنافيا اجتماعًا فيجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة وأحفظ في حق المكلف، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما وهذا أيضًا ضربان: أحدهما: أن تكون دلالاته مقتضية لبطلان المعنى الآخر، فيتعين المدلول عليه للإرادة.

والثاني: ألا يقتضى بطلانه وهذا اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: يثبت حكم المدلول عليه ويكون مرادًا ولا يحكم بسقوط المعنى الآخر، بل يجوز أن يكون مرادًا أيضًا وإن لم يدل عليه دليل من خارج، لأن موجب اللفظ عليهما، فاستويا في حكمه - وإن ترجح أحدهما بدليل من خارج، ومنهم من قال: ما ترجح بدليل من خارج أثبت حكمًا من الآخر لقوته بمظاهرة الدليل الآخر.

فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل، والله أعلم.

إذا تقرر ذلك فينزل قوله ﷺ: «من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده عن النار»^(١) على قسمين من هذه الأربعة:

أحدهما: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة لسان العرب.

الثاني: حمل اللفظ المحتمل على أحد معنيه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم: علم العربية واللغة، والتبحر فيهما، ومن علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء، وصيغ الأمر والنهي، والخبر، والمجمل، والمبين، والعموم. والخصوص، والظاهر، والمضمر، والمحكم، والمشابه، والمؤول، والحقيقة، والمجاز، والصريح، والكنائية، والمطلق، والمقيد، ومن علوم الفروع ما يدرك به استنباطًا، والاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه، ومع ذلك فهو على خطر، فعليه أن يقول: يحتمل كذا، ولا يجوز إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به، فأدى اجتهاده إليه، فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله.

فإن قيل: فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع»^(٢) فما معنى ذلك؟ قلت: أما قوله: (ظهر وبطن) ففي تأويله أربعة أقوال:

أحدها: - وهو قول الحسن: - إنك إذا بحثت عن باطنها وقستة على ظاهرها، وقفت على معناها.

(١)، (٢) تقدم.

الثاني: - قول أبي عبيدة: - إن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين وباطنها عظة للآخرين.
الثالث: قول ابن مسعود رضي الله عنه: إنه ما من آية إلا عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها (١).

الرابع: - قاله بعض المتأخرين: - إن ظاهرها لفظها، وباطنها تأويلها.
وقول أبي عبيدة: أقرها.

وأما قوله: ولكل حرف حد ففيه تأويلان:

أحدهما: لكل حرف منتهى فيما أراد الله من معناه.

الثاني: معناه أن لكل حكم مقدارًا من الثواب والعقاب.

وأما قوله: «ولكل حد مطلع ففيه قولان»:

أحدهما: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل إلى معرفته، ويوقف على المراد به.

والثاني: لكل ما يستحقه من الثواب والعقاب، مطلع يطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة.

وقال بعضهم: منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك آجال حادثة في أوقات آتية،

كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك لقوله: ﴿لَا يَحِطُهَا لَوْحًا

إِلَّا هُوَ تَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومنه: ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به

القرآن، وذلك إبانة غرائبه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشتركة منها، والموصوفات

بصفاتنا الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يحمله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تاليًا يتلو:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

[البقرة: ١١-١٢] لم يجهل أن معنى الفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضر، وأن الإصلاح مما ينبغي فعله مما

هو منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادًا والمعاني التي جعلها الله إصلاحًا، فأما تعليم

التفسير ونقله عن قوله حجة ففيه ثواب وأجر عظيم، كتعليم الأحكام من الحلال والحرام.

تنبيه في كلام الصوفية في تفسير القرآن

فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل ليس تفسيرًا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند

التلاوة، كقول بعضهم في: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَبْلُ الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] إن

المراد النفس، فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

قال ابن الصلاح في فتاويه (٢): وقد وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه صنف أبو

(١) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم. «الإتقان» (٤/ ٤٧٣).

(٢) (ص/ ١٩٦-١٩٧).

عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر .

قال : وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلخوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم ذكر لنظير ما ورد به القرآن ، فإن النظير يُذكر بالنظير ، فمن ذلك مثال النفس في الآية المذكورة ، فكأنه قال : أمرنا بقتال النفس ومَنْ يَلِينَا مِنَ الْكُفَّارِ ، ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك ، لما فيه من الإيهام والالتباس ! انتهى .

فصل

حكى الشيخ أبو حيان ^(١) عن بعض من عاصره أن طالب علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه ، بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم ، وأن فهم الآيات يتوقف على ذلك ، ثم بالغ الشيخ في رده لأثر على السابق . والحق أن علم التفسير ، منه ما يتوقف على النقل ، كسبب النزول ، والنسخ ، وتعيين المبهم ، وتبيين المجمل . ومنه ما لا يتوقف ، ويكفى في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر . وكان السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ، ليحمل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً ، وهذا من الفروع في الدين .

تفخيل لما سبق

واعلم أن القرآن قسمان : أحدهما : ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره ، وقسم لم يرد . والأول ثلاثة أنواع : إما أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الصحابة ، أو عن رءوس التابعين ، فالأول يبحث فيه عن صحة السند ، والثاني ينظر في تفسير الصحابي ، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، وحيث إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة ، فإن أمكن الجمع فذاك ، وإن تعذر قُدِّم ابن عباس ؛ لأن النبي ﷺ بشره بذلك ، حيث قال : «اللهم علمه التأويل» ^(٢) وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض . لقوله ﷺ : «أفرضكم زيد» ^(٣) فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء ، وأما الثالث : وهم رءوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي ﷺ ولا إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا ؛ وإلا وجب الاجتهاد .

(١) (٥/١) . (٢) أخرجه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٩١) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٢) وابن ماجه (١٥٤) وأحمد (١٢٤٩٣) وابن حبان (٥٧٨٤) والبيهقي في «الكبرى» (١٢٤٣١) . قال الترمذي : حسن صحيح .

الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات)، فيذكر قيماً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق.

فصل فيما يجب على المفسر البداءة به

الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن، من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبينه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره، وهو كما قالوا: إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها.

وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة.

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف. ومن جهة ردّ الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب، ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى؛ أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة، وحقائقها، ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكنائية. والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

الرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية، والاستحسان ومقابله وهو يتعلق بعلم البديع.

[مسألة] ^(١) في أن الإعجاز يكون في اللفظ والمعنى والملائمة

وقد سبق لنا في باب الإعجاز، أن إعجاز القرآن لأشماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام؛ مع ما تضمنه من المعاني مع [ملاءمته] ^(٢) التي هي نظوم تأليفه.

(٢) في م: بلاغته.

(١) في م: فصل.

فأما الأول: وهو معرفة الألفاظ، فهو أمر نقلي يؤخذ عن أرباب التفسير، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ وَأَبًا﴾ [عبس: ٣١] فلا يعرفه؛ فيراجع نفسه ويقول: ما الأب؟ ويقول: إن هذا منك تكلف^(١). وكان ابن عباس - وهو ترجمان القرآن - يقول: لا أعرف ﴿حناناً﴾ ولا ﴿غليلين﴾ ولا ﴿الرقيم﴾. وأما المعاني التي [تحتها] (٢) الألفاظ فالأمر في معانيتها أشد لأنها نتائج العقول. وأما رسوم النظم، فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، (٣) وبه يتصل أجزاء الكلام، ويتسم بعضه ببعض؛ فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان، فليس المفرد بذرب اللسان وطلاقة كافيًا، لهذا الشأن ولا كل من أوتي خطاب بديهية ناهضة بحمله ما لم يجمع إليها سائر الشروط.

مسألة في أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن (٤)

قيل: أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجل في مكان فقد فُصِّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ولهذا قال ﷺ: «إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه» (٥) يعني: السنة فإن لم [ق/ ١٠٤] يوجد في السنة يُرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يُرجع إلى النظر والاستنباط بالشرط السابق.

مسألة فيما يجب على المفسر من التحوط في التفسير

ويجب أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه من إيضاح المعنى المفسر، أو أن يكون في ذلك المعنى زيادة لا تليق بالغرض، أو أن يكون في المفسر زيغ عن المعنى المفسر، وعدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض أنحاءه، بل يجتهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحاء، وعليه بمراعاة الوضع الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف، وأن يوافي بين المفردات وتلميح الوقائع، فعند ذلك تنفجر له ينابيع الفوائد.

ومن شواهد الإعراب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَسَطْنَا بِآدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلَّمَتْهُ﴾ [البقرة: ٣٧] ولولا الإعراب

(١) تقدم.

(٢) سقط من م.

(٤) صنف فيه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي كتابه النفيس «أضواء البيان» وتوفى عنه ولم يتمه فأتمه تلميذه الشيخ عطية بن محمد سالم، ورحمهما الله تعالى.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) وأحمد (١٧٦٢٢) وابن حبان (١٢) والدارقطني (٢٨٧/٤) والطبراني في «الكبير» (٢٨٣/٢٠) حديث (٦٦٩) وهو حديث صحيح.

لما عُرف الفاعل من المفعول به .

ومن شواهد النظم قوله تعالى : ﴿وَأَلْنِي لَرَّ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤] فإنها منتظمة مع ما قبلها منقطعة عما بعدها . وقد يظهر الارتباط وقد يشكك أمره ؛ فمن الظاهر قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلُ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [يونس: ٣٤] ووجه ظهوره أنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد ، فتعين أن يكون قوله : ﴿قُلُ اللَّهُ﴾ جواب سؤال ، كأنهم لما سألوا سمعوا ما قبله من رسول الله ﷺ وهو : ﴿مَنْ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ أجابهم بقوله : ﴿قُلُ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ فترك ذكر السؤال . ونظيره ﴿قُلُ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلُ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] .

مسألة في النهي عن ذكر لفظ الحكاية عن الله تعالى

ووجوب تجنب إطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة في القرآن

وكثيراً ما يقع في كتب التفسير «حكى الله تعالى» وينبغي تجنبه .

قال الإمام أبو نصر القشيري في كتابه «المرشد» : قال معظم أئمتنا : لا يقال : «كلام الله يحكى» ، ولا يقال : «حكى الله» ، لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل . وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار ، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف كـ «ما» في نحو : ﴿فِيمَا رَحَمْتُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، والكاف في نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ونحوه ، والذي عليه المحققون تجنب هذا اللفظ في القرآن ، إذ الزائد ما لا معنى له ، وكلام الله منزّه عن ذلك ، ومن نص على منع ذلك في المتقدمين ، الإمام داود الظاهري ، فذكر أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن سعيد الداودي ، في [كتاب] (١) «المرشد» له ، في أصول الفقه على مذهب داود الظاهري وروى بعض أصحابنا ، عن أبي سليمان أنه كان يقول : ليس في القرآن صلة بوجه ، وذكر أبو محمد بن داود وغيره ، من أصحابنا مثل ذلك . والذي عليه أكثر النحويين خلاف هذا ، ثم حكى عن أبي داود مثله ، يزعم الصلة فيها ؛ كقوله تعالى : ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦] ، وقال : إن «ما» هاهنا للتعليل مثل : «أحب حبيبك هوناً ما» .

فصل في تقسم التأويل إلى منقاد ومستكره

التأويل ينقسم إلى منقاد ومستكره:

فالأول : ما لا تعرض فيه بشاعة أو استقباح ، وقد يقع فيه الخلاف بين الأئمة :

إما لا شراك في اللفظ نحو : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هل هو من بصر العين أو

القلب؟

(١) في المطبوع : الكتاب .

وإما لأمر راجع إلى النظم كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: ١٦٠] ، هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف وحده أو عائد إلى الجميع؟ وإما لغموض المعنى ووجازة النظم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَّوْا أَطَّلَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧] . وإما لغير ذلك .

وأما المستكره فما يستبشع إذا عُرض على الحجة، وذلك على أربعة أوجه :
الأول: أن يكون لفظاً عاماً، فيختص ببعض ما يدخل تحته كقوله: ﴿وَصَلِّحْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم ٤] ، فحمله بعضهم على علي رضي الله عنه فقط .

الثاني: أن يلفق بين اثنين؛ كقول من زعم تكليف الحيوانات في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّةٌ أُنْزِلَتْ عَلَيْهَا مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [٣٨] : إنهم مكلفون كما نحن .

الثالث: ما استعير فيه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] في حمله على حقيقته .
الرابع: ما أشعر باشتقاق بعيد؛ كما قال بعض الباطنية في البقرة: إنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم، وفي الهدهد: إنه إنسان موصوف بجودة البحث والتنقيب .

والأول أكثر ما يروج على المتفهمه الذين لم يتبحروا في معرفة الأصول، والثاني على المتكلم القاصر في معرفة شرائط النظم، والثالث على صاحب الحديث الذي لم يتهدب في شرائط قبول الأخبار، والرابع على الأديب الذي لم يتهدب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات .

فائدة فيما نقل عن ابن عباس في تفسير بعض الآيات

رُوى عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] فقال: الموت^(١) .

قال السهيلي^(٢): وهو تفسير يحتاج لتفسير .

ورأيت لبعض المتأخرين أن مراد ابن عباس: أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء؛ كما جاء أنه يُذبح على الصراط، فكأن المعنى لو كنتم حجارة أو حديداً لبادر إليكم الموت، ولو كنتم الموت الذي يكبر في صدوركم فلا بد لكم من الموت والله أعلم بتأويل ذلك .

قال: وبقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته في فهمها .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٨/٧) وابن جرير (٨٩/٨) والحاكم (٣٣٧٧) وهو قول مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انظر: «تفسير البغوي» (ص/٩٨) .

(٢) الروض الأنف (١/١٥٧) .

فصل أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر

أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير . واعلم أنه لا يحصل للنظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كبر أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو يكون غير متحقق الإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو متعمدا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر ، أو يكون راجعا إلى معقولة ؛ وهذه كلها حجب وموانع ، وبعضها أكد من بعض ، إذا كان العبد مُضغياً إلى كلام ربّه ، ملقى السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ، ناظراً إلى قدرته ، تاركا للمعهود من علمه ومعقوله ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظماً للمتكلم ، مفتقراً إلى التفهم ، بحالٍ مستقيم ، وقلب سليم ، وقوة علم ، وتمكّن سَمْعٍ لفهم الخطاب ، وشهادة غيب الجواب ، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسك ، وانتظارٍ للفتح عليه من عند الفتح العليم . وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم ؛ من الوعد بالتشويق ، والوعيد بالتخويف ، والإنذار بالتشديد ؛ فهذا القارئ أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن ؛ وفي مثل هذا قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١] .

وهذا هو الراسخ في العلم ؛ جعلنا الله [وإياكم] ^(١) من هذا الصنف ، ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] .

فصل في القرآن علم الأولين والآخرين

وفي القرآن علم الأولين والآخرين ، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى ، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين : ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١] ؛ فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها بالتعابن ليظهر التعابن في فقده .

وقوله تعالى مخبراً عن عيسى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ [مريم: ٣٠] إلى قوله : ﴿ أَبْعَثْ حَيًّا ﴾ ثلاث وثلاثون كلمة وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

وقد استنبط الناس زلزلة عام اثنين وسبعمائة من قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ﴾ [الزلزلة: ١] فإن الألف بائتين ، والذال بسبعمائة ^(٢) .

وكذلك استنبط بعض أئمة العرب فتح بيت المقدس ، وتخليصه من [ق/ ١٠٥] أيدي العدو في أول سورة الروم بحساب الجمل ، وغير ذلك .

(٢) هذا بحساب أبي جاد .

(١) سقط من المطبوع .

فصل قد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء

وقد [يُستنبط الحكم من] ^(١) السكوت عن الشيء كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُدِيرُكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا لِيُعْلَمَنَّهُنَّ . . .﴾ الآية [النور: ٣١]، ولم يذكر الأعمام والأخوال وهم من المحارم، وحكمهم حكم من سُمِّي في الآية. وقد سئل الشعبي عن ذلك؟ فقال: لثلاث يضعه العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها، وكذا الخال فيفضي إلى الفتنة، والمعنى فيه: أن كل من استثنى مشترك بابنه في المحرمية إلا العم، والخال وهذا من الدلائل البليغة على وجوب الاحتياط في سترهن.

ولقائل أن يقول: هذه المفسدة محتملة في أبناء بعولتهن لاحتمال أن يذرها أبو البعل عند ابنه الآخر، وهو ليس بمحرم لها، وأبو البعل ينقض قولهم: إن من استثنى اشترك هو وابنه في المحرمية. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَاقَ أَفْسَحُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ . . .﴾ الآية [النور: ٦١]، ولم يذكر الأولاد فقيل: لدخولهم في قوله ﴿بُيُوتِكُمْ﴾.

(٢) فصل في تقسيم القرآن إلى ما هو بين بنفسه

(٣) وإلى ما ليس ببين في نفسه فيحتاج إلى بيان

ينقسم القرآن العظيم إلى:

ما هو بين بنفسه، بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه، ولا من غيره وهو كثير ومنه قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ﴾ الآية . . .

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ . . .﴾ الآية .

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

وقوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْكَتِبْ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا﴾ [النساء: ٤٧].

وإلى ما ليس ببين بنفسه فيحتاج إلى بيان.

وبيانه إما فيه في آية أخرى، أو في السنة؛ لأنها موضوعة للبيان قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

والثاني: ككثير من أحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والمعاملات، والأنكحة، والجنائيات، وغير ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ولم يذكر

(٢) ويسمى المجمع.

(١) في م: استنبطك بعض أئمة العرف.

(٣) ويسمى المبين.

كيفية الزكاة، ولا نصابها، ولا أوقاصها، ولا شروطها، ولا أحوالها، ولا من تجب عليه ممن لا تجب عليه وكذا لم يبين عدد الصلاة ولا أوقاتها .

وكقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [ال عمران ٩٧] ، ولم يبين أركانه ولا شروطه ، ولا ما يجزئ في الإحرام وما لا يجزئ ، ولا ما يوجب الدم ، ولا ما لا يوجبه وغير ذلك ، والأول قد أوردنا النبي ﷺ إليه بما ثبت في الصحيحين ^(١) عن ابن مسعود لما نزل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوأما قال لقمان لابنه ﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْكُفْرَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]» فحمل النبي ﷺ الظلم هاهنا على الشرك لمقابله بالإيمان . واستأنس عليه بقول لقمان .

وقد يكون بيانه مضمراً فيه ؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ؛ فهذا يحتاج إلى بيان ، لأن ﴿حَتَّىٰ﴾ لا بد لها من تمام ، وتأويله حتى إذا جاءوها وجاءوها وفتحت أبوابها . ومثله ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] أى «لكان هذا القرآن» على رأى النحويين . قال ابن فارس ^(٢) : ويسمى هذا عند العرب الكف .

وقد يؤمى إلى المحذوف ، إما متأخر كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] ؛ فإنه لم يجز له جواب فى اللفظ ، لكن أوماً إليه قوله: ﴿قَوْلٌ لِّلنَّبِيِّ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] ، وتقديره ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] كمن قسا قلبه !

وإما متقدم كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيئٌ مَّائِةَ أَيْلٍ﴾ [الزمر: ٩] ؛ فإنه أوماً إلى ما قبله ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبُ دَعَا رَبِّهِ مِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨] ؛ كأنه قال : أهذا الذى هو هكذا خير أم من هو قانت فأضمر المبتدأ . ونظيره ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: ١٥] ، ومن هذه صفته ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ﴾ [محمد: ١٥] !

وقد يكون بيانه واضحا وهو أقسام:

أحدها: أن يكون عقبه ، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾ [الإخلاص: ٢] ، قال محمد بن كعب القرظي: تفسيره ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ^(٣) ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] . وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] قال أبو العالية: تفسيره . ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ^(٤) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠-٢١] . وقال ثعلب: سألتى محمد بن طاهر ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله تعالى .

(٢) الصاحبي (ص/ ٢١٥) .

(١) تقدم

وكقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧] فسرّه بقوله: ﴿مَقَامٌ إِزْهِيمٌ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ومعلوم أنه لم يرد به المسيح وعزيراً [والملائكة] ^(١) فنزلت الآية مطلقة؛ اكتفاء بالدلالة الظاهرة، على أنه لا يعذبهما الله، وكان ذلك بمنزلة الاستثناء باللفظ. فلما قال المشركون: هذا المسيح وعزير، قد عُبدَا من دون الله؛ أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وقوله: ﴿يُرِيكُمْ آتْيَافَهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]؛ ففسر رؤية البرق بأنه ليس في رؤيته إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار. وفيها لطيفة؛ وهي تقديم الخوف على الطمع إذ كانت الصواعق تقع من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد تواتر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يكذب؛ فقدم الخوف على الطمع ناسخاً للخوف، كمجيء الفرج بعد الشدة.

وكقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ...﴾ [الآية: النور: ٤٥]، وفيها لطيفة حيث بدأ بالماشي على بطنه، فإنها سبقت لبيان القدرة، وهو أعجب من الذي بعده، وكذا ما يمشي على رجلين أعجب من يمشي على أربع.

وكقوله تعالى: ﴿فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٥] فهذا عام في المسلم والكافر، ثم بين أن المراد المؤمنات بقوله: ﴿وَمِنْ فَئِمَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [النساء: ٢٥] فخرج تزوج الأمة الكافرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَنُوزٍ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]؛ فإن الأول اسم منه، والثاني «أفعل» تفضيل بدليل قوله بعده ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ولهذا قرأ أبو عمرو الأول بالإمالة؛ لأنه اسم، والثاني بالتصحیح ليفرق بين ما هو اسم وما هو أفعل منه بالإمالة، وتركها.

فإن قلت: فقد قال النحويون: «أفعل» التفضيل لا يأتي من الخلق، فلا يقال زيد أعمى من عمرو لأنه لا يتفاوت!

قلت: إنما جاز في الآية لأنه من عمى القلب، أي من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عما يرى من القدرة الإلهية، ولا يؤمن به فهو عما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى أن يؤمن به أي أشد عمى، ولا شك أن عمى البصيرة متفاوت.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] قال البيهقي في «شعب الإيمان»: ^(٢) الأشبه أن المراد بالصبر هاهنا الصبر على الشدائد؛ لأنه أتبع مدح الصابرين بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَبِيرِ الضَّرِيرِ﴾ [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ] [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

(٢) (١١٣/٧).

(١) سقط من المطبوع.

الثانى أن يكون بيانه منفصلاً عنه فى السورة معه أو فى غيره، كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، وبيانه فى سورة الانفطار بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧-١٩] .

وقوله فى سورتى النمل والقصص: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٨٤] ، ولم يبين فى ليل ولا نهار، وبينه فى سورة الدخان بقوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَتٍ﴾ [الدخان: ٣] ثم بينها فى ليلة القدر بقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ، فالباركة فى الزمان؛ هى ليلة القدر فى هذه السورة، لأن الإنزال واحد، وبذلك يرد على من زعم أن المباركة ليلة النصف من شعبان [ق/ ١٠٦] وعجب كيف غفل عن ذلك .

وقد استنبط بعضهم هنا بياناً آخر، وهو أنها ليلة سبعة عشر من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ، وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان . وفى ذلك كلام .
وقوله تعالى: ﴿أَذَلُّوْا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ففسره فى آية الفتح: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكٰفِرِ رَحْمَةً يَبْتَدِئُ بِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وقوله تعالى: ﴿يُكَذِّبُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٣-٢٤] ، وقد فسره فى سورة فاطر: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] .

وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَسْأَلًا﴾ [الزخرف: ١٧] ، بين ذلك بقوله فى النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى﴾ [النحل: ٥٨] .

وذكر الله الطلاق مجملاً وفسره فى سورة الطلاق .

وقال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦] ، فاستثنى الأزواج وملك اليمين ثم حظر تعالى الجمع بين الأختين وبين الأم والابنة والرابثة بالآية الأخرى .

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فإن ظاهره مشكل؛ لأن الله سبحانه قد هدى كفاراً كثيراً وماتوا مسلمين، وإنما المراد لا يهدي من كان فى علمه أنه قد حقت عليه كلمة العذاب، وبيانه بقوله تعالى فى السورة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُقْدِمُ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] ، وقوله فى سورة أخرى ﴿إِنَّ الدِّينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦] وكثير من الناس يدعون فلا يستجاب لهم، وبيانه بقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] فبين أن الإجابة

متعلقة بالمشيئة على أن النبي ﷺ ، قد فسر الإجابة بقوله : « ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها طعيمة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من سوء مثلها » (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ تُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ [الشورى : ٢٠] ، وكثير من الناس يريد ذلك فلا يحصل له وبيانه في قوله : ﴿ مَنْ كَانَتْ تُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَوْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ تُرِيدُ ﴾ [الإسراء : ١٨] فهو كالذي قبله متعلق بالمشيئة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا فُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، وقال في آية أخرى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ فُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] ؛ فإنه قد يستشكل اجتماعهما ؛ لأن الوجل خلاف الطمأنينة ؛ [وهذا] (٢) غفلة عن المراد ؛ لأن الاطمئنان إنما يكون عن تلج القلب وشرح الصدر بمعرفة التوحيد والعلم ، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة ، والشواب الجزيل ، والوجل إنما يكون عند خوف الزينغ ، والذهاب عن الهدى ، وما يستحق به الوعيد بتوجيل القلوب كذلك ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ نَفْسَعُرْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَفُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ، ووثقوا به فانتفى عنهم الشك والارتباب الذي يعرض إن كان كلامهم فيمن أظهر الإسلام تعوداً ، فجعل لهم حكمة دون العلم الموجب لشلج الصدور ، وانتفاء الشك ، ونظائره كثيرة .

ومنه قوله تعالى في قصة لوط ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ (٣) وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدًا وَامْضُؤْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٥] ، فلم يستن امرأته في هذا [الموضع] ؛ (٤) وهي مستثناة في المعنى بقوله في الآية الأخرى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكِيحًا ﴾ [هود : ٨١] فأظهر الاستثناء في هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر : ٥٢] ؛ اختصر جوابه لبيانه في موضع آخر : ﴿ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٥] .

وكقوله : ﴿ تَلَفَّرْ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ . . . ﴾ الآية [البقرة : ١٧٨] ، فإنها نزلت تفسيراً وبيانا لمجمل قوله : ﴿ وَكَلْبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥] لأن هذه لما نزلت لم يفهم مرادها . وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣] هي تفسير لقوله : ﴿ وَلَا تَسْكُحُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ آلِ نِسَاءِ . . . ﴾ الآية [النساء : ٢٢] .

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣١١) وفي «جلس في رؤية الله» (٤٠٠) والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٧١٠) من حديث أبي سعيد بسند صحيح .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع : الموضوع .

- وقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، فإن هذه الآية جملة لا يعلم منها من يرث من الرجال والنساء بالفرض والتعصيب، ومن يرث ومن لا يرث، ثم بيته في آية أخرى بقوله: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].
- وكقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]؛ فهذا الاستثناء مجمل؛ بيته في آية أخرى بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَوَالَيَاتُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَوَالَيَاتُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ [المائدة: ٣].
- وكقوله: ﴿يَسْأَلُوكُمُ اللَّهُ فِتْنَةً مِّنَ الصَّدَقَاتِ . . .﴾ [الآية [المائدة: ٩٤]، فهذا الابتلاء مجمل؛ لا يعلم أحد في الحل أم في الحرم؛ بيته قوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ . . .﴾ [الآية [المائدة: ٩٥].
- وكقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُكَ﴾ [الروم: ٣] وهذا المجمع بيته في آية أخرى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ . . .﴾ [الآية [التوبة: ٣٣].
- وكقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٤٠]، قال العلماء: بيان هذا العهد قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ . . .﴾ [الآية [المائدة: ١٢]، فهذا عهده عز وجل، وعهدهم تمام الآية في قوله: ﴿لَأُكْفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ . . .﴾ [المائدة: ١٢] فإذا وفوا العهد الأول؛ أعطوا ما وعدوا.
- وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] يرد عليهم بقوله: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْكَبِيرِ﴾ [إِنَّكَ لَئِنَ الْمُرْسَلِينَ] [يس: ١-٣].
- وقوله تعالى: ﴿زُرْنَا كَيْفَ عَنَّا الْعَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٧]؛ فقليل لهم ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَثَّفْنَا مَا فِيهِمْ مِّنْ ضَرٍّ لَّجُرَأُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وقيل: بل نزل بعده: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ﴾ [الدخان: ١٥]، والتقدير: إن كشفنا العذاب تعودوا.
- وقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فردَّ عليهم بقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].
- وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] بيانه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [علم القسرة: ١-٢].
- وقوله: ﴿قَدْ سَعَيْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١] فقليل لهم: ﴿لَئِنْ اجْتَمَعَتِ أَلْبَابُ الْحِجْرِ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الاسراء: ٨٨].
- وقوله: ﴿وَأَنْطَلِقُ اللَّيْلُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاسْبِرُوا عَلَىٰ الْهَجْرَةِ﴾ [ص: ٦]؛ فقليل لهم في الجواب ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوَىٰ لَهُمْ . . .﴾ [انصت: ٢٤] الآية.
- ومنه ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ [القمر: ٤٤] فقليل لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ [الصفات: ٢٥].

ومنه ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [ال عمران: ١٦٨] فرد عليهم بقوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٥٤]. وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ لَكُمْ﴾ [الطور: ٣٣] رد عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْهَا بَعْضَ الْأَقْوَابِلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥].

وقوله: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]؛ ف قيل لهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ...﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ف قيل في سورة أخرى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتَبٍ﴾ [١].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ذُمُودِ الْأَخَامِ صَلَاحًا إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]، تفسير هذا الاختصاص ما قال في سورة أخرى ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي...﴾ [الآية [الأعراف: ٧٥]. وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وفسرها في موضع آخر بقوله: ﴿تَسْتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

ومنه حكاية عن فرعون لعنه الله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فرد عليه في قوله: ﴿وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَعْتَبُدُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُحْضِنُونَ لَهُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]، وذكر هذا الحلف في قوله: ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقوله في قصة نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي مَعْلُوبٌ فَانصِرْ﴾ [القمر: ١٠] بين في مواضع أخر: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٧].

وقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] أي: أوعية للعلم. ف قيل لهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وجعل بعضهم من هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْهُ أَنْظِرْ إِيَّاتِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: فإن آية البقرة وهي قوله: ﴿حَقَّقْ رَبِّيَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] تدل على أن قوله: ﴿رَبِّ ارْنِيْهُ﴾ لم يكن عن نفسه؛ وإنما أراد به مطالبة قومه، ولم يثبت في التوراة أنه سأل الرؤية إلا وقت حضور قومه معه وسؤالهم ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] بيّنة في آية النساء بقوله: ﴿وَمِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

فإن قيل: فهلا فسرها آية مريم: ﴿أُوْتِيَتْكَ الْذِّكْرَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ

﴿نُوحٌ﴾ الآية، قيل: لا نسلم أولاً أن هذه الآية في النبيين فقط، لقوله: ﴿وَمَنْ حَمَلْنَا مَع نُوحٍ﴾ [مریم: ٥٨]، وقوله: ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ [مریم: ٥٨]، وهذا تصريح بالأنبياء وغيرهم، كيف وقد ذكرت مریم وهي صديقة على أحد القولين! ولو سلّم أنها في الأنبياء خاصة، فهم بعض من أنعم الله عليهم، وجعلهم في آية النساء صنفاً من المنعم عليهم، فكانت آية النساء من حيث هي عامة أولى بتفسير قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، ولأن آية مریم ليس فيها إلا الإخبار بأن الله أنعم عليهم، وذلك هو معنى قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والرغبة إلى الله تعالى في الثبات عليها هي نفس الطاعة لله ولرسوله، فإن العبد إذا هُدي إلى الصراط المستقيم، فقد هدى إلى الطاعة المقتضية أن يكون مع المنعم عليهم. وظهر بهذا أن آية النساء أمس بتفسير سورة الحمد من الآية التي في سورة مریم.

فصل قد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره

وقد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره؛ لأنه أولى بذلك الاسم منه وله أمثلة:

منها: تفسيرهم السبع المثاني بالفاتحة، مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثان.

ومنها: قوله عن أهل الكساء: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١)، وسياق القرآن يدل على إرادة الأزواج، وفيهن نزلت ولا يمكن خروجهن عن الآية، لكن لما أريد دخول غيرهن قيل بلفظ التذكير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فعلم أن هذه الإرادة شاملة لجميع أهل البيت: الذكور والإناث، بخلاف قوله: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ودل أن علياً وفاطمة أحق بهذا الوصف من الأزواج.

ومنها: قوله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى: «هو مسجدي هذا»^(٢) وهو يقتضي أن ما ذكره أحق بهذا الاسم من غيره، والحصص المذكور حصر الكمال، كما يقال: هذا هو العالم العدل، وإلا فلا شك أن مسجد قباء هو مؤسس على التقوى وسياق القرآن يدل على أنه مراد بالآية.

فصل قد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين في موضع ويعين في موضع آخر

وقد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين، وفي موضع آخر ما يعينه لأحدهما كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ [البقرة: ٧] فيحتمل أن يكون السمع معطوفاً على ﴿حَتَمَ﴾ ويحتمل الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ لأن الحتم إنما يكون على القلب، وهذا أولى لقوله في الجاثية: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٧١) وأحمد (٢٦٠٥٧). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٨).

وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، فالاستثناء منقطع لقوله في الإسراء: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، ولو كان متصلاً لاستثناهم فلما لم يستثهم دل على أنهم لم يدخلوا.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فقد قيل: إن حياة كل شيء إنما هو بالماء، قال ابن درستويه: وهذا غير جائز في العربية؛ لأنه لو كان المعنى كذلك لم يكن ﴿حَيًّا﴾ مجروراً، ولكان منصوباً وإنما ﴿حَيًّا﴾ صفة لشيء، ومعنى الآية: خلق الخلق من الماء، ويدل له قوله في موضع آخر: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].

ومما يحتمل: قوله تعالى: ﴿فَأَقْذِفِي فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ إِلَى الْمَأْجِلِ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩]؛ فإن ﴿فَلْيَلْقِهِ﴾ يحتمل الأمر والخبر، كأنه قال: «فاقذفيه في اليم يلقه اليم» ويحتمل أن يكون أمراً باللقاء.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، فإنه يحتمل أن يكون خلقتة وحيداً فريداً من ماله وولده، وفي الآية بحث آخر؛ وهو أن أبا البقاء^(١) أجاز فيها وفي قوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١١] أن تكون الواو عاطفة، وهو فاسد لأنه يلزم منه أن يكون الله قد أمر نبيه ﷺ أن يتركه، وكأنه قال: اتركني واترك من خلقت وحيداً وكذلك: اتركني واترك المكذبين، فيتعين أن يكون المراد: خل بيني وبينهم، وهي واو «مع» كقوله: «لو تركت الناقة وفصلها لرضعها».

وقد يكون للفظ ظاهر وباطن، كقوله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَهَا بَيْنَهُ لِطَّافِئِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] ظاهره الكعبة وباطنه القلب، قال العلماء: ونحن نقطع أن المراد بخطاب إبراهيم الكعبة لكن العام يتجاوز إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم، والأولى عند آخرين، ومن باطنه إلحاق سائر المساجد به، ومن ظاهره عند قوم العبور فيه.

فصل في ذكر الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال

ومما يعين على المعنى عند الإشكال أمور:

أحدها: رد الكلمة لضدها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِنَّمَا آؤُ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، أي [ولا كفوراً] والطريقة أن يرد النهي منه إلى الأمر، فنقول: معنى: (أطع هذا أو هذا): أطع أحدهما، وعلى هذا معناه في النهي: ولا تطع واحداً منهما.

الثاني: ردها إلى نظيرها كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، فهذا عام وقوله: ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١] قول حذ أحد طرفيه وأرخي الطرف الآخر إلى غير نهاية، لأن أول ما فوق الثنتين الثلاث وآخره لا نهاية له. وقوله: ﴿وَلَنْ كَانَتْ وَحِدَةً﴾ [النساء: ١١] معدودة الطرفين

(١) «إملاء ما مرَّ به الرحمن» (ص/١٤٦).

فالثتان خارجتان من هذا الفصل وأمسك الله عن ذكر الشنتين ، وذكر الواحدة والثلاث وما فوقها ، وأما قوله في الأخوات : ﴿ إِن أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَكُمُ وِلْدٌ وَلَكُمُ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَّا تَرَكَ . . . ﴾ [النساء: ١٧٦] الآية فذكر الواحدة والاثنتين ، وأمسك عن ذكر الثلاث وما فوقهن ، فضمن كل واحد من الفصلين ما كلف عن ذكره في الآخر ، فوجب حمل كل واحد منهما فيما أمسك عنه فيه على ما ذكره في غيره .

الثالث : ما يتصل بها من خبر أو شرط أو إيضاح في معنى آخر ، كقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠٠] يحتمل أن يكون معناها : من كان يريد أن يعز أو [يكون] (١) العزة له ، لكن قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠٠] يحتمل أن يكون معناها : من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإنها لله .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة: ٣٣] ، فإنه لا دلالة فيها على الحال التي هي شرط في عقوبته المعينة ، وأنواع المحاربة والفساد كثيرة ، وإنما استفيدت الحال من الأدلة الدالة على أن القتل على من قتل ، ولم يأخذ المال ، والصلب على من جمعهما والقطع على من أخذ المال ولم يقتل ، والنفي على من لم يفعل شيئاً من ذلك سوى السعي في الأرض بالفساد .

الرابع : دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجرم ، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام ، وتقيد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظرته وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ ذُقْ لِمَا كَفَرْتُمْ بِأَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا تَدْعُوا فِي حَقِّكُمْ ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجرد سياقها يدل على أنه الذليل الحقير !

الخامس : ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي ، وذلك أنه قد يُستعار الشيء لمشابهة ثم يستعار من المشابهة لمشابهة المشابه ، ويتباعد عن المسمى الحقيقي بدرجات ، فيذهب عن الذهن الجهة المسوغة لنقله من الأول إلى الآخر ، وطريق معرفة ذلك بالتدرج ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٨] ؛ وذلك أن أصل (دون) للمكان الذي هو أنزل من مكان غيره ، ومنه الشيء الدون للحقير ، ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب ، فقليل زيد دون عمرو في العلم والشرف ، ثم اتسع فيه فاستعير في كل ما يتجاوز حداً إلى حد ، وتخطى حكماً إلى حكم آخر ، كما في الآية المذكورة ، والتقدير : لا تتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] أي : تجاوزوا الله في دعائكم إلى دعاء آلهتكم الذين تزعمون أنهم يشهدون لكم يوم القيامة ، أي : لا تستشهدوا بالله فإنها حجة يركن إليها العاجز عن البيئات من الناس ، بل اتوا ببينة تكون حجة عند الحكام . وهذا يؤكده بأنه لم يبق تشبث

(١) في المطبوع : تكون .

سوى قولهم: «الله يشهد لنا عليكم» هذا إذا جعلت «من دون الله» متعلقاً بـ«ادعوا» فإن جعلته متعلقاً بـ«شُهِدَآءُكُمْ» احتمال معنيين: أحدهما: أن يكون المعنى: ادعوا الذين تجاوزتم في زعمكم شهادة الله، أي شهادتهم لكم يوم القيامة، والثاني: على أن يراد بشهادتكم ألهتكم، أي: ادعوا الذين تجاوزتم في اتخاذكم ألوهية الله إلى ألوهيتهم. ويحتمل أن يكون التقدير «من دون الله» أي: من غير المؤمنين يشهدون لكم أنكم آمتتم بمثله، وفي هذا إرخاء عنان الاعتماد على أن فصحاءهم تأنف نفوسهم من مساجلة الحق الجلي بالباطل اللجلجي، وتعليقه بـ(ادعوا) على هذا جائز.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فإنه عطفه على قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لأنها بمعنى (هل رأيت).

السادس: معرفة النزول، وهو من أعظم المعين على فهم المعنى، وسبق منه في أول الكتاب جملة، وكانت الصحابة والسلف يعتمدونه، وكان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهٖ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] أن السعي ليس بركن فردت عليه عائشة ذلك وقالت: لو كان كما قلت لقال: «فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»^(١)، وثبت أنه إنما أتى بهذه الصيغة لأنه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف. رواه البخاري في «صحيحه»، ثبت أنها نزلت ردّاً على من كان يمتنع من السعي.

ومن ذلك: قصة مروان بن الحكم في سؤاله ابن عباس: «لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون»^(٢) فقال ابن عباس: هذه الآيات نزلت في أهل الكتاب. ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وتلا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨] قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتبهم ما سألهم عنه.

وقد سبق فيه كلام في النوع الأول في معرفة سبب النزول فاستحضره. ومن هذا ما قاله الشافعي^(٣) في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]: إنه لا متمسك فيها للملك على العموم؛ لأنهم سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء، فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء، وحكاه غير سعيد بن جبير.

(١) أخرجه البخاري (١٦٩٨) ومسلم (١٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٩٢) ومسلم (٢٧٧٨).

(٣) الرسالة (ص/٢٠٦-٢٠٨).

السابع: السلامة من التدافع كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فإنه يحتمل أن الطوائف لا تنفر من أماكنها وبواديها جملة، بل بعضهم لتحصيل التفقه بوفودهم على رسول الله ﷺ، وإذا رجعوا إلى قومهم أعلموهم بما حصل لهم، والفائدة في كونهم لا ينفرون جميعاً عن بلادهم حصول المصلحة في حفظ من يتخلف من بعضهم ممن لا يمكن نفيه. ويحتمل أن يكون المراد بالفئة النافرة هي مَنْ تيسر مع رسول الله ﷺ في مغازيه وسراياه، والمعنى حيثئذ: أنه ما كان لهم أن ينفروا أجمعين مع رسول الله ﷺ في مغازيه لتحصيل المصالح المتعلقة ببقاء مَنْ يبقى في المدينة، والفئة النافرة مع رسول الله ﷺ تنفقه في الدين بسبب ما يؤمرون به ويسمعون منه، فإذا رجعوا إلى من بقي بالمدينة أعلموهم بما حصل لهم في صحبة الرسول ﷺ من العلم.

والإحتمال الثاني قولاً للمفسرين:

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: والأقرب عندي هو الاحتمال الأول؛ لأننا لو حملناه على الاحتمال الثاني لخالفه ظاهر قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٠] وقوله تعالى: ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١] فإن ذلك يقتضي إما طلب الجميع بالنفير أو بإباحته، وذلك في ظاهره يخالف النهي عن نفر الجميع، وإذا تعارض محملان يلزم من أحدهما معارضته، ولا يلزم من الآخر، فالثاني أولى. ولا نعني بلزوم التعارض لزوماً لا يجاب عنه، ولا يتخرج على وجه مقبول؛ بل ما هو أعم من ذلك، فإن ما أشرنا إليه من الآيتين يجاب عنه بحمل ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١] على التفصيل دون التخيير، كما رضيه بعض المتأخرين من النحاة، فيكون نفيهم ثبات مما لا تدعو الحاجة إلى نفيهم فيه جميعاً.

ونفيهم جميعاً فيما تدعو الحاجة إليه ويحمل قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] على ما إذا كان الرسول هو النافر للجهاد، ولم تحصل الكفاية [ق/ ١٠٩] إلا بنفير الجميع عن يصلح للجهاد، فهذا أولى من قول من يقول بالنسخ، أو أن تكون هذه الآية ناسخة لما اقتضى النفير جميعاً.

ومن المفسرين من يقول عن منع النفير جميعاً، حيث يكون رسول الله ﷺ بالمدينة فليس لهم أن ينفروا جميعاً ويتركوه وحده.

والحمل أيضاً على هذا التفسير الذي ذكرناه أولى من هذا؛ لأن اللفظ يقتضي أن نفيهم للتفقه في الدين والإنذار، ونفيهم مع بقاء رسول الله ﷺ بعدهم لا يناسبه التعليل بالتفقه في الدين؛ إذ التفقه منه ﷺ، وتعلم الشرائع من جهته، فكيف يكون خروجهم عليه معللاً للتفقه في الدين؟

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التعاون: ١٦]؛ فإنه يحتمل أن يكون من باب التسهيل والتخفيف، ويحتمل أن يكون من باب التشديد، بمعنى: أنه ما وجدت الاستطاعة فاتقوا أي: لا تبقى من الاستطاعة شيء.

ويعنى التخفيف يرجع إلى أن المعنى: فاتقوا الله ما تيسر عليكم، أو ما أمكنكم من غير عسر. قال الشيخ تقي الدين القشيري: ويصلح معنى التخصيص قوله ﷺ: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١).

(٢) فصل في الظاهر والمؤول

وقد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين، وهو في أحدهما أظهر فيسمى الراجح ظاهراً والمرجوح مؤولاً. مثال المؤول: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [العنكب: ٤]، فإنه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات، فتعين صرفه عن ذلك وحمله إما على الحفظ والرعاية، أو على القدرة والعلم والرؤية، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْقُبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وكقوله تعالى: ﴿وَإَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فإنه يستحيل حمله على الظاهر؛ لاستحالة أن يكون آدمي له أجنحة، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق.

وكقوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَمْتَهُ طَلْعَهُ فِي عَقْبِهِ﴾ [الإسراء: ١٣] يستحيل أن يُشد في القيامة في عنق كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور، فوجب حمله على التزام الكتاب في الحساب لكل واحد منهم بعينه.

ومثال الظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَابٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُمْ حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ فيقال للانقطاع: طهر، وللوضوء والغسل غير أن الثاني أظهر.

وكقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا الْمَجَّ وَالْمَمْرَةَ لِلَّذِي﴾ [البقرة: ١٩٦]، فيقال للابتداء: التمام والفراغ غير أن الفراغ أظهر.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] فيحتمل أن يكون الخيار في الأجل أو بعده، والظاهر الأول، لكنه يحمل على أنه مفارقة الأجل.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٢) انظر: «البرهان» (٤١٦/١) «أصول السرخسي» (١٦٣/١) «إرشاد الفحول» (ص/١٧٥) «الحدود» للباقي (ص/٤٣).

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] والظاهر يقتضي حمله على الاستحباب؛ لأن قوله: «لا جناح» بمنزلة قوله: «لا بأس»، وذلك لا يقتضي الوجوب ولكن هذا الظاهر متروك بل هو واجب لأن طواف الإفاضة واجب ولأنه ذكره بعد التطوع فقال: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَتَّىٰ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فدل على أن النهي السابق نهي عن ترك واجب لا نهي عن ترك مندوب أو مستحب.

وقد يكون الكلام ظاهرًا في شيء فيعدل به عن الظاهر بدليل آخر كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] والأشهر اسم لثلاثة لأنه أقل الجمع.

وكقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لَكُمْ إِخْوَةٌ فَلِأَيِّ السُّدُسِ﴾ [النساء: ١١] فالظاهر اشتراط ثلاثة من الإخوة لكن قام الدليل من خارج على أن المراد اثنان؛ لأنهما يجبانها عن الثلث إلى السدس.

فصل في اشتراك اللفظ بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز

قد يكون اللفظ مشتركًا بين حقيقتين، أو حقيقة ومجاز، ويصح حمله عليهما جميعًا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قيل: المراد «يُضَارُّر»، وقيل: «يُضَارِر»؛ أي: الكاتب والشهيد لا يضارر فيكتم الشهادة والخط وهذا أظهر.

ويحتمل أن من دعا الكاتب والشهيد لا يضارره فيطلبه في وقت فيه ضرر.

وكذلك قوله: ﴿لَا تُضَاكَّرُ وَابِدَةٌ يُولَدِيهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] فعلى هذا يجوز أن يقال: أراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين، أما إذا قلنا بجواز استعمال المشترك في معنيه فظاهر، وأما إذا قلنا بالمتع، فبأن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين: مرة أريد هذا ومرة هذا، وقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة^(١). رواه أحمد: أي: اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، ولا يقتصر به على ذلك المعنى، بل يعلم أنه يصلح لهذا ولهذا.

وقال ابن القشيري في مقدمة تفسيره: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا محل عليه، وما احتمل معنيين فصاعدًا بأن وضع الأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق، وإن وضع لمعان مختلفة، فإن ظهر أحد المعنيين محل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل، وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازًا أو في أحدهما حقيقة وفي الآخرة مجازًا، كلفظ العين والقراء واللمس، فإن تنافى الجمع بينهما فهو مجمل؛ فيطلب البيان من غيره، وإن لم يتنافى فقد مال قوم إلى الحمل على المعنيين؛ والوجه: التوقف فيه لأنه ما وضع للجميع بل وضع لأحد مسميات على البدل، وادعاء إشعاره بالجميع بعيد نعم. يجوز أن يريد المتكلم به جميع المحامل، ولا يستحيل ذلك عقلاً، وفي مثل هذا يقال: يحتمل أن يكون المراد كذا، ويحتمل أن يكون كذا.

فصل قد ينفي الشيء ويثبت باعتبارين

وقد ينفي الشيء ويثبت باعتبارين، كما سبق في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] ثم أثبتته لسر غامض وهو أن الرمي الثاني غير الأول، فإن الأول عني به الرمي بالرعب، والثاني عني به بالتراب، حين رمى النبي ﷺ في وجهه أعدائه بالتراب والحصى، وقال: «شاهت الوجوه»^(١) فانهزموا فنزل الله يخبره أن انهزامهم لم يكن لأجل التراب وإنما هو بما أوقع في قلوبهم من الرعب.

فصل في الإجمال ظاهراً وأسبابه

وأما ما فيه من الإجمال في الظاهر فكثير، وله أسباب:

أحدها: أن يعرض من ألفاظ مختلفة مشتركة وقعت في التركيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّبِيِّ﴾ [القلم: ٢٠]، قيل: معناه: كالنهار مبيضة لاشيء فيها، وقيل: كالليل مظلمة لاشيء فيها. وكقوله: ﴿وَأَلْبِلْ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧] قيل: أقبيل، وأدبر.

وكالأمة في قوله تعالى: ﴿وَجَدَّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ﴾ [التقصص: ٢٣] بمعنى الجماعة، وفي قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] بمعنى الرجل الجامع للخير المقتدى به. وبمعنى الدين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وبمعنى الزمان في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وكالذرية، فإنها في الاستعمال العرفي «الأدنى» ومنه ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، وقد يطلق على الأعلى بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْلَقُنَّ آدَمَ . . .﴾ [الآية [ال عمران: ٣٣]، ثم قال: ﴿ذُرِّيَّتًا﴾ وبها يجاب عن الإشكال المشهور في قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١] على بحث فيه.

وقال مكي^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّا أَوْلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف: ٨١] [أي: أول من يعبد الله]^(٣) ومن قال: (الأنفين) [ق/ ١١٠] فقوله مردود، لأنه يلزم أن يكون [العابدين]^(٤) لأنه إنما يقال: عبد من كذا أي أنف.

الثاني: من حذف في الكلام كقوله [تعالى]^(٥): ﴿وَرِعْبُونَ أَن نَّكْمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] قيل: معناه: ترغبون في نكاحهن للمهن وقيل: معناه عن نكاحهن لزمانتهن وقلة مالهن.

(٢) تفسير الشكل (ص/ ٢٢٣).

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٣) في تفسير الشكل: «أول من عبده بالتوحيد، و«إن» بمعنى «ما»، وقيل: أول الأنفين: الغضاب. وقيل: أول الجاحدين لذلك».

(٤) زيادة من م.

(٥) في المطبوع: العبدین.

والكلام يحتمل الوجهين لأن العرب تقول: رغبت عن الشيء، إذا زهدت فيه ورغبت في الشيء، إذا حرصت عليه، فلما ركب الكلام تركيباً حذف معه حرف الجر احتمال التأويلين جميعاً، وجعل منه بعضهم قوله تعالى في سورة النساء: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۗ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨-٧٩] أي: يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ قال: ولولا هذا التقدير لكان مناقضاً لقوله [تعالى] (١): ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

وقوله: ﴿وَأَنبِئْنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩]، أي: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، وليس المراد أن الناقة كانت مبصرة لا عمياء.

الثالث: من تعيين الضمير، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَفْقَهُوا الَّذِي يَبْدُوهُ عَقْدَةُ الرَّجُلِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فالضمير في ﴿يَبْدُوهُ﴾ يحتمل عوده على الولي وعلى الزوج، ورجح الثاني لموافقته للقواعد؛ فإن الولي لا يجوز [له] (٢) أن يعفو عن مال يتيمة بوجه من الوجوه ويحمل الكلام المحتمل على القواعد الشرعية أولى.

فإن قيل: لو كان خطاباً للأزواج لقال: «إلا أن تعفو» بالخطاب؛ لأن صدر الآية خطاب لهم بقوله: ﴿وَأَن تَلْفَتْتُمُوهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] إلى قوله: ﴿فَنَصِفُ مَا قَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قلنا: هو التفات من الخطاب إلى الغيبة وهو من أنواع البديع.

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، فيحتمل أن يكون الضمير [الفاعلي] (٣) الذي في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائداً على العمل، والمعنى: أن الكلم الطيب - وهو التوحيد يرفع العمل الصالح، لأنه لا تصلح الأعمال إلا مع الإيمان، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على الكلم ويكون معناه: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، وكلاهما صحيح لأن الإيمان فعل وعمل ونية لا يصح بعضها إلا ببعض.

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ۖ فَوسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [الماديات: ٤-٥]؛ فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي موريات، أي: أثرن بالحوافر نقعاً والثانية كناية عن الإغارة أي المغيرات صبغاً ﴿فوسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [الماديات: ٥] جمع المشركين فأغاروا بجمعهم.

وقد صنف ابن الأنباري كتاباً في تعيين الضمائر الواقعة في القرآن في مجلدين.

الرابع: من مواقع الوقف والابتداء كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ ۗ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [ال عمران: ٧]، فقوله: ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ [يحتمل] (٤) أن يكون معطوفاً على اسم الله تعالى، ويحتمل أن يكون

(٢) سقط من المطبوع.

(١) زيادة من م.

(٣)، (٤) سقط من م.

[ابتداء] (١) كلام، وهذا الثاني هو الظاهر ويكون حذف (أما) المقابلة كقوله [تعالى] (٢): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [ال عمران: ٧] ، ويؤيده آية البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦] .

الخامس: من [جهة] (٣) غرابة اللفظ كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُمْ﴾ . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] . ﴿وَسَيَذَرُكَمْ وَخَصُومًا﴾ وغير ذلك مما صنف فيه العلماء من كتب غريب القرآن .

السادس: من جهة كثرة استعماله الآن، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] . و﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهمْ كَذِبًا﴾ [الشعراء: ٢٢٣] بمعنى (يسمعون) ولا يقول أحد: الآن ألقى السمع . وكذا قوله: ﴿ثَانِي عَطْفِيهِ﴾ أي: متكررا . وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُونَ بِأَسْمَاءٍ مِّمَّا يَدْعُونَ بِهَا بِغَيْرِ حَرَجٍ﴾ [هود: ٥] ، أي: يسمون ما في ضمائرهم . وكذا ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: نادما .

وكذا ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] أي: لم يتلقوا النعم بشكر . السابع: من جهة التقديم والتأخير كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] ، تقديره: (ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، لكان لزاما) ولولا هذا التقدير لكان منصوبا كالإلزام .

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: يسألونك عنها كأنك [حفي] (٤) . وقوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال: ٤-٥] ، فهذا غير متصل وإنما هو عائد على قوله: ﴿قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ [الأنفال: ١] ، ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ [الأنفال: ٥] فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راضٍ بخروجك، وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره .

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرِزْقِهِ﴾ [المتحنة: ٤] ، معناه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ [المتحنة: ٤] .

الثامن: من جهة المنقول المتقلب؛ كقوله تعالى: ﴿وَطَّرِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] أي: (طور سينا) . وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ يَا سَيِّدِي﴾ [الصافات: ١٣٠] أي: الناس، وقيل: «إدريس»، وفي حرف ابن مسعود: «إدريس» .

التاسع: المكرر القاطع لموصل الكلام في الظاهر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْجِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَجِيبُوا إِلَّا الظَّنُّ﴾ [يونس: ٦٦] معناه: يدعون من دون الله شركاء إلا الظن .

(١) سقط من م .

(٢) زيادة من م .

(٣) في م: من وجهة .

(٤) سقط من المطبوع .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا.

فصل فيما ورد فيه مبيّنًا للإجمال

اعلم أن الكتاب هو القرآن المتلو، وهو إما نص، وهو ما لا يحتمل إلا معنى، كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامٌ لِّلثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الِخَمْرِ وَسَمِعُوا إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةً كَامِلَةً﴾ [البقرة: ١٩٦]، وإما ظاهر، وهو ما دل على معنى مع تجويز غيره.

[والواقع كذلك لاحتمال^(١) قرائن لفظية ومعنوية، واللفظية تنقسم إلى متصلة ومنفصلة: أما المتصلة فنوعان: نوع يصرف اللفظ إلى غير الاحتمال الذي لولا القرينة لحمل عليه، ويسمى تخصيصًا وتأويلًا، ونوع يظهر به المراد من اللفظ ويسمى بيانًا.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الزُّبُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فإنه دل على أن المراد من قوله سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] البعض دون الكل الذي هو ظاهر بأصل الوضع وبين أنه ظاهر في الاحتمال الذي دلت عليه القرينة في سياق الكلام، وللشافعي رحمه الله قول بإجمال البيع، لأن الربا مجمل وهو في حكم المستثنى من البيع، واستثناء المجهول من المعلوم يعود [بالإجمال]^(٢) على أصل الكلام، والصحيح الأول؛ فإن الرباعام في الزيادات كلها، وكون البعض غير مراد نوع تخصيص فلا تتغير به دلالة الأوضاع.

ومثال النوع الثاني: قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فإنه فسر مجمل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ إذ لولا ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لبقى الكلام الأول على ترده وإجماله. وقد ورد أن بعض الصحابة كان يربط في رجله الخيط الأبيض والأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له لونهما، فأنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعملوا أنه أراد الليل والنهار^(٣).

وأما اللفظية المنفصلة فنوعان أيضًا: تأويل وبيان:

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِن طَلَفَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدْحٍ حَتَّىٰ تَكْبَحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]؛ [ق/ ١١١] فإنه دل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ الطلاق الرجعي، إذ لولا هذه القرينة لكان

(١) في المطبوع: والرافع لذلك الاحتمال. (٢) في م: بإجماع.

(٣) أخرجه البخاري (١٨١٧) من حديث عدي بن حاتم قال: لما نزلت [حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود] عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

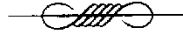
الكل منحصرًا في الطلقتين ، وهذه القرينة وإن كانت مذكورة في سياق ذكر الطلقتين إلا أنها جاءت في آية أخرى ، فلهذا جعلت من قسم المنفصلة .

ومثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يُؤْمِدُ نُاصِرٌ ﴿٢٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢٢-٢٢٣] فإنه دل على جواز الرؤية ، ويفسر به قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] حيث كان مترددًا بين نفي الرؤية أصلًا وبين نفي الإحاطة والحصص دون أصل الرؤية .

وأيضًا قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُورُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] ، فإنه لما حجب الفجار عن رؤيته خزيًا لهم دل على إثباتها للأبرار ، وارتفع به الإجمال في قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

وأما القرائن المعنوية فلا تنحصر . ومن مثله قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ؛ فإن صيغته صيغة الخبر ولكن لا يمكن حمله على حقيقته ، فإنهن قد لا يتربصن فيقع خبر الله بخلاف مخبره ، وهو محال ؛ فوجب اعتبار هذه القرينة حمل الصيغة على معنى الأمر صيانة لكلام الله تعالى عن احتمال المحال .

ونظائره كثيرة فيما ورد من صيغة الخبر ، والمراد بها الأمر .



النوع الثاني والأربعون

في [معرفة] (١) وجوه المخاطبات
والخطاب في القرآن يأتي على نحو من أربعين وجهًا:

الأول خطاب العام المراد به العموم

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الشَّيْءًا شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [غان: ٦٧] ، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرًا﴾ [غان: ٦٤] . وهو كثير في القرآن . ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] .

الثاني خطاب الخاص والمراد [به] (٢) الخصوص

من ذلك: قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] .
﴿هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] . ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] .
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] . وقوله: ﴿فَلَمَّا فَضَّيَ زَيْدٌ مَتْنَهَا وَطَرًا رَوَّحْنَاكَ لِجِي لَأ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، وغير ذلك .

الثالث خطاب الخاص والمراد به العموم

كقوله تعالى: [﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] ، فافتتح الخطاب بالنبي ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق] (٣) . ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنِسَاءَ عَمَلِكِ وَنِسَاءَ خُلَائِكَ وَنِسَاءَ خُلَائِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .
وقال أبو بكر الصيرفي: كان ابتداء الخطاب له ، فلما قال في الموهوبة: ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ علم أن ما قبلها له ولغيره ﷺ .

(٢) سقط من م .

(١) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من م .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] ، وجرى أبو يوسف على الظاهر فقال: إن صلاة الخوف من [خصائص] (١) النبي ﷺ .

وأجاب الجمهور: بأنه لم يذكر ﴿فيهم﴾ على أنه شرط بل على أنه صفة حال والأصل في الخطاب أن يكون لمعين . وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَبِّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَكَلُوا الصَّلِيحَاتِ أَنْ لَّهُمْ حَنَّتِ﴾ [البقرة: ٢٥٠] ، وفائدته: الإيدان بأنه خليق بأن يؤمر به كل أحد ليحصل مقصوده الجميل . وكقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١] ، أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم، للقصد إلى تفضيح حالهم، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تخص بها رؤية راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَمًا وَمَلَكًا كِبْرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] ، لم يرد به مخاطب معين، بل عُبر بالخطاب ليحصل لكل واحد فيه مدخل، مبالغة فيما قصد الله من وصف ما في ذلك المكان من النعيم والملك، ولبناء الكلام في الموضوعين على العموم لم يجعل ل(ترى) ولا ل(رايت) مفعولاً ظاهراً، ولا مقدرًا ليشيع ويعم .

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَرِّمُونَ نَاكِبُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] فقيل: إنه من هذا الباب ومنعه قوم وقال: الخطاب للنبي ﷺ ، و«لو» للتمني لرسول الله ﷺ كالترجي في: ﴿لَعَاكُمُ يَهْتَدُونَ﴾ ، لأنه تجرّع من عداوتهم الغصص، فجعله الله كأنه تمنى أن يراهم على تلك الحالة الفظيعة من نكس الرؤوس صمًا عميًا ليشمت بهم، ويجوز أن تكون (لو) امتناعية وجوابها محذوف؛ أي: لرايت أسوأ حال يرى .

الرابع خطاب العام والمراد الخصوص

وقد اختلف العلماء في وقوع ذلك في القرآن، فأنكره بعضهم لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة كقوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيحَةً ءَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] والصحيح أنه واقع .

كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعاً، والمراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم، والمراد بالأول نعيم بن سعيد الثقفي، والثاني أبو سفيان وأصحابه، قال الفارسي: وما يقوي أن المراد بالناس في قوله: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] واحد - قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعاً لكان إنما الشياطين؛ فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ وقيل: بل وُضع فيه «الذين» موضع «الذي» .

(١) في م: صلاة .

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] يعني: عبد الله بن سلام.
 وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤] قال الضحاك: وهو الأقرع بن حابس.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ [النساء: ١] لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.
 ثم التخصيص بجيء تارة في آخر الآية، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] فهذا عام في البالغة والصغيرة عاقلة أو مجنونة، ثم خصص في آخرها بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَبْنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا...﴾ [النساء: ٤] الآية، فخصها بالعاقلة البالغة؛ لأن من عداها عبارتها ملغاة في العفو، ونظيره قوله: ﴿وَالطَّلَقْتُ يَرْجِزُكَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنه عام في البائنة والرجعية، ثم خصها بالرجعية بقوله: ﴿وَيُعَوِّلُنَّ أَحْسَنَ بَرٍّ فِي ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأن البائنة لا تراجع.

وتارة في أولها، كقوله تعالى: ﴿أَنْ يَخَافَا إِلَّا يَتَّقِيَا هُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يُقِيَا هُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ يَدًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فإن هذا خاص في الذي أعطاها الزوج. ثم قال بعد: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يُقِيَا هُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ يَدًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فهذا عام فيما أعطاها الزوج أو غيره إذا كان ملكاً لها.
 وقد يؤخذ التخصيص من آية أخرى كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمَهُمْ يَوْمِئِذٍ دُبرُهُ...﴾ الآية [الأنفال: ١٦]، فهذا عام في المقاتل، كثيراً أو قليلاً، ثم قال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ...﴾ الآية [الأنفال: ٦٥].

ونظيره قوله: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْتَهُ﴾ [المائدة: ٣] وهذا عام في جميع الميتات، ثم خصه بقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤] فأباح الصيد الذي يموت في [فم] ^(١) الجراح المعلم، وخصص أيضاً عمومها في آية أخرى قال: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ﴾ [المائدة: ٩٦]؛ تقديره: وإن كانت ميتة. [ق/ ١١٢] فخص بهذه الآية عموم تلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَّعُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٩].
 ونظيره قوله: ﴿وَالَّذِمَّ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] يعني: إلا الكبد والطحال فهو حلال. ثم هذه الآية خاصة في سورة الأنعام وهي مكية، والآية العامة في سورة المائدة وهي مدنية، وقد تقدم الخاص على العام في هذا الموضع، كما تقدم في النزول آية الوضوء على [آية] ^(٢) التيمم، وهذا ماش على مذهب الشافعي في أن العبرة بالخاص، سواء تقدم أم تأخر ^(٣).

(١) سقط من م.

(٢) في المطبوع: أنه.

(٣) وهو مذهب كثير من أهل العلم، وهو الراجح، وفرق الأحناف بين أن يعلم تاريخ نزولها أو أن يجهل أو يكون العام والخاص مقترنين.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُنَّ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] الآية، وهذا عام سواء رضيت المرأة أم لا، ثم خصها بقوله: ﴿إِن طَلَبَ لَكُمْ عَن مَّقَرِّبَةٍ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [النساء: ٤] وخصها بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ إِذَا بَرَئْتُم بِأَنفُسِكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٢٢٨] الآية، فهذا عام في المدخول بها وغيرها، ثم خصها فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ . . .﴾ [الأحزاب: ٤٩] الآية، فخص الآية والصغيرة والحامل، فالآيسة والصغيرة بالأشهر، والحامل بالوضع. ونظيره قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم . . .﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية، وهذا عام في الحامل والحائل، ثم خص بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ . . .﴾ [النساء: ٣] الآية، وهذا عام في ذوات المحارم والأجنبيات، ثم خص بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . . .﴾ [النساء: ٢٣] الآية، وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] عام [في الحرائر والإماء، ثم خصه بقوله: ﴿فَمَلَّيْنِ يَصِفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وقوله: ﴿لَا يَبِيعُ فِيدَ وَلَا خَلَّةً وَلَا شَفْعَةً . . .﴾ [البقرة: ٢٥٤] فإن الخللة عامة، ثم خصها بقوله: [١] ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وكذلك قوله: ﴿وَلَا شَفْعَةً﴾ بشفاعة النبي ﷺ.

فائدة

في العموم والخصوص

قد يكون الكلامان متصلين، وقد يكون أحدهما خاصًا والآخر عامًا، وذلك نحو قولهم لمن أعطى زيدًا درهما: أعط عمرًا فإن لم تفعل فما أعطيت؛ يريد إن لم تعط عمرًا فأنت لم تعط زيدًا أيضًا، وذلك غير محسوب لك. ذكره ابن فارس، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿يَلْفُغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، قال: فهذا خاص به، يريد هذا الأمر المحدد بلغه، [فإن لم تفعل] ولم تبلغ [هذا] ﴿فَأَبْلَغَتْ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، يريد جميع ما أرسلت به.

قلت: وهو وجه حسن وفي الآية وجوه [آخر] (٢):

أحدهما: أن المعنى أنك إن تركت منها شيئًا كنت كمن لم يبلغ شيئًا منها، فيكون ترك البعض محبطًا للباقي. قال الراغب: وكذلك أن حكم الأنبياء عليهم السلام في تكليفاتهم أشد، وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجاوز عنهم إذا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. ورؤي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع: آخر.

(١) سقط من م.

والثاني: قال الإمام فخر الدين: إنه من باب قوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

معناه: أن شعري قد بلغ في المثانة والفصاحة إلى حد شيء قيل في نظم: إنه شعري. فقد انتهى مدحه إلى الغاية، فيفيد تكرير [المبالغة] ^(١) التامة في المدح من هذا الوجه وكذا جواب الشرط هاهنا يعني به أنه لا يمكن أن يُوصف ترك بعض المبلغ تهديداً أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تبييناً على غاية التهديد والوعيد، وضعت الوجه الذي قبله بأن من أتى بالبعض وترك البعض لوقيل: إنه ترك الكل كان كذباً، ولو قيل: إن الخلل في ترك البعض كالخلل في ترك الكل فإنه أيضاً محال. وفي هذا التضعيف الذي ذكره الإمام نظر؛ لأنه إذا كان متى أتى به غير معتد به فوجده كالعدم كقول الشاعر:

سئلت فلم تمنع ولم تعط نائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
أي: ولم تعط ما يعدّ نائلاً. وإلا يتكاذب البيت.

الثالث: أنه لتعظيم حرمة كتمان البعض جعله ككتمان الكل؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

الرابع: أنه وضع السبب موضع المسبب ومعناه: إن لم تفعل ذلك فلك ما يوجه كتمان الوحي كله من العذاب. ذكر هذا والذي قبله صاحب «الكشاف» ^(٢).

تنبيه

قال [الإمام] ^(٣) أبو بكر الرازي ^(٤): وفي هذه الآية دلالة على أن كل ما كان من الأحكام للناس إليه حاجة عامة؛ أن النبي ﷺ قد بلغه الكافة، وإنما وروده ينبغي أن يكون من طريق التواتر نحو الوضوء من مس الفرج، ومن مس المرأة، ومما مست النار ونحوها لعموم البلوى بها، فإذا لم نجد ما كان فيها بهذه المنزلة واردة من طريق التواتر؛ علمنا أن الخبر غير ثابت في الأصل. انتهى.

وهذه الدلالة ممنوعة لأن التبليغ مطلق غير مقيد بصورة التواتر فيما تعم به البلوى فلا تثبت زيادة ذلك إلا بدليل، ومن المعلوم أن الله سبحانه لم يكلف رسوله ﷺ إشاعة شيء إلى جمع يتحصل بهم القطع غير القرآن؛ لأنه المعجز الأكبر وطريق معرفته القطع فأما باقي الأحكام، فقد كان النبي ﷺ يرسل بها إلى الأحاد والقبائل وهي مشتملة على ما تعم به البلوى قطعاً.



(٢) «الكشاف» (١/٦٥٩).
(٤) «التفسير الكبير» (١٢/٤١).

(١) سقط من م.
(٣) سقط من م.

الخامس خطاب الجنس

نحو ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهذا يغلب في خطاب أهل مكة كما سبق ورجح الأصوليون دخول النبي ﷺ في الخطاب بـ «يا أيها الناس» وفي القرآن سورتان أولهما ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ إحداهما في النصف الأول، وهي السورة الرابعة منه، وهي سورة النساء، والثانية في النصف الثاني منه، وهي سورة الحج. والأولى تشتمل على شرح المبدأ، والثانية تشتمل على شرح المعاد، فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه في البلاغة! قال الراغب ^(١): «و «الناس» قد يذكّر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم «الناس» تجوزاً، وذلك إذا [اعتبر] ^(٢) معنى الإنسانية، وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به فإن كل شيء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه كاليد، فإنها إذا عُدِمَت فعلها الخاص بها، فإطلاق اليد عليها كإطلاقه على يد السير، ومثله بقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُوا كَمَاءَ آَمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] أي: كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية، ولم يقصد بالإنسان عيناً واحداً، بل قصد المعنى، وكذلك قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] أي: من وجد فيهم معنى الإنسانية أي إنسان [كان]» ^(٣).

قال: «وربما قصد به النوع من حيث هو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].»

السادس خطاب النوع

نحو ﴿يَبْنِي إِسْرَهُ يَلْ﴾، والمراد (بنو يعقوب)، وإنما صرح به للطيفة سبقت في النوع السادس وهو علم المبهمات.

السابع خطاب العين

نحو ﴿يَكَادِمُ اسْتَكْرَأْتِ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يَبْنُوهُ أَهِيظُ يَسْلِكِي﴾ [هود: ٤٨].

﴿يَتَابَرِهِيْدُ ﴿١٦٦﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥].

﴿يَكْمُوسِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. ﴿يَلْعَسِيْقِي﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولم يقع في القرآن النداء بـ (يا محمد) بل بـ «يا أيها النبي»، و «أيها الرسول» تعظيماً له وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه.

(٢) في م: اعتبرت.

(١) «المفردات» (ص/ ٨٢٩).

(٣) سقط من م.

الثامن خطاب المدح

نحو ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، وهذا وقع خطاباً لأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا تمييزاً لهم عن أهل مكة ، وقد سبق أن كل آية فيها: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ لأهل مكة ، وحكمه ذلك [ق/ ١٣] أنه يأتي بعد ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ الأمر بأصل الإيمان ويأتي بعد ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الأمر بتفاصيل الشريعة ، وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان من قبيل الأمر بالاستصحاب .

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَّبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] قيل: يرد الخطاب بذلك باعتبار الظاهر عند المخاطب ، وهم المنافقون ، فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان ، كما قال سبحانه: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] .

وقد جوز الزمخشري^(١) في تفسير سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢] أن يكون خطاباً للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ، وأن يكون للمؤمنين .

ومن هذا النوع الخطاب بـ «أيها النبي» «أيها الرسول» ، ولهذا تجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول ، وكذا عكسه ، كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ، وفي مقام الخاص: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] ، ومثله: ﴿إِن أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

وتأمل قوله: ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] في مقام الاقتداء بالكتاب [والسنة]^(٢) ، ثم قال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فكانه جمع له المقامين معنى النبوة والرسالة ؛ تعديداً للنعم في الحاليين .

وقريب منه في المضاف إلى الخاص: ﴿يُنْسِئَةَ النَّبِيِّ لَسْتِنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ، ولم يقل «يا نساء الرسول» لما قصد اختصاصهن عن بقية الامة .

وقد يُعبر بالنبي في مقام التشريع العام ، لكن مع قرينة إرادة التعميم ، كقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] ولم يقل: «طلقت» .

التاسع خطاب الذم

نحو ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحریم: ٧] .
﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] .

ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين .

(٢) سقط من م .

(١) الكشاف (٤/ ٤٩٣-٤٩٤) .

وكثر الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة، وفي جانب الكفار على الغيبة إعرافاً عنهم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُعْوَدُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأُولِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، [ثم قال] ^(١): ﴿وَقَدْ يَلُونَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فواجه بالخطاب المؤمنين وأعرض بالخطاب عن الكافرين، ولهذا كان [النبي] ﷺ ^(٢) إذا عتب على قوم قال: «ما بال رجال يفعلون كذا» ^(٣) فكفى عنه تكراً وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعرافاً.

العاشر خطاب الكرامة

نحو ﴿وَيَكَادُمْ أَنْتَكُنَّ أَنْتَ وَرَوَيْكَ الْجَنَّةُ﴾ [الأمراء: ١٩].

وقوله: ﴿أَدْخَلُوهَا بِسَلْمٍ ءَامِينِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

الحادي عشر خطاب الإهانة

نحو قوله لإبليس: ﴿إِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: ٣٤-٣٥].

وقوله: ﴿قَالَ أَحْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقوله: ﴿وَأَلْيَبَ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قالوا: ليس هذا إباحة لإبليس، وإنما معناه أن ما يكون منك لا يضر عباده، كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

الثاني عشر خطاب التهكم

وهو الاستهزاء بالمخاطب، مأخوذ من (تهكمت البئر) إذا تهدمت كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] وهو خطاب لأبي جهل؛ لأنه قال: «ما بين جبليةا- يعني مكة- أعز ولا أكرم [مني]» ^(٤)، ^(٥).

وقال: ﴿فَبَيَّرْتَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] جعل العذاب مبشراً به.

وقوله: ﴿هَذَا نُزُلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦].

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَسَقَطَ مِنْ جِيمِ ۖ وَنَصَلَتْهُ جِيمِ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَتَّىٰ أَلْبِينِ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤]، والنزل لغة ^(٦): هو الذي يقدم للنازل تكريماً له قبل حضور الضيافة.

(١) سقط من م. (٢) سقط من المطبوع.

(٣) انظر «صحيح البخاري» (٤٧٧٦) ومسلم (١٤٠١).

(٤) سقط من المطبوع. (٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤٧/٤).

(٦) لسان العرب (٦٥٩/١١).

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكَ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِثْمِهِ وَسَارِبٌ بِأَثْمِهِ﴾ [الرعد: ١٠-١١]. على تفسير (المعقبات) بالحرس حول السلطان، يحفظونه - على زعمه - من أمر الله، وهو تهكم فإنه لا يحفظه من أمر الله إذا جاءه.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا﴾ [الاحزاب: ١٨] وهو تعالى يعلم حقيقتهم، و ﴿يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُمَلُونُ﴾ [البقرة: ٧٧] لا تخفى عليه خافية!

وقوله تعالى: ﴿وَيَطَّلِعُ مِنَ الْمَغْرِبِ لَأَبْأَرُّهُ وَلَا نُكْرِمُكُمْ آلَاءَ بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤]، وذلك لأن الظل من شأنه الاسترواح واللطافة، ففي هنا، وذلك أنهم لا يستأهلون الظل الكريم.

الثالث عشر خطاب الجمع بلفظ الواحد

كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦].

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانقطار: ٦]. والمراد الجميع بدليل قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [الذاريات: ١٧].

وكان الحجاج يقول في خطبته: «يا أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان».

وكثيراً ما يجيء ذلك في الخبر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ لَأَرْضٌ لَمُتَّ عَلَيْهَا آلَ آدَمَ حَمَلَهَا وَالْآدَمُ لَا يَعْلَمُ الْوَعْدَ لَوْلَا رَبُّهُ الَّذِي يُرِيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الحجر: ٦٨]، ولم يقل: (ضيوفي) لأنه مصدر.

وقوله: ﴿هُرُّ الْمَدِينَةِ فَاخَذَرْتُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ولم يقل: الأعداء.

وقوله: ﴿وَوَحَّشَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] أي: رفاء.

وقوله: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وفي الوصف كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] وجمعه أنجية، من المناجاة.

وقوله: ﴿أَوِ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١] فأوقع الطفل جنساً.

قال ابن جني: وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة، نحو الشاة والبعير والإنسان، والملك، قال تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلِيٌّ أَرْجَاهُهَا﴾ [الحاقة: ١٧]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [الذاريات: ١٧].

وفي مجيئه في الصفة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

وقال: وكل واحد من هذه الصفات لا تقع هذا الموقع، إلا بعد أن تجري مجرى الاسم الصريح.

الرابع عشر خطاب الواحد بلفظ الجمع

كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلَّوَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿نَذَرُهُمْ فِي عَرَفٍ مَحَنٍ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، فهذا خطاب للنبي ﷺ وحده، إذ لا نبي معه قبله ولا بعده.

وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] خاطب به النبي ﷺ بدليل قوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ...﴾ الآية [النحل: ١٢٧].

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْأَفْضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ...﴾ الآية [النور: ٢٢] خاطب بذلك أبا بكر الصديق لما حرم مسطحا رفته حين تكلم في حديث الإفك.

وقوله: ﴿فَالَيْمَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْمَلُوا﴾ [هود: ١٤]، والمخاطب النبي ﷺ أيضا؛ لقوله: ﴿قُلْ فَأَتُوا﴾ [هود: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ [الشعراء: ٢١].

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] أي: «ارجعني» وإنما خاطب الواحد المعظم بذلك؛ لأنه يقول: نحن فعلنا، فعلى هذا الابتداء خوطبوا بما في الجواب.

وقيل: ﴿رَبِّ﴾ استغناء و ﴿ارْجِعُونِ﴾ خطاب الملائكة، فيكون [التفاتا] ^(١) أو جمعا لتكرار القول؛ كما قال: «فقانبك» ^(٢).

وقال السهيلي ^(٣): هو قول مَنْ حضرته الشياطين وزبانية العذاب، فاختلط ولا يدري ما يقول من الشطط، وقد اعتاد أمرا يقوله في الحياة، من رد الأمر إلى المخلوقين.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، وهذا مما لا تشريك فيه.

وقال المبرد في «الكامل»: لا ينبغي أن يستعمل ضمير الجمع في واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام؛ لأن ذلك كبير، وهو مختص به سبحانه.

ومن هذا ما حكاه [ق/١١٤] الحريري في شرح «الملحة» ^(٤) عن بعضهم أنه منع من إطلاق لفظة «نحن» على غير الله تعالى من المخلوقين، لما فيها من التعظيم وهو غريب. وحكى بعضهم خلافاً في نون الجمع الواردة في كلامه سبحانه وتعالى، فقيل: جاءت للعظمة بوصف بها سبحانه، وليس لمخلوق أن ينازعه فيها، فعلى هذا [القول] يكره للملوك استعمالها في قولهم نحن نفعل كذا، وقيل في علتها إنها كانت تصاريف أفضيتها تجري على أيدي خلقه تنزلت أفعالهم منزلة فعله؛ فلذلك ورد الكلام مورد الجمع، فعلى هذا القول يجوز مباشرة النون لكل من لا يباشر بنفسه.

(١) في المطبوع: إلفاتا.

(٢) من قول امرئ القيس.

(٣) «الروض الأنف» (١/٢٥٥) باختصار.

(٤) (٤) (ص/١٣).

فأما قول العالم: «نحن نبين»، و«نحن نشرح» فمفسوح له فيه، لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه، وأهل مقاله.

وقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والمراد الإنس؛ لأن الرسل لا تكون إلا من بني آدم، وحكى بعضهم فيه الإجماع، لكن عن الضحاك أن من الجن رسولا اسمه، يوسف، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] واحتج الجمهور بقوله: ﴿رَكَوْ جَمَلَتْنَهُ مَلَكًا لَّجَمَلَتْنَهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] ليحصل الاستئناس، وذلك مفقود في الجن، ويقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا...﴾ [آل عمران: ٣٣] الآية، وأجمعوا أن المراد بالاصطفاء: النبوة.

وأجيب عن تمسك الضحاك بالآية، بأن البعضية صادقة بكون الرسل من بني آدم ولا يلزم إثبات رسل من الجن بطريق إثبات نفر من الجن يستمعون القرآن من رسل الإنس، ويبلغونه إلى قومهم وينذروهم، ويصدق على أولئك النفر - من حيث إنهم رسل الرسل - وقد سمى الله رسل عيسى بذلك حيث قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤]. وفي تفسير القرآن لقوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الحوري، قال: قوم من الجن رسل، للآية.

وقال الأكثرون: الرسل من الإنس، ويحيى من الجن، كقوله في قصة بلقيس: ﴿فَتَاطَرَتْ يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، والمراد به واحد، بدليل قوله: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾.

وفيه نظر، من جهة أنه يحتمل أن يكون الخطاب لرئيسهم، فإن العادة جارئة لا سيما من الملوك ألا يرسلوا واحداً، وقرأ ابن مسعود «ارجعوا إليهم»، أراد الرسول ومن معه.
وقوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] يعني عائشة وصفوان.
وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد بالمرسلين: نوح كقولك: فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد. قاله الزمخشري (١).

وقوله تعالى: ﴿إِن تَنفَعَنَّ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ تَعُدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ٦٦] قال قتادة: هذا رجل كان لا يمالئهم على ما كانوا يقولون في النبي ﷺ، فسماه الله سبحانه طائفة. وقال البخاري: ويسمى الرجل طائفة (٢).

وقوله: ﴿لَا يَبِغُ فِيهِ وَلَا خِلْأٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] والمراد: «خلة» بدليل الآية الأخرى والموجب للجمع مناسبة رءوس الآي.

(١) «الكشاف» (٣/ ٣٢٣).

(٢) كتاب «أخبار الأحاد» باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام.

فائدة

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] فجوز الفارسي فيه تقديرين:

أحدهما: أن «إمام» هنا جمع؛ لأنه المفعول، والثاني لجعل، والمفعول الأول جمع والثاني هو الأول فوجب أن يكون جمعاً، وواحد «أم» لأنه قد سمع هذا في واحدته قال تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ أَلَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] فهذا جمع «أم» مسلماً، وقياسه على حد قيام وقائم، فأما أئمة فجمع «إمام» الذي هو مقدر، على حد عنان وأعنة وسنان وأسنة والأصل أئمة، فقلبت الفاء.

والثاني: أنه جمع لإمام، لأن المعنى «أئمة» فيكون «إمام» على هذا واحداً، وجمعه أئمة «وإمام». وقال ابن الضائع: قيدت عن شيخنا الشلّوبيين فيه احتمالين غير هذين: أن يكون مصدرًا كالإمام، وأن يكون من الصفات المجرة مجرى المصادر في ترك التثنية والجمع كحسب. ويحتمل أن يكون محمولاً على المعنى، كقولهم: دخلنا على الأمير وكسانا حلة؛ والمراد: كل واحد منا حلة؛ وكذلك هو «واجعل كل واحد منا إماماً».

الخامس عشر خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين

كقوله تعالى: ﴿أَلَيْتَ فِي جَهَنَّمَ﴾ [آ: ٢٤]، والمراد: مالك، خازن النار.

وقال الفراء^(١): الخطاب لحزنة النار والزبانية، وأصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه. ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين، من قوله: ﴿وَمَعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [آ: ٢١].

وقال أبو عثمان: لما نثى الضمير استغنى عن أن يقول: ألق ألق يشير. إلى إرادة التأكيد اللفظي. وجعل المهدي منه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، قال: الخطاب لموسى وحده؛ لأنه الداعي - وقيل: لهما - وكان هارون قد أمن على دعائه والمؤمن أحد الداعيين.

السادس عشر خطاب الاثنين بلفظ الواحد

كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ رَزَقْنَاكَ يَأْتِيَنَّكَ﴾ [طه: ٤٩] أي: «ويا هارون» وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء، بمعنى التخصيص والتوقف، إذ كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات. وذكره ابن عطية^(٢).

والثاني: [أنه]^(٣) لما كان هارون أفصح لسائناً منه على ما نطق به القرآن، ثبت عن جواب الخصم

(١) قال في «المعاني»: العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان. «المعاني» (٧٨/٣).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) «المحرر الوجيز» (٤٦/٤).

الألد. ذكره صاحب الكشاف^(١)، وانظر إلى الفرق بين الجوابين.
ومثله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، قال ابن عطية^(٢): إنما أفردته [بالشقاء]^(٣) من حيث كان المخاطب أولاً، والمقصود في الكلام، وقيل: بل ذلك لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في حيز الرجال، ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة، ولهذا قيل: من الكرم ستر الحَرَم.
وقوله: ﴿فَأَيُّا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].
ونحوه في وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى: ﴿إِن تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].
وقال: ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ أَخَصَّمُوا﴾ [الحج: ١٩] ولم يقل: «اختصما».
وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] ولم يقل: «عليهما»، اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه.

السابع عشر خطاب الجمع بعد الواحد

كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا...﴾ [يونس: ٦١] الآية، فجمع ثالثها، والخطاب للنبي ﷺ. قال ابن الأنباري: إنما جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ وحده، وإنما جمع تفخيماً له وتعظيماً، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْظِمُونْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥].

وكذلك قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءْ لِقَوْمِكَ مِعْرَ بِيوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] فشئ في الأول، ثم جمع ثم أفرد؛ لأنه [خاطب]^(٤) أولاً موسى وهارون؛ لأنهما التبوعان، ثم [سبيق]^(٥) الخطاب عاماً، لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنه واجب عليهم ثم خص موسى بالبشارة تعظيماً له.

الثامن عشر خطاب عين والمراد [غيره]^(٦)

كقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ اللَّهُ وَلَا تُلِحُّ بِالْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] الخطاب له والمراد المؤمنون؛ لأنه ﷺ كان [ق/١١٥] تقياً، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين والدليل على ذلك قوله في سياق الآية: ﴿وَأَنْتَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢].
وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُ﴾ [يونس: ٩٤] بدليل قوله في صدر الآية [بعدها]: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤].

(٢) «المحرر الوجيز» (٦٧/٤).

(٤) في المطبوع: خوطب.

(٦) سقط من م.

(١) «الكشاف» (٦٧/٣).

(٣) في المطبوع: بالشقاء.

(٥) في المطبوع: سين.

ومنهم من أجراه على حقيقته وأوله ، قال أبو عمر الزاهد في «الياقوتة» : سمعت الإمامين ثعلب والمبرد يقولان : معنى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكِّ﴾ [يونس: ٩٤] أي : قل يا محمد : إن كنت في شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود ، إنهم أعلم به من أجل أنهم أصحاب كتاب .

وقوله : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] قال فورك : معناه وسع الله عنك ^(١) ! على وجه الدعاء ، و ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ تغليظ على المنافقين ، وهو في الحقيقة عتاب راجع إليهم ، وإن كان في الظاهر للنبي ﷺ ، كقوله : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكِّ مِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ .

وقوله : ﴿عَسَى وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١] قيل : إنه أمية ، وهو الذي تولى دون النبي ﷺ ، ألا ترى أنه لم يقل : «عست» .

وقوله : ﴿لِيَجْزِيَ عَمَلَكُمْ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] . وقوله : ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] .

وبهذا يزول الإشكال المشهور في أنه : كيف يصح خطابه ﷺ مع ثبوت عصمته عن ذلك كله ؟ ويجب أيضاً بأن ذلك على سبيل الفرض ، والمحال يصح فرضه لغرض .

والتحقيق : أن هذا ونحوه من باب خطاب العام من غير قصد شخص معين والمعنى اتفاق جميع الشرائع على ذلك ، ويستراح حينئذ من إيراد هذا السؤال من أصله . وعكس هذا أن يكون [الخطاب] ^(٢) عاماً والمراد الرسول قوله : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾ [الأنبياء: ١٠] بدليل قوله في سياقها : ﴿أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ الْتَأْسَ حَقِّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] .

وأما قوله في سورة الأنعام : ﴿رَوْضَةً أَلَّ اللَّهُ لَجَمْعِهِمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فليس من هذا الباب .

قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون التقدير : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] في ألا تعلم أن الله لو شاء لجمعهم ، ويحتمل أن يهتم بوجود كفرهم الذي قدره الله وأراده .

ثم قال : ويظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] ، وبين قوله عز وجل لنوح عليه السلام : ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] وقد تقرر أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء .

(١) قال الزمخشري : «كناية عن الجنابة ، لأن العفو مرادف لها ، ومعناها أخطأت وبش ما فعلت» «الكشاف» (٢/ ٢٧٤) مما جعل السيوطي يرد عليه قائلاً : «لم يتأدب الزمخشري بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء الأدب» «الإتقان» (٣/ ٢٠١) .

(٢) في المطبوع : المراد .

وقال مكي والمهدوي: الخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] للنبي ﷺ، والمراد أمته وهذا ضعيف ولا يقتضيه اللفظ.

وقال قوم: وُقِرَ نوح عليه السلام لسنة وشيبه.

وقال قوم: جاء الحمل على النبي ﷺ لقربه من الله ومكانته، كما يحمل العاتب على قريبه أكثر من حمله على الأجانب.

قال: والوجه القوي عندي في الآية، هو أن ذلك لم يبيح بحسب النبيين، وإنما جاء بحسب الأمر من الله، ووقع [النهى] ^(١) عنهما والعقاب فيهما.

التاسع عشر خطاب الاعتبار

كقوله تعالى حاكياً عن صالح لما هلك قومه: ﴿فَقَوْلًا عَنَّمْ وَقَالَ يَنْقَوِرَ لَقَدْ أْبَلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْوِيحَ﴾ [الأعراف: ٧٩] خاطبهم بعد هلاكهم، إما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبي ﷺ بأهل بدر، وقال: «والله ما أنتم بأسمع منهم» ^(٢) وإما للاعتبار كقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩].

وقوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

العشرون خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره

كقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: ١٤] الخطاب للنبي ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فَاعَلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤] بدليل قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]. وقوله: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلَا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

[قاله] ^(٣) ابن خالويه: في كتاب (المبتدأ).

الحادي والعشرون خطاب التلوين

وسماه الشعبي: التلون كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]. ﴿فَمَنْ زَكَمَكَا يُنْمَوْنَ﴾ [طه: ٤٩]. وتسميه أهل المعاني: الالتفات، وستكلم عليه إن شاء الله تعالى بأقسامه.

الثاني والعشرون خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ لَا أَذِنَا طَائِعِينَ﴾ [نصفت: ١١] تقديره: «طائعة».

(١) في المطبوع: النبي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٣٢).

(٣) في المطبوع: قال.

وقيل : لما كانت ممن يقول ، وهي حالة عقل ، جرى الضمير في ﴿طَائِفِينَ﴾ عليه [كقوله] ^(١) : ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] . وقد اختلف أن هذه المقالة حقيقة ، بأن جعل لها حياة وإدراكاً يقتضي نطقها ، أو مجازاً ، بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع ، بمنزلة هذا القول على قولين . قال ابن عطية والأول أحسن لأنه لا شيء يدفعه ، والعبارة فيه أتم والقدرة فيه أظهر . ومنه قوله تعالى : ﴿يَجِئَالُ أَرِييَ مَعَهُ﴾ [سبا : ١٠] ، فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة ؛ لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر .

الثالث والعشرون خطاب التهيج

كقوله : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : ٢٣] ، ولا يدل على أن من لم يتوكل ينتفي عنهم الإيمان ، بل حث لهم على التوكل . وقوله : ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١٣] . وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٢٧٨] ، فإنه سبحانه وصفهم بالإيمان عند الخطاب ، ثم قال : ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٩١] ، فقصد حثهم على ترك الربا ، وأن المؤمنين حقهم أن يفعلوا ذلك .

وقوله : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ١] .

وقوله : ﴿إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس : ٨٤] .

وقوله : ﴿إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا عَلَىٰ يَوْمٍ الْفَرَقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال : ٤١] .

وهذا أحسن من قول من قال : «إن» هاهنا بمعنى «إذ» .

الرابع والعشرون خطاب الإغضاب

كقوله تعالى : ﴿إِنَّا بَنَيْنَاكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكَ فِي الدِّينِ وَالْفِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَقُولُوا وَمَنْ يُؤْمَرْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المنحة : ٩] . وقوله : ﴿أَفَلَمْ تَحْذَرُوا وَذُرْتُهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِمْ لَكُمْ عَذَابٌ يُنْسَى لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف : ٥٠] . وقوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَحْذَرُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٨٩] .

الخامس والعشرون خطاب التشجيع والتحريض

وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بَيْنَهُنَّ مَرْمُوسًا﴾ [الصف : ٤] وكفى [بحب] ^(٢) الله سبحانه تشجيعاً على منزلة الأقران ومباشرة الطعان . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ

(٢) في المطبوع : بحث .

(١) في المطبوع : كقولهم .

بِحَمْسَةِ الْفِ مِنْ الْمَلَكِيَّةِ مُسْمِينَ ﴿ [آل عمران: ١٢٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِرْهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ١٦] وكيف لا يكون للقوم صبر والملك الحق جل جلاله قد وعدهم بالمدد الكريم فقال: ﴿ وَمَا نَصَرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَهْتَرِ بِالْمُوتِ كَمَا تَالُمُوتُ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤] .

وقد جاء في مقابلة هذا القسم ما يراد منه الأخذ بالحزم، والثأني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، [ق/ ١١٦] كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] . [ونحو] ^(١) ذلك في الترغيب والترهيب ما جاء في قصص الأشقياء؛ تحذيراً لما نزل من العذاب، وإخباراً للسعداء فيما صاروا إليه من الثواب .

السادس والعشرون خطاب التنفير

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبٌ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] فقد جمعت هذه الآية أوصافاً وتصويراً لما يناله المغتاب من عِزْضٍ من يغتابه على [أفزع] ^(٢) وجه، وفي ذلك محاسن كالاستفهام الذي معناه التقرير والتوبيخ، وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولاً بالمحبة وإسناد الفعل إلى ﴿ أَحَدُكُمْ ﴾ . وفيه إشعار بأن أحداً لا يجب ذلك، ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله «أخاً» ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله «ميتاً» وهذه مبالغات عظيمة، ومنها أن المغتاب غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت .

السابع والعشرون خطاب التحنن والاستعطف

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْبَادَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

الثامن والعشرون خطاب التحبيب

نحو ﴿ يَأْتَابَتْ لِمَ تَبَدُّ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢] . ﴿ يَبْنِيٰ إِنَّمَا إِنْ نَكَ وَثَقَالَ حَبِيءٌ ﴾ [القمان: ١٦] . ﴿ يَبْنُوْمٌ لَا تَأْخُذُ بِحَبِيءٍ وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه: ٩٤] .
ومنه قوله ﷺ: «يا عباس يا عم رسول الله» ^(٣) .

التاسع والعشرون خطاب التعجيز

نحو ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] . ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ [الطور: ٣٤] .
﴿ قُلْ فَأَنزِلْ بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ ﴾ [هود: ١٣] . ﴿ فَأَذْرَهُ أَعْنَ أُنْفُسِكُمْ أَلْمُوتُ ﴾ [آل عمران: ١٦٨] .

(١) في م: وغير .

(٢) في م: أفصح .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٠٢) ومسلم (٣٥١) .

وجعل منه بعضهم: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]، ورد ابن عطية^(١): بأن التعجيز يكون حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب، وإنما معنى الآية: كونوا بالتوهم والتقدير كذا.

الثلاثون التحسير والتلف

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَوْتُوا بِتَبَيُّظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

الحادي والثلاثون التكذيب

نحو قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].
﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

الثاني والثلاثون خطاب التشريف

وهو كل ما في القرآن العزيز مخاطبة بقل، كالقلاقل.

وكقوله: ﴿قُلْ ءَأَمَّنَا﴾، وهو تشريف منه سبحانه لهذه الأمة، بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة، إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول للمرسل إليه: قال لي المرسل: قل كذا وكذا، ولأنه لا يمكن إسقاطها فدل على أن المراد بقاؤها ولا بد لها من فائدة، فتكون [أمرًا]^(٢) من المتكلم للمتكلم بما يتكلم به، أمره شفاهًا بلا واسطة كقولك لمن تخاطبه: افعل كذا.

الثالث والثلاثون خطاب المعدوم

ويصح ذلك تبعًا لموجود كقوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ ءَادَمُ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل مَنْ بعدهم، وهو على نحو ما يجري من الوصايا في خطاب الإنسان لولده، وولد ولده ما تناسلوا بتقوى الله وإتيان طاعته.

قال الرماني في تفسيره: وإنما جاز خطاب المعدوم؛ لأن الخطاب يكون بالإرادة للمخاطب دون غيره وأما قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فغند الأشاعرة أن وجود العالم حصل بخطاب «كن».
وقالت الحنفية: التكوين أزلي قائم بذات الباري سبحانه، وهو تكوين لكل جزء من أجزاء العالم عند وجوده لا أنه يوجد عند «كاف ونون».

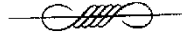
وذهب فخر الإسلام شمس الأئمة منهم: إلى أن خطاب «كن» موجود عند إيجاد كل شيء، فالحاصل عندهم في إيجاد الشيء شيان: الإيجاد وخطاب «كن».

(٢) سقط من م.

(١) «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٦٢).

واحتج الأشاعرة بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] . ولو حصل وجود العالم بالتهيؤ ، لم يكن في خطاب «كن» فائدة عند الإيجاد .

وأجاب الحنفية : بأننا نقول لموجبها ولا تستقل بالفائدة ، كالمشابه فيقول : بوجود خطاب «كن» عند الإيجاد في غير تشبيهه ولا تعطيل .



النوع الثامن والأربعون

في بيان حقيقته ومجازه^(١)

لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق، وهي كل كلام بقي على موضوعه كالأيات التي لم يتجاوز فيها، والآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى، وتوحيده وتنزيهه، والداعية إلى أسمائه وصفاته كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ [الأنعام: ٢٢]. وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [النمل: ٦٠] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا...﴾ [النمل: ٦١]، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [النمل: ٦٣]، ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [النمل: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُعِجِبِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [س: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَنْزُونَ﴾ [الواقعة: ٧١].

[قيل]^(٢): ومنه الآيات التي لم تنسخ وهي كالأيات المحكمات، والآيات [المتشابهات]^(٣)، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: أحمد الله على نعمائه وإحسانه. وهذا أكثر الكلام قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] وأكثر ما يأتي من الآي على هذا.

[وأما المجاز، فاختلف في وقوعه في القرآن والجمهور على الوقوع، وأنكره جماعة منهم ابن القاص من الشافعية، وابن خُوَيْرِز [منداد]^(٤) من المالكية، وحكي عن داود الظاهري وابنه، وأبي مسلم الأصبهاني^(٥)، وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وهو مستحيل على الله سبحانه]^(٦)، وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز،

(١) صنف فيه العز بن عبد السلام، والسيوطي، وكتاب السيوطي تلخيص لكتاب العز.

(٢) سقط من م. (٣) في المطبوع: المشتعلة.

(٤) في المطبوع: منداذ.

(٥) وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وصنف الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في هذا رسالة أسماها «منع جواز المجاز في المنزل للتعب والإعجاز» يذهب فيها مذهب شيخ الإسلام، ثم عن هذا القول في مذكرة في أصول الفقه فقال به.

(٦) سقط من م.

لوجب خُلُوه من التوكيد والحذف، وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط سَطْر الحسن. وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام، وجمع فأوعى^(١).
وأما معناه: فقال الحاتمي^(٢): معناه طريق القول ومأخذه مصدر (جزت مجازًا) كما يقال: قمتُ مقامًا.

قال الأصمعي: كلام العرب إنما هو مثال شبه [الوحي]^(٣).

نوعا المجاز

وله سببان: أحدهما: الشبه ويُسمى المجاز اللغوي، وهو الذي يتكلم فيه الأصولي.
والثاني: [الملاسة]^(٤) وهذا هو الذي يتكلم فيه أهل [اللسان]^(٥)، ويُسمى المجاز العقلي، وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هي له أصالةً، بضرب من التأويل، كسب زيد أباه؛ إذا كان سببًا فيه.

المجاز في المركب وأقسامه

والأول مجاز في المفرد، وهذا مجاز في المركب.
ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ونسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سببًا فيها.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبْتَكُمْ﴾ [انفصلت: ٢٣].

وقوله: ﴿يُدْرِيخُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، والفاعل غيره، ونُسب الفعل إليه لكونه الأمر به.

وكقوله: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَامَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] نسب النزاع الذي هو فعل الله إلى إبليس لعنه الله؛ لأن سببه أكل الشجرة، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما أنه لهما لمن الناصحين.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتٌ يُحْمَرُهُنَّ﴾ [البقرة: ١٦] جعل التجارة الرابعة.

وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] لأن الأمر هو المعزوم عليه بدليل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) في كتابه: «الإشارة إلى الإيجاز في بيان أنواع المجاز». وهو مطبوع متداول.

(٢) هو محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي المعروف بالحاتمي أبو علي، كاتب شاعر لغوي، أدرك ابن دريد وأخذ عنه، من آثاره: «حلية المحاضرة في صناعة الشعر» في مجلدين، «مختصر العربية»، عيون الكاتب متنوع الأخبار «الرسالة الحاتمية» التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المنتبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره. توفي سنة ٣٨٨هـ «المحمدون من الشعراء» (ص/٨٣) «وقيات الأعيان» (١/٦٤٦).

(٣) في المطبوع: الوحي.

(٤) في م: البيان.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، فنسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم؛ لأن سببه كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه [ق/ ١١٧]. وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].
وقوله: ﴿فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّجُ﴾ [طه: ١١٧].

وقد يقال: إن النزاع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما أوجبهما، فالمجاز إفرادي لا إسنادي.
وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] يحتمل معناه: يجعل هوله، فهو من مجاز الحذف.
وأما قوله تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [المعاقفة: ٢١] فقيل على [النسب] ^(١) أى: ذات رضا. وقيل: بمعنى «راضية»، وكلهما مجاز إفراد لا مجاز إسناد، لأن المجاز في لفظ «راضية» لا في إسنادها؛ ولكنهم كأنهم قدروا أنهم قالوا: رضيت عيشته، فقالوا: «عيشة راضية».
وهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما طرفاه [حقيقتان] ^(٢)، نحو: أنبت المطر البقل، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].
والثاني: مجازيان، نحو: ﴿فَمَا رِيحَتْ يَمِينُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].
والثالث: ما كان أحد طرفيه مجازاً دون الآخر، كقوله: ﴿تَوَقَّعْتُ أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ يَا ذِينَ رَيْبِهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقوله: ﴿حَتَّى تَصَعَ الْأَرْضُ أُورْدَانًا﴾ [محمد: ٤].
قال بعضهم: ومن شرط هذا المجاز أن يكون للمسند إليه شبه بالمتروك في تعلقه بالعامل.

المجاز الإفرادى وأقسامه

وأنواع الإفرادى في القرآن كثيرة يعجز العدّ عن إحصائها.
كقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفٌ نَزَّاعَةٌ لِسْوَى اللَّهِ تَكْفُورًا﴾ [المعارج: ١٥-١٧] قال: الدعاء من النار مجاز.
وكقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا...﴾ الآية [الروم: ٣٥]، والسلطان هنا هو البرهان، أى برهاناً يستدلون به، فيكون صامتاً ناطقاً، كالدلائل المخبرة، والعبرة والموعظة.
وقوله: ﴿فَأَمَّهُمْ كَاوِيَةٌ﴾ فاسم الأم الهاوية مجاز؛ أى: كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك أيضاً النار للكافرين كافلة وماوى ومرجع.

(٢) في م: حقيقتان.

(١) في م: السبب.

وقوله: ﴿قِيلَ الْغُرَاصُونَ﴾ ، ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُوا﴾ [عبس: ١٧] ﴿فَتَنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُفَكَّرُوا﴾ [المنافقون: ٤] والفاعل في هذه المواضع مجاز أيضاً؛ لأنه بمعنى: أبعده الله وأذله.

وقيل: قهره وغلبه. وهو كثير، فنذكر أنواعه لتكون ضوابط لبقية الآيات الشريفة.

الأول إيقاع المسبب موقع السبب

كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وإنما نزل سببه، وهو الماء.

وكقوله: ﴿يَبْنَیْ آدَمَ لَا يَفْنَىٰ نَفْسُكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] ، ولم يقل: «كما فتن أبويكم»، لأن الخروج من الجنة هو المسبب الناشئ عن الفتنة، فأوقع المسبب موقع السبب، أي لا تفتنوا بفتنة الشيطان، فأقيم فيه السبب مقام المسبب، وهو سبب خاص، فإذا عدم فيعدم المسبب، فالنهي في الحقيقة لبني آدم والمقصود عدم وقوع هذا الفعل منهم، فلما أخرج السبب من أن يوجد بإيراد النهي عليه كان أدل على امتناع النهي بطريق الأولى.

وقوله تعالى: ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، وهم لم يدعوه إلى النار، إنما دعوه إلى الكفر، بدليل قوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [غافر: ٤٢] لكن لما كانت النار مسببة عنه أطلقها عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتَقُوا النَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤] أي العناد المستلزم للنار.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] لاستلزام أموال اليتامى إياها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣]، إنما أراد- والله اعلم- الشيء الذي يُنكح به من مهر، ونفقة، وما لا بد للمتزوج منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] أي لا تأكلوها بالسبب الباطل الذي هو القمار.

وقوله: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهِجُ﴾ [المدثر: ٥]، أي: عبادة الأصنام؛ لأن العذاب مسبب عنها.

وقوله: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] أي: واغلظوا عليهم ليجدوا ذلك وإنما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيهاً على أنه المقصود لذاته، وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه.

الثاني عكسه، وهو إيقاع السبب موقع المسبب

كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمْلِكُ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. سمي الجزاء الذي هو السبب سيئة، واعتداء فسمي الشيء باسم سببه، وإن عبرت السيئة عما ساء- أي أحزن- لم

يكن من هذا الباب؛ لأن الإساءة تحزن في الحقيقة كالجناية.

ومنه ﴿وَمَكْرُورًا وَمَكْرًا أَلَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] تجوز بلفظ «المكر» عن عقوبته لأنه سبب لها.
ومنه قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] إنما جعلت المرأتان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال، فلما كان الضلال سبباً للتذكير أقيم مقامه.

ومنه إطلاق اسم الكتاب على الحفظ، أي: المكتوب فإن الكتابة سبب له، كقوله تعالى: ﴿سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١] أي: سنحفظه حتى نجازيم عليه.

ومنه إطلاق اسم السمع على القبول، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] أي: ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به، لأن قبول الشيء مرتب على سماعه ومسبب عنه، ويجوز أن يكون نفي السمع [لا تسمع] (١) فائده.

ومنه قول الشاعر:

وإن حلفت لا يتقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنان يمين
أي وفاء يمين.

ومنه إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] أي: أفنعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى، وتتركون العمل ببعض وهو قتل إخوانهم وإخراجهم من ديارهم؟
وجعل الشيخ عز الدين من الأنواع (٢) نسبة الفعل إلى سبب سببه، كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا وَمَا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] أي كما أخرج أبويكم فلا يخرجكما من الجنة ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].
المخرج والنزع في الحقيقة هو الله عز وجل، وسبب ذلك أكل الشجرة، وسبب أكل الشجرة وسوسة الشيطان ومقاسمته على أنه من الناصحين. وقد مثل البيانون بهذه الآية للسبب وإنما هي لسبب السبب.

وقوله: ﴿وَأَسْأَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [البراهيم: ٢٨] لما أمرهم بالكفر الموجب لحلول النار [نسب ذلك إليهم لأنهم أمرهم به؛ فالله هو المحل لدار البوار، وسبب إحلالها كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابريهم إياهم بالكفر الموجب لحلول النار].

الثالث إطلاق اسم الكل على الجزء

قال تعالى: ﴿يَجْمَلُونَ صَنِيعَهُمْ فِيءِ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْتِ﴾ [البقرة: ١٩] أي: أناملهم وحكمة التعبير عنها

(٢) «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/٤٥).

(١) في المطبوع: لا بتفاء.

بالأصابع [الإشارة إلى أنهم يُدخلون أناملهم في آذانهم بغير المعتاد فرارًا من الشدة، فكأنهم جعلوا الأصابع:]^(١)

قال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] واليد حقيقة إلى المنكب، هذا إن جعلنا «إلى» بمعنى «مع»، ولا يجب غسل جميع الوجه إذا ستره بعضُ الشعور الكثيفة. وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، والمراد هو البعض الذي هو الرسخ.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أي من لم يذق [طعمه]^(٢).

وقوله: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] والمراد وجوههم؛ لأنه لم ير جملتهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] استشكله الإمام في تفسيره من جهة أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر، وهو اسم لثلاثين يومًا. وحاصل جوابه: أنه أوقع الشهر وأراد جزءًا منه، وإرادة [الجزء باسم الكل]^(٣) مجاز شهير.

ونقل عن علي رضي الله عنه [أن المعنى مَنْ شهد أول الشهر فليصم جميعه، وأن الشخص متى كان مقيمًا أو في البر ثم سافر، يجب عليه صوم الجميع والجمهور على]^(٤) أن هذا عام، مخصص بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا...﴾ الآية [البقرة: ١٨٤]. ويتفرع على هذا أن مَنْ أدرك الجزء الأخير من رمضان: هل يلزمه صوم ما سبق إن كان مجنونًا في أوله؟ فيه قولان.

الرابع إطلاق اسم الجزء على الكل

كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أي ذاته ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]

وقوله: ﴿وَعَيْتٌ مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ سَطْرَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَلِيعَةٌ ۖ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢-٣]، يريد الأجساد لأن العمل والنَّصب من صفاتها، [ق/ ١١٨] وأما قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] فيجوز أن يكون من هذا، عبر بالوجه عن الرجال، ويجوز أن يكون من وصف البعض بصفة الكل، لأن التعميم منسوب إلى جميع الجسد.

ومنه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] فالوجه المراد به جميع ما تقع به المواجهة لا الوجه وحده.

وقد اختلف في تأويل «الوجه» الذي جاء مضافًا إلى الله في مواضع من القرآن، فنقل ابن عطية

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) في المطبوع: الكل باسم الجزء.

عن الخذاق: أنه راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه مجاز؛ إذ هو أظهر الأعضاء في المشاهدة وأجلها قدرًا، وقيل- وهو الصواب- هي صفة ثابتة بالسمع، زائدة على ما توجه العقول من صفات الله تعالى، وضَعفه إمام الحرمين .

وأما قوله تعالى: ﴿فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ، [المتراد] ^(١) الجهة التي وجهنا إليها في القبلة، وقيل: المراد به الجاه- أي فسم جلال الله وعظمته .

وقوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] . ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] تجوز بذلك عن الجملة .

وقوله: ﴿وَأَصْرِبُوا مِنْهَمْ كُلِّ بَنَانٍ﴾ [الأنعام: ١٢] ، البنان الإصبع، تجوز بها عن الأيدي والأرجل، عكس قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٩] .

وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] .

وقوله: ﴿سَتِيسْمُ عَلَى الْكُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ، عبّر بالأنف عن الوجه .

﴿لَا تَخْذَنَا مِنْهُ بَالِئِينَ﴾ [الحاقة: ٤٥] .

وكقوله تعالى: ﴿فَالْيَسْمُ وَالْيَسْمُ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ، أضاف الإثم إلى القلب، وإن كانت الجملة كلها آتمة من حيث كان محلاً لاعتقاد الإثم والبر، كما نسبت الكتابة إلى اليد من حيث إنها تُفعل بها في قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] ، وإن كانت الجملة كلها كاتبة ولهذا قال: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] .

وكذا قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] . وقيل: المعنى على حذف المضاف؛ لأن المدرك هو الجملة دون الحاسة، فأستند الإدراك إلى الأبصار لأنه بها يكون .

وكقوله تعالى: ﴿وَيَعَذِّبْكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [ال عمران: ٢٨] أي إياه .

﴿تَسَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦] .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْسَرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] . وحكى ابن فارس عن جماعة أن «مِنْ» هنا للتبعيض، لأنهم أمروا بالغض عما يُحْرَمُ النظر إليه .

وقوله: ﴿قُرِ الْأَيْلُ﴾ أي: صل في الليل، لأن القيام بعض الصلاة .

وكقوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ ، أي صلاة الفجر . ومنه «المسجد الحرام» والمراد جميع الحرم .

وقوله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكِيِّينَ﴾ [البقرة: ٤٣] أي المصلين .

(١) في المطبوع: قال المراد .

﴿يَجْزُونَ لِلَّذِينَ سُجِدُوا﴾ [الإسراء: ١٠٧] ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلَّذِينَ يَبْكُوتُ﴾ [الإسراء: ١٠٩] أى الوجوه .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [المعارج: ٥] فعبّر بالأرض والسماء عن العالم ؛ لأن المقام مقام الوعيد ؛ والوعيد إنما يحصل لو بين أن الله لا يخفى عليه أحوال العباد حتى يجازيهم على كفرهم وإيمانهم ، والعباد وأحوالهم ليست السماء والأرض بل من العالم ؛ فيكون المراد بالسماء والأرض العالم ؛ إطلاقاً للجزء على الكل .

وقوله : ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] ، قال الفارسي : جعله على المجاز «أذنا» لأجل إصغائه ؛ قال : ولو صُغِرَ «أذنا» هذه التي في هذه الآية ، كان في لحاق التاء فيها وتركها نظراً .

وجعل الإمام فخر الدين ^(١) قوله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا مِثَابَ النَّاسِ وَأَنَا﴾ [البقرة: ١٢٥] المراد به جميع الحرم ، لا صفة الكعبة فقط ، بدليل قوله : ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا وَأَنَا﴾ [المعجيات: ٩٧] ، وقوله : ﴿هَذَا بَلِغَ الْكُتُبِ﴾ [العائدة: ٩٥] ، والمراد الحرم كله ، لأنه لا يُذْبِح في الكعبة ، قال : وكذلك «المسجد الحرام» في قوله : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] ؛ والمراد منهم من الحج وحضور مواضع النسك .

وقيل في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَدَرِينٌ عَلَيَّ أَنْ سُورَىٰ بِكَاتَمٍ﴾ [القيامة: ٤] أى : نجعلها صفحةً مستوية لا شقوق فيها كخف البعير ، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة ، كالكتابة والخياطة ونحوها من الأعمال التي يُستعان فيها بالأصابع ، قالوا : وذكرت البنان لأنه قد ذكر اليدان ؛ فاختصّ منها لطفها .

وجوز أبو عبيدة ^(٢) ورود البعض وإرادة الكل ؛ وخرج عليه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] أى كله ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وأنشد بيت لبيد :

تَرَكَ أُمُكِنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضْهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ جَمَاهُهَا

قال : والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ؛ ويقال للمنية : علوق ، وعلاقة . انتهى .

وهذا الذي قاله فيه أمراً :

أحدهما : أنه ظن أن النبي يجب عليه أن يبين في شريعته جميع ما اختلفوا فيه ؛ وليس كذلك ؛ بدليل سؤالهم عن الساعة وعن الروح وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله . وأما الآية الأخرى ، فقال ثعلب : إنه كان وعدهم بشيء من العذاب : عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة فقال : يصيبكم هذا العذاب في الدنيا - وهو بعض الوعيد - من [غير] ^(٣) نفي عذاب الآخرة .

(١) «التفسير الكبير» (٤/ ٥١) .

(٢) «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥) .

(٣) سقط من م .

الثاني: أنه أخطأ في فهم البيت، وإنما مراد الشاعر ببعض النفوس نفسه هو؛ لأنها بعض النفوس حقيقة؛ ومعنى البيت أنا إذا لم أرض الأمكنة أتركها إلى أن أموت، أي: إذا تركت شيئاً لا أعود إليه إلى أن أموت. كقول الآخر:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر الدهر ترجع
وقال الزمخشري^(١): إن صحت الرواية عن أبي عبيدة، [فيدخل] (٢) فيه قول المازني في
مسألة^(٣) (العلقى): كان [أجفى] (٤) من أن يفقه ما أقول له، وأشار الزمخشري بذلك إلى أن أبا عبيدة
قال للمازني: ما أكذب النحويين! [فقلت له: لم قلت ذلك؟ قال: يقولون: هاء التأنيث تدخل على
ألف التأنيث، وإن الألف [التي] في [عَلَقَى] (ملحقة ليست للتأنيث)] قال: فقلت له: وما أنكرت من
ذلك؟ قال: سمعت رؤية ينشد:

فحط في علقى وفي مكور

فلم ينونها، فقلت: ما واحد العقلي؟ فقال: علقاة، قال المازني: فأسفت ولم أفسر له لأنه كان
أغلظ من أن يفهم مثل هذا، قلت: ويحتمل قوله: ﴿يُصِيبُكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] أن
الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه، فكيف بعضه؟ ويدل قوله في آخر هذه السورة: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَمَا تَرَىٰكَ بِبَعْضِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧] وفيها تأييد لكلام ثعلب أيضاً.
وقد يوصف البعض كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَاسِبَةً الْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩] وقوله: [ناصية] (٥) ﴿كَذِبَهُ
عَاطِلَةٌ﴾ [العلق: ١٦] الخطأ: صفة [للكل] (٦) فوصف به الناصية، وأما الكاذبة فصفة اللسان.

وقد يوصف الكل بصفة البعض كقوله: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَرَجُلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢] والوجل صفة القلب.
وقوله: ﴿وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ [الكهف: ١٨] والرعب إنما يكون في القلب.

الخامس إطلاق اسم الملزوم على اللازم

كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوَّ بَيْنَكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥] أي: أنزلنا برهاناً
يستدلون به، وهو يدلهم، [فسمى] (٧) الدلالة كلاماً لأنها من لوازم الكلام.
وقوله: ﴿صُورٌ وَرُؤُوسٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ٣٩] فإن الأصل عمي لقوله في موضع آخر: ﴿صُمُّ بَيْنَكُمْ
عُمَى﴾ [البقرة: ١٨] لكن أتى بالظلمات، لأنها من لوازم العمى.

(٢) في م: فحق.

(١) الكشاف (٤/١٦٣).

(٣) أنباه الرواة (١/٢٥٣) و «الخصائص» (٣/٣٠٩).

(٥) في المطبوع: ناصية.

(٤) في م: أخفى.

(٧) في المطبوع: سمى.

(٦) في المطبوع: الكل.

فإن قيل: ما الحكمة في دخول الواو هنا وفي التعبير بالظلمات عن العمى بخلافه في الآية الأخرى.

السادس إطلاق اسم اللازم على الملزوم

كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] أي المصلين.

السابع إطلاق اسم المطلق على المقيد

كقوله: ﴿تَمَقَّرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: ٧٧] والعافر لها من قوم صالح قيد^(١) لكنهم لما رضوا للفعل نزلوا منزلة الفاعل.

الثامن عكسه

كقوله تعالى: ﴿تَمَأَلَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [العمران: ٦٤] والمراد [كلمة]^(٢) الشهادة، وهي عدة كلمات.

التاسع إطلاق اسم الخاص وإرادة العام

كقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦] أي: رسله.

وقال: ﴿هُرُّ الْمَدْوِ فَأَحْذَرْتُمْ﴾ [المنافقون: ٤] أي: الأعداء.

وقوله^(٣): ﴿وَحُضِّنْتُمْ كَالَّذِي خَاصِمُوا﴾ [التوبة: ٦٩] أي: الذين.

وقوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] أي: كل نفس.

وقوله: ﴿وَجَزَّأُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً يَنْهَأُ﴾ [الشورى: ٤٠] أي: كل سيئة.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ أَنَّىٰ اللَّهُ وَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١] الخطاب للنبي ﷺ، والمراد الناس جميعاً.

العاشر إطلاق اسم العام وإرادة الخاص

كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٠] أي: للمؤمنين، بدليل قوله في موضع

آخر: ﴿وَيَسْتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [عنبر: ٧] ^(٤) ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى منسوخة بالثانية.

كقوله تعالى: ﴿كُلُّ لِمٌ قٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، أي: أهل طاعته لا الناس أجمعون. حكاه

(٢) في م: كل.

(٤) سقط من م.

(١) في المطبوع: قدار.

(٣) سقط من المطبوع.

الواحدي^(١) عن ابن عباس وغيره، واختاره الفراء^(٢).

وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، قيل: المراد بالناس هنا نوح ومن معه في السفينة.

وقيل: آدم وحواء.

وقوله: ﴿وَمَا آتَىٰ عِزْرًا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، أي عالمي زمانه، ولا يصح العموم؛ لأنه إذا فضل أحدهم على العالمين فقد فضل على سائرهم؛ لأنه من العالمين فإذا فضل الآخرين على العالمين فقد فضلهم أيضًا على الأول؛ لأنه من العالمين فيصير الفاضل مفضولاً ولا يصح.

وقوله: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّيْبِ﴾ [الذاريات: ٤٢] أي شيء يحكم عليه بالذهاب بدليل قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسَكِينًا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقوله: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ولم تجح هودًا والمسلمين معه.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] مع أنها لم تؤت حية ولا ذكراً.

وقوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي: كل شيء أحبوه.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لُرٌ بِجَدَّةٍ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] أي: [شيئًا]^(٣) مما ظنه وقدره.

وقوله حكاية عن نبيه ﷺ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] وعن موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الأعراف: ١٤٣] ولم يرد الكل؛ [لأن الأنبياء قبله كانوا مسلمين ومؤمنين]^(٤).

وقال: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] ولم يعن كل الشعراء.

وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] أي: أخوان فصاعدًا.

وقوله: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: ٥٨] أي: بابًا من أبوابها، [كذا]^(٥) قاله المفسرون.

وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قاله فريق منهم.

﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وأراد الآيات التي إذا كذب

بها نزل العذاب على المكذب.

وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] أي: من المؤمنين.

وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

(٢) «معاني القرآن» (١/٧٤).

(١) «الوجيز» (١/١٢٨).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «لأن الأنبياء قبله ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين». معاذ الله، هذا خطأ فادح. وللأسف أن هذا الخطأ واقع في كل طبعات الكتاب.

(٥) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦] ، والمراد: بعضهم ، فإن منهم أفاضل المسلمين ، والصدِّيق وعليًّا رضي الله عنهما .

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٧٣] ، فإن ﴿النَّاسُ﴾ الأولى لو كان المراد به الاستغراق لما انتظم قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ ولأن ﴿الَّذِينَ﴾ من ﴿النَّاسِ﴾ . فلا يكون الثاني مستغرقاً ضرورة خروج ﴿الَّذِينَ﴾ منهم لأنهم لم يقولوا لأنفسهم .
وقوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] والمراد: شهران وبعض الثالث .

الحادي عشر إطلاق الجمع وإرادة المثني

كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحریم: ٤] أطلق اسم القلوب على القلبين .

الثاني عشر النقصان

ومنه حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ^(١) كقوله: ﴿وَسَتَلِي الْقَرِيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهلها .

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [إبراهيم: ١٩٤] أي: على لسان رسلك .
وقالوا: ﴿مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] [أي: أنصار دين الله] ^(٢) .
وقال: ﴿وَأَسْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَجِلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حبه .

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه ، قالوا: وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة ، والمحذوفات في القرآن على هذا النمط ، وسيأتي الإشباع فيه وفي شروطه إن شاء الله تعالى ، وذهب المحققون إلى أن حذف المضاف ليس من المجاز؛ لأنه استعمال اللفظ فيما وُضع له ، [ولأن] ^(٣) الكلمة المحذوفة ليست كذلك ، وإنما التجوز في أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوباً إلى المضاف كالأمثلة السابقة .

الثالث عشر الزيادة

كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ذكره الأصوليون .
وللنحويين فيها قولان:

أحدهما: أن «مثل» زائدة ، والتقدير ليس كهو شيء .

والثاني - وهو المشهور - أن الكاف هي الزائدة ، وأن (مثل) خبر ليس . ولا خفاء أن القول

(٢) سقط من م .

(١) [الإشارة إلى الإيجاز] (ص/١٥٨) .

(٣) في م: أو لأن .

بزيادة الحرف أسهل من القول بزيادة الاسم . ومن قال به ابن جنبي والسيرافي^(١) وغيرهما ، فقالوا : المعنى : ليس مثله شيء والكاف زائدة ، وإلا لاستحال الكلام ؛ لأنها لو لم تكن زائدة كانت بمعنى (مثل) وإن كانت حرفاً فيكون التقدير : ليس مثل مثله شيء ، وإذا قُدر هذا التقدير ثبت له مثل ، ونُفي الشبه عن مثله ، وهذا محال من وجهين :
أحدهما : أن الله عز وجل لا مثل له .

والثاني : أن نفس اللفظ به محال في حق كل أحد ، وذلك أنا لو قلنا : ليس مثل مثل زيد ، لاستحال ذلك ؛ لأن فيه إثبات أن لزيد مثلاً ، وذلك يستلزم جعل زيد مثلاً له ؛ لأن ما مائل الشيء فقد مائله ذلك [الشيء] ^(٢) ، وغير جائز أن يكون زيد مثلاً لعمرو ، وعمرو ليس مثلاً لزيد ، فإذا نفينا المثل عن مثل زيد ، وزيد هو مثل مثله فقد اختلفنا ، ولأنه يلزم منه التناقض على تقدير إثبات المثل ، لأن مثل المثل لا يصح نفيه ضرورة كونه مثلاً لشيء وهو مثل له .

وأجيب عن الأول بأننا لا نسلم لزوم إثبات المثل ، غاية ما فيه نفي مثل مثل الله وذلك يستلزم ألا يكون له مثل أصلاً ، ضرورة أن مثل كل شيء فذلك الشيء مثله ، فإذا انتفى عن شيء أن يكون مثل عمرو انتفى عن عمرو أن يكون مثله .

وأما الثاني : فهو مبني على أن هذه العبارات يلزم منها إثبات المثل ، ونحن قد منعناه بل أحلناه من العبارة .

وقيل : ليست زائدة ، إما لاعتبار جواز سلب الشيء عن المعدوم ، كما تسلب الكتابة عن زيد وهو معدوم ، أو يحتمل المثل على المثل ، أي الصفة كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [الرعد : ٣٥] ، أي : صفتها ، فالتقدير : ليست كصفته شيء .

وبهذين التقديرين يحصل [التخلص] ^(٣) عن لزوم إثبات «مثل» وإن لم تكن زائدة .

وأما القائلون بأن الزائد (مثل) وإلا لزم إثبات المثل ، ففيه نظر ، لاستلزام تقدير دخول الكاف على الضمير ؛ وهو ضعيف لا يجيء إلا في الشعر ، وقد ذكرنا ما يخلص من لزوم إثبات المثل .

وقيل : المراد : الذات والعين ، كقوله : ﴿فَإِنَّ أَمْثُوا يَمِثُّلُ مَا ءَامَنَتْمْ بِهِ﴾ [البقرة : ١٣٧] وقول امرئ

القيس :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه

فالكاف على بابها ، وليس كذلك بل المراد حقيقة المثل ليكون نفيًا عن الذات بطريق برهاني ، كسائر

(١) وكذا ابن الأنباري في «أسرار العربية» (ص/ ٢٦٣) وانظر : «أوضح المسالك» (٤٧/٣) و «الأصول في النحو» (٢٩٤/١) و «الإنصاف في مسائل الخلاف» (١/ ٢٩٩) .

(٢) في م : التخصيص

(٣) سقط من م .

الكنائيات . ثم لا يشترط على هذا أن يكون لتلك الذات المدوحة مثل في الخارج حصل النفي عنه ، بل هو من باب التخيل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني .

فإن قيل : إنما يكون هذا نفيًا عن الذات بطريق برهاني أن لو كانت المماثلة تستدعي المساواة في الصفات الذاتية وغيرها من الأفعال ، فإن اتفاق الشخصيتين بالذاتيات لا يستلزم اتحاد أفعالهما . قيل : ليس المراد بالمثل هنا المصطلح عليه في العلوم العقلية بل المراد من هو مثل حاله في الصفات المناسبة لما سبق الكلام له ، وليس المراد من هو مثل في كل شيء ، لأن لفظة مثل لا تستدعي المشابهة من كل وجه .

وقال الكواشي : يجوز أن يقال : إن الكاف ، و(مثل) ليسا زائدتين ، بل يكون التمثيل هنا على سبيل الفرض ، كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وتقدير الكلام : لو فرضنا له مثلًا لامتنع أن يُشبه ذلك المثل المفروض شيء ، [ق/ ١٢٠] وهذا أبلغ في نفي المماثلة .

وأما قوله تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧] فقيل : إن «ما» فيه مصدرية . وهذا فيه نظر لأن «ما» لو كانت مصدرية ، لم يعد إليها من الصلة ضمير ، وهو الهاء في ﴿بِهِ﴾ لأن الضمير لا يعود على الحروف ، ولا يعتبر اسمًا إلا بالصلة والاسم لا يعود عليه ما هو صفته ؛ إذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط .

وجوابه : أن تكون «ما» موصولة صلتها ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ .

وقيل : مزيدة ، والتقدير : فإن آمنوا بالذي آمنتم به أي بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، وجميع ما جاء به الأنبياء .

وقيل : إن [مثل] ^(١) صفة لمحذوف ، تقديره : فإن آمنوا بشيء مثل ما آمنتم به . وفيه نظر لأن ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل . وحكى الواحدي عن أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿فَأَيُّنَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ، أن «الوجه» صلة ، والمعنى : فتمَّ الله يعلم ويرى ، قال : والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثيرًا ، كقوله : ﴿وَسَيِّئٌ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لُؤْيُوهُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] .

قلت : والأشبه حمله على أن المراد به الذات ^(٢) ، كما في قوله تعالى : ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] وهو أولى من دعوى الزيادة .

(١) في المطبوع : مثلاً .

(٢) قال الحافظ البيهقي : «قال الله تبارك وتعالى : «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال : (ذو الجلال والإكرام) ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن للذات صفة لقال : ذي الجلال والإكرام . فلما قال : (ذو الجلال والإكرام) علمنا أنه نعت للوجه وهو صفة للذات» [الاعتقاد] (ص/ ٨٨) .

ومن الزيادة: دعوى أبي عبيدة^(١): ﴿بَسْمُوْنُكَرٌ ذَا تَدْعُوْنَ﴾ [الشراء: ٧٢] أن ﴿إِذْ﴾ زائدة.
 وقوله: ﴿وَلِأَجْدَلٍ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [ال عمران: ٥٠].
 وقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [آفاقر: ٢٨] وقد سبق.

الرابع عشر تسمية الشيء بما يؤول إليه

كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَايِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] أي: صائرًا إلى الفجور والكفر.
 وقوله: ﴿أَرَبَيْتَ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أي: لأن الذي تأكل الطير منه إنما هو البُرُّ لا الخبز، ولم يذكر العلماء هذا من جملة الأمثلة، إنما اقتصروا في التمثيل على قوله: ﴿أَعَصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أي: عنبًا، فعبر عنه لأنه آيل إلى الخمرية، وقيل: لا مجاز فيه، فإن الخمر العنب بعينه لغة لأزْد عمان؛ نقله الفارسي في «التذكرة» عن «غريب القرآن» لابن دريد^(٢).
 وقيل: اكتفى بالمسبب الذي هو الخمر عن السبب الذي هو العنب. قاله ابن جنبي في «الخصائص»^(٣).

وقيل: ولا مجاز في الاسم بل في الفعل وهو ﴿أَعَصِرُ﴾ فإنه أطلق وأريد به أستخرج، وإليه ذهب ابن عَزْرِيْز في «غريبه».
 وقوله: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرِيَّ﴾ [البقرة: ٢٣٠] سماه زوجًا؛ لأن العقد يؤول إلى زوجية؛ لأنها لا تنكح في حال كونه زوجًا.

وقوله: ﴿فَبَسَّرْنَاهُ بِنُحْلٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، و﴿وَشَرَّوْهُ بِكَلِمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم.

تنبيه: ليس هذا من الحال المقدره- كما يتبادر إلى الذهن- لأن الذي يقترن بالفاعل أو المفعول، إنما هو تقدير ذلك وإرادته، فيكون المعنى في قوله: ﴿فَبَسَّرَ صَاحِبًا﴾ [النمل: ١٩] مقدار ضحكته. وكذا قوله: ﴿وَحَرُّوْا لَهُمْ سَجْدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] على قول أبي علي و[على]^(٤) هذا حمل منه للخرور على ابتدائه، وإن حملة على انتهائه كانت الحال الملقوظ بها ناجزة غير مقدره.

وكذلك قوله: ﴿فَاتَّخَذُوْهَا خَلَائِفِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] أي: ادخلوها مقدرين الخلود فيها فإن من دخل مدخلًا كريمًا مقدرًا ألا يخرج منه أبدًا، كان ذلك أتم لسروره ونعيمه، ولو توهم انقطاعه لتغصص عليه النعيم الناجز؛ مما يتوهمه من الانقطاع اللاحق.

(٢) مات قبل إتمامه.

(١) «مجاز القرآن» (٢/ ٨٧).

(٤) سقط من المطبوع.

(٣) (٣/ ١٧٧).

الخامس عشر تسمية الشيء بما كان عليه

كقوله تعالى: ﴿وَأَنثَأُوا اللَّيْنَةَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] أي: الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ، وقيل: بل هم يتامى حقيقة، وأما حديث: «لا يتم بعد احتلام»^(١) فهو من تعليم الشرع لا اللغة، وهو غريب.

وقوله: ﴿وَأَلَّكُمْ نِصْفَ مَا تَرَكَتُمْ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢] ، وإذا مثنى لم يكن أزواجاً، فسماهن بذلك لأنهن كن أزواجاً.

وقوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، أي: الذين كانوا أزواجهن.

وكذلك ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لانقطاع الزوجية بالموت.

وقوله: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجمام.

وقوله: ﴿هَذِهِ بَضْعَةٌ مِمَّا رَدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] ، ولكن ما رُدَّ عليهم مالهم ، وإنما كانوا قد اشتروا بها الميرة، فجعلها يوسف [عليه السلام]^(٢) في متاعهم وهي له دونهم فنسبها الله إليهم بمعنى أنها كانت لهم.

السادس عشر إطلاق اسم المحل على الحال

كقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَفَرُّشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] ، أي: نساؤه، بدليل قوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة:

٣٥] .

وكالتعبير باليد عن القدرة^(٣) ، كقوله: ﴿يَدِيهِ أَلْمَلِكُ﴾ [الملك: ١] ، ونحوه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٣) والطبراني في «الأوسط» (٢٩٠) و «الصغير» (٢٦٦) والبيهقي في «الكبرى» (١١٠٩١) من حديث علي . والطبراني في «الكبير» (٣٥٠٢) وابن أبي الدنيا في «العيال» (٦٣٤) من حديث حنظلة . والطيالسي في «مسنده» (١٧٦٧) والبيهقي في «الكبرى» (١٤٦٥٨) من حديث جابر . وهذا حديث صحيح .

(٢) زيادة من م .

(٣) قال الحافظ البيهقي: «وقال الله عز وجل: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) بتشديد الياء من الإضافة وذلك تحقيق في التثنية وفي ذلك منع من حملها على النعمة والقدرة لأنه ليس لتشخيص التثنية في نعم الله ولا في قدرته معنى يصح لأن نعم الله أكثر من أن تحصى ، ولأنه خرج مخرج التخصيص وتفضيل آدم عليه السلام على إبليس وحملها على القدرة أو على النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها ولا يجوز حملها على الماء والطين لأنه لو أراد ذلك لقال: لما خلقت من يدي كما يقال: صنعت هذا الكوز من الفضة أو من النحاس، فلما قال: (بيدي) علمنا أن المراد بهما غير ذلك» .

والتعبير بالقلب عن العقل، كقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٧٩] أي عقول.
وبالأفواه عن الألسن، كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿يَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٦٧].

وإطلاق الألسن على اللغات، كقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].
والتعبير بالقرية عن ساكنها، نحو: ﴿وَسَتَلِي الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

السابع عشر إطلاق اسم الحال على المحل

كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّنْتَ وَجُوهُهُمْ فَبَىٰ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [ال عمران: ١٠٧] ، أي: في
الجنة لأنها محل الرحمة. وقوله: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣] ، أي: في الليل.
وقال الحسن في قوله: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ [الأنفاس: ٤٣] : أي: في عينك. واستبعده
الزخشيري وقدّر: يعني: في رؤياك.

وقوله: ﴿رَبِّ أَجْمَلٌ هَذَا الْبَلَدِ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وصف البلد بالأمن، وهو صفة لأهله،
ومثله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].
وقوله: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [سبا: ١٥] وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها.

وقد اجتمع هذا والذي قبله في قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعِي مَا دَمَّ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الاعراف: ٣١] ،
وذلك لأن أخذ الزينة غير ممكن، لأنها مصدر فيكون المراد محل الزينة، ولا يجب أخذ الزينة للمسجد
نفسه، فيكون المراد بالمسجد الصلاة؛ فأطلق اسم المحل على الحال، وفي الزينة بالعكس.

الثامن عشر إطلاق اسم آلة الشيء عليه

كقوله تعالى: ﴿وَأَجْمَلٌ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] ، أي: ذكرًا حسنًا أطلق اللسان وعبر
به عن الذكر؛ لأن اللسان [آلة] ^(١) للذكر.

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [الفر: ١٤] ، أي: بمرأى منا؛ لما كانت العين آلة الرؤية.
وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] ، أي: بلغة قومه.

التاسع عشر إطلاق اسم الضدين على الآخر

كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وهي من المبتدئ سيئة ومن الله حسنة،
فحمل اللفظ على اللفظ.

(١) في المطبوع: آية.

وعكسه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، سُمي الأول إحساناً لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان، والأول طاعة كأنه قال: هل جزاء الطاعة إلا الثواب؟!

وكذلك: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا لِلَّهِ﴾ [إعمران: ٥٤] جُمِلَ اللفظ على [اللفظ] ^(١) فخرج الانتقام بلفظ الذنب، لأن الله لا يمكر ^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فهو وإن لم يتقدم ذكر مكرهم في اللفظ، لكن تقدم في سياق الآية قبله ما يصير إلى مكر، والمقابلة لا يشترط فيها ذكر المقابل لفظاً بل هو، أو ما في معناه.

وكذلك قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [إعمران: ٢١] لما قال: بَشِّرْهُ هَؤُلَاءِ بِالْجَنَّةِ، قال: بَشِّرْهُ هَؤُلَاءِ بِالْعَذَابِ، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر.

وقوله: ﴿إِن تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْحَرُ مِنْكُمْ﴾ [هود: ٣٨]، والفعل الثاني ليس بسخرية.

العشرون تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه

لما بينهما من التعلق، ذكره السكاكي ^(٣)، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني: «ما دعاك ألا تسجد»؟ [ق/ ١٢١] واعتصم بذلك في عدم زيادة «لا» وقيل: معناه: ما حاك في ألا تسجد- أي: من العقوبة- أي ما جعلك في منعة من عقوبة ترك السجود؟

وهذا لا يصح، أما الأول فلم يثبت في اللغة، وأما الثاني فكأن تركيبه: (ما يمنعك) سؤالاً عما يمنعه لا بلفظ الماضي، لأنه لا تحويف بماضٍ.

ويجاب: بأن المخالفة تقتضي الأمانة، كأنه قيل: ما أمنك حتى خالفت؟ بياناً لاغتراره وعدم

(١) سقط من م.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن القيم: «المكر ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده، فمن محمود: مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم بجنس عملهم قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [إغاثة اللهفان] (١/ ٣٨٨). وقال أيضاً: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرًا وكيدًا واستهزاء وخداعًا من باب الاستعارة وبجاز المقابلة نحو: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ونحو قوله ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وقيل: - وهو أصوب - بل تسميته ذلك حقيقة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة ولكنه نوعان قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له فالأول مذموم والثاني مدح والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده [إعلام الموقنين] (٣/ ٢١٧).

(٣) «مفتاح» العلوم (ص/ ٣٦٧).

رشده، وأنه إنما خالف وحاله حال من امتنع بقوته من عذاب ربه، فكفى عنه بـ (ما منعك) تهكمًا، لا أنه امتنع حقيقة، وإنما جسر جسارة من هو في منعة. وردَّ أيضًا بأنه أجاب بـ ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ وهو لا يصلح جوابًا إلا لترك السجود، وأجيب بأنه لم يجب ولكن عدل بذلك جواب ما لا يمكن جوابه.

الحادي والعشرون إقامة صيغة مقام أخرى وله صور

فمنه: «فاعل» بمعنى «مفعول»، كقوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣] أي: لا معصوم. وقوله تعالى: ﴿مِنْ تَأْوِيَاتٍ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق.

و ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي: مرضية بها، وقيل: على النسب أي: ذات رضا وهو مجاز إفراد لا تركيب.

وقوله: ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَكْرًا مَائِنًا﴾ [المنكوت: ٦٧] أي: مأمونًا [فيه، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] أي مصور فيها في يوم عاصف؛ لأن المعصوف يكون فيه. وقوله ﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] أي: مولاً^(١).

وعكسه ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعَدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١] أي: آتيا.

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي: ساترًا، وحكى الهروي في (الغريب) عن [أهل]^(٢) اللغة «وتأويل الحجاب: الطبع».

وقال السهيلي^(٣) [الصحیح أنه على بابه]^(٤)، أي مستورًا عن العيون ولا يحس به أحد؛ والمعنى: «مستور عنك وعنهم»، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَلْمُكَ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال الجوهرى^(٥): «أي حجابًا على حجاب، والأول مستور بالثاني، يُراد بذلك كثافة الحجاب، لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا».

قال أبو الفتح في كتابه «هذا القدر»: وسألته - يعني الفارسي - إذا جعلت فاعلاً بمعنى مفعول؛ فعلام ترفع الضمير الذي فيه؟ أعلى حد ارتفاع الضمير في اسم الفاعل، أم اسم المفعول؟ فقال: إن كان بمعنى «مفعول» ارتفع الضمير فيه ارتفاع الضمير في اسم الفاعل وإن جاء على لفظ اسم الفاعل. ومنه «فعليل» بمعنى «مفعول» [كقوله]^(٦): ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥] أي: مظهرًا فيه، ومنه ظهرت به، فلم ألفت إليه.

(٢) في المطبوع: أصل.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) «الروض الأنف» (١/١٥٧).

(٤) عبارة السهيلي: «والصحیح أن مستورًا هنا على بابه لأنه حجاب على القلب فهو لا يُرى».

(٦) سقط من م.

(٥) «مختار الصحاح» (ص/٣٢٦).

أما نحو: ﴿فَلَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فقال بعض النحويين: إنه بمعنى «مؤلم»، ورده النحاس^(١) بأن مؤلماً يجوز أن يكون قد ألم ثم زال، و«أليم» أبلغ، لأنه يدل على الملازمة قال: ولهذا منع النحويون إلا سيبويه أن يعدى «فعليل».

ومنه مجيء المصدر على «فعلول»، كقوله تعالى: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وقوله: ﴿لَا تُزِيدُ مَنَكُورًا وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]. فإنه ليس المراد الجمع هنا، بل المراد: لا تزيد منكم شكراً أصلاً، وهذا أبلغ في قصد الإخلاص في نفي الأنواع.

وزعم السهيلي: أنه جمع «شكر» وليس كذلك لفوات هذا المعنى.

ومنها: إقامة الفاعل مقام المصدر نحو: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي: تكذيب، وإقامة المفعول مقام المصدر نحو ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦٠] أي: الفتنة.

ومنه: وصف الشيء بالمصدر، كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوٌّ لَّيٌّ﴾ [الشعراء: ٧٧]، قالوا: إنما وحده لأنه في معنى المصدر، كأنه قال: «فإنهم عداوة».

ومجيء المصدر بمعنى المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: من معلومه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُ مِنَ الْوَعْدِ﴾ [النجم: ٣٠] أي: من المعلوم.

وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] أي: مصنوعه.

وقوله: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي: مترحم، قاله الفارسي.

وكذا قوله: ﴿فَأَعْيُونِي يُقَوِّرُ﴾ [الكهف: ٩٥] أي مقوى به، ألا ترى أنه أراد منهم زبر الحديد والنفض عليها!

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] أي: مظلوماً فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيَّةٍ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] أي: مكذوب فيه.

والألو كان على ظاهره لأشكال لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام، وقال الفراء^(٢): يجوز في النحو «بدم كذباً»، بالنصب على المصدر، لأن ﴿جَاءُوا﴾ فيه معنى «كذبوا كذباً»، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْمَدِيدَاتِ صَبِيحًا﴾ لأن «العاديات» بمعنى «الضابحات».

وعكسه ﴿وَأَنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمَنَّهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

ومنه: «فعليل»، بمعنى الجمع كقوله تعالى: ﴿وَأَلْمَلِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

(٢) «معاني القرآن» (٣٨/٢).

(١) «معاني القرآن» (٩١/١).

وقوله: ﴿حَاصُوا بِحَيْثُ﴾ [يوسف: ٨٠].

وقوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وشرط بعضهم أن يكون [المخبر] ^(١) عنه جمعاً، وأنه لا يجيء ذلك في المثني، ويرده قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧]، فإنه نقل الواحد من المبرد، وابن عطية عن الفراء أن «قعيد» أسند لهما.

وقد يقع الإخبار بلفظ الفرد عن لفظ الجمع، وإن أريد معناه لئلا يكتفى، كقوله تعالى: ﴿أَتَرِيقُونَ تَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [انقر: ٤٤]، فإن سبب النزول وهو قول أبي جهل: (نحن نتصر اليوم) يقضي بإعراب «منتصر» خبراً.

ومنه إطلاق الخبر وإرادة الأمر كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] [أي: ليرضع الوالدات أولادهن] ^(٢).

وقوله: ﴿يَرْتَضَعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، [أي: ترتبصن] ^(٣) المتوفى عنها.

وقوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ [يوسف: ٤٧] والمعنى: أزرعوا سبع سنين. بدليل قوله: ﴿فَذَرُّوهُ فِي سُبُلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧].

وقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤْمِنُونَ﴾ [الصف: ١١]، معناه: آمنوا وجاهدوا، ولذلك أوجب بالجزم في قوله: ﴿يَقْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾ [الصف: ١٢]، ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله: ﴿هَذَا أَذَلُّكُمْ﴾ لأن المغفرة وإدخال الجنان لا يترتبان على مجرد الدلالة، قاله أبو البقاء ^(٤) والشيخ عز الدين ^(٥).

والتحقيق: ما قاله النبي أنه جعل الدلالة على التجارة سبباً لوجودها، والتجارة هي الإيمان، ولذلك فسرها بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعلم أن التجارة من جهة الدلالة هي الإيمان فالدلالة سبب الإيمان، والإيمان سبب الغفران، وسبب السبب سبب، وهذا النوع فيه تأكيد، وهو من مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق، الذي لا بد من وقوعه وإذا شبهه بالخبر الماضي كان أكد.

ومنه: عكسه كقوله تعالى: ﴿فَلْيَسُدُّ لَكَ الرَّحْمَنُ مَنًّا﴾ [مریم: ٧٥]، والتقدير: مده الرحمن مداً.

وقوله: ﴿أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] أي: نحمل.

(١)، (٢)، (٣) سقط من م.

(٤) «إملاء ما من به الرحمن» (١٤٠/٢).

(٥) «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/٢٧).

قال الكواشي: والأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر، لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك. يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم، كذا قال الشيخ عز الدين؛ مقصوده تأكيد الخبر لأن الأمر للإيجاب يشبه الخبر في إيجابه.

وجعل الفارسي^(١) منه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ (٢) إِذَا أَرَدْتَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، قال: ﴿كُنْ﴾ لفظه أمر والمراد الخبر، والتقدير: (يكون فيكون)، أو على أنه خير مبتدأ محذوف، أي فهو يكون، قال: ولهذا أجمع القراء على رفع ﴿فَيَكُونُ﴾ ورفضوا فيه النصب، إلا ما روي عن ابن عامر؛ وسوغ النصب لكونه بصيغة الأمر قال: ولا يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿نَقُولُ﴾ فيجيء النصب على الفعل المنسوب؛ لأن ذلك لا يطرد بدليل قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ال عمران: ٥٩] إذ لا يستقيم هنا العطف المذكور لأن ﴿قال﴾ ماضٍ ﴿ويكون﴾ مضارعاً، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما.

قلت: وهذا الذي قاله الفارسي ضعيف مخالف لقواعد أهل [ق/ ١٢٢] السنة. ومنه إطلاق الخبر وإرادة النهي، كقوله: ﴿لَا تَقْبُدُونِ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] ومعناه: «لا تعبدوا». وقوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، [أي: لا تسفكوا ولا تخرجوا]^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أي: ولا تنفقوا.

الثاني والعشرون إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلويح

وغير ذلك من المعاني الستة عشر، وما زيد عليها من أنواع المجاز، ولم يذكره هنا في أقسامه.

الثالث والعشرون إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة

إما على التشبيه، كقوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المرید له.

وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ عَالِمُ الرُّؤْمِ﴾ [الروم: ١-٢] فالغلبة واقعة بهم من غيرهم، [ثم قال]^(٤): ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الروم: ٣]، فأضاف الغلب إليهم، وإنما كان كذلك لأن الغلب، وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم.

ومثله ﴿وَمَا أَقْبَلْنَا عَلَىٰ حَبِيبِهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿وَنُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِيبِهِ﴾ [الإنسان: ٨] فالحب في الظاهر

(٢) في المطبوع: أمرنا.

(٤) سقط من م.

(١) الحجة (٥/ ٦٥-٦٦).

(٣) سقط من م.

مضاف إلى الطعام والمال، وهو في الحقيقة لصاحبهما.

ومثله ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانًا﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤]، أي: مقامه بين يدي.

وإما لوقوعه فيه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

وإما لأنه سببه، كقوله تعالى: ﴿فَرَادَتْهُمْ إِبْنَا﴾ [النوبة: ١٢٤]، ﴿وَذَلِكُمْ طَنْكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدُنكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]، ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، كما تقدم في أمثلة المجاز العقلي.

وقد يقال: إن التزاع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما أوجبهما، فالمجاز إفرادي لا إسنادي.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] أي: يجعل هؤلاء، فهو من مجاز الحذف.

الرابع والعشرون إطلاق الفعل والمراد مقاربتة ومشارفتة لا حقيقته

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مَا نَسَحْتُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، أي: قاربن بلوغ الأجل، أي: انقضاء العدة؛ لأن الإمساك لا يكون بعد انقضاء العدة، فيكون بلوغ الأجل تمامه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، أي: أمن العدة وأردن مراجعة الأزواج، ولو كانت مقاربتة لم يكن للولي حكم في إزالة الرجعة، لأنها بيد الزوج، ولو كان الطلاق غير رجعي لم يكن للولي أيضًا عليها حكم قبل تمام العدة، ولا تسمى عاضلاً حتى يمنعها تمام العدة من المراجعة.

[ومثله^(١)] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ الْجُهْدُ لَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ [النحل: ٦١] المعنى: قارب وبه يندفع

السؤال المشهور فيها: إن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: قارب حضور الموت.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّدِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ [الشعراء: ٢٠٠-٢٠٢]، أي: حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها، وذلك على أن يكون: يرونها فلا يظنونها عذاباً ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]، [أي: يعتقدونه عذاباً]^(٢) ولا يظنونها واقعاً بهم وحيثذا فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته.

ومن دقيق هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ [هود: ٤٥]، المراد: قارب النداء؛ لا أوقع النداء، لدخول الفاء في ﴿فَقَالَ﴾ فإنه لو وقع النداء لسقطت، وكان ما ذكر تفسيراً للنداء كقوله تعالى:

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في م: ومنه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ﴾ [ال عمران: ٣٨] ، وقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٤-٣] لما فسر النداء سقطت الفاء .

وذكر النحاة أن هذه الفاء تفسيرية ؛ لأنها عطفت مفسراً على مجمل ، كقوله: توضع فغسل وجهه . وفائدة ذلك : أن نوحاً عليه السلام أراد ذلك فَرَدَّ القصد إليه ولم يقع لا عن قصد .
ومنه : قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ إِنْ شَارَفُوا أَنْ يُتْرَكُوا ، وَإِنَّمَا أَوَّلَ التَّرْكِ بِمِشَارَفَةِ التَّرْكِ ، لِأَنَّ الخُطَابَ لِلأَوْصِيَاءِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ قَبْلَ التَّرْكِ لِأَنَّهُمْ بَعْدَهُ أَمْوَاتٌ .
وقريب منه إطلاق الفعل ، وإرادة إرادته ، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨] ، أي : إذا أردت .

وقوله: ﴿إِذَا قُتِلْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْلِبُوا﴾ [المائدة: ٦٠] ، أي : إذا أردتم ؛ لأن الإرادة سبب القيام .
﴿إِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا﴾ [مريم: ٣٥] ، أي : [إذا] ^(١) أراد .
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] ، أي : أردت الحكم .
ومثله : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ٥٨] .
﴿إِذَا تَخَيَّمُوا الرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢] ، أي : أردتم مناجاته .
﴿وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] .

وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، قال ابن عباس : من يرد الله هدايته . ولقد أحسن رضي الله عنه لثلا يتحد الشرط والجزاء .

وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] ، أي : أردتم القول .
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ [الفرقان: ٦٧] ، أي : أرادوا الإنفاق .
وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ﴾ [الأعراف: ٤] لأن الإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس ، وإنما خص هذين الوقتين - أعني البيات والقيولة - لأنها وقت الغفلة والدعة ؛ فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع .

وقوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٦] ، أي : أردنا إهلاكها .
﴿فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَقْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦] ، أي : فأردنا الانتقام منهم ، وحكمته آتاً إذا أردنا أمراً نقدر فيه إرادتنا ، وإن كان خارقاً للعادة .

(١) سقط من المطبوع .

وقال الزمخشري ^(١) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَنَّادْنَا﴾ [هود: ٣٢]: أي: أردت جدالنا وشرعت فيه، وكان الموجب لهذا التقدير خوف التكرار، لأن «جادلت» «فاعلت» وهو يعطي التكرار، أو أن المعنى: لم ترد منا غير الجدال له لا النصيحة.

قلت: وإنما عبروا عن إرادة الفعل بالفعل؛ لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل وإرادته وقصده إليه، كما عبر بالفعل من القدرة على الفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر، أي لا يقدر على الطيران والإبصار، وإنما حُمل على ذلك دون الحمل على ظاهره للدلالة على جواز الصلاة بوضوء واحد، والحمل على الظاهر يوجب أن من جلس يتوضأ ثم قام إلى الصلاة يلزمه وضوء آخر، فلا يزال مشغولاً بالوضوء ولا يتفرغ للصلاة وفساده يبين.

الخامس والعشرون إطلاق الأمر بالشيء [المقليس] ^(٢) به والمراد دوامه

كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَأْمُوتًا﴾ [النساء: ١٣٦] هكذا أجاب به الزمخشري ^(٣) وغيره، وأصل السؤال غير وارد لأن الأمر لا يتعلق بالماضي ولا بالحال وإنما يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب فليس ذلك تحصيلاً للحاصل، بل تحصيلاً للمعدوم؛ فلا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا، لأن الذي هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به، والحاصل أن الكل مأمور بالإنشاء فالؤمن ينشئ ما سبق له أمثاله، والكافر ينشئ ما لم يسبق منه أمثاله.

السادس والعشرون إطلاق اسم البشري على المبشر به

كقوله تعالى: ﴿بَشِّرْكُمْ أَيُّمَ جَنَّتْ﴾ [الحديد: ١٢]؛ قال أبو علي الفارسي: التقدير: بشراكم دخول جنات، أو خلود جنات؛ لأن البشري مصدر والجنات ذات، فلا يجزئ [ق/١٢٣] بالذات عن المعنى. ونحوه إطلاق اسم المقول على القول، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢]. ومنه: ﴿سُبْحٰنَكَ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، أي: عن مدلول قولهم. ومنه: ﴿فَبَرِّءُ اللَّهِ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، أي: من مقولهم وهو الأذرة. وإطلاق الاسم على المسمى؛ كقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُوهَا﴾ [يوسف: ٤٠] أي: مسميات. ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، أي: ربك.

وإطلاق اسم الكلمة على المتكلم، كقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]، أي: لمقتضى عذاب الله، و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُم بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، تجوز

(٢) في المطبوع: للمقليس.

(١) «الكشاف» (٢/٣٩١).

(٣) «الكشاف» (١/١٣٦-١٣٧).

بالكلمة عن المسيح لكونه تكوّن بها من غير أب، بدليل قوله: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] ولا تتصف الكلمة بذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى﴾ [آل عمران: ٤٥]، فإن الضمير فيه عائد إلى مدلول الكلمة، والمراد بالاسم المسمى، فالمعنى: المسمى المبشر به المسيح ابن مريم.

وإطلاق اسم اليمين على المحلوف به، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]؛ أي: لا تجعلوا يمين الله أو قسم الله مانعاً لما تحلفون عليه من البر والتقوى بين الناس.

إطلاق الهوى على المهوي، ومنه: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَاحِشِ﴾ [النازعات: ٤٠]؛ أي: عما تهواه من المعاصي ولا يصح نهيها عن هواها، وهو ميلها، لأنه تكليف لما لا يطاق إلا على حذف مضاف؛ أي: نهي النفس عن اتباع الهوى.

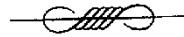
التجوز عن المجاز بالمجاز

وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فتتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فإنه مجاز عن مجاز فإن الوطاء تُجَوِّزُ عنه بالسر، لأنه لا يقع غالباً إلا في السر، وتجاوز بالسر عن العقد؛ لأنه مسبب عنه فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية، والمعنى: (لا تواعدوهن عقد نكاح).

وكذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، إن جُهِلَ على ظاهره كان من مجاز المجاز؛ لأن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه، والأول من مجاز السببية؛ لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان.

قلت: وهذا يسميه ابن السيد مجاز المراتب، وجعل منه قوله تعالى: ﴿يَبْنَوي مَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا﴾ [الأمراء: ٢٦]، فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس.



النوع الرابع والأربعون

في الكنايات والتعريض^(١) في القرآن

اعلم أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح .
قال الطرطوسي : وأكثر [أمثالهم] ^(٢) الفصيحة على مجاري الكنايات ؛ وقد ألف أبو عبيد ^(٣)
وغيره كتباً في الأمثال ^(٤) ؛ ومنها قولهم : فلان عفيف الإزار، طاهر الذليل . ولم يُحصن فرجه ، وفي
الحديث : « كان إذا دخل العشر أيقظ أهله ، وشد المنزر » ^(٥) فكُنُوا عن ترك الوطء بشد المنزر ، وكنى
عن الجماع بالعُسيلة ^(٦) ، وعن النساء بالقوارير ^(٧) لضعف قلوب النساء ، ويكونون عن الزوجة بربة
البيت ^(٨) ، وعن الأعمى بالمحجوب والمكفوف ^(٩) ، وعن الأبرص بالوضاح ^(١٠) ، وبالأبرش ،
وغير ذلك ، وهو كثير في القرآن قال الله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ
أَكْتَنَنْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

والكناية عن الشيء : الدلالة عليه من غير تصريح باسمه .

وهي عند أهل البيان : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من
اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه ، فيدلُّ على
المراد من طريق أولى ؛ مثاله : قولهم : « طويل النجاد » و« كثير الرماد » ، يعنون طويل القامة ، وكثير
الضيافة ، فلم يذكروا المراد باللفظ الخاص به ولكن توصلوا إليه بذكر معنى آخر هو رديفه في الوجود ،

(١) صنف فيه أبو منصور الثعالبي ، والجرجاني .

(٢) في م : أساليهم . (٣) كتابه مطبوع متداول .

(٤) منهم : أبو إسحاق الزبيري ، وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو عبيدة ، وحسين الخالع ، وأبو هلال العسكري ،
ويونس ، وثعلب ، وابن الأعرابي .

(٥) أخرجه البخاري (١٩٢٠) ومسلم (١١٧٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٢٤٩٦) ومسلم (١٤٣٣) .

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٩٧) ومسلم (٢٣٢٣) .

(٨) انظر : « الكناية والتعريض » للثعالبي (ص / ٩) .

(٩) المصدر السابق (٩٧-٩٨) .

(١٠) وأول من كناه بذلك جذيمة الأبرص ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي ، قتل ستة (٢٦٨) هـ . قال
رجل من بني نeshل : نفرت سودة مني إذ رأت صلح الرأس وفي الجلد الوضع هو زين لي في الوجه كما زين الطرف
تحاسين القرص . كتاب « الكناية والتعريض » (ص / ٩٥) .

لأن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كَثُرَ القِرَى كثر الرماد.
وقد اختلف في أنها حقيقة أو مجاز؟ فقال الطرطوسي في «العمدة»: «قد اختلف في وجود الكناية في القرآن، وهو كالحلاف في المجاز فمن أجاز وجود المجاز فيه أجاز الكناية وهو قول الجمهور، ومن أنكر ذلك أنكر هذا».

وقال الشيخ عز الدين: الظاهر أنها ليست بمجاز لأنك استعملت اللفظ فيما وُضع له، وأردت به الدلالة على غيره، ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وُضع له، وهذا شبيهه بدليل الخطاب في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أُوتِيَ﴾ [الإسراء: ٢٣]. انتهى.

أسباب الكناية

ولها أسباب:

أحدها: التنبيه على عظم القدرة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] كناية عن آدم.

ثانيها: فطنة المخاطب، كقوله تعالى في قصة داود: ﴿حَصَّانَ يَبَئِ بَعْضًا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢]، فكنى داود بخصم على لسان ملكين؛ تعريضاً.

وقوله في قصة النبي ﷺ وزيد: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أي: زيد ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَقُوا النَّارَ أُتَىٰ وَوُقُدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، فإنه كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور [المعجزة] ^(١) فتمسكهم هذه النار العظيمة.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا...﴾ [الآيات: ٨] فإن هذه تسلية للنبي ﷺ، والمعنى: لا تظن أنك مقصر في إنذارهم، فإننا نحن المانعون لهم من الإيمان فقد جعلناهم حطباً للنار ليقوى التذاذ المؤمن بالنعيم، كما لا تتبين لذة الصحيح إلا عند رؤية المريض.

ثالثها: ترك اللفظ إلى ما هو أجل منه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَّ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] فكنى [بالنعمة عن المرأة] ^(٢) كعادة العرب أنها تكني بها عن المرأة ^(٣).

(١) في م: المعجز. (٢) في المطبوع: بالمرأة عن النعجة.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨١). قال الأعشى: فرميث غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالتها.

يعني: امرأة الرجل.

وقوله: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَالِ﴾ [الأنفال: ١٦]، كنى بالتحيز عن الهزيمة.
 وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [ال عمران: ٩٠]، كنى
 بنفي قبول التوبة عن الموت على الكفر لأنه يرادفه.

رابعها: أن يفحش ذكره في السمع، فيكنى عنه بما لا ينبو عن الطبع؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا
 بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: كانوا عن لفظه، ولم يوردوه على صيغته^(١).

ومنه: قوله تعالى في جواب قوم هود: ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُ لَيْسَ بِي
 سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧] فكنى عن تكذيبهم بأحسن.
 ومنه: قوله: ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] فكنى عن الجماع بالسر^(٢).

وفيه لطيفة أخرى لأنه يكون من الآدميين في السر غالبًا، ولا يُسِرّه - ما عدا الآدميين - إلا الغراب
 فإنه يُسِرّه، ويُحكى أن بعض الأدباء أسر إلى أبي علي الحاتمي كلامًا، فقال: «ليكن عندك أخفى من سفاد
 الغراب، ومن الرءاء في كلام الألفج» فقال: نعم يا سيدنا ومن ليلة القدر، وعلم الغيب.

ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس، والملازمة، والرفث، والدخول والنكاح،
 ونحوهن^(٣)، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَيْنَ بَشِيرًا وَمُنًى﴾، فكنى بالمباشرة عن الجماع؛ لما فيه من الثناء البشريتين.
 وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] إذ لا يخلو الجماع من الملازمة [ق/ ١٢٤]، وقوله
 في الكناية عنهن: ﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] واللباس من الملابس، وهي الاختلاط
 والجماع.

وكنى عنهن في موضع آخر بقوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣]، كناية عما تطلب المرأة من الرجل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَشَأْنَهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ومنه: قوله تعالى في مريم وابنها: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فكنى بأكل الطعام
 عن البول والغائط، لأنهما منه [مسيبان]^(٤) إذ لا بد للأكل منهما لكن استقبح في [المخاطبات]^(٥)
 ذكر الغائط فكنى به عنه.

فإن قيل: فقد صرح به في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْغَائِطِ﴾^(٦).

(٢) «مجاز القرآن» (١/ ٧٥).

(٤) في م: تسيبًا.

(٦) «الكناية والتعريض» (ص/ ٨٣-٨٥).

(١) «مجاز القرآن» (٢/ ٨٢).

(٣) «الكناية والتعريض» (ص/ ٢٩-٣٦).

(٥) في المطبوع: المخاطب.

قلنا: لأنه جاء على خطاب العرب، وما يالفون، والمراد تعريفهم الأحكام، فكان لا بد من التصريح به على أن الغائط أيضًا كناية عن التجو، وإنما هو في الأصل اسم للمكان المنخفض من الأرض، وكانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض، فسمي به لذلك، ولكنه كثر استعماله في كلامهم فصار بمنزلة التصريح.

وما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّا يَاكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ هو المشهور، وأنكره الجاحظ، وقال: بل الكلام على ظاهره ويكفي في الدلالة على عدم الإلهية [نفي] ^(١) أكل الطعام؛ لأن الإله هو الذي لا يحتاج إلى شيء يأكله ولأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثًا، كذلك لا يجوز أن يكون طاعمًا. قال الخفاجي: «وهذا صحيح» ^(٢).

ويقال لهما: الكناية عن الغائط في تشنيع وبشاعة على من اتخذها آلهة، فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَلَاءَ [إِنَّهُمْ] ^(٣) لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْسُحُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، فهو على حقيقته.

قال الوزير ابن هبيرة: وفي هذه الآية فضل العالم المتصدّي للخلق على الزاهد المنقطع؛ فإن النبي كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى فلو انقطع عنهم هلكوا.

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَمَصْفِ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] كنى به عن مصيرهم إلى العذرة فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِمُؤَدِّهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [نصرت: ٢١] أي: لفروجهم، فكنى عنها بالجلود على ما ذكره المفسرون ^(٤).

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَحْصَيْنَتْ فَتْحَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١] فصرح بالفرج؟ ^(٥)

قلنا: أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها، وهي كناية عن فرج القميص أي لم يعلق ثوبها ربية فهي طاهرة الأنواب، وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل وليس المراد غير هذا، فإن القرآن أنزه معنى، وألطف إشارة وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل، لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس، فأضيف القدس إلى

(١) في المطبوع: نفس.

(٢) في المطبوع: أنهم.

(٤) قال ابن جرير: «وهذا القول الذي ذكرناه - يعني الجلود بمعنى الفروج - عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود، ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب على غيره إلا بحجة يجب التسليم لها». «جامع البيان» (١٠٦/٢٤).

(٥) انظر: «جامع البيان» (٨٤/١٧) و«تفسير ابن كثير» (٣٩٥/٤).

القدوس، وتُرْزمت القائنة المطهرة عن الظن الكاذب والحدس. ذكره صاحب «التعريف والإعلام»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿الْمَيْبِئَاتُ لِلْحَيْثِينَ﴾ يريد: الزناة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْتَهُنَّ بَقَرَاتُهُنَّ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [المتحنة: ١٢]، فإنه كناية عن الزنا، وقيل: أراد طرح الولد على زوجها من غيره؛ لأن بطنها بين يديها ورجليها وقت الحمل.

وقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ أَسْجِمًا فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، وإنما يوضع في الأذن السبابة، فذكر الإصبع وهو الاسم العام أدباً لاشتقاقها من السب، ألا تراهم كانوا عنها بالمسبحة والدعاء، وإنما [لم]^(٢) يعبر بهما عنها لأنها ألفاظ مستحدثة! قاله الزغشري^(٣).

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح «الإمام»: يمكن أن يُقال: إن ذكر الإصبع هنا جامع لأمرين: أحدهما: التنزه عن اللفظ المكروه، والثاني حط منزلة الكفار عن التعبير باللفظ المحمود، والأعم يفيد المقصودين معاً فأتى به؛ وهو لفظ الإصبع، وقد جاء في الحديث الأمر بالتعبير بالأحسن مكان القبيح، كما في حديث: «من سبقه الحدث في الصلاة فليأخذ بأنفه ويخرج»^(٤) أمر بذلك إرشاداً إلى إيها م سبب أحسن من الحدث، وهو الرعاف وهو أدب حسن من الشرع في ستر العورة وإخفاء القبيح، وقد صح نبيه عليه السلام أن يقال لشجر العنب: الكرم، وقال: «إنما الكرم الرجل المسلم»^(٥) كره الشارع تسميتها بالكرم لأنها تعترض منها أم الخبائث، وحديث «كان يصيب من الرأس وهو صائم»^(٦) قيل: هو إشارة إلى القبلة، وليس لفظ القبلة مستهجنًا.

وقوله: «إياكم وخصراء الدمن»^(٧).

خامسها: تحسين اللفظ كقوله تعالى: ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

(١) (ص/٨٤).

(٢) «الكشاف» (٣٩/١).

(٤) أخرجه أبو داود (١١١٤) والحاكم (٦٥٥) و(٦٥٦) والدارقطني (١٥٨/١) وابن أبي داود في «مسند عائشة» (٥٥) والبيهقي في «الكبرى» (٥٦٤١). قال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٤٧).

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٤١) والطبراني في «الكبير» (١١٨٦٨) والطحاوي في «شيء المعاني» (٩٠/٢). وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٧) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٧) والمهرمزي في «الأمثال» (٨٤) والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (٣٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف جداً تفرد به الواقدي وهو متروك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَايَا قَطْرِزَةَ﴾ ومثله قول عترة:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
سادسها: قصد البلاغة، كقوله تعالى: ﴿أَوْمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي لِيَصَارَ غَيْرَ مُبِينٍ﴾
[الزخرف: ١٨]، فإنه سبحانه كنى عن النساء بأنهن يُنشأن في الترفه والتزين والتشاغل عن النظر في
الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفي [ذلك - أعني] (١) الأنوثة - عن
الملائكة، وكونهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] أي: هم في التمثيل بمنزلة المتعجب منه بهذا
التعجب.

سابعها: قصد المبالغة في التشنيع، كقوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ
اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] الغل كناية عن البخل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:
٢٩]؛ لأن جماعة كانوا متمولين، فكذبوا النبي ﷺ فكف الله عنهم ما أعطاهم وهو سبب
نزولها (٢).

وأما قوله تعالى: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فيحمل على المجاز على وجه الدعاء والمطابقة للفظ، ولهذا قيل:
إنهم أبخل خلق الله، والحقيقة أنهم تغل أيديهم في الدنيا بالإسار، وفي الآخرة بالعذاب وأغلال النار.
وقوله: ﴿بَلْ يَدَاؤُا مِمْسُوطَتَيْنِ﴾ [المائدة: ٦٤] كناية عن كرمه، وثنى اليد وإن أفردت في أول الآية؛
ليكون أبلغ في السخاء والجود.

ثامنها: التنبيه على مصيره؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَاؤُا لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١] أي: جهنمي
مصيره إلى اللهب.

وقوله: ﴿حَمَّالَةَ أَحْطَبٍ﴾، أي: نمامة، ومصيرها إلى أن تكون حطباً جهنم.

تاسعها: قصد الاختصار، ومنه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ «فعل»؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾، [النساء: ٦٦] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن
تَفْعَلُوا﴾، [البقرة: ٢٤] أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا.

عاشرها: أن يعتمد على جملة ورد معناها على خلاف الظاهر، فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار
مفرداتها بالحقيقة أو المجاز فتعبر بها عن مقصودك، وهذه الكناية استنبطها الزمخشري (٣)، وخرج

(١) سقط من م.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحي (ص/ ٢٤١) و«لباب النقول» للسيوطي (ص/ ٢٢١-٢٢٢).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٢).

عليها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] فإنه كناية عن الملك لأن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك؛ فجعلوه كناية عنه.

وكقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [الزمر:٦٧] الآية أنه كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين: حقيقة ومجاز.

وقد اعترض الإمام فخر الدين^(١) [ق/١٢٥] على ذلك، بأنها تفتح باب تأويلات الباطنية، فلهم أن يقولوا: المراد من قوله: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾: الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب إلى نعل وخلعه، وكذا نظائره. انتهى.

وهذا مردود؛ لأن الكناية إنما يُصار إليها عند عدم إجراء اللفظ على ظاهره، كما سبق من الأمثلة بخلاف خلع النعلين ونحوه.

تنبيهان

الأول: في أنه هل يشترط في الكناية قرينة كالمجاز؟

هذا ينبنى على الخلاف السابق أنها مجاز أم لا، وقال الزمخشري^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ في سورة آل عمران: إنه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم، تقول: فلان لا ينظر إلى فلان. تُريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه. قال: وأصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية، لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه، وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان، وإن لم يكن ثم نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان، مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر. انتهى.

وهذا بناء منه على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية، وفيه تصريح بأن الكناية مجاز وبه صرح في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة:٢٣٥].

وصرح الشيخ عبد [القاهر]^(٣) الجرجاني في الدلائل: بأن الكناية لا بد لها من قرينة.

الثاني: قيل: من عادة العرب أنها لا تكني عن الشيء بغيره، إلا إذا كان يقبح ذكره.

وذكروا احتمالين في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٢١].

أحدهما: أنه كنى بالإفضاء عن الإصابة.

والثاني: أنه كنى عن الخلوة.

(١) التفسير الكبير (٦/٢٢).

(٢) في المطبوع: القادر.

(٣) «الكشاف» (١/٣٧٦).

ورجحوا الأول لأن العرب إنما تكني عما يقبح ذكره في اللفظ، ولا يقبح ذكر الخلوّة وهذا حسن لكنه [لا] ^(١) يصلح للترجيح.

وأما دعوى كون العرب لا تكني إلا عما يقبح ذكره، فغلط، فنكنا عن القلب بالثوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَاكَ فَطَلِّزْ﴾ [المندر: ٤] وغير ذلك مما سبق.

التعريض والتلويح

وأما التعريض، فقيل: إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم، وسُمي تعريضاً لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي: من جانبه ويسمى التلويح، لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد به كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكُونُوا كَمَا تَلْفُتُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] لأن غرضه بقوله: ﴿فَتَكُونُوا﴾ على سبيل الاستهزاء وإقامة الحجة عليهم، بما عرض لهم به من عجز كبير الأصنام عن الفعل، مستدلاً على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا، ولم يرد بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، فدلالة هذا الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة.

ومن أقسامه: أن يُخاطب الشخص والمراد غيره؛ سواء كان الخطاب مع نفسه أو مع غيره، كقوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿فَإِنْ زَكَرْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٠٩] تعريضاً بأن قومه أشركوا واتبعوا أهواءهم، وزلوا فيما مضى من الزمان؛ لأن الرسول ﷺ ^(٢) لم يقع منه ذلك، فأبرز غير الحاصل في معرض الحاصل ادعاء.

وقوله: ﴿فَإِنْ زَكَرْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ فإن الخطاب للمؤمنين والتعريض لأهل الكتاب لأن الزلل لهم لا للمؤمنين.

فأما الآية الأولى، ففيها ثلاثة أمور: مخطابة النبي صلى الله عليه [وسلم] ^(٣) والمراد غيره، وإخراج المحال عليه في صورة المشكوك، والمراد غيره، واستعمال المستقبل بصيغة الماضي. وأمر رابع وهو: «إن» الشرطية قد لا يُراد بها إلا مجرد الملازمة التي هي لازمة الشرط والجزاء مع العلم باستحالة الشرط، أو وجوبه، أو وقوعه.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) زيادة من م.

(٣) زيادة من م.

وعلى هذا يُحمل قول مَنْ لم ير من المفسرين حمل الخطاب على غيره، إذ لا يلزم من فرض أمر لا بد منه صحة وقوعه بل يكون في الممكن والواجب والمحال.

ومنه: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَدٌّ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] إذا جعلت شرطية لا نافية.

ومنه: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِيلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢]؛ المراد ما لكم لا تعبدون؟ بدليل قوله: ﴿وَأَلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ولولا التعريض لكان المناسب «والله أرجع».

وكذا قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ [يس: ٢٣]، والمراد: أتتخذون من دونه آلهة ﴿إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ يَضِرَّ لَأُتَعِنَ حَتَّىٰ سَفَعْتَهُمْ شِسَاءً وَلَا يُقَدِّرُونَ إِلَيَّ إِذَا لِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٢٣-٢٤]؛ ولذلك قيل: ﴿ءَأَمْسَتْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ﴾ [يس: ٢٥] دون «روي» «وأُتبعه» [فاسمعون] (١).

ووجه حسنه ظاهر؛ لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر، كأنك لم تعنه وهو أعلى في محاسن الأخلاق، وأقرب للقبول، وأدعى للتواضع، والكلام ممن هورب العالمين نزله بلغتهم، وتعليماً للذين يعقلون.

قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا سْتُلُونَ عَمَّا أَعْرَمْنَا وَلَا سْتَسْتَلُّ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٢٥] فحصل المقصود في قالب التلطف وكان حق الحال من حيث الظاهر، لولاه أن يقال: «لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما نجرمون».

وكذا مثله: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] حيث ردد الضلال بينهم وبين أنفسهم، والمراد إنا على هدى وأنتم في ضلال، وإنما لم يصرح به لثلاث تصير هنا نكتة، هو أنه خولف في هذا الخطاب بين «على» و«في» بدخول «على» على الحق، و«في» على الباطل، لأن صاحب الحق كأنه على فرس جواد يركض به حيث أراد، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام لا يدرى أين يتوجه.

قال السكاكي: ويسمى هذا النوع: الخطاب المنصف، أي: لأنه يوجب أن يُنصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه استدراجاً لاستدراجه الخصم إلى الإذعان والتسليم، وهو شبيه بالجدل لأنه تصرف في المغالطات الخطابية.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] المقصود التعريض بدم من ليست له هذه الخشية، وأن يعرف أنه لفرط عناده كأنه ليس له أذن تسمع، ولا قلب يعقل، وأن الإنذار

(١) في المطبوع: فاسمعوه.

له كلا إنذار، وأنه قد أُنذر من له هذه الصفة، وليست له .

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ﴾ [الرعد: ١٩] القصد التعريض، وأنهم لغلبة هواهم في حكم من ليس له عقل .

وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] نزلت في أبي جهل؛ لأنه قال: «ما بين أخشيها- أي: جبلها يعني: مكة- أعز مني ولا أكرم» وقيل: بل خوطب بذلك استهزاء .

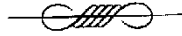
التوجيه

وأما التوجيه: وهو ما احتمل معنيين، ويؤتى به عند فطنة المخاطب، كقوله تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ نَصِيحُونَ﴾ [القصص: ١٢] فإن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون لموسى وأن يكون لفرعون .

قال ابن جريج: وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم: «إنك عرفته» فقالت: أردت «ناصرحون للملك». واعترض عليه بأن هذا في لغة العرب لا في كلامها المحكي وهذا مردود؛ فإن الحكاية مطابقة لما قالت، وإن كانت بلغة أخرى .

ونظيره جواب ابن الجوزي لمن قال له: من كان أفضل عند النبي ﷺ: أبو بكر أم علي؟ فقال: من كانت ابنته تحته .

وجعل السكاكي من هذا القسم [مشكلات] (١) القرآن .



(١) في م: متشابهات .

النوع الخامس والأربعون

في أقسام معنى الكلام

زعم قوم أن معاني القرآن لا تنحصر، ولم يتعرضوا لحصرها، وحكاية ابن السيد عن أكثر البصريين في زمانه.

وقيل: قسمان: خبر وغير خبر.

وقيل: عشرة: نداء ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعج، وقَسَم، وشرط، ووضع، وشك واستفهام.

وقيل: تسعة وأسقطوا الاستفهام لدخوله في المسألة.

وقيل: ثمانية [ق/١٢٦] وأسقطوا التشفع لدخوله في المسألة.

وقيل: سبعة وأسقطوا الشك لأنه في قسم الخبر.

وكان أبو الحسن الأخفش يرى أنها ستة أيضًا، وهي عنده الخبر، والاستخبار والأمر، والنهي، والنداء، والتمني.

وقيل خمسة: الخبر، والأمر، والتصريح، والطلب، والنداء، وقيل: غير ذلك.

الخبر

الأول: الخبر والقصد به إفادة المخاطب، وقد يشرب مع ذلك معاني آخر:

منها: التعجب، قال ابن فارس: وهو تفضيل الشيء على أضرابه (بوصف).

وقال ابن الضائع: استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره، نحو: ما أحسن زيدًا وأحسن به! استعظمت حسنه على حسن غيره.

وقال الزنجشيري في تفسير سورة الصف^(١): معنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب

السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

وقال الرماني: المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا عما لا يعرف سببه،

وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن، قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه،

(١) «الكشاف» (٤/٥٢٣).

والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبًا، يعني مجازًا، قال: ومن أجل الإبهام لم تعمل «نعم» إلا في الجنس من أجل التفضيم، ليقع التفسير على نحو التفضيم بالإضمار قبل الذكر.

ثم قد وضعوا للتعجب صيغًا من لفظه، وهي: (ما أفعله) «وأفعل به» وصيغًا من غير لفظه نحو «كَبُرَ» في نحو: ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [غانر: ٣٥]، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

واحتج الثمانيني على أنه خبر بقوله تعالى: ﴿أَسْبَغَ بِهِمْ وَأَبْصَرَ﴾ [مريم: ٣٨]؛ تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم! والله سبحانه لم يتعجب بهم، ولكن دل المكلفين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منه.

ولهنا مسالتان:

الأولى^(١): قيل: لا يتعجب من فعل الله، فلا يقال: ما أعظم الله! لأنه يثول «إلى شيء عظم الله» كما في غيره من صيغ التعجب، وصفات الله تعالى قديمة، وقيل: بجوازه باعتبار أنه يجب تعظيم الله بشيء من صفاته، فهو يرجع لاعتقاد العباد عظمته [وقدرته وقد]^(٢) قال الشاعر^(٣):

ما أقدر الله أن يُذني على شحط^(٤) من داره الحزن ممن داره صول

والأولون قالوا: هذا أعرابي جاهل بصفات الله، وقال بعض المحققين: التعجب إنما يقال لتعظيم الأمر المتعجب منه، ولا يخطر بالبال أن شيئًا صيره كذلك، وخفي علينا؛ فلا يمتنع حينئذ التعجب من فعل الله.

والثانية: هل يجوز إطلاق التعجب في حق الله تعالى؟ فقيل: بالمنع؛ لأن التعجب استعظام ويصحبه الجهل، والله سبحانه منزّه عن ذلك. وبه جزم ابن عصفور في «المقرب».

قال: فإن ورد ما ظاهره ذلك، صرف إلى المخاطب؛ كقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] [أي: هؤلاء يجب أن يتعجب منهم].

وقيل: بالجواز لقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، [إن قلنا:]^(٥) (ما) تعجبية لا استفهامية، وقوله ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾^(٦) في قراءة بعضهم بالضم.

(١) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» (١/١٤٧).

(٢) سقط من م. (٣) هو خُذِّحُ بن خُذِّجِ المزني.

(٤) سقط من م. (٥) سقط من م.

(٦) قرأ حمزة والكسائي: (بل عجبت) بضم التاء، وقرأ الباقون: (بل عجبت) بنصب التاء. «الحجة» (٦/٥٣) و«السبعة» (ص/٥٤٧).

والمختار الأول: وما وقع منه أول بالنظر إلى المخاطب، أي علمت أسباب ما يتعجب منه العباد فسمي العلم بالعجب عجباً.

وأصل الخلاف في هذه المسألة يلتف على خلاف آخر، وهو أن حقيقة التعجب؛ هل يشترط فيه خفاء سببه فيتحير فيه المتعجب منه أولاً؟

ولم يقع في القرآن صيغة التعجب إلا قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، وقوله: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُوا﴾ [يسر: ١٧]، و«أيها الإنسان ما أغرك» في قراءة من زاد الهمزة (١).

ثم قال المحققون: التعجب مصروف إلى المخاطب، ولهذا تطف الزمخشري (٢) فيعبر عنه بالتعجب، ومجيء التعجب من الله كمجيء الدعاء منه والترجي، وإنما هذا بالنظر إلى ما تفهمه العرب أي هؤلاء عندكم من يجب أن تقولوا لهم هذه، وكذلك تفسير سيبويه قوله تعالى: ﴿لَمَلَأْكُمْ بِذِكْرٍ أَوْ يُحْشَى﴾ [طه: ٤٤] قال: المعنى اذهبوا على رجائكما وطمعكما، قال ابن الضائع: وهو حسن جداً.

قلت: وذكر سيبويه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [المسرات: ١٥]، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، فقال: لا [ينبغي] أن تقول: إنه دعاء هائنا، لأن الكلام بذلك [واللفظ به] قبيح، ولكن العباد إنما كملوا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم، وعلى ما يعنون؛ فكأنه والله أعلم قيل لهم، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ و﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم، لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقليل: هؤلاء ممن دخل في الهلكة ووجب لهم هذا. انتهى.

ومنها: الأمر كقوله تعالى: ﴿وَالطَّلَقَتْ يَرْجُصَت﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإن السياق يدل (٣) على أن الله تعالى أمر بذلك لا أنه خبر، وإلا لزم الخلف في الخبر، وسبق في المجاز.

ومنها: النهي كقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

ومنها: الوعد كقوله: ﴿سَرُّيَهُمْ إِيَّاكَ فِي الْأَقَاتِ﴾ [نصت: ٥٣].

ومنها: الوعيد كقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ومنها: الإنكار والتبكيث نحو ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

ومنها: الدعاء كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: أعنا على عبادتك.

وربما كان اللفظ خبراً، والمعنى شرطاً وجزاء؛ كقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ

(٢) «الكشاف» (٤/٧١٥).

(١) قراءة سعيد بن جبير.

(٣) سقط من م.

عَابِدُونَ ﴿ [الدخان: ١٥] فظاهره خبر؛ والمعنى: إنا ان نكشف عنكم العذاب تعودوا.

ومنه: قوله: ﴿الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] المعنى: مَنْ طلق امرأته مرتين فليمسكها بعدها بمعروف، أو يسرحها بإحسان.

ومنها: التمني وكلمته الموضوعه له «ليت» وقد تستعمل ثلاثة أحرف:

أحدها: «هل» كقوله: ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الاعراف: ٥٣] حملت «هل» (١) على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام، فيتولد التمني، بمعونة قرينة الحال.

والثاني: «لو» سواء كانت مع «وذا» كقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ يُدْعُونَ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [القلم: ٩] بالنصب، أو لم تكن؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠]، وقوله: ﴿لَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿لَوْ أَن لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ﴾ [الزمر: ٥٨].

والثالث: (لعل) كقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْتَبِيبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] في قراءة النصب (٢).

واختلف: هل التمني خبر ومعناه النفي، أو ليس بخبر ولهذا لا يدخله التصديق والتكذيب؟ قولان عن أهل العربية حكاهما ابن فارس في كتاب «فقه العربية» (٣).

والزخشي (٤) بنى كلامه على أنه ليس بخبر، واستشكل دخول التكذيب في جوابه وفي قوله تعالى: ﴿يَلَيْلَانَا تَرُدُّ وَلَا نَكَدُبُ﴾ [الأنعام: ٢٧] إلى قوله: ﴿وَلَيْسَ لَكُم مِّنْهُم لَكِيدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وأجاب بتضمنه معنى العدة فدخله التكذيب.

وقال ابن الضائع: التمني حقيقة لا يصح فيه الكذب، وإنما يرد الكذب في التمني الذي يترجح عند صاحبه وقوعه، فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن، وهو خبر صحيح.

قال: وليس المعنى في قوله: ﴿وَلَيْسَ لَكُم مِّنْهُم لَكِيدُونَ﴾ أن ما تمنوا ليس بواقع؛ لأنه ورد في معرض الذم لهم، وليس في ذلك المعنى ذم، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون.

ومنها: الترجي، والفرق بينه وبين التمني: إن الترجي لا يكون إلا في الممكنات والتمني يدخل المستحيلات.

ومنها: النداء: وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص، وإنما يصحب في الأكثر الأمر والنهي، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِبِدُوا وَرَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ أُنَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ١]،

(٢) قراءة حفص.

(١) سقط من م.

(٤) «الكشاف» (٢/١٤-١٥).

(٣) (ص/١٥٨).

﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ ، ﴿وَتَقْوِيرَ اسْتَفْقِرُوا رَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٢] ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا لِيَوْمٍ﴾ [التحرير: ٧] .

وربما تقدمت جملة الأمر جملة النداء؛ كقوله تعالى: ﴿وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] . وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء، تتبعها جملة الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣] .

وقد نجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية، كقوله تعالى في الخبر: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوفَ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨] ، وفي الاستفهام: ﴿يَأْتِي لِمَ تَبُدُّ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَذْغُرُكُمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ [غافر: ٤١] ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحرير: ١] .

وهنا فائدتان:

إحدهما: قال الزمخشري رحمه الله: كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى؛ كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السموات والارض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة .

الثانية: النداء إنما يكون للبعد حقيقة، أو حُكْمًا، [كما] ^(١) . وفي قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَرَبُّنَهُ يُحْيِيهَا﴾ [مريم: ٥٢] لطيفة؛ فإنه تعالى بين أنه كما ناداه ناجاه أيضًا، والنداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب، ولأجل هذه اللطيفة أخبر سبحانه عن مخاطبته لآدم وحواء بقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، وفي [موضع] ^(٢) ﴿وَبَنَادِمُ اسْكُنْ﴾ [الأعراف: ١٩] ثم لما حكى عنهما ملابسمة المخالفة، قال في وصف خطابه لهما: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] ، فأشعر هذا اللفظ بالبعد لأجل المخالفة، كما أشعر اللفظ الأول بالقرب عند السلامة منها .

وقد يستعمل النداء في غير معناه مجازًا في مواضع:

الأول: الإغراء والتحذير، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] ، والإغراء: أمر معناه الترغيب والتحفيز، ولهذا خصوا به المخاطب .

الثاني: الإختصاص، وهو كالنداء إلا أنه لا حرف فيه .

الثالث: التنبيه نحو: ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣] ؛ لأن حرف النداء يختص بالأسماء . وقال النحاس في قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ : نداء مضاف، والفائدة فيه أن معناه: هذا وقت حضور

(٢) سقط من م .

(١) زيادة من م .

الويل، وقال الفارسي في قوله تعالى: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] معناه: أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداءه لكان هذا وقتها.

وقد اختلف في أن النداء خبر أم لا؟ قال أبو البقاء في شرح «الإيضاح» ذهب الجميع إلى أن قولك: يا زيد. ليس بخبر [محمّل للتصديق والتكذيب، إنما هو بمنزلة الإشارة والتصويت. واختلفوا في قولك: يا فاسق. فالأكثر على أنه ليس بخبر] (١) أيضًا. قال أبو علي الفارسي: خبر لأنه تضمن نسبه للفسق.

ومنها: الدعاء نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، وقوله: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة ٣٠]، ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

قال سيويه (٢): هذا دعاء. وأنكره ابن الطراوة لاستحالته هنا، وجوابه أنه مصروف للخلق، وإعلامهم بأنهم أهل [لأن] (٣) يُدعى عليهم، كما في الرجاء وغيره مما سبق.

فائدة

ذكر الزمخشري: أن الاستعطاف نحو (تالله هل قام زيد) قسم، والصحيح أنه ليس بقسم لكونه خبرًا.

الاستخبار وهو الاستفهام

الثاني: الاستخبار وهو طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام، أي: طلب الفهم ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا، حكاه ابن فارس في «فقه العربية» (٤).

ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن، لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام.

وفي الاستفهام فوائده:

الأولى: قال بعض الأئمة: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن؛ فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى [أن] (٥) المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به، إذ

(٢) «الكتاب» (١/ ٣٣١).

(٤) (ص/ ١٥١-١٥٢).

(١) سقط من م.

(٣) في م: بأن.

(٥) سقط من م.

قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ، والنفي كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ، ﴿فَهَلْ أُنْتَهَىٰ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤] ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهتكم أنفسكم عنه فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء ، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف .

الثانية: الاستفهام إذا بني عليه أمر قبل ذكر الجواب ، فهم ترتب ذلك الأمر على جوابه أي جواب كان لأن سبقه على الجواب ، يشعر بأن ذلك حال من يذكر في الجواب ؛ لئلا يكون إيراد قبله عبثاً فيفيد حينئذ تعميماً ، نحو: «من جاءك فأكرمه» بالنصب ؛ فإنه لما قال قبل ذكر جواب الاستفهام: «أكرمه» علم أنه يكرم من يقول المجيب: إنه جاء أي: جاء ، كان ، وكذا حكم «من ذا جاءك أكرمه» بالجزم .
الثالثة: قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام .

أقسام الاستفهام

وهو قسمان: بمعنى الخبر ، وبمعنى الإنشاء .

الاستفهام بمعنى الخبر

الأول: بمعنى الخبر . وهو ضربان: أحدهما: نفي ، والثاني: إثبات ، فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار ، والوارد للإثبات يسمى استفهام [تقرير] ^(١) ؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب ، وبالثاني إقراره به .

استفهام الإنكار

فالأول: المعنى فيه على أن ما بعد الأداة منفي ، ولذلك تصحبه (إلا) كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .
وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ يُجْرَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبا: ١٧] .
ويعطف عليه المنفي ، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩] ، أي: لا يهدي . وهو كثير .

ومنه: ﴿أَفَأَنْتَ تُقِذُّ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] ، أي: لست تنقذ من في النار .

﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] .

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤] .

(١) في المطبوع: تقرير .

وكقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَتَتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].
 ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] أي: لا تؤمن.
 وقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] أي: لا يكون هذا.
 وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] أي: ما أنزل.
 وقوله تعالى: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] أي: ما شهدوا ذلك.
 وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى﴾ [الزخرف: ٤٠] أي: ليس ذلك إليك، كما قال
 تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠].
 وقوله تعالى: ﴿أَفَنبِيئِنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]، أي: لم يع به.
 وههنا أمراء:

أحدهما: أن الإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب أن ذلك المدعي ممتنع عليه، وليس من قدرته،
 كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى﴾ [الزخرف: ٤٠]، لأن إسماع الصم لا يدعيه أحد، بل
 المعنى: أن إسماعهم لا يمكن لأنهم بمنزلة الصم والعمي؛ وإنما قدم الاسم في الآية، ولم يقل
 «أتسمع الصم»؟ إشارة إلى إنكار موجه عن تقدير ظن منه عليه السلام، أنه يختص بإسماع من به صمم
 وأنه ادعى القدرة على ذلك، وهذا أبلغ من إنكار الفعل.

وفيه دخول الاستفهام على المضارع، فإذا قلت: أتفعل؟ أو أنت تفعل؟ احتمل وجهين:

أحدهما: إنكار وجود الفعل، كقوله تعالى: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ وَأَنْتَهُمْ لَهَا كَذِرُونَ﴾ [هود: ٢٨]، والمعنى
 لسنا بمشابة من يقع منه هذا الإلزام، وإن [عبرنا] ^(١) بفعل ذلك جل الله تعالى عن ذلك، بل المعنى
 إنكار أصل الإلزام.

والثاني: قولك لمن يركب الخطر: أتذهب في غير طريق: انظر لنفسك واستبصر. فإذا قدمت
 المفعول توجه الإنكار [ق/ ١٢٨] إلى كونه بمشابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، كقوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذُ
 وِلْيًا﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله: ﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] المعنى: أغير الله بمشابة من يتخذ ولياً.
 ومنه ﴿إِنشَاءً بِنَاءً وَجِدًا تَبَعُهُ﴾ [القمر: ٢٤]، لأنهم بنوا كفرهم على أنه ليس بمشابة من يتبع [ثم] ^(٢)
 صيغة المستقبل، إما أن يكون للحال؛ نحو: ﴿أَفَأَنْتَ تَكْفُرُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا﴾ [يونس: ٩٩]، أو
 للاستقبال نحو: ﴿أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الثاني: قد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض، بأن المخاطب ادعاه وقصد تكذيبه، كقوله

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: غَبَرْنَا.

تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣] ، ﴿الْكُفْرَ الذَّكْرُ وَكَلَّمَ الْأَنْثَى﴾ [النجم: ٢١] ، ﴿أَيُّكُم مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] .

وسواء كان زعمهم له صريحاً مثل: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] ، أو التزاماً مثل ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ ، فإنهم لما جزموا بذلك جزم من يشاهد خلق الملائكة، كانوا كمن زعم أنه شهد خلقهم .

وتسمية هذا استفهام إنكار، من أنكر إذا جحد، وهو إما بمعنى «لم يكن» كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ أو بمعنى لا يكون نحو: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ .

والحاصل: أن الإنكار، قسمان: إبطالي، وحقيقي .

فالإبطالي: أن يكون ما بعدها غير واقع، ومدعيه كاذب، كما ذكرنا، والحقيقي: يكون ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم؛ نحو: ﴿أَتَسْتَدُونَ مَا تَنْجِيُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] ، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] ، ﴿أَيْفَاكُمَا إِلَهَةٌ﴾ ، ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾ ، ﴿أَتَأْخُذُونَكُمْ بِهَيْئَتِنَا﴾ [النساء: ٢٠] .

استفهام التقرير

وأما الثاني: فهو استفهام التقرير، والتقرير حملك المخاطب على الإقرار، والاعتراف بامر قد استقر عنده، قال أبو الفتح في (الخطاريات): ولا يستعمل ذلك بهل، وقال في قوله:

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

«وهل» لا تقع تقريراً كما يقع غيرها مما هو للاستفهام انتهى .

وقال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾ ، إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ، إلا أني رأيت أبا علي أبي ذلك، وهو معذور، فإن ذلك من قبيل الإنكار. انتهى .

ونقل الشيخ أبو حيان عن سيويه: أن استفهام التقرير لا يكون بهل، إنما تستعمل فيه الهمزة،

ثم نقل عن بعضهم أن «هل» تأتي تقريراً في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] .

والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يُعطف عليه صريح الموجب، ويُعطف على صريح الموجب .

فالأول: كقوله:

﴿أَلَمْ يَمِدْكَ يَتِيمًا فَتَوَّأَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَالضَّمَّى ٦-٧﴾ ، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ وَالشَّرْحَ ١-٢﴾ ، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] .

والثاني كقوله: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِتَابِعِي وَرَبِّ تَحِيَّطًا بِهَا عَلِمْنَا﴾ [النمل: ٨٤] على ما قرره الجرجاني في النظم؛

حيث جعلها مثل قوله: ﴿وَمَحَدُوا بِهَا وَاسْتَقْنَتَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

ويجب أن يلي الأداة الشيء الذي تقرر بها، فتقول في تقرير الفعل: (أضربت زيداً؟) والفاعل نحو: «أنت ضربت؟» أو المفعول «زيداً ضربت؟» كما يجب في الاستفهام الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ قَمَلْتَ هَذَا بِطَالِحَتَا﴾ [الأنبياء: ٦٢]، يحتمل الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، والتقرير بأن يكونوا عليموا، ولا يكون استفهاماً عن الفعل، ولا تقريراً له، لأنه لم يله، ولأنه أجاب بالفاعل بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وجعل الزمخشري^(١) منه: ﴿أَلَمْ تَلَمَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقيل: أراد التقرير [بما بعد النفي لا التقرير بالنفي، والأولى أن يجعل على الإنكار أي: ألم تعلم أيها المنكر للنسخ! وحقبة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي، ونفي المنفي إثبات، والذي يقرر عندك، ان معنى التقرير الإثبات] (٢) قول ابن السراج: فإذا أدخلت على «ليس» ألف الاستفهام كانت تقريراً، ودخلها معنى الإيجاب، فلم يحسن معها «أحد» لأن «أحدًا» إنما يجوز مع حقيقة النفي، لا تقول: ليس أحد في الدار؛ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار وأحد لا تستعمل في الواجب انتهى.

وأمثله كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: أنا ربكم.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ نُنْجِيَ الَّذِينَ لَكُونُوا﴾ [القيامة: ٤٠].

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يس: ٨١].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ومنه قوله ﷺ: «أينقص

الرطب إذا جف»، وقول جرير:

الستم خير من ركب المطايا

واعلم أن في جعلهم الآية الأولى من هذا النوع إشكالاً، لأنه لو خرج الكلام عن النفي لجاز أن يجاب بنعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: «نعم» كفروا، ولما حسن دخول [الباء] (٣) في الخبر، ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهاماً، لما استحق الجواب إذ لا سؤال حينئذ.

(٢) سقط من م.

(١) الكشاف (١/١٧٦).

(٣) سقط من م.

والجواب: يتوقف على مقدمة، وهي أن الاستفهام إذا دخل على النفي يدخل بأحد وجهين:
 إما: أن يكون الاستفهام عن النفي هل وجد أم لا؟ فيبقى النفي على ما كان عليه، أو للتقرير
 كقوله: ألم أحسن إليك ا وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُنزِّلْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشح: ١] ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى:
 ٦]. فإن كان بالمعنى الأول، لم [يجز] ^(١) دخول «نعم» في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه بلى،
 وإن كان بالمعنى الثاني وهو- التقرير- فللكلام حيثلذ لفظ ومعنى، فلفظه نفي داخل عليه الاستفهام،
 ومعناه الإثبات، فبالنظر إلى لفظه نجيبه ببلى، وبالنظر إلى معناه وهو كونه إثباتًا نجيبه بنعم.

وقد أنكر عبد القاهر ^(٢) كون الهمزة للإيجاب، لأن الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا
 دخلت على ما أو «ليس» يكون تقريرًا، وتحقيقًا فالتقرير كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:
 ١١٦]، ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢].

واعلم أن هذا النوع يأتي على وجوه:

الأول: مجرد الإثبات كما ذكرنا.

الثاني: الإثبات مع الافتخار؛ كقوله تعالى عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

الثالث: الإثبات مع التوبيخ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَمِيعَةً﴾ [النساء: ٩٧]، أي: هي واسعة

فها هاجرتم فيها.

الرابع: مع العتاب ^(٣) كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:

١٦]، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين ^(٤)، وما أطف

ما عاتب الله به خير خلقه؛ بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ولم يتأدب

الزخشري بأدب الله تعالى في هذه الآية ^(٥).

الخامس: التبكيت كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]، هو

تبكيت للنصارى فيما ادعوه؛ كذا جعل السكاكي وغيره هذه الآية، من نوع التقرير؛ وفيه نظر لأن

ذلك لم يقع منه.

(٢) دلائل الإعجاز (ص/ ٨٨-٨٩).

(١) في م: يحسن.

(٣) انظر: «تحرير التعبير» (ص/ ١٦٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه، (٤١٩٢) والحاكم (٣٧٨٧)، والبخاري (١٤٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٧٣)

والبيهقي في «الشعب» (٧٥٠). قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» وموسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن

معين وغيره، وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢١).

(٥) وذلك أن الزخشري قال: [عنا الله عنك] كناية عن الجنابة، لأن العفو مرادف لها، ومعناه: أخطأت وبس

ما فعلت. «الكشاف» (٢/ ٢٧٤).

السادس: التسوية: وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، كقوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ﴾ [يس: ١٠] ، أي: سواء عليهم الإنذار وعدمه، [مجردة] للتسوية مضمحلاً عنها معنى الاستفهام.

ومعنى الاستواء فيه استواؤهما في علم المستفهم، لأنه قد علم أنه أحد الأمرين كائن، إما الإنذار، وإما عدمه، ولكن لا يعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين.

فإن قيل: الاستواء يُعلم من لفظة «سواء»، لا من الهمزة مع أنه لو عُلِمَ منه لزم التكرار

قيل: هذا الاستواء غير ذلك الاستواء المستفاد من لفظة «سواء».

وحاصله: أنه كان الاستفهام عن مستويين فجرد عن الاستفهام وبقي الحديث عن المستويين، ولا يكون ضرر في إدخال سواء عليه لتغايرهما؛ لأن المعنى أن المستويين في العلم يستويان في عدم الإيمان، وهذا - أعنى حذف مقدر، واستعماله فيما بقي - كثير في كلام العرب، كما في النداء فإنه لتخصيص المتأدى وطلب إقباله، فيُحذف قيد الطلب، ويستعمل في مطلق الاختصاص نحو: «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة»، فإنه ينسلخ عن معنى الكلمة؛ لأن معناه مخصوص من بين سائر العصابات.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١] .

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] .

﴿أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦] .

وتارة تكون التسوية مصرحاً بها كما ذكرناه، وتارة لا تكون؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَذْرِبَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] .

السابع: التعظيم كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

الثامن: التهويل، نحو: ﴿الْمَلَأْتُهُ مِمَّا الْمَلَأْتُ﴾ [الحاقة: ١-٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ [القارعة: ١٠] .

وقوله: [ق/١٢٩] ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠] ، تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه .

التاسع: التسهيل والتخفيف، كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩] .

العاشر: التضعف، نحو: ﴿مَالٍ هَذَا كَسَبَتْ لِأَقْبَادٍ صَغِيرَةٍ وَلَا كِبْرَةٍ إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] .

الحادي عشر: التكثر، نحو: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤] .

الثاني عشر: الاسترشاد، نحو: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ، والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين ، وإنما فرق بين العبارتين أدباً، وقيل : هي هنا للتعجب .

الاستفهام بمعنى الإنشاء

القسم الثاني: الاستفهام المراد به الإنشاء وهو على ضروب:

الأول: مجرد الطلب وهو الأمر كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي اذكروا.

وقوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [وَالْأُمِّيِّينَ] ^(١) مَا أَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي: أسلموا.

وقوله: ﴿أَلَا حَسِبُونَ أَن يُغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] أي: أحبوا.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٥] أي: قاتلوا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله: ﴿قَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ انتهوا، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: انتهينا ^(٢) وجعل بعضهم منه

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾، وقال ابن عطية ^(٣) والزخشي ^(٤): المعنى أتصبرون أم لا

تصبرون؟ والجرجاني في «النظم» على حذف مضاف، أي: لنعلم أتصبرون.

الثاني: النهي، كقوله تعالى: ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]: لا يفرك.

وقوله في سورة التوبة: ﴿اتَّخِذُوا لَهُمْ قَالَةً إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا لَهُمُ الْقَوْلَ بَدِيلًا﴾ [التوبة: ١٣] ، بدليل قوله: ﴿فَلَا

تَخْشَوُا النَّكَاسَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الثالث: التحذير كقوله: ﴿أَلَمْ تَهْتَكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦] ، أي: قدرنا عليهم فنقدر عليكم.

الرابع: التذكير، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَٰيُوسُفَ وَأَخِيوَيْ﴾ [يوسف: ٨٩].

وجعل بعضهم منه ﴿أَلَمْ يَحْذَكْ بَلِيْسًا فَتَاوَى﴾ [الضحى: ٦] ، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

الخامس: التنبيه، وهو من أقسام الأمر كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَوَّجَ بِرَبِّهِمْ فِي رَبْوَةٍ﴾

[البقرة: ٢٥٨]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَبُوا بَدَلَ الْقُرْآنِ﴾ [الفرقان: ٤٥].

(١) في المطبوع: والنبين.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، والحاكم (٧٢٢٤)، والطبراني في

«الأوسط» (١٤٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٥/٤)، وتمام في «الفوائد» (١٥٩٣). قال الحافظ: «صححه

علي بن المديني و الترمذي». «الفتح» (٢٧٩/٨).

(٤) الكشاف (٢٧٢/٣).

(٣) المحرر الوجيز (٢٠٥/٤).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].
 ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، والمعنى في كل ذلك: انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]،
 حكاها صاحب (الكافي) عن الخليل، ولذلك رفع الفعل ولم ينصبه.

وجعل منه بعضهم: ﴿فَأَيُّنَ تَدَّهَبُونَ﴾، للتنبيه على الضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

السادس: الترغيب، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ يَحْيَىٰ﴾ [الصف: ١٠].

السابع: التمني، [كقوله] (١): ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿أَلَيْسَ لِي عِندَ اللَّهِ بَدَلٌ مِّمَّهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال العزيزي في تفسيره: أي كيف، وما أعجب

معاينة الإحياء!

الثامن: الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَعَاءُ

بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، وهم لم [يستفهموا] (٢) لأن الله قال: ﴿إِنِّي

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وقيل: المعنى إنك ستجعل؛ وشبهه أبو عبيدة (٣) بقول الرجل لغلامه وهو يضربه: أأست

الفاعل كذا!

وقيل: بل هو تعجب، وضعف.

وقال النحاس: الأولى ما قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، ولا يخالف لهما:

أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قالوا: وما ذاك الخليفة؟! يكون له ذرية

يفسدون، [في الأرض] (٤) ويقتل بعضهم بعضًا!

وقيل: المعنى أتجعلهم فيها أم تجعلنا، وقيل: المعنى تجعلهم وحالنا هذه أم يتغير.

التاسع والعاشر: العرض والتحضيض، والفرق بينهما؛ الأول: طلب برفق، والثاني: يشق،

(٢) في المطبوع: يستفهموا.

(١) في م: نحو.

(٤) سقط من المطبوع.

(٣) مجاز القرآن (١/٣٦).

فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَا يُحِثُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] ، ﴿أَلَا تُقْبَلُونَ قَوْمًا نَكَرُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣] .

ومن الثاني: ﴿إِنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠-١١] ، المعنى: اتتهم وأمرهم بالانتقاء .

الحادي عشر: الاستبطاء؛ كقوله: ﴿مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يس: ٤٨] ، بدليل ﴿وَسَتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ .

ومنه: ما قال صاحب الايضاح ^(١) البياني: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

وقال الجرجاني: في الآية تقديم وتأخير، أي: «حتى يقول الرسول إلا إن نصر الله قريب والذين آمنوا: متى نصر الله؟» وهو حسن .

الثاني عشر: الإياس: ﴿فَأَنْتَ تَذْهَبُونَ﴾ .

الثالث عشر: الإيناس نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧] .

وقال ابن فارس ^(٢): [المراد به] الإفهام، فإن الله تعالى قد علم أن لها أمراً قد خفي على موسى عليه السلام، فأعلم من حالها ما لم يعلم .

وقيل: هو للتقرير فيعرف ما في يده حتى لا ينفرد إذا انقلبت حية .

الرابع عشر: التهكم والاستهزاء: ﴿أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ .

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات: ٩١-٩٢] .

الخامس عشر: التحقير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخُذُوكَ إِلَّا هُرُورًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، ومنه ما حكى صاحب الكتاب: مَنْ أَنْتَ زَيْدًا؟ على معنى مَنْ أَنْتَ تَذْكَرُ زَيْدًا! .

السادس عشر: التعجب، نحو: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] .

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]

ومنهم من جعله للتنبيه .

السابع عشر: الاستبعاد، كقوله: ﴿أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣] ، أي: يُسْتَبَعَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ ثُمَّ تَوَلَّوْا .

الثامن عشر: التوبيخ كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]

(٢) فقه اللغة (ص/١٥٣) .

(١) (١/١٣٧) .

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] .

﴿أَفَنَسْخُدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ ولا تدخل همزة التوبيخ إلا على فعل قبيح، أو ما

يترتب عليه فعل قبيح .

الفائدة الرابعة: قد يجتمع الاستفهام الواحد للإنكار والتقرير، كقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]، أي: ليس الكفار آمنين والذين آمنوا أحق بالأمن، ولما كان أكثر مواقع التقرير دون الإنكار فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ [الأنعام: ٨٢]

وقد يحتملها، كقوله: ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]

ويحتمل أنه استفهام تقرير، وأنه طلب منهم أن يقرأوا بما عندهم تقرير ذلك، ولهذا قال مجاهد: التقدير «لا» فإنهم لما استفهموا استفهام تقرير بما لا جواب له، إلا أن يقولوا: «لا» جعلوا كأنهم قالوا، وهو قول الفارسي والزمخشري (١).

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار، بمعنى التوبيخ على محبتهم لأكل لحم أخيهم؛ فيكون «ميتة»، والمراد محبتهم له غيبته على سبيل المجاز، و«فكرهمتموه» بمعنى الأمر أي: اكرهوه .

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار، بمعنى التأكيد، أنهم لما كانت حالهم حال من يدعي محبة أكل لحم أخيه، نُسب ذلك إليهم وكذبوا فيه فيكون «فكرهمتموه» .

الخامسة: إذا خرج الاستفهام عن حقيقته، فإن أريد التقرير ونحوه؛ لم يحتاج إلى معادل كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فان معناه: التقرير .

وقال ابن عطية (٢): ظاهره الاستفهام المحض والمعادل على قول جماعة «أم يريدون» .

وقيل: «أم» منقطعة فالمعادل عندهم محذوف، أي: «أم علمتم» وهذا كله على أن القصد مخاطبة النبي ﷺ مخاطبة أمته، وأما إن كان هو المخاطب وحده، فالمعادل محذوف لا غير؛ وكلا القولين مروى . انتهى .

وما قاله غير ظاهر، والاستفهام هنا للتقرير فيستغنى عن المعادل، أما إذا كان على حقيقته فلا بد من تقدير المعادل، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي يُوَجِّهُهُ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] أي: كمن ينعم في الجنة؟ .

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، أي: كمن هداه الله، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، التقدير: ذهب نفسك عليهم حسرات بدليل: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨] .

(٢) المحرر الوجيز (١/١٩٤) .

(١) الكشاف (٤/٣٧٣-٣٧٤) .

وقد جاء في التنزيل ، موضع صرح فيه بهذا الخبر ، وحذف المبتدأ على العكس مما نحن فيه ، وهو قوله تعالى : ﴿ كُنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥] ، أي : أكن هو خالد في الجنة [ق/ ١٣٠] يسقى من هذه الأنهار ، كمن هو خالد في النار؟ على أحد الأوجه .

وجاء مصرحاً بهما على الأصل ، في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيْسًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى يَوْمَهُ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

﴿ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ [محمد : ١٤] .

السادسة : استفهام الإنكار لا يكون إلا على ماض ، وخالف في ذلك صاحب «الأقصى القريب»^(١) وقال : قد يكون عن مستقبل ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ [الزمر : ٣٧] ، قال : [قد]^(٢) أنكر أن حكم الجاهلية مما يُبغى لحقارته ، وأنكر عليهم سلب العزة عن الله تعالى ، وهو منكر في الماضي ، والحال ، والاستقبال .

وهذا الذي قاله مخالف لإجماع البيانين ، ولا دليل فيما ذكره بل الاستفهام في الآيتين عن ماض ، ودخله الاستقبال تغليبا ، لعدم اختصاص المنكر بزمان ، ولا يشهد له قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتَ بِأَلَدِي هُوَ أَذَقَ بِأَلَدِي هُوَ سَيِّئٌ ﴾ [البقرة : ٦١] ، لأن الاستبدال وهو طلب البدل وقع ماضيا ولا : ﴿ أَنْقَتُلُونَ رِجَالًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ، وإن كانت «أن» تخلص المضارع للاستقبال ، لأنه كلام ملموح به جانب المعنى ، وقد ذكر ابن جني في «التنبيه» : أن الإعراب قد يرد خلاف ما عليه المعنى .

السابعة : هذه الأنواع من خروج الاستفهام عن حقيقته في النفي ، هل تقول إن معنى الاستفهام فيه موجود وانضم إليه معنى آخر؟ أو تجرد عن الاستفهام بالكلية؟ لا ينبغي أن يُطلق أحد الأمرين ؛ بل منه ما تجرد كما في التسوية ، ومنه ما يبقى ، ومنه ما [لا]^(٣) يَحْتَمِلُ وَيَحْتَمِلُ ، ويعرف ذلك بالتأمل ، وكذلك الأنواع المذكورة في الإثبات ، وهل المراد بالتقرير الحكم بثبوته! فيكون خبرا محضاً ، أو أن المراد طلب إقرار المخاطب به ، مع كون السائل يعلم فهو استفهام تقرير المخاطب ، أي : يطلب أن يكون مقررًا به ؛ وفي كلام النحاة والبيانين كل من القولين ، وقد سبق الإشارة إليه .

الثامنة : الحروف الموضوعه للاستفهام ، ثلاثة : الهمزة ، وهل ، وأم ، وأما غيرها مما يستفهم به كمن ، وما ، ومتى ، وأين ، وأتى ، وكيف ، وكم ، وأيان ، فأسماء استفهام استفهم بها نيابة عن الهمزة ، وهي تنقسم إلى ما يختص بطلب التصديق باعتبار الواقع ، كهل ، وأم المنقطعة ، وما يختص بطلب التصور كأم المتصلة ، وما لا يختص بالهمزة .

(٢) سقط من المطبوع .

(١) (ص/ ٧-٨) .

(٣) سقط من المطبوع .

أحكام اختصت بها همزة الاستفهام

ولكون الهمزة أم الباب اختصت بأحكام لفظية ومعنوية .

فمنها كون الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف «هل» فإنه لا ترجع عنده، بنفي ولا إثبات . حكاه الشيخ أبو حيان عن بعضهم .
ومنها: اختصاصها باستفهام التقرير وقد سبق عن سيبويه وغيره، أن التقرير لا يكون بـ «هل» والخلاف فيه .

وقال الشيخ أبو حيان: إن طلب بالاستفهام تقرير، أو توبيخ، أو إنكار، أو تعجب كان بالهمزة دون «هل» وإن أريد الجحد، كان بهل ولا يكون بالهمزة،

ومنها: أنها تستعمل لإنكار إثبات ما يقع بعدها، كقولك: أتضرب زيدًا، وهو أخوك؟ قال تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ولا تقع «هل» هذا الموقع . وأما قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] فليس منه لأن هذا نفي له من أصله، والممنوع من إنكار إثبات ما وقع بعدها . قاله ابن الحاجب .

ومنها: أنها يقع الاسم منصوبًا بعدها بتقدير ناصب، أو مرفوعًا بتقدير رافع؛ يفسره ما بعده . كقولك: أزيدًا ضربت؟ وأزيد [قائم] ^(١)؟ ولا تقول: «هل زيدًا ضربت؟» ولا «هل زيد قائم؟» إلا على ضعف، وإن شئت فقل: ليس في أدوات الاستفهام ما إذا اجتمع بعده الاسم والفعل يليه الاسم في فصيح الكلام إلا الهمزة، فتقول: أزيد قام؟ ولا تقول: هل زيد قام؟ إلا في ضرورة؛ بل الفصيح هل قام زيد؟ .

ومنها: أنها تقع مع «أم» المتصلة ولا تقع مع «هل»، وأما المنقطعة فتقع فيهما جميعًا، فإذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ فهذا الموضع لا تقع فيه «هل» ما لم تقصد إلى المنقطعة . ذكره ابن الحاجب .
ومنها: أنها تدخل على الشرط تقول: إن أكرمتي أكرمتك وإن تخرج أخرج معك؟ إن تضرب أضرب؟ ولا تقول: هل إن تخرج أخرج معك؟

ومنها جواز حذفها؛ كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ يَمَّةٌ نُنْفِئُهَا عَلَى﴾ [الشعراء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا رَيْبٌ﴾، في أحد الأقوال، وقراءة ابن محيصن: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] .

ومنها: زعم ابن الطراوة أنها لا تكون أبدًا إلا معادلة، أو في حكمها؛ بخلاف غيرها، فتقول: أقام زيد أم قعد؟ ويجوز ألا يذكر المعادل لأنه معلوم من ذكر الضد .

(١) في المطبوع: قام .

ورد عليه الصفار، وقال: لا فرق بينها وبين غيرها فإنك إذا قلت: هل قام زيد؟ فالمعنى هل قام أم لم يقم؟ لأن السائل إنما يطلب اليقين، وذلك مطرد في جميع أدوات الاستفهام، قال: وأما قوله: إنه عزيز في كلامهم لا يأتون لها بمعادل، فخطأ بل هو أكثر من أن يُحصَر، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَدْعُو﴾ [النجم: ٣٣]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ [مریم: ٧٧] وهو كثير جداً.

ومنها: تقديمها على الواو وغيرها من حروف العطف فتقول: «أفلم أكرمك؟» «أولم أحسن إليك؟» قال الله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَكَلَّمَا عَنْهُدَا عَنْهُدَا﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿أَنزَلْنَا إِذًا مَا وَفَعْنَا مَنَّمْ بِدِينِهِ﴾ [يونس: ٥١]، فتقدم الهمزة على حروف العطف: الواو، والفاء وثم. وكان القياس تأخيرها عن العاطف، فيقال: «فألم أكرمك؟» «والم أحسن إليك؟» كما تقدم على سائر أدوات الاستفهام نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [إبراهيم: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ هَدَىٰ سَبِيلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنزِلْنَا تَهَابُونَ﴾، فلا يجوز أن يؤخر العاطف عن شيء من هذه الأدوات، لأن أدوات الاستفهام جزء من جملة الاستفهام، والعاطف لا يقدم عليه جزء من المعطوف، وإنما خولف هذا في الهمزة لأنها أصل أدوات الاستفهام، فأرادوا تقديمها تبييناً على أنها الأصل في الاستفهام، لأن الاستفهام له صدر الكلام. والزغشري اضطرب كلامه، فتارة يجعل الهمزة في مثل هذا داخلة على محذوف عطف عليه الجملة التي بعدها، فيقدر بينهما فعلاً محذوفاً تعطف الفاء عليه ما بعدها، وتارة يجعلها متقدمة على العاطف، كما ذكرناه وهو الأولى. وقدرد عليه في الأول، بأن ثم مواضع لا يمكن فيها تقدير فعل قبلها، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن يُنشِئُوا فِي الْحَيَاتِ﴾ [الزخرف: ١٨]، ﴿أَفَن يَبَدَّلْ آيَاتِنَا لِيَكُ مِن رَّبِّكَ الْخُبْرُ﴾ [الرعد: ١٩]، ﴿أَفَن هُوَ قَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال ابن خطيب زملكا: الأوجه أن يقدر محذوف بعد الهمزة قبل الفاء؛ تكون الفاء عاطفة عليه، ففي مثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَئِنَّ مَاتَ﴾ لو صرح به لقليل: «أتؤمنون به مدة حياته فإن مات ارتددتم؟» فتخالقوا سنن اتباع الأنبياء قبلكم؛ في ثبائهم على ملك أنبيائهم بعد موتهم؟ وهذا مذهب الزغشري.

فائدة

زعم ابن سيده في كلامه على إثبات الجمل، أن كل فعل يستفهم عنه ولا يكون إلا مستقبلاً، ورد عليه الأعلام وقال: هذا باطل ولم يمنع أحد: «هل قام زيد أمس؟» و«هل أنت قائم أمس؟» وقد قال تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] فهذا كله ماضٍ غير آتٍ.

الشرط

الشرط الثالث: الشرط ويتعلق به قواعد.

القاعدة الأولى: المجازاة إنما تتعقد بين جملتين:

أولاهما فعلية، لتلائم الشرط مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿كُنْتُ حِجَّتَ يَأْتِيَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، ﴿أَسْتَقْرَّ مَكَانَكُمْ﴾، [ق/١٣١] ﴿رُزِقْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدِّعُ﴾ [يونس: ٤٦]، ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

وثانيهما: قد تكون اسمية، وقد تكون فعلية جازمة، وغير جازمة أو ظرفية، أو شرطية؛ كما يُقال: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [مریم: ٦٠]، ﴿سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿فَأَتَتْ بِهَا﴾، ﴿فَسَوْفَ تَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٧٠]، ﴿فَمَنْ يَبْعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨].

فإذا جمع بينها وبين الشرط اتحدتا جملة واحدة، نحو قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَكُمْ يَسَّرْهُ لِّلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُ حِجَّتَ يَأْتِيَكُمْ فَأَتِ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٦]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَقْرَّ مَكَانَكُمْ فَسَوْفَ تَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّمَا رُزِقْتُكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدِّعُ أَوْ نُرِزُّكَ وَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] فالأولى من جملة المجازاة تسمى شرطًا، والثانية تسمى جزءًا.

[ويسمى] ^(١) المناطقة الأول مقدمًا والثاني تاليًا.

فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عاد الكلام جملتين كما كان.

فإن قيل فمن أي أنواع الكلام تكون هذه الجملة المنتظمة من الجملتين؟

قلنا: قال صاحب «المستوفى»: العبرة في هذا بالتالي، إن كان التالي قبل الانتظام جازمًا هذه الشرطية جازمة - أعني خبرًا محضًا - ولذلك جاز أن توصل بها الموصولات، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [الحج: ٤١]، وإن لم يكن جازمًا لم تكن جازمة، بل إن كان الثاني أمرًا فهي في عداد الأمر، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ حِجَّتَ يَأْتِيَكُمْ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، وإن كانت رجاء فهي في عداد الرجاء، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَقْرَّ مَكَانَكُمْ فَسَوْفَ تَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: فهذا التسويف بالنسبة إلى المخاطب، فإن جعلت «سوف» بمعنى «أمكن» كان الكلام خبرًا صرْفًا، فأما الفاء التي تلتحق التالي معقبة فلاحتياج إليها حيث لا يمكن أن يرتبط التالي بذاته ارتباطًا، وذلك: إن كان افتتح بغير الفعل كقوله: ﴿فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجْهَهُ﴾

(١) في م: وتسمى.

اللَّهُ ﴿البقرة: ١١٥﴾، وقوله سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَارٍ﴾ ﴿الأنعام: ١٦٠﴾، لأن الاسم لا يدل على الزمان فيجازي به .

وكذلك الحرف إن كان مفتوحاً بالأمر، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿الحجرات: ٦﴾، لأن الأمر لا يناسب معناه الشرط، فإن كان مفتوحاً بفعل ماضٍ، أو مستقبل ارتبط بذاته نحو قولك: «إن جئتني أكرمك» ونحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ﴾ ﴿محمد: ٧﴾، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ تَمَدَّلْ كَلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤَخِّذُ مِتًّا﴾ ﴿الأنعام: ٧٠﴾، لأن هذه كالجزم من الفعل، وتخطاها العامل، وليست كـ«إن» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿الكهف: ٥٧﴾. فإن قيل: فما الوجه في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ﴾ ﴿التحریم: ٤﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ ﴿المائدة: ٩٥﴾؟

قلنا: الأظهر أن يكون كل واحد منهما محمولاً على الاسم كما أن التقدير «فأنتم قد صغت قلوبكم»، و«فهو ينتقم الله منه» يدل على هذا أن «صغت» لو جعل نفسه الجزاء، للزم أن يكتسب من الشرط معنى الاستقبال، وهذا غير مسوغ هنا، ولو جاز لجاز أن تقول: «إنما إن تتوبا إلى الله صغت - أو - فصغت قلوبكم»؛ لكن المعنى: «إن تتوبا فبعد صغو من قلوبكم» ليتصور فيه معنى الاستقبال مع بقاء دلالة الفعل على الممكن، وأن «ينتقم» لو جعل وحده جزاء لم يدل على تكرار الفعل، كما هو الآن. والله أعلم بما أراد.

(٢)

الثانية: أصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول، بمعنى أن الشرط إنما يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه، كقولك: «إن زرني أحسنت إليك»، فالإحسان إنما استحق بالزيارة وقولك: «إن شكرتني زرتك» فالزيارة إنما استحق بالشكر هذا هو القاعدة.

وقد أورد على هذا آيات كريمات:

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعْلَمِيَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ ﴿المائدة: ١١٨﴾، وهم عباده عذبهم أو رحيمهم . وقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿المائدة: ١١٨﴾ وهو العزيز الحكيم، غفر لهم أو لم يغفر لهم .

وقوله: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ﴾ ﴿التحریم: ٤﴾ وصغو القلوب هنا [لأمر] ^(١) قد وقع، فليس بمتوقف على ثبوته؟

(١) سقط من م .

والجواب: أن هذه في الحقيقة ليست أجوبة، وإنما جاءت عن الأجوبة المحذوفة، لكونها أسباباً لها.

فقوله: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عِبَادِي﴾، الجواب في الحقيقة: فتحكم فيمن يحق لك التحكم فيه، وذكر العبودية التي هي سبب القدرة.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ﴾ فالجواب: فأنت متفضل عليهم بالأحسان بهم بذنوبهم، فكمالك غير مفتقر إلى شيء؛ فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقال صاحب «المستوفى»: اعلم أن المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفاً على الشرط أبداً، ولا أن يكون الشرط موقوفاً على الجزاء أبداً، بحيث يمكن وجوده، ولا أن تكون نسبة الشرط دائماً إلى الجزاء، نسبة السبب إلى المسبب، بل الواجب [فيها] ^(١) أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصلًا لزم مع حصوله حصول الجزاء، سواء كان الجزاء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط، كقول الطبيب: من استحم بالماء البارد احتقنت الحرارة باطن جسده لأن احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك، أو لم يكن كذلك، كقولك: إن كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً.

وسواء كان الشرط ممكنًا في نفسه، كالأمثلة السابقة أو مستحيلًا، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٨١].

وسواء كان الشرط سببًا في الجزاء أو وصلة إليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]، أو كان الأمر بالعكس، كقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩]، أو كان لا هذا ولا ذاك، فلا يقع إلا مجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] إذ لا يجوز أن تكون الدعوة سببًا للضلال ومفضية إليه، ولا أن يكون الضلال مفضيًا إلى الدعوة.

وقد يمكن أن يحمل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّهُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ [المتحنة: ٢]

وعلى هذا ما يكون من باب قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [ال عمران: ١٤٠] فإن التأويل: إن يمسسكم قرح فمع اعتبار قرح قد مسهم قبل. والله أعلم بمراده.

(٣)

الثالثة: أنه لا يتعلق إلا بمستقبل فإن كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى، كقولك: إن مت على الإسلام دخلت الجنة، ثم للنجاة فيه تقديران:

أحدهما: أن الفعل يغير لفظًا لا معنى فكان الأصل: «إن تمت مسلمًا تدخل الجنة»، [فغير] ^(٢)

(٢) طمس في المطبوع.

(١) في م: منها.

لفظ المضارع إلى الماضي تنزيلاً [له] ^(١) منزلة المحقق .

والثاني: أنه تغير معنى ، وأن حرف الشرط لما دخل عليه قلب معناه إلى الاستقبال ، [وبقي] ^(٢) لفظه على حاله .

والأول أسهل لأن تغيير اللفظ أسهل من تغيير المعنى . وذهب المبرد إلى أن فعل الشطر إذا كان لفظ «كان» بقي على حاله من الماضي ، لأن (كان) جُردت عنده للدلالة على الزمن الماضي ، فلم تغيرها أدوات الشرط ، وقال : إن (كان) مخالفة في هذا الحكم لسائر الأفعال ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦] ، ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ﴾ [يوسف: ٢٦] .

والجمهور على المنع ، وتأولوا ذلك ثم اختلفوا :

فقال ابن عصفور والشلوبين ، وغيرهما : إن حرف الشرط دخل على فعل مستقبل محذوف ، أي : إن أكن كنت قلته ، أي : إن أكن فيما يستقبل موصوفاً بأني كنت قلته ، فقد علمته . ففعل الشرط محذوف مع هذا ، وليست «كان» المذكورة بعدها هي فعل الشرط .

قال ابن الضائع : وهذا تكلف لا يحتاج إليه ، بل ﴿كُنْتُ﴾ بعد ﴿أَنْ﴾ مقلوبة المعنى إلى الاستقبال ، ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُ﴾ «إن أكن» [ق/ ١٣٢] فليست هذه التي بعدها هي التي يُراد بها الاستقبال ، لا أخرى محذوفة ، وأبطلوا مذهب المبرد بأن «كان» بعد أداة الشرط في غير هذا الموضع ، قد جاءت مراداً بها الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهِّرُوا﴾ [المائدة: ٦] .

وقد نبه في «التسهيل» في باب الجوازم على أن فعل الشرط لا يكون إلا مستقبل المعنى ، [واختار في «كان» مذهب الجمهور ، إذ قال : ولا يكون الشرط غير مستقبل المعنى بلفظ «كان» أو غيرها إلا مؤولاً . واستدرك عليه «لو» و«لما» الشرطيتين ؛ فإن الفعل بعدهما لا يكون إلا ماضياً ، فتعين استثناءه من قوله : «لا يكون إلا مستقبل المعنى»] ^(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] إلى ﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ ، فوقع فيها «أحللنا» المنطوق به أو المقدر على القولين ، جواب الشرط مع كون الإحلال قديماً ، فهو ماضٍ . وجوابه : أن المراد «إن وهبت فقد حلت» ، فجواب الشرط حقيقة الحل المفهوم من الإحلال ، لا الإحلال نفسه ، وهذا كما أن الظرف من قولك : «قم غداً» ليس هو لفعل الأمر ، بل للقيام المفهوم منه .

وقال البيانيون : يجيء فعل الشرط ماضياً اللفظ لأسباب :

منها : إيهام جعل غير الحاصل كالحاصل ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَيْمًا﴾ [الإنسان: ٢٠] .

(١) سقط من م .

(٢) سقط من م .

(٣) طمس في المطبوع .

ومنها: إظهار الرغبة من المتكلم في وقوعه، كقولهم: «إن ظفرت بحسن العاقبة فذاك»، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُ﴾ [النور: ٣٣] أي: امتناعا من الزنا، جيء بلفظ الماضي؛ ولم يقل: «يردن» إظهارًا لتوفير رضا الله، ورغبة في إرداتهن التحصين.

ومنها: التعريض بأن يخاطب واحدًا ومراده غيره، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَجْبُنَنَّ عَمَّاكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(٤)

الرابعة: جواب الشرط أصله الفعل المستقبل، وقد يقع ماضيًا لا على أنه جواب في الحقيقة، نحو: «إن أكرمتك فقد أكرمتني» اكتفاء بالموجود عن المعلوم.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [ال عمران: ١٤٠]، ومس الفرح قد وقع بهم، والمعنى: إن يؤلكم ما نزل بكم فيؤلمهم ما وقع؛ فالقصد ذكر الألم الواقع لجميعهم، فوقع الشرط والجزاء على الألم.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦]، فعلى وقوع الماضي موقع المستقبل فيهما، دليله قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي﴾ [المائدة: ١١٦] أي: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾ [المائدة: ١١٦] «تكن قد علمته»، وهو عدول إلى الجواب إلى ما هو أبداع منه كما سبق.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، فالمعنى -والله أعلم-: «ما أنت بمصدق لنا، ولو ظهرت لك براءتنا بتفضيلك إياه علينا»، وقد أتوه بدلائل كاذبة ولم يصدقهم، وقرروه بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَبِئْسَ صَاحِبُ الْفِكْرِ﴾ [يوسف: ٩٥] وإجماعهم على إرادة قتله، ثم رميهم [له] ^(١) في الجب أكبر من قولهم: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] عندك.

(٥)

الخامسة: أدوات الشرط حروف، وهي «إن» وأسماء مضمنة معناها.

ثم منها: ما ليس بظرف كمن، وما، وأي، ومهما، وأسماء هي ظروف: أين، وأينما، ومتى، وحيثما، وإذ ما.

وأقواها دلالة على الشرط دلالة «إن» لبساطتها، ولهذا كانت أم الباب.

وما سواها فمركب من معنى «إن» وزيادة معه، فمن معناه كل في حكم إن، وما معناه كل شيء إن، وأينما وحيثما يدلان على المكان وعلى إن، وإذ ما ومن يدلان على الشرط والزمان.

(١) سقط من م.

وقد تدخل «ما» على «إن» وهي أبلغ في الشرط من «إن» ولذلك تُتلقى بالنون المبني عليها المضارع، نحو: ﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيبَانَةٌ فَاتَيْدٌ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْتَمِئُونَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومما ضُمن معنى الشرط «إذا» وهي كـ «إن»، وهي أن ويفترقان في أن «إن» تستعمل في المحتمل المشكوك فيه، ولهذا يقيح: إن احمر البسر كان كذا، وإن انتصف النهار آتاك، وتكون «إذا» للجزم، فوقوعه إما تحقيقاً، نحو: «إذا» طلعت الشمس كان كذا، أو اعتباراً كنا سنذكره.

قال ابن الضائع: ولذلك إذا قيل: «إذا احمر البسر فأنت طالق»، وقع الطلاق في الحال عند مالك^(١)، لأنه شيء لا بد منه؛ وإنما يتوقف على السبب الذي قد يكون، وقد لا يكون، وهذا هو الأصل فيهما.

وقد تستعمل «إن»، في مقام الجزم لأسباب:

منها: أن تأتي على طريقة وضع الشرطي المتصل الذي يوضع شرطه تقديراً، التبيين مشروطه تحقيقاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكُدٌ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ [الإسراء: ٤٢].

ومنها: أن تأتي على طريق تبيين الحال على وجه يأنس به المخاطب، وإظهاراً للتناصف في الكلام، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبا: ٥٠].

ومنها: تصوير أن المقام لا يصلح إلا بمجرد فرض الشرط؛ كفرض الشيء المستحيل، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكَ﴾ [فاطر: ١٤]، والضمير للأصنام. ويحتمل منه ما سبق فيه قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكُدٌ﴾ [الزخرف: ٨١].

ومنها: لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب مدلول الشرط، وأنه واجب الانتفاء، حقيق ألا يكون، كقوله تعالى: ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، فيمن يكسر إن فاستعملت «إن» في مقام الجزم؛ بكونهم «مُسْرِفِينَ» لتصور أن الإسراف ينبغي أن يكون متفتياً، فأجراه لذلك مجرى المحتمل المشكوك.

ومنها: تنبيه المخاطب وتوبيخه، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَائِمِينَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، والمعنى: عبادتكم لله تستلزم شكركم له، فإن كنتم ملتزمين عبادته

(١) انظر: «عيون المجالس» (٣/١٢٢٧)، والإسراف (٢/١٣٢) والكافي لابن عبد البر (ص/٢٦٦). وقال أبو حنيفة والشافعي: «لا يطلق حتى يأتي الأجل وتنفضي المدة». انظر: «المدخل» للحدادي (ص/٣٩٨-٣٩٩)، والجنبي الداني في حروف المعاني (ص/٢٠٧-٢١٥).

فكلوا من رزقه واشكروه، وهذا كثيرا ما يورد في الحجاج والإلزام، تقول: «إن كان لقاء الله حقا فاستعد له».

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِحَاثِبَيْهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الانعام: ١١٨].

ومنها التغليب: كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ رَّبِّ رَيْنَ أَلْبَسْتُمْ﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَكَّأْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، فاستعمل «إن» مع تحقق الارياب منهم؛ لأن الكل لم يكونوا مرتابين، فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين، لأن صدور الارياب من غير الارياب مشكوك في كونه، فلذلك استعمل «إن» على حد قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٩].

واعلم أن «إن» لأجل أنها لا تستعمل إلا في المعاني المحتملة، كان جوابها معلقا على ما يحتمل أن يكون وألا يكون، فيختار فيه أن يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه، ليطابق اللفظ، والمعنى فإن عدل عن المضارع إلى الماضي، لم يعدل إلا لنكتة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَانُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢]، فأتى الجواب مضارعا وهو «يكونوا» وما عطف عليه، وهو «يسطوا» مضارعا أيضا، وأنه قد عطف عليه، «ودوا» بلفظ الماضي، وكان قياسه المضارع؛ لأن المعطوف على الجواب جواب، ولكنه لما لم يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشك فيها، ما يحتمل أنهم إذا تفقوه صاروا لهم أعداء، وبسطوا أيديهم إليهم بالقتل وأستتهم بالشتم أتى فيه بلفظ الماضي؛ لأن ودادتهم في ذلك مقطوع بها، وكوئهم أعداء وباسطي الأيدي والألسن بالسوء مشكوك، لاحتمال أن يعرض ما يصددهم عنه، فلم يتحقق وقوعه.

وأما «إذا» فلما كانت في المعاني المحققة، غلب لفظ الماضي معها، لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١] بلفظ الماضي مع «إذا» في جواب الحسنة، حيث أريد مطلق الحسنة، لا نوع منها، ولهذا عرفت تعريف العهد، ولم تُنكر كما نُكر المراد به نوع منها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وكما نُكر الفعل حيث أريد به نوع [منها] (١) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٣]، و بلفظ المضارع مع «إن» في جانب السيئة وتنكيرها [ق/١٣٣] بقصد النوع.

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٣] بلفظ المضارع مع أن جانب السيئة وتنكيرها بقصد النوع (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّامِرَةَ رِجْمًا فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمَتِ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

[الروم: ٣٦] ، لفظ الماضي مع «إذا» والمضارع مع «إن» إلا أنه نكرت الرحمة ليطابق معنى الإذاعة بقصد نوع منها، والسيئة بقصد النوع أيضًا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] أتى بإذا لما كان مس الضر لهم في البحر محققًا، بخلاف قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَعْمِلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقُ قَنُوطًا﴾ [نصبت: ٤٩] فإنه لم يقيد مس الشر هاهنا بل أطلقه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَمْنًا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، فإن اليأس إنما حصل عند تحقق مس الضر له، فكان الإتيان بإذا أدل على المقصود من «أن» بخلاف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ﴾ [نصبت: ٥١]، فإنه لقله صبره وضعف احتمالته في موقع الشر أعرض، والحال في الدعاء، فإذا تحقق وقوعه كان يئوسًا. وأما قوله: ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكًا﴾ [النساء: ١٧٦] مع أن الهلاك محقق، لكن جهل وقته، فلذلك جيء بـ «إن».

ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [ال عمران: ١٤٤]، فأتى بإن المقتضية للشك، والموت أمر محقق؛ ولكن وقته معلوم، فأورد مورد المشكوك فيه، المتردد بين الموت والقتل.

وأما قوله تعالى: ﴿لَتَنذُرَنَّهُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ﴾ [الفتح: ٢٧] مع أن مشيئة الله محققة، فجاء على تعليم الناس كيف يقولون، وهم يقولون في كل شيء على جهة الاتباع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ۗ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، فيقول الرجل في كل شيء: إن شاء الله على مخبر به مقطوعًا أو غير مقطوع، وذلك سنة متبعة.

ومثله قوله ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١) ويحتمل أن تكون للإبهام في وقت اللحوق متى يكون.

تنبيه: سكت البيانيون عما عدا «إذا» و«إن»، وألحق صاحب «البيسط» وابن الحاجب «متى» بأن قال: لا تقول: متى طلعت الشمس؟ مما علم أنه كائن، بل تقول متى تخرج أخرج. وقال الزمخشري في الفصل بين متى وإذ: إن «متى» للوقت المبهم، «وإذا» للمعين؛ لأنهما ظرفان زمان، وإبهام «متى» جُزم بها دون «إذا».

(٦)

السادسة: قد يعلق الشرط بفعل محال يستلزمه محال آخر، وتصدق الشرطية دون مفرديهما، أما صدقها فلاستلزام المحال، وأما كذب مفرديهما فلاستحالتهما.

وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف: ٨١].

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩).

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ...﴾ [الإسراء: ٤٢].

وفائدة الربط بالشرط في مثل هذا أمران: أحدهما: بيان استلزام إحدى القضيتين للأخرى، والثاني: أن اللازم منتفٍ فاللزوم كذلك.

وقد تبين بهذا أن الشرط يعلّق به المحقق الثبوت، والممتنع الثبوت والممكن الثبوت.

(٧)

السابعة: الاستفهام إذا دخل على الشرط، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ونظائره فالهمزة في موضعها، ودخولها على أداة الشرط [١]. والفعل الثاني الذي هو جزء الشرط ليس جزءاً للشرط، وإنما هو المستفهم عنه، والهمزة داخلة عليه تقديرًا فنيويًا به التقديم، وحيثنذا فلا يكون جوابًا بل الجواب محذوف، والتقدير عنده: «انقلبتم على أعقابكم إن مات محمد»، لأن الغرض إنكار انقلابهم على أعقابهم بعد موته.

[ويقول يونس: قال كثير من النحويين: إنهم يقولون: ألف الاستفهام دخلت في غير موضعها، لأن الغرض إنما هو «انقلبون إن مات محمد»] [٢].

وقال أبو البقاء [٣]: «قال يونس»: الهمزة في مثل هذا أحقها أن تدخل على جواب الشرط، تقديره: «انقلبون [على أعقابكم] إن مات محمد لأن الغرض التنبيه أو التوبيخ، على هذا الفعل المشروط، ومذهب سيبويه الحق لوجهين: أحدهما: أنك لو قدمت الجواب لم يكن للفاء وجه؛ إذ لا يصح أن تقول: أتزورني فإن زرتك، ومنه قوله: ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والثاني: أن الهمزة لها صدر الكلام، وإن لها صدر الكلام، فقد وقع في موضعها، والمعنى يتم بدخول الهمزة على جملة الشرط والجواب، لأنهما كالشيء الواحد. انتهى.

وقد رد النحويون على يونس بقوله: ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، لا يجوز في «فهم» أن ينوي به التقديم، لأنه يصير التقدير: «أفهم الخالدون فإن مت؟» وذلك لا يجوز لثلاثي الشرط بلا جواب، [إذ لا يتصور أن يكون الجواب محذوفًا يدل عليه ما قبله؛ لأن الفاء المتصلة بأن تمنعه من ذلك، ولهذا يقولون: «أنت ظالم إن فعلت»، ولا يقولون: «أنت ظالم فإن فعلت»، فدل ذلك على أن أدوات الاستفهام، إنما دخلت لفظًا وتقديرًا على جملة الشرط والجواب] [٤].

(٢) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) التبيان (١/١٥١).

(٨)

الثامنة: إذا تقدم أداة الشرط جملة تصلح أن تكون جزءاً، ثم ذكر فعل الشرط ولم يذكر له جواب، نحو: «أقوم إن قمت» وأنت طالق إن دخلت الدار»، فلا تقدير عند الكوفيين بل المقدم هو الجواب، وعند البصريين دليل الجواب.

والصحيح هو الأول لأن الفاء لا تدخل عليه ولو كان جواباً لدخلت، ولأنه لو كان مقدماً من تأخير لما افترق المعنيان، وهما مفترقان ففي التقديم بُني الكلام على الخبر ثم طرأ التوقف، وفي التأخير بني الكلام من أوله على الشرط. كذا قاله ابن السراج^(١) وتابعه ابن مالك وغيره.

ونوزعا في ذلك، بل مع التقديم الكلام مبني على الشرط كما لو قال: «له علي عشرة إلا درهما» فإنه لم يقر بالعشرة، ثم أنكر منها درهما، ولو كان كذلك لم ينفعه الاستثناء. ثم زعم ابن السراج أن ذلك لا يقع إلا في الضرورة، وهو مردود بوقوعه في القرآن، كقوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَسْبُحُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]. وقوله: ﴿بَيْنًا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] وهو كثير^(٢).

(٩)

التاسعة: إذا دخل على [أداة]^(٣) الشرط واو الحال، لم يحتج إلى جواب، نحو: أحسن إلى زيد وإن كفر، وأشكره وإن أساء إليك، أي: أحسن إليه كافرًا لك، وأشكره مسيئًا إليك، فإن أجيب الشرط كانت الواو عاطفة؛ لا للحال، نحو: أحسن إليه وإن كفر فلا تدع الإحسان [إليه]^(٤) وأشكره، وإن أساء إليك فأقم على شكره، ولو كانت الواو هنا للحال لم يكن هناك جواب.

قال ابن جنبي: وإنما كان كذلك لأن الحال فضلة، وأصل وضع الفضلة أن تكون مفردًا، كالظرف والمصدر والمفعول به، فلما كان كذلك لم يجب الشرط إذا وقع موقع الحال لأنه لو أجيب لصار جملة، والحال إنما هي فضلة، فالفرد أولى بها من الجملة والشرط، وإن كان جملة فإنه يجري عندهم مجرى الأحاد، من حيث كان محتاجًا إلى جوابه احتياج المبتدأ إلى الخبر.

(١٠)

العاشرة: الشرط والجزاء^(٥) لا بد أن يتغيرا لفظًا، وقد يتحدان، فيحتاج إلى التأويل كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ [ريم: ٦٠]، والآية التي تليها ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧١]، ثم قال:

(١) الأصول في النحو (٢/١٦١-١٦٥).

(٣) في م: حرف.

(٢) سقط من المطبوع.

(٥) أسرار العربية (ص/٢٩٤).

(٤) سقط من م.

﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١] ؛ فقيل : على حذف الفعل ، أي من أراد التوبة فإن التوبة معرضة له ، لا يحول بينه وبينها حائل . ومثله : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: ٩٨] أي : أردت . وبدل لهذا تأكيد التوبة بالمصدر .

وأما قوله تعالى : ﴿جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: ٧٥] ، فقال الزمخشري ^(١) : يجوز أن يكون «جزاءه» مبتدأ والجملة [ق/ ١٣٤] الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمرة ، والأصل «جزاءه من وجد في رحله فهو هو» فوضع الجزاء موضع «هو» .

وقوله : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، قدره ابن عباس : من «يرد الله هدايته» فلا يتحد الشرط والجزاء .

ومثله قوله تعالى : ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِي﴾ [المائدة: ٦٧] وقد سبق فيها أقوال كثيرة .

وقد يتقاربان في المعنى ، كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [ال عمران: ١٩٢] ، وقوله : ﴿فَمَنْ زُجِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [ال عمران: ١٨٥] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨] .

والنكتة في ذلك كله ، تفخيم الجزاء ؛ والمعنى إن الجزاء هو الكامل البالغ النهاية ، يعني من يبخل في أداء ربع العشر ، فقد بالغ في البخل وكان هو البخل في الحقيقة .

(١١)

الحادية عشرة: في اعتراض الشرط على الشرط ، وقد عدوا من ذلك آيات شريفة ، بعضها مستقيم وبعضها بخلافه .

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ . . . ﴿الآية الواقعة: ٨٨-٨٩﴾ ، قال الفارسي : قد اجتمع هنا شرطان وجواب واحد ، فليس يخلو إما أن يكون جواباً لأمّا أو لإن ، ولا يجوز أن يكون جواب لهما ، لأننا لم نر شرطين لهما جواب واحد ، ولو كان هذا لجاز شرط واحد له جوابان ، ولا يجوز أن يكون جواباً لإن دون «أما» لأن «أما» لم تُستعمل بغير جواب ، فجعل جواباً لأمّا ، فتجعل «أما» وما بعدها جواباً لإن .

وتابعه ابن مالك في كون الجواب لأمّا .

وقد سبقهما إليه إمام الصناعة سيويه ، ونازع بعض المتأخرين في عد هذه الآية من هذا ، قال وليس من الاعتراض أن يُقرن الثاني بقاء الجواب لفظاً ؛ نحو : إن تكلم زيد فإن أجاد فأحسن إليه لأن الشرط الثاني [وجوابه جواب الأول] ، أو يقرن بقاء الجواب تقديرًا كهذه الآية الشريفة لأن الأصل عند

(١) الكشاف (٢/ ٤٩١) .

النحاة: «مهما يكن من شيء فإن كان المتوفى من المقربين فجزاؤه روح» فحذف «مهما» وجملة شرطها، وأنيب عنها «أما» فصار «أما»، فإن كان مفرداً من ذلك لوجهين أحدهما: أن الجواب لا يلي أداة الشرط بغير فاصل، وثانيهما [١] أن الفاء في الأصل للعطف؛ فحقها أن تقع بين سببين، وهما المتعاطفان، فلما أخرجوها من باب العطف حفظوا عليها المعنى الآخر وهو التوسط؛ فوجب أن يقدم شيء مما في حيزها عليها إصلاحاً للفظ، فقدمت جملة الشرط الثاني لأنها كالجاء الواحد، كما قدم المفعول في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]؛ فصار ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ [الفرج: ٨٨] - [٨٩] فحذفت الفاء التي في جواب «إن» لثلاث يلتقي فاءان.

فتلخص أن جواب «أما» ليس محذوفاً، بل مقدماً بعضه على الفاء، فلا اعتراض.

الآية الثانية: قوله تعالى عن نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وإنما يكون من هذا لو كان: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [هود: ٣٤] [مؤخراً بعد الشرطين، أو لازماً أن يقدر كذلك، وكلا الأمرين منتف].

أما الأول فظاهر، وأما الثاني فلان: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] (٢) جملة تامة، أما على مذهب الكوفيين فمن شرط مؤخر وجزاء مقدم، وأما على مذهب البصريين فالمقدم دليل للجزاء والمدلول عليه محذوف، فيقدر بعد شرطه، فلم يقع الشرط الثاني معترضاً؛ لأن المراد بالمعترض ما اعترض بين الشرط وجوابه وهنا ليس كذلك، فإن على مذهب الكوفيين لا حذف، والجواب مقدم، وعلى قول البصريين الحذف بين الشرطين.

وهنا فائدة: وهي أنه لم يعدل عن «إن نصحت» إلي «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ﴾ [هود: ٣٤]؛ وكأنه والله أعلم أدب مع الله تعالى حيث أراد الإغواء.

وقد أحسن الزمخشري (٣) فلم يأت بلفظ الاعتراض في الآية، بل سماه مرادفاً؛ وهو صحيح، وقال: إن قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] جزاؤه ما دل عليه قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [هود: ٣٤].

وجعل ابن مالك تقدير الآية: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] مراداً ذلك منكم، لا ينفعكم نصحي، وهو يجعله من باب الاعتراض وفيه ما ذكرنا.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ...﴾ الآية [الاحزاب: ٥٠]. وهي كالتالي قبلها لتقدم الجزاء أو دليله على الشرطين، فالاحتمال فيها كما قدمنا.

(١) سقط من م.

(٢) الكشاف (٢/ ٣٩١).

(٣) سقط من م.

وقال الزمخشري (١): «شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة الاستكاح كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت نفسها لك، وأنت تريد أن تنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم». وحاصله: أن الشرط الثاني مقيد للأول.

ويحتمل أن يكون من الاعتراض، كأنه قال: إن وهبت نفسها إن أراد النبي أحللناها، فيكون جواباً للأول ويقدر جواب الثاني محذوفاً.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ مَأْمَنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْتُمْ تَوَكُّوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وغلط من جعلها من الاعتراض، لأن الشرط الأول اقترن بجوابه ثم أتى بالثاني بعد ذلك، وإذا ذكر جواب الثاني تاليًا له فأي اعتراض هنا؟ لهذا قال المجوزون لهذه المسألة: إن الجواب المذكور للأول، وجواب الثاني محذوف لدلالة [الأول وجوابه] (٢) عليه، والتقدير في الآية: (إن كنتم مسلمين فإن كنتم أمتمم بالله فعليه توكلوا)، فحذف الجواب لدلالة السابق عليه.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَيَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالِكُمْ ۗ إِنْ يَسْتَلْكُمَا فَيُحْفِفْكُمْ يُبَخِّلْوَا﴾ [محمد: ٣٦-٣٧]، وكلام ابن مالك يقتضي أنها من الاعتراض، وليس كذلك بل عطف فعل الشرط على فعل آخر.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]، إلى قوله: ﴿لَعَذَابْنَا﴾، وهذه الآية هي العمدة في هذا الباب، فالشرطان وهما «لولا»، و«لو» قد اعتراضا وليس معهما إلا جواب واحد، وهو متأخر عنهما وهو: ﴿لَعَذَابْنَا﴾.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وهذه تأتي على مذهب الأخفش، فإنه يزعم أن قوله تعالى: ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ على تقدير الفاء، أي: «فالوصية» فعلى هذا يكون مما نحن فيه. فأما إذا رفعت ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ بـ ﴿كَيْبَ﴾ فهي كالأيات السابقة في حذف الجوابين.

تنبيه في ضابط اعتراض الشرط على الشرط

ذكر بعضهم ضابطاً في هذه المسألة فقال: إذا دخل الشرط على الشرط فإن كان الثاني بالفاء فالجواب المذكور جوابه، وهو وجوابه جواب الشرط الأول، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْبَتُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨].

وإن كان بغير الفاء، فإن كان الثاني متأخراً في الوجود عن الأول، كان مقدرًا بالفاء، وتكون الفاء جواب الأول، والجواب المذكور جواب الثاني، نحو: «إن دخلت المسجد إن صليت فيه فلك أجر»،

(٢) سقط من م.

(١) الكشاف (٣/ ٥٥٠).

تقديره: «فإن صليت فيه» فحذفت الفاء لدلالة الكلام عليها.

وإن كان الثاني متقدماً في الوجود على الأول فهو في نية التقديم، وما قبله جوابه، والفاء مقدره فيه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [هود: ٣٤] ، تقديره: «إن أراد الله أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي».

وأما إن لم يكن أحدهما متقدماً في الوجود، وكان كل واحد منهما صالحاً لأن يكون هو المتقدم والآخر متاخراً، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، كان الحكم راجعاً إلى التقدير، والنية فأيهما قدرته الشرط كان الآخر جواباً له.

وإن كان مقدرًا بالفاء، كان المتقدم في اللفظ أو المتأخر، فإن قدرنا الهبة شرطاً كانت الإرادة جواباً، ويكون التقدير: «إن وهبت نفسها للنبي فإن أراد النبي أن يستنكحها» وإن قدرنا الإرادة شرطاً كانت الهبة جزاء، وكان التقدير: «إن أراد النبي أن يستنكحها فإن وهبت نفسها للنبي».

وعلى كلا التقديرين، فجواب الشرط الذي هو الجواب محذوف، والتقدير: «فهي حلال لك» وقس عليه ما يرد عليك من هذا الباب.

فائدة قد يسمى الشرط يميناً

قال ابن جني في كتاب القدر يجوز أن يسمى الشرط يميناً، لأن كل واحد منهما مذكور لما بعده، وهو جملة مضمومة إلى أخرى، وقد جرت الجملتان مجرى الجملة الواحدة؛ فمن هنا يجوز أن يسمى الشرط يميناً ألا ترى أن كل واحد منهما مذكور لما بعده!

القسم وجوابه

وهما جملتان بمنزلة الشرط وجوابه، وستكلم عليه في الأساليب إن شاء الله تعالى في باب التأكيد والقسم لفظه لفظ الخبر، ومعناه الإنشاء والالتزام بفعل المحلوف عليه أو تركه، [ق/ ١٣٥] وليس بإخبار عن شيء وقع أو لا يقع، وإن كان لفظه [لفظاً]^(١) المضى أو الاستقبال وفائدته تحقق الجواب عند السامع وتأكده ليزول عنه التردد فيه.

الأمر

الأمر: حيث وقع في القرآن كان بغير الحرف، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ، ﴿ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] ، ﴿أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] ، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] .

(١) سقط من المطبوع.

وجاء بالحرف في مواضع يسيرة على قراءة بعضهم^(١): «فبذلك فلتفرحوا» ووجهه أنه من باب حمل المخاطب على الغائب إلى الخطاب، فكأنه لا غائب ولا حاضر؛ وذلك لأن قوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا) فيه خطاب للنبي ﷺ مع المؤمنين، وخطاب الله تعالى مع النبي للمؤمنين كخطاب الله تعالى لهم فكأنهما اتحدا في الحكم، ووجود الاستماع والاتباع، فصار المؤمنون كأنهم مخاطبون في المعنى، فأتى باللام كأنه يأمر قومًا غيبًا وبالتاء للخطاب كأنه يأمر حضورًا. ويؤيد هذا قوله تعالى في أول الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ . . .﴾ الآية [يونس: ٥٧]، فصار المؤمنون مخاطبين، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ جَاءَ قَوْمٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٨] ينبغي أن يكون فرحهم، فصاروا مخاطبين من وجه دون وجه.

ونظيره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْتَنَ يَدَيْكُمْ﴾ [يونس: ٢٢] إلا أن ذلك جعل في كلمتين وحالتين، وهذا في كلمة واحدة.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنفُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

النفي

هو شطر الكلام كله، لأن الكلام إما إثبات أو نفي، وفيه قواعد:

(١)

الأولى: في الفرق بينه وبين الجحد، قال ابن الشجري: إن كان النافي صادقًا فيما قاله سمي كلامه نفيًا، وإن كان يعلم كذب ما نفاه كان جحدًا، فالنفي أعم، لأن كل جحد نفي من غير عكس، فيجوز أن يسمى الجحد نفيًا لأن النفي أعم ولا يجوز أن يسمى النفي جحدًا.

فمن النفي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَحَمَدُوا بِهَا وَأَسْتَفْتِنَاهَا أَنفُسَهُمْ ظَلَمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٣-١٤] أي وهم يعلمون أنها من عند الله. وكذلك إخبار الله عمّن كفر من أهل الكتاب: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، فأكذبهم الله بقوله: ﴿أَنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقوله: ﴿يَمْلِكُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤]، فأكذبهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤].

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٨٢).

قال: ومن العلماء من لا يفرق بينهما والأصل ما [ذكرته] ^(١).

(٢)

الثانية: زعم بعضهم أن من شرط صحة النفي عن الشيء، صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء ومن ثم قال بعض الحنفية: إن النهي عن الشيء يقتضي الصحة، وذلك باطل؛ بقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِمُنْفِلٍ عَمَّا يُعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَهُوَ يُطَوِّمُ وَلَا يُظَمِّرُ﴾ [الأنعام: ١٤] ونظائره.

والصواب إن انتفاء الشيء عن الشيء، قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه، فنفي الشيء عن الشيء لا يستلزم إمكانه.

(٣)

الثالثة: المنفي ما ولى حرف النفي، فإذا قلت: «ما ضربت زيداً» كنت نافية للفعل الذي هو ضربك إياه، وإذا قلت: «ما أنا ضربته» كنت نافية لفاعليتك للضرب.

فإن قلت الصورتان دلتا على نفي الضرب فما الفرق بينهما؟
قلت: من وجهين:

أحدهما: أن الأولى نفت ضرباً خاصاً وهو ضربك إياه، ولم تدل على وقوع ضرب غيرك ولا عدمه، إذا نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، ولا ثبوته.

والثانية: نفت كونك ضربته، ودلت على أن غيرك ضربه بالمفهوم.

الثاني: إن الأولى دلت على نفي ضربك له بغير واسطة.

والثانية: دلت على نفيه بواسطة.

[ومنه] ^(٢) قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧].

(٤)

الرابعة: إذ كان الكلام عاماً ونفيته، فإن تقدم حرف النفي أداة العموم، كان نفيًا للعموم، وهو لا ينافي الإثبات الخاص، فإذا قلت: «لم أفعل كل ذابل بعضه» استقام، وإن تقدم صيغة العموم على النفي فقلت: «كل ذالم أفعله» كان النفي عاماً، ويناقضه الإثبات الخاص.

وحكى الإمام في (نهاية الإيجاز) عن الشيخ عبد القاهر: أن نفي العموم يقتضي [خصوص] ^(٣)

(١) في م: ما ذكرنا.

(٢) سقط من م.

(٣) في المطبوع: وأما.

الإثبات. فقوله: «لم أفعل كله» يقتضي أنه فعل بعضه. قال: وليس كذلك إلا عند من يقول بدليل الخطاب، بل الحق أن نفي العموم كما لا يقتضي عموم النفي لا يقتضي خصوص الإثبات.

(٥)

الخامسة: أدواته كثيرة قال الخويي: وأصلها «لا» و«ما»، لأن النفي إما في الماضي، وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبداً و«لا» أخف من «ما» فوضعوا الأخف للأكثر: ثم إن النفي في الماضي، إما أن يكون نفيًا واحدًا مستمرًا، وإما أن يكون نفيًا فيه أحكام متعددة. وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام، واختاروا له أربع كلمات: ما، لم، لن، لا.

وأما «إن» و«لما» فليسا بأصليين.

فما و«لا» في الماضي والمستقبل متقابلان، و«لم» و«لن» في الماضي والمستقبل متقابلان، و«لم» كأنه مأخوذ من «لا» و«ما» لأن «لم» نفي للاستقبال لفظًا فأخذ اللام من «لا» التي هي لنفي الأمر في المستقبل والميم من «ما» التي هي لنفي الأمر في الماضي، وجمع بينهما إشارة إلى أن في «لم» المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن «لا» هو أصل النفي، ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام، فيقال: «لم يفعل زيد ولا عمرو» و«لن أضرب زيدًا ولا عمرًا».

أما «لما» فتركيب بعد تركيب، كأنه قال: «لم» و«ما» لتوكيد معنى النفي في الماضي، وتفيد الاستقبال أيضًا ولهذا تفيد «لما» الاستمرار، كما قال الزمخشري: إذا قلت: «ندم زيد ولم ينفعه الندم» أي: حال الندم لم ينفعه وإذا قلت: «ندم زيد ولما ينفعه الندم»، أي: حال الندم، واستمر عدم نفعه. قلت: وقال الفارسي: إذا نفي بها الفعل اختصت بنفي الحال، ويجوز أن يتسع فيها فينفي بها الحاضر نحو: «ما قام وما قعد».

قال الخويي: والفرق بين النفي «بلم» و«ما» أن النفي «بما» كقولك: «ما قام زيد» معناه أن وقت الإخبار هذا الوقت، وهو إلى الآن ما فعل، فيكون النفي في الماضي، وأن للنفي «بلم» كقولك: «لم يقيم» تجعل المخبر نفسه بالعرض متكلمًا في الأزمنة الماضية، ولأنه يقول في كل زمان في تلك الأزمنة: أنا أخبرك بأنه لم يقيم.

وعلى هذا فتأمل السرف في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْخِذْ لِدَاكُمُ الْإِسْرَاءَ﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي موضع آخر: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المؤمنون: ٩١]، لأن الأول في مقام طلب الذكر والتشريف به للشواب، والثاني في مقام التعليم وهو لا يفيد إلا بالنفي عن جميع الأزمنة.

وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَوُ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَيْتًا﴾ [مريم: ٢٨]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي﴾

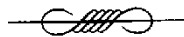
بَشْرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ [مریم: ٢٠]، فإن مريم كأنها قالت: إني تفكرت في أزمنة وجودي ومثلتها في عيني (لم أك بغياً) فهو أبلغ في التنزيه، فلا يظن ظان أنها تنفي نفيًا كليًا مع أنها نسيت بعض أزمنة وجودها؛ [وأما هم لما قالوا: ﴿وَمَا كَأْتِ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ ما كان يمكنهم أن يقولوا: نحن تصورنا كل زمان من أزمنة وجود أمك ونفي عن كل واحد منها كونها بغياً، لأن أحداً لا يلزم غيره، فيعلم كل زمان من أزمنة وجوده، وإنما قالوا لها: إن أمك اشتهرت عند الكل، حتى حكموا عليها حكماً واحداً عاماً بأنها ما بغت في شيء من أزمنة وجودها] (١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩] فإنه سبحانه لما قال: ﴿بِظُلْمٍ﴾ كان سبب حسن الهلاك قائماً، وأما الظلم فكان يتوقع في كل زمن الهلاك، سواء كانوا غافلين أم لا؛ لكن الله برحمته يمسك عنهم في كل زمان واقفته غفلتهم، وأما قوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] وإن جد الظلم لكن لم يبق سبباً مع الإصلاح، فبقي النفي العام بعدم تحقيق المقتضى في كل زمان. وكذلك قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، لأنه لما لم يذكر الظلم لم يتوقع الهلاك فلم يبق متكرراً في كل زمان.

وكذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ تَمَّ بِكَ مَغْفِرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُفَرِّدُوا مَا بَاتُوا فِيهَا﴾ [الأنفال: ٥٣]، [ق/١٣٦] وقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ذكر عند ذكر النعمة لم يكن إشارة إلى الحكم في كل زمان تذكيراً بالنعمة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ نفيًا واحداً عاماً عند ذكر العذاب، لثلاث يتكرر ذكر العذاب ويتكرر ذكر النعمة، لا للمنة بل للتنبيه على سعة الرحمة.

وكذلك قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا﴾ [مریم: ٧] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مریم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، في جميع مواضع ما حصل المذكور أموراً لا يتوقع تجدها، وفي جميع المواضع لم يحصل توقع تجدد المذكور.

فاستمسك بما ذكرنا واجعله أصلاً فإنه من المواهب الربانية (٢).



(١) سقط من م.

(٢) في م: «انتهى الجزء الأول من تجزئة المؤلف».

النوع الساس والأربعون

في [ذكر ما تيسر من] ^(١) أساليب القرآن وفنونه البليغة

وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب، وهو بيت القصيدة، وأول الجريدة، وغرة الكتيبة، وواسطة القلادة، ودرة التاج، وإنسان الحدقة؛ على أنه قد تقدمت الإشارة للكثير من ذلك.

اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه وهو أرق من الشعر، وأهول من البحر، وأعجب من السحر، وكيف لا يكون وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين ما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما تضمنه [من] ^(٢) الحلاوة وجلله في رونق الطلاوة؛ مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى.

وشذ بعضهم فزعم أن موضع صناعة البلاغة فيه، إنما هو المعاني فلم يعدّ الأساليب البليغة والمحاسن اللفظية.

والصحيح أن الموضوع مجموع المعاني والألفاظ، إذ اللفظ مادة الكلام الذي منه يتألف، ومتى أخرجت الألفاظ عن أن تكون موضوعاً خرجت عن جملة الأقسام المعتمدة، إذ لا يمكن أن توجد إلا بها.

وها أنا القي إليك منه ما يقضي له البليغ عجباً، ويهتز به الكاتب طرباً:

فمنه التوكيد بأقسامه، والحذف بأقسامه الإيجاز، التقديم، والتأخير، القلب، المدرج، الاقتصاص، التغليب الالتفات، التضمين، وضع الخبر موضع الطلب، وضع الطلب موضع الخبر، وضع النداء موضع التعجب، وضع جملة القلة موضع الكثرة، تذكير المؤنث، تأنيث المذكر، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، عكسه، مشاكلة اللفظ للمعنى، النحت، الإبدال المحاذاة، قواعد في النفي والصفات، إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة، الإعراض عن صريح الحكم، الهدم، التوسع، الاستدراج، التشبيه الاستعارة، التورية، التجريد، التجنيس، الطباق، المقابلة، إجماع الخصم بالحجة، التقسيم، التعديد، مقابلة الجمع بالجمع، قاعدة فيما ورد في القرآن مجموعاً تارة، ومفرداً أخرى، وحكمة ذلك، قاعدة أخرى في الضمائر، قاعدة في السؤال والجواب، الخطاب بالشئ عن اعتقاد المخاطب، التأدب في الخطاب، تقديم ذكر الرحمة على العذاب، الخطاب

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

بالاسم، الخطاب بالفعل، قاعدة في ذكر الموصولات، والظرف تارة وحذفها أخرى، قاعدة في النهي، ودفع التناقض عما يوهم ذلك، وملاك ذلك الإيجاز، والإطناب، قال صاحب الكشاف: كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال، والإيجاز أن يُجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل، ويشعب: وأنشد الجاحظ:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة [الرقباء] (١)

الأسلوب الأول التأكيد

والقصد منه الحمل على ما لم يقع، ليصير واقعاً ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي، ولا الحاضر لثلاثا يلزم تحصيل الحاصل؛ وإنما يؤكد المستقبل وفيه مسائل:

الأولى: جمهور الأمة على وقوعه في القرآن والسنة، وقال قوم: ليس فيهما تأكيد ولا في اللغة، بل لا بد أن يفيد معنى زائداً على الأول، واعترض المحدثون على القرآن والسنة بما فيهما من التأكيدات وأنه لا فائدة في ذكرها، وأن من حق البلاغة في النظم إيجاز اللفظ واستيفاء المعنى وخير الكلام، ما قل ودل ولا يمل، والإفادة خير من الإعادة وظنوا أنه إنما يجيء لقصور النفس عن تأدية المراد بغير تأكيد، ولهذا أنكروا وقوعه في القرآن.

وأجاب الأصحاب بأن القرآن نزل على لسان القوم وفي لسانهم التأكيد والتكرار، وخطابه أكثر، بل هو عندهم معدود في الفصاحة والبراعة، ومن أنكروا وجوده في اللغة فهو مكابر إذ لولا وجوده لم يكن لتسميته تأكيداً فائدة، فإن الاسم لا يوضع إلا لمسمى معلوم لا فائدة فيه بل فوائد كثيرة كما سنبينه.

الثانية: حيث وقع فهو حقيقة، وزعم قوم أنه مجاز؛ لأنه لا يفيد إلا ما أفاده المذكور الأول حكاة الطرطوسي في العمدة؛ ثم قال: ومن سمى التأكيد مجازاً؟ فيقال له: إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو عجل عجل ونحوه، فإن جاز أن يكون الثاني مجازاً جاز في الأول، لأنهما في لفظ واحد، وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني عليه، لأنه [مثل] (٢) الأول.

الثالثة: أنه خلاف الأصل؛ فلا يحمل اللفظ على التأكيد إلا عند تعذر حمله على [فائدة] (٣)

محددة.

الرابعة: أنه يكفي في تلك بأي معنى كان وشرط. وما قاله ضعيف، لأن المفهوم من دلالة اللفظ ليس من باب الألفاظ حتى يحدو به حدو الألفاظ.

(١) من قول أبي دؤاد بن جرير الإيادي. «البيان والتبيين» (١/٣٨-٩٦).

(٢) في المطبوع: مدة.

(٣) في المطبوع: قبل.

الخامسة: في تقسيمه: وهو صناعي- يتعلق باصطلاح النحاة- ومعنوي، وأقسامه. كثيرة، فلنذكر ما تيسر منها.

القسم الأول التوكيد الصناعي

وهو قسمان: لفظي ومعنوي. فاللفظي تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه، فمن المرادف ﴿فَجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: ٣١] ، ﴿صَيِّفًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] ، في قراءة كسر الراء^(١) . ﴿وَعَرَكَيْبُ سُوْدٌ﴾ [فاطر: ٢٧] .

وجعل الصفار منه قوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] على القول بأن كلاهما للنفى.

واللفظي يكون في الاسم النكرة بالإجماع، نحو: ﴿قَوَائِرًا﴾^(١٥) ﴿قَوَائِرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] ، وجعل ابن مالك وابن عصفور [منه] ﴿دَكَدَكَ﴾ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ وهو مردود لأنه جاء في التفسير أن معنى: ﴿دَكَدَكَ﴾ [دكًا] بعد دك، وأن الدك كرر عليها حتى صار هباءً منثورًا، وأن معنى ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أنه تنزل ملائكة كل سماء يصطفون صفًا بعد صف، محدقين بالإنس والجن. وعلى هذا فليس الثاني منهما تكرارًا للأول بل المراد به التكرير، نحو: جاء القوم رجالًا رجالًا، وعلمته الحساب بابًا بابًا.

وقد ذكر ابن جني في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] ، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [الواقعة: ٤] أن ﴿رُجَّتِ﴾ بدل من ﴿وَقَعَتِ﴾ وكررت ﴿إِذَا﴾ تأكيدًا لشدة امتزاج المضاف بالمضاف إليه.

ويكون في اسم الفعل، كقوله تعالى: ﴿هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوَعَّدُونَ﴾ [ق/ ١٣٧] [المؤمنون: ٣٦] وفي الجملة نحو: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١٦) ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] . ولكون الجملة الثانية للتوكيد، سقطت من مصحف ابن مسعود، ومن قراءته^(٢) .

والأكثر فصل الجملتين بضم، كقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾^(١٧) ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ﴾ [الأنفطار: ١٧-١٨] ، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١٨) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكوير: ٣-٤] .

ويكون في المجرور، كقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٨] ، والأكثر فيه اتصاله بالمذكور.

وزعم الكوفيون أنه لا يجوز الفصل بين التوكيد المؤكد، قال الصفار في شرح سيبويه: والسماع

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي: (حَرَجًا) مفتوحة الراء. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: (حَرَجًا) مكسورة الراء. وروى حفص عن عاصم: (حَرَجًا) مثل أبي عمرو. الحجة (٣/ ٤٠٠-٤٠١)، والسبعة (ص/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٧٢).

يرده، قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [مؤد: ١٩] ، فإن (هم) الثانية تأكيد للأولى . وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِلُوا فِي الْبَيْتِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [مؤد: ١٠٨] . وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] ألا ترى أن قبله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ [البقرة: ٨٩] فأكد «لما» وبينهما كلام، وأصله: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] فكرر للطول الذي بين «لما» وجوابها . وقوله: ﴿أَعْبُدُوا أَنْكُرًا إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُرٌ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] في أحد القولين لأنه أكد «أن» بعد ما فصل .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٣] [. . .]^(١) ريب أنهم اجتمعوا في الهلاك وأن قوم موسى اجتمعوا في النجاة .

ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَأَتَوْفٍ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣] ، فلم يُرد بهذا أن يجتمعوا عنده، وإن جاءوا واحداً بعد واحداً؛ وإنما أراد اجتماعهم في المعنى إليه، وألا يتخلف منهم أحد، وهذا يعلم من السياق والقرينة .

ومن القرينة الدالة على ذلك في قصة الملائكة لفظاً أن قوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾ يفيد الشمول والإحاطة، فلا بد أن يفيد: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ قدراً زائداً على ذلك، وهو اجتماعهم في السجود هذا في اللفظ، وأما المعنى فلأن الملائكة لم تكن ليتخلف أحد منهم عن امتثال الأمر، ولا يتأخر عنده ولا سيما وقد وُت لهم بوقت، وحد لهم بحد، وهو التسوية ونفخ الروح، فلما حصل ذلك سجدوا وكلهم عن آخرهم في آن واحد، ولم يتخلف منهم أحد؛ فعلى هذا يخرج كلام المبرد [و] ^(٢) الزمخشري .

وما نقل عن بعض المتكلمين أن السجود لم يستعمل على الكل بدليل قوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ، مردود، بل «العالمون» المتكبرون، وفي رسائل إخوان الصفاء أن العالمين هم العقول العاقة التي لم تسجد، وهذا تحريف، ولم يقم دليل على إثبات العقول التي تدعيها الفلاسفة .

ووقع خلاف في أن إبليس من الملائكة، أم لا؟ والتحقيق أنه ليس منهم عنصراً ففي صحيح مسلم: «خلقت الملائكة من نور، [وخلقت] ^(٣) الجان ^(٤) من النار، وخلق آدم مما وصف لكم» ^(٥) ، وهو منهم حكماً لدخوله في الخطاب بالأمر بالسجود معهم، ولو كان من غيرهم لم يدخل معهم .

وأما قوله: ﴿إِلَّا مَا لَوْ لَطُفَ إِنَّا لَسَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩] فلم يذكر قبله «كلهم»، لما لم يكن المراد كل واحد واحد من الآية لم تحسن الزيادة في التأكيد، بدليل الاستثناء بعده من قوله: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَمُرُّ﴾ .

(١) بياض بالأصل .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في مسلم: خلق .

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) .

(٤) في مسلم: من مارج .

ومنها: قصد تحقيق المخبر به كقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ [البقرة: ٣٠]، فأكد بيان وباسم الفاعل مع أنهم ليسوا بشاكين في الخبر.

ومثله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال حاكيا عن نوح: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ [نوح: ٢٧].

ومنها: قصد إغاطة السامع بذلك الخبر، كقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣].

ومنها الترغيب: كقوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] أكده بأربع تأكيدات، وهي:

إن وضمير الفصل، والمبالغتان مع الصفتين له؛ ليدل على ترغيب الله العبد في التوبة، فإنه إذا علم

ذلك طمع في عفوه. وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّانٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ومنها الإعلام بأن المخبر به

كله من عند المتكلم، كقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]، دون الاقتصار على (يأتيَنَّكم

هدى)، قال المفسرون: فيه إشارة إلى أن الخير كله منه.

وعليه قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن

رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤].

ومنها التعريض بأمر آخر. كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦]، وقول موسى:

﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ إِلَىٰ مَن خَيْرٍ فَعَيَّرْتُكَ﴾ [القصص: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ [ال

عمران: ٣٦]، تعريضا بسؤال قبولها، فإنها كانت تطلب للندر ذكرا.

تفبيهان

الأول: قالوا: إنما يؤتى به للحاجة، للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب سادجا

ألقى [إليه] ^(١) الكلام خاليا عن التأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد وإن كان منكرا

وجب تأكيده، وبراعى في القوة والضعف بحسب حال المنكر؛ كما في قوله تعالى عن رُسل عيسى:

﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ...﴾ [يس: ١٦] الآية، وذلك أن الكفار نفوا رسالتهم بثلاثة أشياء، أحدها: قولهم: ﴿مَا

أَسْتُرَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥]، والثاني قولهم: ﴿مَا أَسْتُرَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، والثالث: قولهم: ﴿إِنْ أَسْتُرَ

إِلَّا تَكْذِيبُونَ﴾، فقولوا على نظيره بثلاثة أشياء: أحدها: قولهم: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ...﴾، ووجه التأكيد فيه

أنه في معنى قَسَمَ، والثاني قوله: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، والثالث قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧].

وقد ينزل المنكر كغير المنكر وعكسه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَسْتُونَ﴾ ^(٢)

﴿إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦]. أكدت الإمامة تأكيدين وإن لم يتكروا، لتنزيل المخاطبين

(١) في م: عليه.

لتماديهم في الغفلة، منزلة من ينكر الموت، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً، وإن كان أكثر، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالألا يتكرر ويتردد فيه، حثاً لهم على النظر في أدلته الواضحة.

الثاني: قال التنوخي^(١) في [الأقصى القريب]^(٢): إذا قصدوا مجرد الخبر أتوا بالجملة الفعلية، وإن أكدوا فبالاسمية، ثم بأن، ثم بها وباللام، وقد تؤكد الفعلية بقدر. وإن احتيج بأكثر جيء بالقسم مع كل من الجملتين، وقد تؤكد الاسمية باللام فقط، نحو: «لزيت قائم» وقد تجمي مع الفعلية مضمرة بعد اللام، وحاصله أن الخطاب على درجات: قام زيد، ثم لقد قام - فإنه جعل الفعلية كأنها دون الاسمية - ثم إن زيدياً قائم، ولزيت قائم.

ما يلتحق بالتأكيد الصناعي

ويلتحق بالتأكيد الصناعي أمور:

أحدها: تأكيد الفعل بالمصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ زَكَاةٍ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]. وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ وَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا﴾ [الطور: ٩-١٠]، ﴿وَمِمَّا تَرَىٰ مِنَ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿فَذَكَّا دَكَّةً ۖ وَجِدَّةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] وهو كثير.

قالوا: وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، فقولك: «ضربت ضرباً» [بمنزلة قولك: «ضربت، ضربت»]^(٣) ثم عدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالفرد.

وليس منه قوله تعالى: ﴿وَتَطَّوَّنَ بِاللَّهِ الطُّتُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، بل هو جمع «ظن» وجمع لاختلاف أنواعه قاله ابن الدهان.

ثم اختلفوا في فائدته، فقيل: إنه يرفع المجاز عن الفاعل، فإنك تقول: «ضرب الأمير اللص»، ولا يكون باشر، بل أمر به فإذا قلت: «ضرباً» علم أنه باشر.

ومن نص على ذلك ثعلب في (أماليه)، وابن عصفور في شرح (الجمل الصغير).

والصواب: أنه إنما يرفع الوهم عن الحديث لا عن المحدث عنه، فإذا قلت: (ضرب الأمير) احتمال مجازين، أحدهما: إطلاق الضرب على مقدماته، والثاني: إطلاق الأمير على أمره، فإذا أردت رفع الأول أتيت بالمصدر، فقلت: ضرباً وإن أردت الثاني قلت: «نفسه» أو «عينه».

ومن [هذا]^(٤) [ق/١٣٨] يعلم ضعف استدلال أصحابنا على المعتزلة في إثبات كلام الله

(٢) في المطبوع: أقصى القرب.

(٤) في م: هنا.

(١) الأقصى القريب (ص/٩٩).

(٣) سقط من م.

لموسى، في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فإنه لما أريد كلام الله نفسه قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾ ودل على وقوع الفعل حقيقة، أما تأكيد فاعله فلم يتعرض له. ولقد [استخف] (١) عقل من تأوله على أنه كلمه بأظفار المحن؛ من الكلم وهو الجرح، لأن الآية مسوقة في بيان الوحي، ويحكى أنه استدل بعض علماء السنة على بعض المعتزلة في إثبات التكليم حقيقة بالآية من جهة أن المجاز لا يؤكد، فسلم المعتزلي له هذه القاعدة وأراد دفع الاستدلال من جهة أخرى، فادعى أن اللفظ إنما هو: «وكلم الله موسى» بنصب لفظ الجلالة، وجعل موسى فاعلاً بـ (بكلّم) وأنكر القراءة المشهورة، وكابر، فقال السني: فماذا تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الاعراف: ١٤٣] ١؟ فانقطع المعتزلي عند ذلك.

قال ابن الدهان: وما يدل على أن التأكيد لا يرفع المجاز قول الشاعر:
 قرعت ظنابيب الهوى يوم عالج ويوم اللوى حتى قسرت الهوى قسرا
 قلت: وكذا قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠].
 وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمَّ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]، فمفعول ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ محذوف، أي: الدعاء والإنذار ونحوه.

فإن قلت: التأكيد ينافي الحذف، فالجواب من وجهين:
 أحدهما: أن المصدر لم يؤت به هنا للتأكيد، وإن كان بصورته؛ لأن المعنى ليس على ذلك، وإنما أتى به لأجل الفواصل، ولهذا لم يؤت بمصدر ﴿أَعْلَتُ﴾، وهو مثله.
 والثاني: أن (أسرّ) وإن كان متعدياً في الأصل، إلا أنه هنا قُطِعَ النظر عن مفعوله، وجعل نسيباً، كما في قوله: «فلان يعطى ويمنع»، فصار لذلك كاللازم، وحينئذ فلا منافاة بين المجيء به بالمصدر لو كان. ثم التأكيد بالمصدر تارة يجيء من لفظ الفعل كما سبق، وتارة يجيء من مرادفه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ [نوح: ٨]، فإن الجهار أحد نوعي الدعاء، وقوله: ﴿لِيَأْتِيَ بِالسِّنِينَ﴾ [النساء: ٤٦] فإنه منصوب بقوله: ﴿يَحْمِرُونَ الْكَلِمَ﴾ لأن ﴿لِيَأْتِيَ﴾ نوع من التحريف.
 ويحتمل أن يكون منه: ﴿أَتَأَخَذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ [النساء: ٢٠] لأن البهتان ظلم، والأخذ على نوعين: ظلم وغيره.

وزعم الزمخشري (٢) [أن] (٣) قوله: ﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾، وضع [نافلة] موضع، (تهجداً)؛ لأن التهجد عبادة زائدة، فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد.

(١) في المطبوع: سخف.

(٢) الكشاف (٢/٦٨٧).

(٣) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ قيل: كأن الأصل تكرر الصدق بلفظه فاستقل التكرار للتقارب، فعدل إلى ما يجاربه خفة، ولتجرى المصادر الثلاثة مجرى واحد خفة ووزنًا، إحرارًا للتناسب.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨]، ففائدة: ﴿إِخْرَاجًا﴾ أن المعاد في الأرض هو الذي يخرجكم منها بعينه، دفعًا لتوهم من يتوهم أن المخرج منها أمثالهم وأن المبعوث الأرواح المجردة.

فإن قيل: هذا يبطل بقوله تعالى: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، فإنه أكد بالمصدر، وليس المراد حقيقة النبات.

قلت: لا جرم حيث لم يُرد الحقيقة هنا لم يؤكد بالمصدر الحقيقي القياسي، بل عدل به إلى غيره، وذلك لأن مصدر: أنبت «الإنبات» والنبات اسمه لا هو، كما قيل في «الكلام» و«السلام»: اسمن للمصدر الأصلي، الذي هو «التكليم»، و«التسليم» وأما قوله: ﴿وَيَبْتَلُ إِلَيْهِ تُبَيْلًا﴾ [الزمل: ٨]، وإن لم يكن جاريًا على «بتل»، لكنه ضمن معنى «بتل نفسك بتبلاً».

ومثله قوله: ﴿وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يَقُولُونَ نَؤُودًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣] قال أبو البقاء^(١): هو موضع (تعاليا) لأنه مصدر قوله: ﴿وَتَعَلَّىٰ﴾، ويجوز أن يقع مصدرًا في موضع آخر من معناه، وكذا قال الراغب^(٢)، قال: وإنما عدل عنه لأن لفظ التفاعل من التكلف، كما يكون من البشر.

وأما قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ مَوْرًا ﴿١٠﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩-١٠] فقال بعضهم: الجملة الفاعلية تحتل المجاز في مفرديهما جميعًا، وفي كل منهما؛ مثاله هاهنا، أنه يحتمل أن المجاز في «تَمُورُ» وأنها ما تمور، بل تكاد أو يَحْتَمِلُ إلى الناظر أنها تمور، ويحتمل أن المجاز في السماء، وأن المور الحقيقي لسكانها وأهلها لشدة الأمر.

وكذلك الكلام في: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾، فإذا رفع المجاز عن أحد جزأي الجملة نفى احتمالها في الآخر، فلم تحصل فائدة التأكيد.

وأجيب بهذه القاعدة: وهي أن «مَوْرًا» في تقدير تمور، فكأنه قال: «تمور السماء، تمور السماء»، و«تسير الجبال، تسير الجبال»، فأكد كلاً من الجزأين بنظيره، وزال الإشكال.

وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠] فيحتمل أن يكون «شَيْئًا» من تأكيد الفعل بالمصدر، كقوله: (بعث بيعة) ويجوز أن يكون الشيء بمنزلة الأمر والتبيان؛ والمعنى، «إلا أن يشاء ربي

(١) البيان (٩٢/٢)

(٢) مفردات القرآن (ص/ ٥٨٤) بتصرف يسير.

أمراً أو وضع موضع المصدر، وانظر كيف ذكر مفعول المشيئة، وقول البيانين: إنه يجب حذفه إذا كان عامًّا وأما قوله تعالى: ﴿دَكَّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، فالمراد به التابع، أي: دكًّا بعد دك، وكذا قوله: ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي: صفًّا يتلوه صف، ولو اقتصر على الواحد لا يمتثل صفًّا واحدًا.

وأما قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] فإن إضافة الزلزال إليها يفيد معنى ذاتها وهو زلزالها المختص بها، المعروف منها المتوقع، كما تقول: غضب زيد غضبه، وقاتل زيد قتاله، أي: غضبه الذي يعرف منه وقتاله المختص به، كقوله:

أنا أبو النجم وشيخري شيخري (١)

واعلم أن القاعدة في المصدر المؤكد أن يجيء اتباعاً لفعله نحو: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقد يخرج عنها نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَلَّ إِلَيْهِ تَبْيِينًا﴾ [الزمر: ٨]، وقوله تعالى: ﴿قَائِلٌ أَعْدِبُهُمْ عَذَابًا﴾ [المائدة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ولم يقل: «تبتلاً» و«تعديباً» و«إقراضاً» و«إنباتاً». وواختلف في ذلك على أقوال:

أحدها: أنه وضع الاسم منها موضع المصدر.

والثاني: أنه منصوب بفعل مضمر يجرى عليه المصدر، ويكون ذلك الفعل الظاهر دليلاً على المضمر؛ فالمعنى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، فبتتم نباتاً وهو قول المبرد، واختاره ابن خروف وزعم أنه مذهب سيبويه، وكذا قال ابن يعيش ونازعه ابن عصفور.

والثالث: أنها منصوبة بتلك الأفعال الظاهرة وإن لم تكن جارية عليها.

والرابع: التفصيل بين أن يكون معنى الفعل غير معبر بمعنى مصدر ذلك الفعل الظاهر، فهو منصوب بفعل مضمر، يدل عليه ذلك الفعل الظاهر، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أي: وبتتم، وساغ إضماره لأنهم إذا أنبتوا فقد نبتوا، ولا يجوز في غير ذلك أن ينصب بالظاهر، لأن الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه أو تبيين معناه، وإذا كان المصدر مغايراً للمعنى الفعل الظاهر؛ لم يحصل بذلك الغرض المقصود، لأن «النبات» ليس بمعنى الإنبات، وإذا لم يكن بمعناه فكيف يؤكد أو يبينه.

وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فإنما ذكر قوله: ﴿بِدِينٍ﴾ مع ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ يدل عليه لوجه:

أحدها: ليعود الضمير في ﴿فَأَكْتُتِبُوهُمْ﴾ عليه إذ لو لم يذكره لقال: «فاكتبوا الدين»، ذكره

(١) تقدم، وهو لأبي النجم العجلي.

الزنجشري^(١)، وهو ممنوع لأنه كان يمكن أن يعود على المصدر المفهوم من ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ لأنه [ق/ ١٣٩] يدل على الدين.

الثاني: أن ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ مفاعلة من (الدَّيْنِ)، ومن «الدَّيْنِ»، فاحتجج إلى قوله: ﴿بَدَيْنَ﴾ لبيان أنه من (الدَّيْنِ) لا من «الدَّيْنِ». وهذا أيضًا فيه نظر، لأن السياق يرشد إلى إرادة الدين.

الثالث: أن قوله: ﴿بَدَيْنَ﴾ إشارة إلى امتناع بيع الدَّيْنِ بالدَّيْنِ كما فسر قوله ﷺ، وهو بيع الكالئ بالكالئ ذكره الامام فخر الدين.

وبيانه أن قوله تعالى: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ مفاعلة من الطرفين، وهو يقتضي وجود الدَّيْنِ من الجهتين، فلما قال: ﴿بَدَيْنَ﴾ علم أنه دين واحد من الجهتين.

الرابع: أنه أتى به ليفيد أن الإشهاد مطلوب، سواء كان الدَّيْنِ صغيرًا أو كبيرًا، كما سبق نظيره في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]. ويدل على هذا ما هنا قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا تَسْمُرُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجْلٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الخامس: أن ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ مشترك بين الاقتراض، والمبايعة، والمجازاة، وذكر (الدَّيْنِ) لتمييز المراد، قال الحماسي^(٢):

ولم يبق سوى العدو ن دئاهم كما دانوا
ونظير هذه الآية في التصريح بالمصدر مع ظهوره فيما قبله قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقُبُولِ
حَسَنٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١]، وقوله: ﴿سَأَلَّ
سَائِلًا﴾ [المعارج: ١]، فيقال: ما الحكمة في التصريح بالمصدر فيهما أو بضميره مع أنه مستفاد مما قبله؟
وقد يجيء التأكيد به لمعنى الجملة، كقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] فإنه
تأكيد لقوله تعالى: ﴿تَحْسَبًا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، لأن ذلك صنع الله، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ
اللَّهُ﴾ [الروم: ٦] تأكيد لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُذْ قَرِحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصَرُ اللَّهُ﴾ [الروم: ٤-٥] لأن هذا وعد الله.
وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِإِنْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، انتصب
﴿كَتَبْنَا﴾ على المصدر، بما دل عليه السياق، تقديره: و«كتب الله» لأن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِإِنْسٍ أَنْ
تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يدل على «كتب».

وقوله تعالى: ﴿يَكْتُبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ [النساء: ٢٤]، تأكيد لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ . . .﴾ الآية [النساء: ٢٣]، لأن هذا مكتوب علينا، وانتصب المصدر بما دل عليه سياق الآية، فكأنه فعل تقديره: «كتب الله عليكم».

(٢) هو الفند الزماني.

(١) الكشاف (١/ ٣٢٥).

وقال الكسائي: انتصب «بعليكم» على الإغراء، وقدم المنصوب، والجمهور على منع التقدير.
 وقوله: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٨]، تأكيد لقوله: ﴿فَإِنَّمَا آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَتْ بِهِ فَقَدْ آهَتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٧] لأن هذا دين الله، وقيل: منصوبة على الأمر.
 وقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] منصوبة على المصدر بما دل عليه الكلام، لأن الزلفى مصدر كالرجعي «ويقربونا» يدل على (يزلفونا) فتقديره: «يزلفونا زلفى».
 وقد يجيء التأكيد به مع حذف عامله، كقوله: ﴿فَإِنَّمَا مَتَابَعِدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ [محمد: ٤]، والمعنى: «فإنما تمتونا متًا، وإما أن تفادوا فداء»، فهما مصدران منصوبان بفعل مضمر.
 وجعل سيبويه من المصدر المؤكد لنفسه، قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] لأنه إذا أحسن كل شيء فقد خلقه خلقًا حسنًا، فيكون ﴿خَلَقَكُمْ﴾ على معنى (خلقهم خلقًا)، والضمير هو الله تعالى.

ويجوز أن يكون بدل اشتمال، أي: أحسن خلق كل شيء^(١).

قال الصفار: والذي قاله سيبويه أولى الأمرين أن في هذا إضافة المصدر إلى المفعول وإضافته إلى الفاعل أكثر، وأن المعنى الذي صار إليه أبلغ في الامتنان، وذلك أنه إذا قال ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فهو أبلغ من قولك: «أحسن خلق كل شيء» لأنه قد يحسن الخلق، وهو المحاولة، ولا يكون الشيء في نفسه حسنًا، وإذا قال: أحسن كل شيء^(٢) اقتضى أن كل شيء خلقه حسن بمعنى: أنه وضع كل شيء موضعه فهو أبلغ في الامتنان.

فائدتان

الأولى: هل الأولى التأكيد بالمصدر أو الفعل؟ قال بعضهم: المصدر أولى؛ لأنه اسم، وهو أخف من الفعل، وإيضًا فلأن الفعل يتحمل الضمير فيكون جملة فيزداد ثقلًا، ويحتمل أن الفعل أولى لدلالته على الاستمرار.

الثانية: حيث أكد المصدر النوعي، فالأصل فيه أن يُنعت بالوصف المراد منه، نحو: «قمت قيامًا حسنًا»، ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وقوله: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].
 وقد يضاف الوصف إلى المصدر، فيعطي حكم المصدر، قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الثاني: الحال المؤكدة وهي الآتية على حال واحدة عكس الميئة، فإنها لا تكون إلا متقلة، وهي

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

لتأكيد الفعل كما سبق في المصدر المؤكد لنفسه، وسُميت مؤكدة لأنها تعلم قبل ذكرها [فيكون ذكرها] ^(١) توكيداً، لأنها معلومة من ذكر صاحبها.

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْتُ حَيًّا﴾ [مریم: ٣٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

﴿فَبَسَّرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]، لأن معنى (تبسم) ضحك مسروراً.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، وذكر الإعراض للدلالة على

تناهي حالهم في الضلال.

ومثله: ﴿أَقْرَبْتُمْ وَأَنْتُمْ فَشَاهِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]، إذ معنى الإقرار أقرب من الشهادة، ولأن

الإعراض والشهادة حالان لهم عند التولي والإقرار.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْجَنَّةَ الْيُسْفَيْنَ غَيْرَ يَمِينٍ﴾ [ق: ٣١].

وقوله: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨]، فإنه حال مؤكدة لقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ

سُئِلُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٨]، وبهذا يزول الإشكال في أن شرط الحال الانتقال، ولا يمكن

ذلك هنا، فإننا نقول: ذلك شرط في غير المؤكدة، ولما لم يقف ابن جنى على ذلك قَدَّرَ محذوقاً أي:

معتقداً خلودهم فيها، لأن اعتقاد ذلك أمر ثابت عند غير المؤمنين، فلهذا ساغ مجيئها غير منتقلة.

ومنهم من نازع في التأكيد في بعض ما سبق، لأن الحال المؤكدة مفهومها مفهوم عاملها، وليس

كذلك التبسم والضحك، فإنه [قد] ^(٢) يكون من غير ضحك بدليل قوله: «تبسم تبسم الغضبان».

وكذلك التولية والإدبار، في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مُدْبِرًا﴾، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] فإنهما

بمعنيين مختلفين، فالتولية أن يولَّى الشيء ظهره، والإدبار أن يهرب منه، فليس كل مول مدبراً، ولا

كل مدبر مولياً.

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، فلو كان

أصم مقبلاً لم يسمع، فإذا ولي ظهره كان أبعد له من السماع، فإذا أدبر مع ذلك كان أشد لبعده عن

السماع.

ومن الدليل على أن التولي لا يتضمن الإدبار قوله: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة

: ١٤٤]، فإنه بمعنى الإقبال.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ إشارة إلى استمراره في الهروب وعدم رجوعه، يقال: فلان ولي إذا رجع، وكل راجع مُعقِب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت .
وكذلك قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، قيل: ليست بمؤكدَة لأن الشيء المرسل قد لا يكون رسولاً كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] .
وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، جعلها كثير من المعربين مؤكداً، لأن صفة الحق التصديق .

قيل: ويحتمل أن يريدوا به تأكيد العامل، وأن يريدوا به تأكيد ما تضمنته الجملة .
ودعوى التأكيد غير ظاهرة، لأنه يلزم من كون الشيء حقاً في نفسه أن يكون مصدقاً لغيره، والفرض أن القرآن العزيز فيه الأمران؛ وهو كونه حقاً، وكونه مصدقاً لغيره من الكتب فالظاهر أن: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مبينة لا مؤكداً، ويكون العامل فيها «الحق» لكونه بمعنى الثابت، وصاحب الحال الضمير الذي تحمّله الحق لتأوله بالمشتق .

وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فقائماً حال مؤكداً، لأن الشاهد [بأنه] ^(١) لا إله إلا هو قائم بالقسط فهي لازمة مؤكداً، وقد وقعت بعد الفعل والفاعل .
قال ابن أبي الربيع: ويجوز أن يكون حالاً على جهة [ق/ ١٤٠] أخرى، على معنى (شهد الله أنه منفرد بالربوبية، وقائم بالقسط) فإنه سبحانه بالصفتين لم ينتقل عنهما، فهو متصف بكل واحدة منهما في حال الاتصاف بالأخرى، وهو سبحانه لم يزل بهما لأن صفاته ذاتية قديمة .

فائدة

[عن صاحب المفصل ^(٢) في وقوع الحال بعد الجملة الاسمية]

قال صاحب (المفصل): لا تقع المؤكدة إلا بعد الجملة الاسمية، وهو خلاف قول أبي علي ^(٣) أنها تكون بعد الجملتين، محتجاً بما سبق، وكذا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُدْرِكُكَ وَعَقِبُكَ﴾ [النمل: ١٠] (فلمدبرين) (ومدبراً) حال مؤكدة لفعل التولية .

فصل في أدوات التأكيد

مؤكدات الجمل الاسمية

الأول: [التأكيد بـ «إن»] ^(٤) قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [فاطر: ٥]، وقوله تعالى:

(٢) (ص/ ٦٢) .

(١) في المطبوع: به .

(٤) سقط من م .

(٣) الحجة (٥/ ٤٠٣) .

﴿أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ، وهي أقوى من التأكيد باللام ، كما قاله عبد القاهر في «دلائل الإعجاز»^(١) ، قال : وأكثر مواقع «إن» بحكم الاستقراء هو الجواب ، لكن بشرط أن يكون للسائل فيه ظن بخلاف ما أنت تجيبه به ، فاما أن تجعل مرد الجواب أصلاً فيها فلا ، لأنه يؤدي إلى قولك :

صالح في جواب : زيد؟ حتى تقول : إنه صالح ، ولا قائل به ، بخلاف اللام فإنه لا يلحظ فيها غير أصل الجواب .

وقد يجيء مع التأكيد في تقدير سؤال السائل إذا تقدمها من الكلام ما يلوح نفسه للنفس ، كقوله تعالى : ﴿أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾ ، أمرهم بالقوى ثم علل وجوبها مجيئاً لسؤال مقدر بذكر الساعة ، واصفاً لها بأهول وصف ، ليقرر عليه الوجوب . وكذا قوله تعالى : ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [هود: ٣٧] ، أي لا تدعني في شأنهم واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ، لأنهم محكوم عليهم بالإغراق ، وقد جف به القلم فلا سبيل إلى كفه عنهم .

ومثله في النهي عن الدعاء لمن وجبت شقاوته قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَانًا﴾ [البقرة: ٢٣] ، وبما أوردته في «البرهان» من أن «أنت» قد جاءت أمر ربيك ولأنهم ما بينهم عذاب غير مردود [هود: ٧٦] .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتُمْ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] ، فإن قوله تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ أوردت للمخاطب حيرة : كيف لا ينزه نفسه مع كونها مطمئنة زكية ! فأزال حيرته بقوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾ في جميع الأشخاص ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا المعصوم .

وكذا قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] . واعلم أن كل جملة صدرت بإن مفيدة للتعليل وجواب سؤال مقدر ؛ فإن الفاء يصح أن تقوم فيها مقام «أن» مفيدة للتعليل ، حسن تجريدها عن كونها جواباً للسؤال المقدر ، كما سبق من الأمثلة .

وإن صدرت لإظهار فائدة الأولى لم يصح قيام الفاء مقامها ، كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ، بعد قوله : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] .

ومن فوائدها تحسين ضمير الشأن معها إذا فسر بالجملة الشرطية ، ما لا يحسن بدونها ، كقوله : ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يَتَّقِي وَرَضِيَ﴾ [يوسف: ٩٠] ، ﴿أَنْتُمْ مَنْ يُكَادِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٦٣] ، ﴿أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] ، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، وأما حسنة بدونها في قوله

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فلفوات الشرط.

الثاني: «أَنَّ» المفتوحة: نحو: «علمت أن زيدًا قائم»، وهي حرف مؤكد كالمكسورة، نص عليه النحاة.

واستشكله بعضهم قال: لأنك لو صرحت بالمصدر المنسب منها لم يفد توكيدًا، ويقال: التوكيد للمصدر المنحل لأن محلها مع ما بعدها المفرد، وبهذا يُفَرَّقُ بينها وبين «إِنَّ» المكسورة؛ فإن التأكيد في المكسورة للإسناد وهذه لأحد الطرفين.

الثالث: «كَأَنَّ» فيها التشبيه المؤكد إن كانت بسيطة، وإن كانت مركبة من كاف التشبيه «وإن» فهي متضمنة لأن فيها ما سبق وزيادة.

قال الزمخشري: والفصل^(١) بينه وبين الأصل، أي: بين قولك: «كأنه أسد»، وبين «إنه كالأسد» أنك مع كأن [بان]^(٢) على التشبيه من أول الأمر، وثم بعد مضي صدره على الإثبات.

وقال الإمام في «نهاية الإيجاز»: اشترك الكاف وكأن في الدلالة على التشبيه، وكان أبلغ وبذلك جزم حازم في «منهاج»^(٣) البلغاء^(٤) وقال: وهي إنما تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

الرابع: «لكن» لتأكيد الجمل، ذكره ابن عصفور، والتنوخي في «الأقصى»^(٥)، وقيل: للتأكد مع الاستدراك، وقيل: للاستدراك المجرد، وهي أن يثبت لما بعدها حكم يخالف ما قبلها، ومثلها «ليت» و«ولعل» و«ولعن» في لغة بني تميم، لأنهم يبدلون همزة «أَنَّ» المفتوحة عينًا، ومن ذكر أنها من المؤكدات التنوخي.

الخامس: لام الابتداء، نحو ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعْوَى﴾ [إبراهيم: ٣٩] وهي تفيد تأكيد مضمون الجملة، ولهذا حلقوها في باب «إن» عن صدر الجملة، كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين، ولأنها تدل بجهة التأكيد، وإن تدل بجهتين: العمل والتأكيد، والدال بجهتين مقدم على الدال بجهة كتنظيره في الإرث وغيره، وإذا جاءت مع «إن» كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، لأن «إن» أفادت التكرير مرتين، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثًا.

وعن الكسائي: أن اللام لتوكيد الخبر، و«إن» لتأكيد الاسم، وفيه تجوز لأن، لتأكيد إنما هو للنسبة لا للاسم والخبر.

(٢) في م: باق.

(٤) ضمن الجزء المفقود.

(١) (ص/٣٠١).

(٣) في المطبوع: منهج.

(٥) (ص/٩٩).

السادس: الفصل (١) وهو من مؤكدات الجملة، وقد نص سيبويه (٢) على أنه يفيد التأكيد، وقال في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنكُمَا لَوْ كُنَّا فَإِنَّا لَمَّا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]، ﴿أَنَا﴾ وصف للياء في ﴿تَرَىٰ﴾ يزيد تأكيداً، وهذا صحيح لأن المضمير يؤكد الضمير، وأما تأكيد المظهر بالمضمير، فلم يعهد ولهذا سماه بعضهم «دعامة»، لأنه يُدعم به الكلام، أي: يقوى ولهذا قالوا: لا يجاء مع التوكيد، فلا يقال: «زيد نفسه هو الفاضل» ووافق على ذلك ابن الحاجب في شرح (المفصل)، وخالف في أماليه فقال: ضمير الفصل ليس توكيداً، لأنه لو كان فإما لفظياً أو معنوياً، لا جائز أن يكون لفظياً لأن اللفظي إعادة اللفظ الأول كزيد زيد، أو معناه كقمت ﴿أَنَا﴾، والفصل ليس هو المسند إليه ولا معناه لأنه ليس مكنياً عن المسند إليه، ولا مفسراً ولا جائز أن يكون معنوياً لأن، ألفاظه محصورة، كالنفس والعين، وهذا منه نفي للتوكيد الصناعي ولبس للكلام.

وفي «البيسط» للواحدي عند قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، قال سيبويه (٣): دخل الفصل في قوله تعالى: ﴿يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنفَعَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [ال عمران: ١٨٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبا: ٦].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وذكر أن هذا بمنزلة ما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمْتُمْ﴾ [ال عمران: ١٥٩] انتهى.

السابع: ضمير البيان للمذكر، والقصة للمؤنث، ويقدمونه قبل الجملة نظراً لدلالته على تعظيم الأمر في نفسه، والإطناب فيه، ومن ثم قيل له: الشأن والقصة، وعادتهم إذا أرادوا ذكر جملة قد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبراً عنه، ومفسرة له، ويفعلون ذلك في مواضع التفخيم، والغرض منه أن يتطلع [ق/١٤١] السامع إلى الكشف عنه وطلب تفسيره، وحينئذ تورد الجملة المفسرة له.

وقد يكون لمجرد التعظيم، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤].

وقد يفيد معه الانفراد، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أي: المنفرد بالأحدية.

قال جماعة من النحاة: «هو» ضمير الشأن، «والله» مبتدأ ثان «وأحد» خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول، ولم يفتقر إلى عائد؛ لأن الجملة تفسير له، ولكونها مفسرة لم يجب تقديمها عليه، وقيل: هو كناية عن «الله» لأنهم سألوه أن يصف ربه فنزلت.

(١) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٥٨).

(٣) الكتاب (٢/٣٩١).

(٢) الكتاب (٢/١٦٤-١٦٦).

ومنه ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] ، ويجوز تأنيثه إذا كان في الكلام مؤنث ، كقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الصج: ٤٦] فالهاء في ﴿فَإِنَّهَا﴾ ضمير القصة و﴿تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ في موضع رفع خبر إن ، وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمُوا عَدُوًّا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] ، بقراءة الياء ، وأن (يعلمه) مبتدأ ، و(آية) الخبر ، والهاء ضمير القصة ، وأنت لوجود (آية) في الكلام .

الثامن : تأكيد الضمير ؛ ويجب أن يؤكد المتصل بالمتفصل ، إذا عطف عليه ، كقوله تعالى : ﴿أَتَكْفُرُ أَنْتَ وَرَجُلُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤] .

وقيل : لا يجب التأكيد ؛ بل يشترط الفاصل بينهما ، بدليل قوله تعالى : ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ، فعطف ﴿ءَابَاؤُنَا﴾ على المضمرة المرفوع ، وليس هنا تأكيد بل فاصل ، وهو ﴿لَا﴾ ، وهذا لا حجة فيه ، لأنها دخلت بعد واو العطف ؛ والذي يقوم مقام التأكيد إنما يأتي قبل واو العطف ، كالأيات المتقدمة ، بدليل قوله : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] .

ومنهم من لم يشترط فاصلاً ، بدليل قوله : ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الاعراف: ١١٥] ، فأكد السحرة ضمير أنفسهم في الإلقاء دون ضمير موسى ؛ حيث لم يقولوا : ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ أنت﴾ ، وفيه دليل على أنهم أحبو التقديم في الإلقاء ، لعلمهم بأنهم يأتون بسحر عظيم يقرر عظمتهم في أذهان الحاضرين ، فلا يرفعها ما يأتي بعدها على زعمهم ، وإنما ابتدءوا بموسى فعرضوا عليه البداءة بالإلقاء على عادة العلماء والصناع في تأديهم مع قرنائهم ، ومن ثم قيل : تادبوا تهذبوا .

وأجيب : بأنه إنما لم يؤكد في الآية لأنه استغنى عن التأكيد بالتصريح بالأولية في قوله : ﴿وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْقَوْلَىٰ﴾ [طه: ٦٥] ، وهذا جواب بياني لا نحوي .

فإن قيل : ما وجه هذا الإطناب ، وهلا قالوا : ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ﴾ ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : لفظي وهو المزوجة لرءوس الآي على سياق خواتمها ؛ من أول السورة إلى آخرها .
والثاني : معنوي ، وهو أنه سبحانه أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم عند أنفسهم على موسى ، فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه .

ذكر ذلك ابن جنني في «خاطرياته» ثم أورد سؤالاً ، وهو : إنا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صيغة الكلام ، وأجاب بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية ، إنما هو من معروف معانيهم ، وليست بحقيقة ألفاظهم ولهذا لا يشك في أن قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ﴾ [طه: ٦٣] إن هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم .

التاسع: تصدير الجملة بضمير مبتدأ يفيد التأكيد، ولهذا قيل بإفادة الحصر، ذكره الزمخشري في مواضع من كشافه.

قال في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]: معناه الحصر أي لا يؤمن بالآخرة إلا هم. وقال في قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١] أن معناه: لا ينشر إلا هم، وإن المنكر عليهم ما يلزمهم حصر الألوهية فيهم، ثم خالف هذه القاعدة لما خالف مذهبه الفاسد في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] فقال: هم هنا بمنزلتها في قوله:

هم يفرشون اللبد كل طِمْرَةٍ

في دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم، لا على الاختصاص. انتهى.

وبيانه أن مقتضى قاعدته في هذه الآية، يدل على خروج المؤمنين الفساق من النار، وليس هذا معتقده، فعدل عن ذلك إلى التأويل للآية بفائدة تتم له، فجعل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود لهم، لا اختصاصه بهم، وهم عنده بهذه المثابة لأن عصاة المؤمنين، وإن خلدوا في النار على زعمه إلا أن الكفار عنده أحق بالخلود، وأدخل في استحقاقه من عصاة المؤمنين فتخيل في تخريج الآية على قاعدة مذهبه من غير خروج عن قاعدة أهل المعاني في اقتضاء تقديم الضمير [للاختصاص] (١)، والجواب عن هذا: أن إفادة تقديم الضمير المبتدأ للاختصاص والحصر أقوى وأشهر عندهم من إفادة مجرد التمكين في الصفة، وقد نص الجرجاني في «دلائل الإعجاز» (٢) على أن إفادة تقديم الفاعل على الفعل للاختصاص جليلة، وأما إرادة تحقيق الأمر عند السامع أنهم بهذه الصفة، وأنهم متمكنون منها فليست جليلة، وإذا كان كذلك فلا يعدل عن المعنى الظاهر إلا بدليل، وليس هنا ما يقتضي إخراج الكلام عن معناه الجلي، كيف وقد صحت الأحاديث وتواترت على أن العصاة يخرجون من النار بشفاعه محمد ﷺ وشفاعة غيره، حتى لا يبقى فيها موحد أبداً فهذه الآية فيها دليل لأهل السنة على انفراد الكفار بالخلود في النار واختصاصهم بذلك، والسنة المتواترة موافقة، ولا دليل للمخالف سوى قاعدة الحسن والقبیح العقليين، وإلزامهم الله تعالى بما لا ينبغي لهم أن يلزموه من عدم العفو وتحقيق العقاب والخلود الأبدي للمؤمنين في النار، نعوذ بالله من ذلك.

فائدة مواضع إفادة الحصر

لا تختص إفادة الحصر بتقديم الضمير المبتدأ، بل هو كذلك إذا تقدم الفاعل، أو المفعول أو الجار أو المجرور المتعلقة بالفعل، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، فإن الإيمان لما لم يكن منحصرًا في الإيمان بالله، بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر،

(٢) (ص/١٠٢).

(١) في المطبوع: الاختصاص.

وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه بخلاف التوكل، فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفردة بالقدرة والعلم القديمين الباقيين، قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره، لأن غيره لا يملك ضرراً ولا نفعاً، فيُتوكل عليه، ولذلك قدم الظروف في قوله: ﴿لَا يَهَيَا عَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧] ليفيد النفي عنها فقط واختصاصها بذلك، بخلاف تأخيرها في: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] لأن نفي الرب لا يختص بالقرآن بل سائر الكتب المنزلة، كذلك.

العاشر: منها «هاء» التنبيه في النداء، نحو «يأيها» قال سيبويه: وأما الألف والهاء اللتان لحقتا «أيها» توكيداً فكانت كررت «يا» مرتين إذا قلت: «يأيها» وصار الاسم تنبيهاً. هذا كلامه، وهو حسن جداً، وقد وقع عليه الزمخشري^(١) فقال: وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها [لفائدتين]^(٢) معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أي: من الإضافة.

الحادي عشر: «يا» الموضوع للبعيد [ق/ ١٤٢] إذا نودي بها القريب الفطن قال الزمخشري: إنه للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جداً.

الثاني عشر: «الواو»، زعم الزمخشري أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة لتأكيد ثبوت الصفة بالموصوف، كما تدخل على الجملة الحالية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [العنكبوت: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ رِثَائِهِمْ كَتَبَتْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، والصحيح أن الجملة الموصوف بها لا تقترن بالواو، لأن الاستثناء المفرغ لا يقع في الصفات، بل الجملة حال من «قرية» لكونها عامة بتقديم «إلا» عليها.

الثالث عشر: إما المكسورة كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَانُكُم مِّمَّنْ هُدَى﴾ [البقرة: ٣٨] أصلها «إن» الشرطية زيدت «ما» تأكيداً، وكلام الزجاج يقتضي أن سبب اللحاق نون التوكيد.

وقال الفارسي: الأمر بالعكس، لمشابهة فعل الشرط بدخول «ما» للتأكيد بالفعل المقسم عليه من جهة أنها كالعدم في القسم، لما فيها من التأكيد، وجميع ما في القرآن من الشرط بعد «إما» توكيده بالنون، قال أبو البقاء^(٣): وهو القياس لأن زيادة «ما» مؤذنة بإعادة شدة التوكيد، واختلف النحاة: اتلزم النون المؤكدة فعل الشرط عند وصل (إما) أم لا؟ فقال المبرد والزجاج: يلزم ولا تحذف إلا ضرورة، وقال سيبويه وغيره: لا تلزم فيجوز إثباتها وحذفها، والإثبات أحسن، ويجوز حذف «ما» وإثبات النون. قال سيبويه: إن ثبت لم تقم النون، كما أنك إذا أثبت لم تجيء بما انتهى.

(١) الكشاف (١/ ٩٠).

(٢) في المطبوع: لفائدة تبيين. والمثبت من الكشاف.

(٣) التبيان (١/ ٣٢).

وجاء السماع بعدم النون بعد «إما» كقول الشاعر^(١):

فإما تريني ولي لمة فإن الحوادث أودى بها
الرابع عشر: أما المفتوحة، قال الزمخشري^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦]، إنها تفيد التأكيد.

الخامس عشر: إلا الاستفاحية، كما صرح به الزمخشري^(٣) في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، ويدل عليه قولهم: إنها للتحقيق، أي: تحقيق الجملة بعدها، وهذا معنى
التأكيد، قال الزمخشري^(٤): ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرية
بنحو ما يتلقى به القسم، نحو: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَرْسِلَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].
السادس عشر: ما النافية نحو: ما زيد قائماً أو قائم، على لغة تميم، جعل سبويه فيها معنى
التوكيد؛ لأنه جعلها في النفي جواباً لقد في الإثبات، كما أن «قد» فيها معنى التوكيد، فكذلك ما
جعل جواباً لها ذكره ابن الحاجب في شرح المفصل.

السابع عشر: الباء في الخبر، نحو: ما زيد بمنطلق، قال الزمخشري في كشافه القديم: هي عند
البصريين لتأكيد النفي، وقال الكوفيون: قولك: ما زيد بمنطلق، جواب إن زيدا لمنطلق، «ما» بإزاء
«إن» والباء بإزاء اللام، والمعنى راجع إلى أنها للتأكيد، لأن اللام لتأكيد الإيجاب، فإذا كانت بإزائها
كانت لتأكيد النفي.

هذا كله في مؤكدات الجملة الاسمية.

مؤكدات الجمل الفعلية

وأما مؤكدات الفعلية فأنواع:

أحدها: «قد» فإنها حرف تحقيق، وهو معنى التأكيد، وإليه أشار الزمخشري^(٥) في قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يَنْصِبْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١] معناه: حصل له الهدى لا محالة.
وحكى الجوهري عن الخليل: أنه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقاً إلى سماعه،
كقولك لمن يتشوق سماع قدوم زيد: قد قدم زيد، فإن لم يكن لم يحسن المجيء بها، بل تقول: قام زيد.
وقال بعض النحاة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]،
وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]: قد في الجملة الفعلية المجاب

(١) هو الأعشي.

(٣) الكشاف (١/٦٢).

(٢) الكشاف (١/١١١).

(٥) الكشاف (١/٣٩٣).

(٤) الكشاف (٢/٣٥٥).

بها القَسَم مثل إن واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التأكيد .

وتدخل على الماضي ؛ نحو : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ [الشمس: ٩] .

والمضارع نحو : ﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لِحَزْنِكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَرَّ عَلَيْهِ﴾ [التور: ٦٤] قال الزمخشري^(١) : دخلت قد لتوكيد العلم .

ويرجع ذلك لتوكيد الوعيد ، وبهذا يجاب عن قولهم : إنما تفيد التعليل مع المضارع .

وقال ابن إبان : تفيد مع المستقبل التعليل في وقوعه أو متعلقه ، فالأولى : كقولك زيد قد يفعل كذا ، وليس ذلك منه بالكثير ، والثاني كقوله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَرَّ عَلَيْهِ﴾ ، المعنى والله أعلم : أقل معلوماته ما أنتم عليه .

ثانيها : السين التي للتنفيس^(٢) قال سيبويه في قوله تعالى : ﴿نَسَيْتُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ، معنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين .

وجرى عليه الزمخشري^(٣) فقال في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١] ، السين [تفيد]^(٤) وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد ، في قولك : «سأنتقم منك يوماً» يعني أنك لا تفوتني ، وإن تبطأت .

ونحوه : ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى﴾ [الضحى: ٥] ، ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ﴾ [النساء: ١٥٢] ، لكن قال في قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى﴾ [الضحى: ٥] معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر .

وقد اعترض عليه [بأن وجود الرحمة مستفاد من الفعل ، لا من السين ، وبأن الوجوب المشار إليه بقوله «لا محالة»]^(٥) لا إشعار للسين به .

وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخر ، فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه [إشارة محضة]^(٦) لإفادة الوقوع ، وتحقيق الوقوع يصل إلى درجة الوجوب .

وفيه نظر لأن ذلك يستفاد من المقام لا من السين .

(١) الكشاف (٣/ ٢٦٠) إلا أنه قال في الأولى : «قد بمعنى ربما» (١٧/٢) .

(٢) قال المرادي : «السين حرف مهمل ، ويكون للتنفيس ويكون زائداً للوقف لبيان الحركة ، فأما سين التنفيس بمخصصة بالمضارع ، وتخلصه للاستقبال» . «الجنى الداني» (ص/ ٥٩) .

(٣) الكشاف (٢/ ٢٨٩) . (٤) في الكشاف : مفيدة .

(٥) سقط من م . (٦) في المطبوع : بشارة تمحضت .

والثاني: أن السين يحصل بها ترتيب الفائدة، لأنها تقيّد أمرين: الوعيد والإخبار بطرقه، وأنه متراح، فهو كالإخبار بالشيء مرتين، ولا شك أن الإخبار بالشيء وتعيين طرقه مؤذن بتحقيقه عند المخبر به.

ثالثها: النون [الشديدة^(١)] وهي بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات، وبالحقيقة فهي بمنزلة ذكره مرتين.

قبل: وهذان النونان^(٢) لتأكيد الفعل في مقابلة تأكيد الاسم، بيان واللام، ولم يقع في القرآن التأكيد بالحقيقة إلا في موضعين: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿لَتَشْفَأَنَّ بِالْأَيِّمَةِ﴾ [العلق: ١٥].

ولما لم يتجاوز الثلاثة في تأكيد الأسماء، فكذلك لم يتجاوزها في تأكيد الأفعال، قال تعالى: ﴿قَهْرٍ الْكٰفِرِيْنَ اٰمِهٰتَهُمْ رَوِيًا﴾ [الطارق: ١٧]، لم يزد على ثلاثة: مهل وأمهل ورويّدًا كلها بمعنى واحد، وهن: فعلان واسم فعل.

رابعًا: ﴿لَنْ﴾^(٣) لتأكيد النفي كإِنَّ في تأكيد الإثبات، فتقول: لا أبرح، فإذا أردت تأكيد النفي قلت: لن أبرح.

قال سيبويه: هي جواب لمن قال: سيفعل، يعني: والسين للتأكيد، فجوابها كذلك، وقال الزمخشري: «لن» تدل على استغراق النفي في الزمن المستقبل، بخلاف «لا» وكذا قال في «المفصل»: لن لتأكيد ما تعطيه، لا من نفي المستقبل، وبني على ذلك مذهب الاعتزال في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: هو دليل عن نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وهذا الاستدلال حكاه إمام الحرمين في (الشامل) عن المعتزلة، ورد عليهم بقوله تعالى لليهود: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥]، ثم أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنون الآخرة فيقولون: ﴿يَلٰٓئِيْهَا كٰنَتْ اَلْقٰضِيَّةُ﴾ [الحاقة: ٢٧] يعني الموت.

ومنهم من قال: لا تنفي الأبد، ولكن إلى وقت بخلاف قول المعتزلة، وأن النفي بـ«لا» أطول من النفي بـ«لن»، لأن آخرها ألف، وهو حرف يطول فيه النفس، فناسب طول المدة بخلاف لن، ولذلك قال تعالى: ﴿لَنْ تَرٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهو مخصوص بدار الدنيا.

وقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ اَلْاَبْصٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهو [ق/١٤٣] مستغرق لجميع أزمنة الدنيا والآخرة، وعلل بأن الألفاظ تشاكل المعاني، ولذلك اختصت لا بزيادة مدة.

(٢) سقط من م.

(١) انظر: «الجني الداني» (ص/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «الجني الداني» (ص/ ٢٧٠).

وهذا اللفظ من رأي المعتزلة، ولهذا أشار ابن الزملاكي في (التيان) بقوله: لا تنفى ما بعد ولن تنفى ما قرب. وبحسن المذهبين أولوا الآيتين: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة: ٧].

وجه القول الثاني أن ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ﴾ جاء بعد الشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أُولِيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ [الجمعة: ٦]، وحرف الشرط يعم كل الأزمنة، فقبول بلا، ليعم ما هو جواب له، أي زعموا ذلك في وقت ما قبل: لهم تمناوا الموت، وأما: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥]، فجاء بعد قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ [البقرة: ٩٤] أي: إن كانت لكم الدار الآخرة فتمناوا الموت الآن، استعجالاً للسكون في دار الكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأحبابه. وعلى وفق هذا القول جاء قوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾.

قلت: والحق أن لا ولن لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلية، والتأييد وعدمه يؤخذان من دليل خارج، ومن احتج على التأييد بقوله: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، وبقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] عورض بقوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم، وبقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، ولو كانت للتأييد، لكان ذكر الأبد تكريراً والأصل عدمه، وبقوله: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنًا﴾ [طه: ٩١] لا يقال: هي مقيدة فلم تفد التأييد، والكلام عند الإطلاق لأن الخصم يدعى أنها موضوعة لذلك، فلم تستعمل في غيره، وقد استعملت لا للاستغراق الأبدي في قوله تعالى: ﴿لَا يَقْنِنُ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِيرٍ لَّيْلِيًّا﴾ [الأعراف: ٤٠]، وغيره مما هو للتأييد، وقد استعملت فيه «لا» دون «لن» فهذا يدل على أنها لمجرد النفي، والتأييد يستفاد من دليل آخر.

القسم الثاني

الصفة وهي مخصصة إن وقعت صفة للنكرة،

وموضحة للمعرفة الأسباب التي تأتي الصفة من أجلها

وتأتي لأسباب:

أحدها: لمجرد المدح والثناء، ومنه صفات الله تعالى كقوله: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ الرِّجْلَ الرَّجِيحِيَّةَ﴾، فليس ذكر الوصف هنا للتمييز، لأنه ليس له مثل - تعالى الله عن ذلك - حتى يوضح بالصفة، وأخذ أبو الطيب هذا المعنى، فذكر أسامى بعض ممدوحه ثم قال:

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

فقوله: (لم تزده) بيان أنها للإطناب والثناء، لا للتعريف والتبيين.

وقيل: إن الصفات الجارية على القديم سبحانه المراد بها التعريف، فإن تلك الصفات حاصله له لا مجرد الثناء، ولو كانت للثناء لكان الاختيار قطعها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، فهذا الوصف للمدح ليس غير، لأنه ليس يمكن أن يكون ثمة نبيون غير مسلمين، كذا قاله الزمخشري (١).

قال: وأريد بها التعريض باليهود، وأتهم بَعْدَاء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهود بمعزل عنها.

والتحقيق: أن هذه الصفة للتمييز، وقد أطلق الله وصف الإسلام على الأنبياء وأتباعهم، والأصل في المدح التمييز بين المدح وغيره بالأوصاف الخاصة، والإسلام وصف عام فوصفهم بالإسلام، أما باعتبار الثناء عليه أو الثناء عليهم بعد النبوة تعظيمًا وتشريفًا له، أو باعتبار أنهم بلغوا من هذا الوصف غايته، لأن معنى ذلك يرجع إلى معنى الاستسلام والطاعة الراجعين إلى تحقيق معنى العبودية التي هي أشرف أوصاف العباد، فكذلك يُوصفون بها في أشرف حالاتهم وأكمل أوقاتهم، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] أي: مستسلمين لأمرك، لقضائك وكذا قول يوسف: ﴿تَوَقَّيْ مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، تنويه بقدر الإسلام وتنويه على عظم أمره، فإن الصفة تعظم [بعضهم] (٢) موصوفها، كما وصفت الملائكة المقربون بالإيمان في قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، تنويها بقدر الإيمان وحضًا للبشر على التحلي به ليكونوا كالمقربين في وصف الإيمان، حتى قيل: أوصاف الأشراف أشرف الأوصاف.

الثاني: لزيادة البيان كذا قاله ابن مالك؛ ومثله بقوله تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وليس ما قاله بواضح، فإن «رسول الله» كما يستعمل في نبينا صلوات الله وسلامه عليه يُستعمل في غيره بطريق الوضع، وتعريفه إنما حصل بالإضافة.

فإن قال: قد كثر استعماله في نبينا [محمد] ﷺ، حتى إنه لم يبق الذهن يتبادر إلا إليه.

قلنا: ليس هذا من وضعه بل ذلك من الاستعمال، وقد استعمل في غيره قال تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي موضع آخر: ﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وفي حق عيسى: ﴿وَرَسُولًا﴾

(١) الكشاف (١/٦٣٧).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران: ٤٩]، وفي حق موسى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَرْيَةٍ مِّنْ قَبْلِكَ إِلَّا أَنبَأْنَا قَوْمَهَا أَنِ احْبِسِي الصِّفَةَ إِنَّمَا تَكُونِ مِثْلَ الْمُوصُوفِ أَوْ دُونَهُ فِي التَّعْرِيفِ، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ فَوْقَهُ فَلَا، لِأَنَّهَا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ تَابِعَةٌ وَالتَّابِعُ دُونَ الْمُتَبَوِّعِ.

فإن قيل: كيف يصح أن يُزال إبهام الشيء بما هو أبهم منه؟

فالجواب: أن التعريف لم يقع بمجرد الصفة؛ وإنما حصل بمجموع الصفة والموصوف لأنهما كالشيء الواحد.

الثالث: لتعيينه للجنسية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، لأن المعنى بداية، والذي سبق له الكلام الجنسية لا الأفراد، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أَمَّنَّاكُمْ﴾، فجمع ﴿أُمَّةٌ﴾ محقق إرادة الجنس من الوصف اللازم للجنس المذكور، وهو كون الدابة غير منفكة عن كونها في الأرض، وكون الطائر غير منفك [عن] ^(١) كونه طائراً بجناحيه؛ لينتفي توهم الفردية هذا معنى ما أشار إليه السكاكي في «المفتاح» ^(٢).

وحل بعضهم كلامه على أنه إنما ذكر الوصف ليُعلم أن المراد ليس دابةً مخصوصة، وهو بعيد، لأن ذلك معلوم قطعاً بدون الوصف لأن النكرة المنفية لا سيما مع (من) الاستغراقية - قطعية.

وقال الزمخشري ^(٣): إن معنى زيادة: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ يفيد زيادة التعميم والإحاطة حتى كأنه قيل: (وما من دابة من جميع ما في الأرض، وما من طائر في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه) إلا أُمَّة أمثالكم، محفوظة أحوالها غير مهملة أمرها.

ويحتمل أن يقال: إن الطيران لما كان يوصف به من يعقل كالجان والملائكة، فلو لم يقل بجناحيه لتوهم الاقتصار على جنسها ممن يعقل، فقيل: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ ليفيد إرادة هذا الطير المعتقد فيه عدم المعقولية بعينه.

وقيل: إن الطيران يستعمل لغة في الخفة، وشدة الإسراع في المشي، كقول الحماسي ^(٤):

طاروا إليه زرافات ووحداناً

فقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ رافع لاحتمال هذا المعنى.

وقيل: لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ﴾، لكان ظاهر العطف يوهم: «ولا طائر في الأرض»، لأن المعطوف عليه إذا قيد بظرف أو حال يقيد به المعطوف، وكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه، كالدجاج والأوز [ق/ ١٤٤] والبط ونحوها،

(٢) (ص/ ١٠١).

(١) سقط من المطبوع.

(٤) هو أنيف بن قريط العنبري.

(٣) الكشاف (٢/ ٢١).

فلما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ زال هذا الوهم وعلم أنه ليس بطائر مقيد، إنما تقيدت به الدابة. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] مع أن المعلوم أن الفساد لا يقع إلا في الأرض، قيل: في ذكرها تنبيه على أن [هذا] ^(١) المحل الذي فيه شأنكم وتصرفكم، ومنه مادة حياتكم - وهي سترة أموالكم - جدير ألا يفسد فيه إذ محل الإصلاح لا ينبغي أن يجعل محل الإفساد. وهذا بخلاف قوله تعالى في سورة براءة: ﴿وَمَا كُنْزُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]، لأن المراد نفي النصير عنهم في جميع الأرض، فلو لم يذكر لاحتمال أن يكون ذلك خاصاً ببعضها. وأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ونحوها من المقيد إذ القول لا يكون إلا بالفم، والأكل إنما يكون في البطن فقواتده مختلفة:

فقيل: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ للتنبيه على أنه قول لا دليل عليه، بل ليس فيه إلا مجرد اللسان، أي: لا يعضده حجة ولا برهان، وإنما هو لفظ فارغ من معنى تحته، كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم، لا تدل على شيء مؤثر؛ لأن القول الدال على معنى قول بالفم ومؤثر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير، أو المراد بالقول المذهب، أي: هو مذهبهم بأفواههم لا بقلوبهم، لأنه لا حجة عليه توجب اعتقاده بالقلب.

وقيل: إنه رافع لتوهم إرادة حديث النفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾. وقيل: لأن القول يطلق على الاعتقاد فأفاد ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ التنصيص على أنه باللسان دون القلب، ولو لم يقيد لم يستفد هذا المعنى، ويشهد له: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾ [الآية المنافقون: ١] فلم يكذب ألسنتهم بل كذب ما انطوى عن ضمائرهم من خلافه.

وإنما قال: ﴿فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، لأنه يقال: أكل في بطنه إذا أمعن وفي بعض بطنه إذا اقتصر، قال:

كلوا في بعض بطونكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص
فكانه قيل: يأكلون ما يجير - إذا امتلأت بطونهم - نازاً.

وإنما قال: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فإنه سبحانه لما دعاهم إلى التفكير والتعقل وسماع أخبار من مضى من الأمم، وكيف أهلكهم بتكذيبهم رسله ومخالفتهم لهم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] قال ابن قتيبة: وهل شيء أبلغ في العظمة والعزة من هذه الآية، لأن الله تعالى أراد: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالكفر والتعوير وبيوتاً

خاوية قد سقطت على عروشها، وبثراً يشرب أهلها فيها قد عطلت، وقصراً بناه ملكه بالشيد خلا من السكن وتداعى بالخراب، فيتعظوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم اثم ذكر تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر والرؤية وإن عميت قلوبهم التي في صدورهم .

وقيل : لما كانت العين قد يُعني بها القلب، في نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١] ، جاز أن يعنى بالقلب العين، فقيد القلوب بذكر محلها رفعا لتوهم إرادة غيرها .

وقيل : ذكر محل العمى الحقيقي الذي هو أولى باسم العمى من عمى البصر، كما قال النبي ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١) ، أي : هذا أولى بأن يكون شديداً منه، فعمى القلب هو الحقيقي، لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أن يكون أعمى من أعمى العين، فنبه بقوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ، على أن العمى الباطن في العضو الذي عليه الصدر، لا العمى الظاهر في العين التي محلها الوجه .

فوائد تتعلق بالصفة

الأولى الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة

اعلم أن الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة، لا تقول: هذا رجل فصيح متكلم، لأن المتكلم أعم من الفصيح، إذ كل فصيح متكلم ولا عكس .

وإذا تقرر هذا أشكل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِتْمَاعَهُ إِذْ قَالَ لِرَسُولِهِ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّي﴾ [مريم: ٥٤] إذ لا يجوز أن يكون ﴿رَسُولاً﴾ صفة لرسول لأن النبي أعم من الرسول، إذ كل رسول من الآدميين نبي ولا عكس .

والجواب : أن يقال: إنه حال من الضمير في ﴿رَسُولاً﴾ والعامل في الحال ما في (رسول) من معنى [مرسل]^(٢) أي كان إسماعيل مرسلأ في حال نبوته، وهي حال مؤكدة كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١] .

الثانية تأتي الصفة لازمة لا للتقييد [فلا مفهوم لها]^(٣)

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، قال الزمخشري : هو كقوله: ﴿وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣] ، وهي صفة لازمة [نحو قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾]^(٤) جيء بها للتوكيد، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان، ويجوز أن يكون

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من م .

(٤) سقط من م .

البرهان في علوم القرآن

اعتراضاً بين الشرط والجزاء، كقولك: من أحسن إلى زيد - لا أحق بالإحسان منه - فالله مثيبه .
وقال المأتردي: هذا [لييان] ^(١) خاصة الإشراك بالله ألا تقوم على صحته حجة، لا بيان أنه
نوعان كما في قوله: ﴿وَلَا طَلِيمٌ يُطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] هو بيان خاصة الطيران لأنه نوعان .
وقوله: ﴿سَفَهًا يَغَيِّرُ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ١٤٠] والسَّفه لا يكون إلا عن جهل، وقيل ﴿يَغَيِّرُ عِلْمًا﴾ بمقدار
قبحه .

وقوله: ﴿رَبِّتُّوهُنَّ عَلَى حَقِّهِنَّ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] ، ولا يكون قتلهم إلا كذلك لأن معناه (بغير
الحق) في اعتقادهم، لأن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم، وإن كانت تلك الصفة لازمة
للفعل كما في عكسه: ﴿قَالَ رَبِّ أَمْكُرْ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] لزيادة معنى في التصريح بالصفة .
وقال بعضهم: ولأن قتل النبي قد يكون بحق، كقتل إبراهيم عليه السلام ولده، ولو وُجد لكان
بحق، وقال الزمخشري ^(٢): إنما قيده لأنهم لم يقتلوا ولم يفسدوا في الأرض، وإلا استوجبوا القتل
بسبب كونه شبهة .

وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلهم، ولو أنصفوا من أنفسهم لم يذكرها وجهاً
يوجب عندهم القتل .

وكقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، [مع أن ذلك منهي عنه
في غير الحج أيضاً لكن خصص بالذكر هنا التأكيد الأمر وخطره في الحج] ^(٣) ، وأنه لو قُدِّرَ جواز مثل
ذلك في غير الحج، لم يميز في الحج، كيف وهو لا يجوز مطلقاً!

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْمُرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، ولم يذكر مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا
الْحَجَّ إِلَى آلِيهِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، لأن الرياء يقع في الحج كثيراً، فاعتنى فيه بالأمر بالإخلاص .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغَيِّرْهُدَىٰ رَبِّكَ اللَّهُ﴾ [القصص: ٥٠] واتباع الهوى لا
يكون إلا كذلك .

وقيل: بل يكون الهدى في الحق، فلا يكون من هذا النوع .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ؛ فإن حكمه تعالى حسن لمن يوقن
ولمن لا يوقن، لكن لما كان القصد ظهور حسنه والاطلاع عليه وصفه بذلك لأن المؤمن هو الذي يطلع
على ذلك دون الجاهل .

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] والكتابة لا تكون إلا باليد،

(٢) الكشاف (١/١٤٦) بتصرف .

(١) في م: البيان .

(٣) سقط من م .

فائدته مباشرتهم ذلك التحريف بأنفسهم وذلك زيادة في [ق/ ١٤٥] تقييح فعلهم، فإنه يقال: كتب فلان كذا وإن لم يباشره، بل أمر به كما في قول علي: «كتب النبي ﷺ يوم الحديبية»^(١).

الثالثة قد تأتي الصفة بلفظ والمراد غيره

كقوله تعالى: ﴿صَمْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]؛ قيل: المراد: «سوداء ناصع» وقيل: بل على بابها.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَمَلَت صُمْرَةٌ﴾ [المرسلات: ٣٣] قيل: كأنه أبيض سود، وسمي الأسود من الإبل أصفر، لأنه سواد تعلوه صفرة.

الرابعة قد تجيء للتنبية على التعميم

كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١] مع أن المعلوم إنما يؤكل إذا أثمر. فقيل: فائدته نفي توهم توقف الإباحة على الإدراك والنضج، بدلالته على الإباحة من أول إخراج الثمرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فإن غير مال اليتيم، كذلك لكن إنما خصه بالذكر لأن الطمع فيه أكثر لعجزه وقلة الناصر له؛ بخلاف مال البالغ أو لأن التخصيص بمجموع الحكيم، وهما النهي عن قربانه بغير الأحسن.

وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] مع أن الفعل كذلك، وقصد به ليعلم وجوب العدل في الفعل من باب أولى كقوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آوَى﴾ [الإسراء: ٢٣].

الخامسة قد يحتمل اللفظ كثيراً من الأسباب السابقة

وله أمثلة منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، فإن ابن مالك وغيره من النحويين، جعلوه نعتاً قصد به مجرد التأكيد.

ولقائل أن يقول: إن «إلهين» مثنى و«الاثنان» للتثنية فما فائدة الصفة؟ وفيه وجوه:

[أحدها]^(٢): قاله ابن الحجاز: إن فائدتها توكيد نهي الإشراف بالله سبحانه، وذلك لأن العبرة

في النهي عن اتخاذ الإلهين إنما هو لمحض كونها اثنين فقط، ولو وصف (إلهين) بغير ذلك من الصفات كقوله «لا تتخذوا إلهين عاجزين»، لأشعر بأن القادرين يجوز أن يتخذوا فمعنى التثنية شامل لجميع الصفات، فسيحان من دقت حكمته في كل شيء.

ونظير هذا ما قال الأخفش في قوله: ﴿فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦].

(٢) في المطبوع: أحدهما.

(١) تقدم.

الثاني: أن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية، ومنه قوله ﷺ: «إنما نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد»، وتطلق ويراد بها العدد، نحو: «إنما زيد رجل واحد»، فالثنائية باعتبارها، فلو قيل: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] فقط لصح في موضعه أن يكون نهيًا عن اتخاذ جنسين آلهة، وجاز أن يتخذ من نوع واحد أعداد آلهة، لأنه يطلق عليهم أنهم واحد لا سيما وقد يتخيل أن الجنس الواحد لا تضاد مطلوباته، فيصح، فلما قال: ﴿أَتَيْنِي﴾ بيّن فيه قبح التعدد للإله، وأنه منزّه عن العددية، وقد أوما إليه الزمخشري^(١) بقوله: «ألا ترى إنك لو قلت: إنما هو إله ولم تصفه بواحد لم يحسن، وقيل لك: إنك نفيت الإلهية لا الوجدانية».

الثالث: إنه لما كان النهي واقعا على التعدد والاثنيّة دون الواحد أتى بلفظ الاثنين، لأن قولك: «لا تتخذ ثوين» يحتمل النهي عنهما جميعًا، ويحتمل النهي عن الاقتصار عليهما، فإذا قلت: (ثوين اثنين) عليم المخاطب أنك نهيت عن التعدد والاثنيّة دون الواحد، وأنت إنما أردت منه الاقتصار على ثوب واحد، فتوجه النهي إلى نفس التعدد والعدد، فأتى باللفظ الموضوع له، الدال عليه فكأنه قال: «لا تعدد الآلهة ولا تتخذ عددًا تبعده إنما هو إله واحد».

الرابع: أن «اتخذ» هي التي تتعدى إلى مفعولين ويكون ﴿أَتَيْنِي﴾ مفعولها الأول، و﴿إِلَهَيْنِ﴾ مفعولها الثاني، وأصل الكلام: «لا تتخذوا اثنين إلهين» ثم قدم المفعول الثاني على الأول. ويدل على التقديم والتأخير أن (إلهين) أخص من «اثنين»، واتخاذ اثنين يقع على ما يجوز؛ [وعلى]^(٢) ما لا يجوز وأما اتخاذ اثنين إلهين فلا يقع إلا على ما لا يجوز، وقدم «إلهين» على «اثنين» إذ المقصود بالنهي اتخاذها «إلهين»، فالنهي وقع على معنيين: الآلهة المتخذة وعلى هذا فلا بد من ذكر «الاثنين» و«الإلهين» إذ هما مفعولا الاتخاذ.

قال صاحب «البيسط» وهذا الوجه هو الجيد، ليخرج بذلك على التأكيد، وإما إذا جعل «إلهين» مفعول «تتخذوا» و«اثنين» صفة، فإنه أيضًا لا يخرج عن الوصف إلى التأكيد، لأنه لا يستفاد من «اثنين» ما استفيد من «إلهين» لأن الأول يدل على العدد والجنس، والثاني على مجرد الاثنيّة.

قال: [وهكذا]^(٣) الحكم في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] في دخول «اثنين» في حد الوصف، إلا إن من قرأ بتوين «كل»^(٤) فإنه حذف المضاف إليه، وجعل التوين عوضًا عنه، و﴿زَوْجَيْنِ﴾ مفعول «احمل» أو «فاسلك» و«اثنين» نعت، و﴿مِنْ﴾ يحتمل أنه متعلق بفعل الأمر،

(١) الكشاف (٢/٦١٠).

(٢) سقط من م. (٣) في المطبوع: وهذا.

(٤) كلهم قرأ: (من كل زوجين اثنين) مضافًا، غير حفص فإنه روى عن عاصم: (من كل زوجين اثنين) منونًا، وكذلك في المؤمنين (٢٧) وأبو بكر عن عاصم: (من كل زوجين) مضاف الحجة (٤/٣٢٤) والسبعة (ص/٣٣٣).

ويحتمل أن يتعلق بمحذوف، لكونه حالاً من نكرة تقدم عليها؛ والتقدير: أهل أو أسلك فيها زوجين اثنين من كل صنف، ومن قرأ بإضافة «كل» احتمال وجهين: أحدهما: أن تجعل: «اثنين» المفعول، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر المحذوف، كما تقدم، والثاني: جعل «من» زائدة على رأي الأخفش و«كل» هي المفعول و«اثنين» صفة.

الخامس: أنه بدل، وينوي بالأول الطرح، واختاره الثيبي في «شرح الحاجبية» قال: لما فيه من حسم مادة التأويل. ونظير السؤال في الآية قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، فإن مروان بن سعد المهلبى سأل أبا الحسن الأخفش فقال: ما الفائدة في هذا الخبر؟ أراد مروان أن لفظ «كانتا» تفيد التثنية، فما فائدة تفسيره الضمير المسمى باثنتين، مع أنه لا يجوز «فإن كانتا ثلاثاً» ولا فوق ذلك، فلم يفصل الخبر الاسم في شيء؟ فأجاب أبو الحسن: بأنه أفاد العدد المحض مجرداً عن الصفة أي: قد كان يجوز أن يقال: فإن «كانتا صغيرتين فلهما كذا» أو «كبيرتين فلهما كذا»، أو «صالحتين» أو غير ذلك من الصفات، فلما قال ﴿أَثْنَتَيْنِ﴾ أفهم أن فرض الثلثين [للأختين] تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط [على أي صفة] وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثني، ومعناه أنهم كانوا في الجاهلية يورثون البنين دون البنات، وكانوا يقولون: لا نورث إلا من يحمل الكَلَّ وينكئ العدو؛ فلما جاء الإسلام بتوريث البنات، أعلمت الآية أن العبرة في أحد الثلثين من الميراث منوط بوجود اثنتين من الأخوات من غير اعتبار أمر زائد على العدد.

قال الحريري^(١): ولعمري ولقد أبدع مروان في استنباطه وسؤاله، وأحسن أبو الحسن في كشف إشكاله.

ولقد نقل ابن الحاجب في «أماليه»^(٢) هذا الجواب عن أبي علي الفارسي، وقد بينا أنه من كلام الأخفش - ثم اعترض عليه بأن اللفظ وإن كان صالحاً لإطلاقه على المثني مجرداً عن الصفات لا يصح إطلاقه خبراً دالاً على التجريد من الصفات، وإنما يعنى باللفظ ذاته الموضوع له ألا ترى أنك إذا قلت: «جاءني رجل»، لا يفهم إلا ذات من غير أن يدل على تجريد [ق/ ١٤٦] عن مرض أو جنون أو عقل، فكذلك اثنتين لا تدل إلا على مسمى «اثنين» فقط فلم يستفد منه شيء زائد على المستفاد من ضمير التثنية، ثم لو سلم صحة إطلاق اللفظ كذلك فلا يصح هاهنا، إذ لو صح لجاز أن يقال: «فإن كانتا على أي صفة حصل» ولو قيل ذلك لم يصح لأن تثنية الضمير في «كانتا» عائد على الكلالة، والكلالة تكون واحداً واثنين وجماعة، فإذا أخبر باثنتين حصلت به فائدة.

ثم لما كان الضمير الذي في ﴿كَانَتْ﴾ عائد على الكلالة هو في معنى اثنين صح أن تثنيه لأن تثنيه فرع عن الإخبار باثنين، إذ لولاه لم يصح أنه لم تستفد التثنية إلا من اثنين.

(٢) (١/ ١٣٩-١٤٠).

(١) درة الغواص (ص/ ١٧).

وقد أورد على ذلك اعتراض آخر، وهو أن هذه الآية ماثلة لقوله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، ثم قال: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَجْدَةً﴾ [النساء: ١١]، ولو كان على ما ذكرتم لوجب أن يصح إطلاق الأولاد على الواحد، كما في الكلالة وإلا لكان الضمير لغير مذكور!

والجواب بشيء يشمل الجميع: وهو أن الضمير قد يعود على الشيء باعتبار المعنى الذي سيق إليه، ونسب إلى صاحبه فإذا: قلت: «إذا جاءك رجال فإن كان واحداً فافعل به كذا وإن كان اثنين، فكذا» صح إعادة الضمير باعتبار المعنيين، لأن المقصود الجائي وكأنك قلت: وإن كان الجائي من الرجال لأنه عُلِمَ من قولك: «إذا جاءك»، والآية سيق لبيان الوارثين الأولاد، فكأنه قيل: «فإن كان الوارث من الأولاد» لأنه المعنى الذي سيق له الكلام، فقد دخلت «الاثنتان» باعتبار هذا المعنى.

ويجوز أن تبقى الآية الأولى على ما ذكرنا ويختص هذا الجواب بهذه.

قلت: وفي هذه الآية ثلاثة أجوبة أخرى:

أحدها: أنه كلام محمول على المعنى: أي «فإن كان من ترك اثنتين» وهذا مقيد، فأضمره على ما بعده و«من» يسوغ معها ذكر الاثنتين، لأنه لفظ مفرد يعبر به عن الواحد والاثنتين والجمع؛ فإذا وقع الضمير موقع «مَنْ» جرى مجراها في جواز الإخبار عنها بالاثنتين.

الثاني: أن يكون من الأشياء التي جاءت على أصولها المرفوضة، كقوله تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩]، وذلك أن حكم الأعداد فيما دون العشرة أن تضاف إلى المعدود كثلاثة رجال وأربعة أبواب، فكان القياس أن يقول: اثنين رجل وواحد رجل؛ ولكنهم رفضوا ذلك لأنك تجد لفظه تجمع العدد والمعدود، فتغنيتك عن إضافة أحدهما إلى الآخر وهو قولك: رجلان ورجل، وليس كذلك ما فوق الاثنتين ألا ترى أنك إذا قلت: ثلاثة، لم يُعلم المعدود ما هو؟ وإذا قلت: رجلان لم يعلم عددهم ما هو؟ فأنت مضطر إلى ذكر العدد والمعدود، فلذلك قيل: كان الرجال ثلاثة ولم يقل: كان الرجلان اثنين، ولا الرجلان كانا اثنين، فإذا استعمل شيء من ذلك، كان استعمالاً للشيء المرفوض كقوله:

ظرف عجوز^(١) فيه ثنتا حنظل

فإن قيل: كيف يحمل القرآن عليه وإنما هو الشعر؟

قيل: إنا وجدنا في القرآن أشياء جاءت على الأصول المرفوضة (كاستحوذ) ونظائرها.

الثالث: أن المراد «فإن كانتا اثنتين فصاعداً» فعبر بالأدنى عنه وعمما فوقه. قال ابن الضائع

النحوي.

(١) ويروى: سَحَقُ جراب.

قلت: ونظائرها قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فإن الرجولية المثناة فهمت من الضمير، بدليل: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ فالظاهر أن قوله: ﴿رَجُلَيْنِ﴾ حال لا خبر؛ فكان المعنى: «فإن لم يوجد حال كونهما رجلين».

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْتَى﴾ [إعراب: ٣٦]؛ فإن الأنوثة فهمت من قوله: ﴿وَصَّعْتُهَا﴾. وأورد بعضهم السؤال في الأول، فقال: الضمير في ﴿يَكُونَا﴾ للرجلين، لأن الـ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ قيدها بأنهما من الرجال، فكان الكلام: «فإن لم يكن الرجلان رجلين» وهذا محال. وأجاب بعضهم بما أجاب به «الأخفش»^(١) في آية الموارث: إن الخبر هنا أفاد العدد المجرد عن الصفة.

وهذا ضعيف، إذ وضع فيه «الرجلين» موضع «الاثنتين» وهو تجاوز بعيد، والذي ذكره الفارسي: المجرد منهما الرجولية أو الأنوثة أو غيرها من الصفات، فكيف يكون لفظ موضوع لصفة ما دالاً على نفيها!

على أن في جواب الفارسي هناك نظراً، فإنه لم يزد على أن جعل نفس السؤال جواباً، كأنه قيل: لم ذكر العدد وهو متضمن للضمير فقال: لأنه يفيد العدد المجرد فلم يزد الألفاظ تجرداً.

قال: وأما من أجاب بأن: ﴿رَجُلَيْنِ﴾ منصوب على الحال الميئة و(كان) تامة فهو أطرف من الأول، فإنه سئل عن وجه النظم وأسلوب البلاغة، ونفي ما لا يليق بها من الحشو، فأجاب بالإعراب، ولم يجب عن السؤال بشيء، والذي يرد عليه وهو خبر يرد عليه وهو حال، وما زادنا إلا التكلف في جعله حالاً.

والذي يظهر في جواب السؤال هو أن: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ لما صح أن يطلق على المرأتين بمعنى (شخصين شهيدتين) قيده بقوله تعالى: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾؛ ثم أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يَكُونَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] على «الشهيدتين المطلقين»، وكان عوده عليهما أبلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباتها لهما، فيكون الشرط موجباً ونفيّاً على الشاهدين المطلقين، لأن قوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ كالشرط، كأنه قال: «إن كانا رجلين»، وفي النظم على هذا الأسلوب من الارتباط، وجرى الكلام على نسق واحد ما لا يخفاء به، وأما في آية الموارث فالظاهر أن الضمير وُضع موضع الظاهر اختصاراً لبيان المعنى، بدليل أنه لم يتقدمه ما يدل عليه لفظاً، فكانه قال: «فإن كان الوارث اثنتين»، ثم وُضع ضمير الـ اثنتين موضع الوارث الذي هو جنس، لما كان المراد به منه «الاثنتان»، وأيضاً فإن الإخبار عن الوارث - وإن كان جمعاً باثنين ففيه تفاوت ما؛ لكونه مفرد اللفظ، فكان الأليق بحسن النظم وضع

(١) معاني القرآن (١/٢٤٨-٢٤٩).

المضمّر موضع الظاهر، ثم يجري الخبر على من حدث عنه- وهو الوارث- فيجري الكلام في طريقه مع الإيجاز في وضع المضمّر الظاهر، والسلامة من تفاوت اللفظ في الإخبار عن لفظ مفرد بمثنى. ونظير هذا- مما وقع فيه اسم موضع غيره إيجازاً ثم جرى الكلام مجراه في الحديث عمن هو له، وإن لم يذكر- قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَفْلَكُنَّهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيْنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الاعراف: ٤]، فعاد هذا الضمير والخبر على أهل القرية الذين أقيمت القرية في الذكر مقامهم، فجرى الكلام مجراه مع حصول الإيجاز في وضع القرية موضع أهلها، وفهم المعنى بغير كلفة؛ وهذه الغاية في البيان يقصر عن مداها الإنسان.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣] قال ابن عمرون: لما فهم منها التأكيد ظن بعضهم أنها ليست بصفة، وليس بجيد لأنها دلالة على بعض أحوال الذات، وليس في ﴿وَاحِدَةٌ﴾ دلالة على نفخ فدل على أنها ليست تأكيداً. انتهى. [ق/١٤٧]

وفي فائدة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: التوكيد، مثل قولهم: «أمس الدابر»^(١).

الثاني: وصفها ليصح أن تقوم مقام الفاعل، لأنها مصدر والمصدر لا يقوم مقام الفاعل إلا إذا وُصف، ورُدّ بأن تحديدها بقاء التانيث مصحح لقيامها مقام الفاعل.

الثالث: أن الوحدة لم تعلم من «نفخة» إلا ضمناً وتبعاً، لأن قولك: «نفخة» يفهم منه أمران: النفخ والوحدة، فليست «نفخة» موضوعة للوحدة فلذلك صح وصفها.

الرابع: وصفه النفخة بوحدة لأجل [نفي] توهم الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فالنعمة في اللفظ واحدة وقد علق عدم الإحصاء بعدها.

الخامس: أتى بالوحدة ليدل على أن النفخة لا اختلاف في حقيقتها، فهي واحدة بالنوع كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ [القمر: ٥٠]، أي: لا اختلاف في حقيقته.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [البقرة: ١٦٣]، قيل: ما فائدة ﴿إِلَهًا﴾ وهلا جاء (واللهم واحد) وهو أوجز؟

قيل: لو قال: «واللهم واحد»، لكان ظاهره إخباراً عن كونه واحداً في إلهيته، يعني لا إله غيره ولم يكن إخباراً عن توحده في ذاته، بخلاف ما إذا كرر ذكر الإله، والآية إنما سيقّت لإثبات أحديته في ذاته ونفي ما يقوله النصارى: إنه إله واحد والأقانيم ثلاثة، أي: الأصول كما أن زيداً واحداً،

(١) قال الأصمعي:

وأبى الذي ترك الملوك وجمعهم بصهاب هامة كأسس الدابر

وأعضاؤه متعددة، فلما قال ﴿إِلَهُهُ وَنَحِدُّ﴾ دل على أحدية الذات والصفة.
ولقائل أن يقول: قوله: ﴿وَإِنِّهُ﴾ يَحْتَمِلُ الأَحْدِيَةَ فِي الذَّاتِ وَالْأَحْدِيَةَ فِي الصِّفَاتِ، سِوَا ذِكْرِ الإِلَهِ أَوْ لَا، فَلَا يَتِمُّ الْجَوَابُ .

ومنها قوله: ﴿وَمَنْزُةً الثَّلَاثَةَ الْآخِرَةَ﴾ [النجم: ٢٠] ، ومعلوم بقوله: ﴿الثَّلَاثَةَ﴾ أنها ﴿الْآخِرَةُ﴾ وفائدته التأكيد، ومثله على رأي الفارسي: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ حَادَاً الْأَوَّلَى﴾ [النجم: ٥٠] .

وأما قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنَ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] ، قيل: بمعنى «عن» أي خر عن كفرهم بالله، كما تقول: اشتكى فلان عن دواء شربه، أي: من أجل كفرهم. أو بمعنى اللام، أي: فخر لهم. وقيل: لأن العرب لا تستعمل لفظه «على» في مثل هذا الموضع إلا في الشر، والأمر المكروه، تقول: خربت على فلان ضيعته، كقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا السَّيِّطِينَ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ [ال عمران: ٧٥] ، ﴿أَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] ، وقيل: لأنه يقال: سقط عليه موضع كذا، إذا كان يملكه وإن لم يكن من فوقه بل تحته، فدل قوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ على الفوقية الحقيقية؛ وما أحسن هذه المقابلة بالفوقية، بما تقدم من قوله: ﴿فَأَنَّىٰ لِلَّهِ بُيُوتُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] كما تقول: أخذ برجله فسقط على رأسه .

[السادسة] ^(١) إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل

إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل قدم الاسم المفرد، ثم الظرف، أو عدليه، ثم الجملة، كقوله تعالى: ﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٢٩] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [ال عمران: ٤٥، ٤٦] ، فقوله: ﴿وَجِيهًا﴾ حال، وكذلك ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ وقوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، فهذه أربعة أحوال انتصبت عن قوله: [يكلّم] ^(٢) والحال الأولى جيء بها على الأصل اسمًا صريحًا، والثانية في تأويله جار ومجرور، [وَجِيءَ] بها هكذا لوقوعها فاصلة في الكلام، ولو جيء بها اسمًا صريحًا لناسب الفواصل، والثالثة جملة فعلية والرابعة جار ومجرور .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [هاعر: ٢٨] ، ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣] ، ولما كان الظرف فيه شبه من المفرد، وشبه من الجملة جعل بينهما .

وقد أوجب ابن عصفور ذلك، وليس كما قال، فقد قال تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ولا يقال: إن ﴿أَذِلَّةٍ﴾ بدل لأنه مشتق، والبديل إنما يكون في الجوامد كما نص عليه هو وغيره .

(٢) في المطبوع: كلمة .

(١) سقط من م .

وأما قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾، فقيل: إنه من تقديم الجملة على المفرد، ويحتمل أن يكون ﴿مَبَارَكٌ﴾ خبرًا لمحذوف، فلا يكون من هذا الباب.

السابعة في اجتماع التابع والمتبوع

في اجتماع التابع والمتبوع، أنهم يقدمون المتبوع، فيقولون: «أبيض ناصع» و«أصفر فاقع»، و«أحرقان»، و«أسود غريب» قال الله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]، والمعنى: أن التبع فيه زيادة الوصف، فلو قدم لكان ذكر الموصوف بعده عيبًا، إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه.

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَعَرَبِيْبٌ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، وهي من الآيات التي صدقت فيها الأذهان الصقيلة، وعادت بها أسنة الألسنة مقلولة، ومن جملة العجائب أن شيئًا أراد أن يحتج على مدرس لما ذكر له هذا السؤال، فقال: [إنما] ^(١) ذكر السواد لأنه قد يكون في الغراب ما فيه بياض، وقد رأيت به بلاد المشرق! فلم يفهم من الآية إلا أن الغراب هو الغراب، [ولا حول] ^(٢) ولا قوة إلا بالله! والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم «الغراب» هو تناسب الكلم، وجريانها على نمط متساوي التركيب، وذلك أنه لما تقدم البيض والحمر دون إبتاع كان الأليق بحسن النسق، وترتيب النظام أن يكون «السود» كذلك، ولكنه لما كان في «السود» هنا زيادة الوصف، كان الأليق في المعنى أن يُتبع بما يقتضي ذلك؛ وهو الغراب فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى، فوق الخطاب وكمل الغرضان جميعًا؛ ولم يطرح أحدهما الآخر، فيقع النقص من جهة الطرح، وذلك بتقديم «الغراب» على «السود» فوق في لفظ «الغراب» حظ المعنى في زيادة الوصف وفي ذكر «السود» مفردًا من الإبتاع حظ اللفظ إذا جاء مجردًا عن صورة البيض والحمر، فاستقت الألفاظ كما ينبغي، وتم المعنى كما يجب، ولم يُجَلَّ بواحدة من الوجهين، ولم يقتصر على «الغراب»، وإن كانت متضمنة لمعنى «السود»، لثلاث تنافر الألفاظ فإن ضم الغريب إلى البيض والحمر، [وكزها] ^(٣) في قرن واحد:

كابن اللبون إذا ل ز في قرن

غير مناسب لتلاوم الألفاظ وتشاكلها، وبذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام، وهذا لعمر الله من العجائب التي تكلف دونها العقول، وتعيها الألسن لا تدري ما تقول والحمد لله.

ثم رأيت أبا القاسم السهلي ^(٤)، أشار إلى معنى غريب، فنقل عن أبي حنيفة الدينوري أن «الغريب» اسم لنوع من العنب وليس بنعت، قال: ومن هذا يُفهم معنى الآية، و«سود» عندي بدل

(١) سقط من م.

(٢) في المطبوع: ولزما.

(٣) زيادة تقتضيها السياق.

(٤) الروض الأنف (١/٣١٦) بصرف واختصار.

لا نعت وإن كان «الغريب» إذا أطلق لفظه ولم يقيد بذكر شيء موصوف، فلما يفهم منه العنب الذي هو اسمه خاصة، فمن ثم حسن التقييد.

الثامنة عند تكرار النعوت لواحد

إذا تكررت النعوت لواحد، فتارة يُترك العطف، كقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَشَّامٍ يَنْبِئُ بِمِثْرٍ﴾ [القلم: ١٠-١١]، وتارة تشترك بالعطف، كقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سُبُوْحًا ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ فَدَّرَةً ﴿٣﴾﴾ [ق/١٤٨] ويشترط في ذلك اختلاف معانيها، قال الزمخشري وأبو البقاء: دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة انتهى.

والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات، نحو: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿٢٠﴾﴾، وإلا فلا.

التاسعة فصل الجمل في مقام المدح والذم أبلغ من جعلها نمطًا واحدًا

قال أبو علي الفارسي: إذا ذكرت صفات في معرض المدح والذم، فالأحسن أن يخالف في إعرابها، لأن المقام يقتضي الإطناب فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل، لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الإيجاز تكون نوعًا واحدًا.

ومثله في المدح قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، فانتصب «المقيمين» على القطع، وهو من صفة المرفوع الذي هو ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقيل: بل انتصب بالعطف على قوله: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وهو مجرور، وكأنه قال: (يؤمنون بالذي أنزل إليك وبالْمُقِيمِينَ) أي: بإجابة المقيمين، والأول أولى، لأن الموضع للتفخيم، فالأليق به إضمار الفعل، حتى يكون الكلام جملة لا مفردًا. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ أَمْرٍ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] نص عليه سيبويه.

وجوز السيرافي أن يحمل على قوله: ﴿وَمَا آتَى أَلْمَالِ عَلَىٰ حَيْبِهِ ذَوَىٰ الضَّرْفِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى أن [قال] ^(١): ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، ورده الصفار بأنه لا يعطف على الموصول قبل تمام الصلة، وإن كان ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ معطوفًا على ﴿وَالسَّالِفِينَ﴾ فهو من صلة «من» فكذلك المعطوف عليه.

والصواب: أن يكون [المعطوف] ^(٢) من صلة «من»، وتكون الصلة كملت عند قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَى الزَّكَاةَ﴾ ثم أخذ في القطع.

ومثاله في الذم ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المد: ٤] بنصب ﴿حَمَّالَةَ﴾.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

تنبيهان

الأول: إنما يحسن القطع بشرطين: أحدهما أن يكون الموصوف معلوماً، أو مُتَزَلَّاً منزلة المخاطب لا يتصور عنده البناء على مجهول، وقولنا «أو منزلاً منزلة المعلوم» لا بد منه.

وقال الرزمخسري^(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٢]، رفع على الإبدال من ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ أو رفع على المدح، أو نصب عليه.

قال الطيبي: والإبدال أولى، لأن من حق صلة الموصول أن تكون معلومة عند المخاطب وكونه تعالى: ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، لم يكن معلوماً للعالمين، فأبدل بقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٢] بيانا وتفسيراً وتبين لك المدح.

وجوابه ما ذكرنا أن المنزل منزلة المعلوم بمنزلة العلوم، وهاهنا لقوة دليله أجرى مجرى المعلوم، وجعلت صلة: نص عليه سبويه والجمهور.

وثانيهما: أن يكون الصفة للشأن والتعظيم.

وشرط بعضهم ثالثاً، وهو تقدم الإتيان. حكاها ابن باشاذ.

وزيفه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(٢)، وقال: إنما يتم ذلك إذا كان الموصوف يفتقر إلى زيادة بيان، فحينئذ يتقدم الإتيان ليستحكم العلم بالموصوف، أما إذا كان معلوماً فلا يفتقر إلى زيادة بيان، قال: والأصل - فيما الصفة فيه مدح أو ذم والموصوف معلوم - قطع الضمير، وهو الأوضح ولا يشترط غير ذلك.

وقد أورد على دعوى أفصحية القطع عند ذلك إجماع القراء السبعة على الإتيان في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، فضعفوا قراءة النصب على القطع مع حصول شرطي القطع.

وأجاب ابن الزبير بأن اختيار القطع مطرد ما لم تكن الصفة خاصة بمن جرت عليه، لا يليق ولا يتصف بها سواه. ولا شك أن هذا الضرب قليل جداً، فكذا لم يفصح سبويه باشرطه. فإذا كانت الصفة بمن لا يشارك فيها الموصوف غيره، وكانت مختصة بمن جرت عليه، فالوجه فيها الإتيان. ونظير ذلك في صفات الله سبحانه وتعالى مما يتصف به غيره، فلذلك لم يقطع، وعليه ورد السماع لهذه الآيات الشريفة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿حَمِّمٌ﴾ [تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

(٢) ملاك التأويل (١/١٥٩-١٦٧).

(١) الكشاف (٣/٢٦٢-٢٦٣).

أَلْمَقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴿[غانر: ١-٣] ، لما كان وصفه تعالى بـ ﴿عَافِرِ الذَّنْبِ﴾ وما بعده لا يليق بغيره، لم يكن فيه إلا الإتياع، والإتياع لا يكون بعد القطع، ويلزم الإتياع في الكل. وهذا مع تكرار الصفات، وذلك من مسوغات القطع على صفة ما، وعند بعضهم من غير تقييد بصفة.

وأما الإتياع فيما لم يقع فيه الاختصاص من صفته تعالى فكثير، فهذا هو السماع، وله وجه في القياس، وهو شبيه بالوارد في سورة والنجم، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْتَكُ ﴿١١﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَكْبِيًا ﴿[النجم: ٤٣-٤٤] ، ثم قال بعد: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١٢﴾ وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿[النجم: ٤٨-٤٩] ، فورد في هذه الجمل الأربع الفصل بالضمير المرفوع بين اسم إن وخبرها، ليتحدد بمفهومه نفي الاتصاف عن غيره تعالى بهذه الأخبار، وكان الكلام في قوة أن لو قيل: «وأنه هو لا غيره».

ولم يرد هذا الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿[النجم: ٤٥] ، لأن ذلك مما لا يتعاطاه أحد، لا حقيقة ولا مجازًا ولا ادعاء؛ بخلاف الإحياء والإماتة فيما حكاه الله تعالى عن نمرود.

قلت: وما ذكره في الجواب يرد عليه قوله تعالى: ﴿التَّحِيَّونَ الْمَكِيدُونَ . . . ﴿[الآية: التوبة: ١١٢] ، وقوله تعالى: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُسَلِّمَاتٍ . . . ﴿[الآيات: التحريم: ٥] .
ومما يرد عليه بالنسبة لأوصاف الدم قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّيْنٍ ﴿١٣﴾ هَذَا . . . ﴿[الآية: القلم: ١١-١٠] قد جرت كلها على ما قبلها بالإتياع ولم يجيء فيها القطع.

وقرأ الحسن «عتل» بالرفع على الدم، قال الزمخشري^(١): وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك.

الثاني: قد يلتبس المنصوب على المدح بالاختصاص، وقد فرق سيبويه بينهما فيما بين، والفرق أن المنصوب على المدح أن يكون المنتصب لفظًا يتضمن نفسه مدحًا، نحو «هذا زيد عاقل قومه»، وفي الاختصاص لا يقتضي اللفظ ذلك، كقوله تعالى: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿[هود: ٧٣] فيمن نصب ﴿أهل﴾ .

العاشرة في وصف الجمع بالمفرد^(٢)

يوصف الجمع بالمفرد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿[طه: ٤] فوصف الجمع بالمفرد.

وقال تعالى: ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿[الأعراف: ١٨٠] ، فوصف «الأسماء» وهي جمع اسم، بالحسنى وهو مفرد، تأنيث الأحسن.

(٢) انظر: «الأقصى القريب» (ص/ ٥١-٥٣) .

(١) الكشاف (٤/ ٥٨٧) .

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، فإن ﴿الْأُولَىٰ﴾ تأنيت الأول، وهو صفة لمفرد. وإنما حسن وصف الجمع بالمفرد، لأن اللفظ المؤنث؛ يجوز إطلاقه على [ق/١٤٩] جماعة المؤنث بخلاف [لفظ] ^(١) المذكور، وأما قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٧] والبور: الفاسد. فقال الرماني: هو بمعنى الجمع إلا أنه ترك جمعه في اللفظ، لأنه مصدر وصف.

وقد يوصف الجمع بالجمع، ولا يوصف مفرد كل منهما بالمفرد، ومنه ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [القصص: ١٥] فثنى الضمير، ولا يقال في الواحد «يقتتل».

ومنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مُنْشِقِطَتًّا﴾ [آل عمران: ٧]، ولا يقال: و«أخرى متشابهة».

الحادية عشر قد تدخل الواو على الجملة الواقعة صفة تأكيداً ^(٢)

ذكره الزمخشري، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كَانَتْ مَعْلُومًا﴾ [الحجر: ٤]، قال: الجملة صفة لقرية، والقياس عدم دخول الواو فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

وقد أنكره عليه ابن مالك، والشيخ أبو حيان وغيرهما، والقياس مع الزمخشري، لأن الصفة كالحال في المعنى. وزعم بعضهم أنه لا يؤتى بالواو في الصفات إلا إذا تكررت النعوت، وليس كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ قَرَابِطٍ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿مَائِنًا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفَرَاقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرًا السَّمِيْعِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وتقول جاءني زيد والعالم.

الثانية عشرة الصفة لا تقوم مقام الموصوف إلا على استكراه ^(٣)

لأنها إنما يؤتى بها للبيان والتخصيص، أو المدح والذم، وهذا في موضع الإطالة لا الاختصار، فصار من باب نقص الغرض.

وقال ابن عمرو: عندي أن البيان حصل بالصفة والموصوف معاً، فحذف الموصوف بنقص الغرض، ولأنه ربما أوقع لبساً، ألا ترى أن قولك: «مررت بطويل» يحتمل أنه رجل أو قوس أو غير ذلك، إلا إذا ظهر أمره ظهوراً يستغنى به عن ذكره، كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيْرَةٌ أَلْفَرَفِيْبِيْنَ﴾ [الصافات: ٤٨].

قال السخاوي: ولا فرق في صفة النكرة بين أن يذكر معها أو لا.

قال ابن عمرو: وليس قوله بشيء.

(١) سقط من م.

(٢) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٦٩).

(٣) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٦٢-٦٨).

القسم الثالث

البدل (١)

والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان والتأكيد، أما البيان فإنك إذا قلت: «رأيت زيداً أخاك» بينت أنك تريد بزيد الأخ لا غير، وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل، ألا ترى [أنك] إذا قلت: «ضربت زيداً»، جاز أن تكون ضربت رأسه أو يده أو جميع بدنه، فإذا قلت: «يده» فقد رفعت ذلك الإبهام، فالبدل جار مجرى التأكيد لدلالة الأول عليه، أو المطابقة كما بدل الكل أو التضمن كما في بدل البعض، أو الالتزام كما في بدل الاشتمال، فإذا قلت: «ضربت زيداً رأسه» فكأنك قد ذكرت الرأس مرتين، مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة، وإذا قلت: شربت ماء البحر بعضه [فإنه] (٢) مفهوم من قولك: «شربت ماء البحر» أنك لم تشربه كله فجئت بالبعض تأكيداً.

وهذا معنى قول سيبويه: ولكنه بني الاسم تأكيداً وجرى مجرى الصفة في الإيضاح، لأنك إذا قلت: «رأيت أبا عمرو زيداً»، «ورأيت غلامك زيداً»، «ومررت برجل صالح زيد»، فمن الناس من يعرفه بأنه غلامك، أو بأنه رجل صالح، ولا يعرف أنه زيد، وعلى العكس، فلما ذكرتهما أثبت باجتماعهما المقصود.

وهذا معنى قول الزمخشري: وإنما (٣) يذكر الأول لتجاوز [التوطئة] (٤)، وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد.

وقال ابن السيد: ليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه، بل من البدل ما يراد به التأكيد، وإن كان ما قبله غنياً عنه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ (الشورى: ٥٢-٥٣)، ألا ترى أنه لو لم يذكر «الصراط» الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله، وقد نص سيبويه على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد، ولهذا جوزوا بدل المضمرة من المضمرة، كلقية أباه. انتهى.

والفرق بينه وبين الصفة أن البدل في تقدير تكرار العامل، وكأنه في التقدير من جملتين؛ بدليل تكرر حرف الجر في قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، وبدليل بدل النكرة من المعرفة، والمظهر من المضمرة، وهذا مما يمتنع في الصفة، فكما أعيدت اللام الجارة في الاسم، فكذلك تكرار العامل الرافع أو الناصب في تقدير التكرار، وهو إن كان كذلك فلا يخرج عن أن يكون فيه تبيين للأول كالصفة.

(١) انظر: «الكامل» للمبرد (٢/٩٠٥-٩٠٦).

(٢) في م: لأنه.

(٣) في المفصل: لنحو من التوطئة.

(٤) المفصل (ص/١٢١).

وقيل لأبي علي: كيف يكون البديل أيضاً للمبدل منه وهو من غير جملة؟ فقال: لما لم يظهر العامل في البديل، وإنما دل عليه العامل في المبدل منه، واتصل البديل بالمبدل منه في اللفظ جاز أن يوضحه.

ومن فوائد البديل: التبيين على وجه المدح، فقولك: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان أبلغ من قولك فلان الأكرم والأفضل، بذكره مجملاً ثم مفصلاً.

وقال الأخفش والواحدي في بدل البعض من الكل، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] يُسمى هذا بدل البيان؛ لأن الأول يدل على العموم، ثم يؤتى بالبديل إن أريد البعض.

واعلم أن في كلام البديلين - أعني بدل البعض وبديل الاشتمال - بياناً وتخصيصاً للمبدل منه، وفائدة البديل أن ذلك الشيء يصير مذكوراً مرتين إحداهما بالعموم، والثانية بالخصوص.

ومن أمثله قوله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

﴿إِنَّمَا رَبِّيَ الْغَالِيينَ ② رَبِّي مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧-٤٨].

وقوله: ﴿لَتَسْمَعُنَّ بِالْأَنصِيَةِ ③ نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ﴾ [العلق: ١٥-١٦] وفائدة الجمع بينهما أن الأولى ذكرت للتخصيص على ناصية، والثانية على علة السفع، ليشمل بذلك ظاهر كل ناصية هذه صفتها.

ويجوز بدل المعرفة من المعرفة نحو: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وبدل النكرة من المعرفة، نحو ﴿بِالْأَنصِيَةِ ③ نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ﴾ [العلق: ١٥-١٦] قال ابن يعيش (١): ولا يحسن بدل النكرة من المعرفة، حتى توصف كالآية، لأن البيان مرتبط بهما جميعاً.

والنكرة من النكرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ④ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَعْنَابًا ⑤ زُكَايِبَ أَزْرَابًا ⑥ وَكَمَا دِهَاقًا﴾

[النبا: ٣١-٣٤] فحذائق وما بعدها بدل من «مفازاً».

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَرَبِيَّةٍ سُوْدٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، فإن «سود» بدل من «غرابيب»، لأن الأصل «سود غرابيب» فغرابيب في الأصل صفة لسود، ونزع الضمير منها، وأقيمت مقام الموصوف، ثم أبدل منها الذي كان موصوفاً بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله: ﴿وَشَرُّهُ يُشْرِكُ بِحُجْرٍ مَحْجُورٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، فهذا بدل نكرة موصوفة من أخرى موصوفة فيها بيان الأولى [ق/ ١٥٠].

ومثل إبدال النكرة المجردة من مثلها مجردة، وبديل المعرفة من النكرة: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ⑦ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣] لأن «صراط الله» مبين إلى الصراط المستقيم، فإن مجيء

(١) في م: مسعود. تصحيف.

الخاص والأخص بعد العام والأعم كثير، ولهذا المعنى قال الحذاق في قوله تعالى: ﴿مَا يَلِيظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ [ق: ١٨] إنه لو عكس فقيل: «ما يقول من لفظ» لم يميز؛ لأن القول أخص من اللفظ لاخصاصه بالمستعمل، واللفظ يشمل المهمل الذي لا معنى له.

وقد يجيء للاشتمال، والفرق بينه وبين بدل البعض؛ أن البديل في البعض جَرَّ [و] ^(١) في الاشتمال وصفًا، كقوله: ﴿وَمَا أُنْسِيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] فَإِنْ ﴿أَذْكُرَهُ﴾ بمعنى ذكره، وهو بدل من الهاء في ﴿أُنْسِيْنِيهِ﴾ العائدة إلى الحوت، وتقديره: «وما أنساني ذكره إلا الشيطان». وقوله: ﴿يَسْتَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ف ﴿قِتَالٍ﴾ بدل من ﴿الشَّهْرِ﴾ بدل الاشتمال، لأن الشهر يشتمل على القتال وعلى غيره، كما كان زيد يشتمل على العقل وغيره، وهو مؤكد لأنهم لم يسألوا عن الشهر الحرام، فإنهم يعلمونه، وإنما سألوا عن القتال فيه، فجاء به تأكيدًا. وقوله: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُوِّ ۖ أَلِنَارٍ﴾ [البروج: ٤-٥]، فالنار بدل من (الأخدود) بدل اشتمال؛ لأنه يشتمل على النار وغيرها، والعائد محذوف تقديره «الموقدة فيه».

ومن بدل البعض قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فالمستطيعون بعض الناس لا كلهم.

وقال ابن برهان: بل هذه بدل كل من كل، واحتج بأن الله لم يكلف الحج من لا يستطيعه، فيكون المراد بالناس بعضهم على حد قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، في أنه لفظ عام أريد به خاص، لأن ﴿النَّاسِ﴾ في اللفظ الأول، لو كان المراد به الاستغراق لما انتظم قوله بعده: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ فعلى هذا هو عنده مطابق لعدة المستطيعين في كميتهم، وهم بعض الناس لا جميعهم.

والصحيح ما صار عليه الجمهور، لأن باب البديل أن يكون في الثاني بيان ليس في الأول، بأن يذكر الخاص بعد العام مبيّنًا وموضحًا. ولا بد في إبدال البعض من ضمير، كقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقد يحذف للدليل، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، (منهم) وهو مراد بدليل ظهوره في الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَاتِ مَنْ ءَامَنَ وَنُهُم﴾ [البقرة: ١٢٦] ف ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من ﴿أَهْلَهُ﴾ وهم بعضهم.

وقد يأتي البديل لنقل الحكم عن مبدله، نحو: «جاء القوم أكثرهم وأعجبني زيد ثوبه»، وقال ابن عصفور: ولا يصح «علمانه».

(١) سقط من المطبوع.

وعدل عن البدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، لأنه أريد الإخبار عنهم كلهم في الحال الثاني، وهو ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ [الحجرات: ٥]، فلو أبدل لأوهم بخلاف: «إنك إن تقوم خير لك». البدل أرجح.

والبدل في تقدير تكرير العامل وليس كالصفة، ولكنه في تقدير جملتين بدليل تكرير حرف الجر. قد يكرر عامله إذا كان حرف جر، كقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْمِهَا قِنَوَانٌ دَابَّةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩] ﴿فَطَلْمِهَا﴾ بدل اشتمال من ﴿النَّخْلِ﴾ وكرر العامل فيه وهو من.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، ﴿لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل، من «الذين استضعفوا» لأن المؤمنين بعض المستضعفين وقد كرر اللام.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِسُوءَاتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣]، فقوله: لبيوتهم بدل اشتمال من قوله: ﴿لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: ٣٣]. وجعل ابن عطية^(١) اللام الأولى للملك، والثانية للاختصاص فعلى هذا يمتنع البدل لاختلاف معنى الحرفين.

وقوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤] ف﴿لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من الضمير في ﴿لَنَا﴾ وقد أعيد معه العامل مقصودًا به التفصيل.

ومنه قراءة: يعقوب ﴿رَزَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِدَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ [الجمانية: ٢٨] قال أبو الفتح^(٢) جاز إبدال الثانية من الأولى، لأن في الثانية ذكر سبب الجثو.

قيل: ولم يظهر عامل البدل إذا كان حرف جر إيذانًا بافتقار الثاني إلى الأول، فإن حروف الجر مفتقرة ولم يظهر الفعل إذ لو أظهروه لانقطع الثاني عن الأول بالكلية، لأن الكلام مع الفعل قائم بنفسه.

واعلم أنه لا خلاف في جواز إظهار العامل في البدل، إذا كان حرف جر كالأيات السابقة؛ فإن كان رافعًا أو ناصبًا ففيه خلاف، والمجوزون احتجوا بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَاتَّقُوا الَّذِينَ﴾ ﴿أَمَدُّكُمْ يَمَا تَمَلُّونَ﴾ [النمر: ١٣١-١٣٣]، فيجوز أن يكون ﴿أَمَدُّكُمْ﴾ الثاني بدلًا من ﴿أَمَدُّكُمْ﴾ الأول، وقد يكون من إبدال الجملة من الجملة، وتكون الثانية صلة «الذي» كالأولى ويجوز أن تكون الثانية شارحة للأولى، كقولك: «ضربت راس زيد قذفته بالحجر»، ثم قوله تعالى: ﴿يَقْوِرَ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [س: ٢٠-٢١]، أعدل قوله: ﴿أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُرُ﴾ [س: ٢١] من قوله: ﴿أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [س: ٢٠]، لأنه أكثر تلطفاً في اقتضاء اتباعهم. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ

(٢) الخصائص (٣/ ٢٢٤).

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٥٤).

يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلْقَى أَنَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ﴿ [الفرقان: ٦٨-٦٩] ف ﴿يَلْقَى﴾ مجزوم بحذف الألف، لأنه جواب الشرط، ثم أبدل منه: ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾ فبين بها «الأثام» ما هو.

تقسيم البديل باعتبار آخر

وينقسم البديل باعتبار آخر إلى: بديل مفرد من مفرد، وجملة من جملة، وقد سبقا، وجملة من مفرد كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ﴾ [الاعمران: ٥٩]، وقوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، وجاز إسناد ﴿يُقَالُ﴾ إلى ما علمت فيه؛ كما جاز إسناد ﴿قِيلَ﴾ في: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية: ٣٢].

ومن إبدال الجملة من المفرد قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] قال الزمخشري: هذا الكلام كله في محل نصب بدلاً من ﴿النَّجْوَى﴾.

ويبدل الفعل من الفعل الموافق له في المعنى مع زيادة بيان، كقوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلْقَى أَنَامًا﴾ ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ...﴾ الآية [الفرقان: ٦٨-٦٩].

والرابع: بديل المفرد من الجملة كقوله: ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ كَرَمًا بَرًا كَرَاهُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَسْجِدٌ كَمَا كَانُوا يَكُونُونَ لَهَا يَوْمَئِذٍ أُخْبِرُوا بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ [س: ٣١] ف ﴿أَنْتُمْ﴾ بديل، لأن الإهلاك وعدم الرجوع بمعنى واحد. فإن قلت: لو كان بدلاً لكان معه الاستفهام. قيل هو بديل معنوي.

تنبيه في تكرار البديل

وقد يكرر ^(١) البديل كقوله: ﴿إِلَّا نُنصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَجْرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: ﴿ [النوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿إِذْ هُمَا﴾ [ق/ ١٥١] بديل من قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النوبة: ٤٠] وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ بديل من ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَجْرِ﴾.

تنبيه في إعراب كلمة أزر في سورة الانعام

أعربوا ﴿أَزَّرَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِزَيْنِبُ لِيَأْمُرِي بِأَزَّرَ﴾ [الانعام: ٧٤] بدلاً. قال ابن عبد السلام: والبديل لا يكون إلا للبيان، والأب لا يلتبس بغيره فكيف حسن البديل؟ انتهى.

(١) في م: يتكرر.

والجواب: أن الأب يطلق على الجد، بدليل قوله: ﴿ءَابَاءَهُ إِيزُيْمَةَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، فقال: «آزر» لدفع توهم المجاز.

هذا كله إذا قلنا: إن «آزر» اسم أبيه، لكن في «المعرب»^(١) للجواليقي عن الزجاج: لا خلاف أن اسم أبي إبراهيم [تارح، والذي في القرآن يذلل على أن اسمه آزر]، وقيل: «آزر» ذم في لغتهم، وكأنه: «يا مخطئ» وهو من العجمي الذي وافق لفظه لفظ العربي، نحو الإزار والإزرة، قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ سَطَنًا فَنَازِلُهُ﴾ [الفتح: ٢٩].

وعلى هذا فالوجه الرفع في قراءة ﴿ءَازَرَ﴾.

القسم الرابع عطف البيان

وهو كالتعت في الإيضاح وإزالة الإشتراك الكائن فيه.

وشرط صاحب الكشاف فيه أن يكون وضوحه زائداً على وضوح متبوعه.

ورد ما قاله بأن الشرط حصول زيادة الوضوح بسبب انضمام عطف البيان مع متبوعه، لا أن الشرط كونه أوضح وأشهر من الأول، لأن من الجائز أن يحصل باجتماع الثاني مع الأول زيادة وضوح لا تحصل حال انفرد كل واحد منهما، كما في «خالي أبو عبد الله زيد»، مع أن اللقب أشهر؛ فيكون في كل واحد منهما خفاء بانفراده، ويرفع بالانضمام.

وقال سيوييه: جعل: [هذه الجملة]^(٢) عطف بيان مع أن اسم الإشارة أعرف من المضاف إلى ذي اللام، وقيل: يشترط أن يكون عطف البيان معرفة.

والصحيح أنه ليس بشرط كقولك: «لبست ثوباً جبة».

وقد أعرب الفارسي: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وكذا: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ سَعْيٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، وكذلك صاحب المفتاح^(٣) في ﴿لَا تَتَّخِذُوا لِلنَّهْيِ اتِّبَاعًا إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ﴾ [النحل: ٥١]

فإن قلت: ما الفرق بينه وبين الصفة؟

قلت: عطف البيان وضع ليدل على الإيضاح باسم يختص به، وإن استعمل في الإيضاح كالمدرح في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُتُبَةَ الْآيَّتِ الْكُرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧] فإن ﴿آيَّتِ الْكُرَامَ﴾ عطف بيان جيء به للمدرح، لا للإيضاح، وأما الصفة فوضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعه، وإن كانت في بعض الصور مفيدة للإيضاح للعلم بمتبوعها من غيرها.

(١) (ص/ ٢٨).

(٢) (المفتاح (ص/ ١٩٠).

(٣) في المطبوع: يا هذا الحمد.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [سبا: ٤٦] ، وقوله تعالى: ﴿أَيَّدْتُ بِبَيْتِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

وزعم الزمخشري^(١) في قوله تعالى: ﴿أَنْتِكُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ [الطلاق: ٦] ، أن ﴿مِنْ وَجْهِكَ﴾ عطف بيان .

وهو مردود، فإن العامل إنما يعاد في البديل لا في عطف البيان .

فإن قلت: ما الفرق بينه وبين البديل؟

قلت: قال أبو جعفر النحاس: ما علمت أحدًا فرق بينهما إلا ابن كيسان، فإن الفرق بينهما أن البديل يقرر الثاني في موضع الأول، وكأنك لم تذكر الأول، وعطف البيان أن تقدر أنك إن ذكرت الاسم الأول لم يعرف إلا بالثاني، وإن ذكرت الثاني لم يُعرف إلا بالأول، فجئت بالثاني مبيّنًا للأول قائمًا له مقام النعت والتوكيد .

قال: وتظهر فائدة هذا في النداء تقول: «يا أخانا زيد أقبل»، على البديل، كأنك رفعت الأول وقلت: «يا زيد أقبل» فإن أردت عطف البيان قلت: «يا أخانا زيد أقبل» .

القسم الخامس ذكر الخاص بعد العام

فيؤتى به معطوفًا عليه بالواو وللتشبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، وعلى هذا بني المتنبي قوله

فإن تفق الأنعام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وابن الرومي أيضًا حيث قال:

كم من أب قد علا بابن دُزّا شرفٍ كما علت برسول الله عدنان
وحكى الشيخ أثير الدين عن شيخه أبي جعفر بن الزبير، أنه كان يقول: إن هذا العطف يسمى بالتجريد، كأنه جرد من الجملة وأُفرد بالذكر تفصيلًا .

وله شرطان: ذكرهما ابن مالك أحدهما: كون العطف بالواو، والثاني كون المعطوف ذا مزية . وحكي قولين في العام المذكور: هل يتناول الخاص المعطوف عليه أو لا يتناوله؟ فعلى القول الأول يكون هذا نظير مسألة: «نعم الرجل زيد» على المشهور فيه، وهو الظاهر من لفظ العام، وعلى الثاني يكون عطف الخاص قرينة دالة على إرادة التخصيص في العام، وأنه لم يتناوله، وهو نظير بحث الاستثناء في نحو قولك: «قام القوم إلا زيدًا» من أن (زيدًا) لم يدخل في القوم وقد يتقوى هذا بقوله:

(١) الكشاف (٤/ ٥٥٨) .

يا حب ليلى لا تغير وازدد وانم كما ينمو الخضاب في اليد
وإن كان هذا ليس من العطف العام .

وقد أشار الزمخشري^(١) إلى القولين في سورة الشعراء؛ في قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥٧﴾ وَزُرُوعٍ
وَنَخْلٍ ظَلْمًا هَٰئِبَةً﴾ [الشعراء: ١٤٧-١٤٨] .

وقد يقال: آية الشعراء إنما جاز فيها الاحتمالان من جهة أن لفظ «جنت» وقع بلفظ التنكير، ولم
يعم الجنس؛ وأما الآية السابقة فالإضافة تعم، ولا ينبغي أن يجعل من هذا قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَّهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، أما على قول أبي حنيفة ومحمد فواضح، لأنهما يقولان: إن النخل والرممان
ليسا بفكاهة، وأما على قول أبي يوسف فقوله: «فكاهة» مطلق وليس بعام .

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، على القول بأنها
إحدى الصلوات الخمس .

قلنا: إن المراد غيرها كالوتر، والضحي والعيد فليس من هذا الباب .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْكُوتُونَ بِآلِ كِتَابٍ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] مع أن التمسك بالكتاب
يشمل كل عبادة، ومنها الصلاة؛ لكن خصها بالذكر إظهاراً لمرتبتها لكونها عماد الدين .
وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾^(٢) [البقرة: ٩٨]، فإن
عداوة الله راجعة إلى عداوة حزبه، فيكون جبريل كالمذكور أربع مرات، فإنه اندرج تحت عموم
ملائكته وتحت عموم رسله، ثم عموم حزبه ثم خصوصه بالتنصيص عليه .

ويجوز أن يكون عومل معاملة العدد، فيكون الذكر ثلاثاً، وذكرها بعد الملائكة مع -
كونهما من الجنس - دليل على قصد التنويه بشرفهما، على أن التفصيل إن كان بسبب الأفراد فقد
[عدد]^(٣) للملائكة مثله، بسبب الإضافة وقد يلحظ شرفهما على غيرهما .

وأيضاً: فالخلاف السابق في أن ذكر بعض أفراد العام؛ [ق/ ١٥٢] بعد العام؛ هل يدل على أنه لم
يدخل في العام فராًا من التكرار أو يدخل؟

وفائدته: التوكيد، وحكاة الروياني في «البحر» [في]^(٤) كتاب الوصية، وخرج عليه ما إذا وصى
[رجل] لزيد بدينار؛ وبثلث ماله للفقراء، وزيد فقير فهل يجمع له بين ما وصى لديه وبين شيء من الثلث
على ما أراد الوصي؟ وجهان، والأصح أنه لا يعطى غير الدينار، لأنه بالتقدير قطع اجتهاد الوصي .

(١) الكشاف (٣/ ٣٢٨) .

(٢) كذلك بالنسخ ونص الآية «من كان» بدون (قل) ولعلها سهو من المؤلف .

(٣) في المطبوع: عدل .

(٤) في المطبوع: من .

قلت: والقول بعدم دخوله تحت اللفظ، هو قول أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وعلى هذا القول فلا يحسن عد هذه الآية من هذا النوع.

وأيضًا: فإذا اجتمع في الكلام معطوفان؛ هل يجعل الآخر معطوفًا على الأول؟ أو على ما يليه؟ وقع في كلام الزمخشري في مواضع من الكشاف تجويز الأمرين.

فذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُنْزِلُ السَّمَاءَ مِثْرًا وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]، أن «مخرجًا» معطوف على «فالق» لا على «يُخْرِجُ»^(١)، فإرًا من عطف الاسم على الفعل، وخالفه ابن مالك وأوله.

وذكر أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، على هذه القراءة أنه معطوف على الله لأن قضاءه قديم.

وذكر أيضًا في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]^(٣)، حاصله أن قوله: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ﴾ إذا أريد به العموم كان قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطفاً على مقدر؛ أي: أنشأها وأوجدها: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]، يعني: خلقكم من نفس هذه صفتها. وإن أريد به المخاطبون بمكة، كان قوله: ﴿وَخَلَقَ﴾ عطفاً على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، وموجب ذلك الفرار من التكرار. وعلى هذا فيجوز أن يكون «جبريل» معطوفاً على لفظ الجلالة، فلا تكون الآية من هذا النوع. ولو سلمنا بعطفه على «رسله» فكذلك، لكن الظاهر أن المراد بالرسول من بني آدم لعطفهم على الملائكة فليسوا منه.

وفي الآية سؤالان:

أحدهما: لم خص جبريل وميكائيل بالذكر؟ الثاني لم قدم جبريل عليه؟

والجواب عن الأول أنه سبحانه وتعالى خصهما بالحياة، فجبريل بالوحي الذي هو حياة القلوب، وميكائيل بالرزق الذي هو حياة الأبدان، ولأنهما كانا سبب النزول في تصريح اليهود بعداوتهما.

وعن الثاني: أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان، ومن ثم قيل:

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَنَجَلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وغلظ بعضهم من عد هذه الآية من هذا النوع، من جهة أن «فاكهة» نكرة في سياق الإثبات، فلا عموم لها.

(٢) الكشاف (١/٢٥٣).

(١) الكشاف (٢/٤٧).

(٣) الكشاف (١/٤٦١).

وهو غلط للأمرين:

أحدهما: أنها في سياق الإثبات، وهو مقتضى العموم، كما ذكره القاضي أبو الطيب الطبري. والثاني: أنه ليس المراد بالخاص والعام هاهنا المصطلح عليه في الأصول، بل كل ما كان الأول فيه شاملاً للثاني. وهذا الجواب أحسن من الأول لعمومه بالنسبة إلى كل مجموع يشتمل على متعدد. ولما لمح أبو حنيفة معنى العطف، وهو المغايرة لم يحدث الحالف على أكل الفاكهة بأكل الرمان (١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، إذ الأمر والنهي من جملة الدعاء إلى الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا نُزِّلَ عَلَيْهِ؛ إذ لا يتم الإيمان إلا به.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ﴾ [يس: ٧٣]. وقوله: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ٩٦]، ففائدة قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع دخولهم في عموم الناس، أن حرصهم على الحياة أشد لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، فهذا عام؛ ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وإن كان الإيمان بالغيب يشملها، ولكن خصها لإنكار المشركين لها في قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الباقية: ٢٤]، فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم.

وقوله: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فعمم بقوله: ﴿خَلَقَ﴾ جميع مخلوقاته، ثم خص فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فإنه عطف «اللحم» على «الميتة» مع دخوله في عموم الميتة، لأن الميتة كل ما ليس له ذكاة شرعية، والقصد به التنبيه على شدة التحريم فيه.

تنبيه

ظاهر كلام الكثيرين تخصيص هذا العطف بالواو، وقد سبق عن ابن مالك وآخرين بجيبته في «أو» في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ [النساء: ١١٠]، مع أن ظلم النفس من عمل السوء، فقيل هو بمعنى الواو، والمعنى: يظلم نفسه بذلك السوء حيث دساها بالمعصية.

(١) انظر: «البحر الرائق» (٤/ ٣٥١-٣٥٢)، والجامع الصغير وشرحه للكنوي (ص/ ٢٥٧)، وبدائع الصنائع (٣/ ٦٠-٦١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ فإن الوحي مخصوص بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء، خص بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والإثم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [ال عمران: ١٣٥]، مع أن فعل الفاحشة داخل فيه. قيل: أريد به نوع من أنواع ظلم النفس، وهو الربا أو كل كبيرة، فخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه، وأريد بظلم النفس ما وراء ذلك من الذنوب.

القسم السادس ذكر العام بعد الخاص

وهذا أنكر بعض الناس وجوده وليس بصحيح.

والفائدة في هذا القسم واضحة، والاحتمالان المذكوران في العام قبله ثابتان هنا أيضا. ومنه قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]: والنسك العبادة، فهو أعم من الصلاة.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْصِمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبَاطًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وقوله إخبارا عن نوح: ﴿رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]. وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيْرٌ﴾ [التعريم: ٤].

وجعل الزمخشري^(١) منه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدْرِ الْأَمْرُ﴾ [يونس: ٣١]، بعد قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ [يونس: ٣١]. واعلم أن هذين النوعين يقعان في الأفعال والأسماء، لكن وقوعهما في الأفعال لا يأتي إلا في النفي، وأما في الإثبات فليس من هذا الباب، بل [من]^(٢) عطف المطلق على المقيد أو المقيد على المطلق.

القسم السابع عطف أحد المترادفين على الآخر،

أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد

وهذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ، وإنما يحسن [ق/ ١٥٣] بالواو، ويكون في الجمل كقوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَكَ فَآوَىٰ ۗ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]. ويكثر في المفردات كقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ عُذْلًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، ﴿لَا تَخَافُ ذُرَاكَ وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

وقوله: ﴿ثُمَّ عَسَّ وَتَسَّرَ﴾ [المدثر: ٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزِّي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقوله: ﴿لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨].

وقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَهُمَا إِلَىٰ مَرِيَمَ وَرُوحَ مَنَّةَ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]؛ قال الخليل: العوج والأمت بمعنى واحد.

وقيل: الأمت أن يغلظ مكان ويرق مكان، قاله ابن فارس في «المقاييس»؛ وهو راجع لما قاله الخليل.

وقوله: ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿لَا دُعَاءَ وَبَدَاءَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وفرق الراغب^(١) بين النداء والدعاء، بأن النداء، قد يقال إذا قيل: «يا» أو «أيا» ونحوه من غير

أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان.

وقوله: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ١٢].

وقوله: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]، فإن «نصب» مثل «لغوب» وزنا

ومعنى ومصدرا.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، على قول من فسر الصلاة بالرحمة

والأحسن خلافه، وأن الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف، كما قاله الغزالي^(٢) وغيره، وهو قدر

مشترك بين الرحمة والدعاء والاستغفار، وعلى هذا فهو من عطف المتغايرين.

وقال الزمخشري^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]

إنهم هم المذكورون أولاً، [وهو]^(٤) من عطف الصفة على الصفة.

واعترض عليه بأن شرط عطف الصفة على الصفة، تغاير الصفتين في المعنى، تقول: جاء «زيد

العالم والجواد والشجاع» أي: الجامع لهذه المعاني الثلاثة المتغايرة، ولا تقول: «زيد العالم والعالم» فإنه

تكرار؛ والآية من ذلك، لأن المعطوف عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]،

والمعطوف عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] والمنزل هو الغيب بعينه.

ويحتمل أن يقال: المعطوف عليه مطلق الغيب، والمعطوف غيب خاص، فيكون من عطف

الخاص على العام.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٦١).

(٤) سقط من م.

(١) المفردات (ص/٤٧٤).

(٣) الكشاف (١/٤١-٤٣).

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] ، فإن المراد بالكتاب المنير هو الزبور ، ونقله على إجماع المفسرين لما تضمنه من النعت ، كما تعطف النعوت بعضها على بعض ، وهذا يردده تكرار الباء فإنه يشعر بالفصل ، لأن فائدة تكرار العامل بعد حرف العطف ، إشعار بقوة الفصل من الأول والثاني ، وعدم التجوز في العطف الشيء على نفسه .

والذي يظهر أنه للتأسيس ، وبيانه وجوه :

أحدها : أن قوله تعالى : ﴿جاءتهم﴾ يعود الضمير فيه على المكذبين للنبي ﷺ ، وعلى الذين من قبلهم ، فيكون النبي ﷺ داخلاً في المرسلين المذكورين ، والكتاب المنير هو القرآن ؛ وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [فاطر: ٢٦] ، معطوف على قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [فاطر: ٢٥] ، أي كذبوا ثم أخذتهم بقيام الحجّة عليهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] . وجاء تقديم قيام الحجّة عليهم قبل العطف ، اعتراضاً للاهتمام به ، وهو من أدق وجوه البلاغة ، ومثله في آية آل عمران قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤] ، وقوله : ﴿جَاءُوا﴾ انصراف من الخطاب إلى الغيبة ، كأنه قال : «جاء هؤلاء المذكورون» فيكون النبي ﷺ داخلاً في الضمير ، وهو في موضع «جئتكم بالبينات» فأقام الإخبار عن الغائب مقام المخاطب ، كقوله تعالى : ﴿وَجَرَيْنَ يَوْمَ﴾ ، وفيه وجه من التعجب ؛ كأن المخاطب إذا استعظم الأمر ، رجع إلى الغيبة ليعم الإخبار به جميع الناس ، وهذا موجود في الآيتين .

والثاني : أن يكون على حذف مضاف ؛ كأنه قيل : «الكتاب المنير» يعني القرآن ، فيكون مثل قوله : ﴿وَمُبَشِّرًا رُسُلًا يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أُمَّةٌ أَتَمَّتْ﴾ [الصف: ٦] ، وهذا وجه حسن .

[تنبيهان] (١)

الأول : أنكر المبرد هذا النوع ، ومنع عطف الشيء على مثله ، إذا لا فائدة فيه ، وأول ما سبق باختلاف المعنيين ، ولعله ممن ينكر أصل الترادف في اللغة كالعسكري وغيره .

الثاني : ما ذكرناه من تخصيص هذا النوع بالواو هو المشهور ، وقال ابن مالك : وقد أنشئت «أو» عنها ، كما في قوله تعالى : ﴿شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨] ، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النساء: ١١٢] .

قال شيخنا : وفيه نظر لإمكان أن يُراد بالخطيئة ما وقع خطأ ، وبالإثم ما وقع عمداً . قلت : ويدل له قوله تعالى قبل ذلك : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [النساء: ١١١] .

(١) في المطبوع : تنبيهات .

وجعل منه بعضهم قوله ﷺ: «اللهم إني أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»^(١).

قلت: ما ذكره ابن مالك قد سبقه [به]^(٢) ثعلب، فيما حكاه ابن سيده في «المحكم»، فقال: فقال ثعلب: في قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ تَذَرًا﴾: العذر والنذر واحد.

قال اللحياني: وبعضهم يثقل.

وعن الفراء: أنه يجري في العطف بضم، وجعل منه قوله: ﴿وَيَتَقَوَّمُوا رُكُوعًا وَمِنْ قُومٍ﴾ [هود: ٥٢]، قال: معناه: وتوبوا إليه لأن التوبة الاستغفار.

وذكر بعضهم أنه قد تجرد عن العطف، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَعَرَيبُ سَوْءٍ﴾، والغريب: هي السود، ﴿سُبُلًا فِجَالًا﴾، ﴿الرَّكْبُ النَّجِيَّةُ﴾ وغير ذلك.

الثالث: مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما؛ فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ.

القسم الثامن الإيضاح بعد الإبهام

ليُرى المعنى في صورتين، أو ليكون بيانه بعد التشوف إليه، لأنه يكون ألد للنفس وأشرف عندها، وأقوى لحفظها وذكرها، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوَاهُ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فإن وضع الضمير موضع الظاهر، معناه البيان أو الحديث، أو الأمر لله أحد مكفوفاً بها، ثم فسر، وكان وقع في النفس من الإتيان به مفسراً من أول الأمر، ولذلك وجب تقديمه، وتفيد به الجملة المراد تعظيماً له.

وسياتي عكسه في وضع الظاهر موضع المضمرة.

ومثله التفصيل بعد الإجمال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

(١) أخرجه أحمد (٣٧٠٤)، والحاكم (١٨٧٧)، وابن حبان (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٤٠/٦)، وأبو يعلى (٥٢٩٧) والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢) والحارث في «مسنده» (١٠٥٧)، وابن فضال في «الدعاء» (٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩)، من حديث ابن مسعود. وصححه الحافظ في «التلخيص» (٤/١٧٥) حديث (٢٠٥٦).

(٢) سقط من م.

وعكسه كقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ آيَاتٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] .
 وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِهَا عَشْرَ فِتْنَةٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] ، وأعاد قوله: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ وإن كان معلوماً من (الثلاثين) ، و (العشر) أنها أربعون لنفي اللبس ، لأن العشر لما أتت بعد الثلاثين ، التي هي نص في المواعدة ، دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة ، فأعاد ذكر «الأربعين» نفيًا لهذا الاحتمال ، وليُعلم أن جميع العدد للمواعدة .
 وهكذا قوله تعالى: ﴿فَصَبَّأُ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، [ق/ ١٥٤] أعاد ذكر العشرة لما كانت الواو تجميء في بعض المواضع للإباحة ، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ تحقيق لذلك وتأكيده .

فإن قلت: فإذا كان زمن المواعدة أربعين ، فلم كانت «ثلاثين» ثم عشرًا؟
 أجاب ابن عساكر في «التكميل والإفهام» بأن العشر إنما أُفصل من أولئك ، ليتحدد قرب انقضاء المواعدة ، ويكون فيه متأهبًا مجتمتع الرأي ، حاضر الذهن ، لأنه لو ذكر «الأربعين» أولاً لكانت متساوية ، فإذا جعل العشر فيها إتمامًا لها استشعرت النفس قرب التمام ، وتجدد بذلك عزم لم يتقدم .
 قال: وهذا شبيهه بالتلوم الذي جعله الفقهاء في الآجال المضروبة في الأحكام ، ويفصلونه من أيام الأجل ؛ ولا يجعلونها شيئًا واحدًا ولعلمهم استنبطوه من هذا .

فإن قلت: فلم ذكر في هذه السورة - أعني الأعراف - الثلاثين ثم العشر ، وقال في البقرة ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] ولم يفصل العشر منها؟

والجواب والله أعلم: أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها ، فذكر على صفتها ، وفي البقرة إنما ذكر الامتتان على بني إسرائيل بما أنعم به عليهم ، فذكر نعمه عليهم مجملة ، فقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠] ، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] .

واعلم أنه يخرج لنا عما سبق جوابان في ذكر العشرة بعد الثلاثة والسبعة ، إما الإجمال بعد التفصيل وإما رفع الالتباس ، ويضاف إلى ذلك أجوبة:

ثالثها: أنه قصد رفع ما [قد] ^(١) يهجنس في النفوس ؛ من أن المتمتع إنما عليه صوم سبعة أيام لا أكثر ثلاثة منها في الحج ، ويكمل سبعة إذا رجع .

رابعها: أن قاعدة الشريعة أن الجنسين في الكفارة لا يجب على المكفر الجمع بينهما ، فلا يلزم الخالف أن يطعم المساكين ويكسوهم ، ولا المظاهر العتق والصوم ؛ فلما اختلف محل هذين الصومين فكانت ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع ، صاروا باختلاف المحلين كالجنسين ، والجنسان لا يجمع بينهما ،

(١) سقط من م .

وأفادت هذه الزيادة - وهي قوله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] - رفع ما قد يهجنس في النفوس من أنه إنما عليه أحد النوعين، إما الثلاث وإما السبع.

الخامس: أن المقصود ذكر كمال لا ذكر العشرة، فليست العشرة مقصودة بالذات، لأنها لم تذكر إلا للإعلام بأن التفصيل المتقدم عشرة، لأن ذلك من المعلوم بالضرورة، وإنما ذكر لتوصف بالكمال الذي هو مطلوب في القصة.

السادس: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتن، وهذا وإن كان خلاف الأصل لكن الإشكال ألقانا إليه.

السابع: أن الكفارات في الغالب إنما تجب متتابعة ككفارات الجنائيات، ولما فصل هاهنا بين صوم هذه الكفارة بالإفطار، قبل صومها بذكر الفدية ليُعلم أنها وإنما كانت منفصلة فهي كالمتصلة. فإن قلت: فكفارة اليمين لا تجب متتابعة، ومن جنس هذه الكفارة ما يجب على المحرم إذا حلق ثلاث شعرات، ومن عجز عن الفدية فإنه يصوم ثلاثة أيام، ولا يشترط التتابع. قلت: هي في حكم المتتابعة بالنسبة إلى الثواب؛ إلا أن الشرع خفف بالتفريق.

ثامنًا: أن السبع قد تذكر والمراد به الكثرة لا العدد، والذي فوق الستة ودون الثمانية، وروى أبو عمرو بن العلاء وابن الأعرابي: عن العرب سبع الله لك الأجر؛^(١) أي: أكثر ذلك، يريدون التضعيف.

وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَعْفِفْ لَكُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [النوبة: ٨٠] هو جمع السبع؛ الذي يستعمل للكثرة^(٢)، وإذا كان كذلك فاحتمل أن يتوهم أن المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع؛ ولفظها معطوف على الثلاثة بأكة الجمع، فيفضي إلى الزيادة في الكفارة على العدد المشروع، فيجب حينئذ رفع هذا الاحتمال بذكر الفذلكة، وللعرب مستند قوي في إطلاق السبع والسبعة، وهي تريد الكثرة ليس هذا موضع ذكره.

تاسعها: أن الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل أن يأتي بعدها ثلاثة أو غيرها من الأعداد، فقيّد بالعشرة ليُعلم أن المراد كُمل، وقطع الزيادة المفضية للتسلسل.

عاشرها: أن السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل أن تكون الثلاثة داخلة فيها، كما في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [نصفت: ١٠]، أي مع اليومين اللذين خلق الأرض فيها، فلا بد من

(١) انظر: «لسان العرب» (١٤٦/٨).

(٢) قال ابن منظور: «من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد». «اللسان» (١٤٦/٨)، وقال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر السبعة والسبعين والسبعمان في القرآن والحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير». «النهاية» (٨٤٢/٢).

اعتقاد هنا التأويل ليندفع ظاهر التناقض ، فجاء التقييد بالعشرة لرفع توهم التداخل .
 وهذا الجواب أشار إليه الزمخشري ، ونُقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ترجيحه ،
 [وردّه] ^(١) ابن أبي الإصبع بأن احتمال التداخل لا يقطن إلا بعددين منفصلين ، لم يأت بهما جملة ، فلو
 اقتصر على التفصيل احتمال ذلك ، فالتقييد مانع من هذا الاحتمال .
 وهذا أعجب منه فإن مجيء الجملة رافع لذلك الاحتمال .

الحادي عشر: أن حروف السبعة والتسعة مشتبهة ، فأزيل الأشكال بقوله : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾
 [البقرة: ١٩٦] لثلاث يقرأها «تسعة» ، فيصير العدد اثني عشر ، ونظير هذا قوله ﷺ : «إن لله تسعة
 وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا» ^(٢) .

فائدة في التأكيد بمائة إلا واحدًا

التأكيد بمائة إلا واحدًا ، لإزالة إلباس التسعة والتسعين بالسبعة والسبعين لكن مثل هذا مأمون
 في القرآن ، لأن الله حفظه .

القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمّر ^(٣)

لزيادة التقرير ، والعجب أن البيانين لم يذكره في أقسام الإطناب .
 ومنه بيت الكتاب ^(٤) :

إذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها سواقط من حر وقد كان أظهرها
 ولو أتى على وجهه لقال : «إذا الوحش ضمها» .

وإنما يسأل عن حكمته إذا وقع في الجملة الواحدة ، فإن كان في جملتين مستقلتين كالبيت سهل
 الأمر ، لكنّ الجملتين فيه كالجملة الواحدة ؛ لأن الرفع للوحش الأول فعل محذوف كما يقول
 البصريون ، والفعل المذكور سادّ مسدّ الفعل المحذوف ، حتى كأنه هو ؛ ولهذا لا يجتمعان وإن قدر رفع
 الوحش بالابتداء فالكلام جمل واحدة .

ويسهل عند اختلاف اللفظين كقوله ^(٥) :

إذا المرء لم يغش الكريهة أو شكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

(١) في المطبوع : وردده .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٥) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

(٣) الأقصى القريب (ص / ٨٢) .

(٤) (٦٣ / ١) والبيت لم يرد في قصيدة النابغة من جمهرة أشعار العرب .

(٥) هو للكحلجة اليربوعي .

فاختلاف لفظين ظاهرين أشبهما لفظي الظاهر والمضمر في اختلاف اللفظ، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١] ولم يقل: «يؤذونه» مع ما في ذلك من التعظيم، فالجمع بين الوصفين كقوله في الحديث: «نبيك الذي أرسلت»^(١)، وقوله: ﴿أَلَمْ تَلَمْ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...﴾ الآية [البقرة: ١٠٦] فإنه قد تكرر اسم الله ظاهراً في هذه الجمل الثلاث، ولم يضمن لدلالته على استقلال كل جملة منها، وإنما لم تحصل مرتبطة ببعضها ارتباط ما يحتاج فيه إلى إضمار.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء: ٧٦]، وفيه دلالة على أن الطاغوت هو الشيطان، وحسن ذلك هنا تنبيهاً على تفسيره.

وقال ابن السيد: إن كان في جملتين حسن الإظهار والإضمار، لأن كل جملة تقوم بنفسها، كقولك: «جاء زيد وزيد رجل فاضل»، وإن شئت قلت: «وهو رجل فاضل».

وقوله: ﴿مِثْلَ مَا أَوْفَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] [ق/ ١٥٥]

وإن كان في جملة واحدة قبح الإظهار، ولم تكد يوجد إلا في الشعر؛ كقوله:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نقص الموت ذا الغنى والفقير^(٢)

قال: وإذا اقترن بالاسم الثاني حرف الاستفهام، بمعنى التعظيم والتعجب كان المناسب الإظهار، كقوله تعالى: ﴿الْمَلَأْتُهُ ۖ مَا لَمَأْتُهُ﴾ [الحاقة: ١-٢]، و﴿الْقَارِعَةُ ۖ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢]، والإضمار جائز، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا هَكَوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩-١٠].

الخروج على خلاف الأصل وأسبابه

واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك. والأصل أنه إذا ذكر شيئاً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق، كما أن الأصل في الأسماء الإعراب وفي الأفعال البناء، وإذا جرى المضارع مجرى الاسم أعرب، كقوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَابْتَغُوا اللَّهَ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَسْلَحَ فَأَمْرِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [التورى: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤) ومسلم (٢٧١٠) عن البراء بن عازب.

(٢) الكتاب (٦٢/١) والبيت لسواد بن عدي. قال الأستاذ عبد السلام هارون: «شاهده إعادة الظاهر موضع المضمر، وفيه قبح، إذ كان تكريره في جملة واحدة، فلا يكاد يجوز إلا في ضرورة».

وللخروج على خلاف الأصل أسباب

أحدها: قصد التعظيم

- كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَبِعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].
- وقوله تعالى: ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨] ، فأعاد ذكر (الرب) لما فيه من التعظيم والهضم للخصم.

- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].
- ﴿وَأَوْفِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].
- ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨].
- ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَائِكَ وَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ رَبِّكَ مَحْطُورًا﴾ [الإسراء: ٢١٠].
- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١].
- ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].
- ﴿وَكَلَّمَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْعِجْرَابَ﴾ [ال عمران: ٣٧].
- وقوله تعالى: ﴿الْمَائِدَةُ ۝ مَا الْمَائِدَةُ﴾ [المائدة: ١-٢] ، ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢] ، كان القياس -لولا ما أريد به من التعظيم والتفخيم- «الحاققة ما هي».

- ومثله ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٨-٩] ، تفخيماً لما ينال الفريقين من جزيل الثواب وأليم العقاب.

- [ومنه قول النبي ﷺ قل: ومن يعصى الله ورسوله. فلا يُرد كأن رسوله أحب إليه مما سواهما. لأن المعنى في نهي الخطيب عن عدم الأفراد. احتمال عدم التعظيم وهو منهي في حقه عليه السلام. ولأن كلام الخطيب فيه جملتين فلا بد من إعادته بخلافه في الآخر] (١).

الثاني قصد الإهانة والتحقير

- كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْمِعُوا حُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَنَنْبَغِ حُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١].
- وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٩].

(١) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ. وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٣٧].
وقول الشاعر.

فما للنوى لا بارك الله في النوى وعهد النوى عند الفراق ذميم
وسمع الأصمعي من ينشد:

فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة للقرائن
فقال: لو قُيِّض لهذا البيت شاة لأتت عليه.

الثالث الاستلذاذ بذكره

كقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، إن كان (الحق) الثاني هو الأول.
وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].
وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَبْرًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، ولم يقل: «منها» ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة، وإن كان المراد بالأرض الجنة؛ ولله در القائل:
كُرِّرَ عَلَى السَّمْعِ مِثِّي أَيُّهَا الْحَادِي ذَكَرَ الْمَنَازِلَ وَالْأَطْلَالَ وَالنَّادِي
وقوله:

يا مُطْرِبِي بِحَدِيثٍ مِنْ سَكَنِ الْغَضَى هَجَّتِ الْهَوَى وَقَدَحْتَ فِيَّ حَرَاقَ
كُرِّرَ حَدِيثِكَ يَا مَهْتِجَ لَوْعَتِي إِنْ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ تَلَاقَ

الرابع زيادة التقدير

كقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥].
وقوله: ﴿اللَّهُ الضَّكُّدُ﴾، بعد قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ ويدل على إرادة التقدير سبب نزولها، وهو ما نقل عن ابن عباس: أن قريشًا قالت: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه، فنزل: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

معناه: أن الذي سألتهموني وصفه، هو الله ثم لما أريد تقدير كونه «الله» أعيد بلفظ الظاهر دون ضميره.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨].
﴿يَلْبُؤُونَ آلِيَنَّهُمْ بِالْكِتَابِ لِئَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

الخامس إزالة اللبس حيث يكون الضمير يُوهم أنه غير المراد

كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [إعمران: ٢٦] ، لو قال: «توتيه» لأوهم أنه الأول قاله ابن الخشاب .

وقوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] ، [كرر السوء] (١) لأنه [لو] قال: «عليهم دائرة» لالتبس بأن يكون الضمير عائداً إلى الله تعالى، قاله الوزير المغربي في تفسيره .

ونظيره ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤] ، وتبينته: الأول النطفة أو التراب، والثاني الوجود في الجنين أو الطفل، والثالث الذي بعد الشيخوخة، وهو أرذل العمر؛ والقوة الأولى التي تجعل للطفل التحرك والاهتداء للشدي، والثانية بعد البلوغ، قاله ابن الحاجب ويؤيد الغيرية التنكير .

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . . .﴾ [الأنعام: ٧٨] ، لو قال: «إنه» لأوهم عود الضمير إلى الفجر .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ نَجْدُهَا عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] ، فلم يقل: «عنها» لثلا يتحد الضميران فاعلاً ومفعولاً، مع إن المظهر السابق لفظ النفس، فهذا أبلغ من: «ضرب زيد نفسه» . وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِي﴾ [يوسف: ٧٦] ، وإنما حُسِنَ إظهار الوعاء مع أن الأصل «فاستخرجها منه»، لتقدم ذكره لأنه لو قيل ذلك لأوهم عود الضمير على الأخ، فيصير كأن الأخ مباشر لطلب خروج الوعاء، وليس كذلك لما في المباشرة من الأذى [الذي] تأباه النفوس الأبية، فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا .

وإنما لم يضمم الأخ فيقال: «ثم استخرجها من وعائه» لأمرين:

أحدهما: أن ضمير الفاعل في ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾ ليوسف عليه السلام، فلو قال: «من وعائه» لتوهم أنه يوسف؛ لأنه أقرب مذكور فأظهر لذلك .

والثاني: أن الأخ مذكور مضاف إليه، ولم يذكر فيما تقدم مقصوداً بالنسبة الإخبارية، فلما احتجج إلى إعادة ما وأضيف إليه أظهره أيضاً .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المزمل: ١٤] .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] .

السادس أن يكون القصد تربية المهابة،

وادخال الروعة في ضمير السامع

بذكر الاسم المقتضى لذلك ، كما يقول الخليفة لمن يأمره بأمر : «أمير المؤمنين يأمر بكذا» مكان : «أنا آمر بكذا» .

ومنه قوله تعالى : ﴿الْمَلَأَهُۥ مَا لَمَلَأَهُۥ﴾ [الحاقة: ١-٢] .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] .

وقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٤٩] ، ولم يقل : «لخزنتها» .

السابع قصد تقوية داعية المأمور

كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، ولم يقل «على»
وحين قال : ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ لم يقل : [ق/١٥٦] «إنه يحب» ، أو «إني أحب» ، تقوية لداعية المأمور بالتوكل
بالتصريح باسم المتوكل عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَكَلِمَاتُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَكْتُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

الثامن تعظيم الأمر

كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، ولم
يقول «خلقناه» للتنبه على عظم خلقه للإنسان .

وقوله : ﴿هَلْ أُنقِذُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١-٢] ، ولم
يقول «خلقناه» للتنبه على عظم خلقه للإنسان .

وقوله : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] ؛ وإنما أعيد لفظ
﴿الْجِبَالُ﴾ والقياس الإضمار ، لتقدم ذكرها ؛ مثل ما ذكرنا في ألم السجدة في أحد القولين . وهو
قوله : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [السجدة: ٢٠] ، وهو أن الآيتين
سيفتا للتخويف والتنبه على عظم الأمر ، فإعادة الظاهر أبلغ . وأيضاً فلم يذكر ﴿الْجِبَالُ﴾ لاحتتمل
عود الضمير إلى الأرض .

التاسع أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف

كقوله تعالى : ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْتِي بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ؛
بعد قوله في صدر الآية : ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[الأعراف: ١٥٨] دون «فآمنوا بالله وبي»، ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها: من النبي الأمي الذي يؤمن بالله، فإنه لو قال: «وبي» لم يتمكن من ذلك، لأن الضمير لا يوصف ليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو من وُصف بهذه الصفات كائناً من كان، أنا أو غيري إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه.

العاشر التنبيه على علة الحكم

كقوله تعالى: ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، أعلمنا أنه من كان عدواً لهؤلاء، فهو كافر؛ هذا إن خيف الإلباس لعوده للمذكورين.

وكذا قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ دون «فإنه».

وكقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٩]، ولم يقل: «عليهم»، لأنه ليس في الضمير ما في قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩] من ذكر الظلم المستحق به العذاب.

وجعل منه الزمخشري^(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] والأصل «عليهم»، لدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم.

وليس من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]؛ فإن العلة قد تقدمت في الشرط، وإنما فائدة ذلك إثبات صفة أخرى زائدة، وقال الزمخشري^(٢): فائدته اشتماله على المتقين والصابرين.

ومنه قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤]؛ لأن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان عظيم.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]؛ والقياس «أنهم لا يفلحون»، ولو ذكر الظاهر لقال: «لا يفلح المفترون» أو «الكاذبون»، لكن صرح بالظلم تنبيهاً على أن علة عدم الفلاح الظلم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَسِّسُونَ بِالْكُفْرِ وَالْعَنَادِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، ولم يقل: «أجرهم» تنبيهاً على أن صلاحهم علة لنجاتهم.

(٢) الكشاف (٢/ ٥٠٢).

(١) الكشاف (٢/ ٧٢٠).

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكُوفِرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْصِرْ﴾ [الكوثر: ١-٢] ، ولم يقل: «لنا» ، لئنه على أنه أهل لأن يصل له ؛ لأنه ربه الذي خلقه وأبدعه ورباه بنعمته .

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] ، قال الزمخشري^(١) : «أراد عدوًّا لهم» فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم ، وأن عداوة الملائكة كفر ، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرًا فما بال الملائكة وهم أشرف^(٢) والمعنى : ومن عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب المهين .

وقد أدمج في هذا الكلام مذهبه في تفضيل الملك على النبي ، وإن لم يكن مقصودًا فهو كما قيل^(٣) :

وما كنت زوارًا ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل
ومثله قول مطيع :

أسي الضريح الذي أسمى ثم استهلي على الضريح
الأتري أنه لم يقل : «عليه» لأنه باك بذكر الضريح الذي من عادته أن يُبكي عليه ، ويجزن لذكراه .

الحادي عشر قصد العموم

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧] ، ولم يقل : «استطعمهم» للإشعار بتأكيد العموم ؛ وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا استطعماه وأبى ، ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء ، وفيه التنبيه على محاسن الأخلاق ودفع السيئة بالحسنة .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْبِيئُ نَفْسِي إِذْ أَنفَسَ لَأَمَارَةً بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فإنه لو قيل : «إنها لأماراة» لاقتضى تخصيص ذلك ، فأتى بالظاهر ليدل على أن المراد التعميم ؛ مع أنه بريء من ذلك بقوله بعده : ﴿إِلَّا مَا رَجَرَ رِيٌّ﴾ [يوسف: ٥٣] ، وقوله : ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] ، ولم يقل : «إنه» إما للتعظيم وإما للاستلذاذ .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْعَمُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الظَّنِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] .

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى: ٤٨] ، ثم قال : ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨] ، ولم يقل : «فإنه» مبالغة في إثبات أن هذا الجنس شأنه كفران النعم .^(٤)

(١) الكشاف (١/١٦٨-١٧١) .

(٢) سيأتي الكلام مفصلاً إن شاء الله في تفضيل الملك على البشر .

(٣) البيت للجلال .

(٤) سقط من م .

الثاني عشر قصد الخصوص

كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، ولم يقل: «لك» لأنه لو أتى بالضمير لأخذ جوازه لغيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَكَاتٍ عَيْبًا﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية وأنه ليس لغيره ذلك .

الثالث عشر مراعاة التجنيس

ومنه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْكَافِرِينَ...﴾ [السورة: الناس: ١] ، ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله .

الرابع عشر أن يتحمل ضميراً لا بد منه

كقوله: ﴿أَيُّهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ: اسْتَظَمْنَا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧] .

الخامس عشر كونه أهم من الضمير

كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَمَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، وقال بعضهم: إنما أعيدت ﴿إِحْدَهُمَا﴾ لتعادل الكلم وتوازن الألفاظ في التركيب، وهو المعنى في الترصيع البديعي، بل هذا أبلغ من الترصيع، فإن الترصيع توازن الألفاظ من حيث صيغها؛ وهذا من حيث تركيبها؛ فكانه ترصيع معنوي، وقلما يوجد إلا في نادر من الكلام، وقد استغرب أبو الفتح ما حكى عن المتنبي في قوله:

وقد عادت الأجفان قَرَحِي من البكا وعادت بهارًا في الخدود الشقائق
قال: سألته هل هو «قرحي» أو «قرحًا» منون؛ فقال لي: «قرحًا» منون؛ ألا ترى أن بعدها «وعادت بهارًا» قال: يعني أن «بهارًا» جمع بهار، وقرحي جمع قرحة، ثم أظن في الشاء على المتنبي واستغرب فطنته لأجل هذا.

وبيان ما ذكرت في الآية أنها متضمنة لقسمين: قسم الظلال، وقسم التذكير؛ فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حيث أسند الأول، ولم يوصل بضمير موصول، لكون الأول لازماً فاتى بالثاني على صورته من التجرد عن المفعول، ثم أتى به خبراً بعد اعتدال الكلام، وحصول التماثل في تركيبه .

ولو قيل: إن المرفوع حرف؛ لكان أبلغ في المعنى المذكور، ويكون الأخير بدلاً أو نعتاً على وجه البيان، كأنه قال: (إن كان ضلال من أحدهما: كان تذكير من الأخرى) وقدم على «الأخرى» لفظ «إحدهما» ليسند [ق/ ١٥٧]. الفعل الثاني إلى مثل ما أسند إليه الأول لفظاً ومعنى، والله أعلم .

السادس عشر

كون ما يصلح للعود ولم يسق الكلام له

كقوله: ﴿رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وكقول الشاعر (١) :

تبكي على زيد ولا زيد مثله برىء من الحمى سليم الجوانح

السابع عشر

الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى

كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] في سورة الشورى؛ فإن ﴿وَيَمْحُ﴾ استئناف وليس على الجواب، لأن المعلق على الشرط عدم قبل وجوده، وهذا صحيح في: ﴿يُخَيِّرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]؛ وليس صحيحاً في: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾، لأن محو الباطل ثابت، فلذلك أعيد الظاهر، وأما حذف الواو من الخط، فللفظ، وأما حذفها في الوقف كقوله تعالى: ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، و﴿سَدَّعُ الزَّيْنَةَ﴾ [العلق: ١٨] فللوقف، ويؤكد ذلك وقوف يعقوب عليها بالواو.

وهذا ملخص كلام عبد العزيز في كلامه على البرذوي، وفيما ذكره نزاع، وهذا أنا لا نسلم أن المعلق هاهنا بالشرط هو موجود قبل الشرط، لأن الشرط هنا المشيئة وليس المحو ثابتاً قبل المشيئة، فإن قيل: إن الشرط هنا مشيئة خاصة، وهي مشيئة الختم، وهذا وإن كان محذوفاً فهو مذكور بالقوة شائع في كثير من الأماكن، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، المعنى: «ولو شاء الله جمعهم لجمعهم» و«لو شاء الله عدم إيمانهم ما أشركوا»، و«لو شاء الله عدم قتالهم ما اقتتلوا».

قيل: لا يكاد يثبت مفعول المشيئة إلا نادراً، كما سيأتي في الحذف إن شاء الله تعالى؛ وإذا ثبت هذا صح ما ادعاه، فإن محو الله ثابت قبل مشيئة الله الختم.

فإن قلت: سلمنا أن الشرط مشيئة خاصة، لكنها إنما تختص بقرينة الجواب.

والجواب هنا شيان؛ فالمعنى إن يشأ الله الختم ومحو الباطل يختم على قلبك، ويمح الباطل، وحينئذ لا يتم ما ادعاه.

وجوابه: أن الشرط لا بد أن يكون غير ثابت، وغير ممتنع «ويمحو الباطل» كان ثابتاً فلا يصح دخوله في جواب الشرط وهذا أحسن جداً.

(١) هو جرير.

بقي أن يقال: إن الجواب ليس كلاً من الجملتين، بل مجموع الجملتين والمجموع ومعدوم قبل وجود الشرط، وإن كان أحدهما ثابتاً.

تنبيهان

الأول:

قد سبق أنه لا يشترط في وضع الظاهر موضع المضمرة أن يكون بلفظ الأول، ليشمل مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]؛ لأن إنزال الخير هنا سبب للربوبية، وأعادته «بلفظ» الله لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلهية، لأن دائرة الربوبية أوسع.

ومثله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] كما سبق.

ومن فوائده: التلذذ بذكره وتعظيم المنة بالنعمة.

ومن فوائده قصد الدم، وجعل الزمخشري^(١) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ [النبا: ٤٠]؛ فقال: المرء هو الكافر، وهو ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الدم.

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]؛ إن (الفاسيقين) يُراد بهم المنافقون، ويكون قد أقام الظاهر مقام المضمرة، والتصريح بصفة الفسق سبب لهم، ويجوز أن يكون المراد العموم لكل فاسق، ويدخل فيه المنافقون دخولاً أولياً وكذا سائر هذه النظائر.

وليس من هذا الباب قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ [الإسراء: ٢٥]، أي في [معاملة الأيوين]^(٢) فإنه كان للأوابين غفوراً.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]؛ إلى قوله: ﴿فَأَبَتْ أَلْحَبُ عَلَى الْأَعْرَابِ نَبَأَ الَّذِي آتَى الْأَعْرَابَ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وكذلك كل ما فيه شرط، فإن الشروط أسباب، ولا يكون الإحسان للوالدين سبباً لغفران الله لكل تائب، لأنه يلزم أن يُتاب غير الفاعل بفعل غيره؛ وهو خلاف الواقع. وكذلك معاداة بعض الكفرة، لا يكون سبباً لمعاداة كل كافر، فتعين في هذه المواضع أن يكون من باب إقامة الظاهر مقام المضمرة ليس إلا.

(١) الكشاف (٤/٦٩١-٦٩٢).

(٢) في م: مقابلة الأوابين.

الثاني:

قد مرّ أن سؤال وضع الظاهر موضع المضمّر، حقه أن يكون في الجملة الواحدة؛ نحو ﴿الْمَأْتَةُ ﴿١﴾ مَا الْمَأْتَةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] ، فأما إذا وقع في جملتين، فأمره سهل وهو أفصح من وقوعه في الجملة الواحدة؛ لأن الكلام جملتان، فحسن فيهما ما لا يحسن في الجملة الواحدة، ألا ترى إلى قوله: لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقير^(١) فتكرار «الموت» في عَجَزَ البيت أوسع من تكراره في صدره، لأننا إذا عللنا هذا إنما نقول: أعاد الظاهر موضع المضمّر، لما أراد من تعظيم الموت وتهويل أمره، فإذا عللها مكررة في عَجَزَ عللناه بهذا، وبأن الكلام جملتان.

إذا علمت هذا، فمثاله في الجملتين كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ رِعَايَتَكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، وقوله: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١] . وقد أشكل الإظهار هاهنا، والإضمار في مثل قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢] .

وأجيب بأنه لما كان المراد في مدائن لوط إهلاك القرى، صرح في الموضعين بذكر القرية التي يحل بها الهلاك، كأنها اكتسبت الظلم معهم واستحققت الهلاك معهم، إذ للبقاع تأثير في الطباع، ولما كان المراد في قوم فرعون إهلاكهم بصفاتهم، حيث كانوا ولم يهلك بلدهم، أتى بالضمير العائد على ذواتهم، من حيث هي من غير تعرض للمكان. واعلم أنه متى طال الكلام حَسُنَ إيقاع الظاهر موضع المضمّر، كيلا يبقى الذهن متشاغلاً بسبب ما يعود عليه اللفظ، فيفوته ما شرع فيه، كما إذا كان ذلك في ابتداء آية أخرى، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ الآية [البقرة: ١٤٠] .

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: ٣٥] .

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ مِحْرَةٌ﴾ [النور: ٣٧] .

القسم العاشر

تجيء اللفظة الدالة على التكرير والمبالغة بصيغ من صيغ المبالغة

كفعلال وفعليل وفعلان، فإنه أبلغ من «فاعل»، ويجوز أن يُعَدَّ هذا من أنواع الاختصار، فإن أصله وُضِعَ لذلك، فإن «ضروباً» ناب عن قولك: «ضارب وضارب وضارب» .

(١) تقدم التعليق عليه .

ما جاء على فعلان

أما «فعالان» فهو أبلغ من «فعليل»، ومن ثم قيل: الرحمن أبلغ من الرحيم - وإن كانت صيغة «فعليل»، من جهة أن «فعالان» من أبنية المبالغة، كغضبان [للممتلى] (١) غضبًا، ولهذا لا يجوز التسمية به، وحكاه الزجاج في تأليفه المفرد على البسمة.

وأما قول شاعر اليمامة:

وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

فهو من كفرهم وتعنتهم كذا أجاب به الزمخشري.

ورده [ق/ ١٥٨] بعضهم بأن التمتع لا يدفع وقوع إطلاقهم، وغايته أنه ذكر السبب الحامل لهم على الإطلاق، وإنما الجواب أنهم لم يستعملوا الرحمن المعرف بالألف واللام، وإنما استعملوه مضافًا ومنكرًا، وكلامنا إنما هو في المعرف باللام.

وأجاب ابن مالك: بأن الشاعر أراد: «لا زلت ذا رحمة»، ولم يُرد بالاسم المستعمل بالغلبة. ويدل على أن العرب كانت تعرف هذا الاسم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] ، وأما قوله: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ فقال ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، ولذلك لم يقولوا «وَمِنَ الرَّحْمَنِ».

وذكر البرز أباذاني أنهم غلطوا في تفسير «الرحمن»، حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة. قال: وإنما معناه الملك العظيم العادل، بدليل: ﴿أَتْلُكَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] ، إذ الملك يستدعي العظمة والقدرة والرحمة لخلقها، لا أنه يتوقف عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] ، وإنما يصلح السجود لمن له العظمة والقدرة. ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ١٨] ، ولا يعاذ إلا بالعظيم القادر على الحفظ والذَّب. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] ، أي: وما ينبغي للعظيم القادر على كل شيء، المستغني عن معاونة الوالد وغيره أن يتخذ ولدًا.

﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبا: ٣٧].

﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨].

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢] ، ولا يحتاج الناس إلى حافظ يحفظهم من ذي الرحمة الواسعة.

(١) في المطبوع: للممتلى.

﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٩٣].

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥].

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿مَنْ حَسِبَ الرَّحْمَنَ بِالْقَيْبِ﴾ [ق: ٣٣].

ولا مناسبة لمعنى الرحمة في شيء من هذه المواضع، وأما «رحيم» فهو من صفات الذات، كقولهم: «كريم».

وما ذكرناه من أن «الرحمن» أبلغ ذهب إليه أبو عبيد، والزخشي وغيرهما، وحكاها ابن عساكر في «التكميل والإفهام» عن الأكثرين.

وفي كلام ابن جرير: ما يفهم حكاية الاتفاق عليه. ونصره السهيلي؛ بأنه ورد على لفظ التنبيه، والتنبيه تضعيف، وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة.

وقال قطرب: المعنى فيهما واحد وإنما جمع بينهما في الآية للتوكيد.

وكذلك قال ابن فورك قال: وليس قول من زعم أن «رحيمًا» أبلغ [من رحمن] بجيد؛ إذ لا فرق بينهما في المبالغة، ولو قيل: «فعلان» أشد مبالغة كان أولى، ولهذا [خصص] ^(١) بالله فلا يوصف به غيره، ولذلك قال بعض التابعين: الرحمن اسم ممنوع؛ وأراد به مَنَعَ الخلق أن يتسموا به، ولا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد وإتباع الأول ما هو في معنى الثاني.

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر.

وعن الخطابي: استشكال هذا وقال: لعله أرق كما جاء في الحديث: «إن الله رقيق يحب الرقيق في الأمر كله».

وقال ابن الأنباري في «الزاهر»: الرحيم أبلغ من الرحمن.

ورجح ابن عساكر بوجوه منها: أن الرحمن جاء متقدمًا على الرحيم، ولو كان أبلغ لكان متأخرًا عنه؛ لأنهم في كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى، فيقولون: فقيه عالم، وشجاع باسل، وجواد فياض، ولا يعكسون هذا الفساد المعنى، لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلًا تحته فلم يكن لذكره معنى.

[وهذا] ^(٢) قد ذكره الزخشي: وأجاب عنه بأنه من باب الإرداف، وأنه أردف الرحمن الذي يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم، ليكون كالتمة والرديف؛ ليتناول ما رق منها ولطف.

(١) في م: اختص.

(٢) سقط من م.

وفيه ضعف لا سيما إذا قلنا: إن الرحمن علم لا صفة وهو قول الأعمش وابن مالك وأجاب الواحدي في «البيضا» بأنه لما كان الرحمن كالعلم - إذ لا يوصف به إلا الله - قدم، لأن حكم الأعلام وغيرها من المعارف أن يبدأ بها، ثم يتبع الأنكر، وما كان التعريف أنقص.

قال: وهذا مذهب سيويوه وغيره من النحويين، فجاء هذا على منتهاج كلام العرب.

وأجاب الجويني: بأن الرحمن للخلق، والرحيم لهم بالرزق، والخلق قبل الرزق.

ومنها: أن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة في حقه، والنهائية في صفاته، وأكثر صفاته سبحانه جارية على «فعليل» كرحيم، وقدير، وعليم، وحكيم، وحليم، وكريم، ولم يأت على «فعلان» إلا قليل، ولو كان «فعلان» أبلغ لكان صفات البارئ تعالى عليه أكثر.

قلت: وجواب هذا أن ورود «فعلان» بصيغة التذكير كان في عدم تكرار الوصف به، بخلاف «فعليل» فإنه لما لم يرق في الكثرة رفته كثير في مجيء الوصف.

ومنها: أنه إن كانت المبالغة في «فعلان» من جهة موافقة لفظ التثنية - كما زعم السهيلي - ففعليل من أبنية جمع الكثرة كعبيد وكليب، ولا شك أن الجمع أكثر من التثنية وهذا أحسنها.

قال: وقول قطرب: «إنهما بمعنى واحد» فاسد، لأنه لو كان كذلك لتساويا في التقديم والتأخير، وهو ممتنع.

تنبيهات

الأول:

نقل عن الشيخ برهان الدين [رحمه الله] ^(١) الرشيد أن صفات الله التي هي صيغة المبالغة، كغفار ورحيم، وغفور، ومنان، كلها مجاز إذ هي موضوعه للمبالغة، ولا مبالغة فيها لأن المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفات الله متناهية في الكمال، لا يمكن المبالغة فيها، والمبالغة أيضًا تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك. انتهى.

وذكر هذا للشيخ [أبي] ^(٢) الحسن السبكي فاستحسنه، وقال: إنه صحيح إذا قلنا: إنها صفات.

فإن قلنا: أعلام زال ذلك.

قلت: والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين:

أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

والثاني: بحسب تعدد المفعولات.

(٢) في المطبوع: ابن.

(١) زيادة من م.

ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين .
وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل جميع أسماء الله تعالى التي وردت على صيغة المبالغة كالرحمن،
والغفور، والتواب، ونحوها، ولا يبقى إشكال حينئذ، لهذا قال بعض المفسرين في حكم معنى
المبالغة: تكرار حِكْمِهِ بالنسبة إلى الشرائع .

وقال الزمخشري في سورة الحجرات ^(١): المبالغة في التواب للدلالة على كثرة مَنْ يتوب إليه من
عباده، [أو لأنه ما من ذنب يقتضيه المقترف إلا كان معفوًا عنه بالتوبة]، أو لأنه بليغ في قبول التوبة نُزِّل
صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وهو
أن «قديرًا» من صيغ المبالغة يستلزم الزيادة على معنى «قادر» والزيادة على معنى قادر محال إذ الاتحاد من
واحد، لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد .

وأجيب عنه بأن المبالغة لما لم يقدر حملها على كل فرد، وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل
السياق عليها، والمبالغة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، [ق/١٥٩] يستحيل عود المبالغة
إلى نفس الوصف إذ العلم بالشيء لا يصح التفاوت فيه، فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلق، إما
لعموم كل أفرادها، وإما لأن يكون المراد الشيء ولو أحقه، فيكون من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .
الثاني:

سئل أبو علي الفارسي: هل تدخل المبالغة في صفات الله تعالى فيقال: (علامة)؟ فأجاب بالمنع؛
لأن الله تعالى ذم من نسب إليه الإنان، لما فيه من النقص فلا يجوز إطلاق اللفظ المشعر بذلك .
حكاه الجرجاني في «شرح الإيضاح» .

الثالث:

أنه لو جُرد عن الألف واللام لم يُصرف، لزيادة الألف والنون في آخره مع العلمية أو الصفة .
وأورد الزمخشري: بأنه لا يمنع «فعلان» صفة من الصرف إلا إذا كان مؤنثه «فعلی»، كغضبان
وغضبي، وما لم يكن مؤنثه «فعلی» يتصرف؛ كندمان وندمانة . وتبعه ابن عساكر بأن «رحمن» وإن لم
يكن له مؤنث على «فعلی» فليس له مؤنث «فعلانة»، لأنه اسم مختص بالله تعالى فلا مؤنث له من لفظه،
فإذا عُدِم ذلك رجع فيه إلى القياس، وكل ألف ونون زائدتان فهما محمولتان على منع الصرف .

(١) الكشاف (٤/ ٣٧١) .

قال الجويني: وهذا فيه ضعف في الظاهر، وإن كان حسناً في الحقيقة، لأنه إذا لم يشبه «غضببان» ولم يشبه «ندمان» من جهة التأنيث فلماذا ترك صرفه، مع أن الأصل الصرف، بل كان ينبغي أن يقال: ليس هو كغضببان؛ فلا يكون غير منصرف، ولا يصحح أن يقال: ليس هو كندمان فلا يكون منصرفاً لأن الصرف ليس بالشبه إنما هو بالأصل وعدم الصرف بالشبه ولم يوجد.

قلت: والتقدير الذي نقلناه عن ابن عساكر يدفع هذا عن الزمخشري، نعم أنكر ابن مالك على ابن الحاجب تمثيله بـ «الرحمن» لزيادة الألف والنون في منع الصرف، وقال: لم يمثل به غيره ولا ينبغي التمثيل به، فإنه اسم علم بالغلبة لله مختص به، وما كان كذلك لم يجرد من الـ ولم يسمع مجرداً إلا في النداء قليلاً، مثل يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

قال: وقد أنكر على الشاطبي: [رحمه الله] (١)

تبارك رحمانا رحيمًا وموئلا

لأنه أراد الاسم المستعمل بالغلبة.

ولم يحضر الزمخشري هذا الجواب، فذكر أنه من تعنتهم في كفرهم كما سبق.

ما جاء على فعيل

وأما «فعيل» فعند النحاة أنه من صيغ المبالغة والتكرار، كرحيم، وسميع، وقدير، وخبير، وحفيظ، وحكيم، وحليم، وعليم، فإنه محول عن «فاعل» بالنسبة، وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به بدليل قولهم قتل وجريح والقتل لا يتفاوت.

وقد يجيء في معنى الجمع كقوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله: ﴿وَالْمَلِكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤]، وقوله: ﴿خَلَصُوا بِحَيَاتٍ﴾ [يوسف: ٨٠] وغير ذلك.

ومن المشكل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مریم: ٦٤]، فإن النفي متوجه على الخبر وهو صيغة مبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل، فلا يلزم نفي أصل النسيان وهو كالسؤال الآتي في: ﴿يُظَلِّمُوا لِلْعَيْسِيِّ﴾ [الإعران: ١٨٢]، ويجاب عنه بما سيأتي من الأجوبة ويختص هذا بجواب آخر، وهو مناسبة رهوس الآي قبله.

ما جاء على فَعَّال

وأما فعال فتحو: غفار، س ومنان، وتواب، ووهاب، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿عَلَنُ الْعُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] ونحو: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] ونحو: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ﴾ [المعارج: ١٦].

(١) زيادة من م.

ومن المشكل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [نصفت: ٤٦]، وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم، والواقع نفيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وقد أحيب عنه باثني عشر جواباً:

أحدهما: أن «ظلاماً» وإن كان [المراد] ^(١) به الكثرة، لكنه جاء في مقابلة العبيد، وهو جمع كثرة إذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً.

[ويرجع] ^(٢) هذا الجواب، أنه سبحانه وتعالى قال في موضع آخر: ﴿عَلَّمُوا الْقُرْيُوبِ﴾، فقابل صيغة «فعال» بالجمع، وقال في موضع آخر: ﴿عَلَّمُوا الْقُرْبِ﴾ فقابل صيغة «فاعل» الدالة على أصل الفعل بالواحد.

وهذا قريب من الجواب، عن قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، حيث احتج به المعتزلة على تفضيل الملائكة على الأنبياء.

وجوابه: أنه قابل عيسى بمفرده بمجموع الملائكة، وليس النزاع في تفضيل الجمع على الواحد.

الثاني: أنه نفي الظلم الكثير؛ فينتفي القليل ضرورة؛ لأن [القليل] ^(٣) الذي يظلم إنما يظلم لانفاعة بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة ظلمه في حق من يجوز عليه النفع، كان الظلم القليل في المنفعة أكثر.

الثالث: أنه على النسب واختاره ابن مالك، وحكاه في شرح الكافية عن المحققين أي: ذا ظلم كقوله: «وليس بنبال» أي: بذئ نبل أي: لا ينسب إلى الظلم فيكون من باب يزاز، وعطار.

الرابع: أن فعلاً قد جاء غير مراد به الكثرة كقول طرفة

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أزد لا يريد أنه يجل التلاع قليلاً، لأن ذلك يدفعه قوله: «يسترفد القوم أرفد»، هذا يدل على نفي الحال في كل حال، لأن تمام المدح لا يصل بإيراد الكثرة.

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه سبحانه - وقد جل عنه - لكان كثيراً، لاستغنائه عنه كما يقال: «زلة العالم كبيرة».

ذكره الحريري في الدررة، قال: وإليه أشار المخزومي في قوله:

كفوفة الظفر تخفى من حقارتها ومثلها في سواد العين مشهور

(١) في المطبوع: يراد.

(٢) في المطبوع: يرشح.

(٣) سقط من المطبوع.

[عرفه (١) في ظفر الأحداث] (٢)

السادس: أن نفي المجموع يصدق بنفي واحد، ويصدق بنفي كل واحد ويعين الثاني في الآية للدليل الخارجي، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لِّذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].
السابع: أنه أراد «ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم»، فجعل في مقابلة ذلك: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ [نصت: ٤٦].

الثامن: أنه جواب لمن قال: ظلّام والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص، لم يكن له مفهوم، كما إذا خرج مخرج الغالب.
التاسع: أنه قال: «بظلام» لأنه قد يُظن أن من يعذب غيره عذاباً شديداً ظلّام قبل الفحص عن جرم الذنب.

العاشر: أنه لما كان صفات الله تعالى صيغة المبالغة [فيها وغير المبالغة] (٣) سواء في الإثبات، جرى النفي على ذلك.

الحادي عشر: أنه قصد التعريض بأن ثمة ظلّاماً للعبيد من ولاة الجور.

وأما «فَعَال» بالتخفيف والتشديد، نحو: عَجَابٌ وَكِبَارٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقال: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٢٢]، قال المعري في «اللامع العزيزي» «فَعِيل»: إذا أريد به المبالغة نُقل به إلى «فَعَال» وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا: «فَعَال» ذلك من عَجِيبٌ وَعُجَابٌ وَعَجَابٌ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ بالتشديد، وقالوا: طويل وطُوال طُوال ويقال: نَسَبٌ قَرِيبٌ وَقُرَابٌ، وهو أبلغ قال الحارث بن ظالم:

وكننت إذا رأيت بني لؤي عرفت الود والنسب القرابا

ما جاء على فعول

وأما فعول: كخفور، وشكور، وودود، فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ لَقَلْبُومٌ كَمَّارٌ﴾ [لبراهيم: ٣٤] [ق/ ١٦٠].

وقوله تعالى في نوح ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقد أطر بني قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣]، فقلت: الحمد لله الذي ما قال: «الشاكر».

(١) قدر كلمة غير مقروءة في م.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

فإن قيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرْنَا وَإِنَّمَا كَفَرْنَا﴾ [الإنسان: ٣] ، كيف غير بين الصفتين وجعل المبالغة من جانب الكفران .

قلت : هذا سأله الصحابي بن عباد للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، فأجاب بأن نعم الله على عباده كثيرة ، وكل شكر يأتي في مقابلتها قليل ، وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم ، فجاء شكور بلفظ «فاعل» ، وجاء كفور بلفظ (فعل) على وجه المبالغة فتهلل وجهه صاحب .

ما جاء على فَعَل

وأما فَعِل فقوله تعالى: ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦] .

وقوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ أَيْدٍ﴾ [القمر: ٢٥] قرن «فَعِلًا» بفعال .

ما جاء على فُعَل

وأما فُعَل فيكون صفة ، كقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأْتُ﴾ [البلد: ٦] ، اللبد: الكثير .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَاحِذَى الْكَبِيرِ﴾ [المعثر: ٣٥] .

ويكون مصدرًا كهدي ، وثقى ، ويكون معدولاً عن أفعل من كذا ، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مُتَشَكِّبِينَ﴾ [آل عمران: ٧] ، وقوله تعالى: ﴿فَوَسَدَةٌ مِّنْ آيَاتِ آخِرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، كما قال: ﴿أَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً آخَرَى﴾ [الأنعام: ١٩] .

ما جاء على فَعَل

وأما فَعَل فيكون اسمًا كالشورى ، والرجعي ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ لَرَيْحًا رَّجِيًّا﴾ [العلق: ٨] ، وقال تعالى: ﴿وَكَلِمَةٌ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] .

ويكون صفة كالحسنى في تأنيث الأحسن ، والسوءى في تأنيث الأسوأ ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] .

قال الفارسي: يحتمل السوءى تأويلين:

أحدهما: أن يكون تأنيث «الأسوأ» والمعنى: كان عاقبتهم الخلة السوءى ، فتكون السوءى على هذا خارجة من الصلة ، فتنصب على الموضع ، وموضع «أن» نصب ، فإنه مفعول له ، أي كان عاقبتهم [الخصلة] ^(١) السوءى لتكذيبهم .

الثاني: أن يكون السوءى مصدرًا مثل الرجعي ، وعلى هذا فهي داخلة في الصلة ، ومنتصبة [بأساءوا] ^(٢) كقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ إِلَىٰ تَبْيِيلًا﴾ [المزمل: ٨] ، ويكون ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ [الروم: ١٠] نصبًا؛

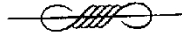
(٢) سقط من م .

(١) في م : الخلة .

لأنه خبر كان .

ويجوز في إعراب ﴿الشَّوْآتِ﴾ وجه ثالث: وهو أن يكون في موضع رفع صفة «العاقبة» وتقديرها: ثم كان عاقبتهم المذمومة التكذيب .

«والفعل» في هذا الباب، وإن كانت في الأصل صفة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْمُدَّوَّةِ الْفُضُوءِ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا آيَةَ الْكُرْبِيِّ﴾ [النازعات: ٢٠]، فجرت صفة على موصوفها، فإنها في كثير من الأمور تجري مجرى الأسماء، كالأبطح والأجرع والأدهم .



القسم الحادي عشر المثني وإرادة الواحد (١)

كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الذُّلُومُ وَالْمَرَمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيحًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [ناظر: ١٢] وإنما تخرج الحلية من «الملح» وقد غلط في هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلي، حيث قال يذكر الدرّة:

فجاء بها ما [مشتت] (٢) من لطمية يدوم الفرات فوقها وبموج والفرات لا يدوم فوقها، وإنما يدوم الأجاج.

وقال أبو علي (٣) في قوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]: [إن ظاهر اللفظ يقتضي أن يكون من مكة والطائف جميعًا، ولما لم يمكن أن يكون منهما، دل المعنى على تقدير «رجل من إحدى القريتين»] (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]: أي: في إحداهن.

وقوله تعالى: ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] والناسي كان يوشع بدليل قوله لموسى: ﴿فَأِنِّي نَسِيْتُ الْكُتُوبَ﴾ [الكهف: ٦٣] ولكن أضيف النسيان لهما جميعًا لسكوت موسى عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَلَّى فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والتعجيل يكون في اليوم الثاني وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] قيل: إنه من هذا أيضًا وإن موضع الإثم والتعجيل يجعل المتأخر الذي لم يقصر مثل ما جعل للمقصر. ويحتمل أن يراد: لا يقولن أحدهما لصاحبه أنت مقصر. فيكون المعنى: لا يؤثم أحدهما صاحبه..

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْتِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُنُ﴾ [النساء: ١١].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهَّ شُرَكَاءَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]: أي: أحدهما، على أحد القولين..

وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَاكُمْ دُودُ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا أَفْلَدْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فالجناح على الزوج لأنه أخذ ما أعطى، قال أبو بكر الصيرفي: المعنى: فإن خيف من ذلك جازت الفدية، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة..

وقوله تعالى: ﴿أَلِفًا فِي جَهَنَّمَ﴾ [آق: ٢٤] قيل: هو خطاب للملك وقال المبرد: ثناه على «ألق»

والمعنى: ألق ألق. وكذلك القول في «قفا» وخالفه أبو إسحاق، وقال: بل هو مخاطبة للملكين.

(٢) سقط من م.

(١) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٤٦).

(٤) سقط من م.

(٣) الحجة (٤/١١).

وقال الفراء^(١) في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الرحمن: ١٣] قال: يخاطب الإنسان مخاطبه بالثنائية.

وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ سَاءَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] فقيل: [المراد]^(٢) جنة واحدة بدليل قوله تعالى آخر الآية: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ [الكهف: ٣٥] فأفرد بعد ما ثنى.

وقوله: ﴿يَكُنَّا الْجِنِّينَ ءَأَنْتَ أَكْهَلُهَا﴾ [الكهف: ٣٣] فإنه ما ثنى إلا للإشعار بأن لها وجهين، وأنتك إذا نظرت عن يمينك ويسارك، رأيت في كلتا [الناحيتين]^(٣) ما يملأ عينيك قرة وصدرك مسرة.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وإنما المتخذ إليها عيسى دون مريم، فهو من باب «والنجوم الطوالع» قاله أبو الحسن، وحكاه عنه ابن جنى في كتاب «القد» وعليه حمل ابن جنى وغيره قول امرئ القيس:
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل^(٤)
ويؤيده قوله بعده:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه

وقول الفرزدق.

عشية سال المريدان كلاهما سحابة موت بالسيف الصوارم
وإنما هو مربد البصرة فقط.
وقوله: «ودار لها بالرقمتين».
وقوله: «بيطن المكتين».

وقول جرير:

لما مررت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
قالوا: أراد «دير الوليد» فثناه باعتبار ما حوله.

(١) قال الفراء: «فبأي آية ربيكم تكفرون». وإنما ذكر في أول الكلام: الإنسان، ففي ذلك وجهان: أحدهما: أن العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين: فيقال: ارحلها، ازجرها يا غلام. والوجه الآخر: أن الذكر أريد في الإنسان والجان، فجرى لهما من أول السورة إلى آخرها. معاني القرآن (٣/ ١١٤).

(٢) في م: الجنتين.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) وهو من أبيات المعلقة.

القسم الثاني عشر إطلاق الجمع وإرادة الواحد (١)

كقوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي عَصْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤] قال أبو بكر الصيرفي: فهذا خطاب للنبي ﷺ وحده، إذ لا نبي معه ولا بعده.

ومثله: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، وهذا مما لا شريك فيه والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لما كانت تصاريف أفضيته سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه نزلت أفعالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع.

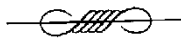
وجعل منه ابن فارس قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] والرسول كان واحداً بدليل قوله تعالى: ﴿آتَجِجْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٣٧]. وفيه نظر من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم، فإن العادة جارية لا سيما من الملوك ألا يرسلوا واحداً.

ومنه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] وغير ذلك وقد تقدم في وجوه [المخاطبات] (٢).

ومنه: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢] والمراد جبريل.
وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] والمراد: محمد ﷺ.
وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّهُ إِذَا قَالَ الْوَاحِدُ قَوْلًا لَوْلَا أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ قَوْلَهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْبُرْجَانِ﴾ [البقرة: ٧٢] والقائل ذلك رءوسهم وقيل: المراد بالناس ركب من عبد القيس دسهم أبو سفيان إلى المسلمين وضمن لهم عليه جعلاً، قاله ابن عباس وابن إسحاق وغيرهما.

القسم الثالث عشر إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَجِبَ الْبَصَرَ كَرِيحًا﴾ [الملك: ٤] فإنه وإن كان لفظه لفظ التثنية فهو جمع، والمعنى «كرات» لأن البصر لا يحسر إلا بالجمع.
وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿أَطْلَقْتُ مَرَّتَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].



(٢) في م: الخطاب.

(١) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٥١).

القسم الرابع عشر التكرار على وجه التأكيد (١)

وهو مصدر «كرر» إذا ردد وأعاد، هو «تفعال» بفتح التاء وليس بقياس بخلاف التفعيل .
وقال الكوفيون: هو مصدر «فَعَّلَ» [والألف] (٢) عوض من الياء في التفعيل . والأول
مذهب سيويه .

وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعبءه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتهما إذا أهدت بشيء إرادة لتحقيقه، وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحکم الحججة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات ولا يجمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَرَّخْنَا آفْرَهَ أَنْ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧] قال في «الكشاف» (٣) أي: سهلناه للادكار والاتعاظ بأن نسجنه بالمواعظ الشافية، وصرنا فيه من الوعد والوعيد .
ثم تارة يكون التكرار مرتين كقوله: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَ﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَ﴾ [المدثر: ١٩-٢٠] .

وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ فَالُوكَ﴾ ﴿ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكَ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥] .

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكوير: ٦-٧] .

وقوله: ﴿كَلَّا سِعْلُونَ﴾ ﴿كَلَّا سِعْلُونَ﴾ [النبا: ٤-٥] .

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨] .

وقوله: ﴿فَاسْتَمَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمَعَ الذُّبَابُ مِنْ قِبَلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩] .

[وفائدته العظمى] (٤) التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر .

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأفاصيص والأخبار في القرآن، فقال:

(٢) في م: الأول .

(١) «الأقصى القريب» (ص/٩٠-٩٢) .

(٤) في م: ومن الفوائد العظمى .

(٣) «الكشاف» (٤/٤٣٥) .

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١] .

وقال: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَرُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] .

وحقيقته: إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به .

فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق ، لم يكن منه كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١] وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَتَعْبُدُ مُخْلِصًا لَمْ دِينِي ﴿١١﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١١-١٥] .

فأعاد قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَتَعْبُدُ مُخْلِصًا لَمْ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤] بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] لا لتقرير الأول، بل لغرض آخر لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني: أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص ولذلك قدم المفعول على فعل العبادة في الثاني وآخر في الأول؛ لأن الكلام أولاً في الفعل وثانياً فيمن فعل لأجله الفعل .

واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار، إذا خرج عن الأصل أما إذا وافق الأصل فلا ولهذا لا يتجه سؤالهم لم كرر «إياك» في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

ف قيل: إنما كررت للتأكيد كما تقول: بين زيد وبين عمرو مال .

وقيل: إنما كررت لارتفاع أن يتوهم إذا حذف أن مفعول «نستعين» ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود بتقديم المفعول على عامله .

والتحقيق: أن السؤال غير متجه؛ لأن هنا عاملين متغايرين كل منهما يقتضي معمولاً، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده، فقد جاء الكلام على أصله والحذف خلاف الأصل، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكر ما الأصل ذكره، ولا حاجة إلى تكلف الجواب عنه وقس بذلك نظائره .

[فوائد التكرير] (١)

وله فوائد:

أحدها: التأكيد واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد، لأنه وقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز، فلهذا قال الزمخشري (٢) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣] ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

(٢) «الكشاف» (٤/ ٧٩٢) .

(١) «الأقصى القريب» (ص/ ٩٠) .

[التكاثر: ٣-٤] إن الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال: وفي ﴿ثُمَّ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول.

وكذا قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبُرْجِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبُرْجِ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار: ١٧-١٨].

وقوله: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المدثر: ١٩-٢٠] يحتمل أن يكون منه، وأن يكون من المتماثلين.

والحاصل أنه هل هو إنذار تأكيد أو إنذاران، فإن قلت: «سوف تعلم ثم سوف تعلم» كان أجود منه بغير عطف لتجريه على غالب استعمال التأكيد ولعدم احتمال له لتعدد المخبر به.

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح «الخلاصة» أن الجملة التأكيدية قد توصل بعاطف ولم تختص بشئ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص، وليس كذلك فقد قال تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الْبُرْجِ ءَأَمِنُوا أَنْفُوا اللَّهُ وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] فإن المأمور فيهما واحد كما قاله النحاس والزنجشيري، والإمام فخر الدين والشيخ عز الدين، ورجحوا ذلك على احتمال أن تكون «التقوى» الأولى مصروفة لشيء غير التقوى الثانية مع شأن إرادته.

وقولهم: إنه تأكيد فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء لا أنه تأكيد لفظي، ولو كان تأكيداً لفظياً لما فصل بالعطف، ولما فصل بينه وبين غيره: ﴿وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسَ﴾ [الحشر: ١٨].

فإن قلت: [«اتقوا»] ^(١) الثانية معطوفة على «ولتنتظر».

أجيب بأنهم قد اتفقوا على أن: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] معطوف على: ﴿لَا تَسُبُّوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] لا على قوله: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] وهو نظير ما نحن فيه.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكَ طَهْرَكَ وَاصْطَفَىٰ لَكَ عَلِيًّا﴾ [آل عمران: ٤٢]

وقوله: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَارِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ويحتمل أن يكون «اصطفاءين» و«ذكرين»، وهو الأقرب في الذكر لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر.

وكقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿كَيْ سَجَّكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣-٣٤] ولم يقل: نسبحك وتذكرك كثيراً ^(٢).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الرمع: ٥] كرر «أولئك».

وكذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي﴾ [القصاص: ١٩] إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

[القصاص: ١٩] كررت «أن» في أربعة مواضع تأكيداً.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ عَبَّدَ اللَّهُ مَخْلَصًا لَهُ الَّذِينَ ﴿٧١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١-

١٢]

الثاني: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُونَ أُمَّمَهُمْ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٧١﴾ يَتَقَوَّمُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ [غافر: ٣٨-٣٩] فإنه كرر فيه النداء لذلك.

الثالث: إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له، وتجديداً لعهد كقوله

تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِجَهْدَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠] الآية.

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّن عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٨٩] ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾

[البقرة: ٨٩] فهذا تكرار للأول، ألا ترى أن «لما» لا تحيء بالفاء!

ومثله: [﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ [ال عمران: ١٨٨]]^(١) ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ [ال عمران

: ١٨٨].

وقوله: ﴿وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ثم قال: ﴿وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا

اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومنه قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدًا﴾ [يوسف: ٤].

وقوله: ﴿أَعْبُدْكُمْ أَكْفَرُ إِذَا شِئْتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَاكِبًا وَعِظْلًا أَكْفَرُ تُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] فقوله: ﴿أَكْفَرُ﴾

[المؤمنون: ٣٥] الثاني بناء على الأول إذكارة به خشية تناسيه [ق/ ١٦٢].

وقوله: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وكذلك قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُمْ آيَاتُنَا السُّبُتِ ﴿٧٢﴾ وَقَدِ بَنَيْنَاهُ بِذِيحٍ عَظِيمٍ﴾

[الصافات: ١٠٥-١٠٧] إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٨٠].

بغير «إِنَّا» وفي غيره من مواضع ذكر «إِنَّا كَذَلِكَ» لأنه يبني على ما سبقه في هذه القصة

(١) سقط من م.

من قوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً، ولأن التأكيد بالنسبة فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده .

ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء، وهذا أسلوب غريب وقل في القرآن وجوده وأكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ كالمبتدأ وحروف الشرطين الواقعين في الماضي المضارع، ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسي .

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل، بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن، فإذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجملي كقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦١] فقوله «فبظلم» بيان لذكر الجملي على ما سبق في القول من التفصيل وذلك أن الظلم جملي على ما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [النساء: ١٥٥] والقول على مريم بالبهتان، ودعوى قتل المسيح عليه السلام إلى ما تحلل ذلك من أسلوب [الاعتراض] ^(١) بها موضعين، وهما قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥] وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] إلى قوله ﴿شَهِيدًا﴾ وأنه لما ذكر البناء جملي الظلم من قوله «فبظلم» لأنه يعم على كل ما تقدم، وينطوي عليه ذكر حينئذ متعلق الجملي من قوله: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] عقب الباء لأن العامل في الأصل حقه أن [يلي] ^(٢) معموله فقال: ﴿فِيظَلِرِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا﴾ [النساء: ١٦٠] هو متعلق بقوله: ﴿فِيظَلِرِ﴾ [النساء: ١٦٠] وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرمات الأخر التي عدت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم والخصوص، فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كل واحد ثم ذكر العام المنطوي عليها، فهذا تعميم بعد تخصيص ثم ذكرت جزئيات آخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية وهو التعميم بعد التخصص، ثم التخصص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح: ٢٥] إلى قوله: ﴿عَدَابًا أَلِيمًا﴾ فقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: ٢٥] إلى قوله: ﴿يَغْتَرِبُونَ عَلَيْهِمْ﴾ هو المقتضى الأول المتقدم وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥] هو المقتضى الثاني، وهو البناء لأنه المذكر بالمقتضى الأول الذي هو «لولا» خشية تناسيه فهو مبني على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله: ﴿لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] وروداً واحداً من حيث أخذها معاً كأنهما مقتضى منفرد

(٢) في المطبوع: يلي.

(١) في م: الإعراض.

من حيث هما واحد بالنوع، وهو الشرط الماضي فقوله: ﴿لَوْ تَزَكَّيْتُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] بناء على قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ [الفتح: ٢٥] نظر في المضارعة وأما قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩] فيجوز أن يكون تكريراً ويجوز أن يكون الكلام عند قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بياناً لمجمل لا تكريراً.

وقد جعل ابن المنير من هذا القسم قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ [النحل: ١٠٦] ثم قال: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ . . .﴾ [الفتح: ٢٥] ثم قال: ﴿لَوْ تَزَكَّيْتُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] ونازعه العراقي لأن المعاد فيهما أخص من الأول، وهذا يبيء في كثير مما ذكرنا، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخص منه كما بينا.

الرابع: في مقام التعظيم والتهويل كقوله تعالى: ﴿الْمَآئِةُ ① مَا الْمَآئِةُ﴾ [الحاقة: ٢-١] ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢-١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢-١].

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ① وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ [الواقعة: ٨-٩].

وقوله: ﴿يَسْتَفِيقُونَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المدثر: ٣١].

الخامس: في مقام الوعيد والتهديد كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ① ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكوير: ٣-٤] وذكر «ثم» في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة، لا يتطرق إليه تغيير بل هو مستمر دائماً.

السادس: التعجب كقوله تعالى: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ① ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾ [المدثر: ١٩-٢٠] فأعيد تعجباً من تقديره، وإصابته الغرض على حد: قاتله الله ما أشجعه!

السابع: لتعدد المتعلق كما في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الرحمن: ١٣] فإنها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن وعدد عليهم [أنواع] ^(١) نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلاً من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه وهي أنواع مختلفة وصور شتى.

فإن قيل: فإذا كان المعنى في تكريرها عد النعم واقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله:

(١) سقط من المطبوع.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] وأي نعمة هنا وإنما هو وعيد؟
 قيل: إن نعم الله فيما أنذر به وحذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها،
 نظير أنعمه على ما وعده وبشر من ثوابه على طاعته، ليرغبوا فيها ويحرصوا عليها وإنما تتحقق
 معرفة الشيء بأن تعتبره بضده، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما فإنهما متقاربان في
 موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها، وعليه قول بعض حكماء الشعراء .

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها
 وإنما ذكرنا هذا لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة، ولو كان عائداً لشيء واحد لما
 زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فإن قيل: فإذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك بإطناب، بل هي ألفاظ أريد بها غير ما
 أريد بالآخر؟

قلت: إن قلنا: العبرة بعموم اللفظ، فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر .

وقد تكلف لتوجيه العدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة .

قال الكرمانى^(١): جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيقاً وثلاثين مرة؛ لأن ست
 عشرة راجعة إلى الجنان؛ لأن لها ثمانية أبواب وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنقم،
 فأعظم النقم جهنم ولها سبعة أبواب وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب وسبعة عقب كل
 نعمة ذكرها للثقلين .

وقال غيره: نبه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة
 أمهات النعم [ق/١٦٣]، وأفرد سبعاً منها للتخويف وإنذاراً على عدة أبواب المخوف منه
 وفصل بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من
 الفناء، حيث اتصلت بقوله: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَاِنَّ﴾ [الرحمن: ٢٦] فكانت خمس عشرة، أتبعث بثمانية
 في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها، ثم بثمانية آخر في وصف الجنتين اللتين من دون
 الأوليين لذلك أيضاً فاستكملت إحدى وثلاثين .

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] في سورة المرسلات عشر مرات
 لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول [فصار]^(٢) كأنه قال عقب كل قصة: ويل
 للمكذبين بهذه القصة، وكل قصة مخالفة لصاحبها فأثبت الويل لمن كذب بها . .

(١) البرهان في مشابهة القرآن (ص/٣٠٦) بتصرف .

(٢) سقط من م .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها وجعل للكفار في مقابلة كل مثل من الثواب . ويل .

ومنها في سورة الشعراء ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٨-٩] في ثمانية مواضع ؛ لأجل الوعظ فإنه قد يتأثر بال تكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة .

وأما قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام ، والعجب من تخلف مَنْ لا يتأملها مع ظهورها .

وأما مناسبة قوله : ﴿ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر ، فدل بالمفهوم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن وهما مرتبتان كترتيب الفريقين ، ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الكافرون] الآية لأن علمهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب المقام ، وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه فإن المعاملات الإلهية للطائع والعاصي متغيرة الأنواع الدنيوية البرزخية ، ثم الحشرية كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في الغاية بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة ، وفي «ثم» دلالة على الترقى إن لم يجعل الزمان مرتباً في الإنذار على التكرار وفي المنذر به على التنوع .

ومنه تكرار : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ﴾ [القمر: ٣٧] قال الزمخشري (١) : كرر ليجدوا عند سماع كل نبا منها اتعاطاً وتنبهها ، وأن كلاً من تلك الأنباء مستحق باعتبار يختص به وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الْكَيْفَرِ ۚ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١-٢] إلى آخرها ، يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية ، فقال : إني أجد في القرآن تكراراً وذكر له ذلك فأجابه الحسن بما حاصله : إن الكفار قالوا : نعبد إلهك شهراً وتعبد آلهمتنا شهراً فجاء النفي متوجهاً إلى ذلك ، والمقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء بل هي بالحذف والاختصار أليق ، وذلك لأن قوله : ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ٢] أي : لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل ، وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ [الكافرون: ٤] أي : ولا أنا عابد في الحال ما عبدتم في المستقبل ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ [الكافرون: ٣] في الحال ما أعبد في المستقبل .

(١) الكشاف (٤/٤٣٩) .

والحاصل: أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة: الحال والماضي والاستقبال والمذكور في الآية النفي في الحال والاستقبال وحذف الماضي من جهته، ومن جهتهم ولا بد من نفيه لكنه حذف لدلالة الأولين عليه.

وفيه تقدير آخر وهو أن الجملة الأولى فعلية، والثانية اسمية وقولك: «لا أفعله» و«لا أنا فاعله» أحسن من قولك: «لا أفعله»، «ولا أفعله»، فالجملة الفعلية نفي لإمكانه والاسمية نفي لاتصافه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الضَّالِّينَ﴾ [النمل: ٨١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والمعنى أنه تبرأ من فعله ومن الاتصاف به وهو أبلغ في النفي، وأما المشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة، وهي قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] في الموضوعين.

وفرق آخر، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَّدتُّمْ﴾ [الكافرون ٤]: وقال في النفي عنهم: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] عائد في حقه بين الجملتين، وقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] بالمضارع وفي الثاني: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَّدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] بالماضي فإن المضارع يدل على الدوام بخلاف الماضي فأفاد ذلك أن ما عبدتموه ولو مرة ما أنا عابد له ألبتة، ففيه كمال براءته ودوامها مما عبدوه ولو مرة، بخلاف قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] فإن النفي من جنس الإثبات، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومنفردًا.

ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة لأن المتكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس: اليهود لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم، وأهل النفاق أشد إنكارًا له لأنه كان أول نسخ نزل، وكفار قريش قالوا: ندم محمد على فراق ديننا، فيرجع إليه كما يرجع إلى قبلتنا. وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون: يزعم محمد أنه يدعوننا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل، وقد فارق قبلتهما وأثر عليها قبلة اليهود، وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة: ﴿بَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] والاستثناء منقطع أي: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون، وقال سبحانه: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أي: الذين أشركوا فلا تتمر في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَلَا قَرِيبًا مِنْهُمْ لِيَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أي: يكتُمون ما علموا أن الكعبة هي قبلة الأنبياء.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَوْلًا عَنْهُمْ حَقٌّ حِينَ ۞ وَأَصْرُهُمْ سَؤُوفٌ يُّبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٤-١٧٥]. وقال صاحب «النبوع»: لم يبلغني عن المفسرين فيه شيء.

وقال المفسرون في غريب القرآن: هما في المعنى كالأيتين المتقدمتين، فكرر للتأكيد وتشديد الوعيد.

ويحتمل أن يكون «الحين» في الأولين يوم بدر، و«الحين» في هاتين يوم فتح مكة. ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين: ﴿وَأَنْصِرْتُمْ﴾ وفي هاتين ﴿فَأَبْصِرْ﴾ أن الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلاً وأسراً وهزيمة ورعباً، فما تضمنت التشفي بهم قيل له: ﴿أَبْصِرْهُمْ﴾ وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم، والهداية [إلى] (١) إيمانهم فلم يكن وفقاً للتشفي بهم، بل كان في استسلامهم وإسلامهم لعينه قرّة ولقلبه مسرة، فقيل له: ﴿أَبْصِرْ﴾.

ويحتمل على هذا إن شاء الله أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذه: ﴿فَسَوْفَ يَجِيرُونَ﴾ [الصفات: ١٧٥] أي: يبصرون منك عليهم بالأمان ومثنا عليهم بالإيمان. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَكُمْ﴾ [المتحنة: ١٠]. وللتكرار هنا فائدتان:

إحداهما: أن التحريم قد يكون في الطرفين، ولكن يكون المانع من إحداها كما لو [ق/ ١٦٤] ارتدت الزوجة قبل الدخول يحرم النكاح من الطرفين، والمانع من جهتهما فذكر الله سبحانه الثانية ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك المانع منهما. والثانية: أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي، ولهذا أتى فيها بالاسم الدال على الثبوت، والثانية في المستقبل ولهذا أتى فيها بالفعل المستقبل. ومنه تكرار الإضراب.

واعلم أن «بل» إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب. وهو: إما أن يقع في كلام الخلق [ومعناه إبطال] (٢) ما سبق على طريق الغلط من المتكلم أو أن الثاني أولى.

وإما أن يقع في كلام الله تعالى وهو ضربان:

أحدهما: أن يكون ما فيها من الرد راجعاً إلى العباد، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضَعَفْتُ أَحْلَمَ بَلِ أَقْرَبَهُ بَلِ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥].

والثاني: أن يكون إبطالاً، ولكنه على أنه قد انقضى وقته، وأن الذي بعده أولى بالذكر

(٢) في م: فمعناه إطلاق.

(١) سقط من م.

كقوله تعالى: ﴿بَلِ آذَانِكُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْأَخْرَجِ [بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ] (١)﴾ [النمل: ٦٦] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوْفُوا عَذَابِي﴾ [ص: ٨] .

وزعم ابن مالك في شرح «الكافية» أن «بل» حيث وقعت في القرآن فإنها للاستئناف لغرض آخر لا لإبطال، وهو مردود بما سبق ويقول: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ بَلِ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] فأضرب بها عن قولهم، وأبطل كذبهم .

وقوله: ﴿بَلِ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦] أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور وترك الأزواج .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢] فالأول للمطلقين والثاني للشهود نحو: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلِنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] [أولها للأزواج] (٢) وأخرها للأولياء .

ومنه تكرار الأمثال ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢] .

وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة ثناء الله تعالى .

قال الزمخشري: «والثاني أبلغ من الأول لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته» قال: «ولذلك آخر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ» .

ومنه تكرار القصص في القرآن ، كقصة إبليس في السجود لآدم وقصة موسى وغيره من الأنبياء قال بعضهم: ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه قال ابن العربي في «القواصم»: ذكر الله قصة نوح في خمس وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية . انتهى . وإنما يكررها لفائدة جللت عنه في الموضع الآخر وهي أمور:

أحدها: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعباناً ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة .

الثانية: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به مهاجرياً، فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم

(٢) سقط من م .

(١) سقط من المطبوع .

الحاضرون، وعبر عن هذا ابن الجوزي وغيره.

الثالثة: [تسليته لقلب النبي ﷺ] ^(١)، مما اتفق للأنبياء مثله مع أمهم قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

الخامسة: أن الدواعي لا تتوافر على نقلها كتوافرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

السادسة: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية؛ لصحة نبوة محمد ﷺ ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا بأي عبارة عبروا، قال ابن فارس ^(٢): وهذا هو الصحيح.

السابعة: أنه لما سخر العرب بالقرآن قال: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] وقال في موضع آخر: ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾ [هود: ١٣] فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد [واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]: «إيتونا أنتم بسورة من مثله» ^(٣)، فأنزلها سبحانه في تعداد السور دفماً لحجتهم من كل وجه.

الثامنة: أن القصة الواحدة من هذه القصص كقصة موسى مع فرعون، وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ، فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها فكان الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسم تلك الأجزاء على [تارات] ^(٤) التكرار، لتوجد متفرقة فيها ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة من انفراد كل قصة منها بموضع، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة فاجتمعت في هذه الخاصة من نظم القرآن عدة معان عجيبة:

منها: أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجئة، ولا أحدث مللاً فباين بذلك كلام المخلوقين.

(٢) فقه اللغة (ص/١٧٨).

(٤) في م: منارات.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من م.

ومنها: أنه ألبسها زيادة ونقصاناً وتقديمًا وتأخيرًا؛ ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها فيكون شيئًا معادًا فترهه عن ذلك بهذه التغييرات .

ومنها: أن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص، صارت متفرقة في تارات التكرير، فيجد البليغ لما فيها من التغيير ميلًا إلى سماعها لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة .

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تباين أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] [ق/ ١٦٥] وكقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ . . .﴾ [القلم: ٢٧] الآية .

وقال القفال في تفسيره: ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوهًا من المقاصد أحدها: الدلالة على صحة نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر عنها من غير تعلم، وذلك لا يمكن إلا بالوحي: الثاني: تعديد النعم على بني إسرائيل، وما منَّ الله على أسلافهم من الكرامة والفضل: كالنجاة من آل فرعون وفرق البحر لهم، وما أنزل عليه في التيه من المن والسلوى، وتفجر الحجر وتظليل الغمام .

الثالث: إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم، وتعنتهم على الأنبياء فكأنه تعالى يقول: إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به وأنقذهم من العذاب بسببه فغير بدع ما يعامله به أخلافهم محمدًا ﷺ . . .

الرابع: تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي ﷺ من نزول العذاب بهم كما نزل بأسلافهم .

وهنا سؤالان:

أحدهما: ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام، وسوقها مساقًا واحدًا في موضع واحد دون غيرها من القصص؟
والجواب من وجوه:

الأول: [ما] ^(١) فيها من تشبيب النسوة به وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن

(١) سقط من المطبوع .

بأبدع الناس جمالاً، وأرفعهم مثلاً فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك، وقد صحح الحاكم في مستدركه حديثاً مرفوعاً: النهي عن تعليم النساء سورة يوسف.

الثاني: أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس، وقوم نوح وقوم هود وقوم صالح، وغيرهم فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

الثالث: قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: إنما كرر الله قصص الأنبياء، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب، كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء..

السؤال الثاني: أنه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح، وهود، وصالح وشعيب ولوط وموسى في سورة الأعراف وهود والشعراء، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم وإنما ذكرها في سورة الأنبياء ومريم والعنكبوت والصفافات؟

والسر في ذلك أن تلك السور الأول ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم و[إنجاء] (١) الرسل وأتباعهم وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم، بل كان المقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم، ولهذا سميت سورة الأنبياء فذكر فيها إكرامه للأنبياء وبدأ بقصة إبراهيم إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد وإبراهيم أكرمهم على الله وهو خير البرية وهو أب أكثرهم وليس هو أب نوح ووط لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وأما سورة العنكبوت، فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين نصره لهم وحاجتهم إلى الجهاد وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر، وعاقبة من كذب الرسل فذكر قصة إبراهيم لأنها من النمط الأول.

وكذلك في سورة الصفافات قال فيها: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَئِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ [الصفافات: ٧١-٧٣] وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة، إما بكونهم غلبوا ودلوا وإما بكونهم أهلكوا ولهذا ذكر [فيها] (٢) قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه بل قال: ﴿كَذَّبُوهُ فَأَنْتَهُمْ لَخَصَمُونَ﴾ [الصفافات: ١٢٧] وقد روي أن الله رفع إلياس وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة فإن إلياس لم يقم بينهم، وإلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال وبعد نوح لم يهلك جميع النوع،

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: نجاه.

وقد بعث الله في كل أمة نذيراً والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا كما ذكر ذلك عن غيرهم، بل ذكر أنهم ألقوه في النار فجعلها برداً وسلاماً وفي هذا ظهور برهانه وآياته حيث أذلهم ونصره: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨] وهذا من جنس المجاهد الذي يعرض عدوه والقصص الأول من جنس المجاهد الذي قتل عدوه، وإبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم بل هاجر وتركهم، وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا ولم يوجد في حق إبراهيم سبب الهلاك وهو إقامته فيهم وانتظار العذاب النازل، وهكذا محمد ﷺ مع قومه، لم يقم فيهم بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك، ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل فإنهم إذا علموا حصل المقصود وقد يتوب منهم من تاب كما جرى لقوم يونس. فهذا والله أعلم هو السر في أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم.

فإن قيل: فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك؟

فالجواب: أما حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل، فلم يسع في هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام، ودوام إقامة الحجة عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَكُلُّكُمْ لِلْغَلْبَةِ ۗ وَالشَّكَّانُكُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤] وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم فعوقبوا وقوم إبراهيم وإن أوصلوه إلى العذاب لكن جعله الله عليه برداً وسلاماً، ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب إذ الدنيا ليس دار الجزاء العام، وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة كما في العقوبات الشرعية، فمن أرادوا عداوة أحد من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعصمه الله وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه، ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام إذ عصمه الله من كيدهم وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجلاً، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد ﷺ فإن محمداً سيد [الجميع] ^(١)، وهو خليل الله كما أن إبراهيم عليه السلام خليله والخليلان هما أفضل الجميع، وفي طريقيهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما، ولم يذكر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير الشرك، وكذلك عن قوم نوح، وأما عاد فذكر عنهم التجبر وعمارة الدنيا، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء، وأهل مدين الظلم في الأموال مع الشرك، وقوم لوط استحلال الفاحشة ولم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم، وهذا يدل [ق/١٦٦] على أنهم لم يكونوا مشركين وإنما كان دينهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك وكانت عقوبتهم أشد.

(الحج: م: الخلق).

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم، ولما لم يكن في قوم نوح خير يرجى [غرق] ^(١) الجميع والله المستعان، فتأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم كقوله تعالى: ﴿أَنْهَرُوا مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُوا مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُوا مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُوا مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] فأعاد ذكر «الأنهار» مع كل صنف، وكان يكفي أن يقال فيها: «أنهار من ماء ومن لبن ومن خمر ومن عسل» لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة وفيما عدا الماء مجازاً للتشبيه فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز.

فإن قلت: فهلاً أفرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة؟ قيل: لو فعل ذلك لجمع بين حامل من المجاز مختلفة في صيغة واحدة وهو قريب في المنع من الذي قبله.

فائدة في صنيعهم عند استئصال تكرار اللفظ

قد يستثقلون تكرار اللفظ فيعدلون لمعناه، كقوله تعالى: ﴿قَهَلِ الْكٰفِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رِيْدًا﴾ [الطارق: ١٧] فإنه لما أعيد اللفظ غير «فعل» إلى «أفعل»، فلما ثلث ترك اللفظ أصلاً فقال: «ريداً».

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا كَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ثم قال: ﴿إمراً﴾.

قال الكسائي: معناه شيئاً منكراً كثير الدهاء من جهة الإنكار من قولهم: أمير القوم. إذا كثروا. قال الفارسي: وأنا أستحسن قوله هذا.

وقوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا وِرَاءَكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] قال الفارسي: ﴿وِرَاءَكُمْ﴾ في موضع فعل الأمر أي: تأخروا. والمعنى: ارجعوا تأخروا فهو تأكيد وليست ظرفاً؛ لأن الظروف لا يؤكد بها. وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة، كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيٍّ﴾ [سبا: ٥] والقصد المبالغة، أي: عذاب مضاعف. وبالعطف كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَرْزِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩].

القسم الخامس عشر الزيادة في بنية الكلمة ^(٢)

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة.

(٢) «الأقصى القريب» (ص/٨٦-٨٧).

(١) في م: أغرق.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاكُمْ أُخْذًا عَزِيزًا مُّقَدِّرًا﴾ [القمr: ٤٢] فهو أبلغ من قادر لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة، لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا: قوة اللفظ لقوة المعنى .
وكقوله تعالى: ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من «اصبر» .
وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلف زيد في لفظ فعلها .

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧] فإنه أبلغ من «يتصارخون» .
وقوله تعالى: ﴿تَكْبِكُوا فِيهَا﴾ ولم يقل: «وكبوا» قال الزمخشري^(١): والكببة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب كبة مرة بعد أخرى، حتى يستقر في قعرها؛ اللهم أجرننا منها [يا]^(٢) خير مستجار .
وقريب من هذا قول الخليل في قول العرب: صر الجندب، وصرصر البازي: كأنهم توهوا في صوت الجندب استطالة فقالوا: صر صريراً، فمدوا وتوهوا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا «صرصر» .

ومنه الزيادة بالتشديد أيضاً، فإن «سَئَارًا» و «عَفَارًا» أبلغ من «ساتر» و «غافر»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] ومن هذا رجح بعضهم معنى «الرحمن» على معنى «الرحيم»؛ لما فيه من زيادة البناء، وهو الألف والنون وقد سبق في السادس .

ويقرب منه التضعيف - ويقال: التكثير - وهو أن يؤتى بالصيغة دالة على وقوع الفعل مرة بعد مرة، وشرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف، وإنما جعله متعدياً لتضعيفه، ولهذا رد على الزمخشري^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] حيث جعل ﴿نَزَّلْنَا﴾ هنا للتضعيف .

وقد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللزوم، قليلاً نحو: مَوَّتَ المال .

وجاء حيث لا يمكن فيه التكثير، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ آيَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٢٠] ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] .

فإن قلت: ﴿فَأَتَيْعَهُ قِيَلًا﴾ مشكل على هذه القاعدة؛ لأنه إذا كان «فعل» للتكثير فكيف جاء «قليلاً» نعمتاً لمصدر «متع»، وهذا وصف كثير بقليل وإنه ممنوع؟ قلت: وصف بالقلة من

(١) الكشاف (٣/٣٢٢) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) الكشاف (١/٩٦) .

حيث صيرورته إلى نفاذ ونقص وفناء .

واعلم أن زيادة المعنى في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعي غير موضوعة لمعنى فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة ، فقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] لا يدل على كثرة صدور الكلام منه ؛ لأنه غير منقول عن ثلاثي . وكذا قوله : ﴿ وَرَزَقْنَا الْقُرْآنَ تَرْيَلًا ﴾ [المزمل: ٤] يدل على كثرة القراءة على هيئة التأي والتدبر . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ [يس: ٦٩] ليس النفي للمبالغة ، بل نفي أصل الفعل .

(١) القسم السادس عشر التفسير

وتفعله العرب في مواضع التعظيم كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى : قرأت في تفسير الجنيدى : أن قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] تفسير للقيوم . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩-٢١]

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩] فإن هذا تفسير للوعد .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ [النور: ٥٥] فقوله : (ليستخلفنهم) [٢] تفسير للوعد وتبين له لا مفعول ثان ، فلم يتعد الفعل منها إلا إلى واحد .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مِثْلَ عَيْسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقُوكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] ف«خلقهم» تفسير للمثل .

وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَوْعِدَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩] و«يُدَبِّحُونَ» [وما بعده] (٣) تفسير للسوم . وهو في القرآن كثير .

قال أبو الفتح بن جنى : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لأن تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له وجار مجرى بعض أجزائه ، كالصلة من الموصول والصفة من الموصوف .

(٢) سقط من المطبوع.

(١) الأقصى القريب (ص/٩٧) .

(٣) سقط من م .

وقد يجيء لبيان العلة والسبب، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُنْلُونَ﴾ [يس: ٧٦] وليس هذا من قولهم وإلا لما حزن الرسول، وإنما يجيء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥].

ولو جاءت الآيتان على حد ما جاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا [وَعَمِلُوا] (١) الصَّالِحِينَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] [ق/١٦٧] لكانت «أن» مفتوحة لكنها جاءت على حد قوله.

فائدة

قيل: الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب، وقيل: يكون لها موضع إذا كان للمفسر موضع ويقرب منها ذكره تفصيلاً كما سبق في قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَزْبَعِيكَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ومثل: ﴿فَصِيَامٌ تَلْتَلِيهِ أَيَّامٌ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦].

القسم السابع عشر خروج اللفظ مخرج الغالب

كقوله تعالى: ﴿رَبِّبْنِيكُمْ أَلْتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] فإن الحجر ليس بقيد عند العلماء، لكن فائدة التقييد تأكيد الحكم في هذه الصورة مع ثبوته عند عدمها، ولهذا قال بعده: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ولم يقل: «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» ولم يكن في حجوركم، فدل على أن الحجر خرج مخرج العادة.

واعترض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع، فالحل يثبت بانتفاء المجموع، والمجموع ينتفي بانتفاء جزئه كما ينتفي بانتفاء كل فرد من المجموع.

وأجيب: بأنه إذا نفي أحد شطري العلة كان جزء العلة ثابتاً فيعمل عملها.

فإن قيل لما قال: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ أَلْتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] [ثم] (٢) قال في [آخر] (٣) الآية بعدها: ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَدَّعْتُمْ﴾ [النساء: ٢٤] علم من مجموع ذلك أن الربيبة لا تحرم إذا لم يدخل بأمرها، فما فائدة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ؟

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

قيل: فائدته ألا يتوهم أن قيد الدخول خرج مخرج الغالب لا مخرج الشرط، كما في الحجر المفهوم إذا خرج مخرج الغالب، فلا تقييد فيه عند الجمهور خلافاً لإمام الحرمين والشيخ عز الدين بن عبد السلام والعراقي حيث قالوا: إنه ينبغي أن يكون حجة بلا خلاف إذا لم تغلب لأن الصفة إذا كانت غالبية دلت العادة عليها، فاستغنى المتكلم بالعادة عن ذكرها، فلما ذكرها مع استغنائه عنها، دل ذلك على أنه لم يُرد الإخبار بوقوعها للحقيقة، بل ليرتب عليها نفي الحكم من المسكوت، أما إذا لم تكن غالبية أمكن أن يقال: إنما ذكرها ليعرف السامع أن هذه الصفة تعرض لهذه الحقيقة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣] وجوزوا أن الرهن لا يختص بالسفر لكن ذكر لأن فقد الكاتب يكون فيه غالباً، فلما كان السفر مظنة إعواز الكاتب والشاهد الموثوق بهما أمر على سبيل الإرشاد بحفظ مال المسافرين، بأخذ الوثيقة الأخرى وهي الرهن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ كُنْتُمْ فِي السَّفَرِ أَمْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ عَلَى كَفٍّ أَوْ فِي سَفَرِكُمْ إِذَا خَلْتُمْ مِنْهَا حُدُودَ الْمَدِينِ﴾ [النساء: ١٠١] والقصر جائز مع أمن السفر؛ لأن ذلك خرج مخرج الغالب لا الشرط، وغالب أسفار رسول الله ﷺ وأصحابه لم تخل من خوف العدو، ومنهم من جعل الخوف هنا شرطاً إن حمل القصر على ترك الركوع والسجود والنزول عن الدابة والاستقبال ونحوه، لا في عدد الركعات لكن ذلك شدة خوف لا خوف وسبب النزول لا يساعده.

وكقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣].

القسم الثامن عشر القسّم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر حتى إنهم جعلوا قوله تعالى: ﴿وَأَللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] قسماً وإن كان فيه إخبار إلا أنه لما جاء توكيداً للخبر سمي قسماً.

ولا يكون إلا باسم معظم كقوله: ﴿فَوَرَبِّ الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣] وقوله: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

وقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَشَيْءٌ﴾ [التغابن: ٧]. وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨].

وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾^(١) [الجمعيين: ٩٢].

(١) في المطبوع: للسألتهم.

وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه، والباقي كله [أقسم] ^(١) بمخلوقاته كقوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١].

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ﴾ [٥٥] وَإِنَّكُمْ لَقَسَرْتُمْ لِقَوْلِ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِاللَّفْطَنِ﴾ [٥٥] لِلْجَارِ الْكَثِيرِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦].

وإنما يحسن في مقام الإنكار.

فإن قيل: ما معنى القسم منه سبحانه؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار [من غير قسم] ^(٢)، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد.

فالجواب: قال الاستاذ أبو القاسم القشيري: إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل باثنتين: إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة.

وقوله: ﴿لَمَعْرُكٍ إِلَيْهِمْ لَيْ سَكْرَتِهِمْ يَمَّهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا نُرْعَدُونَ﴾ [٧٢] فَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقَّ﴾ [الدَّارِيَاتِ: ٢٢-٢٣] صاح وقال: من الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى اليمين؟! قالها ثلاثاً ثم مات.

فإن قيل: كيف أقسم بمخلوقاته، وقد ورد النهي علينا ألا نقسم بمخلوق؟
قيل: فيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه حذف مضاف أي «رب الفجر» «رب التين» وكذلك الباقي.

والثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء، وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

والثالث: أن الأقسام إنما تجب بأن يقسم الرجل بما يعظمه أو بمن يجله، وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل على باري وصانع، واستحسنه ابن خالويه.

وقسمه بالنبي ﷺ في قوله: ﴿لَمَعْرُكٍ﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه. قال لأستاذ أبو القاسم القشيري في «كنز اليواقيت»: والقسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في م: قسم.

لفضيلة أو لمنفعة: فالفضيلة، كقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢٣﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢٤﴾﴾ [التين: ٢-٣] والمنفعة نحو ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التين: ١].
وأقسام سبحانه بثلاثة أشياء:

إحداها: بذاته كقوله تعالى: ﴿فَرَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣] ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَعَلَتْهُمْ أَجْمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢].

والثاني: بفعله نحو: ﴿وَالسَّمَاوَاتِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٢٣﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَهَا ﴿٢٤﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٢٥﴾﴾ [الشمس: ٥-٧].
والثالث: مفعوله نحو: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١٠﴾ وَالطُّورِ ﴿١١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿١٢﴾﴾ [الطور: ١-٢].

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر، ومضمَر:

فالمظهر كقوله تعالى: ﴿فَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣] ونحوه.

والمضمَر على قسمين: قسم دلت عليه لام القسم كقوله: ﴿أَسْبَلُوكَ فِي آسَافِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴿١٨٦﴾﴾ [العمران: ١٨٦] وقسم دل عليه المعنى كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ لَكُمْ لِأَرْضِهَا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] تقديره: «والله».

وقد أقسم تعالى بطوائف [من] ^(١) الملائكة في أول سورة الصفات، والمرسلات والنازعات.

فوائد

الأولى: أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن لا تكون إلا بالواو فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢] ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلاً، وعليه حمل بعضهم قوله: ﴿يَبْتَئِنُّ لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٣] الباء باء القسم وليست متعلقة بـ«تشرِك» وكأنه يقول: ﴿يَبْتَئِنُّ لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿بِاللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ لا تشرِك، وحذف «لا تشرِك» لدلالة الكلام عليه، وكذلك قوله: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤] قيل: إن قوله [ق/١٦٨]: «بما عهد» قسم، والأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم.

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِحَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قَلْتُمْ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦] المتخفف على ﴿لي﴾ وتبتدئ ﴿بحق﴾ فتجمله قسمًا.

هذا مع قول النحويين: إن الواو فرع الباء، لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال ويقال الأصل.

الثانية: قد علمت أن القسم إنما جيء به لتوكيد المقسم عليه، فتارة يزيدون فيه للمبالغة في التوكيد، وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالمحذوف.

فما زادوه: لفظ: «إي» بمعنى «نعم» كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣].
ومما يحذفونه فعل القسم، وحرف الجر ويكون الجواب مذكورًا كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: «والله».

وقوله: ﴿لَأَقْطِعَنَّ أَيِّدِيكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٤] ﴿لَتَسْفَهَنَّا بِالْأَنفُسِ﴾ [الملق: ١٥] ﴿لَيْسَجَنَّ وَإِكُونَا مِن الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسم للعلم به، كقوله تعالى: ﴿صَوَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].
على أحد الأقوال: أن الجواب حذف لطول الكلام وتقديره: «لأعذبهم على كفرهم».
وقيل: الجواب: إن ذلك لحق.

ومما حذف فيه المقسم به، قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] أي: نحلف إنك لرسول الله. لأن الشهادة بمعنى اليمين، بدليل قوله: ﴿أَيْمَنَتَهُمْ جُنَّةٌ﴾.
وأما قوله تعالى: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] فالأول قسم بمنزلة «والحق» وجوابه: «لأملأن» وقوله: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ توكيد للقسم.

وأما قوله: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] ثم قال: ﴿قَتِيلَ أَحْسَبُ الْأَحْذُودِ﴾ [البروج: ٤] قالوا: وهو جواب القسم، وأصله: «لقد قتل» ثم حذف اللام وقد.

الثالثة: قال الفارسي في الحجة^(١): الإلفاظ الجارية مجرى القسم ضربان:

أحدهما: ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿فَيَحْلِفُونَ لَكُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسمًا، وأن يكون حالًا لخلوه من الجواب.

والثاني: ما يتعلق بجواب القسم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

(١) الحجة (٢/١٢١-١٢٦) بتصرف واختصار.

الرابعة: القسم والشرط يدخل كل منهما على الآخر، فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم، وأغنى عن جواب الشرط وإن عكس فبالعكس، وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له.

ومن تقدم القسم قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْحَمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] تقديره: «والله لئن لم تنته» فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم، ولكنها زائدة وتسمى الموطئة للقسم، ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر، أي: الشرط لا يصلح أن يكون جواباً، لأن الجواب لا يكون إلا خبراً. وليس دخولها على الشرط بواجب، بدليل حذفها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

والذي يدل على الجواب للقسم لا للشرط، دخول اللام فيه وأنه ليس بمجزوم بدليل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِثَلِيقِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ﴾ [الإسراء: ٨٨] ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مَتَّمْ أَوْ قَتَلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [ال عمران: ١٥٨] فاللام في «ولئن» هي الموطئة للقسم واللام في «لإلى الله» هي لام القسم، ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور، والأصل: «لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله»، فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه.

القسم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة

كقول العرب: لا أكلمك حتى يبيض القار و[حتى] ^(١) يشيب الغراب. وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَنْجَابٍ﴾ [الأعراف: ٤٠] يعني: والجمل لا يلج في السم فهو لا يدخلون. فهو في المعنى متعلق بالحال، فالمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً وليس للغاية هنا مفهوم، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء بيينة لأنه جعل ولوج الجمل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة، وتلك غاية لا توجد فلا يزال دخولهم الجنة منتفياً.

وغالى بعض الشعراء في وصف جسمه بالنحول، فجاء بما يزيد على الآية فقال:

ولو أن ما بي من جوى وصبابة على جمل لم يبق في النار خالد
وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار المبالغة، وإلا فمعارضات القرآن لا تجوز كما سبق التنبيه عليه.

(١) سقط من م.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢].
فإن المعنى: إن كان ما سلف في الزمن السالف يمكن رجوعه فحله ثابت، لكن لا يمكن
رجوعه أبداً ولا يثبت حله أبداً وهو أبلغ في النهي المجرد.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف: ٨١] أي: ولكن ليس له
ولد فلا أعبد سواه.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مریم: ٦٢] أي: إن كان تسليم بعضهم على
بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغواً فلا يسمعون لغواً إلا ذلك فهو من باب قوله:
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب^(١)
ومنه قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] فإن الناس
استشكلوا وجه الاستثناء مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً، ومقتضى استثنائها من النفي
أنهم يذوقونها في الجنة وليس كذلك.

ووجه الزمخشري^(٢) بأنه من التوكيد في الدلالة، [أي]^(٣) والموتة الأولى لا يذوقونها
أصلاً إذ يستحيل عود ما وقع، فلا يذوقون فيها الموت أصلاً أي: إن كانوا يذوقون فلا يكون
ذلك إلا الموتة الأولى، وإن كان إيقاع الموتة الأولى في الجنة مستحيلاً فعرض بالاستثناء إلى
استحالة الموت فيها.

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً، فإن كان منقطعاً فالمعنى: «لكن الموتة الأولى قد ذاقوها».
ويحتمل على الاتصال أن يكون المعنى فيها أي: في مقدماتها لأن الذي يرى مقامه في الجنة
عند موته ينزل منزلة من هو فيها بتأويل الذوق على معنى المستحيل، فهذه ثلاثة أوجه.

القسم الموفي العشرين الاستثناء والاستدراك

ووجه التأكيد فيه أنه ثنى ذكره مرتين، مرة في الجملة ومرة في التفصيل فإذا قلت: قام القوم إلا
زيداً فكأنه كان في جملة ثم خرج منهم، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إِلَّا
إِبْلِيسَ [العنكب: ٣٠-٣١] فإن فيه معنى زائداً على الاستثناء، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس من
كونه حرق إجماع الملائكة، وفارق جميع الملائحة الأعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم، وهو
بمنزلة قولك: أمر الملك بكذا فإطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير إلا فلاناً، فإن الإخبار عن معصية
الملك بهذا الصيغة أبلغ من قولك أمر الملك فعصاه فلان.

(٢) الكشاف (٤/٢٨٣).

(١) البيت للناطقة.

(٣) سقط من المطبوع.

وفي ضمن [ق/ ١٦٩] ذلك وصف الله سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خزي الدنيا، وختم عليه من عذاب الآخرة .

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [المنكوت: ١٤] فإن في الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تهويلاً على السامع ليشهد عذر نوح عليه السلام في الدعاء على قومه، وحكمة الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم للمدة؛ ليكون أول ما يباشر السامع ذكر الألف واختصار اللفظ فإن لفظ القرآن أخصر من «تسعمائة وخمسين عاماً» ولأن لفظ القرآن يفيد حصر العدد المذكور ولا يحتمل الزيادة عليه ولا النقص .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٧﴾ خَلِدُوا فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧] فإنه سبحانه لما علم أن وصف الشقاء يعم المؤمن العاصي والكافر، استثنى من حكم بخلوده في النار بلفظ مُطْمَع، حيث أثبت الاستثناء المطلق وأكده بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] أي: أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار، ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة، أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء حيث قال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير منقطع ليعلم أن عطاءه لهم الجنة غير منقطع وهذه المعاني زائدة على الاستثناء اللغوي .

وقيل: وجه الاستثناء فيه، الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية ويؤيده قول بعض^(١) الصحابة:

وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً

وصوبه النبي ﷺ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهير أو إلى نوع آخر من العذاب، بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر في النار، وجعل الاستثناء الثاني دالاً على نجات أهل الكبائر من العذاب، فكانه تصور أن الاستثناء الثاني لما لم يحمل على انقطاع النعيم؛ لقوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ [هود: ١٠٨] فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم؛ لتناسب أطراف الكلام .

وقال: معنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] عقب الاستثناء الأول في مقابلة قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ [هود: ١٠٨] عقب الثاني أن الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطي لأهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له .

(١) الهو النابغة الجعدي .

(١)

قيل: وما أصدق في سياق الزمخشري في هذا الموضع قول القائل:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وذلك لأن ظاهر الاستثناء هو الإخراج عن حكم ما قبله، ولا موجب للعدول عن الظاهر في الاستثناء الأول، فحمل على النجاة ولما كان إنجاء المستحق العذاب محل تعجب وإنكار عقبه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] أي من العذاب والإنجاء منه بفضله، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وأما الاستثناء الثاني فلما لم يكن على ظاهره كان إخراج أهل الجنة المستحقين [للثواب] ، [ورفع النقم عنهم] لا يناسب إنجاء أهل النار المستحقين للعذاب، فلذا عقب بقوله: ﴿عَطَاةٌ عَيْرٌ مَّجْدُوزٌ﴾ [هود: ١٠٨] بيانا للمقصود.

ورعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب الذي توهم الزمخشري، فإن حاصله يرجع إلى أن الاستثناء الثاني لما لم يكن على ما هو الظاهر في باب الاستثناء، ينبغي ألا يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر، ولا يخفى على المنصف أنه تعسف.

وأما قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦] فالمعنى لا طعام لهم أصلاً لأن الضريح ليس [بطعام] البهائم، فضلاً عن الإنس وذلك كقولك: ليس لفلان ظل إلا الشمس. تريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد، والضريح نبت ذو شوك يسمى الشبرق في حال خضرته وطراوته، فإذا يبس سمي الضريح والإبل ترعاه طرباً لا يابساً.

وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم، بأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيماً﴾ [١٥] إِلَّا قِيلاً سَلْنَا سَلَكًا [الواقعة: ٢٥-٢٦] التأكيد فيه من وجهين: على الاتصال في الاستثناء، والانقطاع.

(١) الكشاف (٢/٤٣١).

(٢) وردت هذه المقولة على لسان جماعة من الشعراء: فقال أبو نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
وقال ابن معصوم:

وإن توقف جهلاً بالجواب فقل
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
وقال حفي ناصف:

فقل لمن يدعي إدراك جملتها
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
[في م: للمثوبة].

(٥) في المطبوع: يطعام.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» (٢/٢٩٦) و«مفردات القرآن» (ص/٥٠٦).

[القسم] (١) الحادي والعشرون والمبالغة

وهي أن يكون للشيء صفة ثابتة فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه، فيدعى له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقله ثبوته.

ومن أحسنها قوله تعالى: ﴿أَزْ كَظُلْمَتِكَ فِي بَحْرِ لُجِّي يَعْتَشُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠] وهي ظلمة البحر وظلمة الموح فوقه، وظلمة السحاب فوق الموح.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَقْلُوبُ الْحَكَايِرِ﴾ [الأحزاب: ١٠] أي: كادت تبلغ لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه.

وقيل: هو حقيقة وإن الخوف والروع يوجب للمخائف أن تنتفخ رثته، ولا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة. ذكره الفراء وغيره.

أو أنها لما اتصل وجيها واضطرابها بلغت الحناجر.

ورد ابن الأنباري تقدير «كادت» فإن «كاد» لا تضم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [البراهيم: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ [أن دعوا للرحمن وكذا] [مريم: ٩٠-٩١].

ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِسَكْرِ كَالْقَمَرِ﴾ [كأنه يملك صُورًا] [المرسلات: ٣٢-٣٣].

وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر، للمبالغة وهو مجاز كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفرج: ٢٢] فجعل مجيء جلائل آياته مجيئًا له سبحانه على المبالغة، وكقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا﴾ [النور: ٣٩] فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانًا للمجازي.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِيهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣] فإن اقتران هذه بـ«يكاد» صرفها إلى الحقيقة فانقلب من الامتناع إلى الإمكان.

وقد نجمي المبالغة مدحجة كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكَ مَن أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِآيَاتِنَا وَسَارِبٌ بِأَتَارِقِ﴾ [الرعد: ١٠] فإن المبالغة في هذه الآية مدحجة في المقابلة، وهي

(١) سقط من م.

بالنسبة إلى المخاطب لا إلى المخاطب، معناه: أن علم ذلك متعذر عندكم وإلا فهو بالنسبة إليه سبحانه ليس بمبالغة.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ رَيْبٍ﴾ [الحج: ١٠٩] الآية فقيل: سببها أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا له: كيف عنفنا بهذا القول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْمَلِئِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ونحن قد أوتينا التوراة، وفيها كلام الله وأحكامه، ونور وهدى؟! فقال لهم النبي ﷺ: «التوراة قليل من كثير»^(١) ونزلت هذه الآية، وقيل: إنما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [القلم: ٢٧].

قال المفسرون: والغرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته، وهي في نفسها غير [ق/ ١٧٠] متناهية وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى؛ لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة. وقال بعض المحققين: إن ما تضمنت الآية أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفذ ولم تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور، وكما قال الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من ماء البحر حين [غمس] (٢) منقاره فيها (٣).

وعدّ بعضهم من هذا القبيل ما جاء من المبالغة في القرآن من الإغضاء عن العيوب والصفح عن الذنوب، والتغافل عن الزلات والستر على أهل المروءات، كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأمراء: ١٩٩]. وقيل في تفسيره: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [المؤمنون: ٩٦] الآية.

تفصيله

تحصل مما سبق أن قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز، إما بالحذف، وإما بجعل الشيء [نفس] (٤) الشيء أو يتكرر لفظ يتم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف كقوله تعالى: ﴿الْمَائِقَةُ ﴿١﴾ مَا الْمَائِقَةُ﴾ [الحاقة: ٢-١].

وقد نص سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لافتراقها في أحكام.

(١) قال الحافظ: «أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح» الفتح (١٣/ ٤٤٥).

(٢) في م: غمز.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٠) ومسلم (٢٣٨٠).

(٤) في المطبوع: نفسي.

فائدة في اختلاف الأقوال في تقدير المبالغة في الكلام

اختلف في المبالغة على أقوال:

[أحدها] (١) : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة .

والثاني : أنها الغاية في الحسن، وأعذب الكلام ما بولغ فيه، وقد قال النابغة:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرون من نجدة دما

والثالث : وهو الأصح أنها من محاسن الكلام ولا ينحصر الحسن فيها، فإن فضيلة الصدق

لا تنكر ولو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالى ولها طريقان :

أحدهما : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة كما في الكناية، والتشبيه والاستعارة

وغيرها من أنواع المجاز .

والثاني : أن يُشَفَّعَ ما يُفْهَمُ المعنى بالمعنى على وجه يتقضى زيادة فتترادف الصفات بقصد

التهويل كما في قوله تعالى : ﴿ فِي بَحْرِ لَيْلِي يَنْشَنُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مَّطْمَئِتٌ بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: ٤٠] .

القسم الثاني والعشرون الاعتراض (٢)

وأسماء قدامة : «التفتاتا» (٣) ، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم

الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لئلا يكتفى .

وقيل : هو إرادة وصف شيئين : الأول منهما قصداً والثاني بطريق الانجرار، وله

[تعلق] (٤) بالأول بضرب من التأكيد .

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد، وقال الشيخ عز الدين في

[أماله] (٥) : الجملة المعترضة تارة تكون مؤكدة، وتارة تكون مشددة لأنها إما ألا تدل على

معنى زائد على ما دل عليه الكلام، بل دلت عليه فقط فهي مؤكدة وإما أن تدل عليه وعلى

معنى زائد فهي مشددة . انتهى .

(١) سقط من م .

(٢) انظر : «بديع ابن المعتز» (ص/ ١٦٠) و«العمدة» (٢/ ٤٤) و«المفتاح» (ص/ ٢٢٧) و«المثل السائر» (٤/ ٢) .

(٣) قال قدامة : «هو أن يكون التكلم آخذاً في معنى فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن راداً يرده عليه، أو سائلاً

يسأله عن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإذا أن يجلي الشك فيه أو يؤكد، أو يذكر سببه تحرير

التحجير (ص/ ١٢٣) ونقد الشعر (ص/ ٥٣) .

(٤) سقط من م .

(٥) في المطبوع: تعليق .

وذكر النحاة مما تتميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية، كونها طلبية كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فإنه معترض بين: ﴿فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ وبين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وله أسباب:

منها: تقرير الكلام، كقولك: فلان أحسن بفلان - ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا - وكان صواباً.

ومنه قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفِيسَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٧٣] ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض والمراد: تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة.

وقوله: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢].

﴿وَجَعَلُوا آعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] واعتراض بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بين كلامها.

وقوله: ﴿وَأَتُوا بِهَا مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

ومنها: قصد التنزيه، كقوله تعالى: ﴿وَجَمْعُلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ اللَّهِ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] فاعتراض ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ لغرض التنزيه والتعظيم، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله.

ومنها: قصد التبرك وكقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَأْمِنِينَ﴾ [الفتح

[٢٧]:

ومنها قصد التأكيد، كقوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَلَمَّونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

وفيها اعتراضان: فإنه اعترض بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ﴾ بين القسم وجوابه واعتراض بقوله: ﴿لَوْ تَلَمَّونَ﴾ بين الصفة والموصوف، والمراد: تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله في النفوس لا سيما بقوله: ﴿لَوْ تَلَمَّونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١] ف«أولئك» الخبر و«إننا لا نضيع» اعتراض.

ومنها: كون الثاني بياناً للأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة

[٢٢٢]: فإنه اعتراض وقع بين قوله «فأتوهن» وبين قوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وهما

متصلان معنى؛ لأن الثاني بيان للأول كأنه قيل: فأتوهن من حيث يحصل منه الحرث، وفيه اعتراض بأكثر من جملة.

ومنها: تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فاعترض بقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] بين «ووصينا» وبين الموصي به وفائدة ذلك: إذكارة الولد بما كابדתه أمه من المشقة في حمله وفصاله فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم، لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأم ثلاثاً وبالآب مرة (١).

ومنها: زيادة الرد على الخصم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَسَا فَأَذَرْنَا نَسْمًا فَادْرَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] الآية فقوله: ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وفائدته أن يقرر في [أنفس المخاطبين] (٢) أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس، لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه لأن الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَسَا فَأَذَرْنَا نَسْمًا فَادْرَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣].

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا مِائَةً مَكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١] فاعترض بين [إذا] (٣) وجوابها، بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ﴾ [النحل: ١٠١] فكانه أراد أن يجيهم عن دعواهم، فجعل الجواب اعتراضاً.

قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٥-٤٩].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَافَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: ٨] اعتراض في أثناء الكلام وهو قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: ٤٥] الآية وذلك لأن قوله: ﴿إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ [الزمر: ٤٩] سبب عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: ٤٥] على معنى أنهم يشتمزون من توحيد الله تعالى، ويستبشرون بالشرك الذي هو ذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضرر أو أصابته شدة تناقض في دعواه، فدعا من اشماز من ذكره وانقبض من توحيد، ولجا إليه دون الآلهة فهو اعتراض بين السبب والمسبب، فقيد القول بما فيه من دعاء النبي ﷺ بأمره بذلك، ويقول: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ [الزمر: ٤٦] [ق/ ١٧١] ثم عقبه من الوعيد العظيم أشد التأكيد وأعظمه، وأبلغه ولذلك كان اتصال قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ [الزمر: ٨] للسبب الواقع فيها، وخلو الأول منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة ومناسبة أوجبت العطف بالواو الموضوع لمطلق الجمع كقولهم: قام زيد

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٦) ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) في م: النفس.

(٣) في المطبوع: إذ.

وعمره وتسبب السبب مع ما في ظاهر الآية من اشتمزازهم، ليس يقتضى التجاءهم إلى الله تعالى وإنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية يقتضى إثبات التناقض، وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى فإذا مسه الضر لجأ إليه، فهذا سبب ظاهر مبني على اطراد الأمر وتقول: زيد كافر بالله فإذا مسه ضر لجأ إليه فتجيء بالفاء هنا كالأول، لغرض التزام التناقض أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان في فصل سبب الالتجاء، فأنت تلزمه العكس بأنك إنما تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله.

وقوله: ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَانِفِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١] بقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١] لَمْ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣] اعتراض واقع في أثناء كلام متصل، وهو قوله: ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَانِفِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣] وهو [على] (١) مهيع أسلوب القرآن من ذكر الضد عقب الضد كما قيل:

وبضدها تبين الأشياء (٢)

ومنها: الإدلاء بالحجة كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣] بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤] فاعتراض بقوله: ﴿فَتَشَلُّوا﴾ بين قوله: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾.

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي علي الفارسي قوله: إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة. ورد بأن جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين، ونفسه عند آخرين فهو مع جملة الشرط كالجمله الواحدة نعم جوزوا في قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أن يكون حالاً من قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلات إن كان ﴿ذَوَاتًا أَفَانًا﴾ خبر مبتدأ محذوف وإلا فيكون بست جمل.

وقال الزمخشري (٣) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَدَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧]

(١) منقط من م.

(٢) وردت هذه الكلمة على السنة جماعة من الشعراء:

فقال أمية الداني:

يا هاجراً سموه عمداً وأصلاً
وقال ابن قلاص:

بنيتهم نقصاً وبنيت زيادة
(٣) الكشف (٢/١٣٣).

الآية: إن في هذه الآية الكريمة سبع جمل معترضة جملة الشرط و«اتقوا» و«فتحننا» و«كذبوا» و«أخذناهم» و«بما كانوا يكسبون» وزعم أن «أَقَانِينَ» معطوف على «فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً» وكذا نقله ابن مالك عن الزمخشري، وتبعه أبو حيان ولم يوجد ذلك في كلام الزمخشري.

قال ابن مالك^(١): ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان قال: وإنما اعترض بأربع جمل وزعم أن من عند «وَلَوْ أَنَّ» إلى «وَالْأَرْضِ» جملة لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه. [انتهى].

وفي القولين نظر: أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمانى جمل أحدها «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» [الأعراف: ٩٥] وأربعة في حيز «لو» وهي «آمَنُوا» و«اتقوا» و«فتحننا» والمركبة مع أن وصلتها مع «ثبت» مقدراً على الخلاف في أنها فعلية، أو اسمية والسادسة «وَلَكِنْ كَذَّبُوا» والسابعة «فَأَخَذْتَهُمْ» والثامنة «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٩٦].

[وأما قول المعترض فلأنه كان من حقه أن يعدها ثلاث جمل أحدها: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» [الأعراف: ٩٥] لأنها حال مرتبطة بعاملها، وليست مستقلة برأسها، والثانية: «لو» وما في حيزها جملة واحدة فعلية إن قدر: «ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا»، أو اسمية وفعلية إن قدر إيمانهم واتقوا ثابتان والثالثة: «وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٩٦] كله جملة].

وينبغي على قواعد البيانين أن يعدوا الكل جملة واحدة؛ لارتباط بعضها ببعض وعلى رأي النحاة ينبغي أن يكون «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا» [الأعراف: ٩٦] جملة واحدة [لأن جملة «واتقوا» انعطفت على خبر إن، و«لفتحننا» جملة ثانية وما بعدها] لارتباط الشرط بالجزء لفظاً «وَلَكِنْ كَذَّبُوا» ثانية أو ثالثة «فَأَخَذْتَهُمْ» ثالثة أو رابعة «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٩٦] متعلق بـ«أخذناهم» فلا يعد اعتراضاً.

وقوله: «وَعِصَ الْمَاءِ وَفُيَ الْأَمْرِ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ» [هود: ٤٤] فهذه ثلاث جمل معترضة بين «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكِ» [هود: ٤٤] وبين «وَقِيلَ بَعْدًا».

وفيه اعتراض في اعتراض فإن «وَفُيَ الْأَمْرِ» معترض بين «وَعِصَ الْمَاءِ» وبين «وَأَسْتَوَتْ». ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض كقوله: «وَلَنْتَهُ لَقَسْرًا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا» [الروامة: ٧٦].

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

(١) مغنى اللبيب (ص/٤٩١).

(٣) سقط من م.

ومنه قوله تعالى في سورة العنكبوت ذاكراً عن إبراهيم قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقَرِبُوا إِلَيْهِ﴾ [العنكبوت: ١٦] ثم اعترض تسليية لقلب النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨] وذكر آيات إلى أن قال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْلِهِ﴾ [العنكبوت: ٢٤] يعني قوم إبراهيم فرجع إلى الأول.

وجعل الزمخشري ^(١) قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ﴾ وفي آخر الصفات معطوفاً على ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ﴾ في أول السورة وقال في قول بعضهم في ﴿نَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾: إنه حال من فاعل «قم» في أول هذه السورة، هذا من بدع التفاسير وهذا الذي ذكره في الصفات منه.

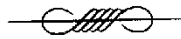
ومن العجب دعوى بعضهم كسر همزة «إن» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤] على جواب القسم في قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الَّذِي أَلْذَكَّرَ﴾ [ص: ١] حكاه الرماني . فإن قيل: أين خبر «إن» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [نصفت: ٤١] قيل: الخبر ﴿أُولَئِكَ يَتَدَوَّنُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [نصفت: ٤٤].

[فائدة] (٢)

قال ابن عمرون: لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه، وقد أجازاه قوم في «ثم» و«أو» فنقول: «زيد قائم ثم والله عمرو».

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَلِلَّهِ أُولُو الْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١٣٥] اعتراض بين الشرط وجوابه مع أن فيه فاء والجملة مسندة لـ «يكن» [٣].

قال الطيبي: سئل الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدثر: ٥٥] أهو اعتراض؟ قال: لا؛ لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها، وأما بالفاء فلا، وفهم صاحب «فرائد القلائد» من هذا اشتراط الواو، فقال: وقد ذكر الزمخشري: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [إبريم: ٤١] هذه الجملة [وقعت] ^(٤) اعتراض بين البدل وبين المبدل منه، أعني «إبراهيم» و«إذ» قال: هذا معترض لأنه اعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع، وعن الاستعمال. وليس كما قال، فقد يأتي بالواو كما سبق في الأمثلة وبدونها كقوله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] وقد اجتمعا في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِدُ بَمَوْقِعِ الشُّجُورِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].



(٢) في المطبوع: فوائد.

(١) الكشاف (٣/٤٥٠).

(٤) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: ليكن.

القسم [الثالث] (١) والعشرون الاحتراس (٢)

وهو أن يكون الكلام محتماً لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال كقوله تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص: ٣٢] فاحتراس سبحانه بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص . . .

وقوله تعالى: ﴿أَذَلُّوْا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة، لثوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل: ﴿أَعْرَضُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] علم أنها منهم تواضع، ولهذا عدي «الذل» بعلى لتضمنه معنى العطف .
وكذلك قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلٌ اَللّٰهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ اَشٰهَدُ اَنَّ اَلْكَافِرِيْنَ رَحْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] [ق/١٧٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ سَلِيْمُنٌ وَحُوْدُوْدُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [النمل: ١٨] فقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [النمل: ١٨] احتراس بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالأشياء يشعروا بها .

وقد قيل: إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها، ولذلك أكد التبسم بالضحك؛ لأنهم يقولون تبسم كتبسم الغضبان؛ لينبه على أن تبسمه تبسم سرور .
ومثله: قوله تعالى: ﴿فَتَضِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَّعْرَةٌ يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] التفات إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم .

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بَدَأَ اَلْقَوْمِ اَلظَّالِمِيْنَ﴾ [هود: ٤٤] فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان عقبهم بالدعاء عليهم، ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب احتراس من ضعف يوهم أن الهلاك بعمومه ربما شمل من لا يستحق العذاب، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم استحقاتهم لما نزل بهم وحل بساحتهم مع قوله أولاً: ﴿وَلَا تَخْطُبْنِيْ فِي اَلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اِنَّهُمْ مُّسْرِقُوْنَ﴾ [هود: ٣٧] .

وأعجب احتراس [وقع في القرآن] (٣): قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ اَلْقُرْبَىٰ اِذْ قَضَيْتَنَا اِلَىٰ مُوسَىٰ اَلْاَمْرَ . . .﴾ [القصص: ٤٤] الآية .

(١) في المطبوع: الثاني .

(٢) وهو: «أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك» .

«تحرير التحرير» (ص/٢٤٥) .

(٣) سقط من م .

وقال حكاية عن موسى: ﴿وَنَدَّيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عَرَفَ المكان بالغربي ولم يقل: في هذا الموضع الأيمن كما قال: ﴿وَنَدَّيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] أدباً مع النبي ﷺ أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمن أو مشاركاً لمادته ولما أخبر عن موسى عليه السلام، ذكر الجانب الأيمن تشريعاً لموسى فراعى في المقامين حسن الأدب معهما تعليماً للأمة، وهو [أصل] (١) عظيم في الأدب في الخطاب.

وقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١٠] فإنه لو اختصر لترك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ لأن سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة، لكن حسن ذكره رفع توهم أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر.

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يذكر الجب مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين:

أحدهما: لثلاثي يستحيي إخوته، والكريم يبغي ولا سيما في وقت الصفاء.

والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم بخلاف الجب.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المانعة: ١١٠] وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه لأنه كان في العادة أن من يتكلم في المهدي أنه لا يعيش، ولا يتمادى به العمر فجعل الاحتراس بقوله ﴿وَكَهْلًا﴾.

ومنه قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] والسقف لا يكون إلا من فوق؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم، وسقفاً لآخرين فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين وهما قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ولفظة ﴿فَخَرَّ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى [السفل] (٢).

وقيل: إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته، والعرب تقول: خر علينا سقف ووقع علينا حائط فجاء بقوله ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم فقال: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي عليهم وقع، وكانوا تحته فهلكوا وما أفلتوا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا حَرْثَكُمْ أَنْيُّ شَيْئُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] لأنه لما كان يحتمل معنى: كيف وأين، احتسب بقوله: ﴿حَرْثَكُمْ﴾ لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور، وينبت الزرع، وهو المحل المخصوص.

(٢) في المطبوع: سفلى.

(١) سقط من م.

وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَيْوَمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩] وذلك لأن الاشتراك في المصيبة يخفف منها، ويسلي عنها فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك.

فائدة

عاب قدامة على ذي الرمة قوله:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر
فإنه لم يجترس، وهلاً قال كما قال طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها

وأجيب: بأنه قدم الدعاء بالسلامة للدار.

وقيل: لم يرد بقوله: «ولا زال منهالاً» اتصال الدوام بالسقيا من غير إقلاع، وإنما ذلك بمنزلة من يقول: ما زال فلان يزورني. إذا كان متعاهداً له بالزيارة.

القسم الرابع والعشرون التذييل (١)

مصدر «ذيل» للمبالغة، وهي لغة: جعل الشيء ذيلاً للآخر، واصطلاحاً: أن يوتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه.

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبا: ١٧] ثم قال عز من قائل: ﴿وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبا: ١٧] أي: هل يجازى ذلك الجزء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة.

وقوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٧﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَهُمْ كَانُوا كَالْحِجَارِ الَّتِي لَا يَنْفَعُهَا دَعْوَةُكُمْ وَإِنْ يَسْمَعُوا لَا يَنْفَعُهُمْ دَعْوَةُكُمْ وَأَلْفَبَقْتُمْ بِالْحَقِّ أَوْ كَانُوا كَالْحِجَارِ الَّتِي لَا يَنْفَعُهَا دَعْوَةُكُمْ وَإِنْ يَسْمَعُوا لَا يَنْفَعُهُمْ دَعْوَةُكُمْ وَأَلْفَبَقْتُمْ بِالْحَقِّ أَوْ كَانُوا كَالْحِجَارِ الَّتِي لَا يَنْفَعُهَا دَعْوَةُكُمْ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكَ مِنْهُ خَيْرٌ﴾ [فاطر: ١٤] تذييل لاشتماله على...

وقوله: ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

(١) وهو: أن يزيل الناظم أو الناثر كلاماً بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق. «خزانة الأدب» (١/ ٢٤٢).

وقوله: ﴿فَأَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأمراء: ١٣٣].

وجعل القاضي أبو بكر في كتابه «الإعجاز»^(١) منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَمًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَّخِيَهُمْ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وقوله: ﴿فَالنَّقْطَةُءُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ [القصص: ٨].

ويحتمل أن يكون من التعليل.

وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الزخرف: ٢٣] تذييل، أي: فذلك شأن الأمم مع الرسل وقوله: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الزخرف: ٢٣] جعل التذييل هنا من التفسير.

القسم الخامس والعشرون التتميم^(٢)

وهو أن يتم الكلام فيلحق به [ما يكمله]^(٣) إما مبالغة أو احترازًا أو احتياطًا، وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحًا كقوله تعالى: ﴿وَيَطْمِئِنُّونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَيَسْكِنُ الْوَيْتَ وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] التتميم في قوله: ﴿عَلَىٰ حَيْثُ﴾ جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهاؤه.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا آتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حَيْثُ﴾ [البقرة: ١٧٧] ق/ [١٧٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤] نقوله: «وهو مؤمن» تميم في غاية الحسن.

القسم السادس والعشرون الزيادة

والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله، ويسمونه التأكيد ومنهم من يسميه بالصلة ومنهم من يسميه المقحم.

قال ابن جنى: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى، وبأبها الحروف والأفعال.

(١) (الاص/١٠٢).

(٢) (نظر: «تحرير التحرير» (ص/١٢٧) و«حسن الترسيل» (ص/٥٦) و«الطراز» (٣/١٠٤) «الصناعتين» (ص/٣٨٩) و«إعجاز القرآن» (ص/٩٥).

(٣) لمي م: الكلمة.

كقوله تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْرِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] قيل: «كان» هاهنا زائدة وإلا لم يكن فيه إعجاز، لأن الرجال كلهم كانوا في المهد وانتصب صبيًّا على الحال.

وقال ابن عصفور: هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام للتأكيد، وهي مؤكدة للماضي في ﴿قَالُوا﴾.

ومنه زيادة «أصبح» قال حازم^(١): إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه يكن أمسى فيه فليست زائدة وإلا فهي زائدة كقوله: أصبح العسل حلواً.

وأجاب الرماني عن قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ﴾ فإن العادة أن من به علة تزداد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح، فاستعمل «أصبح» لأن الخسران جعل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفرج فليست زائدة.

وهو معنى قول غيره: إنها تأتي للدوام، واستمرار الصفة كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا [مَكَانَهُ]﴾^(٢) ﴿بِالْأَمْسِ﴾ [القصص: ٨٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] فهو على الأصل لظهور الصفة نهاراً والمراد الدوام أيضاً أي: استقرت له الصفة نهاره.

واعلم أن الزيادة واللغو من [عبارة]^(٣) البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال سيبويه عقب قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ﴾: إن «ما» لغو لأنها لم تحدث شيئاً.

والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، فإن قوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] معناه: «ما لنت لهم إلا رحمة»، وهذا قد جمع نفياً وإثباتاً، ثم اختصر على هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي «ما».

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١] «فإنما» هاهنا حرف تحقيق، وتحقيق، «إن» هنا للتحقيق و«ما» للتحقيق، فاختصر، والأصل: «ما الله اثنان فصاعداً وأنه إله واحد».

(٢) سقط من المطبوع.

(١) ضمن الجزء المفقود.

(٣) في المطبوع: عبارة.

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن: فمنهم من أنكروه، قال الطرطوسي في «العُمدة»: زعم المبرد وثعلب [ألا] (١) صلة في القرآن والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيراً.

وقال ابن الخباز في التوجيه: وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة وما جاء منه حملة على التوكيد.

ومنهم من جوزوه وجعل وجوده كالعدم، وهو أفسد الطرق.

وقد رُدَّ على فخر الدين الرازي قوله: إن المحققين على أن المهمل لا يقع في كلام الله سبحانه، فأما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [ال عمران: ١٥٩] فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير: فبأي رحمة، فجعل الزائد مهملًا، وليس كذلك لأن الزائد ما أتى به لغرض التقوية والتوكيد، والمهمل ما لم تضعه العرب وهو ضد المستعمل، وليس المراد من الزيادة حيث ذكرها النحويون إهمال اللفظ ولا كونه لغوًا فتحتاج إلى التنكب عن التعبير بها إلى غيرها فإنهم إنما سموا «ما» زائدة هنا لجواز تعدى العامل قبلها إلى ما بعدها، لا لأنها ليس لها معنى.

وأما ما قاله في الآية: إنها للاستفهام التعجبي فقد انتقد عليه بأن قيل: تقديره: «فبأي رحمة» دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة وأسماء الاستفهام التعجبي لا يضاف منها غير «أي» وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلاً منها، والمبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام وليست الهمزة مذكورة، فدل على بطلان هذه الدعوى، وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة في إدخال «ما» ها هنا فانظره هناك.

تنبيهات

الأول: أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه منها: ما يتعلق به هنا وهو ما أقحم تأكيداً نحو: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [ال عمران: ١٥٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة.

وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى فقال:

(١) في م: أنه لا.

هذا يعرفه أهل الطباع، إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف قال: ومثال ذلك: مثال العارف بوزن الشعر طبعًا، فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال: أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها.

الثاني: حق الزيادة أن تكون في الحرف وفي الأفعال كما سبق، وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزداد ووقع في كلام كثير من المفسرين الحكم عليها في بعض المواضع بالزيادة، كقول الزمخشري (١) في قوله تعالى: ﴿يَخْتَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩]: إن اسم الجلالة مقحم ولا يتصور مخادعتهم لله تعالى.

الثالث: حقها أن تكون آخرًا وحشواً وأما وقوعها أولاً؛ فلما فيه من التناقض، إذ قضية الزيادة إمكان اطراحها وقضية التصدير الاهتمام، ومن ثمَّ ضعف قول بعضهم بزيادة «لا» في قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١] وأبعد منه قول آخر: إنها بمعنى «إلا» والظاهر أنها ردًا لكلام تقدم في إنكار البعث أي: ليس الأمر كما تقولون ثم قال بعده: ﴿أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١] وعليه فيجوز الوقف على «لا» وفيه بُعد.

فصل في حروف الزيادة

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي، كالباء في خبر «ليس» و«ما» أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ.

وحروف الزيادة سبعة: إن وأن ولا وما ومن والباء، واللام، بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة لا أنها لازمة للزيادة، ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها، فقد زادوا الكاف وغيرها بل [المراد] (٢) أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها.

[زيادة «إن»] (٣)

فأما إن الخفيفة فتطرد [زيادتها] (٤) مع ما النافية كقول امرئ القيس:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال

أي: فما حديث، فزاد «إن» للتوكيد قال الفراء: «إن» الخفيفة زائدة فجمعوا بينها وبين ما النافية تأكيداً للنفي، فهو بمنزلة تكرارها. فهو عند الفراء من التأكيد اللفظي، وعند

(١) الكشاف (١/٥٨).

(٢) سقط من م.

(٣) انظر: «الجنى الداني في حروف المعاني» (ص/٢٠٧-٢١٥).

(٤) سقط من م.

سبويه (١) من التأكيد المعنوي .

وقيل : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنْتُمْ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦] : إنها زائدة وقيل : نافية والأصل «في الذي ما مكناكم فيه» بدليل : ﴿ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦] وكأنه إنما عدل عن «ما» لثلاثا تتكرر فيثقل اللفظ .

ووهم ابن الحاجب حيث زعم أنها تزداد بعد «لما» الإيجابية، وإنما تلك في «أن» المفتوحة [ق/ ١٧٤] .

زيادة «أن»

وأما «أن» المفتوحة فتزداد بعد لما الظرفية، كقوله تعالى : ﴿ وَمَلَأْنَا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مَوْتًا ﴾ [المنكوت: ٣٣] وإنما حكموا بزيادتها، لأن «لما» ظرف زمان ومعناها وجود الشيء لوجود غيره، وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد، و«أن» المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد فلم تبق «لما» مضافة إلى الجمل فلذلك حكم بزيادتها .

وجعل الأخص من زيادتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢] ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَقْتَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقيل : [بل] (٢) هي مصدرية والأصل : «وما لنا في ألا نفعل كذا» فليست زائدة؛ لأنها عملت النصب في المضارع .

[زيادة «ما»] (٣)

وأما «ما» فتزداد بعد خمس كلمات من حروف الجر، فتزداد بعد «من» و«عن» غير كافة لهما عن العمل، وتزداد بعد الكاف ورب والباء كافة تارة وغير كافة أخرى .

و[أما] (٤) الكافة : إما أن تكف عن عمل النصب والرفع، وهي المتصلة بآن وأخواتها نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النسب: ١٧١] ﴿ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾ [الأنفال: ٦] وجعلوا منها ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى «الذي»، و«العلماء» خبر والعائد مستتر في «يخشى» وأطلقت «ما» على جماعة العقلاء، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] .

وإما أن تكف عن عمل الجر، كقوله تعالى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقيل : بل موصولة أي «كالذي هو لهم آلهة» .

(٢) سقط من م .
(٤) سقط من المطبوع .

(١) الكتاب (١/ ١٣٥) .
(٢) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٣٣٢) .

وغير الكافة تقع بعد الجازم نحو: ﴿وَأِنَّمَا يَزْعُمُكَ﴾ ﴿أَبًا مَا تَدْعُو﴾ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ [النساء: ٧٨].

وبعد الخافض حرفاً كان: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾. ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ أو اسماً نحو: ﴿أَيْنَمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾ [القصص: ٢٨].

وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت، نحو: [﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]]^(١) أو غير جازمة نحو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ [فصلت: ٢٠].

وبين المتبوع وتابعه نحو: ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦] قال الزجاج^(٢): ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين. [انتهى]^(٣). ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود، و«بعوضة» بدل وقيل: «ما» اسم نكرة صفة ل«مثلاً» أو بدل و«بعوضة» [عطف بيان]^(٤).

وقيل في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] بأنها زائدة لمجرد تقوية الكلام نحو: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٥٩] و«قليلًا» في معنى النفي أو لإفادة التقليل، كما في نحو: أكلت أكلاً ما. وعلى هذا فيكون «فقليلًا بعد قليل».

[زيادة «لا»]^(٥)

وأما «لا» فتزاد مع الواو بعد النفي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤] لأن «استوى» من الأفعال التي تطلب اسمين أي: لا تليق بفاعل واحد نحو: اختصم، فعلم أن «لا» زائدة، وقيل: دخلت في السيئة لتحقيق أنه لا تساوي الحسنة السيئة ولا السيئة الحسنة.

وتزاد بعد «أن» المصدرية كقوله: ﴿إِنَّمَا يَمَارُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: ليعلم. ولولا تقدير الزيادة لانعكس المعنى فزيدت «لا» لتوكيد النفي. قاله ابن جنى.

واعترضه ابن ملكون بأنه ليس هناك نفي حتى تكون هي مؤكدة له، وردّ عليه [الشلوبين]^(٦): بأن هنا ما معناه النفي وهو ما وقع عليه العلم من قوله: ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الحديد: ٢٩] ويكون هذا من وقوع النفي على العلم، والمراد ما وقع عليه العلم^(٧).

(١) سقط من م.

(٢) معاني القرآن (١٠٣/١).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

(٥) انظر: «الجني الداني» (ص/٣٠٠).

(٦) في المطبوع: السكوني.

(٧) سقط من م.

كقوله: «ما علمت أحدًا يقول ذلك إلا زيدًا» فأبدلت من الضمير الذي في «يقول» ما بعد «إلا»، وإن كان البدل لا يكون إلا في النفي فكما كان النفي هنا واقعًا على العلم، وحكم لما وقع عليه العلم بحكمه كذلك يكون تأكيد النفي أيضًا على ما وقع عليه العلم، ويحكم للعلم بحكم النفي فيدخل على العلم تأكيد النفي، والمراد تأكيد نفي ما دخل عليه العلم، وإذا كانوا قد زادوا «لا» في الموجب المعنى لما توجه عليه فعل منفي في المعنى كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، المعنى: «أن تسجد» فزاد «لا» تأكيدًا للنفي المعنوي الذي تضمنه «منعك»، فكذلك تزداد «لا» في العلم الموجب تأكيدًا للنفي الذي تضمنه الوجه عليه.

قال الشلويبين: وأما زيادة «لا» في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] فشيء متفق عليه، وقد نص عليه سيويوه، ولا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة «لا» فيها؛ لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه.

ويدل عليه قراءة ابن عباس، وعاصم [الجحدري] ^(١): «لِيَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ» وقرأ ابن مسعود وابن جبير: «لِيَكُنِّي يَعْلَمُ» وهاتان القراءتان تفسير لزيادتها، وسبب النزول يدل على ذلك أيضًا، وهو أن المشركين كانوا يقولون: إن الأنبياء منا. وكفروا مع ذلك بهم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ... الآية.

ومنه: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] بدليل الآية الأخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وليس المعنى ما منعك من ترك السجود؛ فإنه ترك فلا يستقيم التوبيخ عليه. وقيل: ليست برفعة من وجهين:

أحدهما: أن التقدير: ما دعاك إلى ألا تسجد، لأن الصارف عن الشيء داع إلى تركه، فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل.

الثاني: أن التقدير: ما منعك من ألا تسجد؟

وهذا أقرب مما قبله لأن فيه إبقاء المنع على أصله، وعدم زيادتها أولى لأن حذف حرف الجر مع «أن» كثير، كثرة لا تصل إلى المجاز، والزيادة في درجته.

قالوا: وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات فإن وضع «لا» نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للإثبات، ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط.

(١) في الطبع: والحميدي. والثبت هو الصواب، وهو: عاصم بن العجاج، أبو المشجر الجحدري البصري. «معرفة القراء الكبار» (١/٢١٠).

ومنه: ﴿مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ صَلُّوا ۖ أَلَا تَتَّبِعُ﴾ [طه: ٩٢-٩٣]

وقيل: وقد تزداد قبل القسم نحو: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّيَ الشَّرِيفَ وَالْكَرِيمَ﴾ [المعارج: ٤٠] ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَوْزِعِ الْجُورِ﴾ [الواقعة: ٧٥] ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] أي: أقسم بشيئها.
وضعف في الأخيرة [بأنها] ^(١) وقعت صدراً، بخلاف ما قبلها لوقوعها بين [الفاء] ^(٢) ومعطوفها.

وقيل: زيدت توطئة لنفي الجواب، أي: لا أقسم بيوم القيامة فلا يتركون سُدىً.
ورد بقوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] آيات فإن جوابه مثبت وهو: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].
وقيل: غير زائدة.

وقيل: هي ردٌ لكلام قد تقدّم من الكفار، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة، فيجوز أن يكون الادعاء [في سورة] ^(٣)، والرد عليهم في أخرى فيجوز الوقف على «لا» هذه ^(٤).
واختلف في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَسَالُوا أُنزِلَ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فقيل: زائدة ليصح المعنى لأن المحرم الشرك.
وقيل: نافية أو ناهية.

وقيل: الكلام تم عند قوله ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ ثم ابتداء ﴿عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾.
وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْمِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] أيمن فتح الهمزة ^(٥)،
فقيل: لا زائدة وإلا لكان عذراً للكفار.

ورده الزجاج ^(٦) بأنها نافية في قراءة الكسر، فيجب ذلك في قراءة الفتح.
وقيل: نافية وحذف المعطوف أي: وأنهم يؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قُرْبَىٰ أَهْلِكُمْ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

وقيل: «لا» زائدة والمنع ممتنع على أهل قرية قدرنا إهلاكهم، لكفرهم أنهم لا يرجعون

(١) أي: م: لأنها.

(٢) أي: م: لأنه.

(٣) أي: م: لأنه.

(٤) وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ نافع وعاصم، في رواية حفص وحزمة والكسائي وابن عامر بالفتح.

(٥) الحجة، (٣/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٦) لمعاني القرآن (٢/ ٢٨٢-٢٨٣).

عن الكفر إلى قيام الساعة. وعلى [هذا] (١) «حرام» خبر مقدم وجوباً لأن المخبر عنه «أن وصلتها».

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴿٨٠﴾﴾ [العمران: ٧٩-٨٠] على قراءة من نصب ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ (٢) عطفًا على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ «فلا» زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق.

وقيل: عطف على ﴿يقول﴾ والمعنى ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد ثم يأمر الناس [ق/ ١٧٥] بأن يكونوا عبادًا له، ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا.

وقيل: ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينهى قريشًا عن عبادة الملائكة وأهل الكتاب عن عبادة عزيز وعيسى، فلما قالوا له: أنتخذك ربًّا؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يؤتبه الله الكتاب والحكمة ثم يأمر الناس بعبادته، وينهاهم عن عبادة الملائكة والأنبياء.

[زيادة «من»] (٣)

وأما «من» فإنها تزداد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه، نحو: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وجوز الأخفش (٤) زيادتها مطلقًا محتجًا بنحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] ﴿يَكْفُرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الاحقاف: ٣١] ﴿يَحْتَوِنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَبَائِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [العمران: ١٥٩] وقوله: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ بِمِثْقَلِهِمْ لَمَنَّهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] «ما» في هذين الموضعين زائدة إلا أن فيها فائدة جليلة، وهي أنه لو قال: فبرحة من الله لنت لهم، وبنقضهم لعناهم، جوزنا أن اللين واللعن كانا للسبيين المذكورين ولغير ذلك فلما أدخل «ما» في الموضعين قطعنا بأن اللين لم يكن إلا للرحمة، وأن اللعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق.

(١) سقط من م.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي: (يَأْمُرُكُمْ) رفعًا،

وقرأ عاصم وابن عامر وحمة: (ولا يَأْمُرُكُمْ) نصبًا. «الحجّة» (٥٧/٣).

(٣) الجنى الداني (ص/ ٣١٦).

(٤) معاني القرآن (١/ ١٠٥).

[زيادة الباء] (١)

وأما الباء: فتزاد في الفاعل؛ نحو «كفى بالله» أي: كفى الله ونحو: «أحسن بزيد» إلا أنها في التعجب لازمة، و[لا] (٢) يجوز حذفها في فاعل ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وإنما هو «كفى الله» و«كفانا» (٣).

وقال الزجاج: دخلت لتضمن «كفى» معنى اكتفى، وهو حسن.

وفي المفعول نحو: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] لأن الفعل يتعدى بنفسه بدليل قوله: ﴿وَالْقَيْسَا فِيهَا رَوَّسِي﴾ [الحجر: ١٩] ونحو: ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجْدَع النَّخْلَةَ﴾ [مريم: ٢٥] ﴿أَلَمْ يَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] ﴿فَلَيْمَذْدُ يُسَبِّبُ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَايمِ يُظَلِّمِ﴾ [الحج: ٢٥] ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالشُّوقِ وَالْأَعْيُنَايَ﴾ [ص: ٣٣] أي يمسح السوق مسحًا.

وقيل في الأول: ضَمَّنَ «تَلَقَّوْا» معنى «تَفَضَّوْا».

وقيل: المعنى: لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم، كما يقال: لا تفسد أمرك برأيك.

وقيل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالدَّهْنِ﴾: إن الباء زائدة، والمراد تبت الدهن.

وفي المبتدأ وهو قليل، و[منه] (٤) عند سيبويه: ﴿بِأَيْدِيكُمْ الْمَفْتُونُ﴾.

وقال أبو الحسن (٥): ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ متعلق باستقرار محذوف مخبر عنه بالمفتون، ثم اختلف

ف قيل: «المفتون» مصدر بمعنى الفتنة، وقيل: الباء ظرفية أي: في أيكم الجنون.

وفي خبر المبتدأ نحو: ﴿جَزَاءً سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ [يونس: ٢٧] وقال أبو الحسن: الباء زائدة بدليل

قوله في موضع آخر: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وفي خبر ليس كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ الْوَدْقَ﴾ [القيامة: ٤٠] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

عَبْدُكُمْ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال ابن عصفور في «المقرب»: وتزاد في نادر كلام لا يقاس عليه، كقوله تعالى: ﴿بِقَدِيرٍ

عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ الْوَدْقَ﴾. انتهى.

ومراده الآية التي أولها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمَيِّ بِخَلْقِهِنَّ

بِقَدِيرٍ﴾ [الأحاف: ٣٣] ولذا صرح به ابن أبي الربيع في القراءتين.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) الجنبي الداني (ص/٤٨).

(٣) في م: وكيلا.

(٥) معاني القرآن (٢/٤٥٧).

(٤) سقط من م.

ويدل على الزيادة الآية التي في الإسراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٩] .

[وزعم] (١) ابن النحاس أنه أراد الآية الأولى، أعنى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [القيامة: ٤٠] فاعتذر عنه بأنه إنما قال ذلك، وإن كان في خبر ليس لأن ليس هنا بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها من النفي، فصار الكلام تقريراً، ويعني بقوله: «في نادر» في القياس لا في الاستعمال .

[زيادة اللام] (٢)

وأما اللام فتزاد معترضة بين الفعل ومفعوله، كقوله (٣):

وملكت ما بين العراق ويشرب ملكاً أجار لمسلم ومعاهد
وجعل منه المبرد (٤) قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] والأكثر على أنه ضمن
﴿رَدِفَ﴾ معنى اقترب كقوله: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] .

واختلف في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] فقيل: زائدة وقيل:
للتعليل والمفعول محذوف، أي: يريد الله التبيين وليبين لكم ويهديكم أي: فيجمع لكم بين
الأمريين .

وقال الزمخشري (٥) في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِرْتُ لِأَنَّ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢] في سورة
الزمر: لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في «أردت لأن أفعل»، ولا تتراد إلا مع «أن» خاصة دون
الاسم الصريح: كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما أتت السين في
«أسطاع» يعني بقطع الهمزة عوضاً من ترك الأصل الذي هو «أطوع» والدليل على هذا مجيئه
بغير لام؛ في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِرْتُ لِأَنَّ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢] . انتهى .

وزيادتها في «أردت لأن أفعل» لم يذكره أكثر النحويين، وإنما تعرضوا لها في إعراب:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] .

وتزاد لتقوية العامل الضعيف، إما لتأخره نحو: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾
[الأعراف: ١٥٤] ونحو: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْثَةِ يَا عَصَابُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] .

(١) في م: وظن. (٢) الجني الداني (ص/١٠٥) .

(٣) هو ابن ميادة، أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام. توفي سنة (١٤٩) هـ .

(٤) الكامل (١/٤٠٥) و(٢/١٠٠٠) .

(٥) الكشاف (٤/١١٨-١١٩) .

أو لكونه فرعاً في العمل نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ﴿تَزَاعَةَ الشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦] .

وقيل منه: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ﴾ [طه: ١١٧] وقيل: بل يتعلق بمستقر محذوف صفة لعدو وهي للاختصاص .

وقد اجتمع التأخر والفرعية في نحو: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] .

وأما قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٦] فإن كان «نذيراً» بمعنى المنذر فهو مثل: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وإن كان بمعنى الإنذار فاللام مثلها في «سقينا لزيد» .

وقد تحيء اللام للتوكيد بعد النفي، وتسمى لام الجحود وتقع بعد «كان» مثل: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] اللام لتأكيد النفي، كالباء الداخلة في خبر «ليس» ومعنى قولهم: «إنها للتأكيد» أنك إذا قلت: «ما كنت أضربك» بغير لام جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه فإذا قلت: ما كنت لأضربك، فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلاً .

وقد تأتي مؤكدة في موضع، وتحذف في آخر لاقتضاء المقام ذلك .

ومن أمثله: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] فإنه سبحانه أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيدات وأكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً، وكان المتبادر العكس لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار لكن في النظم وجوه:

أحدها: أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه، صار المنكر له كالمنكر للبهديات فلم يحتج إلى تأكيد، وأما الموت فإنه - وإن أقروا به - لكن لما لم يعلموا ما بعده، نزلوا منزلة من لم يقربه فاحتاج إلى تأكيد ذلك، لأنه قد ينزل المنكر كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمله ارتدع [عن^(١) الإنكار، ولما ظهر على المخاطبين من التماذي في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده والانهماك في الدنيا وهي من أمارات إنكار الموت فهذا قال: «ميتون» ولم يقل: تموتون، وإنما أكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً لظهور أدلته المزيلة للإنكار، إذا تأملوا فيها ولهذا قيل: «تبعثون» على الأصل، وهو الاستقبال بخلاف «تموتون» .

الثاني: أنّ دخول اللام على «ميتون» أحق؛ لأنه تعالى يرّد على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني [ق/١٧٦] خلفاً عن سلف، وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القرآن، وأكده وكذب منكره كقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] قاله الشيخ

(١) في المطبوع: من .

تاج الدين بن الفركاح (١).

الثالث: أنه لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم، استغنى به عن إعادة لفظ اللام، وكأنه قيل: «لتبعثون» واستغنى بها في الثاني لذكرها في الأول.

الرابع: قال الزمخشري (٢): بولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان [أن يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه، فإن مآله إليه فكأنه أكدت جملة ثلاث مرات، لهذا المعنى لأن الإنسان] (٣) في الدنيا يسعى فيها غاية السعي كأنه مخلد، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ«إن» لأنه أبرز بصورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل إنكاراً.

قلت: هذه الأجوبة من جهة المعنى وأما الصناعة فتوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه، وهو حذف اللام في «تبعثون» لأن اللام تخلص المضارع للحال، فلا يجاء به مع يوم القيامة لأنه مستقبل، ولأن «تبعثون» عامل في الظرف المستقبل.

وأما قوله: ﴿وَرِئَانَ رَبِّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل: ١٢٤] فيمكن تأويلها بتقدير عامل.

ونظير هذا آية الواقعة، وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْفُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] وقال سبحانه في الماء: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] بغير لام والفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها: أن صيرورة الماء [ملحاً] (٤) أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاماً، إذ الماء العذب يمر بالأرض السبخة، فيصير ملحاً فالتوعد به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أن الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بعضاً ونحوه لم يحتاج إلى تأكيد، وإذا توعد بالقتل احتاج إلى تأكيد.

والثاني: إن جعل الحرث حطاماً قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجاجاً قلب للكيفية فقط وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو» لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء بالشرط؛ أتى باللام، علماً على ذلك ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوقاً ومأنوساً به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع ويساوي لشهرته حذفه وإثباته مع ما في حذفه من خفة اللفظ، ورشاقتة لأن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة يغني عن ذكرها ثانياً.

(١) ردًا على الدهرية القائلين بقدوم الدهر، ويسندون إليه الحوادث، وينكرون الرسالة والمعاد.

الفصل (١/٤٧-٥٥) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص/٥٢).

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/١٧٩).

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من م.

الرابع: أن اللام أدخلت في آية المطعوم للدلالة على أنه يقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم، ولهذا قدمت [في] ^(١) آية المطعوم على آية المشروب. ذكرها والذي قبله الزمخشري.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَسْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١] وإثباتها بعد قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، والجواب: أنك إذا عطفت على مجرور...

القسم السابع والعشرون باب الاشتغال

فإن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار، ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦].

وفي قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمَلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وفي قوله: ﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١].

وفي قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠] لا تجد مثله، إذا قلت: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره، وقولك: لو تملكون خزائن رحمة ربي، وقولك: يدخل من يشاء في رحمته، وأعد للظالمين عذاباً أليماً. وقولك: هدى فريقاً وأضل فريقاً، إذ الفعل المفسر في تقدير المذكور مرتين.

وكذا قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾ [الانفطار: ١] ونظائره،

فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره.

القسم الثامن والعشرون التعليل ^(٢)

بأن يذكر الشيء معللاً، فإنه أبلغ من ذكره بلا [علة] ^(٣) لوجهين:

أحدهما: أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول، ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في العلة المنصوصة.

الثاني: أن النفوس تنبعت إلى نقل الأحكام المعللة، بخلاف غيرها. وغالب التعليل في

(١) سقط من المطبوع.

(٢) قال ابن أبي الأصبح: «هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَخَىٰ لَكُمْ سَخَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الأنفال: ٦٨]، فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب». «تحرير التحرير» (ص/٣٠٩).

(٣) في م: علته.

القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة .

ومنه: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ﴿إِنَّكَ زَلَّزَلَةٌ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

وتوضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان «إِنَّ» لِحَسَنٍ .
والطرق البديلة على الجملة أنواع:

الأول: التصريح بلفظ الحكم، كقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥] .

وقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] والحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح .

الثاني: أنه فعل كذا لكذا أو أمر بكذا لكذا، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٩٧] .

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾ [الطلاق: ١٢] .

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ الْكَلِمَةَ الْبَيِّنَاتِ الْكَلِمَاتِ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] .

﴿ثُمَّ لَمَّا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

﴿وَيُرِيهِمْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١] .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنظْمِيقٍ لِقُلُوبِكُمْ بِهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وهو كثير .

فإن قيل: اللام فيه للعاقبة كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَيْتَهُمْ فِي سَعِيرٍ لَّيْسَ لَهُمْ فِيهَا مَوْلَىٰ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٥٣] وإنما قلنا ذلك: لأن أفعال الله تعالى لا تعلل .

فالجواب: أن معنى قولنا: إن أفعال الله تعالى لا تعلل أي: لا تجب ولكنها لا تخلو عن الحكمة، وقد أجاب الملائكة عن قولهم: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] .

ولو كان فعله سبحانه مجرداً عن الحكم والغايات، لم يسأل الملائكة عن حكمته ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح، وفرق بين العلم والحكمة ولأن لام العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة كقوله: ﴿فَأَلْقَيْتَهُمْ فِي سَعِيرٍ لَّيْسَ لَهُمْ فِيهَا مَوْلَىٰ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٥٣] وإنما اللام الواردة في ﴿وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وأما من هو بكل شيء عليم فمستحيلة في حقه، وإنما اللام الواردة في

أحكامه وأفعاله لام الحكمة، والغاية المطلوبة من الحكمة ثم قوله: ﴿يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرًا﴾ [القصص: ٨] هو تعليل لقضاء الله بالتقاطه، وتقديره لهم فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره، وذكر فعلهم دون قضائه لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم.

قاعدة تفسيرية

حيث دخلت واو العاطف على لام التعليل فله وجهان:

أحدهما: أن يكون تعليلًا معللًا محذوف، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَسْتَلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] فالمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك.

الثاني: أن يكون معطوفًا على علة أخرى مضمرة؛ ليظهر صحة العطف كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَمَىٰ وَتَجَزَىٰ﴾ [الجناب: ٢٢] التقدير: ليستدل بها المكلف على قدرته تعالى ولتجزى، وكقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ [يوسف: ٢١] التقدير: ليتصرف فيها ولنعلمه.

والفرق بين الوجهين: أنه في الأول عطف جملة على جملة، وفي الثاني عطف مفرد على

مفرد.

وقد يمتلئهما الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فالتقدير على الأول: ولنجعل آية فعلنا ذلك، وعلى الثاني: ولنبين للناس قدرتنا ولنجعل آية. ويطرد الوجهان في نظائره ويرجح كل واحد بحسب المقام، وحذف المعلل هاهنا أرجح إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بد من معلل محذوف، وليس قبلها ما يصلح له فإن قلت: لم قدر المعلل مؤخرًا؟

قلت: فائدة هذا الأسلوب هو أن يجاء بالعلة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة لأنه إما أن يقدر علة أخرى ليعطف عليها، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم، وإما أن يكون على تقدير معلل فيجب أن يكون مؤخرًا ليشعر بتقديمه بالاهتمام.

الثالث: الإتيان بكفي كقوله تعالى: ﴿مَّا آفَاةَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلْيَلْهِمِ الرَّسُولَ وَلَا يَلْهِمِ الْقُرَىٰ وَالْيَتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنْ يَسْبِلَ كَىٰ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧] فعلى سبحانه قسمة الفيء بين هذه الأصناف؛ كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء.

وقوله: ﴿مَّا آفَاةَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٣-٢٢] [العنكب: ٢٣-٢٢] وأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرا الأنفس، أو المصيبة أو

الأرض أو المجموع ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه هين عليه، وحكمته البالغة التي منها ألا يجزن عباده على ما فاتهم، ولا يفرحوا بما آتاهم فإنهم إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ولا بد قد كتبت قبل خلقهم، هان عليهم الفائت فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا.

الرابع: ذكر المفعول له، وهو علة للفعل المعلن به كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩].

ونصب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرح به في قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله: ﴿وَلَا تَمَنَّيْمْ عَلَيْنَا وَلَكُنَّ مَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَرَّأْنَا الْفَرَّانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القم: ١٧] أي: لأجل الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

وقوله: ﴿فَالْمُتَلَفِّيَاتِ ذِكْرًا ۖ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ [المرسلات: ٥-٦] أي: للإعذار والإنذار.

وقد يكون معلولاً بعلّة أخرى، كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنِمَةً فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصُّوْعِ حَذْرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩] «من الصواعق» يحتمل أن تكون فيه «من» لابتداء الغاية فتتعلق بمحذوف أي: خوفاً من الصواعق، ويجوز أن تكون معللة بمعنى اللام، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ [الحج: ٢٢] أي: لغم.

وعلى كلا التقديرين «من الصواعق» في محل نصب على أنه مفعول له، والعامل فيه ﴿يَجْعَلُونَ﴾ و﴿حَذْرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له أيضاً فالعامل فيه: ﴿مِنَ الصُّوْعِ﴾ «من الصواعق» علة لـ«يَجْعَلُونَ» معلول لحذر الموت لأن المفعول الأول الذي هو «من الصواعق» يصلح جواباً لقولنا: لم يجعلون أصابعهم في آذانهم؟، والمفعول الثاني الذي هو «حذر الموت» يصلح جواباً لقولنا: لم يخافون من الصواعق؟ فقد ظهر ذلك.

الخامس: اللام في المفعول له، وتقوم مقامه الباء نحو: ﴿فِيظَلِّ مِنْ أَلْبَتِ هَادُوا﴾ [النساء: ١٦٠].

ومن نحو: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا﴾ [المائدة: ٣٢].

والكاف نحو: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] وقال: ﴿فَأَذْكُرِي أَذْكُرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٩] أي: لإرسالنا وتعليمنا.

السادس: الإتيان بيان كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] .

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا﴾ [طه: ١٠] .

وكقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] وليس هذا من قولهم؛ لأنه لو كان قولهم لما حزن الرسول، وإنما جيء بالجملة لبيان العلة والسبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الِيمْرَةَ لِلَّهِ جَبِيحًا﴾ [يونس: ٦٥] والوقف على القول في هاتين الآيتين والابتداء بيان لازم .

وقد يكون علة كقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:

٦٥-٦٦] وفيها وجهان لأهل المعاني:

أحدهما: أن سؤالهم لصرف العذاب معلل بأنه غرام، أي: ملازم الغريم وبأنها ساءت مستقرًّا ومقامًا .

الثاني: أن «ساءت» تعليل لكونه غرامًا .

السابع: أن والفعل المستقبل بعدها؛ تعليلًا لما قبله، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ

الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ بَلِينَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] .

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] .

وقوله: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] كأنه

قيل: لم فاضت أعينهم من الدمع؟ قيل: للحزن فقيل: لم حزنوا؟ فقيل: ألا يجدوا .

وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

ونظائره [كثيرة] ^(١) وفي ذلك طريقان:

أحدهما: للكوفيين أن المعنى لثلاثا يقولوا ولثلاثا تقول نفس .

الثاني: للبصريين أن المفعول محذوف أي: كراهة أن يقولوا أو حذار أن يقولوا . فإن قيل:

كيف يستقيم الطريقان في قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]

فإنك إذا قدرت: «لثلاثا تضل إحداهما» لم يستقم عطف «فتذكر» عليه وإن قدرت «حذار أن

تضل إحداهما» لم يستقم العطف أيضًا، لأنه لا يصح أن تكون الضلالة علة لشهادتهما .

قيل: بظهور المعنى يزول الإشكال، فإن المقصود إذكارة إحداها الأخرى، إذا ضلت

(١) سقط من م .

نسيت فلما كان الضلال سبباً للإذكار، جعل موضع العلة، تقول: «أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأذعم بها»؛ فإنما أعددتها للدعم لا للميل وأعددت هذا الدواء أن أمرض فأدواى به. ونحوه، هذا قول سيبويه والبصريين.

وقال الكوفيون: تقديره في «تذكر إحداهما الأخرى» إن ضللت فلما تقدم الجزء اتصل بما قبله ففتحت أن.

الثامن: «من أجل» في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [المائدة: ٣٢] فإنه لتعليل الكتب وعلى هذا فيجب الوقف على «من النادمين» وظن قوم أنه تعليل لقوله «من النادمين» أي: من أجل قتله لأخيه، وهو غلط؛ لأنه يشوش صحة النظم ويخل بالفائدة.

فإن قلت: كيف يكون قتل أحد ابني آدم للأخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم، وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟

قيل: إن الله سبحانه يجعل أفضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره، فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمة أمره الديني؛ لأن القتل لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخم أمره وعظم شأنه، وجعل إثمه أعظم من إثم غيره، ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها في أصل العذاب لا في وصفه..

التاسع: التعليل بلعل كقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] قيل: هو تعليل لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ وقيل لقوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾. وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] حيث لمح فيها معنى الرجاء [فرجعت] ^(١) إلى المخاطبين.

العاشر: ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف المناسب له، فتارة يذكر بأن وتارة بالفاء [ق/١٧٨]، وتارة يجرد:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَرَزَكْرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] إلى قوله: ﴿خاشعين﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْنٍ ﴿٥٧﴾ أَيْنِئذِينَ مَا أَرْسَلْنَاهُمْ مِنْهُمْ إِذْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ كُفْرًا﴾ [الذاريات: ١٥-١٦].

والثاني: كقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ﴿الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِنْهُمَا بِمِائَةِ جَلْدٍ﴾ [النور: ٢].

(١) في المطبوع: رجعت.

والثالث: كقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَتْمَلُوهَا إِسْلَامًا﴾ [الحجر: ٤٥-٤٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

الحادي عشر: تعليقه سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ . . .﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية.

وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: آيات الاقتراح لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي تأتي منه سبحانه ابتداء.

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨] فأخبر سبحانه عما يمنع من إنزال الملك عياناً، بحيث يشاهدونه، وإن عنايته وحكمته بخلقه [اقتضت] ^(١) منع ذلك بأنه لو أنزل عليه الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا به لعوجلوا بالعقوبة جعل الرسول بشراً ليتمكنهم التلقي عنه والرجوع إليه، ولو جعله ملكاً فإما أن يدعه [على] ^(٢) هيئته الملكية أو يجعله على هيئة البشر، والأول يمنعهم من التلقي عنه، والثاني لا يحصل مقصوده إذا كانوا يقولون: هو بشر لا ملك.

الثاني عشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره كقوله.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً . . .﴾ [البقرة: ٢٢] الآية.

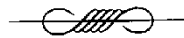
وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا . . .﴾ [النبا: ٦] الآيات.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا . . .﴾ [النحل: ٨٠] الآية.

وكما يقصدون البسط والاستيفاء، يقصدون الإجمال والإيجاز، كما قيل:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١].



(٢) في المطبوع: لي.

(١) في المطبوع: اقتضت.

الأسلوب الثاني

الحذف

وهو لغة: الإسقاط، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه .

واصطلاحاً: إسقاط جزء الكلام أو كله للدليل، وأما قول النحويين: الحذف لغير دليل ويسمى اقتصاراً، فلا تحرير فيه لأنه لا حذف فيه بالكلية كما سنبينه فيما يلتبس به الإضمار والإيجاز، والفرق بينهما: أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر نحو: ﴿وَسَكَلَ الْقَرِيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] بخلاف الإيجاز، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجملة بنفسه .

والفرق بينه وبين الإضمار: أن شرط المضممر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِمُ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١] ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٢٤] ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] [أي اتوا أمراً خيراً لكم] ^(١) وهذا لا يشترط في الحذف، ويدل على أنه لا بد في الإضمار من ملاحظة المقدر باب الاشتقاق، فإنه من أضمرت الشيء أخفيته قال: سيبقى لها في مضممر القلب والحشا

وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعه وهو يشعر بالطرح، بخلاف الإضمار، ولهذا قالوا: «أن» تنصب ظاهرة ومضمرة .

ورد ابن ميمون قول النحاة: إن الفاعل يحذف في باب المصدر، وقال: الصواب أن يقال: يضم ولا يحذف لأنه عمدة في الكلام .

وقال ابن جنى في «خاطرياته»: من اتصال الفاعل بالفعل أنك تضمه في لفظ، إذا عرفته نحو: قم، ولا تحذفه كحذف المبتدأ، ولهذا لم يجوز عندنا ما ذهب إليه الكسائي في: «ضربني وضربت قومك» .

[فصل] ^(٢) في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور ^(٣)

المشهور أن الحذف مجاز، وحكى إمام الحرمين في «التلخيص» عن بعضهم أن الحذف ليس بمجاز؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه، والحذف ليس كذلك .

(١) سقط من م .

(٢) في م: مسألة .

(٣) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/١٠) .

وقال ابن عطية ^(١) في تفسير سورة يوسف: وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه، وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر، وليس كل حذف مجازاً. انتهى.

وقال الزنجاني في «المعيار»: إنما يكون مجازاً إذا تغير بسببه حكم؛ فأما إذا لم يتغير به حكم، كقولك: زيد منطلق وعمرو، بحذف الخبر، فلا يكون مجازاً إذ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام.

والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك لعدم استعماله، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره - وهو المجاز العقلي - فالحذف كذلك.

[فصل] ^(٢) في أن الحذف خلاف الأصل

والحذف خلاف الأصل، وعليه ينبغي فرعا:

أحدهما: إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير.

والثاني: إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته؛ كان الحمل على قلته أولى.

أوجه الكلام على الحذف

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه: في فائدته وفي أسبابه، ثم في أدلته، ثم في شروطه ثم في أقسامه.

فوائد الحذف

الوجه الأول: في فوائده:

فمنها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام؛ لذهاب الذهن [في] ^(٣) كل مذهب وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور!

ومنها: زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن.

(١) المحرر الوجيز (٣/٢١٨).

(٢) سقط من م.

(٣) في م: مسألة.

ومنها: زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، بخلاف غير المحذوف كما تقول في العلة المستنبطة والمنصوصة .

ومنها: طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .

ومنها: التشجيع على الكلام، ومن ثمَّ سماه ابن جنى «شجاعة العربية»^(١) .

ومنها: موقعه في النفس في موقعه على الذكر، ولهذا قال شيخ الصناعتين عبد القاهر الجرجاني^(٢) ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره، ولله در القائل .

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكنت جاءت بكل مليح

أسباب الحذف

الثاني: في أسبابه

فمنها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر، نحو: الهلال والله . أي: هذا . فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول .

ومنها: التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير نحو: إياك والشر، والطريق الطريق، الله الله، وباب الإغراء هو لزوم أمر يحمد به، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [النمر: ١٣] على التحذير أي: احذروا ناقة الله فلا تقربوها و«سقيها» إغراء بتقدير: الزموا ناقة الله .

ومنها: التفخيم والإعظام قال حازم في «منهاج البلغاء»^(٣) إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسامة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال [ق/ ١٧٩] عن ذكرها على الحال، قال: وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجردونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شأنه،

(١) الخصائص (٢/ ٣٦٠) .

(٣) ضمن الجزء المفتود .

(٢) دلائل الإعجاز (ص/ ١٨٣) .

ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قلت: ومنه: ﴿فَفَشِيهِمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] ما لا يعلم كنهه إلا الله، قال الزخشري^(١): وهذا من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم المتحملة مع قلتها للمعاني الكثيرة.

ومنها: التخفيف لكثرة دورانه في كلامهم كما [في] ^(٢) حذف حرف النداء في نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنَّا هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] وغيره قال سيبويه^(٣): العرب تقول لا أدري. فيحذفون الياء والوجه «لا أدري»، لأنه رفع وتقول: «لم أبل» فيحذفون الألف والوجه «لم أبال»، ويقولون: «لم يك» فيحذفون النون؛ كل ذلك يفعلونه استخفافاً؛ لكثرتهم في كلامهم.

ومنها: حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق نحو: «الضارباً زيداً» و«الضاربو زيداً» وقراءة من قرأ ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ [الحج: ٣٥] كأن النون ثابتة فعلوا ذلك لاستطالة الموصول في الصلة نحو: ﴿وَأَلْبِلْ إِذَا سَرَ﴾ [الفجر: ٤] حذفت الياء للتخفيف.

ويحكى عن الأخفش أن المورج السدوسي سأله عن ذلك فقال: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ففعل فقال له: إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري وإنما يسرى فيه نقص منه حرف كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [ريم: ٢٨] الأصل «بغية»، فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف. انتهى.

ومنها: رعاية الفاصلة نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣] ﴿وَأَلْبِلْ إِذَا سَرَ﴾ [الفجر: ٤] ونحوه، وقال الرماني: إنما حذفت الياء في الفواصل؛ لأنها على نية الوقف، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء.

ومنها: أن يحذف صيانة له كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب، أي: هو رب السموات والله ربكم والله رب المشرق لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيئاً وتفخيماً، فاقصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به؛ ليعرفه أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومنها: صيانة اللسان عنه كقوله تعالى: ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمِّي﴾ [البقرة: ١٨] أي هم.

(١) الكشاف (٧٨/٣).

(٢) الكتاب (٢٥/١).

(٣) سقط من المطبوع.

ومنها: كونه لا يصلح إلا له كقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

ومنها: شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، كقول رؤبة: خير [جواب من قال] ^(١): كيف أصبحت؟ فحذف الجار، وعليه [حُملت] ^(٢) قراءة حمزة: ﴿سَاءَ لَوْ بَدَىٰ وَالْأَرْحَامُ﴾ [النساء: ١] لأن هذا مكان شهر بتكرير الجار فقامت الشهرة مقام الذكر.

[وكذا] ^(٣) قال الفارسي ^(٤) متلخصاً من عدم إعادة حرف الجر في المعطوف على الضمير المجرور: إنه مجرور بالجار المقدر أي: «وبالأرحام»، وإنما حذفت استغناء به في المضمر المجرور قبله.

فإن قلت: هذا المقدر يحيل المسألة لأنه يصير من عطف الجار والمجرور على مثله؟ قلت: إعادة الجار شرط لصحة العطف لا أنه مقصود [لذاته] ^(٥).

أدلة الحذف

الوجه الثالث في إكثاله:

ولما كان الحذف لا يجوز إلا لدليل احتيج إلى ذكر دليله.

والدليل تارة يدل على محذوف مطلق، وتارة على محذوف معين.

فمنها: أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف كقوله تعالى: ﴿وَسَكِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمكنة إلا [معجزة] ^(٦).

ومنها: أن تدل عليه العادة الشرعية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] فإن الذات لا تتصف بالحل، والحرمة شرعاً، إنما هما من صفات الأفعال الواقعة على الذوات، فعلم أن المحذوف التناول، ولكنه لما حذف وأقيمت الميتة مقامه أسند إليها الفعل وقطع النظر عنه؛ فلذلك أنث الفعل في بعض الصور، كقوله تعالى: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [المائدة: ٣] وقول صاحب التلخيص ^(٧): إن هذه الآية من باب دلالة العقل ممنوع، لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة فلهذا جعلناه من دلالة العادة الشرعية.

(١) في م: لمن قال له.

(٢) في م: وقد.

(٣) في م: بالعطف.

(٤) تلخيص المفتاح (ص/١٢٤).

(٥) في المطبوع: حمل.

(٦) الحجة (٣/١٢١-١٢٢).

(٧) في المطبوع: منجزة.

ومنها: أن يدل العقل عليهما أي: على الحذف والتعيين كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمره أو عذابه أو ملائكته، لأن العقل دل على أصل الحذف ولاستحالة مجيء الباري عقلاً لأن المجيء من سمات الحدوث، ودل العقل أيضاً على التعيين وهو الأمر ونحوه، وكلام الزمخشري^(١) يقتضي أنه لا حذف ألبتة، فإنه قال: هذه الآية الكريمة تمثيل مُثَلَّتْ حاله سبحانه وتعالى في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه.

وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢] لأنه في معرض التوحيد فعدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم ضرورة، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها.

ومنها: أن يدل العقل على أصل الحذف، وتدل عادة الناس على تعيين المحذوف كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُتُنِّي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفاً للومهن، فتعين أن يكون غيره، فقد دل العقل على أصل الحذف، ثم يجوز أن يكون الظرف حبه بدليل ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أو مراودته بدليل ﴿تُرْوَدُ فَنَدَهَا﴾ ولكن العقل لا يعين واحداً منها، بل العادة دلت على أن المحذوف هو الثاني؛ فإن الحب لا يلام عليه صاحبه لأنه يقهره ويغلبه، وإنما اللوم فيما للنفس فيه اختيار، وهو المراودة لقدرته على دفعها.

ومنها: أن تدل العادة على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي مكان قتال والمراد: مكاناً صالحاً للقتال، لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال والعادة تمنع أن يريدوا: لو نعلم حقيقة القتال؛ فلذلك قدره مجاهد: «مكان قتال».

وقيل: إن تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا العادة.

ومنها: أن يدل اللفظ على الحذف، والشروع في الفعل على تعيين المحذوف كقوله: ﴿يَسْرَ أَقْرَ﴾ فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفاً، لأن حرف الجر لا بد له من متعلق، ودل الشروع على تعيينه، وهو الفعل الذي جعلت التسمية في مبدئه، من قراءة أو أكل أو شرب ونحوه، ويقدر في كل موضع ما يليق ففي القراءة أقرأ وفي الأكل أكل ونحوه.

وقد اختلف هل يقدر الفعل أو الاسم؟ [ق/ ١٨٠] وعلى الأول فهل يقدر عام كالابتداء أو خاص كما ذكرنا؟

ومنها: اللغة كضربت فإن اللغة قاضية أن الفعل المتعدي لا بد له من مفعول، نعم هي تدل على أصل الحدث لا تعيينه، وكذلك حذف المبتدأ والخبر.

(١) الكشاف (٤/ ٧٥١).

ومنها: تقدم ما يدل على المحذوف، وما في سياقه كقوله: ﴿وَأَيُّرَ سَوَفَ يَبُصُرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩] وفي موضع آخر نحو ﴿مَا مَتَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وفي موضع ﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾ وكقوله: ﴿لَرَّ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً بَيْنَ نَهَارٍ بَلَّغُ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: هذا، بدليل ظهوره في سورة إبراهيم فقال تعالى ﴿هَذَا بَلَّغُ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ونظائره.

ومنها: اعتضاده بسبب النزول [كما في] ^(١) قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] فإنه لا بد فيه من تقدير، فقال زيد بن أسلم: أي: قمتم من المضاجع ^(٢) - يعني النوم - وقال غيره: إنما يعني إذا قمتم محدثين.

واحتج لزيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضي الله عنها عقدها فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح، فطلبوا الماء عند قيامهم من نومهم، فلم يجده فأنزل الله هذه الآية. وبما رجح من طريق النظر، بأن الأحداث المذكورة بعد قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ الأولى أن يحمل قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ معنى غير الحدث لما فيه من زيادة الفائدة، فتكون الآية جامعة للحدث، ولسبب الحدث فإن النوم ليس بحدث بل سبب للحدث.

شروط الحذف

الوجه الرابع: في شروطه:

فمنها: أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف، إما من لفظه أو من سياقه وإلا لم يتمكن من معرفته، فيصير اللفظ مخلاً بالفهم، ولثلاً يصير الكلام لغزاً فيهجن في الفصاحة، وهو معنى قولهم: لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى. وتلك الدلالة مقالية وحالية.

فالمقالية قد تحصل من إعراب اللفظ، وذلك كما إذا كان منصوباً، فيعلم أنه لا بد له من ناصب، وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً نحو: أهلاً وسهلاً ومرحباً أي وجدت أهلاً، وسلكت سهلاً، وصادفت مرحباً، ومنه قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على قراءة النصب، وكذلك قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١٠] والتقدير: احمدا والحمد واحفظوا الأرحام، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) سقط من م.

(٢) أخرجه مالك (٣٩) وهشام بن عمار في «عوالي مالك» (١٧/١٥) وابن جرير في «جامع البيان» (٦/٧٢). والدارقطني (١/٣٩) والبيهقي في «الكبرى» (١/١١٧) و«المعرفة» (١/٢٥٥) بسند صحيح.

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى، والنظر العلم فإنه لا يتم إلا بمحذوف، وهذا يكون أحسن حالاً من [النظم] ^(١) الأول، لزيادة عمومه كما في قولهم: فلان يحل ويربط أي: يحل الأمور ويربطها أي: ذو تصرف.

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير كقولهم في ﴿لَا أَقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] إن التقدير: لأننا أقسم لأن فعل الحال لا يقسم عليه، وقوله تعالى: ﴿تَفْتَنُوا تَذَكَّرَ يُوَسِّفُ﴾ [يوسف: ٨٥] التقدير: لا تفتن لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون كقوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وهذا كله عند قيام دليل واحد، وقد يكون هناك أدلة يتعدد التقدير بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] فإنه يحتمل [تقدير] ^(٢) ثلاثة أمور:

أحدها: كمن لم يزين له سوء عمله والمعنى: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما كمن لم يزين له، ثم كان النبي ﷺ لما قيل له ذلك قال: لا، فقيل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ثانيها: تقدير ذهب نفسك عليهم حسرات، فحذف الخبر لدلالة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ثالثها: تقدير «كمن هداه الله» فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

واعلم أن هذا الشرط إنما يحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها نحو ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ أي: سلمنا سلاماً أو أحد ركبتها نحو ﴿قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] أي «سلام عليكم أنتم قوم منكرون»، فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية.

وأما إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط حذفه دليل، ولكن يشترط ألا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو اللفظ، كما في حذف العائد المنصوب ونحوه.

وشرط ابن مالك في حذف الجار أيضاً أمن اللبس، ومنع الحذف في نحو: رغبت أن تفعل أو عن أن تفعل لإشكال المراد [بعد] ^(٣) الحذف.

وأورد عليه ﴿وَرَغَبُونَ أَنْ تَكْفُرُوا﴾ [النساء: ١٢٧] فحذف الحرف.

وجوابه أن النساء يشتملن على وصفين: وصف الرغبة فيهنّ وعنهنّ، فحذف للتعميم

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) في م: يعد.

وشرط بعضهم في الدليل اللفظي أن يكون على وفق المحذوف، وأنكر قول الفراء في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْعَلَ عِظَامُهُ ۖ بَلَىٰ قَدِيرٌ عَلَيْهِ أَنْ سُئِيَ بِآتِهِ﴾ [القيامة: ٣-٤] أن التقدير بلى حسينا قادرين، والحساب المذكور بمعنى الظن والمحذوف بمعنى العلم، إذ التردد في الإعادة كفر فلا يكون مأمورًا به (١).

ويجاب بأن الحساب المقدر بمعنى الجزم والاعتقاد، لا بمعنى الظن، وتقديره بذلك أولى لموافقته المفظوظ.

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع آخر:

منها: وهو أقواها قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] أي أمره بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] (٢).

وقوله في آل عمران: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي: كعرض بدليل التصريح به في آية الحديد.

وفيه إيجاز بليغ، فإنه إذا كان العرض كذلك، فما ظنك بالطول كقوله: ﴿بَطَّأْنَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقيل: إنما أراد التعظيم والسعة [لأحقية العرض، كقوله (٣):

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ [المظلوم] (٤) كفة حابل] (٥)

ومنها: ألا يكون الفعل طالبًا له بنفسه، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل ومفعول ما لم يسم فاعله واسم كان وأخواتها، وإنما لم يحذف لما في ذلك من نقض الغرض.

ومنها: قال أبو الفتح بن جنى (٦): [ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط] (٧)؛ لأن طرف الشيء أضعف من قلبه ووسطه، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرمع: ٤١] وقال الطائي الكبير (٨):

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطُ الْمَمْنُوعُ فَاسْتَلَبْتُ مَا حَوْلَهَا الْخَيْلُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا

فكان الطرفين سياج للوسط ومبذولان للعوارض دونه، ولذلك تجدد الإعلال عند

(١) معاني القرآن (٢٠٨/٣). (٢) انظر: «الفصل» (١٣٢/٢).

(٣) للطرماع بن حكيم، شاعر إسلامي، خارجي، توفي سنة ١٢٥ هـ.

(٤) في الديوان: المذعور، ونسب هذا البيت لعبيد بن أيوب العبدي بلفظ: المطرود، ولليبيد بن ربيعة: المطلوب.

(٥) سقط من م.

(٦) الخصائص (١٦٦/٢).

(٧) في الخصائص: الطرف.

(٨) هو أبو تمام حبيب بن أوس.

التصريفيين بالحذف منها، فحذفوا الفاء في المصادر من باب وعد نحو العدة، والزنة والهبية واللام في نحو اليد، والدم والقم والأب والأخ، وقلما تجد الحذف في العين، لما ذكرنا وبهذا يظهر لطف هذه اللغة العربية.

تنبيهات

الأول: قد توجب صناعة النحو التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، كما في قوله: «لا إله إلا الله» فإن الخبر محذوف، وقدره النحاة «موجود» أو «لنا».

وأنكره الإمام فخر الدين، وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير وتقديرهم فاسد لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر.

ولا معنى لهذا الإنكار، فإن تقدير «في الوجود» يستلزم نفي كل إله [غير الله] (١) قطعاً، فإن العدم لا كلام فيه فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهراً أو مقدراً، وإنما يقدر النحوي [ليعطي] (٢) القواعد [ق/ ١٨١] حقها، وإن كان المعنى مفهوماً، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث اللفظ مثلاً، لا من حيث المعنى، ولهم تقديران: إعرابي وهو الذي خفي على المعترض، ومعنوي وهو الذي ألزمه وهو غير لازم. ومن المنكر في هذا أيضاً قول ابن الطراوة: إن الخبر في هذا «إلا الله»، وكيف يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة!؟

الثاني: اعتبر أبو الحسن في الحذف التدرج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]: إن أصل الكلام: «يوم لا تجزي فيه» فحذف حرف الجر فصار «تجزيه»، ثم حذف الضمير فصار «تجزئي» (٣).

وهذا ملاحظة في الصناعة، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة. وقال أبو الفتح في «المحتسب»: وقول أبي الحسن أوثق في النفس وأنس من أن يحذف الحرفان معا في وقت واحد.

الثالث: المشهور في قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٦٠] أنه معطوف على جملة محذوفة التقدير: «فصرب فانفجرت»، ودل «انفجرت» على المحذوف، لأنه يعلم من الانفجار أنه قد ضرب.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

(٣) معاني القرآن (١/٩٢-٩٤).

وكذا ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] إذ لا جائز أن يحصل الانفجار والانفلاق دون ضرب .

وابن عصفور يقول في مثل هذا: إن حرف العطف المذكور مع المعطوف هو الذي كان مع المعطوف عليه، وإن المحذوف هو المعطوف عليه، وحذف حرف العطف من المعطوف فالفاء في «انفلق» هو فاء الفعل المحذوف، وهو «ضرب» فذكرت فآؤه وحذف فعلها، وذكر فعل «انفلق» وحذفت فآؤه ليدل المذكور على المحذوف . وهو تحيل غريب .

أقسام الحذف

الخامس: في أقسامه.

الأول الاقتطاع وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي كقوله ^(١):

دَرَسَ الْمَنَا بِمَالِحٍ فَبَانَ

أي: المنازل، وأنكر صاحب «المثل السائر» ^(٢) ورود هذا النوع في القرآن العظيم وليس كما قال . وقد جعل منه بعضهم فواتح السور؛ لأن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى كما روى ابن عباس «الم» معناه: «أنا الله أعلم وأرى» ^(٣)، و«المص»: أنا الله أعلم وأفضل، وكذا الباقي .

وقيل في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] إن الباء هنا أول كلمة «بعض» ثم حذف الباقي كقوله ^(٤):

قُلْتُ لَهَا قِوِي لَنَا قَالَتْ قَاف

أي: وقفت . وفي الحديث: «كفى بالسيف شا» ^(٥) أي شاهداً .

وقال الزمخشري في قوله: «من الله» في القسم، إنها «ايمن» التي تستعمل في القسم حذفت نونها . ومن هذا الترخيم ومنه قراءة بعضهم «يا مال» على لغة من ينتظر، ولما سمعها بعض السلف قال: ما [أشغل] ^(٦) أهل النار عن الترخيم، وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة .

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري . (٢) (١١٣/٢) .

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٨/١) والبيهقي في «تفسيره» (ص/٥٨) .

(٤) هو الوليد بن عقبة .

(٥) أخرجه أبو داود (٤٤١٥) وابن ماجه (٢٦٠٦) وعبد الرزاق (١٧٩١٨) وأصله عند مسلم (١٦٩٠) .

(٦) في م: أغنى .

الثاني: الاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر، ويخص بالارتباط العطف غالباً، فإن الارتباط خمسة أنواع: وجودي ولزومي وخبري وجوابي، وعطف.

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه .
 والمشهور في مثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ أَحَرَ﴾ [النحل: ٨١] أي:
 والبرد هكذا قدره، وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر، وأجابوا بأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد من البرد عندهم .
 والحق أن الآية ليست من هذا القسم، فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحاً في قوله: ﴿وَمَنْ أَسْرَأُهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا﴾ [النحل: ٨٠] وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا﴾ [النحل: ٨١] وقوله في صدر السورة: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥] .
 فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوقائتين بعد قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١] فإن هذه وقاية الحر، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا﴾ [النحل: ٨١] فهذه وقاية البرد على عادة العرب؟

قيل: لأن ما تقدم بالنسبة إلى المساكن، وهذه إلى الملابس، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا﴾ [النحل: ٨١] لم يذكره السهيلي، وفيه الجوابان السابقان .
 وأمثلة هذا القسم كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآبِلِ﴾ [الأنعام: ١٣] فإنه قيل:
 المراد: «وما تحرك»، وإنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك، أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون ولأن السكون هو الأصل والحركة طارئة .

وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [ال عمران: ٢٦] تقديره: «والشر»، إذ مصادرُ الأمور كلها بيده جلّ جلاله؛ وإنما أثر ذكر الخير؛ لأنه مطلوب العباد، ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجوداً في العالم من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»^(١) .

وقيل: إن الكلام إنما ورد ردّاً على المشركين فيما أنكروه مما [وعد]^(٢) الله به على لسان جبريل من فتح بلاد الروم وفارس، ووعد النبي ﷺ أصحابه بذلك، فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال .

(٢) في المطبوع: وعده.

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) .

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أي والشهادة؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أبداع ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومثله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لِمَنْ رَزَقْنَاهُ أَمْدًا ﴿٢٥﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾ [الجن: ٢٥-٢٦] ، أي وَالشَّهَادَةُ بِدَلِيلِ التَّصْرِيحِ بِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

وقوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات والرعد والبرق وطوى الباقي .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْبُ﴾ ^(١) فِي الْبَحْرِ [الإسراء: ٦٧] أي: والبر وإنما أثر ذكر البحر، لأن ضرره أشد .

وقوله: ﴿وَمَا يَلْبَسُهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: ٥٠] أي والمغرب .

وقوله: ﴿لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ لِحَكَاةٍ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي: ولا غير إلخاف .

وقوله: ﴿بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: وأخرى غير قائمة .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَّيْنَا سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] أي: والمؤمنين .

وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: والكافرين قاله ابن الأنباري، ويؤيده قوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ .

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرٍ بِدِينِهِ﴾ [البقرة: ٤١] قيل: المعنى: وآخر كافر به، فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام من جهة أن أول الكفر وآخره سواء، وخصت الأولوية بالذكر لقبها بالابتداء .

وقوله: ﴿أَوْلَىٰ بَرًّا إِلَىٰ الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ [الملك: ١٩] ، أي: ويبسطن، قاله الفارسي .

وَحَكَى فِي «التذكرة» عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أَخْفِيًا لِتَجْزَىٰ﴾ [طه: ١٥] أن المعنى: [أكاد أظهرها] [و] ^(٢) أخفيها لتجزي، ، فحذف أظهرها لدلالة أخفيها عليه . قال: وعندي أن المعنى ^(٣) : «أزيل خفاءها» فلا حذف .

وقوله: ﴿لَا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، أي بين أحد وأحد .

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِيٰ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾ [الحديد: ١٠] ، أي: ومن أنفق بعده

(١) في المطبوع: الصبر .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من م .

وقاتل، لأن الاستواء يطلب اثنين، وحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه، ألا تراه قال بعده: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَدْ لَئَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَسَكَرَ فسيحشُرُهُمُ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]، أي: ومن لا يستنكف ولا يستكبر بدليل التقسيم بعده [ق/١٨٢]، بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكفُوا﴾ [النساء: ١٧٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فاكتمى هنا بذكر الجهات الأربع عن الجهتين. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَوَيْتَ خَلْفِهِمْ﴾ [انفصلت: ١٤]، الاكتفاء بجهتين عن سائرهما.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَىٰ عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]، أي: ولم تعبدني. وقوله: ﴿إِنْ أَرَادُ هَٰكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦] [المعنى] (١) أي: ولا والد؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف؛ وإنما يكون ذلك مع فقد الأب؛ فإن الأب يسقطها.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧] ولم يذكر القسم الآخر الذي تقتضيه «أما»؛ إذ وضعها لتفصيل كلام يحمل وأقل أقسامها قسمان، ولا ينفك عنهما في جميع القرآن إلا في موضعين هذا أحدهما؛ والتقدير: وأما من لم يتب ولم يؤمن ولم يعمل صالحا فلا يكون من المفلحين، والثاني في آل عمران: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا أحد القسمين، والقسم الثاني ما بعده، وتقديره: وأما الراسخون في العلم فيقولون.

وقوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] أي: وفعلوا غير الذي أمروا به؛ لأنهم أمروا بشيئين: بأن يدخلوا الباب سجدا وبأن يقولوا حطة، فبدلوا القول في [«حطة» «حطة»] (٢) وبدلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم، ولم يدخلوا ساجدين؛ والمعنى: إرادتنا حطة أي حط عنا ذنوبنا.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٨﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الظُّلُومُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١]، قال ابن عطية دخول «لا» على نية التكرار، كأنه قال: ولا الظلمات والنور ولا النور والظلمات، واستغنى بذكر الأوائل عن الثواني، ودل بمذكور الكلام على متروكه. وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإن قيل: ليس للفجر خيط أسود إنما الأسود من الليل.

(٢) في المطبوع: حطة حطة.

(١) سقط من المطبوع.

فأجيب: إن ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] متصل بقوله: ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ [البقرة: ١٨٧] والمعنى: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر، من الخيط الأسود من الليل، لكن حذف «من الليل» لدلالة الكلام ثم عليه ولوقوع الفجر في موضعه، لأنه لا يصح أن يكون ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] متعلقاً بالخيط الأسود؛ ولو وقع ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] في موضعه متصلاً بالخيط الأبيض، لضعفت الدلالة على المحذوف؛ وهو «من الليل» فحذف «من الليل» للاختصار وآخر «من الفجر» للدلالة عليه.

الثالث: من هذا قسم يسمى الضمير والتمثيل، وأعني بالضمير أن يضم من القول المجاور [به] ^(١) لبيان أحد جزأيه؛ كقول الفقيه: النبيذ مسكر فهو حرام، فإنه أضر «وكل مسكر حرام». ويكون في القياس الاستثنائي كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [ال عمران: ١٥٩] وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انفصوا من حوله، وهي المضمره، وانتفى عنه ﷺ أنه فظ غليظ القلب.

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] المعنى لو أفهمتهم لما أجدى فيهم التفهيم، فكيف وقد سلبوا القوة الفاهمة؛ فعلم بذلك أنهم مع انتفاء الفهم أحق بفقد القبول والهداية.

الرابع: أن [يستدل] ^(٢) بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما؛ فيضم للآخر فعل يناسبه كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] أي: واعتقدوا الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَهَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] أي: وشموا لها زفيراً. وقوله تعالى: ﴿لَمَذَمْتُمْ صَوْمِعُوعٍ وَبَيْعٍ وَصَلَوَاتٍ﴾ [الحج: ٤٠]، والصلوات لا تهدم فالتقدير: ولتركت صلوات.

وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧] فالفاكهة ولحم الطير، والخور العين لا تطوف، وإنما يطاف بها.

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، فنقل ابن فارس ^(٣) عن البصريين: أن الواو بمعنى «مع» أي: شركائكم كما يقال لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها أي: مع فصيلها.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في م: يسند.

(٣) الصحابي (ص/١٥٢).

وقال [آخرون] ^(١) : أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم اعتبارًا بقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ [يونس: ٣٨] .

واعلم أن تقدير فعل محذوف للثاني ليصح العطف هو قول الفارسي والفراء وجماعة من البصريين والكوفيين لتعذر العطف، وذهب أبو عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم إلى أن ذلك من عطف المفردات، وتضمن العامل معنى ينتظم المعطوف والمعطوف عليه جميعًا، فيقدّر آثروا الدار والإيمان ويبقى النظر في أنه أيهما أولى؟ ترجيح الإضمار أو التضمنين؟ واختار الشيخ أبو حيان تفصيلاً حسناً، وهو إن كان العامل الأول تصحّ نسبتة إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإضمار؛ لأنه أكثر من التضمنين نحو «يجدع الله أنفه وعينه» أي ويفقأ عينيه، فنسبة الجذع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصحّ فيه ذلك، كان العامل مضمناً معنى ما يصحّ نسبتة إليه؛ لأنه لا يمكن الإضمار كقولهم :
 علفئها تبنًا وماء بارداً ^(٢)

وجعل ابن مالك من هذا القبيل قوله تعالى : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] قال : لأن فعل أمر المخاطب لا يعمل في الظاهر، فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك»، لأن شرط المعطوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل في المعطوف عليه وهذا متعذر هنا لأنه لا يقال : «اسكن زوجك» .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَا تُضَكَّرْ وَلَا تُولَدُ وَلَا مَوْلُودٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ولا يصح أن يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل تاء المضارعة، أو للامر؛ فالواجب في ذلك أن تقدّر مرفوعاً بمقدر من جنس المذكور؛ أي : ولا يضارّ مولود له .

وقوله تعالى : ﴿وَالطَّيْرُ﴾ قال الفراء ^(٣) : التقدير : «وسخرنا له الطير» عطفًا على قوله : ﴿فَضَلًا﴾ وقيل : هو مفعول معه، ومن رفعه فليل : على المضمر في «آتى»، وجاز ذلك لطول الكلام بقوله : ﴿مَعَهُ﴾ وقيل : بإضمار فعل أي : ولتؤوب معه الطير .

الخامس : أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما؛ لأنه المقصود؛ كقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿فَمَنْ زَكَّاهُ يَكْفُرْ﴾ [طه: ٤٩] ولم يقل : «وهارون» لأن موسى المقصود المتحمل أعباء الرسالة، كذا قاله ابن عطية ^(٤) .

وغاص الزمخشري ^(٥) فقال : أراد أن يتم الكلام فيقول : «وهارون» ولكنه نكل عن

(٢) لذي الرمة.

(١) في المطبوع: الآخرون.

(٣) معاني القرآن (٢/٣٥٥-٣٥٦) .

(٤) المحرر الوجيز (٤/٤٦) .

(٥) الكشاف (٣/٦٧) .

خطاب هارون توقيًا لفصاحته وجِدَّة جوابه ووقع خطابه؛ إذ الفصاحة تنكّل الخصم عن الخصم للجدل، وتنكبه عن معارضته.

السادس: أن يُذكر شيثان، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] قال الزمخشري (١): تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه.

ويبقى عليه سؤال؛ وهو أنه: لم أوتر ذكر التجارة؟ وهلا أوتر اللهو؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة [ق/١٨٣]: إن التجارة لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها. ولأنه قد تُشغِل التِجَارَةُ عن العبادة ما لا يشغله اللهو.

واختلف في مواضع: منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة، وأعاد الضمير على الفضة وحدها؛ لأنها أقرب المذكورين؛ ولأنَّ الفِضَّةَ أكثر وجودًا في أيدي الناس والحاجة إليها أمس، فيكون كنزها أكثر، وقيل: أعاد الضمير على المعنى؛ لأن المكنوز دنائير ودراهم وأموال.

ونظيره: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، لأنَّ الطائفة جماعة. وقيل: من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المعنى تكتفي بإعادة الضمير على أحدهما استغناء بذكره عن الآخر اتكالا على فهم السامع، كقول حسان.

إِنْ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ وَدَمَا لَمْ يَعَاصَ كَانَ جُنُونًا
ولم يقل «يعاصا».

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وقد جعل ابن الأنباري في كتاب «الهاءات» ضمير ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ راجعًا إلى الجنود.

ونقل عن قتادة قال: هم الملائكة. والأشبه أن يأتي هنا بما سبق.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] فقيل: «أحق» خبر عنهما، وسهل أفراد الضمير بعدم أفراد «أحق»، وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله.

وقيل: «أحق» خبر عن النبي ﷺ، وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

وقيل: العكس، وإنما أفرد الضمير لثلاثا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد كما

جاء في الحديث «قل ومن يعص الله ورسوله»^(١) قال الزغشري: قد يقصدون ذكر الشيء فيذكرون قبله ما هو سبب منه، ثم يعطفونه عليه مضافاً إلى ضميره، وليس لهم قصد إلى الأول كقوله: سرني زيد وحسن حاله؛ والمراد حسن حاله. وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر المعنى، ورسول الله أحق أن يُرضوه. ويدلُّ عليه ما تقدمه من قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١]؛ ولهذا وحده الضمير، ولم يشنْ.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الأنفال: ٢٠].
ومنها قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ ف قيل: الضمير للصلاة لأنها أقرب المذكورين. وقيل: أعاده على المعنى؛ وهو الاستعانة المفهومة من استعينوا. وقيل: المعنى على التثنية؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢] وهو نظير آية الجمعة كما سبق.

وفي هاتين الآيتين لطيفتان: وهما أنّ الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في آية الجمعة على التجارة، وإن كانت أبعد، ومؤنثة أيضاً؛ لأنها أجذب للقلوب عن طاعة الله من اللهو؛ لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين باللهو؛ أو لأنها أكثر نفعا من اللهو، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً، لأنه ضرب بالطبل لقدمه، كما جاء في صحيح البخاري: «أقبلت عبر يوم الجمعة»^(٢) وأعاده في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النساء: ١١٢] على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير فتدبر ذلك [وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاقِشُ﴾ [المزمل: ٢٠] ف قيل الأصل لحضورها]^(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذْكَ فَتَقَرَّبُوا﴾ [يونس: ٥٨]، أي: بذلك القول.

السابع: الحذف المقابلي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُرْسِنُهُمْ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يَجْحَرُونَ﴾ [هود: ٣٥]، الأصل: فإن افترسنته فعلى إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجحرون، فنسبة قوله تعالى: «إجرامي»، وهو الأول إلى قوله: «وعليكم إجرامكم» - وهو الثالث - كنسبة قوله: «وأنتم برآء منه» - وهو الثاني - إلى قوله «وعليكم إجرامكم» - وهو الثالث - كنسبة قوله «وأنتم برآء منه» - وهو الثاني - إلى قوله

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١٦) ومسلم (٨٦٣).

(١) أخرجه مسلم (٨٧٠).

(٣) سقط من المطبوع.

تعالى : ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥] ؛ - وهو الرابع - واكتفى من كل متناسبين بأحدهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥] تقديره : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية .

وقوله تعالى : ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] ، تقديره - كما قال المفسرون - : «ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم» عند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيداً بمدة الحياة الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿فَاعْتَرَلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا قُرْبَهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ؛ فتقديره : لا تقربوهن حتى يَطْهَرْنَ وَيَطْهَرْنَ فإذا طَهَّرْنَ وَتَطَهَّرْنَ فأتوهن ؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء : نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ؛ ويحذف من أحدهما للدلالة الآخر عليه .

واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات ؛ وبهذا التقدير يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر ، والتطهر جميعاً ؛ وهو مذهب الشافعي^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢] تقديره : «أدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج» ؛ إلا أنه قد عرّض في هذه المادة تناسباً بالطباق ؛ فلذلك بقي القانون فيه ، الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ، ونسبة الثاني إلى الرابع على حالة الأكثرية ؛ فلم يتغير عن موضعه ؛ ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني ، وبين الثالث والرابع ، وهي نسبة التظهير كقوله :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَلُّهُ الْقَطْرَ^(٢)

أي : هزة بعد انتفاضة ، كما انتفض العصفور بلله القطر ، ثم اهتز . كذا قاله جماعة .

وأنكره ابن الصائغ ، وقال : هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خُلُفاً ؛ وإنما أحوجهم إليه أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ؛ و«يخرج» مجزوم على الجواب فاحتاج أن نقدر جواباً لازماً ، وشرطاً ملزوماً حذفاً لأنهما نظير ما ثبت ؛ لكن وقع في تقدير ما لا

(١) وهو مذهب مالك أيضاً .

انظر : «الأم» (٥٩/١) و«مغني المحتاج» (١١٠/١) و«المحرر» (٢٦/١) و«المهدنة» (٥٣/١) و«التفريع» (٢٠٩/١) و«المنتقى» (١١٧/١) .

وخالفهما أبو حنيفة - رحمه الله - انظر : «الهداية» (٣٣/١) و«بدائع الصانع» (٤٤/١) .

(٢) لأبي صخر الهذلي .

يفيد؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل، لكنه قد يُقدَّره تقديرًا بعيدًا؛ وهو: أدخلها تدخل كما هي، وأخرجها تخرج بيضاء؛ وهو بعد ذلك ضعيف، فيقال له: لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضروريًا بالفعل؛ فإذا قيل: إن جاءني زيد أكرمته؛ فهذا اللازم بالوضع؛ وليس بالضرورة، والإكرام لازم للمجيء، بل لوضع المتكلم للموضوع هنا أن الإدخال سبب في خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى؛ ألا ترى أنه لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزومًا ضروريًا إلا بضرورة صدق الوعد. فإن قال: لم أرد هذا؛ وإنما أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج. قيل: هذا من المعلوم الذي لا معنى للتخصيص عليه [ق/١٨٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] أصل الكلام: خلطوا عملًا صالحًا بسئياً، وآخر سئياً بصالح؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطاً، ومخلوطاً به؛ أي تارة أطاعوا وخلطوا بالطاعة بكبيرة، وتارة عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة. وقوله: ﴿فَأَمَّا يُأْيِنَكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمِنَ اتَّبَعِ هُدًى...﴾ [طه: ١٢٣] الآية فإن مقتضى التقسيم اللفظي: من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه، وهو صاحب الجنة ومن كذب يلحقه الخوف والحزن، وهو صاحب النار. فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى.

قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّوِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١] قال سيبويه في «باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى»: لم يشبهوا بالناعق؛ وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به؛ وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع إلا دعاء؛ ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى. انتهى. والذي أحوجه إلى هذا التقدير أنه لما شَبَّه الذين كفروا بالنبى ﷺ، - وهذا بناء على أن الناعق بمعنى الداعي؛ وليس بمتعين؛ لجواز ألا يراد به الداعي؛ بل الناعق من الحيوان شَبَّههم في تألفهم وتأتبهم بما ينطق من الغنم بصاحبه؛ من أنهم يدعون ما لا يسمع، ولا يبصر ولا يفهم ما يريده، فيكون ثم حذف.

وقيل: ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول بالثالث؛ لنسبة بينهما؛ وذلك أنه اكتفى بالذي ينطق - وهو الثالث المشبه به - عن المشبه وهو الكناية المضاف إليها في قوله: ومثلك، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة: وهو الذي غلط مَنْ وضعه في هذا النوع؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء للارتباط العطفى؛ على ما سلف. وقد قال الصفار: هذا الذي صار إليه سيبويه - من أنه حذف من الأول المعطوف عليه ومن الثاني المعطوف - ضعيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة، لأنَّ فيه حذفًا كثيرًا مع إبقاء حرف العطف؛ وهو الواو. ألا ترى أن ما قبلها مستأنف، والأصل مثلك ومثلهم؛ إلا أن يدعى أن الأصل ومثلك

ومثلهم، ثم حذف «مثلك» والواو التي عطفت ما بعدها، وبقيت الواو الأولى؛ ويزعم أنّ الكلام ربط مع ما قبله بالواو؛ وليس بينهما ارتباط وفيه ما ترى .

وقال ابن [الحاج] (١): عندي أنه لا حذف في الآية، والقصد تشبيه الكفار في عبادتهم للأصنام [٢] بالذي يتعق بما لا يسمع؛ فهو تمثيل داعٍ بداعٍ محقق لا حذف فيه؛ والكفار على هذا داعون؛ وعلى التأويل الأول مدعوون .

ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢] فإن فيه جملتين؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاءً بنصف الأخرى . وأصل الكلام: أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى ممن يمشي سويًا على صراط مستقيم، أمَّن يمشي سويًا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبًا؟

وإنما قلنا: إن أصله هكذا؛ لأن أفعل التفضيل لا بدّ في معناه من المفضل عليه وهاهنا وقع السؤال عمّن في نفس الأمر، هل هذا أهدى من ذلك أم ذلك أهدى من هذا؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حذف من هذه مذكور في تلك، والذي حذف من تلك مذكور في هذه، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة. ثم ترك أمر آخر لم يتعرّض له؛ وهو الجواب الصحيح لهذين الاستفهامين، وأيها هو الأهدى؟ لم يذكره في الآية أصلاً، اعتماداً على أن العقل يقول: الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبًا على وجهه .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] .

[فائدة] (٣)

قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وقد يعكس، وقد يحتمل اللفظ الأمرين:

فالأول: كقوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) في قراءة من رفع ملائكته أي: إن الله يصلي فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وليس عطفًا عليه (٤) . .

والثاني كقوله: ﴿يَتَحَوَّلُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ﴾ [الرعد: ٣٩] أي: ما يشاء . .

(١) في المطبوع: الحجاج .

(٢) في المطبوع: لأصنام .

(٣) في م: قاعدة .

(٤) قال الزمخشري: «قرئ: وملائكته بالرفع، عطفًا على محل إن واسمها، وهو ظاهر على مذهب الكوفيين، ووجهه عند البعدين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه» «الكشاف» (٣/ ٥٥٧) .

وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] أي: برىء أيضاً .

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] .

وقوله: ﴿يَسِّنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنَ نَسَائِكُورٍ إِنِ ارْتَبْتَهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾

[الطلاق: ٤] أي كذلك .

وجعل منه أبو الفتح ^(١) قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] التقدير: وأبصر بهم،

لكنه حذف لدلالة ما قبله عليه حيث كان بلفظ الفضلة، وإن كان ممتنعاً في الفاعل وهذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا: إن الجار والمجرور في «أسمع بهم وأبصر» في محل الرفع: فإن قلنا في محل النصب فلا .

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] والتقدير:

خلقهن الله فحذف «خلقهن» لقرينة تقدمت في السؤال .

وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١٠] ولم يقل «إنا كذلك»

[اختصاراً] ^(٢) واستغناء عنه بقوله فيما سبق ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ [الصافات: ٣٤] .

والثالث كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢] فقد قيل: إن «أحق» خبر عن

اسم الله تعالى، وقيل: بالعكس .

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾

[النساء: ١٤٠] فالفائدة في إعادة الجار والمجرور؛ أعنى «بها» . لأنه لو حذف من الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً أو كالمفعول الثاني لـ «سمعتهم» ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات؛ لجواز أن يكون متعلق الأول غير متعلق الثاني .

الثامن: الاختزال؛ وهو الافتعال من خزله، قطع وسطه، ثم نقل في الاصطلاح إلى

حذف كلمة أو أكثر، وهي إما اسم أو فعل أو حرف .

الأول: الاسم [حذف المبتدأ] ^(٣)

فمنه حذف المبتدأ كقوله تعالى [سيقولون] ^(٤) ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ و ﴿خَمْسَةٌ﴾ و ﴿سَبْعَةٌ﴾ أي:

هم ثلاثة وهم خمسة وهم سبعة .

(١) الخصائص (٣٠١/٢) . (٢) في المطبوع: اختياراً .

(٣) انظر: «الكامل» (ص/١١٧٧) و «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/١٥) .

(٤) سقط من المطبوع .

وقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] أي: إحداهما بدليل قوله بعده: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقوله: ﴿بَلَّغْ فَهَلْ يُهْمُكَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: هذا بلاغ [ق/ ١٨٥].

وقوله: ﴿بَلَّ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] أي: هم عباد.

وعلى هذا قال أبو علي قوله تعالى: ﴿بِشْرٍ مِّنْ ذٰلِكَمُ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] أي: هي النار.

وقوله: ﴿وَمَحَاقٍ يَتَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ﴾ [غافر: ٤٥] أي: هو النار.

ويمكن أن يكون «النار» في الآيتين مبتدأ، والخبر الجملة التي بعدها، ويمكن في الثانية أن تكون «النار» بدلاً من «سوء العذاب».

وقوله: ﴿فَقَالُوا سَجَرَ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤]، أي: هو ساحر.

وقوله: ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] ﴿وَقَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٩] أي: هذا الحق من ربكم، وليس هذا كما يظنه بعض الجهال أي: قل القول الحق فإنه لو أريد هذا لنصب «الحق»؛ والمراد إثبات أن القرآن حق، ولهذا قال: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق، بل هذا المعنى مذكور في قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله: ﴿أَلَمْ يَخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وقوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ أي: هذه سورة.

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦] أي: فعمله لنفسه وإساءته عليها، وقوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسْ فَنُورٌ﴾ [فصلت: ٤٩] أي: فهو ينوَس ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [متع: قليل] [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] أي تقلبهم متاع أو ذاك متاع ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطَّةُ﴾ [تأ: الله الموقدة] [الهمزة: ٥-٦] أي: والحطمة نار الله.

﴿إِنَّمَا تَرَىٰ بُشْكُرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] أي: كل واحدة منها كالقصر، فيكون من باب قوله: ﴿فَأَبْلِغُوهُمُ ثَمَنِينَ جِلْدَةً﴾ [النور: ٤] أي: كل واحد منهم والمحجوج إلى ذلك أنه لا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد، والقصر هو البيت من آدم كان يضرب على المال، ويؤيده قوله: ﴿يَجِلَّتْ صُفْرٌ﴾ أفلا تراه كيف شبهه بالجماعة أي: كل واحدة من الشرر كالجمل لجماعته فجماعته إذن مثل الجمالات الصفر: وكذلك الأول شررة منه كالقصر، قاله أبو الفتح بن جنى.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ [النساء: ١٧١] فقيل: إن «ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: «آلهتنا ثلاثة».

واعترض باستلزامه إثبات الإلهية لانصراف النفي الداخِل على المبتدأ أو الخبر إلى المعنى المستفاد من الخبر، لا إلى معنى المبتدأ وحينئذ يقتضى نفي عدة الآلهة لا نفي وجودهم.

قيل: وهو مردود لأن [نفي] ^(١) كون آلهتهم ثلاثة يصدق بألا يكون للآلهة الثلاثة وجود بالكلية، لأنه من السالبة المحصلة فمعناه ليس آلهتكم ثلاثة، وذلك يصدق بألا يكون لهم آلهة، وإنما حذف إيداناً بالنهي عن مطلق العدد المفهم للمساواة بوجه ما، فما ظنك بمن صرح بالشركة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ [المائدة: ٧٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [المائدة: ٧٣] فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ، لإفهامه مساواة ما كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَذَّبُون﴾ [الأنعام: ١] ولزم من نفي الثلاثة لامتناع المساواة المعلومة عقلاً والمدلول عليها بقوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١] ^(٢) نفي الشركة مطلقاً، فإن تخصيص النهي وقع في مقابلة الفعل، ودليلاً عليه، فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه ثلاثة.

ونحوه في الخروج على السبب ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مَكْرًا﴾ [آل عمران: ١٣٠]. وقال صاحب «إسفار الصباح» ^(٣). الوجه تقدير كون ثلاثة أو «في الوجود» ثم حذف الخبر الذي هو «لنا» أو «في الوجود» الحذف المطرد، وما دل عليه توحيد لا إله إلا الله. ثم حذف المبتدأ حذف الموصوف كالعدد؛ إذا كان معلوماً. كقولك: عندي ثلاثة أي دراهم، وقد علم بقرينة قوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وقد عورض هذا بأن نفي وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلهين، وأجيب بأن تقديره: «آلهتنا ثلاثة» يُوجب ثبوت الآلهة؛ وتقدير «لنا آلهة» لا يوجب ثبوت إلهين. فعورض بأنه كما لا يوجب فلا ينفيه.

فأجيب بأنه إذا لم ينغه فقد نفاه ما بعده من قوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١]. فعورض بأن ما بعده إن نفي ثبوت إلهين فكيف ثبوت آلهة.

فأجاب بأنه لا ينفيه، ولكن يناقضه لأن تقدير: آلهتنا ثلاثة يثبت وجود إلهين لانصراف النفي في الخبر عنه، بخلاف تقدير «لنا آلهة ثلاثة»، فإنه لا يثبت وجود إلهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة. وفي أجوبة هذه المقدمات نظر.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن إلياس الحموي الدمشقي، شرح فيه «ضوء المصباح في المعاني والبيان» له، وأسماء «إسفار الصباح عن ضوء المصباح». توفي سنة ٧١٨هـ.

قلت: وذكر ابن جني أن الآية من حذف المضاف أي: ثالث ثلاثة، لقوله في موضع آخر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

حذف الخبر (١)

نحو ﴿أَكَلَهَا دَايِبٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] أي: [وظلها] (٢) دائم.

وقوله في سورة ص بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال: ﴿هَذَا وَرِثَةٌ لِلطَّالِفِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ﴿٥٠﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيُنسَ إِلَيْهَا﴾ [ص: ٥٥-٥٦] قد أشارت الآية إلى مآل أمر الطالغين ومنه يفهم الخبر.

وقوله: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] أي: أهذا خير أمن جعل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه فحذف بدليل قوله: ﴿قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١].

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] قال سيبويه (٣): الخبر محذوف أي: فيما أتوه السارق والسارقة وجاء ﴿فَاقْطَعُوهُمَا﴾ جملة أخرى، وكذا قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ فيما نُقِصَ لَكُمْ.

وقال غيره: السارق مبتدأ فاقطعوا خبره، وجاز ذلك لأن الاسم عام فإنه لا يريد به سارقاً مخصوصاً، فصار كأسماء الشرط تدخل الفاء في خبرها لعمومها، وإنما قدر سيبويه ذلك لجعل الخبر أمراً، وإذا ثبت الإضمار فالفاء داخلة في موضعها تربط بين الجملتين، ومما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع مع أن الأمر الاختيار فيه النصب، قال: وقد قرأ ناس بالنصب (٤) ارتكاناً للوجه القوي في العربية، ولكن أبت العامة إلا الرفع، وكذا قال في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] مثل هنا خبر مبتدأ محذوف أي: فيما نُقِصَ عليكم مثل الجنة، وكذا قال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّهَا مِنكُمْ فَكَادُوهُمْ﴾ [النساء: ١٦] إنه على الإضمار.

وقد رد: بأنه أي ضرورة تدعو إليه هنا؟ فإنه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقديره دخول الفاء في الخبر فاحتيج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط، وأما هذا فقد وصل بفعل هو بمنزلة الذي يأتيك فله درهم.

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ٧٥-١٢٩) و«الإشارة إلى الإيجاز» (ص/ ١٥).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) الكتاب (١/ ١٤٣-١٤٤).

(٤) وهي قراءة عيسى بن عمر، وابن أبي عتبة.

وأجاب الصفار بأن الذي حمله على هذا أن الأمر دائر مع الضرورة، كيف كان لأنه إذا أضمر فقد تكلف وإن لم يضم كان الاسم مرفوعاً وبعده الأمر، فهو قليل بالنظر إلى «للذين يأتيانها» فكيفما عمل لم يخل من قبح.

وإن قَدَّر منصوبًا، وجاء القرآن بالألف على لغة من يقول «الزيدان» في جميع الأحوال وقع أيضًا في محذور آخر، فلهذا قدره هذا التقدير لأن الإضمار مع الرفع يتكافأان.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [نصت: ٤١] الخبر محذوف أي: يعذبون ويجوز أن يكون الخبر ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [نصت: ٤٤]. وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبا: ٣١] فأنتم مبتدأ، والخبر محذوف أي: حاضرون وهو لازم الحذف هنا.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أي: حل لكم كذلك [ق/ ١٨٦].

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] أما على قراءة التنوين فلا حذف، لأنه يجعله مبتدأ «وابن الله» خبر حكاية عن مقالة اليهود، وأما على قراءة من لم ينون، فقيل: إنه صفة والخبر محذوف أي: عزير ابن الله إلهنا، وقيل: بل المبتدأ محذوف أي إلهنا عزير وابن صفة.

ورجى بوجهين:

أحدهما: أنه لا يطابق و ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. والثاني: أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائداً إلى البتوة فكذب لأن صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة فلو قيل: زيد القائم فقيه فكذب انصرف التكذيب لإسناد فقهه لا لوصفه بالقائم. وفيه نظر؛ لأن الصفة ليست إنشاء، فهي خبر؛ إلا أنها غير تامة الإفادة فيصح تكذيبها والأولى تقويته، وأن يقال الصفة والإضافة ونحوهما في المسند إليه لواحق بصورة الأفراد أي: يريد أن يصوره هيئة خاصة ويحكم عليه كذلك، لكن لا سبيل إلى كذبه مع أنها تصورت فالوجه أن يقال: إن كذب الصفة بإسناد مسندها إلى معدوم الثبوت، ونظير هذه المسألة في الفقه ما لو قال: والله لا أشرب ماء هذا الكوز ولا ماء فيه.

وقال بعضهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ خبر الجملة أي: حكى فيه لفظهم أي: قالوا هذه العبارة القبيحة وحينئذ فلا يقدر خبر ولا مبتدأ.

وقيل: «ابن الله» خبر وحذف التنوين من «عزير» للعجمة والعلمية.

وقيل: حذف تنوينه لالتقاء الساكنين، لأن الصفة مع الموصوف كشيء واحد

[كقراءة] ^(١) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١-٢] على [إرادة] ^(٢) التثنية، بل هنا أوضح لأنه في جملة واحدة.

وقيل: «ابن الله» نعت ولا محذوف، وكأن الله تعالى حكى أنهم ذكروا هذا اللفظ إنكاراً عليهم إلا أن فيه [بُعْدًا] ^(٣)، لأن سيبويه قال: إن قلت وضعت العرب لتحكى به ما كان كلاماً لا قولاً، وأيضاً إنه لا يطابق قوله: ﴿وَقَالَتِ الْكُفْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] والظاهر أنه خير، والقولان منقولان، والصحيح في هذه القراءة أنه ليس الغرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد في هذا الشيء إلى أن يذكرون هذا النكر، كما تقول في قوم تغالوا في تعظيم صاحبهم أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيماً ثابتاً يقولون: زيد الأمير.

ما يحتمل الأمرين

قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يحتمل حذف الخبر أي: أجل أو حذف المبتدأ أي: فأمرى صبر جميل، وهذا أولى لوجود قرينة حالية هي -قيام الصبر به- دالة على المحذوف، وعدم قرينة حالية أو مقالية تدل على خصوص الخبر، وأن الكلام [مسوق] ^(٤) للإخبار بحصول الصبر له واتصافه به وحذف المبتدأ يحصل ذلك دون حذف الخبر، لأن معناه أن الصبر الجميل أجل ممن لأن المتكلم متلبس به. وكذلك يقوله مَنْ لم يكن وصفاً له؛ ولأن الصبر مصدر، والمصادر معناها الإخبار؛ فإذا حمل على حذف المبتدأ فقد أجرى على أصل معناه، من استعماله خبراً وإذا حمل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه. ومثاله قوله: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أي أمثل أو أولى لكم من هذا، أو أمرم الذي يطلب منكم. ومثله قوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ إما أن يقدر فيما أوحينا إليك سورة أو هذه سورة. وقد يجذفان جملة كقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يُبَسِّنَ مِنَ الْمَجِيضِ مِنَ نِسَائِكُمْ﴾ [الطلاق: ٤] الآية.

حذف الفاعل ^(٥)

المشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا بنى الفعل للمفعول.

ثانيها: في المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل مظهرًا يكون محذوفًا ولا يكون مضمراً نحو ﴿أَوْ إِطْعَمٌ﴾.

(١) في م: كقوله. (٢) في المطبوع: ارتد.

(٣) في المطبوع: نعتاً. (٤) في المطبوع: سوق.

(٥) انظر: «الخصائص» (٢/٢٥٨) و«الكامل» (ص/٨٤٥).

ثالثها: إذا لاقى الفاعل ساكنًا من كلمة أخرى، كقولك للجماعة: اضرب القوم، وللمخاطبة اضرب القوم.

وجوز الكسائي حذفه مطلقًا إذا ما وجد ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] أي: بلغت الروح.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتْ بِالحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي: الشمس.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاقِيتِهِمُ﴾ [الصافات: ١٧٧] يعني: العذاب لقوله قبله ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُحُبُكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] تقديره: فلما جاء الرسول سليمان.

والحق أنه في المذكورات مضمرة لا محذوف، وقد سبق الفرق بينهما.

أما حذفه وإقامة المفعول مقامه مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب:

منها: العلم به كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الانباء: ٣٧] ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ونحن نعلم أن الله خالقه.

قال ابن جنى: وضابطه أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إيابة الفاعل من هو.

ومنها: تعظيمه كقوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] إذ كان الذي قضاه عظيم القدر.

وقوله: ﴿وَرِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] قال الزمخشري في كشافه القديم: هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة «أُنزِلَ» مبنياً للفاعل، كما تقول: الملك أمر بكذا ورسم بكذا، وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا يقدر عليه إلا الله كقوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤] قال: كان طى ذكر الفاعل كالواجب لأمرين:

أحدهما: أنه إن تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده، كان ذكره فضلاً ولغوًا.

والثاني: الإيذان بأنه منه غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار به والتفرد بإيجاده. وأيضًا فما في ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يصفان ويرتفع به عن الابتذال والامتهان وعن الحسن: لولا أي مأذون لي في ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب. ومنها: مناسبة الفواصل نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نَعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل: ١٩] ولم يقل يجزيها.

ومنها: مناسبة ما تقدمه كقوله في سورة براءة: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧] لأن قبلها ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾ [التوبة: ٨٦] على بناء الفعل للمفعول فجاء قوله: ﴿وَطُبِعَ﴾ ليناسب بالختام المطع، بخلاف قوله فيما بعدها: ﴿وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣] فإنه لم يقع قبلها ما يقتضى البناء فجاءت على الأصل.

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه (١)

وهو كثير، قال ابن جني: وفي القرآن منه زهاء ألف موضع وأما أبو الحسن فلا يقيس عليه، ثم رده بكثرة المجاز في اللغة وحذف المضاف مجاز انتهى.

وشرط المبرد في كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه» (٢) لجوازه وجود دليل على المحذوف من عقل أو قرينة، نحو ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ أي: أهلها قال: ولا يجوز على هذا أن نقول: جاء زيد وأنت تريد غلام زيد، لأن المجيء يكون [ق/١٨٧] له ولا دليل في مثل هذا على المحذوف.

وقال الزمخشري في الكشاف القديم: لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع، ولا يقدم عليه إلا بدليل واضح وفي غير ملبس كقوله: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [وَمَا رُبُّكَ] (٣) وضَعْفُ بَدَلِكُ قَوْلٍ مِنْ قَدَرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَلْدِيْعُهُمْ﴾ أنه على حذف مضاف.

فإن قلت: كما لا يجوز مجيؤه لا يجوز خداعه، فحين جرَّك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه فهلا جرَّك إلى مثله امتناع خداعه!

قلت: يجوز في اعتقاد المنافقين تصور خداعه فكان الموضع ملبسًا فلا يقدر. انتهى. فمنه قوله تعالى: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: رحمته ويخاف عذابه، ﴿حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أي سد يأجوج ومأجوج.

﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ [مریم: ٤] شعر الرأس.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءة صلاتك ولا تخافت بقراءتها.

﴿وَلَكِنَّ الْآيَةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: بر من آمن بالله.

﴿فَلَمَّا آتَتْهَا نُورِي﴾ [طه: ١١] أي: ناحيتها [أو] (٤) الجهة التي هو فيها.

و﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢] أي: هل يسمعون دعاءكم بدليل الآية الأخرى.

(١) انظر: «الكامل» (ص/١١٧٧) و«الإشارة إلى الإيجاز» (ص/٨).

(٢) (ص/٣٢).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: و.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ [يونس: ٨٣] أي: من آل فرعون. ﴿إِذَا لَدَقْتَنكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] أي: ضعف عذابهما. ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَبْعُثُ﴾ [البقرة: ١٧١] أي: ومثل واعظ الذين كفروا كناعق الأنعام.

﴿وَأَرْزُقَهُمْ اللَّهُمُّ مِنْ رِزْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أي: مثل أمهاتهم. ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: شكر رزقكم، وقيل: تجعلون التكذيب شكر رزقكم.

وقوله: ﴿وَأَنَا مَا وَعَدْتُنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقوله: ﴿وَتَحْتَوُوا أَمْنَتَكُمْ﴾ أي: ذوي أماناتكم كالمودع والمعير، والموكل والشريك، ومن يدك في ماله أمانة لا يد ضمان، ويجوز أن لا حذف فيه، لأن «خنت» من باب «أعطيت»؛ فيتعدى إلى مفعولين ويقتصر على أحدهما.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] أي: أهل مدين بدليل قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ نَائِبًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥].

﴿وَسَتِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية وأهل العير. وقيل فيه وجهان: أحدهما: أن القرية يراد بها نفس الجماعة، والثاني: أن المراد [سؤال] (١) الأبنية نفسها لأن المخاطب نبي صاحب معجزة.

﴿أَلْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] ويجوز أن يقدر الحج حج أشهر معلومات. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: أمر ربك (٢).

﴿وَأُنشِرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] [أي: حب العجل قال الراغب (٣): إنه على بابه فإن في ذكر العجل] (٤) تنبيهاً على أنه لفرط محبتهم صار صورة العجل في قلوبهم لا [تنمحي] (٥).

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِي ۖ ﴿١٠٠﴾ ﴿إِذْ﴾ [الفجر: ٦-٧]؛ فإرم اسم لموضع، وهو في موضع جر إلا أنه منع الصرف للعلمية والتأنيث، أما العلمية فواضح، وأما التأنيث فللقوله: ﴿ذَاتِ الْأُمْدَادِ﴾.

(٢) تقدم التعليق على هذا.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) المفردات (ص/٧٥٧) بمعناه.

(٥) في المطبوع: تمحي.

وقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢] أي: بسؤالها فحذف المضاف [وقدرت بالمصدر المحذوف الإضافة إلى المفعول به] ^(١) ولم يكفروا بالسؤال، إنما كفروا بربهم المستول عنه، فلما كان السؤال سبباً للكفر فيما سألوا عنه نسب الكفر إليه على الاتساع.

وقيل: الهاء عائدة على غير ما تقدم لقوة هذا الكلام بدليل أن الفعل تعدى بنفسه، والأول بغيره وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى، وقوم عيسى من الآيات ثم كفروا فمعنى السؤال الأول، والثاني الاستفهام ومعنى الثالث طلب الشيء.

وقوله: ﴿حَرَمْتَ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةَ﴾ [المائدة: ٣] أي: تناولها لأن الأحكام لا تتعلق بالأجرام إلا بتأويل الأفعال.

وقيل: إن الميئة يعبر بها عن تناولها، فلا حذف ولو كان ثمَّ حذف لم يؤنث الفعل؛ ولأن المركب إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية؛ والمفهوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير فيكون اللفظ موضوعاً له، والمشهور في الأصول أنه من محال الحذف. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [المنكوب: ٩] [فها هنا إضمار لأن قائلاً لو قال: «من عمل صالحاً جعلته في جملة الصالحين»، لم يكن فائدة وإنما المعنى لندخلنهم في زمرة الصالحين] ^(٢).

وقوله: ﴿تَجْمَلُونَ قَرَأْتِسَ﴾ أي: ذا قراطيس أو مكتوباً في قراطيس ﴿تُدُونَهَا﴾ أي تبدون مکتوبها.

وقوله: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ ليس المعنى تخفونها إخفاء كثيرًا، ولكن التقدير تخفون كثيرًا من إنكار ذي القراطيس، أي: يكتُمونه فلا يظهره كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُذَكِّاتِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٥٩] ويدل له قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله: ﴿مَسَّاتِ أَوْدِيَةً يَقْدَرُهَا﴾ [الرعد: ١٧] أي: بقدر مياهها.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُ يُوسُفَ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] أي: هم بدفعها أي عن نفسه في هذا التأويل بتنزيه يوسف ﷺ عما لا يليق به، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصغائر والكبائر، وعليه فينبغي الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢٤].

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

تنبيه في جواز حذف المضاف مع الالتفات إليه

اعلم أن المضاف إذا علم جاز حذفه مع الالتفات إليه، فيعامل معاملة الملفوظ به من عود الضمير عليه [وغير ذلك] ^(١)، ومع اطراحه يصير الحكم في عود الضمير للقائم مقامه .
فمثال استهلاك حكمه وتناسي أمره: قوله تعالى [**وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ**] يوسف: ٨٢] إذ لو راعى المحذوف لجر القرية وجوزوا أيضاً مراعاة المحذوف بدليل قوله تعالى ^(٢): **﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لَبِيٍّ يَبْشُهُ مَوْجٌ﴾** [النور: ٤٠] فإن الضمير في **﴿يَبْشُهُ﴾** عائد على المضاف المحذوف بتقدير: أو كذى ظلمات .

وقوله: **﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾** أي: كمثل ذوي صيب، ولهذا [أرجع] ^(٣) الضمير إليه مجموعاً في قوله: **﴿يَجْعَلُونَ أَسْبِعَ لِمِمْ فِي آذَانِهِمْ﴾** [البقرة: ١٨] ولو لم يراع لأفرده أيضاً .
وقوله: **﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾** ولولا ذلك لحذفت التاء، لأن القوم مذكر ومنه قول حسان ^(٤) [رضي الله عنه] ^(٥).

يسقون مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ ^(٦) عليهم بَرَدَى ^(٧) يُصَفَّقُ ^(٨) بالرحيق السلسل
بالباء أي: ماء بردى ولو راعى المذكور لآتى بالتاء .

قالوا: وقد جاء في آية واحدة مراعاة التانيث والمحذوف وهي قوله تعالى: **﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا بِنْتَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾** [الأعراف: ٤] أنت الضمير في **﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾** و **﴿فِجَاءَهَا﴾** لإعادتهما على القرية المؤنثة وهي الثابتة ثم قال: **﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾** فأتى بضمير من يعقل حملاً على «أهلها» المحذوف . وفي تأويل إعادة الضمير على التانيث وجهان: أحدهما: أنه لما قام مقام المحذوف صارت المعاملة معه، والثاني: أن يقدر في الثاني حذف المضاف كما قدر في الأول فإذا قلت: سألت القرية وضربتها فمعناه: وضربت أهلها فحذف [ق/ ١٨٨] المضاف كما حذف من الأول إذ وجه الجواز قائم .

وقيل: هنا مضاف محذوف والمعنى: أهلكتنا أهلها وبياتاً حال منهم أي: مبيتين و **﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾** جملة معطوفة عليها ومحلها نصب .

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) ديوانه (ص/ ٣٠٩) .

(١) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: رجع.

(٥) زيادة من م .

(٦) قال ابن سيده: البريص: نهر بدمشق، وقال ابن دريد: وليس بالعربي الفصحح وقد تكلمت به العرب .

(٨) صفق الشراب: مزجه .

(٧) نهر بدمشق.

وأنكر الشلوبين مراعاة المحذوف، وأول ما سبق على أنه من باب الحمل على المعنى ونقله عن المحققين لأن القوم جماعة، ولهذا [يؤنثوا] ^(١) تأنيث الجمع نحو هي الرجال وجمع التكسير عندهم مؤنث، وأسماء الجمعوع تجري مجراها، وعلى هذا جاء التأنيث لا على الحذف، وكذا القول في البيت.

وفي قراءة بعضهم ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قدره «عرض الآخرة». والأحسن أن يقدر «ثواب الآخرة»؛ لأن العرض لا يبقى بخلاف الثواب.

حذف المضاف إليه (٢)

وهو أقل استعمالاً كقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقوله: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وكذا كل ما قطع عن الإضافة مما وجبت إضافته معنى لا لفظاً كقوله تعالى: ﴿لِيَلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] أي: من قبل ذلك ومن بعده.

حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف المضاف إلى مضاف، فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث كقوله تعالى: ﴿وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: بدل شكر رزقكم ^(٣).

وقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت.

وقيل: الرزق في الآية الأولى الحظ والنصيب، فلا حاجة إلى تقدير وكذلك قدرت في الثانية «كالذي» حالاً من الهاء والميم «في أعينهم» لأن المضاف بعض فلا تقدير.

وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] وقدره أبو الفتح في «المحتسب» على أفعال أهل النار.

وأما قوله: ﴿يَوْمَ الْمَوْتِ﴾ فالتقدير: من مداناة الموت أو مقاربتة، ولا ينكر عسره على الإنسان ولكن إذا دفع إلى أمر هابه.

ومثله الآية الأخرى ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

وقوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنَ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] أي: من أثر حافر فرس الرسول.

(١) في المطبوع: يؤنث.

(٢) انظر: «الكامل» (ص/١١٧٧) و«المفصل» (ص/١١٧).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/٤٦٩).

وقوله: ﴿مَّا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٧] أي: من أموال كفار أهل القرى.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب.

وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] الآية فإن التقدير كمثل: ذوي صيب، فحذف

المضاف والمضاف إليه، أما حذف المضاف فلقرينة عطفه على ﴿كَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾

[البقرة: ١٧] وأما المضاف إليه فلدلالة ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذُنُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩] عليه فأعاد الضمير

عليه مجموعاً، وإنما صير إلى هذا التقدير لأن التشبيه بين صفة المنافقين، وصفة ذوي الصيب

لا بين صفة المنافقين وذوي الصيب.

حذف الجار والمجرور (١)

كقوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ [التوبة: ١٠٢] أي: بسبب ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾ أي: بصالح.

وكذا بعد أفعال التفضيل كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [المنكوت: ٤٥] أي: من كل

شيء.

﴿فَإِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] أي: من السر، وكلام الزمخشري في (المفصل) (٢)

يقتضي أنه مما قطع فيه عن متعلقه قصداً لنفي الزيادة نحو: فلان يعطى ليكون كالفعل المتعدي

إذا جعل قاصراً للمبالغة، فعلى هذا لا يكون من الحذف، فإنه قال: أفعال التفضيل له معنيان

أحدهما: أن يراد أنه زائد على المضاف إليه في الجملة التي هو وهم فيها شركاء، والثاني: أن

يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه، لكن بمجرد

التخصيص كما يضاف ما لا تفضيل فيه نحو قولك: الناقص والأشج أعدلا بني مروان.

كأنك قلت: عادلا انتهى.

حذف الموصوف (٣)

يشترط فيه أصراً:

أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف حتى يحصل العلم بالموصوف، فمتى كانت

الصفة عامة امتنع حذف الموصوف نص عليه سيبويه في آخر باب ترجمة «هذا باب مجازي

وأخر الكلم العربية» (٤)، وكذلك نص عليه أرسطاطاليس في كتابه الخطابة.

الثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي لتعلق غرض السياق كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

(١) الإشارة إلى الإيجاز (ص/١٦).

(٢) (ص/١٠٦).

(٣) انظر: «الخصائص» (٢/٢٤٨) و«المثل السائر» (٢/٩٤).

(٤) الكتاب (١/٢١-٢٢).

عَلِيمٌ بِالْمُنْتَفِقِ ﴿ [آل عمران: ١١٥] ﴿وَأَلَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥] فإن الاعتماد في سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من المدح أو الذم بها .

كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتٌ أُطْرَفُ﴾ [الصافات: ٤٨] [أي: حور قاصرات] (١) .

وقوله: ﴿وَدَائِبُهُ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ [الإنسان: ١٤] أي: وجنة دانية .

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣] ، أي: العبد الشكور .

وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُنْتَفِقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أي: القوم المنتفين .

وقوله: ﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِّرَ﴾ [القمر: ١٣] أي: سفينة ذات ألواح .

وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] أي: الأمة القيمة .

وقوله: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ﴾ [سبا: ١١] أي: دروعاً سابغات .

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩] أي: يا أيها الرجل الساحر .

وقوله: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] أي القوم المؤمنون .

وقوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [البقرة: ٦٢] أي: عملاً صالحاً .

(٢) حذف الصفة

وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكان التنكير حينئذ علم عليه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] أي: وزناً نافعاً .

وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] : أي من جوع شديد وخوف عظيم .

وقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨] أي: شيء نافع .

وقوله: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الذاريات: ٤٢] أي: سلطت عليه .

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩] أي: جامعاً لأكمل [كل] (٣) صفات الرسل .

وقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] أي: صالحة . وقيل: إنها قراءة ابن عباس .

وفيه بحث وهو أنا لا نسلم الإضمار بل هو عام مخصوص .

وقوله: ﴿يَفْكَهَهُ كَكَيْفِهِ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١] أي: كثير، بدليل ما قبله .

(١) سقط من م .

(٢) انظر: «الخصائص» (٢/ ٢٥١) و«المثل السائر» (٢/ ٩٤) .

(٣) سقط من م .

ويجيء في العرف كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] أي: المبين.
 وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] أي: الناس الذين يعادونكم وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] أي الناجين.
 وقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام: ٦٦] أي: قومك المعاندون.
 ومنه: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥] أي: من أولى الضرر
 ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ﴾ [النساء: ٩٥] أي: من غير أولى الضرر.
 قاله ابن مالك وغيره وهذا التقدير يزول إشكال [التقدير] ^(١) من الآية.
 وقوله تعالى: [فقد] ^(٢) ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ [يونس: ١٦] أي: لم أتل عليكم فيه شيئاً، فحذفت الصفة أو الحال، قيل: والعمر هنا أربعون سنة.

حذف المعطوف ^(٣)

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ ﴿أَتُرَىٰ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: ٥١] التقدير: أعموا! أمكثوا! أكفرتم!
 وقوله: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [النمل: ٤٩] أي: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه، بدليل
 قوله: ﴿لَتَنبَيْئَنَّهُمْ وَآهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩] أي: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه، بدليل قوله:
 ﴿لَتَنبَيْئَنَّهُمْ وَآهْلَهُ﴾ وما روى أنهم كانوا عزموا على قتله، وقتل أهله وعلى هذا فقولهم ﴿وَرِثْنَا لَصَدِيقُونَ﴾ كذب في الإخبار.
 وأوهوا قومهم أنهم [إذا] ^(٤) قتلوه وأهله سراً ولم يشعر بهم أحد، وقالوا تلك المقالة [ق/ ١٨٩] يوهون أنهم صادقون وهم كاذبون.
 ويحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه أي ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله.
 وقال بعض المتأخرين: أصله ما شهدنا مهلك أهلك بالخطاب، ثم عدل عنه إلى الغيبة فلا حذف.

وقد يحذف المعطوف مع حرف العطف مثل: ﴿لَا يَسْتَوِي سِنُّكَ مِّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَكَذَلِكَ﴾ [الحديد: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِّنْ قَوْمِكَ مَرَرْنَا مِرْفَهُهَا فَنُقِصُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] أي: أمرنا مترفيها

(٢) في المطبوع: لقد.

(٤) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: التكرار.

(٣) انظر: «الخصائص» (٢/ ٢٥٣).

فخالقوا الأمر ففسقوا، وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية، وأنه ليس الفسق مأموراً به ويحتمل أن يكون: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ صفة للقرية لا جواباً لقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً مِنْ صَفَتِهَا أَنَا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استغناء بالسياق كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

حذف المعطوف عليه (١)

﴿فَلَنْ يُفْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِوَجْهِهِ﴾ [آل عمران: ٩١] أي: لو ملكه ولو افتدى به.

ويجوز حذفه مع حرف العطف، كقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فأفطر فعدة.

وقوله: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] التقدير: فضرب فانفلق، فحذف المعطوف عليه وهو «ضرب»، وحرف العطف وهو الفاء المتصلة بـ«انفلق» فصار: ﴿فَأَنْفَلِقَ﴾ فالفاء الداخلة، على «انفلق» هي الفاء التي كانت متصلة: بـ «ضرب» وأما المتصلة بـ«انفلق» فمحذوفة.

كذا زعم ابن عصفور والأبدي، قالوا: والذي دل على ذلك أن حرف العطف إنما نوى به مشاركة الأول للثاني، فإذا حذف أحد اللفظين - أعنى لفظ المعطوف أو المعطوف عليه - ينبغي ألا يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله.

وقال ابن الضائع: ليس هذا من الحذف بل من إقامة المعطوف مقام المعطوف عليه، لأنه سببه، ويقام السبب كثيراً مقام مسببه، وليس ما بعدها معطوفاً على الجواب بل صار هو الجواب، بدليل ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾ هو جواب الأمر.

حذف المبدل منه (٢)

اختلفوا فيه، وخرج عليه قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَسْمَانَكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦].

حذف الموصول

قوله: ﴿عَامِنًا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [المنجوت: ٤٦] أي: والذي أنزل إليكم لأن (الذي أنزل إلينا) ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا، ولذلك أعيدت ما بعد ما في قوله: ﴿قُولُوا

(١) انظر: «الخصائص» (٢/٢٤٦). (٢) الخصائص (٢/٢٥٣).

﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٣٦] وهو نظير قوله: [﴿أَمَّا نَسُوا فَأَمْؤُا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقوله [١]: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنَّبِيِّ وَالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَمْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤] أي: من له. وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواب الحذف كونه معطوفاً على موصول آخر، ويؤيده هذه الآية قال: ولا يحذف موصول حرفي إلا «أن» كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤].

حذف المخصوص في باب نعم إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] التقدير: نعم العبد أيوب أو نعم العبد هو، لأن القصة في ذكر أيوب، فإن قدرت نعم العبد هو؛ لم يكن «هو» عائداً على العبد بل على أيوب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ يَعْمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] فسلیمان هو المخصوص المدح، وإنما لم يكرره [٢] لأنه تقدم منصوباً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] أي: نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] أي: الجنة أو دارهم.

﴿فَتَعَمَّ عَقَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] أي: عقابهم. ﴿وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] أي: أجرهم. وقال: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَكَيْسَ الْعَشِيرِ﴾ [الحج: ١٣] أي: من ضره أقرب من نفعه.

وقال تعالى ﴿قُلْ يَسْكَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: إيمانكم بما أنزل عليكم وكفركم بما وراءه. وقد يحذف الفاعل والمخصوص كقوله تعالى: ﴿يَسْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] أي: بشس البدل إبليس وذريته، ومنه قوله ﷺ ﴿فَبِهَا وَنِعْمَتْ﴾ [٣] أي نعمت الرخصة.

حذف الضمير المنصوب المتصل (٤)

يقع في أربعة أبواب:

أحدها: الصلة كقوله تعالى: ﴿أَهْدَا الَّذِي بَسَّكَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

(١) سقط من م. (٢) في المطبوع: يكرر.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٤) والترمذي (٤٩٧) والنسائي (١٢٨٠) وأحمد (٢٠١٠١).

قال الترمذي: حديث حسن، وكذا حسنه الشيخ الألباني -رحمه الله-.

(٤) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/ ١٨).

الثاني: الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] أي: فيه، بدليل قوله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] ولذلك يقدر في الجمل المعطوف على الأولى لأن حكمهن حكمها، فالتقدير: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] فيه.

ثم اختلفوا، فقال الأخفش^(١): حذفت على التدرج أي: [حرف] (٢) العطف فاتصل الضمير فحذف، وقال سيبويه: حذفاً معاً لأول وهلة.

وقيل: عُدِّي الفعل إلى الضمير أولاً اتساعاً، وهو قول الفارسي.

وجعل الواحد من هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١] أي: منه وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسْبٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] أي: ما للظالمين منه.

وفيه نظر، أما الأولى فلأن ﴿يَغْنِي﴾ جملة قد أضيف إليها اسم الزمان، وليست صفة وقد نصوا على أن عود ضمير إلى المضاف من الجملة التي أضيف إليها الظرف غير جائز، حتى قال ابن السراج^(٣): فإن قلت: أعجبتني يوم قمت فيه امتنعت الإضافة: لأن الجملة حيثئذ صفة، ولا يضاف موصوف إلى صفته، قال ابن مالك: وهذا مما خفي على أكثر النحويين. وأما الثانية فكأنه يريد أن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسْبٍ﴾ [غافر: ١٨] صفة ليوم المضاف إليها الأزمنة، وذلك متعذر لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة، والظاهر أن الجملة حال منه ثم حذف العائد المجرور به (في) كما يحذف من الصفة.

الثالث: الخبر، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النساء: ٩٥]. في قراءة ابن عامر.

الرابع: الحال.

تنبيه عن ابن الشجري في تفاوت أنواع الحذف

قال ابن الشجري: أقوى هذه الأمور في الحذف الصلة لطول الكلام فيها، لأنه أربع كلمات نحو: جاء الذي ضربت وهو الموصول والفعل، والفاعل، والمفعول ثم الصفة، لأن الموصوف قائم بنفسه، وإنما أتى بالصفة للتوضيح، ثم الخبر لانفصاله عن المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه.

ووجه التفاوت أن الصفة رتبة متوسطة بين الصلة والخبر؛ لأن الموصول وصلته كالكلمة الواحدة ولهذا لا يفصل بينهما، والصفة دونها في ذلك ولهذا يكثر حذف الموصوف وإقامة

(٢) في المطبوع: حذف.

(١) معاني القرآن (١/٩٢).

(٣) الأصول في النحو (٢/١٥) بمعناه.

الصفة مقامه، والخبر دون ذلك فكان الحذف أكد في الصلة من الصفة، لأن هناك شيئين يدلان على الحذف، الصفة تستدعي موصوفاً والعامل يستدعيه أيضاً.
ويستحسن ابن مالك هذا الكلام، ولم يتكلم على الحال لرجوعه إلى الصفة.

حذف المفعول (١)

وهو ضربان:

أحدهما: أن يكون مقصوداً مع الحذف، فينوى لدليل ويقدر في [ق/ ١٩٠] كل موضع ما يليق به كقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] أي يريد.

﴿فَنَشْنَهَا مَا عَشَى﴾ [النجم: ٥٤] أي غشاها إياه.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

﴿أَنْ شَرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرْعَمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

وكل هذا على حذف ضمير المفعول، وهو مراد حذف تخفيفاً لطول الكلام بالصفة، ولولا إرادة المفعول - وهو الضمير - لخلت الصلة من ضمير يعود على الموصول، وذلك لا يجوز. وكان في حكم المنطوق به، فالدلالة عليه من وجهين: اقتضاء الفعل له، واقتضاء الصلة إذا كان العائد.

ومنه قوله تعالى: «وما عملت أيديهم» في قراءة حمزة والكسائي بغير هاء أي ما عملته بدليل قراءة الباقيين «ما» في موضع خفض للعطف على ﴿ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز أن تكون «ما» نافية والمعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم فيكون أبلغ في الامتنان ويقوى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُمْ أَمْ نَحْنُ الرَّاعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] وعلى هذا، فلا تكون الهاء مرادة لأنها غير موصولة.

وجعل بعضهم منه قوله تعالى: ﴿وَيَتْرَبُ بِمَاءٍ تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] وهو فاسد، لأن «شرب» يتعدى بنفسه.

والغرض حينئذ بالحذف أمور:

منها: قصد الاختصار عند قيام القرائن، والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ

(١) المثل السائر (٢/ ٩١) والمفصل (ص/ ٦١).

أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴿ [الاعراف: ١٤٣] لظهور أن المراد: أرني ذاتك، ويحتمل [أن] ^(١) يكون هاب المواجهة بذلك ثم براه الشوق، ويجوز أن يكون آخر ليأتي به مع الأصرح؛ لثلا يتكرر هذا المطلوب العظيم على المواجهة إجلالاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَّجَ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [القصص: ٢٧] الظاهر أنه متعد حذف مفعوله؛ أي: تأجرني نفسك.

وجعل منه السكاكي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَفَىٰ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ﴾ [القصص: ٢٣] فمن قرأ بكسر الدال من ﴿يُصَدِّرَ﴾ فإنه حذف المفعول في خمسة مواضع، والأقرب أنه من الضرب الثاني كما سنبينه فيه إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿فَمِاذَا أَفْضَلُ لِمَن عَرَفْتِ﴾ [البقرة: ١٩٨] أي أنفسكم.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [السجدة: ١٤] أي فذوقوا العذاب.

وقوله: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي ناساً أو فريقاً.

وقوله: ﴿فَأَذَعْنَا لِنَارِكَ يَخْرُجَ لَنَا﴾ [البقرة: ٦١] أي شيئاً.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] أي: غير السموات وقوله: ﴿فَلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] على أن الدعاء بمعنى التسمية التي تتعدى إلى مفعولين أي سموه الله أو سموه الرحمن، أيًا ما تسموه فله الأسماء الحسنى إذ لو كان المراد بمعنى الدعاء المتعدى لواحد لزم الشرك إن كان مسمى الله غير مسمى الرحمن، وعطف الشيء على نفسه إن كان عينه.

ومنها: [لقصد] ^(٢) الاحتقار كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] أي الكفار، ومنها قصد التعميم ولا سيما إذا كان في حيز النفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْنَىٰ الْأَيْدِيُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وكذا ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الاعراف: ٧٢] وكثيراً ما يعترى الحذف في رءوس الآي نحو ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

و ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الاعراف: ٥٨].

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسِرُونَ وَمَا يَحْتَشِرُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

(٢) في المطبوع: قصد.

(١) سقط من م.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] .

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] .

وكذا كل موضع كان الغرض إثبات المعنى الذي دل عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره .
ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] أي : كلٌّ [أحد] ^(١) ؛ لأن الدعوة عامة والهداية خاصة .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْكَ يَمُنُّونَ﴾ [المطففين: ٣] فكالم وزن يتعديان إلى مفعولين : أحدهما : باللام ، والتقدير : كالوا لهم ووزنوا لهم ، وحذف المفعول الثاني لقصد التعميم .

وما ذكرناه من كون «هم» منصوبًا في الموضع بعد اللام هو الظاهر ، وقرره ابن الشجري في أماليه قال : وأخطأ بعض المتأولين حيث زعم أن «هم» ضمير مرفوع أكدت به الواو كالضمير في قولك «خرجوا» هم ف«هم» على هذا التأويل عائد على المطففين .
ويدل على بطلان هذا القول أمراؤ :

أحدهما : عدم ثبوت الألف في (كالوهم) و(وزنوهم) ولو كان كما قال لأثبتوها في خط المصحف ؛ كما أثبتوها في قوله تعالى : ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ﴿قَالُوا لَنْبِئِكُمْ هُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦] ونحوه .

والثاني : أن تقدم ذكر «الناس» يدل على أن الضمير راجع إليهم ؛ فالمعنى : ﴿إِذَا أَكَلُوا عَلَىٰ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا للناس يفسرون .
وجعل الزمخشري ^(٢) من حذف المفعول قوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي في المصر . وعند أبي على أن الشهر ظرف ، والتقدير فمن شهد منكم [المصر] ^(٣) في الشهر .

ومنها : تقدم مثله في اللفظ كقوله تعالى : ﴿يَسْحَرُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ﴾ [الرعد: ٣٩] أي ويثبت ما يشاء .

فلما كان المفعول الثاني بلفظ الأول في عمومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه ؛ لدلالة ما ذكر عليه كقوله : ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةَ نَحْنُ أَكْبَرُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] .
وقوله : ﴿يَوْمَ نَبْدَلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] أي غير السموات .

(١) في م : واحد .

(٢) سقط من م .

(٣) الكشاف (١/٢٢٧-٢٢٨) .

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾ [الحديد: ١٠] أي: ومن أنفق من بعده وقاتل، بدليل ما بعده.

وقوله: ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩] أي أبصرهم بدليل قوله ﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾ وسبق عن ابن ظفر السرفي ذكر المفعول في الأول وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة، أن الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر، فلما تضمنت التَشْفِي قيل ﴿أَبْصَرْتُمْ﴾ وأما الثاني فالمراد بها يوم الفتح، واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم؛ فلم يكن وقتاً للتشفي بل للبروز ف قيل له ﴿أَبْصَرَ﴾ والمعنى فسيبصرون منكم عليهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] أي وعدكم ربكم، فحذف لدلالة قوله قبله ﴿مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا﴾ [الأعراف: ٤٤] قاله الزمخشري.

وقد يقال: أطلق ذلك ليتناول كل ما وعد الله من الحساب والبعث والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا يكذبون بذلك أجمع، ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك ليكون من الضرب الآتي:

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ﴾ [الزمر: ٢٢].
ومنها رعاية الفاصلة نحو ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣] [ق/ ١٩١] [أي ما فلاك] ① فحذف المفعول؛ لأن فواصل الآي على الألف.

ويحتمل أنه للاختصار لظهور المحذوف قبله؛ أي أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه، فحذف لدلالة ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ﴾.

ومنها البيان بعد الإبهام كما في مفعول المشيئة والإرادة، فإنهم لا يكادون يذكرونه كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

﴿فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [التورى: ٢٤].

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٩].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

التقدير لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل.

وشرط ابن النحوية في حذفه دخول أداة الشرط عليه، كما سبق من قوله: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُغَيِّرْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤].

و ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا يَسْمَلْ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]

﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْ عَلَى سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن [أن] (١) تكون إلا مثيلة الجواب، ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز أطراد حذف مفعولها، صرح به الزمخشري في تفسير سورة البقرة، وابن الزملاكي في البرهان والتنوخي في الأقصى كقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] وإنما حذفه لأن في الآية قبلها ما يدل على أنهم أمروا بالكذب، وهو يزعمهم إطفاء نور الله فلو ذكر أيضًا لكان كالمكرر فحذف وفسر بقوله: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب.

وينبغي أن يتمهل في تقدير مفعول المشيئة، فإنه يختلف المعنى بحسب التقدير، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] فإن التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني: ولو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لآتيناه، لا يصح إلا على ذلك لأنه إن لم يقدر هذا المفعول أدى والعياذ بالله إلى أمر عظيم، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق، لأن من شأن «لو» أن يكون الإثبات بعدها نفيًا، ألا ترى أنك إذا قلت: لو جئتني أعطيتك كان المعنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦] فقدرة النحويون فلم نشأ فلم نرفعه.

وقال ابن الخباز: الصواب أن يكون التقدير: «فلم نرفعه فلم نشأ» لأن نفي اللازم يوجب نفي الملزوم، فوجود الملزوم يوجب وجود اللازم، فيلزم من وجود المشيئة وجود الرفع، ومن نفي الرفع نفي المشيئة، وأما نفي الملزوم فلا يوجب نفي اللازم، ولا وجود اللازم وجود الملزوم انتهى.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فإن المقصود [منه] (٢) انتفاء وجود الآلهة لانتفاء لازمها وهو الفساد.

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطًا للثاني، لأنهم عدوا (لو) من حروف الشرط، وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط، وقد يكون الشرط مساويًا للمشروط بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط، ومن عدمه عدمه. والمقصود في الآية تعليل عدم

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

الرفع بعدم المشيئة لا العكس .

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] جعل انتفاء الملزوم سبباً لانتفاء اللازم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى، فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم، والفاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ للسببية وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكفرهم، ولعل ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد مع أن القول ما قاله ابن الحجاز، وأما ما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يقدح في القضية الكلية، ألا ترى أننا نقول الموجبة الكلية لا تنعكس كلية، مع أنها تنعكس كلية في بعض المواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق ولا يعد ذلك مبطلاً للقاعدة .

تنبيهان

التنبيه الأول

متى يذكر مفعول المشيئة والإرادة:

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور: أحدها: ما إذا كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً، فإنه لا يحذف كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْذَ لَدُنَّا لَاصْطَفَىٰ بِمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ...﴾ [الزمر: ٤] الآية أراد رد قول الكفار: «نحمد الله ولداً» بما يطابقه في اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد لأنه لو حذفه فقال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبني، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله .

ومثله [الإمام أبو العباس] (١) صاحب كتاب (٢) «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب العزيز» بقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا﴾ [الأنعام: ٣١] وقوله: ﴿إِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِزْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [النور: ٢٤] و ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] وفيما ذكره نظر .

قلت: [و] (٣) يجيء الذكر في مفعول الإرادة أيضاً، إذ كان كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْذَ لَهٗوًا﴾ [الأنبياء: ١٧] .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم بن محمد الحلبي، المعروف بالسمين، توفي سنة ٧٥٦هـ .

(٣) سقط من المطبوع .

الثاني: إذا احتيج لعود الضمير عليه، فإنه يذكر كقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ﴾ [الأنبياء: ١٧] فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه.

وقد يقال: الضمير لم يرجع عليه، وإنما عاد على معمول معموله.

الثالث: أن يكون السامع منكرًا لذلك أو كالمنكر، فيقصد إلى إثباته عنده، فإن لم يكن منكرًا فالحذف.

والحاصل أن حذف مفعول «أراد» و«شاء» لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة.

التنبيه الثاني

في إنكار أبي حيان للقاعدة السابقة:

أنكر الشيخ [أثير الدين] ^(١) أبو حيان في باب عوامل الجزم من شرح «التسهيل» هذه القاعدة، وقال: غلط البيانون في دعواهم لزوم حذف مفعول المشيئة إلا فيما إذا كان مستغربًا؛ وفي القرآن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَىٰ﴾ [المدثر: ٣٧] ولهم أن يقولوا: إن المفعول هاهنا عظيم، فلهذا صرح به فلا غلط على القوم، وأما قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦] فإذا جعلت «ماذا» بمعنى «الذي»، فمفعول «أراد» متقدم عليه، وإن جعلت «ذا» [وحدها] ^(٢) بمعنى «الذي»، فيكون مفعول «أراد» محذوفًا، وهو ضمير «ذا» ولا يجوز أن يكون «مثلاً» مفعول «أراد» لأنه أحد معموليه ولكنه حال.

فصل

وقد كثر حذف مفعول أشياء غير ما سبق، منها الصبر نحو ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦] ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾.

وقد يذكر نحو ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] قال الزمخشري ^(٣) في تفسير سورة الحجرات: قولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول؛ وهو النفس.

ومنها: مفعول «رأى» كقوله: ﴿أَعِنْدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرٌّ﴾ [النجم: ٣٥].

قال الفارسي: الوجه أن «برى» [هنا للتعدية لمفعولين؛ لأن رؤية الغائب لا تكون إلا علمًا، والمعنى عليه قوله ﴿عَلَيْكُمْ الْغَيْبِ﴾] ^(٤) وذكره العلم قال: والمفعولان محذوفان [ق/

(١) زيادة من م.

(٢) في المطبوع: وحده.

(٣) الكشاف (٧١٧/٢).

(٤) سقط من م.

١٩٢] فكأنه قال: فهو يرى الغائب حاضرًا أو حذف كما حذف في قوله: ﴿أَنْ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] أي تزعمونهم إياهم .

وقال ابن خروف: هو من باب الحذف لدليل، لأن المعنى دال على المفعولين، أي فهو يعلم ما يفعله ويعتقده حقًا وصوابًا، ولا فائدة في الآية مع الاقتصار، [و] (١) لأنه لا يعلم منه المراد وقد ذهب إليه بعض المحققين وعدل عن الصواب .

ومنها: وعد يتعدى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصار على أحدهما، كأعطيت قال تعالى ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨٠] فـ«جانب» مفعول ثان، ولا يكون ظرفًا لاختصاصه والتقدير: واعدناكم إتيانه أو [مكثًا] (٢) فيه .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [المائدة: ٩] .

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] فإحدى الطائفتين في موضع نصب؛ بأنه المفعول الثاني، وأنها لكم بدل منه، والتقدير: وإذ يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها .

وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] فلم يعد الفعل فيها إلا إلى واحد ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ تفسير للوعد ومبين له، كقوله تعالى: ﴿يُؤَسِّسُ اللَّهُ فِي بُرُوجِكُمْ مِثْلَ حُجْرٍ مِثْلَ حُجْرٍ الْأَنْثِيَّ﴾ [النساء: ١١] فالجمله الثانية تبين للوصية لا مفعول ثان . وأما قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّ الْحَقَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فإن هذا ونحوه، يحتمل أمرين: انتصاب الوعد بالمصدر، وبأنه المفعول الثاني على تسمية الموعود به وعدا .

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] فمما تعدى فيه «وعد» إلى اثنين، لأن «الأربعين» [ليلة] (٣) لو كان ظرفًا لكان الوعد في جميعه؛ يعني من حيث إنه معدود، فيلزم وقوع المظروف في كل فرد من أفرادها، وليس الوعد واقعًا في «الأربعين» بل ولا في بعضها .

ثم قدر الواحدي وغيره محذوفًا مضافًا إلى «الأربعين»، وجعلوه المفعول الثاني فقالوا: التقدير وإذ اعدنا موسى انقضاء أربعين أو تمام أربعين، ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه . قال بعضهم: ولم يظهر لي وجه عدولهم عن كون «أربعين» هو نفس المفعول إلى تقدير هذا

(٢) في م: مكناكم .

(١) سقط من م .

(٣) سقط من المطبوع .

المحذوف، إلا أن يقال: نفس الأربعين ليلة لا توعدها لأنها واجبة الوقوع، وإنما المعنى على تعليق الوعد بابتدائها وتمامها ليرتب على الانتهاء شيء.

قلت: وقال أبو البقاء^(١): ليس أربعين ظرفاً إذ ليس المعنى وعده في أربعين.

وقال غيره: لا يجوز أن يكون ظرفاً، لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه ولا في بعضه.

ومنها: «اتخذ» تتعدى لواحد أو لاثنتين، فمن الأول، قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِي آلِهَةً﴾ [الفرقان: ٣] ﴿أَرَأَيْتُمْ أَن تَتَّخِذُوا مِنَّا مَخْلُوقَاتِنَا﴾ [الزخرف: ١٦] ﴿يَتَّخِذُنِي نُتَّخِذُ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] ومن الثاني ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦] ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿فَاتَّخِذْتُمُوهُمْ سَخِرْنَا﴾ [المؤمنون: ١١٠] والثاني: من المفعولين هو الأول في المعنى.

قال الواحدي: فأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٥١] وقوله: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فالتقدير في هذا كله: اتخذوه إلهاً، فحذف المفعول الثاني.

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره؛ لكان من صاغ عجلاً أو نحوه أو عمله بضرب من الأعمال، استحق الغضب من الله لقوله: ﴿سَيُنَاجِئُكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٢]. وفيما قاله نظر، لأن الواقع أن أولئك عبده؛ فالتقدير على هذا في المتعدي لواحد أن الذين اتخذوا العجل وعبده، ولهذا جوز الشيخ أثير الدين^(٢) في هذه الآيات كلها أن تكون «اتخذ» فيها متعدية إلى واحد، قال: ويكون ثم جملة محذوفة تدل على المعنى وتقديره: «وعبدتموه إلهاً» ورجحه على القول الآخر بأنها لو كانت متعدية في هذه القصة لاثنين لصرح بالثاني، ولو في موضع واحد.

الخراب الثاني:

ألا يكون المفعول مقصوداً أصلاً، وينزل الفعل المتعدي منزلة القاصر، وذلك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط، وجعل المحذوف نسياناً منسياً، كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل فلا يذكر المفعول، ولا يقدر غير أنه لازم الثبوت عقلاً لموضوع كل فعل متعد؛ لأن الفعل لا يدري تعيينه.

وبهذا يعلم أنه ليس كل ما هو لازم من موضوع الكلام مقدراً فيه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

(٢) أبو حبان.

(١) التبيان (١/٣٦).

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] لأنه لم يرد الأكل من معين، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُنُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ويسمى المفعول حينئذ ممتا.

ولما كان التحقيق أنه لا يعد هذا من المحذوف، فإنه لا حذف فيه بالكيفية ولكن تبعانهم في العبارة؛ نحو: فلان يعطى؛ فاصداً أنه يفعل الإعطاء، وتوجد هذه الحقيقة إيهاماً للمبالغة بخلاف ما يقصد فيه تعميم الفعل نحو: هو يعطى ويمنع فإنه أعم تناولاً من قولك: يعطى الدرهم ويمنعه؛ والغالب أن هذا يستعمل في النفي كقوله: ﴿وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] والآخر في الإثبات، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى: ﴿يُنحَى وَيُيَمِّتُ﴾.

وقوله: ﴿لِمَ تَقْبَلُ مَا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ﴾ [مريم: ٤٢].

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ [القصص: ٢٣] إلخ الآية: حذف منها المفعول خمس مرات، لأنه غير مراد، وهو قوله ﴿يَسْقُونَ﴾ وقوله ﴿تَذُودَانِ﴾ وقوله: ﴿لَا تَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣] [قرأ بكسر الدال: وقوله ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ والتقدير بقون] (١) مواشيهم فسقى لهما غنمهما.

وقوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ﴾ [الأعراف: ٨٨] قيل: لو ذكر المفعول فيها نقص المعنى، والمراد أن الله تعالى له الإحياء والإماتة، وأن إلههم ليس له سمع ولا بصر، وأن موسى عليه السلام وجد قومًا يعانون السقي، وامرأتين تعانيان الذود، وأخبرناه أنا لا نستطيع السقي، فوجدنا من موسى عليه السلام لهما السقي، ووجدنا من أبيهما مكافأة على السقي، وهذا مما حذف لظهور المراد؛ وأن القصد الإعلام بأنه كان من الناس في تلك الحالة سقى، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء، وأن موسى سقى بعد ذلك؛ فأما أن المسقى غنم أو إبل أو غيره فخارج عن المقصود، لأنه لو قيل: يذودان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يتوجه من موسى على الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم؛ حتى لو كان ذود إبل لم ينكره.

واعلم أننا جعلنا هذا من الضرب الثاني موافقة للزمخشري، فإنه قال: ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الزياد، وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل [مثلاً] (٢)، وكذلك قولهما ﴿لَا تَسْقَى حَتَّى

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

يُضِدِرَ الرِّعَاةَ ﴿ [القصص: ٢٣] المقصود منه السقي لا المسقى [ق/ ١٩٣].

وجعله السكاكي من الضرب الأول، أعني مما حذف فيه للاختصار مع الإرادة.

والأقرب قول الزخشري، ورجح الجزري ^(١) قول السكاكي أنه للاختصار، فإن الغنم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأصالة، [فإن] ^(٢) فيها ضعفاً عن المزاحمة، والمرأتان فيهما ضعف، فإذا انضم إلى ضعف المسقى ضعف الساقى كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة.

وكقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ [الليل: ٥].

وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ هُمْ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ [النجم: ٤٨].

وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكٌ وَأَبْكَى ﴾ [النجم: ٤٣-٤٤].

وإنما ذكر المفعول في قوله: ﴿ وَأَنْتُمْ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ ﴾ [النجم: ٤٥] لأن المراد جنس الزوجين، فكانه قال: يخلق كل ذكر وكل أنثى، وكان ذكره هنا أبلغ ليدل على عموم ثبوت الخلق له بالتصريح.

وليس منه قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ [الأحقاف: ١٥] لوجود العوض من المفعول به لفظاً أو هو المفعول به وهو قوله: ﴿ فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ ومعنى الدعاء به قصر الإصلاح له على الذرية؛ إشعاراً بعنايته بهم.

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكوير: ٣-٤] أي: عاقبة أمركم؛ لأن سياق القول في التهديد والوعيد.

واعلم أن الغرض حينئذ بالحذف في هذا الخبر أشياء:

منها: البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة على ما سبق نحو: أمرته فقام أي: بالقيام وعليه قوله تعالى: ﴿ أَمْرًا مُتَّوِّفًا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦] أي: أمرناهم بالفسق، وهو مجاز عن تمكينهم وإقدارهم.

ومنها: المبالغة بترك التقييد نحو: ﴿ هُوَ نُجِيءٌ وَيُسِيئُ ﴾ [يونس: ٥٦] وقوله: ﴿ فَهَمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] ونفى الفعل غير متعلق بأبلغ من نفيه متعلقاً به، لأن المنفي في الأول نفس الفعل، وفي الثاني متعلقه.

تنبيه:

قد يلحظ الأمران؛ فيجوز الاعتباران كقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

(٢) في المطبوع: خ ن.

(١) في م: الحريري.

وَرَسُولِيًّا ﴿ [الحجرات: ١] أجاز الزمخشري ^(١) في حذف المفعول منه الوجهين .
وكذلك في قوله في آخر سورة الحج ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾ [الحج: ٧٨] .

حذف الحال ^(٢)

كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِيكُمُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِنَّ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٣٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أي قائلين سلام عليكم .

قال ابن أبي الربيع: اعلم أن العرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل، لدلالة مصدر الفعل عليه؛ فتقول: قتلته صبيرا وأتيته ركضا، قال تعالى: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ﴾ [يوسف: ٤٧] فدأبا يقدر بالفعل؛ تقديره «تدأبون» في موضع الحال .

قال أبو علي: لا خلاف بين سيبويه وأبي العباس في الحال المحذوف، الذي المصدر منصوب به، وإنما الخلاف بينهما في القياس، فسيبويه يذهب إلى السماع ولا يقيس، والأخفش والمبرد يقيسان .

حذف المنادى ^(٣)

قوله تعالى: ﴿ أَلَا [يا اسجدوا] ^(٤) ﴾ على قراءة الكسائي بتخفيف «ألا» ^(٥) على أنها تنبيه، و«يا» نداء والتقدير ألا يا هؤلاء اسجدوا لله، ويجوز أن يكون «يا» تنبيهاً ولا منادى هناك، وجمع بينهن تأكيداً لأن الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الأمر .
وأما على قراءة الأكثر بالتشديد؛ فعلى أَنَّ أن الناصبة للفعل دخلت عليها لا النافية والفعل المضارع بعدها منصوب، وحذفت النون علامة النصب، فالفعل هنا معرب، وفي تلك القراءة مبني فاعرفه .

فائدة في حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

كثُر في القرآن حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، نحو: يا ربُّ يا قوم؛ وعلل ذلك بأن النداء باب حذف ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم، وجاء فيه إثباتها ساكنة، كقراءة من قرأ ﴿ يَبْعِدُوا فَأَنْفُسَهُمْ ﴾ [الزمر: ١٦] ومحركة بالفتح؛ كقراءة من قرأ ﴿ قُلْ

(١) الكشاف (٣٤٩/٤) .

(٢) الخصائص (٢٥٧/٢) .

(٣) الخصائص (٢٥٧٩/٢) والمفصل (ص/٤٣) .

(٤) في المطبوع: يا اسجدوا .

(٥) كلهم شدد اللام من قوله: [ألا يسجدوا] غير الكسائي فإنه خففها . «الحجة» (١٨٣/٥) و«السبعة» (ص/

(٤٨٠) .

يَكْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴿الزمر: ٥٣﴾ ومنقلبة عن الياء في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ﴾ [الزمر: ٥٦].

(١) حذف الشرط

﴿قُلْ لِيَا بَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] أي: إن قلت لهم أقيموا يقيموا. وجعل منه الزمخشري (٢) [قوله] (٣) ﴿قُلْ أَعْتَدْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾

[البقرة: ٨٠].

وجعل أبو حيان منه قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] أي إن كنتم أمتتم بما أنزل إليكم، فلم تقتلون؟ وجواب إن كنتم محذوف دل عليه ما تقدم، أي فلم فعلتم، وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد، إلا أنه حذف الشرط من الأول، وبقي جوابه، وحذف الجواب من الثاني وبقي شرطه انتهى. وهو حسن، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري، وأنكر قوله بحذف الشرط في ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وفي ﴿فَأَنفَجَرْتُمْ﴾ وقال: إن الشرط لا يحذف في غير الأجوبة، والآن قد رجع إلى موافقته.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ كَافِرِينَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦]، تقديره: إن كنتم منكرين، فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان إنكاركم.

وقوله: ﴿قَلِمَ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] بمعنى: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم فعدل عن الافتخار بقتلهم فحذف لدلالة الفاعلية.

وقوله: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [التورى: ٩] تقديره: إن أرادوا أولياء فالله هو الولي بالحق لأولي سواه.

(٤) حذف جواب الشرط

قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ وِثَائِهِ فَتَمَنَّوْا أَن يُبْعَثَ قَوْمٌ مِّمَّنْ أُسْرِفْتُمْ فِيهَا﴾ [الأحقاف: ١٠] أي أفلستم ظالمين بدليل قوله عقبه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] وقدره البغوي (٥) من المحق منا ومن المبطل؟ ونقله عن أكثر المفسرين.

(١) المثل السائر (٩٧/٢) وشرح ابن عقيل (٤٢/٤).

(٢) الكشاف (١٥٨/١).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) المثل السائر (٩٨/٢) واللباب (٦٠/٢) وشرح ابن عقيل (٤٢/٤).

(٥) التفسير (ص/٢٥٤).

ومن حذف جواب الفعل ﴿أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِتَائِبَتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٦] تقديره: «فلذبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم»، والفاء العاطفة على الجواب المحذوف هي المسماة عندهم بالفاء الفصيحة.

وقال صاحب المفتاح: وانظر إلى الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَتَوَوُّا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] كيف أفادت «ففعلمت فتاب عليكم»! وقوله: ﴿أَضْرِبُوهُ بِعَصَاهُ﴾ [البقرة: ٧٣] تقديره: فضربه فحسى ﴿كَذَلِكَ يُعْهِ اللَّهُ الْمُؤْتِقَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقال صاحب الكشاف (١) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ [النمل: ١٥] تقديره: فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥].

وقال السكاكي: هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه، حتى كأنه قيل: نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد، تعريضا لاستشارة الحمد على إيتاء العلم إلى فهم السامع، مثله «قم يدعوك» بدل «قم فإنه يدعوك».

حذف الأجوبة

ويكثر ذلك في جواب لو ولولا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] [ق/ ١٩٤]. وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبا: ٣١]. وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]. وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]. وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، تقديره: في هذه المواضع «لرايت عجبا» أو «أمرا عظيما»، و«لرايت سوء منقلبهم» أو «لرايت سوء حالهم». والنسر في حذفه في هذه المواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارا جملة واحدة، أوجب ذلك لها فضلا وطولا، فنخف بالحذف خصوصا مع الدلالة على ذلك. قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التفضيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب، وإنما يحذف لقصد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو

(١) الكشاف (٣/ ٣٥٢).

صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به، فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق، كما قدر بعض النحويين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾ [الرعد: ٣١] الآية، فقال: تقديره: لكان هذا القرآن، وحكاه أبو عمرو الزاهد في «الياقوتة» عن ثعلب والمبرد، وهو مردود لأن الآية ما سيقت لتفضيل القرآن، بل سيقت في معرض ذم الكفار بدليل قوله قبلها ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ [الرعد: ٣٠].

وبعدها ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] فلو قدر الخبر «لما آمنوا به» لكان أشد.

ونقل الشيخ محيي الدين النووي في كتاب «رءوس المسائل» كون الجواب «كان هذا القرآن» عن الأكثرين وفيه ما ذكرت.

وقيل: تقديره: لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ورأوا ذلك، لما آمنوا. وقيل: جواب «لو» مقدّم، معناه: يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنا سيرت به الجبال، وهذا قول الفراء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [القمان: ٢٧] محذوف، والتقدير: لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله. ويحتمل أن يكون «ما نفدت» هو الجواب مبالغة في نفي النفاذ، لأنه إذا كان نفي النفاذ لازماً على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاماً والبحر مداً لكان لزومها على تقدير عدمها أولى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣] فإنه قد قيل: ظاهره نفي وجود الهم منهم بإضلاله، وهو خلاف الواقع، فإنهم هموا وردوا القول.

وقيل: قوله ﴿لَهَمَّتْ﴾ ليس جواب «لو» بل هو كلامٌ تقدم على «لو» وجوابها مقول على طريق القسم، وجواب «لو» محذوف تقديره ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، لولا فضل الله عليك لأضلوك.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْثُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٢٤] أي: همت بمخالطته وجواب (لولا) محذوف أي «لولا» أن رأى برهان ربه لخالطها.

وقيل: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها؛ والوقف على هذا ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْثُ﴾ [يوسف: ٢٤].

والمعنى أنه لم يهّم بها. ذكره أبو البقاء (١). والأول للزخشي (٢).

ولا يجوز تقديم جواب «لو» عليها لأنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام.

وقوله: ﴿وَأِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] جواب الشرط محذوف، يدل عليه قوله: «إننا المهتدون» أي إن شاء الله اهتدينا، وقد توسط الشرط هنا بين جزأي الجملة بالجزاء؛ لأن التقديم على الشرط؛ فيكون دليل الجواب متقدماً على الشرط، والذي حسن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ [الأنبياء: ٣٩] تقديره: لما استعجلوا فقالوا: متى هذا الوعد.

وقال الزجاج (٣): تقديره «العلموا صدق الوعد»، لأنهم قالوا متى هذا الوعد، وجعل الله الساعة موعدهم فقال تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقيل: تقديره «لما أقاموا على كفرهم ولندموا أو تابوا».

وقوله في سورة التكاثر ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] تقديره لما ﴿أَلْهَيْتُمُ التَّكَاثُرَ﴾ [التكاثر: ١].

وقيل: تقديره: لشغلكم ذلك عما أنتم فيه.

وقيل: لرجعتكم عن كفركم أو لتحققتم مصداق ما تحذرونه.

وقوله: ﴿قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا آلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَقُولُوا شَيْئًا﴾ [البقرة: ١٧٠] أي لا يتبعونهم.

وقوله: ﴿قُلْ إِن لِّئِنَّهُ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤] تقديره: «لأمنتهم» أو «لما كفرتم» أو «لزهدتم في الدنيا» أو «لتأهبتم للقائنا».

ونحوه ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [الفصم: ٦٤] أي: يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة أو لما اتبعوهم.

وقوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ ءَاوِيَةٌ إِلَىٰ رُكْنِي سَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال محمد بن إسحاق: معناه لو أن لي قوة لحلت بينكم وبين المعصية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرَعُونَ فَلَاقَتْ﴾ [سبا: ٥١] أي: رأيت ما يعتبر به عبرة عظيمة.

(١) التبيان (٥١/٢).

(٢) الكشاف (٤٥٥/٢).

(٣) معاني القرآن (٣/٣٩٢-٣٩٣).

وقوله عقب آية اللعان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠] قال الواحدي: قال الفراء: جواب «لو» محذوف لأنه معلوم المعنى، وكل ما عَلِمَ فإن العرب تكتفي بترك جوابه، ألا ترى أن الرجل يشتم الرجل فيقول المشتوم: أما والله لولا أبوك . . . فيعلم أنك تريد: لثمتك .

وقال الميرد: تأويله والله أعلم لهلكتم، أو لم يبق لكم باقية، أو لم يصلح أمركم، ونحوه من الوعيد الموجه محذوف لأنه لا يشكل .

وقال الزجاج (١): المعنى لنال الكاذب منكم أمر عظيم، وهذا أجود مما قدره الميرد . وكذلك «لولا» التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] جوابها محذوف؛ وقدره بعضهم في الأولى لافتضح فاعل ذلك، وفي الثانية: لعجل عذاب فاعل ذلك؛ وسوغ الحذف طول الكلام بالمعطوف، والطول داع للحذف .

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّئَ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٤٧] جوابها محذوف، أي: لولا احتجاجهم بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة .

وقال مقاتل: تقديره لأصابتهم مصيبة .

وقال الزجاج (٢): لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال [الرسول] (٣) ومواترة الاحتجاج . وقوله: ﴿وَأَسْبَحَ قَوَادِرُ مُوسَى قَدْرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِنَا﴾ [القصص: ١٠] أي لأبدت .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠] تقديره: لو تملكون تملكون فأضمر «تملك» الأولى على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو «الواو» ضمير منفصل، وهو «أنتم» لسقوط ما يتصل به من الكلام ف«أنتم» فاعل الفعل المضمر «وتملكون» تفسيره .

وقال الزمخشري (٤): هذا ما يقتضيه الإعراب؛ فأما ما يقتضيه علم البيان، فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المختصون بالشح المتتابع، وذلك لأن الفعل [ق/ ١٩٥] الأول لما سقط لأجل المفسر، برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر .

(٢) معاني القرآن (٤/ ١٤٧) .

(٤) الكشاف (٢/ ٦٩٦) .

(١) معاني القرآن (٤/ ٣٣) .

(٣) في المعاني: الرسل .

ومن حذف الجواب، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥] أي: أعرضوا بدليل قوله بعده ﴿إِلَّا كَأَنَّهُمْ مَرْمِزِينَ﴾ .

وقوله في قصة إبراهيم في الحجر ﴿فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِئْنَا﴾ [الحجر: ٥٢] وفي غيرها من السور ﴿قَالُوا سَلْنَا﴾ ﴿قَالَ سَلِمْتُ﴾ قال الكيرماني: لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى فاكتفى بما في هذه، ولو ثبت تعدد الوقائع لنزلت على واقعتين .

وكقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] قال الزمخشري^(١): حذف الجواب وتقديره مصرح به في سورتي التكوير والانفطار، وهو قوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ .

وقال في: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]: الجواب محذوف أي: أنهم ملعونون يدل عليه قوله: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ﴾ [البروج: ٤] .

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] أي: «حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها»، والواو واو حال، وفي هذا ما حكى أنه اجتمع أبو علي الفارسي مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة، فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتُحَّتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] في النار بغير واو، وفي الجنة بالواو فقال ابن خالويه: هذه الواو تسمى واو الثمانية، لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو قال: فنظر سيف الدولة إلى أبي علي وقال: أحق هذا؟ فقال أبو علي: لا أقول كما قال، إنما تركت الواو في النار لأنها مغلقة وكان يجيؤهم شرطاً في فتحها، فقوله ﴿فُتِحَتْ﴾ فيه معنى الشرط، وأما قوله ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في الجنة فهذه واو الحال، كأنه قال جاءوها وهي مفتحة الأبواب؛ أو هذه حالها^(٢) . وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب ويشهد له أمران:

أحدهما: أن العادة مطردة شاهدة في إهانة المعذبين بالسجون، من إغلاقها حتى يردوا عليها وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة واهتماماً .

والثاني: النظير في قوله: ﴿جَنَّتِ عَدُوٌّ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] .

وللنحويين في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الواو زائدة، والجواب قوله «فتحت» وهؤلاء قسمان: منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية، ومنهم من لم يشتها .

(١) الكشاف (٤/٧٢٥) .

(٢) قال صاحب «مغني اللبيب»: واو الثمانية ذكرها جماعة الأدياء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا: ستة سبعة وثمانية .

انظر: «مغني اللبيب» (ص/٤٧٤) و«الروض الأنف» (١/١٤٨) و«الروا المزيده» (ص/١٤٢) .

والثاني: أن الجواب محذوف عطف عليه قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ كأنه قال: «حتى إذا جاءوها [جاءوها]»^(١) و«فُتِحَتْ» قال الزجاج وغيره: وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه. والثالث: أن الجواب محذوف آخر الكلام؛ كأنه قال بعد الفراغ استقروا أو خلدوا أو استتروا مما يقتضيه المقام، وليس [فيه]^(٢) حذف معطوف ويحتمل أن يكون التقدير إذا جاءوها أذن لهم في دخولها، وفتحت أبوابها [لأن]^(٣) المجيء ليس سبباً مباشراً للفتح، بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فَتَبَّ عَلَيْهِمْ يَسْتَوُونَ﴾ [النوبة: ١١٨] أي رحمهم، ثم تاب عليهم وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة «ثم».

وحذف المعطوف عليه وإبقاء المعطوف سائغ، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَهْبَأْ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦] التقدير: والله أعلم فذهبنا فكلذبنا فدمرناهم لأن المعنى يرشد إلى ذلك.

وكذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُم مِّنَ أَن تَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي فامتثلتم أو فعلتم فتاب عليكم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْلَكْنَا وَكَلَّمْنَا لَجَجِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: رُحِمَا وَسُعِدَا وتله، وابن عطية^(٤) يجعل التقدير: فلما أسلما أسلما وهو مشكل.

وقوله: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيِّنَاتًا﴾ [الانبيا: ٩٧] المعنى: حتى إذا كان ذلك ندم الذين كفروا ولم ينفعهم إيمانهم لأنه من الآيات والأشراط. وقد يجيء في الكلام شرطان، ويحذف جواب أحدهما اكتفاء بالآخر كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الواقعة: ٩٠] [فجعل سببويه الجواب أما. وأجرى إن كان من أصحاب اليمين...].^(٥) في الاعتراض به مجرى [الظرف]^(٦)، لأن الشرط وإن كان جملة فإنه لما لم يقم بنفسه جرى مجرى الجزء الواحد، ولو كان عنده جملة لما جاز الفصل به بين (أما) وجوابها، لأنه لا يجوز أما زيد فمنطلق، وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لهما.

ونظيره ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّزَّ تَلَعَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوتُمْ فَصَبَّيْكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ

(٢) سقط من م.

(١) زادها (ف) من الكشاف.

(٤) المحرر الوجيز (٤/٤٨١).

(٣) سقط من المطبوع.

(٦) في م: الشرط.

(٥) سقط من المطبوع.

لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴿الفتح: ٢٥﴾ فقوله ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب للولا ولو جميعا.

واختار ابن مالك قول سيبويه أن الجواب «لأنا» واستغنى به عن جواب «إن» لأن الجواب الأول الشرطين المتواليين في قوله: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] ونظائره.

فإذا كان أول الشرطين «أما» كانت أحق بذلك لوجهين:

أحدهما: أن جوابها إذا انفردت لا يحذف أصلا؛ وجواب غيرها إذا انفرد يحذف كثيرا للدليل، وحذف ما عُهد حذفه أولى من حذف ما لم يعهد.

والثاني: أن «أما» قد التزم معها حذف [فعل الشرط، وقامت هي مقامه، فلو حذف جوابها لكان ذلك إجحافاً وإن ليست كذلك انتهى].

والظاهر أنه لا حذف في الآية الكريمة، وإنما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول، والمحذوف [إنما] ^(١) هو أحد الفاعلين.

وقال الفارسي في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ . . .﴾ [ال عمران: ٢٦] الآية: إنه حذف منه أعزنا ولا تذلتنا.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: ٦٢] تقديره: «فكيف تجدونهم مسرورين» أو «محزونين»، ف«كيف» في موضع نصب بهذا الفعل المضمر، [وهذا الفعل المضمر] ^(٢) قد سد مسد جواب إذا.

حذف جواب القسم ^(٣)

لعلم السامع المراد منه كقوله تعالى: ﴿وَالْتَرَعَدْتَ غَرَقًا ۝ وَالْتَشِيَّطِطِ نَسْطًا ۝ وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالْتَسَيَّطِ سَبْحًا ۝ فَالْمُدْرِيَّتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ رَجَعْتُ الرَّجْفَةَ ۝﴾ [النازعات: ١-٦] تقديره: لتبعثن ولتحاسبن بدليل إنكارهم للبعث في قولهم ﴿أَوَنَّا لَمُرُودُونَ فِي الْحَوَارِ ۝﴾ [النازعات: ١٠].

وقيل: القسم وقع على قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ يَتَّقِي﴾ [النازعات: ٢٦].

وكقوله تعالى: ﴿كَانَ نُؤُفْرَكَ﴾ وحذف لدلالة الكلام السابق عليه.

واختلف في جواب القسم في ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] فقال الزجاج ^(٤): ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤] واستبعده الكسائي.

(١) سقط من م.

(٢) سقط من م.

(٣) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/١٥).

(٤) معاني القرآن (٤/٣١٩).

وقال الفراء^(١): قد تأخر كثيراً، وجرت بينهما قصص مختلفة، فلا يستقيم ذلك في العربية.

وقيل: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ ومعناه: لكم أهلكتنا، وما بينهما اعتراض، وحذفت اللام لطول الكلام.

وقال [الأخفش: (٢)]^(٣): ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ﴾ [ص: ١٤] والمعتراض بينهما قصة واحدة، وعن قتادة ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِهِ﴾ [ص: ٢]، مثل: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [بَلِ عِبْرًا] [ق: ١-٢].

وقال صاحب النظم في هذا القول: معنى «بل» توكيد الأمر بعده، فصار مثل أن الشديدة تثبت ما بعدها، وإن كان لها معنى [ق/ ١٩٦] آخر في نفي خبر متقدم، كأنه قال: إن الذين كفروا في عزة وشقاق.

وقال أبو القاسم الزجاجي: إن النحويين قالوا إن «بل» تقع في جواب القسم كما تقع «إن» لأن المراد بها توكيد الخبر؛ وذلك في ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ...﴾ الآية وفي ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ...﴾ الآية، وهذا من طريق الاعتبار، ويصلح أن يكون بمعنى «إن» لأنه سائغ في كلامهم أو يكون «بل» جواباً للقسم، لكن لما كانت متضمنة رفع خبر وإتيان خبر بعده كانت أوكد من سائر التوكيدات فحسن وضعها موضع «إن».

وقيل: الجواب محذوف أي: والقرآن المجيد ما الأمر كما يقول هؤلاء أو الحق ما جاء به النبي ﷺ. وقال الفراء^(٤) في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] جوابه محذوف أي: فيومئذ يلاقي حسابه. وعن قتادة أن جوابه ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَسَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢] يعني: أن الواو فيها بمعنى السقوط كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَلَمَّا وَتَكَلَّمُ لِلْحَجِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] أي نادبناه.

حذف الجملة^(٥)

هي أقسام: قسم هي مسببة عن المذكور، وقسم هي سبب له، وقسم خارج عنها، فالأول كقوله تعالى: ﴿يُحِثُّ الْمَلَأَ وَيَبْطِلُ الْبَطْلُ﴾ [الأنفال: ٨] فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق يكون سبباً عن مدخول اللام، فلما لم يوجد لها متعلق في الظاهر، وجب

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٩٦-٣٩٧) بمعناه.

(٣) سقط من م.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٩٢).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٤٩).

(٥) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/ ١٨) و«المثل السائر» (٢/ ٧٩) و«مغني اللبيب» (ص/ ٤٨٩).

تقديره ضرورة فيقدر فعل ما فعل ليحقق الحق .

والثاني: كقوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] فَإِن الفاء إنما تدخل على شيء مسبب عن شيء، ولا مسبب إلا له سبب، فإذا وجد المسبب ولا سبب له ظاهرًا أو جب أن يقدر ضرورة فيقدر: فضربه فانفجر .

والثالث: كقوله تعالى: ﴿فَتِمَّ الْمَهْدُونَ﴾ أي: نحن هم أو هم نحن .

وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا ۙ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٤٥]- [٤٦] الآية فَإِن التقدير: «فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه لذلك فجاء فقال له: يا يوسف» وإنما قلنا: إن هذا الكل محذوف؛ لأن قوله: ﴿أَرْسَلْنَا ۙ﴾ يدل لا محالة على المرسل إليه، فثبت أن «إلى يوسف» محذوف، ثم إنه لما طُلب الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبرين عن تعبير رؤيا الملك، دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا قَالَتْةَ إِلَيْهِمْ . . .﴾ [النمل: ٢٨] الآية فأعقب بقوله حكاية عنها: ﴿قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِيَّيَ الْفِي إِيَّ كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ [النمل: ٢٩] تقديره: فأخذ الكتاب فألقاه إليهم، [١] فرأته بلفيس وقرأته ﴿قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ [النمل: ٢٩] .

وقوله: ﴿يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ يَقُوِّرُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا﴾ [مريم: ١٢] حذف يطول، تقديره: فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا ﴿يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ يَقُوِّرُ﴾ [مريم: ١٢] .
ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى ﴿لَنْ نَرَحَّ طَلِيهِ عَكَفَيْنِ حَتَّىٰ يَرِجَ إِلَيْنَا مَوْحَىٰ﴾ [١١] قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩١-٩٣] .

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠] إلى قوله: ﴿تَكْرُؤًا لَهَا عَزِيمًا﴾ [النمل: ٤١] .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] أي: كمن قسا قلبه ترك على ظلمه وكفره ودل على المحذوف قوله: ﴿قَوْلٌ لِلْقَيْسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] .
ومن حذف الجملة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] قيل: المعنى جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا، وإلا فمن أين علم الملائكة أنهم يفسدون! وباقي الكلام يدل على المحذوف .

وقوله: ﴿أَجِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِبِّهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] قال الفارسي: المعنى فكما كرهتموه فاكروهوا الغيبة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ عطف على قوله: «فاكروهوا» وإن لم يذكر

(١) سقط من م .

لدلالة الكلام عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ أي فضرِب فانفجرت. فقوله ﴿كرهتموه﴾ كلام مستأنف، وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الجواب، لأن قوله: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ كأنهم قالوا في جوابه لا: فقال: فكرهتموه، أي فكما كرهتموه فاكرهوا الغيبة. قال ابن الشجري^(١): وهذا التقدير بعيد؛ لأنه قدر المحذوف موصولا، وهو «ما» المصدرية وحذف الموصول وإبقاء صلته ضعيف، وإنما التقدير: فهذا كرهتموه والجملة المقدرة المحذوفة ابتدائية لا أمرية، والمعنى فهذا كرهتموه والغيبة مثله، وإنما قدرها أمرية ليعطف عليها الجملة الأمرية في قوله ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾.

حذف القول^(٢)

قد كثر في القرآن العظيم حتى إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] أي يقولون: ما نعبدهم إلا للقرية.

ومنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٥٨﴾ كُلُّوا﴾ [طه: ٨٠-٨١] أي وقلنا كلوا أو قائلين.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] أي قلنا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ [البقرة: ٦٣] أي: وقلنا: خذوا ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْحَدُوا مِنْ مَقَارِ بُرْهَتِهِمْ مُصَلِّ﴾ [البقرة: ١٢٥] أي وقلنا: اتخذوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولان: ربنا. وعليه قراءة عبد الله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [ال عمران: ١٠٦] أي: فيقال لهم، لأن «أما» لا بد لها في الخبر من فاء، فلما أضمر القول أضمر الفاء.

وقوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَةٌ الْطَّرِيفُ أَرَأَيْتُمْ هَٰذَا مَا نُوْعِدُونَ﴾ [ص: ٥٢-٥٣] يقال لهم هذا.

وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٦﴾ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أي يقولون [سلام]^(٣).

وقوله: ﴿وَنَنْفِثُ فِيهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ أي يقولون لهم ذلك.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] أي يقولون ما نعبدهم.

(٢) انظر: «الكامل» (ص/٤٨٦).

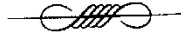
(١) الأمامي (٢/٣٠٣).

(٣) سقط من م.

وقوله: ﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ ۖ وَإِنَّا لَمُعَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٥-٦٦] أي يقولون إنا لمغرمون أي معذبون وتفكّهون تندمون .

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَوْنَا إِذِ الْمُجْرِمِينَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [السجدة: ١٢] أي يقولون ربنا .

وقوله: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ۖ ﴾ [سبا: ٢٣] أي قالوا: قال الحق .



حذف الفعل^(١)

وينقسم إلى عام وخاص:

الخاص

فالخاص: نحو «أعنى» مضمراً، وينتصب المفعول به في المدح؛ نحو ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] أي أمدح. واعلم أنه إذا كان المنعوت متعيناً لم يجز تقدير ناصب نعمته بأعنى، نحو: الحمد لله الحميد؛ بل المقدر فيه [وفي نحوه: أذكر أو أمدح فأعرف ذلك. والذم نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] في قراءة^(٢) النصب^(٣)، والأخفش ينصب في المدح بأمدح وفي الذم بأذم.

واعلم أن مراد المادح إيابة المدوح من غيره، فلا بد من إيابة إعرابه عن غيره ليدل اللفظ على المعنى المقصود، ويجوز فيه النصب بتقدير أمدح، والرفع على معنى «هو»، ولا يظهران لثلاً يصيرا بمنزلة الخبر.

والذي لا مدح فيه فاخترال العامل فيه واجب، كاختراله [ق/١٩٧] في: «والله لأفعلن» إذ لو قيل «أحلف بالله» لكان عدة لا قسمًا.

العام

والعام كل منصوب دل عليه الفعل لفظاً أو معنى أو تقديرًا، ويجذف لأسباب:

أحدها: أن يكون مفسراً، كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ﴿وَأَنزَلْنَا فَازَهُبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

ومنه: ﴿أَشْرَكَ بِنَا وَإِخْوَانًا نَّيْمَةً﴾ [القمر: ٢٤] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٧] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْحَجَرَاتِ: ٩﴾ فإنه ارتفع بـ«اقتتل» مقدراً.

(١) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/١٠).

(٢) سقط من م.

(٣) قرأ عاصم: [وامراته حمالة الحطب] نصباً، وقرأ الباقون [حمالة الحطب] رفعاً.

الحجة (٤٥١/٦) السبعة (ص/٧٠٠).

قالوا: ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة سوى «إن» لأنها الأصل. وجعل ابن الزمكاني هذا مما هو دائر بين الحذف والذكر، فإن الفعل المفسر كالمستلطف على المذكور، ولكن لا يتعين إلا بعد تقدم إبهام ولقد يزيده الإضمار إبهامًا، إذ لم يكن المضمر من جنس الملفوظ به، نحو ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١] إذ المذكور في حكم الشاهد للمقدر فيلحق بباب الكتابة والتقدير بعذب الظالمين لأنه أعد لهم عذابًا أليمًا^(١).

الثاني: أن يكون هناك حرف جر؛ نحو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ أو أقوم أو أقعد عند القراءة، وعند الشروع في القيام أو القعود أي فعل كان.

واعلم أن النحاة اتفقوا على أن «بسم الله» بعض جملة واختلفوا:

فقال البصريون: الجملة اسمية أي ابتدائي بسم الله.

وقال الكوفيون: الجملة فعلية، وتابعهم الزمخشري في تقدير الجملة فعلية، ولكن خالفهم في موضعين: أحدهما: أنهم يقدرون الفعل مقدمًا وهو يقدره مؤخرًا، والثاني: أنهم يقدرونه فعل البداية، وهو يقدره في كل موضع بحسبه، فإذا قال الذابح بسم الله كان التقدير بسم الله أذبح وإذا قال القارئ بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ.

وما قال أجود مما قالوا؛ لأن مراعاة المناسبة أولى من إهمالها، ولأن اسم الله أهم من الفعل فكان أولى بالتقديم، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ «باسمك ربي وضعت جنبي»^(٢) فقدم اسم الله على الفعل المتعلق ثم الجار وهو «وضعت».

الثالث: أن يكون جوابًا لسؤال وقع، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [المنكوت: ٦٣].

وقوله: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٥] أي بل نتبع.

أو جوابًا لسؤال مقدر كقراءة ﴿يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْقُدُوسِ وَالْأَصْحَابِ﴾ [رجال] ^(٣) [النور: ٣٦-٣٧] ببناء الفعل للمفعول؛ فإن التقدير: يسبحه [فيها] ^(٤) رجال.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٦١) ومسلم (٢٧١٤).

(٣) طمس في المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

وفيه فوائد: منها: الإخبار بالفعل مرتين. ومنها جعل الفضلة عمدة.

ومنها: أن الفاعل فُسِّرَ بعد اليأس منه كضالة وجددها بعد اليأس، ويصح أن يكون «يُسَبِّحُ» بدل من «يُذَكِّرُ» على طريقة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأعلى: ١] و«له فيها» خبر مبتدأ هو «رجال».

مثله قراءة من قرأ (زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ) قال أبو العباس^(١): المعنى: زينه شركاؤهم؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمَر دل عليه «زين».

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] إن جعلنا قوله «لله شركاء» مفعولي «جعلوا»، لأن «لله» في موضع الخبر المنسوخ، وشركاء [نصب في موضع المبتدأ، وعلى هذا فيحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً بفعل^(٢)] محذوف دل عليه سؤال مقدر، كأنه قيل: أجعلوا لله شركاء؟ قيل: جعلوا الجن، فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً، فدخل اعتقاد الشرك من غير الجن في إنكار دخول اتخاذه من الجن.

والثاني: ذكره الزمخشري^(٣) أن الجن بدل من «شركاء» فيفيد إنكار الشرك مطلقاً كما سبق، وإن جعل «لله» صلة كان «شركاء الجن» مفعولين قدم ثانيهما على أولهما؛ وعلى هذا فلا حذف.

فأما على الوجه الأول فقيل ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ولم يقل: «وجعلوا الجن شركاء لله» تعظيماً لاسم الله تعالى؛ لأن شأن الله أعظم في النفوس، فإذا قدم «لله» والكلام فيه يستدعي طلب المجمعول له ما هو؟ فقيل: شركاء وقع في غاية التشنيع، لأن النفس منتظرة لهذا المهم المعلق بهذا المعظم نهاية التعظيم، فإذا عَلِمَ أنه علق به هذا المستبشع في النهاية، كان أعظم موقفاً من العكس، لأنه إذا قيل: وجعلوا شركاء لم يعطه تشوف النفوس؛ لجواز أن يكون جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك.

الثالث: أنَّ الجعل غالباً لا يتعلق بالله ويُجَبَّرُ به إلا وهو جعل مستبشع كاذب، إذ لا يستعمل جعل الله رحمة ومشية وعلماً ونحوه، لا سيما بالاستقراء؛ القرآني ك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [النحل: ٥٧] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] إلى غير ذلك.

الرابع: أن أصل الجعل، وإن جاز وإسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لا نقياً، فإن بابه مهول لأن الله تعالى قد علمنا عظيم خطره، وألا نقول فيه إلا بالعلم، كقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَّ

(٢) سقط من م.

(١) الأصول (٤٧٣/٣).

(٣) الكشاف (٥٢/٢).

اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٦٩] ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] إلى غير ذلك، مع ما دل عليه الأدب عقلاً، وكان نفس الجعل مستنكراً إن لم يتبع بمجعول لائق، فإذا أتبع بمجعول غير لائق منهم ثم فسر بخاص مستنكر، صار قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات: الأول: جساتهم في أصل الجعل، الثاني: في كون المجعول شركاء، الثالث: في أنهم شركاء جن.

الخامس: أن في تقديم «لله» إفادة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث دون جميع ما يعبدون لأنه الإله الحق.

السادس: أنه جيء بكلمة «جعلوا» لا «اعتقدوا» ولا «قالوا»، لأنه أدل على إثبات المعتقد، لأنه يستعمل في الخلق والإبداع.

السابع: كلمة «شركاء» ولم يقل «شريكاً» وفاقاً لمزيد ما فتحوا من اعتقادهم.

الثامن: لم يقل «جنّاً» وإنما قال «الجن»، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها جعلوه من حيث هو صالح لذلك، وهو أقرب من التنكير الذي وضعه للمفردات المعدولة.

الرابع: أن يدل عليه معنى الفعل الظاهر؛ كقوله تعالى: ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي: واثتوا أمراً خيراً لكم؛ فعند سيبويه أن «خيراً» انتصب بإضمار «اثت» لأنه لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير؛ فكأنه قال: «واثتوا خيراً» لأن النهي عن الشيء أمر بضده، ولأن النهي تكليف، وتكليف العدم محال لأنه ليس مقدوراً، ثبت أن متعلق التكليف أمر وجودي ينافي المنهى عنه وهو الضد.

وحمله الكسائي على إضمار «كان» أي: يكن الانتهاء خيراً لكم. ويمنعه إضمار كان، ولا تضمير في كل [ق/١٩٨] موضع، ومن جهة المعنى إذ من ترك ما نهى عنه فقد سقط عنه اللوم، وعلم أن ترك المنهى عنه خير من فعله، فلا فائدة في قوله «خيراً».

وحمله الفراء^(١) على أنه صفة لمصدر محذوف أي: انتهوا انتهاء خيراً [لكم]^(٢)، وقال: إن هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان أفعال، نحو خير لك وأفعل.

ورد مذهبه ومذهب الكسائي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنْ نَكُونَهُ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] [لو حمل على ما قال لا يكون خيراً]^(٣)، لأن من انتهى عن التثليث، وكان معطلاً لا يكون خيراً له، وقول سيبويه: واثت خيراً يكون أمراً بالتوحيد الذي هو خير، فله

(٢) سقط من م.

(١) معاني القرآن (١/٢٩٥).

(٣) سقط من م.

در الخليل وسيبويه ما أطلعهما على المعاني!

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] إن لم يجعل مفعولاً معه، أي: وادعوا شركاءكم وياظهار «ادعوا» قرأ [أبي] ^(١) وكذلك هو مثبت في مصحف ابن مسعود.

وقوله تعالى: ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ مَربًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣] قال ابن السجري: معناه مال عليهم بضربهم ضرباً ويجوز نصبه على الحال، نحو: أتيت مشياً أي: ماشياً ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَاؤَيْتِكَ سَعِيًّا﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي ساعيات. وقوله «باليمين»، إما اليد أو القوة وجوز ابن السجري إرادة القسم، والياء للتعليل أي: لليمين التي حلفها، وهي قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وزعم النووي في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ﴾ [النور: ٥٣] أن التقدير: ليكون منكم طاعة معروفة.

الخامس: أن يدل عليه العقل كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَهْرِبْ بِمَعَاكِ الْحَجْرُ فَأَنْفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] [أي فضرب فانفجرت] ^(٢).

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَلْبُوثٌ فَأَنْبِئْهُ ﴿١١﴾ فَفَتَحْنَا﴾ [القمر: ١٠-١١] قال النحاس: التقدير فنصرناه ففتحنا أبواب السماء لأن ما ظهر من الكلام يدل على ما حذف.

وقوله: ﴿يَمْدُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَجْحُرٍ﴾ [القمان: ٢٧] أي يكتب بذلك كلمات الله ما نفذت، قاله أبو الفتح.

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فقوله: «ثم أحياهم» معطوف على فعل محذوف تقديره: فماتوا ثم أحياهم ولا يصح عطف قوله: «ثم أحياهم» على قوله «موتوا» لأنه أمر وفعل الأمر لا يعطف على الماضي.

وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: فاختلفوا فبعث وحذف لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] وهي في قراءة عبد الله كذلك.

وقيل: تقديره كان الناس أمة واحدة كفاراً، فبعث الله النبيين فاختلفوا والأول أوجه.

وقوله: ﴿أَوْ عَجِزْتَ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٦٣]، فالهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف تقديره: أكذبتن وعجبتم أن جاءكم.

وقوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، (هو معطوف على محذوف سد

(٢) سقط من م.

(١) بياض في المطبوع.

مسده حرف الإيجاب، كأنه قال إيجاباً لقولهم: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف: ١١٣] نعم إن لكم أجراً وإنكم لمن المقربين^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فأفطر فعدة، خلافاً للظاهرية حيث أوجبوا الفطر على المسافر أخذاً من الظاهر.

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ يَهُدَىٰ أَوْ يَكُنْ مِنَ الرَّاغِبِينَ فَلْيُصِدِّمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي فحلق ففدية.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، قال الزمخشري: التقدير فضربه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وزعم ابن جني أن التقدير في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] [أن]^(٢) التقدير فكيف يكون إذا جئنا.

السادس: أن يدل عليه ذكره في موضع آخر، كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَنَسْفًا﴾ [البقرة: ٧٢] قال الواحدي: هو بإضمار «اذكر» ولهذا لم يأت لإذ بجواب، ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَمَوَّدَ بِأَتَاهُمْ مَبْلَغًا﴾ [الأعراف: ٧٣] وليس شيء قبله تراه ناصباً لـ«صالحاً» بل علم بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار «أرسلنا».

وقوله: ﴿وَلَسَلِمْنَ النَّجَىٰ﴾ أي وسخرنا.

ومثله: ﴿وَوُجَّهًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦] ﴿وَدَا التُّورِ﴾.

وكذا ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨] أي واذكر.

قال: ويدل على «اذكر» في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَرُكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

وما قاله ظاهر إلا أن مفعول «اذكر» يكون محذوفاً أيضاً تقديره: «واذكروا أخوا لكم» ونحوه إذا كان كذا، وذلك ليكون «إذ» في موضع نصب على الظرف ولو لم يند ذلك المحذوف لزم وقوع «إذ» مفعولاً به، والأصح أنها لا تفارق الظرفية.

السابع: المشاكلة، كحذف الفاعل في «بسم الله» لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله، فلو ذكر الفعل وهو لا يستغني عن فاعله، كان ذلك مناقضاً للمقصود، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، ليكون المبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة الله أكبر ومعناه: «من كل شيء» ولكن لا تقول هذا المقدر ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

الجنان، وهو أن يكون في القلب ذكر الله [العظيم] (١) وحده، وأيضاً فلأن الحذف أعم من الذكر، فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل.

الثامن: أن يكون بدلاً من مصدره كقوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابَ﴾ وقوله: ﴿فَأَمَّا مَتَّى بَعْدَ وَإِنَّمَا فِتْنَةً﴾ [محمد: ٤]؛ أي فيما أن تمنوا وإما أن تفادوا.

وقد اختلف في نصب «السلام» في قوله تعالى في سورة هود ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَامًا﴾ [هود: ٦٩] وفي الذاريات ﴿هَلْ أُنثِيَ حَيْثُ صَفَّيْ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُوبِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥] وفي نصبها وجهان:

أحدهما: أن يكون منصوباً بالقول، أي: يذكرون قولاً «سلاماً» فيكون من قلت: حقاً وصدقاً.

الثاني: أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره: فقالوا سلمنا سلاماً، أي سلمنا تسليماً، فيكون قد حكي الجملة بعد القول، ثم حذفها واكتفى ببعضها.

والحاصل: أنه هل هو منصوب بالقول أو بكونه مصدرًا لفعل محذوف؟

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبْرًا﴾ [النحل: ٣٠] منصوب، «بقالوا» كقولك فقلت: حقاً أو منصوب بفعل مضمّر أي قالوا: أنزل خيراً من باب حذف الجملة المحكية وتبقي بعضها.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤] [مرفوع؛ لأنه لا يمكن نصبه على تقدير «قالوا أساطير الأولين»، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك، ولا هو أيضاً من باب: قلت حقاً وصدقاً فلم يبق إلا رفعه] (٢).

تنبيه

قد يشبه الحال في أمر المحذوف وعدمه، لعدم تحصيل معنى الفعل، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقْبَلَةُ﴾ [الإسراء: ١١٠] فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء، فلا يقدر في الكلام حذف، وليس كذلك وإلا لزم الاشتراك إن كانا متفاوتين أو عطف الشيء على نفسه، وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتعدى لمفعولين أي: سموه الله أو الرحمن.

وقد يشبهه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين كقوله تعالى: ﴿يَا قَدِيرِينَ﴾ قدره سيبويه (٣)

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) الكتاب (١/٣٤٦).

بـ«بلى» نجمعها قادين»، فقادرين حال وحذف الفعل لدلالة ﴿أَنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣] عليه، وقدره الفراء^(١) «نحسب» لدلالة ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي بلى نحسبنا قادين .
وتقدير سيبويه أولى [ق/١٩٩] لأن «بلى» ليس جواباً لـ«يحسب» إنما هو جواب لـ«أن لن نجتمع» وقدره بعضهم «بلى نقدر قادين» .
وقيل: منصوب لوقوعه موقع [الفعل]^(٢)، وهو باطل لأنه ليس من نواصب الاسم وقوعه موقع الفعل .

تنبيه آخر

إن الحذف على ضربين: أحدهما: ألا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق، والثاني: أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [هود: ٥٧] ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم، فالتقدير: فإن تولوا فلا ملام علي لأنني قد أبلغتكم .
وقوله: ﴿وَإِنْ يَكْفُرْكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] فلا تحزن واصبر .
وقوله: ﴿رَبِّانِ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] أي يصيبهم ما أصاب الأولين .

حذف الحرف

قال أبو الفتح في «المحتسب» أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر بن السراج: حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله، ألا تراك إذا قلت: ما قام زيد فقد نابت «ما» عن «أنفي» كما نابت «إلا» عن «أستثنى» وكما نابت الهمزة وهل عن «أستفهم»، وكما نابت حروف العطف عن «أعطف» ونحو ذلك، فلو ذهبت تحذف الحرف؛ لكان ذلك اختصاراً، واختصار المختصر إجحاف به إلا إذا صح التوجه إليه، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه انتهى .

فمنه الواو: تحذف لقصد البلاغة فإن في إثباتها ما يقتضى تغاير المتعاطفين، فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد كقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] تقديره: ولا يألونكم [خبالاً]^(٣) .

(٢) في م: المصور.

(١) معاني القرآن (٢٠٨/٣) .

(٣) سقط من م .

وقوله تعالى: ﴿وَجِئُوا بِرِجَالِكُمْ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لَا يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ أَتَأْمُرُونَ بِالْكَفْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الناسية: ٨] أي ووجوه .

وخرج عليه الفارسي ^(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا . . .﴾ [التوبة: ٩٢] الآية، وقال: تقديره: «وقلت لا أجد» فهو معطوف على قوله «أتوك»، لأن جواب «إذا» قوله «تَوَلَّوْا» .

ومنع ابن الشجري في أماليه؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب، لأنه معطوف على الصلة؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب فكذلك ما عطف عليها .

وقال الزمخشري ^(٢): هي حال من الكاف في «أتوك»، «وقد» قبله مضمرة كما في قوله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي: إذا ما أتوك قائلاً: لا أجد تولوا، وعلى هذا فله موضع من الإعراب لأنه حال .

قال السهيلي في أماليه: ليس معنى الآية كما قالوا، لأن رفع الحرج عن القوم ليس مشروطاً بالبكاء عند التولي، وإنما شرطه عدم الجدة، ونزلت في السبعة الذين سمى أبو إسحاق، ولو كان جواب «إذا أتوك» في قوله: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ﴾ [التوبة: ٩٢] لكان من لم تَفِيضْ عيناه من الدمع هو الذي حرج وأثم، وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول ﷺ ^(٣) لم يجد ما يحملهم عليه وإذا عطفت «قلت لا أجد» على «أتوك» كان الحرج غير مرفوع عنهم، حتى يقال ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ﴾ فجواب «إذا» في قوله: «لا أجد» وما بعد ذلك خبر ونبا على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية، فضيلة البكاء مخصوصة بهم، ورفع الحرج بشرط عدم الجدة عام فيهم وفي غيرهم .

وقال الواحدي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: ٦٨]: آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو يعني: قراءة ابن عامر، لأن هذه الآية ملابسة لما قبلها من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤] لأن القائلين «اتخذ الله ولداً» من جملة المتقدم ذكرهم، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها، كما استغنى عنها في نحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] ولو كان «وهم» كان حسناً؛ إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو .

ومثله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْهِنَّ﴾ [الكهف: ٢٢] ولم يقل «ورابعهم» كما قال: ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ولو حذف الواو منها كما حذف من التي قبلها واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما [كان حسناً] ^(٤)، ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف الجملة، ولا يعطف على ما تقدم انتهى .

(٢) الكشاف (٢/٣٠١).

(١) الصاحبى (ص/١٥٢).

(٤) سقط من م.

(٣) زيادة من م.

[وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف، ويكتفى للربط بينها وبين ما قبلها بالملابسة كما ذكر] (١)، ويجوز ألا يلاحظ ذلك فتكون الجملة مستأنفة.

قال ابن عمرون: وحذف الواو في الجمل أسهل منه في المفرد، وقد كثر حذفها في الجمل في الكلام المحمول بعضه على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿[الشعراء: ٢٣-٢٨]﴾ كله محمول بعضه على بعض، والواو مزيدة حذفت لاستقلال الجمل بأنفسها بخلاف المفرد، ولأنه في المفرد ربما أوقع لبساً في نحو «رأيت زيدا ورجلاً عاقلاً»، ولو جاز حذف الواو احتمال أن يكون «رجلاً» بدلاً بخلاف الجملة.

وقريب منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ [الفصص: ٧٩] أي: وقال.

ومنه الفاء في جواب الشرط على رأى، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي فالوصية.

والفاء في العطف كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذِبْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] تقديره: «فقال أعود بالله» ذكره ابن السجري في أماليه.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَادُوا أَنجُسًا قَالَ يُقِيمُونَ غَدَابَةً بِاللَّهِ﴾ [الاعراف: ٦٥] [حذف حرف العطف من قوله «قال» ولم يقل «فقال» كما في قصة نوح، لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ فقيل: [٢] قال: يا قوم اعبدوا الله واتقوه.

ومنه حذف همزة الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] أي: أهذا ربي؟

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سِتْرَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي: أومن نفسك!

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَىٰ عَلَىٰ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي أو تلك نعمة!

وقوله: ﴿أَوَلَيْتَ لَأَنْتَ يَوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠] على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة (٣)، على خلاف في ذلك جميعه.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) كلهم قرأ: ﴿أإنك لأنت يوسف﴾ بالاستفهام غير ابن كثير فإنه قرأ: ﴿إنك لأنت يوسف﴾ على الخبر. قال أبو علي: «يدل على الاستفهام قوله: [أنا يوسف] فإنه أجابهم عما استفهموا عنه، وزعموا في حرف أبي: [أو أنت يوسف]؟ فهذا يقوي الإستفهام «الحجة» (٤/٤٤٧).

ومنه حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر، للفرق بين الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [التازعات: ٤٣] ﴿عَمَّ يَسَاءَلُونَ﴾ و ﴿يَوْمَ حِقِّ﴾ . ومنه حذف الياء في ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ للتخفيف ورعاية الفاصلة .

ومنه حذف حرف النداء كقوله: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: ٦٦] [أي يا هؤلاء] ^(١) .
وقوله: ﴿يُوسُفُ﴾ أي يا يوسف .

وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ [مريم: ٤] أي: يا رب .

ويكثر في المضاف نحو ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ﴾ . ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ [المائدة: ١١٤] .

وكثر ذلك في نداء الرب سبحانه، وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتنزيه، لأن النداء يتشرب معنى الأمر، لأنك إذا قلت: يا زيد فمعناه أَدْعُوكَ يا زيد، فحذفت «يا» من نداء الرب ليزول معنى الأمر ويتمحض التعظيم والإجلال .

وقال الصفار: يجوز حذف حرف النداء من المنادى إلا إذا كان المنادى نكرة، مقبلاً عليها إذ لا دليل عليه وإلا إذا كان اسم إشارة .

ومنه حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّعَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] تقديره [ق/ ٢٠٠]: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق .

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُوهُ بِبَيِّنَاتٍ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [المنكوب: ٤٨] معناه: لو كان كذلك لارتاب المبطلون .

ومنه حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] أي: وقد اتبعك لأن الماضي لا يقع موقع الحال إلا و«قد» معه ظاهرة أو مقدره .

ومثلها ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨] أي: وقد كنتم .

وقوله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] قيل: معناه «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب . «حَصْرَةٌ صُدُورُهُمْ»، وقال الأخفش ^(٢): الحال عذوفة و«حصرت صدورهم» صفتها أي: جاءوكم يوماً حصرت؛ دعاء عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم طريقتهم قاتلهم الله، وردة أبو علي بقوله: أي قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم؛ لكن يقول: اللهم ألق بأسهم بينهم .

(١) معاني القرآن (١/٢٦٣) .

(٢) سقط من م .

ومنه حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوَاقٍ وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] المعنى: أن يريكم.

وحذف «لا» في قوله: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوًا تَذَكَّرُ﴾ [يوسف: ٨٥] أي: لا تفتأ لأنها ملازمة للنفي، ومعناها لا تبرح.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوَيْتَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] أي لا تميد.

وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] أي لا تبوء.

وبهذا [التقدير] ^(١) يزول الإشكال من الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: لا يطيقونه على قول.

فائدة في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور

كثر في القرآن حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور به كقوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَا تَعْرَظُوا عُقْدَةَ الزَّكَاجِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي على عقدة.

﴿إِنَّمَا ذَلِكَمُ الْفَيْطَلُنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي يخوفكم بأوليائه ولذلك قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿وَيَتَوَنَّبَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] أي يبيغون لها.

﴿وَالْقَمَرَ فَدَرْنَاهُ﴾ [يس: ٣٩] أي قدرنا له.

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ [طه: ٢١] أي على سيرتها.

[فصل] ^(٢) فيما حذف في آية وأثبت في أخرى

من الأنواع ما حذف في آية وأثبت في أخرى وهو قسمان:

أحدهما: أن يكون ما حذف منه محمولاً على المذكور؛ كالمطلق في الرقبة ^(٣) في كفارة [الظهار] ^(٤) مقيداً بالمؤمنة في كفارة القتل ^(٥).

(١) سقط من المطبوع. (٢) في م: تنبيه.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يُؤَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ بَيْنَ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَأَ﴾.

(٤) في المطبوع: لظهار.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾.

وكقوله: ﴿وَجَعَلَهُ عَرِضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] قيدت بالتشبيه في موضع آخر، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله في سورة النحل ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] فإن هذه تقتضي أن الأولى على حذف مضاف .

والقسم الثاني: لا يكون مراداً فمنه قوله تعالى في سورة المؤمنين ﴿لَكَزَّ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩] وفي الزخرف ﴿لَكَزَّ فِيهَا فَنَكِهَتْ كَثِيرَةً مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣] .
وقوله في البقرة: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وفي سورة الأعراف ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰغِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وحكمته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة، فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين في الأعراف، فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيهم بالبهائم واحد، فكانت الجملة الثالثة مقررة ما في الأولى فهي من العطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى في البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ﴾ [يس: ١٠] مع العاطف، وحكمته أن ما في يس وما بعده جملة معطوفة على جملة أخرى فاحتاجت إلى العاطف، والجملة هنا ليست معطوفة فهي من العطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْتَمِعُوكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٣] فأثبت الواو في الأعراف وحذفها في الكهف فقال: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ [الكهف: ٥٧] والفرق بينهما أن الذي في الأعراف خطاب لجمع وأصله «تدعونهم» حذف للجزم، والتي في الكهف خطاب للنبي ﷺ وهو واحد وعلامة الجزم فيه سقوط الواو .

ومنه في آل عمران ﴿جَاءَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] وفي فاطر ﴿جَاءَهُمْ رَسُولُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] والفرق أن الأولى حذف الباء، [فيها] ^(١) للاختصار استغناء بالتي قبلها [والثانية] ^(٢) وخرجت عن الأصل للتوكيد، وتقدير المعنى كما تقول: مررت بك وبأخيك وبأبيك إذا اختصرت .

ومنه قوله في قصة ثمود ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤] وفي قصة شعيب ﴿وَمَا أَنْتَ بِالْوَاوِ وَالْفَرْقِ أَنْ الْأَوَّلَى جَرَى عَلَى انْقِطَاعِ الْكَلَامِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ وَاسْتِثْنَاءِ ﴿مَا أَنْتَ﴾ فَاسْتغنى عن الواو لما تقرر من الابتداء، وفي الثانية جرى في العطف وأن يكون قوله ﴿وَمَا

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: فيها.

﴿أَنْتَ﴾ معطوفاً على ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ .

ومنه قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفُ فِي صَبِيحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] وفي سورة النمل ﴿وَلَا تَكُنْ فِي صَبِيحٍ﴾ [النمل: ٧٠] بإثبات النون، وحكمته أن القصة لما طالت في سورة النحل تناسب التخفيف بحذف النون، بخلافه في سورة النمل، فإن الواو استثنافية ولا تعلق لها بما قبلها.

وقوله في البقرة: ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] وفي آل عمران ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] وحكمته أن الخطاب في البقرة لليهود وهم أشد جدالاً.

ومنه قوله في الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] وفي الأنعام ﴿يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَرُشِدُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِحَيَاةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبْغِيهِمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٦١] وفي سورة آل عمران ﴿يَبْغِي حَقِّي﴾ والحكمة فيه أن الجملة في آل عمران خرجت مخرج الشرط وهو عام؛ فناسب أن يكون النفي بصيغة التنكير حتى يكون عاماً، وفي سورة البقرة جاء عن أناس معهودين، وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبْغِيهِمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٦١] فناسب أن يؤتى بالتعريف، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفاً، كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَاتٍ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف، [١] بخلاف ما في سورة آل عمران.

ومنه قوله تعالى في هود حاكباً عن شعيب: ﴿وَيَنْقُورِ أَصْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَعِلُّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود: ٩٣] وأمر نبينا ﷺ أن يقول لقريش: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥].

ويمكن أن يقال لما كررت مراجعته لقومه، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد، وأما نبينا ﷺ فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة فعقب عملهم على مكافأتهم بوعيدهم بالفاء، إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم بخلاف شعيب، فإنه طالت مدته في قومه فاستأنف لهم ذكر الوعيد.

ولعل قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم فأجابهم بهذا الجواب، والفاء لا تحسن فيه والنبي ﷺ لم يقل ذلك جواباً للسؤال ولا يحسن معه الحذف.

(١) سقط من م.

ومنه أنه تعالى قال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] إلى أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: ١٢] [ق/ ٢٠١] وقال في خطاب الكافرين: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠] ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٣١].

قال الزمخشري في تفسير سورة إبراهيم^(١): ما علمته جاء الخطاب هكذا في القرآن إلا في خطاب الكافرين، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولثلا يسوي بين الفريقين في الميعاد. واعترض الإمام فخر الدين^(٢) بأن هذا التبعض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً.

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسيره^(٣): ويقال: ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك؟ إذ الكافر إذا آمن والمؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران، وما تحيلت فيه مغفرة بعض الذنوب من الكافر إذا هو آمن موجود في المؤمن إذا تاب، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في آخر الكتاب.

الإيجاز^(٤)

وهو قسم من الحذف، ويسمى إيجاز القصر؛ فإن الإيجاز عندهم قسمان: وجيز بلفظ ووجيز بحذف.

فالوجيز باللفظ: أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة، وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة، ولهذا قال عليه السلام: «أوتيت جوامع الكلم»^(٥).

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر؛ أو أقل منه وهو المقصور. أما المقدر فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل: ٩٠] الآية وقوله: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرًا﴾ [عبس: ١٧] وهو كثير..

وأما المقصور: فإما أن يكون نقصان لفظه عن معناه لاحتمال لفظه لمعان كثيرة أو لا.

(١) الكشاف (٤٥٣/٢).

(٢) قال الرازي: «قال بعضهم: كلمة (من) ههنا زائدة والتقدير: يغفر لكم ذنوبكم، وقيل: بل الفائدة فيه أن كلمة (من) ههنا لا ابتداء الغاية، فكان المعنى أنه يقع ابتداء الغفران بالذنوب، ثم ينتهي إلى غفران ما صدر عنكم من ترك الأولى والأكمل» التفسير الكبير (٣٠/٢٨).

(٣) (٤٠٩/٦).

(٤) انظر: «المثل السائر» (٦٧/١) و«الإيضاح» (ص/ ١٧٤).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨١٥) ومسلم (٥٢٣).

الأول كاللفظ المشترك الذي له مجازان أو حقيقة ومجاز إذا أريد معانيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإن الصلاة من الله مغايرة للصلاة من الملائكة، والحق أنه من القدر المشترك وهو الاعتناء والتعظيم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ [الحج: ١٨] الآية فإن السجود في الكل يجمعه معنى واحد وهو الانقياد.

والثاني كقوله: ﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] إذ معناه [كبير] (١) ولفظه

يسير.

وقد نُظِرَ لقول العرب: «القتل أنفى للقتل»، وهو بنون ثم فاء [ويروي بقاء ثم قاف] (٢) ويروي «أوقى» والمعنى أنه إذا أقيم وتحقق حكمه خاف من يريد قتل أحد أن يقتص منه، وقد حكاه الحوفي في تفسيره عن علي بن أبي طالب، وقال: قول علي في غاية البلاغة، وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحته، وأبلغ منه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقد تكلموا في وجه الأبلغية انتهى.

وقد أشار صاحب «المثل السائر» (٣) إلى إنكار ذلك وقال: لا نسبة بين كلام الخالق عز وجل وكلام المخلوق؛ وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك، وهو كما قال: وكيف يقابل المعجز بغيره مفاضلة، وهو منه في مرتبة العجز عن إدراكه.

وماذا يقول القائلون إذا بدا جمال خطاب فات فهم الخلائق وجملته ما ذكروا في ذلك وجوه:

أحدها: أن قوله: ﴿الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ أوجز فإن حروفه عشرة، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر حرفاً، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً، وكذا التنوين لتمام الكلام المقتضى للوقف.

الثاني: أن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل ولا تكرير في الآية..

الثالث: أن لفظ «القصاص» فيه حروف متلاثمة؛ لما فيه من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف

(٢) سقط من م.

(١) في م: كثير.

(٣) (١١٧/٢ - ١١٨).

الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض فهو غير ملائم، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعدها دون طرف اللسان وأقصى الحلق. الرابع: في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت، ولا كذلك تكرير القاف والفاء. الخامس: تكرير ذلك في كلمتين متماثلتين بعد فصل طويل، وهو ثقل في الحروف أو الكلمات.

السادس: الإثبات أول والنفي ثان عنه والإثبات أشرف.

السابع: أن القصاص المبني على المساواة أوزن في المعادلة من مطلق القتل، ولذلك يلزم التخصيص بخلاف الآية.

الثامن: الطباع أقبل للفظ «الحياة» [من كلمة «القتل» لما فيه من الاختصار. وعدم تكرار الكلمة، وعدم تنافر الحروف وعدم تكرار الحرفين، وقبول الطبع للفظ «الحياة»^(١) وصحة الإطلاق.

التاسع: أن نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

العاشر: أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة وقوله: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] مفهوم لأول وهلة [ق/٢٠٢].

الحادي عشر: أن قولهم خطأ؛ فإن القتل كله ليس نافيًا للقتل، فإن القتل العدواني لا ينفي القتل، وكذا القتل في الردة والزنا لا ينفيه، وإنما ينفيه قتل خاص وهو قتل القصاص؛ فالذي في الآية تنصيص على المقصود، والذي في المثل لا يمكن حمله على ظاهره.

الثاني عشر: فيه دلالة على ربط المقادير بالأسباب، وإن كانت الأسباب أيضًا بالمقادير وكلام العرب يتضمنه، إلا أن فيه زيادة وهي الدلالة على ربط الأجل في الحياة بالسبب لا من مجرد نفي القتل.

الثالث عشر: في تنكير «حياة» نوع تعظيم يدل على أن في القصاص حياة متطولة، كقوله: ﴿وَلَجِدْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس، ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع عشر: فيه بناء أفعل التفضيل من متعد والآية سالمة منه.

(١) سقط من م.

الخامس عشر: أن «أفعل» في الغالب تقتضي الاشتراك، فيكون ترك القصاص نافيًا القتل، ولكن القصاص أكثر نفيًا وليس الأمر كذلك والآية سالمة من هذا.

السادس عشر: أن اللفظ المنطوق به إذا توالفت حركاته تمكن اللسان من النطق، وظهرت فصاحته بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون، والحركات تنقطع بالسكنات، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فخنست ثم تحركت فخنست، لا يتبين انطلاقتها ولا تتمكن من حركتها على ما نختاره، وهي كالمقيدة، وقولهم: «القتل أنفي للقتل» حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية.

السابع عشر: الآية اشتملت على فن بديع، وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة ذكره في الكشف.

الثامن عشر: أن في الآية طباقاً؛ لأن القصاص مشعر بضد الحياة بخلاف المثل.

التاسع عشر: القصاص في الأعضاء والنفوس، وقد جعل في الكل حياة؛ فيكون جمعاً بين حياة النفس والأطراف، وإن فُرض قصاص بما لا حياة فيه كالسنن، فإن مصلحة الحياة تنقص بذهابها ويصير كنوع آخر؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها المثل.

العشرون: أنها أكثر فائدة لتضمنه القصاص في الأعضاء، وأنه نبه على حياة النفس من وجهين: من وجه به القصاص صريحاً، ومن وجه القصاص في الطرف؛ لأن أحد أحوالها أن يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل.

وقد قيل غير ذلك.

وأما زيادة ﴿لَكَرَّ﴾ ففيها لطيفة؛ وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم. والحاصل أن هذا من البيان الموجز الذي لا يقترن به شيء.

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٢] الآية. فإنها نهاية التنزيه.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٦] وهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال.

وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

وقوله: ﴿إِنَّ الْمَتَّيْنِ فِي مَقَارٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] وهذا من أحسن الوعد والوعيد.

وقوله: ﴿فَأَصْدَعُ يَا نُورُ﴾ [العنكب: ٩٤] ، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة .

وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأمراء: ١٩٩] فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها، لأن في ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن ممارسة السفيه .

قوله: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ معناه مسودتان من شدة الخضرة .

وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ [التازعات: ٣١] فدل بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر، والحب، والتمر، والعصف، والخطب، واللباس، والنار، والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء .

وقوله: ﴿يُسْقَى يَمَاءً زَكِيًّا وَنُفُوسٌ بَمَضًى عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ [الرعد: ٤] فدل على نفسه ولطفه ووحدايته وقدرته وهدى للحجة على من ضل عنه، لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والترية، لوجب في القياس، ألا تختلف الطعوم والروائح، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد، إذا نبت في مغرس واحد، ولكنه صنع اللطيف الخبير .

وقوله: ﴿لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] ، كيف نفى بهذين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: ﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب .

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يونس: ٤٢-٤٣] فدل على فضل السمع والبصر، حيث جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان البصر وحده .

وقوله: ﴿رَقِيبٌ يَتَأَرَضُ أَبْلَى مَاءِكِ وَنَسَمَةٌ أَقْلَى وَغِيصٌ أَلْمَاءِ وَفِيهِ الْأَمْرُ وَأَسْوَتٌ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، قص من الأنبياء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز، والبيان لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي .

وقوله تعالى عن النملة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مِنْكُمْ﴾ [النمل: ١٨] فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام، نادى وكنت ونهت، وسمعت، وأمرت، وقضت، وحذرت، وخصت وعمت، وأشارت وعذرت، فالنداء «يا» والكناية «أي» والتنبيه «ها» والتسمية

النمل، والأمر «ادخلوا» والقصص «مساكنكم»، والتحذير «لا يحطمنكم» والتخصيص سليمان، والتعميم جنوده والإشارة وهم والعذر «لا يشعرون»، فأدت خمس حقوق حق الله وحق رسوله، وحقها وحق رعيته وحق جنود سليمان. فحق الله أنها استرعت على النمل فقامت بحقهم، وحق سليمان أنها نبهته على النمل، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحهم، وحق [رعيته] ^(١) بنصحها لهم ليدخلوا مساكنهم، وحق الجنود إعلامها إياهم، وجميع الخلق أن من استرعاه رعية فوجب عليه حفظها، والذب عنها؛ وهو داخل في الخبر المشهور «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ^(٢).

ويقال: إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة، وأخرى حين أشرف على [ق/٢٠٣] وادي النمل، فرآها على كبر الثعالب، لها خراطيم وأنياب، فقال رئيسهم: ادخلوا مساكنكم فخرج كبير النمل في عظم الجواميس، فلما [نظر إليه] ^(٣) سليمان هاله، فأراه الخاتم؛ فخضع له ثم قال أهذه كلها نمل؟ فقال: إن النمل لكبير، إنها ثلاثة أصناف: صنف في الجبال، وصنف في القرى، وصنف في المدن. فقال سليمان عليه السلام: اعرضها علي فقال له: قف فبقى سليمان عليه السلام تسعين يوماً واقفاً، يمر عليه النمل، فقال: هل [انقطعت] ^(٤) عساكركم؟ فقال ملك النمل: لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت، [وذكر] ^(٥) الجنيد أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل: لم قلت للنمل: ادخلوا مساكنكم؟ أخفت عليهم من ظلمنا؟ قال: لا، ولكن خفت أن يفتتنوا بما رأوا من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله.

وقوله: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَيْبٌ ۗ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨-٧٩] وهذا أشد ما يكون من الحجاج.

وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩] وهذا أعظم ما يكون من التحسير.

وقوله: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وهذا أشد ما يكون من التنفير عن الخلة إلا على التقوى.

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ، وهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط.

- (١) في المطبوع: الجنود. (٢) أخرجه مسلم (١٨٢٩).
 (٣) في م: رآه. (٤) في المطبوع: تقطعت.
 (٥) في المطبوع: فذكر.

وقوله: ﴿أَفَن يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [نصفت: ٤٠] ، وهذا أشد ما يكون من التبعيد .

وقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصفت: ٤٠] ، فهذا أعظم ما يكون من [التهدير] (١) .

وقوله: ﴿وَمَاتَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَابِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿١١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكُنْفًا عَنْكَ غِطَاءَةٌ فَصِرَكَ أَيُّمٌ حَيِّدٌ﴾ [ق: ٢١-٢٢] ، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاهِرٌ أَوْ مَجنونٌ أَوْ أَصْرًا بِهِ ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٢-٥٣] وهذا أشد ما يكون في التقرير على التماذي في الباطل .

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١١﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ ذِي قَرْنَيْنِ مِّنْ حَمِيمٍ ؕ إِنَّ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤] وهذا أشد ما يكون من التقرير .

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وهذا غاية الترهيب .

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [نصفت: ٣١] وهذه غاية الترغيب .

وقوله: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِن لَّدُنِّي وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَمَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الانبيا: ٢٢] ، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل الذي عليه أثبتت دلالة التمانع في علم الكلام .

وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات ، وتلذ الأعين من المرئيات ، ليعلم أن هذا اللفظ القليل جداً حوى معاني كثيرة لا تنحصر عدداً .

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَاذُونَ﴾ [المنافقون: ٤] وهذا أشد ما يكون من الخوف .

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] .

وقوله: ﴿إِنَّمَا بِغَيِّكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣] .

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبا: ٥١] .

وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُنْفِقِينَ﴾ [البقرة: ٢] .

وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا سَفِيحٍ يُطَاعُ﴾ [غانر: ١٨] .

(١) في المطبوع: التخيير . وليس كذلك بل هو للتهديد .

وقوله: ﴿فَأَيُّذٌ لِّإِيْتِهِنَّ عَلَيَّ سَوَاءٌ﴾ [الأنفال: ٥٨] معناه: قابلهم بما يفعلونه معك، وعاملهم مثل معاملتهم لك سواء، مع ما يدل عليه «سواء» من الأمر بالعدل.

وقوله: ﴿وَعِصَى الْمَاءِ وَقِصَى الْأَمْرِ﴾ [مود: ٤٤] فإنه أشار به إلى انقطاع مدة الماء النازل من السماء والنابع من الأرض، وقوله ﴿وَقِصَى الْأَمْرِ﴾ أي: هلك من قضى هلاكه، ونجا من قدرت نجاته وإنما عدل عن لفظه إلى لفظ التمثيل، لأمرين: اختصار اللفظ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع إذ الأمر يستدعي أمرًا ومطاعًا، وقضاؤه يدل على قدرته.

ومن أقسام الإيجاز: الاقتصار على السبب الظاهر للشيء اكتفاء بذلك عن جميع الأسباب، كما يقال: فلان لا يخاف الشجعان، والمراد لا يخاف أحدًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ولا شك أن من فسخت النكاح أيضًا تتربص، لأن السبب الغالب للفراق الطلاق.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [النساء: ٤٣] ولم يذكر النوم وغيره، لأن السبب الضروري الناقض خروج الخارج، فإن النوم الناقض ليس بضروري، فذكر السبب الظاهر، وعلم منه الحكم في الباقي.

ومنه قوله: ﴿يَعْلَمُ الْبَيْتَ وَالْأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، أي: وهو ما لم يقع في وهم الضمير من الهواجس، ولم يخطر على القلوب من مخيلات الوسوس.

ومنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ونظائره.

وكذلك زيد وعمرو قائم، على القول بأن «قائم» خبر عن أحدهما، واستغنى به عن خبر الآخر.

ومنها: الاقتصار على المبتدأ، وإقامة الشيء مقام الخبر نحو: أقائم الزيدان فإن «قائم» مبتدأ لا خبر له.

ومنها: باب «علمت أنك قائم»، إذا جعلنا الجملة سادة مسد المفعولين، فإن الجملة محلّة لاسم واحد سد مسد اسمين مفعولين من غير حذف.

ومنه: باب النائب عن الفاعل، في: «ضرب زيد»، ف«زيد» دل على الفاعل بإعطائه حكمه، وعلى المفعول بوضعه.

ومنها: جميع أدوات الاستفهام والشرط، فإن: «كم مالك؟» يغنى عن عشرين أو ثلاثين، و«من يقيم أكرمه» يغنى عن زيد وعمرو، قاله ابن الأثير في «الجامع».

ومنه: الألفاظ اللازمة للعموم، مثل أحد وديار قاله ابن الأثير أيضًا.

ومنه: لفظ الجمع؛ فإن «الزيدين» يغنى عن [زيد وزيد وزيد]^(١)، وكذا التثنية أصلها: رجل ورجل، فحذفوا العطف والمعطوف، وأقاموا حرف الجمع والتثنية مقامهما اختصاراً، وصح ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرار بالعطف؛ نحو مررت بزيد وبكر.

ومنه: باب الضمائر على ما سيأتي بيانه؛ في قاعدة الضمير.

ومنه: لفظ «فعل» فإنه يجيء كثيراً كناية عن أفعال متعددة قال تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ [النساء: ٦٦].
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله.

(٢) القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق.
وقد اختلف [ق/٢٠٤] في عده من المجاز؛ فمنهم: من عده منه، لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نُقِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا [عن رتبته]^(٣) وحقه.

والصحيح: أنه ليس منه؛ فإن المجاز نُقِلَ ما وضع له إلى ما لم يوضع.
ويقع الكلام فيه في فصول:

الفصل الأول في أسباب التقديم والتأخير

الأول: في أسبابه، وهي كثيرة:

أحدها: أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها نحو: جاء زيد راكباً.
والثاني: أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ

(١) في م: زيد وزيد.

(٢) انظر: «الخصائص» (٢/٣٨٢) و«المثل السائر» (٢/٣٥) و«دلائل الإعجاز» (ص/٩٦) و«الأقصى القريب».

(٣) في م: على ترتيبه.

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴿ غافر: ٢٨ ﴾ فإنه لو أخر قوله: ﴿يَمُنُّ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [عن قوله ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ ليتوهم أنه من حقه بكتهم ليكون المعنى أن الرجل يكتُم إيمانه من آل فرعون] (١) فلا يفهم أنه منهم .

وجعل السكاكي (٢) من الأسباب كون التأخير مانعاً، مثل الإخلال بالمقصود كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأُتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣] بتقديم الحال أعنى ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ على الوصف أعنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولو تأخر لَوُتُوهم أنه من صفة الدنيا؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل من الدنو، وليست اسماً، والدنو يتعدى بـ«من» وحيثئذ يشبه الأمر في القائلين أنهم أهم من قومه أم لا؟

فقدّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود؛ وهو كون القائلين من قومه، وحين أمِنَ هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع .

الثالث: أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدّم لمساكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة كقوله: ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [نصت: ٣٧] بتقديم «إياه» على «تعبدون» لمساكلة رءوس الآي، وكقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] فإنه لو أخر ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ عن ﴿مُوسَى﴾؛ فات تناسب الفواصل؛ لأن قبله ﴿يُجِئُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ﴾ [طه: ٦٦] ، وبعده ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨] .

وكقوله: ﴿وَتَمَتَّنَى رُجُوهَهُمْ أَلْسَانًا﴾ [إبراهيم: ٥٠]؛ فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده .

وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وهو أشكل بما قبله، لأن قبله ﴿مُتَّقَرِّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] وجعل منه السكاكي (٣) ﴿ءَامَنَّا رَبَّ هَنَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] بتقديم ﴿هَنَرُونَ﴾ مع أن ﴿مُوسَى﴾ أحق بالتقديم .

الرابع: [للعظم] (٤) والاهتمام به، وذلك أن من عادة العرب الفصحاء، إذا أخبرت عن خبر ما - وأناطت به حكماً - وقد يشركه غيره في ذلك الحكم، أو فيما أخبر به عنه، وقد عطف أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب؛ فإنهم مع ذلك إنما يبدؤون بالأهم والأولى، قال سيبويه: كأنهم يقدمون الذي شأنه أهم لهم وهم يبيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يسمانهم ويعتبانهم . انتهى .

(٢) مفتاح العلوم (ص/١٢٩) .

(١) سقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع: لعظمه .

(٣) مفتاح العلوم (ص/١٢٩) .

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فبدأ بالصلاة لأنها أهم .
 وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] [وقال تعالى: ﴿فَتَأْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
 [التغابن: ٨] وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ﴾ [التوبة: ٦٢] [(١) .
 وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ؛ فقدم العبادة للاهتمام بها .
 ومنه تقدير المحذوف في بسم الله مؤخرًا .
 وأوردوا: ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وأجيب بوجهين:
 أحدهما: أن تقديم الفعل هناك أهم لأنها أول سورة نزلت .
 والثاني أن ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ متعلق بـ ﴿أَقْرَأُ﴾ الثاني، ومعنى الأول: أوجد القراءة والقصد
 التعميم .

الخامس: أن يكون الخاطر ملتفتًا إليه والهمة معقودة به ؛ وذلك كقوله تعالى .
 ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] بتقديم المجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه
 إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل .

السادس: أن يكون التقديم لإرادة التبيكيت والتعجيب من حال المذكور، كتقديم المفعول
 الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِنِّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ، والأصل: «الجنُّ
 شركاء» وقدم لأن المقصود التوبيخ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله .
 ومنه قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: ٢٠] وسنذكره .
 السابع: الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول والخبر، والظرف والجار والمجرور،
 ونحوها على الفعل كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك .
 وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] أي إن كنتم تخلصونه بالعبادة .
 والخبر كقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئِ﴾ [مريم: ٤٦] وقوله: ﴿وَلَطَمُوا أَنفُسَهُمْ مَا زَمَنَتْهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢] .

وأما تقديم الظرف، ففيه تفصيل، فإن كان في الإثبات دل على الاختصاص، كقوله
 تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَنَا إِلَّا إِلَهُهُمْ﴾ (١٥) ثُمَّ لَنْ عَلَيْنَا جِسْمُهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] وكذلك ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَدُّ﴾
 [التغابن: ١] فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى، وقوله: ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [ال
 عمران: ١٥٨] أي: لا إلى غيره، وقوله: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

(١) سقط من المطبوع .

شَهِيدًا ﴿البقرة: ١٤٣﴾ أُخِّرَتْ صلة الشهادة في الأول، وقدمت في الثاني، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .
وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩] أي: لجميع الناس من العجم والعرب على أن التعريف للاستغراق .

وإن كان في النفي، فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه، كما في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا عِوَجٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْرَفُونَ﴾ [الصفوات: ٤٧] ، أي: ليس في خر الجنة ما في خرة غيرها من العوول .
وأما تأخيره، فإنها تفيد النفي فقط، كما في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار، كان معناه: نفي العيب في الدار، وإذا قلنا: لا في الدار عيب، كان معناه: أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

تفنيك:

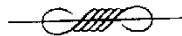
ما ذكرناه من أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره، والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٨٤] ، وقوله: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ﴾ إن جعلنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد رد صاحب «الفلك الدائر» القاعدة بالآية الأولى، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان وخالفوا البيانين في ذلك، وأنت إذا علمت أنهم ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهل الأمر، نعم له شرطان:

أحدهما: ألا يكون المعمول مقدماً بالوضع، فإن ذلك لا يسمى تقديمًا حقيقة، [كأسماء] ^(١) الاستفهام وكالمبتدأ عند من يجعله معمولاً لخبره .

والثاني: ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب، مثل ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَمَا هِيَ بِإِلَهُكُمْ﴾ [نصبت: ١٧] على قراءة النصب .

وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة، وهي قوله: ﴿أَعْبَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، [ق/ ٢٠٥] التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص بخلاف الثاني .



(١) في المطبوع: كأسر .

الفصل الثاني في أنواعه

وهي إما أن يُقَدَّم والمعنى عليه، أو يقدم، وهو في المعنى مؤخر أو بالعكس.

النوع الأول ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة، قد يسر الله منها خمسًا وعشرين ولله در ابن عبدون في قول: **سَقَاكَ الْحَيَا مِنْ مَعَانٍ [سَفَاح]** (١) فكم لي بها من مَعَانٍ فَصَاحٍ

أحدها السبق

وهو أقسام: منها: السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ آتَايَاسٍ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] قال ابن عطية (٢): المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة.

وقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر، وإنما قُدِّمَ الْمَلَكُ لسبقه في الوجود.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَأَرْزُقَكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؛ فإن الأزواج أسبق بالزمان، لأن البنات أفضل منهن لكونهن بضعة منه ﷺ.

وقوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

واعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشريف، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقوله: ﴿وَمِنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ [الأحزاب: ٧].

﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩].

وأما قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ﴿٥٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٦-٣٧] فإنما قدم ذكر موسى لوجهين: أحدهما: أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشارًا من صحف إبراهيم، وثانيهما: مراعاة رءوس الآي.

وقد ينضم إليه التحقير، كما في قوله: ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ [فقدم] (٣) اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة.

وقد لا يلحظ هذا كقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْجِدِهِمْ﴾

[المنكبات: ٣٨] وقوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ وَثَمُودًا ثَمَانِي﴾ [النجم: ٥٠-٥١].

(٢) المحرر الوجيز (١/٤٥١).

(١) في الديوان: فساح.

(٣) في المطبوع: تقدم.

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السُنَّةِ على النوم، في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لأن العادة في البشر أن تأخذ العبدُ السُنَّةَ قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة.

ذكره السهيلي^(١)، وذكر معه وجهًا آخر، وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء وافتقاد السُنَّةِ أبلغ في التنزيه، فبدئ بالأفضل؛ لأنه إذا استحالت عليه السُنَّة، فأحرى أن يستحيل عليه النوم.

ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] فإن الظلمات سابقة على النور في الإحساس، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨] فانتفاء العلم ظلمة، وهو متقدم بالزمان على نور الإدراكات.

ومنه تقديم الليل على النهار ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ [الاسراء: ١٢] ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبا: ١٨] ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣] ﴿حِينَ تُسَوِّتُ وَحِينَ تُضِيحُونَ﴾ [الروم: ١٧] ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام، وإن كانت الليالي مؤنثة، والأيام مذكرة وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ.

فإن قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]؟

قلت: استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعده بالإجماع على سبق الليلة على اليوم، وأجاب بأن المعنى: تُدْرِكُ القمر في سلطانه، وهو الليل أي: لا تجيء الشمس في أثناء الليل فقوله بعده: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] أي: لا يأتي في بعض سلطان الشمس وهو النهار، وبين الجملتين مقابلة.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] مُشْكَلٌ على هذا لأن الإيلاج إدخال الشيء في الشيء وهذا البحث ينافيه؟

قلت: المشهور في معنى الآية أن الله يزيد [في الليل]^(٢) في زمن الشتاء مقدارًا من النهار، ومن النهار في الصيف مقدارًا من الليل؛ وتقدير الكلام: يولج بعض مقدار الليل في النهار، وبعض مقدار النهار في الليل، وعلى غير المشهور يجعل الليل في المكان الذي كان فيه النهار، ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل، والتقدير: يولج الليل في مكان النهار

ويولج النهار في مكان الليل .

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١] أي الليل والنهار، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢-٣٣] .

وهذه مسألة مهمة قل من تعرّض لها، أعنى سبق المكان على الزمان وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبري في أول تاريخه ^(١)، واحتج على ذلك بحديث ابن عباس ^(٢) «إن الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الشمس والقمر وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار؛ إذ كانا إنما هما أسماء لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك» وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار، قال: وحديث أبي هريرة -يعني في صحيح مسلم ^(٣)- صريح فيه؛ فإن فيه «وخلق الله النور يوم الأربعاء»، قال: ويعني به: الشمس إن شاء الله .

والحاصل: أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء المذكورة في الخبر لازم .

فإن قلت: الحديث كما صرح بخلافه، فإنه قال: «خلق الله التربة يوم السبت حين خلق البرية وهي أول المخلوقات المذكورة، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخراً عن ذلك . قلت: قد نبّه الطبري على جواب ذلك بما حاصله: أن الله تعالى سمى أسماء الأيام قبل خلق التربة، وخلق الأيام كلها، ثم قدر كل يوم مقداراً، فخلق التربة في مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت وكذا الباقي .

وهذا: وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجه ما قاله الطبري من أنه يتعين تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل المستفاد من الخبرين .

والحاصل: أن الزمان قسمان: تحقيقي وتقديري؛ والمذكور في الحديث التقديري .

ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الشَّرِيفِينَ وَرَبُّ الْمُغْرِبِينَ ﴾ [الرحمن: ١٧] . ﴿ مَسْكُوفِ الْأَرْضِ وَمَعْدِيهَا ﴾ [الأمرات: ١٣٧]؛ ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر المشرق فقط فقال: ﴿ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ ﴿ إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ [الصافات: ٦] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك: ٢] [ق/ ٢٠٦] وقوله: ﴿ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤] ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَكُمُ ﴾ [البقرة: ٢٨] .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) .

(١) (١٣/١) .

(٢) السابق .

ويمكن فيه وجوه أخرى:

منها: أن فيه قهراً للخلق، والمقام يقتضيه.

ومنها: أن حياة الإنسان كلا حياة. ومآله إلى الموت، ولا حياة إلا بعد الموت.

ومنها: أن الموت تقدم في الوجود، إذ الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان ميتاً لعدم الروح، وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود؛ بدليل: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وإن أريد [به] (١) بعد الوجود، فالناس متنازعون في الموت، هل هو أمر وجودي كالحياة أو لا؟

وقيل: بالوقف، فقالت الفلاسفة: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً.

والجمهور على أنه أمر وجودي يضاد الحياة، محتجين بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه.

وأجيب عن الآية: بأن الخلق بمعنى التقدير، ولا يجب في المقدر أن يكون وجودياً، وعن الثاني: بأن ذلك على طريق التمثيل لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود.

فإن قلنا: عدمي، فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملئكة، وعلى الصحيح تقابل التضاد، وعلى القول بأنه وجودي يجب أن يقال: تقديم الموت الذي هو عدم الوجود؛ لكونه سابقاً أو معدوم الحياة الذي هو مفارقة الروح البدني، يجوز أن يكون لكونه الغاية التي يساق إليها في دار الدنيا؛ فهي العلة الغائية بعدم تحقيقها لتحقيقه، فخص العلة العامة كما وقع تأكيده في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، أو تزهداً في الدار الفانية، وترغيباً فيما بعد الموت.

فإن قيل: فما وجه تقدم «الحياة» في قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥] وقوله: ﴿وَحَيَاتٍ وَمَمَاتٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

قلنا: إن كان الخطاب لأدم وحواء؛ فلأن حياتهما في الدنيا سبقت الموت، وإن كان للخلق بالخطاب لمن هو حي يعقبه الموت، فما التقديم بالترتيب وكذا الآية بعده.

فإن قيل: فما وجه تقديم الموت على الحياة في الحكاية عن مُنْكَرِ البعث ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧]؟

قلت: لأجل مناسبة رءوس الآي. فإن قلت: فما وجه تقدم التوفي على الرفع في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] مع أن الرفع سابق؟

قيل: فيه جواباً:

أحدهما: المراد بالتوفي النوم، كقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّكُم بِآيَاتِهِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وثانيهما: أن التاء في «متوفيك» زائدة، أي موفيك عملك.

ومنها: سبق [الإنزال] (١)، كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِنَاسٍ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾

[آل عمران: ٣-٤] وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأما قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل

عمران: ١٩٩] فإنما قدم القرآن مُنبهاً له على فضيلة المنزل إليهم.

ومنها: سبق وجوب كقوله تعالى: ﴿أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾، وقوله: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾

[الفتح: ٢٩].

فإن قيل: فقد قال: ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرُّكْعِ﴾ [آل عمران: ٤٣]؟

قيل: يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع

الركعة الثانية.

وقيل: المراد ب«اركعي» اشكري.

وقيل: أراد ب«اسجدي» صليّ وحدك، وب«اركعي» صلي في جماعة، ولذلك قال ﴿مَعَ

الرُّكْعِ﴾.

ومنها: سبق تنزيهه، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّمْثُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين ثم قال: ﴿كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فبدأ بالإيمان بالله؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل [سابق] (٢)

في الوجود على الشرع، ثم قال: «وملائكته» مراعاة لإيمان الرسول، فإنه يتعلق بالملك الذي

هو جبريل أولاً، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول، وإنما عرف

نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فترتب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك،

فظهرت الحكمة والإعجاز، فقال: ﴿كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ لأن

الملك هو النازل بالكتاب، وإن كان الكتاب أقدم من الملك، ولكن رؤية النبي ﷺ للملك

كانت قبل سماعه الكتاب، وأما إيماننا نحن بالعقل، آمنا بالله أي بوجوده ولكن الرسول

صلى الله تعالى عليه وسلم، عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدي إلى معرفته، فآمنا بالرسول ثم

بالكتاب المنزل عليه، وبالملك النازل به، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدأ بالرسول قبل

(٢) في م: يقع.

(١) في المطبوع: إنزال.

الكتاب، ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي هو إمام المؤمنين ذكره السهيلي في أماليه .

وقال غيره: في هذا الترتيب سر لطيف، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى، والوسائط في ذلك الملائكة، والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسل، فلا بد أولاً من أصل، وثانياً من وسائط، وثالثاً من حصول تلك الرحمة، ورابعاً من وصولها إلى المقابل لها، والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله، ومن أعظم رحمة رحم بها عباده إنزال كتبه إليهم، والموصل لها هم الملائكة، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء، فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

الثاني بالذات

كقوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَرَبْعًا﴾ [النساء: ٣] . ونحوه ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ وَلَا حَسْمَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَائِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات .

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبا: ٤٦] فوجه تقديم المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة لله، وترك الهوى مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين، ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها .

الثالث بالعلة والسببية

كتقديم «العزیز» على «الحكيم»، لأنه عز فحكم، وتقديم «العليم» على «الحكيم» لأن الإلتقان ناشئ عن العلم، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] .

ويجوز أن يكون قدّم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه، وهو ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ، وفي غيره من نظائره، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله .

ومنه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة .

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

وكذا ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجنانية: ٧] لأن الإفك سبب الإثم [ق/ ٢٠٧] .

وكذا ﴿وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٢] .

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي﴾

كثيراً ﴿ [الفرقان: ٤٨-٤٩] قدم إحياء الأرض ، لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام ؛ لأنه مما يحيي به الناس بأكل لحومها وشرب ألبانها .

وكذا كل علة مع معلولها كقوله : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَرَكُم بِأَنْتُمْ وَأَوْلَدَكُم فَتَنَّهُ ﴾ [الأنفال: ٢٨] قيل : قدم الأموال من باب تقديم السبب ، فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤونته ، فهو سبب التزويج والتزويج سبب للتناسل ، ولأن المال سبب للتنعيم بالولد وفقده سبب لشقائه . وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٤] ، وأخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين ؛ لأنهما أقوى في الشهوة الجبليّة من المال ، فإن الطبع يبحث على بذل المال فيحصل النكاح ، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبليّة ، والبنون أقعد من الأموال والذهب أقعد من الفضة ، والفضة أقعد من الأنعام ؛ إذ هي وسيلة إلى تحصيل النعم ، فلما صُدّرت الآية بذكر الحب ، وكان المحبوب مختلف المراتب ، اقتضت حكمة الترتيب أن يقدم ما هو الأهم فالأهم في رتبة المحبوبات .

وقال الزمخشري ^(١) في قوله تعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧] قدم الشكر على الإيمان ، لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه ، وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ، ثم شكر شكراً [مفضلاً] ^(٢) فكان الشكر متقدماً على الإيمان ، وكأنه أصل التكليف ومداره . انتهى .

وجعله غيره من عطف الخاص على العام ، لأن الإيمان من الشكر وخصّ بالذكر لشرفه .

الرابع بالرتبة

كتقديم «سميع» على «عليم» ، فإنه يقتضى التخويف والتهديد فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإن مَنْ سمع حسك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم ، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن .

وكقوله : ﴿ عَفْوَ رَجِيمٌ ﴾ ، فإن المغفرة سلامة ، والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿ الرَّجِيمُ الْعَفْوَ رٌ ﴾ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزُلْ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّجِيمُ الْعَفْوَ رٌ ﴾ [سبأ: ٢] فالرحمة شملتهم جميعاً ، والمغفرة تخص بعضاً ،

(٢) في المطبوع: متصلاً.

(١) الكشاف (١/٥٨١) .

والعموم قبل الخصوص بالرتبة .

وقوله تعالى: ﴿ هَازِلٌ مِّثْلَ نَبِيٍّ ﴾ [القم: ١١] فإن الهمّاز هو المغتاب، وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النيممة .

وقوله: ﴿ يَأْتُونَكَ بِكَأَلٍ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: ٢٧] فإن الغالب أنّ الذين يأتون رجالاً من مكان قريب، والذين يأتون على الضامر من البعيد، ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف، لأن الأجر في المشي مضاعف .

وأما قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] مع أن الراكب متمكن من الصلاة أكثر من المشي فجباً له في باب الرخصة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِرِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] فقدّم الطائفين لقربهم من البيت، ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون؛ لأنهم يخصّون موضعاً بالعباد، والطواف بخلافه فكان أعم منه، والأعم قبل الأخص، ثم ثلث بالركوع لأن الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده .

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة، والركع جمع [تكثيراً] ^(١)؟ والجواب: أن جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل، فطائفون بمنزلة يطوفون، ففي لفظه إشعار بصلة التطهير، وهو حدوث الطواف وتجدده، ولو قال «بالطواف» لم يفد ذلك، لأن لفظ المصدر يخفي ذلك، وكذا القول في القائمين وأما الراكعون فلما سبق أنه لا يلزم كونه في البيت ولا عنده، فلهذا لم يجمع جمع سلامة؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير، كما احتيج فيما قبله .

الثاني: كيف وصف الركع بالسجود ولم يعطف بالواو؟

والجواب: لأن الركع هم السجود، والشيء لا يعطف على نفسه، لأن السجود يكون عبارة عن المصدر، وهو هنا عبارة عن الجمع، فلو عطف بالواو لأوهم إرادة المصدر دون اسم الفاعل؛ لأن الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً، ولو عطف بالواو لأوهم أنه مستقل كالذي قبله .

الثالث: هلا قيل السجّد كما قيل الركع؟ وكما جاء في آية أخرى ﴿ تَرَنَّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾ [الفتح: ٢٩] والركوع قبل السجود! والجواب: أن السجود يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى

(١) في المطبوع: تكسير .

الخشوع، فلو قال السَّجْد لم يتناول إلا المعنى الظاهر، ومنه: ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩] وهو من رؤية العين، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر، فقصده بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصورى، بخلاف الركوع فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم، دون أعمال القلب؛ فجعل السجود وصفًا للركوع وتتميمًا له، لأن الخشوع روح الصلاة وسرها الذي شرعت له.

الخامس بالداعية

كتقدم الأمر بغضّ الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] لأن البصر داعية إلى الفرج لقوله ﷺ: «العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»^(١).

السادس التعظيم

كقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩]
 وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].
 ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].
 ﴿إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُمُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [السائدة: ٥٥]

السابع الشرف وهو أنواع

منها: شرف الرسالة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]
 فإن الرسول أفضل من النبي خلافاً لابن عبد السلام
 وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأحزاب: ١٥٧] ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]
 ومنها: شرف الذكورة. [كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]
 وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [النجم: ٢١]
 وقوله: ﴿وَمَا لَا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]
 وأما تقديم الإناث في قوله الله تعالى^(٣) ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْشَاءً﴾ [الشورى: ٤٩]

(١) أخرجه أحمد (٣٩١٢) وابن حبان (٤٤١٩) وأبو يعلى (٥٣٦٤) والطبراني في «الكبير» (٨٦٦١) والبخاري (١٩٥٦).

(٢) من حديث أبي هريرة، وهو صحيح.

(٣) فإنه خالف جمهور أهل العلم في هذه المسألة، وقال بتفضيل النبي على الرسول.

(٤) سقط من م.

فلجبرهن، إذ هن موضع الانكسار، ولهذا جُبر الذكور بالتعريف للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم.

ويجتمل أن تقديم الإناث لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئة الله تعالى، لا على وفق غرض العباد.

ومنها: شرف الحرية كقوله تعالى: ﴿الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨] [ق/ ٢٠٨] ومن الغريب حكاية بعضهم قولين في أن الحرّ أشرف من العبد أم لا؟، حكاها القرطبي في تفسير سورة النساء فليُنظر فيه.

ومنها: شرف العقل، كقوله تعالى: ﴿يَسْخُجُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ﴾ [النور:

٤١].

وقوله: ﴿مَتَمَّا لَكُمُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [النازعات: ٣٣].

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ [السجدة: ٢٧]، فمن باب تقديم السبب وقد سبق.

ومنها: شرف الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الأعراف: ٨٧]، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال.

ومنها: شرف العلم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ومنها: شرف الحياة، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

[يونس: ٣١].

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢] وأما تقديم الموت في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]، فمن تقدّم السبق بالوجود وقد سبق.

ومنها: شرف المعلوم نحو ﴿عَلِمْتُمْ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] فإن علم الغيبات أشرف من المشاهدات.

ومنه: ﴿يَعْلَمُ بِيْرِكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤] وأما قوله:

﴿فَلَنْتُمْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، أي: من السر، فعن ابن عباس وغيره (١): السر ما أسررت

في نفسك، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك، مما يكون في عد علم الله فيهما سواء، ولا شك أن الآتي أبلغ، وفيه وجهان:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣٩٢) و«الوجيز» (١/ ٦٩٢) و«الدر المنثور» (٥/ ٥٥٣).

أحدهما: أنه أفعال تفضيل يستدعي مفضلاً عليه علم حتى يتحقق في نفسه؛ فيكون حينئذ تقديم السر من النوع الأول.
وثانيهما: مراعاة رءوس الآي.

ومنها: شرف الإدراك كتقديم السمع على البصر، والسميع على البصير؛ لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، لأن الحواس خدمة القلب، وموصلة إليه، وهو المقصود؛ وأما قوله: ﴿وَنَحَّمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ﴾ [الجانبية: ٢٣] فأخر القلب فيها لأن العناية هناك بدم المتصاميين عن السماع؛ ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم حتى لا يسمعوا، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله: ﴿وَرَبِّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَرْسِيٌّ ۖ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تَنْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجانبية: ٧-٨].

ومنها: شرف المجازاة كقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ومنها: شرف العموم؛ فإن العام أشرف من الخاص، كتقديم العفو على الغفور أي: عفو عما لم يؤخذنا به مما نستحقه بذنوبنا، غفور لما واخذنا به في الدنيا، قَلْبًا ورجعنا إليه؛ فتقدم العفو على الغفور؛ لأنه أعم وأخرت المغفرة لأنها أخص.

ومنها: شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦] وإنما تقديم الحرام في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ [يونس: ٥٩] فللزيادة في التشنيع عليهم، أو لأجل السياق؛ لأن قبله ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [النحل: ١١٤] ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومنها: الشرف بالفضيلة، كقوله تعالى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: ﴿وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقوله: ﴿يُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مِنْ بَعْدِهِم مَّوْسَى وَهَارُونَ﴾ [يونس: ٧٥].

وقوله: ﴿رَبِّ مَوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢] في الأعراف والشعراء، فإن موسى استأثر باصطفائه تعالى له بتكليمه وكونه من أولى العزم.

فإن قلت: فقد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون؟
قلنا: لتناسب رءوس الآي.

ومنه: تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] لأن جبريل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل، صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية.

ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ، ويدل على فضيلة الهجرة قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»^(١) ، وبآية احتج الصديق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم.

ومنه قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦] ، فإن الصلاة أفضل من السلام.
وقوله: ﴿وَمَا آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، قدم القريب لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي.

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].
وتقديم اليمين على الشمال في نحو: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبا: ١٥] ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق: ١٧].

ومنه تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]. وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢] ، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال، فهو من باب السبق بالسببية.

ومنه: ﴿مُخَلِّفِينَ زُهُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] ، فإن الحلق أفضل من التقصير.
ومنه: تقديم السموات على الأرض كقوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [المنكوت: ٤٤] وهو كثير، وكذلك كثيرا ما يقع «السموات» بلفظ الجمع، و«الأرض» لم تقع إلا مفردة.

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٨).

البرهان في علوم القرآن

السَّمَاءِ ﴿ [يونس: ٦١] ؛ فلأنه لما ذكر المخاطبين، وهو قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ بَيْنَ عَمَلٍ إِلَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شُهُودًا إِذْ تَقُولُونَ بِهِ﴾ [يونس: ٦١] ، وهو خطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في الأرض، وهذا بخلاف الآية التي في سبأ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب .

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] .

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد، وإنما هو لأهل الأرض .

وكذا قوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] .

ومنه: تقديم الإنس على الجن في قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ الآية [الإسراء: ٨٨] .

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعْتَلَىٰ عَنْ ذَنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] [ق/ ٢٠٩] .

وقوله: ﴿لَوْ يَطْمَئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] .

وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥] .

وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١١﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾

[الرحمن: ١٤-١٥] .

وأما تقديم الجن في مواضع آخر، كقوله: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ؛ فلأنهم أقدم في الخلق؛ فيكون من النوع الأول - أعنى التقديم بالزمان - ولهذا لما أخرج في آية الحجر صرح بالقبلية بذكر الإنسان، ثم قال: ﴿وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ﴾ [الحجر: ٢٧] .

ويجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعجب، لأن خلقها أغرب كقوله تعالى: ﴿فَيَنْهَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] .
أو لأنهم أقوى أجساماً وأعظم أقداماً، ولهذا قد موافى ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٣٣] وفي ﴿وَحَسْبَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٧] .

ومنه تقديم [السُّجَّدِ عَلَى الرَّاكِعِينَ] ^(١) في قوله: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل

عمران: ٤٣] وسبق فيه شيء آخر .

ومنه: تقديم الخيل على البغال، والبغال على الحمير في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ

وَالْحَمِيرِ لِرَبِّكُنَّهَا﴾ [النحل: ٨] .

(١) في م: السجود على الركوع .

ومنه: تقديم الذهب على الفضة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

فإن قلت: فهل يجوز أن يكون من تقديم المذكر على المؤنث؟

قلت: هيهات الذهب أيضًا مؤنث، ولهذا يصغر على ذهبية كـ«قدم».

ومنه: تقديم الصوف في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ [النحل: ٨٠] ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس، وأنه شعار الملائكة في قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قيل: سيماهم يومئذ الصوف. وعن علي: الصوف الأبيض^(١)؛ رواه أبو نعيم في مدح الصوف^(٢)، وقال: إنه شعار الأنبياء، وقال ابن مسعود: كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصوف وفي الصحيح في موسى عليه السلام «عليه عباءة»^(٣).

ومنه: تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا يَرِينًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] ولهذا قال تعالى ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ [يونس: ٥] والحكماء يقولون: إن نور القمر مستمد من نور الشمس، قال الشاعر^(٤).

يا مُفْرَدًا بِالْحُسْنِ وَالشَّكْلِ مَنْ دَلَّ عَيْنِيكَ عَلَى قَتْلِي
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَّمْسُ مِنْ نوركِ تَسْتَمْلِي

وأما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَعَى سَنَوَاتٍ [طَبَقًا]﴾^(٥) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ يَرِينًا﴾ [نوح: ١٥-١٦] فيحتمل وجهين: مناسبة رءوس الآي أو أن انتفاع أهل السموات به أكثر. قال ابن الأنباري: يقال: إن القمر وجهه يضيء لأهل [السموات]^(٦). وظهره إلى الأرض، ولهذا قال تعالى ﴿فِيهِنَّ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء.

الثامن الغلبة والكثرة

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] قدم الظالم لكثرتهم ثم المقتصد ثم السابق.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ سَفِيهُ وَسَوِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٦٤٠) وابن أبي شيبة (٤٣٧/٦) والبيهقي في «الشعب» (٦١٥٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٩٢/١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٤/٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥١٠) بسند ضعيف.

(٤) هو ابن المعتز (٥) في المطبوع: طقأقا.

(٦) في المطبوع: الشمس.

﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

﴿الْقَلْبَيْنِ لِلْغَيْبِينَ وَالْغَيْبُونَ لِلْغَيْبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] .

وجعل منه الزمخشري ^(١) ﴿فَنَكَرَ كَافِرٌ وَمِنَكَ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] يعني بدليل قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وحديث بعث النار .

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [آل عمران: ٥٦] قدم ذكر العذاب، لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعمسى وراموا قتله [ولأن ما قبله من ذكر حكمة فقال نبههم هو على سبيل التهديد والوعيد فتاب بالبداة عنهم] ^(٢) .

وجعل من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ لأن السرقة في الذكور أكثر .

وقدم في الزنى المرأة في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ لأن الزنى فيهن أكثر، وأما قوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣] فقال الزمخشري ^(٣) : سبقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جئنا؛ والمرأة هي المادة التي نشأت منها الحيانة، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له وتمكنه لم يطمع، ولم يتمكن، فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه؛ لأنه هو الراغب والخطاب يبدأ الطلب .

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَمْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] ، قال الزمخشري ^(٤) : قدم غضَّ البصر؛ لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى به أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه .

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «إن رحمتي غلبت غضبي» ^(٥) .

وأما تقديم التعذيب على المغفرة في آية المائة فللسياق [لأنه قوبل بذكر تقديم السرقة على التوبة] ^(٦) .

(١) الكشاف (٤/ ٥٤٥) وقد أول الآية بمذهب المعتزلة من أن العبد هو الخالق لفعله الاختياري، ومذهب أهل السنة: أن العبد ليس له من فعله إلا الكسب وخالقه في الحقيقة هو الله عز وجل بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ خيرًا كان أو شرًا، وكما أن خلق الكافر لا يستوجب الذم كما سيقول فخلق كفره لا يستوجب الذم لأنه لحكمة وإن خفيت علينا .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) الكشاف (٣/ ٢١١-٢١٢) .

(٤) الكشاف (٣/ ٢٢٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٢٢) ومسلم (٢٧٥١) .

(٦) سقط من المطبوع .

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] ، قال ابن الحاجب في أماليه ^(١): «إنما [قدم] ^(٢) الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع ذلك في الأزواج أقعد منه في الأولاد، فكان أقعد في المعنى المراد فقدم، ولذلك قدمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العلق: ٦-٧] ﴿أَمْزَنًا مَّرْفُوعًا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها، وكان تقدمها أولى.

التاسع سبق ما يقتضى تقديمه

وهو دلالة السياق كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]؛ لما كان إسراحها وهي خماس، وإراحها وهي بطن، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ [أفخر] ^(٣).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] ، لأن السياق في ذكر مريم في قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١] ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] .

وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا آدَمًا حَكِيمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم، ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه، قال تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] ، ويحتمل أن المراد بالحكم الحكمة، وبها فسر الزمخشري ^(٤) قوله تعالى في سورة يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آيَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] [ق/ ٢١٠] وأما تقديم الحكيم على العليم في سورة الأنعام، فلأنه مقام تشريع الأحكام، وأما في أول سورة يوسف فقدم العليم على الحكيم، لقوله في آخرها ﴿وَعَلَّمْنِي مِنَ نَأْوِيلِ الْأَلْحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] .

ومنه: تقديم المحو على الإثبات في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] ، فإن قبله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] . ويمكن أن يقال ما يقع عليه المحو أقل مما يقع عليه غيره، ولا سيما [على] ^(٥) قراءة تشديد «يُثَبِّتُ» ^(٦) فإنها ناصة على الكثرة، والمراد به

(١) (٢٥٩/١) بتصرف واختصار.

(٢) في الأمالي: قدمت.

(٣) في م: فخر.

(٤) في م: في.

(٤) الكشاف (٤٥٥/٢) .

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ساكنة التاء، خفيفة الباء، وقرأ نافع وابن عامر وحمة

والكسائي: ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ مشددة الباء مفتوحة التاء الحجة (١٩/٥-٢٠) .

الاستمرار لا الاستئناف .

وقوله: ﴿وَمَعَ اللَّهُ الْبَطِلَ وَحُجُّ الْحَقِّ يَكْتُمِيهِ﴾ [الشورى: ٢٤] .
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَحَقَّقْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا﴾ [الرعد: ٣٨] ، قدم «رسلاً» هنا على «مِن قَبْلِكَ» وفي غير هذه بالعكس؛ لأن السياق هنا في الرسل .
ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضُ وَيَبْطُلُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قدم القبض لأن قبله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وكان هذا بسطاً، فلا يناسب تلاوة البسط، فقدم القبض لهذا، وللترغيب في الإنفاق، لأن الممتنع منه سببه خوف القلة فبين أن هذا لا ينجيه، فإن القبض مقدر ولا بد .

العاشر مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] .
﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتِ وَأَخَّرْتِ﴾ [الانفطار: ٥] .
﴿يَبْنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] .
﴿قُلْ لَنْتِ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ۗ﴾ [١٣] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠] .
﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۗ﴾ [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠] .
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِلِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤] .
وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ، فقدم نفي التأخير؛ لأنه الأصل في الكلام، وإنما ذكر التقدم مع عدم إمكان التقدم نفيًا لأطراف الكلام كله .

وكقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَيْدُ﴾ [البروج: ١٣] .
وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] .
﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] .
﴿لَهُ الْحَسَدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] .
وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] .
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

فإن قلت: قد جاء ﴿فَأَعَدَّهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [١١] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٤-٢٥] .

قلت: لمناسبة رءوس الآي . .

ومثله: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨] ولأن الخطاب لهم فقدموا .

الحادي عشر للحث عليه خيفة من التهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين، في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوسَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾ [النساء: ١١] فإن وفاء الدين سابق على الوصية، لكن قدم الوصية لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها بخلاف الدين .

ونظيره ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْتِخَاً ﴾ [التورى: ٤٩] قدم الإناث حثاً على الإحسان إليهن .

وقال السهيلي في «التناج»: إنما قدمت الوصية لوجهين:

أحدهما: أنها قرابة إلى الله تعالى بخلاف [الدِّين] ^(١) الذي تعوّد الرسل منه، فبدئ بها للفضل .

والثاني: أن الوصية للميت، والدين لغيره ونفسك قبل نفس غيرك، تقول: هذا لي وهذا لغيري، ولا تقول في فصيح الكلام: هذا لغيري وهذا لي .

الثاني عشر لتحقق ما بعده واستغنائاه هو عنه في تصويره

كقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] .

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾ [الأعراف: ١٥٣] .

الثالث عشر الاهتمام عند المخاطب

كقوله: ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦] .

ونظيره قوله عليه السلام «وأن تقرأ السلام على من عرفته ومن لم تعرفه» ^(٢) .

وكقوله: ﴿ وَالَّذِي الْفُرْقَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ [الأنفال: ٤١] لفضل الصدقة على القريب .

وقوله: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ [النساء: ٩٢] .

[وقوله: ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِيهِ ﴾ [النساء: ٩٢] ^(٣)، فقدم الكفارة على الدية، وعكس

في قتل المعاهد حيث قال: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ

(١) سقط من م .

(٢) أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) .

(٣) سقط من م .

أَهْلِيهِ وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً ﴿ [النساء: ٩٢] .

قال الماوردي في «الهاوي»: ووجهه أن المسلم يرى تقديم حق الله على نفسه، والكافر يرى تقديم نفسه على حق الله، قال: وقال ابن أبي هريرة: إنما خالف بينهما ولم يجعلهما على نسق واحد، لثلا يلحق بهما ما بينهما من قتل المؤمن في دار الحرب، في قوله: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فضم إليه الدببة إلحاقاً بأحد الطرفين، فأزال هذا الاحتمال باختلاف اللفظين.

وقال الفقيه نجم الدين بن الرفعة: يحتمل أن يقال: إنه لما كان الكفر يهدر الدماء وهو موجود، كان الغاية ببذل الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتم، لأنه يُغْمَضُ حُكْمُهُ، فلذلك قدمت الدية فيه وأخرت الكفارة، لأن حكمها قد سبق، ولما كانت عصمة المسلم ثابتة، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ، لأنه لا إثم فيه خصوصاً على المسلمين، لرفع القلم عن الخطأ كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتم؛ لأنها التي تغمض فقدمت.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَأَنْبِئْ سَيِّئًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبِ الشَّمْسِ ﴿ [الكهف: ٨٥-٨٦] قيل: لماذا بدأ بالمغرب قبل المشرق، وكان مسكن ذي القرنين من ناحية المشرق؟ قيل: لقصد الاهتمام، إما لتمرد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت، أو غير ذلك مما لم ينته إلينا علمه. ومن هذا أن تأخر المقصود بالمدح والذم أولي من تقدمه، كقوله: نعم الرجل زيد، أحسن من قولك: زيد نعم الرجل، لأنهم يقدمون الأهم وهم في هذا بذكر المدح والذم أهم.. فأما تقديمه في قوله تعالى: ﴿يَسْمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ [ص: ٣٠] فإن الممدوح هنا بنعم العبد هو سليمان عليه السلام، وقد تقدم ذكره، وكذلك أيوب في الآية الأخرى، والمخصوص بالمدح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب، وتقديره: نعم العبد هو إنه أواب.

الرابع عشر للتنبية على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، على القول بأن «الله» في موضع المفعول الثاني لـ«جعل» و«شركاء» مفعول أول، ويكون «الجن» في كلام ثان مقدر كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء؟

قيل: الجن، وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جعلهم «الله شركاء» على الإطلاق، فيدخل مشركة غير الجن ولو أخرج فقيل: وجعلوا الجن شركاء لله كان الجن مفعولاً أولاً وشركاء ثانياً، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة، لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت.

الخامس عشر للتنبية على أن السبب مرتب

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] [ق/ ٢١١] قدم الجباه ثم الجنوب؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل، ثم ينوء بجانبه ثم يتولى بظهره.

السادس عشر التنقل

وهو أنواع إما من الأقرب إلى الأبعد، كقوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم، وقدم الأرض على السماء.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] لقصد الترقى.

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦].

وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ وفي حلقه وما بينك من دأبٍ ﴿[الجاثية: ٣-٤]

وإما من الأعلى، كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴿١﴾﴾ [هود: ٤٩].

وإما من الأدنى، كقوله: ﴿وَلَا يُفْقَوَاتُ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴿١﴾﴾ [التوبة: ١٢١].

وقوله: ﴿مَالٍ هَذَا الْكَسْبُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴿١﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإن قلت: لم لا اكتفي بنفي الأدنى، ليعلم منه نفى الأعلى بطريق الأولى؟ قلت: جوابه مما سبق من التقديم بالزمان.

وكقوله: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴿١﴾﴾ [المدثر: ٣١] الآية. وبهذا يتبين فساد استدلال المعتزلة على تفضيل الملك على البشر^(١) بقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ

(١) قال شيخ الإسلام ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية: ومنها: أنه سئل عن صالحى بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهيين عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة وبهذا التفصيل يتبين سر التفصيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل

عَبْدًا لِلَّهِ ﴿النساء: ١٧٢﴾ فإنهم زعموا أن سياقتها يقتضي الترقى من الأدنى إلى الأعلى، إذ لا يحسن أن يقال: لا يستنكف فلان عن خدمتك، ولا مَنْ دونه بل ولا من فوقه.

وجوابه: أن هؤلاء لما عبدوا المسيح، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة على الخوارق والمعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص [وغيره] ^(١)، ولكونه خلق من غير تراب والتزهيد في الدنيا، وغالب هذه الأمور هي للملائكة أتم وهم فيها أقوى، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته فهو مع هذه الصفات لا يستنكف عن عبادة الله، بل ولا من هو [أكبر] ^(٢) منه في هذه الصفات للترقي من الأدنى إلى الأعلى في المقصود، ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح.

السابع عشر الترقى

كقوله: ﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أُنبِئْ بِبِطْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] الآية، فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقى، لأن منفعة [الوصف] ^(٣) الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه.

وقد قرنَ السمع بالعقل، ولم يقرن به البصر في قوله:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّبْحَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢-٤٣] وما قرنَ بالأشرف كان أشرف، وحكى ذلك عن علي بن عيسى الربيعي.

أولاً ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها.

ثانياً: ثم نسبتها إلى من قامت به.

ثالثاً: كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها.

رابعاً: قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحرابه وكمال ابن عباس بفقاهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى والغرض. وههنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبه وتعلقه بمن يفضله ولو على بعد ثم يأخذ في تقيظه وتفضيله وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل والمبالغة فيه واستقصاء محاسن المفضل والإغضاء عما سواها ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس. ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى غيرها بدائع الفوائد (٣/ ٦٨٤).

(١) في م: وغير ذلك.

(٢) في م: أكثر.

(٣) سقط من المطبوع.

قال الشيخ أبو الفتح القشيري:

فإن قيل: قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأعلى، ثم ما دونه حتى ينتهي إلى أضعفها؛ لأنه إذا بدا بسلب الوصف الأعلى ثم بسلب ما دونه كان ذلك أبلغ في الذم، لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه، كما تقول: ليس زيد بسلطان ولا وزير ولا أمير، ولا وال، والغرض من الآية المبالغة في الذم.

قلت: ما ذكرته طريقة حسنة في علم المعاني، والمقصود من الآية طريقة أخرى، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تعبدها الكفار [أمثال الكفار في أنها مقهورة مربوبة، ثم حطها عن درجة المثلية بنفي هذه الصفات الثابتة للكفار عنها] (١)، وقد علمت أن المماثلة بين الذوات المتناثية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينها، إذ هي أسباب في ثبوت المماثلة بينها، وتَقَوَّى المماثلة بقوة أسبابها، وتضعف بضعفها، فإذا سُلِبَ وصفٌ ثابت لإحدى الذاتين عن الأخرى انتفى وجه من المماثلة بينهما، ثم إذا سُلِبَ وصف من الأول انتفى وجه من المماثلة أقوى من الأول ثم لا يزال يسلب أسباب المماثلة أقواها فأقواها، حتى تنتفي المماثلة كلها بهذا التدرج، وهذه الطريقة ألطف من سلب أسباب المماثلة أقواها ثم أضعفها فأضعفها.

الثامن عشر مراعاة الأفراد

فإن المفرد سابق على الجمع كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ وقوله: ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ولهذا لما عبر عن المال بالجمع أُخِرَ عن البنين في قوله: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة، في قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

التاسع عشر التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]، قرن الزنى بالشرك وقدمه. وقوله: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] قدمهن في الذكر؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد، وفي صحيح مسلم «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرَّ على الرجال من النساء» (٢) ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا، وختم بـ«الحرث»، وهما طرفان متشابهان، وفيهما الشهوة والمعاش

(١) سقط من م.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٨) ومسلم (٢٧٤٠).

الديني، ولما ذكر بعد ذلك ما أعده للمتقين، أحر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخرى، وختم بالرضوان وكم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الذهن، وفرغ له الفهم!

ومنه تقديم نفي الولد على نفي الوالد، في قوله: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُؤَكِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣] فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقولهم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر، اعتناء به قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينازع فيه أحد من الأمم.

العشرون التخويف منه

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] ونظائره السابقة في الثامن.

الحادي والعشرون التعجيب من شأنه

كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال الزمخشري^(١): قدم الجبال على الطير، لأن تسخيرها له وتسييحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان ناطق.

قال ابن النحاس: وليس مراد الزمخشري بـ«ناطق» ما يراد به في حد الإنسان.

الثاني والعشرون كونه أدل على القدرة

كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥].

والثالث والعشرون قصد الترتيب

كما في آية الوضوء، فإن إدخال المسح بين الغسلين، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة ذلك في لسانهم، دليل على قصد الترتيب.

وكذلك البداية في الصفا بالسعي، ومثله الكفارة المرتبة في الظهار والقتل.

وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا وهي أن الكفارة [ق/٢١٨] المرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ، والمخيرة بدأ فيها بالأخف، كما في كفارة اليمين، ولهذا حملوا آية المحاربة في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾ [المائدة: ٣٣]، الآية على الترتيب لا التخيير، لأنه بدأ فيها بالأغلظ طردًا للقاعدة، خلافاً للمالك حيث جعلها على التخيير.

(١) الكشاف (٣/١٢٩).

الرابع والعشرون خفة اللفظ

كما في قولهم: ربيعة ومضر، مع أن مضر أشرف لكون النبي ﷺ منهم، لأنهم لو قدموا مضر لتوالي حركات كثيرة، وذلك يثقل، فإذا قدموا ربيعة ووقفوا على مضر بسكون الراء نقص الثقل لقلة الحركات المتوالية.

وقد يكون تقديم الإنس على الجن من ذلك، فالإنس أخف لمكان النون والسين المهموسة.

الخامس والعشرون رعاية الفواصل

كتأخير الغفور في قوله: ﴿لَعَفُوْا غَفُوْرًا﴾ [الحج: ٦٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ رَسُوْلًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم تحرير، وشجاع باسل وسبق له نظائر.

وكقوله: ﴿خُذُوْهُ فَعَلُوْهُ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١] ولو قال: صَلُّوْهُ الجحيم لأفاد المعنى، ولكن يفوت الجمع. وقيل: فائدته الاختصاص.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فقدم «إياه» على «تعبدون»، لمشكلة رءوس الآي.

تنبيه

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فإما أن يُعتقد إعادة الكل أو يرجح بعضها لكونه أهم في ذلك المحل، وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر، وإذا تعارضت الأسباب روعى أقواها، فإن تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء.

النوع الثاني مما قدم النية به التأخير

فمنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم المفعول على الفاعل، في نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، و﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا﴾ [الحج: ٣٧]، ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ رُؤْيُومٌ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك، ولكن ذلك لقصد الحصر كتقديم المفعول

كقوله: ﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤] ، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ﴾ (١) .

وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢] ولو قال «وظنوا أن حصونهم مانعتهم» ، لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم .

وكذا: ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ﴾ [مريم: ٤٦] ، ولو قال: «أأنت راغب عنها؟» ما أفادت زيادة الإنكار على إبراهيم .

وكذلك ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْتَصِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧] ولم يقل: «فإذا أبصار الذين كفروا شاخت» وكان يستغنى عن الضمير، لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص .

ومنه ما يدل على المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] قال البغوي (٢): هذا أول القصة، وإن كانت مؤخرة في التلاوة .

وقال الواحدي: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أخر في الكلام لأنه سبحانه لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٦٧] الآية عليم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقر علمهم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: [﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] على جهة التوكيد، لا أنه عرفهم الاختلاف في القاتل بعد أن دلهم على ذبح البقرة، وقيل: إنه من المؤخر الذي يراد به التقدم، وتأويله: [(٣) وإذ قتلتم نفساً فآذرتهم فيها فسألتهم موسى فقال لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] .

وأما الزمخشري (٤) ففي كلامه ما يدل على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن لعنى حسن لطيف استخراجه وأبداه .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجنابية: ٢٣] ، وأصل الكلام: «هواه إله» كما تقول: اتخذ الصنم معبوداً لكن قدّم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقاً زيذاً لفضل عنايتك بانطلاقه .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُنزِلْ لِلَّهِ الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ . . .﴾ [الكهف: ١٠] الآية، أي أنزله قِيَمًا، ولم يجعل له عوجًا، قاله جماعة منهم الواحدي .

ورده فخر الدين (٥) في تفسيره بأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۗ قِيَمًا﴾ [الكهف: ١-٢] ،

(١) سقط من م .

(٢) سقط من م .

(٣) تفسير البغوي (ص/١٠٨) .

(٤) التفسير الكبير (٦٨/٢١) .

(٥) الكشاف (١/١٤٨) .

معناه: أنه كامل في ذاته، وأن «قِيَمًا» معناه أنه مكمل لغيره، وكونه كاملاً في ذاته، سابق على كونه مكتملاً لغيره، لأن معنى كونه «قِيَمًا» أنه قائم بمصالح الغير قال: فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه، انتهى.

وهذا فهم عجيب من الإمام، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذي عوج متأخر عن كونه «قِيَمًا» في المعنى، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب، وقد يكون أحد المعنيين ثابتاً قبل الآخر ويذكر بعده.

وأيضاً فإن هذا البحث إنما هو على تفسير القيم بالمستقيم، فأما إذا فُسِّرَ بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير.

وهاهنا أمراً:

أحدهما: أن الأظهر جعل هذه الجملة أعني - قوله: ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَكُمْ عِوَجًا ۖ قِيَمًا﴾ [الكهف: ١-٢] - من جملة صلة «الذي» وتامها، [وعلى] ^(١) هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين: أحدهما: أنها في حيز الصلة لأنها معطوفة عليها، والثاني: أنها اعتراض بين الحال وعاملها، ويجوز في الجملة المذكورة أن يكون موضعها النصب على أنها حال من «الكتاب» والعامل فيها «أنزل». قاله جماعة، وفيه نظر.

وأما قوله «قِيَمًا» فيجوز في نصبه وجوه:

أحدها: - وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من «الكتاب»، والعامل فيه «أنزل»، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قِيَمًا ولم يجعل له عوجًا» فتكون الجملة على هذا اعتراضاً.

والثاني: أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وتقديره: «ولكن جعله قِيَمًا» فيكون مفعولاً للفعل المقدر.

والثالث: أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَكُمْ عِوَجًا ۖ﴾ [الكهف: ١]، وتكون حالاً مؤكدة. واختار صاحب الكشاف ^(٢) أن يكون «قِيَمًا» مفعولاً لفعل مقدر كما ذكرناه؛ لأن الجملة التي قبلها عنده معطوفة على الصلة، و«قِيَمًا» من تمام الصلة، وإذا كان حالاً [لا] ^(٣) يكون فيه فضل بين بعض الصلة وتامها، فكان الأحسن جعله معمولاً لمقدر.

(٢) الكشاف (٧٠٢/٢).

(١) في م: وهذه.

(٣) سقط من المطبوع.

وقال جماعة: منهم ابن المنير في تفسير البحر بعد نقله كلام الزمخشري: وعجيب من كونه لم يجعل الفاصل المذكور حالاً أيضاً، ولا فصل، بل هما حالان متواليان من شيء واحد، والتقدير: أنزل الكتاب غير معوج.

وهذا القول - وهو جعل الجملة حالاً - قد ذكره جماعة قبل ابن المنير، والظاهر أن الزمخشري لم يرتض هذا القول، لأن جعل الجملة حالاً لا يفيد ما يفيد العطف من نفي العوج عن الكتاب مطلقاً، غير مقيد بالإنزال وهو المقصود، فالفائدة التي هي أتم، إنما تكون على تقدير استقلال الجملة، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما. نقله الطبري وغيره.

وقال الواحدي: هو قول جميع أهل اللغة والتفسير [ق/ ٢١٣]، والزمخشري ربما لاحظ هذا المعنى، ولم يمنع جواز غير ما قال، لكن ما قال هو الأحسن.

وقال غير ابن المنير في الاعتراض على الزمخشري: إن الجملة وإن كانت مستقلة فهي في حيز الصلة للعطف، فلم يقع فصل، ويؤيد ما ذكره صاحب الكشاف أن بعض القراء يسكت عند قوله: «عوجاً» ويفصل بينه وبين «قيماً» بسكتة لطيفة، وهي رواية حفص عن عاصم، وذلك محتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله.

قال ابن المنير: وتحتمل السكتة وجهاً آخر، وهو أن يكون ذلك لرفع توهم أن يكون «قيماً» نعتاً للعوج، لأن النكرة تستدعي النعت غالباً، وقد كثر في كلامهم إيلاء النكرة الجامدة نعتها، كقوله: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ و ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ فإذا ولي النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف فربما خيف اللبس في جعل «قيماً» نعتاً لـ«عوج» فوق اللبس بهذه السكتة.

وهذا أيضاً فيه نظر، لأن ذلك إنما يتوهم فيما يصلح أن يكون وصفاً، ولا يصلح «قيماً» أن يكون وصفاً لـ«عوج» فإن الشيء لا يوصف بضده، لأن العوج لا يكون قيماً، والأولى ما ذكرناه أولاً.

الثاني: نقل الإمام عن بعضهم أن «قيماً» بدل من قوله «عوجاً» وهو مُشْكِل، لأنه لا يظهر له وجه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُؤُهُمْ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، قيل: التقدير: لقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهمَّ بها، وهذا أحسن لكن في تأويله قلق، ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال: إن الصفات يجوز وقوعها منهم.

وقوله: ﴿فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] قيل: أصله: فبشرناها بإسحاق.

فضحكت، وقيل: ضحكت أي: حاضت بعد الكبر عند البُشْرَى، فعادت إلى عادات النساء من الحيض، والحمل والولادة.

وقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، قدم على ما بعده، وهو مؤخر عنه في المعنى؛ لأن ذلك يحصل للتوافق.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥] أي أحوى غثاء أي: أخضر يميل إلى السواد، والموجب لتأخير ﴿أَحْوَى﴾ رعاية الفواصل.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ دِينًا غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال ابن برهان النحوي: أصله ومن يبتغ دينًا غير الإسلام.

وقوله: ﴿وَعَزَّيْبُ سُوْدٌ﴾، قال أبو عبيد^(١): الغريب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال صاحب «العجائب والغرائب» قال ابن عيسى: الغريب الذي لونه لون الغراب، فصار كأنه غراب، قال: والغراب يكون أسود وغير أسود، وعلى هذا فلا تقديم ولا تأخير فيه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] على قول من يقول: إن الذُّكْر هنا القرآن.

وقوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَاَسْلَمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وقوله: ﴿أَفَتَرَبَّيْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ [القمر: ١].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] أي: فعقروها ثم كذبوه في عقرها وفي إجابتهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢]، [تقديره: ثم قضى أجلاً وعنده أجل مسمى]^(٢) أي وقت مؤقت.

وقوله: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الزَّيْحَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] أي: الأوثان من الرجس.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] أي: يرهبون ربهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] أي: الذين هم حافظون لغرورهم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَلُوهُ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧] أي: مخلف رسله وعده.

(١) انظر: «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» (ص/ ٩٩) و«التيان في تفسير غريب القرآن» (ص/ ٣٤٧).

(٢) سقط من م.

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] أي: بل الإنسان بصيرٌ على نفسه في شهود جوارحه عليه.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ، خُلِقَ العجل من الإنسان .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب [لازماً] (١) لهم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] أي: كيف مده ربك .

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الماعيات: ٨] أي لشديد حب الخير .

﴿وَكَذَلِكَ زُفِرَتْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] أي: زين للمشركين شركاؤهم قتل أولادهم؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار .

وقوله: ﴿لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: ٨٣] .

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥] أي: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] تقديره: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح .

وقوله: ﴿فَلْيَنْهَيْكُمْ عَنْهُ بِحَبْلٍ وَإِن كُنْتُمْ مِنْهُمْ سَاهِبِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] ، أي: فأنا عدو آلهتهم وأصنامهم وكل معبود يعبدونه من دون الله .

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا بِسَبَاٍ﴾ [سبا: ٥١] ، أي: فزعوا وأخذوا فلا فوت لأن الفوت يكون بعد الأخذ .

وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثِيَّةِ﴾ [الغاشية: ١] يعني: القيامة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢] ؛ وذلك يوم القيامة ثم قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ، والنصب والعمل يكونان في الدنيا، فكانه على التقديم والتأخير، معناه: وجوه عاملة ناصبة، ويوم القيامة خاشعة، والدليل عليه

قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْأَلُونَ لِمَ قَامَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقَاتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠] ، تقديره: لمت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم [إلى] (٢) الإيمان

(٢) في المطبوع: إلا.

(١) في م: لازماً.

فكفرتهم، ومقته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم إذ دعيتم إلى النار .
 وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] لأن الفجر ليس له سواد، والتقدير: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل أي: حتى يتبين لكم بياض الصبح من بقية سواد الليل .

وقوله: ﴿ وَكَانَ أَصْنَابُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ [النساء: ٧٣] .
 وقوله: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ ﴾ [النساء: ٧٣] منظوم بقوله: ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ [النساء: ٧٢] ، لأنه موضع الشماعة .

وقوله: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلْهَيْبِ اثْنَيْنِ ﴾ [النمل: ٥١] ، أي اثنين إلهين، لأن التخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز، و«إلهين» لا يقع إلا على ما لا يجوز و«إلهين» أخص فكان جعله صفة أولى .

النوع الثالث ما قدم في آية وأخر في أخرى (١)

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾ ، فتقديم «الحمد» في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فكأنه قيل عند وقوع الأمر: لمن الحمد؟ ومن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك، نظيره ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦] ثم قال: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

وقوله في سورة يس ﴿ وَجَاءَهُ مِنَ الْأَمْرِ مَدِينَةٌ رَّجُلٌ يَسْعَى ﴾ [يس: ٢٠] ، قدم المجرور على المرفوع لاشتمال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، وإصرارهم على تكذيبهم، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة، تلك القرية، ويبقى [ق/ ٢١٤] مخيلاً في فكره: أكانت كلها كذلك، أم كان فيها [...] على خلاف ذلك، بخلاف ما في سورة القصص .

ومنها قوله في سورة النمل ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ [النمل: ٦٨] ، وفي سورة المؤمنين ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ ﴾ [المؤمنون: ٨٣] فإن ما قبل الأولى ﴿ أَوَدَّا كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا ﴾ [النمل: ٦٧] ، وما قبل الثانية ﴿ أَوَدَّا يَمْتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمَانَا ﴾ [المؤمنون: ٨٢] فالجهة المنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث .

ومنها قوله في سورة المؤمنين ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [المؤمنون: ٣٣] ، فقدم

(١) ينظر في هذا الباب كتاب «فتح الرحمن بكشف ما تلبس في القرآن» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري .

(٢) في م: نظر إن أفاض .

المجورور على الوصف، لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل عليه الموصوف، وعمامة: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ فِي الْخَيْفَةِ الذُّبَابَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] - لاحتمل أن يكون من نعيم الدنيا واشتبه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [هود: ٢٧] فإنه جاء على الأصل . .

ومنها قوله في سورة طه ﴿ءَأَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَثَمُوزَى﴾ [طه: ٧٠] .

بخلاف قوله في سورة الشعراء ﴿رَبِّي مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٢] .

ومنها قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال في سورة الإسراء ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كَارِهِونَ﴾ [الإسراء: ٣١] ، قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء، بدليل قوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ ، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء، بدليل ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم، لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

ومنها ذكر الله في أواخر سورة الملائكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٨] ، فقدم ذكر السموات؛ لأن معلوماتها أكثر، فكان تقديمها أدل على صفة العالمية، ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] فبدأ بذكر الأرض، لأنه في سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة، وأمر

الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير، فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم، لأن مَنْ عجز عن أيسر الأمرين كان عن أعظمهما أعجز، ثم قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ، فقدم السموات تنبيهاً على عظم قدرته سبحانه، لأن خلقها أكبر من خلق الأرض، كما صرح به في سورة المؤمن؛ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى إِمْسَاكِ الْأَعْظَمِ كَانَ عَلَى إِمْسَاكِ الْأَصْغَرِ أَقْدَرُ .

فإن قلت: فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البين الذي لا يشك فيه أحد؟

قلت: أراد ذكرها مطابقة؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين، فانظر أيها العاقل حكمة

القرآن، وما أودعه من البيان والتبيان محمد عاقبة النظر وتنتظر خبير منتظر .

ومن أنواعه: أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها لقصد أن يقع البداية والختام به للاعتناء

بشأنه، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا . . .﴾ [الجمعة: ١١] إلى قوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّجْوَى ﴿الجمعة: ١١﴾ .

وكذلك قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] فإنه لولا ما أسلفناه، لقليل: ما تكتمون وتبدون، لأن الوصف بعلمه أمدح، كما قيل ﴿يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] ، و ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النحل: ١٩] .

فإن قلت: فقد قال تعالى ﴿يَعْلَمُ الْبُيُوتِ وَالْأَخْفَى﴾ [طه: ٧] .

قلت: لأجل تناسب رءوس الآي .

ومنها: أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد والقصة واحدة للفتن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] ، وقوله ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١] . وقوله: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ، وقوله: ﴿وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] قال الزمخشري في كشافه القديم: عُلِمَ بذلك أن كلا الطريقتين داخل تحت الحُسن، وذلك لأن العطف في المختلفين، كالتثنية في المتفقين، فلا عليك أن تقدم أيهما شئت، فإنه حسن مؤدِّ إلى الغرض، وقد قال سيبويه: ولم يجعل للرجل منزلة بتقديمك إياه، بكونه أولى بها من الجاثي؛ كأنك قلت: مررت بهما يعني في قولك: مررت برجل وجاءني إلا أن الأحسن تقديم الأفضل، فالقلب رئيس الأعضاء والمضغة لها الشأن، ثم السمع طريق إدراك وحي الله، وكلامه الذي قامت به السماوات والأرض وسائر العلوم التي هي الحياة كلها. قلت: وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة .

القلب

وفي كونه من أساليب البلاغة خلاف، فأنكره جماعة: منهم حازم في كتاب «منهاج البلغاء»^(١) وقال: إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه، لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار، والله منزّه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقاً بشرط عدم اللبس، كما قاله المبرّد في كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه»^(٢) .

وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتباراً لطيفاً فبليغ، وإلا فلا؛ ولهذا قال ابن الضائع:

(٢) (ص/٣٨) .

(١) ضمن الجزء المفقود.

يجوز القلب على التأويل، ثم قد يُقْرَبُ التأويل فيصح في فصيح الكلام، وقد يبعد فيختص بالشعر. وهو أنواع:

أحدها قلب الإسناد

وهو أن [يشتمل] ^(١) الإسناد إلى شيء، والمراد غيره كقوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَكَةِ﴾ [القصص: ٧٦] إن لم تجعل الباء للتعدي، لأن ظاهره أن المفاتيح تنوء بالعصبة، ومعناه: أن العصبة تنوء بالمفاتيح لثقلها، فأسند «لتنوء» إلى «المفاتيح» والمراد إسناده إلى العصبة لأن الباء للحال والعصبة مستصحبة المفاتيح لا تستصحبها المفاتيح، وفائدته المبالغة بجعل المفاتيح كأنها مستتبعة للعصبة القوية بثقلها.

وقيل: لا قلب فيه، والمراد -والله أعلم- أن المفاتيح تنوء بالعصبة؛ أي: تميلها من نقلها وقد ذكر هذا الفراء وغيره.

وقال ابن عصفور: والصحيح ما ذهب إليه الفارسي أنها بالنقل ولا قلب، والفعل غير متعد، فصار متعدياً بالباء، لأن «ناء» غير متعد، يقال: ناء النجم أي: نهض، ويقال: ناء أي مال للسقوط، [فإذا نقلت الفعل بالباء قلت: نوت به أي أنهضته وأملته للسقوط] ^(٣)، فقوله ﴿لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَكَةِ﴾ أي تميلها المفاتيح للسقوط لثقلها.

قال: وإنما كان مذهب الفارسي أصح، لأن نقل الفعل غير المتعدي بالباء مقيس، والقلب غير مقيس، فحمل الآية على ما هو مقيس أولى [ق/ ٢١٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] أي: خُلِقَ العجل من الإنسان، قاله ثعلب وابن السكيت.

قال الزجاج ^(٤): ويدل على ذلك ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْرُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

قال ابن جنى ^(٥): والأحسن أن يكون تقديره: خُلِقَ الإنسان من العجلة، لكثرة فعله إياه [واعتياده] ^(٦) له، وهو أقوى في المعنى من القلب، لأنه أمر قد اطرَد واتسع، فحملة على القلب يبعد في الصنعة، ويضعف المعنى.

ولما خفي هذا على بعضهم قال: إنَّ العجل هاهنا الطين، قال: ولعمري إنه في اللغة كما

- (١) في المطبوع: يشمل.
 (٢) معاني القرآن (٣١٠/٢).
 (٣) سقط من م.
 (٤) معاني القرآن (٣٩٢/٣).
 (٥) الخصائص (٢٠٣/٢).
 (٦) في المطبوع: اعتماده.

ذكر، غير أنه ليس هنا إلا نفس العجل، ألا ترى إلى قوله عقبه ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعِجَلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ، [المراد] (١) ونظيره قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] ، ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] لأن العجلة ضرب من الضعف، لما تؤذن به الضرورة والحاجة .

وقيل في قوله: ﴿وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] ، أي: إنه من المقلوب وأنه «وجاءت سكرة الحق بالموت» وهكذا في قراءة أبي بكر .

مثله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] قال الفراء (٢): أي لكل أمرٍ كتبه الله أجل مؤجل .

وقيل في قوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس: ١٠٧] هو من المقلوب، أي: يريد بك الخير، ويقال: أرادته بالخير وأراد به الخير .

وجعل ابن الضائع منه ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] ، قال: فآدم صلوات الله على نبينا وعليه هو المتلقى للكلمات حقيقة، ويقرب أن ينسب التلقي للكلمات، لأن مَنْ تلقى شيئاً أو طلب أن يتلقاه فلقية كان الآخر أيضاً قد طلب ذلك، لأنه قد لقيه قال: ولقرب هذا المعنى قرئ بالقلب . .

وجعل الفارسي (٣) منه قوله تعالى: ﴿فَقَسَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ﴾ [هود: ٢٨] أي فعميتم عليها .
وقوله: ﴿فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤] .
وقوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] ، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ [ال عمران: ٤٠] أي: بلغت الكبر .

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] ، وقوله: ﴿إِنَّمَا هُمْ عَدُوٌّ لِجِ الْإِلَهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] ؛ فإن الأصنام لا تعادي، وإنما المعنى: فإني عدو لهم مشتق من عدوت الشيء إذا جاوزته وخلفته، وهذا لا يكون إلا فيمن له إرادة، وأما «عاديته» فمفاعلة لا يكون إلا من اثنين .

وجعل منه بعضهم ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الماديات: ٨] أي إن حبه للخير لشديد .
وقيل: ليس منه لأن المقصود منه أنه لحب المال لبخيل، والشدة البخل أي: من أجل حبه للمال يبخل .

وجعل الزمخشري (٤) منه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الاحقاف: ٢٠] ،

(٢) معاني القرآن (٢/٦٥-٦٦) .

(٤) الكشاف (٤/٣٠٥) .

(١) سقط من المطبوع .

(٣) الحجة (٤/٣٢٢-٣٣٤) .

كقوله عرضت الناقة على الحوض، لأن المعروض ليس له اختيار، وإنما الاختيار للمعروض عليه، فإنه قد يفعل ويريد، وعلى هذا فلا قلب في الآية؛ لأن الكفار مقهورون، فكأنهم لا اختيار لهم، والنار متصرفة فيهم، وهو كالمحتاج الذي يقرب منه مَنْ يعرض عليه، كما قالوا: عرضت الجارية على البيع.

وقوله: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النقص: ١٢] ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على المكلف، فالمعنى: وحرمنا على المراضع أن ترضعه، ووجه تحريم إرضاعه عليهن ألا يقبل إرضاعهن حتى يرد إلى أمه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩]، وقيل: الأصل وما تخدعهم إلا أنفسهم، لأن الأنفس هي المخادعة والمسؤلة قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [يوسف: ١٨]. ورُدَّ بأن الفاعل في مثل هذا هو المفعول في المعنى، وأن التغاير في اللفظ فقط، فعلى هذا يصح إسناد الفعل إلى كل منهما ولا حاجة إلى القلب.

الثاني قلب المعطوف

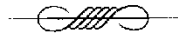
إما بأن تجعل المعطوف عليه معطوفاً، والمعطوف معطوفاً عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظَرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، حقيقته فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأثراً مع توليه عنهم، وما يفسر به التولي من أنه يتوارى في الكوة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجحة عليه.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] أي: تدلَّى فدنا؛ لأنه بالتدلي نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة لا إلى المكان.

وقيل: لا قلب، والمعنى: ثم أراد الدنو، وفي صحيح البخاري ^(١) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨] المعنى: فإذا استعذت فاقرأ.

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤] وقال صاحب الإيضاح ^(٢) لا قلب فيه؛ لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً.

وردة بتضمنه المبالغة في شدة سورة البأس، يعني هلكت بمجرد توجه البأس إليها ثم جاءها.



(١) كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة النحل.

(٢) الإيضاح (ص/٧٩) بمعناه.

الثالث العكس

العكس وهو أمر لفظي كقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠].

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١].

الرابع المستوي

وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها، ومن آخرها إلى أولها، لا يختلف لفظها ولا معناها كقوله: ﴿وَرَبِّكَ تَكْبَرُ﴾. ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾.

الخامس مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى مع بقاء بعض حروف الكلمة الأولى، كقوله تعالى: ﴿فَرَّقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٩٤] ف«بني» مركب من حروف «بين» وهو مفرق إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين وهو أولها.

المدرج

هذا النوع سمّيته بهذه التسمية بنظير المدرج من الحديث ^(١)، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجيء الكلمة إلى جنب أخرى، كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها، كقوله تعالى ذاكراً عن بلقيس ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَسةً أَهْلِهَا أُزْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ^(٢) هو من قول الله لا من قول المرأة.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَصَّصَ الْخَيْلُ أَنَا رَاوَدْتُهُمْ عَنْ نَجِيِّهِ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ الْضَالِّينَ﴾ [يوسف: ٥١] انتهى قول المرأة ثم قال يوسف عليه السلام ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] معناه ليعلم الملك أني لم أخنه.

ومنه: ﴿يُولِيْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، [تم الكلام] ^(٣) فقالت الملائكة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

(١) قال البيهقي:

والمدرجات في الحديث ما أتت من بعض ألفاظ الرواة اتصلت
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) سقط من م.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فهذه صفة لأتقياء المؤمنين ثم قال: ﴿يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] ، فهذا يرجع إلى كفار مكة تمدهم إخوانهم من الشياطين في الغي .

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ [الشعراء: ٣٥] ثم أخبر عن فرعون متصلاً ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ .

وقوله: ﴿هَذَا نَجْوَى مُنْجِيكُمْ مِّنْكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ لِيَهُمْ صَلَواتُ النَّارِ﴾ [ص: ٥٩] ، فالظاهر أن الكلام كله من كلام الزبانية والأمر ليس كذلك .

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤] من كلامه تعالى ، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] .

(١) الترقى

كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩] .

فإن قيل: فقد ورد: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ، والغالب أن يقدم فيه القليل على الكثير مع أن الظلم منع للحق من أصله ، والهضم منع له من وجه كالتطيف فكان يناسبه تقديم الهضم .

قلت: لأجل فواصل الآي؛ فإنه تقدم قبله ﴿وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] [ق/ ٢١٦] فعدل عنه في الثاني كيلا يكون أبطأ ، وقد سيقت أمثلة الترقى في أسباب التقديم .

الاقتصاص

ذكره أبو الحسين بن فارس^(٢) : وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة نفسها ، ومثله بقوله تعالى: [﴿وَمَا يَنْتَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَكِنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [المنكوت: ٢٧] والآخرة دار ثواب لا عمل فيها ، فهذا مقتص من قوله: [﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥] .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦] .

(١) قال ابن أبي الأصعب: «طريق البلاغة الترقى» تحرير التخبير (ص/ ١٣٥) .

(٢) الصاحبي (ص/ ٢٠١) .

(٣) سقط من م .

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُخَبِّرَنَّ عَنْهُمْ سَخِرَاتِهِمْ﴾ [مريم: ٦٨] . فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ، فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات، لأن الإشهاد أربعة. الملائكة عليهم السلام في قوله: ﴿وَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] . وأمة محمد ﷺ لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والأعضاء لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] .
ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] ، وقرئت مخففة ومثقلة، فمن شدد فهو من «ند» إذا نفر، وهو مقتصص من قوله: ﴿يَوْمَ يَبْرَأُ الْكُفْرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ [ميس: ٣٤] الآية ومن خفف فهو تفاعل من النداء، مقتصص من قوله تعالى: ﴿وَأَذَى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] .

(١) الإلغاز

واللفظ: الطريق المنحرف سُمي به لانحرافه عن نمط ظاهر الكلام، ويسمى أيضًا أحجية لأن الحجي هو العقل، وهذا النوع يقوي العقل عند التمرن والارتياض بحله والفكر فيه، وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها وحارت العقول في متنهاها .

ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام، وقيل له: أنت فعلته؟ فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] ، قابلهم بهذه المعارضة ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . وكذلك قول نمرود ﴿أَنَا أُتِي وَأُيْتِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، أتى باثنين فقتل أحدهما، وأرسل الآخر فإن هذه مغالطة .

(٢) الاستطراد

وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره، كقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْتُ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] .

- (١) قال ابن أبي الأصبغ: «ويسمى المحاجة، والتعمية أعم أسمائه، وهو أن يريد المتكلم شيئًا فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه» تحرير التحرير (ص/٥٧٩) .
(٢) قال ابن أبي الأصبغ: «وهو الذي سماه ابن المعتز: الخروج من معنى إلى معنى، وفسره بأن قال: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحًا أو قدحًا أو وصفًا أو غير ذلك» ، تحرير التحرير (ص/١٣٠) وبديع ابن المعتز (ص/١٠٩) العمدة (٢/٣١) .

وكقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [نصلت: ١٣] وقوله: ﴿أَلَا بَعْدًا لِمَنَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥] .

(١) الترويد

وهو أن يعلّق المتكلم لفظه من الكلام [بمضى] ^(٢) ثم يردّها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر كقوله: ﴿حَتَّى تُوَفَّقَ مِثْلَ مَا أُوقِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ . . .﴾ [الأنعام: ١٢٤] الآية فإن الأول مضاف إليه والثاني مبتدأ .

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦-٧] .
وقوله: ﴿لَمَسَّجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ [التوبة: ١٠٨] .
وقد يحذف أحدها ويضمّر، أو لا [يلاحظ] ^(٣) على الخلاف في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] .

التغليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره . وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين .
وهو أنواع:

الأول [تغليب المذكر] ^(٤)

كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾ [القيامة: ٩] غلب المذكر؛ لأن الواو جامعة؛ لأن لفظ الفعل مقتض لو أردت العطف امتنع .
وقوله: ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَتَنِينَ﴾ [التحریم: ١٢] .
وقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُم كَاتَمَاتٌ مِنَ النَّارِيِّينَ﴾ [الأعراف: ٨٣] والأصل من القانتات والغابرات، فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب .

هكذا قالوا، وهو عجيب؛ فإن العرب تقول: نحن من بني فلان، لا تريد إلا أموالهم والتصويب لطريقتهم، وفي الحديث الصحيح في الأشعريين: «هم مني وأنا منهم» ^(٥) فقول

(١) انظر: «تحرير التحرير» (ص/ ٢٥٣) و«حسن التوسل» (ص/ ٧٠) .

(٢) سقط من المطبوع . (٣) في م: يلحظ .

(٤) سقط من م .

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٤) ومسلم (٢٥٠٠) .

سبحانه: ﴿مِنَ الْقَنِينِ﴾ ولم يقل «من القانتات» إيدانا بأن وضعها في العباد جدًّا واجتهادًا، وعلمًا وتبصُّرًا ورفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم.

ونظيره ولكن بالعكس قول عقبة بن أبي معيط لأمية بن خلف لما أجمع القعود عن وقعة بدر؛ لأنه كان شيخًا، فجاء بمجمرة فقال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء، فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به ثم تمجّز، ونازع بعضهم في ذلك من وجه آخر، فقال: يحتمل ألا يكون «من» للتبعيض بل لابتداء الغاية أي: كانت ناشئة من القوم القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام.

(١) الثاني تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب

فيقال: أنا وزيد فعلنا، وأنت وزيد تفعلان، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] بقاء الخطاب غلب جانب «أنتم» على جانب «قوم»، والقياس أن يجيء بالياء؛ لأنه وصف القوم وقوم اسم غيبة، ولكن حَسُنَ آخر الخطاب وصفًا لـ «قوم» لوقوعه خبرًا عن ضمير المخاطبين. قاله ابن الشجري.

ولو قيل: إنه حال لـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢] لأن في [ضمير] (٢) الخطاب معنى الإشارة لملازمته لها أو لمعناها، وكان متجها وإن لم تساعده الصناعة، لكن يبعده أن المراد وصفهم بجهل مستمر لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقل «جاهلون» إيدانا بأنهم يتجددون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم.

وقال أبو البركات بن الأنباري: ولو قيل: إنما قال ﴿يَّجْهَلُونَ﴾ [بالتاء لأن «قوم» هو «أنتم» في المعنى، فلذلك قال: (٣)] «جاهلون» حلا على المعنى لكان حسنا، ونظيره قوله (٤)

أنا الذي سمتني أمي حيدر

بالياء حلا على «أنا»، لأن «الذي» هو «أنا» في المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] غلب فيه جانب «أنت» على جانب «من» فاسند إليه الفعل، وكان تقديره: فاستقيموا فغلب الخطاب على الغيبة؛ لأن حرف العطف فصل بين المسند إليهم الفعل، فصار كما ترى. قال صاحب الكشاف: (٥)

(٢) في المطبوع: الضمير.

(٤) من رجز لعلي بن أبي طالب.

(١) انظر: «الإيضاح» (ص/١٤٢).

(٣) سقط من م.

(٥) الكشاف (٢/٤٣٢).

تقديره فاستقم كما أمرت وليستقم كذلك من تاب معك .

وما قلنا أقل تقديرا من هذا فاختر أيهما شئت .

وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كَثْرَةٍ﴾ [الإسراء: ٦٣] فأعاد الضمير بلفظ الخطاب، وإن كان «من تبعك» يقتضى الغيبة تغليبا للمخاطب، وجعل الغائب تبعا له كما كان تبعا له في المعصية والعقوبة، فحسن أن يجعل تبعا له في اللفظ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى .

وكقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] فإن الخطاب في ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ لا بقوله: ﴿أَعْبُدُوا﴾ حتى يختص بالناس المخاطبين، إذ لا معنى لقوله: «اعبدوا لعلكم تتقون» .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] فيمن قرأ بالثناء (١) ويجوز أن يكون المراد بـ«ما تعملون» الخلق كلهم، والمخاطب النبي ﷺ، وكل سامع أبدا فيكون تغليبا، ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه بدونه، من غير اعتبار التغليب [لامتناع] (٢) أن يخاطب [ق/٢١٧] في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو تثنية أو جمع .
ومنه قوله تعالى: [. . .] (٣)

الثالث تغليب العاقل على [غيره] (٤)

بأن يتقدم لفظ يعم من يعقل ومن لا يعقل، فيطلق اللفظ المختص بالعاقل على الجميع كما تقول: «خلق الله الناس والأنعام ورزقهم»، فإن لفظ «هم» مختص بالعقلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَلَأٍ﴾ [النور: ٤٥] لما تقدم لفظ الدابة، والمراد بها عموم من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل فقال: ﴿فِيْنَهُمْ مَنْ يَمْسِي﴾ [النور: ٤٥] .

فإن قيل: هذا صحيح في «فمنهم»؛ لأنه لمن يعقل وهو راجع إلى الجميع فلم قال: من وهو لا يقع على العام بل خاص بالعاقل؟

قلت: «مَنْ» هنا بعض «هُمْ» وهو ضمير من يعقل .

فإن قلت: فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل؟

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿يَتَقَبَّلُ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالفاء، وقرأ الباقون: ﴿يَتَقَبَّلُ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء، وكذلك أبو بكر عن عاصم . الحجة (٤/٣٨٩) السبعة (ص/٣٤٠) .

(٢) في المطبوع: لامتناع .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) في المطبوع: غير .

قلت: مَنْ هنا قال أبو عثمان: إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم فهو بمنزلة من يقول: رأيت ثلاثة: زيدًا وعمراً وحمارًا.

وقال ابن الضائع: «هُم» لا تقع إلا على من يعقل، فلما أعاد الضمير على كل دابة غلب مَنْ يعقل فقال «هم» و «مَنْ» بعض هذا الضمير، وهو للعاقل فلزم أن يقول مَنْ فلما قال بوقوع التغليب في الضمير، صار ما يقع عليه حكمه حكم العاقلين فتمم ذلك بأن أوقع «مَنْ».

وقوله تعالى حاكياً عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ﴾ [نصت: ١١] إنما جمعها جمع السلامة ولم يقل: «طَائِعِينَ» ولا «طَائِعَات»، لأنه أراد اثنتي بمن فيكم من الخلائق طائعين، فخرجت الحال على لفظ الجمع وغلب من يعقل من الذكور.

وقال بعض النحويين: لما [أخبر] ^(١) عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الذكور من بني آدم، وإنما قال: «طائعين» ولم يقل: «مطيعين»، لأنه من طعنا، [أي انقَدْنَا] وليس من أطيننا يقال: طاعت الناقة تطوع طوعاً إذا انقادت.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَمْ يَأْتِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَلْبُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] قيل: أوقع «ما» لأنها تقع على أنواع من يعقل، لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فغلب ما لا يعقل كان الأمر بالعكس ويناقضه ﴿كُلُّ لَمْ قَلْبُونَ﴾.

وقال الزمخشري ^(٣): جاء بـ«ما» تحقيراً لشأنهم وتصغيراً قال «له قانتون» تعظيم.

ورد عليه ابن الضائع بصحة وقوعها على الله عز وجل، قال: وهذا غاية الخطأ وقوله في دعاء الأصنام ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢].

وقوله: ﴿وَقَالُوا لِمُجْرِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [نصت: ٢١].

وأما قوله: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لِمَا خَضَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] وقوله: ﴿فِي فَلَاكِ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ آلهةً مَا وَرَدُّوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ ادَّخَلُوا مِنْكُمْ﴾ [النمل: ١٨] [لأنه سبحانه] ^(٤)

لما أخبر عنها بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حد من يعقل وكذا البواقي.

فإن قيل: فقد غلب غير العاقل على العاقل في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(٢) سقط من م.

(٤) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: أخبز.

(٣) الكشاف (١/١٨١).

﴿الْأَرْضِ مِنْ دَابَّوْا﴾ [النحل: ٤٩] فإنه لو غلب العاقل على غير العاقل لآتى به «من» .

فالجواب: أن هذا الموضع غلب فيه من يعقل، وعبر عن ذلك بـ«ما» لأنها واقعة على أجناس من يعقل خاصة كهذه الآية .

قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠] ولم يقل: «ومن فيهن» قيل: لأن كلمة «ما» تتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً بأصل الموضع، و«من» لا تتناول غير العقلاء بأصل الموضع فكان استعمال «ما» هنا أولى .

وقد يجتمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب، والعقلاء على غيرهم، كقوله: ﴿جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ [السورى: ١١] أي: خلق لكم أيها الناس من جنسكم ذكورا وإناثا، وخلق الأنعام أيضا من أنفسها ذكورا وإناثا يذروكم، أي: يبتكم ويكثركم أيها الناس والأنعام في هذا التدبير والجعل، فهو خطاب للجميع للناس المخاطبين، وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة، ففيه تغليب المخاطب على الغائب، وإلا لما صح ذكر الجميع - أعنى الناس والأنعام - بطريق الخطاب، لأن الأنعام غيب، وفيه تغليب العقلاء على غيرهم، وإلا لما صح خطاب الجمع بلفظ «كم» المختص بالعقلاء ففي لفظ «كم» تغليبان، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال: يذروكم وإياها هكذا قرره السكاكي والزخشي .

ونوزعا فيه؛ بأن جعل الخطاب شاملا للأنعام تكلف لا حاجة إليه، لأن الغرض إظهار القدرة وبيان الألفاظ في حق الناس، فالخطاب مختص بهم، والمعنى: يكثركم أيها الناس في التدبير حيث مكنتكم من التوالد والتناسل، وهيا لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب المعاش وتدبير التوالد، وجعلها أزواجا تبقى ببقائكم، وعلى هذا يكون التقدير: وجعل لكم من الأنعام أزواجا، وهذا أنسب بنظم الكلام عما قرره وهو جعل الأنعام أنفسها أزواجا .

وقوله: ﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ فيه أي: في هذا التدبير كأنه محل لذلك ولم يقل «به» كما قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأنه مسوق لإظهار الاقتدار مع الوجدانية، فأسقط السببية، وأثبت «في» الظرفية وهذا وجه من إعجاز قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره، فاخترت «في» على «الباء» لأنه مسوق لبيان الترغيب، والمعنى مفهوم والقصاص مسوق للتجويز وحسن المشروعية ﴿وَأَنْ تَقُومُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧] .

الرابع تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] قيل: غلب غير المرتابين

على المرتابين، واعترض بقوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وهذا خطاب للكفار فقط قطعاً، فهم المخاطبون أولاً بذلك، ثم «إن كنتم صادقين» لا يتميز فيها التغليب ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص الجاحدين بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم فتغليب حال من لم يدخل في الخطاب لا عهد به في مخاطبات العرب [ثم أوضح لبعضها هنا لأن جواز أن يتناول المشكوك، وغير المرتابين عاملين فلا يستحق حالهم «إن»، ويحتمل أن يكون للتهييج زيادة في التعجيز] (١).

الخامس تغليب الأكثر على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِيَّ وَلِيَّتَنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] أدخل شعيب عليه السلام في قوله «لنعودن» بحكم التغليب، إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها ومثله قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٩] واعترض بأن «عاد» بمعنى «صار» لغة معروفة وأنشدوا (٢).

فإن [لم] (٣) تكن الأيام أحسن مرة إلى فقد عادت لهن ذنوب ولا حجة فيه، لجواز [ق/ ٢١٨] أن يكون ضمير «الأيام» فاعل «عادت» وإنما الشاهد في قول أمية (٤).

تلك المكارم لا قَعْبَانٍ من لبن شَيْبًا بماء فعاداً بعد أبوالا ويحتمل جواباً ثالثاً، وهو أن يكون قولهم لشعيب ذلك من تعنتهم وبهتانهم وادعائهم أن شعيباً كان على ملتهم، لا كما قال فرعون لموسى. وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] كناية عن أتباعه لمجرد فائدتهم، وأنه ﷺ إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه، فقد استثنى، والمعلق بالمشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديراً، والاعتراف بالقدرة والرجوع لعلمه سبحانه وأن علم العبد عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكاً.

ويجوز أن يراد بالعود في ملتهم مجرد المساكنة والاختلاط، بدليل قوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِتْنًا﴾ [الأعراف: ٨٩] ونظيره ﴿وَمَطَّهْرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ال عمران: ٥٥] ويكون ذلك إشارة إلى الهجرة عنهم، وترك الإجابة لهم لا جواباً لهم وفيه بعد.



(١) سقط من المطبوع.

(٢) غريفة العبسي.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) ونسب أيضاً لليل الأخيلىة.

السادس تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس [مغمور] ^(١) فيما بينهم بأن يطلق اسم [ذلك] ^(٢) الجنس على الجميع

كقوله: ﴿فَسَبَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَمُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] وأنه عد منهم، مع أنه كان من الجن تغليبا لكونه جنيا واحدا فيما بينهم، ولأن حمل الاستثناء على الاتصال هو الأصل، ويدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه: «خلقت الملائكة من نور والجن من النار» .

وقيل: إنه كان ملكا فسلم الملكية، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع من الملائكة .

قال الزمخشري: كان مختلطا بهم فحينئذ عمته الدعوة بالخلطة لا بالجنس، فيكون من تغليب الأكثر، هذا إن جعلنا الاستثناء متصلا ولم يجعل «إلا» بمعنى «لكن». وقال ابن جنى في «القد» قال أبو الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكُوعِي ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وإنما المتخذ عيسى دون أمه، فهو من باب .

لنا قمرها والنجوم الطرالع

السابع تغليب الموجود على ما لم يوجد

كقوله: ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] قال الزمخشري ^(٥): فإن المراد المنزل كله، وإنما عبر عنه بلفظ المضى وإن كان بعضه مترقا تغليا للموجود على ما لم يوجد .

الثامن تغليب الإسلام

كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ﴾ قاله الزمخشري ^(٦) لأن الدرجات للعلو والدركات للسفل فاستعمل الدرجات في القسمين تغليا .

التاسع تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢] ذكر الأيدي، [لأن أكثر الأعمال] ^(٧) تزاوّل بها فحصل الجمع بالأيدي تغليا، أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران .

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) هو من قول الفرزدق.

(٧) سقط من م.

(١) في المطبوع: مغمور.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) .

(٥) الكشاف (٤١/١) .

(٦) الكشاف (٣٠٤/٤) .

ويشاكله ما أنشده الغزنوي في «العامريات» لصفية بنت عبد المطلب .
فلا والعاديات غداة جمع بأيديها إذا سطع الغبار

العاشر تغليب الأشهر

كقوله تعالى: ﴿يَنبَأَتُ بَيِّنَىٰ وَبَيْنَكَ يُعَدُّ الشَّرِيفِينَ﴾ [الزخرف: ٣٨] أراد المشرق والمغرب،
فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين، قاله ابن الشجري وسيأتي فيه وجه آخر.

فائدتان: إحداهما:

جميع باب التغليب من المجاز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القانتين
موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما وضع له
وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة.

الثانية:

الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق، ولهذا قالوا في تثنية الأب والأم:
أبوان وفي تثنية المشرق والمغرب المشرقان، لأن المشرق دال على الوجود والغرب دال على
العدم والوجود لا محالة أشرف، وكذلك القمران قال:

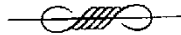
لنا قمرها والنجوم الطوالع

أراد الشمس والقمر، فغلب القمر لشرف التذكير، وأما قولهم: سُنَّةُ العُمَرَيْنِ
يريدون (١) أبا بكر وعمر، قال ابن سيده في المحكم: إنما فعلوا ذلك إيثارةً للخفة أي غلب
الأخف على الأثقل، لأن لفظ عمر مفرد ولفظ أبي بكر مركب.

وذكر أبو عبيدة في «غريب الحديث» (٢) أن ذلك للشهرة وطول المدة.

وذكر غيرهما أن المراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وعلى هذا فلا تغليب.

ورد بأنهم نطقوا بالعمريين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز فقالوا يوم الجمل لعلي بن
أبي طالب سنة العمريين.



(٢) (٤/٣٢١).

(١) في م: يريد.

الالتفات^(١)

وفيه مباحث:

الأول: في [حقيقته] ^(٢)

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرازا للسامع، وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سماعه كما قيل ^(٣).

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال قال حازم في «منهاج البلغاء» ^(٤): وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضًا يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض، وهو نقل معنوي لا لفظي وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه، عائداً في نفس الأمر إلى الملفت عنه ليخرج نحو أكرم زيداً وأحسن إليه فضمير «أنت» الذي هو في «أكرم» غير الضمير في «إليه».

واعلم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول.

وقال السكاكي ^(٥): إما ذلك وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره.

البحث الثاني: في أقسامه

ولهي كثيرة:

الأول الالتفات من التكلم إلى الخطاي

ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَأَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]،

(١) عرفه ابن المعتز فقال: «الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة».

انظر: «تحرير التحبير» (ص/ ١٢٣) و«العمرة» (٤٤/ ٢) و«الصناعتين» (ص/ ٣٩٢) و«المفتاح» (ص/ ٢٢٧) و«حسن التوسل» (ص/ ٥٦).

(٢) في المطبوع: حقيقة.

(٣) أبو العتاهية.

(٥) المفتاح (ص/ ٢٢٧).

(٤) (ص/ ٣٤٨).

الأصل: «وإليه أرجع» فالتفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نُصَحَ قومه، تلطفاً وإعلاماً: أنه [يريد لهم ما يريد] لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

وأيضاً فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه؛ ثم حذرهم بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

لذا جعلوه من الالتفات، وفيه نظر، لأنه إنما يكون منه إذا كان القصد الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين، وهاهنا ليس كذلك، لجواز أن يكون أراد بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ المخاطبين؛ ولم يرد نفسه، ويؤيده ضمير الجمع، ولو أراد نفسه لقال: «ترجع».

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين [ق/ ٢١٩] و«فطرنى» و«وإليه ترجعون» كلام واحد.

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ ظاهره لما صح الاستفهام الإنكارى؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبد غير ذلك الراجع. فالعنى: كيف [لا] ^(٢) أعبد من إليه رجوعى؛ وإنما ترك «وإليه أرجع» إلى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لأنه داخل فيهم. ومع ذلك أفاد فائدة حسنة؛ وهى أنه نبههم أنهم مثله في وجوب عبادة من إليه الرجوع؛ فعلى هذا، الواو للحال وعلى الأول واو العطف.

ومنه قوله ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٨] عدل عن قوله: «رَحْمَةً مِثْلًا» إلى قوله: ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٨]؛ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضى رحمته؛ وأنه رحيم بعيدة كقوله: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ [سبا: ١٥].

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [الأحرف: ٥٥]، ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾. وهو كثير.

وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١-٢] ولم يقل: «لنغفر لك» تعليقاً لهذه المغفرة التامة باسمه المتضمن لسائر أسمائه الحسنى، ولهذا علق به النصر، فقال: ﴿وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٣].

الثاني من التكلم إلى الغيبة

ووجهه أن يقهّم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه، فيكون في المضمّر ونحوه ذا لَوْنَيْنِ، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب؛ من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: يريده.

وجهه أن يفوت، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ١-٢]، حيث لم يقل «لنا» تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية.

وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٤-٦].

وقوله: ﴿قُلْ يَتَأَيَّمُوا أَنَا وَإِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ جَمِيعًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ولم يقل: «بي».

وله فائدتان: إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصية لها، والثاني: تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة، من النبوة والامية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص.

الثالث من الخطاب إلى التكلم

كقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا مَبْدَأَ لَهُمْ أَشْرَكٌ ۝ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾ [طه: ٧٢-٧٣] وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا، فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ويمكن أن يمثل بقوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١] على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب.

الرابع من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْتُمْ يَمِينَ﴾ [يونس: ٢٢] فقد التفت عن ﴿كُنْتُمْ﴾ إلى ﴿وَجَرْتُمْ يَمِينَ﴾ وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، لتعجبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.

وقيل: لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم، بدليل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْإِثْرِ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] فلو قال: «وجرين بكم» للزم الدم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، فعدل عن الخطاب العام إلى الدم الخاص ببعضهم، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم.

وقيل: لأنهم وقت الركوب حصرُوا؛ لأنهم خافوا الهلاك، وتقلب الرياح فناداهم نداء الحاضرين ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم، كما كان على ما هي عادة الإنسان، أنه إذا أمن غاب فلما غابوا عند جريه بريح طيبة [فذكرهم] (١) الله بصيغة الغيبة فقال: ﴿وَجَرْتُمْ يَمِينَ﴾.

(١) في المطبوع: فكرهم.

وقوله: ﴿أَخْلَوْا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] ثم قال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة، ولو ربط بما قبله لقال «يطاف عليكم»؛ لأنه مخاطب لا يخبر ثم التفت فقال: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] فكرر الالتفات.

وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ كُوفَرٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْمُفْسَدَ وَالْمُصِيبَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَجِدَّةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٧١﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٣] والأصل «فقطعتهم» عطفًا على ما قبله لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة، فقيل: إنه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين وببخهم عليه قائلًا: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله.

وجعل منه ابن السجري ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣] وقد سبق أنه على حذف المفعول فلا التفات.

الخامس من الغيبة إلى التكلم

كقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُمَآ وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [نصفت: ١٢].

﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿١٧١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَخَابًا مُسْقِنَةً﴾ [فاطر: ٩] وفائدته أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد [الميت] ^(١) إحياء للأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم، لأنه أدخل في الاختصاص وأدل عليه وأفخم.

وفيه معنى آخر: وهو أن [الأقوال] ^(٢) المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به سبحانه بسببه وهو سوق السحاب، فإنه يسوق الرياح، فتسوقه الملائكة بأمره وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه، وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال، أن يخبر بها بنون التعظيم، الدالة على أن له جندا وخلقًا قد سخرهم في ذلك، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي إذا قرأه رسولنا جبريل. وقوله: ﴿يَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

(٢) في م: الأفعال.

(١) سقط من المطبوع.

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن في إرسالها، ولم يذكر له سببا بخلاف سوق السحاب وإنزال المطر، فإنه قد ذكر أسبابه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]. ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا حَذَائِكَ بِهَجْرَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

وجعل الزمخشري^(١) منه قوله في سورة طه: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣] وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التفاتا، وجعل قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ آخر كلام موسى، ثم ابتداء الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمعالجتها.

وأشار الزمخشري إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة [أحد]^(٢)، وهو معنى قول غيره إن الإشارة إلى حكاية الحال، واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة، وكذا يفعلون لكل فعل [ق/ ٢٢٠] فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهتم المخاطب، وإنما قال: ﴿فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] لإفادة بقاء المطر زمانا بعد زمان.

ومثله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [نصت: ١٢] عدل عن الغيبة في «قضاهن» و«سواهن» إلى التكلم في قوله ﴿وَرَبَّنَا﴾ فقيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا وحفظا؛ تكديبا لمن أنكر ذلك.

وقيل: لما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين:

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة، وهو خلق الأرض في يومين وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام، ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء، وأنه أتمها وأكملها سبعا في يومين، فأتى في هذا النوع بضمير الغائب عطفًا على أول الكلام في قوله: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَّبِعُونَ لَهُمْ آثَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [نصت: ٩-١٠] إلى قوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ...﴾ الآية [نصت: ١٢].

والثاني: قصد به الإخبار مطلقا من غير قصد مدة خلقه، وهو تزيين سماء الدنيا بمصابيح وجعلها حفظا، فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك، بخلاف ما قبله فإن نوع الأول يتضمن إيجادا لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته وأما تزيين

(٢) في المطبوع: واحد.

(١) الكشاف (٦٨/٣).

السماء الدنيا بالمصاييح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم، فالتفت من الغيبة إلى التكلم فقال ﴿رَبَّنَا﴾ .

فائدة في تكرار الالتفات في موضع واحد

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ لِرَبِّهِمْ مِن مَّآبِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] في أربعة مواضع فانتقل عن الغيبة في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿بَنَيْنَا لَهُ لِرَبِّهِمْ﴾ ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله «ليريه» بالياء على قراءة الحسن ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله ﴿مَّآبِنَا﴾ ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وكذلك في الفاتحة فإن من أولها إلى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] أسلوب غيبة ثم التفت بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] إلى أسلوب خطاب في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم التفت إلى الغيبة بقوله: ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ولم يقل الذين غضبت كما قال أنعمت عليهم .

السادس من الغيبة إلى الخطاب

كقوله: ﴿وَقَالُوا أَتُحَدِّثُ الرِّجْمَ وَلَدَا ۗ ﴿١٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۗ﴾ [مریم: ٨٨-٨٩] ولم يقل .
«لقد جاءوا» للدلالة على أن من قال مثل قولهم، ينبغي أن يكون موبخا عليه منكرا عليه قوله كأنه يخاطب به قوما حاضرين .

وقوله: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْقَسْرِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مریم: ٣٩] ثم قال: ﴿وَلَنْ نُنَكِّرَهُ إِلَّا لِأَرْذَاهَا﴾ [مریم: ٧١] .

وقوله: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رِجْمًا سَرَابًا طَهُورًا ۗ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءَ﴾ [الإنسان: ٢١-٢٢] .

وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] .

وقوله: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَطُهْرُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] .

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ . . .﴾ [البقرة: ٦] .

وقوله: ﴿وَطَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَانَ﴾ [البقرة: ٥٧] .

وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْصِحَ خَالصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].
 وقوله حكاية عن الخليل: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقْوَمُوا ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١٣] إِنَّمَا تَسُدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧] إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [النمل: ٥٦].

وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [١٦] وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [١٧] وَيَرْزُقُوا اللَّهَ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ١٩-٢١].

وقوله: ﴿وَأَقْلَبْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخْنَا مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] إلى قوله: ﴿فَقَتَلَهُ كَذَلِكِ الْكَذِبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٧٦] فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ . . .﴾ الآية [المائدة: ٣٨-٣٩].

وجعل بعضهم منه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦] وهو عجيب لأن «الذين» موصول لفظه للغيبة ولا بد له من عائد، وهو الضمير في آمنوا فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب فهذا مما لا يعقل.

وقوله: ﴿مَنْ لِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [١] إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٤-٥] فقد التفت عن الغيبة وهو ﴿مَنْ لِكِ﴾ إلى الخطاب وهو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ولك أن تقول إن كان التقدير: قولوا الحمد لله ففيه التفتان أعنى في الكلام المأمور به: أحدهما: في لفظ الجلالة فإن الله تعالى حاضر فأصله الحمد لك.

والثاني: ﴿إِيَّاكَ﴾ لمجيئه على خلاف الأسلوب السابق، وإن لم يقدره^(١): «قولوا» كان في «الحمد لله» التفتان عن التكلم إلى الغيبة، فإن الله سبحانه حمد نفسه ولا يكون في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التفتان؛ لأن «قولوا» مقدرة معها قطعاً، فإما أن يكون في الآية التفتان أو لا التفتان بالكلية.

السابع بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه

فيكون التفتان عنه كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] بعد ﴿أَنْعَمْتَ﴾ فإن المعنى «غير الذين غضبت عليهم» ذكره التنوخي في «الأقصى القريب»^(٢) والحفاجي وابن الأثير^(٣) وغيرهم.

(٢) (ص/١٠).

(١) في المطبوع: يقدر.

(٣) المثل السائر (٥/٢).

واعلم أنه على رأى السكاكي تجيء الأقسام الستة في القسم الأخير، وهو الانتقال التقديري .

وزعم صاحب «ضوء المصباح» أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والغيبة موضع التكلم ووضع التكلم موضع الخطاب، ومثل الثالث بقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [س: ٢٢] مكان «وما لكم لا تعبدون الذي فطركم» .

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَالْقَدِيرِينَ فِي أَلْبَاسَاءٍ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] .

البحث الثالث في أسبابه

اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب [إصغائه] (١)، واتساع مجاري الكلام وتسهيل [للوزن] (٢) والقافية [شعراً ونثراً] (٣) .
و[كذا] (٤) قال البيانيون: إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حسن تغيير الطريقة .

ونازعهم القاضي شمس الدين [الخويى] (٥) وقال: الظاهر أن مجرد هذا لا يكفي في المناسبة فإننا رأينا كلاماً أطول في هذا، والأسلوب محفوظ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى أن ذكر عشرة أصناف وختم بـ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ولم يغير الأسلوب، وإنما المناسبة أن الإنسان كثير القلب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ويقبله كيف يشاء، فإنه يكون غائبا فيحضر بكلمة واحدة وآخر يكون حاضرا فيغيب، فالله تعالى لما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] تنبه السامع وحضر قلبه فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وأما الخاصة فتختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم .
فمنها: قصد تعظيم شأن المخاطب كما في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك [ق/ ٢٢١] للإقبال عليه سبحانه، فإذا انتقل إلى قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الدال على ربوبيته لجميعهم،

(١) في المطبوع: صفائه .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع: بن الجوزي .

قوى تحركه فإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جليلها وحقيرها، تزايد التحرك عنده فإذا وصل لـ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء فيتأهب قربه، وتيقن الإقبال عليه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات .

وقيل : إنما اختير للحمد لفظ الغيبة، وللعبادة الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة، فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده إذ الإنسان يحمد من لا يعبد، ولا يعبد من لا يحمد، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال : «الحمد لله» ولم يقل «الحمد لك»، ولفظ العبادة مع الخطاب فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة على ما هو أعلى رتبة، وذلك على طريق التأدب وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [مصرحاً] (١) بذكر المنعم، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل «صراط المنعم عليهم»؛ فلما صار إلى ذكر الغضب، روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً وجاء باللفظ متحرفاً عن ذكر الغاضب، فلم يقل «غير الذين غضبت عليهم»، تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة .

ومن هذا قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] فَإِنَّ التَّأدُّبَ فِي الْغَيْبَةِ دُونَ الْخُطَابِ .

وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيماً، ومالكا ليوم الدين، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعانة به، فخطوب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة تعظيماً لشأنه كله حتى كأنه قيل : إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه، وقصورهم عن محاضرتهم ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم فإذا عرفوه بما هو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه، وأقروا بالمحامد له، وتعبدوا له بما يليق بهم تأهلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وفيه : أنهم يبدون بين يدي كل دعاء له سبحانه ومناجاة له صفات عظمتهم لمخاطبته على الأدب والتعظيم لا عن الغفلة والإغفال ولا عن اللعب والاستخفاف، كمن يدعو بلانية أو على تلعب وغفلة وهم كثير .

ومنه : أن مناجاته لا تصعد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به، كما لا تسجد الأعضاء إلا

(١) في م : معوجاً .

بعد التطهير من حدث الأجسام، ولذلك قدمت الاستعاذة على القرآن .

قال الزخشي (١): وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] ولم يقل: «واستغفرت لهم» وعدل عنه إلى طريق الالتفات، لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان .

ومنها: التنبية على ما حق الكلام أن يكون [واردا] (٢) عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَأَ أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] أصل الكلام «وما لكم لا تعبدون الذي فطركم» ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويريهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، ثم لما انقضى غرضه من ذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ليدل على ما كان من أصل الكلام، ومقتضيا له ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال: ﴿ءَأَسْنَتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونَ﴾ [يس: ٢٥] .

ومنها: أن يكون الغرض به التتميم لعنى مقصود للمتكلم، فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له كقوله: ﴿فِيهَا يُقَرَأُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٤-٦] أصل الكلام، «إنا مرسلين رحمة منا» ولكنه وضع الظاهر موضع المضمرة للإنداز بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم، أو لتخصيص النبي ﷺ بالذكر أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمرة للمعنى، المقصود من تتميم المعنى .

ومنها: قصد المبالغة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢] كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجب منها، ويستدعي منه الإنكار والتوبيخ لها، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح .

ومنها: قصد الدلالة على الاختصاص، كقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ السَّحَابًا فَسُقْنَهَا إِلَىٰ الْبَلَدِ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [ناظر: ٩] فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛ لأنه أدخل في الاختصاص، وأدل عليه: «سقنا» و«أحيينا» .

ومنها: قصد الاهتمام كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنَبِّئَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَنَّتُ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الذَّلِيلَةَ

يَمْصَّبِحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ [نصلت: ١١-١٢] فعدل عن الغيبة في «قضاهن» «وأوحى» إلى التكلم في «وزينا السماء الدنيا» للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ، وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً، فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهما من مهمات الاعتقاد، ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه.

ومنها: قصد التوبيخ كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿ [مریم: ٨٨-٨٩] عدل عن الغيبة إلى الخطاب، للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخاً ومنكراً عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور فقال «لقد جئتم»؛ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿ [١٣١] وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴿ [الأنبياء: ٩٢-٩٣] قال: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ دون «تقطعتم أمركم بينكم»، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين، ويقبح عندهم ما فعلوه ويوبخهم عليه قائلاً: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، فجعلوا أمر دينهم به قطعاً، تمثيلاً لأخلاقهم في الدين.

فائدة

اختلف في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْأَلِيَمَادَ ﴿ [آل عمران: ٩] بعد ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ ﴾ .

ف قيل: إن الكلام تم عند [ق/ ٢٢٢] قوله ﴿ لَا رَبَّ فِيهِ ﴾ وهذا الذي بعده من مقول لله تصديقاً لهم .

وقيل: بل هو من بقية كلامهم الأول على [طريق] (١) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، كقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتَ بِكُمْ ﴾ [يونس: ٢٢] .

فإن قلت: قد قال في آخر السورة ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْأَلِيَمَادَ ﴿ [آل عمران: ١٩٤] فلم عدل عن الخطاب هنا؟ قلت: إنما جاء الالتفات في صدر السورة، لأن المقام يقتضيه فإن الإلهية تقتضي الخير والشر، لتتصف المظلومين من الظالمين، فكان العدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى . وأما قوله تعالى في آخر السورة: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْأَلِيَمَادَ ﴾ فذلك المقام مقام الطلب للعبد من ربه، أن ينعم عليه بفضله، وأن يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن فيه ما يقتضى العدول عن الأصل المستمر .

(١) في المطبوع: طريقة .

البحث الرابع في شرطه

تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وشرطه أيضا أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه. وفي هذا الشرط نظر فقد وقع في القرآن مواضع الالتفات فيها، وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأى الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [المنكوت: ٢٣].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَلْعَنُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [القصص: ٥٩].
 وقوله: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] بعد قوله: ﴿إِنَّا أَعْلَنَّا لَكَ﴾
 التقدير: إن وهبت امرأة نفسها للنبي ﴿إِنَّا أَعْلَنَّا لَكَ﴾ وجعلنا الشرط والجزاء كلام واحد.
 وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْشُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾ [الفرقان: ١٧].
 وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٨-٩] وفيه الالتفاتان: أحدهما: بين «أرسلنا» والجلالة، والثاني بين الكاف في «أرسلناك» و«رسوله»، وكل منهما في كلام واحد.

وقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١].
 وقوله: ﴿فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَلَيْتَ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣] وجوز الزمخشري^(١) فيه أن يكون ضمير «جزاؤكم» يعود على «التابعين» على طريق الالتفات.
 وقوله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] على قراءة الياء^(٢).
 وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]، قال التلخوي في «الأقصى القريب»^(٣): الواو للحال.
 وقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

(١) الكشاف (٦٧٧/٢).

(٢) قرأ أبو عمرو وحده: «تُرْجَعُونَ» بفتح التاء، وكسر الجيم.

واختلف عنه في آخر سورة النور، فروى علي بن نصر وهارون الأعور وعبيد بن عقيل وعباس بن الفضل وخارجة بن مصعب: «وَيَوْمَ تُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» بضم الياء.

وقرأ الباقون: «وَيَوْمَ تُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» بضم الياء. وقرأ الباقون: «يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ»، «يَوْمًا يُرْجَعُونَ» بضم التاء والياء فيهما، وكذلك في النور. الحجة (٤١٧/٢).

(٣) (ص/٦٩).

البحث الخامس أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يفعل ذلك إذا ابتلي العاقل بخصم جاهل متعصب، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة؛ لأنه كلما كان خوضه معه أكثر، كان بعده عن القبول أشد فالوجه حينئذ أن يُقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يؤخذ في كلام آخر أجنبي ويطنب فيه بحيث ينسى الأول فإذا اشتغل خاطره به، أدرج له أثناء الكلام الأجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول، ليتمكن من انقياده.

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب «درة التنزيل»^(١) وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَسْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ [ص: ١٧] قال: إن قوله «وادكر» ليس متصلاً بما قبله، بل نقلاً لهم عما هم عليه، والمقدمة المدرجة قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلَانًا﴾ [ص: ٢٧] إلى قوله: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ مَا تَنْهَىٰ وَيَسْتَدَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وهذا الذي قاله يخرج الآية عن الاتصال مع أن في الاتصال وجوهاً مذكورة في موضعها.

والحق به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(٢) قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا . . .﴾ الآية [ق: ١-٢] فهذا إنكار منهم للبعث، واستبعاد نحو الوارد في سورة «ص» فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ فبعد العدول عن مجاوبتهم في قولهم ﴿ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] وذكر اختلافهم المسبب عن تكذيبهم في قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] صرف تعالى الكلام إلى نبيه والمؤمنين فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . .﴾ [ق: ٦] إلى قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ وذلك حكمة تدرك مشاهدة، لا يمكنهم التوقف في شيء منه، ولا حفظ عنهم إنكاره، فعند تكرر هذا قال تعالى ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

وعما يقرب من الالتفات أيضاً الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر وهو ستة أقسام كما سبق تقسيم الالتفات:

أحدها: الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين، كقوله تعالى: ﴿أَجْتَنَّتَا لِلْإِنْسَانِ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَاهِدَةً تَنَاوَعُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

(١) وهناك كتاب آخر بنفس الاسم للاسكافي.

(٢) ملاك التأويل (٢/ ٩٧٩-٩٨٠).

الثاني: من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَعَتِ السَّاءُ﴾ [الطلاق: ١] .
 الثالث: من الاثنين إلى الواحد كقوله: ﴿فَمَنْ رَزَقْنَا يَمُوسَى﴾ [طه: ٤٩] ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧] .

الرابع: من الاثنين إلى الجمع كقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ بِعَمْرٍأ يَوْمًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد فإنه ثنى، ثم جمع، ثم وُحِدَ توسعا في الكلام وحكمة الثننية أن موسى وهارون هما اللذان يقران قواعد النبوة، ويحكما في الشريعة فخصهما بذلك، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبله للعبادة، لأن الجميع مأمورون بها، ثم قال لموسى وحده: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار.

الخامس: من الجمع إلى الواحد كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] وقد سبق حكمته. ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] ثم قال: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ ولم يقل «منا» مع أنه للجمع أو للواحد المعظم نفسه، وحكمته المناسبة للواقع، فالهدى لا يكون إلا من الله فناسب الخاص للخاص.

السادس: من الجمع إلى الثننية كقوله: ﴿يَنْتَشِرُ الْغَيْثُ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا...﴾ إلى قوله: ﴿فِي أَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ﴾ .

السابع: ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملته مستقلة ملاقية له في المعنى على طريق المثل أو الدعاء، فالأول كقوله: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] والثاني: كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا مَرْفُوعًا اللَّهُ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٧] .

الثامن: من الماضي إلى الأمر كقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقوله: ﴿وَأَجَلَتْ لَكُمْ أَلْسِنَتُهُمْ إِلَّا مَا يَشَاءُ عَلَيْكُمْ فَاجْتَبَيْنَا أَلْحَقْنَا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَاجْتَبَيْنَا قَوْلَكَ الرَّؤُوفِ﴾ [الحج: ٣٠] .

التاسع: من المستقبل إلى الأمر، تعظيما لحال من أجرى عليه المستقبل، وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه الأمر، كقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ مَا جَحَنَّا بِإِسْمِهِ...﴾ [هود: ٥٣] [ق/ ٢٢٣] إلى قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يَمَّا تَشْرِكُونَ﴾ فإنه إنما قال ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ و ﴿أَشْهَدُوا﴾ ولم يقل «وأشهدكم»، ليكون موازنا له ولا شك أن معنى إلهاد الله على البراءة صحيح في معنى ثبت التوحيد، بخلاف إلهادهم [فما هو إلا تهاون بدينهم] ^(١)، ودلالة على قلة المبالاة به

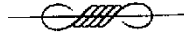
(١) سقط من م.

فلذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر كما تقول للرجل منكرا: أشهد على أي أحبك .

العاشر: من الماضي إلى المستقبل نحو ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ﴾ [فاطر: ٩] ﴿فَكَأَنَّمَا حَرَ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَ الطَّيْرُ﴾ [الحج: ٣١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥] .
والحكمة في هذه: أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه نافيا، أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن في الفعل المستقبل إشعارا بالتكثير .
فيشعر قوله: «ويصدون»، أنه في كل وقت بصدد ذلك، ولو قال: وصدوا لأشعر بانقطاع صدهم .

الحادي عشر: عكسه كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النمل: ٨٧] ، ﴿وَيَوْمَ نَسِيرٌ لِّلْجِبَالِ وَرَى الْأَرْضِ بَارِزَةٌ وَحَشْرَتُهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] .

قالوا: والفائدة في الفعل الماضي إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعا لتنزيله منزلة الواقع، والفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لتبين هيئة الفعل باستحضار صورته، ليكون السامع كأنه شاهد، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله ﴿يُنْفَخُ﴾ للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته، وأنه كائن لا محالة كقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ والمعنى: «يبرزون» وإنما قال ﴿وَحَشْرَتُهُمْ﴾ بعد ﴿نَسِيرٌ﴾ ﴿وَرَى﴾ وهما مستقبلا، لذلك .



(١) التضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال، وفي الحروف فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم، لإفادة معنى الاسمين جميعا كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٠٥] ضمن «حقيق» معنى «حريص»، ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

وأما الأفعال، فأَنْ تَضَمَّنَ فعلا معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعا، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف، فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدى به فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل، ليصح تعديه به.

واختلفوا أيهما أولى؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف، وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى.

وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى، لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أولى؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر.

مثاله قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] فضمن «يشرب» معنى «يروي»، لأنه لا يتعدى بالباء فلذلك دخلت الباء، وإلا فـ«يشرب» يتعدى بنفسه فأريد باللفظ الشرب والري معا، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد.

وقيل: التجوز في الحرف وهو الباء فإنها بمعنى «من».

وقيل: لا مجاز أصلا بل العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء، لا إلى الماء نفسه نحو نزلت بعين فصار كقوله مكانا يشرب به. وعلى هذا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارِفٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] قاله الراغب (٢).

وهذا بخلاف المجاز، فإن فيه العدول عن مسماه بالكلية، ويراد به غيره كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧] فإنه استعمل «أراد» في معنى مقاربة السقوط، لأنه من لوازم

(١) قال ابن أبي الأصعب: «وهو أن يضمن المتكلم كلامه من بيت أو من آية أو معنى مجردا من كلام آخر، أو مثلاً سائرا، أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمه».

انظر: «تحرير التحرير» (ص/ ١٤٠) و«البيان والتبيين» (٦/٢) و«العمدة» (٦٨/٢) و«الإيضاح» (ص/ ٣٦٢) و«المثل السائر» (٣٤١/٢).

(٢) المفردات (ص/ ١١٤٤).

الإرادة وإن من أراد شيئاً فقد قارب فعله ولم يرد باللفظ هذا المعنى الحقيقي الذي هو الإرادة ألبتة، [والتضمين أيضاً مجاز؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً، والجمع بينهما مجاز خاص، يسمونه بالتضمين تفرقة] ^(١) بينه وبين المجاز المطلق.

ومن التضمين قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الْوَيْسَاءِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] لأنه لا يقال: رفثت إلى المرأة لكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك.

وهكذا قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] وإنما يقال: هل لك في كذا؟ لكن المعنى أدعوك إلى أن تزكى.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] فجاء بـ«عن» لأنه ضمن التوبة معنى العفو والصفح.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَاطِئِنَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤] وإنما يقال: خلوت به لكن ضمن «خلوا» معنى «ذهبوا» و«انصرفوا» وهو معادل لقوله: ﴿لَقُوا﴾ وهذا أولى من قول من قال: إن «إلى» هنا بمعنى الباء أو بمعنى «مع».

وقال مكي: إنما لم تأت الباء، لأنه يقال خلوت به إذا سخرت منه فأتى بـ«إلى» لدفع هذا الوهم.

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَكُمْ صِرَاطَكَ الْمَسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، قيل: الصراط منصوب على المفعول به أي لألزمك لك صراطك، أو لأملكه لهم و«أقعد» وإن كان غير متعد ضمن معنى فعل متعد.

وقوله: ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] ضمن «تعُدُّ» معنى «تنصرف» فعُدَى بـ«من». قال ابن السجري: ومن زعم أنه كان حق الكلام «لا تعدُّ عينيك عنهم» بالنصب؛ لأن «تعُدُّ» متعد بنفسه فباطل، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد، وأنت لا تقول: جاوز فلان عينه عن فلان ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يتضمنها محمولاً أيضاً على: لا تنصرف عينك عنهم، وإذا كذلك فالذي وردت به التلاوة من رفع العين يثول إلى معنى النصب فيها، إذ كان «لا تعد عينك» بمنزلة «لا تنصرف»، ومعناه لا تنصرف عينك عنهم، فالفعل مسند إلى العين، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي ﷺ، كما قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ﴾ [التوبة: ٨٥] أسند الإعجاب إلى الأموال والمعنى: لا تعجب بأموالهم.

وقوله: ﴿أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] ضمن معنى «لتدخلن» أو «لتصيرن»؛ وأما

(١) سقط من م.

قول شعيب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] فليس اعترافاً بأنه كان فيهم، بل مثول على ما سبق. وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البعض إلى الجماعة، أو قال: على طريق المشاكلة لكلامهم وهذا أحسن.

وقوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] ضمن «لا تشرك» معنى «لا تعدل» والعدل: التسوية أي لا تسوى به شيئاً.

وقوله: ﴿وَأَجْسَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣] ضمن معنى «أنابوا» فعدى بحرفه.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ [القصص: ١٠] ضمن «لتبدي به» معنى «تخبر به» أو «لتعلم» ليفيد الإظهار معنى الإخبار، لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] جوز الزخشي (١) نصب ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف على تضمين يبعثك معنى «يقيمك».

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] قال الفارسي: ومن قرأ «فأجمعوا» بالقطع، أراد فاجعوا أمركم [واجمعوا] (٢) وشركاءكم كقوله:

مقلدا سيفاً ورمحاً (٣)

وقوله: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبا: ٢٣] قال ابن سيده: عداه بـ«عن» لأنه في معنى كشف الفرع.

وقوله: ﴿أَذَلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فإنه يقال: ذل له لا عليه ولكنه هنا ضمن معنى التعطف والتحنن.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَبِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] ضمن «يؤلّون» معنى «يتمتعون» (٤) من وطئهن بالألوية.

وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمِلَّةٍ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: ٨] أي لا يصغون [ق/ ٢٢٤].

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] أي أنزل.

﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨] أي أحل له.

﴿وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] أي عميزك.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع: يتمتعون.

(١) الكشاف ٦٨٧/٢٥.

(٢) هو لعبد الله بن الزبيرى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] أي لا يرضى .

﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦] أي أنيبوا إليه وارجعوا .

﴿هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٩] أي زال .

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] فإنه يقال : خالفت زيدا من غير احتياج لتعديه

بالجار ، وإنما جاء محمولا على «ينحرفون» أو «يزيغون» .

ومثله تعدي «رحيم» بالباء في نحو : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الاحزاب: ٤٣] حملا على

«رءوف» في نحو : ﴿رَبُّوْكَ رَحِيمٌ﴾ ألا ترى أنك تقول : رأفت به ، ولا تقول : رحمت به ؛

ولكن لما وافقه في المعنى تنزل منزلته في التعدي .

وقوله : ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَخِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] ضمن معنى «سائل» .

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين: ٢] قال الزخشي (١) : ضمن معنى تحاملوا فعدها

بـ«على» والأصل فيه «من» .

تنبيهان

الأول : الأكثر أن يراعى في التعدي ما ضمن منه ، وهو المحذوف لا المذكور ، كقوله

تعالى : ﴿أَرْزَقْتُ إِلَىٰ يَسَابِكِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي الإفضاء .

وقوله : ﴿عَيْنًا يَتْرَبُّ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الانسان: ٦] أي : يروى [بها] (٢) وغيره مما سبق .

ولم أجد مراعاة الملفوظ به إلا في موضعين ، أحدهما : قوله تعالى : ﴿يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾

[الأنبياء: ٦٠] على قول ابن الصائغ ، أنه ضمن «يقال» معنى «ينادي» و «إبراهيم» نائب عن

الفاعل ، وأورد على نفسه ، كيف عدى باللام والنداء لا يتعدى به ؟ وأجاب بأنه روعي الملفوظ

به وهو القول ، لأنه يقال : قلت له .

الثاني قوله : ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] فإنه قد يقال : كيف يتعلق

التكليف بالمرضع ؟ فأجيب بأنه ضمن «حرم» المعنى اللغوي ، وهو المنع فاعترض كيف عدى

بـ«على» والمنع لا يتعدى به ؛ فأجيب بأنه روعي صورة اللفظ .

الثاني : أن التضمين يطلق على غير ما سبق ؛ قال القاضي أبو بكر في كتاب «إعجاز

القرآن» : هو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفه هي عبارة عنه ، ثم قسمه إلى

قسمين : أحدهما : ما يفهم من البنية كقولك : معلوم فإنه يوجب أنه لا بد من عالم ، والثاني :

(١) الكشاف (٤/٧١٨) .

(٢) سقط من م .

من معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة فضارب يدل على مضروب .

قال: والتضمين كله إيجاز، قال: وذكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين؛ لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى أو التبرك باسمه .
وذكر ابن الاثير في كتاب «المعاني المبتدعة»: أن التضمين واقع في القرآن، خلافا لما أجمع عليه أهل البيان، وجعل منه قوله تعالى في الصفات ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَىٰ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصفات: ١٦٨-١٦٩] .

ويطلق التضمين أيضا على إدراج كلام الغير في أثناء الكلام، لتأكيد المعنى أو لترتيب النظم ويسمى الإبداع، كإبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين كقوله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] .

ومثل ما حكاها عن المنافقين: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] .

وقوله: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣] .

﴿وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ﴾ [البقرة: ١١٣] ومثله في القرآن كثير .

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية .

ويقرب من التضمين في إيقاع فعل موقع آخر إيقاع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] .

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَا مُلْكُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

﴿وَرَبَّاءُ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] .

﴿وَوَلَّىٰ دَاوُدَ إِنَّمَا فُتِنَتْهُ﴾ [ص: ٢٤] .

﴿وَوَلَّىٰ مَا لَهُمْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [نصفت: ٤٨] .

وشرط ابن عطية في ذلك ألا يكون متعلقه حسيا، كما تقول العرب في رجل يرى حاضرا أظن هذا إنسانا، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحس بعد، كالأيات السابقة .

قال الراغب في «الذريعة»^(١): الظن إصابة المطلوب بضرب من الأمانة متردد بين يقين رشك فيقرب تارة من طرف اليقين، وتارة من طرف الشك فصار أهل اللغة يفسرونه بهما، لعمى [رؤى]^(٢) إلى طرف اليقين أقرب، استعمل معه «أن» المثقلة والمخففة فيهما، كقوله

(٢) في المطبوع: رثي. والمثبت من م والذريعة.

(١) (ص/١٨٥) بتصرف واختصار.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾^(١) [البقرة: ٤٦] ﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ وَقَعَ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١] ومتى [رؤى]^(٢) إلى [طرف]^(٣) انشك أقرب، استعمل معه «أن» التي للمعدومين من الفعل نحو: ظننت أن يخرج .

قال: وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦] لأمرين .

أحدهما: للتنبه على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة، كالظن في جنب العلم .

والثاني: أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبين والصدقيين المعنيين بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥] والظن متى كان عن أمانة قوية فإنه يمدح به، ومتى كان عن تخمين [لم يمدح]^(٤) به، كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وجوز أبو الفتح في قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [يَوْمَ عَظِيمٍ] [المطففين: ٤-٥] أن يكون المراد بها اليقين، وأن تكون على بابها وهو أقوى في المعنى، أي: فقد يمنع من هذا التوهم فكيف عند تحقيق الأمر، فهذا أبلغ كقوله: «يكفيك من شر سماعه» أي لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر، وشدته لاجتنب المعاصي، فكيف عند تحقق الأمر وهذا أبلغ .

وقيل: آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد والباقي بمعنى اليقين، والفرق بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك بخلاف اليقين، وإن اشتركا جميعا في وجوب الجزم بهما .

وكذلك قوله: ﴿إِنِّي عَلِمْتُ أَنِّي مُلْقِي حِسَابِي﴾ [الحاقة: ٢٠] .

وقد جاء عكسه، وهو التجوز عن الظن بالعلم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١] ، ولم يكن ذلك علما جازما بل اعتقادا ظنيا .

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وكان يحكم بالظن وبالظاهر .

وقوله: ﴿فَإِنِّي عَلِمْتُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [السنحة: ١٠] وإنما يحصل بالامتحان في الحكم، ووجه التجوز أن بين الظن والعلم قدرا مشتركا وهو الرجحان فتجوز بأحدهما عن الآخر .

(١) في المطبوع: الله.

(٢) في المطبوع: رؤي.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في الذريعة: لم يعتمد ذم به.

وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي

كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿الْيَوْمَ يَقْبِضُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقوله: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْمَاءِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ . . .﴾ الآية [المائدة: ٨٩] ولهذا جعلها العلماء من

أمثلة الواجب.

﴿فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] على قراءة نافع، أي لا ترفثوا ولا تفسقوا.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قالوا: هو خير، وتأويله نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله كقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وكقوله: ﴿لَا تُضَارَّ وِلْدَانُكُمْ بِوَالِدَيْهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] على قراءة الرفع^(١) وقيل إنه نهي مجزوم أعنى قوله ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ ولكن ضمت إبتاعاً للضمير كقوله ﷺ «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم».

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] ضمن «لا تعبدون» معنى «لا تعبدوا» بدليل قوله بعده ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وبه يزول الإشكال في عطف الإنشاء [ق/ ٢٢٥] على الخبر لكن إن كان «حسناً» معمولا لأحسنوا، فعطف «قولوا» عليه أولى لانفاهما لفظاً ومعنى وإن كان التقدير «ويحسنون»، فهو [كالذي]^(٢) قبله والعطف على القريب أولى وقيل ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ أبلغ من صريح النهي، لما فيه من إيحاء أن المنهي يسارع إلى الانتهاء فهو مخبر عنه.

وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] في موضع «لا تسفكوا».

وقوله في سورة الصف ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١] ولهذا جزم الجواب.

وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ﴾ فإن المقام يشتمل على تضمين ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ [يس: ٥٥] معنى الطلب بدليل ما قبله ﴿فَالْيَوْمَ﴾

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبان عن عاصم: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةً﴾ رفعا، وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي: ﴿لَا تُضَارُّ﴾ نصبا. الحجة (٢/ ٣٣٣).

(٢) في المطبوع: الذي.

لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ سَيِّئًا ﴿يس: ٥٤﴾ فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفا بالفاء على قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣] وعام لجميع الخلق لعموم قوله: ﴿لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ سَيِّئًا﴾ [يس: ٥٤] وإن الخطاب الوارد بعده على سبيل الالتفات، وهو قوله: ﴿وَلَا تُجْحَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ خطاب عام لأهل المحشر، فيكون قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: ٥٥] إلى قوله: ﴿أَتَيْهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ مقيدا بهذا الخطاب، لكونه تفصيلا لما أجمله: ﴿وَلَا تُجْحَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤] وإن التقدير: أن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر، ثم جاء في التفسير أن قوله هذا ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة بتنزيل ما هو للتكوين منزلة الكائن، أي: إن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر يتول حالهم إلى أسعد حال والتقدير حينئذ «فامتازوا عنكم إلى الجنة» هكذا قرره السكاكي في «المفتاح»^(١).

قيل: وفيه نظر، لأنها إذا كانت طلبية ومعناها أمر المؤمنين بالذهاب إلى الجنة، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل المحشر [لأن الخطاب في هذا التخيير هو المأمور فيها...]^(٢). ولهذا قال بعضهم: إن تضمين أصحاب أهل الجنة للطلب ليس المراد منه أن الجملة نفسها طلبية، بل معناه أن يقدر جملة إنشائية بعدها، بخلاف قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]

ومنه قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿١١﴾ بِقَرِّ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الصف: ١١-١٢] فإنه يقال: كيف جاء الجزم في جواب الخبر وجوابه: أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك إذ المعنى: آمنوا وجاهدوا.

وقال ابن جنى: لا يكون «يعفّر» جوابا لـ «هل أدلكم» وإن كان أبو العباس قد قاله، [قال أبو علي]^(٣): لأن المغفرة تحصل بالإيمان لا بالدلالة. انتهى. وقد يقال الدلالة سبب السبب.

إذا علمت هذا، فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر [الحاصل]^(٤) تحقيقا لثبوته، وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد وهذا هو المشهور.

وفيه طريقة أخرى نقلت عن القاضي أبي بكر وغيره، وهي أن هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه، ليس خبرا عن الواقع حتى يلزم

(٢) سقط من المطبوع.
(٤) في المطبوع: الحاصل.

(١) (ص/١٦٤-١٦٥).
(٣) سقط من المطبوع.

ما ذكره من الإشكال، وهو احتمال عدم وقوع خبره فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع، أما الخبر عن الحكم فلا لأنه لا يقع خلافه أصلاً.

وضع الطلب موضع الخبر

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وقوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣].

وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا تُورِي أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسِجُ إِلَيْهِ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَالْقِيَامَةَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: ٨-١٠] فقوله ﴿وَالْقِيَامَةَ﴾ معطوف على قوله ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ «فالق» وإن كان إنشاء لفظاً، لكنه خبر معنى والمعنى فلما جاءها قيل: بورك من في النار وقيل: ألق.

والموجب لهذا، قول النحاة إن «أن» هذه مفسرة لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول، وإذا قيل: كتبت إليه أن أرجع وناداني أن قم كله بمنزلة: قلت له وقال لي: قم كذا. قاله صاحب المفتاح (١).

وما ذكره من أن «بورك» خبرية لفظاً ومعنى ممنوع، لجواز أن يكون دعاء وهو إنشاء وقد ذكر هذا التقدير الفارسي (٢) وأبو البقاء (٣)، فتكون الجملتان متفقتين في معنى الإنشاء، فتكون مثل ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقوله: ﴿يَلْبِسْنَا ثُرًى وَلَا نَكْذِبُ﴾ [الأنعام: ٢٧] إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] فإنه يقال: كيف ورد التمني على التكذيب وهو إنشاء؟

وأجاب الزمخشري (٤): أنه ضمن معنى العِدَّة، وأجاب غيره بأنه محمول على المعنى من الشرط والخبر؛ كأنه قيل: إن [رددنا] (٥) لم نكذب وآمنا والشرط خبر فصح ورود التكذيب عليه.

وقوله: ﴿اتَّعِمُّوا سَبِيلَنَا وَلَا نَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] أي: ونحن حاملون بدليل قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ والكذب إنما يرد على الخبر.

(٢) الحجة (١٧٥/٥).

(٤) الكشاف (١٥٩/١).

(١) المفتاح (ص/١٦٤-١٦٥).

(٣) التبيان (١٧١/٢).

(٥) في المطبوع: زدنا.

وقوله: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصِتْ﴾ [مريم: ٣٨] تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم، لأن الله تعالى لم يتعجب منهم ولكنه دل المكلفين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منه .
وما يدل على كونه ليس أمرا حقيقيا ظهور الفاعل الذي هو الجار والمجرور في الأول وفعل الأمر لا يبرز فاعله أبدا .

ووجه التجوز في هذا الأسلوب، أن الأمر شأنه أن يكون ما فيه داعية للأمر، وليس الخبر كذلك، فإذا عبر عن الخبر بلفظ الأمر أشعر ذلك بالداعية، فيكون ثبوته وصدقه أقرب . هذا بالنسبة لكلام العرب، لا لكلام الله إذ يستحيل في حقه سبحانه الداعية للفعل .

بقي الكلام في أيهما أبلغ؟ هذا القسم أو الذي قبله؟

قال الكواشي: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْدُبْ لَكَ الرَّحْمَنُ مَتَابًا﴾ [مريم: ٧٥] الأمر: بمعنى الخبر، لتضمنه [معنى] ^(١) اللزوم نحو: إن زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم .
وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] ورود الخبر، والمراد الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر والنهي، كأنه سورع فيه إلى الامتثال والخبر عنه .

وقال النووي في شرح «مسلم» ^(٢) في باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها [في النكاح] ^(٣) وقوله ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سوم أخيه» ^(٤)
هكذا هو في جميع النسخ، «ولا يسوم» بالواو، «ولا يخطب» بالرفع وكلاهما لفظه لفظ الخبر والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه، والنهي قد يقع مخالفته فكان المعنى: عاملوا هذا النهي معاملة خبر الحتم ثم قال ﷺ «ولا تسأل المرأة طلاق أختها» ^(٥) يجوز في «تسأل» الرفع والكسر، والأول على الخبر الذي يراد به النهي، وهو المناسب لقوله قبله: «لا يخطب ولا يسوم» والثاني على النهي الحقيقي . انتهى .

وضع النداء موضع التعجب [ق/٢٢٦]

كقوله تعالى: ﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] قال الفراء ^(٦): معناه فيا لها ^(٧) من حسرة، والحسرة [معناها] ^(٨) في اللغة أشد الندم لأن القلب يبقى حسيرا .

(١) سقط من المطبوع. (٢) (١٥٩/١٠) .

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٣٣) ومسلم (١٠٧٦) .

(٥) انظر السابق.

(٦) معاني القرآن (٣٧٥/٢) .

(٨) سقط من المطبوع.

(٧) في المعاني: يا لها.

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب «المبتدأ» عن البصريين: أن هذه من أصعب مسألة في القرآن لأن الحسرة لا تنادى، وإنما تنادى الأشخاص لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب كقوله: يا عجباً لم فعلت ﴿يَحْسَرَنَّ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ﴾ [الزمر: ٥٦] وهو أبلغ من قولك العجب قيل: فكأن التقدير: يا عجباً احضر يا حسرة احضري.

وقرأ الحسن ﴿يَحْسَرَةٌ عَلَىٰ أَلْبَابٍ﴾ [يس: ٣٠].

ومنهم [من] ^(١) قال: الأصل يا «حسراته» ثم أسقطوا الهاء تخفيفاً ولهذا قرأ عاصم «يَا أَسْفَاهُ عَلَىٰ يَوْسُفَ».

وقال ابن جنى في كتاب «الفسر» معناه: أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها.

وأما قوله تعالى ﴿يَكْبُرُونَ﴾ فقالوا: معنى النداء فيما لا يعقل تنبيه المخاطب، وتوكيد القصة فإذا قلت: يا عجباً فكأنك قلت: اعجبوا، فكأنه قال: يا قوم أبشروا.

قال أبو الفتح في «الخطاريات»: وقد توضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع المفعول به كقوله تعالى: ﴿وَلَكْرٌ فِيهَا مَنِيْعٌ﴾ [المؤمنون: ٢١] بعد قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِيَرْكَبُوا فِيهَا﴾ [إعافر: ٧٩] المعنى: ولتنتفعوا بها عطفاً على قوله: ﴿لِيَرْكَبُوا فِيهَا﴾ وعلى هذا قال: ﴿وَلِتَسَلِّقُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ﴾ [إعافر: ٨٠] وكذلك قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: ولتأكلوا منها ولذلك أتى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَىٰ الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢] فعطف الجملة من الفعل ومرفوعه على المفعول له.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] أي: ولأنى ربكم فاتقون، فوضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع المفعول له.

وهذا يبطل تعلق من تعلق على ثبوته في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [النوبة: ٣] وقوله: إن هذا ليس من مواضع الابتداء لجواز تقدير: وأذان بأن الله برىء وبأن رسوله كذلك.

وضع جمع القلة موضع الكثرة ^(٢)

لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض لاشتراكها في مطلق الجمعية، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْأَفْرَقَاتِ آمُتُونَ﴾ [سبا: ٣٧] فإن المجموع بالألف والتاء للقلة، وغرف الجنة لا تخصى.

(٢) الأقصى القريب (ص/٥١).

(١) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] ورتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة .

وقوله: ﴿ اللَّهُ يَتَوَكَّى الْأَنْفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢] .

وقوله: ﴿ وَأَسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النمل: ١٤] وهو كثير .

وقيل: سبب ذلك في الآية الأولى دخول الألف واللام الجنسية، فيكون ذلك تكثيرا لها وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة، إشارة إلى قلة من يكون فيها ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا المؤمنون .

وقد نص سبحانه على قتلهم بالإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤] فيكون التكثير الداخل في قوله: ﴿ وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ﴾ [سبا: ٣٧] لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة، ولكن من جهة ما اقتضته الألف واللام للجنس . واعلم أن جموع التكثير الأربعة، وجمعي التصحيح - أعنى جمع التانيث وجمع التذكير - كل ذلك للقلة، أما جموع التكسير فبالوضع وأما جمعا التصحيح فلأنهما أقرب إلى الثنية، وهي أقل العدد فوجب أن يكون الجمع المشابه لها بمنزلتها في القلة، وما عداها من الجموع فيبرد تارة للقلة، وتارة للكثرة بحسب القرائن، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] . ﴿ هُدَىٰ لِلتَّقِينِ ﴾ . ﴿ وَأَوْلَيْتَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ ﴾ . ﴿ آآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٢] . ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ . ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦] . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَآآ ﴾ . ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] . ﴿ فَقَالَ أَنبِيُّونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] . ﴿ يَسْمَعُوهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ ﴾ . ﴿ أَنَا نُرِوْنَ النَّآسَ بِآلِرٍ وَتَسْوُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق: ١] . ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] . ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥] . ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ [البقرة: ١٥٤] . ﴿ وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٨٥] . ﴿ وَأَنْتُمْ يَتَأُولَىٰ آلِآبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] . ﴿ بِاللَّغْوِ فِي آيَاتِنَاكُمْ ﴾ . ﴿ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَآهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] .

﴿ حَفِظُوا عَلَ الصَّلَوَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فإن قلت: ليس هذا منه، بل هي للقلة، لأنها خمس .

قلت: لو كان كذلك لما صح: ﴿ لَا جُنَآحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦] .

﴿ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]: فالمراد منها واحد، والجواب عن أحدهما

الجواب عن الآخر .

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ كُلِّ الْأُمَّرَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٦٦] . ﴿ إِنْ تَبَدُّوْا الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧١]

﴿الصَّكِرِينَ وَالْمُكِيدِينَ﴾ الآية. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية. ولا تحصى كثرة.

ومن شواهد مجيء جمع القلة مرادا به الكثرة، قول حسان رضي الله عنه:

لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
وحكى أن النابغة قال له: قد قلت جفناك وأسيافك.

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة، فيما له جمع كثرة
وفيما لا جمع له كثرة في كلامهم. وصححها بعضهم قال: يعنى أنه كان ينبغي لحسان تجنب
اللفظ الذي أصله أن يكون في القلة، وإن كان جائزا في اللسان وضعه لقرينة إذا كان الموضع
موضع مدح، أو أنه وإن كانت القلة لمعنى الكثرة لكن ليس في كل مقام.

ومن المشكل قوله تعالى: ﴿فِيضْغَفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فإن «أضعافا» جمع
قلة، فكيف جاء بعد كثرة؟

والجواب: أن جمع القلة يستعمل مرادا به الكثرة وهذا منه.

تنبيهها:

الأول: إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة، فإن لم يكن [له] (١) فلا،
كقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فإن «أياما»، أفعال مع أنها ثلاثون، لكن ليس لليوم جمع غيره،
ومن ثم أفرد السمع وجمع الأبصار في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] لأن «فعلا»
ساكن العين صحيحها لا يجمع على «أفعال» غالبا، وليس له جمع تكسير فلما كان كذلك اكتفى
بدلالة الجنس على الجمع.

وجعل بعضهم من هذا «أنفسكم» على كثرتها في القرآن، وليس كذلك فقد جاء ﴿وَإِذَا
الْفَوْسُ رُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] وحكمته هنا ظاهرة، لأن المراد استيعاب جميع الخلق في المحشر.
ونظيره: ﴿مِن كَلِمَاتِ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦] لإمكان «الثمار» وليس رأس آية.

منه: ﴿وَأَيُّتُكَ تُكْمَلُ﴾ لإمكان «أي» ولا يقال: إنه لطلب المشاكلة فقد قال تعالى بعده:
﴿وَأُخْرَىٰ مُتَشَابِهَةٌ﴾ فدل على عدم المشاكلة لإمكان «أخرىات».

وكذلك قوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] وليس رأس آية، ولا فيه مشاكلة
لإمكان «الأنهر».

وقد جاء أنفس للقلة؛ كقوله: ﴿وَأَنْفُسًا وَأَنْفُسَكُمُ﴾ وقيل: المراد نفسان من باب: ﴿فَقَدْ
صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].

(١) سقط من المطبوع.

الثاني: إنما يتم في المنكر، أما المعرف فيستغنى بالعموم عن ذلك، وبهذا يחדش في كثير مما سبق جعله من هذا النوع. وقد قال الزمخشري^(١) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إنه جمع قلة وضع موضع جمع الكثرة، وردّ عليه بأن «أل» في «الثمرات» للعموم، فيصير كالثمار ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة، وكذلك بيت حسان السابق، فإن الجففات [ق/٢٢٧] معرفة «أل» «وأسيافنا» مضاف ليعم.

تذكير المؤنث^(٢)

يكثر في تأويله بمذكر، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] على تأويلها بالوعظ.

وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا﴾ [ق: ١١] على تأويل البلدة بالمكان وإلا لقال ميتة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْمَتَسَّ بِأَيْمَنَ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] أي: الشخص أو الطالع.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣] أي: بيان ودليل وبرهان.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: ٦].

وإنما يترك التأنيث كما يترك في صفات المذكر، لا كما في قولهم: امرأة معطار؛ لأن السماء بمعنى المطر مذكر قال^(٣):

إذا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
ويجمع على اسمية وسمي، قال العجاج:

تلفه الأرواح والسمي

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨] إلى قوله: ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ ذكر الضمير، لأنه

ذهب بالقسمة إلى المقسوم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُرِّي فِي الْأَنْفِ لِعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرَ بِنَمَائِهِ فِي بَطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦] ذهب بالأنعام إلى معنى

النعم أو حمله على معنى الجمع.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل: «قريبة» قال

(١) الكشاف (١/٩٤).

(٢) انظر: الأقصى القريب (ص/٥٠-٥١).

(٣) معود الحكماء، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري شاعر من أشراف العرب في الجاهلية، وهو أخو ملاعب الأسنه عامر بن مالك، وعم لييد بن ربيعة.

الجوهري^(١): ذكرت على معنى الإحسان وذكر الفراء^(٢) أن العرب تفرق بين النسب، والقرب من المكان، فيقولون: هذه قريبتى من النسب، وقريبي من المكان فعلوا ذلك فرقا بين قرب النسب والمكان.

قال الزجاج^(٣): وهذا غلط لأن كل ما قرب من مكان ونسب، فهو جار على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث، يريد أنك إذا أردت القرب من المكان قلت: زيد قريب من عمرو وهند قريبة من العباس، فكذا في النسب.

وقال أبو عبيدة^(٤): ذكر «قريب» لتذكير المكان، أي: مكانا قريبا. ورده ابن الشجري بأنه لو صح لنصب «قريب» على الظرف.

وقال الأخفش^(٥): المراد بالرحمة هنا المطر، لأنه قد تقدم ما يقتضيه فحُمل المذكر عليه. وقال الزجاج^(٦): لأن الرحمة والغفران بمعنى واحد، وقيل: لأنها والرحم سواء.

ومنه: ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ فحملوا الخبر على المعنى ويؤيده قوله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

وقيل: الرحمة مصدر، والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث.

وقيل: «قريب» على وزن «فعليل»، و«فعليل» يستوي فيها المذكر والمؤنث، حقيقيا كان أو غير حقيقي. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

وقيل: من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: وإن مكان رحمة الله قريب، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره.

وقيل: من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي: إن رحمة الله شيء قريب أو لطيف أو برّ أو إحسان.

وقيل: من باب إكساب المضاف حكم المضاف إليه، إذا كان صالحا للحذف والاستغناء عنه بالثاني، والمشهور في هذا تأنيث المذكر لإضافته إلى مؤنث، كقوله^(٧):

مَسِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ الشَّوَايِمِ

فقال: «تسفهت» والفاعل مذكر، لأنه اكتسب تأنيثا من الرياح، إذ الاستغناء عنه جائز

(٢) معاني القرآن (١/٣٨٠-٣٨١).

(٤) مجاز القرآن (١/٢١٦).

(٦) معاني القرآن (١/٣٨١).

(١) مختار الصحاح (ص/٥٦٠).

(٣) معاني القرآن (٢/٣٤٤-٣٤٥).

(٥) معاني القرآن (١/٣٢٧).

(٧) ذو الرمة.

وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى المضاف تأنيثاً، لم يكن له، فلأن تعطيه تذكيراً لم يكن له - كما في الآية الكريمة - أحق وأولى؛ لأن التذكير أولى والرجوع إليه أسهل من الخروج عنه. وقيل: من الاستغناء بأحد المذكورين، لكون الآخر تبعاً له ومعنى من معانيه.

ومنه: في أحد الوجوه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمَ لَمَّا خَضِعِينَ﴾ [النساء: ٤] فاستغنى عن خبر الأعتاق بخبر أصحابها، والأصل هنا: إن رحمة الله قريب، وهو قريب من المحسنين، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود [إليه] ^(١)، وسوغ ظهور ذلك المعنى.

ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] قال البغوي ^(٢): لم يقل «قريبة» لأن تأنيثها غير حقيقي ومجازها الوقت. وقال الكسائي: إتيانها قريب.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَّارِصٍ﴾ ولم يقل: «صرصرة» كما قال: ﴿بِرِيحٍ صَّارِصٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبهه باب «حائض» ونحوه بخلاف «عاتية»، فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به.

وأما قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] ففي تذكير «منفطر» خمسة أقوال: أحدها: للفراء ^(٣): أن السماء تذكر وتؤنث فجاء «منفطر» على التذكير.

والثاني: لأبي عليّ: أنه من باب اسم الجنس الذي بينه وبين واحده التاء، مفرده سماء واسم الجنس يذكر ويؤنث نحو ﴿أَعْبَازُ تَحْلِ مُنْفَعِرٍ﴾ [الفرق: ٢٠]. والثالث: للكسائي أنه ذكر حملاً على معنى السقف.

والرابع: لأبي عليّ أيضاً على معنى النسب، أي ذات انفطار، كقولهم: امرأة مرضع، أي ذات رضاع.

والخامس: للزمخشري ^(٤)، أنه صفة لخبر محذوف مذكر، أي شيء منفطر ^(٥).

وسأل أبو عثمان المازني بحضرة المتوكل قوماً من النحويين، منهم ابن السكيت وأبو

(١) سقط من المطبوع. (٢) التفسير (ص/١٨٨).

(٣) معاني القرآن (٣/١٩٩). (٤) الكشاف (٤/٦٤٢).

(٥) قال ابن فارس: «جُئِلَ على السقف، وهذا يتسع جداً» وقال التستري: «السماء تذكر وتؤنث، والتذكير قليل وكان التذكير جمع: سماء. مثل حمامة وحمام، والسماء إذا أردت المطر مؤنثة، يقال: أصابتنا سماء ومروية وأسمية كثيرة، وتصغيرها: سمية وإذا أردت بالسماء السقف ذكرت كما قال عز وجل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]. انظر: «الصاحبي» (ص/٣٨٢) و«المذكر والمؤنث» (ص/٣١).

بكر بن قادم عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَيْتًا﴾ [مريم: ٢٨] كيف جاء بغير هاء. ونحن نقول امرأة كريمة إذا كانت هي الفاعل، وليست بمنزلة «القتيل» التي هي بمعنى «المفعول»؟ فأجاب ابن قادم وخلط فقال له المتوكل: أخطأت قل يا أبا بكر للمازني، قال: «بغى» ليس لـ «فعليل» وإنما هو «فعلول»، والأصل فيه «بغوى» فلما التقت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو في الياء، فقيل: «بغى» كما تقول امرأة صبور، بغير هاء، لأنها بمعنى صابرة؛ فهذا حكم «فعلول» إذا عدل عن فاعله، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء، كما قال (١):

منها اثنتان وأربعون حُلوبة

بمعنى «محلوبة» حكاه التوحيدى في «البصائر».

وقال البغوي (٢) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُغِي الْعِظَمَ وَيَهَى رَمِيمًا﴾ [يس: ٧٨]، ولم يقل «رميمة»، لأنه معدول عن فاعله، وكلما كان معدولاً عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعله، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَيْتًا﴾ [مريم: ٢٨]، أسقط الهاء؛ لأنها مصروفة عن «باغية». وقال الشريف المرتضى (٣) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ﴾ [١١٨-١١٩]: إن الضمير في ذلك يعود للرحمة، وإنما لم يقل «ولذلك»؛ لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، كقوله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] ولم يقل «هذه»؛ على أن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، كما يدل على (ق/ ٢٢٨) الرحمة يدل على «أن [الرحمة] يرحم» ويجوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم، والتذكير في موضعه.

قال: ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة، ولا محالة أنه لهذا خلقهم.

ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال: فأما قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ﴾ [هود: ١١٨] فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات، وذكر أبو مسلم بن بحر فيه معنى غريباً، فقال معناه: أن خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم في الكفر، لأنه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك: اختلفوا كما سواء قولك: قتل بعضهم بعضاً وقولهم: اقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعله ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهم بعد الآخر.

(٢) التفسير (ص/ ٢٩).

(١) لعنترة.

(٣) الأمالي (١/ ٧٠).

واختلف في قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْفُسِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرَ بِهَا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦] فقال الكسائي: أي من بطون ما ذكرنا. وقال الفراء^(١): ذكّر لأنه ذهب إلى المعنى، يعنى معنى النعم وقيل: الأنعام تذكر وتؤنث.

وقال أبو عبيدة^(٢): أراد البعض أي: من بطون أيها كان ذا لبن. وأنكر أبو حاتم تذكير الأنعام لكنه أراد معنى النعم.

تأنيث المذكر^(٣)

كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١١] فأنت «الفردوس» وهو مذكر حملاً على معنى الجنة.

وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] [فأنت «عشر»]^(٤) حيث جردت من الهاء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدتها مذكر وفيه أوجه: أحدها: أنت لإضافة الأمثال إلى مؤنث وهو ضمير الحسنات، والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه فتكون كقوله: ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠].

والثاني: هو من باب مراعاة المعنى؛ لأن الأمثال في المعنى مؤنثة لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة، فلما أريد توكيد الإحسان إلى المطيع وأنه لا يضيع شيء من علمه، كأن الحسنة المنتظرة واقعة جعل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع، وإشارة إليه، كما جعلت الهاء في قولهم: راوية وعلامة تبييناً على المعنى المؤنث المراد في أنفسهم، وهو الغاية والنهاية ولذلك أنت المثل هنا توكيداً لتصوير الحسنة في نفس المطيع؛ ليكون ذلك أدعى له إلى الطاعة حتى كأنه قال: «فله عشر حسنات أمثالها» حذف وأقيمت صفته مقامه، وروعي ذلك المحذوف الذي هو المضاف إليه، كما يراعى المضاف في نحو قوله: ﴿أَوْ كَطَلْمُنْتِ فِي بَحْرِ لَيْجِي﴾ [النور: ٤٠] [أي: «أو كلدي ظلمات»]^(٥) وراعى في قوله: ﴿يَقْسِنَهُ مَوْجٌ﴾ وهذا الوجه هو الذي عول عليه الزمخشري ولم يذكر سواه.

وأما ابن جنى، فذكر في «المحتسب» الوجه الأول، وقال: فإن قلت: فهلاً حملته على حذف الموصوف، فكأنه قال: «فله عشر حسنات وأمثالها»، قيل: حذف وإقامة الموصوف

(٢) مجاز القرآن (١/٣٦٢).

(١) معاني القرآن (٢/١٠٨-١٠٩).

(٣) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٥٠-٥١).

(٥) سقط من م.

(٤) سقط من م.

مقامه ليس بمستحسن في القياس، وأكثر ما أتى في الشعر، ولذلك حمل ﴿دَائِنَةٌ﴾ من قوله: ﴿وَدَائِنَةٌ عَلَيْهِمْ يَلْلُهَا﴾ [الإنسان: ١٤] على أنه وصف جنة أو «وجنة دائية» عطف على «جنة» من [قوله] ^(١): ﴿وَجَزَّوْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً﴾ [الإنسان: ١٢] لما قدر حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، حتى عطف على قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١] فكانت حالاً معطوفة على حال.

وفي «كشف المشكلات» للأصبهاني: حذف الموصوف هو اختيار سيبويه، وإن كان لا يرى حُسْنَ «ثلاثة مسلمين» بحذف الموصوف [لكن المثل وإن كان معناه جرى مجرى الاسم. في مررت بمثلك ولا يستقل به الموصوف] ^(٢).

وقوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿يَبْنِيْ لِهَا إِن تَكُ نَفْسَ ذَائِقَةً حَيَاتٍ﴾ [لقمان: ١٦] [فأنت] ^(٣) الفعل المسند له «مقال» وهو مذكر [ولكن] ^(٤) لما أضيف إلى «حبة» اكتسب منه التأنيث فساغ تأنيث فعله.

وذكر أبو البقاء ^(٥) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أن التأنيث في «ذائقة» باعتبار معنى «كل» لأن معناها التأنيث، قال: لأن كل نفس نفوس ولو ذكر على لفظ «كل» جاز، يعني: أنه لو قيل: كل نفس ذائق، جاز. وهو مردود، لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه «كل» إذا كانت نكرة ولا يجوز أن يعتبر «كل».

وقوله تعالى ﴿إِن تَبَدُّوا أَلْبَدَقَتِ فَنِعْمَ هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] فإن الظاهر عود الضمير إلى الإبداء، بدليل قوله: ﴿وَلِإِن تَحَفَّوْهَا وَتَوَتَّوْهَا أَلْفُ مَرَّةٍ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] فذكر الضمير العائد على الإخفاء، ولو قصد الصدقات لقال: «فهي» وإنما أنت «هي» والذي عاد [عليه] ^(٦) مذكر على حذف مضاف أي وإبداؤها نعم ما هي كقوله: القرية أسألها.

ومنه ﴿سَمِيرًا﴾ وهو مذكر ثم قال: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ فحمله على النار.

وأما قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] فقيل: الضمير عائد على الآيات المتقدمة في اللفظ.

وقال البغوي ^(٧): إنما قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ بالتأنيث، لأنه [أجرى] ^(٨) على طريق جمع

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

(٦) في المطبوع: إليه.

(٨) في تفسير البغوي: أجزاها.

(١) في المطبوع: قولهم.

(٣) في المطبوع: فأنت.

(٥) للتبيان (١/١٦١).

(٧) للتفسير (ص/١٧٥).

التكسير، ولم يجز على طريق التغليب للمذكر على المؤنث لأنه فيما لا يعقل .

وقيل في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [النساء: ١]: إن المراد: آدم فأنته رداً إلى النفس، وقد قرئ شاذاً «من نفس واحد» .

وحكى الثعلبي في تفسيره في سورة «اقترب» بإسناده [إلى] (١) المبرد سئل عن ألف مسألة، منها ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿وَلُسُلَيْمَانَ أَرْبَحٌ عَاصِفَةٌ﴾ [الانبيا: ٨١] وقوله: ﴿أَعْبَازُ نَخْلٍ حَارِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧] و ﴿كَانَهُمْ أَعْبَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فلك أن ترده إلى اللفظ تذكيراً، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثاً وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيقي، فتارة يلحظ معنى الجنس فيذكر وتارة معنى الجماعة فيؤنث، قال تعالى في قصة شعيب: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤] وفي قصة صالح: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] وقال: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَيْتَانًا﴾ [البقرة: ٧٠] وقرئ: «تشابهت» .

وأبدى السهيلي للحذف والإثبات معنى حسناً: فقال: إنما حذفت منه لأن «الصيحة» فيها بمعنى العذاب والخزي، إذ كانت منتظمة بقوله: ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ﴾ [هود: ٦٦] فقوي التذكير بخلاف قصة شعيب فإنه لم يذكر فيها ذلك .

وأجاب غيره: بأن الصيحة يراد بها المصدر، بمعنى الصباح فيجاء فيها التذكير فيطلق ويراد بها [الواحدة] (٢) من المصدر، فيكون التأنيث أحسن .

وقد أخبر سبحانه عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور كلها مفردة اللفظ: أحدها: الرجفة في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: ٣٧] .

والثاني: الظلة في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] .

والثالث: الصيحة وجمع لهم الثلاثة؛ لأن الرجفة بدأت بهم فأصحروا في الفضاء خوفاً من سقوط الأبنية عليهم، فضربتهم الشمس [ق/٢٢٢٩] بحرّها ورفعت لهم الظلة فهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس، فنزل عليهم العذاب وفيه الصيحة؛ فكان ذكر الصيحة مع الرجفة، والظلة أحسن من ذكر الصباح فكان ذكر التاء أحسن .

فإن قلت: ما الفرق بين قوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَفَّتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ﴾ [النحل: ٣٦] وبين قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الاعراف: ٣٠] .

(١) في م: أن .

(٢) في المطبوع: الوحدة .

قيل: الفرق بينهما من وجهين: لفظي، ومعنوي:

أما اللفظي: فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الاعراف: ٣٠] أكثر منها في قوله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] والحذف مع كثرة الحواجز أحسن.

وأما المعنوي: فهو أن «مَنْ» في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] راجعة على الجماعة وهي مؤنثة لفظاً، بدليل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] ثم قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] أي: من تلك الأمم ولو قال: «ضلت» لتعينت التاء - والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً - فكان إثبات التاء أحسن من تركها، لأنها ثابتة فيما هو من معنى الكلام المتأخر.

وأما ﴿رَيْفًا هَذَى وَرَيْفًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الاعراف: ٣٠] فالفريق مذكر، ولو قال: «ضلوا» لكان بغير تاء وقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الاعراف: ٣٠] في معناه، فجاء بغير تاء، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يدعو حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم، إذا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم.

تنبيه:

جاء عن ابن مسعود (١): ذكروا القرآن. ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تأنيثه وتذكيره كان تذكيره أجد.

ورُدَّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث؛ لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٧٢] ﴿وَاللَّيْلِ السَّائِي وَالسَّائِي يَأْتِي﴾ [القيامة: ٢٩] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي، فالحقيقي أولى.

قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير؛ لقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ﴾ ﴿أَعْبَارُ نَخْلِي خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] فأنت مع جواز التذكير، قال تعالى: ﴿أَعْبَارُ نَخْلِي مُنْفَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠] قال: فليس المراد ما فهم بل المراد الموعدة والدعاء، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ...﴾ [ق: ٤٥] إلا أنه حذف الجار، والمقصود ذكروا الناس بالقرآن أي: ابعثوهم على حفظه؛ كي لا ينسوه.

وقال الواحدي: إن قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥٩٧٩) وابن أبي شيبة (٢٠٢/٧) وسعيد بن منصور (٦٣). والطبراني في «الكبير» (٨٦٩٦) وهو صحيح بمجموع طرقه.

التذكير والتأنيث، ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر، نحو ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

قال: ويدل على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة، كحمزة والكسائي ذهبوا إلى هذا، فقرأوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير نحو ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [التور: ٢٤] وهذا في غير الحقيقي.

ضابط التأنيث

ضابط التأنيث خبرياً:

حقيقي، وغيره:

فالحقيقي: لا يهدف التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل نحو: قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً.

وأما غير الحقيقي: فالحذف فيه مع الفصل حسن قال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فإن كثر الفصل ازداد حسناً، ومنه: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤] ويحسن الإثبات أيضاً، نحو ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤] فجمع بينهما في سورة هود.

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف، واستدل عليه بأن الله تعالى قدمه عليه، حيث جمع بينهما في سورة واحدة، وفيما قاله نظر.

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه^(١)

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات، ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحققاً لوقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النمل: ٨٧].

وقوله في الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: ﴿وَيَرْزُقُوا لِقَاءَ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ السُّرَّاءَ لِيَجْأَلَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] أي: نحشرهم.

وقوله: ﴿وَأَذَى أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ رِيَالًا﴾ [الأعراف: ٤٨]. ثم تارة يجعل المتوقع فيه كالواقع،

فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به المضي، تنزيلاً للمنتظر منزلة ما وقع فلا يكون تعبيراً عن

(١) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٤٧-٤٨).

المستقبل بلفظ الماضي، بل جعل المستقبل ماضيًا؛ مبالغة.

ومنه: ﴿أَنَّىٰ أَمُرُ اللَّهَ فَلَا سَتَعْلَمُوهُ﴾ [النحل: ١٠] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ونحوه.

وقد يعبر عن المستقبل بالماضي مرادًا به المستقبل، فهو مجاز لفظي كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾ [النمل: ٨٧] فإنه لا يمكن أن يراد به المضي لمنافاة «يُفْخَخُ» الذي هو مستقبل في الواقع. وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق، وإنه من شأنه لتحقيقه أن يعبر عنه بالماضي، وإن لم يرد معناه، والفرق بينهما أن الأول مجاز، والثاني لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: يقول، عكسه لأن المضارع يراد به الديمومة والاستمرار، كقوله: ﴿أَتَأْتِرُونَ النَّاسَ بِالْحَيْرِ وَتَسْوُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لِي لَنْ يَكُونَ﴾ [ال عمران: ٥٩] أي: فكان؛ استحضارًا لصورة تكوُّنه.

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَثَلِكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: ما تلت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا﴾ أي: علمنا.

فإن قيل: كيف يتصور التقليل في علم الله؟

قيل: المراد أنهم أقل معلوماته، ولأن المضارع هنا بمعنى الماضي ف«قد» فيه للتحقيق لا التقليل.

وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١] أي: فلم قتلتم؟

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] أي: لم يتعارفوا حتى تأتيهم.

وقوله: ﴿مُفَكِّينَ﴾ قال مجاهد: «منتهين» وقيل: زائلين من الدنيا.

وقال الأزهرى: ليس هو من باب «ما انفك» و«ما زال» إنما هو من انفكك الشيء [عن الشيء] ^(١)، إذا انفصل عنه.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَنُ أَنْبَأُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوا قُلَّ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]

المعنى: فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل، لأن النبي ﷺ لم يؤمر بأن يجتج عليهم بشيء لم يكن بعد؛ لأن الجاحد يقول: إني لا أعذب! لكن احتج عليهم بما قد كان.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] فعدل

(١) سقط من المطبوع.

عن لفظ «أصبحت» إلى «تصبح» قصدًا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض؛ لأهميته إذ هو المقصود بالإنزال.

فإن قلت: كيف قال: النحاة: إنه يجب نصب الفعل المقرون بالفاء إذا وقع في جواب الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣] و«فتصبح» هنا مرفوع؟
قلت: لوجه:

أحدها: أن شرط الفاء المقتضية للنصب أن تكون سببية، وهنا ليست كذلك بل هي للاستثناف؛ لأن الرؤية ليست سببًا للإصباح.

الثاني: أن شرط النصب أن ينسب من الفاء وما قبلها شرط وجزاء، وهنا ليس كذلك لأنه لو قيل: إن تر أن الله أنزل ماء تصبح؛ لم يصح، لأن إصباح الأرض حاصل سواء رئي أم لا.
فإن قيل: شاع في كلامهم إلغاء فعل الرؤية كما في قوله: «ولا تزال -تراها- ظالمة» أي: ولا تزال ظالمة وحينئذ فالمعنى من نصب إلى الإنزال لا إلى الرؤية ولا شك أنه يصح أن [ق/ ٢٣٠] يقال: «إن أنزل تُصبح» فقد انعقد الشرط والجزاء.

قلت: إلغاء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب، فمن أين لنا ما يقتضي تعيين حمل الآية عليه؟!

الثالث: إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب [نقلته] ^(١) إلى النفي، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُجَى إِلَهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] وإذا دخلت على نفي [نقلته] ^(٢) إلى الإيجاب، فالهمزة في الآية للتقرير فلما انتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب، لم ينتصب الفعل لأن شرط النفي كون السابق منفياً محضاً ذكره العزيزي في «البرهان».

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا أَلْأَرْضَ الْجُرُزِ فَتَخْرُجُ بِهِ زُرْعًا﴾ [السجدة: ٢٧].

الرابع: أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فكان ينقلب النصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أي أنعمت فتشكرا! إن نصبت فأنت ناف لشكركه شاكٍ تفرطه، وإن رفعت فأنت مثبت لشكركه. ذكر هذا الزمخشري في الكشاف ^(٣)، قال: وهذا ومثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله.

(١) في المطبوع: تعلقه.

(٣) الكشاف (٣/ ٥١٦).

(٢) في المطبوع: تعلقه.

وقال ابن الخباز: النصب يفسد المعنى؛ لأن رؤية المخاطب الماء الذي أنزله الله ليس سبباً للاخضرار، وإنما الماء نفسه هو سبب الاخضرار.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ مَوْتَابًا فَسُقْنَتَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩].

فقال: «تثير» مضارعاً وما قبله، وما بعده ماضياً مبالغة في تحقيق إثارة الرياح السحاب للسامعين وتقدير: تصوره في أذهانهم.

فإن قيل: أهم الأفعال المذكورة في الآية إحياء الموتى، وقد ذكر بلفظ الماضي وما ذكرته يقتضي أولوية ذكره بلفظ المضارع، إذ هو أهم، وإثارة السحاب سبب [بعيد] (١) على قريب.

قيل: لا نسلم بأهمية إحياء الأرض بعد موتها، فالمقدمات المذكورة أهمها وأدلها على القدرة أعجبها وأبعدها عن قدرة البشر، وإثارة السحاب أعجبها فكان أولى بالتخصيص بالمضارع، وإنما قال: إن إثارة السحاب أعجب؛ لأن سببها أخفى من حيث إننا نعلم بالفعل أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء، فلو خيلنا وظاهر العقل لم نقل: إن الرياح سببها لعدم إحساسنا بمادة السحاب وجهته.

ومن لواحق ذلك: العدول عن المستقبل إلى اسم المفعول لتضمنه معنى الماضي كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَكُمُ النَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣] تقريراً للجمع فيه، وأنه لا بد أن يكون معاداً للناس مضروباً لجمعهم وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْمَجْعِ﴾ [التناين: ٩] [لتعرف] (٢) صحة هذا المعنى.

فإن قلت: الماضي أدل على [هذا] (٣) المقصود من اسم المفعول، فلم عدل عنه إلى ما دلالاته أضعف؟ قلت: لتحصل المناسبة بين «مجموع» و«مشهور» في استواء شأنهما طلباً للتعديل في العبارة.

ومنه: العدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلَيْنَ لَرْجِعُ﴾ [الدرايات: ٦] فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال بل في الحال.

مشكلة اللفظ للفظ

هي قسمان: أحدهما - وهو الأكثر - المشاكلة بالثاني للأول؛ نحو «أخذه ما قدّم وما حدث». وقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسِكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ [المائدة: ٦] على مذهب الجمهور وأن

(١) في المطبوع: أعيد.

(٢) في م: يطلعك.

(٣) سقط من المطبوع.

الجر للجوار ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦١﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٦-٧].

وقد تقع المشاكلة بالأول للثاني، كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيدة «الحمد لله» بكسر الدال، وهي أفصح من [ضم] (١) اللام للدال.

مشاكلة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جزلاً كان المعنى كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ولم يقل من «طين»، كما أخبر به سبحانه في غير موضع: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١] [خلقنتي من نار وخلقته من طين] (٢) إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثرهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية، أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر، ولما أراد سبحانه الامتنان على بني إسرائيل، أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير، تعظيماً لأمر ما يخلق به بذنه، إذ كان [المعنى] (٣) المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظّموا قدر النعمة به.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥] فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر؛ لأنه أتى بصيغة الاستغراق، وليس في العناصر الأربع ما يعم جميع المخلوقات إلا الماء، ليدخل الحيوان البحري فيها.

ومنه قوله تعالى: ﴿[تالله] (٤) تَفَتَنُوا تَذَكَّرُ يُوَسِّفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥] فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم، بالنسبة إلى أخواتها، فإن «والله» و«بالله» أكثر استعمالاً [وأغرب] (٥) من «تالله» لما كان الفعل الذي جاور القسم أغرب الصيغ التي في بابه، فإن «كان» وأخواتها أكثر استعمالاً من «تفتناً» وأعرف عند العامة، ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك، بالنسبة وهي لفظة «حرض»: ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] لما كانت جميع الألفاظ مستعملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا نَسَكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] فإنه سبحانه لما نهى عن الركوب إلى الظالمين وهو الميل إليهم، والاعتماد عليهم وكان دون ذلك مشاركتهم في

(١) في م: فتح.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: أعرف.

(٥) سقط من المطبوع.

الظلم أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم، وهو مس النار الذي هو دون الإحراق والإضطرام، وإن كان المس قد يطلق ويراد به الإشعار بالعذاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْنًا بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٨] فإنه نشأ في الآية سؤال، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعقيبه بالفاعل، ثم بالمفعول فإن كان في الكلام مفعولان أحدهما: يعدى وصول الفعل إليه بالحرف، والآخر [تعدى] (١) بنفسه، قدم ما تعدى إليه الفعل بنفسه، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

إذا ثبت هذا، فقد يقال كيف توخى حسن الترتيب في عجز الآية دون صدرها؟ والجواب: أن حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع أقوى، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخرج فيثقل الكلام بسبب ذلك، فإنه لو قيل: «لئن بسطت يدك إلي» والطاء والثاء متقاربة [ق/ ٢٣١] المخرج، فلذلك حسن تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذي تعدى إليه بنفسه، ولما أمن هذا المحذور في عجز الآية، لما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية لتضمنه معنى الفعل الذي تصح به المقابلة، جاء الكلام على ترتيبه من تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بنفسه على المفعول الذي [تعدى] (٢) إليه [بحرف الجر] (٣)، وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ، وأما المعنى فعلى نظم الآية؛ لأنه لما كان الأول حريصاً على التعدي على الغير قدم المتعدي [إليه] (٤) على الآلة فقال: «إلي يدك»، ولما كان الثاني غير حريص على ذلك؛ لأنه نفاه عنه قدم الآلة فقال: «يدي إليك» ويدل لهذا أنه عبر عن الأول بالفعل، وفي الثاني بالاسم.

ويؤيد ذلك أيضاً قوله في سورة الممتحنة: ﴿إِنْ يَتَفَوَّكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الممتحنة: ٢] لأنه لما نسبهم للتعدي الزائد، قدم ذكر المبسوط إليهم على الآلة، وذلك الجواب السابق لا يمكن في هذه الآية.

ومثله: قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم: ٣١] مقتضى الصناعة أن يؤتى بالتجنيس للزادواج في صدر الآية، كما أتى به في عجزها لكن منعه توخي الأدب والتهديب في نظم الكلام، وذلك أنه لما كان الضمير الذي في «يجزي» عائداً على الله سبحانه، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى رديفه، حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه فقال في موضع السيئة: «بما عملوا»، فعوض عن تجنيس المزوجة بالإرداف؛ لما فيه من

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع: يعدي.

(٣) في م: بالحرف.

(٤) سقط من المطبوع.

الأدب مع الله بخلاف قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّنْهُنَّ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فإن هذا المحذور منه مفقود فجري الكلام على مقتضى الصناعة .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩] فإن سبحانه خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو رب كل شيء لأن العرب ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعري ودعا خلقاً إلى عبادتها .

وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِجُ بِحَبْرِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ولم يقل: «لا تعلمون» لما في الفقه من الزيادة على العلم .

وقوله حكاية عن إبراهيم: ﴿يَتَأْتِي إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥] فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال: ﴿إِيَّيْ أَخَافُ﴾ فذكر الخوف والمس وذكر العذاب ونكره، ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه، ولهذا ذكر «الرحمن» ولم يذكر «المنتقم» ولا «الجبار» على حد قوله (١):

فما يوجع الحرمان من كف حازم كما يوجع الحرمان من كف رازق
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأُ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فإنه قد يقال: ما [الحكمة] (٢) في التعبير بالسخرية دون الاستهزاء،
وهلاً قيل: «فحاق بالذين استهزاءوا بهم» (٣) ليطابق ما قبله؟

والجواب: أن الاستهزاء هو إسماع الإساءة، والسخرية قد تكون في النفس ولهذا يقولون سخرت منه كما يقولون: عجبت منه؛ ولا يقال: تجنب ذلك: لما في ذلك من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثاً في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨] وإنما لم يقل: «نستهزئ بكم»، لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء .

وأما قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] فالعرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل كقوله: ﴿سَأُوا اللَّهَ فَغَسَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وهو مجاز حسن، وأما الاستهزاء الذي نحن بصدده فهو استهزاء حقيقة لا يرضى به إلا جاهل .

ثم قال سبحانه: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] أي: حاق بهم من الله الوعيد البالغ لهم على السنة الرسل ما كانوا به يستهزئون [بالستهم] (٤) فنزلت كل كلمة منزلتها .

(٢) في المطبوع: الحكمة.

(١) المتنبي.

(٤) في المطبوع: يألستهم.

(٣) سقط من م.

وقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩] ولم يذكر الكعبة لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة، فإن استقبال عينها حرج عليه، بخلاف القريب، ولما خص الرسول بالخطاب تعظيماً [وإيجاباً لشرعته] ^(١)، عمم تصريحاً بعموم الحكم وتأكيذاً لأمر القبلة.

قاعدة:

إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى بدئ باللفظ، ثم بالمعنى، هذا هو الجادة في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا﴾ [البقرة: ٨] أفرد أولاً باعتبار اللفظ، ثم جمع ثانياً باعتبار المعنى فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] فعاد الضمير مجموعاً كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يَدْخُلْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الطلاق: ١١] فعاد الضمير من «يدخله» مفرداً على لفظ «من» ثم قال: «خالدين» وهو حال من الضمير.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِجِ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ آمَنَّا لِي وَلَا نَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَيْسَ ءَاتِنَا مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [التوبة: ٧٥] إلى قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [التوبة: ٧٦].

وقد يجرى الكلام على أوله في الإفراد، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ...﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآيتين، فكرر فيها ثمانية ضمائر كلها [عائدة] ^(٢) على لفظ «من»، ولم يرجع منها شيء على معناها مع أن المعنى على الكثرة.

وقد يقتصر على معناها في الجميع، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعْجِلُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع، هو الكثير، قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجز في القرآن البداءة بالحمل على المعنى، إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِهِمْ هَذَا إِلَّا نَجَسٌ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] فأنت «خالصة» حملا على معنى «ما»، ثم راعى اللفظ فذكر وقال: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

واعترض بعض الفضلاء، وقال: إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على المعنى في ذلك،

(١) في م: له بالمشروعية.

(٢) في المطبوع: عائد.

إذا كان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الأنعام يقدر مؤنثاً، أما إذا قدر مذكراً فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ .

وأجيب : بأن اعتبار اللفظ والمعنى أمر يرجع إلى الأمور التقديرية ، لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ ، وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدئ في الآية بالحمل على المعنى فيتم كلام العراقي .

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور : أن الكوفيين لا يميزون الجمع بين الجملتين إلا بفواصل بينهما ، ولم يعتبر البصريون الفاصل ، قال : ولم يرد السماع إلا بالفواصل كما ذهب إليه الكوفيون ، ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا ﴾ [البقرة: ١١١] وقال : ألا تراه كيف جمع بين الجملتين دون فصل . انتهى . والذي ذكره ابن عصفور في شرح «المقرب» : شرط الكوفيون في جواز اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى الفصل ، فيجوزون : مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا إخواننا ، ولا يجوزون [من يقومون وينظر في أمرنا إخواننا] ^(١) ، لعدم الفصل ، وإنما ورد السماع بالفصل . انتهى [ق/ ٢٣٢] .

وهذا يقتضي أن الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجملتين إلا أن يقدم اعتبار المعنى ، ويؤخر اعتبار اللفظ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا ﴾ [البقرة: ١١١] إنما بدئ فيه بالحمل على اللفظ .

وقال ابن الحاجب : إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى ، وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف .

وهذا معترض بأن الاستقراء دل على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى ، وكثرة موارد تدل على قوله وأما العود إلى اللفظ بعد اعتبار المعنى ، فقد ورد به التنزيل كما ورد باعتبار المعنى بعد اعتبار اللفظ ، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما بعد الآخر من غير ضعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَيْلَةً وَسُورَةٍ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [الأحزاب: ٣١] فقرأه الجماعة بتذكير «يقنت» حملاً على لفظ «مَنْ» في التذكير ، «وتعمل» بالتأنيث حملاً على معناها ، لأنها للمؤنث وقرأ حمزة والكسائي : «يعمل» ^(٢) بالتذكير فيهما حملاً على لفظها رعاية للمناسبة في

(١) سقط من المطبوع .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر : ﴿ يَفْعَلْ ﴾ بالياء و : ﴿ وَيَعْمَلْ ﴾ بالتاء ، (نوتها) بالنون ، وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالياء ، ولم يختلف الناس في ﴿ يَفْعَلْ ﴾ أنه بالياء ، وكذلك ﴿ مَنْ يَأْتِ ﴾ . الحجة (٥/ ٤٧٤) .

المتعاطفين، وتوجيه الجماعة أنه لما تقدم على الثاني صريح التانيث في منكن حسن الحمل على المعنى .

وقال أبو الفتح في «المحتسب»: لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى . وقد يورد عليه قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْتِضْ لَمْ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ قَرِينٌ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧] ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ [الزخرف: ٣٨] فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى، إلا أن يقال: إن الضمير في جاء يرجع إلى الكافر، لدلالة السياق عليه لا إلى «مَنْ» .

ومنه: الفرق بين «أسقى»، و«سقى» بغير همز، لما لا كلفة معه في السقيا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَقَيْنَهُمْ مِنْ شَرَابٍ طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة، بل جميع ما يقع فيها من الملاذ يقع فرصة وعفوا، بخلاف «أسقى» بالهمزة فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين كقوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءَ فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبدًا .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ [الحجر: ١٩] قال أبو سلمة محمد بن بحر الأصبهاني في تفسيره: إنما خص الموزون بالذكر دون المكيل لأمرين:

أحدهما: أن غاية المكيل ينتهي إلى الموزون؛ لأن سائر المكيلات إذا صارت قطعًا دخلت في باب الموزون، وخرجت عن المكيل فكان الوزن أعم من المكيل .

والثاني: أن في الموزون معنى المكيل؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته وتعديله به، وهذا المعنى ثابت في المكيل، فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى المكيل .

وقال الشريف المرتضى في «الغرر»^(١): هذا خلاف المقصود بل المراد بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة، فلا يكون ناقصًا عنها ولا زائدًا عليها زيادة مُضرة .

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَّفَ سَنَةً إِلَّا حَسْبَيْكَ عَامًا﴾ [المنكوب: ١٤] فذكر في مدة اللبث السنة، وفي الانفصال العام، للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلها إلا خمسين عامًا، قد جاءه الفرج والغوث، فإن السنة تستعمل غالبًا في موضع الجذب ولهذا سموا شدة القحط سنة .

(١) (١٣/١)

قال السهيلي^(١) : ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان ألفاً إلا أن الخمسين، منها كانت أعواماً فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة؛ لأن الخمسين عاماً بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف.

وابن على هذا المعنى قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] وقوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥] فإنه كلام ورد في موضع التكثير والتتيميم بمدة ذلك اليوم، والسنة أطول من العام.

(٢) النحت

نحو الحوقلة، والبسمة جعله ابن الزمكاني من نظوم القرآن، ومثله بقوله : ﴿ وَكُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩] قال : وكفى من كفيته الشيء ولم يجيء للعرب كفيته بالشيء، فجعل بين الفعلين الفعل المذكور وهو متعد، وخصّص من الفعل اللازم وهو اكتفيت به، بالباء وكذلك انتصب «شهيذاً» على التمييز أو الحال، كأنه قيل : كفى بالله فاكتف به، فاجتمع فيه الخبر والأمر.

(٣) الإبدال

من كلامهم إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض^(٤) يقولون : مدحه ومدده وهو كثير، ألف فيه المصنفون، وجعل منه ابن فارس^(٥) قوله تعالى : ﴿ فَأَنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣] فقال : فالراء واللام متعاقبان كما تقول العرب : فلق الصبح وفرقه . قال : وذكر عن الخليل، ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَبَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ ﴾ [الإسراء: ٥] : [إنما أراد «فحاسوا»]^(٦) فقامت الجيم مقام الحاء . قال ابن فارس : وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقّه عنه .

(١) الروض الأنف (١/١٥٠).

(٢) قال الثعالبي : العرب تنحت من كلمتين وثلاث كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار، كقولهم : رجل عيشمي، منسوب إلى عبد شمس . انظر : «فقه اللغة» (ص/٤٢٨) و«المزهر» (١/٣٧١) و«الصاحبي» (ص/٤١٢).

(٣) انظر : «أدب الكاتب» (ص/٥٧٤) و«الصاحبي» (ص/٣٠٤) و«المفصل» (ص/٥١٨) و«فقه اللغة» (ص/٤١٨).

(٤) قال الثعالبي : هذا من سنن العرب . (٥) فقه اللغة (ص/١٧٣) .

(٦) سقط من م .

قلت: ذكر ابن جني في «المحتسب» أنها قراءة [أبي] (١) السمال، وقال: قال أبو زيد أو غيره قلت له: إنما هو «فجاسوا»، فقال: حاسوا وجاسوا واحد. وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ولذلك نظائر. انتهى.

وهذا الذي قاله ابن جني غير مستقيم، ولا يحل لأحد أن يقرأ إلا بالرواية، وقوله: إنهما بمعنى واحد. لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح، وقائل ذلك والقارئ به هو أبو السوار الغنوي لا أبو السمال فاعلم ذلك. كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني فقال: حدثنا المازني، قال: سألت أبا السوار الغنوي فقرأ «فحاسوا» بالحاء غير الجيم فقلت: إنما هو «فجاسوا» قال: حاسوا وجاسوا واحد. يعني أن اللفظين بمعنى واحد، [فلعله قرأ على ذلك المعنى بالتفسير فلذلك أجابه أن المعنى واحد] (٢)، وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة والغرض كما جازت بالأولى فقد غلط في ذلك وأساء.

وزعم الفارسي في تذكرته في قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص: ٣٢] أنه بمعنى حب الخيل وسميت الخيل خيراً، لما يتصل بها من العز والمنعة كما روي: «الخيل معقود بنواصيها الخير» (٣) وحينئذ فالمصدر مضاف إلى المفعول به.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ﴾ [الحجر: ٢٢]: إن أصله «ملاقح» لأنه يقال: ألقحت الريح السحاب أي: جمعته وكل هذا تفسير معني، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك.

وذكر أبو عبيدة (٤) في قوله: ﴿إِلَّا مُكَّاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، معناه «تصددة» فأخرج الدال الثانية ياء لكسرة الدال الأولى، كما حكاها صاحب «الترقيص».

وحكي عن أبي ريش في قول امرئ القيس:

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي

معناه: «تَنْسَلِي» فأخرج اللام الثانية ياء لكسرة اللام الأولى، ومثله قول الآخر:

وإني لأستنعي وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خيالياً

أراد [ق/ ٢٣٣] أستنعس، فأخرج السين ياء.

وقال الفارسي في «التذكرة»: قرأ أبو الحسن أو من قرأ له قوله تعالى فيما حكي عن

(٢) سقط من المطبوع.

(١) في المطبوع: أبو.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٥) ومسلم (١٨٧٣).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٤٦).

يعقوب في القلب والإبدال ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] غير عائد واستحسنه الفارسي ألا يعود إليه كما يعود في حال السعة من العشاء إلى الغداء .

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَحَرْفُوا لَمْ يَبِينْ وَبَنَّتِ﴾ [الأنعام: ١٠٠]: إن خرقه واخترقه وخلقه واختلقه، بمعنى [واحد] ^(١)؛ هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة .

وجوز الزمخشري ^(٢) كونه من خرق الثوب، إذا شقه أي: أنهم اشتقوا له بنين وبنات .

المحاذاة

ذكره ابن فارس ^(٣)، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر لأجل انضمامه إليه وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفردًا، كقولهم: أتيت الغدايا والعشايا . فقالوا: الغدايا لانضمامها إلى العشايا ^(٤) .

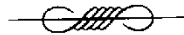
قيل: ومن هذا كتابة المصحف، كتبوا: ﴿وَأَيْلٍ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢] بالياء وهو من ذوات الواو لما قرن بغيره مما يكتب بالياء .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْلَطَهُمْ﴾ فاللام التي في ﴿أَسْلَطَهُمْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ . ثم قال: ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ فهذه حوزيت بتلك اللام وإلا فالعنى لسلطهم عليكم فقاتلوكم .

ومثله: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: ٢١] فهما لاما قسم، ثم قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ فليس ذا موضع قسم لأنه عذر للهدد، فلم يكن يقسم على الهدد أن يأتي بعذر لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه .

ومنه: الجزء عن الفعل بمثل لفظه نحو: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [الله يستهزئ بيوم] [البقرة: ١٤-١٥] أي يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وقوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [ال عمران: ٥٤] ﴿فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ﴿وَحَرْفُوا سِنَّةً سِنَّةً يَنْهَأُ﴾ [الشورى: ٤٠] .



(١) سقط من المطبوع .

(٢) الكشاف (٥٣/٢) .

(٣) (ص/١٥) .

(٤) قال في الصحابي: «أن يجعل كلام بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظًا وإن كانا مختلفين» الصحابي (ص/٣٤٤) .

[قواعد] ^(١) في النفي ^(٢)

قد تقدم في شرح معاني الكلام جمل من قواعده ونذكر هاهنا زيادات .
اعلم أن نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيًا للذات .
وانتفاء النهي عن الذات الموصوفة قد يكون نهيًا عن الذات ، وقد يكون نهيًا عن الصفة دون
الذوات قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١] فإنه نهى عن
القتل بغير الحق وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ .
ومن الثاني : قوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل
عمران: ١٥٢] أي فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم ميتين على الإسلام فالنهي في الحقيقة على
خلاف حال الإسلام كقول القائل : لا تصل إلا وأنت خاشع . فإنه ليس نهيًا عن الصلاة ^(٣)
بل عن ترك الخشوع .

وقوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ . . . الآية [النساء: ٤٣] .

وقد ذكروا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام:

الأول : [ينفي] ^(٤) المسند نحو : ما قام زيد بل قعد . ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَكَ
الْأَنْفَاسَ إِحْكَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣] فالمراد نفي السؤال من أصله ؛ لأنهم متعطفون ويلزم من نفيه
نفي الإحاف .

الثاني : أن ينفي المسند إليه فينتفي المسند [نحو : ما قام زيد . إذا كان زيد غير موجود لأنه
يلزم من عدم زيد] ^(٥) نفي القيام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا نَنْعَمُهُمْ شَفْعَةً الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] أي
لا شافعين لهم فتنتفعهم شفاعتهم .
ومنه قول الشاعر ^(٦) :

على لأجِبْ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

أي : على طريق لا منار له ، فيهتدى به ، ولم يكن مراده أن يثبت المنار فينتفي الاهتداء به .

الثالث : أن ينفي المتعلق دون المسند والمسند إليه ، نحو : ما ضربت زيدًا بل عمراً .

الرابع : أن ينفي قيد المسند إليه أو المتعلق نحو : ما جاءني رجل كاتب بل شاعر . وما

(٢) انظر: «الأقصى القريب» (ص/٤٨-٤٩) .

(٤) في المطبوع: بنى .

(٦) هو امرؤ القيس .

(١) في م: قاعدة .

(٣) سقط من م .

(٥) سقط من م .

رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً، فلما كان النفي قد ينصب على المسند وقد ينصب على المسند إليه أو المتعلق، وقد ينصب على القيد احتدل في قولنا: ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون المنفي هو القيد يفيد الكلام رؤية غير الكاتب، وهو احتمال مرجوح ولا يكون المنفي المسند أي: الفعل بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه لا على رجل ولا على غيره، وهو في المرجوحية كالذي قبله.

نفي الشيء رأساً

لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته، كقوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤] فنفي عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة كقوله تعالى: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢٠] أي: ما هم بسكارى مشروب ولكن سكارى فزع.

وقوله: ﴿لَا يَطْفُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَلَا يُؤَذِّنُكُمْ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] وهم قد نطقوا بقولهم: ﴿يَلَيِّنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا. وقوله: ﴿لَمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقوله: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. ومنه قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدِينِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فإن المعتزلة احتجوا به على نفي الرؤية؛ لأن النظر لا يستلزم الإبصار، ولا يلزم من قوله: ﴿إِن رَّبَّهَا نَاطِرٌ﴾ [القيامة: ٢٣] إبصار.

وهذا وهم، لأن الرؤية تقال على أمرين: أحدهما: الحسبان، كقوله: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢] أي: تحسبهم^(١) والثاني: العلم، كقوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩] والرؤية في^(٢) الآية من المعنى الأول، أي تحسبهم ينظرون إليك لأن لهم أعيناً مصنوعة بأجفانها وسوادها، يحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه وليست تبصر شيئاً.

ومنه: ﴿فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

القسمي، ثم نفاه أخيراً عنهم لعدم جريمهم على موجب العلم. كذا قاله السكاكي وغيره. وقد يقال: لم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد؛ لأن المثبت أولاً نفس العلم والمنفي إجراء العمل بمقتضاه. ويحتمل حذف المفعولين أو اختلاف أصحاب الضميرين.

قال: ونظيره في النفي والإثبات قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

قلت: المنفي أولاً التأثير والمثبت ثانياً نفس الفعل.

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] والمعنى: إن لم تفعل بمقتضى ما بلغت فأنت في حكم غير المبلغ، كقولك لطالب العلم: إن لم تعمل بما علمت فأنت لم تعلم شيئاً، أي: في حكم من لم يعلم.

ومنه: نفي الشيء مقيداً، والمراد نفيه مطلقاً، وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده، كقولهم: فلان لا يرجى خيره. ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى، [وإنما] ^(١) غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه.

ومنه: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [إم عمران: ٢١] فإنه يدل على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون [عليه] ^(٢) من الصفة [ق/ ٢٣٤]، وهي وقوعه على خلاف الحق.

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] إنها وصف لهذا الدعاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١] تغليظ وتأکید في تحذيرهم الكفر.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قَوْلَ الْفَكَّارِ﴾ [البقرة: ٤١] لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلاً، فصار نفي الثمن القليل نفيًا لكل ثمن.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الْفَكَّارُ﴾ [البقرة: ٢٧٣] فإن ظاهره نفي الإلحاف في المسألة والحقيقة نفي المسألة البتة، وعليه أكثر المفسرين بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعَقْفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ومن لا يسأل لا يلحف قطعاً، ضرورة أن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص.

ومثله: قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا سَفِيحٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ليس المراد نفي الشفيح بقيد الطاعة بل نفيه مطلقاً وإنما قيده بذلك لوجوه:

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

أحدهما: أنه تنكيل بالكفار، لأن أحداً لا يشفع إلا بإذنه وإذا شفع يشفع، لكن الشفاعة مختصة بالمؤمنين فكان نفي الشفيع الملعاع تنبيها على حصوله لأضدادهم كقولك لمن يناظر شخصا ذا صديق نافع: لقد حدثت صديقاً نافعاً. وإنما تريد التنويه بما حصل لغيره؛ لأن له صديقاً ولم ينفع.

الثاني: أن الوصف اللازم للموصوف ليس بلازم أن يكون للتقييد، بل يدل لأغراض من تحسينه أو تقييحه نحو: له مال يتمتع به، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبا: ٤٤] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٠].

الثالث: قد يكون الشفيع غير مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوهم صورة الشفاعة من غير إجابة، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة وإنما دل على التلازم دليل الشرع..

وقوله: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَكُمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ١١١] أي: من خوف الذل فنفي الولي لانتفاء خوف الذل، فإن اتخاذ الولي فرع عن خوف الذل وسبب عنه.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] نفى الغلبة، والمراد نفي أصل النوم والسنة عن ذاته، ففي الآية التصريح بنفي النوم وقوعاً وجوازاً، أما وقوعاً فبقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وأما جوازاً فبقوله: ﴿الْقِيَوْمُ﴾ وقد جمعهما قوله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»^(١).

وقوله: ﴿قُلْ أَتَنْتَوُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨] أي: بما لا وجود له، لأنه لو وجد لعلمه بوجود الوجوب تعلق علم الله بكل معلوم.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [ال عمران: ٩٠] على قول من نفى القبول لانتفاء سببه، وهو التوبة، لا يوجد توبة فيوجد قبول.

وعكسه ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢] فإنه نفى لوجدان العهد لانتفاء سببه وهو الوفاء بالعهد.

وقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠] أي: من حجة، أي لا حجة عليها فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة، ونظيره من السنة قوله ﷺ: «الدجال أهور والله ليس بأهور»^(٢) أي: بذي جوارح كوامل بتخيل جوارح له نواقص.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) ومسلم (٢٧٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٣).

ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ رَيْبٍ لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] ليس المراد: أن كلمات الله تنفذ بعد نفاذ البحر بل لا تنفذ أبداً لا قبل نفاذ البحر ولا بعده، وحاصل الكلام: لنفذ البحر ولا تنفذ كلمات ربي.

ووقع في شعر جرير قوله:

فيالك يوماً خيره قبل شره تغيب واشبه وأقصر عاذله
قال الأصمعي: أنشدته كذلك لخلف الأحمر فقال أصلحه:

فيالك يوماً خيره دون شره

فإنه لا خير لخير بعده شر، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب، قال الأصمعي: فقلت: والله لا أرويه أبداً إلا كما أوصيتني.

نقل ابن رشيقي هذه الحكاية في «العمدة»^(١) وصوبها.

قال ابن المنير: ووقع لي أن الأصمعي وخلفاً الأحمر، وابن رشيقي أخطئوا جميعاً وأصاب جرير وحده لأنه لم يرد إلا «فيالك يوم خير لا شر فيه»، وأطلق «قبل» للنفي كما قلناها في قوله تعالى: ﴿لَنَفَذَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آعِينٌ يَبُصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] فإن ظاهره نفي هذه الجوارح، والحقيقة توجب نفي الآية عمن يكون له فضلا عمن لا يكون له.

وقوله: ﴿وَلَنْ جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِـِىَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [القمان: ١٥] فالمراد لا ذاك ولا علمك به أي كلاهما غير ثابت.

وقوله: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [ال عمران: ١٥١] أي: شركاء لا ثبوت لها أصلاً ولا أنزل الله بإشراكها حجة، وإنزال الحجة كلاهما متنفذ.

وقوله: ﴿أَتَنْبِئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨] أي ما لا ثبوت له ولا علم الله متعلقاً به نفياً للملزوم، وهو النيبية بنفي لازمه، وهو وجوب كونه معلوماً للعالم بالذات لو كان له ثبوت بأي اعتبار كان.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُجِيبَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [ال عمران: ٩٠] أصله: لن يتوبوا فلن يكون لهم قبول توبة، فأوثر الإلحاق ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، [وهو المبالغة بنفي اللازم، وهو كونه عالماً للعالم بالذات، لو كان له ثبوت بأي اعتبار كان

(١) (١٩٣/٢).

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [آدم عمران: ٩٠] (١) وهو قبول التوبة الواجب في حكمه تعالى وتقدس .

وقوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا فَإِنَّكُم مَّ عَلَى الْبَغْيِ إِنَّ أَرْدَنَ مَحْضَنًا﴾ [النور: ٣٣] معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد تحصنًا، لأنها نزلت فيمن [كان] (٢) يفعل ذلك .

ونظيره: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آدم عمران: ١٣٠] وأكل الربا منهبي عنه قليلا وكثيرا، لكنها نزلت على سبب وهو فعلهم ذلك، ولأنه مقام تشنيع عليهم وهو بالكثير أليق .

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدِيثُ الْغَاثِرِ مَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . . .﴾ [غانر: ٨٤] الآية المعنى: آمنا بالله دون الأصنام، وسائر ما يدعى إليه دونها، إلا أنهم نفوا الإيمان بالملائكة والرسول والكتب المنزلة، والدار الآخرة والأحكام الشرعية ولهذا أنه لما رد بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدِيثُ الْغَاثِرِ مَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . . .﴾ [غانر: ٨٥] بعد إثباته [إيمانهم] (٣)؛ لأنه ضروري لا اختياري، [أوجب ألا] (٤) يكون الكلام مسوقا لنفي أمور يُراعى فيها الحصر والتقييد كقوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] فإنه لم يقدم المفعول في «آمنا» حيث لم يرد ذلك المعنى فركب تركيباً يوهم أفراد الإيمان بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان .

وقوله: ﴿بِتَكْبُرَاتٍ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] فقيل: من هذا الباب فهي صفة لازمة، وقيل التكبر قد يكون بحق وهو التنزه عن الفواحش والدنيا والتباعد من فعلها .
وأما قوله: ﴿وَالْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣] فإن أريد بالبغي الظلم، كان قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تأكيداً وإن أريد به الطلب كان قيداً .
قاعدة:

اعلم أن نفي العام يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ولا يدل نفيه على نفيه ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام [ق/ ٢٣٥] .

فالأول: كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] ولم يقل: «بضوئهم» بعد قوله: ﴿أَضَاءَتْ﴾ لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل والكثير وإنما يقال: الضوء على النور الكثير، ولذلك قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي

(٢) سقط من المطبوع .
(٤) في م: ولهذا حيث لا .

(١) سقط من المطبوع .
(٣) سقط من م .

جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴿يونس: ٥﴾ ففي الضوء دلالة على الزيادة، فهو أخص من النور وعدمه لا يوجب عدم الضوء لاستلزام عدم العام عدم الخاص، فهو أبلغ من الأول، والغرض إزالة النور عنهم أصلاً ألا ترى ذكره بعده: ﴿وَرَكَّبَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

وهاهنا دقيقة، وهي أنه قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] ولم يقل: «أذهب نورهم» لأن الإذهاب بالشيء إشعار له بمنع عودته، بخلاف الذهاب إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب، ومقتضى منعه من الرجوع.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَقْوَرُ لَيْسَ فِي سَلْطَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١] ولم يقل: «ضلال» كما قالوا:

﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَلْطَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] لأن نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة.

وقال الزمخشري^(١): لأن الضلالة أخص من الضلال فكان أبلغ في نفي الضلال عنه، فكانه قال: ليس به شيء من الضلال. كما لو قيل: لك ثمرة. فقلت: ما لي ثمرة.

ونازعه ابن المنير^(٢) وقال: تعليله نفيها أبلغ من نفي الضلال، لأنها أخص منه وهذا غير مستقيم، فإن نفي الأعم أخص من نفي الأخص، ونفي الأخص أعم من نفي الأعم فلا يستلزمه لأن الأعم لا يستلزم الأخص. فإذا قلت: هذا ليس بإنسان، لم يلزم سلب الحيوانية عنه، وإذا قلت: هذا ليس بحيوان، لم يكن إنساناً والحق أن يقال: الضلالة أدنى من الضلال وأقل لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه، والضلال يصلح للقليل والكثير ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى لا من جهة كونه أخص، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَتْ عَرْشُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إل عمران: ١٣٣] ولم يقل: «طولها» لأن العرض أخص، إذ كل ما له عرض فله طول ولا ينعكس، وأيضاً إذا كان للشيء صفة يغني ذكرها عن ذكر صفة أخرى تدل عليها، كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لأن ذكرها كالتكرار، وهو عمل وإذا ذكرت فالأولى تأخير الدلالة على الأخرى حتى لا تكون المؤخرة قد تقدمت الدلالة عليها.

وقد يجمل بذلك مقصود آخر، كما في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١] لأجل السجع وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه، كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فإن ذكرت فالأولى تأخير الدال.

وقد يجمل بذلك لمقصود آخر، كما في قوله تعالى: ﴿مَالٍ هَذَا الْكَتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وعلى قياس ما قلنا ينبغي الاقتصار على صغيرة، وإن ذكرت

(٢) حاشية الكشاف (١١٣/٢-١١٤).

(١) الكشاف (١١٣/٢-١١٤).

الكبيرة منها فلتذكر أولاً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِهَمًّا أَفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] وعلى ذلك القياس، يكفي «لهما أف» أو يقول: «ولا تنهرهما»، «فلا تقل لهما أف» وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهي عن التأنيف والعناية بالنهي حتى كأنه قال: نهى عنه مرتين مرة بالمفهوم، وأخرى بالمنطوق. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإن النوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه معرفة الأشياء، والسنة مما يتقدمه من النعاس فلم يكتف بقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] دون ذكر النوم لثلاثيته وإنما لم تأخذه لضعفها ويتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته فجمع بينهما لنفي التوهمين، أو السنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب. تلخيصه هو منزّه عن جميع المفترقات، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لأنه خلقهما بما فيهما والمشاركة إنما تقع فيما فيهما، ومن يكن له ما فيهما فمحال نومه ومشاركته؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما.

وأيضاً: فإنه يلزم من نفي السنة نفي النوم أنه لم يقل: لا ينام وإنما قال: ﴿لَا تَأْخُذْهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني لا تغلبه، فكأنه يقول: لا يغلبه القليل ولا الكثير من النوم، والأخذ في اللغة بمعنى القهر والغلبة ومنه سمي الأسير مأخوذاً، وأخيداً. وزيدت «لا» في قوله: «ولا نوم» لنفيهما عنه بكل حال ولولاها لاحتمل أن يقال: لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة وإذا ذكرت صفات، فإن كانت للمدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى، ليكون المدح متزايداً بتزايد الكلام فيقولون: فقيه عالم وشجاع باسل، وجواد فياض. ولا يعكسون هذا لفساد المعنى، لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني [داخلاً] ^(١) تحته، فلم يكن لذكره معنى ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالعلام.

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل أيهما أبلغ؟ على ثلاثة أقوال ثالثهما أنهما سواء.

قال الأقلشبي: والحق أنك مهما نظرت إلى شخص فوجدته مع شرف العقل والنفس كريم الأخلاق والسجاييا معتدل الأفعال، وصفته بالكمال وإن وجدته وصل إلى هذه الرتب بالكسب والمجاهدة، وإماطة الرذائل، وصفته بالفضل، وهذا يقتضي أنهما متضادان فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بتجاوز.

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]: إنما قدم

(١) سقط من م.

الغيب مع أن علم المغيبات أشرف من المشاهدات، والتمدح به أعظم وعلم البيان يقتضي تأخير الأمدح، وأجاب بأن المشاهدات [له أكثر من الغائب عنا، والعلم يشرف بكثرة متعلقاته، فكان تأخير الشهادة أولى.

وقول الشيخ: إن المشاهدات له أكثر^(١) فيه نظر، بل في غيبه ما لا يحصى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وإنما الجواب: أن الانتقال للأمدح ترقُّ فالقصد هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء، فنزل الترقى في اللفظ منزلة ترق في المعنى لإفادة استوائهما في علمه تعالى ويوضحه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَمْرٍ أَلْقَوْتَهُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠] فصرح بالاستواء.

هذا كله في الصفات، وأما الموصوفات فعلى العكس من ذلك، فإنك تبدأ بالأفضل فتقول: قام الأمير ونائبه وكاتبه، قال تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِزِكْرِكُمْهَا . . .﴾ [النحل: ٨] الآية فقدم الخيل لأنها أحمَد وأفضل من البغال، وقدم البغال على الحمير لذلك أيضًا.

فإن قلت: قاعدة الصفات متقوضة بالقاعدة الأخرى: وهي أنهم يقدمون الأهم فالأهم في كلامهم، كما نص عليه سيبويه وغيره.

وقال الشاعر:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهم المقدم

قلت: المراد بقوله: «فقدم الأهم فالأهم» فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين وأحدهما أهم من الآخر فإنه يقدم، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانتا صفتين لشيء واحد فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث.

هذا كله في صفات المدح، فإن كانت للذم فقد قالوا: ينبغي الابتداء بالأشد ذمًا كقوله تعالى: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] [ق/٢٣٦] قال ابن النفيس في كتاب «طريق الفصاحة»: وهو عندي مشكل. ولم يذكر توجيهه.

وقال حازم في «منهاجه»^(٢): يبدأ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح، وما النفس بتقدمه أعنى ويبدأ في الذم بما ظهور القبح فيه أوضح، والنفس بالالتفات إليه أعنى ويتنقل في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك، ويكون بمنزلة المصور الذي يصور أولاً ما حل من رسوم تخطيط الشيء ثم ينتقل إلى الأدق فالأدق.

(٢) (ص/١٠١).

(١) سقط من م.

فائدة:

نفي الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع، أو عدم إمكان [وقوع] ^(١) الفعل مع إمكانه نحو هل تستطيع أن تكلمني؟ بمعنى هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل .
وقد حمل قوله تعالى حكاية عن الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] على المعنى الأول، أي هل يجيبنا إليه؟ أو هل يفعل ربك؟ وقد علموا أن الله قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال، وإنما استفهموا: هل هنا صارف أو مانع؟
وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: ٤٠] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَجًّا﴾ [الكهف: ٩٧] .

وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] .

فائدة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] قالوا: المجاز يصح فيه بخلاف الحقيقة، لا يقال للأسد: ليس بشجاع .
وأجيب: بأن المراد بالرمي هنا المرتب عليه وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه السلب هنا مجاز لا حقيقة والتقدير: وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء، وما رميت مجازاً إذ رميت حقيقة .

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ

دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد

كقوله: ﴿وَلَيْتَآ أَوْ لِيَأْكُمَّ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] وهو يعلم أنه على [الهدى] ^(٢) وأنهم على الضلال لكنه أخرج الكلام مخرج الشك؛ تقاضياً ومسامحة ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] .

ونحوه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] أورده على طريق الاستفهام، والمعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس، وتأمرتم عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في المخايل: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] تهالكا على الدنيا؟

(٢) في المطبوع: لهدى.

(١) سقط من م.

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره؛ ليؤدبهم التأمل في التوقع عمن يتصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم فيلزمهم به على اللطف وجه إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفاً لقلوبهم، ولذلك التفت عن الخطاب إلى الغيبة تفادياً عن مواجهتهم بذلك.

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾

[الإسراء: ٧٩].

﴿فَمَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

و﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُ﴾ [الإسراء: ٨].

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد، كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

[الأعراف: ٤٠].

ومنه قوله تعالى حاكياً عن شعيب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا﴾

[الأعراف: ٨٩] فالمعنى: لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله، لما كان معلوماً أنه يشاؤه، إذ يستحيل ذلك على الأنبياء، وكل أمر قد علق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه.

وقال قطرب: في الكلام تقديم وتأخير، والاستثناء من الكفار لا من شعيب، والمعنى:

لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ملتهم، ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] على كل حال.

وقيل: الهاء عائدة إلى القرية لا إلى الله.

الإعراض عن صريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[النساء: ١٠٠] أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر تفخيماً لمقدار الجزاء؛ لما فيه من إبهام المقدار، وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه، على حدّ «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١) أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط تنبيهاً على عظم ما يُنال، وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره المبتدأ الذي هو الذين عن ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر، فبنى مبتدأ على مبتدأ وجمع والمعنى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ [الأعراف: ١٧٠] من خبر المبتدأ الأول، وتقديره: إنا لا نضيع أجرهم لأننا لا نضيع أجر من أحسن عملاً.

(١) الهدم

وهو أن يأتي الغير بكلام يتضمن معنى، فتأتي بضده، فإنك قد هدمت ما بناه المتكلم الأول كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ١٨] هدمه بقوله: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنَّا رِبًا﴾ [المؤمنون: ٩١] وبقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [ال عمران: ٥٧] وبقوله: ﴿لَمْ يَمْدُبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] تقديره: إن كنتم صادقين في دعواكم.

ومنه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] هدمه بقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] وقوله: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنَّا رِبًا﴾ [المؤمنون: ٩١]، ومنه ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] هدمه بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] أي: في دعوهم الشهادة.

(٢) التوسع

منه الاستدلال بالنظر في الملكوت، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَآيَاتٍ لِّمَن يَعْقِلُ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ويكثر ذلك في تقديرات العقائد الإلهية؛ لتتمكن في النفوس كقوله: ﴿آتَىٰ ذَٰلِكَ بِتَدْبِيرِ عَلِيِّ أَن يُجِئَ الْوَلَايَةَ﴾ [القيامة: ٤٠] وذلك بعد ذكر النطفة، وتقلبها في مراتب الوجود وتطورات الخلق.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ فَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومنه: التوسع في ترادف الصفات كقوله تعالى: ﴿أَو كَلَّمْتَنِي فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن

(١) انظر: «بديع ابن منقذ» (ص/٣٣٨).

(٢) انظر: «الملل السائر» (١/٣٤٣).

فَوَقَّه مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طَلُمْتَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَوْ يَكْدُ بِرَبِّهَا ﴿النور: ٤٠﴾ فإنه لو أريد اختصاره لكان «أو كظلمات في بحر لجي مظلم» ومنه: التوسع في الظم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ سَلَابٍ مِّمَّيْنِ ﴿١١﴾ هَمَزٌ مَشَامٌ وَيَسِيرٌ﴾ [القلم: ١٠-١١] إلى قوله: ﴿عَلَّ الْمُرْتُورُ﴾ .

التشبيه (١)

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني [ق/ ٢٣٧] أنادها كمالاً وكساها حلة وجمالاً، قال المبرد في «الكامل»^(٢): هو جار في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد.

وقد صنف فيه أبو القاسم بن البنداري البغدادي كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن».

مباحث التشبيه

وفيه مباحث:

الأول في تعريفه

وهو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه.

وقيل: أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به.

وقيل: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد [في نفسه]^(٣)، كالطَّيْبُ في المسك والضيء في الشمس، والنور في القمر وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيين بخلاف الاستعارة.

الثاني [في الغرض منه]^(٤)

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جليّ؛ وإدناؤه البعيد من القريب؛ ليفيد بيانا. وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار، فإنك إذا قلت: زيد أسد كان الغرض بيان حال زيد، وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة، وغير ذلك إلا أنا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلنا إياه شبيهاً بالأسد، حيث كانت هذه الصفات مختصة به، فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا زيد شهم شجاع قوى البطش، ونحوه.

(١) انظر: «تحرير التعبير» (ص/ ١٥٩) و«الكتاب» (١/ ١٢) و«العمدة» (١/ ١٩٤) و«الأقصى القريب» (ص/

(٤١).

(٢) (٩٩٦/٢).

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من المطبوع.

الثالث في أنه حقيقة أو مجاز

والمحققون على أنه حقيقة، قال الزنجاني في «المعيار»: التشبيه ليس بمجاز؛ لأنه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه، وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل، لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يجيء على حد الاستعارة.

وتوسط الشيخ عز الدين فقال: إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز، بناء على أن الحذف من باب المجاز.

الرابع في أدواته

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبه ونحوهما، قال تعالى ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾ [هود: ٢٤] ﴿وَأَتَوْا بِهِمْ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠].

والأفعال: كقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩] ﴿يَجْعَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَمْعٌ﴾ [طه: ٦٦].

والحروف: إما بسيطة، كالكاف نحو ﴿كَرَّمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١] وإما مركبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ زُرُّوسٌ الشَّيْطَانِ﴾ [الصافات: ٦٥].

الخامس في أقسامه

وهو ينقسم باعتبارات:

الأول:

أنه إما أن يشبه بحرف أو لا.

وتشبيه الحرف بخرباج:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقوله: ﴿وَلَهُ الْخَوَارِجُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤].
 ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].
 ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].
 ﴿وَحَوْرٌ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كَأَمْثَلِ الذُّلُورِ الْمَكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] .

وثانيها: أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد؛ ليكون ذلك علماً على قوة التشبيه وتأكيده وكقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] .

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩] .

﴿وَأَذَانًا مِّنَ الْجِبَلِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ غَدَاةٌ مُّجْرِمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] .

﴿تَبَرَّجُوا لِلنَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] .

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] .

فإن قيل: كيف استرسل أهل الجنة وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] ولا شك أنه ليس به، واحترزت بلقيس فقالت ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل: هو هو .

قيل: أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم، وأن أحداً لا يعتقد في الحاضر أنه عين المستهلك الماضي، وأما بلقيس فالتبس عليها الأمر وظنت أنه يشبهه [بل همت في المغايرة مع المشابهة] ^(١)، لأنها بنت على العادة، وهو أن السرير لا ينتقل من إقليم إلى آخر في طرفه عين . وأما التشبيه بغير حرف، فيقصد به المبالغة تنزيلاً للثاني منزلة الأول تجوزاً كقوله:

﴿وَأَرْوَجُهُمْ بِشَجَرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] .

وقوله: ﴿وَسِرَابًا مُّسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] .

وقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [ال عمران: ١٣٣] .

وكذلك ﴿تَمْرٌ مِّمَّ الشَّجَابِ﴾ [النمل: ٨٨] .

وجعل الفارسي ^(٢) منه قوله تعالى:

﴿قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] [أي: كأنها في بياضها من فضة، فهو على التشبيه] ^(٣)

لا على أن القوارير من فضة بدليل قوله: ﴿يَكَّأَيْنَ مِّن مَّعِينٍ ۖ بَيْضَاءَ﴾ [الصفات: ٤٥-٤٦] فقوله: «بياض» مثل قوله: «من فضة» .

تنبيهات:

الأول: هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع، والفرق بينهما - كما قاله حازم

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من م .

(٣) الحجة (٦/٣٤٩) .

وغيره- أنّ الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه؛ فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك، لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه.

وقال الرماني في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مُصِيرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: تبصره لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها.

وقد اختلف البيانون في نحو قوله تعالى: ﴿مُتَمِّمٌ بِكُمْ عَمِّي﴾ [البقرة: ١٨] إنه تشبيه بليغ أو استعارة؟ والمحققون - كما قاله الزمخشري - ^(١) على الأول، قال: لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون أي مذكور في تقدير الآية، والاستعارة لا يذكر فيها المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه بحيث يصلح لأن يراد به المنقول عنه، والمنقول إليه لولا القرينة ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم، كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحاً.

وقال السكاكي ^(٢): لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر، وتناسى التشبيه وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة، فلا يجوز أن يكون استعارة.

الثاني: قد يترك التشبيه لفظاً ويراد معنى إذ لم يرد معنى، ولم يكن منوياً كان استعارة. مثاله: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فهذا تشبيه لا استعارة لذكر الطرفين: الخيط الأسود وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيهاً بخيط أسود، وأبيض وبيننا بقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ والفجر - وإن كان بياناً للخيط الأبيض - لكن لما كان أحدهما بياناً للآخر لدلالته عليه اكتفى به عنه، ولولا البيان كان من باب الاستعارة؛ كما أن قولك: رأيت أسداً، استعارة، فإذا زدت «من فلان» صار تشبيهاً، وأما أنه لم زيد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ حتى صار تشبيهاً؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ؟! فلأن شرط الاستعارة أن يدل عليه الحال، ولو لم يذكر ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ لم يعلم أن الخيطين مستعاران من «بدا الفجر» فصار تشبيهاً.

التقسيم الثاني

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام لأنهم:

إما حسيان، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْشُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْمَارٌ تَحُلُ سُنْفَعِرٍ﴾ [الفر: ٢٠].

أو عقليان، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

(١) الكشاف (١/ ٧٢).

(٢) المفتاح (ص/ ٣٨٧-٣٨٨).

وإما تشبيه المعقول بالمحسوس ، كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَعْكُورِ﴾ [العنكبوت: ٤١] وقوله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقوله : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على العاتق إنما هو القيام بما فيها . وأما عكسه ، فمنعه الإمام لأن العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد فقد علماً ؛ وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول ، فتشبيبه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وهو غير جائز .

وأجازه غيره كقوله :

وكأن النجوم بين دجاء سنن لاح بينهن ابتداء^(١)
وينقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام:

الأول : قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ؛ اعتماداً على معرفة النقيض والضد فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُ زُرُّوسٌ الشَّيْطَانِ﴾ [الصافات: ٦٥] [فشبهه]^(٢) بما لا نشك أنه منكر قبيح ، لما حصل في نفوس الناس [ق/ ٢٣٨] من بشاعة صور الشياطين وإن لم ترها عياناً .

الثاني : عكسه كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ﴾ [النور: ٣٩] أخرج ما لا يحس - وهو الإيمان - إلى ما يحس - وهو السراب - والمعنى الجامع بطلان التوهم بين شدة الحاجة ، وعظم الفاقة .

الثالث : إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت به نحو ﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] والجامع بينهما الانتفاع بالصورة . وكذا قوله : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٢٤] والجامع البهجة والزينة ، ثم الهلاك وفيه العبرة .

الرابع : إخراج ما لا يعرف بالبلدية إلى ما يعرف بها ، كقوله : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله : ﴿وَلَهُ الْمَجَارِ الْمُنْتَشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤] والجامع فيهما العظم ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء .
وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن .

(١) البيت للتوخي صاحب «الأقصى القريب» .

(٢) سقط من م .

التقسيم الثالث

ينقسم إلى مفرد ومركب

والمركب: أن ينزع من أمور مجموع بعضها إلى بعض، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] فالتشبيه مركب من أحوال الجمار، وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم وخزائن ثمرة العقول، ثم لا يحسن ما فيها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحوال التي ليست من العلم في شيء، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه.

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَخَّارِيِّ أَخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُخْتَ بَتْرَافِيلَ﴾ [المنكوت: ٤١].

وقوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْغَيْثِ الْمُنْتَهِي مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٥] قال بعضهم: شبه الدنيا بالماء ووجه الشبه أمران: أحدهما: أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به، فكذلك الدنيا، وثانيهما: أن الماء إذا أطبقت كفك عليه لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا، وليس المراد تشبيهها بالماء وحده، بل المراد تشبيهه [ببهجة] ^(١) الدنيا في قلة البقاء والدوام، بأنيق النبات الذي يصير بعد تلك البهجة والغضاضة والطراوة إلى ما ذكر.

ومن تشبيه المفرد بالمركب قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَالٍ﴾ [النور: ٣٥] فإنه سبحانه أراد تشبيه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن، ثم مثله بمصباح ثم لم يقنع بكل مصباح؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة بوضعه في مشكاة، وهي الطاقة غير النافذة وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للتبصر وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة، فيه الكوكب الدرّي في صفاتها، ودُهْن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقودًا، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها [الشمس] ^(٢) أعدل إصابة.

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن، ثم ضرب للكافر مثلين: أحدهما: ﴿كَمَثَلِ بَقِيْعَةِ﴾ والثاني: ﴿كَمَثَلِ بَقِيْعَةِ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ [النور: ٤٠] شبه في الأول ما يعلمه من لا يقدر الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها بقية، ثم يخيب أمله بسراب يراه الكافر [بالمشاهدة] ^(٣)، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيجئته فلا يجد ماء ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم.

(١) في المطبوع: بهجة.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: بالساهرة.

البحث السادس

ينتظم قواعد تتعلق بالتشبيه

الأولى: قد تشبه أشياء بأشياء، ثم تارة يصرح بذكر المشبهات كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَفَرُوا الصَّالِحِينَ وَلَا الْمُسَوِّءُ﴾ [غانر: ٥٨] وتارة لا يصرح به، بل يجيء مطوياً على سنن الاستعارة، كقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ . . .﴾ [الزمر: ٢٩] الآية .

قال الزمخشري^(١): والذي عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة لا المفردة، بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحُجزة ذاك، فتشبهها بنظائرها كما ذكرنا وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء تضامت حتى صارت شيئاً واحداً بأخرى، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ . . .﴾ [الجمعة: ٥] الآية . ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات، كما في تمثيل الله حال المنافقين أول سورة البقرة، قال الزمخشري: وأبلغه الثاني؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته ولذلك أُخِّرَ قال: وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ .

الثانية: أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية - ترك وجه الشبه وأداته نحو: زيد أسد، أما ترك وجهه وحده فكقوله: زيد كالأسد، وأما ترك أداته وحدها فكقوله: زيد الأسد شدة . وفي كلام صاحب «المفتاح» إشارة إلى أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك أداته قال: لعموم وجه الشبه .

وخالفه صاحب «ضوء المصباح» لأنه إذا عم واحتمل التعدد، ولم تبق دلالته على ما به الاشتراك دلالة منطوق، بل دلالة مفهوم؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذم لا مدح وهو غير لازم في ترك الأداة إلا أن يقال: يلزم مثله من تركها، لأن قرينة ترك الأداة تصرف إرادة المدح دون الذم .

وذكرهما كقولك: زيد كالأسد شدة .

الثالثة: قد تدخل الأداة على شيء، وليس هو عين المشبه ولكنه ملتبس به، واعتمد على فهم المخاطب كما قال تعالى: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ [الصف: ١٤] الآية . المراد: كونوا أنصار الله خالصين في الانقياد، كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا .

(١) الكشاف (٤/١٢٦) .

ومما دل على السياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنقِثُ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُمْ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] وفيه زيادة، وهو تشبيه الخارق بالمعتاد.

الرابعة: إذا كانت فائدته إنما هي تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له، فحقه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم والقصد التنبيه بالأدنى على الأعلى، مثل قياس النحوي ولا سيما إذا كان الدنو جدًّا، أو العلو جدًّا وعليه بنى المعري قوله:

[ظلمناك] ^(١) في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى
وقول آخر ^(٢):

كالبحر والكاف أتى ضيفت زائدة فيه فلا تظنُّهَا كاف تشبيه
وأما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] فيمكن أن يكون المشبه به أقوى لكونه في
الذهن أوضح إذ الإحاطة به أتم.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهو من تشبيه الغريب
بالأغرب؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس وفيه دليل
على جواز القياس وهو رد فرع إلى أصل لشبه ما؛ لأن عيسى رد إلى آدم لشبه بينهما والمعنى أن
آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم، فكذلك خلق عيسى من غير أب.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ شَدَّةٍ﴾ [المنافقون: ٤] شبههم بالخشب لأنه لا روح فيها وبالمسندة
لأنه لا انتفاع بالخشب في حال تسنيده.

الخامسة: الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به، وهو الكامل كقولك: ليس الفضة
كالذهب وليس العبد كالحر، وقد تدخل على المشبه لأسباب:

منها: وضوح الحال [ق/ ٢٣٩]، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْآذِرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] فإن
الأصل، وليس الأنثى كالذكر وإنما عدل عن الأصل لأن معنى ﴿وَلَيْسَ الْآذِرُ﴾ الذي طلبت
كالأنثى التي وهبت لها؛ لأن الأنثى أفضل منه، وقيل: لمراعاة الفواصل لأن قبله: ﴿إِنِّي
وَصَمَّمْتُهَا أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وهو ابن الزمكاني في «البرهان» حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب، وليس كذلك
لما ذكرنا من المعنى.

وقيل: لما كان جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات، يقتضي

(١) في م: غلطنا.

(٢) هو ابن قلاؤس، نصر بن عبد الله اللخمي، أبو الفتح الأعسر. توفي سنة ٥٦٧ هـ.

المبالغة في التشبيه كقولهم: القمر كوجه زيد والبحر ككفيه، كان جعل الأصل فرعا و[الفرع] (١) أصلاً في كماله الذي يقتضي نفي المبالغة في المشابهة، [لا نفي المشابهة وذلك هو المقصود هنا لأن المشابهة واقعة بين الذكر والأنثى، في أعم الأوصاف وأغلبها ولهذا يقاد أحدهما بالآخر] (٢).

ومنها: قصد المبالغة، فيقلب التشبيه ويجعل المشبه هو الأصل، ويسمى تشبيه العكس لاشتماله على جعل المشبه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع. لأن الكلام في الربا لا في البيع، لكن عدلوا عن ذلك وتجرءوا إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز، وأنه الخلق بالحل.

ويحتمل أن يكون المراد إلزام الإسلام، فيحرم البيع قياساً على الربا، لاشتماله على الفضل طرداً لأصلهم، وهو في المعنى نقض على علة التحريم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وفيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرض لإجرائها على قانون واحد، وأن الأسرار الإلهية كثيراً ما تخفى وهو أعلم بمصالح عباده فيسلم له عنان الانقياد، وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجدي وجاء الجواب بفك الملازمة، وأن الحكمة فرقت بينهما. وفيه إبطال القياس في مقابلة النص.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] فإن الظاهر العكس؛ لأن الخطاب لعبدة الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه، وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف في خطابهم، لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلّوا، حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، والخالق سبحانه فرعاً فجاء الإشكال على وفق ذلك.

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق [بالخالق] (٣) خوطبوا بأشد الإلزامين، وهو تنقيص المقدس لا تقديس الناقص.

قال السكاكي (٤): وعندني أن المراد بـ«من لا يخلق» الحي القادر من الخلق، تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى، وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [البجاية: ٢٣] بدل «هواه إلهه» فإنه جعل المفعول الأول ثانيًا والثاني أولاً للتشبيه على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلهه.

(٢) سقط من المطبوع. م.

(٤) المفتاح (ص/٣٤٤).

(١) في المطبوع: الفرح.

(٣) سقط من المطبوع.

ومنه : قوله تعالى : ﴿ أَفَجَعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [القلم: ٣٥] .

وقوله : ﴿ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨] فإن بعضهم أورد أن أصل التشبيه يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : «أفجعل المجرمين كالمسلمين، والفجار كالمؤمنين»، فلم خولفت القاعدة!

ويقال : فيه وجهان :

أحدهما : أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعا لنا، فكما أعزنا الله في هذه الدار، يعزنا في الآخرة . فجاء الجواب على معتقدتهم أنهم أعلى وغيرهم أدنى .

الثاني : لما قيل قبل الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [ص: ٢٧] أي : يظنون أن الأمر [يهمل] (١) وأن لا حشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك ولكن يظنون أنا نجعل المؤمنين كالمجرمين، والمؤمنين كالفجار .

السادسة : أن التشبيه في الظم يشبه الأعلى بالأدنى ، لأن الظم مقام الأدنى والأعلى ظاهر عليه فيشبه به في السلب ، ومنه قوله : ﴿ يَسَاءَ الَّذِي لَسْنَا كَأَحَدٍ مِنَ الْإِنْسَاءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي : في النزول لا في العلو .

ومنه : ﴿ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨] أي : في سوء الحال . وإذا كان في المدح يشبه الأدنى بالأعلى ، فيقال : تراب كالمسك وحصى كالياقوت ، وفي الظم : مسك كالتراب وياقوت كالزجاج .

السابعة : قد يدخل التشبيه على لفظ ، وهو محذوف لامتناع ذلك ، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ [البقرة: ١٧١] .

فإن التقدير : ومثل واعظ الذين كفروا ، فالمشبه : الواعظ ، [وإلا فالذي ينعق غير القبيح من الحسن] (٢) والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام ، وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ، ولا تفهم غرضه وإنما وقع التشبيه على الغنم التي ينعق بها الراعي ، ويمد صوته إليها ، فلم يجعل التشبيه فيها وحوله إلى الراعي الذي يصيح لما كان من الأمر تشبيهه (٣) وفيه وجوه :

أحدها : أن المعنى مثل الذين كفروا كمثل الغنم ، لا تفهم نداء الناعق فأضاف المثل إلى

(١) في م : مهمل .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من المطبوع .

الناعق وهو في المعنى للمنعوق به، على القلب .

ثانيها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا ومثلك كمثّل الذي ينطق، أي: مثلهم في الإعراض ومثلنا في الدعاء والإرشاد، كمثّل الناعق بالغنم، فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول كقوله: ﴿سَرِيْلٌ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] .

وثالثها: أن المعنى: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام، وهي لا تعقل ولا تسمع كمثّل الذي ينطق بما لا يسمع، وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بـ«ينطق» و«لا» توكيد للكلام، ومعناها الإلغاء .

رابعها: أن المعنى: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها، واسترزاقهم إياها كمثال الراعي الذي ينطق بغنمه ويناديا فهي تسمع نداء، ولا تفهم معنى كلامه فيشبهه من يدعوه الكفار من المعبودات من دون الله بالغنم، من حيث لا تعقل الخطاب .

وهذا قريب من الذي قبله، ويفترقان في أن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة، ويجب صرفه إلى غير الغنم وهذا يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة، وإن لم يفهمهما والأصنام - من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة - يجب أن يكون داعيها وناديا أسوأ حالا من منادى الغنم، ذكر ذلك الشريف المرتضى في كتاب «غرر الفوائد»^(١) .

ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . . .﴾ [الأعراف: ١١٧] الآية وإنما وقع التشبيه على الحرث الذي أهلكته الريح، [.]^(٢) قيل: فيه إضمار أي: مثل إهلاك ما ينفقون كمثّل إهلاك ريح .

قال ثعلب: فيه تقديم وتأخير، أي كمثّل حرث قوم ظلموا أنفسهم، أصابته ريح فيها صر فاهلكته .

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَلْبِغُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن التقدير كما يجب المؤمنون الله، قال: وحذف الفاعل لأنه غير ملتبس .

واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك، فإن المعنى حاصل بتقديره مبنياً للفاعل .
وأجيب: بأنه تقدير معنى، لكن محافظة على اللفظ، فلا يقدر الفاعل إذ الفاعل في باب المصدر فضلة، فلذلك جعله كذلك في التقدير .

(١) (١/٢١٧-٢١٨) .

(٢) قدر سطر غير واضح في م، وساقط من المطبوع .

الاستعارة (١)

هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن ومنهم من أنكره بناء على إنكار المجاز في القرآن والاستعارة مجاز، وقد سبق تقديره ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ الاستعارة فيه، لأن فيها [إيهامًا] (٢) للحاجة وهكذا كما منع بعضهم لفظ: القرآن مخلوق [ق/ ٢٤٠]، وهو لا ينكر وقوع المجاز، والاستعارة فيه، إنما توقف على إذن الشرع.

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإيهام، وقد يمنعون الإيهام المذكور لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب الفصاحة.

وقال [الطرطوسي] (٣): إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها، وإن امتنعوا امتنعنا ويكون هذا من قبيل أن الله تعالى عالم، والعلم هو العقل ثم لا نصفه به لعدم التوقيف. انتهى.

والمشهور: تجويز الإطلاق.

مباحث الاستعارة

ثم فيها مباحث

الأول

وهي «استفعال» من العارية، ثم نقلت إلى نوع من التخيل لقصد المبالغة في التخيل والتشبيه مع الإيجاز نحو: لقيت أسدًا. وتعنى به الشجاع.

وحقيقتها: أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو للمجموع.

فمثال إظهار الخفي: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ فِي أُمَّ الْأُمَّةِ﴾ [الزخرف: ٤] فإن حقيقته أنه في أصل الكتاب فاستعير لفظ «الأم» للأصل؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي، حتى يصير مرئيًا فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جليًا: قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٤]

(١) انظر: «تحرير التحرير» (ص/ ٩٧) و«العمدة» (٢٣٩/١). و«الصناعتين» (ص/ ٢٦٨) و«الأقصى القريب» (ص/ ٤٠).

(٢) في م: الطرطوشي.

(٣) في المطبوع: إيهامًا.

لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة، فاستعير للولد أولاً جانب ثم للجانب جناح وتقدير الاستعارة القريبة: «وَاخْفِضْ لَهُمَا جَانِبَ الذَّلِّ»، أي اخفض جانبك ذلاً.

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئياً، لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين، بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركباً احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى، فاستعير الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجناح، لأن من ميل جانبه [إلى جهة السفلى أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه] ^(١)، والمراد خفض يلصق الجنب بالإبط، ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر وأما قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام [فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي
فيقال: إنه أرسل إليه قارورة، وقال: ابعث إليّ فيها شيئاً من ماء الملام] ^(٢)، فأرسل أبو تمام أن ابعث لي ريشة من جناح الذل أبعث إليك من ماء الملام.

وهذا لا يصح له تعلق به، والفرق بين التشبيهين ظاهر لأنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام، فإن الجناح للذل مناسب فإن الطائر إذا وهى وتعب بسط جناحه وألقى نفسه إلى الأرض وللإنسان أيضاً جناح فإن يديه جناحاه، وإذا خضع واستكان يطأطئ من رأسه، وخفض من بين يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل، وصار شبهاً مناسباً وأما ماء الملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه، فلذلك استهجن منه على أنه قد يقال: إن الاستعارة التخيلية فيه تابعة للاستعارة بالكناية، فإن تشبيه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الشارب لمرارته، ثم استعار الملام له كمائه، ثم يخرج منه شيء يشبه بالماء فالاستعارة في اسم الماء.

الثاني

في أنها قِسم من أقسام المجاز؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له. وقال الإمام فخر الدين: ليس بمجاز لعدم النقل وفي الحقيقة هي تشبيه محذوف الأداة لفظاً وتقديراً، ولهذا حدها بعضهم بادعاء معنى الحقيقة في الشيء، مبالغة في التشبيه كقولهم: انشقت عصاهم. إذا تفرقوا، وذلك للعصا لا للقوم ويقولون: كشفت الحرب عن ساق.

ويفترقان في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة فلا خفاء أنه تشبيه، وإن حذف فهذا يلتبس

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

بالاستعارة، فإذا ذكرت المشبه كقولك: زيد الأسد فهذا تشبيه بليغ كقوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُنَى﴾ [البقرة: ١٨] وإن لم يذكر المشبه به فهو استعارة كقوله (١):

لَدَيْ أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمِ
فهذه استعارة نقلت لها وصف الشجاع إلى عبارة صالحة للأسد، لولا قرينة السلاح لشككت هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضاري.

الثالث

لا بدّ فيها من ثلاثة أشياء أصول: مستعار ومستعار منه، وهو اللفظ، ومستعار له، وهو المعنى ففي قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: ٤] المستعار الاشتعال والمستعار منه النار، والمستعار له الشيب والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب.

وفائدة ذلك وحكمته: وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر، وأصل الكلام أن يقال واشتعل شيب الرأس، وإنما قلب للمبالغة؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس، ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم، ولا يخفى أنه أبلغ من قولك: كثر الشيب في الرأس وإن كان ذلك حقيقة المعنى، والحق أن المعنى يعار أولاً ثم بواسطته يعار اللفظ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان الشبه مقررًا بينهما، ظاهرًا وإلا فلا بد من التصريح بالشبه، فلو قلت رأيت نخلة أو خامة، وأنت تريد مؤمنا إشارة إلى قوله: «مثل المؤمن كمثل النخلة» (٢) أو «الخامة» (٣) لكنت كالملمز.

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَالضُّبُجُ إِذَا نَفَسَ﴾ [التكوير: ١٨] وحقيقته: «بدأ انتشاره» و«تنفس» أبلغ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة.

وقوله: ﴿أَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه ويزول عنه حالاً فحالاً، كذلك انفصال الليل عن النهار، والانسلاخ أبلغ من الانفصال، لما فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿سَكَنَهُ عَلَى أَرْطُورٍ﴾ [القلم: ١٦].

(٢) أخرجه البخاري (٦١) ومسلم (٢٨١١).

(١) هوزهير بن أبي سلمى.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢٨).

وقوله: ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّشْتَبِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠] ويقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار.

وقوله: ﴿وَالنَّعْتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].

﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا لَرَدُّوْذُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] أي: في الخلق الجديد.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: ١٤].

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

﴿لَسَفَهًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [الملق: ١٥].

﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [السد: ٤].

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظِرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

﴿وَسَخَطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [المنكوت: ٦٧].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥].

﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] والمراد حفظهم وما يحصل لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَفِرَّ الصَّلَاةَ﴾ أي: أتمها كما أمرت.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي عصمك منهم. رواه شعبة عن أبي [رجاء] (١)

عن الحسن.

﴿وَأَنْتُمْ فِي أَرِّ الْكَتَابِ﴾ [الزخرف: ٤].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

﴿فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٧].

﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] فالدمغ والقذف مستعار.

﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] يريد لا إحساس بها من غير صمم.

وقوله: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فإنه أبلغ من «بلغ» وإن كان بمعناه لأن تأثير الصدع

أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ، والصدع يؤثر جزماً.

الرابع

تنقسم إلى: مرشحة - وهي أحسنها - وهي: أن تنظر إلى جانب المستعار وتراعيه كقوله

(١) في المطبوع: وجاء.

تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِمَنِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٠] فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المرامي هنا، وهو الذي رشح لفظي الربح والتجارة للاستعارة لما بينهما من الملاءمة [ق/ ٢٤١].

وإلى تجريدية وهي: أن تنظر إلى جانب المستعار له، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه كقوله تعالى: ﴿فَأَذْنَبَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] فالمستعار اللباس والمستعار له الجوع فمجرد الاستعارة بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعار له، وهو الجوع لا المستعار وهو اللباس، ولو أراد ترشيحها لقال: وكساها لباس الجوع. وفي هذه الآية مراعاة المستعار له، الذي هو المعنى وهو الجوع والخوف لأن المهما يذاق ولا يلبس.

وقد تجيء ملاحظة المستعار الذي هو اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] إذا حملنا الحطب على النميمة، فاعتبر اللفظ فقال: «حمالة» ولم يقل: «راوية» فيلاحظ المعنى.

وأما الاستعارة بالكناية فهي ألا يصرح بذكر المستعار، بل تذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه، كقوله: شجاع يفترس أقرانه وعالم يفترس منه الناس، تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر.

ومنه المجاز العقلي، كله عند السكاكي (١).

ومن أقسامها - وهو دقيق - أن يسكت عن ذكر المستعار، ثم يومي إليه بذكر شيء من توابعه وروادفه، تنبيها عليه، فيقول شجاع يفترس أقرانه، فنبتت بالافتراس على أنك قد استعرت له الأسد.

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٧] فنبه بالنقض الذي هو من توابع الجبل، وروادفه على أنه قد استعار للعهد الجبل لما فيه من باب [الوصلة] (٢) بين المتعاهدين.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً مَنُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] لأن حقيقته «حملنا» لكن «قدمنا» أبلغ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفره، لأنه من أجل إهمالهم السابق عاملهم كما يفعل الغائب عنهم، إذا قدم فرأهم على خلاف ما أمر به، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال.

(١) المفتاح (ص/ ٣٩٣).

(٢) في م: الصلة.

وقوله: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْمًا مَلَأْنَا بِهَا أَعْيُنَ النَّاسِ فِي لُبَابِهَا﴾ [الحاقة: ١١] لأن حقيقة «طغى» علا والاستعارة أبلغ لأن «طغى» علا قاهراً.

وكذلك ﴿بِرِيحٍ صَوَّصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦٠] لأن حقيقة عاتية شديدة، والعتو أبلغ لأنه شدة فيها تمرد.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ . . .﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية وحقيقته: لا تمتنع ما تملك كل المنع. والاستعارة أبلغ لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليدين إلى العنق وحال الغلول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] قيل: أخرجت ما فيها من الكنوز. وقيل: يجيى به الموتى وأنها أخرجت موتاها فسمى الموتى ثقلاً تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن، لأن الحمل يسمى ثقلاً قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾. ومنها: جعل الشيء للشيء، وليس له؛ من طريق الادعاء والإحاطة به نافعة في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَبِيحًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ويسمى التخيل قال الزمخشري^(١): ولا تجد باباً في علم البيان أدق ولا أعون في تعاطي المشبهات، منه وأما قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ زُرُّوسٌ الشَّيْطَانِ﴾ [الصفات: ٦٥] قال الفراء^(٢): فيه ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنه جعل طلوعها رءوس الشياطين في القبح.
- والثاني: أن العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً وهو ذو القرن.
- الثالث: أنه شوك قبيح المنظر يسمى رءوس الشياطين.
- فعل الأول يكون تحيلاً، وعلى الثاني يكون تشبيهاً مختصاً.

تقسيم آخر

الإستعارة فرع التشبيه فأنواعها كأنواعه خمسة:

الأول: استعارة حسي لحسي بوجه حسي كقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] فإن المستعار منه هو النار، والمستعار له هو الشيب والوجه هو الانبساط فالطرفان حسيان والوجه أيضاً حسي، وهو استعارة بالكناية لأنه ذكر التشبيه وذكر المشبه، وذكر المشبه به مع

(١) الكشاف (٤/١٤٣).

(٢) معاني القرآن (٢/٣٨٧).

لازم من لوازم المشبه به وهو الاشتعال .

وقوله: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] أصل الموح حركة المياه، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة .

الثاني: حسي لحسي بوجه عقلي كقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] فاستعار له الريح، والمستعار منه المرأة وهما حسيان، والوجه المنع من ظهور النتيجة والأثر، وهو عقلي وهو أيضا استعارة بالكناية .

قال في الإيضاح^(١): وفيه نظر لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها، ولهذا جعل صفة للريح لا اسما . والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحبل والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر والجامع لهما ما ذكر .

وهو مندفع بالعناية لأن المراد من قوله: «المستعار منه» المرأة التي عبر عنها بالعقيم . ذكرها السكاكي بلفظ ما صدق عليه [والغرض الوصف] (٢) .

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ [يس: ٣٧] المستعار له ظلمة النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور السلوخ عند جلده، والجامع عقلي وهو ترتب أحدهما على الآخر .

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] أصل الحصيد: النبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلي .

الثالث: معقول لمعقول، كقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقِدًا﴾ [يس: ٥٢] فالرقاد مستعار للموت، وهما أمران معقولان، والوجه عدم ظهور الأفعال وهو عقلي والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكورا .

وقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الفَغْصِبُ﴾ [الاعراف: ١٥٤] المستعار السكوت والمستعار له الغضب والمستعار منه الساكت، وهذه ألطف الاستعارات لأنها استعارة معقول لمعقول لمشاركتة في أمر معقول .

الرابع: محسوس لمعقول، كقوله تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] أصل التماس في الأجسام فاستعير لمقاساة الشدة، وكون المستعار منه حسيًا والمستعار له عقليًا وكونها تصريحية - ظاهر والوجه للحوق وهو عقلي .

(١) (٩٧/٢) .

(٢) سقط من المطبوع، وموضع النقط كلمة غير واضحة .

- وقوله: ﴿بَلْ نَقَدِفُ اللَّيْلِيَّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] فالقذف والدمغ مستعاران .
- وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا مَا يُجِبِلُ مِنَ اللَّهِ وَجَبِلَ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] .
- وقوله: ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَهُمْ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] .
- وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَائِنَانَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] وكل خوض ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء .
- وقوله: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] استعارة لبيانه عما أوحى إليه، كظهور ماء في الزجاجه عند انصداعها .
- وقوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾ [التوبة: ١٠٩] البنيان مستعار وأصله للحيطان .
- وقوله: ﴿وَيَبْتُغِيهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] العوج مستعار .
- وقوله: ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار .
- وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] .
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥] الوادي: مستعار وكذلك الهيمان، وهو على غاية الإيضاح .
- ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] .
- الخامس: استعارة معقول لمحسوس: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا لَمَاءً﴾ [الحاقة: ١١] المستعار منه التكبير، والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المفرط .
- وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَتَاهُمُ الْبُرُوجُ بَرِيحٌ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] العتو هاهنا مستعار .
- وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] فلفظ الغيظ مستعار .
- وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فهو أفصح [ق/ ٢٤٢] من مضيئة .
- ﴿حَتَّىٰ نَصَعَ الْمُرْتَبُ أَوْرَاقَهَا﴾ [محمد: ٤] .
- ومنها: الاستعارة بلفظين، كقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٦] يعني تلك الأواني، ليس من الزجاج ولا من الفضة، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة، وقد سبق عن الفارسي جعله من التشبيه .
- ومثله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣] يني عن الدوام والسوط يني عن الإيلام، فيكون المراد -والله أعلم- تعذيبهم عذابا دائما مؤلما .

التورية (١)

وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه، وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين قريب وبعيد، ويريد المعنى البعيد يوهم السامع أنه أراد القريب، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر.

وقوله: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْغَيْبِ﴾ [ال عمران: ٣٩] والمراد المعرفة.

وقوله: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَعْمَةٍ﴾ [الناحية: ٨] أراد بها في نعمة وكرامة، والسامع يتوهم أنه أراد من النعمة.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أراد بالأيدي القوة الخارجة (٢).

وقوله: ﴿وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوتُ﴾ [الإنسان: ١٩] أي: مُقَرَّبُونَ تجعل في آذانهم القرطة والحلق الذي في الأذن يسمى قرطاً، وخلدة والسامع يتوهم أنه من الخلود.

وقوله: ﴿وَيُذِخُّهُمْ الْجَنَّةَ عَنْ قَوْمِهِمْ﴾ [محمد: ٦] أي علمهم منازلهم فيها ويوهم إرادة العرف الذي هو الطيب.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمَهُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤].

وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٢١] فذكر رضوان مع الجنات مما يوهم إرادة خازن الجنات.

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ أي: أرعنا سمعنا وانظر إلينا، والكفار يقولونها «فاعل» من الرعونة. وقال أبو جعفر: هي بالعبرانية [فلما عوتبوا] (٣) قالوا: إنما نقول مثل ما يقول المسلمون: فنهى المسلمون عنها.

(١) انظر: «تحرير التحبير» (ص/ ٢٦٨) و«العمدة» (١/ ٢١٣) و(بديع ابن منقذ» (ص/ ٣١). وقد أُلّف في هذا الباب جماعة منهم: صلاح الدين الصفدي كتاباً أسماه: «فض الختام عن التورية والاستخدام».

وأحد بن علي الأندلسي له: «رائق التحلية في فائق التورية»

وابن حجة له: «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام».

وابن الحاج له: «مثاليت القوانين في التورية والاستخدام والتضمين».

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة اليد لله تعالى من غير تأويل أو تمثيل أو تعطيل أو تحريف، فله عز وجل يد تليق بجلاله ليست كأيدينا لعموم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) سقط من م.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ أَفْقَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] فقوله: ﴿الْوَلِيُّ﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الولي لعباده بالرحمة والمغفرة وقوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ يحتتمل أن يكون من «حامد» لعباده المطيعين، أو «محمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه. ويحتتمل أن يكون الولي من أسماء المطر، وهو مطر الربيع والحמיד بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الغيث.

وقوله: ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] فإن لفظة «ربك» رشحت لفظ «ربه» لأن يكون تورية إذ يحتتمل أنه أراد بها الإله سبحانه والملك فلو اقتصر على قوله: ﴿فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] ولم تدل لفظة «ربه» إلا على الإله، فلما تقدمت لفظة «ربك» احتتمل المعنيين.

تنبهيه [في الفرق بين التورية والاستخدام] (١)

كثيرا ما تلتبس التورية بالاستخدام، والفرق (٢) بينهما: أن التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر، وفي الاستخدام استعمالهما معا بقرينتين. وحاصله أن المشترك إن استعمل في مفهومين معاً فهو الاستخدام، وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية.

ومثال الاستخدام: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩] فإن لفظة «كتاب» يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب، وقد توسطت بين لفظتين فاستخدمت أحد مفهوميهما وهو الأمد واستخدمت «يمحو» المفهوم الآخر وهو المكتوب.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] فإن الصلاة تحتتمل إرادة نفس الصلاة، وتحتتمل إرادة موضعها فقوله ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا﴾ استخدمت إرادة نفس الصلاة وقوله: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] استخدمت إرادة موضعها.

التجريد (٣)

وهو أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مباين له فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر،

(١) انظر في الاستخدام: «تحرير التحبير» (ص/ ٢٧٥) و«حسن التوسل» (ص/ ٧١) و«نهاية الأرب» (ص/ ١٤٣).

(٢) في المطبوع: الفراق. (٣) انظر: «الإيضاح» (ص/ ٣١٨-٣١٩).

فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسدًا وبحرًا، وهو عينه هو الأسد والبحر، لا أن هناك شيئًا منفصلًا عنه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي نَفْسِ الْبَخْرِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ال عمران: ١٩٠] فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات وهو عينه ونفسه تلك الآيات. وكقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وإنما هذا ناب عن قوله: «وَأَعْلَمَ أَنَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَالِدِ﴾ [نصفت: ٢٨] ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد، بل كلها دار خلد، فكأنك لما قلت: في الجنة دار الخلد، اعتقدت أن الجنة منظوية على دار نعيم ودار أكل وشرب، وخلد فجردت منها هذا الواحد، كقوله:

وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل^(١)

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] على أحد التأويلات في الآية

عن ابن مسعود: هي النطفة، تخرج من الرجل ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حيًا وهي ميتة، قال ابن عطية^(٢) في تفسيره هذه الآية: إن لفظة الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما تقول في صبي جيد البنية: يخرج من هذا رجل قوي.

وقد يحتمل قوله: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] أي الحيوان كله ميتة ثم يحييه قال:

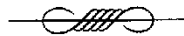
وهو معنى التجريد.

وذكر الزمخشري^(٣): أن عمرو بن عبيد قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾

[الرحمن: ٣٧] بالرفع بمعنى حصلت منها سماء وردة، قال: وهو من التجريد.

وقرأ علي وابن عباس في سورة مريم: «لا يرثني وارث من آل يعقوب» [قال ابن جنى:

هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهب لي من لدنك وليا يرثني منه وارث من آل يعقوب]^(٤)، وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثا.



(٢) «المحرر الوجيز» (٢/٣٢٥).

(٤) سقط من م.

(١) للحسام بن ضرار.

(٣) الكشاف (٤/٤٥٠).

التجنيس (١)

وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢-٧٣] وفي ذلك ردٌّ على من قال (٢): ليس منه في القرآن غير الآية الأولى.

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتِ السَّائِقُ يَأْتِاقُ ﴿٧٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْعَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠].

وإما لاحق بأن يختلف أحد الحرفين، كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّكُمْ لِيَحِبُّوا الْحَيْرَ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧-٨].

﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ بِأَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

﴿يَمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرِ الْخَلْقِ وَيَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ [النساء: ٨٣].

وإما في الخط، وهو أن تشبها في الخط لا اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وقوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٠].

وإما في السمع لقرب أحد المخرجين من الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ بِأَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

تنبيهات:

الأول: نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى، وقال (٣): عندي أنه ليس بتجنيس أصلاً وأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى وألا تكون (١) قال ابن أبي الأصبغ: حدّ الرماني التجنيس بأن قال: هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة.

انظر: «تحرير التحبير» (ص/١٠٢) و«العمدة» (١/٢٢) و«الصناعتين» (ص/٢٢١) و«المثل السائر» (١/٢٤٦) و«حسن التوسل» (ص/٤٢) و«أسرار البلاغة» (ص/٤).

(٢) هو ابن الأثير: المثل السائر (١/٢٤١).

(٣) الفلك الدائر (ص/١٣).

إحداها حقيقة والأخرى مجازاً، بل تكونا حقيقتين وإن زمان القيامة - وإن طال - لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة، لأن قدرته لا يعجزها [ق/ ٢٤٣] أمر ولا يطول عندها زمان، فيكون إطلاق لفظة «الساعة» على أحد الموضوعين حقيقة، وعلى الآخر مجازاً وذلك يخرج الكلام من التجنيس كما لو قلت: ركبت حماراً ولقيت حماراً وأردت بالثاني البليد، وأيضاً لا يجوز أن يكون المراد بالساعة الأولى خاصة، وزمان البعث فيكون لفظ الساعة مستعملاً في الموضوعين حقيقة بمعنى واحد، فيخرج عن التجنيس.

الثاني: يقرب منه الاقتضاب، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ [الروم: ٤٣].

وقوله: ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ أَلْيَبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩].

وقوله: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْأَرْضِ أَخْرَصَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾

[فصلت: ٥١].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿تَنَقَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿أَنَا قَلْبُكَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

الثالث: اعلم أن الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية، ولهذا تركوه عند قوة المعنى

بتركه ولذلك مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥] فذكر الرازي في

تفسيره^(١) أن الكاتب الملقب بالرشيدي قال: لو قيل: أتدعون بعللاً وتَدْعُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، أو هم أنه أحسن لأنه كان تحصل به رعاية معنى التجنيس أيضاً مع كونه موازناً لـ «تذرون».

وأجاب الرازي: بأن فصاحة القرآن ليس لأجل رعاية هذه التكلفات، بل لأجل قوة

(١) التفسير الكبير (١٤٩/٢٦).

المعاني وجزالة الألفاظ .

وقال بعضهم: مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ، فلو كان «أَتَدْعُونَ» و«تَدْعُونَ» كما قال هذا القائل لوقع الإلباس على القارئ، فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفاً منه وحيثئذ فينخرم اللفظ إذا قرأ و«تَدْعُونَ» الثانية بسكون الدال، لا سيما وخط المصحف الإمام لا ضبط فيه ولا نقط .

قال: ومما صحف من القرآن بسبب ذلك، وليس بقراءة قوله تعالى: ﴿قَالَ عَدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] بالسين المهملة .

وقوله: ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءً﴾ [التوبة: ١١٤] بالباء الموحدة .

وقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾ [عبس: ٣٧] بالعين المهملة .

وقرأ ابن عباس «مَنْ فرعون» على الاستفهام .

قلت: وأجاب [الجويني] ^(١) عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه: أن «يذر» أخص من «يدع» وذلك لأن الأول بمعنى ترك الشيء اعتناء بشهادة الاشتقاق، نحو: الإيداع فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها، ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة، وأما «تذر» فمعناها الترك مطلقاً، والترك مع الإعراض والرفض الكلي ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول، فأريد هنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض .

قلت: ويؤيده قول الراغب ^(٢): يقال: فلا يذر الشيء أي يقذفه لقلّة الاعتداد به والوزرة قطعة من اللحم وتسميتها بذلك لقلّة الاعتداد به، نحو: قولهم فيما لا يعتد به: هو لحم على وضم قال تعالى ﴿أَجِئْنَا لِلْعَبِيدِ اللَّهِ وَحَدِّمْ وَنَدَّرْ مَا كَانَ يَمْبُدُ مَا بَأْوَأًا﴾ [الأعراف: ٧٠] وقال تعالى ﴿وَنَدَّرْكَ وَءِ الْهَتَّكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿فَدَّرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَدَّرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] وإنما قال: «يَدَّرُونَ» ولم يقل «يتركون» و«يُخْلَفُونَ» لذلك . انتهى .

وعن الشيخ كمال الدين بن الزمكاني أنه أجاب عن هذا السؤال: بأن التجنيس تحسين وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان، وهذا مقام تهويل والقصد فيه المعنى، فلم يكن لمراعاة اللفظة فائدة .

وفيه نظر، فإنه ورد في قوله: ﴿وَبِئَمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم: ١١٢] .

(١) في الإتيان: الجويني .

(٢) المفردات (ص/ ٨٦٢) .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] قال: معناه: وما أنت مصدق لنا، فيقال: ما الحكمة في العدول عن الجناس، وهلا قيل: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟
والجواب: أن في «مُؤْمِنٍ لَنَا» من المعنى ما ليس في «مصدق»، وذلك أنك إذا قلت: «مصدق لي» فمعناه: قال لي: صدقت. وأما «مؤمن» فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الأمن؛ فلهذا عدل إليه.
فتأمل هذه اللطائف الغريبة والأسرار العجيبة، فإنه نوع من الإعجاز!
فائدة:

قال الخفاجي: إذا دخل التجنيس نفيً عدّ طباقاً كقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الزمر: ٩]، لأن «الذين لا يعلمون» هم الجاهلون، قال: وفي هذا يختلط التجنيس بالطباق.

الطباق (١)

هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد والليل والنهار، وهو قسمان: لفظي ومعنوي، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] طباق بين الضحك والبكاء والقليل والكثير.

ومثله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكُ ﴿٤٣﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣-٤٤].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْفَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨].

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ . . .﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية،

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمُوتُ وَلَا الظُّلُومُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

(١) رد ابن الأثير على كل من ألف في الصناعة هذا الباب وقال: «إن الجمع من تسميتهم العندين في هذا الباب خطأ محض. لأن أصل الاشتقاق يقتضي الموافقة لا المضادة» وقد رد عليه ابن أبي الأصبع فقال: «هو أولى بالخطأ منهم لأن القدم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موضع واحد، والرجل واليد ضدان أو في معنى الضدين. فرأوا أن الكلام الذي جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً، لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين» «تحرير التحرير» (ص/ ١١١).

ثم إذا شرط فيهما شرط، وجب أن يشترط في ضديهما ضد ذلك الشرط، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ﴾ [الليل: ٥-٦] الآية لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق، وجعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أزداد تلك الأمور، وهي المنع والاستغناء والتكذيب.

ومنه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُفُوفُهَا دَائِمَةٌ ۖ﴾ [الحاقة: ٢٢-٢٣] قابل بين العلو والذنو.

وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْرَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤].

وقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [القصص: ٧٣] فذكر الليل والنهار، وهما ضدان ثم قابلهما بضدين، وهما الحركة والسكون على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ «الإرداف» فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدة على المبالغة وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ «ابتغاء الفضل» لكون الحركة تكون للمصلحة دون المفسدة وهي تيسير إلى الإعانة بالقوة لكون الحركة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس، وإضافة الظرف إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه، ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المأرب.

ومن الطباق المعنوي: قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْفُرُونَ ۖ﴾ [آل عمران: ٥] ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا كُفْرَ لِمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٥-١٦] معناه: ربنا يعلم إننا لصادقون.

وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۗ﴾ [البقرة: ٢٢] قال أبو علي في «الحجة»: لما كان البناء رفعا للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء، ومن ثم وقع البناء على ما فيه ارتفاع في نصيبه إن لم يكن مدرّا.

ومنه: نوع يسمى الطباق الخفي، كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ۗ﴾ [نوح: ٢٥] لأن الغرق من صفات الماء، فكأنه جمع بين الماء والنار قال ابن منقذ: وهي أخفى مطابقة في القرآن.

قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ۗ﴾ [يس: ٨٠] فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر، وهذا أيضا فيه تديبج بديعي، ومنه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ [ق/٢٤٤] لأن معنى القصاص القتل فصار القتل سبب الحياة.

قال ابن المعتز^(١): وهذا من أملح الطباق وأخفاه.

وقوله تعالى في الزخرف: ﴿ظَلَّلَ وَجْهَهُمْ سُودًا ۗ﴾ [النحل: ٥٨] لأن ظل لا تستعمل إلا نهارا فإذا ملح مع ذكر السواد، كأنه طباق يذكر البياض مع السواد.

وقوله: ﴿وَيَنْقَرُوهُ مَا يَكُ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَيَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ ۗ﴾ [إفانر: ٤١].

(١) بديع ابن المعتز (ص/٢٤٧).

المقابلة

مباحث المقابلة

وفيهما مباحث:

الأول: في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق والفرق بينهما من وجهين^(١):

الأول: أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبًا، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبًا.

والثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها، ولهذا جعل ابن الأثير^(٢) الطباق أحد أنواع المقابلة.

الثاني: في أنواعها

وهي ثلاثة: نظيري، ونقيضي [وخلافي]. والخلافي أعمها في التشكيك، وأزعمها بالتأويل^(٣) والنقيضي ثانيها والنظيري ثالثها.

وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلعي: أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكيمية العلمية من الكائنات والزمانيات، والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات حيث اتحدت من حيث تعددت، واتصلت من حيث انفصلت وأنها قد ترد على شكل المربع تارة، وشكل المسدس أخرى وعلى شكل المثلث، إلى غير ذلك من التشكيلات العجيبة والترتيبات البديعة ثم أورد أمثلة من ذلك.

مثال مقابلة النظيرين، مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥) لأنهما جميعًا من باب الرقاد المقابل باليقظة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آفِكَاسًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] وهذه هي مقابلة النقيضين أيضًا ثم السنة والنوم بانفرادهما متقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة.

ومثال مقابلة الخلافيين: مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنَ فِي

(١) انظر: «تحرير التحبير» (ص/ ١١١).

(٢) المثل السائر (٢/ ٢٧٩).

(٣) سقط من م.

الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿الجن: ١٠﴾ [فقابل الشر بالرشد، وهما خلافيان وضد الرشد الغي، وضد الشر الخير والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً، و[الغي] (١) الذي يخرج لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً، حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ: نطقان وضمنان فكان بهما رباعيان .

وهذا الشكل الرباعي يقع في تفسيره على وجوه، فقد يرد وبعضه مفسر مثل ما ذكرناه وقد يرد وكله مفسر، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٩﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿القيامة: ٣١-٣٢﴾ [فقابل «صدق» بـ«كذب» و«وصلى» الذي هو أقبل بـ«تولى» .

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَنًّا وَلَا تَأْتِيًا ﴿١٩﴾ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا ﴿الواقعة: ٢٥-٢٦﴾ [اللغو في الحيثية المنكرة والتأثيم في الحيثية الناكرة، واللغو منشأ المنكر ومبدأ درجاته، والتأثيم منشأ التكبير ومبدأ درجاته فلا تكبير إلا بعد منكر، ولا اعتقاد إنكار إلا بعد اعتقاد تأثيم، ومنشأ اللغو في أول طرف المكروهات، وآخره في طرف المحظورات ومبدأ التأثيم .

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿البقرة: ٣٠﴾ [فقابل الإفساد بالتسبيح والحمد، وسفك الدماء بالتقديس فالتسبيح بالحمد إذن ينفي الفساد، والتقديس ينفي سفك الدماء والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقديس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح، فإن التسبيح بالحمد للإصلاح لا للفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقديس وهذا شكل مربع من أرضي وهو الإفساد وسفك الدماء، وسماوي وهو التسبيح والتقديس والأرضي ذو فصلين والسماوي ذو فصلين، ووقع النفس من الطرفين المتوسطين، فالطرفان الإفساد في الطرف الأول والتقديس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض وأول السماء فالأول متشرف على الآتي والآخر ملفت إلى الماضي .

وكم في كتاب الله من كل موجز يدور على المعنى وعنه يماصع لقد جمع الإسم المحامد كلها مقاسيمها مجموعة والمشايخ وهذا القدر الذي ذكره هذا الخبر مرمى عظيم، يوصل إلى أمور غير متجاسر عليها كما في آية الكرسي وغيرها .

وقسم بعضهم المقابلة إلى أربع:

أحدها: أن يأتي بكل واحد من المقدمات مع قرينة من الثواني، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِ

(١) في المطبوع: ألفى .

لَيْسَا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ .

والثانية: أن يأتي بجميع الثواني مرتبة من أولها كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْمِيهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] .

وكذلك: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَاوِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

الثالث: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧] .

الرابع: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة، ويسمى اللف كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَ إِنَّا نَصَرَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] فنسبة قوله «متى نصر الله» إلى قوله «والذين آمنوا» كنسبة قوله «يقول الرسول» إلى «الآل إن نصر الله قريب» لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين .

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] فنسبة قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] كنسبة قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] إلى قوله ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ فجمع المقدمين التاليين بالالتفات .

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان:

مقابل في اللفظ دون المعنى: كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَمًا مَكْرَمًا﴾ [النمل: ٥٠] .
ومقابل في المعنى دون اللفظ: كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبا: ٥٠] فإنه لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ لكان التقدير: «وإن اهتديت فإنما اهتديت لها» .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى: أن النفس كل ما هو عليها لها فهو أعنى أن كل ما هو وبال عليها، وصار لها فهو بسببها ومنها لأنها أمانة بالسوء وكل ما هو مما ينفعها فبهداية ربه وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما [أمر] ^(١) رسول الله ﷺ أن يسند إلى

(١) سقط من م .

نفسه لأنه إذا دخل تحته مع علو محله كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَاتٍ لِّيَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦] فإنه لم يدع التقابل [ق/ ٢٤٥] في قوله ﴿لِّيَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لأن القياس يقتضي أن يكون «والنهار لتبصروا فيه» ، وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن معنى «مبصرًا» تبصرون فيه طرق الثقلب في الحاجات .

واعلم أنّ في تقابل المعاني بابًا عظيمًا يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يتصل غالبًا بالفواصل كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّونَ﴾ [البقرة: ١١] إلى قوله: ﴿لَا يَسْعُرُونَ﴾ .

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] إلى قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ .

فانظر فاصلة الثانية ﴿يَمْلِكُونَ﴾ والتي قبلها ﴿يَسْعُرُونَ﴾ لأن أمر الديانة، والوقوف على أن المؤمنين يجتمعون وهم مطيعون، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكسب الناظر المعرفة، والعلم وإنما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد أمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس، فلذلك قال فيه: ﴿يَمْلِكُونَ﴾ .

وأيضًا فإنه لما ذكر السفه في الآية الأخرى، وهو جهل كان ذكر العلم طباقًا وعلى هذا تجيء فواصل القرآن وقد سبق في بابيه .

ومن المقابلة: قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء، ثم قول بشيء واحد وهو الوعد فأوهم الإخلال بالثاني، وليس كذلك وإنما لما كان الفضل مقابلًا للفقر، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء لأن الفحشاء توجب العقوبة، والمغفرة تقابل العقوبة استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر .

تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين: ﴿فَلْيَضْحَكُوا خِيفًا﴾ [التوبة: ٨٢] .

ومن مقابلة أربعة بأربعة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَنَقَّى . . .﴾ [الدليل: ٥] الآية .

ومن مقابلة خمس بخمس، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] للدلالة على الحقير والكبير، وهو من الطباق الخفي الثاني: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٦] و ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٢٦] الثالث ﴿يضل﴾ و ﴿يهدى﴾ به والرابع: ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٧] الخامس ﴿يقطعون﴾ و ﴿أن يوصل﴾ .

ومن مقابلة ست بست: قوله تعالى: ﴿رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النُّسكَ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمُتَنَطِرَةَ مِنْ ذَهَبٍ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٤﴾
 [ال عمران: ١٤] ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَزْيَبَكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقْنَا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [ال عمران: ١٥] قابل الجنات والأنهار،
 والخلد والأزواج والتطهير، والرضوان بإزاء النساء في الدنيا، وختم بالحرف وهما طرفان
 متشابهان، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي وآخر ذكر الأزواج، كما يجب في الترتيب
 الأخرى وختم بالرضوان.

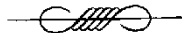
فائدة:

قد يجيء نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر، وإذا توصل كان من أكمل
 المقابلات ولذلك أمثلة:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَمْرٍ ﴿٧٧﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٧٨﴾﴾ [طه:
 ١١٨-١١٩] فقابل الجوع بالعري، والظما بالضحي والواقف مع الظاهر ربما يخيل أن الجوع
 يقابل بالظما والعري بالضحي.

والمدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة، لأن الجوع ألم الباطن والضحي
 موجب لحرارة الظاهر، فاقترض الآية جميع نفي الآفات ظاهراً وباطناً وقابل الخلو بالخلو
 والاحتراق بالاحتراق وهاهنا موضع الحكاية المشهورة بين المتنبي، وسيف الدولة لما أنشده:
 وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
 ومنها: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤] فإنه
 [قد] ^(١) يتبادر فيه سؤال؛ وهو أنه لم لا قيل: «مثل الفريقين كالأعمى والبصير والأصم
 والسميع»، لتكون المقابلة في لفظ «الأعمى» وضده بالبصير وفي لفظ «الأصم» وضده
 السميع؟

والجواب: أنه يقال لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضد ذلك لما ذكر انفتاح
 البصر أعقبه بانفتاح السمع، فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة والأتى في
 الإعجاز



(١) سقط من المطبوع.

رد العجز على الصدر وعكسه (١)

- ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ مَّاؤُرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] .
 ﴿ وَحُمِّ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ [المائدة: ٩٦] .

العكس (٢)

وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر، كقوله تعالى: ﴿ لَا هُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [المتحة: ١٠] وقدره الزمخشري (٣) أي: لا حل بين المؤمن والمشرک، والآية صرحت بنفي الحل من الجهتين فقد يستدل بها من قال: إن الكفار مخاطبون بالفروع .
 ومثله: قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ٥] أي ذبائحكم وهذه رخصة للمسلمين .

إلجام الخصم بالحجة

وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، والعجب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه .
 ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ثم قال النحاة: إن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول، وخالفهم ابن الحاجب وقال: الممتنع الأول لأجل الثاني فالتعدد منتف لأجل امتناع الفساد .

وقوله: ﴿ قُلْ يَجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩] .
 وقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [يس: ٨١] وقوله حكاية عن الخليل: ﴿ وَحَاجُّهُمْ قَوْمُهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَرَبِّكَ حُجَّتًا ءَاتَيْنَاهَا إِيْرَاهِيمَ عَلَيَّ قَوْمِي ﴾ [الأنعام: ٨٣] .

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] المعنى: أن الأهون أدخل في الإمكان من غيره، وقد أمكن هو بالإعادة أدخل في الإمكان من بدء الخلق .
 وقوله تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ . . . ﴾

(١) ويسمى التصدير . «تحرير التحبير» (ص/١١٦) و«بديع ابن المعتز» (ص/٩٣) و«العمدة» (٤/٢) و«المثل السائر» (١/٢٥٢) .

(٢) انظر: «تحرير التحبير» (ص/٣١٨) و«الصناعتين» (ص/٣٧١) .

(٣) الكشاف (٤/٥١٨) .

[المؤمنون: ٩١] الآية، وهذه حجة عقلية تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبد كل منهما بخلقه، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر، ويؤدي إلى تناهي مقدوراتهما، وذلك يبطل الإلهية فوجب أن يكون الإله واحداً، ثم زاد في الحجاج فقال: ﴿وَمَلَأَ بَعْضُهُمْ عَيْنَ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] أي: ولغلب بعضهم بعضاً في المراد، ولو أراد أحدهما إحياء جسم والآخر إماتته لم يصح ارتفاع مرادهما لأن رفع التقيضين محال، ولا وقوعهما للتضاد فنفي وقوع [أحدهما] ^(١) دون الآخر، وهو المغلوب وهذه تسمى دلالة التمانع، وهي كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿[إِذَا] ^(٢) لَأَنْبَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩] فبين أنا لم نخلق المنى لتعذره علينا فوجب أن يكون الخالق غيرنا.

ومنه: نوع منطقي، وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين، وذلك من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] فنطق على خمس نتائج من عشر مقدمات، فالمقدمات من أول السورة: [إلى قوله: ^(٣) ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] والنتائج من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] [ق/ ٢٤٦].

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج، أن يقول: أخبر الله أن زلزلة الساعة شيء عظيم وخبره هو الحق ومن أخبر عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق، وأنه يأتي بالساعة على تلك الصفات ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك ومن يأتي بالساعة يجيي الموتى، فهو يجيي الموتى وأخبر أنه يجعل الناس من هول الساعة سكارى، لشدة العذاب ولا يقدر على عموم الناس لشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير، فإنه على كل شيء قدير وأخبر أن الساعة يجازي فيها من يجادل في الله بغير علم، ولا بد من مجازاته ولا يجازي حتى تكون الساعة آتية، ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور فهو يبعث من في القبور و[أن] ^(٤) الله ينزل الماء على الأرض الهامدة، فتنبت من كل زوج بهيج والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من القبور.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [ص: ٢٦] مقدمتان، ونتيجة لأن اتباع الهوى يوجب الضلال والضللال يوجب سوء

(٢) في المطبوع: إذن.

(١) في المطبوع: أحدهما.

(٤) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

العذاب، فأتج أن اتباع الهوى يوجب سوء العذاب .

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَفْلَقَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِقَ﴾ [الأنعام: ٧٦] أي: القمر أفل وربى فليس بأفل فالقمر ليس بربي أثبتته بقياس اقتراني جلي من الشكل الثاني واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدث .

التقسيم (١)

وليس المراد به القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم؛ لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم: الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة أو لا متفرقة ولا مجتمعة، أو مجتمعة ومتفرقة معاً أو بعضها مجتمع وبعضها متفرق، فإن هذه القسمة صحيحة عقلاً، لكن بعضها يستحيل وجوده، وهو استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يغادر شيئاً وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء كقوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ﴾ [فاطر: ٣٢] فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة: إما ظالم نفسه وإما سابق بمبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد فيها وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها .

ومثله: قوله: ﴿رُكْنٌ مِّنْ رُّكْنَيْهَا تَأْتِي بِهَا لِيَنْتَفِخَ مِنْهَا هَاجِرَاتٌ﴾ [الأنعام: ١٠٧] وهذه الآية مماثلة في المعنى للتي قبلها، وأصحاب المشامة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات .

كذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتِنَا وَمَا خَلَقْنَا﴾ [مريم: ٦٤] الآية، فاستوفى أقسام الزمان، ولا رابع لها .

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّا لَوْ فِيهِمْ مِّن بَشَرٍ مَّن بَشَرٍ مِّن بَشَرٍ﴾ [النور: ٤٥] إلى قوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾ وهو في القرآن كثير، وخصوصاً في سورة براءة .

ومنه: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ولا ثالث لهما .

وقوله: ﴿فَسَبَّحْنِ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [والله أحمد في السموات والأرض وعشياً وحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨] فاستوفت أقسام الأوقات من طرفي كل يوم ووسطه مع المطابقة والمقابلة .

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] فلم يترك سبحانه (١) انظر: «تحرير التحبير» (ص/٣٠٨) و«الصناعتين» (ص/٤١١) و«الإيضاح» (ص/٣١٥) .

قسمًا من أقسام الهيئات .

ومثله آية يونس : ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ أَلْحَمُّ دَعَانًا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢] .

لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبها المبالغة، وذلك أن المراد بالذكر في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم [القيام ثم عند العجز القعود . ثم عند العجز الاضطجاع وهذه بخلاف الضر . فإنه يجب فيها تقديم] ^(١) الاضطجاع، وإذا زال بعض الضر قعد المضجع، وإذا زال كل الضر قام القاعد فدعا لتتم الصحة وتكمل القوة .

فإن قلت : هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة، فإنها تحصل في الكلام حسن اتساق وائتلاف الألفاظ مع المعاني، وقد عدل عنها إلى «أو» التي سقط معها ذلك .

قلت : يأتي التضرع على أقسام، فإن منه ما [يضطجع] ^(٢) المضرور عند وروده ومنه ما يقعه ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئا، والدعاء عنده أولى من [الصبر] ^(٣)، فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى، فوجب العدول عن الواو لتوخي الصدق في الخبر والكلام [مع ذلك موصوف] ^(٤) بالائتلاف، ويحصل النسق والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد، وبالثاني عن أشخاص، فغلب الكثرة فوجب الإتيان بـ«أو» وابتدئ بالشخص الذي تضرع، لأن خبره أشد فهو أشد تضرعا فوجب تقديم ذكره ثم القاعد ثم القائم، فحصل حسن الترتيب وائتلاف الألفاظ ومعانيها .

وقوله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِئْنَا وَنَهُبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠] قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام، اشتمل عليها الوجود؛ لأنه سبحانه إما أن يفرد العبد بهبة الإناث أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له أو لا يهب شيئا، وقد جاءت الأقسام في هذه الآية ليتنقل منها إلى أعلى منها وهي هبة الذكور فيه، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي وهبتها جميعا وجاءت كل أقسام العطفية بلفظ الهبة وأفرد معنى الحرمان بالتأخير وقال فيه : ﴿يَجْعَلُ﴾ فعدل عن لفظ الهبة للتغاير بين المعاني كقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥] فذكر امتداد إنمائه بلفظ الزرع ومعنى الحرمان بلفظ الجعل .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق :

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع : يتضرع .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) سقط من المطبوع .

أحدها: جبراً لهن لأجل استئصال الأبوين لمكانهن .

الثاني: أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء لا ما يشاء الأبوان فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء فبدأ بذكر الصنف الذي يشاؤه ولا يريداه الأبوان غالباً .

الثالث: أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات، حتى كانوا يندوهن أي: هذا النوع الحقير عندكم مقدم عندي في الذكر .

الرابع: قدمهن لضعفهن، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل: لينقل من الغم إلى الفرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكير [الإناث] ^(١)، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص المتأخر بالتعريف، فإن التعريف تنويه .

وهذا أحسن مما ذكره الواحدي أنه عرف الذكور لأجل الفاصلة .

ولما ذكر الصنفين معاً، قدّم الذكور، فأعطى لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير . والله أعلم بما أراد، بقي سؤال آخر، وهو أنه عطف الثاني والرابع بالواو والثالث بـ«أو» ولعلّه: لأن هبة كل من الإناث والذكور قد لا يقترن بها، فكأنه وهب لهذا الصنف وحده أو مع غيره، فلذلك تعينت «أو» فتأمل لطائف القرآن وبدائعها .

ومن هذا التقسيم أخذ بعض العلماء أن الخنثى لا وجود له، لأنه ليس واحداً من المذكورين [ق/ ٢٤٧] ولا حجة فيه لأنه مقام امتنان والمنة بغير الخنثى أحسن وأعظم، أو لأنه باعتبار ما في نفس الأمر والخنثى لا يخرج عن أحدهما .

التعديد

هي إيقاع الألفاظ [المفردة] ^(٢) على سياق واحد، وأكثر ما [توجد] ^(٣) في الصفات ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض، لاتحاد محلها، ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق، ولذلك يقل عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل وذلك كقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقوله: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع: المبددة . والمثبت من «نهاية الأدب» .

(٣) في المطبوع: يؤخذ .

وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وإنما عطف قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها، فوقع الوهم بالعطف عمن يستبعد ذلك في ذات واحدة لأن الشيء الواحد لا يكون ظاهراً باطناً من وجه، وكان العطف فيه أحسن. ولذلك عطف «الناهون» على «الأمرون»، و«أبكاراً» على «ثيبات» من قوله: ﴿الْمُتَّقِينَ الْمَكِيدِينَ الْمُحْسِنِينَ السَّاجِدِينَ الرَّكْعُونَ السُّجُودَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَنِيفُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقوله: ﴿أَرْوَجًا حَيْرًا مَنَكْنًا مُسَلِمَةً مُؤْمِنَةً قَنِينَةً تَبَيَّنَتْ عِيْدَاتٍ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥] فجاء العطف لأنه لا يمكن اجتماعهما في محل واحد بخلاف ما قبله.

وقوله: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ﴾ [غانر: ٣] إنما عطف فيه بعضاً ولم يعطف بعضاً؛ لأن «غافراً» و«قابلاً» يشعران بحدوث المغفرة والقبول وهما من صفات الأفعال وفعله في غيره لا في نفسه، فدخل العطف للمغايرة لتنزلهما منزلة الجملتين تنبيهاً على أنه سبحانه يفعل هذا ويفعل هذا. وأما شديد العقاب فصفة مشبهة وهي تشعر بالدوام والاستمرار فتدل على القوة ويشبه ذلك صفات الذات.

وقوله ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾ المراد به ذاته فترك العطف لاتحاد المعنى.

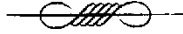
وقد جاء قليلاً في غير الصفات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتْسَلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . .﴾ [الاحزاب: ٣٥] الآية قال الزمخشري^(١): العطف الأول كقوله: ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ في أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما، وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع، فكان معناه: أن الجامعين والجامعات لهذه الصفات أعد لهم مغفرة. انتهى.

وقال بعضهم: الصفات المتعاطفة إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه كقوله: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غانر: ٣] فإن الموصوف «الله»، وإما في النوع كقوله: ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ فإن الموصوف الأزواج وقوله: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] فإن الموصوف النوع الجامع للصفات المتقدمة، وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ، فإن دل دليل على أنه من عطف الصفات اتبع كهذه الآية، فإن هذه الأعداد لمن جمع الطاعات العشر لا لمن انفرد بواحدة منها، إذ الإسلام والإيمان كل منهما شرطه في الآخر وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي، ومن كان مسلماً مؤمناً فله أجره ولكن ليس

(١) الكشاف (٣/٥٣٨).

هذا الأجر العظيم الذي أعده الله في هذه الآية الكريمة، وقرن به إعداد المغفرة زائداً على المغفرة فلخصوص هذه الآية جعل الزمخشري ذلك من عطف الصفات والموصوف واحد، فلو لم يكن كذلك واحتمل تقدير موصوف مع كل صفة وعدمه حمل على التقدير، فإن ظاهر العطف التغاير ولا يقال الأصل عدم التقدير؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠] الآية، ولو كان من عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثماني، ولذلك إذا وقف على الفقهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات.



مقابلة الجمع بالجمع

تارة يقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا كقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفِيحُوا الْخَيْبَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فإن الصلاة والزكاة في معنى الجمع، فيقتضي اللفظ ضرورة أن كل واحد مأمور بجميع الصلوات وبالاستباق إلى كل خير، كما يقال: لبس القوم ثيابهم وركبوا دوابهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّتْ لَكُمْ مَنَافِعًا﴾ [يوسف: ٣١] أي: لكل واحدة منهن.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] لأنه لا يجوز أن يتذكر جميع المخاطبين بهذا القول في مدة وعمر واحد.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشِكْرِ الْقَاصِرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] أي: كل واحدة من هذا الشرر كالقصر، والقصر البيت من آدم كان يضرب على الماء إذا نزلوا به، ولا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد؛ لأنه مناف للوعيد، فإن المعنى تعظيم الشرر، أي: كل واحد من هذا الشرر كالقصر، ويؤكد قوله بعده: ﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرًا﴾ [المرسلات: ٣٣] فشبه بالجماعة، أي: فكل واحدة من هذا الشرر كالجمل فجماسته، إذ الجملالات الصفر كذلك الأول، كل شرة منه كالقصر قاله ابن جنى.

وقوله: ﴿وَأَسْتَفَشُوا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]

وقوله: ﴿وَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فإن كل واحد من المؤمنين آمن بكل واحد من الملائكة والكتب والرسول.

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ [الآية [النساء: ٢٣] فإنه لم يحرم على كل واحد من المخاطبين جميع أمهات المخاطبين، وإنما حرم على كل واحد أمه وبنته.

وكذا قوله: ﴿وَأَلَّكُمْ نَيْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢] فإنه ليس لجميع الأزواج نصف ما ترك جميع النساء، وإنما لكل واحد نصف ما تركت زوجته فقط.

وكذا قوله: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ مِنْ أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] إنما معناه اتبع كل واحد ذريته، وليس معناه أن كل واحد من الذرية اتبع كل واحد من الآباء.

وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: كل واحدة^(١) ترضع ولدها.

(١) سقط من م.

وكقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا تَمَنَّا ۚ﴾ [النور: ٥٠] فإن مقابلة الجمع أفادت المكنة لكل واحد من المسلمين قتل من وجد من المشركين .

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] .

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] فذكر «المرافق» بلفظ الجمع، و«الكعبين» بلفظ التثنية؛ لأن مقابلة الجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد، ولكل يد مرفق فصحت المقابلة .

ولو قيل: «إلى الكعاب» فهم منه أن الواجب [.....] (١)؛ فإن لكل رجل كعباً واحداً، فذكر الكعبين بلفظ التثنية ليتناول الكعبين من كل رجل .

فإن قيل: فعل هذا يلزم ألا يجب إلا غسل يد واحدة ورجل واحدة؟

قلنا: صدنا عنه فعل النبي ﷺ والإجماع .

وتارة يقتضي مقابلة ثبوت الفعل لكل واحد من آحاد المحكوم عليه، كقوله تعالى:

﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] .

وجعل منه الشيخ عز الدين: ﴿وَبَيَّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تحتها الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وتارة يحتمل الأمرين، فيفتقر ذلك إلى دليل يعين أحدهما .

أما مقابلة الجمع بالمفرد، فالغالب أنه [ق/٢٤٨] لا يقتضي تعميم المفرد، وقد يقتضيه بحسب عموم الجمع المقابل له، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] [المعنى كل واحد لكل يوم طعام مسكين] (٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِإِثْمَةٍ فَاتَّخَذُوا مِنْهُنَّ عُذْرًا ۚ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٤] إنما

هو على كل واحد منهم ذلك .

قاعدة فيما ورد في القرآن مجموعاً ومفرداً والحكم في ذلك

فمنه أنه حيث ورد ذكر «الأرض» في القرآن فإنها مفردة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَرِجْزٍ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وحكمته: أنها بمنزلة السفلى والتحت ولكن وصف بها هذا المكان المحسوس، فجرت مجرى امرأة زور وضيع، فلا معنى لجمعها كما لا يجمع الفوق والتحت والعلو والسفل، فإن قصد المخبر إلى جزء من هذه الأرض الموطوءة وعين

(٢) سقط من م .

(١) سقط من م . والمطبوع .

قطعة محدودة منها خرجت عن معنى السفلى الذي هو في مقابلة العلو، فجاز أن تشي إذا ضمنت إليها جزءاً آخر، ومنه قوله ﷺ: «طوقه من سبع أرضين»^(١) فجمعها لما اعتمد [الكلام]^(٢) على ذات الأرض، وأثبتها على التفصيل والتعيين لأحاديها دون الوصف بكونها تحت أو سفلى في مقابلة علو، وأما جمع السموات فإن المقصود بها ذاتها دون معنى الوصف، فلهذا جمعت جمع سلامة، لأن العدد قليل وجمع القليل أولى به، بخلاف الأرض فإن المقصود بها معنى التحت والسفلى دون الذات والعدد.

وحيث أريد بها الذات والعدد أتى بلفظ يدل على التعدد كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ وَمِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وأيضاً فإن الأرض لا نسبة إليها إلى السموات وسعتها، بل هي بالنسبة إليها كحصاة في صحراء، فهي - وإن تعددت - كالواحد القليل فاختر لها اسم الجنس.

وأيضاً فالأرض هي دار الدنيا التي بالنسبة إلى الآخرة كما يدخل الإنسان إصبه في اليم فما يعلق بها هو مثال الدنيا والله تعالى لم يذكر الدنيا إلا مقللاً لها، وأما السموات فليست من الدنيا على أحد القولين، فإذا أريد الوصف الشامل للسموات، وهو معنى العلو والفوق أفردته كالأرض، بدليل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]: ﴿أَمِئْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧] فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل، وليس المراد سماء معينة.

وكذا قوله: ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] بخلاف قوله في سبأ: ﴿عَلِيرِ الْفَيْي لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] فإن قبلها ذكر الله سبحانه سعة علمه، وأن له ما في السموات وما في الأرض، فاقضى السياق أن يذكر سعة علمه وتعلقه بمعلومات ملكه، وهو السموات كلها والأرض.

ولما لم يكن في سورة يونس ما يقتضي ذلك أفردتها إرادة للجنس.

وقال السهيلي: لأن المخاطبين بالإنفراد مقرّون بأن الرزق ينزل من السحاب، وهو سماء؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿فَسَيُؤَلَوْنَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] وهم لا يقرون بما نزل من فوق ذلك من الرحمة والرحمن وغيرها؛ ولهذا قال في آية سبأ: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤] أمر نبيه ﷺ بهذا القول ليعلم بحقيقته.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٦١٠).

(٢) سقط من م.

وكذا قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] فإنها جاءت مجموعة لتعلق الظرف بما في اسم الله تبارك وتعالى من معنى الإلهية، فالمعنى هو الإله المعبود في كل واحدة من السموات، فذكر الجمع هنا أحسن ولما خفى هذا المعنى على بعض المجسمة قال بالوقف على قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ ثم ابتدئ بقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾.

وتأمل كيف جاءت مفردة في قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣] أراد لهذين الجنسيتين، أي رب كل ما علا وسفل.

وجاءت مجموعة في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١] في جميع السور؛ لما كان المراد الإخبار عن تسبيح سكانها على كثرتهم وتباين مراتبهم، لم يكن بد من جمع محلهم. ونظير هذا جمعها في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ. وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقوله: ﴿سَبَّحَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: تسبيح بذواتها وأنفسها على اختلاف عددها؛ ولهذا صرح بالعدد بقوله: ﴿السَّبْعُ﴾.

وتأمل كيف جاءت مفردة في قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] في «الرزق» المطر «وما توعدون»: الجنة وكلاهما في هذه الجهة، لأنها في كل واحدة واحدة من السموات، فكان لفظ الإفراد أليق.

وجاءت مجموعة في قوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] لما كان المراد نفى علم الغيب عن كل من هو في واحدة واحدة من السموات أتى بها مجموعة، ولم يبيح في سياق الإخبار بنزول الماء منها إلا مفردة حيث وقعت، لما لم يكن المراد نزوله من ذاتها بل المراد الوصف.

فإن قيل: فهل يظهر فرق بين قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١] وبين قوله في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]؟

قيل: السياق في كل منهما مرشد إلى الفرق، فإن الآيات التي في يونس سيقنت للاحتجاج عليهم بما أقروا به من كونه تعالى هو رازقهم ومالك أسمعهم وأبصارهم ومدبر أمورهم، بأن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فلما كانوا مقرين بهذا كله حسن الاحتجاج به عليهم؛ إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره، فكيف تعبدون معه غيره؟ ولهذا قال بعده: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] أي هم يقولون به ولا يجحدونه، والمخاطبون المحتج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها، ولم

يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إليهم، فأفردت لفظة «السماء» هنا لذلك.

وأما الآية التي في سبأ، فإنه لم ينتظم لها ذكر إقرارهم بما ينزل من السماء، ولهذا أمر رسوله بأن يجيب، وأن يذكر عنهم أنهم هم المجيبون فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤] ولم يقل: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] أي: الله وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات^(١).

ومنها: ذكر الرياح في القرآن [جمعاً ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جاءت مجموعة كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾^(٢) [فَتُفِيْرُ سَحَابًا] [الروم: ٤٨].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]. ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].
وحيث ذكرت في سياق العذاب أتت مفردة، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [نصت: ١٦].

- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].
- ﴿وَلَمَّا عَادَ قَوْمُكُمُ إِلَى بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الحاقة: ٦].
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَنْعَمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨].
- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

ولهذا قال ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»^(٣) والمعنى فيه أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والماهيات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، وكانت في الرحمة رياحاً وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه [ق/٢٤٩] واحد، ولا معارض ولا دافع، ولهذا وصفها الله بالعقيم فقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] أي تعقم ما مرت [به] ^(٤).

وقد اطرقت هذه القاعدة إلا في مواضع بسيرة لحكمة:

فمنها: قوله سبحانه في سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْغُلَاكِ

(١) سقط من م. (٢) سقط من م.

(٣) أخرجه الشافعي في «الأم» (١/٢٥٣) وفي «المسند» (ص/٨١) وأبو يعلى (٢٤٥٦) والطبراني في «الكبير» (١١٥٣٣) وابن عدي في «الكامل» (٢/٣٥٣) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/٩٩) بسند ضعيف جداً. وانظر: «الضعيفة» (٤٢١٧) و«ضعيف الجامع» (٩٩٣٨).

(٤) في م: عليه.

وَجَرَيْنَ يَوْمَ يَبُوحُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴿يونس: ٢٢﴾ فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد لوجهين:

أحدهما: لفظي، وهو المقابلة، فإنه ذكر ما يقابلها ريح العذاب، وهي لا تكون إلا مفردة، ورب شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا لِلَّهِ﴾ [ال عمران: ٥٤].

الثاني: معنوي، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح وتصادمت كان سبب الهلاك والغرق، فالمطلوب هناك ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى فوصفها بالطيب دفعا لتوهم أن تكون عاصفة بل هي ريح يفرح بطيبتها.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَنَّ رَوَاكِدَ عَنَّا ظَهْرَهُ﴾ [الشورى: ٣٣] وهذا أورده ابن المنير في كتابه على الزمخشري، قال: الريح رحمة ونعمة، وسكونها شدة على أصحاب السفن. قال الشيخ علم الدين العراقي: وكذا جاء في القراءات السبع: «والله الذي أرسل الريح»، «وهو الذي يرسل الريح» والمراد به الذي ينشر السحاب.

ومن ذلك جمع الظلمات [وإفراد] ^(١) النور: ﴿اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ولذلك جمع سبيل الباطل، وأفرد سبيل الحق، كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والجواب [في] ^(٢) ذلك كله: أن طريق الحق واحد، وأما الباطل فطرقه متشعبة متعددة، ولما كانت الظلم بمنزلة طريق الباطل والنور بمنزلة طريق الجنة، بل هما أفرد النور وجمع الظلمات، ولهذا وحد الولي فقال: ﴿اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] لأنه الواحد الأحد، وجمع أولياء الكفار لتعددتهم، وجمع الظلمات، وهي طرق الضلال والغى لكثرتها واختلافها، ووحدهم النور وهو دين الحق.

ومن ذلك أفرد اليمين والشمال في قوله: ﴿عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] وجمعها في قوله: ﴿وَعَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [الأعراف: ١٧] ولا سؤال فيه، إنما السؤال في جمع أحدهما وإفراد الآخر، كقوله تعالى: ﴿يَنْقُتُوا ظِلَّ اللَّهِ عَنِ اليمينِ وَالشِّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] قال الفراء ^(٣): كأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظلمة، وإذا جمع ذهب إلى كلها،

(١) زيادة في م.

(٢) في م: عن.

(٣) معاني القرآن (١٠٢/٢).

والحكمة في تخصيص اليمين بالإفراد ما سبق، فإنه لما كانت اليمين جهة الخير والصلاح وأهلها هم الناجون أفردت، ولما كانت الشمال جهة أهل الباطل وهم أصحاب الشمال جمعت في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: ٤٨].

وفيه وجوه أخر:

أحدها: أن اليمين [مقصود به الجمع أيضاً، فإن الألف واللام فيه للجنس، فقام العموم مقام الجمع، قاله ابن عطية^(١)].

الثاني^(٢): أن اليمين فعيل، وهو مخصوص بالمبالغة، فسدت مبالغته جمعه كما سد مسد الشبه قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧] قاله ابن بابشاذ.

الثالث: أن الظل حين ينشأ أول النهار يكون في غاية الطول ثم يبدو كذلك ظللاً واحداً من جهة اليمين ثم يأخذ في النقصان، وإذا أخذ في جهة الشمال فإنه يتزايد شيئاً فشيئاً، والثاني فيه غير الأول فكلما زاد فيه شيئاً فهو غير ما كان قبله، فصار كل جزء منه ظللاً [فحسن]^(٣) جمع الشمائيل في مقابلة تعدد الظلال [قاله الرماني وغيره]^(٤).

قال ابن بابشاذ: وإنما يصح هذا إذا كانا متوجهين نحو القبلة.

الرابع: أن اليمين يجمع على أيمن وأيمان، فهو من أبنية جمع القلة غالباً، والشمال يجمع على شمائل وهو جمع كثرة، والموطن موطن تكثير ومبالغة، فعدل عن جمع اليمين إلى الألف واللام الدالة على قصد التكثير، قاله السهيلي.

وأما إفرادها في قوله: ﴿وَأَحْصَى الشِّمَالِ مَا أَحْصَى الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٤١] فلأن المراد أهل هذه الجهة ومصيرهم إلى جهة واحدة، هي جهة أهل الشمال مستقر أهل النار، فإنها من جهة أهل الشمال فلا يحسن مجيئها مجموعة.

وأما إفرادها في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧] فإن لكل عبد قعيداً واحداً عن يمينه، وآخر شماله يحصيان عليه الخير والشر، فلا معنى للجمع بينهما، وهذا بخلاف قوله تعالى ذاكراً عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فإن الجمع هناك يقابله كثير مما يريد إغواءهم، فجمع لمقابلة الجملة بالجملة المقتضي لتوزيع الأفراد على الأفراد.

ومنها: حيث وقع في القرآن ذكر الجنة فإنها تحبب تارة مجموعة، وتارة غير مجموعة،

(١) المحرر الوجيز (٣/٣٩٨).

(٢) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٣) في م: فحصل.

والنار لم تقع إلا مفردة وفي ذلك وجهان:

أحدهما: لما كانت الجنات مختلفة الأنواع حسن جمعها وإفرادها، ولما كانت النار مادة واحدة أفردت باعتبار الجنس، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَأْكُوبُ وَأَبْرَقُ وَكَأْسٍ مِنْ مَّيْمِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] ولم يقل: «وكؤوس» لما سذكروه.

الثاني: أنه لما كانت النار تعذيباً والجنة رحمة، ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب، نظير جمع الريح في الرحمة وإفرادها في العذاب، وأيضاً فالنار دار حبس، والغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد أنكد لعيشهم، والكريم لا يترك ضيفه ولا سيما إذا كان للدوام إلا في دار مفردة مهياً له وحده، فالنار لكل مذنب، ولكل مطيع جنة فجمع الجنان ولم يجمع النار.

ومنها: جمع «الآيات» في موضع وإفرادها في آخر، فحيث جمعت فلجمع الدلائل، وحيث وحدت فلوحدانية المدلول عليه، لما يخرج عن ذلك؛ ولهذا قال في الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧] فلما ذكر صفة المؤمنين بالوحدانية، وحَدَّ الآية، وليس لها نظير إلا في العنكبوت، وهو قوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِّلْعٰكِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

ومتها: مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة بالجمع وأخرى بالثنائية، وأخرى بالإفراد لاختصاص كل مقام بما يقتضيه.

فالأول: كقوله: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

والثاني: كقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

والثالث: قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الزمر: ٩] فحيث جمع كان المراد نفى المشرق والمغرب، وحيث ثنيا كان المراد مشرقى صعودها وارتفاعها، فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وارتفاعها، وينشأ منه فصلا الحريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً ومقابلهما مغرباً.

وقيل: هو إخبار عن الحركات الفلكية، متحركة بحركات متداركة لا تنضب لخطه، ولا تدخل تحت قياس؛ لأن معنى الحركة انتقال الشيء من مكان إلى آخر، وهذه صفة الأفلاك [ق/ ٢٥٠] قال تعالى: ﴿لَا السَّمْسُ يَلْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ...﴾ [الآية: ٤٠] فهذا وجه اختلاف هذه الألفاظ بالإفراد والجمع، وقد أجرى الله العادة أن القمر يطلع في كل ليلة من مطلع غير الذي طلع فيه بالأمس، وكذلك الغروب، فهي من أول فصل الصيف في

تلك المطالع والمغرب إلى أن تنتهي إلى مطلع الاعتدال، ومغربه عند أول فصل الخريف ثم تأخذ جنوبًا في كل يوم في مطلع ومغرب إلى أن تنتهي إلى آخر مثلها الذي يقدر الله لها عند أول فصل الشتاء، ثم ترجع كذلك إلى أن تنتهي إلى مطلع الاعتدال الربيعي ومغربه وهكذا بدءًا، فحيث أفرد الله له لفظ المشرق والمغرب أراد به الجهة نفسها التي تشتمل الواحدة على تلك المطالع جميعها والأخرى على تلك المغرب من غير نظر إلى تعددها، وحيث جرى بلفظ الجمع المراد به كل فرد منها بالنسبة إلى تعدد تلك المطالع والمغرب، وهي في كل جهة مائة وثمانون يومًا، وحيث كان بلفظ التثنية فالمراد بأحدهما الجهة التي تأخذ منها الشمس من مطلع الاعتدال إلى آخر المطالع والمغرب الجنوبية، وبهذا الاعتبار مشرقان ومغربان، وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع منه، فأبدى فيه بعض المتأخرين معاني لطيفة فقال:

أما ما ورد مثني في سورة الرحمن ^(١)، فلأن سياق السورة سياق المزدوجين .

الثاني: فإنه سبحانه أولاً ذكر نوعي الإيجاد وهما الخلق والتعليم، ثم ذكر سراجي العالم ومظهر نوره وهما الشمس والقمر ثم ذكر نوعي النبات، فإن منه ما هو على ساق ومنه ما انبسط على وجه الأرض، وهما النجم والشجر، ثم ذكر نوعي السماء المرفوعة والأرض ثم أخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ووسط بينهما ذكر الميزان، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض وهما الجنوب، ثم ذكر نوعي المكلفين وهما نوع الإنسان والجان، ثم ذكر نوعي المشرق والمغرب ثم ذكر بعد ذلك البحر من الملح والعذب، فلهذا حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة .

وإنما أفردا في سورة المزمل لما تقدم من ذكر الليل والنهار، فإنه سبحانه أمر نبيه بقيام الليل ثم أخبر أنه له في النهار سببًا طويلاً، فلما تقدم ذكر الليل والنهار تممه بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار، فكان ورودهما منفردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع؛ لأن ظهور الليل والنهار فيهما واحد .

وإنما جمعا في سورة المعارج في قوله: ﴿وَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ عَلَّ أَنْ يُبَدَّلَ خَيْرًا يَنْفَعُ وَمَا تَحْتَهُ بِمَسْبُورِينَ ﴿٤١﴾ [المعارج: ٤٠-٤١] لأنه لما كان هذا القسم في سعة مشارق ربوبيته، وإحاطة قدرته والمقسم عليه إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم، ذكر المشارق والمغرب لتضمنها انتقال الشمس التي في أحد آياته العظيمة، ونقله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء وينقل إلى أمكتهم خيرا منهم؟ وأيضا: فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر

(١) الآية ١٧ وما بعدها .

مشهود، وقد جعله الله بحكمته سبباً لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلى حال، ومن يرد إلى حر، وصيف وشتاء وغير ذلك، بسبب اختلاف مشارق الأرض ومغارها فكيف لا يقدر مع ما يشهدونه من ذلك على تبديل من هو؟ خير وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠] فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع.

وأما جمعهما في سورة الصافات في قوله: ﴿وَرَبِّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: ٥] لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة، وهي السموات والأرض وما بينهما، وكان الأحسن مجيئها مجموعة لتتنظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد.

ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب لاقتضاء الحال ذلك، فإن المشارق مظهر الأنوار وأسباب لانتشار الحيوان وحياته وتصرفه في معاشه وانبساطه، فهو إنشاء شهود قدمه بين يدي [. . .] (١) على مبدأ البعث فكان الاقتصار على ذكر المشارق هاهنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب، فتأمل هذه المعاني الكاملة والآيات الفاضلة التي ترقص القلوب لها طرباً وتيسيل الأفهام منها رهباً.

وحيث ورد البار مجموعاً في صفة الأدميين، قيل: «أبرار» كقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١١٣] وقال في صفة الملائكة: ﴿بَرَرَةٍ﴾ [ميس: ١٦] قال الراغب (٢): فخص الملائكة بها من حيث إنه أبلغ من «أبرار» جمع «بر» وأبرار جمع بار، [وبر أبلغ من بار] كما أن عدلاً أبلغ من عادل.

وهذا بناء على رواية في تفضيل الملائكة على البشر.

ومنها: أن الأخ يطلق على أخي النسب وأخي الصداقة والدين، ويفترقان في الجمع فيقال في النسب: إخوة، وفي الصداقة: إخوان كما قيل: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُولَئِكَ أَدْعُ﴾ [النساء: ١١] قاله جماعة من أهل اللغة منهم ابن فارس، وحكاه أبو حاتم عن أهل البصرة ثم رده بأنه يقال للأصدقاء والنسب إخوة وإخوان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] لم يعن النسب، وقال: ﴿أَوْ بُيُوتٍ إِخْوَانِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وهذا في النسب ونظيره قوله: ﴿وَلَا يُدِيرَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِيُعْرَبْنَ﴾ [النور: ٣١] إلى قوله: ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وهذا هو الصواب، واشتقاق اللفظين من تأخيت الشيء فسمى

(٢) المفردات (ص/١٠١).

(١) بياض في الأصل.

الأخوان أخوين؛ لأن كل واحد منهما يتأخى ما تأخاه الآخر أي: يقصده.

قال ابن السكيت: ويقال أخوة بضم الهمزة.

ومنها: أفراد العم والحال.

ومنها أفراد السمع، وجمع البصر، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] لأن السمع غلب عليه المصدرية، فأفرد بخلاف البصر، فإنه اشتهر في الجارحة، وإذا أردت المصدر قلت: أبصر إبصارًا؛ ولهذا لما استعمل الحاسة جمعه بقوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنِعَهُمْ فِيهِ مَآذِنًا لَهُمْ﴾ [البقرة: ١٩] وقال: ﴿وَفِي مَآذِنَنَا وَقُورٌ﴾ [فصلت: ٥].

وقيل: في الكلام حذف مضاف أي على حواس سمعهم.

وقيل: لأن متعلق السمع الأصوات، وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة، فأشار في كل منهما إلى متعلقه.

ويحتمل أن يكون البصر الذي هو نور العين معنى يتعدد بتعدد المقلتين، ولا كذلك السمع فإنه معنى واحد، ولهذا إذا غطيت إحدى العينين ينتقل نورها إلى الأخرى بخلاف السمع فإنه ينقص بنقصان أحدهما.

وقال الزمخشري^(١) في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَرِقٌّ﴾ [البقرة: ١٩] أجرى الرعد والبرق على أصلهما مصدرين، فأفردهما دون الظلمات يقال: رعدت السماء رعدًا وبرقت برقًا والحق أن الرعد والبرق مصدران، فأفردهما أو هما مسبيان عن سبب لا يختلف بخلاف الظلمة فإن أسبابها متعددة. [ق/ ٢٥١]

ومنها: حيث ذكر الكأس في القرآن كان مفردًا ولم يجمع في قوله تعالى: ﴿يَا كُؤَابَ وَأَبَارِقَ وَكُؤَابِ﴾ [الواقعة: ١٨] ولم يقل: «وكؤوس»؛ لأن الكأس إناء فيه شراب، [فإن لم يكن فيه شراب] (٢) فليس بكأس بل قده، والقده إذا جعل فيه الشراب فالاعتبار للشراب لا لإنائه؛ لأن المقصود هو المشروب، والظرف اتخذ للألة، ولولا الشراب والحاجة إلى شربه لما اتخذ، والقده مصنوع والشراب جنس، فلو قال: كؤوس لكان اعتبار حال القده، والقده تبع؛ ولما لم يجمع اعتبار حال الشراب وهو أصل واعتبار الأصل أولى، فانظر كيف اختار الأحسن من الألفاظ.

وكثير من الفصحاء قالوا: دارت الكؤوس ومال الرءوس فدعاهم السجع إلى اختيار غير

(١) الكشاف (١/٨٣) وأساس البلاغة (١/٤٣ و ٤٣٨).

(٢) سقط من م.

الأحسن، فلم يدخل كلامهم في حد الفصاحة، والذي يدل على ما ذكرنا أن الله تعالى لما ذكر الكأس واعتبر الأصل قال: ﴿وَكَأَيُّ مَن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] فذكر الشراب.

وحيث ذكر المصنوع، ولم يكن في اللفظ دلالة على الشراب جمع فقال: ﴿يَا كُؤَابَ وَيَأْرِيْقَ﴾ [الواقعة: ١٨] ثم ذكر ما يتخذ منه فقال: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

ومنها: إفراد «الصديق» وجمع «الشافعين» في قوله تعالى: ﴿فَمَا نَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿٥﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشراء: ١٠٠-١٠١] وحكمته كثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق قال الزمخشري^(١)، ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده بشفاعته رحمة له، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق فأعز من بيض الأنوق، وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. ويجوز^(٢) أن يريد بالصديق الجمع.

وقال السهيلي في الروض^(٣) [الأنف]^(٤) إذا قلت: عبيد [أو]^(٥) نخيل فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله تعالى: ﴿وَزَرَعَ وَخَيْلٍ﴾ [الرعد: ٤] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وحين ذكر المخاطبين منهم قال: «العباد» ولذلك قال حين ذكر التمر من النخيل: ﴿وَأَلْتَخَلَّ بِأَسْفَلَتِي﴾ [ق: ١٠] و﴿أَعْمَارُ نَخْلٍ مُّقْعِرٍ﴾ [الفرع: ٢٠] فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام. وأما في مذهب [أهل]^(٦) اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق ولا نهوا على هذا المعنى الدقيق.

ومنها: اختلاف الجمعين في قوله تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لِمُ جَنَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] إلى قوله: ﴿وَلَمْ دُرِيَّةٌ شُعْفَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وقال: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا﴾ [النساء: ٩].

فأما وجه التفرقة بين الجمع في الموضوعين وكذلك قوله: ﴿وَلَا يُدِينُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] إلى قوله: ﴿أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ نِسَاءَ إِخْوَانَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] فخالف بين الجمعين في الأبناء وفي سورة الأحزاب: ﴿وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْبَأْتِ سَبْعَ سَبَاطِلٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] وفي موضع آخر ﴿وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٣] فالعدد واحد.

(١) الكشاف (٣/٣٢٢-٣٢٣).

(٢) (٧١/١).

(٣) في المطبوع: و.

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٦) سقط من المطبوع.

وقد اختلف تفسيره، فالأول جاء بصيغة جمع الكثرة، والثاني بجمع القلة .
وقد قيل في توجيهه : إن آية البقرة سيقت في بيان المضاعفة والزيادة، فناسب صيغة جمع الكثرة وآية يوسف لحظ فيها [(١)] ، وهو قليل فأتى بجمع القلة ليصدق اللفظ المعنى .
تنبيه

جمع التكرير يشمل أولى العلم وغيرهم، وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولى العلم وإن وجد في غيرهم فبحكم الإلحاق والتشبيه كقوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] وعلى هذا فأشرف الجمعين جمع السلامة، وما يجمع جمع التكرير من مذكر غير العاقل قد يتبع بالصفة المفردة مؤنثه بالتاء، كما يفعل بالخبر تقول : حقوق معقودة وأعمال محسوبة، قال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْوَعَةٌ ﴿٣٧﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿٣٨﴾ وَمَنَارٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿٣٩﴾ وَرِزَاقٌ مَبْنُوءَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الغاشية : ١٣-١٦] .
وقال تعالى : ﴿ أَنبِيَاءًا مَّقْدُودَةً ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقد يجمع بالألف والتاء في غير المفرد، وإن لم يكن إلا أنه فصيح ومنه : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَاتِهِ مَقْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

قاعدة نحوية

نون ضمير الجمع في جمع العلاقات سواء القلة كالهنديات أو الكثرة كالهنود، فتقول : الهنديات يقمن، والهنود يقمن قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] هذا هو الأكثر .
وقد جاء في القرآن بالإفراد، قال تعالى : ﴿ وَأَرْوَاهُ مِطْهَرَةً ﴾ [آل عمران : ١٥] ولم يقل : «مطهرات» .

وأما جمع غير العاقل ففيه تفصيل :

إن كان للكثرة أتيت بضميره مفردًا فقلت : الجذوع انكسرت، وإن كان للقلة أتيت جمعًا .
وقد اجتمعا في قوله : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٦] إلى أن قال : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ [التوبة : ٣٦] فالضمير في «منها» يعود إلى «الاثني عشر» وهو جمع كثرة ولم يقل : «منهن» ثم قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَقْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] فهذا عائد إلى الأربعة وهو جمع قلة .

(١) كلمة مطموسة في الأصل .

فإن قيل: فما السر في هذا حيث كان يؤتى مع الكثرة بضمير المفرد، ومع القلة بضمير الجمع وهلا عكس؟

قلنا: ذكر الفراء له سرًا لطيفا فقال ^(١): لما كان المميز مع جمع الكثرة واحداً، وحد الضمير؛ لأنه من أحد عشر يصير مميزه واحد، وهو [أندرههم] ^(٢) وأما جمع القلة فمميزه جمع؛ لأنك تقول: ثلاثة دراهم أربعة دراهم وهكذا إلى العشر، تميزه جمع؛ فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميز جمعاً وإفراداً، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] فأتى بجمع القلة ولم يقل «بحور» لتناسب نظم الكلام، وهذا هو الاختيار في إضافة العدد إلى جمع القلة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَقْتُ بَرِّيَصَتٍ يَأْفُكُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوعٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فأضاف الثلاثة إلى القروء وهو جمع كثرة، ولم يضيفها إلى الأقراء التي هي جمع قلة قال الحريري: المعنى لتتربص كل واحد منهن ثلاثة أقراء، فلما أسند إلى جماعتهن ثلاثة والواجب على كل فرد منهن ثلاثة أتى بلفظ «قروء» لتدل على الكثرة المرادة والمعنى الملموح.

قاعدة في الضمائر

وقد صنف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين وفيه مباحث:
الأول: للعدول إلى الضمائر أسباب:

منها - وهو أصل وصفها - للاختصار، ولهذا قام قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] مقام خمسة وعشرين لو أتى بها مظهرة.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] نقل ابن عطية ^(٣) عن مكّي أنه ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، وهي مشتملة على خمسة وعشرين ضميراً، وقد قيل في آية الكرسي: أحد وعشرون اسماً ما بين ضمير وظاهر.

ومنها: الفخامة بشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته، كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] يعني القرآن وقوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] ومنه ضمير الشأن.

ومنها: التحقير كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] يعني الشيطان.

وقوله: ﴿إِنَّهُ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤].

(٢) في م: الدرهم.

(١) معاني القرآن (١/٤٣٥).

(٣) المحرر الوجيز (٤/١٧٩).

الثاني: الأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير بدليل الأكثرية وعدم التكليف، ومن ثم ورد قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢] [ق/ ٢٥٢] وتقدم المفعول الثاني في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ١١٢] فأخر المفعول الأول ليعود الضمير الأول عليه لقربه.

وقد قسم النحويون ضمير الغيبة إلى أقسام:

أحدها: وهو الأصل أن يعود إلى شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة نحو: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [هود: ٤٢].

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْفُومًا لَّنَّ يَكْفُرُ بِهَا﴾ [النور: ٤٠].

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الاحقاف: ٢٩].

الثاني: أن يعود على مذكور في سياق الكلام، مؤخر في اللفظ مقدم في النية كقوله تعالى: ﴿فَأَرْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ [طه: ٦٧].

وقوله: ﴿وَلَا يُسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصاص: ٧٨].

وقوله: ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يُسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لَأَنْشَأَ لَكُم بَرَآءَةً﴾ [الرحمن: ٣٩].

الثالث: أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمن، كقوله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فإنه عائد على العدل المفهوم من ﴿أَعْدِلُوا﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] فالضمير يرجع للأكل؛ لدلالة ﴿تَأْكُلُوا﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨] إلى قوله: ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨] أي: المقسوم لدلالة القسمة عليه، ويحتمل أن يعود على ما تركه الوالدان والأقربون، لأنه مذكور وإن كان بعيداً.

الرابع: أن يدل عليه بالالتزام كإضمار النفس في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِي﴾ [القبامة: ٢٦] أضمر النفس لدلالة ذكر الحلقوم والترافي عليها.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني الشمس.

وقيل: بل سبق ما يدل عليها وهو العشي، لأن العشي ما بين زوال الشمس وغروبها والمعنى: إذ عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب.

وقيل: فاعل «توارت» ضمير «الصفات» ذكره ابن مالك وابن العربي في (الفتوحات) ويرجح أن اتفاق الضمائر أول من تخالفها وسنذكره في الثامن.

وكذا قوله: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْمًا فَوْسَطًا بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٤-٥] قيل: الضمير لمكان (الإغارة) بدلالة «العاديات» عليه فهذه الأفعال إنما تكون لمكان.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أضمير القرآن؛ لأن الإنزال يدل عليه.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَنَى لِمَنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَأُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] ف«عفى» يستلزم «عافيتا» إذ أغنى ذلك عن ذكره وأعيد الهاء من «إليه» عليه.

الخامس: أن يدل عليه السياق، فيضمير ثقة بفهم السامع كإضمار «الأرض» في قوله: ﴿مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَابِكَةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] وقوله: ﴿كُلُّ مَنَّ عَلَيْنَا فَا ن﴾ [الرحمن: ٢٦].

وجعل ابن مالك الضمير للدنيا، وقال: وإن لم يتقدم لها ذكر لكن تقدم ذكر بعضها، والبعض يدل على الكل.

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْرِبِينَ بِهِ سَمِرًا تَهَجُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] يعني القرآن أو المسجد الحرام.

وقوله: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]. ﴿يَتَأْتِي أَسْتَجْرَةً﴾ [القصص: ٢٦].

﴿وَلَا يُؤَيِّدُ لِكُلِّ وَا حِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُوسُ﴾ [النساء: ١١] الضمير يعود على الميت، وإن لم يتقدم له ذكر إلا أنه لما قال: ﴿يُؤَيِّدُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] علم أن ثم ميتًا يعود الضمير عليه.

وقوله: ﴿وَإِذَا حَصَرَ الْمَيْمَنَةَ﴾ [النساء: ٨] ثم قال: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨] أي: من الموروث، وهذا وجه آخر غير ما سبق.

وقوله: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ مَوَائِنِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا﴾ [البقرة: ٩] ولم يقل: «أخذها» ردًا للضمير إلى «شيئًا»؛ لأنه لم يقتصر على الاستهزاء بما يسمع من آيات الله، بل كان إذا سمع بعض آيات الله استهزأ بجميعها. وقيل: «شيئًا» بمعنى الآية، لأن بعض الآيات آية.

وقد يعود الضمير على الصاحب المسكوت عنه لاستحضاره بالمذكور، وعدم صلاحيته له كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ [يس: ٨] فأعاد الضمير للأيدي؛ لأنها تصاحب الأعناق في الأغلال، وأغنى ذكر الأغلال عن ذكرها.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمْرِهِ﴾ [فاطر: ١١] أي: من عمر غير المعمر، فأعيد الضمير على غير المعمر؛ لأن ذكر المعمر يدل [عليه] ^(١) لتقابلهما فكان يصاحبه الاستحضار الذهني.

(١) في م: عليهما.

وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً﴾ [النساء: ١١] بعد قوله: ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

وقوله: ﴿وَالْمُؤَلَّمِينَ أَحَقُّ بِرِزْقِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإنه عائد على المطلقات، مع أن هذا خاص بالرجعي، وهل يقتضي ذلك تخصيص الأول؟ فيه خلاف أصولي. وقوله: ﴿وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فإن الفضة بعض المذكور، فأغنى ذكرها عن ذكر الجميع حتى كأنه قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: ٣٤] أصناف ما يكتنز.

وقد يعود على اللفظ الأول دون معناه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنَ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنَ عُمْرٍ﴾ [فاطر: ١١] وقد سبق فيه وجه آخر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣] على أحد الأقوال.

ومما يتخرج عليه: ﴿وَالْمُؤَلَّمِينَ أَحَقُّ بِرِزْقِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ويستراح من إلزام تخصيص الأول. وقد يعود على المعنى، كقوله في آية الكلاله: ﴿فَإِنْ كَانَتْ أَثْمَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦] ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه الضمير من «كانتا»، قال الأخفش: إنما يثنى؛ لأن الكلام لم يقع على الواحد والاثنين والجمع، فثنى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى كما يعود الضمير جمعاً في «من» حملاً على معناها.

وقال الفارسي: إنما جازت من حيث كان يفيد العدد مجرداً من الصغير والكبير. السادس: ألا يعود على مذکور ولا معلوم بالسياق أو غيره، وهو الضمير المجهول الذي يلزمه التفسير بجمله أو مفرد، فالمفرد في نعم وبئس، والجمله ضمير الشأن والقصة نحو: هو زيد منطلق وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أي الشأن الله أحد.

وقوله: ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨].

وقوله: ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: ١٤].

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦].

وقد يكون مؤنثاً إذا كان عائده مؤنثاً، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩] وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ جَحِيمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [طه: ٧٤] فذكر الضمير مع اشتمال الجملة على جهنم، وهي مؤنثة؛ لأنها في حكم الفضلة إذ المعنى من يأت ربه مجرماً يجز جهنم^(١).

(١) سقط من م.

تنبيه:

والفرق بينه وبين ضمير الفصل، أن الفصل يكون على لفظ الغائب والمتكلم والمخاطب، قال تعالى: ﴿هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنفال: ٣٢]: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ﴾ [المائدة: ١١٧]: ﴿إِنْ تَكْرِهْنَا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٩] ويكون له محل من الإعراب، وضمير الشأن لا يكون إلا غائبًا ويكون مرفوع المحل ومنصوبه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]: ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا قَوْمٌ عَبْدٌ لَلَّهِ﴾.

البحث الثالث: قد يعود على لفظ شيء والمراد به الجنس من ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [البقرة: ٢٥] فإن الضمير في «به» يرجع إلى المرزوق في الدارين جميعًا؛ لأن قوله: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] مشتمل على ذكر ما رزقوه في الدارين. قال الزمخشري^(١): ونظيره: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] أي: بجنس الفقير والغني، لدلالة قوله: ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] على الجنسين ولو رجع إلى المتكلم به لوحدَه.

البحث الرابع: قد يذكر شيان ويعاد الضمير على أحدهما، ثم الغالب كونه للثاني، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥] [ق/ ٢٥٣] فأعاد الضمير للصلاة؛ لأنها أقرب.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥] والأصل: «قدرهما» لكن اكتفى برجوع الضمير للقمر لوجهين: قربه من الضمير وكونه هو الذي يعلم به الشهور ويكون به حسابها.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] أعاد [الضمير]^(٢) على الفضة لقربها.

ويجوز أن يكون إلى الكنوز وهو يشملها.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢] أراد يرضوهما فخص الرسول بالعائد؛ لأنه هو داعي العباد إلى الله وحقته عليهم والمخاطب لهم شفاهًا بأمره ونهيه، وذكر الله تعالى في الآية تعظيمًا، والمعنى تام بذكر الرسول وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨] فذكر الله تعظيمًا والمعنى تام بذكر رسوله.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وجعل منه ابن الأنباري: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيئَةٍ﴾ [النساء: ١١٢] أعاد

(٢) سقط من م.

(١) الكشاف (١/١٠٣-١٠٦).

الضمير للإثم لقربه، ويجوز رجوعه إلى الخطيئة والإثم على لفظها بتأويل: ومن يكسب إثماً ثم يرم به.

وقال ابن الأنباري: ولم يؤثر الأول بالعائد في القرآن كله، إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] معناه إليهما، فخص التجارة بالعائد؛ لأنها كانت سبب الانفضاض عنه وهو يخطب.

قال: فأما كلام العرب فإنها تارة تؤثر الثاني بالعائد، وتارة الأول فتقول: إن عبدك وجاريتك عاقلة، وإن عبدك وجاريتك عاقل.

قلت: ليس من هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرِهِ يَوْمَ بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢] لأن الإخبار عن أحدهما لوجود لفظه أو هي لإثبات أحد المذكورين، فمن جعله نظير هذا فلم يصب إلا أن يدعى أن «أو» بمعنى الواو.

وفي هاتين الآيتين لطيفة، وهي أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في الآية الأولى على التجارة، وإن كانت أبعد ومؤنثة؛ لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو، بدليل أن المشتغلين بها أكثر من اللهو، ولأنها أكثر نفعاً من اللهو أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً؛ لأنه ضُرب بالطبل لقدمها على ما عرف من تفسير الآية، وأعاده في الآية الثانية على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير.

الخامس: قد يذكر [الضمير] ^(١) شيئان ويعود الضمير جمعاً ^(٢)؛ لأن الاثنين جمع في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يعني: حكم سليمان وداود.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] فأوقع أولئك، وهو جمع على عائشة وصفوان بن المعطل.

البحث السادس: قد يشي الضمير ويعود على أحد المذكورين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُورُ وَالرَّجْمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢] قالوا: وإنما يخرج من أحدهما.

وقوله: ﴿فِيهَا حُوقُهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] وإنما نسيه الفتى.

السابع: قد يجيء الضمير متصلًا بشيء وهو لغيره كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] يعني: آدم ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٣] فهذا الولده؛

(١) سقط من المطبوع.

(٢) هذا راجع إلى الخلاف في أقل الجمع: هل هو اثنان أم ثلاثة؟

لأن آدم لم يخلق من نطفة .

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] قيل: نزلت في ابن حذافة (١) حين قال للنبي ﷺ: [من أبي] (٢) ؟ قال: حذافة فكان نسبه، فسأه ذلك فنزلت: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ . وقيل: نزلت في الحج حين قالوا: أفي كل عام مرة؟ ثم قال: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] يريد إن تسألوا عن أشياء أخر من دينكم بكم إلى علمها حاجة تبد لكم، ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٢] أي طلبها والسؤال عنها طلب، فليست الهاء راجعة لأشياء متقدمة بل لأشياء أخر مفهومة من قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ ويدل على ما ذكرنا أنه لو كان الضمير عائداً على أشياء مذكورة لتعدى إليها بـ «عن» لا بنفسه، ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به .

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمَسْلُوبِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] يتبادر إلى الذهن أن الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾ عائذ لإبراهيم؛ لأنه أقرب المذكورين، وهو مشكل لا يستقيم؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ راجع للقرآن، وهو لم يكن في زمن إبراهيم ولا هو قاله . والصواب: أن الضمير راجع إلى الله سبحانه يعني: ﴿سَمَنُكُمْ الْمَسْلُوبِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يعني] (٣) في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلكم، وفي هذا الكتاب الذي أنزل عليكم وهو القرآن .

والمعنى: جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم، وهو سماكم المسلمين من قبل .

وفي هذا الكتاب لتكونوا أي: سماكم وجعلكم مسلمين لتشهدوا على الناس يوم القيامة .

وقوله: ﴿ثُمَّ لَئِنْ آيَكُمُ إِزْهِيَةٌ﴾ منصوب بتقدير «اتبعوا» ، لأن هذا الناصب نصبه قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] لأن الجهاد من ملة إبراهيم .

وفي سورة يس موضعان توهم فيهما كثير من الناس :

أحدهما قوله: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَيْلٌ نَسَلُحُ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] ، فقد يتوهم أن الضمير في «هم» راجع إلى الليل والنهار، بناء على أن [أقل الجمع] (٤) اثنان، وهو فاسد لوجهين: أحدهما: أن النهار ليس مظلمًا . والثاني: أن كون أقل الجمع اثنان مذهب مرجوح، إنما الضمير راجع إلى الكفار الذين يحتج عليهم بالآيات و﴿مُظْلِمُونَ﴾: داخلوا الظلام

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٥) ومسلم (٢٣٥٩) .

(٢) في م: من أنا .

(٣) في م: أجمع أقل .

كقولك: «مصبحون» و «ممسون» إذا دخلوا في هذه الأشياء .

والثاني: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس:

٨١] يظن بعضهم أن معناه مثل السموات والأرض، وهو فاسد لوجهين:

أحدهما: أنهم أنكروا إعادة السموات والأرض حتى يدل على إنكارهم إعادتهما بابتدائهما، وإنما أنكروا إعادة أنفسهم، فكان الضمير راجعاً إليهم ليتحقق حصول الجواب لهم والرد عليهم .

الثاني: لتبين المراد في قوله: ﴿وَلَمْ يَعْ يَخْلُقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [الاحقاف: ٣٣] .

فإن قيل: إنما أثبت قدرته على إعادة مثلهم لا على إعادتهم أنفسهم، فلا دلالة فيه عليهم! .

قلنا: المراد «بمثلهم» [هم] ^(١) كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [النورى: ١١] وقولهم: مثلى لا يفعل كذا، أي أنا وبدليل الآية الأخرى .

وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] قد يتوهم عوده على الله، وليس كذلك وإلا لنصب «العمل» كما تقول: قام زيد وعمراً يضربه، وإنما الفاعل في «يرفعه» عائد إلى العمل والهاء [للکلم] ^(٢) .

قال الفارسي في «التذكرة»: [الضمير] ^(٣) المنصوب في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائد [للکلم] ^(٤)؛ لأن الكلم جمع كلمة قال: كلم كالشجر في أنه قد وصف بالمفرد في قوله: ﴿مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ وكذلك وصف الكلم بالطيب، ولو كان الضمير المنصوب في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائداً إلى «العمل» [لكان منصوباً في هذا الوجه، وما جاء التنزيل عليه من نحو: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١] .

والضمير المرفوع في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائد إلى «العمل» ^(٥)، فلذلك ارتفع العمل ولم يحمل على قوله: «يصعد» ويضم له فعل ناصب كما أضمرت لقوله: «والظالمين» والمعنى: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، ومعنى «يرفع العمل» أنه لا يحبط ثوابه فيرفع لصاحبه ويثاب عليه، [ق/ ٢٥٤] وليس كالعمل السيئ الذي يقع معه الإحباط فلا يرفع إلى الله سبحانه .

الثامن: إذا اجتمع ضمائر فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف،

(١) سقط من م .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من م .

(٤) في م: للمتكلم .

(٥) في م: للمتكلم .

[ولهذا لما جوز] ^(١) بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الْأَثَابُوتِ . . .﴾ [طه: ٣٩] . . . إلخ أن الضمير في ﴿فَأَقْدِفِيهِ فِي آيَةٍ﴾ للتأبوت وما بعده، وما قبله لموسى عابه الزمخشري وجعله تنافراً وخرجاً للقرآن عن إعجازه فقال ^(٢): والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التأبوت فيه هجئة لما [يؤدي] ^(٣) إليه من تنافر [النظر] ^(٤).

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التأبوت، وكذلك الملقى إلى الساحل!

قلت: ما ضرك لو جعلت المقذوف والملقى إلى الساحل ^(٥) هو موسى في جوف التأبوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو [قوام] ^(٦) إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر. انتهى ولا مزيد على حسنه.

وقال في قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] الضمائر لله عز وجل، والمراد بتعزيز الله تعزير دينه ورسوله، ومن فرق الضمائر فقد أبعده ^(٧).

أي: فقد قيل: إنها للرسول إلا الأخير لكن قد يقتضي المعنى التخالف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا سَتَقِفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢] الهاء والميم في ﴿فِيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] لأصحاب الكهف، والهاء والميم في ﴿مِنْهُمْ﴾ لليهود، قاله ثعلب والمبرد.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] بعد قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُكُمْ﴾ [النحل: ١٠٠].

وقوله: ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سبا: ٤٥].

وقوله: ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] أي: عمروا الأرض الذين كانوا قبل قريش أكثر مما عمرتها قريش.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ . . .﴾ الآية [التوبة: ٤٠] فيها اثنا عشر ضميراً، خمسة للنبي ﷺ وله . . . والثالث: ضمير ﴿فِي الْفَكَارِ﴾؛ لأنه يتعلق باستقرار محذوف فيحتمل ضميراً، والرابع ﴿صَاحِبُهُ﴾، والخامس ﴿لَا تَحْزَنَ﴾، والسادس ﴿مَعْنَاً﴾ والسابع في ﴿عَلَيْهِ﴾ على قول الأكثر فيما نقله السهيلي؛ لأن السكينة على النبي ﷺ دائماً؛ لأنه كان قد

(١) في م: وهذا المأجور.

(٢) الكشاف (٦٣/٣).

(٣) في م: يدعو.

(٤) سقط من م.

(٥) في م: التكلم.

(٦) الكشاف (٣٣٥/٤).

(٧) سقط من م.

علم أنه لا يضره شيء إذا كان خروجه بأمر الله .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٢٦] فالسكينة نزلت على النبي ﷺ يوم حنين، لأنه خاف على المسلمين، ولم يخف على نفسه فنزلت عليه السكينة من أجلهم لا من أجله .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَنسَنُهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: ٤٢] قيل : الضميران عائدان على يوسف، [أي فأنسى الشيطان يوسف أن يذكر ربه تعالى قيل يعودان على المعنى الذي ظن يوسف أنه ناجٍ] ^(١) قال للناجي : ذكر الملك بأمرى .

ورجح ابن السيد هذا لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا بِهَا وَذَكَرَ بَعْدَ امْتِوَاءِ ﴾ [يوسف: ٤٥] أي بعد حين .

وفي قراءة ابن عامر «بعد أمة» بالتخفيف أي : نسيان، وإلا لم يكن ليذكر تذكر الفتى بعد النسيان، والذكر على هذا يحتمل وجهين : أن يكون بمعنى التذكير ويكون مصدر ذكرته ذكراً فالتقدير : فأنساه الشيطان ذكره عند ربه، فأضاف الذكر إلى الرب، وهو في الحقيقة مضاف إلى ضمير يوسف، وجاز ذلك للملاءمة بينهما .

وقد يخالف بين الضمائر حذراً من التنافر، كقوله تعالى : ﴿ يٰٓمَنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] كما عاد الضمير على «الاثني عشر» ثم قال : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦] لما أعاد على «أربعة» وهو جمع قلة .

وجوز بعضهم عوده على «الاثني عشر» أيضاً، بل هو الصواب؛ لأنه لا يجوز أن ينهى عن الظلم في الأربعة، ويبح الظلم في الثمانية بل ترك الظلم في الكل واجب . قلت : لكن يجوز التنصيص على أفضلية الحرم، فإن الظلم قبيح مطلقاً وفيه أقبح فالظاهر الأول .

التاسع : قد يسد مسد الضمير أمور :

منها : الإشارة كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[الإسراء: ٣٦] .

ومنها : الألف واللام كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١٠﴾ وَآثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿١١﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٣﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١] .

وقوله : ﴿ حُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَسْبِيحِ الرُّسُلِ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أي رسلك .

(١) سقط من المطبوع .

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] أصل الكلام أجره وصبره، ولما كان المحسنون جنسًا، «ومن يتق ويصبر»^(١) واحد تحت أغنى عمومه من عود الضمير إليه.

وقول الكوفيين: الألف واللام عوض من الضمير.

قال ابن مالك: وعليه يحمل قوله: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] وزعم الزمخشري أن ﴿الْأَبْوَابُ﴾ بدل من المستكن في ﴿مَّفْتَحَةٌ﴾.

وهذا تكلف، فوجب أن تكون «الأبواب» مرتفعة «بمفتحة» المذكور أو بمثله مقدرًا.

وقد صح أن ﴿مَّفْتَحَةٌ﴾ صالح للعمل في الأبواب فلا حاجة إلى إبدال أيضًا.

ومنها: الاسم الظاهر بأن يكون المقام يقتضي الإضمار، فيعدل عنه إلى الظاهر وقد سبق الكلام عليه في أبواب التأكيد.

العاشر: الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور، ولنا أصل آخر وهو أنه إذا جاء مضاف ومضاف إليه وذكر بعدهما ضمير عاد إلى المضاف؛ لأنه المحدث عنه دون المضاف إليه نحو: لقيت غلام زيد فأكرمته فالضمير للغلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وعند التعارض راعى ابن حزم والماوردي الأصل الأول، فقالا: إن الضمير في قوله: ﴿أَوْ لَحْمٍ خِزِيرٍ فَإِنَّكُمْ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] يعود على الخنزير دون لحمه لقربه، وقواه بعض المتأخرين؛ لأن الضمير للمضاف دون المضاف إليه ليس بأصل مطرد، فقد يعود إلى المضاف إليه كقوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وكذا الصفة، فإنها كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

وللجمهور أن يقولوا: وكذا عوده للأقرب ليس بمطرد فقد يخرج عن الأصل للدليل، وإذا تعارض الأصلان تساقطا ونظر في الترجيح من خارج، بل قد يقال: عوده إلى ما فيه العمل بهما أولى كما يقوله الماوردي: إن الضمير يعود إلى الخنزير؛ لأن اللحم موجود فيه.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَهُمْ مِمَّا خَضَبْتُمْ﴾ [الشعراء: ٤] فأخبر «خاضعين» عن المضاف إليه، ولو أخبر عن المضاف لقال: «خاضعة» [أو خاضعًا أو خواضع، وإنما حسن ذلك؛ لأن خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم]^(٢)

(١) سقط من م.

(٢) سقط من المطبوع.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ [غافر: ٣٧] فقد عاد الضمير في قول المحققين للمضاف إليه وهو موسى والظن بفرعون، وكأنه لما رأى نفسه قد غلط في الإقرار بالإلهية من قوله: ﴿ إِنَّكَ مُؤَمَّنٌ ﴾ استدرك ذلك بقوله هذا.

الحادي عشر: إذا عطف بـ «أو» وجب إفراد الضمير، نحو: إن جاء زيد أو عمرو فأكرمه؛ لأن «أو» لأحد الشئين، فأما قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَآلَهُ أَوْ كَيْسًا ﴾ [النساء: ١٣٥] فقيل: إن «أو» بمعنى الواو وقيل: بل المعنى إن «يكن الخصمان» فعاد الضمير على المعنى. وقيل: للتنويع لا للعطف وعكس هذا إذا عطف بالواو وجب ثنية الضمير [ق/ ٢٥٥]. فأما قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] فقد سبق الكلام عليه.

فائدة:

قوله: ﴿ إِيَّاهُ عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾ [النازعات: ٤٦] أي: وضحى يومها، فدل بالجزء على الكل (١). قال الشيخ عز الدين: وإنما أضاف الضحى إلى نهار العشية، لأنه لو أطلقها من غير إضافة لم يحسن الترديد بـ «أو» لأن عشية كل نهار من الظهر إلى الغروب، وهو نصف النهار، وضحاها مقدار رבעه مثلاً وهو مقدار نصف العشية، فلما أضافه إلى نهارها علم تقاربهما فحسن الترديد لإفادته الترديد بين اللبث الطويل والقصير، ولو أطلقه لجاز أن يتوهم عشية نهار قصير وضحى يوم طويل، فتساوى ذلك الضحى بالعشية فلا يحسن الترديد بينهما. فإن قيل: كيف يجمع بين قوله: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وهو الجزء اليسير من الزمان وبين الضحى والعشية وكيف حسن الترديد؟

فالجواب: إن هذا الحساب يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يعتقد طويلاً، ومنهم من يحسبه قصيراً قال تعالى: ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [طه: ١١٣] ثم قال: ﴿ إِذْ يَقُولُ آمَنَّا لَهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. وقد يكون بحسب شدة الأمر وخفته، ولبثتم يحتمل أن يكون في الدنيا ويحتمل أن يكون في البرزخ، والأول أظهر.

فائدة:

وقد يتجاوز بحذف الضمير للعلم به، كقوله: ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] أي بعثه وهو كثير.

ومنه قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٤] إلى قوله: ﴿ يَرِيضُونَ ﴾ إذا جعلناه الخبر

(١) انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص/ ٤٨-٥١).

فالأصل «يتربصن أزواجهن» فوضع الضمير موضع الأزواج لتقدم ذكرهن فأعنى عن الضمير .

فائدة:

المضمر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظاً أو مرتبة [أو لفظاً ومرتبة، ولا يكون قبل الظاهر لفظاً ومرتبة] ^(١) إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة، كما سبق وباب نعم وبئس كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِبَنَاتِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] و: ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ [الأعراف: ١٧٧] والضمير في «رَبُّهُ رَجُلًا» وباب الإعمال إذا عملت الثاني، والأول يطلب عمدة، فمذهب سيويه أنك تضمير في الأول فتقول: ضربوني وضربت الزيدين .

فائدة:

الضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس، فأما قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ال عمران: ٤٧] فضمير «له» عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غير موجود فتأويله أنه لما كان سابقاً في علم الله كونه كان بمنزلة المشاهد الموجود فصح عود الضمير إليه .

وقيل: بل يرجع للقضاء لدلالة «قضى» عليه، واللام للتعليل بمعنى «من أجل» كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدُونَ﴾ [العاديات: ٨] أي: من أجل حبه .

قاعدة فيما يتعلق بالسؤال والجواب

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجهاً، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السكاكي الأسلوب الحكيم .

وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال وأغفله المتكلم ^(٢) .
وقد يجيء أنقص لضرورة الحال .

مثال ما عدل عنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾ [البقرة: ١٨٩]
فعدل عن الجواب لما قالوا: ما بال الهلال يبدو رقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ فأجيبوا بما أجيبوا به لينتهوا على أن الأهم ما تركوا السؤال عنه .

[وكقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَاللَّذِينَ

(٢) ويسميه أهل العلم: جواب الحكيم .

(١) سقط من م .

وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ ﴿البقرة: ٢١٥﴾ سألوها عما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصروف؛ ^(١) تنزيلاً لسؤالهم منزلة سؤال غيره لينبه على ما ذكرنا؛ ولأنه قد تضمن قوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥] بيان ما ينفقونه وهو خير ثم زيدوا على الجواب بيان المصروف.

ونظيره: ﴿وَمَا تَلَكَ بِسَيِّئِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] فيكون طابق وزاد، نعم روى عن ابن عباس أنه قال: جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير، له مال عظيم فقال: ماذا أنفق من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت، فعلى هذا ليست الآية مما نحن فيه؛ لأن السائل لم يتعلق بغير ما يطلب بل أجيب ببعض ما سأل عنه.

وقال ابن القشيري: السؤال الأول كان سؤالاً عن النفقة إلى من تصرف، ودل عليه الجواب، والجواب يخرج على وفق السؤال، وأما هذا السؤال الثاني فعن قدر الإنفاق ودل عليه الجواب أيضاً.

ومن ذلك أجوبة موسى عليه السلام لفرعون حيث قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿[الشعراء: ٢٣-٢٤] لأن «ما» سؤال عن الماهية أو عن الجنس، ولما كان هذا السؤال خطأ، لأن المستول عنه ليس ترى ماهيته فتبين، ولا جنس له فيذكر عدل الكلیم عن مقصود السائل إلى الجواب بما يعرف الصواب عند كيفية الخطاب، ولا يستحق الجريان معه فأجابه بالوصف المنبه عن الظن المؤدي لمعرفة، لكنه لما لم يطابق السؤال [عنه] ^(٢) فرعون لجهله واعتقد الجواب خطأ: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥] فأجابه الكلیم بجواب يعم الجميع ويتضمن الإبطال لعين ما يعتقدونه من ربوبية فرعون لهم بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] فأجاب بالأغلظ وهو ذكر الربوبية لكل ما هو من عالمهم نصاً، ولما لم يرهم موسى عليه السلام نطفنوا غلظ عليهم في الثالثة بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فكانه شك في حصول عقلهم.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ولم يقل: «عن قتال في الشهر الحرام»؛ لأنهم لم يسألوا إلا من أجل القتال فيه فكان ذكره أولى!

قيل: لم يقع السؤال إلا بعد القتال، فكان الاهتمام بالسؤال عن هذا الشهر هل أبيع فيه القتال، وأعادته بلفظ الظاهر ولم يقل: «هو كبير» [ليعلم حكم] ^(٣) قتال وقع في الشهر الحرام.

وقد يعدل عن الجواب إذا كان السائل قصده التعنت، كقوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ﴾

(١) سقط من م.

(٢) سقط من م.

(٣) في م: عن.

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴿ [الإسراء: ٨٥] فذكر صاحب الإيضاح في خلق الإنسان: أن اليهود إنما سألو تعجيزاً وتغليظاً، إذا كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان وجبريل وملك آخر يقال له: الروح وصنّف من الملائكة والقرآن وعيسى، فقصده اليهود أن يسألوه فبأى يسمى أجابهم؟ قالوا: ليس هو فجاءهم الجواب مجملاً فكان هذا الإجمال كيداً يرسل به كيدهم .

وقيل: إنما سألوه عن الروح: هل هي محدثة مخلوقة أم ليست كذلك؟ فأجابهم بأنها من أمر الله، وهو جواب صحيح؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب ذلك أو يقول: «من أمر ربي»؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقها .

وقيل: إنهم سألوه عن الروح الذي هو في القرآن، فقد سمي [الله] ^(١) القرآن روحاً في مواضع من الكتاب، وحينئذ فوقع الجواب موقعه؛ لأنه قال لهم: الروح الذي هو القرآن من أمر ربي وما أنزله الله على نبيه، [بجعلها] ^(٢) دلالة وعلماً على صدقه، وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم .

وحكاه الشريف المرتضى في الغرر ^(٣) عن الحسن البصري قال: ويقويه قوله بعد هذه الآية: ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦] فكانه قال تعالى: إن القرآن من أمر ربي ولو شاء لرفعه .

ومثال الزيادة في الجواب، قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴿٧٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأْتُ عَلَيْهَا وَأَهْبَسَ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿٧٨﴾ [طه: ١٧-١٨] فإنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم يحدثه الله في العصا، فينبغي أن ينبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين الحاليين .

وكذا قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا قَعِيدٌ أَصْنَامًا فَظَلُّوا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٧٠-٧١] وحسنه إظهار الابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ السائل .

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴿٦٤﴾ [الأنعام: ٦٤] بعد قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ تَدْعُونَهُمْ تَضَرُّعًا . . . ﴿٦٣﴾ [الأنعام: ٦٣] ولولا قصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدم لقال: «ينجيكم الله» .

ومثال النقصان منه قوله تعالى ذاكرًا عن مشركي مكة: ﴿وَإِذَا تُنذِرَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرَهُ إِنَّا عَرِبٌ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي أَنفُسِي ﴿١٢﴾

(٢) في م: فيجعله.

(١) سقط من م.

(٣) (١٢/١).

البرهان في علوم القرآن

[يونس: ١٥] أي: انت بقرآن ليس فيه سب آلهتنا أو بدله، بأن تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة وليس فيه ذكر آلهتنا، فأمره الله أن يجيبهم على التبديل وطوى الجواب عن الاختراع، قال الزمخشري^(١): لأن التبديل في إمكان البشر، بخلاف الاختراع، فإنه ليس في المقدور فطوى ذكره للتنبية على أنه سؤال محال.

وذكر غيره أن التبديل قريب من الاختراع، فلهذا اقتصر على جواب واحد لهما .
وخطرت لي: أنه لما كان التبديل أسهل من الاختراع، وقد نفى إمكان التبديل كان الاختراع غير مقدور عليه من طريق أولى .

فائدة

قيل: أصل الجواب أن يعاد فيه نفس سؤال السائل، ليكون وفق السائل قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠] و«أنا» في جوابه عليه السلام هو أنت في سؤالهم .

وقال: ﴿ءَأَقْرَزْتَهُ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَأَيْنَا﴾ [ال عمران: ٨١] فهذا أصله ثم إنهم أتوا عوض ذلك محذوف الجواب اختصاراً وتركاً للتكرار .

وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْفَلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْفَلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤] فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد، فتعين أن يكون ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب سؤال كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله ﷺ وهو من ﴿يَبْدُوا الْفَلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؟ فأجابهم الله عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْفَلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فترك ذكر السؤال .

ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَىٰ آلْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] .

قاعدة:

الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال، فإن كان جملة اسمية فينبغي أن يكون الجواب [كذلك، ويحيى ذلك في] ^(٢) الجواب المقدر أيضاً إلا أن ابن مالك قال في قولك: من قرأ فتقول: زيد فإنه: من باب حذف الفعل على جعل الجواب جملة فعلية. قال: وإنما قدرته كذلك لا مبتدأ مع احتمالها جرياً على عادتهم في الأجوبة، إذا قصدوا تمامها قال تعالى: ﴿مَنْ يُعِزِّهِمْ وَهُوَ الْعَظِيمُ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ [يس: ٧٨-٧٩] .

(٢) سقط من م.

(١) الكشاف (٢/٣٣٤).

ومثله: ﴿لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]: ﴿قُلْ أُجِلَّ لَكُمْ الْوَعْدُ﴾ [المائدة: ٤] فلما أتى بالجملة الفعلية مع فوات مشاكلة السؤال، علم أن تقدير الفعل أولاً أولى. انتهى. وما رجح به أيضاً تقدير الفعل أنه حيث صرح بالجزء الأخير، صرح بالفعل والتشاكل ليس واجباً بل اللائق كون زيد فاعلاً، أي: قرأ زيد أو خبراً أي القارئ زيد لا مبتدأ؛ لأنه مجهول.

بقي أن يقال في الأولى: التصريح بالفعل [أو حذفه؟ وهل يختلف المعنى في ذلك؟]. والجواب: قال ابن يعيش: التصريح بالفعل أجود^(١).

وليس كما زعم، بل الأكثر الحذف وأما قوله تعالى: ﴿أُجِلَّ لَكُمْ الْوَعْدُ﴾ [المائدة: ٤] ﴿لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]: ﴿قُلْ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ [يس: ٧٩] فكان الشيخ شهاب الدين بن المرحل رحمه الله يجعله من باب ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] من أنهم أجيبوا بغير ما سألوا [عنه]^(٢) لنكتة.

وفيه نظر، وأما المعنى: فلا شك أنه يختلف فإنه إذا قيل: من جاء؟ فقلت: جاء زيد احتمال أن يكون جواباً، وأن يكون كلاماً مبتدأ ولو قلت: «زيد» كان نصاً في أنه جواب، وفي العموم الذي دلت عليه «من» وكأنك قلت: الذي جاء زيد فيفيد الحصر، وهاتان الفائدتان إنما حصلتا من الحذف.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْفَهَّارِ﴾ [غانر: ١٦] إذ التقدير: الملك لله الواحد، فحذف المبتدأ من الجواب؛ إذ المعنى لا ملك إلا لله.

ومن الحذف، قوله تعالى: ﴿لَمِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٨٤]: ﴿لَمِنَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٢]: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبا: ٢٤]. ومن الإثبات، قوله تعالى: ﴿قُلْ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

ولعله للتنصيص على الإحياء الذي أنكره: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ أَسْمِعِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] وقوله: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] لأن ظاهر أمرهم أنهم كانوا معطلة ودهرية، فأريد التنصيص على اعترافهم بأنها مخلوقة.

وقوله: ﴿نَبَأَ الْعَلِيمِ الْخَيْرِ﴾ [التحریم: ٣] لأنها استغربت حصول النبأ الذي أسرته. وقال ابن الزمكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأن «زيداً» فاعل إذا قلت: «زيد»

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

في جواب «من قام؟» على تقدير: قام زيد، والذي يوجهه جماعة علم البيان أنه مبتدأ لوجهين: [أولهما] ^(١): أنه مطابق للجملة التي هي جواب الجملة المستول بها في الاسمية، كما وقع التطابق في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرٌ﴾ [النحل: ٣٠] في الجملة الفعلية، وإنما لم يقطع التطابق في قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطُورٌ الْأَوَّلِيك﴾ [النحل: ٢٤] لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرين بالإنزال، وهم من الإذعان به على تفاوت.

الثاني: إن اللبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل، فوجب أن يقدم الفاعل في المعنى، لأنه متعلق بغرض السائل، وأما الفعل فمعلوم عنده، ولا حاجة إلى السؤال عنه فحرى أن يقع في الأخرى التي هي محل التكلمات والفضلات.

وكذلك [إذا قلت] ^(٢): أزيد قام أم عمرو؟ [فالوجه في جوابه: أن تقول: زيد قام أو عمرو قام] ^(٣) وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في جواب: [ق/ ٢٥٧] ﴿أَنْتَ قُلْتَ هَذَا يَبْأَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣] فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل ومع ذلك صدر الجواب بالفعل مع أنهم لم يستفهموا عن كسر الأصنام، بل كان عن الشخص الكاسر لها!

والجواب: أن ما بعد «بل» ليس بجواب للهمزة، فإن «بل» لا يصلح أن يصدر بها الكلام، ولأن جواب الهمزة بنعم أو بلى، فالوجه أن يجعل إخباراً مستأنفاً والجواب المحقق مقدر دل عليه سياق الكلام، ولو صرح به لقال: «ما فعلته بل فعله كبيرهم»، وإنما اخترنا تقدير الجملة الفعلية على الجملة المعطوفة عليها في ذلك.

فإن قلت: يلزم على ما ذكرت أن يكون الخلف واقعاً في الجملتين المعطوف عليها المقدر والمعطوفة الملفوظ بها بعد «بل»!

قلت: وإنه لازم على أن يكون التقدير: ما أنا فعلته بل فعله كبيرهم هذا، مع زيادته بالخلف عما أفادته الجملة الأولى من التعريض، إذ منطوقها نفي الفعل عن إبراهيم عليه السلام، ومفهومها إثبات حصول التكسير من غيره.

فإن قلت: ولا بد من ذكر ما يكون مخلصاً عن الخلف على كل حال.

(١) في م: أحدهما.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن في التعريض مخلصاً عن الكذب، ولم يكن قصده عليه السلام أن ينسب الفعل الصادر منه إلى الصنم حقيقة، بل قصده إثبات الفعل لنفسه على طريق التعريض، ليحصل غرضه من التبكيث، وهو في ذلك مثبت معترف لنفسه بالفعل، وليس هذا من الكذب في شيء.

والثاني: أنه غضب من تلك الأصنام غيرة لله تعالى، ولما كانوا أكبرها أشد تعظيماً كان منه أشد غضباً، فحمله ذلك على تكسيرها، وذلك كله حامل للقوم على الأنفة أن يعبدوه فضلاً عن أن يخصصوه بزيادة التعظيم، ومنبه لهم على أن المتكسرة متمكن فيها الضعف والعجز منادى عليها بالفناء، منسلخة عن ربة الدفع فضلاً عن إيصال الضرر والنفع، وما هذا سبيله حقيق أن ينظر إليه بعين التحقير لا التوقير، والفعل ينسب إلى الحامل عليه كما ينسب إلى الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب، إذ للفعل بهذه الأمور تعلقات وملابسات يصح الإسناد إليها على وجه الاستعارة.

الثالث: أنه لما رأى عليه السلام منهم [بادرة]^(١) تعظيم الأكبر لكونه أكمل من باقي الأصنام، وعلم أن ما هذا شأنه يصاب أن يشترك معه من دونه في التبجيل والتكبير، حمل ذلك على تكسيرها منبهاً لهم على أن الله أغير وعلى تحقيق الأكبر أقدر.

وحرى أن يخص بالعبادة، فلما كان الكبير هو الحامل على تكسير الصغير صحت النسبة إليه على ما سلف، ولما تبين لهم الحق رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤] إذ وضعت العبادة بغير موضعها.

وذكر الشيخ عبد القاهر: أن السؤال إذا كان ملفوظاً به فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحده، وإن كان مضمراً فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه فتعين أن يلفظ به.

وهو مشكل بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] [كأنه محمول على تقدير سؤال]^(٢) فيمن قرأها بفتح الباء^(٣) كأن قيل: من يسبحه؟ فقيل: يسبحه رجال، ونظيره: ضُرب زيد وعمرو على بناء «ضرب» للمفعول نعم الأولى ذكر الفعل لما ذكر،

(١) في م: زيادة.

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر [يُسَبِّحُ] بفتح الباء وقرأ الباقون: [يُسَبِّحُ] بكسر الباء، وكذلك حفص عن عاصم أيضاً. الحجة (٣٢٥/٥) والسبعة (ص/٤٥٦).

وعليه يخرج كل ما ورد في القرآن من لفظ «قال» مفصلاً غير منطوق به نحو: ﴿هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثٌ ضَبِيفٌ لِّإِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَّمًا قَالَ سَلَّمَ . . .﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥] كأنه قيل: فما قال لهم؟ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ ولذلك: قالوا: ﴿لَا تَحْفَظُ﴾.

وعلى هذه السياقة تخرج قصة موسى عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وعلى هذا كل كلام جاء فيه لفظة «قال» هذا المجيء غير أنه يكون في بعض المواضع أوضح كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ﴾ [الحجر: ٥٨] فإنه لا يخفى أنه جواب لقوله: ﴿فَمَا حَظَبْنَاكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧].

ومثله: ﴿وَأَضْرِبْ لَمْثًا مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣] إلى قوله: ﴿أَتَسْمِعُوا مِنْ لَّا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَجْرًا﴾ [الحجر: ٥٨].

فائدة

في أن أقل الأمم سؤالاً أمة محمد عليه السلام

نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما كان قوم أقل سؤالاً من أمة محمد ﷺ سأله عن أربعة عشر حرفاً فأجيبوا^(١).

قال الإمام^(٢): ثمانية منها في البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦]: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩] والباقي ستة فيها والتاسعة: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٤] في المائة.

والعاشرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

الحادي عشر في بني إسرائيل: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

الثاني عشر في الكهف: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْسِيِّ﴾ [الكهف: ٨٣].

الثالث عشر في طه: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].

الرابع عشر في النازعات: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [النازعات: ٤٢].

ولهذه [المسألة]^(٣) ترتيب، اثنان منها في شرح المبدأ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦] فإنه سؤال عن الذات، وقوله: ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩] سؤال عن

(١) أخرجه الدارمي (١٢٥) والطبراني في «الكبير» (١٢٢٨٨) وفيه عطاء بن السائب إلا أنه اختلط.

(٢) التفسير الكبير (٨٩/٥).

(٣) في م: الأسئلة.

الصفة، واثنان في الآخر في شرح المعاد، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥] وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الاعراف: ١٨٧].

ونظير هذا أنه ورد في القرآن سورتان أولهما: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١] في النصف الأول وهو السورة الرابعة وهي سورة النساء، والثانية في النصف الثاني وهي سورة الحج ثم ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الذي في الأول يشتمل على شرح [المبدأ] (١)، والذي في الثاني يشتمل على شرح حال.

فإن قيل: كيف جاء ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ثلاث مرات بغير واو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْأَعْرَابِ﴾ [البقرة: ٢١٧] : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ؟ .

قلنا: لأن سؤالهم عن الحوادث [الأول وقع متفرقاً عن الحوادث]، (٢) والآخر وقع في وقت واحد، فجاء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

[فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ«قل» نحو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِفُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ونظائره] (٣).

قيل: حذف للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء مستغن عن الوساطة، وهو دليل على أنه أشرف المقامات، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة، وفي غير حالة الدعاء تجيء الوساطة.

الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في نفس الأمر

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن شِرْكُهُمْ أِلَٰهٌ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] وقعت إضافة الشريك إلى الله سبحانه على ما كانوا يقولون؛ لأن القديم سبحانه أثبتته.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وقوله: ﴿لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] أي بزعمك واعتقادك.

(٢) سقط من م.

(١) في م: المعاد.

(٣) في م: فإن قيل: كيف جاء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ وعادة القرآن يجيء قل بـ«فأف»؟

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

وقوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] [ق/ ٢٥٨] أي: أنكم

لو علمتم قساوة قلوبكم لقلتم: إنها كالحجارة أو أنها فوقها في القسوة، ولو علمتم سرعة الساعة لعلمتم أنه في سرعة الوقوع كلمح البصر أو هو أقرب عندهم.

وأرسلناه إلى قوم هم من الكثرة بحيث لو رأيتموهم لشككتهم، وقلتم: مائة ألف أو يزيدون عليها.

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: ١١٧] ونحوه مما كان عند

المتكلم؛ لأنه لا يكون خلافه، فإنه كان على طمع ألا يكون منهم تكذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: بالنسبة

إلى ما يعتاده المخلوقون في أن الإعادة عندهم أهون من البداءة؛ لأنه أهون بالنسبة إليه سبحانه، فيكون البعث أهون عليه عندهم من الإنشاء.

وحكى الإمام الرازي في مناقب الشافعي قال: معنى الآية في «العبرة عندهم»؛ لأنه لما

قال للعدم: «كن» فخرج تاماً كاملاً بعينيه وأذنيه وسمعته وبصره ومفاصله، فهذا في العبرة أشد من أن يقول لشيء قد كان: «عد إلى ما كنت عليه»، فالمراد من الآية: وهو أهون عليه بحسب عبرتكم لا أن شيئاً يكون على الله أهون من شيء آخر.

وقيل: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود للخلق؛ لأنه يصاح بهم صيحة فيقومون، وهو أهون

من أن يكونوا نطقاً ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء.

وقوله: ﴿يَأْتِيَهُ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩] أي: يأتيها العالم الكامل، وإنما قالوا هذه تعظيماً

وتوقيراً منهم له؛ لأن السحر عندهم كان عظيماً وصنعة ممدوحة.

وقيل: معناه يأتيها الذي غلبنا بسحره كقول العرب: خاصمته فخصمته أي: غلبته

بالخصومة، ويحتمل أنهم أرادوا تعييب موسى عليه السلام بالسحر، ولم ينافسهم في مخاطبتهم به رجاء أن يؤمنوا.

وقوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ تَقْعَلُوا وَلَٰكِنْ تَقْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] جيء بـ«إن» التي للشك، وهو واجب

دون «إذ» التي للوجوب سوقاً للكلام على حسب حسابهم أن معارضته فيها للتهكم، كما يقوله الواصل بغلبته على من يعاديه: «إن غلبتكم» وهو يعلم أنه غالبه تهكماً به.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] والمراد به «من لا يخلق» الأصنام، وكان أصله كما لا يخلق؛ لأن «ما» لمن لا يعقل بخلاف «من» لكن خاطبهم على معتقدتهم؛ لأنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم، كقوله للأصنام: ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَنزَلَهُمْ آيَاتٍ...﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥] أجرى عليهم ضمير أولى العقل كذا قيل.

ويرد عليه، أنه إذا كان معتقدتهم خطأ وضلالة، فالحكم يقتضي ألا ينزعوا عنه، ويقنعوا لأنهم يبقوا عليه إلا أن يقال: الغرض من الخطاب الإيهام ولو خاطبهم على خلاف معتقدتهم فقال: «كما لا يخلق»، لاعتقدوا أن المراد به غير الأصنام من الجماد.

وكذا ما ورد من الخطاب بعسى ولعل، فإنها على بابها في الترجي والتوقع ولكنه راجع إلى المخاطبين. قال الخليل وسيبويه في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَأْتِيَنَّكَ لَمَلَةٌ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤] اذهبوا إلى رجائكما وطمعكما، لعله يتذكر عندكما، فأما الله تعالى فهو عالم بعاقبة أمره وما يؤول إليه؛ لأنه يعلم الشيء قبل أن يكون. وهذا أحسن من قول الفراء: إنها تعليلة أي كي يتذكر لما فيه من إخراج اللفظ عن موضعه.

ومنه: التعجب الواقع في كلام الله نحو: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] أي: هم أهل أن يتعجب منهم ومن طول تمكثهم في النار.

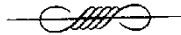
ونحوه: ﴿قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُ﴾ [عبس: ١٧] و: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

ومنه قوله تعالى في نعيم أهل الجنة وشقاء أهل النار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [مود: ١٠٧] مع أنهما لا يزولان، لكن التقييد بالسماء والأرض جرت عادة العرب إذا قصدوا الدوام أن يعلقوا بهما، فجاء الخطاب على ذلك.

تنبيه في التهكم

يقرب من هذا التهكم، وهو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، كقوله تعالى: ﴿ذُنُوبِكُمْ أَثَرُكُمْ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الدخان: ٤٩].

وجعل بعضهم منه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] مع العلم بأنه لا يحفظ من أمر الله شيء.



التأدب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله (١)

وأن الكل بيده كقوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ثم قال: ﴿عَبَّرَ الْمَنْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم.

وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [إل عمران: ٢٦] ولم يقل: «والشر» وإن كانا جميعاً بيده، لكن الخير يضاف إلى الله تعالى إرادة محبة ورضا، والشر لا يضاف إليه إلا إلى مفعولاته؛ لأنه لا يضاف إلى صفاته ولا أفعاله، بل كلها كمال لا نقص فيه، وهذا معنى قوله: «والشر ليس إليك» وهو أولى من تفسير من فسره: لا يتقرب به إليك.

وتأمل قوله: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤] فأضافه إلى نفسه، حيث صرفه؛ ولما ذكر السجن أضافه إليهم فقال: ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] وإن كان سبحانه هو الذي سبب السجن له، وأضاف ما منه الرحمة إليه، وما منه الشدة إليهم.

ومنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨١] ولم يقل: «أمرضني».

وتأمل جواب الخضر عليه السلام، عما فعله حيث قال في إجابة السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ [الكهف: ٧٩] وقال في الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ [الكهف: ٨١] وفي إقامة الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في كتاب «فك الأزرار عن عنق الأسرار»: لما أراد ذكر العيب للسفينة نسبة لنفسه أدباً مع الربوبية، فقال: «فأردت» ولما كان قتل الغلام مشترك الحكم بين المحمود والمذموم، استتبع نفسه مع الحق، فقال في الإخبار بنون الاستتباع ليكون المحمود من الفعل، وهو -راحة أبويه المؤمنين من كفره- عائداً على الحق سبحانه، والمذموم ظاهراً وهو -قتل الغلام بغير حق- عائداً عليه. وفي إقامة الجدار كان خيراً محضاً فنسبه للحق فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ ثم بين أن الجميع من حيث العلم التوحيدي من الحق بقوله: ﴿وَمَا قَلَّلَتْهُ عَنَّا أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

وقال ابن عطية (٢): إنما أفرد أولاً في الإرادة؛ لأنها لفظ غيب، وتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

(١) انظر: «متزلة الأدب» من «مدارج السالكين» لابن القيم.

(٢) المحرر الوجيز (٣/٥٣٧).

يَشْفِينِ ﴿ الشعراء: ٨٠ ﴾ فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله [تعالى]، وأسند المرض إلى نفسه؛ إذ هو معنى نقص ومعابة، وليس من جنس النعم المتقدمة.

وهذا النوع مطرد في فصاحة القرآن كثيرًا، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِهِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] وتقديم فعل الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾؟ [التوبة: ١١٨] وإنما قال الخضر في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ لأنه قد أراده الله وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين، وتمنى التبديل لهما، وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى؛ لأنها أمر مستأنف في الزمن الطويل غيب من الغيوب، فحسن أفراد [ق/٢٥٩] هذا الموضوع بذكر الله تعالى.

ومثله قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] فحذف الفاعل في إرادة الشر تأديبًا مع الله، وأضافوا إرادة الرشد إليه.

وقريب من هذا قوله تعالى حاكميًا عن يوسف عليه السلام في خطابه لما اجتمع أبوه وإخوته: ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: «من الحب» مع أن الخروج منه أعظم من الخروج من السجن.

وإنما آثر ذكر السجن لوجهين: ذكرهما ابن عطية ^(١):

أحدهما: إن في ذكر الحب تجديد فعل إخوته وتقرعهم بذلك وتجديد تلك الغوائل، والثاني: أنه خرج من الحب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، والنعمة هنا أوضح. انتهى. وأيضًا: ولأن بين الحالين بونًا من ثلاثة أوجه: قصر المدة في الحب وطولها في السجن، وأن الحب كان في حال صغره ولا يعقل فيها المصيبة، ولا تؤثر في النفس كتأثيرها في حال الكبر. والثالث: أن أمر الحب كان بغيًا وظلمًا لأجل الحسد، وأمر السجن كان لعقوبة أمر ديني هو منزه عنه، وكان أمكن في نفسه، والله أعلم بمراده.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَاهِرِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال: ﴿وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] فحذف الفاعل عند ذكر الرفث، وهو الجماع وصرح به عند إحلال العقد.

وقال تعالى: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَأَبْنَاؤَكُمْ وَأُمَّهَاتُ أُمَّهَاتِكُمْ وَأُمَّهَاتُ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتُ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتُ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتُ آبَائِكُمْ وَمَا أَهْلَ لِيَمِينِ اللَّهِ يَدِي﴾ [المائدة: ٣] فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور.

(١) المحرر الوجيز (٣/٢٨٢).

وقال: ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ونظائر ذلك كثيرة في القرآن.

وقال السهيلي في كتاب «الإعلام»^(١) في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مریم: ٥٢] وقال للنبي ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَنَا إِلَىٰ مَوْسَىٰ الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] والمكان المشار إليه واحد، قال: ووجه الفرق بين الخطابين أن الأيمن إما مشتق من اليمن وهو البركة، أو مشارك له في المادة، فلما حكاه عن موسى في سياق الإثبات أتى بلفظه ولما خاطب محمداً ﷺ في سياق النفي عدل إلى لفظ الغربي لئلا يخاطبه فيسلب عنه فيه لفظاً مشتقاً من اليمن، أو مشاركاً في المادة وفقاً بهم في الخطاب، وإكراماً لهما، هذا حاصل ما ذكره بمعناه موضح.

وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب.

وقال أيضاً في الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا . . .﴾ الآية [الأنبياء: ٨٧] أضافه هنا إلى «النون»، وهو الحوت وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَلَاحِيبَ لُؤَيِّتٍ﴾ [القلم: ٤٨] وسماه هنا «ذا النون» والمعنى واحد ولكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالين، وتنزيل الكلام في الموضوعين، فإنه حين ذكره في موضع الشفاء عليه، قال: ﴿ذا النون﴾ ولم يقل: «صاحب الحوت»، ولفظ النون أشرف لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء في أوائل السور نحو ﴿تَّ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] وقد قيل: إن هذا قسم بالنون والقلم وإن لم يكن قسمًا فقد عظمه بعطف المقسم به عليه، وهو القلم، وهذا الاشتراك يشرف هذا الاسم وليس في الاسم، وليس في اللفظ الآخر وهو الحوت ما يشرفه.

فالتفت إلى تنزيل الكلام في الآيتين يلح لك ما أشرت إليه في هذا، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض^(٢).

وقال الشيخ أبو محمد المرجاني في قوله تعالى: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] خاطبه بمقدمة الصدق مواجهة، ولم يقدم الكذب؛ لأنه متى أمكن حمل الخبر على الصدق لا يعدل عنه، ومتى كان يحتمل ويحتمل قدم الصدق ثم لم يواجهه بالكذب، بل أدمجه في جملة الكذابين أدباً في الخطاب.

ومثله: ﴿إِنْ كَانَتْ قِيمَتُهُمْ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧].

(٢) التنبيه والإعلام (ص/٨٣).

(١) (ص/٩٨-٩٩).

وكذا قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وهذان المثالان من باب إرخاء العنان للخصم، ليدخل في المقصود بالطف موعود.

قاعدة في ذكر الرحمة والعذاب في القرآن

من أساليب القرآن حيث ذكر الرحمة والعذاب، أن يبدأ بذكر الرحمة كقوله تعالى: ﴿يَعْفُؤْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [ال عمران: ١٢٩]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [نصت: ٤٣] وعلى هذا جاء قول النبي ﷺ حكاية عن الله تعالى: «إن رحمتي سبقت غضبي»^(١).
وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً.

منها: قوله في سورة المائدة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠]؛ لأنها وردت في ذكر قطاع الطريق والمحاربين والسراق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب؛ لهذا ختم آية السرقة بـ«عزيز حكيم» وفيه الحكاية المشهورة، وختمها بالقدرة مبالغة في الترهيب؛ لأن من توعدده قادر على إنفاذ الوعيد كما قاله الفقهاء في الإكراه على الكلام ونحوه.

ومنها: قوله في سورة العنكبوت: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١]؛ لأنها في سياق حكاية إنذار إبراهيم لقومه.

ومثلها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [قُلْ سِيرُوا فِي الْعَنكَبُوتِ: ١٩-٢٠] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وبعدها: ﴿بِمُعْجِزَاتِنَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

ومنها في آخر الأنعام قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ لأن سورة الأنعام كلها مناظرة للكفار [ووعيد لهم خصوصاً، وفي آخرها قبل هذه الآيات بيسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهو تهديد ووعيد إلى قوله: ﴿قُلْ أَعْتَرِ اللَّهُ أَنْبِيَاءَ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٦٤]... الآية وهو تفرغ للكفار^(٢) وإفساد لدينهم إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ خَلْقَكُمْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] فكان المناسب تقديم ذكر العقاب ترهيباً للكفار، وزجراً لهم عن الكفر والتفرق وزجراً للخلائق عن الجور في الأحكام.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٦) ومسلم (٢٧٥١).

(٢) سقط من م.

ونحو ذلك في أواخر الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]؛ لأنها في سياق ذكر معصية أصحاب السبت وتعذيبه إياهم، فتقديم العذاب مناسب. والفرق بين هذه الآية وآية الأنعام حيث أتى هنا باللام فقال: ﴿لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] دون هناك أن اللام تفيد التوكيد، فأفادت هنا تأكيد سرعة العقاب؛ لأن العقاب المذكور هنا عقاب عاجل، وهو عقاب بني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، لأنه في سياق قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِبِعَانٍ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] فتأكيد السرعة أفاد بيان التعجيل، وهو مناسب بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام، فإنه أجل بدليل قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهَا تَخْلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فاكتفى فيه بتأكيد «إن» ولما اختلفت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً، اختلفت بزيادة التأكيد لفظاً بـ«إن»، وجميع ما في القرآن على هذا اللفظ يناسبه التقديم والتأخير، وعليه دليان:

أحدهما: تفصيلي وهو الاستقراء، فانظر أي آية شئت تجد فيها مناسباً لذلك. والثاني: إجمالي وهو أن القرآن كلام أحكم الحكماء، فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة فوجب اعتباره كذلك، وهذان دليان عامان في مضمون هذه الفائدة وغيرها. وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ولم يقل: «ذو عقوبة شديدة»؛ لأنه إنما [ق/ ٢٦٠] قال ذلك نفيًا للاغترار بسعة رحمة الله في الاجترار على معصيته، وذلك أبلغ في التهديد معناه: لا تغتروا بسعة رحمة الله فإنه مع ذلك لا يرد عذابه. ومثله قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَتْ إِتْرَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥] وقد سبقت.

فائدة في الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل

وأن الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم على الاستقرار والثبوت، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر.

فمنه قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] لو قيل: «بسيط» لم يؤد الغرض؛ لأنه لم يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيء بعد شيء فـ«بَسِيطٌ» أشعر بثبوت الصفة.

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ بَرَزُوكُمْ﴾ [فاطر: ٣] لو قيل: «رازقكم» لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء؛ ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع مع أن العامل الذي يفيد ماض كقولك: جاء زيد يضرب وفي التنزيل: ﴿وَجَاءَهُمْ عِشَاءٌ يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] إذ

المراد^(١) أن يريد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء، وهذا هو سر الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول إلى صريح الفعل والمصدر.

ومن هذا يعرف لم قيل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١] ولم يقل: «المنفقين» في غير موضع؟ وقيل: كثيراً: «المؤمنون» و«المتقون»؛ لأن حقيقة النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف الإيمان فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها، وإن غفل عنها كذلك التقوى والإسلام، والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر، فمعناها أو معنى وصف الجارحة كل هذه لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمر وأثار تتجدد [وتنقطع]^(٢)، فجاءت بالاستعمالين إلا أن لكل محل ما يليق به، فحيث يراد تجدد حقائقها أو أثارها فالأفعال، وحيث يراد ثبوت الاتصاف بها فالأسماء، وربما بولغ في الفعل، فجاء تارة بالصيغة الاسمية كالمجاهدين، والمهاجرين والمؤمنين؛ لأنه للشأن والصفة هذا مع أن لها في القلوب أصولاً، وله ببعض معانيها التصاق قوي هذا التركيب، إذ القلب فيه جهاد الخواطر [وعقد العزائم على فعل الجهاد وغيره وفيه هجران الخواطر]^(٣) الرديئة والأخلاق الدنيئة، وعقد على فعل المهاجرة كما فيه عقد على الوفاء بالعهد، وحيث يستمر المعاهد عليه إلى غير ذلك.

وانظر هنا إلى لطيفة: وهو أن ما كان من شأنه ألا يفعل إلا مجازاة، وليس من شأنه أن يذكر الاتصاف به، لم يأت إلا في تراكيب الأفعال كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٥٤]: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص: ٥٩] فإن الإهلاك نوع اقتدار بين مع أن جنسه مقضى به على الكل، عالين وسافلين لا كالضلال الذي جرى مجرى العصيان.

ومنه قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الاعراف: ٢٠١]؛ لأن البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان ربما حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور، ولو قيل: «يبصرون» لأنبأ عن تجدد واكتساب فعل لا عود صفة.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] أتى بالماضي في خلق، لأن خلقه مفروغ منه وأتى بالفاء دون الواو؛ لأنه كالجواب؛ إذ من صَوَّرَ المنى قادر على أن يصيره ذا هدى، وهو للحصر؛ لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم تهديهم ثم قال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] فأتى بالمضارع لبيان تجدد الإطعام والسقيا، وجاءت الواو دون الفاء؛ لأنهم كانوا لا

(١) في م: فالمراد.

(٢) سقط من المطبوع.

يفرقون بين المطعم والساقى، ويعلمون أنهما من مكان واحد، وإن كانوا [يعلمون] (١) أنه من إله، وأتى به هو لرفع ذلك، ودخلت الفاء في ﴿فَهُوَ يَشْفِين﴾ [الشعراء: ٨٠]؛ لأنه جواب، ولم يقل: «إذا مرضت فهو يشفين» إذ يفوت ما هو موضوع لإفادة التعقيب ويذهب الضمير المعطى معنى الحصر، ولم يكونوا منكرين الموت من الله، وإنما أنكروا البعث فدخلت «ثم» لتراخي ما بين الإمامة والإحياء.

وقوله تعالى: ﴿أَدْعَوْهُمْ أَمْ أَمَّرْتُمْ صَمِيمًا﴾ [الأمراء: ١٩٣] لأن الفعل الماضي يحتمل هذا الحكم دائماً، ووقتاً دون وقت فلما قال: ﴿أَمْ أَمَّرْتُمْ صَمِيمًا﴾ أي: سكوتمكم عنهم أبداً ودعاؤكم إياهم واحد؛ لأن «صامتون» فيه مراعاة للفواصل، فهو أفصح وللمتكين من تطريفه بحرف المد واللين، وهو للطبع أنسب من صمتهم وصلاً ووقفاً.

وفيه وجه آخر، وهو أن أحد القسمين موازن للآخر فيدل على أن المعنى: «أنتم داعون لهم دائماً أم أنتم صامتون».

فإن قيل: لم لا يعكس؟

قلنا: لأن الموصوف الحاضر والمستقبل لا الماضي، لأن قبله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ [الأمراء: ١٩٣] والكلام بآخره، فالحكم به قد يرجح.

وقوله تعالى: ﴿أَحْسَبْنَا بِالْحَيِّ أَمَّ أَمَّتْ مِنَ اللَّعِينِ﴾ [الأنبياء: ٥٥] ولم يقل: «أم لعبت» لأن العاقل لا يمكن أن يلعب بمثل ما جاء به ظاهراً، وإنما يكون ذلك أحد رجلين: إما محق وإما مستمر على لهو الصبا وغي الشباب، فيكون اللعب من شأنه حتى يصدر عنه مثل ذلك، ولو قال: «أم لعبت» لم يعط هذا.

وقوله تعالى حاكباً عن المنافقين: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْمُرُ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] يريدون أحدثنا الإيمان وأعرضنا عن الكفر، ليروح ذلك خلافاً منهم كما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿يَخْتَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩].

وجاءت الاسمية في الرد عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنه أبلغ من نفي الفعل؛ إذ يقتضي إخراج أنفسهم وذواتهم عن أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين، وينطوي تحته على سبيل القطع نفي بما أثبتوا لأنفسهم من الدعوى الكاذبة على طريقة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] مبالغة في تكذيبهم؛ ولذلك أجيبوا بالباء، وكلامهم في هذا كما قيل:

(١) في م: يزعمون.

خلى من المعنى ولكن مفرق

وإذا قيل: «أنا مؤمن» أبلغ من «أمن» ونفي الأبلغ لا يستلزم نفي ما دونه وما حقيقة إخراج ذواتهم من جنس المؤمنين لم يرجع في البيان، إلا على عي أو ترويح ولكن ذم الله تعالى طائفة تقول: «آمنا» وهي حالة القول، ليست بمؤمنة بيانا؛ لأن هذا القول إنما صدر عنها ادعاء بحضور الإيمان، حالة القول والانتظام بذلك في سلك المتصفين بهذه الصفة، وهم ليسوا كذلك، فإذا ذمهم الله شمل الذم أن يكونوا آمنوا يوما ثم تخلوا، وأن يكونوا ما آمنوا قط من طريق الأولى والتعميم فقط، وأعلم به أن ذلك حكم من ادعى هذا الدعوى على هذه الحال، وبين أن هذا القول إنما قصدوا به التموية بقوله: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩٠] ولو قال: وما آمنوا لم يفد إلا نفيه عنهم في الماضي، ولم يفد ذمهم إن كانوا آمنوا ثم ارتدوا، وهذا أفاد نفيه في الحال، وذمهم بكل حال؛ ولأن ما فيه «مؤمنين» أحسن من «آمنوا» لوجود التمكين بالمد والوقف عقبه على حرف له موقف.

وأما قوله تعالى: [ق/١٦١] ﴿وَمَا هُمْ بِمُتَّعِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] دون «يخرجون» فقيل: ما سبق وقيل: استوى هنا «يخرجون» و«خارجين» في إفادة المعنى، واختير الاسم لخفته وأصالته. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]؛ [لأنهم مع المؤمنين يدعون حدوث الإيمان ومع شياطينهم] ^(١) يجبرون عن أنفسهم بالثبات على الإيمان بهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] قال الإمام فخر الدين الرازي ^(٢): لأن الاعتناء بشأن إخراج الحي من الميت لما كان أشد أتى بالمضارع ليدل على التجدد كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهٖمُ﴾ [البقرة: ١٥].

تفنيه:

مضمرة الفعل كمظهره في إفادة الحدوث، ومن هذه القاعدة قالوا: إن سلام الخليل عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة، حيث قال: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩] فإن نصب ﴿سَلَامًا﴾ إنما يكون على إرادة الفعل، أي سلمنا سلاما، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم؛ إذ الفعل تأخر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم، فإنه مرتفع بالابتداء، فافتضى الثبوت على الإطلاق، وهو أولى بما يعرض له الثبوت، فكأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به، اقتداء بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّاتٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

(١) سقط من المطبوع.

(٢) التفسير الكبير (٩٤/٢٥).

وذكروا فيه أوجهًا أخرى تليق بقاعدة الفلاسفة في تفضيل الملائكة على البشر، وهو أن السلام دعاء بالسلامة من كل نقص، وكمال البشر تدريجي فناسب الفعل، وكمال الملائكة مقارن لوجودها على الدوام، فكان أحق بالاسم الدال على الثبوت.

قيل: وهو غلط؛ لأن الفعل المنشأ هو تسليمهم، أما السلام المدعوبه فليس في موضوعه تعرض لتدرج وسلامه أيضًا منشأ فعل، ولا يتعرض للتدرج غير أن سلامه لم يدل بوضعه اللغوي وقوع إنشائه، ثم لو كان هذا المعنى معتبرًا لشرع السلام بيننا بالنصب دون الرفع.

تنبيه:

هذا الذي ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت، والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند البيانيين، وأنكر أبو المطرف بن [عميرة] (١) في كتاب الترميمات على كتاب التبيان لابن الزمكاني قال: هذا الرأي غريب ولا مستند له نعلمه، إلا أن يكون قد سمع أن في مقوله أن يفعل وأن يتفعل هذا المعنى من التجدد، فظن أنه الفعل القسيم للأسماء فغلط ثم قوله: الاسم يثبت المعنى للشيء عجيب، وأكثر الأسماء دلالتها على معانيها فقط، وإنما ذاك في الأسماء المشتقة، ثم كيف يفعل بقوله تعالى: ﴿فَمُ إِتَّكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿ثُمَّ إِتَّكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بُعُثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] وقوله في هذه السورة بعينها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٥٨] وقال ابن المنير: طريقة العرب تدبيح الكلام وتلوينه ومجيء الفعلية تارة، والاسمية أخرى من [غير] (٢) تكلف لما ذكروه، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء [الخلص] (٣)، اعتمادًا على أن المقصود الحاصل بدون التأكيد كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ [ال عمران: ٥٣] ولا شيء بعد ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين فقال: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

قاعدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ونحوها

جاء في التنزيل في موضع: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي موضع: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٦].

والأول: جاء في تسعة مواضع:

أحدها في الرحمن: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

والثاني: في أربع مواضع:

(٢) سقط من م.

(١) في م: عمرو. خطأ.

(٣) سقط من م.

أولها في يونس: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٦].
 وجاء قوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في أحد عشر موضعاً:
 أولها في البقرة: ﴿سُبْحَانَكَ يَا مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَدِينُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].
 وجاء قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] في ثمانية وعشرين موضعاً:
 أولها في آية الكرسي.

قال بعضهم: وتأملت هذه المواضع، فوجدت أنه حيث قصد التنصيص على الأفراد ذكر الموصول والظرف، ألا ترى إلى المقصود في سورة يونس من نفي الشركاء الذين اتخذوهم في الأرض، وإلى المقصود في آية الكرسي من إحاطة الملك، وحيث قصد أمر آخر لم يذكر الموصول، إلا مرة واحدة إشارة إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية، ألا ترى إلى سورة الرحمن المقصود منها علو قدرة الله تعالى وعلمه، وشأنه وكونه مستولاً ولم يقصد أفراد السائلين؟ فتأمل هذا الموضوع!

قاعدة في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ونحوها

قد يكون نحو هذا اللفظ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٢]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُرُغَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ١١٤] إلى غير ذلك. والمفسرون^(١) على أن هذا الاستفهام معناه النفي، فحينئذ فهو خبر وإذا كان خبر افتوهم بعض الناس أنه إذا أخذت هذه الآيات على ظواهرها أدى إلى التناقض، لأنه يقال: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد أظلم ممن افتري على الله كذباً، ولا أحد أظلم ممن ذكر بآيات [الله]^(٢) فأعرض عنها.

واختلف المفسرون^(٣) في الجواب عن هذا السؤال على طرق:

أحدها: تخصيص كل واحد في هذه المواضع بمعنى صلته، فكأنه قال: لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المفتريين أظلم ممن افتري على الله كذباً، وكذلك باقيةا، وإذا تخصص بالصلوات زال عنه التناقض.

(٢) سقط من م.

(١) انظر: «تفسير أبي حيان» (١/٣٥٧).

(٣) انظر: «تفسير أبي حيان» (١/٣٥٧).

الثاني: أن التخصيص بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله، حكم عليهم بأنهم أظلم من جاء بعدهم سالكاً طريقته، وهذا يثول معناه إلى السبق في المانعية، والافتراضية.

الثالث: وادعى الشيخ أبو حيان^(١) الصواب ونفى الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق، فلو قلت: ما في الدار رجل ظريف لم يدل ذلك على نفي مطلق رجل، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يلزم التناقض؛ لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية، لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنهم يتساوون في الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد [أظلم ممن افترى ومن كذب]^(٢) ونحوها ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيد وعمر وخالد لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر، بل نفي أن يكون أحدهم أفقه منهم.

لا يقال: إن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، ولم يفتر على الله كذباً أقل ظلماً ممن جمع بينهما فلا يكون مساوياً في الأظلمية، لأننا نقول: هذه الآيات كلها إنما هي في الكفار، فهم متساوون في الأظلمية وإن اختلفت طرق الأظلمية، فهي كلها صائرة إلى الكفر وهو شيء واحد لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لإفراد من اتصف به، وإنما تمكن الزيادة في الظلم بالنسبة لهم وللعصاة المؤمنين بجامع ما اشتركوا فيه من المخالفة، فتقول: الكافر أظلم من المؤمن، ونقول: لا أحد أظلم من الكافر [ق/٢٦٢] ومعناه أن ظلم الكافر يزيد على ظلم غيره. انتهى.

وقال بعض مشايخنا: لم يدع القائل نفي الظالمية فيقيم الشيخ الدليل على ثبوتها، وإنما دعواه أن «ومن أظلم ممن منع مثلاً»، والغرض أن الأظلمية ثابتة لغير ما اتصف بهذا الوصف، وإذا كان كذلك حصل التعارض، ولا بد من الجمع بينهما وطريقه التخصيص فيتعين القول به.

وقول الشيخ: إن المعنى «لا أحد أظلم ممن منع ومن ذكر» صحيح، ولكن لم يستفد ذلك إلا من جهة التخصيص؛ لأن الأفراد المنفي عنها الأظلمية في آية، وأثبتت لبعضها الأظلمية أيضاً في آية أخرى وهكذا بالنسبة إلى بقية الآيات الوارد فيها ذلك.

وكلام الشيخ يقتضي أن ذلك استفيد لا بطريق التخصيص، بل بطريق أن الآيات المتضمنة لهذا الحكم في آية واحدة، وإذا تقرر ذلك علمت أن كل آية خصت بأخرى، ولا حاجة إلى القول بالتخصيص بالصلوات ولا بالسبق.

(١) انظر السابق. (٢) في م: مما ذكره نحوها.

الرابع: طريقة بعض المتأخرين، فقال: متى قدرنا: «لا أحد أظلم»، لزم أحد الأمرين إما استواء الكل في الظلم، وأن المقصود نفي الأظلمية من غير المذكور لا إثبات الأظلمية له، وهو خلاف المتبادر إلى الذهن، وإما أن كل واحد أظلم في ذلك النوع، وكلا الأمرين إنما لزم من جعل مدلولها إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة أو نفيها عن غيره.

وهنا معنى ثالث: وهو أمكن في المعنى وسالم عن الاعتراض، وهو الوقوف مع مدلول اللفظ من الاستفهام والمقصود به أن هذا الأمر عظيم فظيع، قصدنا بالاستفهام عنه تخييل أنه لا شيء فوقه لامتلاء قلب المستفهم عنه بعظمته، امتلاء يمنعه من ترجيح غيره فكأنه مضطر إلى أن يقول: لا أحد أظلم، وتكون دلالته على ذلك استعارة لا حقيقة، فلا يرد كون غيره أظلم منه إن فرض، وكثيراً ما يستعمل هذا في الكلام إذا قصد به التهويل، فيقال: أي شيء أعظم من هذا إذا قصد إفراط عظمته؟ ولو قيل للمتكلم بذلك: أنت قلت: إنه أعظم الأشياء لأبى ذلك، فليفهم هذا المعنى، فإن الكلام ينتظم معه والمعنى عليه.

قاعدة في الجحد بين الكلامين

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨] قال صاحب الياقوتة: قال ثعلب والمبرد جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً، فمعناه إنما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام، ومثله: ما سمعت منك ولا أقبل منك مالاً وإذا كان في أول الكلام جحد، كان الكلام مجحوداً جحداً حقيقياً، نحو: ما زيد بخارج فإذا جمعت بين جحدين في أول الكلام كان أحدهما زائداً كقوله: ما ما قمت يريد «ما قمت» ومثله: ما إن قمت وعليه قوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] في أحد الأقوال.

قاعدة في الفاظ يظن بها الترادف وليست منه

ولهذا وزعت بحسب المقامات، فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد؛ ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الأفراد.

فمن ذلك: الخوف والخشية، لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف وهي أشد الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية إذا كانت يابسة، وذلك فوات بالكلية، والخوف من قولهم: ناقة خوفاء، إذا كان بهاء ذلك نقص وليس بفوات، ومن ثمة خصت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وفرق بينهما أيضًا بأن الخشية تكون من عظم المخشى وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرًا سيرًا، ويدل على ذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليها تدل على العظمة، قالوا: شيخ للسيد الكبير، والخيخ لما عظم من الكتان، والحاء والواو والفاء في تقاليها تدل على الضعف وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة وقال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ فإن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد، كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالمًا بالحساب، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال لموسى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠] أي: لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون.

فإن قيل: ورد ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ [النحل: ٥٠]

قيل: الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف فيصح أن يقول: يخشى ربه لعظمته، ويخاف ربه أي لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى.

وفيه لطيفة: وهي أن الله تعالى لما ذكر الملائكة، وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه، فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] فبين أنهم عند الله ضعفاء، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم، ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى فقال: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الانباء: ٤٩] ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] والمراد: فوقية بالعظمة.

ومن ذلك الشح والبخل، والشح هو البخل الشديد، وفرق العسكري بين البخل والظن بأن الظن أصله أن يكون بالعواري، والبخل بالهيئات؛ ولهذا يقال: هو ظنين بعلمه ولا يقال هو بخيل، لأن العلم أشبه بالعارية منه بالهيئة؛ لأن الواهب إذا وهب شيئًا خرج عن ملكه بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] ولم يقل: بـ«بخيل» ومن ذلك الغبطة والمنافسة، كلاهما محمود قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين»^(١) وأراد الغبطة، وهي تمنى مثل ما له من غير أن يغتم لنيل غيره، فإن انضم إلى ذلك الجد والتشمير إلى مثله أو خير منه فهو منافسة.

وقريب منها الحسد والحقد، فالحسد تمنى زوال النعمة من مستحقها، وربما كان مع سعي في إزالتها، كذا ذكر الغزالي هذا القيد أعنى الاستحقاق، وهو يقتضي أن تمنى زوالها عن من لا

(١) أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

يستحقها لا يكون حسداً .

ومن ذلك السبيل والطريق، وقد كثر استعمال السبيل في القرآن، حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع وخمسين موضعاً، أولها: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ولم يقع ذكر الطريق مراداً به الخير إلا مقترناً بوصف أو بإضافة مما يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠] .

ومن ذلك جاء وأتى، يستويان في الماضي، ويأتي أخف من يجيء، وكذا في الأمر جيئوا بمثله [أثقل من فأتوا بمثله] (١) ولم يذكر الله إلا يأتي ويأتون، وفي الأمر «فات» «فأتوا»؛ لأن إسكان الهمزة ثقيل لتحريك حروف المد واللين، تقول: جيئ أثقل من أتت .

وأما في الماضي ففيه لطيفة وهي: أن جاء يقال في الجواهر [ق/ ٢٦٣] والأعيان، وأتى في المعاني والأزمان، وفي مقابلتها ذهب ومضى يقال ذهب في الأعيان، ومضى في الأزمان، ولهذا يقال: حكم فلان ماض ولا يقال: ذاهب؛ لأن الحكم ليس من الأعيان وقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] ولم يقل مضى؛ لأنه يضرب له المثل بالمعاني المفتقرة إلى الحال، ويضرب له المثل بالأعيان القائمة بأنفسها، فذكر الله جاء في موضع الأعيان في الماضي، وأتى في موضع المعاني والأزمان .

وانظر قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ جَاءَهُ يَوْمَ يُبْعَثُ﴾ [يوسف: ٧٢]؛ لأن الصواع عين ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ [البقرة: ٨٩]؛ لأنه عين وقال: ﴿وَجَاءَهُ يَوْمَ يُبْعَثُ﴾ [الفجر: ٢٣]؛ لأنها عين .
وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الاعراف: ٣٤] فلأن الأجل كالمشاهد، ولهذا يقال: حضرته الوفاة وحضره الموت وقال تعالى: ﴿بَلْ حَسْبُكَ يَمَّا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٣] أي: العذاب؛ لأنه مرثي يشاهدونه وقال: ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤] حيث لم يكن الحق مرثياً .

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿أَتَيْنَا أُمَّرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤] وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْنَا﴾ [هود: ٥٨] فجعل الأمر آتياً وجائياً .

قلنا: هذا يؤيد ما ذكرناه فإنه لما قال: ﴿جَاءَ﴾ وهم ممن يرى الأشياء قال: ﴿جَاءَ﴾ أي: عياناً ولما كان الزرع لا يبصر ولا يرى قال: «أتاها» ويؤيد هذا أن جاء يعدى بالهمزة، ويقال: أجاهه قال تعالى: ﴿فَأَجَّاهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنْحِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣] ولم يرد آتاها، بمعنى أتت من الإتيان؛ لأن المعنى لا استقلال له حتى يأتي بنفسه، ومن ذلك الخطف والتخطف، لا

(١) سقط من م .

يفرق الأديب بينهما [والله تعالى فرق بينهما] ^(١) ، فتقول : خطف بالكسر لما تكرر ، ويكون من شأن الخاطف [الخطف] ^(٢) ، وخطف بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من شأنه الخطف بكلفة ، وهو أبعد من خطف بالفتح ، فإنه يكون لمن اتفق له على تكلف ولم يكن متوقفاً منه ، ويدل عليه أن فعل بالكسر لا يتكرر كعلم وسمع ، وفعل لا يشترط فيه ذلك ، كقتل وضرب قال تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الصافات: ١٠٠] فإن شغل الشيطان ذلك وقال : ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ [الحج: ٣١] ؛ لأن من شأنه ذلك .

[وقال : ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الانفال: ٢٦] فإن الناس لا تخطف الناس إلا على تكلف .

وقال : ﴿وَيَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ^(٣) .

وقال : ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخَطِّفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] لأن البرق يخاف منه خطف البصر إذا قوي . ومن ذلك مد وأمد قال الراغب : أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ﴿وَأَمَدَدْتَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢] ﴿وَيَظِلُّ تَمْدِيرٌ﴾ [الواقعة: ٣٠] والمد في المكروه : ﴿وَنَمُدُّ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩] ومن ذلك سقى وأسقى ، وقد سبق ومن ذلك عمل وفعل ، والفرق بينهما أن العمل أخص من الفعل ، كل عمل فعل ولا ينعكس ، ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم ، لأنه أعم والعمل من الفعل ما كان مع امتداد ؛ لأنه فَعِيل وباب فَعِيل لما تكرر .

وقد اعتبره الله تعالى فقال : ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ [سبا: ١٣] حيث كان فعلهم بزمان .

وقال : ﴿وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين ، فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه .

وقال تعالى : ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِيًّا﴾ [يس: ٧١] : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥] فإن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد . وقال : ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦] ^(٤) : ﴿رَبَّيْتُمْ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء .

وقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة .

وقال : ﴿وَأَنْفَكُوا الْخَيْرِ﴾ [الحج: ٧٧] بمعنى سارعوا كما قال : ﴿فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوزَةِ يَنْجَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤] أي : يأتون بها على سرعة من غير توان في

(٢) سقط من م .

(١) سقط من م .

(٤) سقط من م .

(٣) سقط من م .

دفع حاجة الفقير، فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع ومن ذلك القعود والجلوس [إن القعود لا يكون معه لبنة، والجلوس^(١) لا يعتبر فيه ذلك؛ ولهذا تقول: قواعد البيت ولا تقول: جوالسه؛ لأن مقصودك ما فيه ثبات، والقاف والعين والبدال كيف تقلبت دلت على اللبث والقعدة بقاء على حالة، والدقعاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل، وأما الجيم واللام والسين فهي للحركة، منه السجل للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده، ولهذا قالوا في قعد يقعد بضم الوسط، وقالوا: جلس يجلس بكسره فاختراروا الثقيل لما هو أثبت.

إذا ثبت هذا فنقول: قال الله تعالى: ﴿مَقْعَدٌ لِلْقِئَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] فإن الثبات هو المقصود.

وقال: ﴿أَقْمُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] أي: لا زوال لكم ولا حركة عليكم، بعد هذا وقال: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] ولم يقل مجلس؛ إذ لا زوال عنه.

وقال: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَسَّؤُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ [المجادلة: ١١] إشارة إلى أنه يجلس فيه زمانا يسيرا ليس بمقعد؛ فإذا طلب منكم التفسح فافسحوا، لأنه لا كلفة فيه لقصره؛ ولهذا لا يقال: قعيد الملوك وإنما يقال: جلسهم؛ لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف، والقعدة [تقال]^(٢) للمرأة؛ لأنها تلبث في مكانها.

ومن ذلك التمام والكمال، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] والعطف يقتضى المغايرة، فقليل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَسَّؤُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا لَكُم مَقْعَدًا وَابْتَغُوا فِيهَا إِلَهًا سِوَى اللَّهِ عِشْرَةَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أحسن من تامة، فإن التمام من العدد قد علم، وإنما بقي احتمال نقص في صفاتها، وقيل: «تم» يشعر بحصول نقص قبله و«كمل» لا يشعر بذلك، ومن هذا قولهم: رجل كامل إذا جمع خصال الخير، ورجل تام إذا كان غير ناقص الطول.

وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف، ولهذا يقولون: القافية تمام البيت ولا [يقولون:]^(٣) كماله، ويقولون: البيت بكمال.

ومن ذلك الضياء والنور.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

(٣) في م: يقال.

فائدة عن الجويني في الفرق بين الإتيان والإعطاء

قال الجويني: لا يكاد اللغويون يفرقون بين الإعطاء والإتيان، وظهري بينهما فرق انبنى عليه بلاغة في كتاب الله، وهو أن الإتيان أقوى من الإعطاء [في إثبات مفعوله؛ لأن الإعطاء] ^(١) له مطاوع يقال: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإتيان أتاني فأتيت، وإنما يقال: أتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له؛ لأنك تقول: قطعت فانقطع فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول المحل، لولاه لما ثبت المفعول؛ ولهذا يصح قطعت فما انقطع ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز أن يقال: ضربته فانضرب أو ما انضرب ولا قتلت فانقتل أو ما انقتل، لأن هذه الأفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها، فالإتيان إذن أقوى من الإعطاء، قال: وقد تفكرت في مواضع من القرآن، فوجدت ذلك مراعى قال الله تعالى في الملك: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ لأن الملك شيء عظيم لا يعطيه إلا من له قوة، ولأن الملك في الملك أثبت من الملك في المالك، فإن الملك لا يخرج الملك من يده [ق/ ٢٦٤]، وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] لأن الحكمة إذا ثبتت في المحل

دامت .

وقال: ﴿مَآئِنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَانِ﴾ [الحجر: ٨٧] لعظم القرآن وشأنه .

وقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] لأن النبي ﷺ وأمه يردون على الحوض ورود النازل على الماء، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان، والحوض للنبي ﷺ وأمه عند عطش الأكباد، قبل الوصول إلى المقام الكريم فقال فيه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر: ١]؛ لأنه يترك ذلك عن قرب ويتقل إلى ما هو أعظم منه .

وقال: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠]؛ لأن من الأشياء ماله وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] لأنه تعالى بعد ما يرضى النبي ﷺ يزيده، ويتقل به من كل الرضا إلى أعظم ما كان يرجو منه، لا بل حال أمته كذلك فقوله: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ فيه بشارة .

وقال: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩] لأنها موقوفة على قبول منا، وهم لا يؤتون إتياء عن طيب قلب، وإنما هو عن كره إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة

(١) سقط من م .

لا يكون كإعطاء الجزية. فانظر إلى هذه اللطيفة الموقفة على سر من أسرار الكتاب [العزير] (١)

قاعدة في التعريف والتنكير

اعلم أن لكل واحد منهما [مقامًا] (٢) لا يليق بالآخر:

فأما التعريف، فله أسباب: الأول: الإشارة إلى معهود خارجي، كقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ سَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١١٢] فجمع السحرة على قراءة الأعمش، فإنه أشير بالسحرة إلى ساحر مذكور.

وقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَرْيَةٍ رَسُولًا ﴿٥﴾ فَعَصَىٰ قَرْيَةٌ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

وأغرب ابن الخشاب فجعلها للجنس: فقال: لأن من عصى رسولاً فقد عصى سائر الرسل.

ومنهم: من لا يشترط تقدم ذكره، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ آتَاشٌ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشَّهْمَةُ﴾ [البقرة: ١٣] لأنهم كانوا يعتقدون أن الناس الذين آمنوا سفهاء.

وقوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [ال عمران: ٣٦] أي: الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وهبت لها وإنما جعل هذا للخارجي لمعنى الذكر في قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحْرَضًا﴾ [ال عمران: ٣٥] ومعنى الأنثى في قولها: ﴿إِنِّي وَصَّعْتُهَا نُثْقًا﴾ [ال عمران: ٣٦].

الثاني: لمعهود ذهني أي: في ذهن مخاطبك كقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ فِي الْفَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وإما حضوري نحو: ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَيَتَكَّمُ﴾ [المائدة: ٣] فإنها نزلت يوم عرفة.

الثالث: الجنس وهي فيه على أقسام: أحدها: أن يقصد المبالغة في الخبر، فيقصر جنس المعنى على المخبر عنه نحو: زيد الرجل أي: الكامل في الرجولية، وجعل سيبويه صفات الله تعالى كلها من ذلك.

وثانيها: أن يقصره على وجه الحقيقة لا المبالغة، ويسمى تعريف الماهية نحو: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبِيَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠]: [أي جعلنا مبتدأ كل حي] (٣) هذا الجنس الذي هو الماء.

(٢) سقط من م.

(١) زيادة من م.

(٣) سقط من م.

وقال بعضهم: المراد بالحقيقة ثبوت الحقيقة الكلية الموجودة في الخارج، لا الشاملة لأفراد الجنس نحو: الرجل خير من المرأة، لا يريدون امرأة بعينها، وإنما المراد هذا الجنس خير من ذلك الجنس من حيث هو، وإن كان يتفق في بعض أفراد النساء من هو خير من بعض أفراد الرجال بسبب عوارض.

وهذا معنى قول ابن بابشاذ: إن تعريف العهد لما ثبت في الأعيان، وتعريف الجنس لما ثبت في الأذهان؛ لأن التفضيل في الجنس راجع إلى الصورتين الكليتين في الذهن، إذ لا معنى للتفضيل في الصورة الذهنية، وإنما أضاف إلى الذهن؛ لأن تلك الحقيقة التي ذكرناها وإن كانت موجودة في الخارج، لاشتمال الأفراد الخارجية عليها، ولكنها كلها مطابقة للصورة الذهنية التي لتلك الحقيقة؛ ولهذا تسمى الكلية الطبيعية.

الرابع: أن يقصد بها الحقيقة باعتبار كلية ذلك المعنى، وتعرف بأنها [التي] (١) إذا نزعنا حسن أن يخلفها «كل»، وتفيد معناها الذي وضعت له حقيقة، ويلزم من ذلك الدلالة على شمول الأفراد وهي الاستغراقية، ويظهر أثره في صحة الاستثناء منه مع كونه بلفظ الفرد نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۗ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المصر: ٢-٣] وفي صحة وصفه بالجمع نحو: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١].

قال صاحب ضوء المصباح: سواء أكان الشمول باعتبار الجنس كالرجل والمرأة، أو باعتبار النوع كالسارق والسارقة، ويفرق بينهما بأن ما دخلت عليه من أجل فعله، فيزول عنه الاسم بزوال الفعل فهي للنوع وما دخلت عليه من وصفه فلا يزول عنه الاسم أبداً، هذا كله إذا دخلت على مفرد نحو: ﴿إِلَىٰ عَنَابِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤]: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ﴾ [المصر: ٢] خلافاً للإمام فخر الدين ومن تبعه في قولهم: إن المفرد المحلى بالألف واللام لا يعم، ولنا الاستثناء في قوله تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١] وليس في قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] دلالة على العموم كما زعم صاحب الكشاف (٢).

فإن قلت: فإذا لم يكن السارق عاماً فيماذا تقطع يد كل سارق من لدن سرق رداء صفوان إلى انقضاء العالم؟

قيل: لأن المراد منه الجنس، أي: نفس الحقيقة، والمعنى أن المتصف بصفة السرقة تقطع يده، وهو صادق على كل سارق؛ لأن الحقيقة كما توجد مع الواحد توجد مع المتعدد أيضاً،

(١) سقط من م.

(٢) الكشاف (١/٦٣١).

فإن دخلت على جمع فاختلف العلماء: هل سلبته معنى الجمع ويصير للجنس ويحمل على أقله، وهو الواحد لثلا يجتمع على الكلمة عموماً أو معنى الجمع باق معها؟ .

مذهب الحنفية [الأول، وقضية مذهبا الثاني؛ ولهذا اشترطوا ثلاثة من كل صنف في الزكاة إلا العاملين، ويلزم الحنفية] ^(١) ألا يصح منه الاستثناء ولا يخصه وقد قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿٢١﴾﴾ [العنبر: ٣٠-٣١] وقال: ﴿فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة ٥٠] إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩] وقد حققته في باب العموم من بحر الأصول. ثم الأكثر في نعتها، وغيرها موافقة اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْكَارِ الْجُنُبِ ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] وقوله: ﴿لَا يَصَلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٥٠﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٥١﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِي ﴿٥٢﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [الليل: ١٥-١٨] .

وتحييء موافقة معنى [لا لفظاً على قلة] ^(٢)، كقوله: ﴿أَوِ الْبَطْرِ الْبَطْرِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ الْإِنْسَاءِ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١] .

وأما التنكير، فله أسباب:

الأول: إرادة الوحدة، نحو: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَسْئِرُ ﴿٢٠﴾﴾ [الفصص: ٢٠] .

الثاني: إرادة النوع كقوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٤٩﴾﴾ [ص: ٤٩] أي: نوع من الذكر.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: ٧] [أي نوع غشاوة] ^(٣) وهي التعامي عن آيات الله الظاهرة لكل مبصر، ويجوز أن يكون للتعظيم، وجرياً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥]: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ مَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ خَيْرٍ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦] لأنهم لم يحرصوا على أصل الحياة حتى تعرف بل على الازدياد من نوع، وإن كان الزائد أقل شيء ينطلق عليه اسم الحياة. [ق/ ٢٦٥]

الثالث: التعظيم كقوله تعالى: ﴿فَأَذِّنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي: بحرب وأي حرب.

وكقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠] أي لا يوقف على حقيقته.

وجعل منه السكاكي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴿٤٥﴾﴾ [مریم: ٤٥] والظاهر من قول الزغشري ^(٤) خلافه، وهذا لم يصرح بأن العذاب لاحق به بل قال:

(٢) في م: الألفاظ على مثله.

(١) سقط من م.

(٤) الكشاف (٣/١٩ - ٢٠).

(٣) سقط من المطبوع.

﴿بِمَسْكَ﴾ وذكر الخوف، وذكر اسم الرحمن ولم يقل: المنتقم، وذلك يدل على أنه لم يرد التعظيم.

[وقوله: ﴿أَنَّ هُمْ جَعَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٠] (١).

فإن قلت: لم لم ينكر الأنهار في قوله: ﴿وَمِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؟ [البقرة: ٢٥٠]

قلت: لا غرض في عظم الأنهار وسعتها بخلاف الجنات.

ومنه: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥].

وإنما لم ينكر سلام عيسى في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ يَوْمِ وُلِدْتُ﴾ [مريم: ٣٣] فإنه في قصة دعائه الرمز إلى ما اشتق منه اسم الله تعالى، والسلام اسم من أسمائه مشتق من السلامة، وكل اسم ناديته به متعرض لما يشتق منه ذلك الاسم نحو: يا غفور يا رحيم.

الرابع: التكثير نحو: إن له لإبلاً، وجعل منه الزمخشري (٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَأْكُرُهُ﴾ [الأعراف: ١١٣] أي أجراً وافراً جزيلاً ليقابل المأجور عنه من الغلبة على مثل موسى عليه السلام، فإنه لا يقابل الغلبة عليه بأجر إلا وهو عديم النظر في الكثرة.

وقد أفاد التكثير والتعظيم معاً قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ﴾ [فاطر: ٤] أي رسل عظام ذوو عدد كثير، وذلك لأنه وقع عوضاً عن قوله: فلا تحزن وتصبر، وهو يدل على عظم الأمر وتكاثر العدد.

الخامس: التحقير كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ [عبس: ١٨] قال الزمخشري (٣): أي من شيء حقير مهين، ثم بيّنه بقوله: ﴿مِنْ تُلْفَةٍ خَلَقْتُمْ﴾ [عبس: ١٩].

وكقوله تعالى: ﴿إِن نُّظُنُّهُ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢] أي: لا يعبا به وإلا لا تبعوه؛ لأن ذلك دينهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦].

السادس: التقليل كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: رضوان قليل من بحار رضوان الله الذي لا يتناهى [أكبر] (٤) من الجنات؛ لأن رضا المولى رأس كل سعادة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] إذ المعنى أنه يحصل فيه أصل الشفاء في جملة صور، ويجوز أن يكون للتعظيم.

(٢) الكشاف (١٣٩/٢).

(٤) في م: أكثر

(١) سقط من م.

(٣) الكشاف (٦٨٧/٤).

وعد صاحب الكشاف ^(١) منه: ﴿أَتَرَى بِمَعْبُدِيهِ إِلَهًا﴾ [الإسراء: ١] أي بعض الليل .
وفيه نظر، لأن التقليل عبارة عن تقليل الجنس إلى فرد من أفرادها لا ببعض فرد إلى جزء من
أجزائه .

تنبيه:

هذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسياق، كما فهم التعظيم في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ﴾ [المرسلات: ١٢] من قوله بعده: ﴿يَوْمَ الْقَفَلِ ﴿١٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَفَلِ﴾ [المرسلات: ١٣-
١٤] .

وكما فهم التحقير من قوله: ﴿مِنْ أَيْ قُوَّةٍ خَلَقْتُمْ﴾ [عبس: ١٨] من قوله بعده: ﴿مِنْ تَلَفَةٍ خَلَقْتُمْ﴾
[عبس: ١٩] .

قاعدة فيما إذا ذكر الاسم مرتين

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال: لأنه إما أن يكونا معرفتين [أو نكرتين أو الثاني
معرفة والأول نكرة، أو عكسه؛ فالأول أن يكونا معرفتين] ^(٢)، والثاني فيه هو الأول غالبًا
حملاً له على المعهود الذي هو الأصل في اللام، أو الإضافة كـ «العسر» في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] ولذلك ورد «لن يغلب عسر يسرين» ^(٣). قال التنوخي:
إنما كان مع العسر واحداً؛ لأن اللام طبيعة لا ثاني لها، بمعنى أن الجنس هي والكل لا
يوصف بوحدة ولا تعدد .

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ الْيَتِيمِ كَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجِنَّةَ إِتْمَتُمْ لِمُنْجَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨] .

وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣] .

وقوله: ﴿وَفِيهِمُ السِّيَّاتُ وَمَنْ لَوَّى السِّيَّاتِ﴾ [غانر: ٩] .

وقوله: ﴿لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

[غانر: ١٦-١٧] .

وقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ [غانر: ٥٧] .

(٢) سقط من م .

(١) الكشاف (٢/٦٤٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٢٢٢) والحاكم (٣١٧٦) والبيهقي في «الشعب» (١٠٠١٠) من حديث عمر
موقوفاً. وأخرجه الحاكم (٣٩٥٠) والبيهقي في «الشعب» (١٠٠١٣) عن الحسن مرسلًا .

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلْتُلُّ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾
[فصلت: ٣٧].

وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وهذه القاعدة ليست مطردة، [وهي منقوضة] ^(١) بآيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] فإنهما معرفتان، وهما غيران فإن الأول هو العمل، والثاني الثواب، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] أي القاتلة والمقتولة.

وقوله: ﴿الْحَرُّ بِالْحَرِّ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الإنسان: ٢].

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالملك الذي يؤتيه الله للعبد لا يمكن أن يكون نفس ملكه، فقد اختلفا وهما معرفتان لكن يصدق أنه إياه باعتبار الاشتراك في الاسم، كما صرح بنحوه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٣] فقد أعاد الضمير في المنفصل المستغرق باعتبار أصل الفضل.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَيُّبِنُوحَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [سبا: ٩] فالأول عام والثاني خاص.

وقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غانر: ٥٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقوله: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] فالأول نصب على القسم، والثاني نصب بـ ﴿أَقُولُ﴾ وهذا بخلاف قوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وأما قوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فالأولى معرفة بالضمير، والثانية عامة، والأولى

(١) سقط من م.

خاصة فالأول داخل في الثاني .

وكذا قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله:

﴿رَبِّ الْمَلَائِكَةِ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]،

وقوله: ﴿أَتَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] .

وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بُدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣] .

وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ثم قال: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فهما وإن اختلفا يكون الأول خاصاً، والثاني عاماً متفقان بالجنس .

وكذلك: ﴿إِنْ يَبْهَمُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَظُنُّوا لَا يَتَّقِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨] ولذلك استبدل بها

على أن الأصل إلغاء الظن مطلقاً .

وأما قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَتَشَّى عَلَى الِأُخْرَى﴾ [القصاص: ٢٥] بعد قوله: ﴿قَالَتِ

إِحْدَاهُمَا﴾ [القصاص: ٢٦] يحتمل أن تكون الأولى هي الثانية وألا تكون .

ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

فإن كانت ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الثانية مفعولاً، فالاسم الأول هو الثاني على قاعدة المعرفتين، وإن

كانت فاعلاً فهما واحد باعتبار الجنس، وأكثر النحاة على أن الإعراب إذا لم يظهر في واحد من

الاسمين تعين كون الأول فاعلاً، خلافاً لما قاله الزجاج^(١) في قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ

دَعْوَاهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥] .

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ

الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨] فالكتاب الأول ما كتبه بأيديهم، ثم كرره بقوله: ﴿قَوْلِيْلِلَّذِينَ

يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] والكتاب الثاني التوراة، والثالث جنس كتب الله تعالى،

أي: ما هو [من شيء في] (٢) كتب الله تعالى، وكلامه قاله الراغب (٣) .

الثاني: أن يكونا نكرتين فالثاني غير الأول [ق/ ٢٦٦] ، وإلا لكان المناسب

هو [الأول] (٤) التعريف بناء على كونه معهوداً سابقاً، قالوا: والمعنى في هذا والذي قبله، أن

(١) قال: «أي ما زالت الكلمة التي هي قولهم: [يا ويلنا إنا كنا ظالمين] دعواهم يجوز أن تكون [تلك] في موضع

رفع اسم زالت و [دعواهم] في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون [دعواهم] الاسم في موضع رفع،

و[تلك] في موضع نصب على الخبر لا اختلاف بين التحوين في الوجيهن». معاني القرآن (٣/ ٣٨٦) .

(٢) سقط من م. (٣) المفردات (ص/ ١٢٣٤) .

(٤) سقط من المطبوع .

النكرة تستغرق الجنس والمعرفة تتناول البعض، فيكون داخلاً في الكل سواء قدم أو آخر. والمشهور في تمثيل هذا القسم، «اليسر» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] وقد قيل: إن تنكير ﴿يُسْرًا﴾ للتعميم وتعريف «اليسر» للعهد الذي كان عليه، يؤكد سبب النزول أو الجنس الذي يعرفه كل أحد ليكون اليسر الثاني مغايراً للأول، بخلاف العسر. والتحقيق أن الجملة الثانية هنا تأكيد للأول، لتقديرها في النفس وتمكينها [من] ^(١) القلب؛ ولأنها تكرير صريح لها ولا تدل على تعدد اليسر، كما لا يدل قولنا: إن مع زيد كتاباً إن مع زيد كتاباً على أن معه كتابين، فالأفصح أن هذا تأكيد.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ . . .﴾ [الآية الروم: ٥٤]. فإن كلاً من المذكور غير الآخر، فالضعف الأول النطفة أو التراب، والثاني الضعف الموجود في الطفل والجنين، والثالث في الشيخوخة والقوة الأولى التي تجعل للطفل حركة وهداية لاستدعاء اللبن، والدفع عن نفسه [بالبكاء] ^(٢) والثانية بعد البلوغ.

قال ابن الحاجب ^(٣) في قوله تعالى: ﴿غَدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاَ شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢] الفائدة في إعادة لفظ «شهر»، الإعلام بمقدار زمن الغدو وزمن الرواح، والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار.

واعلم أنه ينبغي أن يأتي في هذا القسم الخلاف الأصولي في نحو: صل ركعتين، صل ركعتين هل يكون أمرين بأمورين، والثاني: تأسيس أولاً؟ وفيه قولان وقد نقضوا هذا القسم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] فإن فيه نكرتين، والثاني هو الأول، وأجاب الطيبي بأنه من باب التكرير وإناطة أمر زائد.

وهذه القاعدة فيما إذا لم يقصد التكرير، وهذه الآية من قصد التكرير، ويدل عليه تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ﴾ [الزخرف: ٨٢]، وأجاب غيره بأن إله بمعنى معبود، والاسم المشتق إنما يقصد به ما تضمنه من الصفة، فأنت إذا قلت: زيد ضارب عمرو ضارب بكر لا يتخيل أن الثاني هو الأول، وإن أخبر بهما عن ذات واحدة، فإن المذكور حقيقة إنما هو المضروبان لا الضاربان، ولا شك أن الضميرين مختلفان. ومنها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرَّامِ فَقَالَ فِيهِ قُلٌ وَقَالَ فِيهِ كَيْبَرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] الثاني هو الأول.

(٢) سقط من م.

(١) في م: في.

(٣) الأمالي (١/٢٧٢).

وأجيب بأن أحدهما محكى من كلام السائل، والثاني من كلام النبي ﷺ، وإنما الكلام في وقوعهما من متكلم واحد، ومنها قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا وَبَعْضٌ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٩٠] ومنها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨-٩].

ومنها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً...﴾ [الأنعام: ٣٧].

الثالث: أن يكون الأول نكرة، والثاني معرفة، فهو كالقسم الأول يكون الثاني فيه هو الأول، كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قِرْعَانَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَمَعَصَىٰ قِرْعَانُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

وقوله: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْصِقَ فِي رُجَاجِهِ الرُّجَاجُ كَأَنهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥].

وقوله: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [الشورى: ٤١-٤٢].

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٧﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣] وهذا منتقض

بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] فإنهم استدلوا

بها على استحباب كل صلح، فالأول داخل في الثاني وليس بجنسه.

وكذلك: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ مِنَ اللَّغْوِ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦] وقوله: ﴿وَيُؤْتِي

كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣] الفضل الأول: العمل، والثاني: الثواب.

وكذلك: ﴿وَيَرْزُقْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وكذلك: ﴿لِيَرْزُقَاوَا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وكذلك: ﴿يَذَنَّبُهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] تعريفه: إن المزيد غير المزيد عليه.

وكذلك: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ لِإِيْتِكَ﴾ [إبراهيم: ١] وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا

الْكِتَابُ﴾ [الأنعام: ١٥٧] (١).

الرابع: عكسه فلا يطلق القول به بل يتوقف على القرائن، فتارة تقوم قرينة على التغاير

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسْأَلَكُمْ عَنْ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وكذلك قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾ [النساء: ١٥٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٦٦﴾ هُدًى﴾ [غافر: ٥٣-٥٤]

قال الزمخشري (٢): المراد بالهدى جميع ما آتاه من الدين، والمعجزات، والشرائع والهدى

والإرشاد.

(٢) الكشاف (٤/١٩٤).

(١) سقط من م.

وتارة تقوم قرينة على الاتحاد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨] وقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الاحقاف: ٢٩] إلى قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ [الاحقاف: ٣٠].

وأما قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقوله أيضًا ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] فهو من إعادة النكرة معرفة، لأن ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ وإن كان في التلاوة متأخرًا عن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فهو في الإنزال متقدم عليه.

قواعد تتعلق بالعطف

القاعدة الأولى

ينقسم باعتبار إلى عطف المفرد على مثله، وعطف الجمل، فأما عطف المفرد ففائدته تحصيل مشاركة الثاني للأول في الإعراب، ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته أو مفعوليته ليتصل الكلام بعبءه ببعض، أو حكم خاص دون غيره كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسِكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْكُفَّيْنِ﴾ [المائدة: ٦] فمن قرأ بالنصب عطفًا على «الوجه»، كانت «الأرجل» مغسولة، ومن قرأ بالجر عطفًا على «الرءوس» كانت ممسوحة، لكن خولف ذلك لعارض يرجح ولا بد [في هذا] ^(١) من ملاحظة المشاكلة بين المتعاطفين، فتقول: جاءني زيد وعمرو؛ لأنهما معرفتان، ولو قلت: جاء زيد ورجل لم يستقم لكون المعطوف نكرة، نعم إن تخصص قلت: ورجل آخر جاز.

ولذا قال صاحب «المستوفي» من النحويين: وأما عطف الجملة فإن كانت الأولى لا محل لها من الإعراب فكما سبق؛ لأنها تحمل محل المفرد نحو: مررت برجل خلقه حسن، وخلقه قبيح، [وإن] ^(٢) كان لا محل لها نحو: زيد أخوك وعمرو صاحبك، ففائدة العطف الاشتراك في مقتضى الحرف العاطف، فإن كان العطف بغير الواو ظهر له فائدة من التعقيب، كالفاء أو الترتيب كـ «ثم» أو نفي الحكم عن الباقي كـ «لا».

وأما الواو فلا تفيده شيئًا هنا غير المشاركة في الإعراب.

وقيل: بل تفيده أنهما كالنظيرين والشريكين، بحيث إذا علم السامع حال الأول عساه أن يعرف حال الثاني، ومن ثمة صار بعض الأصوليين إلى أن القرآن في اللفظ يوجب القرآن في الحكم، ومن ها هنا شرط البيانين التناسب بين الجمل لتظهر الفائدة، حتى إنهم منعوا عطف الإنشاء على الخبر وعكسه.

(٢) في المطبوع: وأنت.

(١) سقط من م.

ونقله الصفار [في شرح سيبويه عن سيبويه] ^(١) [قال] ^(٢) : ألا ترى إلى قوله :
 يقبح عندهم أن يدخلوا الكلام الواجب في موضع المنفي، فيصيروا قد ضموا إلى الأول
 ما ليس بمعناه انتهى؛ ولهذا منع الناس من الواو في «بسم الله الرحمن الرحيم،
 وصلى الله على محمد» لأن الأولى خبرية، والثانية طلبية، وجوزه ابن الطراوة؛ لأنها
 يجتمعان في التبرك.

وخالفهم كثير من النحويين [ق/ ٢٦٧] ، كابن خروف والصفار وابن عمرو، وقالوا:
 يعطف الأمر على الخبر والنهي على الأمر والخبر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِبَلِّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
 رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فعطف خبراً على جملة
 شرط، وجملة الشرط على الأمر.

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْتَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] .

﴿وَأَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] فعطف نهيًا على خبر .
 ومثله: ﴿يَبْتَغِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] .

قالوا: وتعطف الجملة على الجملة ولا اشترك بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ تَأْوِيلُهُ
 إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] على قولنا بالوقف على الله، وأنه سبحانه اختص به .

وقال: ﴿وَأُزْلِجُكَهُمُ الْفَالِقِينَ﴾ [النور: ٤] فإنه علة تامة بخبرها فلا يوجب العطف المشاركة
 فيما [تتم] ^(٣) به الجملتان الأوليان، وهو الشرط الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ [النور: ٤] كقولك: إن دخلت الدار فأنت طالق وفلانة طالق لا يتعلق طلاق
 الثانية بالشرط، وعلى هذا يختص الاستثناء به ولا يرجع لما تقدمه، ويبقى المحدود في القذف
 غير مقبول الشهادة بعد التوبة كما كان قبلها .

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] فإنه علة تامة
 معطوفة على ما قبلها غير داخل تحت الشرط، ولو دخلت كان ختم القلب ومحو الباطل
 متعلقين بالشرط والمتعلق بالشرط معدوم قبل وجوده، وقد عدم ختم القلب [ووجد] ^(٤) محو
 الباطل، فعلمنا أنه خارج عن الشرط، وإنما سقطت الواو في الخط واللفظ ليس للجزم بل
 سقوطه من اللفظ لالتقاء الساكنين، وفي الخط اتباعاً للفظ، كسقوطه في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ
 الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء: ١١] وقوله: ﴿سَتَدْعُ الزَّانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] ولهذا وقف عليه يعقوب بالواو، نظراً
 للأصل، وإن وقف عليه غيره بغير واو اتباعاً للخط .

(١) سقط من م.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في م: ووجه.

(٤) سقط من م.

والدليل على أنها ابتداء إعادة الاسم في قوله: ﴿وَسَمِعَ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٤] ولو كانت معطوفة على ما قبلها لقليل: ويمح الباطل ومثله: ﴿إِنْسِبِينَ لَكُمْ وَيُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥].

وقوله: ﴿وَيَذْهَبَ عَظِيمًا فَلَوْبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٥].

وقوله: ﴿فَدَأْتَنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَ بِوَرَىٰ سَوَاءَ تَكْمُ وَرَيْشًا وَلِيَأْسَ الْفَقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] وغير ذلك.

قلت: وكثير من هذا لا يرد عليهم، فإن كلامهم في الواو العاطفة، وأما: ﴿وَيُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥] وما بعده فهي للاستئناف، إذ لو كانت للعطف لانتصب «نقر» وجزم «ويتوب» وكذلك في ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ للاستئناف ﴿وَسَمِعَ اللَّهُ﴾ وقال البيانيون: للجملة ثلاثة أحوال:

فالأول: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف، والتأكيد من المؤكد فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج كقوله تعالى: ﴿الْمَرَدِّكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢-١].

وقوله: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] مع قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

وكذلك ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩] مع قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] فإن المخادعة

ليست شيئاً غير قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ٨] من غير اتصافهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُتَشَبِّهُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وذلك لأن معنى قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أنا لم نؤمن وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُتَشَبِّهُونَ﴾ خبر لهذا المعنى بعينه.

وقوله: ﴿وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَابِسْنَا وَلَئِن مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [القمان: ٧].

وقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فإن كونه ملكا ينفي كونه بشراً،

فهي مؤكدة للأولى.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِسُ لَهُهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وقوله: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ [إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] [النجم: ٣-٤] وقوله: ﴿إِنَّكَ زَلْزَلَةٌ السَّاعَةِ

ثَوْبٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] فإنها مؤكدة لقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوقًا﴾ [الحج: ١].

وقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] فإنها بيان للأمر بالصلاة.

[وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] بعد قوله: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾

[الدخان: ٥٠] (١).

(١) سقط من م.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] إذا جعلت ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ خبرًا؛ إذ الخبر لا يعطف على المبتدأ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] بعد قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

والثانية: أن يغير ما قبلها وليس بينهما نوع من الارتباط بوجه، فلا عطف أيضًا؛ إذ شرط العطف المشاكلة، وهو مفقود، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦] بعد قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

فإن قيل: إذا كان حكم هذه الحالة والتي قبلها واحدا أدى إلى الإلباس؛ فإنه إذا لم يعطف التبس حالة المطابقة بحالة المغايرة، وهلا عطفت الحالة الأولى بالحالة الثانية فإن ترك العطف يوهم المطابقة، والعطف يوهم عدمها، فلم اختير الأول دون الثاني مع أنه لم يخل عن إلباس؟.

قيل: العاطف يوهم الملايسة بوجه قريب أو بعيد، بخلاف سقوط العاطف، فإنه وإن أوهم المطابقة إلا أن أمره واضح فبأدنى نظر يعلم فزال الإلباس.

الحال الثالثة: أن يغير ما قبلها لكن بينهما نوع ارتباط، وهذه هي التي يتوسطها العاطف كقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

[فإن قلت: لم سقط العطف من: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْفَالِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ولم يسقط من: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] (١).

قلت: لأن الغفلة شأن الأنعام، فالجملة الثانية كأنها هي الجملة الأولى.

فإن قلت: لم سقط في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهزِئُ بِرَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥].

قلت: لأن الثانية كالمستول عنها، فنزل تقدير السؤال منزلة صريجه.

الحال الرابعة: أن يكون بتقدير الاستثناف كأن قائلًا قال: لم كان كذا؟ فقيل: كذا فهاهنا لا عطف أيضًا كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءَ يَكُونُ قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ [يوسف: ١٦-١٧].

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْتِجُكَ بِالسَّمْرِاءِ﴾ [الشعراء: ٤١] التقدير: فما قالوا أو فعلوا؟ فأجيب هذا التقدير بقوله: «قالوا».

(١) سقط من م.

القاعدة الثانية :

ينقسم باعتبار عطف الاسم على مثله والفعل على الفعل إلى أقسام :

الأول : عطف الاسم على الاسم ، وشرط ابن عمرون وصاحبه ابن مالك فيه أن يصح أن يسند أحدهما إلى ما أسند إلى الآخر ، ولهذا منع أن يكون ﴿ وَزَوْجِكَ ﴾ في ﴿ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجَكَ ﴾ [البقرة: ٣٥] معطوفاً على المستكن في « أنت » ، وجعله من عطف الجمل بمعنى أنه مرفوع بفعل محذوف ، أي ولتسكن زوجك .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا تُخْلِفُهُ غَنَمٌ وَلَا أُنْتِ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ [طه: ٥٨] لأن من حق المعطوف حلوله محل المعطوف عليه ، ولا يصح حلول زوجك محل الضمير ؛ لأن فاعل فعل الأمر الواحد المذكر ، نحو : « قم » لا يكون إلا ضميراً مستتراً ، فكيف يصح وقوع الظاهر موقع المضمرة الذي قبله . ورد عليه الشيخ أثير الدين أبو حيان بأنه لا خلاف في صحة : تقوم هند وزيد ولا يصح مباشرة زيد لـ « تقوم » لتأنيته .

الثاني : عطف الفعل على الفعل ، قال ابن عمرون وغيره : يشترط فيه اتفاق زمانهما ، فإن خالف رد إلى الاتفاق بالتأويل ، لا سيما إذا كان لا يُلبس وكانت مغايرة الصيغ اتساعاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكَذِّبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الاعراف: ١٧٠] فعطف الماضي على المضارع ؛ لأنها من صلة « الذين » وهو يضارع الشرط لإيهامه ، والماضي في الشرط في حكم المستقبل ، فقد تغايرت الصيغ في هذا ، كما ترى واللبس مأمون ولا نظر في الجمل إلى اتفاق المعاني ، لأن كل جملة مستقلة بنفسها . انتهى .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنْ سَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ [الفرقان: ١٠] ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ لَكَ فُضُولًا ﴾ . وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ ﴾ [الكهف: ٤٧] ثم قال : ﴿ وَحَشَرْتَهُمْ ﴾ .

وقال صاحب « المستوفى » : لا يتمشى عطف الفعل على الفعل ، إلا في المضارع منصوباً كان كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَتَيْنِ أَلَيْنَ أَوْثَرًا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١] أو مجزوماً كقوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [نوح: ٤] .

فإن قيل : كيف حكمتم بأن العاطف مختص بالمضارع ، وهم يقولون : قام زيد وقعد بكر ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠] فيه عطف الماضي على الماضي وعطف الدعاء على الدعاء .

فالجواب : أن المراد بالعطف هنا أن تكون لفظتان تتبع الثانية منهما الأولى في إعرابها ، وإذا كانت اللفظة غير معربة ، فكيف يصح فيها التبعية ، فصح أن هذه الألفاظ لا يصح أن يقال : إنها معطوفة على ما قبلها العطف الذي نقصده الآن .

وإن صح أن يقال: معطوفة العطف الذي ليس للإتباع، بل يكون عطف الجملة على الجملة من حيث هما جملتان [ق/ ٢٦٨]، والجملة من حيث هي لا مدخل لها في الإعراب، إلا أن تحمل محل الفرد، وظهر أنه يصح وقوع العطف عليه وعدمه باعتبارين.

الثالث: عطف الفعل على الاسم والاسم على الفعل، وقد اختلف فيه: فمنهم من منعه والصحيح الجواز، إذا كان مقدراً بالفعل كقوله تعالى: ﴿صَفَّيْتِ وَيَقِضْنَ﴾ [الملك: ١٩] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ﴾ [الحديد: ١٨]. واحتج الزمخشري^(١) بهذا على أن [اسم]^(٢) الفاعل حمله على معنى المصدقين الذين تصدقوا.

قال ابن عمرون: ويدل لعطف الاسم على الفعلية قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [برم: ٣٧] فعطف: ﴿قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [برم: ٣٧] وهي جملة اسمية على ﴿فَأَخْلَفَ﴾ وهي فعلية بالفاء.

وقال تعالى: ﴿رَطِّحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ﴾ [التوبة: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٨-١٩].

قال: وإذن جاز عطف الاسم على الفعلية بـ «أم» في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتَ صَامِتٌ﴾ [الأمراء: ١٩٣] إذا لوضع للمعادلة، وقيل: إنه أوقع الاسم موقع الفعلية نظراً إلى المعنى: أصمتم، فما المانع هنا؟ وجعل ابن مالك قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] عطفاً على ﴿يُخْرِجُ﴾؛ لأن الاسم في تأويل الفعل. والتحقيق ما قاله الزمخشري، أنه عطف على: ﴿فَالِقُ الْكَلْبِ وَالنُّورِ﴾ [الأنعام: ٩٥] ولا يصح أن يكون عطفاً على ﴿يُخْرِجُ﴾ لأنه ليس تفسيراً لقوله: ﴿فَالِقُ الْكَلْبِ﴾ فيعطف على تفسيره بل هو قسيم له.

القاعدة الثالثة ينقسم باعتبار المعطوف إلى أقسام:

عطف على اللفظ، وعطف على الموضع وعطف على التوهم

فالأول: أن يكون باعتبار عمل موجود في المعطوف عليه، فهو العطف على اللفظ نحو: ليس زيد بقائم ولا ذاهب، وهو الأصل.

والثاني: أن يكون باعتبار عمل لم يوجد في المعطوف إلا أنه مقدر الوجود، لوجود طالبه فهو العطف على الموضع، نحو: ليس زيد بقائم ولا ذاهباً بنصب «ذاهباً» عطفاً على موضع «قائم»؛ لأنه خبر ليس.

(٢) سقط من م.

(١) الكشاف (٤/ ٤٧٨).

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: ٦٠] بأن يكون «يوم القيامة» معطوفاً على محل هذه، ذكره الفارسي.

وقوله: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ لُحْمٍ يُذْرَهُمْ فِي طَعْنِيهِمْ يَمُوتُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦] في قراءة الجزم أنه بالعطف على [محل] ﴿فَكَأَيِّ لُحْمٍ﴾^(١).

وجعل الزمخشري^(٢) وأبو البقاء^(٣) منه قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى﴾ [الأحقاف: ١٢] إن ﴿بُشْرَى﴾ في محل نصب بالعطف على محل ﴿لِيَسْتَذِرَ﴾؛ لأنه مفعول له.

وغلطا في ذلك؛ لأن شرطه في ذلك أن يكون الموضوع بحق الأصالة، والمحل ليس هنا كذلك؛ لأن الأصل هو الجر في المفعول له، وإنما النصب ناشئ عن إسقاط الخافض، وجوز الزمخشري أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَيْلَ سَكَاً وَالشَّمْسُ﴾ [الأنعام: ٩٦] كون الشمس معطوفاً على محل الليل.

والثالث: أن يكون باعتبار عمل لم يوجد هو ولا طالبه، هو العطف على التوهم، نحو ليس زيد قائماً ولا ذاهب بجر ذاهب وهو معطوف على خبر «ليس» المنصوب باعتبار جره بالباء، ولو دخلت عليه فالجر على مفقود، وعامله وهو الباء مفقود أيضاً إلا أنه متوهم الوجود لكثرة دخوله في خبر ليس، فلما توهم وجوده صح اعتبار مثله، وهذا قليل من كلامهم.

وقيل: إنه لم يجز إلا في الشعر ولكن جوزه الخليل وسيبويه في القرآن، وعليه خرجا قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] كأنه قيل: أصدق وأكن.

وقيل: هو من العطف على الموضوع أي محل «أصدق».

والتحقيق: قول سيبويه: هو على توهم أن الفاء لم ينطق بها، واعلم أن بعضهم قد شنع القول بهذا في القرآن على النحويين، وقال: كيف يجوز التوهم في القرآن، وهذا جهل منه بمرادهم، فإنه ليس المراد بالتوهم الغلط، بل تنزيل الموجود منه منزلة المعدوم كالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ﴾ ليني على ذلك ما يقصد من الإعراب وجعل منه الزمخشري^(٤) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فيمن فتح الباء كأنه قيل: ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب^(٥) إلا ببين غرابها

(٢) الكشاف (٣٠١/٤).

(٤) الكشاف (٤١٠/٢-٤١١).

(١) سقط من م.

(٣) التبيان (٢٣٤/٢).

(٥) يقال: نَعَبَ الغراب: أي: صاح.

وقد يجيء اسم آخر، وهو العطف على المعنى كقوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ دَائِبَةً عَلَيْهِ أَبْدَاهُ وَحَتَّىٰ يُبَازِغَ الْفَجْرَ بِضُحَاهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ثم قال: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ عطف المجرور بالكاف على المجرور بـ «إلى» حملاً على المعنى، لأن قوله: «إلى الذي» في معنى «أرأيت كالذي».

وقال بعضهم: في قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكُلِّ شَيْطَانٍ﴾ [الصافات: ٧] إنه عطف على معنى: ﴿إِنَّا زَيْنًا لِّلسَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾ [الصافات: ٦] وهو: أنا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء الدنيا.

وفي قوله تعالى: ﴿لَمَلَأْنَا بَرِّيَّةً لَّدُنَّا الْكَلْبَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] على قراءة النصب إنه عطف معنى ﴿لَمَلَأْنَا بَرِّيَّةً﴾، وهو «لعلي أن أبلغ» فإن خبر «لعل» يقترن بـ «أن» كثيراً.

القاعدة الرابعة: الأصل في العطف التغاير، وقد يعطف الشيء على نفسه في مقام التأكيد، وقد سبق إفراده بنوع في فصول التأكيد.

القاعدة الخامسة: يجوز في الحكاية عن المخاطبين إذا طالت: قال زيد قال عمرو من غير أن تأتي بالواو وبالفاء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ...﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] ونظائرها.

وإنما حسن ذلك للاستغناء عن حرف العطف، من حيث إن المتقدم من القولين يستدعي التأخر منهما، فلهذا كان الكلام مبتدئاً على الانفصال، وكان كل واحد من هذه الأقوال مستأنفاً ظاهراً وإن كان الذهن يلائم بينهما.

القاعدة السادسة: العطف على المضمرة إن كان منفصلاً مرفوعاً، فلا يجوز من غير فاصل تأكيد أو غيره، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْتُدُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ [الاعراف: ٢٧]: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤].

﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] عند الجمهور، خلافاً لابن مالك في جعله من عطف الجمل بتقدير: ولتسكن زوجك.

وقوله: ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنشُرْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿فَقُلْ أَتَلْتَهُمْ وَتَجْهَىٰ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] .

وجعل الزمخشري منه ^(١) : ﴿إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ أَوْ ءَابَاؤُنَا﴾ [الصافات: ١٦-١٧] فيمن قرأ بفتح الواو وجعل الفصل بالهمزة، ورد بأن الاستفهام لا يدخل على المفردات، وجعل الفارسي منه : ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وأعرب ابن الدهان ﴿وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ مبتدأ خبره ﴿أَشْرَكُوا﴾ مقدرًا .

وأجاز الكوفيون العطف من غير فاصل، كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾ . فأما قوله تعالى : ﴿فَأَسْتَوِينَ﴾ فقال الفارسي : ﴿وَهُوَ﴾ مبتدأ وليس معطوفًا على ضمير ﴿فَأَسْتَوِينَ﴾ وإن كان مجرورًا فلا يجوز من غير تكرار الجار فيه نحو : مررت به ويزيد كقوله تعالى : ﴿وَعَلِيًّا وَعَلَىٰ أَعْلَىٰ تَحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢] : ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ﴾ [فصلت: ١١] : ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الإسراء: ٤٥] .

وأما قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] فإن جعلنا ﴿وَمِنْ نُوحٍ﴾ معطوفًا على منك، فالإعادة لازمة، وإن جعل معطوفًا على ﴿النَّبِيِّينَ﴾ فجازة . وقال الكوفيون : لا تلزم الإعادة محتجين بآيات : الأولى قراءة حمزة : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْعَامَ﴾ [النساء: ١] بالجر عطفًا على الضمير في ﴿بِهِ﴾ فإن قيل : ليس الخفض على العطف، وإنما هو على القسم وجوابه : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

قلنا : رده الزجاج بالنهي عن الحلف بغير الله، وهو عجيب فإن ذلك على المخلوقين . الثانية : قوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ﴾ أولها المانعون [ق/ ٢٦٩] [كابن الدهان بتقدير : ويرزق من لستم، والزجاج ^(٢)] ^(٣) بتقدير : أغني من لستم . قال أبو البقاء ^(٤) : لأن المعنى أغناكم، [وأغنى] ^(٥) من لستم، وقدم أنها نصب بـ «جعلنا» قال : والمراد بـ «من» العبيد والإماء والبهائم، فإنها مخلوقة لمنافعها .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْأَحْرَابَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وليس من هذا الباب ؛ لأن المسجد معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في قوله : ﴿وَصَدَّقْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] . ويدل لذلك أنه صرح بنسبة الصد إلى المسجد في قوله : ﴿أَنْ صَدَّقْتُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَحْرَابِ﴾ [المائدة: ٢] .

(١) الكشف (٤/٣٨) .

(٣) سقط من م .

(٢) معاني القرآن (٣/١٧٧) .

(٥) سقط من م .

(٤) التبيان (٢/٧٣) .

وهذا الوجه حسن، لولا ما يلزم منه الفصل بين «صد» و«المسجد» بقوله: ﴿وَكَفَّرَ﴾ وهو أجنبي.

ولا يحسن أن يقال: إنه معطوف على الشهر؛ لأنهم لم يسألوا عنه ولا على سبيل؛ لأنه إذ ذاك من تنمة المصدر، ولا يعطف على المصدر قبل تمامه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّجِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ [الأنفال: ٦٤] قالوا: الواو عاطفة لـ«من» على الكاف المجرورة والتقدير: حسبك من اتبعك، ورد بأن الواو للمصاحبة و«من» في محل نصب عطف على الموضع كقوله:

فحسبك والضحاك سيف مهند

الخامسة: قوله تعالى: ﴿كَذَرِكُمْ، أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] [فجعل أشد مجرورًا قال الزمخشري: إنه في موضع جر عطفًا على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذركم] (١) كما تقول: كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرًا.

لكن هذا عطف على الضمير المخفوض، وذلك لا يجوز على قراءة حمزة.

وقد خالفه الجمهور وجعلوه مجرورًا عطفًا على «ذركم» المجرور بكاف التشبيه تقديره: أو كذركم أشد، فجعل للذكر ذكرًا مجازًا، وهو قول الزجاج وتابعه ابن عطية وأبو البقاء وغيرهما.

وما اختلف فيه العطف على عاملين نحو: ليس زيد بقائم ولا قاعد عمرو على أن يكون ولا قاعد معطوفًا على قائم وعمرو على زيد. منعه الجمهور، وأجازه الأخفش محتجًا بقوله تعالى: ﴿وَأُخْتَلِفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [البقرة: ١٦٤] ثم قال ﴿آيَاتُ﴾ بالنصب عطفًا على قوله: ﴿لَا يَنْتَبِهَنَّ﴾ المنصوب بـ«إن» في أول الكلام و: ﴿أُخْتَلِفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ مجرور بالعطف على «السموات» المجرور بحرف الجر الذي هو «في» فقد وجد العطف على عاملين وأجيب بجعل «آيات» تأكيد لـ«آيات» الأولى.

قواعد في العدد

القاعدة الأولى:

في اسم الفاعل المشتق من العدد له استعمالان: أحدهما: أن يراد به واحد من ذلك لعدد، فهذا يضاف للعدد الموافق له نحو: رابع أربعة وخامس خمسة، وليس فيه إلا لإضافة، خلافًا لثعلب فإنه أجاز ثالث ثلاثة بالتنوين قال تعالى: ﴿ثَلَاثٌ أَثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]

(١) سقط من المطبوع.

وهذا القسم لا يجوز إطلاقه في حق الله تعالى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِكٌ ثَلَاثَةً﴾ [المائدة: ٧٣].

الثاني: أن يكون بمعنى التصيير، وهذا يضاف إلى العدد المخالف له في اللفظ، بشرط أن يكون أنقص منه بواحد كقولك: ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أي يصيرهم بعلمه وإحاطته أربعة وخمسة.

فإن قيل: كيف بدأ بالثلاث، وهلا جاء ما يكون من نجوى واحد إلا هو ثانيه ولا اثنين إلا هو ثالثهم؟ [قيل: لأنه سبحانه لما علم أن بعض عباده كفر بهذا اللفظ، وادعى أنه ثالث ثلاثة، فلو قال: ما يكون من نجوى واحد إلا هو ثانيه، لثارت ضلالة من كفر بالله وجعله ثانيًا وقال: وهذا قول الله هكذا ولو قال: ولا اثنين إلا هو ثالثهم^(١) لتمسك به الكفار، فعدل سبحانه عن هذا لأجل ذلك ثم قال: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ فذكر هذين المعنيين بالتلويح لا بالتصريح، فدخل تحته ما لا يتناهى، وهذا من بعض إعجاز القرآن.

القاعدة الثانية:

حق ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يكون اسم جنس، أو اسم جمع وحينئذ فيجر بـ «من» نحو: ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ويجوز إضافته نحو ﴿بِتِسْعَةِ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨]. وإن كان غيرهما من المجموع أضيف إليه الجمع على مثال جمع القلة من التكسير، وعلته أن المضاف موضوع للقلة، فتلزم إضافته إلى جمع قلة طلبًا لمناسبة المضاف إليه المضاف في القلة؛ لأن المفسر على حسب المفسر فتقول: ثلاثة أفلس وأربعة أعبد، قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقد استشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يَرَبِّصَنَّ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإن قروء جمع كثرة، وقد أضيف إلى الثلاثة، ولو جاء على هذه القاعدة لقال: أقرأء؟ والجواب: من أوجه: أحدها أنه أوتر جمع الكثرة هنا، لأن بناء القلة شاذ، فإنه جمع قرء بفتح القاف وجمع فعل على أفعال شاذ، فجمعوه على فعول إيثارة للفصح فأشبه ما ليس له إلا جمع كثرة، فإنه يضاف إليه كثلاثة دراهم، ذكره ابن مالك.

والثاني: أن القلة بالنسبة إلى كل واحد من المطلقات، وإنما أضاف جمع الكثرة نظرًا إلى كثرة المتربصات؛ لأن كل واحدة تتربص ثلاثة، حكاه في «البيسط» عن أهل المعاني.

(١) سقط من م.

الثالث: أنه على حذف مضاف أي: ثلاثة أقرأ قروء .

الرابع: أن الاضافة نعت في تقدير الانفصال؛ لأنه بمعنى «من» التي للتبعيض أي: ثلاثة أقرأ من قروء .

كما أجاز المبرد ثلاثة حمير، وثلاثة كلاب على إرادة «من» أي: من حمير ومن كلاب .
القاعدة الثالثة:

ألفاظ العدد نصوص، ولهذا لا يدخلها تأكيد؛ لأنه لدفع المجاز في إطلاق الكل وإرادة البعض، وهو منتف في العدد، وقد أورد على ذلك آيات شريفة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] والجواب أن التأكيد هنا ليس لدفع نقصان أصل العدد، بل لدفع نقصان الصفة؛ لأن الغالب في البديل أن يكون دون المبدل منه معناه، أن الفاقد للهدى لا ينقص من أجره شيء .

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيَّتَ عَامًا﴾ [النكيت: ١٤] ولو كانت ألفاظ العدد نصوصًا، لما دخلها الاستثناء إنما يكون عامًا، والجواب أن التجوز قد يدخل في الألف، فإنها تذكر في سياق المبالغة للتكثير والاستثناء رفع ذلك .

الثالثة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُكَ إِلَّا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] وقد سبق في باب التأكيد الجواب عنه .

الرابعة قوله تعالى [١]: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] وقوله: ﴿سَبْعُونَ ذَرَأًا﴾ [الحاقة: ٣٢] قالوا: المراد بها الكثرة وخصوص السبعين ليس مرادًا، وهذا مجاز وكذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْبُرْءُ كَرِيمًا﴾ [الملك: ٤] قيل: المراد المراجعة من غير حصر، وجيء بلفظ التثنية تنبيهًا على أصل الكثرة وهو مجاز .

أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن لفظ فعل (٢)

من ذلك لفظ فعل كثيرًا ما يجيء كناية عن أفعال متعددة، وفائدته الاختصار كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ [النساء: ٦٦] .
وقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله .

(١) سقط من م .

(٢) انظر: «المدخل» للحدادي (ص/ ١٦٥ - ١٦٩) .

وحيث أطلقت في كلام الله فهي محمولة على الوعيد الشديد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

لفظ كان

ومن ذلك: الإخبار عن ذات الله أو صفاته بـ «كان»

وقد اختلف النحاة وغيرهم في أنها تدل على الانقطاع على مذاهب:

أحدها: أنها تفيد الانقطاع، لأنها فعل يشعر بالتجدد. والثاني: لا تفيده بل تقتضي الدوام والاستمرار، وبه جزم ابن معط في ألفيته حيث قال:

وكان [للماضي] (١) الذي ما انقطعا

وقال الراغب (٢) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧] نبه بقوله:

«كان» على أنه لم يزل منذ أوجد منظورياً على الكفر.

والثالث: أنه عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل

على عدم سابق [ق/ ٢٧٠] ولا على انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] قاله الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وذكر ابن عطية (٣) في سورة الفتح أنها حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوبة الدلالة

على الزمان.

والصواب من هذه المقالات: مقالة الزمخشري وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها

بالزمن الماضي لا غير، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى، ولا بقاءه بل إن إفادة

الكلام شيئاً من ذلك كان للدليل آخر، إذا علمت هذا، فقد وقع في القرآن إخبار الله تعالى

عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ «كان» كثيراً نحو: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨] ﴿وَإِسْعًا

حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] ﴿عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣] ﴿تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]: ﴿وَكَُنَّا بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]: ﴿وَكَُنَّا يُحْكِمُهُمُ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

فحيث وقع الإخبار بكان عن صفة ذاتية، فالمراد الإخبار عن وجودها، وأنها لم تفارق

ذاته؛ ولهذا يقررها بعضهم بما زال فراراً مما يسبق إلى الوهم، إن كان يفيد انقطاع المخبر به

عن الوجود، لقولهم دخل في خبر كان، قالوا: فكان وما زال مجازان يستعمل أحدهما في

معنى الآخر مجازاً بالقرينة، وهو تكلف لا حاجة إليه، وإنما معناها ما ذكرناه من أزلية الصفة

(١) سقط من م.

(٣) المحرر الوجيز (٥/١٢٥).

(٢) المفردات (ص/١٢٥٧).

ثم تستفيد بقاءها في الحال، وفيما لا يزال بالأدلة العقلية وباستصحاب الحال.

وعلى هذا التقدير سؤالنا:

أحدهما: أن الباري سبحانه وصفاته موجودة قبل الزمان [والمكان، فكيف تدل كان الزمانية على أزلية صفاته وهي موجوده قبل الزمان؟].

وثانيهما: مدلول كان اقتران مضمون الجملة بالزمان، اقتراناً مطلقاً فما الدليل على استغراقه الزمان؟ والجواب عن الأول: [أن الزمان] (١) نوعان حقيقي، وهو مرور الليل والنهار أو مقدار حركة الفلك على ما قيل فيه، وتقديري: وهو ما قبل ذلك، وما بعده كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: ٦٢] ولا بكرة هنا ولا عشياً، وإنما هو زمان تقديري فرضي.

وكذلك قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩] مع أن الأيام الحقيقية لا توجد إلا بوجود السموات والأرض، والشمس والقمر، وإنما الإشارة إلى أيام تقديرية.

وعن الثاني: أن «كان» لما دلت على اقتران مضمون الجملة بالزمان، لم يكن بعض أفراد الأزمنة بأولى بذلك من بعض، فإما ألا يتعلق مضمونها بزمان فيعطل أو يتعلق بعضها دون بعض، وهو ترجيح بلا مرجح، أو يتعلق بكل زمان وهو المطلوب.

وحيث وقع الإخبار بها عن صفة فعلية، فالمراد تارة الإخبار عن قدرته عليها في الأزل نحو: كان الله خالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً، وتارة تحقيق نسبته إليه نحو ﴿وَكُنَّا قَلِيلًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] وتارة ابتداء الفعل وإنشأؤه نحو ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] فإن الإرث إنما يكون بعد موت المورث، والله سبحانه مالك كل شيء على الحقيقة من قبل ومن بعد.

وحيث أخبر بها عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أنها فيه غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه نحو: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].
ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١١٠ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝١١١ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝١١٢﴾ [المعارج: ١٩-٢١] أي: خلق على هذه الصفة، وهي مقدره أو بالقوة ثم تخرج إلى الفعل.

وحيث أخبر بها عن أفعالهم دلت على اقتران مضمون الجملة بالزمان، نحو: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالنَّخْلِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومن هذا الباب الحكاية عن النبي ﷺ بلفظ: كان

(١) سقط من م.

يصوم وكنا نفعل، وهو عند أكثر الفقهاء والأصوليين يفيد الدوام، فإن عارضه ما يقتضي عدم الدوام مثل أن يروى: كان يمسح مرة ثم نقل أنه يمسح ثلاثاً، فهذا من باب تخصيص العموم، وإن روى النفي والإثبات تعارضاً.

وقال الصفار في شرح سيبويه: إذا استعملت للدلالة على الماضي فهل تقتضي الدوام والاتصال أولاً؟ مسألة خلاف، وذلك أنك إذا قلت: كان زيد قائماً فهل هو الآن؟ قائم الصحيح أنه ليس كذلك هذا هو المفهوم ضرورة، وإنما حملهم على جعلها للدوام ما ورد من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢] وهذا عندنا يتخرج على أنه جواب لمن سأل: هل كان الله غفوراً رحيماً؟ وأما الآية الثانية فالمعنى أي: قد كان عندكم فاحشة وكنتم تعتقدون فيه ذلك فتركه يسهل عليكم، قال ابن الشجري في أماليه: اختلف في «كان» في نحو قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] على قولين أحدهما: أنهما بمعنى لم يزل كأن القوم شاهدوا عزاً وحكمة ومغفرة ورحمة ف قيل لهم: لم يزل الله كذلك قال: وهذا قول سيبويه.

والثاني: أنها تدل على وقوع الفعل فيما مضى من الزمان، فإذا كان فعلاً متطاولاً لم يدل دلالة قاطعة على أنه زال وانقطع، كقولك: كان فلان صديقي لا يدل هذا على أن صداقته قد زالت بل يجوز بقاءها ويجوز زوالها، فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُرْءُدًا مَّيِّنًا﴾ [النساء: ١٠١]؛ لأن عداوتهم باقية.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وقال بعضهم يدل على أن خبرها كان موجوداً في الزمن الماضي، وأما في الزمن الحاضر، فقد يكون باقياً مستمراً، وقد يكون منقطعاً: فالأول كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] وكذا سائر صفاته؛ لأنها باقية مستمرة.

قال السيرافي: قد يرجع الانقطاع بالنسبة للمغفور لهم والمرحومين، بمعنى أنهم انقضوا فلم يبق من يغفر له ولا من يرحم فتنقطع المغفرة والرحمة.

وكذا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧] ومعناه: الانقطاع فيما وقع عليه العلم والحكمة لا نفس العلم والحكمة. وفيه نظر.

وقال ابن بري: ما معناه إن «كان» تدل على تقديم الوصف وقدمه، وما ثبت قدمه استحالة عدمه، وهو كلام حسن.

وقال منصور بن فلاح اليماني في كتاب «الكافي»: قد تدل على الدوام بحسب القرائن، كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿النساء: ١٠٣﴾ دلت على الدوام المتصف بتلك الصفات ودوام التعبد بالصفات، وقد تدل على الانقطاع، نحو: كان هذا الفقير غنياً وكان لي مال.

وقال أبو بكر الرازي: كان في القرآن على خمسة أوجه: بمعنى الأزل، والأبد كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

وبمعنى المضي المنقطع، كقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةً رَهْطًا﴾ [النمل: ٤٨] وهو الأصل في معاني كان كما تقول: كان زيد صالحاً أو فقيراً أو مريضاً أو نحوه.

وبمعنى الحال كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [ال عمران: ١١٠] وقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وبمعنى الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿رَبِّانُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وبمعنى صار كقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

مسألة في حكم «كان» إذا وقعت بعد «إن»

كان فعل ماضٍ، وإذا وقعت بعد «إن» كانت في المعنى للاستقبال. وقال المبرد: تبقى على الماضي لتجردها للدلالة على الزمان، فلا يغيرها أداة الشرط قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦]: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ﴾ [يوسف: ٢٦]. وهذا ضعيف لبنائه [ق/ ٢٧١] على أنها للزمان وحده، والحق خلافه بل تدل على الحدث والزمان كغيرها من الأفعال، وقد استعملت مع «إن» للاستقبال، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وأما: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦]: فتأوله ابن السراج على تقدير: إن أكن قلته وكذا [تقدير] (١) ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ﴾ إن يكن قميصه.

مسألة في نفي «كان» وأخواتها

إذا نفيت «كان» وأخواتها فهي كغيرها من الأفعال، وزعم ابن الطراوة أنها إذا نفيت كان اسمها مثبتاً والخبر منفيّاً، قال: لأن النفي إنما يتسلط على الخبر كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [البقرة: ٢٥] فالقول مثبت والحجة هي المنفية، وما ذهب إليه غير لازم؛ إذ قد قرئ [«ما كان حجتهم» بالرفع على أنه اسم كان، ولكن تأوله على أن «كان» ملغاة أي: زائدة: تقديره ما حجتهم إلا. وهذا إن ساغ له هاهنا، فلا يسوغ له تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ لَرَّ تَكُنْ قَتْنَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأنعام: ٢٣] فإنه قرئ بالرفع] (٢)، ولا يمكن أن تكون هنا ملغاة.

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

لفظ جعل

ومن ذلك «جعل» وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات أحداث، وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل، وأعمها فعل يقع على القول والهم وغيرهما: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

ودونه «عمل»، لأنه يعم النية والهمم والعزم، والقول: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: من صلاة وصدقة وجهاد.

ولجعل أحوال: أحدها: بمعنى سمى كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الشِّرْكَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] أي: سموه كذبًا وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾ [الزخرف: ١٩] على قول، ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتُؤْنَوْنَ الْمَلَائِكَةَ سُبِّيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].
الثاني: بمعنى المقاربة مثل كاد وطفق، لكنها تفيد ملابسة الفعل والشروع فيه، تقول جعل يقول: وجعل يفعل كذا إذا شرع فيه.

الثالث: بمعنى الخلق والاختراع، فتعدى لواحد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي: خلقهما.

فإن قيل: ما الفرق بين الجعل والخلق؟ قيل: إن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التصيير، كأنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئًا، أو نقله من مكان ويتعدى لمفعول واحد؛ لأنه لا يتعلق إلا بواحد وهو المخلوق، وأيضًا فالخلق يكون عن عدم سابق، حيث لا يتقدم مادة ولا سبب محسوس، والجعل يتوقف على موجود مغاير للمجعول يكون منه المجعول أو عنه، كالمادة والسبب ولا يرد في القرآن العظيم لفظ جعل في الأكثر مرادًا به الخلق، إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه أو شيئًا فيه محسوسًا عنه يكون ذلك المخلوق الثاني، بخلاف خلق؛ فإن العبارة تقع كثيرًا به عما لم يتقدم وجوده وجود مغاير يكون عنه هذا الثاني، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] [وإنما الظلمات والنور] ^(١) عن أجرام توجد بوجودها وتعدم بعدمها، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد: ٣].

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢].

وقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

(١) سقط من م.

وفي سورة النساء: ﴿وَوَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] فهو يدل على أنهما قد يستعملان استعمال المترادفين .

الرابع: بمعنى النقل من حال إلى حال والتصيير، فيتعدى إلى مفعولين، إما حساً كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩]: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ [الأنبياء: ٧٣]: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠] .

وإما عقلاً مثل: ﴿أَجْعَلِ الْأُطْلَةَ إِلَهًا وَجَدًّا﴾ [ص: ٥]: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] . ونحو قوله: ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِيَاسًا﴾ [النبا: ١٠] لأنه يتعلق بشيئين المنقول، وهو الليل والمنقول إليه وهو اللباس .

وأبين منه قوله تعالى: ﴿وَرِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]: ﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سَبَاتًا﴾ [النبا: ٩] .

والمعاش في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١] اسم زمان، لكون الثاني هو الأول، ويجوز أن يكون مصدرًا لمعنى المعيش: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] معناه صيرناه؛ لأن مريم إنما صارت مع ولدها عليه السلام لما خلق من جسدها لا من أب فصار عند ذلك آية للعالمين، ومحال أنه يريد خلقناهما؛ لأن مريم لم تخلق في حين خلق ولدها، بل كانت موجودة قبله، ومحال تعلق القدرة بجعل الموجود موجودًا في حال بقائه .

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] فهو من هذا الباب على جهة الاتساع: أي صيرناه يقرأ بلسان عربي، لأن غير القرآن ما هو عبري وسرياني، ولأن معاني القرآن في الكتب السالفة بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا لَقِيَ زَيْرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]: ﴿إِنَّ هَذَا لَقِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى: ١٨] .

وبهذا احتج من أجاز القراءة بالفارسية^(١) قال: لأنه ليس في زبر الأولين من القرآن إلا المعنى، والفارسية تؤدي المعنى؛ وإذا عرف هذا فكأنه نقل المعنى من لفظ القرآن فصيره عربيًا .

وأخطأ الزمخشري حيث جعله بالخلق، وهو مردود صناعة ومعنى: أما الصناعة فلا لأنه يتعدى لمفعولين، ولو كان بمعنى الخلق لم يتعد إلا إلى واحد، وتعديته لمفعولين وإن احتمل

(١) هذا مذهب أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي: لا يميزه إذا كان يحسن القراءة بالعربية وكذا التكبير. وقال مالك: أكره أن يخلف الرجل بالعجمية. المبسوط (٣٧/١) والأم (١٠٣/١) واختلاف العلماء (٢٦٠/١).

هذا المعنى لكن بجواز إرادة التسمية أو التصيير على ما سبق، وأما المعنى فلو كان بمعنى خلقنا التلاوة العربية فباطل، لأنه ليس الخلاف في حدوث ما يقوم بالستنتا، وإنما الخلاف في أن كلام الله الذي هو أمره ونهيه وخبره، فعندنا أنه صفة من صفات ذاته وهو قديم.

وقالت القدرية: إنه صفة فعل أوجده بعد عدمه وأحدثه لنفسه فصار عند حدوثه متكلماً بعد أن لم يكن، فظهر أن الآية على تأويله ليس فيها تضمن لعقيدته الباطلة.

وقال الأمدي في «أبكار الأفكار»: الجعل فيه بمعنى التسوية، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّالِاتِ الْعَثَمَةَ إِحْسَانًا﴾ [الحجر: ٩١] أي: يسمونه كذباً قال: ويحتمل أن الجعل على بابه، والمراد القرآن بمعنى القراءة دون مدلولها، فإن القرآن قد يطلق بمعنى القراءة، ومنه قوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى في القرآن»^(١) أي بالقراءة.

وقال بعضهم: قاعدة العرب في الجعل أن يتعدى لواحد وتارة يتعدى لاثنين، فإن تعدى لواحد لم يكن إلا بمعنى الخلق، وأما إذا تعدى لاثنين فيجيء بمعنى الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٢] وبمعنى التسمية: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ [الزخرف: ١٩]: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الصَّالِاتِ إِحْسَانًا﴾ [الحجر: ٩١]. ويجيء بمعنى التصيير، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: صيرناهما.

إذا علمت هذا، فإذا ثبت أن الجعل المتعدي لاثنين ليس نصاً في الخلق، بل يحتمل الخلق وغيره ولم يكن في الآية تعلق للقدرية على خلق القرآن؛ لأن الدليل لا بد أن يكون قطعياً لا احتمال فيه، ويجوز أن يكون بمعنى الخلق على معنى: جعلنا التلاوة عربية.

قلت: وهذا يمنع إطلاقه، وإن جوزنا حدوث الألفاظ؛ لأنها لم تأت عن السلف بل نقول: القرآن غير مخلوق على الإطلاق.

الخامس: بمعنى الاعتقاد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ [الزخرف: ١٩] أي: اعتقدوهم إنثاً.

ويجوز أن يكون كما قبله، ووجه النقل فيه هو أن الملائكة في نفس الأمر ليسوا إنثاً، فهؤلاء الكفار نقلوهم باعتقادهم فصيروهم في الوجود الذهني إنثاً.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٥) ومسلم (٧٩٢).

ومنهم من جعلها بمعنى التسمية، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: لا تسموها أندادًا وأنتم تعلمون أي لا تسموها أندادًا ولا تعتقدوها، لأنهم ما سموها حتى اعتقدوها.

وكذلك: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [ق/ ٢٧٢] أي: سموه وجزءوه أجزاء، فجعلوا بعضه شعرًا وبعضه سحرًا وبعضه أساطير الأولين.

وقال الزجاج^(١) [في]^(٢): ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ إنها بمعنى . . [القول والحكم على الشيء تقول: قد جعلت زيدًا أعلم الناس؛ أي قد وصفته بذلك وحكمت عليه]^(٣).

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩] أي: اعتقدتم هذا مثل هذا.

فأما قوله: ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٨] فالنقل والتصيير راجعان إلى الحال، أي: لا تجعل حال هؤلاء مثل حال هؤلاء ولا تنقلها إليها.

وكذلك قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ [الرمد: ١٦] أي: اعتقدوا له شركاء.

السادس: بمعنى الحكم بالشيء على الشيء يكون في الحق والباطل، فالحق كقوله: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ يُرْسِلُ مِنْكُمْ رُسُلًا﴾ [القصص: ٧] والباطل كقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِنَّا ذُرًّا مِّنَ الْحَكْرَتِ . . .﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية.

وبمعنى أوجب: كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي، أوجبنا الاستقبال إليها.

وكقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]: [﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٣]]^(٤) ومعنى كنت عليها أي أنت عليها كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم.

السابع: ذكره الفارسي بمعنى «ألقى» فيتعدى لمفعولين أحدهما بنفسه، والآخر بحرف الجر كما في قولك: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، ومثله قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا﴾ [الرمد: ٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧] «وبعضه» بدل من الخبيث.

(١) معاني القرآن (٤/٤٠٧).

(٢) سقط من م.

(٣) بياض بالأصل استدرسته من معاني القرآن للزجاج (٤/٤٠٧).

(٤) سقط من م.

وقوله على بعض أي: فوق بعض .

[ومثله قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد: ٣] (١)]

أي ألقى بدليل قوله في الآية الأخرى التي علل فيها المراد بخلق الجبال، وأبان إنعامه فقال: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] .

فائدة:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٢] قيل: كيف يستعمل لفظ الجعل هنا مع أن المفعول به ينبغي أن يتحقق قبل الجعل مع صفة المفعول، كقولك: جعلت زيدا قائما فهو قبل ذلك كان متصفاً بضد القيام، وهنا لم يوجد الجعل إلا على هذه الصفة، فكيف يصح استعمال الجعل فيه؟

والجواب: أن الليل جواهر قام به السواد، والنهار جواهر قام به النور، وكذلك الشمس جسم قام به ضوء، والأجسام والجواهر متقدمة على الأعراض بالذات، والعرب تراعي مثل هذا نقل الفراء أنهم قالوا: أحسنت إليك فكسوتك، فجعلوا الإحسان متقدما على الكسوة بدليل العطف بالفاء، وليس ذلك إلا تقدم ذاتي؛ لأن الإحسان في الخارج هو نفس الكسوة. ولك أن تقول: لا نسلم أن الإحسان نفس الكسوة، بل معنى يقوم بالنفس ينشأ عنه الكسوة.

حسب

يتعدى لمفعولين، وحيث جاء بعدها «أن» والفعل كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ [التوبة: ١٦] ونظائره، فمذهب سيبويه أنها سادة مسد المفعولين (٢) ومذهب المبرد (٣) أنها سادة مسد المفعول الواحد، والثاني عنده مقدر. ويشهد لسيبويه أن العرب لم يسمع من كلامهم نطق بما ادعاه من التصريح به، ولو كان كما ذكره لنطقوا به ولو مرة.

كاد

وللنحويين فيها أربعة مذاهب:

أحدها: أن إثباتها إثبات ونفيها نفي كغيرها من الأفعال، والثاني: أنها تفيد الدلالة على

(٢) الكتاب (١/٣٩).

(١) سقط من م.

(٣) الكامل (٢/٧٥٤).

وقوع الفعل بعسر، وهو مذهب ابن جني .

والثالث: أن إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإذا قيل: كاد يفعل فمعناه أنه لم يفعله بدليل قوله: ﴿وَلَمَّا كَادُوا لَيَقْتُلُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] وإذا قيل: لم يكد يفعل فمعناه أنه فعله بدليل قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] .

والرابع: التفصيل في النفي بين المضارع [والماضي، فنفي المضارع] ^(١) نفي، ونفي الماضي إثبات، بدليل: ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ بِرَبِّهَا﴾ [النور: ٤٠] مع أنه لم ير شيئاً، وهذا حكاه ابن أبي الربيع في شرح الجمل، وقال: إنه الصحيح، والمختار هو الأول، وذلك لأن معناها المقاربة، فمعنى كاد يفعل قارب الفعل، ومعنى ما كاد يفعل لم يقاربه فخبرها منفي دائماً .

أما إذا كانت منفية فواضح، لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلاً عدم حصوله، ويدل له قوله تعالى: ﴿إِذَا أَفْرَجَ يَكُدُّ لَمْ يَكِدْ بِرَبِّهَا﴾ [النور: ٤٠] ولهذا كان أبلغ من قوله: لم «يرها»؛ لأن من لم ير قد يقارب الرؤية .

وأما إذا كانت المقاربة منفية، فلأن الإخبار بقرب الشيء يقتضي عرفاً عدم حصوله، وإلا لم ينتج الإخبار بقربه، فأما قوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم، في قوله: ﴿فَدَبَّحُوا﴾ ووجهه أيضاً إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا أولاً بعداء من ذبحها، بدليل ما ذكر الله عنهم من تعنتهم، وحصول الفعل إنما فهمناه من دليل آخر وهو قوله: ﴿فَدَبَّحُوا﴾ .

والأقرب أن يقال: إن النفي وارد على الإثبات، والمعنى هنا وما كادوا يفعلون الذبح قبل ذلك؛ لأنهم قالوا: ﴿الْتَحِذْنَا هُرُوقًا﴾ وغير ذلك من التشديد، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] فالمعنى على النفي، وأنه ﷺ لم يركن إليهم لا قليلاً ولا كثيراً من جهة أن «لولا» الامتناعية تقتضي ذلك، وأنه امتنع مقاربة الركون القليل لأجل وجود التثبيت، لينتفي الكثير من طريق الأولى .

وتأمل كيف جاء كاد المقتضية المقاربة للفعل، بقدر الظاهرة للتقليل كل ذلك تعظيماً لشأن النبي ﷺ، وما جبلت عليه نفسه الزكية من كونه لا يكاد يركن إليهم شيئاً قليلاً [ولا كثيراً] ^(٢) للتثبيت مع ما جبلت عليه .

وهكذا ينبغي أن يفهم معنى هذه الآية، خلافاً لما وقع في كتب التفسير من ابن عطية

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من م.

وغيره، فهم عن هذا المعنى اللطيف بمعزل.

وحكى الشريف الرضي في كتاب الغرر^(١) ثلاثة أقوال: في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ بِرَبِّهَا﴾

[النور: ٤٠]:

الأول: أنها دالة على الرؤية بعسر أي: رآها بعد عسر وبطء لتكاثف الظلم.

والثاني: أنها زائدة والكلام على النفي المحض، ونقله عن أكثر المفسرين أي: لم يرها أصلاً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَحَابُّ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠] (٢) كان مقتضى هذه الظلمات تحول بين العين وبين النظر إلى البدن وسائر المناظر.

والثالث: أنها بمعنى أراد من قوله: ﴿كَذَنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] أي: لم يرد أن يراها.

وذكر غيره أن التقدير: إذا أخرج يده ممتحناً لبصره لم يكذب بخرجها [عن ناظر إليها] (٣)، ويراهها صفة للظلمات تقديره: ظلمات بعضها فوق بعض يراها.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا يُتَجَزَّى﴾ [طه: ١٥] فيحتمل أن المعنى: أريد أخفيها لكي تجزى كل نفس [بسعيها] (٤).

ويجوز أن تكون زائدة أي: أخفيها لتجزى.

وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿آتِيَةٌ أَكَادُ﴾ والمعنى: أكاد آتي بها ثم ابتداء بقوله: ﴿أُخْفِيهَا يُتَجَزَّى﴾. وقرأ سعيد بن جبير «أكاد أخفيها» بفتح الألف أي أظهرها، يقال: أخفيت الشيء إذا سترته وإذا أظهرته.

وقراءة الضم تحتمل الأمرين، وقراءة الفتح لا تحتمل غير الإظهار ومعنى سترتها لأجل الجزاء، لأنه إذا أخفى وقتها قويت الدواعي على التأهب لها خوف المجيء بغتة، وأما قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: ٣٥] فلم يثبت للزيت الضوء، وإنما أثبت له المقاربة من الضوء قبل أن تمسه النار، ثم أثبت النور بقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فيؤخذ منه أن النور دون الضوء [ق/ ٢٧٣] لا نفسه.

فإن قلت: ظاهره أن المراد يكاد يضيء مسته النار أو لم تمسه، فيعطى ذلك أنه مع أن مساس النار لا يضيء ولكن يقارب الإضاءة، لكن الواقع أنه عند المساس يضيء قطعاً، أوجب بأن الواو ليست عاطفة وإنما هي للحال أي: يكاد يضيء والحال أنه لم تمسه نار فيفهم

(٢) سقط من م.

(١) (٣٣١/١).

(٤) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

منه أنها لو مسته لأضاء قطعاً .

قاعدة (١) في مجيء كاد بمعنى أراد

تجيء كاد بمعنى أراد ومنه: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] ﴿أَكَاذُ أَخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] وعكسه كقوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧] أي: يكاد .

قاعدة (٢) فعل المطاوعة

فعل المطاوعة: هو الواقع مسبباً عن سبب اقتضاه، نحو: كسرتَه فانكسر قال ابن مالك في شرح الخلاصة: هو الدال على قبول مفعول لأثر الفاعل، ومعنى ذلك أن الفعل المطاوع بكسر الواو يدل على أن المفعول لقولك: كسرت الشيء يدل على مفعول معالجتك في إيصال الفعل إلى المفعول، فإذا قلت: فانكسر علم أنه قبل الفعل، وإذا قلت: لم ينكسر [علم] (٣) أنه لم يقبله، وأما المطاوع بفتح الواو فيدل على معالجة الفاعل في إيصال فعله إلى المفعول، ولا يدل على أن المفعول قبل الفعل أو لم يقبله .

وذكر الزمخشري وغيره أن المطاوع والمطاوع لا بد وأن يشتركا في أصل المعنى، والفرق بينهما إنما هو من جهة التأثر والتأثير كالكسر والانكسار، إذ لا معنى للمطاوعة إلا حصول فعل عن فعل، فالثاني مطاوع لأنه طواع الأول والأول مطاوع؛ لأنه طاعه الثاني، فيكون المطاوع لازماً للمطاوع ومرتباً عليه .

وقد استشكل هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] [فأثبت الهدى] (٤) بدون الاهتداء .

وقوله: أمرته فلم يأتمر، فأثبت الأمر بدون الائتثار وأيضاً فاشترط الموافقة في أصل المعنى منقوض بقوله: أمرته فأتمر أي: امثل فإن الائتثار خلاف الطلب .

وأجيب بأنه ليس المراد بـ «هديناهم فاستحبوا العمى» العمى الحقيقي، بل أوصلنا إليهم أسباب الهداية من بعث النبي ﷺ، فلا يلزم وجود الاهتداء، وأما الأمر فيقتضيه لغة ألا يثبت إلا بالائتثار والائتثار [إلا أنه منع منه لزوم الخبر وسقوط الإخبار فهنا يختلف المانع] (٥) .

وقال المطرزي في المغرب: الائتثار من الأضداد، وعليه قول شيخنا في الأساس (٦) يقال: أمرته فأتمر وأبى أن يأتمر أي: أمرته فاستبد برأيه ولم يمثل، والمراد بالمؤتمر الممثل،

(٢) في م: فائدة.

(٤) سقط من م.

(٦) (١٩/١).

(١) في م: فائدة.

(٣) في المطبوع: على.

(٥) سقط من المطبوع.

ويقال: علمته فلم يتعلم؛ لأن التعليم فعل صالح؛ لأن يترتب عليه حصول العلم [لإيجاده] ^(١)، كذا قاله الإمام فخر الدين ومنعه بعضهم.

وقال الشيخ علاء الدين الباجي: لو لم يصح علمته فما تعلم لما صح علمته فعلم؛ لأنه إذا كان التعليم يقتضي [إيجاد] ^(٢) العلم وهو علة فيه، فمعلوله وهو التعلم يوجد معه بناء على أن العلة مع المعلول و الفاء في قولنا: فتعلم تقتضي تعقب العلم، وإن قلنا المعلول يتأخر فلا فائدة في فتعلم لأن التعلم قد فهم من علمته، فوضح أنه لو صح علمته فما تعلم لكان إما ألا يصح علمته فتعلم؛ بناء على أن العلة مع المعلول أو لا تكون في قولنا: فتعلم فائدة بتأخر المعلول.

فإن قيل: قد منعوا كسرتهم فما انكسر فما وجه صحة قولهم: علمته فما تعلم؟ قيل: فرق بعضهم بينهما بأن العلم في القلب من الله يتوقف على أمر من المعلم ومن المتعلم، وكان علمه موضوعاً للجزاء الذي من المعلم فقط لعدم إمكان فعل من المخلوق يحصل به العلم ولا بد بخلاف الكسر، فإن أثره لا واسطة بينه وبين الانكسار.

واعلم أن الأصل في الفعل المطاوعة أن يعطف عليه بالفاء، تقول: دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ، ولا تقولها بالواو؛ لأن المراد إفادة السببية، وهو لا يكون في الغالب إلا بالفاء كقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ [الأعراف: ١٧٨].

ويجوز عطفه بالواو كقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].
وكقوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجِبْتُنَا﴾ [الأنبياء: ٨٨].

[وفي موضع آخر: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَجَجْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]] ^(٣) وزعم ابن جني في كتاب «الخصائص» ^(٤) أنه لا يجوز فعل المطاوعة إلا بالفاء.

ويجاب عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] بأن أغفل في الآية بمعنى: وجدناه غافلاً لا جعلناه يغفل وإلا لقال فاتبع هواه بالفاء؛ لأنه يكون مطاوعاً. وفي كلامه نظر؛ لأننا نقول: ليس اتباع الهوى مطاوعاً لأغفلنا، بل المطاوع لـ «أغفلنا» غفل.

فإن قيل: إنه من لازم الغفلة اتباع الهوى والمسبب عن السبب سبب؟

قيل: لا نسلم أن اتباع الهوى مسبب عن الغفلة، بل قد يغفل عن [الذكر] ^(٥) ولا يتبع

(٢) في م: اتحاده.

(٤) (٢٥٤/٣).

(١) في م: لا اتحاده.

(٣) سقط من م.

(٥) سقط من المطبوع.

الهوى ، ويكون المانع له منه غفلة أخرى عنه [كما فصلت له غفلة عن الذكر أو تروية أو خوف الناس سلمنا أنه تسبب عنها إلا أنا كلامنا في الهوى عن الغفلة ليس عن المطاوعة] ^(١) واعلم أن الحامل لأبي الفتح على هذا الكلام ، اعتقاده الاعتزالي أن معصية [العبد] ^(٢) لا تنسب إلى الله تعالى ، وأنها مسببة له ، فلهذا جعل أفعال هنا بمعنى وجد ، لا بمعنى التعدي خاصة ، وقد بينا ضعف كلامه ، وأن المطاوع لا يجب عطفه بالفاء .

وقال الزمخشري ^(٣) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل ١٥] : هذا موضع الفاء كما يقال : أعطيته فشكر ومنعته فصبر ، وإنما عطف بالواو للإشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم فأضمر ذلك ثم عطف عليه بالتحميد ، كأنه قال : فعلا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالوا الحمد لله . وقال السكاكي : يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالوا ، كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على فهم السامع ، كقولك : قم يدعوك بدل قم فإنه يدعوك . وأما قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَغَابُوا عَنْهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فظن بعض الناس أن التقوى سبب التعليم ، والمحققون على منع ذلك ؛ لأنه لم يربط الفعل الثاني بالأول ربط الجزاء بالشرط ، فلم يقل : واتقوا الله يعلمكم ، ولا قال : فيعلمكم الله ، وإنما أتى بواو العطف ، وليس فيه ما يقتضي أن الأول سبب للثاني وإنما غايته الاقتران والتلازم كما يقال : زرني وأزورك وسلم علينا ونسلم عليك ونحوه ، مما يقتضي اقتران الفعلين والتعارض من الطرفين ، كما لو قال عبد لسيدته : أعتقني ولك علي ألف أو قالت المرأة لزوجها : طلقني ولك ألف ، فإن ذلك بمنزلة قولها بألف أو على ألف ، وحيثئذ فيكون متى علم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك .

ونظير الآية قوله تعالى : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] .

وقوله عقيب ذكر الغيبة : ﴿وَأَلْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ووجه هذا الختام التنبيه على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم ، وهامنا بحث ، وهو أن الأئمة اختلفوا في أن العلم هل يستدعي مطاوعة أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : نعم بدليل قوله تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨] فأخبر عن كل من هداه الله بأنه يهتدي ، وأما قوله : ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] فليس منه ؛ لأن المراد بالهداية فيه الدعوة بدليل : ﴿فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] [كما سبق] ^(٤) .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من م .

(٣) الكشاف (٣/٣٥٢) .

(٤) سقط من المطبوع .

والثاني: لا يدل على المطاوعة بدليل قوله: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] [ق/ ٢٧٤] وقوله: ﴿وَتَخْوِيفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]؛ لأن التخويف حصل، ولم يحصل للكفار خوف نافع يصرفهم إلى الإيمان، فإنه المطاوع للتخويف المراد بالآية الكريمة، وعلى الأول تكون الفاء للتعقيب في الزمان ويكون أخرجته فما خرج حقيقة.

فائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾

قالوا في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥] إن التقدير: منذر إنذارًا نافعًا من يخشاها.

قال الشيخ عز الدين: ولا حاجة إلى هذا؛ لأن فعل وأفعل إذا لم يترتب عليه مطاوعة وخوف وعلم وشبهه لا يكون حقيقة؛ لأن خوف إذا لم يحصل الخوف وعلم إذا لم يحصل العلم، كان مجازًا و ﴿مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ يترتب عليه أثره، وهو الخشية فيكون حقيقة لمن يخشاها، فإذا ليس منذرًا من لم يخش؛ لأنه لم يترتب عليه أثر فعلى هذا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ [البرعد: ٧] فيه جمع بين الحقيقة والمجاز، لترتب أثره عليه بالنسبة إلى من يخشى دون من لم يخش.

احتمال الفعل للجزم والنصب

فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] يحتمل أن يكون ما بعد الفاء مجزومًا، ويحتمل أن يكون منصوبًا، وإذا كان مجزومًا كان داخلًا في النهي فيكون قد نهى عن الظلم، كما نهى عن قربان الشجرة؛ فكأنه قال: لا تقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين [ويؤدى إلى الظلم] (١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢] فإنه يحتمل أن يكون «تكتموا» مجزومًا، فهو مشترك مع الأول في حرف النهي والتقدير: لا تلبسوا ولا تكتموا أي لا تفعلوا هذا [ولا هذا] (٢) كما في قولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن بالجزم، أي: لا تفعل واحداً من هذين، ويحتمل أن يكون منصوبًا، والتقدير: لا تجمعوا بين هذين [ويكون مثل لا تأكل السمك وتشرب اللبن، والمعنى: لا تجمعوا بين هذين] (٣) الفعلين القبيحين كما تقول لمن لقيته: أما كفاك أحدهما حتى جمعت بينهما، وليس في هذا إباحة أحدهما والأول أظهر.

وقوله: ﴿مَا لَمْ تَسْؤُهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: ما لم يكن أحد الأمرين: المس أو الفرض المستلزم لعدم كل منهما، أي: لا هذا ولا هذا، فإن وجد أحدهما فعليكم

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

الجناح وهو المهر، أو نصف المفروض «وتفرضوا» مجزوم عطفًا على ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ .
وقيل: نصب، و «أو» بمعنى إلا أن .

والصحيح الأول، ولا يجوز تقدير «لم» بعد «أو» لفساد المعنى، إذ يقول إلى رفع الجناح عند عدم المس مع الفرض وعدمه، وعند عدم الفرض مع المس وعدمه، وليس كذلك ولا يقدر فيما انتفى أحدهما للزوم نفي الجناح، عند نفي أحدهما ووجود الآخر، فلا بد من المحافظة على أحدهما على الإبهام وانسحاب حكم «لم» عليه .

ونظيره: ﴿وَلَا تُطِغْ بِتَنَهَمٍ مَائِنًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] .

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْهَكَامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِغُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزِدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] والوجه الجزم ويجوز النصب . وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي آفْسُكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية .

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَمْتَلُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]

وقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] .

وقوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَمْلُوكَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] .

وقوله في آل عمران: ﴿يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] .

وقوله في الأعراف: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] .

وقوله في الأنفال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[الأنفال: ٢٧] .

وقوله في سورة التوبة: ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ

وَيَسْتَوِلُوا﴾ [التوبة: ٥٠] .

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَقْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا

بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] .

وقوله في سورة يونس: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الصَّاعِقَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] يجوز أن يكون

معطوفًا على: ﴿لِيُجِيبُوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨] فيكون منصوبًا، ويجوز أن يكون منصوبًا بالفاء

على جواب الدعاء وأن يكون مجزومًا؛ لأنه دعاء .

وقوله في سورة يوسف: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحَثُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ

بَعْدِي﴾ [يوسف: ٩] .

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقوله في سورة هود: ﴿الرَّ كَذِبٌ أَتَيْتُمْ ثُمَّ نُفِيتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ﴿١٠٩﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ﴾ [هود: ٢-١] أي: بأن لا تعبدوا فيكون منصوباً ويجوز جزمه؛ لأنه نهي.

وقوله في سورة النحل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزِيلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَشْوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩٤] يجوز عطف ﴿وَتَذُوقُوا﴾ على ﴿تَتَّخِذُوا﴾ أو ﴿فَزِيلَ﴾ قبل دخول الفاء فيكون مجزوماً.

وقوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي بالآ تعبدوا أو على نهي.

وفيها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله في سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُجْدُونَكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].
وقوله في الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨] يجوز أن يكون لام كي أو لام الأمر، وفائدة هذا تظهر في جواز الوقف.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْسُضُنَّ يَتَقَتَّلَ لَكُمْ لِيُشْفُوا نَفْسَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نَذْرَهُمْ وَلِيُطَوِّفُوا﴾ [الحج: ٢٩] فيمن كسر اللامات، وقوله في النمل: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنْتُمْ مُسْتَلِيمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٣١] أي: بأن أو نهي.

وقوله في العنكبوت: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَمْنَعُوا﴾ [العنكبوت: ٦٦].

[وفي فاطر: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [الروم: ٩].

وفي يس: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٥] هل] ^(١) هي لام كي أو لام الأمر.

وفي المؤمن: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [يوسف: ١٠٩].

وفي فصلت: ﴿تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تُخَافُوا وَلَا تُحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

وفي الأحقاف: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢].

وفي القتال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [يوسف: ١٠٩].

ويدل على جواز النصب ظهوره في مثله: ﴿فَتَكُونَنَّ لَكُمْ قُلُوبٌ﴾ [الحج: ٤٦].

وقوله: ﴿فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْبِ﴾ [محمد: ٣٥].

وقوله: ﴿أَلَا تَطْفَعُوا فِي الْمِيرَاثِ﴾ [الرحمن: ٨] أي: لثلا أو مجزوم.

(١) سقط من م.

وقوله: ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ [المنحنة: ٢] .

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِيمَنْ يَنْتَدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] فإن «يعتذرون» داخل مع الأول في النفي، عند سيبويه بدليل قوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فإن كان النطق قد نفي عنهم في ذلك اليوم، فالاعتذار نطق فينبغي أن يكون منفيًا معطوفاً على قوله: ﴿وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ﴾ ولو حمل على إضمار المبتدأ أي: فهم يعتذرون لجاز على أن يكون المعنى في ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ أنهم وإن نطقوا فمنتظمهم كلا نطق، لأنه لم يقع الموقع الذي أرادوه كقولهم: تكلمت ولم تتكلم.

وقوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢] وعلى الأول يكون هذا قولاً في أنفسهم من غير نطق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] يجوز أن يكون لام كي، والفعل منصوب أو لام الأمر والفعل مجزوم.

وقوله: ﴿أَنْذَرْتُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فالظاهر أنه منصوب، ويجوز أن يكون مجزوماً واللام زائدة ومن نصب ﴿وَيَذَرُكَ﴾ عطفه على ﴿لِيُقْسِدُوا﴾ .

رأي

إن كانت بصرية تعدت لواحد أو [علمية] ^(١) تعدت لاثنين، وحيث وقع بعد البصرية منصوباً كان الأول مفعولها والثاني حالاً. [ق/ ٢٧٥]

ومما يحتمل الأمرين، قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢] فإن كانت بصرية كان ﴿النَّاسَ﴾ مفعولاً، و ﴿سُكَرَىٰ﴾ حالاً، وإن كانت علمية فهما مفعولاهما. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ﴾ [الجاثية: ٢٨] .

وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] فهذه الجملة أعني قوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ في موضع نصب، إما على الحال إن كانت بصرية أو مفعول ثان إن كانت قلبية.

واعلم أنه قد وقع في القرآن: ﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الأنعام: ٦] في بعض المواضع بغير واو، كما في الأنعام وفي بعضها بالواو، وفي بعضها بالفاء ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ [سبا: ٩] .

(١) في م: قلبية.

وهذه الكلمة تأتي على وجهين :

أحدهما : أن تتصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ، فيذكر بالألف والواو ولتدل الألف على الاستفهام ، والواو على عطف جملة على جملة قبلها ، وكذلك الفاء لكنها أشد اتصالاً مما قبلها .
والثاني : أن يتصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال ، فاقصر على الألف دون الواو والفاء ليجري مجرى الاستئناف .

ولا ينتقض هذا الأصل بقوله في النحل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾ [النحل : ٧٩] لاتصالها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النحل : ٧٨] وسبيلها الاعتبار بالاستدلال فبني عليه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾ [النحل : ٧٩] وأما رأيت فبمعنى أخبرني ، ولا يذكر بعدها إلا الشرط وبعده الاستفهام على التقديم والتأخير كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ . . . ﴾ [الأنعام : ٤٦] الآية : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [الملك : ٣٠] .
وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ ﴾ [الماعون : ١] .

وأما «رأيت» الواقعة في كلام الفقهاء فهي كذلك ، قال ابن خروف : إلا أنهم يلجئون فيها وجوابها رأيت إن كان كذا وكذا كيف يكون كذا بمعنى عدم الشرط ، ثم الاستفهام بعده على نمط الآيات الشريفة ، وهي معلقة عن العمل بما بعدها من الآيات الكريمة ، وكذلك [الرؤية] ^(١) كيف تصرف .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِنْ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الْقَدْلَ ﴾ [الفرقان : ٤٥] فدخلها معنى التعجب كأنه قيل : ألم تعجب إلى كذا فتعدت بـ «إلى» كأنه ألم تنظر ودخلت إلى بمعنى التعجب ، وعلق الفعل على جملة الاستفهام ، وليست ببدل من الرب تعالى ؛ لأن الحرف لا يعلق .

وأما : ﴿ أَرَأَيْتَكَ ﴾ فقد وقعت هذه اللفظة في سورة الأنعام في موضعين ، وغيرها وليس لها في العربية نظير ؛ لأنه جمع فيها بين علامتي خطاب ، وهما التاء والكاف والتاء اسم بخلاف الكاف ، فإنها عند البصريين حرف يفيد الخطاب ، والجمع بينهما يدل على أن ذلك تنبيهاً على مبناها عليه من مرتبة ، وهو ذكر الاستبعاد بالهلاك ، وليس فيما سواها ما يدل على ذلك فاكتفى بخطاب واحد .

قال أبو جعفر بن الزبير ^(٢) : الإتيان بأداة الخطاب بعد الضمير المفيد لذلك تأكيد باستحكام غفلته ، كما تحرك النائم باليد والمفرط الغفلة باليد واللسان ، ولهذا حذفت الكاف في آية يونس ؛ لأنه لم يتقدم قبلها ذكر صمم ولا بكم يوجب تأكيد الخطاب ، وقد تقدم قبلها

(٢) ملاك التأويل (١/٤٥٣ - ٤٥٤) .

(١) في م : الرواية .

قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١] إلى ما بعدهم
فحصل تحريكهم وتببيهم بما لم يبق بعده إلا التذكير بعدابهم انتهى .

وقال ابن فارس ^(١) في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] قال
البصريون: هذه الكاف زائدة زيدت لمعنى المخاطبة، قال محمد بن يزيد: وكذلك رويدك
زيدًا قال: والدليل على ذلك أنك إذا قلت: أرايتك زيدًا، فإنما هي أرايت زيدًا؛ لأن الكاف
لو كانت اسمًا استحال أن تعدى أرايت إلى مفعولين، والثاني هو الأول يريد قولهم: أرايت
زيدًا قائمًا لا يعدي رأيت إلا إلى مفعول هو زيد، ومفعول آخر هو قائم، فالأول هو الثاني .
وقال غيره: من جعل الأداة المؤكد بها الخطاب في أرايتكم ضمير لم يلزمه اعتراض بتعدي
فعل الضمير المتصل إلى مضمرة المتصل، لأن ذلك جائز في باب الظن وفي فعلين من غير باب
ظننت، وهما فقدت وعدمت، وكذلك تعدي فعل الظاهر إلى مضمرة المتصل جائز في الأفعال
المذكورة، والآيات المذكورة من باب الظن؛ لأن المراد بـ «أرايت» رؤية القلب فهي من
المستثنى، وإنما الممتنع مطلقًا تعدي فعل المضمرة المتصل إلى ظاهره [فلا اختلاف في منع هذا
من كل الأفعال .

وأما من جرد أداة الخطاب المؤكد بها للحرفية ^(٢)، وهو قول الجمهور فلا كلام في
ذلك .

وقد اختلف في موضع الكاف من هذا اللفظ على أقوال:

قال سيبويه: لا موضع لها .

وقال [السكاكي] ^(٣): موضعها نصب .

وقال الفراء: رفع .

إذا علمت هذا فلها موضعان: أحدهما: أن تكون بمعنى: أخبرني فلا تقع إلا على اسم
مفرد أو جملة شرط كقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية، ولا يقع
الشرط إلا ماضيًا؛ لأن ما بعده ليس بجواب له، وإنما هو معلق بـ «أرايتك» وجواب الشرط
إما محذوف للعلم به، وإما للاستفهام مع عامله، وإذا ثنى هذا أو جمع لحقت بالثنائية والجمع
الكاف، وكانت التاء مفردة بكل حال .

قال السيرافي: يجوز أن يكون أفرادهم للتاء استغناء بثنائية الكاف وجمعها، لأنها للخطاب

(٢) سقط من م .

(١) فقه اللغة (ص/٨٣) .

(٣) في م: الكسائي .

وإنما فعلوا ذلك للفرق بين رأيت بمعنى أخبرني، وغيرها إذا كانت بمعنى علمت .

والثاني : تكون فيه بمعنى انتبهه ، كقولك : رأيت زيدا فإني أحبه أي : انتبه له فإني أحبه ، ولا يلزمه الاستفهام ، وقد يحذف الكلام الذي هو جواب للعلم به فلا يذكر كقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَقْوِمْ أَرْهَ بَشَرٍ إِنْ كُنْتَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَلَمْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [هود: ٨٨] فلم يأت بجواب .

وأتى في موضع آخر بالجواب ، ولم يأت بالشرط قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً وَأَسْأَلُهُ اللَّهَ عَلَىٰ غَيْرِ رِخْمٍ عَلَىٰ سَمْعِيهِ وَقَلْبِيهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَانَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ ﴾ [الجنانية: ٢٣] ف «من» الأول بمنزلة «الذي» .

تنبيه:

قال سيويه : لا يجوز إلغاء رأيت كما يلغى علمت أزيد عندك أم عمرو ، ولا يجوز هذا في «رأيت» ولا بد من النصب إذا قلت : رأيت زيدا أبو من [هو] ^(١) قال : لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة أخبرني في جميع أحوالها .

قال السهيلي ^(٢) : وظاهر القرآن يقتضي خلاف قوله ، وذلك أنها في القرآن ملغاة ؛ لأن الاستفهام مطلوبها ، وعليه وقع في قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۗ أَزَيَّلَهُ ﴾ [العلق: ١٣-١٤] وقوله : ﴿ أَزَيَّلَهُ ﴾ استفهام وعليه وقعت «أرأيت» ، وكذلك «أرأيتم» و «أرأيتكم» في الأنعام والاستفهام واقع بعدها نحو : ﴿ هَلْ يَهْلِكُ بِهَذَا الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٧] و ﴿ أَتَلْفِتُونَهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وهذا هو الذي منع سيويه في «أرأيت» و «أرأيتك» ولا يقال : أرأيتك أبو من أنت قال : لكن الذي قال سيويه صحيح لكن إذا ولي الاستفهام «أرأيت» ولم يكن لها مفعول سوى الجملة .

وأما في هذه المواضع التي في التنزيل ، فليست الجملة [ق/ ٢٧٦] المستفهم عنها هي مفعول «أرأيت» ، ولم يكن لها مفعول محذوف يدل عليه الشرط ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصورة ؛ لأن المعنى أرأيتم صنيعكم ، إن كان كذا وكذا؟ كما تقول : «أرأيت [إن لقيت] ^(٣) العدو أتقاتل أم لا ، تقديره : أرأيت رأيك وصنعك إن [لقيت] ^(٤) العدو؟ فحذف الشرط وهو «إن» دال على ذلك المحذوف ومرتبطة به ، والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع إلا أن فيها زيادة بيان ، لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ووليها الاستفهام

(١) سقط من م .

(٢) الروض الأنف (١/ ١٤٤) بتصرف واختصار .

(٣) سقط من م .

(٤) في م : رأيت .

لقبح كما قال سيبويه وغيره في علمت وهل علمت، وهل رأيت وإنما يتجه مع رأيت خاصة، وهي التي دخلها معنى أخبرني.

علم العرفانية

لا تتعلق إلا بالمعاني نحو: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨].
فأما نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ مَن نَّعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١] وقوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣] فالتقدير: لا تعلم خبرهم نحن نعلم خبرهم، فليعلمن الله صدق الذين صدقوا وليعلمن الله نفاق المنافقين، فحذف المضاف.

وذكر ابن مالك أنها تختص باليقين، وذكر غيره أنها تستعمل في الظن أيضًا بدليل قوله: ﴿فَإِن عِلْمُهُمْ مَّوَدَّعٍ﴾ [المتحة: ١٠].

وله أن يقول: العلم على حقيقته والمراد بالإيمان التصديق اللساني.

ظن

أصلها للاعتقاد الراجح، كقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا﴾ [البقرة: ٢٣٠].
وقد تستعمل بمعنى اليقين، لأن الظن فيه طرف من اليقين لولاه كان جهلاً، كقوله تعالى: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَمُوا رَبَّيْهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]: ﴿إِن ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]: ﴿وَلَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ [المطففين: ٤] وللفرق بينهما في القرآن ضابطان:
أحدهما: أنه حيث وجد الظن محمودًا مثابًا عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذمومًا [عليه] ^(١) متوعداً بالعقاب عليه فهو الشك.

الثاني: أن كل ظن يتصل بعده «إن» الخفيفة فهو شك كقوله: ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] وقوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنَّ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢].
وكل ظن يتصل به «إن» المشددة فالمراد به اليقين كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ بِجِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠] ﴿وَلَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].

والمعنى فيه أن المشددة للتأكيد، فدخلت على اليقين، وأن الخفيفة بخلافها فدخلت في الشك.

مثال الأول قوله سبحانه: ﴿وَعَلِمَ أَنِّي فِيكُمْ صَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] ذكر بـ «أن» وقوله: ﴿فَأَقْضَ اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

(١) سقط من المطبوع.

ومثال الثاني: ﴿وَحَسْبُوا إِلَّا نَكَوَتْ فَتَنَةً﴾ [المائدة: ٧١] والحسبان الشك .

فإن قيل: يرد على هذا الضابط قوله تعالى: ﴿وَتَطَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ تَوْبِهِ﴾ [التوبة: ١١٨] قيل: لأنها اتصلت [بالاسم وهي مخففة من الثقيلة، وفي الأمثلة السابقة اتصلت] (١) بالفعل .

فتمسك بهذا الضابط فإنه من أسرار القرآن، ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة: الظن أعم ألفاظ الشك واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة فمتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد الوهم، وأنه متى قوى استعمل فيه أن المشددة وأن المخففة منها، ومتى ضعف استعمل معه أن المختصة بالمعدومين من الفعل نحو: ظننت أن أخرج وأن يخرج فالظن إذا كان بالمعنى الأول محمود، وإذا كان بالمعنى الثاني فمذموم .

فمن الأول: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبَّيَهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦] .

ومن الثاني: ﴿إِنَّهُمْ لَمَّا لَا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] .

فائدة:

لا يجوز الاقتصار في باب «ظن» على أحد المفعولين، إلا أن يكون بمنزلة أنهم قالوا: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] قرأ الحرميان وابن كثير بالظاء (٢)، وهو فعيل بمعنى مفعول: والضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله، وقرأه الباقون بالضاد، وهو بمعنى فاعل، وفيه ضمير هو فاعله والمعنى [ليس] (٣) بخيل على الغيب فلا يمنعه كما تفعله الكهان، والمعنى على القراءة الأولى ليس بمتهم على الغيب؛ لأنه الصادق .

وأما قوله: ﴿وَتَطَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] فإنها بمنزلتها في قولك: نزلت بزيد، فالمعنى أوقعت ظني به .

شعر (٤)

ومنه شعر بمعنى علم، ومصدره «شِعْرَه»: بكسر الشين كالفطنة وقالوا: لبت شعري فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة، قال الفارسي: وكأنه مأخوذ من الشعار، وهو ما يلي

(١) سقط من المطبوع .

(٢) الحجة (٦/ ٣٨٠-٣٨١) السبعة (ص ٦٧٣) .

(٣) سقط من م .

(٤) سقط من المطبوع .

الجسد، فكان شعرت به علمته علم حس، فهو نوع من العلم، ولهذا لم يوصف به الله .
وقوله تعالى في صفة الكفار: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] أبلغ في الذم للبعد عن الفهم
من وصفهم بأنهم لا يعلمون، فإن البهيمة قد تشعر بحيث كانت تحس، فكأنهم وصفوا بنهاية
الذهاب عن الفهم .

وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] إلى
قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ولم يقل: لا تعلمون، لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم
أحياء، علموا أنهم أحياء فلا يجوز أن ينفي عنهم العلم ولكن يجوز أن يقال: «لا تشعرون»؛
لأنه ليس كل ما علموه يشعرون به، كما أنه ليس كل ما علموه يحسونه بحواسهم، فلما كانوا
لا يعلمون بحواسهم حياتهم، [وأنهم] ^(١) علموها بإخبار الله وجب أن يقال: «لا
يشعرون» دون لا يعلمون .

عسى ولعل

من الله تعالى واجبتان، وإن كانتا رجاء وطمعا في كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين
يعرض لهم الشكوك والظنون، والبارئ منزه عن ذلك .

والوجه في استعمال هذه الألفاظ: أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا
يقطعون على الكائن منها، وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان: نسبة
إلى الله تعالى تسمى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوق وتسمى نسبة شك وظن، فصارت
هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع، بحسب ما هي [عليه] ^(٢) عند الله كقوله: ﴿سَوْفَ
يَأْتِي اللَّهُ بِقَوِيٍّ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وتارة بلفظ الشك، بحسب ما هي عليه عند المخلوقين، كقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢]: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] .

وقوله: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَقَلَّمُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] وقد علم الله حين أرسلهما ما
يفضى إليه حال فرعون، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء
والطمع، فكأنه قال: انفضا إليه وقولا في نفوسكما: لعله يتذكر أو يخشى .

ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب، جاء على مذاهبهم في ذلك، والعرب قد تخرج
الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض، فتقول: لا تتعرض لما يسخطني فلعلك إن تفعل
ذلك ستندم وإنما مراده أنه يندم لا محالة، ولكنه أخرجه مخرج الشك تحريرا للمعنى، ومبالغة

(٢) سقط من م .

(١) في م: وإنما .

فيه، أي: أن هذا الأمر لو كان مشكوكاً فيه لم يجب أن تتعرض له، فكيف وهو كائن لا شك فيه، وبتحو من هذا فسر الزجاج قوله تعالى: ﴿زُبَّانًا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا سُؤْلِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وأما قوله: ﴿لَعَلَّيْ أَتْلُجُّ الْأَسْبَبَ﴾ [غانر: ٣٦] فاطلاعه إلى الإله مستحيل، فبجهله اعتقد في المستحيل الإمكان؛ لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان.

ونص ابن الدهان في لعل جواز استعماله في المستحيل، محتجاً بقوله: «لعل زماناً تولى يعود». [ق/٢٧٨]

وقال [أيضاً] ^(١): كل ما وقع في القرآن من عسى فاعلها الله تعالى فهي واجبة. وقال قوم: إلا في موضعين: قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رُؤْيُهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ [التحریم: ٥] ولم يطلقهن ولم يبدل بهن.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ [الإبراء: ٨] وهذه في بنى النضير، وقد سباهم النبي ﷺ وقتلهم وأبادهم.

وقال [أيضاً] ^(٢): وهذا عندي متأول؛ لأن الأول تقديره: إن طلقن يبدله وما فعل، فهذا شرط يقع فيه الجزاء ولم يفعله، والثاني: تقديره إن عدتم رحمكم وهم أصروا، «وعسى» على بابها.

قال: «وعسى» ماضى اللفظ والمعنى؛ لأنه طمع وذلك حصل في شيء مستقبل. وقال قوم: ماضى اللفظ مستقبل في المعنى؛ لأنه أخبر عن طمع يريد أن يقع. واعلم أن «عسى» تستعمل في القرآن على وجهين:

أحدهما: ترفع اسماً صريحاً ويؤتى بعده بخبر، ويلزم كونه فعلاً مضارعاً نحو: عسى زيد أن يقوم [فلا يجوز قائماً؛ لأن اسم الفاعل لا يدل على الزمان الماضي، قال الله تعالى: ﴿فَمَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالنتيجِ﴾ [المائدة: ٥٢] فيكون أن والفعل في موضع نصب بـ «عسى».

وقال الكوفيون: في موضع رفع بدل، ورد بأنه لا يجوز تركه ويجوز تقديمه عليه. الثاني: أن يكون المرفوع بها أن والفعل، وهو عسى أن يقوم زيد ^(٣) فلا يفتقر هنا إلى منصوب، [لأن المرفوع بها وإن في المعنى اسم واحد] ^(٤).

(٢) في م: ابن الدهان.

(٤) سقط من المطبوع.

(١) في م: ابن الدهان.

(٣) سقط من م.

ونظيره: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: ٧١] .

ومنه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] لا يجوز رفع ﴿رَبُّكَ﴾ بـ ﴿عَسَىٰ﴾ لثلاث يلزم الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي، وهو ربك؛ لأن مقامًا محمودًا منصوب بـ ﴿يَبْعَثَكَ﴾ .

وكذلك كقوله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ لأن الضميرين متصلان بـ ﴿تَكْرَهُوا﴾ و«تجروا» فلا يكون في «عسى» ضمير. وإن شيئًا في موضع، ويجوز أن يكون على لغة من قال حيث فيها ضمير يعود على موسى وأن شيئًا في موضع نصب^(١).

اتخذ

قال تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] قال الفارسي: ولا أعلم تتخذ يتعدى إلا إلى واحد.

وقيل: أصل اتخذت تتخذت، فأما اتخذت فعلى ثلاثة أضرب:

أحدهما: ما يتعدى به إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿يَنبِئُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] .

﴿أَبَرِ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] .

﴿وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الفرقان: ٣] .

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَهُ هَوًّا لَأَخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] .

﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا﴾ [المنكوت: ٤١] .

والثاني: ما يتعدى لمفعولين، والثاني منهما الأول في المعنى.

وهما إما مذكوران، كقوله تعالى: ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦] .

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المستحقة: ١] .

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] .

وإما مع حذف الأول كقوله: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨] فمفعول ﴿أَتَّخَذُوا﴾ الأول الضمير المحذوف الراجع إلى ﴿الَّذِينَ﴾، الثاني ﴿آلِهَةً﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ على الحال.

قال الكواشي: ولو نصب «قربانا» مفعولا «ثانيا» و«آلهته» بدلاً منه فسد المعنى.

(١) سقط من المطبوع.

وإما مع حذف الثاني كقوله: ﴿أَتَّخِذْتُمُ الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٥١].

﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

﴿أَتَّخِذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِيهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] تقديره في الجمع:

اتخذوه آلهة؛ لأن نفس اقتناء العجل لا يلحقه الوعيد الشديد، فيتعين تقدير آلهة.

الثالث: ما يجوز فيه الأمران، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَابِرِ بُرْهَتِمْ مُصَلًّى﴾ [البقرة:

١٢٥].

فإن جوزنا زيادة «من» في الإيجاب، كان من المتعدي لاثنين، وإن منعنا كان لواحد.

ونظيره جعلت قال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي: خلقهما.

فإذا تعدى لمفعولين: كان الثاني الأول في المعنى، كقوله: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾

[يونس: ٨٧]: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذُكَّرُونَ إِلَى النَّكَارِ﴾ [القصص: ٤١]: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

أخذ

تجىء بمعنى غضب، ومنه «من أخذ قيد شبر من أرض طوق من سبع أرضين»^(١).

وبمعنى عاقب، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الشَّرْئَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الأعراف: ٩٤].

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧].

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

﴿فَأَخَذْنَاكُمْ نَذْرًا مِنْ عَزِيزٍ مُقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

﴿لَوْ يُوَاجِدُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الكهف: ٥٨].

﴿وَلَوْ يُوَاجِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥].

﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْتَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٦١٠).

وتجيء للمقاربة قالوا: أخذ يفعل كذا كما قالوا: جعل يقول وكرب يقول .
وتجيء قبل القسم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] .
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [البقرة: ٦٣] .
وبمعنى «اعمل» كقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] أي: اعملوا بما أمرتم به وانتهوا عما نهيتهم عنه بجد واجتهاد .

سأل

تتعدى لمفعولين، كأعطى ويجوز الاختصار على أحدهما، ثم قد تتعدى بغير حرف، كقوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتَ لَوا مَا أَنْفَقُوا﴾ [المنحة: ١٠] .
﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣] .
وقد تتعدى بالحرف، إما بالباء كقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وإما بـ «من» كقولك: سل عن زيد وكذا ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] والمتعدية لمفعولين ثلاثة أضرب:
أحدها: أن تكون بمنزلة أعطيت كقولك: سألت زيدا بعد عمرو حقاً أي: استعطيته أو سألته أن يفعل ذلك .

والثاني: بمنزلة اخترت الرجال زيدا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] [أي عن حميم] ^(١) لذهوله عنه .

والثاني: أن يقع موقع الثاني منهما استفهام، كقوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢١١] .

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] .
وأما قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] فالمعنى سأل سائل النبي ﷺ أو المسلمين بعذاب واقِع، فذكر المفعول الأول وسؤالهم عن العذاب، إنما هو استعجالهم له كاستبعادهم لوقوعه، ولردهم ما يوعدون به منه .

وعلى هذا: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ بِالْحَسَنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ [الرعد: ٦] .
وأما قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] فيجوز أن تكون «من» فيه موضوع

(١) سقط من م .

المفعول الثاني، وأن يكون المفعول الثاني محذوفاً والصفة قائمة مقامه .

وأما قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ عِنَّا﴾ [الأعراف: ١٨٧] فيحتمل أن «عنها» متعلقة بالسؤال كأنه يسألونك عنها كأنك حفي عنها، فحذف الجار والمجرور، فحسن ذلك لطول الكلام، ويجوز أن يكون «عنها» بمنزلة بها وتتصل بالحفاوة. [وتارة بالباء وتارة بـ«عن» كالسؤال ويدل على تعلقه بالباء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مریم: ٤٧] وقال ثم: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] وخبيراً مفعول به، أي فاسأل عنه خبيراً، أي سؤال خبير ومعنى أسأل تبين بسؤالك] (١).

وعد

فعل يتعدى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما، كأعطيته وليس كظننت قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨٠] «فجانب» مفعول ثان ولا يكون ظرفاً لاختصاصه، أي: وعدناكم إتيانه أو مكثاً فيه .

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَايِرَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠] فالغنيمة تكون الغنم .
فإن قلت: الغنم حدث لا يؤخذ إنما يقع الأخذ على الأعيان دون المعاني؟
قلت: يجوز أن يكون سمي باسم المصدر كالخلق والمخلوق، أو يقدر محذوف أي تملك مغنم .

فأما قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [المائدة: ٩] وقوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥] (٢) فإن الفعل لم يتعد فيه إلى مفعول ثان [ق/ ٢٧٩]، ولكن قوله: ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ و﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ تفسير للوعد، كما أن قوله: ﴿لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [النساء: ١١] تبين للوصية في قوله: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِكُمْ﴾ [النساء: ١١] .

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعِدُكُم رَّبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦]: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فيحتمل انتصاب [الوعد] (٣) بالمصدر، أو بأنه المفعول الثاني، وسمى الموعود به الوعد كالمخلوق الخلق . وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] و﴿إِحْدَى﴾ في موضع نصب مفعول ثان، و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل منه، أي إتيان إحدى الطائفتين أو تملكه و«الطائفتان» العير والنصر .

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: الواحد.

وأما قوله: ﴿أَيُّدُرُّكُمْ أَنْكُرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥] فمن قدر في أن الثانية البدل، فينبغي أن يقدر محذوفاً ليتم الكلام، فيصح البدل والتقدير: أيعدكم إرادة أنكم إذا متم ليكون اسم الزمان خبراً عن الحدث، ومن قدر في الثانية البدل [تقدير محذوف ومن رفع إنكم الثانية بالظرف فإن قال: أيعدكم أنكم يوم القيامة] ^(١) لم يحتج إلى ذلك.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْتَارًا إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاتٍ﴾ [التوبة: ١١٤] فالجملة في موضع جر صفة للنكرة، وقد عاد الضمير فيها إلى الموصوف، والفعل متعد إلى واحد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلا يجوز أن يكون ﴿ثَلَاثِينَ﴾ ظرفاً؛ لأن الوعد ليس في كلها، بل في بعضها فيكون مفعولاً ثانياً.

ود

قال أبو مسلم الأصبهاني: بمعنى تمنى، يستعمل معها لو وأن وربما جمع بينهما نحو: ودوا لو أن فعل، ومصدره الودادة. والاسم منه، ود وقد يتداخلان في الاسم والمصدر. وقال الراغب ^(٢): إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال «لو» فيه أبداً.

وقال علي بن عيسى: إذا كان بمعنى تمنى صلح [للماضي] ^(٣) والحال والاستقبال، وإذا كان بمعنى المحبة لم يصلح للماضي؛ لأن الإرادة هي استدعاء الفعل، وإذا كان للماضي لم يجز «أن» وإذا كان للحال أو للاستقبال جاز «أن» و «لو».

وفيما قاله نظر، لأن أن توصل [بالماضي] ^(٤) نحو: سرني أن قمت. قلت: فكأن الأحسن الرد عليه بكلامه، وهو أنه جوز إذا كان بمعنى الحال دخول «أن»، وهي للمستقبل فقد خرجت عن موضعها.

أفعل التفضيل

فيه قواعد:

الأولى: إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بعضه، كقولك: زيد أشجع الأسود وأجود السحب، فيصير المعنى: زيد أشجع من الأسود، وأجود من السحب، وعليه قوله تعالى: ﴿خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤] و ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [مود: ٤٥] و ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

(٢) مفردات القرآن (ص/٨٦٠).

(٤) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: للمضي.

أي: خير من كل من تسمى برازق، وأحكم من كل من تسمى بحاكم، كذا قاله أبو القاسم السعدي .

قال الشيخ أثير الدين: الذي تقرر عن الشيوخ أن «أفعل» هذه لا تضاف إلا ويكون المضاف بعض المضاف إليه، فلا يقال: هذا الفرس أسبق الحمير؛ لأنه ليس بعض الحمير، وعلى هذا بنى البصريون منع زيد أفضل إخوته وأجازوا أفضل الإخوة، إلا إذا أخرجت عن معناها، فإنه قد يجوز ذلك عن بعضهم .

الثانية: إذا ذكر بعد «أفعل» جنسه وواحد من أحاد جنسه، وجب إضافته إليه كقولك: زيد أحسن الرجال وأحسن رجل قال تعالى [. . .] (١)

وإذا ذكر بعد ما هو من متعلقاته، وجب نصبه على التمييز نحو: زيد أحسن وجهها وأغزر علمًا .

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩] فقد أضيف إلى غير جنسه وانتصب .

وقد تناول العلماء هذا حتى رجعوا به إلى جعل أشد لغير الخشية، فقال الزمخشري (٢): معنى ﴿يَجْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٧] أي: مثل أهل خشية الله أو مثل قوم أشد خشية من أهل خشية الله .

قال ابن الحاجب (٣): وعلى مثل هذا يحمل ما خالف هذه القاعدة .

الثالثة: الأصل فيه الأفضلية على ما أضيف إليه، وأشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨]؛ لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة .

وأجاب الزمخشري: بأن الغرض وصفهن بالكبر من غير تفاوت فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتفاوت في الفضل التفاوت اليسير، أن تختلف آراء الناس في تفضيلها، وربما اختلف آراء الواحد فيها كقول الحماسي (٤):

من تلق منهم ثقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يهدي بها الساري
وأجاب ابن الحاجب (٥) بأن المراد الأعلى أكبر من أختها عندهم وقت حصولها، لأن

(٢) الكشاف (١/٥٣٥).

(٤) للرنديس.

(١) سقط في الأصول.

(٣) الأمالي (١/١٣٦-١٣٧).

(٥) الأمالي (١/١٣٧).

لمشاهدة الآية في النفس أثراً عظيماً ليس للغائب عنها .

الرابعة: قالوا لا يبنني من العاهات فلا يقال: ما أعور هذه الفرس، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] فيه وجهان:

أحدهما: أنه من عمى القلب الذي يتولد من الضلالة، وهو ما يقبل الزيادة والنقص لا من عمى البصر الذي يجنب المرثيات عنه .

وقد صرح ببيان هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وعلى هذا فالأول اسم فاعل، والثاني أفعال تفضيل من فقد البصيرة .

والثاني: أنه من عمى العين، والمعنى من كان في هذه أعمى من الكفار، فإنه يحشر أعمى فلا يكون أفعال تفضيل .

ومنهم: من حمل الأول على عمى القلب، والثاني على فقد البصيرة، وإليه ذهب أبو عمرو فأمال الأول، وترك الإمالة في الثاني لما كان اسماً والاسم أبعد من الإمالة .

الخامسة: يكثر حذف المفضول إذا دل عليه دليل، وكان أفعال خبراً كقوله تعالى:

﴿أَسْتَبِيرُكَ الَّذِي هُوَ أَذْفُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] .

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِشَهَادَةٍ وَأَذَىٰ آلَا تَرَابُوتًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكَرْمٍ﴾ [النحل: ٩٥] .

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف: ٤٦] .

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [ريم: ٧٣] .

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [ريم: ٧٥] .

وقد يحذف المفضول وأفعال ليس بخبر، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ [طه: ٧] .

السادسة: قد يجيء مجرداً من معنى التفضيل، فيكون للتفضيل لا للأفضلية .

ثم هو تارة يجيء مؤولاً باسم الفاعل كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾

[النجم: ٣٢] .

ومؤولاً بصفة مشبهة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْ﴾ [الروم: ٢٧] .

ف«أعلم» هاهنا بمعنى عالم بكم؛ إذ لا مشارك لله تعالى في علمه بذلك، ﴿أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾

بمعنى هين؛ إذ لا تفاوت في نسبة المقدورات إلى قدرته تعالى .

وقوله تعالى: ﴿أَفَن يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا﴾ [فصلت: ٤٠] .

وقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] [ثم المشهور في هذا التزام الأفراد والتذكير إذا كان ما هو له مجموعاً لفظاً ومعنى لقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] ^(١) . أو لفظاً لا معنى . كقوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ [الإسراء: ٤٧] و﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٠٤] .

وأما قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] فمعناه الضرر بعبادته أقرب من النفع بها .

فإن قيل كيف قال: ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] ولا نفع من قبله ألبتة . [ق/ ٢٨٠] قيل: لما كان في قوله: ﴿لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] تبعيد لنفعه والعرب تقول لما لم يصح في اعتقادهم: [بكون] ^(٢) هذا بعيد جاز الإخبار بـ «بعد» نفع الوثن والشاهد له قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] .

السابعة: «أفعل» في الكلام على ثلاثة أضرب:

مضاف، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] .

ومعرف باللام، نحو: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] و: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾

[المنافقون: ٨] .

وخال منهما، ويلزم اتصاله بـ «من» التي لا ابتداء الغاية جارة للمفضل عليه، كقوله تعالى: [﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٤] .

وقد يستغنى بتقديرها عن ذكرها، كقوله تعالى: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] .

ويكثر ذلك إذا كان أفعل التفضيل خبراً كقوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧] ^(٣) .

وحيث أضيف إنما يضاف إلى جمع معرف نحو ﴿أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] ولا يجوز: زيد أفضل رجل ولا أفضل رجال؛ لأنه لا فائدة فيه، لأن كل شخص لا بد أن يكون جماعة يفضلها، وإنما الفائدة في أن تقول: أفضل الرجال .

فأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] فجوابه: أنه غير مضاف إليه تقديرًا بل المضاف إليه محذوف، وقامت صفته مقامه، وكأنه قال: أسفل قوم سافلين، ولا خلاف

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

[فيه] ^(١) أنه يضاف إلى اسم الجمع معرفاً ومنكراً نحو: أفضل الناس والقوم [وأفضل] ^(٢) ناس وأفضل قوم .

فإن قيل: لم أجازوا تنكير هذا ولم يميزوا ذلك في الجمع؟ .

قلت: لأن أفضل القوم ليس من ألفاظ الجموع، بل من الألفاظ المفردة، فحذفوه بترك الألف واللام الثانية [إذا كان أفعال بالألف واللام] ^(٣) أو مضافاً جاز تشبيته وجمعه قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] و ﴿بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] .

وقال في المفرد [المضاف] ^(٤): ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقْنَهَا﴾ [الشمس: ١٢] .

وقال في الجمع: ﴿أَكْبَرُ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] و ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا﴾ [هود: ٢٧] .

وتقول في المؤنث: هذه الفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لِإِخْوَى الْأَكْبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥] ﴿فَأَوْلِيَّتِكَ هُمْ أَلْذَرَحْتُ أَلْعَلَى﴾ [طه: ٧٥] .

وحكم فعلى حكم أفعال لا يستعمل بغير «من» إلا مضافاً أو معرفاً بأل .

وأما قوله: ﴿وَأَنْفَرُ مُنْتَشِبِينَ﴾ [آل عمران: ٧] فقالوا: إنه على تقدير «من» أي وأخر منها متشابهات .

تنبيه لفظ «سواء»

سواء أصله بمعنى الاستواء، وليس له اسم يجرى عليه، يقال: استوى استواءً، وسأواه مساواةً، لا غير، فإذا وقع صفة كان بمعنى مستو؛ ولهذا تقول: هما سواء، هم سواء كما تقول: هما عدل، وهم عدل، والسواء التام، ومنه درهم سواء أي تام .

ومنه قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سَوَاءٌ﴾ [فصلت: ١٠] [أي: مستويات] ^(٥) ومن نصب فعلى المصدر أي: استوت استواءً، كذا قال سيويه ^(٦)، وجوز غيره أن يكون حالاً من النكرة .

ويجىء السواء بمعنى الوسط، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَلِمَةً سَوَاءً بَيْنَنَا وَيَبْتَكَرُ﴾ [آل عمران: ٦٤] أي عدل وهو الحق .

قال ابن أبي الربيع: وسواء لا يرفع الظاهر إلا إذا كان معطوفاً على المضمرة في سواء وهو مرفوع بسواء، وهو مما جاز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه .

(٢) سقط من م .

(٤) سقط من المطبوع .

(٦) الكتاب (١١٩/٢) .

(١) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من م .

(٥) سقط من م .

النوع السابع والأربعون

في الكلام على المفردات من الأدوات ^(١) والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها

ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها، وترجع استعمالها في بعض المحال على بعض بحسب مقتضى الحال .

كما في قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِنَّاكُمْ لَمَلَكٌ هَدَىٰ أَوْ فِي سَكَلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤]، فاستعملت على في جانب الحق، «وفي» في جانب الباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه مستعل يرقب نظره كيف شاء، ظاهرة له الأشياء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام ولا يدري أين توجه .

وكما في قوله تعالى: ﴿كَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٩] فعطف هذه الجمل الثلاث بالفاء، ثم لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو فقال تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ إذ لم يكن التلطف مترتباً على الإتيان بالطعام، كما كان الإتيان منه مرتباً على التوجه في طلبه، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدل في المسألة عن مدة الليث بتسليم العلم له سبحانه .

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ . . .﴾ [التوبة: ٦٠] الآية فعدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة، إيذاناً بأنهم أكثر استحقاقاً للتصدق عليهم من سبق ذكره باللام؛ لأن «في» للوعاء فنبه باستعمالها على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم، كما يوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه، وفي تكرير حرف الظرف داخلاً على «سبيل الله» دليل على ترجيحه على «الرقاب والغارمين» .

قال الفارسي: وإنما قال ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠] ولم يقل: «والرقاب» ليدل على أن العبد لا يملك، وفيه نظر بل ما ذكرناه من الحكمة فيه أقرب .

وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] فإنه يقال: أحسن بي وإلي، وهي مختلفة المعاني وأليقها بيوسف عليه السلام بي، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها .

(١) صنف فيه الرُّمَّانِي، والحسن بن قاسم المرادي، وأبو جعفر المالقي وعبد الله بن محمد الكردي ومحمد الشباسي .

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ولم يقل «على» كما ظن بعضهم؛ لأن على للاستعلاء، والمصلوب لا يجعل على رؤوس النخل، وإنما يصلب في وسطها، فكانت «في» أحسن من على.

وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] ولم يقل في الأرض؛ لأن عند الفناء ليس هناك حال القرار والتمكين.

وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وما قال: على الأرض، وذلك لما وصف العباد بين أنهم لم يوطنوا أنفسهم في الدنيا وإنما هم عليها مستوقرون، ولما أرشده ونهاه عن فعل [التبختر] ^(١)، قال: ولا تمش فيها مرحًا بل امش عليها هونًا.

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

وقال ابن عباس: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] ولم يقل: في صلاتهم، وقال صاحب الكشاف ^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [نصت: ٥]: فلو سقطت «من» جاز كون الحجاب في الوسط وإن تباعدت، وإذا أتيت بـ «من» أفادت أن الحجاب ابتداء من أول ما ينطلق عليه «من» وانتهى إلى غايته فكان الحجاب قد ملأ ما بينك وبينه.

وقال كرر الجار في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سُنُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ليكون أدل على شدة الختم في الموضوعين، حين استجد له تعدية أخرى، وهذا كثير لا يمكن إحصاؤه، والمعين عليه معاني المفردات، فلنذكر مهمات مطالبها على وجه الاختصار.

الهمزة ^(٣)

أصلها الاستفهام، وهو طلب الإفهام، وتأتي لطلب التصور والتصديق، بخلاف هل فإنها للتصور خاصة، والهمزة أغلب دوراناً؛ ولذلك كانت أم الباب. واختصت ^(٤) بدخولها على الراو نحو: ﴿أَوْكَلَّمَا عَنْهُدُوا﴾ [البقرة: ١٠٠].

(١) سقط من م. (٢) الكشاف (٤/١٨٥).

(٣) انظر: «المدخل» للحدادي (ص/٦١٧) والجني الداني (ص/٣٠).

(٤) هذا الذي ذكره من تقديم الهمزة على العاطف هو رأي جمهور النحاة في أن الهمزة قدمت عن محلها لفظاً، وأن محلها بعد العاطف، وقدمت لأجل التنبيه على أصلها في التقديم، وكان الأصل قبل التقديم «وأكلما» و«فأمن» ثم قدمت الهمزة مراعاة لأصالتها في استحقاق التقديم. وقد ذكر الزمخشري أن أبا حيان وابن هشام ضعفا هذا القول، ورجع الزمخشري عن هذا القول إلى الجماعة.

وعلى الفاء نحو ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرُوءِ﴾ [الأحرف: ٩٧] .

وعلى ثم نحو ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: ٥١] .

وهل أظهر في الاختصاص بالفعل من الهمزة، وأما قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] و ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [مود: ١٤] فذلك لتأكيد الطلب للأوصاف الثلاثة، [من^(١)] حيث أن الجملة الاسمية أدل على حصول المطلوب وثبوته، وهو أدل على طلبه من فهل تشكرون وهل تسلمون لإفادة التجدد.

واعلم أنه يعدل بالهمزة عن أصلها فيتجاوزها عن النفي والإيجاب، والتقرير [والتوبيخ]^(٢)، وغير ذلك المعاني السالفة في بحث الاستفهام مشروحة فانظره فيه .

مسألة في دخول الهمزة على «أريت»

وإذا دخلت على رأيت امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب، وصارت بمعنى: أخبرني كقولك: رأيتك زيداً [ق/ ٢٨١] ما صنع؟ في المعنى تعدى بحرف، وفي اللفظ تعدى بنفسه .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ [مرم: ٧٧] .

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ ① عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩-١٠] .

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِاللَّيْلِ﴾ [العامون: ١] .

مسألة في دخول الهمزة على لم

وإذا دخلت على لم أفادت معنيين:

أحدهما: التنبيه والتذكير نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] .

والثاني: التعجب من الأمر العظيم، كقولك: ألم تر إلى فلان يقول كذا ويعمل كذا على طريق التعجب منه، وكيف كان فهي تحذير .

أم^(٣)

حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ .

وقيل: إنما تشرك بين المتعاطفين كما تشرك بينها «أو» .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) انظر: «المدخل» للحدادي (ص/ ٣٢٥) والجني الداني (ص/ ٢٠٤) .

وقيل: فيها معنى العطف [وهي استفهام كالألف، إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأجل معنى العطف] (١).

وقيل (٢): هي «أو» أبدلت الميم من الواو، ليحول إلى معنى، يريد إلى معنى «أو». وهي قسمان: متصلة ومنفصلة:

فالتصلة: هي الواقعة في العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد، والمراد بها الاستفهام عن التعيين، فلهذا يقدر بأي شرطها أن تتقدمها همزة الاستفهام، ويكون ما بعدها مفردًا أو في تقديره.

والمنفصلة: ما فقد فيها الشرطان أو أحدهما، وتقدر بـ «بل» والهمزة.

ثم اختلف النحاة في كيفية تقدير المنفصلة على ثلاث مذاهب حكاهما الصفار:

أحدها: أنها تقدر بهما وهي بمعناهما، فتفيد الإضراب عما قبلها على سبيل التحول والانتقال كـ «بل» والاستفهام عما بعدها، ومن ثم لا يجوز أن تستفهم مبتدئًا كلامك بـ «أم» ولا تكون إلا بعد كلام لإفادتها الإضراب كما تقدم (٣).

قال أبو الفتح: والفارق بينها وبين بل أن ما بعد بل منفي وما بعد أم مشكوك فيه. والثاني: أنها بمنزلة «بل» خاصة، والاستفهام محذوف بعدها، وليست مفيدة الاستفهام، وهو قول الفراء في معاني القرآن (٤).

والثالث: أنها بمعنى الهمزة والإضراب مفهوم من أخذك في كلام آخر وترك الأول. قال الصفار: فأما الأول فباطل؛ لأن الحرف لا يعطي في حيز واحد أكثر من معنى واحد فيبقى الترجيح بين المذهبين، وينبغي أن يرجح الأخير؛ لأنه ثبت من كلامهم: إنها لإبل أم شاء.

ويلزم على القول الثاني حذف همزة الاستفهام في الكلام، وهو من مواضع الضرورة. قال: والصحيح أنها لا تخلو عن الاستفهام، وكذلك قال سيبويه انتهى.

واعلم أن المتصلة يصير معها الاسمان بمنزلة أي، ويكون ماذكر خيرًا عن أي، فإذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ فالمعنى: أيهما عندك، والظرف خبر لهما.

ثم المتصلة تكون في عطف المفرد على مثله، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ كقوله تعالى:

(١) سقط من م. (٢) هذا قول ابن كيسان.

(٣) وهذا مذهب البصريين.

(٤) معاني القرآن (١/ ٦٥-٦٥) وانظر أيضًا: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٠-٣٥).

﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] أي أي المعبودين خير؟ وفي عطف الجملة على الجملة المتأولتين بالمفرد نحو: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢] أي الحال هذه أم هذه؟ .

والمنقطعة إنما تكون على عطف الجمل، وهي في الخبر والاستفهام بمثابة «بل» والهمزة، ومعناها في القرآن التوبيخ، كما كان في الهمزة كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَلْمَزْنَا مِنَّا قَوْمًا أَنِ بِآيَاتِنَا كَانُوا مُّكذِبِينَ﴾ [الزخرف: ١٦] أي: بل أتخذ؟ لأن الذي قبلها خبر، والمراد بها التوبيخ لمن قال ذلك وجري على كلام العباد .

وقوله: ﴿الَّذِينَ تَزَوَّجْنَا لَآرِبَ فِيهِ﴾ [السجدة: ١-٢] ثم قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ﴾ تقديره: بل يقولون كذا؟ جعلها سبويه منقطعة، ^(١)؛ لأنها بعد الخبر .

ثم وجه اعتراضاً: كيف يستفهم الله عن قولهم هذا؟ وأجيب بأنه جاء في كلام العرب، يريد أن في كلامهم يكون المستفهم محققاً للشيء، لكن يورده بالنظر إلى المخاطب كقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَقُولُ أَنَّا قُلْنَا لَكَ أَفَلَا تَعْقِلُ﴾ [طه: ٤٤] وقد علم الله أنه لا يتذكر ولا يخشى لكنه أراد «لعله يفعل ذلك في رجائكما» .

وقوله: ﴿أَمْ أَلْمَزْنَا مِنَّا قَوْمًا أَنِ بِآيَاتِنَا كَانُوا مُّكذِبِينَ﴾ [الزخرف: ١٦] تقديره: بل أتخذ؟ بهمزة منقطعة للإنكار . وقد تكون بمعنى بل من غير استفهام، كقوله تعالى: ﴿أَمْ نَخْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النمل: ٦٠] وما بعدها في سورة النمل .

قال ابن طاهر: ولا يمتنع عندي إذا كانت بمعنى بل أن تكون عاطفة كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ [الطور: ٣٠] وقوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] . وقال البغوي ^(٢) في قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢] بمعنى: بل، وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين .

وقال الفراء ^(٣) وقوم من أهل المعاني: الوقف على قوله: ﴿أَمْ﴾ وحينئذ تم الكلام، وفي الآية إضمار والأصل: «أفلا تبصرون أم تبصرون» ثم ابتداء فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ .

قلت: فعلى الأول تكون منقطعة، وعلى الثاني متصلة .

وفيها قول ثالث قال أبو زيد: إنها زائدة وإن التقدير: أفلا تبصرون أنا خير منه . والمشهور أنها منقطعة؛ لأنه [لا] ^(٤) يسألهم عن استواء علمه في الأول والثاني، لأنه

(١) الكتاب: (١٦٩/٣) . (٢) تفسير البغوي (ص/٢١٧) .

(٣) معاني القرآن (٦/١) . (٤) في م: لم .

إنما أدركه الشك في تبصرهم بعد ما مضى كلامه على التقرير، وهو مثبت وجواب السؤال: بلى فلما أدركه الشك في تبصرهم قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥٢].

وسأل ابن طاهر شيخه أبا القاسم بن الرماك لم لم يجعل سيبويه أم متصلة؟ أي «أفلا تبصرون أم تبصرون» أي: أي هذين كان منكم؟ فلم يجر جواباً وغضب، وبقي جمعة لا يقرر حتى استعطفه.

والجواب: من وجهين أحدهما: أنه ظن أنهم لا يبصرون فاستفهم عن ذلك، ثم ظن أنهم يبصرون؛ لأنه معنى قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ﴾ فأضرب عن الأول، واستفهم، وكذلك: أزيد عندك أم لا؟.

والثاني: أنه لو كان الإبصار وعدمه متعادلين، لم يكن للبدء بالنفي معنى، فلا يصح إلا أن تكون منقطعة، وقد تحمل المتصلة والمنقطعة، كما قال في قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور: ٤٢].

قال الواحدي: إن شئت جعلت قبله استفهاماً رد عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَلْمَ﴾ [البقرة: ١٠٦] وإن شئت منقطعة عما قبلها مستأنفاً بها الاستفهام، فيكون استفهاماً متوسطاً في اللفظ مبتدأ في المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ وَمِصْرَ . . .﴾ [الزخرف: ٥١] الآية ثم قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥٢] انتهى.

والتحقيق ما قاله أبو البقاء^(١): إنها هاهنا منقطعة؛ إذ ليس في الكلام همزة تقع موقعها وموقع «أم» «أيها» والهمزة في قوله: ﴿أَلَمْ تَلْمَ﴾ ليست من أم في شيء، والتقدير: بل أتريدون أن تسألوا فخرج بـ «أم» من كلام إلى آخر.

وقد تكون بمعنى «أو» كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَيُّكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْفِيَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [آم آيْتُمْ] [الملك: ١٦-١٧].

وقوله: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْفِيَ بِكُمْ جَابَ الْبَرْ أَوْ يُرْسَلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ [آم آيْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى] [الإسراء: ٦٨-٦٩].

ومعنى ألف الاستفهام عند أبي عبيد، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٨] أي: أتريدون؟.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] أي يحسدون؟.

وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَخَذَتْهُمُ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾

[ص: ٦٢-٦٣] أي: أزاحت عنهم الأبصار؟ وألف اتخذوها موصولة^(١)

وقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] أي أله؟

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا؟﴾ [الطور: ٤٠] أي أتسألهم أجراً؟

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ٩] قيل: أي أظننت هذا؟ ومن عجائب

ربك ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف^(٢).

وقيل: بمعنى ألف الاستفهام، كأنه قال: أحسبت؟ وحسبت بمعنى الأمر، كما تقول

لمن تخاطبه: أعلمت أن زيداً خرج؟، بمعنى الأمر، أي اعلم أن زيداً خرج، فعلى هذا التدرج

يكون معنى الآية: اعلم يا محمد [ق/ ٢٨٢] أن أصحاب الكهف والرقيم.

وقال أبو البقاء^(٣) في قوله تعالى: ﴿أَوِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] تقديره: بل

أخذ؟ بهمزة مقطوعة على الإنكار، ولو جعلناه همزة وصل لصار إثباتاً تعالى الله عن ذلك،

ولو كانت أم المنقطعة بمعنى بل وحدها دون الهمزة، وما بعد بل متحقق فيصير ذلك في الآية

متحققاً تعالى الله عن ذلك.

مسألة في ضرورة تقدم الاستفهام على «أم»

«أم» لا بد أن يتقدمها استفهام أو مافي معناه، والذي في معناه التسوية، فإن الذي

يستفهم استوى عنده الطرفان ولهذا يسأل، وكذا المستول استوى عنه الأمران.

فإذا ثبت هذا فإن المعادلة تقع بين مفردين وبين جملتين، والجملتان تكونان اسميتين

وفعليتين، ولا يجوز أن يعادل بين اسمية وفعلية إلا أن تكون الاسمية بمعنى الفعلية أو

الفعلية بمعنى الاسمية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُوَهُمْ أَمْ أَنْتَ صَمِيمٌ﴾ [الاعراف: ١٩٣]

أي: أم صمتم؟

وقوله: ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ أَرَأَ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢] لأنهم إذا قالوا له: أنت خير كانوا عنده

بصراء، فكانه قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء؟

قال الصفار: إذا كانت الجملتان موجبتين قدمت أيهما شئت، وإن كانت إحداها منفية

أخرتها، فقلت: أقام زيد أم لم يقم؟ ولا يجوز ألم يقم أم لا، ولا سواء على ألم ثم أم قمت

[! لأنهم يقولون: سواء على أقمت أم لا يريدون أم لم تقم، فيحذفون لدلالة الأول، فلا يجوز

(٢) سقط من م.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) التبيان (٢/ ٢١٣).

هذا سواء على أم قمت^(١)، لأنه حذف من غير دليل، فحملت سائر المواضع المنفية على هذا.

قال: فإنه لا بد أن يتقدمها الاستفهام أو التسوية، بخلاف «أو» فإنه يتقدمها كل كلام إلا التسوية، فلا تقول: سواء على قمت أو قعدت؛ لأن الواحد لا يكون سواء.

مسألة:

قال الصقار: ينبغي أن يعلم أن السؤال بـ «أو» غير السؤال بـ «أم».

فإذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ فجواب هذا: زيد أو عمرو، وجواب «أو» نعم أو لا ولو قلت في جواب الأول نعم أو لا كان محالاً، لأنك مدع أن أحدهما عنده.

فإن قلت: وهل يجوز أن تقول: زيد أو عمرو في جواب أقام زيد أو عمرو؟

قلت: يكون تطوعاً بما لا يلزم ولا قياس يمنعه. [ويمكن أن يكون منه قوله ﷺ]: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»^(٢).

وقال الزمخشري^(٣) وابن الحاجب^(٤): وضع أم للعلم بأحد الأمرين بخلاف «أو» فأنت مع «أم» عالم بأن أحدهما عنده مستفهم عن التعيين، ومع «أو» مستفهم عن واحد منهما على حسب ما كان في الخير، فإذا قلت: أزيد عندك أو عمرو؟ فمعناه هل واحد منهما عندك؟ ومن ثم كان جوابه نعم أو لا مستقيماً ولم يكن ذلك مستقيماً في «أم»؛ لأن السؤال عن التعيين.

إذن^(٥)

نوعاً:

الأول: أن تدل على إنشاء السببية والشرط بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها، نحو «أزورك» فنقول: «إذن أكرمك» وهي في هذا الوجه عاملة تدخل على الجملة الفعلية، فتنصب المضارع المستقبل إذا صدرت، ولم تفصل ولم يكن الفعل حالاً.

والثاني: أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم، أو منبهة على سبب حصل في الحال، وهي في الحال غير عاملة، لأن المؤكدات لا يعتمد عليها والعامل يعتمد عليه نحو: «إن تأتي إذن أتك» «والله إذن لأفعلن» ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط؟

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) الأمالي (٢/٧٤٩).

(١) سقط من م.

(٣) المفصل (ص/٣٥).

(٥) انظر: «الجنى الداني» (ص/٣٦١).

وتدخل هذه على الاسمية نحو: أزورك فتقول: إذن أنا أكرمك .
ويجوز توسطها وتأخرها .

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَتَبَعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] فهي مؤكدة للجواب وتربطه بما تقدم .

وذكر بعض المتأخرين لها معنى ثالثاً: وهي أن تكون مركبة من «إذ» التي هي ظرف زمن ماض، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديرًا لكن حذف الجملة تخفيفاً، وأبدل التنوين منها كما في قولهم: «حينئذ» .

وليست هذه الناصبة للمضارع؛ لأن تلك تختص به ^(١)، وكذلك ما عملت فيه ولا يعمل إلا ما يختص، وهذه لا تختص به بل تدخل على الماضي نحو: ﴿وَإِذَا لَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧]: ﴿إِذَا لَأَمْسَكُنَّكُمْ حَنِيئَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] و: ﴿إِذَا لَأَذُقَنَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٥].

وعلى الاسم نحو: إن كنت ظالماً فإذن حرمك في ماض، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِينَ﴾ [النساء: ٤٢] .
ورام بعض النحويين جعلها فيه بمعنى بعد .

واعلم أن هذا المعنى لم يذكره النحاة، لكنه قياس قولهم: إنه [قد] ^(٢) تحذف الجملة المضاف إليها «إذ» ويعوض عنها التنوين كيومئذ، ولم يذكروا حذف الجملة من «إذا» وتعويض التنوين عنها .

وقال الشيخ أبو حيان في «التذكرة»: ذكر لي علم الدين البلقيني أن القاضي تقي الدين بن رزين كان يذهب إلى أن «إذن» عوض من الجملة المحذوفة، وليس هذا بقول نحوي انتهى .

وقال القاضي بن الجويني: وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال: أنا آتيك: إذن أكرمك بالرفع على معنى، إذا آتيتني أكرمك، فحذف آتيتني وعوض التنوين عن الجملة فسقطت الألف لالتقاء الساكنين .

(١) وهذا هو الصحيح، والذي عليه الجمهور، وعليه تكون «إذاً» بسيطة لا مركبة وهي الناصبة بنفسها لا «أن» مقدره، ونسب إلى الخليل أنها حرف مركب من «إذ» و«أن». وذهب بعض الكوفيين إلى أن «إذن» اسم منون، والأصل «إذن» مركباً في «إذن». وذهب الرندي إلى أنها مركبة من «إذ» و«أن»؛ لأنها تعطي ما تعطي كل واحدة منهما، فتعطي الربط كإذا والنصب كأن .
(٢) سقط من م .

وقال: ولا يقدح في ذلك اتفاق النحاة على أن الفعل في مثل هذا المثال منصوب بـ «إذن» لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً للفعل، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعده إذا أريد به «إذا» الزمانية معوضاً عن جملته التنوين، كما أن منهم من يجزم ما بعدها نحو: من يزورني أكرمه، يريد بذلك الشرطية، ولا يمنع مع ذلك الرفع بها إذا أريد الموصولة نحو: من يزورني أكرمه.

قيل: ولو لا قول النحاة: إنه لا يعمل إلا ما يختص، وإن إذن عاملة في المضارع، لقيل: إن إذن في الموضوعين واحدة، وإن معناها تقييد ما بعدها بزمن أو حال؛ لأن معنى قولهم: أنا أزورك فيقول السامع: إذن أكرمك، وهو بمعنى قوله: أنا أكرمك زمن أو حال أو عند زيارتك لي.

ثم عند سيبويه معناها الجواب، فلا يجوز أن تقول: إذن يقوم زيد ابتداء من غير أن تجيب به أحداً.

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَلَأَهَا إِذَا أَنَا مِنَ السَّالِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] على أنه لجواب مقدر، وأنه أجاب بذلك قوله: ﴿وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبُحْرَى فَعَلْتِ مِنَ الْكُفْرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩] أي: بأنعمنا فأجاب: [أنا] ^(١) لم أفعل ذلك كفراً للنعمة، كما زعمت بل فعلتها وأنا غير عارف بأن الوكزة تقضى، بدليل قراءة بعضهم: «وأنا من الجاهلين».

إذا (٢)

نوعان: ظرف ومفاجأة.

فالتي للمفاجأة نحو: خرجت فإذا السبع.

وتجىء اسماً وحرفاً، فإذا كانت اسماً كانت ظرف مكان، وإذا كانت حرفاً كانت من حروف المعاني الدالة على المفاجأة، كما أن الهمزة تدل على الاستفهام فإذا قلت: خرجت فإذا زيد فلك أن تقدر إذا ظرف مكان، ولك أن تقدرها حرفاً فإن قدرتها حرفاً كان الخبر محذوفاً والتقدير: موجود وإن قدرتها ظرفاً كان الخبر وقد تقدم كما تقول: عندي زيد فتخبر بظرف المكان عن الجثة والمعنى، حيث خرجت فهناك زيد.

ولا يجوز أن يكون في هذه الحالة ظرف زمان لامتناع وقوع الزمان خبراً عن الجثة، وإذا امتنع أن تكون للزمان تعين أن تكون مكاناً، وقد اجتمعاً في قوله تعالى [ق/ ٢٨٣]: ﴿فَإِذَا

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر: «الجنبي الداني» (ص/ ٣٦٧-٣٧١).

أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٨﴾ [الروم: ٤٨] فإذا الأولى ظرفية والثانية مفاجأة .
وتجىء ظرف زمان، وحق زمانها أن يكون مستقبلاً نحو: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] . وقد تستعمل للماضي من الزمان كـ «إذ» كما في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] لأن قالوا ماض فيستحيل أن يكون زمانه مستقبلاً .

ومثله قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَا عَلَىٰ وَعَادُ النَّعْمِ ﴾ [النمل: ١٨] : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ [الأنعام ٢٥] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ ﴾ [الكهف: ٩٣] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ [الكهف: ٩٦] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تَحِيْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفَعُوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: ١١] ؛ لأن الانقضاض واقع في الماضي .

وتجىء للحال، كقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١] ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۗ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١-٢] والتقدير: والنجم هاوياً والليل غاشياً، والنهار متجلياً فـ «إذا» ظرف زمان والعامل فيه استقرار محذوف في موضع نصب على الحال، والعامل فيها «أقسم» المحذوف . وقد استشكل الزمخشري تقدير العامل في ذلك، وأوضحه الشيخ أثير الدين فقال: إذا ظرف مستقبل، ولا جائز أن يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف، لأن أقسم إنشائي فهو في الحال «وإذا» لما يستقبل فيأبى أن يعمل الحال في المستقبل لاختلاف زمان العامل والمعمول، ولا جائز أن يكون ثم مضاف [محذوف] ^(١) أقيم المقسم به مقامه، أي: وطلوع النجوم ومجيء الليل؛ لأنه معمول لذلك الفعل، فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة أن زمان العامل زمان المعمول، ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به؛ لأنه ليس من قبيل ما يعمل، ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف، ويكون قد عمل فيه فيكون ذلك العامل في موضع الحال، وتقديره: والنجم كائناً إذا هوى والليل كائناً إذا يغشى، لأنه يلزم «كائناً» ألا يكون منصوباً بعامل، إذ لا يصح ألا يكون معمولاً لشيء مما فرضناه أن يكون عاملاً .

وأيضاً فيكون المقسم به جنة، وظروف الزمان لا تكون أجوالاً عن الجثث، كما لا تكون إخباراً لهن، فأما الوجه الأول فهو الذي ذكره أبو البقاء ^(٢) قال في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ العامل في الظرف فعل القسم المحذوف تقديره: أقسم بالنجم وقت هويته .

وما ذكره الشيخ عليه من الإشكال فقد يجاب عنه بوجهين :

أحدهما: أن الزمانين لما اشتركا في الوقوع المحقق نزلًا منزلة الزمان الواحد، ولهذا يصح

(٢) التبيان (٢/٢٤٦).

(١) سقط من المطبوع.

عطف أحدهما على الآخر، كقوله تعالى: ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلْ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠٠] ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُ﴾.

وهو قريب من جواب الفارسي، لما سأله أبو الفتح عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] مستشكلاً إبدال «إذ» من «اليوم» فقال: «اليوم» حال و«ظلمتم» في الماضي فقال: إن الدنيا والآخرة متصلتان وإنهما في حكم الله تعالى سواء، فكان اليوم ماض وكان «إذ» مستقبلة.

والثاني: أنه على ظاهره ولا يلزم ما ذكر؛ لأن الحال كما تأتي مقارنة، تأتي مقدرة، وهي أن تقدر المستقبل مقارنة فتكون أطلقت ما بالفعل على ما بالقوة مجازاً، وجعلت المستقبل حاضراً كقوله تعالى: ﴿فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وأما الوجه الثاني: فيمكن أن يقال: يجوز تقديره وهو العامل، ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين، لأنه يجوز الآن أن يقسم بطلوع النجم في المستقبل، ويجوز أن يقسم بالشئ الذي سيوجد.

وأما الوجه الأخير: فهو الذي ذكره ابن الحاجب في «شرح المفصل» فقال: إذا ثبت أنها لمجرد الظرفية، فليست متعلقة بفعل القسم؛ لأنه يصير المعنى أقسم في هذا الوقت، [من الليل فيصير القسم مقيداً والمعنى على خلافه بل تتعلق بفعل محذوف تقديره أقسم بالليل لا في هذا الوقت، فهي إذن في موضع الحال من الليل] (١). انتهى.

وقد وقع في محذور آخر، وهو أن الليل عبارة عن الزمان المعروف، فإذا جعلت «إذا» معمولة لفعل هو حال من الليل، لزم وقوع الزمان في الزمان وهو محال، وقوله: «يلزم ألا يكون له عامل».

قلنا: بل له عامل وهو فعل القسم ولا يضر كونه إنشاءً، لما ذكرنا أنها حال مقدرة.

وأما الشبهة الأخيرة، فقد سألها أبو الفتح فقال: كيف جاز لظرف الزمان هنا أن يكون حالاً من الجثة، وقد علم امتناع كونه صلة له وصفة وخبراً؟ وأجاب بأنها جرت مجرى الوقت الذي يؤخر ويقدم، وهي أيضاً بعيدة لاتناله أيدينا، ولا يحيط علمنا بها في حال نصبها إحاطتنا بما يقرب منها فجرت لذلك مجرى المعدوم.

فإن قيل: كيف جاز لظرف الزمان أن يكون حالاً من النجم؟

(١) سقط من المطبوع.

وأجاب: بأن مثل هذا يجوز في الحال من حيث كان فضلا انتهى .

وقد يقال: ولئن سلمنا الامتناع في الحال أيضًا، فيكون على حذف مضاف، أي: وحضور الليل، وتجعله حالاً من الحضور لا من الجنة .

والتحقيق: وبه يرتفع الإشكال في هذه المسألة أن [يدعي] (١) أن «إذا» كما تجرد عن الشرطية كذلك تجرد عن الظرفية، فهي في هذه الآية الشريفة لمجرد الوقت من دون تعلق بالشيء تعلق الظرفية الصناعية، وهي مجرورة المحل هاهنا لكونها بدلاً عن الليل، كما جرت بـ «حتى» في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ [الزمر: ٧١] والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه، أي أقسم بوقت غشيان الليل، وهذا واضح .

فإن قلت: هل صار أحد إلى تجردها عن الظرفية والشرطية معاً؟ .

قلت: نعم نص عليه في «التسهيل»، فقال: وقد تفارقها الظرفية مفعولاً بها أو مجرورة بحتى أو مبتدأ، وعلم مما ذكرنا زيادة رابع وهو البديلية .
فائدة:

وتستعمل أيضًا للاستمرار كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] وقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٥٦] فهذا فيما مضى لكن دخلت «إذا» لتدل على أن هذا شأنهم أبدًا، ومستمر فيما سيأتي، كما في قوله (٢):

وندمان يزيد الكأس طيبًا سقيت إذا تغورت النجوم
ثم فيه مسائل:

الأولى: المفاجأة عبارة عن موافقة الشيء في حال أنت فيها، قال تعالى:

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] وقوله: ﴿وَإِنْ تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] .

قالوا: ولا تقع بعد «إذا» المفاجأة إلا الجملة الاسمية (٣)، وبعد «إذ» إلا الفعل الماضي

(١) سقط من م. (٢) لعمر بن شأس الأسدي.

(٣) التحقيق أن هذه مسألة مختلف فيها، فأجاز الكسائي وقوع الجملة الفعلية بعدها في نحو «خرجت فإذا زيدًا يضربه عمرو» بنصب «زيدًا» على الاشتغال سواء دخلت «قد» على الجملة أم لا . وسيبويه يمنع مطلقًا دخول «إذا» الفجائية على الجملة الفعلية قال: «ولإذا موضع آخر يحسن ابتداء الاسم بعدها فيه تقول: نظرت فإذا زيد يضربه عمرو؛ لأنك لو قلت: نظرت فإذا زيد يذهب لحسن . وذهب الأحفش وتبعه ابن عصفور إلى أنه يجوز دخولها على الجملة الفعلية إذا اقترنت بقدر ويمتنع بدون قد، فجوز النصب في نحو «خرجت فإذا زيدًا قد يضربه عمرو» ويمتنع

ومذهب المبرد وتبعه أكثر المتأخرين أن المفاجأة نقلها إلى المكان عن الزمان، ومعنى الآية موافقة الثعبان لإلقاء موسى العصا في المكان، وكذلك قولهم: خرجت فإذا السبع أي فإذا موافقة السبع [ق/ ٢٨٤] [لحرف حتى في المكان وهي معنى قولهم: ما جاء السبع بعصاه] ^(١) وعلى هذا لا يكون مضافاً إلى الجملة بعدها.

الثانية: الظرفية ضربان: ظرف محض وظرف مضمن معنى الشرط.

فالأول نحو قولك: راحة المؤمن إذا دخل الجنة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٌ إِذَا يَتَخَنَّ﴾ [الليل: ١]

ومنه «إذا كنت على راضية»، و«إذا كنت على غضبية» ^(٢) لأنه لو كان فيها معنى الشرط لكان جوابها معنى ما تقدم، ويصير التقدير الأول إذا يغشى أقسم فيفسد المعنى، أو يصير القسم متعلقاً على شرط لا مطلقاً، فيؤدي إلى أن يكون القسم غير حاصل الآن، وإنما يحصل إذا وجد شرطه، وليس المعنى عليه بل على حصول القسم الآن من غير تقييد، وكذا حكم: ﴿وَأَلْتَجِرَ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]: ﴿وَأَلَيْلٌ إِذَا سَرَ﴾ [الفجر: ٤].

ومما [يتمحض] ^(٣) للظرفية العارية من الشرط قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، لأنه لو كان فيها معنى الشرط لوجب الفاء في جوابها.

والضرب الثاني: يقتضي شرطاً وجواباً، ولهذا تقع الفاء بعدها على حد وقوعها بعد إذ كقوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْتَهُ فِكَةٌ فَاتَّبَتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥] وكذا كثر وقوع الفعل بعد ماضي اللفظ مستقبل المعنى نحو: إذا جئتني أكرمتك.

ومنه إذا قلت لصاحبك: أنصت فقد لغوت ^(٤).

وتختص المضمنة معنى الشرط بالفعل، ومذهب سيبويه أنها [لا تضاف] ^(٥) إلى

النصب في نحو «إذا أزيد يضربه عمرو». واختار ابن هشام هذا الرأي قال: ووجهه عندي أن التزام الاسم مع إذا هذه إنما كان للفرق بينهما وبين الشرطية المختصة بالفعلية، فإذا اقترنت بقدر يحصل الفرق بذلك وإذا لا تقترن الشرطية بها. والصحيح منع دخول «إذا» الفجائية على الفعلية مطلقاً بدليل أنها لا تنوب عن الفاء إلا إذا كان جواب الشرط جملة اسمية نحو قوله تعالى ﴿وَلَمَّا نَسَبْنَاهُمْ ذُنُوبَهُمْ رَبُّهُمْ يَدْنَ إِلَى رَبِّهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ وأما ما ذكره ابن هشام من تعليق حصول الفرق بينهما على عدم اقتران الشرطية ب«قد» فيمكن أن يجاب عنه بأن الفرق حاصل من عدم طلب الفجائية للجواب «القضايا النحوية في الإقتان» (ص: ٩٣)

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٠) ومسلم (٢٤٣٩) من حديث عائشة.

(٣) في م: يتضمن.

(٤) أخرجه البخاري (٨٩٢) ومسلم (٨٥١).

(٥) سقط من م.

جملة فعلية؛ ولهذا إذا وقع بعدها اسم قدر بينه وبينها فعل محافظة على أصلها، فإن كان الاسم مرفوعاً كان فاعل ذلك الفعل المقدر، كقوله تعالى: ﴿إِذَا الْمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وإن كان منصوباً كان مفعولاً، والفاعل فيه أيضاً ذلك المقدر، كقوله (١):
إذا ابن أبي موسى [بلا] (٢) بلغته

والتقدير: إذا بلغت.

ومنهم من منع اختصاصها بالفعل لجواز: إذا زيد ضربته.

وعلى هذا المرفوع بعدها مبتدأ، وهو قول الكوفيين واختاره ابن مالك. وعلى القولين فمحل الجملة بعدها الجر بالإضافة والفاعل فيها جوابها، وقيل: ليست مضافة والعامل فيها الفعل الذي يليها لا جوابها.

تنبيه: مما يفرق فيه بين المفاجأة والمجازاة، أن إذا التي للمفاجأة لا يبتدأ بها كقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] والتي بمعنى المجازاة يبتدأ بها نص عليه سيبويه (٣)، فقال في الأولى إذا جواب بمنزلة الفاء، وإنما صارت جواباً بمنزلة الفاء؛ لأنه لا يبدأ بها كما لا يبدأ بالفاء. قال ابن النحاس: ولكن قد عورض سيبويه بأن الفاء قد تدخل عليها، فكيف تكون عوضاً منها؟

والجواب: أنها إنما تدخل توكيداً، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعْتِ مَا كَانَتْ حُجَّتَهُمْ﴾ [البجاية: ٢٥] فيحتمل أنها متمحضة للظرفية لعدم الفاء في جوابها مع ما، ويحتمل أن يكون ما جواب قسم مقدر لا جواب الشرط؛ فلذلك لم يجيء بالفاء.

الثالثة: جوز ابن مالك أن تجيء لا ظرفاً ولا شرطاً، وهي الداخلة عليها حتى الجارة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا﴾ [الزمر: ٧١] أو الواقعة مفعولاً، كقوله عليه السلام: «إني لأعلم إذا كنت على راضية» وكما جاز تجردها عن الشرط جاز تجردها عن الظرف.

وتحصل أنها تارة ظرف لما يستقبل، وفيها معنى الشرط نحو: ﴿إِذَا طَلَقْتَهُ أَلْسَنَةً﴾ [الطلاق: ١] وتارة ظرف مستقبل غير شرط نحو: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثُّ لَسَوَفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] وتارة ظرف غير مستقبل نحو: ﴿إِذَا مَا أَتَوَكَرْتَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] وتارة لا ظرف ولا شرط، وتارة لا تكون اسم زمان وهي المفاجأة.

(١) لذي الرمة. وتماه: فقام بفأس بين وصليك جازر

(٢) في المطبوع وم: بلا، والمثبت من الديوان.

(٣) الكتاب (١/٩٥) و (٣/١٧-١٨).

الرابعة: أصل إذا الظرفية لما يستقبل من الزمان، كما أن إذ لما مضى منه ثم يتوسع فيها فتستعمل في الفعل المستمر في الأحوال كلها، الحاضرة والماضية والمستقبلية، فهي في ذلك شقيقة الفعل المستقبل الذي هو يفعل حيث يفعل به نحو ذلك. قالوا: إذا استعطى فلان أعطى وإذا استنصر نصر، كما قالوا: فلان يعطي الراغب وينصر المستغيث، من غير قصد إلى تخصيص وقت دون وقت [وحال دون حال] ^(١) قاله الزمخشري في كشافه القديم.

الخامسة: تجاب الشرطية بثلاثة أشياء:

أحدها: الفعل نحو: إذا جتنتني أكرمتك.

وثانيها: الفاء نحو: إذا جتنتني فأنا أكرمك.

وثالثها: إذا المكانية قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤].

وما قبلها إما جوابها نحو: إذا جتنتني أكرمتك أو ما دل عليه جوابها كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا

نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١] والمعنى: فإذا نفخ في الصور تقاطعوا ودل عليه قوله: فلا أنساب.

وكذا قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢] وإنما احتيج لهذا

التقدير؛ لأن ما بعد [لا] ^(٢) النافية في مثل هذا الموضع، لا يعمل فيه ما قبلها.

وأيضاً فإن بشرى مصدر، والمصدر لا يتقدم عليه ما كان في صلته.

ومن ذلك قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] فالعامل في «إذا»

الأولى مادل عليه: ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ [والتقدير: خرجتم].

ولا يجوز أن يعمل فيه «تخرجون» ^(٣)، لا متناع أن يعمل ما بعد إذا المكانية فيما قبلها،

وحكمها في ذلك حكم الفاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٥﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩] فالعامل في إذا ما

دل عليه قوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩] والتقدير: فإذا نقر في الناقور صعب الأمر.

وقوله: ﴿هَلْ نَدْكُرُّ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِسُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ﴾ [سبا: ٧] فالعامل في إذا ما دل عليه قوله

تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَبَىٰ حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبا: ٧] من معنى «بعثتم» أو «مبعوثون».

فإن قيل: أيجوز نصب إذا بقوله جديد؛ لأن المعنى عليه؟ قيل: لا يجوز لامتناع أن يعمل

(١) سقط من المطبوع. (٢) في المطبوع: ما.

(٣) سقط من م.

ما بعد إن فيما قبلها، وهذا يسمى مجاوبة الإعراب والمعنى للشيء الواحد، وكان أبو علي الفارسي يلم به كثيراً وذلك أنه يوجد في المنظوم والمنثور .

والمعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه وقد سبق بيانه في نوع ما يتعلق بالإعراب . السادسة: «إذا» توافق «إن» في بعض الأحكام وتخالفها في بعض، فأما الموافقة فهي أن كل واحد منهما يطلب شرطاً وجزءاً نحو: إذا قمت قمت وإذا زرتني أكرمتك .

وكل واحدة منهما تطلب الفعل، فإن وقع الاسم بعد واحدة منهما قدر له فعل يرفعه يفسره الظاهر، مثاله في «إن» قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ﴾ [النساء: ١٢٨]: ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] ومثاله في «إذا» قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] وما بعدها في السورة من النظائر، وكذا قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وما بعدها من النظائر و﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] .

وأما الأحكام التي تخالفها ففي مواضع:

الأول: ألا تدخل إلا على مشكوك نحو: إن جئتني أكرمتك ولا يجوز: إن طلعت الشمس آتيك، لأن طلوع الشمس متيقن ثم إن كان المتيقن الوقوع مبهم الوقت جاز، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ونظائره .

وأما إذا فظاهر كلام النحاة يشعر بأنها لا [ق/ ٢٨٥] تدخل إلا على المتيقن، وما في معناه نحو: إذا طلعت الشمس فأتني وقوله (١):

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة

وقوله (٢):

إذا طلعت شمس النهار فسلمي (٣)

وذلك لكونها للزمن المعين بالإضافة على مذهب الأكثر، ولم يجزواها في الاختيار لعدم إيهامها كالشرط، ولذلك وردت شروط القرآن بها كقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ونظائرها السابقة لكونها متحققة الوقوع .

(١) لأبي محجن الثقفي .

(٢) لكن قال القاضي الفاضل:

فإن تستيني الشمس عنه ضرورة فإن طلعت شمس النهار فسلمي

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨] فقد أشكل دخولها على غير الواقع، وأجيب بأن التبدل محتمل وجهين:

أحدهما: إعادتهم في الآخرة؛ لأنهم أنكروا البعث.

والثاني: إهلاكهم في الدنيا وتبديل أمثالهم، فيكون كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣] فإن كان المراد في الدنيا وجب أن يجعل هذا بمعنى إن الشرطية؛ لأن هذا شيء لم يكن، فهي مكان إن؛ لأن الشرط يمكن أن يكون، وألا يكون ألا ترى إلى ظهورها في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَيِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [سبا: ٩] وإنما أجاز لـ «إذا» أن تقع موقع إن لما بينهما من التداخل والتشابه.

وقال ابن الجويني: الذي أظنه أنه يجوز دخولها على المتيقن والمشكوك، لأنها ظرف وشرط، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك كـ «إن» وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقن كسائر الظروف.

وإنما اشترط فيما تدخل عليه إن «أن» يكون مشكوكاً فيه، لأنها تفيد الحث على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء، ويمتنع فيه لامتناع الجزاء، وإنما يحث على فعل ما يجوز ألا يقع، أما ما لا بد من وقوعه فلا يحث عليه، وإنما امتنع دخول إذا على المشكوك إذا لحظت فيها الظرفية، لأن المعنى حينئذ التزام الجزاء في زمان وجود الشرط [التزام الشيء في زمان لا يعلم وجود شرط] ^(١) فيه ليس بالتزام، ولما كان الفعل بعد «إن» مجزوماً به يستعمل فيه ما ينبئ عن تحققه، فيغلب لفظ الماضي كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣١] فجاء بـ «إذا» في جانب الحسنة، وبـ «إن» في جانب السيئة؛ لأن المراد بالحسنة جنس الحسنة، ولهذا عرفت وحصول الحسنة المطلقة [مقطوع به فاقتضت البلاغة التعبير بـ «إذا» وجمي بـ «إن» في جانب السيئة؛ لأنها نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة] ^(٢)، كالمرض بالنسبة إلى الصحة والخوف بالنسبة إلى الأمن.

ومنه قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وقوله: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ نَسَائِهِ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [٤٨] وإن كانوا من قبل أن يُزَلَّ عليهم من قبله لِمَلِيْسِيك [٤٨] [الروم: ٤٨-٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ [الزمر: ٨] بلفظ «إذا» مع الضر فقال السكاكي:

(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

نظر في ذلك إلى لفظ المس وتنكير الضر المفيد للتعليل ليستقيم التوبيخ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر، وللتنبية على أن مس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون في حكم المقطوع به.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْبُؤْسُ فَدُعَاةَ عَرِيضٍ﴾ [نفلت: ٥١] بعد قوله: ﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي: أعرض عن الشكر وذهب بنفسه، وتكبر، والذي تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير [في «مسه»] ^(١) للمعرض المتكبر، لا لمطلق الإنسان، ويكون لفظ إذا للتنبية على أن مثل هذا المعرض المتكبر يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً.

الثاني: من الأحكام المخالفة أن المشروط بـ «إن» إذا كان عدماً لم يمتنع الجزاء في الحال حتى يتحقق اليأس من وجوده، ولو كان [العدم] ^(٢) مشروطاً بـ «إذا» وقع الجزاء في الحال مثل إن لم أطلقك فأنت طالق، لم تطلق إلا في آخر العمر وإذا [قال] ^(٣): إذا لم أطلقك فأنت طالق تطلق في الحال؛ لأن معناه أنت طالق في زمان عدم تطليقي لك، فأبي زمان تخلف عن التطبيق يقع فيه الطلاق، وقوله: إن لم أطلقك تعليق للطلاق على امتناع [الطلاق] ^(٤)، ولا يتحقق ذلك إلا بموته غير مطلق.

الثالث: أن «إن» تجزم الفعل المضارع إذا دخلت عليه وإذا لا تجزمه؛ لأنها لا تتمحض شرطاً، بل فيها معنى التزام الجزاء في وقت الشرط من غير وجوب أن يكون معللاً بالشرط، وقد جاء الجزم بها إذا أريد بها معنى «إن» وأعرض عما فيها من معنى الزمان كقوله: وإذا تصبك خصاصة فتجمل ^(٥)

الرابع: أن إذا هل تفيد التكرار والعموم؟ فيه قولان حكاهما ابن عصفور: أحدهما: نعم فإذا قلت: إذا قام زيد قام عمرو أفادت أنه كلما قام زيد قام عمرو. والثاني: لا يلزم.

قال: والصحيح أن المراد بها العموم كسائر أسماء الشرط، وأما إن ففيها كلام عن ابن جني يأتي في باب «إن». الخامس: أنك تقول: أقوم إذا قام زيد فيقتضي أن قيامك مرتبط بقيامه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، بل يعاقبه على الاتصال بخلاف أقوم إن قام زيد، فيقتضي أن قيامك بعد قيامه، وقد يكون عقبه وقد يتأخر عنه.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٥) للبرجمي، عبد قيس بن خفاف، شاعر جاهلي.

فالخاص: أن التقييد بالاستقبال دون اقتضاء مباحة بخلاف «إذا» ذكره أبو جعفر بن الزبير في كتابه «ملاك التأويل» .

السابعة: قيل: قد تأتي زائدة كقوله: ﴿إِذَا أُنشِئَتْ﴾ [الانشقاق: ١] تقديره: انشئت السماء كما قال: ﴿أَفَرَّيْتِ السَّاعَةَ﴾ [القمر: ١] ﴿أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]. ورد هذا بأن الجواب مضمرة^(١). ويجوز مجيئها بمعنى إذا وجعل منه ابن مالك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تَحِيْرَةً أَوْ لَهْرًا﴾ [الجمعة: ١١].

ورد بفوات المعنى، لأن إذا تفيد أن هذا حالهم المستمر بخلاف إذا، فإنها لا تعطي ذلك. وقولهم: إذا فعلت كذا فيكون [كذا]^(٢) على ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون المأمور به قبل الفعل، تقول: إذا أتيت الباب فالبس أحسن الثياب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨].

الثاني: أن يكون مع الفعل كقولك: إذا قرأت فترسل.

الثالث: أن يكون بعده، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ [الجمعة: ٩].

فائدة:

من الأسئلة الحسنة في قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠] أنه يقال: لم أي قبل «أضاء» بـ «كلمًا» وقبل «أظلم» بـ «إذا» وما وجه المناسبة في ذلك؟ وفيه وجوه:

الأول: أن تكرار الإضاءة يستلزم تكرار الإظلام، فكان تنويع الكلام أعذب.

الثاني: أن مراتب الإضاءة مختلفة متنوعة، فذكر كلما تنبيهًا على ظهور التعدد وقوته لوجوده بالصورة والنوعية، والإظلام نوع واحد فلم يؤت بصيغة التكرار، لضعف التعدد فيه بعد ظهوره بالنوعية، وإن حصل بالصورة.

الثالث: قاله الزمخشري^(٣) وفيه تكلف: أنهم لما اشتد حرصهم على الضوء المستفاد من النور كانوا كلما حدث لهم نور تجدد لهم باعث الضوء فيه، لا يمنعمهم من ذلك تقدم فقدته

(١) قال الراوي: واعلم أنه قد بقي من أقسام «إذا» قسم آخر وهو إذا الزائدة، وهذا قال به أبو عبيدة بعد «بيننا» و«بينما» وهو ضعيف، والله أعلم. «الجنني الداني» (ص/ ٣٨٠).

(٢) سقط من المطبوع. (٣) الكشاف (١/ ٨٦).

واختفاؤه منهم، وأما التوقف بالظلام فهو نوع واحد.

وهذا قريب من الجواب الثاني، لكنه بمادة أخرى، ويفترقان بأن جواب الزمخشري يرجع التكرار فيه إلى جواب «كلما»، لا إلى مشروطها الذي يليها ويباشرها فطلب تكراره وهو الأولي في مدلول التكرار [ق/٢٨٦]، والجواب المتقدم يرجع إلى تكرار مشروطها [الذي] ^(١) يتبعه الجواب من حيث هو ملزومه وتكرره فرع تكرر الأول.

الرابع: أن إضاءة البرق منسوبة إليه وإظلامه ليس منسوباً إليه؛ لأن إضاءته هي لمعانه، والظلام أمر يحدث عن اختفائه، فنظلم الأماكن كظلام الأجرام الكائنات، فأتى بأداة التكرار عند الفعل المتكرر من البرق وبالأداة التي لا تقتضي التكرار عند الفعل الذي ليس متكرراً منه ولا صادراً عنه.

الخامس ذكره ابن المنير: أن المراد بإضاءة البرق الحياة، وبالظلام الموت، فالمنافق تمر حاله في حياته بصورة الإيمان؛ لأنها دار مبنية على الظاهر، فإذا صار إلى الموت رفعت له أعماله وتحقق مقامه فتستقيم كلما في الحياة وإذا في الممات، وهكذا كقول النبي ﷺ «اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وأمتني إذا كانت الوفاة خيراً لي» ^(٢) فاستعمل مع الحياة لفظ التكرار والدوام، واستعمل مع لفظ الوفاة لفظ الاختصار والتقيد.

وقيل: إن ذلك لأحد معنيين: إما لأن الحياة ماثورة لازدياد العمل الصالح الذي الهمم العالية معقودة به، فعرض بالاستكثار منه والدوام عليه، ونبه على أن الموت لا يتمنى، ولكن [إذا] ^(٣) نزل [في] ^(٤) وقته رضي به، وإما لأن الحياة يتكرر زمانها، وأما الموت مرة واحدة.

وجواب آخر: أن الكلام في الأنوار هو الأصل المستمر، وأما خفقان البرق في أثناء ذلك فعوارض تتصل بالحدوث والتكرار، فناسب الإتيان فيها بكلما وفي تلك بـ «إذا» والله أعلم.

إذ ^(٥)

ظرف لماضي الزمان يضاف للجملتين، كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال ٢٦] وتقول: أيدك الله إذ فعلت.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٤٧) ومسلم (٢٦٨٠).

(٣) في م: إن.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) انظر: «الجني الداني» (ص/١٨٥).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُوتُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] فـ «ترى» مستقبل و«إذ» ظرف للماضي وإنما كان كذلك، لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله قد كان؛ لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ فهو كائن لا محالة.

وقيل المعنى: ولو ترى ندمهم وخزيهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار فـ «إذا» ظرف ماضٍ لكن بالإضافة إلى ندمهم الواقع بعد المعاينة، فقد صار وقت التوقف ماضيًا بالإضافة إلى مابعد، والذي بعده هو مفعول «ترى».

وأجاز بعضهم^(١) مجيئها مفعولاً به كقوله: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦] ومنعه آخرون وجعلوا المفعول محذوفاً وإذ ظرف عامله ذلك المحذوف، والتقدير: ﴿وَأذْكُرُوا بِمَعْتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١] إذًا: واذكروا حالكم.

ونحوه قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى﴾ [آل عمران: ٥٥] قيل: قال له ذلك لما رفعه إليه.

وتكون بمعنى حين كقوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبِضُّونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] أي: حين تفيضون فيه.

وحرف تعليل نحو: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩]: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقيل تأتي ظرفاً لما يستقبل بمعنى إذا^(٢) وخرج عليه بعض ما سبق.

وكذا قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَعْتَلُ فِي أَصْنَافِهِمْ﴾ [غافر: ٧٠-٧١] وأنكره السهيلي؛ لأن إذا لا يجيء بعدها المضارع مع النفي، وقد تجيء بعد القسم كقوله: ﴿وَأَيُّ لِي إِذَا بَسَرَ﴾ [الفجر: ٤] لانعدام معنى الشرطية فيه.

وقيل: تجيء زائدة نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠] وقيل: هي فيه بمعنى قد.

وقد تجيء بمعنى «إن» حكاه السهيلي في (الروض)^(٣) عن نص سيبويه في كتابه^(٤) قال: ويشهد له قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَكْثَرُ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩] قال: وغفل الفارسي عما في الكتاب من هذا، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملاً في الظرف الماضي فصار بمنزلة من يقول: سأتيك اليوم أمس قال: وليت شعري ما تقول في

(١) كالأخفش، والزجاج وغيرهما.

(٢) وهذا مذهب ابن مالك، ومذهب أكثر المحققين أن «إذ» لا تقع موقع «إذا» ولا «إذًا» موقع «إذ».

(٣) (٢٢٣/١).

(٤) (٦٠/٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] فإن جوز وقوع الفعل في الظرف الماضي على أصله، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين؟ وهو قبيح أن تقول: غدا سأتيك فكيف إن قلت: غدا فسأتيك فكيف إن زدت على هذا وقلت: أمس فسأتيك راداً على أصله بمعنى أمس.

تنبيهه في وقوع «إذ» بعد و«اذكر»

حيث وقعت «إذ» بعد و«اذكر» فالمراد به الأمر بالنظر إلى ما اشتمل عليه ذلك الزمان لغرابته ما وقع فيه، فهو جدير بأن ينظر فيه، وقد أشار إلى هذا الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْمَ إِذْ أَنْبَدْتُمْ﴾ [مريم: ١٦].

وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٤٢] ونظائره.

أو (١)

تقع في الخبر والطلب، فأما في الخبر فلها فيه معان:

الأول: الشك نحو: قام زيد أو عمرو.

الثاني: الإبهام وهو إخفاء الأمر على السامع مع العلم به، كقوله تعالى: ﴿وَرِنَّا أَوْ إِنَّاكُمْ لَعَلَّ هُدَى﴾ [سبا: ٢٤].

وقوله: ﴿أَتَمْنَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤] يريد إذا أخذت الأرض زخرفها وأخذ أهلها الأمن أتاها أمرنا وهم لا يعلمون، أي فجأة فهذا إبهام؛ لأن الشك محال على الله تعالى.

وقوله: ﴿إِنَّ يَأْتِيَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفوات: ١٤٧].

فإن قلت: يزيدون فعل ولا يصح عطفه على المجرور بـ «إلى» فإن حرف الجر لا يصح تقديره على الفعل، ولذلك لا يجوز: مررت بقائم ويقعد على تأويل قائم وقاعد.

قلت: يزيدون خبر مبتدأ محذوف في محل رفع، والتقدير: أو هم يزيدون. قاله ابن جني في «المحتسب».

وجاز عطف الاسم على الفعلية بـ «أو» لاشتراكهما في مطلق الجملة.

فإن قلت: فكيف تكون «أو» هنا لأحد الشئيين والزيادة لاتفك عن المزيد عليه؟

قلت: الأمر كذلك؛ ولهذا قدروا في المبتدأ ضمير المائة ألف والتقدير: وأرسلناك إلى مائة ألف معها زيادة، ويحتمل أن تكون على بابها للشك، وهو بالنسبة إلى المخاطب أي: لو

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/٢٢٧).

رأيتموهم لعلمتم أنهم مائة ألف أو يزيدون .

الثالث: التنويع كقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] أي: أن قلوبهم تارة تزداد قسوة، وتارة ترد إلى قسوتها الأولى، فجاء بـ «أو» لاختلاف أحوال قلوبهم .

الرابع: التفصيل كقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١] [أي قالت اليهود: لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا] ^(١) وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا الذين هم نصارى، وكذلك قوله: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١٣٥] .

الخامس: للإضراب كبل كقوله: ﴿كَلْتَجِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] و ﴿يَأْتِيهِ أَلْفٌ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] على حد قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [التجم: ٩] السادس: بمعنى الواو كقوله: ﴿فَالْتَلَفَيْنَا ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ [المرسلات: ٥-٦] .

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] .

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَرُونَ أَوْ يُحِثُّ هُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] .

وأما في الطلب فلها معان:

الأول: الإباحة نحو تعلم فقها أو نحوًا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ...﴾ [النور: ٦١] الآية .

وكذلك قوله: ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] يعني: إن شبهت قلوبهم بالحجارة فصواب أو بما هو أشد فصواب .

وقوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] أو ﴿كَصَيْبٍ﴾ [البقرة: ١٩] .

والمعنى أن التمثيل مباح في المناققين إن شبهتموهن [ق/ ٢٨٧] بأي النوعين .

قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] إباحة لإيقاع أحد الأمرين .

الثاني ^(٢): التخيير نحو: خذ هذا الثوب أو ذاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ...﴾ [الأنعام: ٣٥] الآية فتقديره: فافعل، كأنه خير على تقدير الاستطاعة أن يختار أحد الأمرين؛ لأن الجمع بينهما غير ممكن .

والفرق بينهما أن التخيير فيما أصله المنع، ثم يرد الأمر بأحدهما لا على التعيين ويمتنع الجمع بينهما، وأما الإباحة فإن يكون كل منهما مباحًا ويطلب الإتيان بأحدهما، ولا يمتنع من الجمع بينهما وإنما يذكر بـ «أو» لثلا يوهم بأن الجمع بينهما هو الواجب لو ذكرت الواو،

(١) سقط من م .

(٢) زاد المرادي من معاني «أو»: ١- الشك . ٢- الإبهام . ٣- التقسيم . ٤- الإضراب . ٥- معنى الواو .

ولهذا مثل النحاة الإباحة بقوله تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِعْطَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ...﴾ [المائدة: ٨٩] وقوله: ﴿فَقِدْيَةٌ مِّن صِيَابٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] لأن المراد به الأمر بأحدهما رفقا بالملكلف، فلو أتى بالجمع لم يمنع منه بل يكون أفضل.

وأما تمثيل الأصوليين يأتي الكفارة والفدية للتخيير مع إمكان الجمع، فقد أجاب عنه صاحب «البيسط» بأنه إنما يمتنع الجمع بينهما في المحذور، لأن أحدهما ينصرف إليه الأمر والآخر يبقى محظورا لا يجوز له فعله ولا يمتنع في خصال الكفارة، لأنه يأتي بما عدا الواجب تبرعا ولا يمنع من التبرع.

واعلم أنه إذا ورد النهي عن الإباحة جاز صرفه إلى مجموعهما، وهو ما كان يجوز فعله أو إلى أحدهما، وهو ما تقتضيه «أو».

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِنَّمَا آُر كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] فليس المراد منه النهي عن إطاعة أحدهما دون الآخر، بل [المراد] ^(١) النهي عن طاعتها مفردين أو مجتمعين، وإنما ذكرت «أو» لثلاث يتوهم أن النهي عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان.

وقال ابن الحاجب ^(٢): استشكل قوم وقوع «أو» في النهي في هذه [الآية] ^(٣)، فإنه لو انتهى عن أحدهما لم يمثل ولا يعدُّ يمثل إلا بالانتهاء عنهما جميعا.

فقيل: إنها بمعنى الواو والأولى أنها على بابها وإنما جاء التعيين فيها من القرينة، لأن المعنى قبل وجود النهي تطيع أتما أو كفورا أي: واحدا منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتا في المعنى، فيصير المعنى ولا تطع واحدا منهما فيجيء التعميم فيهما من جهة النهي الداخلة، وهي على بابها فيما ذكرناه؛ لأنه لا يحصل الانتهاء عن أحدهما حتى ينتهي عنهما، بخلاف الإثبات فإنه قد يفعل أحدهما دون الآخر.

قال: فهذا معنى دقيق يعلم منه أن «أو» في الآية على بابها، وأن التعميم لم يجيء منها وإنما جاء من جهة المضموم إليها. انتهى.

ومن هذا، وإن كان خبرا قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّتِي يُؤْتِيهَا أَوْ دِينٍ﴾ [النساء: ١١]؛ لأن الميراث لا يكون إلا بعد إنفاذ الوصية، والدين وجد أحدهما أو وجدا معا.

وقال أبو البقاء في اللباب ^(٤): إن اتصلت بالنهي وجب اجتناب الأمرين عند النحويين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِنَّمَا آُر كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] ولو جمع بينهما لفعل المنهي عنه مرتين؛

(٢) الأمالي (١/١٠٩).

(٤) (١/٤٢٣) باختصار.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) في م: المسألة.

لأن كل واحد منهما أحدهما .

وقال في موضع آخر: مذهب سيبويه أن أو في النهي نقيضة أو في الإباحة فقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، أذن في مجالستهما ومجالسة من شاء منهما، فضده في النهي: لا تطع منهم آثماً أو كفوراً أي: لا تطع هذا ولا هذا والمعنى: لا تطع أحدهما ومن أطاع منهما كان أحدهما، فمن هاهنا كان نهيًا عن كل واحد منهما، ولو جاء بالواو في الموضعين أو أحدهما لأوهم الجمع .

وقيل: أو بمعنى الواو؛ لأنه لو انتهى عن أحدهما لم يعد ممتثلاً بالانتهاء عنهما جميعًا . قال الخطيبي: والأولى أنها على بابها وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النهي، والنكرة في سياق النهي تعم، لأن المعنى قبل وجود النهي: تطيع آثماً أو كفوراً أي واحداً منهما، فالتعميم فيهما فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً، فالمعنى لا تطع واحداً منهما فسمى التعميم فيهما من جهة النهي، وهي على بابها فيما ذكرناه لأنه لا يحصل الانتهاء عن أحدهما حتى ينتهي عنهما، بخلاف الإثبات فإنه قد ينتهي عن أحدهما دون الآخر .

تنبيهان:

الأول: روى البيهقي^(١) في سننه في باب الفدية بغير النعم عن ابن جريج قال: كل شيء في القرآن فيه «أو» للتخيير إلا قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقَاتِلُوا أَوْ يَكْتُوبُوا﴾ [المائدة: ٣٣] ليس بمخير فيهما .

قال الشافعي: وبهذا أقول .

والثاني: من أجل أن مبناها على عدم التشريك أعاد الضمير إلى مفرديهما بالإفراد بخلاف الواو، وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] فقد قيل: إن أو بمعنى الواو، ولهذا قال: «بهما» ولو كانت لأحد الشئتين لقيل: «به» وقيل: على بابها ومعنى «غنياً أو فقيراً» إن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين أو منهما أي: الخصمين على أي حال كان؛ لأن ذلك ذكر عقيب قوله: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْمَانِ شُهُدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] يشير للحاكم والشاهد وذلك يتعلق باثنين .

وقيل: الأولوية المحكوم بها ثابتة للمفردين معاً، نحو: جاءني زيد أو عمرو ورأيتهما، فالضمير راجع إلى الغني والفقير المعلومين من وجوه الكلام، فصار كأنه قيل: فالله أولى بالغني والفقير .

(١) أخرجه الشافعي في «مسنده» (٦٣٦) والبيهقي في «الكبرى» (١٠٠٠٨) .

ويستعمل ذلك المذكور وغيره، ولو قيل: فإله أولى به لم يشمل؛ ولأنه لما لم يخرج مخلوقون عن الغنى والفقر، صار المعنى: أفعالوا ذلك؛ لأن الله أولى من خلق، ولو قيل: أولى به لعاد إليه من حيث الشهادة فقط.

إن^(١) المكسورة الخفيفة

ترد لمهاج:

الأول: الشرطية وهو الكثير نحو: ﴿إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ثم الأصل فيه عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط كقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦] وعيسى جازم بعدم وقوع قوله.

وقد تدخل على المتيقن وجوده إذا أبهم زمانه كقوله: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾

[الأنبياء: ٣٤].

وقد تدخل على المستحيل نحو: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ﴾ [الزخرف: ٨١] ومن أحكامها أنها

للاستقبال، وأنها تخلص الفعل له وإن كان ماضيًا كقولك: إن أكرمتني أكرمتك، ومعناه: إن تكرمني، وأما قولهم: إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس، وقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ قِيمَتُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ﴾ [يوسف: ٢٦] فقليل: معنى «أكرمتني اليوم» يكون سبب للإخبار بذلك، وإن ثبت كان قميصه قَدْ من قبل يكون سببًا للإخبار بذلك.

قاله ابن الحاجب^(٢)، وهي عكس لو فإنها للماضي وإن دخلت على المضارع.

مسألة:

إن دخلت «إن» على «لم» يكن الجزم بـ «لم» لا بها كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا﴾ [المائدة: ٧٣]

﴿فَإِنْ لَمْ تَقْمَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] وإن دخلت على لا كان الجزم بها لا «لا»، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفِرْ

لِي﴾ [هود: ٤٧].

والفرق بينهما أن لم عامل يلزم معموله ولا يفرق بينهما بشيء «وإن» يجوز أن يفرق بينهما وبين معمولها معمول معمولها، نحو: إن زيدًا يضرب أضربه.

وتدخل أيضًا على الماضي، فلا تعمل في لفظه ولا تفارق العمل، وأما لا فليست عاملة

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/٢٠٧) و«المدخل» للحدادي (ص/٥٨١).

(٢) الأمالي (١/٢١٨).

في [الفعل] (١) فأضيف العمل إلى إن .

الثاني: بمنزلة «لا» وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله في الأنعام: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩] بدليل ما في الجاثية: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] .

وقوله: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣] .

﴿إِنَّ الْكٰفِرُونَ إِلَّا فِي عُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠] .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] .

﴿إِنْ أُمَمُهُمْ إِلَّا آلَىٰ النَّوَىٰ وَلَدُهُمْ﴾ [المجادلة: ٢] .

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَىٰ الرَّحْمٰنَ عَبْدًا﴾ [إبراهيم: ٩٣] [ق/ ٢٨٨] .

﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] .

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] .

وعلى الجملة الفعلية نحو: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَٰى﴾ [التوبة: ١٠٧] .

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] .

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾ [النساء: ١١٧] .

﴿وَتَطَّلُونَ بِأَنْبَاطِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢] .

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ [يس: ٢٩] .

﴿بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِعْتٰكُمُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣] .

وزعم بعضهم أن شرط النافية مجيء إلا في خبرها، كهذه الآيات أو لما التي بمعناها كقراءة بعضهم: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] بتشديد الميم، أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ .

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِعَ لَدُنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] .

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] .

ورد بقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُمْ فِتْنَةٌ لَّكَ﴾ [الأنبياء: ١١١] .

﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمَّ بَعِيدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] .

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ﴾ [يونس: ٦٨] .

(١) في م: النصب .

﴿يَسْأَلُكُمْ يَا مَعْرُوفُ بِهَذَا إِيمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣] .

وأما قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهَذَا﴾ [النساء: ١٥٩] فالتقدير: وإن أحد من أهل الكتاب.

وأما قوله: ﴿وَلَيْنِ زَالَتَا إِنْ أَسْكَبْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [فاطر: ٤١] فالأولى شرطية، والثانية نافية جواب للقسم الذي أذنت به اللام الداخلة على الأولى، وجواب الشرط محذوف وجوباً.

واختلف في قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحاف: ٢٦] فقال الزمخشري^(١) وابن السجري: إن نافية أي: فيما مامكناكم فيه إلا أن «إن» أحسن في اللفظ لما في جماعة مثلها من التكرار المستبشع، ومثله يتجنب. قالوا: ويدل على النفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

وحكى الزمخشري أنها زائدة قال: والأول أفخم.

وقال ابن عطية: ما بمعنى الذي، وإن نافية وقعت مكان ما فيختلف اللفظ ولا تتصل ما بـ «ما» والمعنى: لقد أعطيناهم من القوة والغنى ما لم نعظكم، ونالهم بسبب كفرهم هذا العقاب، فأنتم أحرى بذلك إذا كفرتم.

وقيل: إن شرطية والجواب محذوف أي: الذي إن مكناكم فيه طغيتم.

وقال: وهذا مطرح في التأويل.

وعن قطرب أنها بمعنى «قد» حكاه ابن السجري.

ويحتمل النكرة الموصوفة.

واعلم أن بعضهم أنكروا مجيء النافية^(٢)، وقال في الآيات السابقة: إن «ما» محذوفة والتقدير ما إن الكافرون إلا في غرور، «ما إن تدعون» «ما إن أدري» ونظائرها كما قال الشاعر:

وما إن طبنا جبن ولكن مناينا ودولة آخرينا^(٣)

فحذفت «ما» اختصاراً كما حذف «لا» في ﴿تَاللَّهِ تَقْتُلُونَ﴾ [يوسف: ٨٥].

(١) الكشاف (٤/٣٠٨).

(٢) وهو مذهب أكثر البصريين، وأجازه الكسائي وأكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي.

(٣) لفروة بن مسيك.

الثالث: مخففة من الثقيلة فتعمل في اسمها وخبرها، ويلزم خبرها اللام كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَلَامَنَا لَيُوقِنَنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [هود: ١١١].

ويكثر إعمالها نحو: ﴿وَإِنْ كُنَّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَّعُ الْمَيُوتَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥]: ﴿وَإِنْ كُنَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢].

﴿إِنْ كُنَّ نَفْسٌ لَمَّا عَلَيَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] في قراءة من خفف لما (١) أي أنه كل نفس لعلها حافظ.

الرابع: للتعليل بمعنى «إذ» عند الكوفيين كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [ان] عمران: ١٣٩ قال بعضهم: لم يخبرهم بعلوهم إلا بعد أن كانوا مؤمنين.

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. قال بعضهم: لو كانت للخبر لكان الخطاب لغير المؤمنين.

وكذا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣] ونحوه مما الفعل فيه محقق الوقوع، والبصريون يمنعون ذلك وهو التحقيق كالمعنى مع «إذا».

وأجابوا عن دخولها في هذه المواطن لنكتة وهي أنه من باب خطاب [التهيج] (٢)، نحو: إن كنت [ولدي] (٣) فأطعمني.

وأما قوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَأْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] فالاستثناء مع تحقق الدخول تأديباً بأدب الله في المشيئة، والاستثناء من الداخلين لا من الرؤيا؛ لأنه كان بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات بينهما خلق كثير فكانه قال: كلكم إن شاء الله.

الخامس: بمعنى لقد في قوله: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفَابِينَ﴾ [يونس: ٢٩] أي: لقد كنا.

﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]

﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ [الصافات: ٥٦].

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

فائدة:

ادعى ابن جنى في كتاب «القد» أن «إن» الشرطية تفيد معنى التكثير، لما كان في هذا الشياخ والعموم؛ لأنه شائع في كل مرة. ويدل لذلك دخولها على أحد التي لا يستعمل إلا في

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي وقرأ عاصم وابن عامر وحمة: [لما] مشددة. الحجة (٦/ ٣٩٧) والسبعة (ص/ ٦٧٨).

(٢) في المطبوع: التهيج.

(٣) في م: والدي.

النفي العام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]؛ لأنه ليس في واحد يقتصر عليه؛ فلذلك أدخل عليه أحد الذي لا يستعمل في الإيجاب.

قال: يجوز أن تكون أحد هنا ليست التي للعموم بل بمنزلة أحد من أحد وعشرين ونحوه إلا أنه دخله معنى العموم لأجل إن كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٢٨] ﴿إِنْ أَمْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

تنبيه:

قيل: قد وقع في القرآن الكريم «إن» بصيغة الشرط وهو غير مراد في مواضع: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] وقوله: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ إِتَّاعِينَ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهِنَّ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقوله: ﴿أَنْ تَقْرَأُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] وقوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤].

وقد يقال: أما الأولى فيمتنع النهي عن إرادة التحصن، فإنهن إذا لم يردن التحصن يردن البغاء، والإكراه على المراد ممتنع.

وقيل: إنها بمعنى «إذا» لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن التحصن، أو هو شرط مقحم؛ لأن ذكر الإكراه يدل عليه؛ لأنهن لا يكرهنهن إلا عند إرادة التحصن، وفائدة إيجابه المبالغة في النهي عن الإكراه، فالمعنى إن أردن العفة فالمولى أحق بإرادة ذلك.

وأما [الثانية] ^(١) فهو يشعر بالإتمام ولا نسلم أن الأصل الإتمام، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين فأقرت صلاة السفر، وزيدت صلاة الحضر ^(٢).

وأما البواقي فظاهر الشرط ممتنع فيه بدليل التعجب المذكور، لكنه لا يمنع مخالفة الظاهر لعارض.

أن ^(٣) المفتوحة الهمزة الساكنة النون

ترتد لمكان:

الأول: حرفاً مصدرياً ناصباً للفعل المضارع، وتقع معه في موقع المبتدأ والفاعل، والمفعول والمضاف إليه.

(١) في المطبوع: الرابعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣) ومسلم (٦٨٥).

(٣) انظر: «الجنى الداني» (ص/٢١٥) و«الكتاب» (٣/١١٩-١٥٣).

فالمبتدأ يكون في موضع رفع، نحو: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٥] : ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [النور: ٦٠] : ﴿وَأَنْ تَقُومُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]

والفاعل كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾ [التوبة: ١٢٠] : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ [يونس: ٢].

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الاعراف: ٨٢] في قراءة من نصب جواب .
وتقع معه موقع المفعول به، فيكون في موضع نصب نحو: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ [يونس: ٣٧].

﴿يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ نُصِيبَنَّ دَابِرَهُ﴾ [المائدة: ٥٢].

﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] : ﴿وَأُورِثُ لِأَنَّ أَكُونَ﴾ [الزمر: ١٢].

وقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَظَلَّتْ أَنْ تَبْنِي﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ [نوح: ١] معناه بأن أنذر، فلما حذفت الباء تعدي الفعل

فنصب .

ومنه في أحد القولين: ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧] نصب على البديل من قوله: ﴿مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ .

والمضاف إليه فيكون في موضع جر كقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْفَاعِلُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] ،
﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ [الاعراف: ١٢٩] أي: من قبل إتيانك .

وإنما لم ينصب في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ [يونس: ٢] وإن كان المعنى لوحينا؛ لأن الفعل بعدها لم يكن مستحقاً للإعراب ولا يستعمل إلا أن تعمل فيه العوامل .
وقد يعرض لـ «إن» هذه حذف حرف الجر، كقوله تعالى:

﴿اللَّهُ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [العنكبوت: ١-٢] [ق/ ٢٨٩] أي: بأن يقولوا
كما قدرت في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥] أي: بأن لهم، ومذهب سيبويه أنها في موضع نصب، ونفاها الخليل على أصل الجر .

وتقع بعد «عسى» فتكون مع صلتها في تأويل مصدر منصوب، إن كانت ناقصة نحو:
عسى زيد أن يقوم، ومثله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ [الاسراء: ٨] وتكون في تأويل مصدر مرفوع
إن كانت تامة كقولك: عسى أن ينطلق زيد، ومثله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

وَعَسَىٰ أَنْ تُجِئُوا شَيْئًا ﴿البقرة: ٢١٦﴾ .

الثاني مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين وما في معناه، ويكون اسمها ضمير الشأن، وتقع بعدها الجملة خبراً عنها، نحو: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] .

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ نَرْجِي﴾ [المزمل: ٢٠] : ﴿وَحَسْبُوا أَلَّا تَكُونُوا قِسْفَةً﴾ [المائدة: ٧١] .

﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَمُوا﴾ [الجن: ١٦] .

﴿وَمَا خِرُّ دَعْوَتُهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] .

وجعل ابن السجري^(١) منه: ﴿وَوَدَّيْتَهُ أَنْ يَتَابِرَهُ﴾ [الصافات: ١٠٤] أي: أنه يا إبراهيم .

الثالث: مفسرة بمنزلة «أي» التي لتفسير ما قبلها بثلاثة شروط: تمام ما قبلها من الجملة، وعدم تعلقها بما بعدها، وأن يكون الفعل الذي تفسره في معنى القول كقوله تعالى: ﴿وَوَدَّيْتَهُ أَنْ يَتَابِرَهُ﴾ [الصافات: ١٠٤]: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]: ﴿وَأَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ [البقرة: ١٢٥] قال ابن السجري: تكون هذه في الأمر خاصة وإنما شرط مجيئها بعد كلام تام، لأنها تفسير ولا موضع لها من الإعراب، لأنها حرف يعبر به عن المعنى .

وخرج بالأول: ﴿وَمَا خِرُّ دَعْوَتُهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] لأن الكلام لم يتم فإن ما قبلها مبتدأ، وهي في موضع الخبر، ولا يمكن أن تكون ناصبة لوقوع الاسم بعدها بمقتضى أنها المخففة من الثقيلة .

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنطَلَقَ الْآلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا﴾ [ص: ٦] فقيل: إنها مفسرة؛ لأن الانطلاق متضمن لمعنى القول .

وقال الخليل: يريدون أنهم انطلقوا في الكلام بهذا، وهو أمشوا أي: أكثروا يقال: أمشي الرجل ومشى إذا كثرت ماشيته، فهو لا يريد انطلقوا بالمشى الذي هو انتقال، إنما يريد قالوا هذا .

وقيل: عبارة عن الأخذ في القول فيكون بمنزلة صريحه وأن مفسرة وقيل: مصدرية .

فإن قيل: قد جاءت بعد صريح القول، كقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا﴾

الله [المائدة: ١١٧] .

قلنا: لا دلالة فيه لاحتمال أنها مصدرية .

(١) وانظر: «الكتاب» (٣/١٦٣) .

وقال الصفار: لا تتصور المصدرية هنا بمعنى إلا عبادة الله، لأن القول لا يقع بعده المفرد إلا أن يكون هو المقول بنفسه، أو يكون في معنى المقول نحو قلت: خبراً وشعراً، لأنهما في معنى الكلام أو يقول: قلت زيداً أي هذا اللفظ، وهذا لا يمكن في الآية، لأنهم لم يقولوا هذه العبارة فثبت أنها تفسيرية أي: اعبدوا الله.

وقال السيرافي: ليست «أن» تفسيراً للقول بل للأمر؛ لأن فيه معنى القول فلو كان: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله لم يجوز [لذكر القول] (١).

الرابع: زائدة وتكون بعد لما التوقيتية كقوله تعالى، في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَتَى جَاءَتْ رَسُولَنَا لُوطًا...﴾ [العنكبوت: ٣٣] بدليل قوله في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رَسُولَنَا لُوطًا﴾ [هود: ٧٧] فجاء فيها على الأصل.

وأما قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَى جَاءَتْ رَسُولَنَا لُوطًا﴾ [يوسف: ٩٦] فجيء بـ «إن» ولم يأت على الأصل من الحذف؛ لأنه لما كان مجيء البشير إلى يعقوب عليه السلام بعد طول الحزن، وتباعد المدة تناسب ذلك زيادة «أن» لما في مقتضى وصفها من التراخي.

وذهب الأخفش (٢) إلى أنها قد تنصب الفعل وهي مزيدة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُقَاتِلَ﴾ [الحديد: ١٠]: و«أن» في الآيتين زائدة بدليل: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤].

الخامس: شرطية في قول الكوفيين كقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قالوا: ولذلك دخلت الفاء.

السادس: نافية بمعنى «لا» في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾ [ال عمران: ٧٣] أي: لا يؤتى أحد والصحيح أنها مصدرية.

وزعم المبرد أن «يؤتى» متصل بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [ال عمران: ٧٣] واللام زائدة.

وقيل: إن يؤتى في موضع رفع أي: إن الهدى أن يؤتى.

السابع: التعليل بمنزلة لثلا كقوله تعالى: ﴿يَسِّرْ لِلَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]

وقال البصريون على حذف مضاف أي: كراهة أن تضلوا.

وكذا قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] وقوله: ﴿أَنْ

(١) في م: لذلك القول. (٢) معاني القرآن (١/١٩٤).

تَقُولُ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ ﴿ [الزمر: ٥٦] .

الثامن: بمعنى إذ مع الماضي كقوله: ﴿بَلْ يَحْسَبُونَ أَن جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٢] .

وقيل: بل المعنى: لأن جاءهم أي من أجله .

قيل: ومع المضارع كقوله: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [المتحنة: ١] أي إذا آمنتم، والصحيح أنها مصدرية .

وأجاز الزمخشري^(١) أن تقع «أن» مثل «ما» في نياتها عن ظرف الزمان، وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ بِرَبِّهِمْ فِي رَبِّهِمْ أَنَاءَتَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] .

ورد بأن استعمالها للتعليل مجمع عليه، وهو لائق في هاتين الآيتين والتقدير: لأن آتاه، ولئلا يصدقوا .

إن المكسورة المشددة^(٢)

لها ثلاثة أوجه:

أحدها: للتأكيد نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] ^(٣) .

وللتعليل: أثبت ابن جنبي من النحاة، وكذا أهل البيان، وسبق بيانه في نوع التعليل من قسم التأكيد .

وبمعنى «نعم» في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰؤُلَاءِ لَسَعِيرِينَ﴾ [طه: ٦٣] فيمن شدد النون ^(٤) .

قال أبو إسحاق [الزجاج] ^(٥): عرضت هذا على محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق فرضياه ^(٦) . وقال ابن برهان: كأنهم أجمعوا بعد التنازع على قذف النبيِّين بالسحر - صلى الله عليهما - .

وعبارة غيره هي بمعنى «أجل»، وإن لم يتقدم سؤال عن سحرهم فقد تقدم: ﴿أَجْتَنَّا

(١) الكشاف (١/ ٣٠٥) .

(٢) انظر: «الجنبي الداني» (ص/ ٣٩٣) .

(٣) فينصب الاسم ويرفع الخبر خلافاً للكوفيين .

(٤) قرأ ابن عامر ونافع وحزمة والكسائي: [إِنَّ] مشددة النون . وقرأ ابن كثير: [إِنْ] بتخفيف النون . الحجة (٥/ ٢٢٩) والسبعة (ص/ ٤١٩) .

(٥) زيادة من م .

(٦) أنكر أبو عبيدة أن تكون «إِنَّ» بمعنى: «نعم» وليس بإرجح .

لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِعْرِكَ ﴿٥٧﴾ فتكون على هذا القول مصروفة إلى تصديق ألسنتهم فيما ادعوه من السحر .

واستضعفه الفارسي بدخول اللام في خبر المبتدأ، وهو لا يجوز إلا في ضرورة .

فإن قدرت مبتدأ محذوفاً أي: فهما ساحران فمردود، لأن التأكيد لا يليق به الحذف .

وقيل: دخلت اللام في خبر المبتدأ مراعاة للفظ، أو لما كانت تدخل معها في الخبرية .

وقيل: جاء على لغة بني الحارث في استعمال المثني بالألف مطلقاً .

أَنْ (١) المفتوحة المشددة

تجيء للتأكيد كالمكسورة (٢) واستشكله بعضهم، لأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم تفد توكيداً، وهو ضعيف لما علم من الفرق بين «أَنْ والفعل» والمصدر. وقال في الفصل (٣): «إِنَّ وَأَنْ تؤكدان مضمون الجملة إلا أن المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها، والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد (٤)» .

قال ابن الحاجب: لأن وضع «إِنَّ» تأكيد للجملة من غير تغيير معناها، فوجب أن تستقل بالفائدة بعد دخولها، وأما المفتوحة فوضعها وضع الموصولات في أن الجملة معها كالجمله مع الموصول، فلذلك صارت مع جملتها في حكم الخبر، فاحتاجت إلى جزء آخر ليستقل معها بالكلام فتقول: إن زيداً قائم وتسكت. وتقول: أعجبنى أن زيداً قائم، فلا تجد بدأ من هذا الجزء الذي معها لكونها صارت في حكم الجزء الواحد؛ إذ معناه: أعجبنى قيام زيد، ولا يستقل بالفائدة ما لم ينضم إليه جزء آخر، فكذلك المفتوحة مع جملتها؛ ولذلك وقعت فاعلة ومفعولة ومضافاً إليها وغير ذلك مما تقع فيه المفردات .

ومن وجوه الفرق بينهما: أنه لا تصدر بالمفتوحة الجملة، كما تصدر بالمكسورة؛ لأنها لو صدرت لوقعت مبتدأ، والمبتدأ معرض لدخول «إِنَّ» [ق/٢٩٠] فيؤدي إلى اجتماعهما، ولأنها قد تكون بمعنى لعل كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] وتلك لها صدر الكلام فقصدوا إلى أن تكون هذه مخالفة لتلك في الوضع. [يقصد من أول الأمر الفرق بينهما أي لعلها] (٥) .

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/٤٠٢) .

(٢) (٣) (ص/٢٩٣) .

(٢) وهو مذهب أكثر النحاة .

(٤) زادها (ف) من الفصل .

(٥) سقط من المطبوع .

(١) إنما

لقصر الصفة على الموصوف، أو الموصوف على الصفة، وهي للخصر عند جماعة (٢) كالنفي والاستثناء .

وفرق البيانون بينهما فقالوا: الأصل أن يكون ما يستعمل له «إنما» مما يعلمه المخاطب ولا ينكره، كقولك: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لمن يعلم ذلك ويقر به، وما يستعمل له النفي والاستثناء على العكس، فأصله أن يكون مما يجمله المخاطب وينكره نحو: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢] .

ثم إنه قد ينزل المعلوم منزلة المجهول، لاعتبار مناسب فيستعمل له النفي والاستثناء نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية ونحو: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] والرسول ما كانوا على دفع البشرية عن أنفسهم وادعاء الملائكية لكن الكفار كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة، وجعلوا أنهم بادعائهم النبوة ينفون عن أنفسهم البشرية، فأخرج الكلام مخرج ما يعتقدون، وأخرج الجواب أيضاً مخرج ما قالوا حكاية لقولهم، كما يحكى المجادل كلام خصمه ثم [يرد] (٣) عليه بالإبطال، كأنه قيل: الأمر كما زعمتم أننا بشر، ولكن ليس الأمر كما زعمتم من اختصاص الملائكة بالرسالة، فإن الله يبعث من الملائكة رسلاً ومن الناس .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم، لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له «إنما» كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فإن كونهم مصلحين منتف، فهو مجهول بمعنى أنه لم يعلم بينهم صلاح، فقد نسبوا الإصلاح إلى أنفسهم وادعوا أنهم كذلك ظاهر جلي؛ ولذلك جاء الرد عليهم مؤكداً من وجوه .

(٤) إلى

الانتهاء إلى الغاية، وهي مقابلة «من» ثم لا يخلو أن يقترن بها قرينة تدل على أن ما بعدها داخل فيما قبلها أو غير داخل، وإن لم يقترن بها قرينة تدل على أن ما بعدها داخل فيما قبلها أو غير داخل فيصار إليه قطعاً وإن لم يقترن بها .

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٤١٦).

(٢) كالزخشرى، خلافاً لأبي حيان.

(٣) في المطبوع: يكر.

(٤) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٣٨٥).

واختلف في دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على مذاهب:

أحدها: لا تدخل إلا مجازاً، لأنها تدل على غاية الشيء ونهايته التي هي حده، وما بعد الحد لا يدخل في المحدود، ولهذا لم يدخل شيء من الليل في الصوم، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ آتِيلٍ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الثاني: عكسه أي أنه يدخل ولا يخرج إلا مجازاً بدليل آية الرضوء.

والثالث: أنها مشتركة فيهما لوجود الدخول وعدمه.

والرابع: إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها أو جزءاً كـ«المرافق» دخل وإلا فلا.

والحق أنه لا يطلق فقد يدخل نحو: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] وقد لا يدخل نحو: ﴿ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ آتِيلٍ﴾.

وقيل في آية المرافق: إنها على بابها، وذلك أن المرفق هو الموضع الذي يتكئ الإنسان عليه في رأس العضد، وذلك هو المفصل وفريقه، فيدخل فيه مفصل الذراع، ولا يجب في الغسل أكثر منه.

وقيل: «إلى» تدل على وجوب الغسل [إلى] ^(١) المرافق، ولا ينبغي وجوب غسل المرفق؛ لأن الحد لا يدخل في المحدود ولا ينفيه التحديد، كقولك: سرت إلى الكوفة، فلا يقتضي دخولها ولا ينفيه، كذلك المرافق إلا أن غسله ثبت بالسنة.

ومنشأ الخلاف في آية الرضوء أن «إلى» حرف مشترك يكون للغاية والمعية، واليد تطلق في كلام العرب على ثلاثة معان: على الكفين فقط، وعلى الكف والذراع، والعضد، فمن جعل «إلى» بمعنى «مع» وفهم من اليد مجموع الثلاثة أوجب دخوله في الغسل، ومن فهم من «إلى» الغاية ومن اليد ما دون المرفق لم يدخلها في الغسل.

قال الأمدي: ويلزم من جعلها بمعنى «مع» أن يوجب غسلها إلى المنكب؛ لأن العرب تسميه يداً.

وقد تأتي بمعنى «مع» كقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّةَ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةَ إِيَّايَ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢].

﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

(١) سقط من م.

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُكِيِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤].

وقيل: ترجع إلى الانتهاء، والمعنى في الأول من يضيف نصرته إلى نصرته الله، وموضعها حال أي: من أنصاري مضافاً إلى الله.

والمعنى في الأخرى: ولا تضيفوا أموالكم إلى أموالهم، وكني عنه بالأكل كما قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] أي: لا تأخذوا.

وقد أتى للتبيين، قال ابن مالك: وهي المعلقة في تعجب أو تفضيل بحب أو بغض مبينة لفاعلية مصحوبها، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اللَّيْلُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣].

ولواقفه اللام: كقوله: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾ [النمل: ٣٣] وقيل: للانتهاء وأصله: والأمر إليك.

وكقوله: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] وموافقة «في» قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾ [النازعات: ١٨] وقيل: المعنى بل [بمعنى] (١) أدعوك إلى أن تزكي.

وزائدة: كقراءة بعضهم: ﴿فَاتَّعَمَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بفتح الواو.

وقيل: ضمن «تهوي» معنى «تميل».

تنبيهه:

من الغريب أن «إلى» قد تستعمل اسماً فيقال: انصرفت من إليك، كما يقال: غدوت من عليك، حكاه ابن عصفور في شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنباري.

ولم يقف الشيخ [أبو] (٢) حيان على هذا فقال في تفسيره، في قوله: ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِمَجْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مریم: ٢٥] وقوله: ﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢]: إلى حرف جر بالإجماع، وظاهرها أنها متعلقة بـ«هزي». وكيف يكون ذلك مع القاعدة المشهورة: أن الفعل لا يتعدى إلى ضمير متصل. وقد يرفع المتصل وهما لمدلول واحد، فلا تقول: ضربتني ولا ضربتك إلا في باب ظن والضمير المجرور عندهم بالحرف كالمنصوب المستقل، فلا تقول: هزرت إلى ولا هزرت إليك (٣).

(١) سقط من المطبوع. (٢) في المطبوع: ابن.

(٣) هذا يخالف ما ذكره أبو حيان من عدم الخلاف في حرفية «إلى» قال: «ولا يمكن أن يدعى أن «إلى» تكون اسماً لإجماع النحاة على حرفيتها. «البحر المحيط» (٦/ ١٨٤).

وجعل «إلى» في الآية متعلقة بالفعل «هزي» في ذلك مخالفة لقاعدة مشهورة عند النحاة وهي: أن الفعل لا يتعدى إلى الضمير المتصل وهما لمدلول واحد إلا في باب «ظن» والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب المستقل فلا يقال: «ضربتُكَ» ولا «ضربتُني» وإنما يؤتى في مثل هذه التراكيب بالنفس فيقال: «ضربت نفسي» و«ضربت نفسي» وعليه فلا يقال: «هزرت إلى» ولا «هزرت إليك» وما جاء في الآية جعله أبو حيان مخالفاً لتلك

ألا^(١) بالفتح والتخفيف

- تأتي للاستفتاح، وفائدته التنبيه على تحقيق ما بعدها، ولذلك قل وقوع الجمل بعدها إلا مصدره بنحو ما يتلقى به القسم نحو: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢].
- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [نصت: ٥٤].
- ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].
- ﴿أَلَا إِنَّ لَكُمْ أُولَاءَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ لَكُمْ لَعْنَةٌ﴾ [هود: ٦٨].
- ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨].
- ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَفْتُونَ يَكْتُمُونَ﴾ [هود: ٥].
- وتأتي مركبة من كلمتين: همزة الاستفهام ولا النافية^(٢).
- والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، كقوله تعالى: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١١].

- وقوله: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧].
- والتقدير: أنهم ليسوا بمتقين وليسوا بأكليين.
- وللعرض وهو طلب بلين^(٣) نحو: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].
- ﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

ألا^(٤) بالفتح والتشديد

حرف تحضيض مركبة من أن الناصبة ولا النافية كقوله تعالى:

- ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ [النمل: ٣١]: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥].

القاعدة قال: «وإلى» حرف جر بلا خلاف، ويتعلق بقوله: «وهزي» وهذا جاء على خلاف ما تقرر في علم النحو...

(١) انظر: «الجنبي الداني» (ص/ ٣٨١).

(٢) وإليه ذهب الزخشري، وقيل: هي بسيطة، وإليه ذهب ابن مالك.

ورد الشيخ أبو حيان دعوى التركيب بأن الأصل عدمه، وبأنها قد وقعت قبل «إن» و«رُبَّ» و«ليت» والنداء، ولا يصلح النفي قبل شيء من ذلك.

(٣) وهذه مختصة بالأفعال.

(٤) انظر: «الجنبي الداني» (ص/ ٥٠٩).

ثم قيل: المشددة أصل، والمخففة فرع. وقيل بالعكس (١).
وقيل: الهمزة بدل من الهاء، وبالعكس حكاه ابن هشام الخضراوي في حاشية سيبويه
[ق/ ٢٩١].

إِلَّا (٢)

ترجمه لمعاني:

الأول: الاستثناء (٣) وينقسم إلى متصل: وهو ما كان المستثنى من [جنس] (٤) المستثنى
منه نحو: جاء القوم إلا زيداً، وإلى منقطع، وهو ما كان من غير جنسه.
وتقدر بـ «لكن» كقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيَّبٍ ۗ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكُفِرَ﴾ [الغاشية: ٢٢-٢٣].
و ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ سَاءَةٍ﴾ [الفرقان: ٥٧].
وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في سورة الانشقاق.
و ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكُفِرَ﴾ [الغاشية: ٢٣] في آخر الغاشية.
وكذلك: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] ودخول الفاء في: ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُ﴾ [الجن:
٢٧] دليل انقطاعه، ولو كان متصلاً لتم الكلام عند قوله: «رسول».
وقوله: ﴿إِلَّا نَذْكُرُهُ لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣] ويجوز أن تكون «تذكرة» بدلاً من «لتشقى» وهو
منصوب بـ «أنزلنا» تقديره: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة [كقولك: ما فعلت ذلك إلا
إكراماً] (٥).

وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا إِتْيَاءَهُ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَخْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] فابتغاء وجه
ربه، ليس من جنس النعم التي تجزى.
وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) قال المرادي: «قال بعضهم: و «إلا» يحتمل أن يكون أصلها «هلاً» فأبدلت الهاء همزة، وقال بعضهم: الهاء في
«هلاً» بدل من همزة «إلا» ولا يصح العكس، لأن إبدال الهاء من الهمزة أكثر من إبدال الهمزة من الهاء، فالحمل
على الأكثر أولى.

واعلم أن «إلا» قد تكون مركبة من «أن» الناصبة للفعل أو المخففة، و «لا» فتعد حرفين لا حرفاً واحداً كقوله
تعالى: ﴿إِلَّا تَمَلَّؤُا﴾ [النمل: ٣١] وقد أجازوا في «أن» هذه أن تكون مصدرية ناصبة للفعل وخففة من الثقيلة،
ومفسرة، وذلك واضح، والله أعلم.

(٢) انظر: «الجنبي الداني» (ص/ ٥١٠).

(٣) وهذا معناها المشهور.

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من المطبوع.

فقولهم: «ربنا الله» ليس بحق يوجب إخراجهم .

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] [أي لكن أولي الضرر] (١) لا حرج عليهم في قعودهم، وإنما كان منقطعاً، لأن القاعد عن ضرر- وإن كانت له نية الجهاد- ليس مستويًا في الأجر مع المجاهد، لأن الأجر على حسب العمل، والمجاهد يعمل ببدنه وقلبه والقاعد بقلبه .

وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَفَعَفَهَا إِيْمَانًا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨] إذ لو كان متصلًا لكان المعنى: فهل أمنت قرية إلا قوم يونس، فلا يؤمنون فيكون طلب الإيمان من خلاف قوم يونس، وذلك باطل، لأن الله تعالى يطلب من كل شخص الإيمان، فدل على أن المعنى: لكن قوم [يونس] (٢).

وقال الزجاج: يمكن اتصاله؛ لأن قوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ في المعنى نفي، فإن الخطاب لما يقع منه الإيمان، وذلك إذا كان الكلام نفيًا كان [ما] (٣) بعد «إلا» يوجب إنكاره. قال: ما من قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس .

وقد رد عليه الأمدى: بأن جعل «إلا» منقطعة عما قبلها لغة فصيحة، وإن كان جعلها متصلة أكثر، وحمل الكلام على المعنى ليس بقياس .

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣] فإن «من رحم» بمعنى المرحوم، ليس من جنس العاصمين، وإنما هو معصوم فدل على أنها بمعنى «لكن» .

فإن قيل: يمكن اتصاله على أن ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ بمعنى «الراحم»، أي الذي يرحم، فيكون الثاني من جنس الأول .

قيل: حمل هذه القراءة على القراءة الأخرى، أعني قراءة: «رُحِمَ» بضم الراء حتى يتفق معنى القراءتين .

الثاني: بمعنى «بل» كقوله تعالى: [﴿طه﴾ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا نَذْكُرُهُ... ﴿٢﴾ [طه: ١-٣] أي بل تذكره .

الثالث: عاطفة بمعنى «الواو» في التشريك (٤)؛ كقوله تعالى: [﴿٥﴾ إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من م .

(٣) سقط من م .

(٤) بهذا القسم نفاه الجمهور، وأثبتته الفراء والأخفش وأبو عبيدة .

(٥) سقط من م .

عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا [البقرة: ١٥٠] معناه: «ولا الذين ظلموا».

وقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠-١١] أي: ومن ظلم، تأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

الرابع: بمعنى «غير» إذا كانت صفة، ويعرب الاسم [الواقع] ^(١) بعد «إلا» إعراب غير كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وليست هنا للاستثناء.

وإلا لكان التقدير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وهو باطل.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَكُم شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُكُمْ﴾ [النور: ٦] فلو كان استثناء لكان من غير الجنس، لأن «أنفسهم» ليس شهوداً على الزنا؛ لأن الشهداء على الزنا يعتبر فيهم العدد، ولا يسقط الزنا المشهود به بيمين المشهود عليه.

وإذا جعل وصفاً فقد أمن فيه مخالفة الجنس، فـ «إلا» هنا بمنزلة «غير» لا بمعنى الاستثناء؛ لأن الاستثناء إما من جنس المستثنى منه، أو من غير جنسه، ومن توهم في صفة الله واحداً من الأمرين فقد أبطل.

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: هذا توهم منه وخاطر خطر من غير أصل، ويلزم عليه أن تكون «إلا» في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُمُ صِدْقٌ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] وقوله: ﴿صَلِّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا﴾ [الإسراء: ٦٧] استثناء، وأن تكون [بمنزلة] ^(٢) «غير» وذلك لا يقوله أحد، لأن «إلا» إذا كانت صفة كان إعراب الاسم الواقع بعدها إعراب الموصوف بها، وكان تابعا له في الرفع والنصب والجر.

وقال: والاسم بعد «إلا» في الآيتين منصوب كما ترى، وليس قبل «إلا» في واحد منهما منصوب بإلا.

واعلم أنه يوصف بما بعد «إلا» سواء كان استثناء منقطعاً أو متصلاً، قال المبرد والجزمي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مَّمَّنَ آمَنَّا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦] لو قرئ برفع «قليل» على الصفة لكان حسناً والاستثناء منقطع.

الخامس: بمعنى بدل، وجعل ابن الصائغ منه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] أي: بدل الله، أي عوض الله، وبه يخرج على الإشكال المشهور في الاستثناء وفي الوصف بـ «إلا» من جهة المفهوم.

بقي أن يقال: إن ابن مالك جعلها في الآية صفة، وأنها للتأكيد لا للتخصيص؛ لأنه لو

(٢) في م: بمعنى.

(١) زيادة في م.

قيل: لو كان فيهما آلهة فسدتا لصح؛ لأن الفساد مرتب على تعدد الآلهة.

فيقال: ما فائدة الوصف المقتضى هاهنا للتأكيد؟ وجوابه: أن «آلهة» تدل على الجنس أو على الجمع، فلوا اقتصر عليه لتوهم أن الفساد مرتب على الجنس من حيث هو، فأتى بقوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ليدل على أن الفساد مرتب على التعدد، وهذا نظير قولهم في: ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ إن الوصف هنا مخصص لا مؤكد؛ لأن ﴿إِلَهَيْنِ﴾ يدل على الجنسية وعلى الثنائية، فلوا اقتصر عليه لم يفهم النهي عن أحدهما فأتى بـ «اثنين» ليدل على أن النهي عن الاثنين على ما سبق.

السادس: للحصر إذا تقدمها نفي:

إما صريح، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: ١١].
أو مقدر كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا لِكِبْرَةِ إِلَّا عَلَى الْغَاشِيِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] فإن إلا ما دخلت بعد لفظ الإيجاب إلا لتأويل ما سبق إلا بالنفي أي: فإنها لا تسهل، وهو معنى «كبيرة». وإما لأن الكلام صادق معها أي: وإنما لكبيرة على كل أحد إلا على الخاشعين، بخلاف: ضربت إلا زيداً، فإنه لا يصدق.

السابع: مركبة من «إن» الشرطية و«لا» النافية، ووقعت في عدة [مواضع] (١) من القرآن نحو: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَعَدَّ نَصْرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿إِلَّا تَنْصُرُوا يَعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩].

﴿وَلَا تَقْفِرْ لِي وَتَرْحَمْتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٣].

ولأجل الشبه الصوري غلط بعضهم فقال في: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: إن الاستثناء منقطع أو متصل.

وعجبت من ابن مالك في «شرح التسهيل» حيث عدها في أقسام «إلا» لكنه في «شرح الكافية» قال في باب الاستثناء: لا حاجة للاحتراز عنها.

فائدة:

قال الرماني في تفسيره: معنى «إلا» اللزوم لها الاختصاص بالشيء دون غيره، فإذا قلت: جاءني القوم إلا زيداً، فقد اختصت زيداً بأنه لم ييجئ، وإذا قلت: ما جاءني إلا زيد،

(١) في المطبوع: مواقع.

فقد اقتصصته بالمجيء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلا راكبًا، فقد اقتصصت هذه الحال دون غيرها من المشي والعدو ونحوه.

أما (١) المفتوحة الهمزة المشددة الميم

(٢)

كلمة فيها معنى الشرط بدليل لزوم الفاء في جوابها

وقدرها سيبويه بـ «مهما» وفائدتها في الكلام أنها تكسبه فضل تأكيد، تقول: زيد ذاهب فإذا قصدت [ق/ ٢٩٣] أنه لا محالة ذاهب، قلت: أما زيد فذاهب؛ ولهذا قال سيبويه: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب.

وفي إيرادها في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَسْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦] إجماد عظيم للمؤمنين، ونعي على الكافرين لرميهم بالكلمة الحمقاء.

والاسم الواقع بعدها إن كان مرفوعًا فهو مبتدأ كقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ [الكهف: ٧٩] و﴿وَأَمَّا الْفُلُكُ﴾ [الكهف: ٨٠]، و﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ [الكهف: ٨٢].

وإن كان منصوبًا فالناصب له ما بعد الفاء على الأصح، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ① و﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

وقرى: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فُهَدَيْتَهُمْ﴾ [نصت: ١٧] بالرفع والنصب، فالرفع بالابتداء لاشتغال الفعل عنهم [بغيرهم].

وتذكر لتفصيل ما أجمله المخاطب، وللاقتصار على بعض ما ادعى:

فالأول كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ [هود: ١٠٦]، و﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨] فهذا تفصيل لما جمع في قوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ جَمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣] وبيان أحكام الشقى والسعيد.

والثاني: كما لو قيل: زيد عالم شجاع كريم، فيقال: أما زيد فعالم، أي لا يثبت له بما ادعى سوى العلم.

واختلف في تعدد الأقسام بها، فقيل: إنه لازم، وحمل قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] على معنى: وأما الراسخون ليحصل بذلك التعدد بعدها وقطعه عن قوله: ﴿وَمَا يَسْتَمُّ تُأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٥٢٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٣٥).

(٣) السابق.

(٤) في المطبوع: بضميرهم.

ومنهم من قال: إنه غير لازم بل قد يذكر فيها قسم واحد، ولا ينافي ذلك أن تكون للتفصيل لما في نفس المتكلم، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧].
حكى القولين ابن جمعة الموصلي في شرح «الدرة» وصحح الأول.
والأقرب الثاني، والتقدير: في الآية: وأما غيرهم فيؤمنون به ويكلمون معناه إلى ربهم ودل عليه ﴿وَالرَّاسِخُونَ...﴾ الآية.

قال بعضهم: وهذا المعنى هو المشار إليه في آية البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٢٦] إلى قوله: ﴿وَمَا يُغْنِلُ بِهِمْ إِلَّا الْفَنسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وهذا حكاية ابن قتيبة عن بعض المتقدمين، قال: فالفاسقون هاهنا هم الذين في قلوبهم زيغ وهم الضالون بالتمثيل ثم خالفه، فقال: وأنت إذا جعلت المتبعين المتشابه بالتأويل المنافقين فاليهود المحرفين له دون المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] أي غير الإسلام، وضح لك الأمر وضح ما قلناه من معرفة الراسخين بالمتشابه، وعلى هذا فالوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَحْسَبِ آلِ يَسِينَ﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١] فقيل: الفاء جواب «أما»، ويكون الشرط لا جواب له، وقد سد جواب أما مسد جواب الشرط.
وقيل: بل جواب الشرط، والشرط وجوابه سد مسد جواب «أما».

وتجيء أيضاً مركبة من «أم» المنقطعة، وما الاستفهامية وأدغمت الميم في الميم كقوله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤].

إِذَا^(١) الْمَكْسُورَةُ الْمَشْدُودَةُ^(٢)

[تكون تخييراً]^(٣) نحو: اشتري إما لحماً وإما لبناً. وكقوله تعالى: ﴿إِمَّا أَنْ تُغِيبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْجِذَ فِيهِمْ حُسْبًا﴾ [الكهف: ٨٦]. ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ﴾ [طه: ٦٥].
﴿إِمَّا مَتًّا بَدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] وانتصب «منا» و«فداء» على المصدر أي من: «منتم» و«فاديتهم».

(١) انظر: «الجنبي الداني» (ص/٥٢٨).

(٢) اختلف في «إِذَا» هذه فقيل: بسيطة، واختاره الشيخ، أبو حيان؛ لأن الأصل البساطة. وقيل: هي مركبة من «إِنْ» و«مَا» وهو مذهب سيويه والدليل عليه اقتصارهم على «إِنْ» في الضرورة.

(٣) سقط من المطبوع.

وقال صاحب «الأزھية»: حكمها في هذا القسم التكرير، ولا تكرير إذا كان في الكلام عوض من تكريرها، تقول: إِمَّا [أَنْ] ^(١) تقول الحق وإلا فاسكت، و«إلا» بمعنى «إما».

وبمعنى الإبهام نحو: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦].

﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ [مریم: ٧٥].

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وتكون بمعنى الشرطية، مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، وهذه لا تكرر.

والأكثر في جوابها نون التوكيد نحو: ﴿فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَشْرِ أَحَدًا﴾ [مریم: ٢٦].

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيقِي مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٣].

﴿فَأِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَنَرِيذُ بِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

وإنما دخلت معها نون التوكيد للفرق بينهما وبين التي للتخيير.

واختلف في قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] فقال البصريون: للتخيير

فانتصاب «شاكراً» و«كفوراً» على الحال.

وقيل: التخيير هنا راجع إلى إخبار الله بأنه يفعل ما يشاء.

وقيل: حال مقيدة، أي: إما أن تجدهما الشكر، فهو علامة السعادة، أو الكفر فهو

علامة الشقاوة، فعل هذا تكون للتفصيل.

وأجاز الكوفيون أن تكون هاهنا شرطية، أي إن شكر وإن كفر.

قال مكي: وهذا ممنوع؛ لأن الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن تضم بعد إن فعلاً

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] ولا يجب إضماره هنا، لأنه يلزم رفع

«شاكراً» بذلك الفعل.

ورد عليه ابن الشجري: بأن النحويين يضمرون بعد «إن» الشرطية فعلاً [يفسره] ^(٢) ما

بعده من لفظه، فيرتفع الاسم بعد أن يكون فاعلاً لذلك المضمرة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُ

هَٰكَ﴾ [النساء: ١٧٦] ﴿وَإِنْ أَرَادُ خَافَتْ﴾ [النساء: ١٢٨] كذلك يضمرون بعده أفعالاً تنصب الاسم

بأنه مفعول به كقولك: إن زيدا أكرمته نفعك، أي إن أكرمت.

(٢) في م: يفسرون.

(١) سقط من المطبوع.

(١) آل

تقدمت بأقسامها في قاعدة التنكير [والتعريف] (٢).

(٣) الآن

اسم للوقت الحاضر بالحقيقة ، وقد تستعمل في غيره مجازاً .

وقال قوم : هي حد للزمانين أي ظرف للماضي ، وظرف للمستقبل ، وقد يتجاوز بها عما قرب من الماضي ، وما يقرب من المستقبل ، حكاه أبو البقاء في «اللياب» .

وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه كوقت فعل الإنشاء حال النطق به ، أو ببعضه كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَسْتَجِيبُ الْآنَ يَجِدْ لَهُمْ سِهَابًا مَصَدًّا﴾ [الجن: ٩] : ﴿أَلَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦] .

وهذا سبقه إليه الفارسي ، فقال : الآن يراد به الوقت الحاضر ثم قد تتسع فيه العرب فتقول : إنا الآن أنظر في العلم ، وليس الغرض أنه في ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك ، ولكن الغرض أنه في وقته ذلك ، وما أتى بعده كما تقول : أنا اليوم خارج ، تريد به اليوم الذي عقب الليلة .

قال ابن مالك : وظرفيته غالباً لا لازمة .

أف

صوت يستعمل عند التكره والتضجر ، واختلف في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آتَى﴾ [الإسراء: ٢٣] فقيل : اسم لفعل الأمر أي كفاً أو اتركاً .

وقيل : اسم لفعل ماض ، أي كرهت وتضجرت ، حكاهما أبو البقاء (٤) .

وحكى غيره ثالثاً : أنه اسم لفعل مضارع ، أي أتضجر منكما .

وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿أَفِي لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٧] فأحال أبو البقاء على ما سبق في الإسراء ، وقضيته تساوي المعنيين (٥) .

وقال العزيزي في «غريبه» (٦) في هذه أي : تلفاً لكم ، فغاير بينهما ، وهو الظاهر .

وفسر صاحب «الصحاح» أف بمعنى : «قدرًا» (٧) .

- (١) انظر: «الجنى الداني» (١٩٢-٢٠٤) .
 (٢) سقط من م .
 (٣) انظر: «الكتاب» (٤٠٠/٢) و (٢٩٩/٣) .
 (٤) التبيان (٩٠/٢) .
 (٥) التبيان (١٣٥/٢) .
 (٦) غريب القرآن للعزيزي ٣٢ .
 (٧) الصحاح (١١٠٠/٣) .

(١) أنى

مشتركة بين الاستفهام والشرط، ففي الشرط تكون بمعنى أين نحو: أنى يقيم زيد يقيم عمرو.

وتأتي بمعنى «كيف» كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يُبْعَثُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٨] ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أي: كيف شئتم، مقبلة ومدبرة.

وقال الضحاك: متى شئتم [ويرده سبب نزول الآية (٢)].

وقال بعضهم [٣]: من أي جهة شئتم، وهو طبق سبب النزول.

وتجيء بمعنى «من أين» نحو: ﴿أَنَّى لَلَّيْ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]

وقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَكَذَلِكَ﴾ [آل عمران: ٤٧]. ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي عَلْمٌ﴾ [آل عمران: ٤٠].

قال ابن فارس: والأجود أن يقال في هذا أيضًا: «كيف». وقال ابن قتيبة: المعنيان متقاربان. وقرئ شاذًا «أني صببنا الماء صبًا» أي: من أين فيكون الوقف عند قوله: ﴿إِنَّ طَعَامِي﴾ [مبس: ٢٤].

وتكون بمعنى «متى» [ق/ ٢٩٣] كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يُبْعَثُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وقوله: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] ويحتمل أن يكون معناه «من أين».

والحاصل أنها للسؤال عن الحال وعن المكان.

قال الفراء: أنى مشاكلة لمعنى أين إلا أن أين للموضع خاصة، «وأنى» تصلح لغير ذلك.

وقال ابن الدهان: فيها معنى يزيد على أين؛ لأنه لو قال: أين لك هذا؟ كان [يقصر] (٤)

عن معنى «أنى لك»؛ لأن معنى «أنى لك» «من أين لك»، فإن معناه مع حرف الجر؛ لأنه يرى أنه وقع في الجواب، كذلك قوله: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧] ولم يقل: هو عند الله، وجواب «أنى لك» غير جواب «من أين لك» هذا فاعرفه.

(١) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي (ص/ ٦١) و«الإتيان» (٢/ ٤٩٠).

(٢) انظر: «جامع البيان» (٢/ ٣٩٢) و«تفسير الغوي» (ص/ ٢٥٩) و«تفسير الواحدي» (١/ ١٦٨) و«تفسير الصنعاني» (١/ ٨٩).

(٣) سقط من م.

(٤) نفي م: نقص.

(١) أَيْان

في الكشاف^(٢) في آخر سورة الأعراف^(٣) قيل: اشتقاقه من «أي» «فعلان» منه؛ لأن معناه أي وقت وأي فعل، من أويت إليه؛ لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه، وهو بعيد. وقيل: أصله: أي [أوان]^(٤).

وقال السكاكي: جاء «أيان» بفتح الهمزة وكسرها، وكسر همزتها يمنع من أن يكون أصلها أي أوان كما قال بعضهم، حذفت الهمزة من «أوان» والياء الثانية من «أي» فبعد قلب الواو واللام ياء أدغمت الياء الساكنة فيها وجعلت الكلمتان واحدة.

وهي في الأزمان بمنزلة «متى» إلا أن «متى» [أشهر منها]^(٥)، وفي «أيان» تعظيم، [ولا تستعمل إلا في موضع التفخيم بخلاف]^(٦) «متى» قال تعالى: ﴿أَيَّانَ مَرَسْنَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢] ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].

وقال صاحب «البيسط»: إنها تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظم أمره، قال: وسكت الجمهور عن كونها شرطاً.

وذكر بعض المتأخرين مجيئها لدلالاتها بمنزلة «متى» ولكن لم يسمع ذلك.

إِى

حرف جواب بمعنى «نعم» كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلٌ إِى وَرَقٌّ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣] ولا يأتي قبل النهي صلة لها.

(٧) حَرْفُ الْبَاءِ

أصله للإلصاق، ومعناه اختلاط الشيء بالشيء، ويكون حقيقة، وهو الأكثر نحو: «به داء» ومجازاً: كـ «مررت به» إذ معناه جعلت مروى ملصقاً بمكان قريب منه لا به، فهو وارد على الاتساع. وقد جعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].
وقد تأتي زائجة:

إما مع الخبر نحو: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

(١) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي (ص/ ١٢).

(٢) (٢/ ١٨٣).

(٣) الآية (١٨٧).

(٤) سقط من م.

(٥) سقط من م.

(٦) سقط من م.

(٧) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٣٦).

وإما مع الفاعل نحو: ﴿وَكُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] فـ «الله» فاعل و«شهيذاً» نصب على الحال أو التمييز، والباء زائدة ودخلت [على الحال] ^(١) لتأكيد الاتصال، أي: لتأكيد شدة ارتباط الفعل بالفاعل؛ لأن الفعل يطلب فاعله طلباً لا بد منه، والباء توصل الأول إلى الثاني، فكان الفعل يصل إلى الفاعل وزادته الباء اتصالاً.

قال ابن السجري: فعلوا ذلك إيداناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره، في عظم المنزلة، فضوعف لفظها ليضعف معناها.

وقيل: دخلت الباء لتدل على المعنى؛ لأن المعنى اكتفوا بالله.

وقيل: الفاعل مقدر، والتقدير كفى الاكتفاء بالله، فحذف المصدر وبقي معموله دالاً عليه، وفيه نظر؛ لأن الباء إذا سقطت ارتفع اسم الله على الفاعلية كقوله: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً ^(٢)

وإما مع المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقوله: ﴿تَلْقَوْنَ إِيَّاهُمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ [المنتحنة: ١] أي تبتذلونها لهم.

وقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الملق: ١].

وقوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ أَلْمُفْتُونَ﴾ [القلم: ٦] جعلت «المفتون» اسم مفعول، لا مصدرًا كالمعقول والمعسور، والميسور.

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ﴾ [الحج: ٢٥].

﴿تَبَّتْ يُدُوهِنُ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ونحوه.

والجمهور على أنها لا تحيي زائدة، وأنه إنما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدى المعنى المقصود بوجودها، وحالة عدمها على السواء، وليس كذلك هذه الأمثلة، فإن معنى ﴿وَكُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] كما هي في أحسن بزيد، ومعنى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اجعلوا المسح ملاصقاً براء وسكم، وكذا «بوجوهكم» أشار إلى مباشرة العضو بالمسح، وإنما لم يحسن في آية الغسل «فاغسلوا بوجوهكم» لدلالة الغسل على المباشرة، وهذا كما تعين المباشرة في قولك:

(١) سقط من المطبوع.

(٢) لسحيم، عبد حبشي اشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، توفي سنة ٤٤٠هـ.

«أمسكت به» وتحتها في «أمسكته».

وأما قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] فحذف المفعول للاختصار.

وأما ﴿تَلْقُونَ لِلَّهِم بِالْمُودَةِ﴾ [المنتحة: ١] فمعناه تلقون إليهم النصيحة بالمودة، وقال ابن النحاس: معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودته.

وقال السهيلي^(١): [ضمن] ^(٢) ﴿تَلْقُونَ﴾ معنى «ترمون» من الرمي بالشيء، يقال: ألقى زيد إلى بكذا أى رمى به، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب أو برسالة، فعبر عنه بالمودة؛ لأنه من أفعال أهل المودة؛ فلهذا جيء بالباء.

وأما قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] فليست زائدة، وإلا للحق الفعل قبلها علامة التانيث، لأنه للنفس وهو مما يغلب تأنيثه.

وجوز في الفعل وجهًا:

أحدهما: أن تكون «كان» مقدرة بعد «كفى»، ويكون «بنفسك» صفة له قائمة مقامه.

والثاني: أنه مضمرة يفسره المنصوب بعده أعنى «حسيبًا» كقولك: نعم رجلاً زيد.

وتجيء للتعدي، وهي القائمة مقام الهمزة في إيصال الفعل اللازم إلى المفعول به، نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]: أي: أذهب.

كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولهذا لا يجمع بينهما فهما متعاقبتان، وأما قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]: فقيل: «أسرى» و«سرى» بمعنى: كسقى وأسقى، والهمزة ليست للتعدي وإنما المعدى الباء في «بعده».

وزعم ابن عطية: أن مفعول «أسرى» محذوف، وأن التعدي بالهمزة، أي أسرى الليلة بعبد.

ومذهب الجمهور: أنها بمعنى الهمزة لا تقتضى مشاركة الفاعل للمفعول.

ومذهب المبرد والسهيلي^(٣) أنها تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل بخلاف الهمزة.

ورد بقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾

(٢) سقط من م.

(١) الروض الأنف (١/٣٧٨).

(٣) الروض الأنف (١/٣٧٨).

وَأَبْصَرَهُمْ ﴿البقرة: ٢٠﴾ ألا ترى أن الله لا يذهب مع سمعهم؟ فالمعنى: لأذهب سمعهم .
وقال الصفار: وهذا لا يلزم؛ لأنه يحتمل أن يكون فاعل «ذهب» البرق، ويحتمل أن يكون الله تعالى، ويكون الذهاب على صفة تليق به سبحانه كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

قال: وإنما الذي يبطل مذهبه قول الشاعر:

ديار التي كانت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب^(١)
أى: تجعلنا خللاً لا محرمين، وليست الديار داخلة معهم في ذلك.

واعلم أنه لكون الباء بمعنى الهمزة لا يجمع بينهما، فإن قلت: كيف جاء ﴿تَبَّتْ
بِالَّذِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والهمزة في «أنت» للنقل؟
قلت لهم في الانفصال عنه ثلاثة أوجه:
أحدها: أن تكون الباء زائدة.

والثاني: أنها باء الحال، كأنه قال: تبت ثمرها وفيه الدهن أى وفيهما الدهن، والمعنى تبت الشجرة بالدهن أى ما هو موجود منه، وتختلط به القوة بنبتها على موقع المنة ولطيف القدرة وهداية إلى استخراج صبغة الآكلين.
والثالث: أن «تبت» و«أنت» بمعنى.

وللاستعانة: وهي الدالة على آلة الفعل نحو: كتبت بالقلم، ومنه في أشهر الوجهين:
﴿يَسِّرْ اللَّهُ لِرَبِّكَ الْيَسِيرَ﴾ .

وللتعليل: بمنزلة اللام كقوله: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ [البقرة: ٥٤].

﴿فِي ظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ كَادُوا﴾ [النساء: ١٦٠].

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وللمصاحبة بمنزلة مع وتسمى باء الحال، كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٧٠] [أى مع الحق]^(٢) أو محققاً. ﴿يَنْبُتُ أَهِيظَ بِسَلْمٍ مَّتَا﴾ [هود: ٤٨].
وللظرفية: بمنزلة «في».

(١) لقيس بن الخثيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية. توفي سنة ٢٠ هـ.

(٢) سقط من م.

وتكون مع المعرفة نحو [ق/ ٢٩٤]: ﴿وَلَا تَكْفُرْ لَتَكْفُرَنَّ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ ﴿٧٧﴾ وَبِأَتِلٍ﴾ [الصفات ١٣٧: ١٣٨] ﴿وَبِأَلْسِنَارٍ مَّمَّ يَسْتَفْرِونَ﴾ [الذاريات: ١٨].
ومع النكرة نحو: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].
﴿يَجْنَحُهُمْ سِحْرٍ﴾ [القمر: ٣٤].
قال أبو الفتح في «التبسيه»: وتوهم بعضهم أنها لا تقع إلا مع المعرفة نحو: كنا بالبصرة وأقمنا بالمدينة.

وهو محجوج بقول الشماخ:

وهن وقوف ينتظرن قضاءه بضاحى غداة أمره وهو ضامز
أي: في ضاحى، وهي نكرة.

وللمجاوزة ك «عن» نحو: ﴿فَسَتَلِ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، أي عن الغمام.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، أي وعن أيماهم.

وللاستعلاء: [كقوله] ^(١): ﴿وَمِنَ أَهْلِ آلِ كَتَابٍ مَّنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥] أي على قنطار كما قال: ﴿هَلْ مَأْسَكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٤].

ونحو: ﴿وَإِذَا مَرَأً يَبِينُ يَتَقَاتِرُونَ﴾ [المطففين: ٣٠] أي: عليهم كما قال: ﴿وَلَا تَكْفُرْ لَتَكْفُرَنَّ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ﴾ [الصفات: ١٣٧].

وللتبعض ك «من» نحو: ﴿يَسْرُبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي: منها، وخرج عليه ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

والصحيح: أنها باء الاستعانة، فإن «مسح» يتعدى إلى مفعول، وهو المزال عنه، وإلى آخر بحرف الجر، وهو المزيل، فيكون التقدير: «فامسحوا أيديكم براء وسكم».

بل ^(٢)

حرف إضراب عن الأول، وإثبات للثاني يتلوه جملة ومفرد.

فالأول: الإضراب فيه إما بمعنى ترك الأول، والرجوع عنه بإبطاله، وتسمى حرف

(١) في المطبوع: كمل.

(٢) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٢٣٥).

ابتداء كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] أي: بل هم عباد (١) وكذا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وإما الانتقال (٢) من حديث إلى حديث آخر، والخروج من قصة إلى قصة من غير رجوع عن الأول، وهي في هذه الحالة عاطفة كما قاله الصَّفَّار، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣] انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهم منها.

﴿وَمَا يَشْعُرْنَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمُ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٥-٦٦] ليست للانتقال بل هم متصفون بهذه الصفات.

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦] وفي موضع [آخر زيادة] (٣): ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

وفي موضع [آخر] (٤): ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

والمراد تعديد خطاياهم، واتصافهم بهذه الصفات «وبل» لم ينو بها ما أضافه إليهم من إتيان الذكور، والإعراض عن الإناث بل استدرك بها بيان عدوانهم، وخروج من تلك القصة إلى هذه الآية، وزعم صاحب «البيضا» وابن مالك أنها لا تقع في القرآن إلا بهذا المعنى،

(١) هذا أحد نوعي الإضراب، وهو الإضراب الإبطالي: أي: إبطال الأول وإثبات الثاني. قال المرادي: فإن وقع بعد «بل» جملة كان إضراباً عما قبله إما على جهة الإبطال نحو [أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق] فقوله: [بل جاءهم بالحق] إبطال لقوله: [به جنة]. قال الحدادي: «إن «بل» يدخل في الكلام على أحد أوجه ثلاثة: الأول: إما لاستدراك غلط، أو الرجوع عن جحد محض.

والثاني: لتترك شيء من الكلام وأخذ غيره.

والثالث: مبتدأة يليها اسم، فشبهت بالواو التي تأتي للاستئناف المدخل (ص/ ٣٩١).

(٢) هذا هو النوع الثاني من أنواع الإضراب، وهو الإضراب الانتقالي، وزعم ابن مالك أن «بل» لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه كما في «شرح الكافية» وأما «بل» فلإضراب، وحالها فيه مختلف، فإن كان الواقع بعدها جملة فهمي للتنبية على انتهاء غرض واستئناف غيره ولا تكون في القرآن إلا على هذا الوجه. ويمكن الجواب عما غلط به ابن هشام ابن مالك بأن «بل» للانتقال بالنظر للقول، فإن القول ثابت منهم بدليل أن الله أخبرنا به، وابن هشام راعى القول، فالمراد في نظر ابن مالك الانتقال عن القول والحكاية، لا عن القول والمحكي، ولذلك جعلها ابن مالك في هذه الحالة حرف عطف عطف جملة على جملة، وتبعه ابنه بدر الدين.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

وليست كذلك لما سبق، وكذا قال ابن الحاجب في شرح «المفصل»: إبطال [ما] ^(١) للأول وإثباته للثاني إن كان في الإثبات نحو: جاء زيد بل عمرو، فهو من باب الغلط فلا يقع مثله في القرآن، ولا في كلام فصيح، وإن كان [ما] ^(٢) في النفي نحو: ما جاءني زيد بل عمرو، ويجوز أن يكون من باب الغلط يكون عمرو غير جاء، ويجوز أن يكون مثبتاً لعمرو المجيء فلا يكون غلطاً انتهى.

ومنه أيضاً: ﴿قَدْ أَلْفَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ بَلْ تُؤْمِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿الأعلى: ١٤-

[١٦]

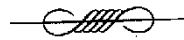
وقوله: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ﴾ [المؤمنون: ٦٣-٦٢]

وقوله: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ [ص: ١-٢] ترك الكلام الأول، وأخذ بـ «بل» في كلام ثان، ثم قال حكاية عن المشركين: ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ [ص: ٨] ثم ترك الكلام الأول وأخذ بـ «بل» في كلام [آخر] ^(٣) فقال: ﴿بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ﴾. وقيل أن قوله: «بل الذين كفروا» بمعنى أن لا فالقسم لا بد له من جواب ^(٤).

والثاني: أعنى ما يتلوها مفرد، فهي عاطفة ثم إن تقدمها إثبات نحو: اضرب زيداً بل عمراً وأقام زيد بل عمرو، فقال النحاة: هي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء ويثبت ما بعدها، وإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها على حاله، وجعل ضده لما بعدها نحو: ما قام زيد بل عمرو، [ولا يقيم زيد بل عمرو] ^(٥).

ووافق المبرد على ما ذكرنا غير أنه أجاز مع ذلك أن تكون ناقلة مع النهي أو النفي إلى ما بعدها ^(٦).

وحاصل الخلاف أنه إذا وقع قبلها النفي هل تنفي الفعل أو توجهه ^(٧)؟ .



(٢) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) في م: ثاني.

(٥) سقط من م.

(٤) سقط من المطبوع.

(٦) ووافقه على ذلك أبو الحسن عبد الوارث، قال ابن مالك: وما جوزوه مخالف لاستعمال العرب.

(٧) قال المرادي: «فإن كانت بعد نفي نحو: ما قام زيد بل عمرو، أو نهي نحو: لا تضرب زيداً بل عمرو فهي لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعدها.

(١) بلى

لها موضعان^(٢):

أحدهما: أن تكون ردًا لنفى^(٣) يقع قبلها كقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [النحل: ٢٨] أى: عملتم السوء.

وقوله: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ﴾ [ال عمران: ٧٥] ثم قال: «بلى» أى: عليهم سبيل.

والثاني: أن تقع جوابًا لاستفهام دخل عليه نفى حقيقة، فيصير معناها التصديق لما قبلها كقولك: «ألم أكن صديقك؟»، «ألم أحسن إليك؟»، فتقول: «بلى» أى كنت صديقى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨-٩].

ومنه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أى: أنت ربنا، فهى فى هذا الأصل تصديق لما قبلها، وفي الأول رد لما قبلها وتكذيب.

وقوله: ﴿يُنَادُوهُمْ أَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤] أى: كنتم معنا، ويجوز أن يقرن النفى بالاستفهام مطلقًا، أعم من الحقيقي والمجازى، فالحقيقى كقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]:

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَجْعَ عِظَامَهُ بَلَىٰ﴾ [القيامة: ٣-٤].

ثم قال الجمهور: التقدير: بل نحييها قادرين؛ لأن الحساب إنما يقع من الإنسان على نفى جمع العظام، و«بلى» إثبات فعل النفي، فينبغي أن يكون الجمع بعدها مذكورًا على سبيل الإيجاب.

وقال الفراء^(٤): التقدير فلنحييها قادرين لدلالة «أيجسب» عليه، وهو ضعيف؛ لأنه عدول عن مجيء الجواب على نمط السؤال.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٤٢٠).

(٢) زاد الحدادي موضعًا ثالثًا فقال: الثالث: بعد نهي مجرد كقولك للرجل: لا تقل. فيقول: بلى أقول كما قال القائل:

(٣) وهي مختصة به، فلا تقع إلا بعد نفي في اللفظ أو في المعنى وتكون ردًا له، سواء اقترنت به أداة استفهام أو لا.

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٠٨).

والمجازي، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فإن الاستفهام هنا ليس على حقيقته بل هو للتقرير، لكنهم أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ «بلى». وكذلك قال ابن عباس: لو قالوا: نعم لكفروا. ووجهه أن «نعم» تصديق، لما بعد الهمزة نفيًا كان أو إثباتًا.

ونازع السهيلي وغيره في المحكى عن ابن عباس، من وجه أن الاستفهام التقريري إثبات قطعًا، وحينئذ فنعم في الإيجاب تصديق له، فهلا أجيب بما أجيب به الإيجاب، فإن قولك: ألم أعطك درهمًا؟ بمنزلة أعطيتك.
والجواب من أوجه:

أحدها: ذكره الصفار أن المقرر قد يوافق المقرر فيما يدعيه وقد لا، فلو قيل في جواب ألم أعطك: «نعم» لم يدر هل أراد نعم لم تعطني، فيكون مخالفاً للمقرر أو نعم أعطيتني فيكون موافقًا؟ فلما كان يلتبس أجابوه على اللفظ ولم يلتفتوا إلى المعنى. [الثاني وبه لخص بعضهم فقال: أريت بعد كلام بنفي فتارة تكون جوابًا وتارة لا تكون فإن كان جوابًا فواضح وإن كان لغو الجواب لم يكن كذلك. قال ابن عباس: لو قالوا إن الجواب نعم كفروا؛ لأن الجواب لست ربنا ولو قالوا في التصديق نعم كان محض الإيمان أي نعم أنت ربنا. والتلخيص أن الذي منعه ابن عباس كون رفع جوابًا وإذا كان جوابًا فهي تصديق لما بعد ألف الاستفهام، والذين أجازوا إنما على أن يكون غير جواب] ^(١) [ق/ ٢٩٥]

تنبيهات:

الأول: ما ذكرنا من كون «بلى» إنما يجاب بها النفي، هو الأصل، وأما قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي﴾ [الزمر: ٥٩] فإنه لم يتقدمها نفي لفظًا، لكنه مقدر فإن معنى: ﴿لَوْ أَنَّهُ هَدَيْتَنِي﴾ [الزمر: ٥٧] [ما هداني] ^(٢) فلذلك أجيب بـ «بلى» التي هي جواب النفي المعنوي، ولذلك حققه بقوله: ﴿قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي﴾ [الزمر: ٥٩] وهي من أعظم الهدايات.

ومثله ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾ [القيامة: ٤] فإنه سبق نفي وهو: ﴿أَن يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣] فجاءت الآية على جهة التوبيخ لهم في اعتقادهم، أن الله لا يجمع عظامهم فرد عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾. وقال ابن عطية: حق «بلى» أن تعجب بعد نفي عليه تقرير، وهذا القيد الذي ذكره في النفي لم يذكره غيره، وأطلق التحويون أنها جواب النفي.

وقال الشيخ أثير الدين: حقها أن تدخل على النفي ثم حمل التقرير على النفي، ولذلك لم

يجمله عليه بعض العرب وأجابه بنعم .

وسأل الزمخشري : هلا قرن الجواب بما هو جواب له ، وهو قوله : ﴿أَبَلْ أَللهُ هَدَانِي﴾ ولم يفصل بينهما بآية ؟ .

وأجاب بأنه إن تقدم على إحدى القرائن الثلاث ، فرق بينهما وبين النظم فلم يحسن ، وإن تأخرت القرينة الوسطى نقض الترتيب ، وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعليل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة ، فكان الصواب ما جاء عليه ، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب عما اقتضى الجواب من بينها .

الثاني : اعلم أنك متى رأيت «بلى» أو «نعم» بعد الكلام يتعلق بها تعلق الجواب ، وليس قبلها ما يصلح أن يكون جواباً له ، فاعلم أن هناك سؤالاً مقدراً لفظه لفظ الجواب ، ولكنه اختصر وطوى ذكره علماً بالمعنى ، كقوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] فقال المجيب : «بلى» ويعاد السؤال في الجواب .

وكذا قوله : ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] ليست «بلى» فيه جواباً لشيء قبلها بل ما قبلها دال على ما هي جواب له ، والتقدير : ليس من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته خالداً في النار أو يخلد في النار ، فجوابه الحق : «بلى» .

وقد يكتفي بذكر بعض الجواب دالاً على باقيه ، كما قال تعالى : ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾ [القيامة: ٤] أي بلى نجتمعها قادرين ، فذكر الجملة بمثابة ذكر الجزء من الجملة وكاف عنها .

الثالث : من القواعد النافعة أن الجواب إما أن يكون للمفوض به أو مقدر :

فإن كان المقدر ، فالجواب بالكلام كقولك لمن تقدرة مستفهماً عن قيام زيد : قام زيد أو لم يقم زيد؟ ولا يجوز أن تقول : «نعم» ولا «لا» ؛ لأنه لا يعلم ما يعني بذلك ، وإن كان الجواب للمفوض به ، فإن أردت التصديق قلت : نعم [وفي تكذيبه] ^(١) : «بلى» فتقول في جواب من قال : أما قام زيد؟ «نعم» إذا صدقته و«بلى» إذا كذبت .

وكذلك إذا أدخلت أداة الاستفهام على النفي ، ولم ترد التقرير بل أبقيت الكلام على نفيه فتقول في تصديق النفي : «نعم» وفي تكذيبه : «بلى» نحو : ألم يقم زيد ، فتقول في تصديق النفي : «نعم» وفي تكذيبه : «بلى» .

الرابع : يجوز الإثبات والحذف بعد «بلى» ، فالإثبات كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨-٩] .

(١) في م : وإن قلت .

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبا: ٣].

ومن الحذف قوله تعالى: ﴿بَلَاغَةَ الْكَلِمَاتِ مُزِيلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥] فالفعل المحذوف بعد «بلى» في هذا الموضع، «يكفيكم» أي: بلى يكفيكم أن تصبروا. وقوله: ﴿أَوَلَمْ تَوْتِنِ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: قد آمنت.

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ثم قال: «بلى» أي تمسكم أكثر من ذلك.

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾ [البقرة: ١١١] ثم قال بلى: [أي يدخلها غيرهم].

وقوله: ﴿يَأْتِيهِمْ آتَمَّ تَأْتَمُّ مَعَهُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤].

وقد تحذف «بلى»^(١) وما بعدها كقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَقْلَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥] أي: بلى قلت لي.

ثم (٢)

للترتيب مع التراخي، وأما قوله: ﴿لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] والهداية سابقة على ذلك، فالمراد «ثم دام على الهداية» بدليل قوله: ﴿وَأَمَّا أُولُو الْأَصْلَابِ لَمْ تُنَفُّوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣].

وقد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبر عنه، كقوله تعالى: ﴿فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: ٤٦].

وقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٩٠].

وتقول: زيد عالم كريم ثم هو شجاع.

(١) سقط من م.

(٢) قال الحدادي: «ثم» يوضع موضع خمس من الحروف: مكان واو العطف كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُرْأً﴾.

ومكان «الابتداء» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

ومكان «مع» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] يعني: مع ذلك كان من المؤمنين.

ويعني «التعجب» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطَّعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: ١٥].

ويعني «قبل» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] اهـ.

انظر: «المدخل» للحدادي (ص/ ٤٥١ - ٤٥٢) و«الجني الداني» (ص/ ٤٢٦).

المرهان في علوم القرآن

قال ابن بري: قد تجيء «ثم» كثيراً لتفاوت ما بين رتبتين، في قصد المتكلم فيه تفاوت ما بين مرتبتي الفعل مع السكوت عن تفاوت رتبتي الفاعل، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ١] ف «ثم» هنا لتفاوت رتبة الخلق، والجعل من رتبة العدل مع السكوت عن وصف العادلين.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] دخلت لبيان تفاوت رتبة الفك والإطعام من رتبة الإيمان، إلا أن فيها زيادة تعرض لوصف المؤمنين بقوله: ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ وَوَاصُوا بِالرِّمَّةِ﴾.

وذكر غيره في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ١] أن «ثم» دخلت لبعدها ما بين الكفر، وخلق السموات والأرض.

وعلى ذلك جرى الزخشمري في مواضع كثيرة من «الكشاف» (١)، كقوله تعالى: ﴿لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] قال (٢): كلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في: جاءني زيد ثم عمرو، أعني إن منزلة الاستقامة على الخير مبينة لمنزلة الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرُوا قَتْلَ كَيْفَ قَدَّرُوا ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرُوا﴾ [المدثر: ١٨-٢٠] إن قلت ما معنى «ثم» الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرة الثانية من الدعاء أبلغ من الأولى.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] قال (٣): جاء بـ«ثم» لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على العتق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره.

وقال الزخشمري (٤) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]: إن «ثم» هذه فيها من تعظيم منزلة النبي ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأنه أولى وأشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة، وأجل ما أوتي من النعمة إتباع رسول الله ﷺ في ملته.

واعلم أنه بهذا التقدير يندفع الاعتراض، بأن «ثم» قد تخرج عن الترتيب والمهلة، وتصير

(٢) الكشاف (٤/٣٠١).

(٤) الكشاف (٢/٦٤٣).

(١) (٣/٨٠).

(٣) الكشاف (٤/٧٥٧).

كالواو، لأنه إنما يتم على أنها تقتضي الترتيب الزمني لزومًا، أما إذا قلنا: إنها ترد لقصد التفاوت والتراخي عن الزمان، لم يحتاج إلى الانفصال عن شيء مما ذكر من هذه الآيات الشريفة لا أن تقول: إن «ثم» قد تكون بمعنى الواو.

والحاصل أنها للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة، وتكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله وأنه لو انفرد لكان كافيًا فيما قصد فيه [ق/٢٩٦]، ولم يقصد في هذا ترتيب زمني، بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه وتحريك النفوس لاعتباره.

وقيل: تأتي للتعجب بنحو: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَذُكَّ لُنُورًا﴾ [الأنعام: ١].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: ١٥-١٦].

وقيل: بمعنى واو العطف كقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَجَعْتُمْ مِمَّنْ شَقِبْتُمْ اللَّهُ شَيْدًا﴾ [يونس: ٤٦] أي: هو

شهيد.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [القيامة: ١٩]. والصواب أنها على بابها لما سبق قبله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [الأعراف: ١١] وقد أمر الله

الملائكة بالسجود قبل خلقنا، فالمعنى: وصورناكم.

وقيل: على بابها، والمعنى ابتدأنا خلقكم، لأن الله تعالى خلق آدم من تراب، ثم صوره

وابتدا خلق الإنسان من نطفة ثم صوره.

وأما قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] وقد كان قضى الأجل، فمعناه:

أخبركم أي خلقته من طين، ثم أخبركم أي قضيت الأجل كما تقول: كلمتك اليوم ثم كلمتك

أمس، أي أي أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا، وهذا يكون في الجمل، فأما عطف المفردات فلا

تكون إلا للترتيب، قاله ابن فارس.

قيل: وتأتي زائدة كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ [التوبة: ١١٨] إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لأن «تاب» جواب «إذا» من قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَاحَقْتُمْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وتأتي للاستئناف كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُفْتَلِكُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [ال عمران:

١١١].

فإن قيل: ما المانع من الجزم على العطف؟

فالجواب: أنه عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، كأنه قال: ثم أخبركم

أنهم لا ينصرون.

فإن قيل: أي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟

قيل: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتوليهم، وحين رفع كان النصر وعداً مطلقاً كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم أي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون، منعت عنهم النصرة والقوة ثم لا ينهضون بعدها بنجاح ولا يستقيم لهم أمر.

واعلم أنها وإن كانت حرف استئناف، ففيها معنى العطف، وهو عطف الخبر على جملة الشرط والجزاء كأنه قال: أخبركم أنهم يقاتلونكم فيهمون ثم أخبركم أنهم لا ينصرون.

فإن قيل: ما معنى التراخي في ثم؟

قيل: التراخي في الرتبة، لأن الإخبار التي تسلط عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَهَيِّئِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المرسلات: ١٦-١٧].

ثم المفتوحة

ظرف للبعيد بمعنى هنالك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان: ٢٠].

وقرى: ﴿فَالْيَأْيَأُ مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: ٤٦] أي: هنالك الله شهيد، بدليل: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ [الكهف: ٤٤]. وقال الطبري (١) في قوله: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ [يونس: ٥١] معناه: أهناك وليست «ثم» العاطفة: وهذا وهم اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة.

حاشا (٢)

اسم يأتي بمعنى التنزيه كقوله: ﴿حَسَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٥١] بدليل قول بعضهم: «حاشا لله» بالتنوين كما قيل: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١] من كذا أي: حاشا لله بالتنوين كقولهم: رعيًا لزيد. وقراءة ابن مسعود (٣) «حاشا لله» بالإضافة فهذا مثل: سبحان الله ومعاذ الله.

وقيل: [فعل] (٤) بمعنى جانب يوسف المعصية لأجل الله، وهذا لا يتأتى في: ﴿حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١].

(١) جامع البيان (١١/١٢٢).

(٢) قال المرادي: لها ثلاثة أقسام:

الأول: أن تكون فعلاً ماضياً، بمعنى استثنى ومضارعها «حاشي».

الثاني: أن تكون للتنزيه.

الثالث: أن تكون من أدوات الاستثناء، نحو: «قام القوم حاشا لزيد» [الجنى الداني] (ص/٥٥٨).

(٣) قرأ أبو عمرو وحده «حاشا لله» بألف وقرأ الباقون: [حاشا لله] بغير ألف. الحجة (٤/٤٢٢).

(٤) سقط من المطبوع.

قال الفارسي^(١) : وهو فاعل من الحشا الذي هو الناحية، أي : صار في ناحية أي : بعد مما رمى به وتنحى عنه فلم يَعْشَهُ ولم يلابسه .
فإن قلت : إذا قلنا باسمية «حاشا» فما وجه ترك التنوين في قراءة الجماعة وهي غير مضافة؟ .
قلت : قال ابن مالك : والوجه أن تكون «حاشى» المشبهة بحاشى الذي هو حرف وأنه شابهه لفظاً ومعنى، فجرى مجراه في البناء .

حتى

كـ «إلى» لكن يفترقان في أن ما بعد «حتى» يدخل في حكم ما قبلها قطعاً، كقولك : قام القوم حتى زيد و «زيد» هاهنا دخل في القيام، ولا يلزم ذلك في قام القوم إلى زيد؛ ولهذا قال سيبويه : إن «حتى» تجري مجرى الواو «وثم» في التشريك .
ومن الدليل على دخول ما بعدها فيما قبلها قوله ﷺ : «كل شيء بقضاء وقدر حتى المعجز والكيس» .

وقوله : «أريت كل شيء حتى الجنة والنار» .

وقال الكواشي في تفسيره : الفرق بينهما أن «حتى» تختص بالغاية المضروبة، ومن ثم جاز : أكلت السمكة حتى رأسها وامتنع : «حتى نصفها» أو «ثلثها» وإلى عامة في كل غاية . انتهى .

ثم الغاية تحييء عاطفة، وهي للغاية كيف وقعت إما في الشرف : كجاء القوم حتى رئيسهم أو الضعة نحو : أسنت الفصال حتى القرعى .

أو تكون جملة من القول على حال هو آخر الأحوال المفروضة أو المتوهمه بحسب ذلك الشأن، إما في الشدة نحو : ﴿وَدَّرِلُوا حَتَّى يَقُولَ﴾ [البقرة: ٢١٤] إذا أريد حكاية الحال، ولولا ذلك لم تعطف الجملة الحالية على الجملة الماضية، فإن أريد الاستقبال لزم النصب .

وإما في الرخاء نحو : شربت الإبل حتى يجيء البعير يجربطنه، على الحكاية .

ولانتهاء الغاية نحو : ﴿حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرَ﴾ [القدر: ٥] ، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

والتعليل : وعلامتها أن تحسن في موضعها «كي» نحو : «حتى تغيب ذا الحسد»، ومنه

(١) الحجة (٤/٤٢٢-٤٢٣) بمعناه .

قوله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١].

ويحتملها: ﴿حَتَّىٰ تَفْتَحَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: ٧].

قيل: وللإستثناء كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَهْلِ حَتَّىٰ يَقُولَا﴾ [البقرة: ١٠٢] والظاهر أنها للغاية.

وحرف ابتداء، أي تبدأ به الجملة الاسمية أو الفعلية، كقوله تعالى: (حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ) في قراءة نافع.

وكذا الداخلة على «إذا» في نحو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَسِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ونظائره والجواب محذوف.

حيث

ظرف مكان: قال الأخفش: وللزمان وهي مبنية على الضم تشبيهاً بالغايات، فإن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة؛ ولهذا قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]: ما بعد «حيث» صلة لها وليست بمضافة إليه، يريد أنها ليست مضافة للجملة بعدها، فصارت كالصلة لها أي كالزيادة.

وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة فرد عليه.

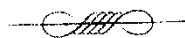
ومن العرب من يعرب «حيث» وقراءة بعضهم: «مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» بالكسر تحتملها، وتحتمل البناء على الكسر، وقد ذكروا الوجهين في قراءة: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ» بفتح الثاء.

والمشهور أنها ظرف لا يتصرف.

وجوز الفارسي وغيره في هذه الآية كونها مفعولاً به على السعة، قالوا: ولا تكون ظرفاً؛ لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان.

وإذا كانت مفعولاً لم يعمل فيها «أعلم»؛ لأن «أعلم» لا يعمل في المفعول به، فيقدر لها فعل.

واختار الشيخ أثير الدين أنها باقية على ظرفيتها مجازاً، وفيه نظر.



دون

نقيض «فوق» ولها معانٍ:

- أحدها: من ظروف المكان المبهم لاحتمالها الجهات الست .
- وقيل: هي ظرف يدل على السُّفْل في المكان أو المنزلة كقولك: زيد دون عمرو .
- وقال سيبويه ^(١): وأما «دون» فتقصير عن الغاية .
- قال الصفار: لا يريد الغاية على الإطلاق، بل الغاية التي تكون بعدها، فإذا قلت: أنا دونك في العلم معناه، أنا مقصر عنك، وهو ظرف مكان متجاوز فيه أي: أنا في موضع [ق/ ٢٩٧] من العلم لا يبلغ موضِعك، ونظيره: فلان فوقك في العلم .
- الثاني اسم نحو: ﴿مِن دُونِهِ﴾ [النساء: ١١٧] .
- الثالث: صفة نحو هذا الشيء دون، أي: رديء فيجري بوجوه الإعراب .
- وقد تكون صفة لا بمعنى رديء، ولكن على معناه من الظرفية نحو: رأيت رجلاً دونك .
- ثم قد يحذف هذا الموصوف وتقام الصفة مقامه، وحينئذ فللعرب فيه لغتان:
- أحدهما: إعرابها كإعراب الموصول، وجريها بوجوه الإعراب .
- والثانية: إبقاؤها على أصلها من الظرفية وعليها جاء قوله: ﴿وَمِنَّا دُونُ ذَلِكَ﴾ [الجن: ١١] قري بالرفع والنصب .
- وقال الزخشي ^(٢): معناه أدنى مكان من الشيء .
- ومنه: الدون للحقير، ويستعمل للتفاوت في الحال، نحو: زيد دون عمرو، أي: في الشرف والعلم واتسع فيه فاستعمل في تجاوز حد إلى حد، نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي لا يتجاوزون ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .
- وقيل: إنه مشتق من «دون» فعل يقال: دان يدون دوناً وأدين إدانة، والمعنى على الحقارة والتقريب . وهذا دون ذلك أي: قريب منه . ودون الكتب إذا جمعها؛ لأن جمع الأشياء [إدناء] ^(٣) بعضها من بعض، وتقليل المسافة بينها، ودونك هذا أصله: خذَه من دونك، أي: من مَنْ أدنى منك فاختصر .

(٢) الكشاف (١١١/٣).

(١) الكتاب (١٣٤/٤).

(٣) في م: أدنى.

ذو وذات

بمعنى صاحب، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُرْسِيِّ الْجَدِيدِ﴾ [البروج: ١٥] وقوله: ﴿ذَوَاتَا أَثْنَيْنِ﴾ [الرحمن: ٤٨] ولا يستعمل إلا مضافاً، ولا يضاف إلى صفة ولا إلى ضمير.

وإنما وضعت وصلة إلى وصف الأشخاص بالأجناس، كما أن «الذي» وضعت وصلة إلى وصل المعارف بالجمل، وسبب ذلك أن الوصف إنما يراد به التوضيح والتخصيص، والأجناس أعم من الأشخاص، فلا يتصور تخصيصها لها، فإنك إذا قلت: مررت برجل علم، أو مال، أو فضل ونحوه، لم يعقل ما لم يقصد به المبالغة فإذا قلت: بذى علم، صح الوصف وأفاد التخصيص، ولذلك كانت الصفة تابعة للموصوف في إعرابه ومعناه.

وأما قراءة ابن مسعود: «فوق كل ذي عالم عليم» فقول: العالم هنا مصدر كالصالح والباطل، وكأنه قال: ﴿وَقَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ [يوسف: ٧٦]، فالقراءتان في المعنى سواء. وقيل: «ذي» زائدة.

وقيل: من إضافة المسمى إلى الاسم أي: وفوق كل ذي شخص يسمى عالماً أو يقال له: عالم عليم.

ولا يضاف إلى ضمير الأشخاص؛ ولهذا لحنوا قول بعضهم: «صلى الله على محمد وذويه»^(١).

واختلفوا هل تضاف «ذو» إلى ضمير الأجناس؟ فمنعه الأكثرون، والظاهر الجواز؛ لأن ضمير الجنس هو الجنس في المعنى. [كقوله: إنما يعرف من الناس ذوهه]^(٢) وعن ابن بري: أنها تضاف إلى ما يضاف إليه صاحب؛ لأنها [رديفته]^(٣)، وأنه لا يمتنع إضافتها للضمير إلا إذا كانت وصلة وإلا فلا يمتنع.

وقال المطرزي في «المغرب»: ذو بمعنى الصاحب تقتضي شيئين: موصوفاً ومضافاً إليه، تقول: جاءني [رجل]^(٤) ذو مال بالواو في الرفع، وبالالف في النصب، وبالياء في الجر، ومنه: ذو بطن خارجة أي: جنينها وألقت الدجاجة ذا بطنها أي: باضت أو سلحت، وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال، وللبنتين ذواتا مال، وللجماعة ذوات مال.

(١) انظر: «تصحیح التصحيف وتمرير التحريف» (ص/ ٣٣١) و«درة الفواص في أوام الخواص» (ص/ ٢١٢).

(٢) سقط من م.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

قال: هذا أصل الكلمة، ثم اقتطعوا عنها مقتضاها، وأجروها مجرى الأسماء التامة المستقلة غير المقتضية لما سواها، فقالوا: ذات متميزة وذات قديمة ومحدثة، ونسبوا إليها كما هي من غير تغيير علامة التأنيث، فقالوا: الصفات الذاتية، واستعملوها استعمال النفس والشيء.

وعن أبي سعيد - يعني السيرافي -: كل شيء ذات وكل ذات شيء، وحكى صاحب التكملة قول العرب: جعل ما بيننا في ذاته، وعليه قول أبي تمام:

ويضرب في ذات الإله فيوجع

قال شيخنا - يعني الزمخشري -: إن صح هذا فالكلمة عربية، وقد استمر المتكلمون في استعمالها، وأما قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقوله: «فلان قليل ذات اليد»، فمن الأول والمعنى الإقلال لمصاحبة اليد. وقولهم: «أصلح الله ذات بينه»، «وذو اليد أحق». انتهى.

وقال السهيلي: والإضافة لـ «ذي» أشرف من الإضافة لصاحب، لأن قولك: «ذو» يضاف إلى التابع و«صاحب» يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي - ﷺ - ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة إلا على جهة ما، وأما «ذو» فإنك تقول فيها: ذو المال وذو العرش فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع، ولذلك سميت أقيال حمير بالأذواء نحو قولهم: ذو جدن، ذو يزن في الإسلام أيضاً: ذو العين، وذو الشهادتين، وذو السماكين، وذو اليدين، هذا كله تفخيم للشيء وليس ذلك في لفظه «صاحب»، وبني على هذا الفرق أنه سبحانه قال في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا النُّونِ﴾، فأضافه إلى «النون» وهو الحوت، وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ النُّورِ﴾ [القلم: ٤٨] قال: والمعنى واحد لكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالتين، وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه ذكر في موضع الثناء عليه، ذو النون؛ ولم يقل صاحب النون؛ لأن الإضافة بـ «ذي» أشرف من صاحب، ولفظ النون أشرف من الحوت لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء أوائل السور، وليس في اللفظ الآخر ما يشرفه لذلك، فالتفت إلى تنزيل الكلام في الآيتين يلح لك ما أشرنا إليه في هذا الغرض، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَبُوهَا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠] أي: الحال بينكم، وأزيلوا المشاجرة وتكون للإرادة والنية كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: السرائر.

رُؤِيدٌ

تصغير «رود» وهو المهل قال تعالى: ﴿أَتَيْتَهُمْ رُؤِيدًا﴾ [الطارق: ١٧] أي: قليلاً. قال ابن قتيبة: وإذا لم يتقدمها «أهلهم» كانت بمعنى «مهلاً» ولا يتكلم بها إلا مصغراً مأموراً بها.

رَبِّمَا

لا يكون الفعل بعدها إلا ماضياً، لأن دخول «ما» لا يزيلها عن موضعها في اللغة، فأما قوله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] فقيل: على إضمار «كان»، تقديره «ربما كان يود الذين كفروا». [ومعنى حكاية الحال أن يحتكي ما لم يقع، كأنه الآن واقع أو ما وقع كأنه الآن واقع كقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] أي كان حالهما لما وجدتهن (١)]

(٢) السَّيْنِ

حرف استقبال، قيل: وتأتي للاستمرار كقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ الْعَآرِضِينَ﴾ [النساء: ٩١]. وقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢] لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم: ﴿مَا وَلَّيْتُمْ﴾ فجاءت السين إعلاما بالاستمرار لا بالاستقبال. قال الزمخشري: أفادت السين وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت: سأنتقم منك.

ومثله قول سيويه في قوله: ﴿نَبِّئِكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] معنى السين، أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخرت إلى حين.

وقال الطيبي: مراد الزمخشري أن السين في الإثبات مقابلة «إن» في النفي، وهذا مردود، [ق/ ٢٩٨]؛ لأنه لو أراد ذلك لم يقل: السين تأكيد للوعد، بل كانت حيثثذ تأكيداً للموعد به كما أن «لو» تفيد تأكيد النفي بها.

وتأتي زائدة كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢] أي: تحييون.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الشورى: ٢٦].

(٣) سَوْفَ

حرف يدل على التأخير والتنفيس، وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسوييف.

ومنه قيل: فلان يسوّف فلاناً قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ نُنْتَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر: «الجني الداني» (ص/ ٥٩) والمدخل للحداوي (ص/ ٥٤٩).

(٣) انظر: «الجني الداني» (ص/ ٤٥٨).

وقال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢] فقرب القول.

ومن صرح بالافتاوت بينهما الزمخشري، وابن الحشاش في «شرح الجمل» وابن يعيش وابن أبيان وابن بابشاذ وابن عصفور وغيرهم.

ومنع ابن مالك كون التراخي في «سوف» أكثر بأن الماضي والمستقبل [متقابلان، والماضي لا يقصد به إلا مطلق الماضي دون تعرض لقرب الزمان، أو بعده، فكذا المستقبل] ^(١) ليجري المتقابلان على سنن واحد، ولأنهما قد استعملا في الوقت الواحد، وقال تعالى في سورة: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١]، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ٤-٥] وفي سورة التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، وقوله: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]. [وفي موضع آخر ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] ^(٢)

قلت: ولا بد من دليل على أن قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦] وقوله: ﴿فَسَيَدْرَأُهُمْ فِي رَحْمَةِ رَبِّكَ فَحْبَبًا﴾ [النساء: ١٧٥] معبرًا به عن معنى واحد.

ولمانع أن يمنعه مستندًا إلى أن الله تعالى وعد المؤمنين أحوال خير في الدنيا والآخرة، فجاز أن يكون ما قرن بالسين لما في الدنيا، وما قرن بسوف لما في الآخرة، ولا يخفى خروج قوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عن دعواه؛ لأن الوعد والوعيد مع «سوف» لا [إشكال] ^(٣) فيه، ومع السين للمبالغة وقصد تقريب الوقوع، بخلاف: سيقوم زيد وسوف يقوم مما القصد فيه الإخبار المجرد.

وفرق ابن بابشاذ أيضًا بينهما بأن «سوف» تستعمل [كثيرًا] ^(٤) في الوعيد والتهديد، وقد تستعمل في الوعد.

مثال الوعيد: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢] و: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

وأمثالها في الوعد: ﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] فأما قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيكَ اللَّهُ بِقَوِيٍّ يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] لتضمنه الوعد والوعيد جميعًا، فالوعد لأجل المؤمنين والمحيين، والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين، بكونهم أعزة عليهم وعلى جميع الكافرين.

(٢) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من م.

(١) سقط من م.

(٣) في المطبوع: إسكان.

والأكثر في السين الوعد، وتأتي للوعيد .

مثال الوعد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] .

ومثال الوعيد: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

عَلَى^(١)

للاستعلاء حقيقة، نحو: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِجِ شَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢] .

أو مجازاً نحو: ﴿وَلَكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ﴾ [الشعراء: ١٤] .

﴿فَضَلْنَا بَعْضَهُمُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وأما قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فهي بمعنى: الإضافة والإسناد،

أي أضفت توكل وتوكلت إلى الله تعالى، لا إلى الاستعلاء، فإنها لا تفيده هاهنا .

وللمصاحبة كقوله: ﴿وَمَاءَ الْمَالِ عَلَىٰ حَبِيبِهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْبَرٍ لِّالنَّاسِ عَلَىٰ

ظُلُمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] .

وتأتي للتعليل نحو: ﴿لِكَيْتُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَهُمْ﴾ [الحج: ٣٧] أي: لهدايته إياكم .

قال بعضهم: وإذا ذكرت النعمة في الغالب مع الحمد لم تقترن بـ«على» نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] : ﴿لَعَلَّمَهُ اللَّهُ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] وإذا أريدت

النعمة أتى بـ«على» ففي الحديث كان إذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال» ثم أورد

هذه الآية .

وأجاب بأن العلو هنا رفع الصوت بالتكبير .

وتجيء للطرفية نحو: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِيْنَةَ عَلَىٰ حِينِ عَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥] .

ونحو: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطٰنِ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملك سليمان، أو

في زمن سليمان، أي زمن ملكه .

ويحتمل أن «تتلوا» ضمن معنى «تقول» فتكون بمنزلة: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا﴾ [الحاقة: ٤٤] .

وبمعنى «من» كقوله تعالى: ﴿أَكَاوَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين: ٢] .

وحمل عليه قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلٰئِیْنَ﴾ [المائدة: ١٠٧] أي منهم .

وقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] أي: كان الورد حتماً مقضياً من ربك .

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٤٧٠) .

وبمعنى عند نحو: ﴿وَلَكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ﴾ [الشعراء: ١٤] أي عندي .
 والباء نحو: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولُ﴾ [الأمراف: ١٠٥] وفي قراءة أبي رضي الله عنه
 بالباء (١).

تنبيه:

حيث وردت في حق الله تعالى، فإن كانت في جانب الفضل كان معناه [تفضلاً لا لأنه
 مستحق عليه كقوله: [«كتب ربكم على نفسه الرحمة» وقيل: معناه القسم وفي جانبي العدل
 والوعيد معناه] (٢) الوقوع وتأكيد كقوله: ﴿فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرمع: ٤٠] .
 وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦] .

عن (٣)

تقتضي مجاوزة ما أضيف إليه نحو غيره وتعديه عنه، تقول: أطعمته عن جوع، أي أزلت
 عنه الجوع، ورميت عن القوس، أي طرحت السهم عنها، وقولك: أخذت العلم عن فلان
 مجاز؛ لأن علمه لم ينتقل عنه، ووجه المجاز أنك لما تلقيته منه، صار كالمثقل إليك عن محله،
 وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]؛ لأنهم إذا خالفوا أمره بعدوا
 عنه وتجاوزوه .

قال أبو محمد البصري عن تستعمل أعم من «على»؛ لأنه يستعمل في الجهات الست،
 وكذلك وقع موقع «على» في قوله:

إذا رضيت على بنو قشير (٤)

(١) وتكون أيضاً بمعنى المجاوزة، كقول الشاعر:

إذا رضيت على بنو قشير
 لعمر أبيك أعجبنى رضاها
 أي: عتي .

وتكون زائدة للتعويض، كقول الراجز:

إن الكريم وأبيك يعتمل
 إن لم يجد يوماً على من يتكل
 وزاد بعضهم في معاني «على» موافقة اللام، كقوله تعالى: ﴿أَلَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) قال المرادي: «عن» لفظ مشترك، تكون اسماً وحرماً فتكون اسماً إذا دخل عليها حرف الجر. ولا تجر بغير
 «من» وهي حينئذ اسم بمعنى: جانب. «الجنبي الداني» (ص/ ٢٤٢).

(٤) للحميف بن خمير بن سليم العقيلي، شاعر، عدّه الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين .
 ت: ١٣٠هـ. وتما البيت:

لعمر الله أعجبنى رضاها

ولو قلت: أطعمته من جوع، وكسوته على عرى لم يصح .
 ونحيء للبدل نحو: ﴿وَأَنْقَرُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].
 وللاستعلاء نحو: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨].
 وقوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢] أي: قدمته عليه .
 وقيل: على بابها أي منصرفًا عن ذكر ربي .

وحكى الرماني عن أبي عبيدة: أن «أحببت»، من أحب البعير إيجابًا إذا برك فلم يقم،
 ف«عن» متعلقة باعتبار معناه التضمين أي: تثببت عن ذكر ربي، وعلى هذا ف«حب الخير»
 مفعول لأجله

وللتعليل، نحو: ﴿وَمَا كَأَنَّ اسْتَفْهَارَ إِتْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿وَمَا
 تَحْنُ يَتَارِكِي إِلَهَ الْهِنَّا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣] .

وبمعنى «بعد» نحو: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، ﴿يُعْرِفُونَ الْكَلِمَةَ عَن
 مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] بدليل أن مكان آخر ﴿وَمِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن
 طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] .

وبمعنى «من» نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ
 عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٦] بدليل: ﴿فَنَقُوبِلُ مِن أَسَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخِرِ﴾ [المائدة: ٢٧] .
 وبمعنى «الباء»^(١) نحو: ﴿وَمَا يَطِيقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ [النجم: ٣] [وقيل: على حقيقتها، أي وما
 يصدر قوله: عن هوى .

وقيل: للمجازة؛ لأن نطقه متباعد عن الهوى^(٢)، متجاوز عنه .

وفيه نظر؛ لأنها إذا كانت بمعنى الباء نفي عنه النطق في حال كونه متلبسًا بالهوى، وهو
 صحيح، وإذا كانت على بابها نفي عنه التعلق حال كونه مجاوزًا عن الهوى، فيلزم أن يكون
 النطق حال كونه متلبسًا بالهوى وهو فاسد .

(١) زاد المرادي من المعاني «الاستعانة» مثله ابن مالك بقوله: رميت عن القوس .
 وبمعنى «في» كقول الشاعر:

وَأَسَّ سِرَاةَ الْقَوْمِ حَيْثُ لَقِيْتَهُمْ وَلَا تَكْ عَن حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَإِنِّيَا
 وَقَالَ أَيضًا: أَوْ تَزَادَ عَوْضًا، كقول الشاعر:

أَتَجْزَعُ أَنْ نَفْسًا أَتَاهُ حَمَامُهَا فَهَلَا التِّي عَن بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ
 (٢) سقط من م .

(١) عسى

للترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن فارس (٢): وتأتي للقرب والدنو كقوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ﴾ [النمل ٧٢] قال: وقال الكسائي: كل ما في القرآن من «عسى» على وجه الخبر فهو موحد نحو: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ ووحد على «عسى الأمر أن يكون كذا».

وما كان على الاستفهام فهو يجمع، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. قال أبو عبيدة معناه (٣): هل عدوتم ذلك، هل جزقوه؟ وروى البيهقي في سننه (٤) عن ابن عباس قال: كل «عسى» في القرآن فهي واجبة (٥). وقال الشافعي [رضي الله عنه] (٦): يقال عسى من الله واجبة.

وحكى ابن الأنباري عن بعض المفسرين أن «عسى» في [جميع القرآن] (٧) واجبة، [ق/ ٢٩٩] [إلا في موضعين] (٨) في سورة بني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم﴾ [الإسراء: ٨] يعني: بني النضير فما رحمهم الله بل قاتلهم رسول الله - ﷺ - [وأوقع عليهم العقوبة]. وفي سورة التحريم: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] ولازمته حتى قضى رسول الله ﷺ [٩].

وعمم بعضهم القاعدة وأبطل الاستثناء، لأن تقديره أن يكون على شرط أي: في وقت من الأوقات، فلما زال الشرط وانقضى الوقت وجب عليكم العذاب، فعلى هذا لم تخرج عن

(١) قال المرادي: «ذهب بعض النحويين إلى أنه حرف، ونقله بعضهم عن ابن السراج، وحكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب. وذهب الجمهور إلى أنه فعل، وهو الصحيح» «الجني الداني» (ص/ ٤٦١).

(٢) فقه اللغة (ص/ ١٢٨).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٧٧ و ١٣٤ و ٢٢٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٥) رقم (٥٠٤٤) والبيهقي في «الكبرى» (١٧٥٣١).

(٥) قال الراغب: «عسى طمع وترج، وكثير من المفسرين فسروا «لعل» و«عسى» في القرآن باللازم، وقالوا: إن الطمع والرجاء لا يصح من الله، وفي هذا منهم قصور نظر، وذاك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيًا لا لأن يكون هو تعالى يرجو. المفردات (ص/ ٥٦٦).

(٦) زيادة من م. (٧) في م: كتاب الله.

(٨) سقط من م. (٩) سقط من م.

بابها الذي هو الإيجاب .

وكذلك قوله: ﴿عَمَىٰ رُؤْيُہٗٓ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ [التحریم: ٥] تقديره: واجب أن يبده أزواجًا خيرًا منكن أي: لبث طلاقكن ولم يبت طلاقهن فلا يجب التبديل .

وقال صاحب «الكشاف»^(١) في سورة التحريم: ﴿عَمَىٰ رُؤْيُہٗٓ﴾ إطماع من الله تعالى لعباده وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون على ما جرت به عادة الجبارة من الإجابة بـ«لعل» وعسى ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت، والثاني: أن تجيء تعليمًا للعباد وجوب الترجيح بين الخوف والرجاء .

عند

ظرف مكان بمعنى «لدى» إلا أن «عند» معربة، وكان القياس بناءها لافتقارها إلى ما تضاف إليه، كـ«لدى» و«إذ» ولكن أعربوا «عند»؛ لأنهم توسعوا فيها فأوقعوها على ما هو ملك الشخص حضره أو غاب عنه، بخلاف «لدى» فإنه لا يقال: لدى فلان إلا إذا كان بحضرة القائل، فـ«عند» بهذا الاعتبار أعم من «لدى»؛ ويستأنس له بقوله: ﴿ءَأَيَّتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] أي من العلم الخاص بنا، وهو علم الغيب .

وقوله: ﴿وَهَبْنَا لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الصمران: ٨] الظاهر أنها بمعنى «عندك»؛ وكأنها أعم من «لدى» لما ذكرنا، فهي أعم «من بين يدي»؛ لاختصاص هذه بجهة «أمام»؛ فإن من حقيقتها الكون من جهتي مسامته البدن .

وتفيد معنى القرب .

وقد تجيء بمعنى «وراء» و«أمام»، إذا تضمنت معنى «قبل» كـ«بين يدي الساعة» .

وقد تجيء «وراء» بمعنى «لدى» المضمن معنى «أمام» كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلَكٌ﴾

[الكهف: ٧٩] .

﴿مِّنْ وَرَائِهِم جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦] .

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] .

وقوله: ﴿مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤] ويتناول الحاليين بالتضاييف .

وقد يطلق لتضمنه معنى الطواعية وترك الاختيار مع المخاطب، كقوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا

(١) الكشاف (٤/٥٦٧) .

بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ [الحجرات: ١] من النهي عن التقديم أو التقدم على وجه المبادرة بالرأي والقول، أي: لا تقدموا القول أو لا تقدموا بالقول بين يدي قول الله، وعلى هذا يكون المعنى بقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أملاً بالمعنى.

وإذا ثبت أن «عند» و«لدى» للقرب، فتارة يكون حقيقياً كقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿٧٧﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿٧٨﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿٧٩﴾﴾ [النجم: ١٣-١٥]، ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف: ٢٥].

وتارة مجازياً إما قرب المنزلة والزلفى، كقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الاعراف: ٢٠٦] وعلى هذا قيل: الملائكة المقربون.

أو قرب التشريف كقوله: ﴿رَبِّ آيِنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١] وقوله ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي وهزلي وجددي، كل ذلك عندي»^(١) أي: في دائرتي إشارة لأحوال أمته، وإلا فقد ثبتت له العصمة.

وتارة بمعنى الفضل ومنه: ﴿فَإِنِ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنَ عِنْدِكَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصاص: ٢٧] أي من فضلك وإحسانك.

وتارة يراد به الحكم كقوله: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور: ١٣]، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥] أي في حكمه تعالى.

وقوله: ﴿إِن كَانَتْ هُنْدًا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] أي في حكمك، وقيل: بحذف «عند» في الكلام، وهي مرادة للإيجاز كقوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧]، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ [البينة: ٢٠]، ﴿عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴿٤٥﴾﴾ [مریم: ٤٥] أي: من عند الرحمن لظهور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

وقد تكون «عند» للحضور نحو: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

وقد يكون الحضور والقرب معنويين، نحو: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠]. ويجوز: وأنزل عندك.

غير

متى حسن موضعها «لا» كانت حالاً، ومتى حسن موضعها «إلا» كانت استثناء. ويجوز أن تقع صفة لمعرفة إذا كان مضافها إلى ضد الموصوف، بشرط أن يكون له ضد واحد نحو: مررت بالرجل الصادق غير الكاذب، لأنه حينئذ يتعرف.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (٢٧١٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فإن الغضب ضد النعمة، والأول هم المؤمنون، والثاني هم الكفار.
وأورد عليه قوله تعالى: ﴿نَعَمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فإنه أضيف إلى الذين كانوا يعملون، وهو ضد الصالح كأنه قيل: «الصالح».
وأجيب بأن الذين كانوا يعملون بعض الصالح فلم يتمحض فيهما.

الفاء (١)

ترد عاطفة وللسببية وجزاء وزائدة.

الأول العاطفة: ومعناها التعقيب، نحو: قام زيد فعمرو أي إن قيامه بعده بلا مهلة، والتعقيب في كل شيء بحسبه، نحو: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].
وأما قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا﴾ [الاعراف: ٤] والبأس في الوجود قبل الهلاك، وبها احتج الفراء^(٢) على أن ما بعد الفاء يكون سابقاً فيه عشرة أوجه:
أحدها: أنه حذف السبب وأبقى المسبب أي: أردنا إهلاكها.

الثاني: أن الهلاك على نوعين: استئصال وبغير استئصال، والمعنى: وكم قرية أهلكتناها [بغير استئصال]^(٣) للجميع، فجاءها بأسنا باستئصال الجميع.

الثالث: أنه لما كان مجيء البأس مجهولاً للناس، والهلاك معلوم لهم، ذكره عقب الهلاك وإن كان سابقاً؛ لأنه لا يتضح إلا بالهلاك.

الرابع: إن المعنى قاربنا إهلاكها فجاءها بأسنا فأهلكناها.

الخامس: أنه على التقديم والتأخير، أي: جاءها بأسنا فأهلكناها.

السادس: إن الهلاك ومجيء البأس لما تقاربا في المعنى، جاز تقديم أحدهما على الآخر.

السابع: أن معنى «فجاءها» أنه لما شوهد الهلاك، علم مجيء البأس وحكم به من باب الاستدلال، بوجود الأثر على المؤثر.

الثامن: أنها عاطفة للمفصل على المجرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٢٥﴾ فَعَلَّنَاهُنَّ أُنْكَارًا ﴿٢٦﴾﴾ [عرباً] [الواقعة: ٣٥-٣٧].

(١) قال المرادي: الفاء حرف مهمل خلافاً لمن زعم أنها تخرج إذا ثابت عن «رب» ولن ذهب إلى أنها تنصب المضارع في الأجوبة. «الجنى الداني» (ص/ ٦١).

(٢) زادها (في).

(٣) معاني القرآن (١/ ٣٧١).

التاسع: أنها للترتيب [الذكرى] (١).

العاشر

وتجىء للمهلة كـ«ثم» كقوله تعالى: ﴿ذُرْ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْقَلَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِطْلًا فَكَسَوْنَا الْهَلْوَءَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] ولا شك أن بينها وسائط.

وكقوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الرَّعَىٰ ۖ فَعَمَلَهُ غَتًّا أُخْتًا﴾ [الأعلى: ٤-٥] فإن بين الإخراج والغناء وسائط، فهو من حيث قضاء الوسائط يقابل قول الشاعر (٢)

وجعل منه ابن مالك، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] وتؤولت على أن «تصبح» معطوف على محذوف، تقديره: «أتينا به فطال النبات، فتصبح».

وقيل: بل هي للتعقيب، والتعقيب على ما بعد في العادة، تعقيباً لا على سبيل المضايقة قرب سنين بعد الثاني عقب الأول في العادة، وإن كان بينهما أزمان كثيرة كقوله: ﴿ذُرْ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا﴾ [المؤمنون: ١٤] قاله ابن الحاجب (٣).

وقيل: بل للتعقيب الحقيقي على بابها، وذلك لأن أسباب الاخضرار عند زمانها.

فإذا تكاملت أصبحت مخضرة بغير مهلة، والمضارع بمعنى الماضي يصح عطفه على الماضي، وإنما لم ينصب على جواب الاستفهام لوجهين:

أحدهما: أنه بمعنى التقرير أي: قد رأيت فلا يكون له جواب؛ لأنه خبر.

والثاني: أنه إنما ينصب ما بعد الفاء إذا كان الأول سبباً له [ق/ ٣٠٠]، [ورؤيته] (٤) لإنزال الماء ليست سبباً لاخضرار الأرض، إنما السبب هو إنزال الماء؛ ولذلك عطف عليه.

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦] فالتقدير: فإذا أردت، فاكتمى بالسبب عن المسبب.

ونظيره: ﴿أَبِ أَضْرِبِ بِعَصَاكَ الْمَجْرَجَ﴾ [الأعراف: ١٦٠] أي: فاضرب فانفجرت.

وأما قوله: ﴿ذُرْ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْقَلَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِطْلًا فَكَسَوْنَا الْهَلْوَءَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] فقيل: الفاء في: ﴿فَخَلَقْنَا أَلْقَلَةَ﴾ وفي ﴿فَكَسَوْنَا﴾ بمعنى «ثم» لتراخي معطوفها.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

(٤) سقط من م.

(٣) الأمالي (١/ ١٢٣-١٢٤).

وقال صاحب «البيسط»: طول المدة وقصرها بالنسبة إلى وقوع الفعل فيهما، فإن كان الفعل يقتضي زمناً طويلاً طالت المهلة، وإن كان في التحقيق وجود الثاني عقيب الأول بلا مهلة، وإن كان الفعل يقتضي زمناً قصيراً ظهر التعقيب بين الفعلين، فالآية واردة على التقدير الأول؛ [لأن بين النطفة وبين العلقة وبين زمن العلقة وزمن النطفة زمن طويل كما ورد في الخبر وعند انقضاء زمن الأول ليشرع في الثاني بلا مهلة] (١) فلا ينافي معنى الفاء.

والحاصل: أن المهلة بين الثاني والأول بالنسبة إلى زمن الفعل، وأما بالنسبة إلى الفعل فوجود الثاني عقب الأول من غير مهلة بينهما، هذا كله في سورة المؤمنين.

وقال في سورة الحج: ﴿ثُمَّ مِنْ تَطْفَرٍ لُتٍّ مِنْ عَظْمٍ لُتٍّ مِنْ مَضَعَةٍ﴾ [الحج: ٥] فعطف الكل بـ«ثم»؛ ولهذا قال بعضهم: ثم للملاحظة أول زمن المعطوف عليه، والفاء للملاحظة آخره، وبهذا يزول سؤال أن المخبر عنه واحد، وهو مع أحدهما بالفاء، وهي للتعقيب، وفي الأخرى بـ«ثم» وهي للمهلة، وهما متناقضان.

وقد أورد الشيخ عز الدين هذا السؤال في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٧] وفي أخرى ﴿ثُمَّ يُنشِئُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وأجاب: بأن أول ما تحاسب أمة النبي ﷺ، ثم الأمم بعدهم، فتحمل الفاء على أول المحاسبين، ويكون من باب نسبة الفعل إلى الجماعة، إذا صدر عن بعضهم كقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَهُمُ الْكُفْرَآءُ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [العمران: ١٨١] ويحمل «ثم» على تمام الحساب، فإن قيل: حساب الأولين متراخ عن البعث، فكيف يحسن الفاء فيعود السؤال؟

قلنا: نص الفارسي في «الإيضاح» على أن «ثم» أشد تراخياً من «الفاء»، فدل على أن الفاء لها تراخ، وكذا ذكر غيره من المتقدمين، ولم يدع أنها للتعقيب إلا المتأخرون انتهى.

وتجىء لتفاوت ما بين رتبتين كقوله: ﴿وَأَلْمَنَيْتُ صَفَاً ۝ فَالزَّيْمَرِ تِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَتِ ذِكْرًا﴾ [النسان: ١-٣] تحتل الفاء فيه التفاوت رتبة الصف من الزجر، ورتبة الزجر من التلاوة، ويحتل تفاوت رتبة الجنس الصاف، من رتبة الجنس الزاجر بالنسبة إلى صفهم وزجرهم، ورتبة الجنس الزاجر من الجنس التالي بالنسبة إلى زجره وتلاوته.

وقال الزمخشري: لفاء مع الصفات ثلاثة أحوال:

أحدها: أنها تدل على ترتيب معانيها في الوجود، كقوله.

(١) سقط من المطبوع.

بالهف زياة للحارث فال صابح فالغنام فالآيب
أي: الذي أصبح فغتم فأب .

الثاني: أن تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه، نحو: قولك: خذ الأكمل
فالأفضل، واعمل الأحسن فالأجل .

الثالث: أنها تدل على ترتيب موصوفاتها، فإنها في ذلك نحو: «رحم الله المحلقين
فالمقصرين» (١).

النوع الثاني: لمجرد السببية والربط نحو: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ﴾ [الكوثر: ١-٢]
ولا يجوز أن تكون عاطفة، فإنه لا يعطف الخبر على الإنشاء، وعكسه عكسها بمجرد العطف
فيما سبق من نحو: ﴿فَجَعَلَهُ عِثَّةً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥]، وقد تأتي لهما نحو: ﴿فَوَكَّرْنَا مُوسَى فَفَضَّنَا
عَلَيْهِ﴾ [الفصص: ١٥]: ﴿فَلَمَّا نَسَبْنَا مَرْثِيَةَ بِقَتِيلِهِ﴾ [البقرة: ٣٧]: ﴿لَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِ بْنِ رَبْرِ بْنِ زَوْجِرٍ
عَلَيْهِ﴾ [القصص: ٢٧] ﴿فَتَدْرِيُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَيْمِ﴾ [البقرة: ٣٧] ﴿وَالْوَاغِيَةُ: ٥٢-٥٥﴾ [وقد نجىء
في ذلك لمجرد الترتيب كقوله تعالى ﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٦-
٢٧] (٢)

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَاتِبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فهذه
ثلاث فاءات، وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة بين الجمل المتعاطفة .

وقال بعضهم: إذا ترتب الجواب بالفاء، فتارة يتسبب عن الأول، وتارة يقام مقام ما
تسبب عن الأول .

مثال الجاري على طريق السببية: ﴿سَقَرْنَاكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]: ﴿فَقَامَتُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾
[الصافات: ١٤٨]: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْجَيْنَاهُ﴾ [الأعراف: ٦٤] .

ومثال الثاني: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً
فَمَا أَغْفَى عَنْهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦] .

النوع الثالث: الجزائية، والفاء تلزم في جواب الشرط، إذا لم يكن فعلاً خبرياً أعمى
ماضياً ومضارعاً، فإن كان فعلاً خبرياً امتنع دخول الفاء، فيحتاج إلى بيان ثلاثة أمور:
العلة وتعاقب الفعل الخبري، والفاء .

والجواب عن اجتماعهما في قوله تعالى ﴿إِنْ كَانَتْ فَيْصُصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ﴾ [يوسف

(١) أخرجه البخاري (١٦٤٠) ومسلم (١٣٠١) .

(٢) سقط من المطبوع .

[٢٦:] ﴿وَإِنْ كَانَ فَيْصُكُمْ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبْتُمْ﴾ [يوسف: ٢٧] ومنه قوله تعالى ^(١) : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّيَرَةِ فَكَبَّتْ﴾ [النمل: ٩٠] وقوله: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُفُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣] وقراءة حمزة: «إِنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى».

وعن ارتفاعهما، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتَضُونَ﴾ [الروم: ٣٦] وفي قول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها ^(٢)

والجواب عن الأول: وهو السؤال عن علة تعاقب الفعل والفاء، إن الجواب هو جملة تامة يجوز استقلالها، فلا بد من شيء يدل على ارتباطها بالشرط، وكونها جوابًا له فإذا كانت الجملة فعلية صالحة لأن تكون جزءا اكتفى بدلالة الحال على كونها جوابًا؛ لأن الشرط يقتضي جوابًا، وهذه [الجملة تصلح جوابًا، ولم يؤت بغيرها فلزم كونها جوابًا وإذا تعقبت الجواب امتنع دخول الفاء للاستغناء عنها] ^(٣)، فإن كانت الجملة غير فعلية لم تكن صالحة للجواب بنفسها، لأن الشرط إنما يقتضي فعلين شرطًا وجزاء، فما ليس فعلاً ليس من مقتضيات أداة الشرط حتى يدل اقتضاؤها على أنه الجزاء، فلا بد من رابطة، فجعلوا الفاء رابطة؛ لأنها للتعقيب فيدل تعقيبها الشرط بتلك الجملة على أنها الجزاء، فهذا هو السبب في تعاقب الفعل والفاء في باب الجزاء.

والجواب عن الثاني: هو أن اجتماع الفعل والفاء في الآيتين غير مبطل للمدعي بتعاقبهما، وهو أن المدعي تعاقبهما إذا كان الفعل صالحًا لأن يجازى به، وهو إذا ما كان صالحًا للاستقبال؛ لأن الجزاء لا يكون إلا مستقبلًا.

وقوله: «صدقت» و«كذبت»، المراد بالفعل في الآية الماضي، فلم يصح أن يكون جوابًا، فوجبت الفاء.

فإن قيل: فلم سقطت «الفاء» في قوله: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَفْرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن «إذا» في الآية ليست شرطًا، بل لمجرد الزمان، والتقدير: والذين هم ينتصرون زمان إصابة البغي لهم.

(٢) لحسان بن ثابت.

(١) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من م.

والثاني: أن «هم» زائدة للتوكيد.

والثالث: أن الفاء حَسَن حذفها كون الفعل ماضيًا.

وبالأول يجاب عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَنْتَحِرُ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الجاثية

[٢٥]:

والجواب عن الثالث: إن الفعل والفاء أيضًا من قوله: ﴿وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ

إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فهو أن «إذا» قامت [ق/ ٣٠١] مقام الفاء، وسدت مسدها لحصول الربط بها كما يحصل بالفاء، وذلك لأن «إذا» للمفاجأة، وفي المفاجأة معنى التعقيب.

وأما الأخفش: فإنه جَوَز حذف الفاء حيث يوجب سبويه دخولها، واحتج بقوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وبقراءة من قرأ: «وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم» في قراءة نافع وابن

(١)

عامر

ولا حجة فيه، لأن الأول يجوز أن يكون جواب قسم، والتقدير: والله إن أطعتموهم

فتكون ﴿إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾ جوابًا للقسم، ولجزاء محذوف سد جواب القسم مسده.

وأما الثانية: فلأن «ما» فيه موصولة لا شرطية، فلم يجز دخول الفاء في خبرها.

والرابع: الزائدة كقوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [ص: ٥٧] والخبر «حميم»، وما بينهما

معرض.

وجعل منه الأخفش (٢): ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيَسَةً﴾ [الماعون: ٢].

وقال سبويه: هي جواب لشرط مقدر، أي إن أردت عليه فذلك.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] على قول.

في (٣)

تجيء لمعان بكثيرة:

للظرفية:

ثم تارة يكون الظرف والمظروف حسين نحو: زيد في الدار، ومنه: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]، ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [١٦] ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠]، ﴿وَأَدْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي

(١) انظر: «الحجة» (١٢٨/٦) و«السبعة» (ص/ ٥٨١).

(٢) معاني القرآن (٥٨٦/٢). (٣) انظر: «العجني الداني» (ص/ ٢٥٠).

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» [النمل: ١٨]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ﴾ [الأحقاف: ١٨] .
وتارة يكونان معنويين نحو: رغبت في العلم، ومنه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وتارة يكون المظروف [حسيًا] (١) نحو: ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صَدْلِكَ مُيِّبًا﴾ [الأعراف: ٦٠] .
وتارة يكون الظرف [حسيًا] (٢) نحو: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَضٌ﴾ [البقرة: ١٠٠] .
والأول حقيقة، والرابع أقرب المجازات إلى الحقيقة.

وتجيء بمعنى «مع» نحو: ﴿فِي نَجْعٍ مَّكِينٍ﴾ [النمل: ١٧٢]، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩] على قول: [ادخلوا في أمم فقيل: الأولى للحقيقة والثانية للظرفية وفي ذلك دليل على جواز: ودخلت الدار الذي هو الأصل] (٣).

وبمعنى «عند» نحو: ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عِبَرِكُمْ سِينَةٌ﴾ [الشعراء: ١٨] .
وللتعليل: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] .
وبمعنى «على» كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْغَلَاكِ﴾ [يونس: ٢٢] بدليل قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْغَلَاكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقوله: ﴿وَلَأَصْلَبُنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] لما في الكلام من معنى الاستعلاء .

وقيل: ظرفية؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور، فلذلك جاز أن يقال: في .
وقيل: إنما أثر لفظة «في» للإشعار بسهولة صلبهم؛ لأن «على» تدل على [نبو] (٤) يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق .

وبمعنى «إلى» نحو: ﴿فَنَهَجُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿فَرَدَوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] .
وبمعنى «من»: ﴿وَيَوْمَ تَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٩] .
وللمقايسة، وهي الداخلة بين مفضل سابق وفاضل لاحق، كقوله تعالى: ﴿كَمَا مَنَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] .
وللتوكيد كقوله تعالى: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ [مود: ٤١] .
وبمعنى «بعد»: ﴿وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] [أي: بعد عامين] .

وبمعنى «عن» كقوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢] قيل: لما نزلت: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

(٢) في المطبوع: جسمًا.

(٤) في م: ثبوت.

(١) في المطبوع: جسمًا.

(٣) سقط من المطبوع.

بَيِّنِي عَادَمَ ﴿ [الإسراء: ٧٠] لم يسمعوا ولم يصدقوا فنزل: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ (١) فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴿ [الإسراء: ٧٢] أي: عن النعيم الذي قلناه ووصفناه في الدنيا، فهو في نعيم
الآخرة أعمى؛ إذ لم يصدق.

قد (٢)

تدخل على الماضي المتصرف، وعلى المضارع بشرط تجرده عن الجازم والناصب، وحرف
التنفيص.

وتأتي لخمس معان: التوقع، والتقريب، والتقليل، والتكثير، والتحقيق.

فأما التوقع: فهو نقيض «ما» التي للنفي وتدخل على الفعل المضارع، نحو: قد يخرج
زيد، تدل على أن الخروج متوقع أي: منتظر. وأما مع الماضي فلا يتحقق الوقوع بمعنى
الانتظار، لأن الفعل قد وقع، وذلك ينافي كونه منتظرًا، ولذلك استشكل بعضهم كونها
للتوقع مع الماضي، ولكن معنى التوقع فيه أن «قد» تدل على أنه كان متوقعًا منتظرًا، ثم صار
ماضيًا؛ ولذلك تستعمل في الأشياء المترتبة.

وقال الخليل: إن قولك: [قد قعد] (٣) كلام لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤذن: قد
قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون [لذلك] (٤).

وظاهر كلام ابن مالك في «تسهيله» (٥) أنها لم تدخل على المتوقع لإفادة كونه متوقعًا، بل
لتقريبه من الحال، انتهى.

ولا يبعد أن يقال: إنها حينئذ تفيد المعنيين.

واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها، إلا أن تكون جوابًا لمتوقع كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]؛ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله.

وكذلك قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]؛ لأنها كانت تتوقع
إجابة الله تعالى لدعائها.

وأما التقريب، فإنها ترد للدلالة عليه مع الماضي، فقد فتدخل لتقريبه من الحال؛ ولذلك
تلزم «قد» مع الماضي إذا وقع حالاً، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]

(١) سقط من م.

(٢) انظر: «الكتاب» (١/١٩٨) و(٣/١١٤) و(٤/٢٢٣-٢٢٤) و«الجنى الداني» (ص/٢٥٣).

(٣) في الجنى الداني: قد فعل.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) (ص/٢٤٢).

وأما ما ورد دون «قد» فقولته تعالى: ﴿هَذِهِ يَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] فـ«قد» فيه مقدرة، هذا مذهب المبرد والفراء وغيرهما.
وقيل: لا يقدر قبله «قد»^(١).

وقال ابن عصفور: إن جواب القسم بالماضي المتصرف المثبت إن كان قريباً من زمن الحال دخلت عليه «قد واللام» نحو: والله لقد قام زيد. وإن كان بعيداً لم تدخل نحو: والله لقام زيد.

وكلام الزمخشري يدل على أن «قد» مع الماضي في جواب القسم للتوقع، قال في الكشاف^(٢) عند قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩] في سورة الأعراف.

فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون باللام إلا مع «قد» وقلّ عندهم مثل قوله: حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَتَأْتُوا فَمَا إِنَّ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ^(٣) قلت: إنما كان كذلك؛ لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها، التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القسم.

وقال ابن الحجاز: إذا دخلت «قد» على الماضي أثرت فيه معنيين: تقريبه من زمن الحال، وجعله خبراً منتظراً فإذا قلت: قد ركب الأمير، فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك، هذا تفسير الخليل، انتهى.

وظاهره أنها تفيد المعنيين معاً في الفعل الواحد.

ولا يقال: إن معنى التقريب يتنافى معنى التوقع؛ لأن المراد به ما تقدم تفسيره.

وكلام الزمخشري في «المفضل»^(٤) يدل على أن التقريب لا ينفك عن معنى التوقع.

وأما التقليل: فإنها ترد [له]^(٥) مع المضارع، إما لتقليل وقوع الفعل، نحو: قد يجود البخيل، وقد يصدق الكذوب، أو للتقليل لمتعلق، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] أي ما هم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه.

وقال الزمخشري^(٦): هي [للتأكيد]^(٧)، وقال: إن «قد» إن دخلت على المضارع كانت

(٢) (١١٢/٢-١١٣).

(٤) (ص/٣١٦).

(٦) الكشاف (٣/٢٦٠-٢٦١).

(١) قال المرادي: وهو الأظهر.

(٣) لامرئ القيس.

(٥) في الجني الداني: للدلالة عليه.

(٧) في م: للتحقيق.

بمعنى «ربما» فوافقت «ربما»، في خروجها إلى معنى التكرير، والمعنى إن جميع السموات والأرض مختصّ به خلقًا وملكًا، وعلما فكيف يخفي عليه أحوال المنافقين؟

وقال في سورة الصف (١): ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] قد معناها التوكيد كأنه قال: تعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه.

ونصّ ابن مالك على أنها إذا كانت للتقليل صرفت المضارع إلى الماضي.

وقد نازع بعض المتأخرين [ق/ ٣٠٢] في أن «قد» تفيد التقليل مع أنه مشهور، ونص عليه الجمهور فقال: قد تدل على توقع الفعل عمن أسند إليه، وتقليل المعنى لم يستفد من «قد» بل لو قيل: البخيل يجود والكذوب يصدق، فهم منه التقليل؛ لأن الحكم على من شأنه البخل بالوجود، وعلى من شأنه الكذب بالصدق، إن لم يحمل ذلك على صدور ذلك قليلا كان الكلام كذبا؛ لأن آخره يدفع أوله.

وأما التكرير: فهو معنى غريب وله من التوجيه نصيب، وقد ذكره جماعة من المتأخرين.

وجعل منه الزمخشري (٢): ﴿قَدْ رَأَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وجعلها غيره للتحقيق.

وقال ابن مالك: إن المضارع هنا بمعنى الماضي أي: قد رأينا.

وأما التحقيق: فتردد للتحقيق وقوع المتعلق مع المضارع والماضي، لكنه قد يرد والمراد به الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ﴿قَدْ تَعَلَّمَ إِنَّهُ لِيَحْرُوكَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَسْتَشْرِعُ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

وقال الراغب (٣): إن دخلت على الماضي اجتمعت لكل فعل متجدد نحو: ﴿قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩٠]، ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨].

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١١٧].

ولهذا لا تستعمل في أوصاف الله، لا يقال: «قد كان الله غفورا رحيمًا».

فأما قوله: ﴿أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ نَرْحَمُ﴾ [المزمل: ٢٠] فهو متأول للمرضى في المعنى، كما أن النفي في قولك: ما علم الله زيد يخرج، هو للخروج، وتقديره: وما يخرج زيد فيما

(١) الكشاف (٤/ ٥٢٤).

(٢) الكشاف (١/ ٢٠١) قال: قد نرى: ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية.

(٣) المفردات (ص/ ٦٥٧).

علم الله، وَإِن دَخَلْتَ عَلَى الْمُضَارِعِ فَذَلِكَ لِفِعْلِ يَكُونُ فِي حَالِهِ، نَحْوُ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٦٣] أي قد يتسللون فيما علم الله. [ويجيء للتعليل] (١).

(٢) الكاف

للتشبيه، نَحْوُ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤] وهو كثير. وللتعليل، كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١] قال الأخفش (٣): أي لأجل إرسالنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني.

وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وجعل ابن برهان النحوي منه قوله تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

وللتوكيد: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي: ليس شيء مثله، وإلا لزم إثبات المثل.

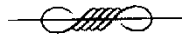
قال ابن جنى: وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً.

وقال غيره: الكاف زائدة لثلاث يلزم إثبات المثل لله تعالى، وهو محال؛ لأنها تفيد نفي المثل عن مثله لا عنه، لأنه لو لا الحكم بزيادتها لأدى إلى محال آخر، وهو أنه إذا لم يكن مثل شيء لزم ألا يكون شيئاً؛ لأن مثل المثل مثله.

وقيل: المراد مثل الشيء ذاته وحقيقته كما يقال: مثلي لا يفعل كذا، أي أنا لا أفعل، وعلى هذا لا تكون زائدة.

وقال ابن [فورك] (٤): هي غير زائدة، والمعنى ليس مثل مثله شيء، وإذا نفيت التماثل عن الفعل فلا مثل لله على الحقيقة.

قال صاحب «المستوفى»: ولتأكيد الوجود كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] أي: أن تربيتهما لي قد وجدت كذلك أوجد رحمتك لهما يا رب.



(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٧٨) في «المدخل» للحدادي (ص/ ٥٥٥) قال الداني: الكاف حرف يكون عاملاً وغير عامل، فالعامل كاف الجر، وغير العامل: كاف الخطاب.

(٣) معاني القرآن (١/ ١٦٣). (٤) في م: مالك.

كان

تأتي للمضي وللتوكيد، وبمعنى القدرة كقوله: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْفِثُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠] أي ما قدرتم.

وبمعنى «ينبغي»، كقوله: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٦] أي لم ينبغي لنا. وتكون زائدة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢] أي: بما يعملون؛ لأنه قد كان عالماً ما علموه من إيمانهم به. وقد سبقت في مباحث الأفعال.

(١) كان

للتشبيه المؤكد^(٢)، ولهذا جاء ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] دون غيرها من أدوات التشبيه. ولليقين^(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ اللَّهُ يُسْطِرُّ الرِّزْقَ﴾ [القصص: ٨٢] على ما سيأتي. وقد تخفف، قال تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّ مَسْمُومٍ﴾ [يونس: ١٢].

(٤) كآين

بمعنى «كم» للتكثير، لأنها كناية عن العدد قال تعالى: ﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ [الطلاق: ٨] وفيها قراءتان: كائن على وزن قائل و بائع و«كآين» بتشديد الياء. قال ابن فارس^(٥): [سمعت]^(٦) بعض أهل القرية يقول: ما أعلم كلمة تثبت فيها النون خطأ غيره هذه. [وقال سيبويه، أكثر العرب إنما يتكلمون مع من لأنها تأكيد فجعلت كآئها شيء تم به الكلام]^(٧)

(١) قال المرادي: حرف ينصب الاسم، ويرفع الخبر، من أخوات «إن»، ومذهب الخليل وسيبويه والأخفش وجهود البصريين والقراء أنها مركبة من كاف التشبيه و«إن». الجنى الداني (ص/٥٦٨).

(٢) ولم يثبت لها أكثر البصريين غيره.

(٣) زاد المرادي:

الثالث: أن تكون للشك، بمنزلة «ظننت»، وذهب إلى ذلك الكوفيون والزجاجي.

الرابع: التقريب، هذا مذهب الكوفيين، نحو: كأنك بالشتاء مقبل. الجنى الداني (ص/٥٧٢-٥٧٣).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/١٧٠-١٧١) و (٣/١٥١-٣٣٢).

(٥) فقه اللغة (ص/١٣٢).

(٦) سقط من م.

(٧) سقط من المطبوع.

كاد

بمعنى قارب، وسبقت في مباحث الأفعال.

(١) كلا

قال سيويه: حرف ردع وزجر (٢).

قال الصفار (٣): إنها تكون اسماً للرد، إما لرد ما قبلها، وإما لرد ما بعدها كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤] هي رد لما قبلها، لأنه لما قال: ﴿أَلَهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حتى دُزِمَ الْمُقَابِرَ [التكاثر: ١-٢] كان إخباراً بأنهم لا يعلمون الآخرة ولا يصدقون بها، فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فلا يحسن الوقف عليها هنا إلا لتبيين ما بعدها، ولو لم يفتقر لما بعدها لجاز الوقف.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُ﴾ [الهمزة: ٣-٤] هي رد لما قبلها، فالوقف عليها حسن، انتهى.

وقال ابن الحاجب: شرطه أن يتقدم ما يرد بها ما في غرض المتكلم، سواء كان من كلام غير المتكلم على سبيل الحكاية، أو الإنكار أو من كلام غيره.

كقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ بعد قوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾ [القيامة: ١٠]. وقوله: ﴿يُودُّ الْمُتَجَرِّمُ﴾ [المعارج: ١١] (٤).

وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]؛ لأن قوله: «قال» حكاية ما يقال بعد تقدم الأول (٥).

وكقولك: أنا أهين العالم كلا، انتهى.

وهي نقيض، إي في الإثبات كقوله: ﴿كَلَّا لَا تَطِئْتُهُ﴾ [العلق: ١٩].

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْآيَةَ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨-٧٩].

وقوله: ﴿وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/٥٧٧).

(٢) وهذا مذهب الخليل وعامة البصريين، وذهب الكسائي وتلميذه نصير بن يوسف، وعمر بن أحمد بن واصل إلى أنها تكون بمعنى «حقاً»، ومذهب النضر بن شميل أنها بمعنى «نعم».

(٣) وهذا مذهب عبد الله بن محمد الباهلي، وذهب أبو حاتم إلى أنها تكون ردّاً للكلام الأول وتكون للاستفتاح بمعنى «الآ» ووافقه الزجاج.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) سقط من المطبوع.

وتكون بمعنى «حقاً» صلة لليمين كقوله: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢] .
 ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] .
 وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَيِّئِينَ﴾ [المطففين: ٧] ، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] .
 وأما قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [الهمزة: ٣-٤] فيحتمل الأمرين .
 وقد اختلف القراء في الوقف عليها .
 فمنهم : من يقف عليها أينما وقعت ، وغلب عليها معنى الزجر .
 ومنهم : من يقف دونها أينما وقعت ويبتدئ بها وغلب عليها [معنى الزجر] .
 ومنهم : من يقف دونها أينما وقعت ويبتدئ بها وغلب عليها ^(١) أن تكون لتحقيق ما بعدها .

ومنهم من نظر إلى المعنيين فيقف عليها إذا كانت بمعنى الردع ، ويبتدئ بها إذا كانت بمعنى التحقيق [لما بعدها] ^(٢) ، وهو أولى ^(٣) .

ونقل ابن فارس عن بعضهم أن «ذلك» وهذا تقيضان لـ «لا» وأن «كذلك» تقيض لـ «كلا» كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَمَرَّ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤] على معنى ذلك ، كما قلنا وكما فعلنا .
 ومثله: ﴿هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَنُزِّلَ مَتَابِ﴾ [ص: ٥٥] .

قال : ويدل على هذا المعنى دخول الواو بعد قوله : «ذلك» و «هذا» ؛ لأن ما بعد الواو يكون معطوفاً على ما قبله بها ، وإن كان مضمراً . وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ثم قال : ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : كذلك فعلنا ونفعله من التنزيل ، وهو كثير ^(٤) .

وقيل : إنها إذا كانت بمعنى «لا» فإنها تدخل على جملة محذوفة فيها نفي ، لما قبلها ، والتقدير : ليس الأمر كذلك [كقوله تعالى : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيُكَفِّرُوا عَنْكُمْ عَظِيمًا﴾ [إبريم: ٨١] وليس الأمر كذلك] ^(٥) ، وهي على هذا حرف دال على هذا المعنى [لا موضع لها] ^(٦) ، ولا تستعمل عند خلاف التحويين بهذا المعنى إلا في الوقف عليها ، ويكون زجراً

(١) سقط من م .

(٢) أشار المرادي أنه أفرد للكلام على «كلا ويل» رسالة خاصة . «الجنبي الداني» (ص/ ٥٧٨) .

(٤) فقه اللغة (ص/ ١٣٤) .

(٥) سقط من المطبوع .

(٦) سقط من المطبوع .

وردًا أو إنكارًا لما قبلها، وهذا مذهب الخليل، وسيبويه والأخفش، والمبرد والزجاج وغيرهم؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد، ولذلك لم تقع في القرآن إلا في سور مكية؛ لأن التهديد [ق/ ٣٠٣] والوعيد أكثر ما نزل بمكة، لأن أكثر عتو المشركين وتجبرهم بمكة، فإذا رأيت سورة فيها «كلا» فاعلم أنها مكية.

وتكون «كلا» بمعنى «حقًا» عند الكسائي، فيبتدأ بها لتأكيد ما بعدها فتكون في موضع المصدر ويكون موضعها نصبًا على المصدر، والعامل محذوف أي: أحق ذلك حقًا.

ولا تستعمل بهذا المعنى عند حذاق النحويين، إلا إذا ابتدء بها لتأكيد ما بعدها.

وتكون بمعنى «ألا» فيستفتح بها الكلام، وهي على هذا حرف. وهذا مذهب أبي حاتم واستدل على أنها للاستفتاح أنه روى أن جبريل نزل على النبي ﷺ بخمس آيات من سورة العلق، ولما قال: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] طوى النمط، فهو وقف صحيح ثم لما نزل بعد ذلك: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفْرٍ﴾ [العلق: ٦] فدل على أن الابتداء بـ «كلا» من طريق الوحي، فهي في الابتداء بمعنى «ألا» عنده.

فقد حصل لـ «كلا» معاني النفي في الوقف عليها، و«حقًا» و«ألا» في الابتداء بها.

وجميع «كلا» في القرآن ثلاثة وثلاثون موضعًا في خمس عشرة سورة، ليس في النصف الأول من ذلك شيء.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠] على معنى «ألا» واختار قوم جعلها بمعنى حقًا وهو بعيد؛ لأنه يلزم فتح «إن» بعدها ولم يقرأ به أحد.

كل

اسم وضع لضم أجزاء الشيء على جهة الإحاطة، من حيث كان لفظه مأخوذًا من لفظ «الإكليل» و«الكلمة» و«الكلاية»، مما هو للإحاطة بالشيء - وذلك ضربان:

أحدهما: انضمام لذات الشيء وأحواله المختصة به، وتفيد معنى التمام، كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَسْطُهَا كُلَّ الْبَسِطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] أي: بسطًا تامًا.

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩] ونحوه.

والثاني: انضمام الذوات، وهو المفيد للاستغراق.

ثم إن دخل على منكر أوجب عموم أفراد المضاف إليه، أو على معرف أوجب عموم أجزاء ما دخل عليه.

وهو ملازم للأسماء، ولا يدخل على الأفعال.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ﴾ [النمل: ٨٧] فالتنوين بدل من المضاف، أي كل واحد، وهو لازم للإضافة معنى، ولا يلزم إضافته لفظاً إلا إذا وقع تأكيداً أو نعتاً، وإضافته متبوية عند تجرده منها.

ويضاف تارة إلى الجمع المعرف نحو: كل القوم، ومثله اسم الجنس نحو: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ﴾ [ال عمران: ٩٣] وتارة إلى ضميره نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، ﴿نَسَجَدُ لِلْمَلَائِكَةِ كُلِّهِمْ أَجْمَعُونَ﴾ [العنبر: ٣٠]، ﴿يُظهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٣].

وإلى نكرة مفردة نحو: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتْهُ طَعْمُهُ﴾ [الإسراء: ١٣]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وربما خلا من الإضافة لفظاً، وينوي فيه نحو: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّانِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ [الفرقان: ٣٩].

ولهل تنوينه حينئذ عوض أو تنوين صرف؟ قولان:

قال أبو الفتح: وتقديمها أحسن من تأخيرها، لأن التقدير «كلهم»، فلو أخرجت لباشرت العوامل مع أنها في المعنى منزلة منزلة مالا يباشره، فلما تقدمت أشبهت المرتفعة بالابتداء في أن كلاً منهما لم يل عاملاً في اللفظ، وأما «كل» المؤكد بها فلازمة للإضافة.

وتحصل لها ثلاثة أحوال:

مؤكدة، ومبتدأ بها مضافة، ومقطوعة عن الإضافة:

فأما المؤكدة: فالأصل فيها أن تكون توكيداً للجملة، أو ما هو في حكم الجملة، مما يتبعض، لأن موضوعها الإحاطة كما سبق.

وأما المضافة غير المؤكدة، فالأصل فيها أن تضاف إلى النكرة الشائعة في الجنس، لأجل معنى الإحاطة، وهو إنما ما يطلب جنساً يحيط به، فإن أضفته إلى جملة معرفة نحو: كل إخوتك ذاهب، قبح إلا في الابتداء، إلا أنه إذا كان مبتدأ وكان خبره مفرداً تنبيهاً على أن أصله الإضافة للنكرة لشيوعها.

فإن لم يكن مبتدأ وأضفته إلى جملة معرفة، نحو: ضريت كل إخوتك، وضريت كل القوم، لم يكن في الحسن بمنزلة ما قبله؛ لأنك لم تضفه إلى جنس ولا معك في الكلام خبر

مفرد يدل على معنى إضافته إلى جنس [فإن أضفته إلى جنس] ^(١) معرف بالألف واللام حسن ذلك، كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ لأن الألف واللام للجنس، ولو كانت للعهد لم يحسن لمنافاتها معنى الإحاطة.

ويجوز أن يؤتى بالكلام على أصله، فتؤكد الكلام بـ «كل» فتقول: خذ من الثمرات كلها. فإن قيل: فإذا استوى الأمران في قوله: كل من كل الثمرات، وكل من الثمرات كلها، فما الحكمة في اختصاص أحد الجائزين في نظم القرآن دون الآخر؟.

[فالجواب] ^(٢) قال السهيلي في «التناج»: له حكمة، وهو أن «من» في الآية لبيان الجنس لا للتبويض، والمجرور في موضع المفعول لا في موضع الظرف، وإنما يريد الثمرات أنفسها؛ لأنه أخرج منها شيئاً، وأدخل «من» لبيان الجنس كله، ولو قال: أخرجنا به من الثمرات كلها لقليل: أي شيء أخرج منها، وذهب التوهم إلى أن المجرور في موضع ظرف، وأن مفعول «أَخْرَجْنَا» فيما بعد، وهذا يتوهم مع تقدم «كل» لعلم المخاطبين أن «كلًا» إذا تقدمت اقتضت الإحاطة بالجنس، وإذا تأخرت اقتضت الإحاطة بالمؤكد بتمامه جنسًا شائعًا كان أو معهودًا.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ٦٩] ولم يقل: «من الثمرات كلها» فيه الحكمة السابقة وتزيد فائدة، وهي أنه تقدمها في النظم: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ . . .﴾ الآية [النحل: ٦٧].

فلو قال بعدها: «ثم كلي من الثمرات كلها» لأوهم أنها للعهد المذكور قبله، فكان الابتداء بـ «كل» أحضر للمعنى، وأجمع للجنس وأرفع لللبس.

وأما المقطوعة عن الإضافة فقال السهيلي: حقها أن تكون مبتدأة مخبرًا عنها، أو مبتدأة منصوبة بفعل بعدها لا قبلها أو مجرورة يتعلق خافضها بما بعدها، كقولك: كلاً ضربت، وبكل مررت، فلا بد من مذكورين قبلها، لأنه إن لم يذكر قبلها جملة، ولا أضيفت إلى جملة، بطل معنى الإحاطة فيها ولم يعقل لها معنى.

واعلم أن لفظ «كل» لأفراد التذكير، ومعناه بحسب ما يضاف إليه والأحوال ثلاثة: فالأول: أن يضاف إلى نكرة، فيجب مراعاة معناها؛ [فلذلك] ^(٣) جاء الضمير مفردًا مذكرًا في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِرَبِّهِ﴾ [الإسراء

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في م: فإذا.

١٣: [ومفردًا مؤنثًا في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [ال عمران: ١٨٥]، ومجموعًا مذكرًا في قوله: ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] في معنى الجمع؛ لأنه اسم جمع.

وما ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة، دون لفظ «كل» قد أوردوا عليه نحو قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥٠] وقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ [الحج: ٢٧] وقوله: ﴿وَجَفَّظْنَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ (٧) ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلَمٍ لَّا يُعْلَنُ﴾ [الصفات: ٧-٨].

وأجيب بأن الجمع [ق/ ٣٠٤] في الأولى باعتبار [معنى الآية] (١) «الامة».

وكذلك في الثانية، فإن الضامر اسم جمع؛ كالجامل والباقر.

وكذلك في الثالثة: إنما عاد الضمير إلى الجمع المستفاد من الكلام، فلا يلزم عوده إلى «كل».

وزعم الشيخ أنير الدين في تفسيره: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَشِيرٌ﴾ (٧) ﴿يَسْمَعُ مَا كَذَبَ اللَّهُ...﴾ [الجانبية: ٧-٨] ثم قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أنه مما روعي فيه المعنى بهذا اللفظ.

وليس كذلك، فإن الضمير لم يعد إلى «كل» بل على «الأفاكين» الدالة عليه ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢].

وأيضًا فهاتان جملتان والكلام في الجملة الواحدة.

الثاني: أن تضاف إلى معرفة، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، سواء كانت الإضافة لفظًا نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرَدًا﴾ [مریم: ٩٥] فراعى لفظ «كل».

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (٢) ولم يقل: راعون ولا مسئولون.

أو معنى نحو: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٤٠] فراعى لفظها وقال:

﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ ذَائِقَةُ الْعَذَابِ﴾ [النمل: ٨٧] فراعى المعنى.

وقد اجتمع مراعاة اللفظ والمعنى في قوله تعالى: ﴿إِن كُفِّرْ عَنْكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرَدًا﴾ [مریم: ٩٣-٩٥] هذا إذا جعلنا «من» موصولة وهو الظاهر، فإن جعلناها نكرة موصوفة خرجت من هذا القسم إلى الأول.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩).

الثالث: أن تقطع عن الإضافة لفظاً، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها.

فمن الأول: ﴿كُلُّ ءَامَنٍ بِاللّٰهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِرَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿إِن كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤] ولم يقل: كذبوا، ﴿فَكَلَّمَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [المنكوت: ٤٠].
ومن الثاني: ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَلَمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤]، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿كُلُّ لَهُ قَنِينُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

قال أبو الفتح: وعلته أن أحد الجمعين عندهم كان عن صاحبه، فإن لفظ «كل» للأفراد ومعناها الجمع، وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين، جمعاً فتارة روعى كما إذا صرح به، وتارة روعى لفظ «كل»، وتكون حالة الحذف مخالفة لحال الإثبات.

قيل: ولو قال قائل: حيث أفرد يقدر الحذف مفرداً وحيث جمع يقدر جمعاً، فيقدر في قوله: ﴿فَكَلَّمَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [المنكوت: ٤٠] «كل واحد»، ويقدر في قوله: ﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] «كل نوع مما سبق» لكان موافقاً إذا أضيف لفظاً إلى نكرة.

وما ذكره يقتضى أن تقديره: وكلهم أئوه^(١) وكلا [التقديرين]^(٢) سائغ، والمراد الجمع.

ويتعين في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] أن كلاً من الشمس والقمر، والليل والنهار لا يصح وصفه بالجمع، وقد قدر الزمخشري^(٣): ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِرَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] كل أحد وهو يساعد ما ذكرناه.
وما ذكرناه في هذه الحالة هو المشهور.

وقال السهيلي في «نتائج الفكر»: إذا قطعت «كل» عن الإضافة، فيجب أن يكون خبرها جمعاً؛ لأنها اسم في معنى الجمع، تقول: كل ذاهبون، إذا تقدم ذكر قوم، وأجاب عن أفراد الخبر في الآيات السابقة بأن فيها قرينة تقتضي تحسين المعنى بهذا اللفظ دون غيره.

أما قوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِرَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] فلأن قبلها ذكر فريقين مختلفين مؤمنين وظالمين، فلو جمعهم في الأخبار، وقال: كل يعملون لبطل معنى الاختلاف، وكان لفظ الأفراد أدل على المراد والمعنى: كل فريق يعمل على شاكلته.

وأما قوله: ﴿إِن كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤] فإنه ذكر قروناً وأمماً، وختم ذكرهم بقوم تبع، فلو قال: كل كذبوا لعاد إلى أقرب مذكور، فكان يتوهم أن الأخبار عن قوم تبع

(٢) في م: الطريقتين.

(١) سقط من م.

(٣) الكشاف (٢/٦٩٠).

خاصة، فلما قال: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ﴾ [ص: ١٤] علم أنه يريد كل فريق منهم كذب، لأن أفراد الخبر عن كل حيث وقع، إنما يدل على هذا المعنى.

مسألة:

وتتصل «ما» بـ «كل» نحو: ﴿كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ [البقرة: ٢٥] وهي مصدرية، لكنها نائية بصلتها عن ظرف زمان، كما ينوب عنه المصدر الصريح والمعنى: كل وقت.

وهذه تسمى «ما» المصدرية الظرفية أي: النائية عن الظرف لأنها ظرف في نفسها و«كل» من «كلما» منصوب على الظرفية، لإضافته إلى شيء هو قائم مقام الظرف.

ثم ذكر الفقهاء والأصوليون أن «كلما» للتكرار. قال الشيخ أبو حيان: وإنما ذلك من عموم «ما»؛ لأن الظرفية مراد بها العموم، فإذا قلت: أصبحك ما ذر لله شارق، وإنما تريد العموم فـ «كل» أكدت العموم الذي أفادته الظرفية، لا أن لفظ «كلما» وضع للتكرار كما يدل عليه كلامهم، وإنما جاءت «كل» توكيداً للعموم المستفاد من «ما» الظرفية، انتهى.

وقوله: إن التكرار من عموم «ما» ممنوع، فإن «ما» المصدرية لا عموم لها، ولا يلزم من نياتها عن الظرف دلالتها، وإن استفيد عموم في مثل هذا الكلام فليس من «ما» إنما هو من التركيب نفسه.

وذكر بعض الأصوليين: أنها إذا وصلت بـ «ما» صارت أداة لتكرار الأفعال، وعمومها قصدي، وفي الأسماء ضمنى قال تعالى: ﴿كَلِمًا نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ﴾ [النساء: ٥٦] وإذا جردت من لفظ «ما» انعكس الحكم، وصارت عامة في الأسماء قصداً، وفي الأفعال ضمناً.

ويظهر الفرق بينهما في قوله: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، تطلق كل امرأة يتزوجها، وتكون عامة في جميع النساء لدخولها على الاسم، وهو قصدي، ولو تزوج امرأة ثم تزوجها مرة أخرى لم تطلق في الثانية لعدم عمومها قصداً في الأسماء، ولو قال: كلما تزوجت امرأة فهي طالق، فتزوج امرأة مراراً طلقت في كل مرة، لاقتضائها عموم الأفعال قصداً وهو التزوج.

مسألة:

ويأتي «كل» صفة ذكره سيبويه في باب النعت، قال: ومن الصفة أنت الرجل كل الرجل، ومررت بالرجل كل الرجل.

قال الصَّفَّار: هذا يكون عند قصد التأكيد والمبالغة، فإن قولك: «الرجل» معناه: الكامل، ومعنى «كل الرجل» أي: هو الرجل لعظمته قد قام مقام الجنس كما تقول: أكلت

شاة كل شاة، وإليه أشار بقوله ﷺ: «كل الصيد في جوف الفرا» (١) أي إن من صاده فقد صاد جميع الصيد لقيامه مقامه لعظمته، قال: وهذا إنما يجوز إذا سبقها ما فيه رائحة الصفة، كما ذكرنا، فلو كان جامدا لم يجوز نحو: مررت بعبد الله كل الرجل لا يفهم من «عبد الله» شيء.

كلا وكلتا

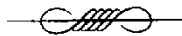
هما توكيد الاثني وفيهما معنى الإحاطة؛ ولهذا قال الراغب: هي في التثنية ككل في الجمع ومفرد اللفظ مثنى المعنى، عبر عنه مرة بلفظه ومرة بلفظ الاثني، اعتبارًا بمعناه قال تعالى: ﴿إِنَّا يَلْفَعْنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]. قلت: لا خلاف أن معناها التثنية، واختلف في لفظها فقال البصريون: مفردة. وقال الكوفيون: تثنية.

والصحيح الأول، بدليل عود الضمير إليها مفردًا في قوله: ﴿كِلْتَا الْجَنَيْنِ ءَأَنْتَ﴾ [الكهف: ٣٣] فالإخبار عن «كلتا» بالمفرد، دليل على أنها مفرد؛ إذ لو كان مثنى لقال: آنتا، ودليل إضافتها إلى المثنى في قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، ولو كان مثنى لم يجوز إضافته إلى التثنية؛ لأنه لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه، والفصيح مراعاة اللفظ؛ لأنه الذي ورد به القرآن، فيقال: كلا الرجلين خرج، وكلتا المرأتين حضرت.

وقد نازع بعض المتأخرين، وقال: ليس معناه التثنية على الإطلاق كما ذكره النحاة، ولو كان كذلك لكثرة مراعاة المعنى [ق/ ٣٠٥] كما كثرة مراعاته في «من» و«ما» الموصولتين، لكن أكثر ما جاء في لسان العرب عود الضمير مفردًا: ﴿كِلْتَا الْجَنَيْنِ ءَأَنْتَ﴾ [الكهف: ٣٣] وما جاء فيه مراعاة المعنى في غاية القلة.

قال: فالصواب أن معناها مفرد صالح لكل من الأمرين المضاف إليهما، وأما مراعاة التثنية فيه فعلى سبيل التوسع، ووجه التوسع أن كل فرد في جانب الثبوت معه غيره.

فجاءت التثنية بهذا الاعتبار، فالإفراد فيه مراعاة المعنى واللفظ، والتثنية مراعاة المعنى من بعض الوجوه.



(١) أخرجه الراهرمزي في «الأمثال» بسند جيد.

فائدة:

وقع في شعر أبي تمام «كلا الآفاق» (١) وخطأه المعري؛ لأن «كلا» يستعمل في الاثنين لا الجمع.

قال: ولم يأت في المسموع: كلا القوم ولا كلا الأصحاب، وإنما يقال: كلا الرجلين ونحوه، فإن أخذ من الكلام من قولك: كلات الشيء إذا رعيته وحفظته، فالمعنى يصح إلا أن المتكلم يقصر وهي ممدودة.

كم (٢)

نكرة لا تعرف، لأنها مبهمة في العدد كـ «أين» في الأمكنة، و«متى» في الأزمنة و«كيف» في الأحوال.

وقول سيويه (٣): [كم أرضك جريباً؟] (٤) «كم» مبتدأ و«أرضك» مبني عليه، مجاز ليس بحقيقة، وإنما «أرضك» مبتدأ، و«كم» الخبر مثل: كيف زيد (٥). وهي قسما:

استفهامية تحتاج إلى جواب بمعنى: أي عدد؟ فينصب ما بعدها نحو: كم رجلاً ضربت؟ وخبرية لا تحتاج إلى جواب، بمعنى عدد كثير فيجر ما بعدها نحو: وكم عبد ملكت. وقد تدخل عليها «من» كقوله: ﴿وَكَمْ بَيْنَ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَهَا﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١].

وليست الاستفهامية أصلاً للخبرية، خلافاً للزخشيحي حيث ادعى ذلك في سورة «يس» (٦) عند الكلام على: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الأنعام: ٦].

ولم تستعمل الخبرية غالباً إلا في مقام الافتخار والمباهاة، لأن معناها التكثر؛ ولهذا ميزت بما يميز العدد الكثير، وهو مائة وألف، فكما أن «مائة» تميز بواحد مجرور فكذلك «كم».

(١) قوله من الوافر:

أطل على كلا الآفاق حتى
كان الأرض في عينيه دار
(٢) قال المرادي: «اسم لعدد مبهم الجنس والمقدار، وليست مركبة، خلافاً للكسائي والفراء» «الجنني الداني» (ص/٢٦١).

(٣) الكتاب (٢/١٦٠).

(٤) في الكتاب: كم جريباً أرضك؟

(٥) الكشاف (٤/١٣-١٤).

(٥) ليست في الكتاب.

واعلم أن «كم» مفردة اللفظ، ومعناها الجمع، فيجوز في ضميرها الأمران بالاعتبارين، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النجم: ٢٦] ثم قال: ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] فأتى به جمعاً وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤] ثم قال: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

كيف

استفهام عن حال الشيء، لا عن ذاته كما أن «ما» سؤال عن حقيقته، و«من» عن [مشخصاته] ^(١)؛ ولهذا لا يجوز أن يقال في الله: «كيف» ^(٢).

وهي مع ذلك منزلة منزلة الظرف، فإذا قلت: كيف زيد؟ كان «زيد» مبتدأ و«كيف» في محل الخبر والتقدير: على أي حال زيد؟

هذا أصلها في الوضع، لكن قد تعرض لها معان تفهم من سياق الكلام، أو من قرينة الحال مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما. وقال بعضهم: لها ثلاثة أوجه:

أحدها: سؤال محض عن حال نحو: كيف زيد؟.

وثانيها: حال لا سؤال معه كقولك: لأكرمك كيف أنت، أي على أي حال كنت.

ثالثها: معنى التعجب. [المردود للخلق] ^(٣)

وعلى هذين تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَخَذْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] قال الراغب في تفسيره: كيف هنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضى عدم المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك.

وقال في «المفردات» ^(٤): كل ما أخبر الله بلفظ «كيف» عن نفسه، فهو إخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخ نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ [آل عمران: ٨٦].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ [التوبة: ٧].

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [المنكوت: ٢٠].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [المنكوت: ١٩].

(١) في م: مستحقته.

(٢) انظر: «مفردات القرآن» (ص/٧٣٠).

(٤) (ص/٧٣٠).

(٣) سقط من المطبوع.

وقال غيره: قد تأتي للنفي والإنكار كقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٧] ، ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] .

ولتضمنها معنى الجحد شاع أن يقع بعدها «إلا» كقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ [التوبة: ٤] .
وللتوبيخ كقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠١] ، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمَّوَاتًا فَأَخَيَسْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] .

وللتحذير كقوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل: ٥١] .

وللتبنيه والاعتبار كقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] .

وللتأكيد وتحقيق ما قبلها كقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ آلِطَّارِ كَيْفَ نُدَشِّرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] فإنه توكيد لما تقدم، وتحقيق لما بعده على تأويل: إن الله لا يظلم الناس شيئاً في الدنيا فكيف في الآخرة!

وللتعظيم والتهويل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] أي: فكيف حالهم إذا جئنا؟ وقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس؟» (١) .

وقيل: وتجيء مصدراً كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ، ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠] .

وتأتي ظرفاً في قول سيبويه، وهي عنده في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] [البقرة: ٢٨] منصوبة على التشبيه بالظرف أي في حال تكفرون، وعلى الحال عند الأخفش، أي على حال تكفرون .

وجعل منه بعضهم قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] فإن شئت قدرت بعدها اسماً وجعلتها خبراً أي: كيف صنعكم أو حالكم، وإن شئت قدرت بعدها فعلاً تقديره: كيف تصنعون؟

وأثبت بعضهم لها الشرط، كقوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] : ﴿يَمْشُونَ فِي الْأَنْزَارِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] : ﴿فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨] .

وجوابه في ذلك محذوف لدلالة ما قبلها .

ومراد هذا القائل الشرط المعنوي، وهو إنما يفيد الربط فقط، أي: ربط جملة بأخرى

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) .

كأداة الشرط لا اللفظي، وإلا لجزم الفعل .

وعن الكوفيين: أنها تجزم نحو: كيف تكن أكن؟

وقد يحذف الفعل بعدها، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ٨] أي: كيف توالونهم؟

اللام (١)

قسمان: إما أن تكون عاملة، أو غير عاملة .

القسم الأول غير العاملة

وتجيء لعشرة معان، معرفة، ودالة على البعد، ومخففة، وموجبة، ومؤكدة، ومتممة، وموجهة ومسبوقة، والمؤذنة، والموظنة .

فالمعرفة: التي معها ألف الوصل عند من يجعل المعرفة اللام وحدها، وينسب لسيبويه، وذهب الخليل إلى أنه ثنائي، وهمزته همزة قطع وصلت لكثرة الاستعمال .

وتنقسم المعرفة إلى عهدية واستغراقية، وقد سبقا في قاعدة التنكير والتعريف، وزاد قوم طلب الصلة وجعل منه: ﴿رَكِبَا فِي السَّافِينَةِ﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿فَأَكَلَتْ الذُّبَابُ﴾ [يوسف: ١٧] .

وللإضمار: ﴿فَإِنَّ الْبَلْعِمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩] ولا خلاف أن الإضمار بعدها مراد، وإنما اختلفوا في تقديره: فعند الكوفيين «هي مأواه»، وعند البصريين «هي المأوى له» .

واللام في التعريف مرفقة لإف في اسم الله، فيجب تفخيمها إذا كان قبلها ضمة أو فتحة، وهي في الأسماء تفخيم الجرس، وفي المعنى توكير المسمى، وتعظيمه سبحانه!

والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة، إعلامًا بالبعد أو توكيدًا له على الخلاف فيه .

والمخففة: التي يجوز معها تخفيف «إن» المشددة نحو: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] .

وتسمى لام الابتداء والفارقة، لأنها تفرق بينها وبين إن النافية .

والمخففة: هي التي تحقق الخبر مع المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٣]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٩٥) .

والموجبة بمعنى «إلا» عند الكوفيين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]، ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] أي: ما كل، فجعلوا: «إن» بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلا» في الإيجاب.

وقرأ الكسائي^(١): (وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لَنْزُولٍ مِنْهُ أَلْجِبَالِ) بالرفع، والمراد «وما كان مكروهم إلا لنزول منه».

والمؤكدة: وهي الزائدة أول الكلام، وتقع في موضعين:

أحدهما: المبتدأ وتسمى لام الابتداء، فيؤذن بأنه المحكوم، [ق/٣٠٦] قال تعالى: ﴿لَمَسِيْدُ أَيْتَسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿لِيُؤَسِّفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ﴾ [يوسف: ٨]، ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الحشر: ١٣].

ثانيهما: في باب «إن» على اسمها إذا تأخر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [ال عمران: ١٣].

وعلى خيرها نحو: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ [هود: ٧٥]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

ف «إن» في هذا توكيد لما يليها واللام لتوكيد الخبر.

وكذا في «أن» المفتوحة كقراءة سعيد «إِلَّا أَنْتُمْ لَيَأْكُلُونَ» بفتح الهمزة، فإنه ألغى اللام؛ لأنها لا تدخل إلا على «إن» المكسورة أو على ما يتصل بالخبر، إذا تقدم عليه نحو: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْهَوْنَ﴾ [الحجر: ٧٢] فإن تقديره: «ليعمهون في سكرتهم».

واختلف في اللام في قوله: [﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾] [الحج: ١٣] فقيل: هي مؤخرة، والمعنى: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه.

وجاز تقديمها وإيلاؤها المفعول، لأنها لام التوكيد واليمين، فحقها أن تقع صدر الكلام.

واعترض بأن اللام في صلة «من» فتقدمها على الموصول ممتنع، وأجاب الزمخشري: بأنها حرف لا يفيد غير التوكيد، وليست بعاملة ك «من» المؤكدة في نحو: ما جاءني من أحد، دخولها وخروجها سواء؛ ولهذا جاز تقديمها.

ويجوز ألا تكون هنا موصولة، بل نكرة، ولهذا قال الكسائي: اللام في غير موضعها

(١) وهذه القراءة مما انفرد بها الكسائي وحده «الحجة» (٥/٣١) و«السبعة» (ص/٣٦٣).

(٢) سقط من م.

و«من» في موضع نصب بـ«يدعو»، والتقدير: يدعو من ضره أقرب من نفعه، أي: يدعو إليها ضره أقرب من نفعه.

قال المبرد: يدعو في موضع الحال، والمعنى في ذلك هو الضلال البعيد في حال دعائه إياه وقوله: «لن» مستأنف مرفوع بالابتداء، وقوله: «ضُرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» [الحج: ١٣] في صلته و«لَيْسَ الْمَوْتُ» خبره. وهذا يستقيم لو كان في موضع «يَدْعُوا» «يدعى» لكن مجيئه بصيغة فعل الفاعل، وليس فيه ضميره يبعده.

والمتممة كقوله تعالى: «إِذَا لَبَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» [الإسراء: ٤٢] «إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ» [الإسراء: ٧٥] فاللام هنا لتتميم الكلام.

قال الزمخشري^(١): «إذن» دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء.

والموجهة في جواب «لولا» كقوله تعالى: «وَلَوْلَا أَن تُبَيِّنَنَّكَ لَفَدَّ كِدْتُ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ» [الإسراء: ٧٤] فاللام في لقد توجه للتثبيت. [وسماها ابن الحاجب مؤذنة؛ لأنها تؤذن بأن ما دخلت عليه هو اللازم لما دخل عليه الأول، نحو: إن جئتني لأكرمك: فاللام مؤذنة بالدخول عليه اللازم المجيء^(٢)]

والمسبوقة في جواب «لو» كقوله تعالى: «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا» [الواقعة: ٦٥] أي: تفيد تأخره لأشد العقوبة، كقوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَغَدَّتْ الْأَرْضُ رُحْفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَذَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ» [يونس: ٢٤] وهذا بخلاف قوله: «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» [الواقعة: ٧٠] بغير لام، فإنه يفيد التعجيل أي: جعلناه أجاجًا لورقته.

والمؤذنة: الداخلة على أداة الشرط بعد تقدم القسم لفظًا أو تقديرًا، لتؤذن أن الجواب له لا للشرط، أو للإيذان بأن ما بعدها مبني على قسم قبلها. وتسمى [الموطئة]؛^(٣) لأنها وطأت الجواب للقسم أي: مهده.

وقول المعربين: إنها موطئة للقسم فيه تجوز، وإنما هي موطئة لجوابه، كقوله: «لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَصْرُوفُهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتِكُنَّ الْأَدْبَرَ» [العنكبوت: ١٢] وليست جوابًا للقسم، وإنما الجواب ما يأتي بعد الشرط، ويجمع هذه الأربعة المتأخرة قولك: لام الجواب.

(٢) سقط من المطبوع.

(١) الكشاف (٦٦٩/٢).

(٣) في م: الشرطية.

وقد اجتمعما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّرَبَّتِي لَسَفَعْنَا﴾ [العلق: ١٥] فاللام في «لئن» مؤذنة، وقوله: «نسفعاً» جواب القسم المقدر، تقديره: والله لنسفعن.

ومن جواب القسم قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٨٧] وزعم الشيخ أثير الدين في تفسيره: أنها لام التوكيد، وليس كما قال: وقد قال الواحدي في «البيسط»: إنها لام القسم، ولا يجوز أن تكون لام ابتداء؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الأسماء، وما يكون بمنزلتها كالمضارع.

القسم الثاني العاملة

وهي على ثلاثة أقسام: جارة، وناصبة، وجازمة.

الأولى الجارة: وتأتي لمعان:

للملك الحقيقي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ [الاعراف: ١٢٨]: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤].

والتملك نحو: وهبت لزيد ديناراً، ومنه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٠].

والاختصاص، ومعناها أنها تدل على أن بين الأول والثاني نسبة باعتبار ما دل عليه متعلقه، نحو: هذا صديق لزيد وأخ له، ومنه: الجنة للمؤمنين.

وللتخصيص ومنه: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الاحزاب: ٥٠].

وللاستحقاق كقوله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِلْمُطْفِقِينَ﴾ [المطففين: ١]، ﴿لَهُمُ الْآعْنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

والفرق بينه وبين الملك، أن الملك لما حصل وثبت وهذا لم يحصل بعد، لكن هو في حكم الحاصل من حيث ما قد استحق، قاله الراغب.

وللولاية كقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

ويجوز أن تجمع هذه الثلاثة كقولك: الحمد لله؛ لأنه يستحق الحمد ووليه والمخصوص به، فكانه يقول: الحمد لي وإلي.

وللتعليل: وهي التي يصلح موضعها «من أجل»، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] أي من أجل حب الخير.

وقوله: ﴿لَا يَلْبَسُ ثَرَاتِينَ﴾ [قريش: ١] وهي متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قريش: ٣] أو بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]؛ ولهذا كانتا في مصحف أبي سورة واحدة.

وضعف بأن جعلهم كعصف مأكول، إنما هو لكفرهم وتجروهم على البيت .
وقيل : متعلق بمحذوف أي «عجبوا» .

وقوله : ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ﴾ [الأعراف : ٥٧] أي : لأجل بلد ميت بدليل : ﴿فَأَزَلْنَا بِهِ الَّمَاءَ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

هذا قول الزمخشري ^(١) ، وهو أولى من قول غيره : إنها بمعنى «إلى» .

وقوله : ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَالِطِينَ حَصِيمًا﴾ [النساء : ١٠٥] أي : لا تخاصم الناس لأجل الخائنين .

قال الراغب : ومعناه كمعنى : ﴿وَلَا تُجِدِلْ عَنِ الْذِينِ يَخْتَاوُنَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء : ١٠٧]

وليست كالتي في قولك : لا تكن لله خصيماً لدخولها على المفعول أي : لا تكن خصيم الله .

وبمعنى «إلى» كقوله : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد : ٢] بدليل قوله :

﴿وَيُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البراهيم : ١٠] .

وقوله : ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُبُوْا عَنْهُ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

﴿الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف : ٤٣] .

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَانِ﴾ [ال عمران : ١٩٣] .

وقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة : ٥] بدليل : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل : ٦٨] وزيفه

الراغب ؛ لأن الوحي للنحل ، جعل ذلك له للتسخير والإلهام ، وليس كالوحي الموحى إلى

الأنبياء ، فاللام على جعل ذلك الشيء له بالتسخير .

وبمعنى «على» نحو : ﴿وَيَخْتَرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُمْ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات : ١٠٣] .

وقوله : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء : ٧] أي : فعلیها ؛ لأن السيئة

على الإنسان لا له ، بدليل قوله تعالى : ﴿فَمَلَكَ بِجِرَامِي﴾ [هود : ٣٥] .

وقوله : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت : ٤٦] وقوله : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

حَاضِرِي السَّجْدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة : ١٩٦] أي : [على] ^(٢) من لم يكن .

وقوله : ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٥] .

وبمعنى «في» كقوله : ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء : ٤٧] : ﴿يَلَيَّتْنِي فَمَتَّ

لِيَلَيَّتْنِي﴾ [الفجر : ٢٤] .

(٢) سقط من المطبوع .

(١) الكشاف (١١١/٢) .

﴿لَا يَجِيبُهَا لَوْفِيًّا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وبمعنى «بعد» نحو: ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقال ابن أبان: الظاهر أنها للتعليل.

وبمعنى «عن» مع القول، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا﴾ [الأحقاف: ١١] أي: عن الذين آمنوا، وليس المعنى خطابهم [ق/ ٣٠٧] بذلك، وإلا ل قيل: سبقتونا، وقيل: لام التعليل، وقيل: للتبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة.

وكقوله: ﴿قَالَتْ أُخْرِهِنَّ لِأَوْلَدِهِنَّ﴾ [الأعراف: ٣٨] وأما قوله: ﴿وَقَالَتْ أَوْلَدَهُنَّ لِأَخْرَجَهُنَّ﴾ [الأعراف: ٣٩] فاللام للتبليغ كذلك، قسمها ابن مالك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ [الكهف: ٧٥].

وغيره يسميها لام التبليغ، فإن عرف من غاب عن القول حقيقة أو حكماً فللتعليل نحو: ﴿وَقَالُوا لِأَخْرَجَهُنَّ إِذَا صَرَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ [هود: ٣١].

وذكر ابن مالك وغيره ضابطاً في اللام المتعلقة بالقول، وهو: إن دخلت على مخاطبة القائل فهي [لتعدية] القول للمقول له نحو: ﴿وَقُولُوا لَمْ يَكُنْ قَوْلًا مَثْرُوقًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿وَقَالُوا لِأَخْرَجَهُنَّ إِذَا صَرَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْرَجَهُنَّ وَقَعَدُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا ۗ ﴿٣٧﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وهو كثير.

وبمعنى «أن» المفتوحة الساكنة، قاله الهروي وجعل منه: ﴿يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٨]. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يُخَيِّبَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

﴿وَأْمَرْنَا لِلتَّسْلِيمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وهذه اللام لا تكون إلا بعد «أردت»، و«أمرت»، وذلك لأنها يطلبان المستقبل، ولا يصلحان في الماضي، فهذا جعل معهما بمعنى «أن» وبذلك صرح صاحب «الكشاف» في تفسير سورة الصف فقال: ﴿يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٨] أصله: يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة.

(١) في م: لتعليل.

(٢) الكشاف (٤/ ٥٢٥).

وللتعدية: وهي التي تعدى العامل إذا عجز نحو: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] فاللام فيه للتعدية؛ لأن الفعل يضعف بتقديم المفعول عليه.

وسماها ابن الأنباري: آلة الفعل، وذكر أن البصريين يسمونها لام الإضافة كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان: ١٤]؛ ﴿أَنْ أَصْحَ لَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وقال الراغب: التعدية ضربان: تارة لتقوية الفعل، ولا يجوز حذفه، نحو: ﴿وَتَلَّهُمُ الْجَحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣] وتارة يحذف نحو: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فأثبت في موضع، وحذف في موضع انتهى.

وللتبيين، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] أي أقبل وتعال أقول لك.

وذكر ابن الأنباري أن اللام المكسورة تحيء جواباً للقسم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ﴾ [النجم: ٣١] والمعنى «ليجزين» بفتح اللام والتوكيد بالنون، فلما حذف النون أقام المكسورة مقام المفتوحة.

وهذا ضعيف، وذكر مثله عن أبي حاتم.

ويحتمل أن يكون قبلها فعل مقدر أي: آمنوا ليجزي.

الثاني: الناصبة على قول الكوفيين في موضعين: لام كي ولام الجحود.

ولام الجحود: هي الواقعة بعد الجحد أي: النفي، كقوله: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿لَوْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [النساء: ١٣٧].

وضابطها: أنها لو سقطت تم الكلام بدونها، وإنما ذكرت توكيداً لنفي الكون بخلاف

لام كي.

قال الزجاج^(١): اللام في قوله: ﴿مَّا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] لام كي؛

لأن لام الجحود إذا سقطت لم يخل الكلام، ولو سقطت اللام من الآية بطل المعنى؛ ولأنه يجوز إظهار «أن» بعد لام «كي»، ولا يجوز بعد لام الجحود، لأنها في كلامهم نفي للفعل المستقبل، فالسين بإزائها فلم يظهر بعدها ما لا يكون بعدها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] فجاء بلام الجحد، حيث كانت نفيًا لأمر متوقع مخوف في المستقبل، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فجاء باسم الفاعل الذي لا يختص بزمان، حيث أراد نفي العذاب بالمستغفرين على العموم في الأحوال.

(١) معاني القرآن (٤/ ٣٤٤).

ومثله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ [هود: ١١٧] ثم قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ [القصص: ٥٩].

ومثال لام «كي» و«كي» مضمرة معها قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف: ٢] و﴿لِيُنشِئَ بِهِ قَوْمًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ [يوسف: ٢٤]، ﴿لِيَسِينَ لَهُمُ الَّذِي يُحْتَفِلُونَ فِيهِ وَيُعَلِّمَهُ﴾ [النحل: ٣٩].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: ١٤٣] يريد: «كي تكونوا». وقوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ [يونس: ٩٢] آية.

وقد نجيء معها «كي» نحو: ﴿لِيَكُنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠] ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الاحزاب: ٣٧] ﴿لِيَكِيلًا تَحْرَبُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ﴾ [آل عمران: ١٥٣]. وربما جاءت «كي» بلا لام، كقوله: ﴿كُنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَعْيُنَاءِ﴾ [الحشر: ٧] وفي معناه لام الصيرورة كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا﴾ [القصص: ٨]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦].

وتسمى لام العاقبة، فإن من المعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، بل لضده بدليل قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُمُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].

وحكى ابن قتيبة عن بعضهم أن علامتها جواز تقدير الفاء موضعها، وهو يقتضي أنها لام التعليل، لكن الفرق بينها وبين لام التعليل التي في نحو قوله: ﴿لِيُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا﴾ [الفرقان: ٤٩] أن لام التعليل تدخل على ما هو غرض لفاعل الفعل ويكون مرتباً على الفعل، وليس في لام الصيرورة إلا الترتب فقط. وقال الزمخشري في تفسير سورة المدثر^(١): أفادت اللام [نفس] العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضاً، ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد مخافة الشر؟ فقد جعلت المخافة علة لخروجك، وما هي بغرضك.

ونقل ابن فورك عن الأشعري: أن كل لام نسبها الله إلى نفسه فهي للعاقبة والصيرورة دون التعليل لاستحالة الغرض. [فكان المخبر في لام الصيرورة الترتيب فقط]^(٣).

واستشكله الشيخ عز الدين بقوله: ﴿كُنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً﴾ [الحشر: ٧] وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١-٢] فقد صرح فيه بالتعليل ولا مانع من ذلك؛ إذ هو على وجه التفضل.

(٢) في م: معنى.

(١) الكشاف (٤/٦٥٢).

(٣) سقط من المطبوع.

وأقول: ما جعلوه للعاقبة هو راجع للتعليل، فإن التقاطهم أفضى إلى عداوته، وذلك يوجب صدق الإخبار بكون الالتقاط للعداوة؛ لأن ما أفضى إلى الشيء يكون علة، وليس من شرطه أن يكون نصب العلة صادراً عن نسب الفعل إليه لفظاً، بل جاز أن يكون ذلك راجعاً إلى من ينسب الفعل إليه خلقاً كما تقول: جاء الغيث لإخراج الأزهار، وطلعت الشمس لإنضاج الثمار، فإن الفعل يضاف إلى الشمس والغيث. [جعلهما عني معلوماً خالقهما وخالقه الفعل المنسوب إليهما] (١).

كذلك التقاط آل فرعون موسى، فإن الله قدره لحكمته وجعله علة لعداوته، لإفضائه إليه بواسطة حفظه وصيانه كما في مجيء الغيث بالنسبة إلى إخراج الأزهار، وإليه يشير الزمخشري أيضاً؛ التحقيق أنها لام العلة، وأن التعليل بها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط كونه لهم عدواً وحرزاً، بل المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل.

وقال ابن خالويه في كتاب «المبتدأ» في النحو: فأما قوله تعالى: ﴿فَالْقَطْعُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ﴾ [القصر: ٨] فهي لام كي عند الكوفيين، ولام الصيرورة عند البصريين، والتقدير: فصار عاقبة أمرهم إلى ذلك؛ لأنهم لم يلتقطوه لكي يكون عدواً، انتهى.

وجوز [ق/ ٣٠٨] ابن الدهان في الآية وجهاً غريباً على التقديم والتأخير أي: فالتقط آل فرعون و ﴿عَدُوًّا وَحَرَزًا﴾ [القصر: ٨] حال من الهاء في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ أي: لئتملكوه.

قال: ويجوز أن يكون التقدير: فالتقطه آل فرعون لكرهه أن يكون لهم عدواً وحرزاً. وأما قوله: ﴿لِيَنفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢] فحكى الهروي عن أبي حاتم: أن اللام جواب القسم، والمعنى: ليغفرن الله لك، فلما حذف النون كسرت اللام وإعمالها إعمال «كي»، وليس المعنى فتحنا لك لكي يغفر الله لك، فلم يكن الفتح سبباً للمغفرة.

قال: وأنكره ثعلب، وقال: هي لام «كي» ومعناه: لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع حسن معه «كي».

وكذلك قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

وأما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨] فقال الفراء: لام كي (٢).

(٢) معاني القرآن (١/٤٧٧).

(١) سقط من المطبوع.

وقال قطرب والأخفش (١): لم يؤتوا المال ليضلوا، ولكن لما كان عاقبة أمرهم الضلال، كانوا كأنهم أوتوها لذلك، فهي لام العاقبة.

هذا كله على مذهب الكوفيين، وأما البصريون فالنصب عندهم بإضمار «إن» وهما جارتان للمصدر، واللام الجارة هي لام الإضافة.

واعلم أنَّ الناجبة للمضارع تجيء لأسباب:

منها: القصد والإرادة، إما في الإثبات نحو: ﴿وَلْيُنذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٢] أو النفي نحو: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آيَاتِنَا الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ﴾ [البقرة: ١٢٣] فهو على تقدير حذف المضاف أي لنعلم ملائكتنا وأوليائنا. ويجوز أن يكون تعالى خاطب الخلق بما يشاكل طريقتهم في معرفة البواطن والظواهر على قدر فهم المخاطب.

وقد تقع موقع «أن»، وإن كانت غير معلولة لها في المعنى، وذلك إن كان الكلام متضمناً لمعنى القصد والإرادة، نحو: ﴿وَأْمُرْنَا لِئَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ [التوبة: ٥٥]. ومنها العاقبة على ما سبق.

الثالث: الجازمة؛ وهي الموضوع للطلب، وتسمى لام الأمر؛ وتدخل على المضارع لتؤذن أنه مطلوب للمتكلم؛ وشرطها أن يكون الفعل لغير الفاعل المخاطب؛ فيقولون: لتضرب [عمر، وتضربن ولاضرب أنا]. إلا في لغة حنيفة يدخلونها على الفعل. وإن للفاعل المخاطب فيقولون: لتضرب أنت [٢]، ومنه قراءة بعضهم: «فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا». ووصفها أن تكون مكسورة إذا ابتدئ بها؛ نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]. ﴿لِيَسْتَذِينَكُمْ﴾.

وتسكن بعد الواو والفاء؛ نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ويجوز الوجهان بعد «ثم»، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، قرئ في السبع بتسكين ﴿لِيَقْضُوا﴾ وبتحريكه.

وتجيء لمعاج:

منها: التكليف؛ كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾.

ومنها: أمر المكلف نفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [المتجرب: ١٢].

(١) معاني القرآن (١/٣٧٧-٣٧٨).

(٢) سقط من المطبوع.

والابتهاال وهو الدعاء نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].
 والتهديد نحو: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].
 والخبر نحو: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي: يمد. ويحتمله
 ﴿وَلَنَحْمِلَ﴾ أي: ونحمل. ويجوز حذفها ورفع الفعل، ومنه قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف
 ١١]: ويدل على أنه للطلب قوله تعالى بعد: ﴿نَنْفِرُ كَثْرًا﴾ مجزومًا، فلولا أنه طلب لم يصح الجزم؛
 لأنه ليس ثم وجه سواه.

لا (١)

على ستة أوجه:

أحدهما: أن تكون للنفي وتدخل على الأسماء والأفعال.

فالدخلة على الأسماء تكون عاملة وغير عاملة.

فالعامة قسامًا:

تارة تعمل عمل «إن» وهي النافية للجنس، وهي تنفي ما أوجبه «إن»؛ فلذلك تشبه بها
 في الأعمال نحو: ﴿لَا تُغْرِبْ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣]: ﴿لَا جَرَمَ
 أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [الحل: ٦٢].

ويكثر حذف خبرها إذا علم نحو ﴿لَا صَبْرًا﴾ [الشعراء: ٥٠]: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١] وتارة
 تعمل عمل «ليس».

وزعم الزمخشري في «المفصل» أنها غير عاملة.

وكذا قال الحريري في «الدرة»: إنها لا تأتي إلا لنفي الوحدة.

قال ابن برى: وليس بصحيح بل يجوز أن يريد منه العموم كما في النصب، وعليه قال:
 «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»، يعني فإنه نفى الجنس لما عطف.

وكذلك قولك: «لا رجل في الدار ولا امرأة»، تفيد نفى الجنس، لأن العطف أفهم
 للعموم. وعن نص على ذلك أبو البقاء في «المحصل» ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ
 وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] قرئ بالرفع والنصب فيهما (٢)، والمعنى فيهما واحد.

(١) الجنبي الداني (ص/ ٢٩٠).

(٢) قرأ أبو عمرو وابن كثير: «لا يبيع فيه ولا خلة فيه ولا شفاعة» بالنصب في كل ذلك بلا تنوين.

وقرأ نافع وابن عامر وحزرة والكسائي كل ذلك بالرفع والتنوين. «الحجة» (٢/ ٢٥٤) و«السبعة» (ص/
 ١٨٧).

وقال ابن الحاجب: ما قاله الزمخشري لا يستقيم ولا خلاف عند أصحاب الفهم أنه يستفاد العموم منه [كما في المبنية على الفتح، وإن كانت المبنية أقوى في الدلالة عليه، إما لكونه نصًّا أو لكونه أقوى ظهورًا، وسبب العموم أنها نكرة] ^(١) في سياق النفي فتعم .
وقال ابن مالك في «التحفة»: قد تكون المشبه بـ «ليس» نافية للجنس، ويفرق فيها بين إرادة الجنس وغيره بالقرائن، هذا كله في العاملة .

وأما غير العاملة، فيرفع الاسم بعدها بالابتداء إذا لم يرد نفي العموم، ويلزم التكرار ثم تارة تكون نكرة كقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَفَّرُونَ﴾ [الصفات: ٤٧]، ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] .

وتارة تكون معرفة كقوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] .

ولذلك يجب تكرارها إذا وليها نعت، نحو: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحُرُبَ﴾ [البقرة: ٧١] .

فإن قيل: لم لم تكررهما وقد أوجبا تكرارهما في الصفات؟

وجوابه أنه من الكلام المحمول على المعنى، والتقدير: لا تثير الأرض، ولا ساقية للحرث، أي لا تثير ولا تسقي .

وقال الراغب ^(٢): هي في هذه الحالة تدخل في المتضادين، ويراد بها إثبات الأمرين هما جميعًا نحو: زيد ليس بمقيم ولا ظاعن، أي: تارة يكون كذا، وتارة يكون كذا، وقد يراد إثبات حالة بينهما نحو: زيد ليس بأبيض ولا أسود .

ومنها قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] قيل: معناه أنها شرقية وغربية . وقيل: معناه مصونة عن الإفراط والتفريط . وأما الداخلة على الأفعال فتارة تكون لنفي الأفعال المستقبلية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]؛ لأنه جزاء فلا يكون إلا مستقبلًا .

ومثله: ﴿لَيْنٌ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] .

وقد ينفي المضارع مرادًا به نفي الدوام، كقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٣] .

وقد يكون للحال، كقوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]، ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرِّقِ﴾ [المعارج

٤٠: ﴿فَلَا أَمْسِدُ بَمَوْجِ الثُّجُورِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥].
 وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأَنْ تَقْتُلُونَ﴾ [النساء: ٧٥] يصح أن تكون في موضع الحال أي: مالكم غير مقاتلين؟

وقيل: ينفي بها الحاضر على التشبيه بـ «ما» كقولك في جواب من قال: زيد يكتب الآن: لا يكتب.

والنفي بها يتناول فعل المتكلم نحو: لا أخرج اليوم ولا أسافر غداً، ومنه قوله تعالى
 ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

وفعل المخاطب كقولك: إنك لا تزورنا، ومنه قوله تعالى: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْهَى﴾ [الأعلى: ٦]، ﴿فَأَنْتَدُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا يَسُلْطَنُ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وتدخل على الماضي في القسم والدعاء، نحو: والله لا صليت ونحو: لا ضاق صدرك.
 وفي غيرها نحو: ﴿فَلَا مَدَدَ وَلَا مَدَدًا﴾ [القيامة: ٣١].

والأكثر تكرارها، وقد جاءت غير مكررة في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١].
 قال الزمخشري: لكنها مكررة في المعنى؛ لأن المعنى: لا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك. وقيل: إنه دعاء، أي أنه يستحق أن يدعى عليه [ق/ ٣٠٩] بأن يفعل خيراً.

وقد يراد الدعاء في المستقبل والماضي، كقولك: لا فض الله فاك. وقوله: «لا يبعدن قومي».

الثانية: أن تكون للنهي، ينهى بها الحاضر والغائب، نحو: لا تقم ولا يقم. وقال تعالى:
 ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتنحة: ١].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨].
 ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ [١٦] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

﴿لَا يَسْحَرَنَّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١].

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

﴿يَسْبِقَنَّ أَدَمَ لَا يَقِينَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿لَا يَحِطُّكُمْ سُلَيْمَنُ﴾ [النمل: ١٨].

وتخلص المضارع للاستقبال، نحو: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: ٧].
وترد للدعاء: نحو: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ؛ ولذلك قال بعضهم: «لا الطلبية» ليشمل النهي وغيره.

وقد تحتل النفي والنهي، كقوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [مرد: ٢]: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقْبِلُونَ﴾ [النساء: ٧٥].

الثالثة: أن تكون جوابية أي: رد في الجواب مناقض لـ «نعم» أو بلى، فإذا قال مقررًا: ألم أحسن إليك؟ قلت: لا أو بلى، وإذا قال مستفهمًا: هل زيد عندك؟ قلت: لا أو نعم، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤].

الرابعة: أن تكون بمعنى «لم»؛ ولذلك اختصت بالدخول على الماضي نحو: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١] أي لم يصدق ولم يصل.
ومثله: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١].

الخامسة: أن تكون عاطفة تشرك ما بعدها في إعراب ما قبلها، وتعطف بعد الإيجاب نحو: يقوم زيد لا عمرو، وبعد الأمر نحو: اضرب زيدًا لا عمرًا، وتنفي عن الثاني ما ثبت للأول نحو: خرج زيد لا بكر.

فإن قلت: ما قام زيد ولا بكر، فالعطف للواو دونه، لأنها أم حروف العطف.

السادسة: أن تكون زائدة في مواضع:

الأول: بعد حرف العطف المتقدم عليه النفي أو النهي، فتجيء مؤكدة له كقولك: ما جاءني زيد ولا عمرو، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ [سبا: ٣٧].

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال أبو عبيدة^(١): وقيل: إنما دخلت هنا مزيلة لتوهم أن «الضالين» هم «المغضوب عليهم»، والعرب تنعت الواو وتقول: مررت بالظريف والعاقل، فدخلت لإزالة التوهم. وقيل: لثلاث يتوهم عطف «الضالين» على «الذين».

ومثال النهي قوله تعالى: ﴿لَا تَجْلُوا سَعْتَكُمْ اللَّهُ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْفَلَيْحَ﴾ [المائدة:

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٥-٢٧).

[٢:] ف «لا» زائدة وليست بعاطفة، لأنها إنما يعطف بها في غير [النهى] ^(١)، وإنما دخلت هنا لنفي احتمال أن يكون المقصود نفي مجيئها جميعاً، تأكيداً للظاهر من اللفظ ونفيًا للاحتمال الآخر، فإنه يفيد النفي عن كل واحد منها نصاً، ولو لم يأت بـ«لا» لجاز أن يكون النفي عنها على جهة الاجتماع، ولكنه خلاف الظاهر؛ فلذلك كان يقول ببقاء الزيادة أولى لبقاء الكلام بإثباتها على حالة عند عدمها، وإن كانت دلالة عند مجيئها أقوى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤] فمن قال: المراد أن الحسنه لا تساوي السيئة ف «لا» عنده زائدة، ومن قال: إن جنس الحسنه لا يستوي إفراده و جنس السيئة لا يستوي إفراده، وهو الظاهر من سياق الآية فليست زائدة، والواو عاطفة جملة على جملة، وقد سبق فيها مزيد كلام في بحث الزيادة.

وأما قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ...﴾ الآية [غانر: ٥٨] فالأولى والثانية غير زائدة، والثالثة والرابعة والخامسة زائدة.

وقال ابن السجري: قد تجيء مؤكدة النفي في غير موضعها الذي تستحقه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَافِقِينَ﴾ [غانر: ٥٨]؛ لأنك لا تقول: ما يستوي زيد ولا عمرو [ولا تقول: ما يستوي زيد، فتقتصر على واحد. ومثله: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر: ٢٠-٢١]؛ ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَفْلَحْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

وقال غيره: «لا» هاهنا صلة؛ لأن المساواة لا تكون إلا بين شيئين فالمعنى: ولا الظلمات والنور حتى تقع المساواة بين شيئين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ ولو قلت: ما يستوي زيد ولا عمرو؛ ^(٢) لم يجوز إلا على زيادة «لا».

الثاني: بعد «أن» المصدرية الناصبة للفعل المضارع، كقوله تعالى:

﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقيل: إنما زيدت توكيداً للنفي المعنوي الذي تضمنته ﴿مَنَعَكَ﴾ بدليل الآية الأخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥].

وقال ابن السيد: إنما دخلت لما يقتضيه معنى المنع لا يحتمل حقيقة اللفظ، لأن المنع من

(١) في م: النفي.

(٢) سقط من م.

الشيء بأمر المنوع بالأفعال مهما كان المنع في تأويل الأمر بترك الفعل، والحمل على تركه
أجراه مجراها.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: لئن لم؛ لأن المعنى يتم
بذلك.

وقيل: ليست زائدة والمعنى عليها.

وهذا كما تكون محذوفة لفظاً مرادة معنى، كقوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾
[النساء: ١٧٦] المعنى: ألا تضلوا؛ لأن البيان إنما يقع لأجل ألا تضلوا.

وقيل: على حذف مضاف أي كراهة أن تضلوا.

وأما السيرافي فجعلها على بابها حيث جاءت، زعم أن الإنسان إذا فعل شيئاً لأمر ما قد
يكون فعله لضده، فإذا قلت: جئت لقيام زيد، فإن المعنى أن المجيء وقع لأجل القيام، وهل
هو لأن يقع أو لثلا يقع محتمل، فمن جاء للقيام فقد جاء لعدم القيام، ومن جاء لعدم القيام
فقد جاء للقيام، برهان ذلك أنك إذا نصصت على مقصودك فقلت: جئت لأن يقع أو أردت
أن يقع فقد جئت لعدم القيام [أي: لأن يقع عدم القيام وهو أعنى عدم الوقوع طلب وقوعه.
وإن قلت: وقصدي ألا يقع القيام، ولهذا جئت فقد جئت لأن يقع عدم القيام] (١)
فيتصور أن تقول: جئت للقيام تعنى به عدم القيام.

وكذا قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: يبين الضلال، أي لأجل الضلال يقع
البيان، هل هو لوقوعه أو عدمه؟ المعنى يبين ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: فعل الله هذا لعدم علمهم، هل وقع أم
لا؟

وإذا علموا أنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله يبين لهم أنهم لا يعلمون، فقوله:
﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ باقي على معناه ليس فيه زيادة.

الثالث: قبل قسم كقوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١] المعنى: أقسم بدليل قراءة ابن
كثير «لأقسم» (٢) وهي قراءة قديمة لا يضعفها عدم نون التوكيد مع اللام، لأن المراد بأقسم
فعل الحال ولا تلزم النون مع اللام.

وقيل: إنها غير زائدة بل هي نافية.

(١) سقط من م.

(٢) «الحجة» ٦/٣٤٣ و«السبعة» (ص/٦٦١).

وقيل: على بابها ونفى بها كلاماً تقدم منهم، كأنه قال: ليس الأمر كما قلتم من إنكار القيامة ف ﴿لَا أَقِيمُ﴾ جواب لما حكى من جردهم البعث، كما كان قوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتُونٌ﴾ [القلم: ٧] جواباً لقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْتُونٌ﴾ [الحجر: ٦]؛ لأن القرآن يجري مجرى السورة الواحدة، وهذا أولى من دعوى الزيادة، لأنها تقتضي الإلغاء، وكونها صدر الكلام يقتضي الاعتناء بها، وهما متنافيان.

قال ابن الشجري: وليست «لا» في قوله: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَوْفِعِ الشُّجُورِ﴾ [الواقعة: ٧٥] وقوله: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّيَ الشَّرِيقَ﴾ [المعارج: ٤٠] ونحوه بمنزلتها في قوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] كما زعم بعضهم؛ لأنها ليست في أول السورة لمجيئها بعد الفاء، والفاء عاطفة كلمة على كلمة تخرجها عن كونها بمنزلتها في: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فهي إذن زائدة للتوكيد. وأجاز الخارزجي في: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كون «لا» فيه بمعنى الاستثناء فحذفت الهمزة وبقيت «لا».

وجعل الزغشري (١) «لا» في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] [ق/ ٣١٠] مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في ﴿ثَلَاثًا بَعَلًا﴾ لتأكيد وجوب العلم و ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم ثم قال.

فإن قلت: هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر «لا» في ﴿لا يؤمنون﴾؟

وأجاب: بأنه يمنع من ذلك استواء النفي والإثبات فيه، وذلك قوله: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا بُشِّرُونَ وَمَا لَا بُشْرُونَ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠] انتهى، وقد يقال: هب أنه لا يتأتى في آية الواقعة، فما المانع من تأتية في النساء؟ إلا أن يقال: استقر بأية الواقعة أنها تزداد لتأكيد معنى القسم فقط، ولم يثبت زيادتها متظاهرة لها في الجواب.

السابعة: تكون اسماً في قول الكوفيين، أطلق بعضهم نقله عنهم.

وقيل: إن ما قالوه إذا دخلت على نكرة، وكان حرف الجر داخلاً عليها نحو: غضبت من لاشيء، وجئت بلا مال، وجعلوها بمنزلة «غير» (٢). وكلام ابن الحاجب يقتضي أنه أعم من ذلك، فإنه قال: جعلوا «لا» بمعنى «غير»؛ لأنه يتعذر فيها الإعراب، فوجب أن يكون إعرابها على ما هو من تتمتها، وهو ما بعدها كقولك: جاءني رجل لا عالم ولا عاقل.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ﴾ [البقرة: ٦٨]: ﴿وظَلَّ بَيْنَ يَمِينِهِ ۖ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤]: وقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣٣].

(٢) سقط من م.

(١) الكشف (١/٥٢٩).

لات (١)

قال سيبويه (٢): «لات» مشبهة بـ «ليس» في بعض المواضع، ولم تتمكن ثمكتها ولم يستعملوها إلا مضمراً فيها؛ لأنها كـ «ليس» في المخاطبة والإخبار عن غائب، ألا ترى أنك تقول: ليست وليسوا، وعبد الله ليس ذاهباً فتبنى عليها، ولات فيها ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣٠] أي ليس حين مهرب.

وكان بعضهم يرفع «حين»؛ لأنها عنده بمنزلة «ليس» والنصب بها الوجه.

لا جرم

جاءت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها، ولم يجيء بعدها فعل: الأول: في هود وثلاثة في النحل والخامس في غافر، وفيه فسرهما الزمخشري. وذكر اللغويون والمفسرون في معناها أقوالاً:

أحدها: أن «لا» نافية ردّاً للكلام المتقدم و«جرم» فعل معناه حق، و«أن» مع في حيزها فاعل أي: حق ووجب بطلان دعوته، وهذا مذهب الخليل وسيبويه والأخفش، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرِمٌ﴾ [هود: ٢٢] معناه أنه رد على الكفار وتحقيق لحسراتهم.

الثاني: أن «لا» زائدة و«جرم» معناه كسب أي: كسب عملهم الندامة وما في خبرها على هذا القول في موضع نصب، وعلى الأول في موضع رفع.

الثالث: لا جرم كلمتان ركبنا وصار معناهما حقاً، وأكثر المفسرين يقتصر على ذلك. والرابع: أن معناها «لا بد»، وأن الواقعة بعدها في موضع نصب بإسقاط الخافض.

لو (٣)

على خمسة أوجه:

أحدها: الامتناعية، واختلف في حقيقتها، فقال سيبويه: هي حرف لما كان سيقع لوقوع

غيره.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٤٨٥).

(٢) انظر: «الجنى الداني» (١/ ٥٧).

(٣) صنف فيها الإمام السبكي رسالة أسماها: «كشف القناع في حكم لو للمتناع» ولخصها ابنه في «طبقات الشافعية» وهذا الملخص مما يحسن إيراده هنا، قال ابن السبكي: «سمعت الشيخ الوالد يقول بعد أن ذكر اختلاف النحاة في «لو» تتبع مواقع «لو» من الكتاب العزيز والكلام الفصيح فوجدت المستمر فيها انتفاء الأول وكون

ومعناه كما قال الصَّفَّار: أنك إذا قلت: لو قام زيد قام عمرو، دلت على أن قيام عمرو

وجوده لو فرض مستلزماً لوجود الثاني. وأما الثاني فإن كان الترتيب بينه وبين الأول مناسباً ولم يخلف الأول غيره، فالثاني منتفٍ في هذه الصورة كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وكقول القائل: لو جئتني لأكرمك لكن المقصود الأعظم في المثال الأول نفي الشرط رداً على من ادعاه، وفي المثال الثاني أن الموجب لانتفاء الثاني هو انتفاء الأول لا غير وإن لم يكن الترتيب بين الأول والثاني مناسباً لم يدل على انتفاء الثاني بل على وجوده من باب الأولى كقوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» فإن المعصية منتفية عند عدم الخوف، فعند الخوف أولى. وإن كان الترتيب مناسباً ولكن للأول عند انتفائه شيء آخر يخلفه بما يقتضي وجود الثاني كقولنا: لو كان إنساناً لكان حيواناً فإنه انتفاء الإنسانية قد يخلفها غيرها مما يقتضي وجود الحيوانية.

قال: وهذا ميزان مستقيم مطرد حيث وردت «لو» وفيها معنى الامتناع وخاصيتها فرض ما ليس بواقع واقعاً إما في الماضي والحال وهو الأكثر أو المستقبل وهو قليل كقوله:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا
لظل صدى صوتي ولو كنت رمة
وقوله:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
إلى غير ذلك من الأمثلة

وقد ترد «لو» بمعنى إن لمجرد الربط كقوله: ولو باتت بأطهار [فليست من هذا القسم؛ لأن امتناع الأول غير مقصود فيها بوجه والاستقبال الذي دل عليه: «إذا حاربوا» وإنكار كون «لو» امتناعية جحد للضروريات ودعوى ذلك مطلقاً منقوضة بما لا قبل به والضابط في ما ذكرته وأنشد لنفسه:

مدلول لو ربط وجود ثان
مع انتفاء ذلك المقدم
أما الجواب إن يكن مناسباً
فاحكم له بالنفي أيضاً واعلم
أو لم يكن مناسباً فواجب
وفي مناسب له إذ يفقد
هذا جواب لو بتقسيم حصل
ومعظم المقصود فيما يجب
مثاله نعم الذي لو لم يخف
ومعظم المقصود في الممتنع
كلو يكون فيهما شريك
أو أن ذلك النفس حقاً أثرا
كلو أتيتني لكنت تكرم

قلت: وهذا ملخص ما ذكره في كتاب كشف القناع في حكم لو للامتناع ولا أعرف الآن في بلاد الشام نسخة من هذا الكتاب؛ فلذلك كتبت هذا ليستفاد فهو كما تراه في التحقيق. ١. هـ.

طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢٧٧-٢٨٠).

كان يقع لو وقع من زيد . وأما أنه إذا امتنع قيام زيد ، هل يمتنع قيام عمرو أو يقع القيام من عمرو بسبب آخر؟ فمسكوت عنه لم يتعرض له اللفظ .

وقال غيره : هي لتعليق ما امتنع بامتناع غيره .

وقال ابن مالك : هي حرف شرط يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه .

وهي تسمى امتناعية شرطية ، ومثاله قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٧٦] دلت على أمرين :

أحدهما : أن مشيئة الله لرفعه منتفية ، ورفعه منتف ؛ إذ لا سبب لرفعه إلا المشيئة .

الثاني : استلزام مشيئة الرفع للرفع ، إذ المشيئة سبب ، والرفع مسبب ، وهذا بخلاف :

«لو لم يخف الله لم يعصه» ؛ إذ لا يلزم من انتفاء «لم يخف» انتفاء «لم يعص» ، حتى يكون خاف وعصى ؛ لأن انتفاء العصيان له سببان : خوف العقاب والإجلال ، وهو أعلى ، والمراد أن صهيياً لو قدر خلوه عن الخوف لم يعص للإجلال كيف والخوف حاصل ؟

ومن فسرها بالامتناع اختلفوا فقال الأكثرون : إن الجزاء وهو الثاني امتنع لامتناع الشرط ، وهو الأول فامتنع الثاني وهو الرفع ، لامتناع الأول وهو المشيئة .

قال ابن الحاجب ومن تبعه ، كابن جمعة الموصلي وابن خطيب زملكا : امتنع الأول لامتناع الثاني ، قالوا : لأن امتناع الشرط لا يستلزم امتناع الجزاء لجواز إقامة شرط آخر مقامه ، وأما امتناع الجزاء فيستلزم امتناع الشرط مطلقاً .

وَذَكَرُوا أَنَّ لَهَا مَعَ شَرْطِهَا وَجُوبَهَا أَرْبَعَةَ أَحْوَالٍ :

أحدها : أن تتجرد من النفي نحو : لو جئتني لأكرمتك ، وتدل حينئذ على انتفاء الأمرين ، وسموها حرف وجوب لوجوب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] .

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُمْ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦] .

وقوله : ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧] أي ما هداني بدليل قوله بعده : ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي﴾ [الزمر: ٥٩] ؛ لأن «بلى» جواب للنفي .

وثانيها : إذا اقترن بها حرف النفي تسمى حرف امتناع لامتناع نحو : لو لم تكرمني لم أكرمك فيقتضي ثبوتها ؛ لأنها للامتناع ، فإذا اقترن بهما حرف نفي سلب عنهما الامتناع ، فحصل الثبوت ؛ لأن سلب السلب إيجاب .

ثالثها : أن يقترن حرف النفي بشرطها دون جوابها ، وهي حرف امتناع لوجوب نحو : لو

تكرمني أكرمك . ومعناه عند الجمهور : انتفاء الجزاء وثبوت الشرط .

رابعها : عكسه وهو حرف وجوب لامتناع نحو : لو جئتني لم أكرمك ، فيقتضي ثبوت الجزاء وانتفاء الشرط ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَوْكَأُوا يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة : ٨١] .

واعلم أن تفسير سيبويه لها مطرد في جميع مواردنا ، ألا ترى أن مفهوم الآية عدم نفاذ كلمات الله مع فرض شجر الأرض أقلاماً والبحر مدوداً بسبعة أبحر مداداً ، ولا يلزم الأيقع عدم نفاذ الكلمات ، إذا لم يجعل الشجر أقلاماً والبحر مداداً .

وكذا في « نعم العبد صهييب » فإن مفهومه أن عدم العصيان كان يقع عند عدم الخوف ، ولا يلزم ألا يقع عدم العصيان إلا عند الخوف وهكذا الباقي .

وأما تفسير من فسرها بأنها حرف امتناع لامتناع ، وذكر لها هذه الأحوال الأربعة فلا يطرد ، وذلك لتخلف هذا المعنى في بعض الموارد ، وهو كل موضوع دل الدليل فيه على أن الثاني ثابت مطلقاً ، إذ لو كان منفيّاً لكان النفاذ حاصلًا ، والعقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفذ مع كثرة هذه الأمور فلأن تنفذ مع قلتها وعدم بعضها أولى .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَتَابِعَ وَكَلَّمَهُمُ النَّوْقَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ [الأنعام : ١١١] .

وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعْتَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾ [الأنفال : ٢٣] فإن التولي عند عدم الإسماع أولى .

وأما قوله : « نعم العبد صهييب لو لم يخف الله لم يعصبه »^(١) ، فنفي العصيان ثابت ، إذ لو انتفى نفي العصيان لزم وجوده وهو خلاف ما يقتضيه سياق الكلام في المدح .

ولما لم يطرد لهم هذا التفسير مع اعتقادهم صحته ، اختلفوا في تخريجها على طرق [ق/ ٣١١] :

الأول : دعوى أنها في مثل هذه المواضع أعنى الثابت فيها .

الثاني : دائماً إنما جاءت لمجرد الدلالة على ارتباط الثاني بالأول ، لا للدلالة على الامتناع ، وضابطها : ما يقصد به الدلالة على مجرد الارتباط دون امتناع كل موضع قصد فيه ثبوت شيء على كل حال ، فيربط ذلك الشيء بوجود أحد النقيضين لوجوده دائماً ، ثم لا يذكر إذ ذاك إلا النقيض الذي يلزم من وجود ذلك الشيء على تقدير وجود النقيض الآخر ، فعدم النفاذ في الآية الكريمة واقع على تقدير كون ما في الأرض من

(١) روى مرفوعاً ، ولا أصل له .

شجرة أقلام، وكون البحر مد من سبعة أبحر، فعدم النفاذ على تقدير انتفاء كون هذين الأمرين أولى، وكذا عدم عصيان صهيب واقع على تقدير عدم خوفه، فعدم عصيانه على تقدير وجود الخوف أولى، وعلى هذا يتقرر جميع ما يرد عليك من هذا الباب.

والتحقيق: أنها تفيد امتناع الشرط كما سبق من الآيات الشريفة، وتحصل أنها تدل على أمرين:

أحدهما: امتناع شرطها والآخر كونه مستلزماً لجوابها، ولا يدل على امتناع الجواب في نفس الأمر ولا ثبوته، فإذا قلت: لو قام زيد لقام عمرو، فقيام زيد محكوم بانتفائه فيما مضى ويكونه مستلزماً لثبوته لثبوت قيام عمرو، وهل لقيام عمرو وقت آخر غير اللازم عن قيام زيد، أو ليس له لا يعرض في الكلام لذلك، ولكن الأكثر كون الثاني والأول غير واقعين.

وقد [سكت] (١) الإمام فخر الدين الدلالة على الامتناع مطلقاً، وجعلها لمجرد الربط واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: ٢٣] قال: فلو أفادت «لو» انتفاء الشيء لانتفاء غيره لزم التناقض؛ لأن قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ يقتضى أنه ما علم فيهم خيراً، وما أسمعهم، وقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ يفيد أنه تعالى ما أسمعهم ولا تولوا، لكن عدم التولي خبير، فيلزم أن يكون: وما علم فيهم خيراً. قال: فعلمنا أن كلمة «لو» لا تفيد إلا الربط، هذا كلامه.

وقد يمنع قوله: «إن عدم التولي خبير»، فإن الخير إنما هو عدم التولي بتقدير حصول الإسماع والفرض أن الإسماع لم يحصل، فلا يكون عدم التولي على الإطلاق خبيراً، بل عدم التولي المرتب على الإسماع.

الطريق الثاني: أن قولهم: لامتناع الشيء لامتناع غيره، معناه: أن ما كان جواباً لها كان يقع لوقوع الأول، فلما امتنع الأول امتنع أن يكون الثاني واقعاً لوقوعه، فإن وقع فلامر آخر، وذلك لا ينكر فيها، ألا ترى أنك إذا قلت: لو قام زيد قام عمرو؟ دل ذلك على امتناع قيام عمرو الذي كان يقع منه لو وقع قيام زيد، لا على امتناع قيام عمرو لسبب آخر، وكذلك «لو» لم يخف الله لم يعصه» امتنع عدم العصيان الذي كان سيقع عند عدم الخوف لو وقع، ولا يلزم امتناع عدم العصيان عند وجود الخوف.

الثالث: أن تحمل «لو» فيما جاء من ذلك على أنها محذوفة الجواب، فيكون قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] معناه: لو كان هذا لتكسرت الأشجار وفنى المداد،

(١) في المطبوع: سلب.

ويكون قوله: ﴿مَا قَدَدْتَ﴾ مستأنف أو على حذف حرف العطف أي: وما نفدت.

الرابع: أن تحمل «لو» في هذه المواضع على التي بمعنى «إن» قال أبو العباس: لو أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتني لأعطيتك، ولو كان زيد هناك لضربتك، ثم تتسع فتصير في معنى «إن» الواقعة للجزاء تقول: أنت لا تكرمني ولو أكرمتك، تريد و«إن» قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

وقوله: ﴿فَلَنْ يُفْلِكَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [إلى عمران: ٩١] تأويله عند أهل اللغة: لا يقبل أن يتبرر به وهو مقيم على الكفر، ولا يقبل وإن افتدى به.

فإن قيل: كيف يسوغ هذا في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإن «إن» الشرطية لا يليها إلا الفعل، و«إن» المشددة مع ما عملت فيه اسم، فإذا كانت «لو» بمنزلة «إن» فينبغي ألا تليها. أجاب الصفار بأنه: قديلي «أن» الاسم في اللفظ، فأجاز ذلك في «إن» نفسها، فأولى أن يجوز في «لو» المحمولة عليها، وكما جاز ذلك في «لو» قبل خروجها إلى الشرط مع أنها من الحروف الطالبة للأفعال.

قال: والدليل على أن «لو» في الآيتين السابقين بمعنى «إن» أن الماضي بعدها في موضع المستقبل، «ولو» الامتناعية تصرف معنى المستقبل إلى الماضي، فإن المعنى: «وإن يفقد به». واعلم أن ما ذكرناه من أنها تقتضي امتناع ما يليها أشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ فإنهم لم يقرؤا بالكذب.

وأجيب بوجهين: أحدهما: أنها بمعنى «إن» والثاني قاله الزمخشري: أنه على الفرض، أي ولو كنا من أهل الصدق عندك.

وقال الزمخشري فيما أفرده على سورة الحجرات: «لو» تدخل على جملتين فعليتين تعلق ما بينهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولما لم تكن مخرجة بالشرط وإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقاً من حيث إفادتها في مضموني جملتها، أن الثاني امتنع لامتناع الأول، وذلك أن تكسو الناس فيقال لك: هلا كسوت زيدا؟ فتقول: لو جاءني زيد لكسوته، افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على التعليق، فزيدت اللام ولم تفتقر إلى مثل ذلك «إن» لعملها في فعلها وخلوصها للشرط.

ويتعلق بـ«لو»، الامتناعية مسائل:

الأولى: إنها كالشرطية في اختصاصها بالفعل، فلا يليها إلا فعل أو معمول فعل يفسره ظاهر بعده، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠] حذف الفعل

فانفصل الضمير، وانفردت «لو» بمباشرة «إن» كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحجرات: ٥] وهو كثير.

واختلف في موضع «أن» بعد «لو» فقال سيبويه: في موضع رفع بالابتداء، واختلف عنه في الخبر فقيل: محذوف: وقيل: لا يحتاج إليه. وقال الكوفيون: فاعل بفعل مقدر تقديره: «ولو ثبت أنهم»، وهو أقيس لبقاء الاختصاص.

الثانية: قال الزمخشري: يجب كون خبر «أن» الواقعة بعد «لو» فعلاً ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف.

وقال أبو حيان: هو وهم وخطأ فاحش، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ وكذا رده ابن الحاجب وغيره بالآية، وقالوا: إنما ذلك في الخبر المشتق لا الجامد كالذي في الآية، وأيد بعضهم كلام الزمخشري بأنه إنما جاء من حيث إن قوله: ﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُومُ﴾ [لقمان: ٢٧] لما التبس بالعطف بقوله: «ما في الأرض من شجرة أقلام» صار خبر الجملة المعطوفة، وهو يمدد كأنه خبر الجملة المعطوف عليها لالتباسها بها.

قال الشيخ في «المغنى»^(١): وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر مشتقاً، ولم يتنبه لها الزمخشري كما لم يتنبه لآية لقمان ولا ابن الحاجب وإلا لنع ذلك.

قلت: وهذا عجيب، فإن «لو» في الآية للتمني والكلام في الامتناعية بل أعجب من ذلك كله أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السيرافي، وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديماً في شرح «الإيضاح» لابن الخباز، لكن في غير مظهره فقال في باب: إن وأخواتها، قال السيرافي: تقول: لو أن زيداً أقام لأكرمه، ولا تجوز «لو» أن زيداً حاضر لأكرمه، لأنك لم تلفظ بفعل يسد مسد ذلك الفعل.

هذا كلامهم: وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠] [ق/٣١٢] فأوقع خبرها صفة، ولهم أن يفرقوا بأن هذه للتمني فأجريت مجرى «ليت» كما تقول: ليتهم بادون، انتهى كلامه.

تنبيه:

ذكر الزمخشري بعد كلامه السابق في سورة الحجرات سؤالاً وهو: ما الفرق بين قولك: لو جاءني زيد لكسوته، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى﴾ [الزمر: ٤] وبين قوله: لو زيد جاءني لكسوته، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء

١٠٠: «وبين قوله: لو أن زيدًا جاءني لكسوته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ [الحجرات: ٥]؟ وأجاب بأن القصد في الأولى أن الفعلين تعليق أحدهما بصاحبه لا غير من غير تعرض لمعنى زائد على التعليق الساذج على الوجه الذي بينته، وهو المعنى في الآية الأولى؛ لأن الغرض نفي أن يتخذ الرحمن ولدًا، وبيان تعاليه عن ذلك، وليس لأداء هذا الغرض إلا تجديد الفعلين للتعليق دون أمر زائد عليه.

وأما في الثاني فقد انضم إلى التعليق بأحد معنيين: إما نفي الشك أو الشبهة وأن المذكور الذي هو زيد مكسو لا محالة، لو وجد منه المجيء ولم يمتنع. وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمَلِكُونَ﴾ محتمل المعنيين جميعًا، أعنى أنهم لا محالة يملكون وأنهم المخصوصون بالإمساك، لو ملكوا إشارة إلى أن الإله الذي هو مالكها، وهو الله الذي وسعت رحمته كل شيء لا يمسك.

فإن قلت: «لو» لا تدخل إلا على فعل، و«أنتم» ليس بمرفوع بالابتداء، ولكن بـ«تملك» مضمراً وحينئذ فلا فرق بين «لو تملكون»، وبين لو أنتم تملكون لمكان القصد إلى الفعل في الموضوعين دون الاسم، وإنما يسوغ هذا الفرق لو ارتفع بالابتداء؟

قلت: التقدير وإن كان على ذلك إلا أنه لما كان تمثيلاً لا يتكلم به، ينزل الاسم في الظاهر منزلة الشيء تقدم؛ لأنه أهم بدليل «لو ذات سوار لطمتمني» في ظهور قصدهم إلى الاسم، لكنه أهم فيما ساقه المثل لأجله.

وكذا قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] وإن كان أحد مرفوعاً بفعل مضممر في التقدير.

وأما في الثالث: ففيه ما في الثاني مع زيادة التأكيد الذي تعطيه «إن»، وفيه إشعار بأن زيدًا كان حقه أن يجيء، وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظه فتأمل هذه الفروق، وقس عليها نظائر التراكيب في القرآن العزيز، فإنها لا تخرج عن واحد من الثلاثة.

الثالثة: الأكثر في جوابها المثبت اللام المفتوحة للدلالة على أن ما دخلت عليه هو اللازم، لما دخلت عليه «لو» قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ففي اللام إشعار بأن الثانية لازمة للأولى.

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] ويجوز حذفها: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠].

الرابعة: يجوز حذف جوابها للعلم وللتعظيم، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود:

٨٠. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] وهو كثير سبق في باب الحذف على ما فيه من البحث] (١). وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ فيحتمل أن يكون جواب «لو» محذوفاً والتقدير: لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله، وأن يكون ما نفدت هو الجواب مبالغة في نفي النفاذ، لأنه إذا كان نفي النفاذ لازماً على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاماً والبحر مداذاً، كان لزومه على تقدير عدمها أولى.

وقيل: تقدر هي وجوابها ظاهراً كقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُمْ مِنْ إِلَهٍ إِذْآ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] تقديره: ولو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْتَلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِيَمِينِكَ إِذْآ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أي: ولو يكون وخططت إذن لارتاب.

الوجه الثاني: من أوجه «لو» أن تكون شرطية وعلامتها أن يصلح موضعها «إن» المكسورة، وإنما أقيمت مقامها؛ لأن في كل واحدة منهما معنى الشرط، وهي مثلها فيليها المستقبل كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْرَجَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا﴾ [يس: ٦٦].

وإن كان ماضياً لفظاً، صرفه للاستقبال كقوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] وقوله: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [النساء: ٩]، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ نَذْرٌ إِلَّا أَنْ يُضْبَهُ﴾ [آل عمران: ٩١] ونظائره.

قالوا: ولولا أنها بمعنى الشرط لما اقتضت جواباً، لأنه لا بد لها من جواب ظاهر أو مضمّر، وقد قال المبرد في «الكامل» (٢): إن تأويله عند أهل اللغة لا يقبل منه أن يفتدى به، وهو مقيم على الكفر ولا يقبل إن افتدى به.

قالوا: وجوابها يكون ماضياً «لفظاً» كما سبق، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لِكَلِمَةٍ﴾ [فاطر: ١٤] ومعنى ويكون باللام غالباً نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]. وقد يحذف نحو: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَابًا﴾ [الواقعة: ٧٠] ولا يحذف غالباً إلا في صلة نحو: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا...﴾ الآية [النساء: ٩].

الثالث: لو المصدرية وعلامتها أن يصلح موضعها «إن» المفتوحة، كقوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُمَرَّرَ آلفٌ سَكَنُوا﴾ [البقرة: ٩٦].

(٢) (١/٣٦١-٣٦٢).

(١) سقط من م.

- وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٩].
 ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْنِعَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].
 ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي﴾ [المعارج: ١١] أي الافتداء.

ولم يذكر الجمهور مصدرية «لو» وتأولوا الآيات الشريفة على حذف مفعول «يود»، وحذف جواب «لو» أي: يود أحدهم طول العمر لو يعمر ألف سنة ليسر بذلك.

وأشكل قول الأولين بدخولها على «أن» المصدرية في نحو قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَيَبْنَئَهَا﴾ [آل عمران: ٣٠] والحرف المصدرية لا يدخل على مثله!

وأجيب: بأنها إنما دخلت على فعل محذوف مقدر تقديره: «يود لو ثبت أن بينها» فانضت مباشرة الحرف المصدرية لمثله.

وأورد ابن مالك السؤال في: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢] وأجاب بهذا وبأن هذا من باب توكيد اللفظ بمرادفه نحو ﴿فِيحَابًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: ٣١].

وفي كلا الوجهين نظر، أما الأول وهو دخول لو على «ثبت» مقدرًا إنما هو مذهب المبرد، وهو لا يراه فكيف يقرره في الجواب!

وأما الثاني: فليست هنا مصدرية بل للتمني كما سيأتي، ولو سلم فإنه يلزم ذلك وصل «لو» بجملة اسمية مؤكدة بـ «أن» وقد نص ابن مالك وغيره على أن صلتها لا بد أن تكون فعلية بماض أو مضارع.

قال ابن مالك: وأكثر وقوع هذه بعد «ود» أو «يود» أو ما في معناهما من مفهم تمن، وبهذا يعلم غلط من عدها حرف تمن. لو صح ذلك لم يجمع بينها وبين فعل تمن، كما لا يجمع بين ليت وفعل تمن. [قلت: أشير بذلك إلى الزمخشري، واعتراضه بردود بأنه في حالة دخولها على فعل التمن لا يكون للتمني. ومراد الزمخشري بكونها حرف تمن حيث لم يكن لم شرط سنذكره] (١).

الرابع: لو التي للتمني وعلامتها أن يصح موضعها «ليت» نحو لو تأتينا فتحدثنا كما تقول: ليتك تأتينا فتحدثنا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢]، ولهذا نصب فيكون في جوابها؛ لأنها أفهمت التمني كما انتصب ﴿فَأَفْوَزَ﴾ [النساء: ٧٣] في جواب «ليت»: ﴿يَلْبِثُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ٧٣].

وذكر بعضهم قسما آخر وهو التعليل كقوله: ﴿وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

(١) سقط من المطبوع.

لولا (١)

مركبة عند سيويه (٢) من «لو» و«لا» حكاه الصَّفَّار، والصحيح أنها بسيطة.

ومن التركيب ما يغير، ومنه ما لا يغير، فمما لا يغير «لولا» ومما يتغير بالتركيب «حبذا» صارت للمدح والثناء، وانفصل «ذا» عن أن يكون مثنى أو مجموعاً أو مؤنثاً، وصار بلفظ واحد لهذه الأشياء، وكذلك «هلا» زال عنها الاستفهام جملة.

ثم هي على أربعة أضرب:

الأول: حرف امتناع لوجوب وبعضهم يقول: لوجود بالدال.

قيل: ويلزم [ق/ ٣١٣] على عبارة سيويه في «لو» أن تقول: حرف لما سيقع لانقضاء ما قبله.

وقال صاحب «رصف المباني»: الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب، نحو: لولا زيد لأحسنت إليك، فالإحسان امتنع لوجود زيد، وإن كانتا منفيتين فحرف وجود لامتناع، نحو: لولا عدم زيد لأحسنت إليك. انتهى.

ويلزم في خبرها الحذف، ويستغنى بجوابها عن الخبر، والأكثر في جوابها المثبت اللام نحو: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبا: ٣١]، ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانُوا مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿١١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَوْمَ يُنْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وقد يحذف للعلم به، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَهَا لَوْلَا أَنْ زَمَّ بَرْهَانَ رَيْبِهِ﴾ [يوسف: ٢٤] لهم بها لكنه امتنع همه بها لوجود رؤية برهان ربه، فلم يحصل منه هم ألبتة كقولك: لولا زيد لأكرمتك المعنى: أن الإكرام ممتنع لوجود زيد، وبه يتخلص من الإشكال الذي يورد وهو كيف يليق به الهم! وأما جوابها إذا كان منفيًا فجاء القرآن بالحذف نحو: ﴿مَا زَكَّيْنَا مِنْكَ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

وهو يرد قول ابن عصفور: إن المنفى بـ «ما» الأحسن باللام.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٥٩٧).

(٢) الكتاب (٤/ ٢٢٢).

الثاني: التحضيض فتختص بالمضارع نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَفِيرُونَ اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦].

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣].

﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْكَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المنافقون: ١٠].

والتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي، نحو: ﴿لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣].

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ [الأنعام: ٤٣].

وفي كل من القسمين تختص بالفعل، لأن التحضيض والتوبيخ لا يردان إلا على الفعل، هذا هو الأصل.

وقد جوزوا فيها إذا وقع الماضي بعدها أن يكون تحضيضاً أيضاً، وهو حينئذ يكون قرينة صارفة للماضي عن الماضي إلى الاستقبال، فقالوا في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]: يجوز بقاء نفر على معناه في الماضي، فيكون «لولا» توبيخاً، ويجوز أن يراد به الاستقبال فيكون تحضيضاً.

قالوا: وقد تفصل من الفعل بإذ وإذا معمولين له، وبجملة شرطية معترضة.

فالأول: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ [النور: ١٦]: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام

: ٤٣].

والثاني والثالث نحو: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٣٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٤﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴿٣٥﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧] المعنى: فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مؤمنين، وحالتكم أنكم شاهدون ذلك، ونحن أقرب إلى المحتضر منكم بعلمنا أو بالملائكة، ولكنكم لا تشاهدون ذلك، ولولا الثانية تكرار للأولى.

الثالث للاستفهام بمعنى هل نحو: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْكَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].

قاله الهروي، ولم يذكره الجمهور والظاهر أن الأولى للعرض والثانية مثل: ﴿لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣].

الرابع: للنفي بمعنى «لم» نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] أي لم تكن.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦] أي فلم يكن، ذكره ابن فارس في كتاب «فقه

العربية» والهروي في «الأزھية».

والظاهر أن المراد: «فهلا» ويؤيده أنها في مصحف أبي: «فهلا كانت قرية» نعم يلزم من

ذلك الذي ذكره معنى المضى، لأن اقتران التوبيخ بالماضي يشعر بانتفائه.

وقال ابن الشجري: هذا يخالف أصح الإعرابين، لأن المستثنى بعد النفي يقوى فيه البديل ويموز فيه النصب، ولم يأت في الآيتين إلا النصب أي: فدل على أن الكلام موجب وجوابه ما ذكرنا من أن فيه معنى النفي.

وجعل ابن فارس منه: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ﴾ [الكهف: ١٥] المعنى: اتخذوا من دون الله آلهة ولا يأتون عليه بسُلطان.

ونقل ابن بُرْجان في تفسيره في أواخر سورة هود عن الخليل: أن جميع ما في القرآن من «لولا» فهي بمعنى هلا إلا قوله في سورة الصافات: ﴿لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١١٤٣﴾ لَلَّيْتُ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]؛ لأن جوابها بخلاف غيرها. وفيه نظر لما سبق.

لوما

هي قريب من «لولا» كقوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ [الحجر: ٧] قال ابن فارس: هي بمعنى «هلا»^(١).

لم

نفي للمضارع وقبله ماضياً، وتجزمه نحو: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣] ومن العرب من ينصب بها، وعليه قراءة «لم نشرح» بفتح الحاء، وخرجت على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ففتح لها ما قبلها ثم حذف ونويت.

لما

على ثلاثة أوجه:

أحدها: تدخل على المضارع فتجزمه وتقلبه ماضياً كـ «لم» نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿بَلْ لَمَّا يَدْفُقُوا فَرْطًا﴾ [ص: ٨] أي: لم يذوقوه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) فقه اللغة (ص/١٣٥).

(٢) قال المرادي باختصار: «لم»، حرف نفي له ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون جازماً.

الثاني: أن يكون ملغى، لا عمل له، فيرتفع الفعل المضارع بعده.

الثالث: أن يكون ناصباً للفعل. الجنى الداني (ص/٢٦٦) باختصار.

(٣) انظر: «الجنى الداني» (ص/٥٩٢).

لكنها تفارق «لم» من جهات :

أحدها : أن «لم» لنفي فعل و «لما» لنفي «قد فعل» ، فالمنفي بها أكد . قال الزمخشري في «الفاثق» ^(١) : لما مركبة من «لم» و«ما» هي نقيضة ، «قد» وتنفي ما تثبتته من الخبر المنتظر .

وهذا أخذه من أبي الفتح ، فإنه قال : أصل «لما» لم زيدت عليها «ما» فصارت نفيًا ، تقول : قام زيد ، فيقول المجيب بالنفي : لم يقم ، فإن قلت : قد قام ، قال : لما يقم لما زاد في الإثبات «قد» زاد في النفي «ما» إلا أنهم لما ركبوا «لم» مع «ما» حدث لها معنى ولفظ : أما المعنى فإنها صارت في بعض المواضع ظرفًا ، فقالوا : لما قمت قام زيد أي : وقت قيامك قام زيد ، وأما اللفظ فلأنه يجوز الوقف عليها دون مجزومها نحو : جئتك ولما أي ولما ، تجيء . انتهى .

ويخرج من كلامه ثلاثة فروق : ما ذكرناه أولاً ، وكونها قد تقع اسمًا هو ظرف ، وأنه يجوز الوقف عليها دون النفي بخلاف «لم» .

ورابعها : يجيء اتصال منفيها بالحال ، والمنفي يلم لا يلزم فيه ذلك ، بل قد يكون منقطعاً نحو : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ أَنَّ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَكَ يُؤْتُونَكَ مِنْ يَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْتُونَكَ مِنْ يَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْتُونَكَ مِنْ يَدَيْهِمْ ﴾ [الإنسان: ١] وقد يكون متصلًا نحو : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا ﴾ [مریم: ٤] .

وخامسها : أن الفعل بعد «لما» يجوز حذفه اختياريًا .

سادسها : أن «لم» تصاحب أدوات الشرط بخلاف «لما» فلا يقال : «إن لما يقم» ، وفي التنزيل : ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا ﴾ [المائدة: ٧٣] .

سابعها : أن منفي «لما» متوقع ثبوته بخلاف منفي «لم» إلا ترى أن معنى : ﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوؤُا عَدَابِ ﴾ [ص: ٨] أنهم لم يذوقوه إلى الآن ، وأن ذوقهم له متوقع .

قال الزمخشري ^(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] ما في «لما» من معنى التوقع ، دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد .

وأنكر الشيخ أبو حيان دلالة «لما» على التوقع ، فكيف يتوهم أنه يقع بعد؟ .

وأجاب بعضهم بأن «لما» ليست لنفي المتوقع ، حيث يستبعد توقعه ، وإنما هي لنفي الفعل المتوقع ، كما إن «قد» لإثبات الفعل المتوقع . وهذا معنى قول النحويين : إنها موافقه لـ «قد فعل» : أي يجاب بها في النفي ، حيث يجاب بـ «قد» في الإثبات ؛ ولهذا قال ابن السراج : جاءت «لما» بعد فعل يقول القائل : لما يفعل فتقول «قد فعل» . فانظر كيف أجاب بقدر الدالة

(٢) الكشاف (٤/٣٧٧).

(١) (١/٤٢٤).

على أن النافي بلا متوقع لمانفاه] (١).

الوجه الثاني: أن تدخل على ماضٍ، فهي حرف لوجود، أو وجوب لوجوب، فيقتضى وقوع الأمرين جميعاً، عكس «لو» نحو: لما جاءني زيد أكرمه.

وقال [ق/ ٣١٤] ابن السراج والفارسي: ظرف بمعنى «حين».

ورده ابن عصفور بقوله: ﴿وَذَلِكَ الْقَرِيءُ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩] قال: لأن الهلاك لم يقع حين ظلموا بل كان بين الظلم والهلاك إرسال الرسل وإنذارهم إياهم، وبعد ذلك وقع الإهلاك فليست بمعنى «حين»، وهذا الرد لا يحسن إلا إذا قدرنا الإهلاك أول ما ابتدأ الظلم، وليس كذلك بل قوله: ﴿ظَلَمُوا﴾ في معنى: «استداموا الظلم» أي: وقع الإهلاك لهم حين ظلمهم أي: في حين استدامتهم الظلم وهم متلبسون به.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَنَّكَ إِلَى آلِ بْنِ عَبَّاسٍ﴾ [الاسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣].

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [هود: ٧٧].

﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٩٨].

﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَسْنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الانبيا: ١٢].

وأما جوابها فقد يجيء ظاهراً كما ذكرنا، وقد يكون جملة اسمية مقرونة بالفاء نحو: ﴿فَلَمَّا يَخْتَلِمُ إِلَى آلِ بْنِ عَبَّاسٍ مَقْنَصِدًا﴾ [لقمان: ٣٢].

أو مقرونة بـ«ما» النافية كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ﴾ [فاطر: ٤٢].

وبإذا المفاعلة نحو: ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَسْنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَرْكُضُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

﴿فَلَمَّا يَخْتَلِمُ إِلَى آلِ بْنِ عَبَّاسٍ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠].

وبهذا رد على من زعم أنها ظرف بمعنى «حين»، فإن «ما» النافية «وإذا» الفجائية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فانتفى أن يكون ظرفاً.

وقد يكون مضارعاً كقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرْزِهِمْ أَرْوَعُ وَجَاءَهُهُ الْبُشْرَىٰ بِيَدِينَا﴾ [هود: ٧٤]

وهو بمعنى الماضي أي: جادلنا.

(١) سقط من المطبوع.

وقد يحذف كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [المان: ٣٢] قال بعضهم: التقدير انقسموا قسمين: منهم مقتصد ومنهم غير ذلك، لكن الحق أن «مقتصد» هو الجواب، هو الذي ذكره ابن مالك ونوزع في ذلك من جهة أن خبرها مقرون بالفاء يحتاج لدليل.

وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠] جوابه محذوف أي: لمنعكم.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِنْدٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْهِجُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٩].

قيل: جواب «لما» الأولى «لما» الثانية وجوابها ورد باقتترانه.

وقيل: ﴿كفروا به﴾ جواب لهما؛ لأن الثانية تكرير للأولى.

وقيل: جواب الأولى محذوف أي أنكروه.

واختلف في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَصَابَتْ مَا حَوْلَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧] فقيل الجواب: ذهب الله وقيل: محذوف استطالة للكلام مع أمن اللبس أي: خدت.

وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِوَيْءٍ وَاجْتَمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ﴾ [يوسف: ١٥] قيل: الجواب قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ على جعل الواو زائدة.

وقيل: الجواب محذوف أي: أنجينا وحفظناه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِيْرِهِمْ أَرْوَعٌ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلَاتًا﴾ [هود: ٧٤] قيل: الجواب وجاءته على زيادة الواو.

وقيل: الجواب محذوف أي: أخذ يجادلنا.

وقيل: ﴿مُجْدِلَاتًا﴾ مؤول بـ «جادلنا».

وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: أجزل له الثواب وتله.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] فما تقدم من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ يسد مسد الجواب، [لا أنه الجواب، لأن الجواب لا يقدم عليها] ^(١).

وكذا قوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩] فما تقدم من قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يسد مسد الجواب لا أنه الجواب؛ لأن الجواب لا يقدم عليها.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فإنما وقع جوابها بالنفي، لأن التقدير: فلما جاءهم نذير زادهم نفورا أو ازداد نفورهم.

(١) سقط من م.

تنبيه

يختلف المعنى بين تجردها من «أن» ودخولها عليها، وذلك أن من شأنها أن تدل على أن الفعل الذي هو ناصبها، قد تعلق بعقب الفعل الذي هو خافضته من غير مهلة، وإذا انفتحت «أن» بعدها أكدت هذا المعنى، وشددته، وذكره الزمخشري في كشافه القديم قال: ونراه مبتئياً في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا...﴾ [العنكبوت: ٣٣] الآية كأنه قال: لما أبصرهم لحقته المساءة وضيق الذرع في بديهة الأمر، وغرته.

الوجه الثالث: حرف استثناء كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] على قراءة تشديد الميم.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥].

لما

المخففة

مركبة من حرفين: «اللام»، و«ما» النافية، وسيبويه يجعل «ما» زائدة، والفارسي يجعل «اللام» وسيأتي في حرف الميم.

(١) لن

صيغة مرتجلة للنفي في قول سيبويه (٢)، ومركبة عند الخليل من «لا» و«أن».

واعترض بتقديم المفعول عليها نحو: زيداً لن أضرب.

وجوابه: يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط.

وكان ينبغي أن تكون جازمة، وقد قيل به إلا أن الأكثر النصب.

وعلى كل قول فهي لنفي الفعل في المستقبل، لأنها في النفي نقيضة السين وسوف وأن في الإثبات فإذا قلت: سأفعل أو سوف أفعل كان نقيضه «لن أفعل».

وهي في نفي الاستقبال أكد من «لا» وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ [يوسف: ٨٠] أكد من قوله: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠].

وليس معناها النفي على التأبيد، خلافاً لصاحب «الأنموذج» بل إن النفي مستمر في المستقبل إلا أن يطرأ ما يزيله، فهي لنفي المستقبل و«لم» لنفي الماضي و«ما» لنفي الحال.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٢٧٠).

(٢) ذهب سيبويه والجمهور إلى أنها بسيطة، وذهب الخليل والكسائي إلى أنها مركبة «الكتاب» (٥/ ٣).

ومن خواصها أنها تنفي ما قرب، ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معناها، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٧] بحرف «لا» في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل، فصار من صيغ العموم يعم الأزمنة كأنه يقول: متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات، وقيل لهم تمنوا الموت فلا يتمنونه.

وقال في البقرة ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] فقصر من صيغة النفي، لأن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخْرَجُ﴾ [البقرة: ٩٤] وليست لن مع كان من صيغ العموم، لأن «كان» لا تدخل على حدث، وإنما هي داخلة على المبتدأ، والخبر عبارة عن قصر الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث كأنه يقول: إن كان قد وجب لكم الدار الآخرة فتمنوا الموت ثم قال في الجواب: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] فانظم معنى الآيتين.

وأما التأييد فلا يدل على الدوام، تقول: زيد يصوم أبداً، ويصلي أبداً وبهذا يبطل تعلق المعتزلة بأن «لن» تدل على امتناع الرؤية، ولو نفي بـ «لا» لكان لهم فيه متعلق؛ إذ لم يخص بالكتاب أو بالسنة، وأما الإدراك الذي نفي بـ «لا» فلا يمنع من الرؤية لقول النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم»^(١) ولم يقل: «تدركون ربكم»، والعرب تنفي المظنون بـ «لن» والمشكوك بـ «لا». ومن صرح بان التأييد عبارة عن الزمن الطويل لا عن الذي لا ينقطع ابن الحشاش. وقد سبق مزيد كلام فيها في فصل التأييد وأدواته.

قيل: وقد تأتي للدعاء كما أتت «لا» لذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي بِمَا كُنْتُ عَلَيْهِ أَكْرَهًا﴾ [القصص: ١٧].

ومنعه آخرون، لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم بل إلى المخاطب والغائب نحو: يارب لا عذبت فلاناً ونحوه: لا عذب الله عمراً.

لكن^(٢)

للاستدراك مخففة ومثقلة، وحقيقته: رفع مفهوم الكلام السابق تقول: ما زيد شجاع ولكنه كريم فرفعت بـ «لكن» ما أفهمه الوصف بالشجاعة من ثبوت الكرم له لكونهما كالتضايقين، فإن رفعتنا ما أفاده منطوق الكلام السابق فذاك استثناء وموقع الاستدراك بين متنافيين بوجه ما، فلا يجوز وقوعها بين متوافقين، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَثِيرًا لَفَشِنْتُمْ وَلَكِنَّمُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣] لكونه جاء في سياق «لو» و«لو» تدل على

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩) ومسلم (٦٣٣).

(٢) انظر: «الجنبي الداني» (ص/٥٨٦).

امتناع الشيء لامتناع غيره، فدل على أن الرؤية عمتنة في المعنى، فلما قيل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾ علم إثبات ما فهم إثباته أولاً وهو سبب التسليم، وهو نفي الرؤية، فعلم أن المعنى [ق/ ٢١٥]: ولكن الله ما أراكم كثيراً ليسلمكم، فحذف السبب وأقيم المسبب مقامه.

قال ابن الحاجب: الفرق بين «بل» و«لكن» وإن اتفقا في أن الحكم للثاني، أن «لكن» وضعها على مخالفة ما بعدها لما قبلهما، ولا يستقيم تقديره إلا مثبتاً لامتناع تقدير النفي في المفرد، وإذا كان مثبتاً وجب أن يكون ما قبله نفيًا، كقولك: ما جاءني زيد لكن عمرو، ولو قلت: جاءني زيد لكن عمرو لم يجوز لما ذكرنا، وأما بل فلإضراب مطلقاً موجباً كان الأول أو منفيًا.

وإذا ثقلت فهي من أخوات «إن» تنصب الاسم وترفع الخبر ولا يليها الفعل.

وأما وقوع المرفوع بعدها في قوله تعالى: ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] و«هو» ضمير الرفع فجوابه: أنها هنا ليست المثقلة بل هي المخففة والتقدير: لكن أنا هو الله ربّي، ولهذا تكتب في المصاحف بالألف ويوقف عليها بها إلا أنهم ألقوا حركة الهمزة على النون: فالتقت النون فأدغمت الأولى في الثانية، وموضع «أنا» رفع بالابتداء، وهو مبتدأ ثان و«الله» مبتدأ ثالث، و«ربّي» خبر المبتدأ الثالث، والمبتدأ الثالث وخبره خبر الثاني، والثاني هو خبر الأول، والراجع إلى الأول الياء.

ثم المخففة قد تكون مخففة من الثقيلة، فهي عاملة، وقد تكون غير عاملة فيقع بعدها المفرد نحو: ما قام زيد لكن عمرو، فتكون عاطفة على الصحيح، وإن وقع بعدها جملة كانت حرف ابتداء.

وقال صاحب «البيضا»: إذا وقع بعدها جملة فهل هي للعطف أو حرف ابتداء؟ قولان، كقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال: وتظهر فائدة الخلاف في جواز الوقف على ما قبلها، فعلى العطف لا يجوز، وعلى كونها حرف ابتداء يجوز.

قال: وإذا دخل عليها الواو انتقل العطف إليها وتجردت للاستدراك.

وقال الكسائي: المختار عند العرب تشديد النون إذا اقترنت بالواو، وتخفيفها إذا لم تقترن بها، وعلى هذا جاء أكثر القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦] .

﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ﴾ [التوبة: ٨٨] .

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [آل عمران: ١٩٨] .

﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ [مريم: ٣٨] .

وعلل القراء ذلك بأنها مخففة تكون عاطفة، فلا تحتاج إلى واو معها كـ «بل» فإذا كان قبلها واو، لم تشبه بل؛ لأن «بل» لا تدخل عليها الواو، وأما إذا كانت مشددة فإنها تعمل عمل «إن» ولا تكون عاطفة.

وقد اختلف القراء في: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [الاحزاب: ٤٠] فأكثرهم على تخفيفها، ونصب «رسول» بإضمار كان أو بالعطف على «أبا أحد». والأول: أليق لكن ليست عاطفة، لأجل الواو، فالأليق لها أن تدخل على الجمل كـ «بل» العاطفة، وقرأ أبو عمرو بتشديدها على أنها عاملة وحذف خبرها، أي ولكن رسول الله هو أي محمد.

(١) لعل

تجويد لمعاجز:

الأول للترجي في المحبوب نحو: لعل الله يغفر لنا، وللإشفاق في المكروه نحو: لعل الله يغفر للعاصي، ثم وردت في كلام من يستحيل عليه الوصفان؛ لأن الترجي للجهل بالعاقبة، وهو محال على الله، وكذلك الخوف والإشفاق.

فمنهم من صرفها إلى المخاطبين قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿لَمَّا يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] معناها: كوننا على رجائكما في ذكرهما، يعني أنه كلام منظور فيه إلى جانب موسى وهارون - عليهما السلام - لأنهما لم يكونا جازمين بعدم إيمان فرعون.

وأما استعمالهما في الخوف ففي قوله تعالى: ﴿لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] فإن الساعة مخوفة في حق المؤمنين بدليل قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨].

وفي هذا رد على الزمخشري^(٢) حيث أنكر أن تكون هذه الآية من هذا القبيل، فإن قلت: ما معنى قولهم: «لعل من الله واجبة»؟ هل ذلك من شأن المحبوب أو مطلقاً، وإذا كانت في المحبوب فهل ذلك إخراج لها عن وضع الترجي إلى وضع الخبر فيكون مجازاً أم لا؟

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٥٧٩) و«مفردات القرآن» (ص/ ٧٤١-٧٤٢).

(٢) الكشاف (٢١٧/٤).

قلت: ليس إخراجاً لها عن وضعها، وذلك أنهم لما رأوها من الكريم للمخاطبين في ذلك المحبوب تعريض بالوعد، وقد علم أن الكريم لا يعرض بأن يفعل إلا بعد التصميم عليه، فجرى الخطاب الإلهي مجرى خطاب عظماء الملوك من الخلق، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾ الآية إلى ﴿تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] إطماع المؤمن بأن يبلغ بإيمانه درجة التقوى العالية؛ لأنه بالإيمان يفتحها وبالإيمان يختمها، ومن ثم قال مالك وأبو حنيفة: الشرع ملزم.

وقد قال الزمخشري: وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن لكنه كريم رحيم، إذا أطمع فعل ما يطمع لا محالة، فجرى إطماعه مجرى وعده؛ فهذا قيل: إنها من الله واجبة.

وهذا فيه رائحة الاعتزال في الإيجاب العقلي، وإنما يحسن الإطماع دون التحقيق، كيلا يتكل العباد كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ﴾ [التحریم: ٨].

وقال الراغب ^(١): «لعل» طمع وإشفاق.

وذكر بعض المفسرين: أن «لعل» من الله واجبة، وفُسر في كثير من المواضع بـ«لا» وقالوا: إن الطمع والإشفاق لا يصح على الله تعالى.

وقال: ولعل وإن كان طمعاً فإن ذلك يقتضي في كلامهم تارة طمع المخاطب، وتارة طمع المخاطب وتارة طمع غيرهما، فقوله تعالى: ﴿لَمَلْنَا نَبِّعُ السَّحَرَةَ﴾ [الشعراء: ٤٠] فذلك طمع منهم في فرعون.

وفي قوله: ﴿لَمَلَّمْ يَذْكُرْ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] إطماع موسى وهارون، ومعناه: قولاً له قولاً لينا راجيين أن يتذكر أو يخشى.

وقوله: ﴿فَلَمَلَكْ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢] أي تظن بك الناس.

وعليه قوله تعالى: ﴿لَمَلَكْ بَيْعٌ شَقَاقٌ﴾ [الشعراء: ٣] وقوله: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لِّمَلَكُمْ نُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] أي: راجيين الفلاح.

كما قال: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وزعم بعضهم بأنها لا تكون للترجي إلا في الممكن، لأنه انتطار ولا ينتظر إلا في ممكن، فأما قوله تعالى: ﴿لَمَلَّ أَيْتُغُ الْأَسْبَبَ...﴾ [غافر: ٣٦] الآية فاطلاع فرعون إلى الآلة

(١) انظر: «المفردات» (ص/ ٧٤١)، و«الكتاب» (٤/ ٢٣٣).

مستحيل، وبجهله اعتقد إمكانه، لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان؛ تعالى الله عن ذلك!

الثاني: للتعليل كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿وَأَنْتُمْ رَسُولٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥] أي: كي.

وجعل منه ثعلب ﴿لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [طه: ٤٤]، أي كي حكاه عنه صاحب «المحكم».

الثالث: الاستفهام كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُوراً﴾ [الطلاق: ١]:

﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ يَزُكُّ﴾ [عبس: ٣].

وحكى البغوي في تفسيره عن الواقدي: إن جميع ما في القرآن من لعل فإنها للتعليل إلا قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] فإنها للتشبيه.

وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة، ووقع في صحيح البخاري في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أن «لعل» للتشبيه^(١).

وذكر غيره أنها للرجاء المحض، وهو بالنسبة إليهم.

واعلم أن الترجي والتمني من باب الإنشاء، كيف يتعلقان بالماضي!

وقد وقع خبر ليت ماضياً في قوله: ﴿بَلَّغْتَنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [بريم: ٢٣].

ومن نص على منع وقوع الماضي خبراً للعل الرماني. [وقال صاحب العزة: أريد الماضي

إلى فلان لعله خلا بنفسه أو مضى إلى داره لعله سكنها]^(٢).

ليس^(٣)

فعل معناه: نفي مضمون الجملة في الحال، إذا قلت: ليس زيداً قائماً نفيت قيامه في حالك هذه، وإن قلت: ليس زيد قائماً غداً لم يستقم، ولهذا لم يتصرف فيها مستقبلاً.

هذا قول الأكثرين: وبعضهم يقول: إنها لنفي مضمون الجملة عموماً.

وقيل مطلقاً [ق/٣١٦]؛ حالاً كان أو غيره وقواه ابن الحاجب.

ورد الأول بقوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوقًا عَنْهُمْ﴾ [مود: ٨] وهذا نفي لكون العذاب

مصروفاً عنهم يوم القيامة، فهو نفي في المستقبل، وعلى هذين القولين يصح «ليس إلا الله»

(١) كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الشعراء، قال ابن عباس: [لعلكم تخلصون] كأنكم الريح الأيفاع من الأرض وجمعه ربعة وأرباع، واحده: ربعة.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) قال المرادي: «ليس، فعل لا يتصرف، هذا مذهب الجمهور» [الجنبي الداني] (ص/٤٩٣).

وعلى الأول يحتاج إلى تأويل، وهو أنه قد ينفي عن الحال بالقرينة نحو: ليس خلق الله مثله، وهل هو لنفي الجنس أو الوحدة؟ لم أر من تعرض لذلك غير ابن مالك في كتاب «شواهد التوضيح» فقال في قوله ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين» ففيه شاهد على استعمال «ليس» للنفي العام المستغرق به للجنس، وهو مما يغفل عنه.

ونظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦].

لذن

بمعنى: «عند»، وهي أخص منها لدالاتها على ابتدائها به نحو: أقمت عنده من لذن طلوع الشمس إلى غروبها، فتوضح نهاية الفعل، وهي أبلغ من عند قال تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْحَدِّثَ لَهَؤُا لَأَنْحَدِّثَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧].

﴿مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَكِيلًا﴾ [مريم: ٥].

وقد سبق الفرق بينهما في عند.

وقد تحذف نونها قال تعالى:

﴿وَأَلْفَيْا سَيْدَهَا لِدَا آبَائِهَا﴾ [يوسف: ٢٥]، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عِينِي﴾ [ق: ٢٣].

ما

تكون على اثني عشر وجهًا: ستة منها أسماء، وستة حروف.

ما الاسمية

فالاسمية ضربان معرفة ونكرة، لأنه إذا حسن موضعها «الذي» فهي معرفة، أو «شيء» فهي نكرة، وإن حسنا معًا جاز الأمران، كقوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَّا مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] و﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عِينِي﴾ [ق: ٢٣].

والنكرة ضربان: ضرب يلزم الصفة، وضرب لا يلزمه، والذي يلزمه الاستفهامية والشرطية والتعجب، وما عداها تكون منه نكرة، فلا بد لها من صفة تلزمها.

فالأول من الستة الأسماء الخبرية: وهي الموصولة، ويستوي فيها التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع كقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وقوله: ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] ﴿وَاللَّهُ يَشْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩].

فإن كان المراد بها المذكر كانت للتذكير، بمعنى «الذي»، وإن كان المراد بها المؤنث كانت

للتأنيث بمعنى «التي» .

وقال السهيلي: كذا يقول النحويون: إنها بمعنى «الذي» [مطلقاً] ^(١) ، وليس كذلك بل بينهما تخالف في المعنى وبعض الأحكام:

أما المعنى فلأن «ما» اسم مبهم في غاية الإبهام، حتى أنه يقع على المعلوم نحو: «إن الله عالم بما كان وبما لم يكن» .

وأما في الأحكام، فإنها لا تكون نعتاً لما قبلها ولا منعوتة، لأن صلتها تغنيها عن النعت ولاتثنى ولا تجمع، انتهى .

ثم لفظها مفرد ومعناها الجمع، ويجوز مراعاتها في الضمير .

ونحوه من مراعاة المعنى: ﴿وَتَسْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]

ثم قال: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ لما أراد الجمع .

وكذلك قوله: ﴿وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا

يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣] .

ومن مراعاة اللفظ: ﴿قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

وأصلها أن تكون لغير العاقل كقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ [النحل: ٩٦] .

وقد تقع على من يعقل عند اختلاطه بما لا يعقل تغليباً، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف: ١٨٥] وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . .﴾

[الأنبياء: ٩٨] الآية بدليل نزول الآية بعدها مخصصة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾

[الأنبياء: ١٠١] .

قالوا: وقد تأتي لأنواع من يعقل كقوله تعالى:

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] أي الأبقار إن شئتم أو الشيات .

ولا تكون لأشخاص من يعقل على الصحيح، لأنها اسم مبهم يقع على جميع الأجناس،

فلا يصح وقوعها إلا على جنس .

ومنهم: من جوزه محتجاً بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] والمراد

آدم .

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥] .

(١) سقط من م .

وقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكاغرون: ٣]: الله .

فأما الأولى فقيل: إنها مصدرية . وقال السهيلي: بل إنها وردت في معرض التوبيخ على امتناعه من السجود، ولم يستحق هذا من حيث كان السجود لما يعقل، ولكن لعله أخرى وهي المعصية والتكبر، فكأنه يقول: لم عصيتني وتكبرت على ما خلقتة وشرفته؟ فلو قال: ما منعك أن تسجد لمن؟ كان استفهامًا مجردًا من توبيخ، ولتوهم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل أو لعله موجودة فيه أو لذاته، وليس كذلك .

وأما آية السماء، فلأن القسم تعظيم للمقسم به من حيث ما في خلقها من العظمة والآيات، فثبت لهذا القسم بالتعظيم كائنًا ما كان، وفيه إيحاء إلى قدرته تعالى على إيجاد هذا الأمر العظيم، بخلاف قوله: «من»، لأنه كان يكون للمعنى مقصورًا على ذاته دون أفعاله، ومن هذا يظهر غلط من جعلها بتأويل المصدر .

وأما ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ فهي على بابها؛ لأنها واقعة على معبوده - عليه السلام - على الإطلاق، لأن الكفار كانوا يظنون أنهم يعبدون الله وهم جاهلون به، فكأنه قال: أنتم لا تعبدون معبودي .

ووجه آخر: وهو أنهم كانوا يحسدونه ويقصدون مخالفته كائنًا من كان معبوده، فلا يصح في اللفظ إلا لفظة «ما» لإبهامها ومطابقتها لغرض، أو لآزدواج الكلام، لأن معبودهم لا يعقل، وكرر الفعل على بنية المستقبل، حيث أخبر عن نفسه إيحاء إلى عصمة الله له عن الزيغ والتبديل، وكرره بلفظ حين أخبر عنهم بأنهم يعبدون أهواءهم، ويتبعون شهواتهم بفرض أن يعبدوا اليوم ما لا يعبدون غدًا .

وها هنا ضابط حسن: الفرق بين الخبرية والاستفهامية، وهو: أن ما إذا جاءت قبل «ليس» أو «لم» أو «لا» أو بعد «إلا» فإنها تكون خبرية كقوله: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿مَا لَرَّ يَمِّمْ﴾ [العلق: ٥] ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْنَا﴾ [البقرة: ٣٢] وشبهه . وكذلك إذا جاءت بعد حرف الجر نحو: «ربما» و«عما» و«فيما» ونظائرهما إلا بعد كاف التشبيه .

وربما كانت مصدرًا بعد الباء نحو: ﴿يَمَا كَأَفُوا يَطْلُمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢] ﴿يَمَا كَأَفُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] ﴿يَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١٠] .

وإن وقعت بين فعلين سابقهما علم، أو دراية أو نظر، جاز فيها الخبر والاستفهام كقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] .

- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] ، ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] .
 ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ﴾ [يوسف: ٨٩] .
 ﴿وَمَا آدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] .
 ﴿وَلَتَنْظُرَنَّهُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ [العنكبوت: ١٨] .

الثاني: الشرطية ولها صدر الكلام، ويعمل فيها ما بعدها من الفعل نحو: ما تصنع أصنع، وفي التنزيل: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] .
 : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] (١) .
 ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] .
 ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] .
 ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] .
 فـ «ما» في هذه المواضع في موضع نصب بوقوع الفعل عليها .

الثالث: الاستفهامية بمعنى: «أي شيء»، ولها صدر الكلام كالشرط، ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته عن أجناس العقلاء، وأنواعهم وصفاتهم، قال تعالى: ﴿مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] و ﴿مَا لَوْ نُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧] .
 قال الخليل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ مَثْوٍ﴾ [العنكبوت: ٤٢] ما استفهام، أي أي شيء تدعون من دون الله؟

ومثال مجيئها لصفات من يعلم قوله تعالى: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْتَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] ونظيرها لكن في الموصولة: ﴿فَأَنكُمُوعًا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] [ق/٣١٧] .
 وجوز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضاً، حكاة الراغب، فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون: [﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]] (٢) فإنما هو سؤال عن الصفة؛ لأن الرب هو المالك والملك صفة؛ ولهذا أجابه موسى بالصفات، ويحتمل أن «ما» سؤال عن ماهية الشيء ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى، فأجابه موسى [بالصفات] (٣) تنبيهاً على [صواب] (٤) السؤال. ونظيره في تنبيه المخاطب للمتكلم على صواب الكلام ما حكى سيبويه عن بعض العرب: أنه قال ذهب معهم فقال أتجيب مع مبين فالتكلم بنى كلامه

(٢) سقط من م .

(٤) في م: جواب .

(١) سقط من م .

(٣) سقط من المطبوع .

على أن المخاطب عالم بالمكنى عنه ولم يكن تمامًا لهم فكذاك أجابه بن عبدوس^(١)

ثم فيه مسألتان: إحداهما: في إعرابها وهو بحسب الاسم المستفهم عنه، فإن كانت هي المستفهم عنها كانت في موضع [رفع بالابتداء، نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] و ﴿مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩].

وإن كان ما بعدها هو المستول عنه كانت في موضع الخبر كقوله^(٢): ﴿وَمَا أَرْحَمُنُّ﴾ [الفرقان: ٦٠] وقوله: ﴿مَا أَلْقَيْتَهُ﴾ [القارعة: ٢]، ﴿مَا الْمَأْكُتَةُ﴾ [الحاقة: ٢].

الثانية: في حذف ألفها ويكثر في حالة الحذف، قصدوا مشاكلة اللفظ للمعنى، فحذفوا الألف كما أسقطوا الصلة، ولم يحدفوا في حال النصب والرفع كيلا تبقى الكلمة على حرف واحد، فإذا اتصل بها حرف الجر أو مضاف اعتمدت عليه، لأن الخافض والمخفض بمنزلة الكلمة الواحدة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٣] ﴿لَا تَحْزَنْ مِمَّا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] ﴿فِيمَ تَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١].

وأما قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٦-٢٧] فقال المفسرون: معناه بأي شيء غفر لي، فجعلوا «ما» استفهامًا، وقال الكسائي: معناه بمغفرة ربي، فجعلها مصدرية.

قال الهروي: إثبات الألف في «ما» بمعنى الاستفهام مع اتصالها بحرف الجر لغة، وأما قوله: ﴿يَمَّا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦] فقيل: إنها للاستفهام أي: بأي شيء أغويتني [ثم ابتداء]^(٣) ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَكُمْ﴾ وقيل: مصدرية والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف، أي: فيما أغويتني أقسم بالله لأقعدن، أي: بسبب إغوائك أقسم.

ويجوز أن تكون الباء للقسم أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه كان مكلفًا والتكليف من أفعال الله، لكونه تعريفًا لسعادة الأبد، وكان جديرًا أن يقسم به. فإن قيل: تعلقها بـ «لأقعدن» قيل: يصد عنه لام القسم ألا ترى أنك لا تقول: والله لا يزيد لأمرن.

والرابع: التعجبية كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].
﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرًا﴾ [عبس: ١٧].

ولا ثالث لهما في القرآن، إلا في قراءة سعيد بن جبير: «ما أغرك بربك الكريم».

(٢) سقط من المطبوع.

(١) سقط من م.

(٣) سقط من م.

وتكون في موضع رفع بالابتداء، و«ما» خبر، وهو قريب مما قبله؛ لأن الاستفهام والتعجب بينهما تلازم، لأنك إذا تعجبت من شيء فبالجرى أن تسأل عنه .

والخامس: نكرة بمعنى شيء ويلزمها النعت كقولك: رأيت ما معجباً لك، وفي التنزيل: ﴿بِمَوْضِعٍ مَّا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ بِيَدِهِ﴾ [النساء: ٥٨] أي: نعم شيئاً يعظكم به .

والسادس: نكرة بغير صفة ولا صلة كالتعجب وموضعها، نصب على التمييز كقوله: ﴿إِن تَبَدُّوا لَأَبْذَرْتَهُمْ ذَبْحًا فَانْمِطُوا وَتَذَرْنَاهُمْ فِي غَمٍّ أَوْ يَئِسُوا﴾ [البقرة: ٢٧١] أي: فنعمة شيئاً هي كما تقول: نعم رجلاً زيد أي: نعم الرجل رجلاً زيد ثم قام «ما» مقام الشيء .

فائدة: قال بعضهم: وقد تجيء «ما» مضمرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان ٢٠٠] أي ما .

وقوله: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] أي: ما بيني .

﴿لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم .

ما الحرفية

وأما الحرفية فستة:

الأول: النافية ولها صدر الكلام، وقد تدخل على الأسماء والأفعال، ففي الأسماء كـ«ليس» ترفع وتنصب في لغة أهل الحجاز، ووقع في القرآن في ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] .

وقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أَهْمُهُنَّ﴾ [المجادلة: ٢] على قراءة كسر التاء وقوله:

﴿مَا يَنْكُرُ مِنْ أَلَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] .

وعلى الأفعال فلا تعمل، وتدخل على الماضي بمعنى «لم» نحو: ما خرج، أي لم يخرج .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتُ بِمِحْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] .

وعلى المضارع لنفي الحال، بمعنى «لا» نحو: ما يخرج زيد، أي: لا يخرج نفي أن يكون منه خروج في الحال .

ومنهم: من يسميه جحدًا وأنكره بعضهم، وسبق الفرق بين الجحد والنفي في الكلام على قاعدة المنفي .

وقال ابن الحاجب: هي لنفي الحال في اللغتين الحجازية والتميمية، نحو: ما زيد منطلقاً

ومنطلق؛ ولهذا جعلها سيبويه في النفي جواباً لـ «قد» في الإثبات، ولا ريب أن «قد» للتقريب من الحال، فلذلك جعل جواباً لها في النفي.

قال: ويجوز أن تستعمل للنفي في الماضي والمستقبل عند قيام القرائن قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، ﴿وَمَا تَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وفي الماضي نحو: ﴿جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] فإنه ورد للتعليل على معنى كراهة أن يقولوا عند إقامة الحجة عليهم: ما جاءنا في الدنيا من بشير ولا نذير، وهذا للماضي المحقق وأمثال ذلك كثيرة.

قال: ثم إن سيبويه جعل فيها معنى التوكيد، لأنها جرت موضع «قد» في النفي، فكما أن «قد» فيها معنى التأكيد فكذلك ما جعل جواباً لها.

وهنا ضابط: وهو إذا ما أتت بعدها «إلا» في القرآن فهي من نفي «إلا» في ثلاثة عشر موضعاً:

أولها: في البقرة قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمُوهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافُوا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الثاني: ﴿فِيصِفْ مَا قُرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الثالث: في النساء قوله: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا يَبْعُضُ مَا آتَيْتُمُوهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ﴾ [النساء: ١٩].

الرابع: ﴿مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ بَنَاتِ النَّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢].

الخامس: في المائدة: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

السادس: في الأنعام: ﴿وَلَا أَخَاكَ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

السابع: ﴿وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا﴾ [الأنعام: ١١٩].

الثامن والتاسع في هود: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨] في موضعين

أحدهما: في ذكر أهل النار والثاني: في ذكر أهل الجنة.

العاشر والحادي عشر: في يوسف: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [يوسف: ٤٧]

وفيها: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا﴾ [يوسف: ٤٨].

الثاني عشر في الكهف: ﴿وَمَا يَمْبُثُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] على خلاف فيها.

الثالث عشر: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] حيث كان.

والثاني: المصدرية وهي قسمان: وقتية وغير وقتية.

فالوقتية: هي التي تقدر بمصدر نائب عن الظرف الزمان، كقوله تعالى: ﴿خَلِيلِيتِ

فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿ وقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥] و: ﴿مَا دُمَّتْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦] أي مدة دوام السموات والأرض، ووقت دوام قيامكم وإحرامكم، وتسمى ظرفية أيضًا.

وغير الوقتية هي التي تقدر مع الفعل نحو: بلغني ما صنعت أي: صنعك قال تعالى: ﴿وَيِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧] أي: بتكذيبهم أو بكذبهم على القرآن.

وقوله: ﴿صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨] وقوله: ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١١٣] و: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١] و: ﴿بِسْمَا أَشْرَوْا﴾ [البقرة: ٩٠] أي كإيمان الناس، وكإرسال الرسل وبئس اشتراؤهم.

وكلما أتت بعد كاف التشبيه، أو «بئس» فهي مصدرية على خلاف فيه، وصاحب الكتاب يجعلها حرفًا، والأخفش يجعلها اسمًا، وعلى كلا القولين لا يعود عليها من صلتها شيء. والثالث: الكافة للعامل عن عمله وهو ما يقع بين ناصب ومنصوب، أو جار ومجرور أو رافع ومرفوع.

فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُ لَهْمَ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

والثاني: كقوله: ربما رجل أكرمه وقوله: ﴿زَيْمًا يَوُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢].
والثالث: كقولك: قلما تقولين وطالما تشتكين.

والرابع: المسلطة وهي التي تجعل اللفظ متسلطًا بالعمل، بعد أن لم يكن عاملاً نحو: «ما» في «إذما» و«حيثما»، لأنهما لا يعملان بمجردهما في الشرط، ويعملان عند دخولها عليهما.

والخامس: أن تكون مغيرة للحرف عن حاله، كقوله في: «لو» لوما غيرتها إلى معنى هلا قال تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [الحجر: ٧].

والسادس: المؤكد اللفظ ويسميه بعضهم صلة، وبعضهم زائدة، والأول أولى؛ لأنه ليس في القرآن حرف إلا وله معنى، ويتصل بها الاسم والفعل، وتقع أبدًا حشواً أو آخرًا، ولا تقع ابتداءً، وإذا وقعت حشواً فلا تقع إلا بين الشيتين المتلازمين، وهو مما يؤكد زيادتها لإحكامها بين ما هو كالشيء الواحد. [ق/ ٣١٨]

نحو: ﴿أَبْنِ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿فِيمَا رَحِمْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

﴿أَيُّمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨].

﴿يَمَّا خَطَّيْتَهُمْ﴾ [نوح: ٢٥].

وجعل منه سيبويه في باب الحروف الخمسة، قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] قال: فجعلها زائدة.

وأجاز الفارسي زيادة اللام، والمعنى: إن كل نفس ما عليها حافظ.

ثم قال سيبويه: وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ [يس: ٣٢] إنما هو لجميع و«ما» لغو.

قال الضفَّار: والذي دعاه إلى أن يجعلها لغوًا ولم يجعلها موصولاً، لأن بعدها مفرد فيكون من باب: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

فإن قيل: فهلا جعلها في ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] موصولة؛ لأن بعدها الظرف؟

قلنا: منع من ذلك وقوع «ما» على آحاد من يعقل، ألا ترى كل نفس، وهذا يمنع في الآيتين من الصلة. انتهى وكان ينبغي أن يتجنب عبارة اللغو.

هَنْ

لا تكون إلا اسمًا لوقوعها فاعلة، ومفعولة، ومبتدأة، ولها أربعة أقسام: متفق عليها الموصولة والاستفهامية، والشرطية والنكرة الموصوفة.

فالموصولة كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥].

والاستفهامية: وهي التي أشربت معنى النفي ومنه: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل

عمران: ١٣٥] و ﴿وَمَنْ يَقْسُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ولا يتفيد جواز ذلك بأن يتقدمها الواو، خلافاً لابن مالك في التسهيل بدليل: ﴿مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والشرطية كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٦].

و ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

والنكرة الموصوفة: كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]: فريق يقول .

وقيل: موصولة، وضعفه أبو البقاء بأن «الذي» يتناول أقوامًا بأعيانهم، والمعنى هاهنا على الإبهام .

وتوسط الزمخشري فقال: إن كانت «أل» للجنس فنكرة أو للعهد فموصولة، وكأنه قصد مناسبة الجنس للجنس والعهد للعهد، لكنه ليس بلازم بل يجوز أن تكون للجنس، ومن موصولة وللعهد ومن نكرة .

ثم الموصولة قد توصف بالمفرد، وبالجمله، وفي التنزيل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] في أحد الوجهين، أي كل شخص مستقر عليها .

قالوا: وأصلها أن تكون لمن يعقل، وإن استعملت في غيره فعلى المجاز .

هذه عبارة القدماء، وعدل جماعة إلى قولهم «من يعلم» لإطلاقها على الباري، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦] وهو سبحانه يوصف بالعلم لا بالعقل لعدم الإذن فيه .

وضيق سيبويه العبارة فقال: هي للإناسي .

فأورد عليه أنها تكون للملك، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَجْعُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الحج: ١٨] فكان حقه أن يأتي بلفظ يعم الجميع بأن يقول: «لأولى العلم» .
وأجيب: بأن هذا يقل فيها فاقصر على الأناسي للغلبة .

وإذا أطلقت على ما لا يعقل، فإما لأنه عومل معاملة من يعقل، وإما لاختلاطه به .
فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، والذي لا يخلق المراد به الأصنام؛ لأن الخطاب مع العرب لكنه لما عوملت بالعبادة عبر عنها بـ «من» بالنسبة إلى اعتقاد المخاطب، ويجوز أن يكون المراد بـ «من» لا يخلق العموم الشامل لكل ما عبد من دون الله من العاقلين وغيرهم، فيكون مجيء «من» هنا للتغليب الذي اقتضاه الاختلاط في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ . . .﴾ [النور: ٤٥] الآية فعبر بها عمن يمشي على بطنه، وهم الحيات وعمن يمشي على أربع، وهم البهائم لاختلاطهم مع من يعقل في صدر الآية، لأن عموم الآية يشمل العقلاء وغيرهم، فغلب على الجميع حكم العاقل .

فائدة:

قيل: إنما كان «من» لمن يعقل؛ و«ما» لما لا يعقل؛ لأن مواضع ما في الكلام أكثر من

مواضع «من»، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير، وأعطوا ما قلت مواضعه للقليل، وهو من يعقل للمشاكلة والمجانسة.

تنبيه:

ذكر الإيباري في شرح «البرهان» أن اختصاص «من» بالعاقل و«ما» بغيره مخصوص بالموصلتين، أما الشرطية فليست من هذا القبيل؛ لأن الشرط يستدعي الفعل، ولا يدخل على الأسماء.

تنبيه:

وقد سبق في قاعدة مراعاة اللفظ، والمعنى بيان حكم «من» في ذلك وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًا﴾ [البقرة: ١١١] فجعل اسم «كان» مفردًا حملًا على لفظ «من» وخبرها جمعًا حملًا على معناها، ولو حمل الاسم والخبر على اللفظ معًا لقال: «إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا» ولو حملهما على معناها لقال: «إلا من كانوا هودًا أو نصاريًا»، فصارت الآية الشريفة بمنزلة قولك: لا يدخل الدار إلا من كان عاقلين، وهذه المسألة منعها ابن السراج وغيره، وقالوا: لا يجوز أن يحمل الاسم والخبر معًا على اللفظ فيقال: «إلا من كان عاقلًا» أو يحملا معًا على المعنى، فيقال: «إلا من كانوا عاقلين» وقد جاء القرآن بخلاف قولهم.

مِنْ

حرف يأتي لِبِضْعَةٍ عَشْرَ مَعْنَى^(١):

الأول: ابتداء الغاية إذا كان في مقابلتها «إلى» التي للانتهاء.

وذلك إما في اللفظ نحو: سرت من البصرة إلى الكوفة، وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وإما في المعنى نحو: زيد أفضل من عمرو، لأن معناه زيادة الفضل على عمرو وانتهائه في الزيادة إلى زيد.

ويكون في المكان اتفاقًا نحو: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

وما نزل منزلته نحو: من فلان، ومنه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٣٠] وقولك: ضربت من

(١) وقد نظمها المرادي في بيتين فقال:

وتعليل، وبذء، وانتهاء
ومعنى «عن» و«في» و«على» وباء

أتتنا «مِنْ» لتبيين، وبعض
وإبدال، وزائدة وفصل
«الجنى الداني» (ص/٣٢٠-٣٢١).

الصغير إلى الكبير، إذا أردت البداية من الصغير والنهاية بالكبير .

وفي الزمان عند الكوفيين، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] فإن «قبل» و«بعد» ظرفا زمان .

وتأوله مخالفا لهم على حذف مضاف، أي: من تأسيس أول يوم، ف «من» داخلة في التقدير على التأسيس، وهو مصدر، وأما «قبل» و«بعد» فليستا ظرفين في الأصل، وإنما هما صفتان .

الثاني: الغاية وهي التي تدخل على فعل هو محل لابتداء الغاية وانتهائه معاً، نحو:

أخذت من الثابت، فالثابت محل ابتداء الأخذ وانتهائه، وكذلك أخذته من زيد، ف«زيد» محل الابتداء الأخذ وانتهائه كذلك .

قاله الصفار: وغير [بينه] ^(١) وبين ما قبله قال: وزعم بعضهم أنها تكون لانتهاء الغاية نحو: قولك: رأيت الهلال من داري من خلل السحاب، فابتداء الرؤية وقع من الدار وانتهائها من خلل السحاب، وكذلك: شممت الريحان من داري من الطريق، فابتداء الشم من الدار وانتهائه إلى الطريق .

وقال: وهذا لا حجة فيه بل هما لابتداء الغاية، فالأولى لابتداء الغاية في حق الفاعل، والثانية لابتداء الغاية في حق المفعول، ونظيره كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى عمر بالشام وأبو عبيدة لم يكن وقت كتبه إلى عمر بالشام، بل الذي كان في الشام عمر فقوله: «بالشام» ظرف للفعل بالنسبة إلى المفعول .

قال: وزعم ابن الطراوة أنها إذا كانت لابتداء الغاية في الزمان لزمها إلى الانتهاء، فأجاز: سرت من يوم الجمعة إلى يوم الأحد، لأنك لو لم تذكر لم يدر إلى أين انتهى السير . قال الصفار: وهذا الذي قاله غير محفوظ من كلامهم، وإذا أرادت العرب هذا أتت فيه بمد ومد، ويكون الانتهاء إلى زمن الإخبار .

الثالث: التبويض ولها علامتان أن يقع البعض موقعها، وان يعم ما قبلها ما بعدها إذا حذف كقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْفِقُوا مِمَّا رَحِمْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢] ولهذا في مصحف ابن مسعود: «بعض ما محبوب» .

وقوله: ﴿يُنْفِقُ مِمَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وقوله: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٣٧] فإنه كان [ق/ ٣١٩] نزل ببعض ذريته .

(١) في المطبوع: قيله .

الرابع: بيان الجنس وقيل: إنها لا تنفك عنه مطلقاً، حكاة التراس ولها علامتان: أن يصح وضع «الذي» موضعها، وأن يصح وقوعها صفة لما قبلها.

وقيل: هي أن تذكر شيئاً تحته أجناس، والمراد أحدها، فإذا أردت واحداً منها بينته كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] [فالرجس يشمل الأوثان] ^(١) وغيرها، فلما اقتصر عليه لم يعلم المراد، فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من الجنس، وقرنت بـ«من» للبيان، فلذلك قيل: إنها للجنس. وأما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر، والتقدير: واجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، أي اجتنبوا الرجس الوثنى، فهي راجعة إلى معنى الصفة.

وهي بعكس التي للتبويض، فإن تلك يكون ما قبلها بعضاً مما بعدها، فإذا قلت: أخذت درهماً من الدراهم، كان الدرهم بعض الدراهم، وهذه ما بعدها بعض مما قبلها، ألا ترى أن الأوثان بعض الرجس؟

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥] أي: الذين هم أنتم؛ لأن الخطاب للمؤمنين، فلماذا لم يتصور فيها التبويض.

وقد اجتمعت المعاني الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرِّ﴾ [النور: ٤٣] فـ«من» الأولى لابتداء الغاية أي: ابتداء الإنزال من السماء، والثانية: للتبويض أي بعض جبال منها، والثالثة: لبيان الجنس؛ لأن الجبال تكون برداً وغير برد.

ونظيرها: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] فالأولى: للبيان؛ لأن الكافرين نوعان: كتابيون ومشركون. والثانية: مزيدة لدخولها على نكرة منفية. والثالثة: لابتداء الغاية.

وقوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] فالأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس، أو زائدة بدليل قوله: ﴿وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ﴾ [الإنسان: ٢١]، والثالثة: لبيان الجنس أو التبويض.

وقد أنكر القوم من متأخري المغاربة بيان الجنس، وقالوا: هي في الآية الشريفة لابتداء الغاية؛ لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها، فإذا قيل: «من الأوثان» فمعناه الابتداء من هذا الصنف؛ لأن الرجس ليس هو ذاتها فـ«من» [في هذه] ^(٢) الآية كهي في: وأخذته من التابوت.

(١) مقط من المطبوع.

(٢) مقط من م.

وقيل: للتبعيض؛ لأن الرجس منها، هو عبادتها واختاره ابن أبي الربيع، ويؤيده قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧].

وأما قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ فهي للتبعيض، ويقدر الخطاب عامًا للمؤمنين وغيرهم.

وأما قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ [النور: ٤٣] فهو بدل من السماء، لأن السماء مشتملة على جبال البرد، فكأنه قال: وينزل من برد في السماء، وهو من قبيل ما أعيد فيه العامل مع البدل كقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥].

وأما قوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ [الكهف: ٣١] ففي موضع الصفة فهي للتبعيض. وكثيرًا ما تقع بعد «ما» و«مهما» لإفراط إبهامهما نحو: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] و﴿مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢] وهي ومخفوضها في موضع نصب على الحال.

وقد تقع بعد غيرهما: ﴿يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] الشاهد في غير الأولى، فإن تلك للابتداء. وقيل: زائدة.

الخامس: التعليل ويقدر بلام نحو: ﴿وَمِمَّا خَطَبْتِهِمْ أَعْرِفُوا﴾ [نوح: ٢٥] وقوله: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [قريش: ٤] أي: من أجل الجوع.

ورده [الأمدي] ^(١) بأن الذي فهم منه العلة إنما هو لأجل المراد، وإنما هي للابتداء أي: ابتداء الإطعام من أجل الجوع.

السادس: البدل من حيث العوض عنه، فهو كالسبب في حصول العوض، فكأنه منه أتى نحو قوله تعالى: ﴿بَلَعْنَا مِنْكُمْ مَلَكِيَّةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ لأن الملائكة لا تكون من الإنس.

وقوله: ﴿أَرْضَيْتُهُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨] أي: بدلاً من الآخرة، وعملها مع مجرورها النصب على الحال.

وقوله: ﴿إِنْ تَمَخَّرْتُمْ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠] أي: بدل طاعة الله أو رحمة الله.

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢] أي: بدل الرحمن.

السابع: بمعنى على نحو: ﴿وَصَوَّرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] أي: على القوم. وقيل: على

(١) في المطبوع: الأبيدي.

التضمن أي: منعناه منهم بالنصر.

الثامن: بمعنى «عن» نحو: ﴿قَوْلٌ لِّلْقَسِيَةِ فُلُوهُمْ مِن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿يَتَوَلَّنَا قَد كُنَّا فِي عَقْلٍ مِّنْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧] وقيل: هي للابتداء فيهما.

وقوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾ [قريش: ٤] فقد أشار سيبويه إلى أن «من» هنا تؤدي معنى «عن».

وقيل: هي بمنزلة اللام للعللة أي: لأجل الجوع، وليس بشيء، فإن الذي فهم منه العلة إنما هو «أجل» لا «من».

واختار الصفار أنها لا ابتداء الغاية.

التاسع: بمعنى الباء نحو: ﴿يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ حَافِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] حكاة البغوي عن يونس. وقيل: إنما قال: ﴿مِن طَرْفٍ﴾؛ لأنه لا يصح عنه وإنما نظره ببعضها.

وجعل منه ابن أبان: ﴿يَحْفَظُونَ مِن أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤-٥].

العاشر بمعنى «في» نحو: ﴿إِذَا تُودَىٰ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠].

وقيل: لبيان الجنس.

الحادي عشر: بمعنى «عند» نحو: ﴿لَن تَنفِكَ عَنْهُمُ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٠] قال أبو عبيد: وقيل: إنها للبدل.

الثاني عشر: بمعنى الفصل وهي الداخلة بين المتضادين نحو: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

الثالث عشر: الزائدة ولها شرطان عند البصريين: أن تدخل على نكرة، وأن يكون الكلام نفيًا نحو: ما كان من رجل أو نهيًا نحو: لا تضرب من رجل أو استفهامًا نحو: هل جاءك من رجل؟

وأجرى بعضهم الشرط مجرى النفي: نحو: إن قام رجل قام عمرو.

وقال الصفار: الصحيح المنع.

ولها في النفي معنيان:

أحدهما: أن تكون للتخصيص على العموم، وهي الداخلة على مالا يفيد العموم نحو: ما

جاءني من رجل ، فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ، ونفي الوحدة ، فإذا دخلت «من» تعين نفي الجنس ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] .

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَوتٍ ﴾ [الملك: ٣] .

وثانيهما : لتوكيد العموم ، وهي الداخلة على الصيغة المستعملة في العموم نحو : ما جاءني من أحد أو من ديار ، لأنك لو أسقطت «من» لبقى العموم على حاله ؛ لأن أحداً لا يستعمل إلا للعموم في النفي .

وما ذكرناه من تغاير المعنيين خلاف ما نص عليه سيبويه من تساويهما .

قال الصفار : وهو الصحيح عندي ، وأنها مؤكدة في الموضعين ، فإنها لم تدخل على «جاءني رجل» إلا وهو يراد به «ما جاءني أحد» ، لأنه قد ثبت فيها تأكيد الاستغراق مع «أحد» ، ولم يثبت لها الاستغراق فيحمل هذا عليه ، فلهذا كان مذهب سيبويه أولى .

قال : وأشار إلى أن المؤكدة ترجع لمعنى التبعيض ، فإذا قلت : ما جاءني من رجل ، فكأنه قال : «ما أتاني بعض هذا الجنس ولا كله» ، وكذا «ما أتاني من أحد» أي : بعض من الأحدين . انتهى .

وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : نص سيبويه على أنها نص في العموم ، قال : فإذا قلت : ما أتاني رجل ، فإنه يحتمل ثلاثة معان :

أحدها أن تريد أنه ما أتاك رجل واحد بل أكثر من واحد .

والثاني : أن تريد ما أتاك من رجل في قوته ، ونفاذه بل أتاك الضعفاء .

والثالث : أن تريد ما أتاك رجل واحد ولا أكثر من ذلك .

فإن قلت : ما أتاني من رجل كان نفيًا لذلك كله ؟ قال : هذا معنى كلامه .

والحاصل أن «من» في سياق النفي تعم وتستغرق .

ويلتحق بالنفي الاستفهام كقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن ظُفُورٍ ﴾ [الملك: ٣] .

وجوز الأخفش زيادتها في الإثبات كقوله : ﴿ يَفْقَرُ لَكُمْ مِن دُونِكُمْ ﴾ [الاحقاف: ٣١] والمراد الجميع بدليل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْقَرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] فوجب حمل الأول على الزيادة دفعًا للتعارض .

وقد نوزع في ذلك بأنه إنما يقع التعارض لو كانتا في حق قبيل واحد ، وليس كذلك ، فإن الآية التي فيها من قوم نوح والأخرى لهذه الأمة .

فإن قيل: فإذا غفر للبعض كان البعض الآخر معاقباً عليه، فلا يحصل كمال الترغيب في الإيمان إلا بغفران الجميع.

وأيضاً فكيف يحسن التبعيض فيها مع أن الإسلام يجب ما قبله؟ فيصح قول الأخفش فالجواب من وجوه:

أحدها: أن المراد بغفران بعض الذنوب في الدنيا، لأن إغراق قوم نوح عذاب لهم، وذلك إنما كان في الدنيا مضافاً إلى عذاب الآخرة، فلو آمنوا لغفر لهم من الذنوب ما استحقوا به الإغراق في الدنيا، وأما غفران الذنوب بالإيمان في الآخرة فمعلوم.

والثاني: أن الكافر إذا آمن فقد بقي عليه ذنوب، وهي مظالم العباد فثبت التبعيض بالنسبة للكافر.

الثالث: أن قوله: ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾ يشمل الماضية والمستقبلية، فإن الإضافة تفيد العموم، فقيل: «من» لتفيد أن المغفور الماضي، وعدم إطماعهم في غفران المستقبل بمجرد الإسلام [ق/ ٣٢٠] حتى يجتنبوا المنهيات.

وقيل: إنها لا ابتداء الغاية وهو حسن لقوله: ﴿يُغْفَر لَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ٣٨] وسيبويه يقدر في نحو ذلك مفعولاً محذوقاً، أي: يغفر لكم بعضاً من ذنوبكم محافظة على معنى التبعيض.

وقيل: بل الحذف للتفخيم، والتقدير: «يغفر لكم من ذنوبكم ما لو كشف لكم عن كنهه لاستعظمت ذلك» والشيء إذا أرادوا تفخيمه أهملوه كقوله: ﴿فَقَشِيهِمْ مِنْ آلِئِمٍّ مَا عَشِيهِمْ﴾ [طه: ٧٨] أي: أمر عظيم.

وقال الصفار: «من» للتبعيض على بابها، وذلك أن «غفر» تتعدى لمفعولين: أحدهما: باللام، فالأخفش يجعل المفعول المصرح «الذنوب»، وهو المفعول الثاني فتكون «من» زائدة، ونحن نجعل المفعول محذوقاً وقامت «من ذنوبكم» مقامه أي: جملة من ذنوبكم وذلك أن المغفور لهم بالإسلام ما اكتسبوه في حال الكفر، لا حال الإسلام، والذي اكتسبوه في حال الكفر بعض ذنوبهم لا جميعها.

وأما قوله في آية الصدقة: ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] فللتبعيض؛ لأن أخذ الصدقة لا يمحو كل السيئات.

ومما احتج به الأخفش أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] أي: أبصارهم وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥] أي: كل الثمرات.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وهذا ضعيف أيضاً، بل هي في الأول للتبويض؛ لأن النظر قد يكون عن تعمد، وغير تعمد، والنهي إنما يقع على نظر العمد فقط؛ ولهذا عطف عليه قوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] من غير إعادة «من»، لأن حفظ الفروج واجب مطلقاً، ولأنه يمكن التحرز منه، ولا يمكن في النظر لجواز وقوعه اتفاقاً، وقد يباح للخطبة والتعليم ونحوهما.

وأما الثانية: فإن الله وعد أهل الجنة أن يكون لهم فيها كل نوع من أجناس الثمار مقدار ما يحتاجون إليه وزيادة، ولم يجعل جميع الذي خلقه الله من الثمار عندهم، بل عند كل منهم من الثمرات ما يكفيه [وزيادة على كفايته] (١)، وليس المعنى على أن جميع الجنس عندهم حتى لم تبق معه بقية، لأن في ذلك وصف ما عند الله بالنهاي.

وأما الثالثة فللتبويض بدليل قوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ

عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

لطيفة: إنها حيث وقعت في خطاب المؤمنين لم تذكر كقوله في سورة الصف: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَيْكُمْ مِمَّنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ [الصف: ١٠] إلى قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: ١٢].

وقوله في سورة الأحزاب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٧٠] إلى قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وقال في خطاب الكفار في سورة نوح: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤].

وفي سورة الأحقاف: ﴿يَقَوْمَنَا أَلْبَسُوا دَائِي اللَّهُ ءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] وما ذاك إلا للترقية بين الخطابين، لثلاثي يسوى بين الفريقين في الوعد؛ ولهذا إنه في سورة نوح والأحقاف وعدهم مغفرة بعض الذنوب، بشرط الإيمان لا مطلقاً وهو غفران ما بينه وبينهم لا مظالم العباد.

الرابع عشر: الملابس كقوله تعالى: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: يلبس بعضهم بعضاً ويواليه، وليس المعنى على النسل والولادة، لأنه قد يكون من نسل المنافق مؤمن وعكسه.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وكذا قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤].

كما يتبرأ الكفار كقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

فأما قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢٥] أي: بعضكم يلبس بعضاً ويواليه في ظاهر الحكم من حيث يشملكم الإسلام.

مع (١)

للمصاحبة بين أمرين: لا يقع بينهما مصاحبة واشتراك، إلا في حكم يجمع بينهما، ولذلك لا تكون الواو التي بمعنى «مع» إلا بعد فعل لفظاً أو تقديرًا لتصح المعية. وكمال معنى المعية الاجتماع في الأمر الذي به الاشتراك دون زمانه.

فالأول يكثر في أفعال الجوارح والعلاج نحو دخلت مع زيد وانطلقت مع عمرو، وقمنا معاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿أَرْسِلْهُ مَعًا غَدًا﴾ [يوسف: ١٢]، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا﴾ [يوسف: ٦٣]، ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

والثاني: يكثر في الأفعال المعنوية نحو: آمنت مع المؤمنين، وتبت مع التائبين، وفهمت المسألة مع من فهمها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَقْتَبَىٰ رَبِّكَ وَأَسْبَجِدِي وَأَكْبَعِي مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠] أي بالعناية والحفظ ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨] يعني الذين شاركوه في الإيمان، وهو الذي وقع فيه الاجتماع والاشتراك من الأحوال والمذاهب.

وقد ذكروا الاحتمالين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النَّوْرَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قيل: إنه من باب المعية في الاشتراك، فتمامه الاجتماع في الزمان على حذف مضاف: إما أن يكون تقديره أنزل مع نبوته، وإما أن يكون التقدير مع اتباعه.

وقيل: لأنه فيما وقع به الاشتراك دون الزمان، وتقديره: واتبعوا معه النور.

وقد تكون المصاحبة في الاشتراك بين المفعول وبين المضاف كقوله: شممت طيباً مع زيد.

ويجوز أن يكون منه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] نقل ذلك أبو الفتح القشيري في شرح «الإمام» عن بعضهم، ثم قال: وقد ورد في الشعر استعمال «مع» في

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٣٠٥-٣٠٨).

معنى ينبغي أن يتأمل ليلحق بأحد الأقسام وهو قوله (١) :

يقوم مع الريح الرديني قامة ويقصر عنه طول كل نجاد وقال الراغب (٢) : «مع» تقتضي الاجتماع إما في المكان نحوهما معاً في الدار، أو في الزمان نحو ولدا معاً، أو في المعنى كالمتضايقين نحو الأخ والأب، فإن أحدهما صار أخاً للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وإما في الشرف والرتبة نحوهما معاً في العلو وتقتضي «مع» النصر، والمضاف إليه لفظ «مع» هو المنصور نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] .

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨] .

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿إِنَّ مَعِيَ رِزْقِي سَهَبِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢] انتهى .

وقال ابن مالك: إن «معاً» إذا أفردت تساوى «جميعاً» معنى .

ورد عليه الشيخ أبو حيان بأن بينهما فرقاً، قال ثعلب: إذا قلت قام زيد وعمرو جميعاً احتمل أن يكون القيام في وقتين وأن يكون في واحد، وإذا قلت: قام زيد وعمرو معاً فلا يكون إلا في وقت واحد .
والتحقيق ما سبق .

ويكون بمعنى النصر والمعونة والحضور كقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] أي ناصركما، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨] أي معينهم .

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي عالم بكم ومشاهدكم، فكانه حاضر معهم، وهو ظرف زمان عند الأكثرين: إذا قلت: كان زيد مع عمرو، أي زمن مجيء عمرو، ثم حذف الزمن والمجيء وقامت «مع» مقامهما .

(٣) النون

للتأكيد: وهي إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين، أو شديدة فمنزلة تأكيده ثلاثاً، وأما قوله تعالى: ﴿لَيْسَجَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الضَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] من حيث أكدت السجن بالشدّة دون ما بعده إعظماً .

(١) لسلم الخاسر، وهو سلم بن عمرو بن حماد البصري: شاعر خليع ماجن من أهل البصرة، توفي سنة ١٨٦هـ .

(٢) المفردات (ص/ ١٣٧٤) .

(٣) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ١٤١-١٥١) .

ولم يقع التأكيد بالخفيفة في القرآن إلا في موضعين هذا وقول: ﴿لَسَفَّأً بِالنَّاصِيَةِ﴾ [الملق

١٥٠].

وفي القواعد: إنها إذا دخلت على فعل الجماعة المذكور كان ما قبلها مضموناً، نحو يا رجال اضربن زيداً، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [ال عمران: ٨١] فأما قوله تعالى: ﴿لَئِنْ كَشَفْنَا عَنْكَ الرِّجْزَ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنَاتٍ بِمِثْرِ يَلْدٍ﴾ [الاعراف: ١٣٤] وإنما جاء قبلها مفتوحاً؛ لأنها دخلت على فعل الجماعة المتكلمين، وهو بمنزلة الواحد، ولا تلحقه واو الجماعة؛ لأن الجماعة إذا أخبروا عن أنفسهم، قالوا: نحن نقوم ليكون فعلهم كفعل الواحد والرجل الرئيس إذا أخبر عن نفسه قال كقولهم، فلما دخلت النون هذا الفعل مرة أخرى بنى آخره معها على الفتح [ق/ ٣٢١] لما كان لا يلحقه واو الجمع، وإنما يضمنون ما قبل النون في الأفعال التي تكون للجماعة ويلحقها واو الجمع التي هي ضميرهم، وذلك أن واو الجمع يكون ما قبلها مضموماً نحو قولك: يضربون، فإذا دخلت النون حذفت نون الإعراب لدخولها، وحذف الواو لسكونها وسكون النون، وبقي ما قبل الواو مضموماً ليدل عليه.

ومثله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الاعراف: ٢٣].

فإن كان ما قبل الواو مفتوحاً لم يحذفها، ولكنها تحركها لالتقاء الساكنين نحو: اخشون زيداً.

(١) الهاء

تكون ضميراً للغائب وتستعمل في موضع الجر والنصب نحو: ﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧] وتكون لبيان السكت، وتلحق وفقاً لبيان الحركة، وإنما تلحق بحركة بناء لا تشبه حركة الإعراب نحو: ﴿مَا هِيَ﴾ [القارة: ١٠] وكالهاء في: ﴿كِتَابَةٍ﴾ [الحاقة: ١٩] و: ﴿حَسَابَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠] و: ﴿سُلْطَانِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٩] و: ﴿مَالِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٨].

وكان حقها أن تحذف وصللاً وتثبت وفقاً، وإنما أجرى الوصل مجرى الوقف، أو وصل بنية الوقف في ﴿كِتَابَةٍ﴾ و ﴿حَسَابَةٍ﴾ اتفاقاً، فأنبتت الهاء كذا عند الجميع القراء إلا حمزة، فإنه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وأثبتها وفقاً أعنى في «ماليه» و «سلطانيه» و «ماهيه» في القارعة، لأنها في الوقف يحتاج إليها لتحسين حركة الموقوف عليه، وفي الوصل يستغني عنه.

فإن قيل: فلم لا يفعل ذلك في «كتابه» و «حسابه»؟ قيل: إنه جمع بين اللغتين.

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ١٥٢-١٥٣).

(١) ها

كلمة تستعمل على ضربين:

أحدهما: أن تكون اسمًا سمي به الفعل .

وثانيهما للتنبيه ولها موضوعان:

أحدهما: أن تلحق الأسماء المبهمة المفردة نحو هذا، وتنزل منزلة حرف من الكلمة؛

ولهذا يدخل حرف الجر عليه كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [المنكوت: ٤٧] .

ويفصل به بين المضاف والمضاف إليه كقوله: ﴿لِيُثَلِّ هَذَا فَيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ [الصفات: ٦١] .

الثاني: أن تدخل على الجملة كقوله: ﴿هَاتَيْنِ أَوْلَادَهُنَّ يُحِبُّونَهُنَّ﴾ [آل عمران: ١١٩] .

﴿هَاتَيْنِ هَؤُلَاءِ جَدَلْتَهُنَّ عَنْهُنَّ﴾ [النساء: ١٠٩] .

ويدل على دخول حرف التنبيه على الجملة، أنه لا يخلو إما أن يقدر به الدخول على الاسم

المفرد أو الجملة لا يجوز الأول؛ لأن المبهم في الآيتين دخل عليهما حرف الإشارة، فعلم أن

دخولها إنما هو الجملة، ذكره أبو علي .

(٢) هل

للاستفهام^(٣) قيل: ولا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن له فيه البتة^(٤)، بخلاف

الهمزة فإنه لا بد أن يكون معه إثبات . فإذا قلت: أعندك زيد؟ فقد هجس في نفسك أنه عنده

فأردت أن تستثبته بخلاف «هل» حكاه ابن الدهان .

وقد سبق فروق في الكلام على معنى الاستفهام .

وقد تأتي بمعنى «قد» كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩]، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

الْفَتَشِيَّةِ﴾ [الناسية: ١]، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١] .

وذكر بعضهم أن «هل» تأتي للتقرير والإثبات، كقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّئِي حَجْرٍ﴾

[الفرج: ٥] أي في ذلك قسم، وكذا قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١] على القوم بأن المراد

آدم، فإنه توبيخ لمن ادعى ذلك، وتأتي بمعنى «ما» كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلُمٍ مِّنَ الْفُجَارِ﴾ [البقرة: ٢١٠] .

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/٣٤٦-٣٥٠) .

(٢) انظر: «الجنى الداني» (ص/٣٤٦-٣٤١) .

(٤) أي لطلب التصديق الموجب لا غير .

(٣) فتدخل على الأسماء والأفعال .

- وبمعنى «إلا» كقوله: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣] .
- وبمعنى الأمر نحو: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] .
- وبمعنى السؤال: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] .
- وبمعنى التمني: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] .
- وبمعنى أدهوك نحو: ﴿هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَزُكَّ﴾ [النازعات: ١٨] فالجار والمجرور متعلق به .

هيهات

لتبعيد الشيء ومنه: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦] قال الزجاج: البعد لما توعدون، وقيل: وهذا غلط من الزجاج أوقعه فيه اللام، فإن تقديره بعد الأمر لما توعدون، أي لأجله .

الواو (١)

الواو العاملة

حرف يكون عاملاً، وغير عامل، فالعامل قسمان: جار وناصب .

فالجار واو القسم نحو: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

واو «رب» على قول كوفي، والصحيح أن الجر بـ «رب» المحذوفة لا بالواو .

والناصب ثنتان: واو «مع» فنصب المفعول معه عند قوم، والصحيح أنه منصوب بما قبل الواو من فعل أو شبهه بواسطة الواو . والواو التي ينتصب المضارع بعدها في موضعين: في الأجوبة الثمانية، وأن يعطف بها الفعل على المصدر على قول كوفي .

والصحيح أن الواو فيه عاطفة، والفعل منصوب بأن مضمرة .

ولها قسم آخر عند الكوفيين تسمى واو الصرف، ومعناها أن الفعل كان يقتضي إعراباً فصرفته الواو عنه إلى النصب، كقوله تعالى: ﴿أَجْتَمِعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] على قراءة النصب .

الواو غير العاملة

وأما غير العاملة فلها صحتان:

الأول: وهو أصلها العاطفة تشرك في الإعراب والحكم، وهي لمطلق الجمع على

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/١٥٣-١٧٤) .

الصحيح ولا تدل على أن الثاني بعد الأول، بل قد يكون كذلك، وقد يكون قبله، وقد يكون معه فمن الأول: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢] فإن الإخراج متأخر عن الزلزال، وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو.

ومن الثاني: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [ال عمران: ٤٣] والركوع قبل السجود، ولم ينقل أن شرعهم كان مخالفاً لشرعنا في ذلك.

وقوله تعالى مخبراً عن منكري البعث: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجنات: ٢٤]. أي نحيا ونموت.

وقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَلْخِيبَةً آيَاتٍ﴾ [الحاقة: ٧] والأيام هنا قبل الليالي، إذ لو كانت الليالي قبل الأيام كانت مساوية لليالي وأقل.

قال الصفار: ولو كان على ظاهره لقال: سبع ليال وستة أيام أو سبعة أيام، وأما «ثمانية» فلا يصح على جعل الواو للترتيب.

فائدة:

وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١١] أجاز أبو البقاء كون الواو عاطفة وهو فاسد، لأنه يلزم فيه أن يكون الله تعالى أمر نبيه عليه السلام أن يتركه، وكأنه قال: اتركني واطرك من خلقت وحيداً، وكذلك اتركني واطرك المكذبين، فتعين أن يكون المراد خل بيني وبينهم، وهو واو مع كقولك: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها. والثاني: واو الاستئناف وتسمى واو القطع والابتداء، وهي التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة في الإعراب، ويكون بعدها الجملتان:

فالاسمية كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

والفعلية كقوله: ﴿لَيْسَ بِنَكَاحِكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥]: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَيِّئًا وَيَقُولُ

الْإِنْسَانُ﴾ [مريم: ٦٥-٦٦]

والظاهر أنها الواو العاطفة لكنها تعطف لجمال التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط، وإنما سميت واو الاستئناف لثلاث يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها.

الثالث: واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية، وهي عندهم مغنية عن ضمير صاحبها، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمْرِ أَمْنَةً نُغَاسًا يَّغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [ال عمران: ١٥٤].

- وقوله: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّمْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ١٤].
- وقوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥].
- وقد يجتمعان نحو: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].
- ﴿وَتَسَوَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّوْنَ الْكٰكِبَةُ﴾ [البقرة: ٤٤] [ق/ ٣٢٢].
- ﴿وَلَا تَبْتَئِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عٰكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].
- ﴿الَّذِينَ نَزَّ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣].
- ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بِبَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].
- ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ مِنْهُ لِأَنْفُسِكُمْ يُخٰذِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].
- ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].
- ﴿أَنَّ يَكُونَ لِي عَلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠].

الرابع: للإباحة نحو: جالس الحسن وابن سيرين، لأنك أمرت بمجالستهما معاً.
قال: وعلى هذا أخذ مالك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ الآية [التوبة: ٦٠].

الخامس: واو الثمانية والعرب تدخل الواو بعد السبعة إيداناً بتمام العدد، فإن السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا، فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فنقول: خمسة ستة سبعة وثمانية فيزيدون الواو إذا بلغوا الثمانية.

حكاه البغوي عن عبد الله بن جابر عن أبي بكر بن عبدوس، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧].

ونقل عن ابن خالويه وغيره ومثله بقوله تعالى: ﴿وَأَلْمَمْتُمْ كَلْبَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] بعد ما ذكر العدد مرتين بغير واو.

وقوله تعالى في صفة الجنة: ﴿وَوُضِعَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] بالواو؛ لأنها ثمانية. وقال تعالى في صفة النار: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير الواو؛ لأنها سبعة، وفعل ذلك فرقاً بينهما.
وقوله: ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ النَّكْرِ﴾ [التوبة: ١١٢] بعد ما ذكر قبلها من الصفات بغير واو.
وقيل: دخلت فيه إعلماً بأن الأمر بالمعروف ناه عن المنكر، في حال أمره بالمعروف، فهما حقيقتان متلازمتان.

وليس قوله: ﴿ثَبَّتْنَا وَأَبْكَرْنَا﴾ [التحریم: ٥] من هذا القبيل، خلافاً لبعضهم، لأن الواو لو أسقطت منه لاستحال المعنى لتناقض الصفتين.

ولم يثبت المحققون واو الثمانية، وأولوا ما سبق على العطف أو واو الحال، وإن دخلت في آية الجنة لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت في الأول؛ لأنها كانت مغلقة قبل مجيئهم.

وقيل: زيدت في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته، وفيها زيادة كلام سبق في مباحث الحذف.

وزعم بعضهم أنها لا تأتي في الصفات إلا إذا تكررت النعوت، وليس كذلك.

بل يجوز دخولها من غير تكرار قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانِينَ كُتُبًا﴾ [الكهف: ٢٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وتقول: جاءني زيد والعالم.

السادس: الزيادة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] بدليل الآية الأخرى.

قال الزمخشري: دخلت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف الدالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر.

وضابطه: أن تدخل على جملة صفة للنكرة، نحو: جاءني رجل ومعه ثوب آخر، وكذا ﴿وَأَثَمْتُهُمْ كُتُبًا﴾ [الكهف: ٢٢].

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك في باب الاستثناء من شرح «التسهيل» وتابعه الشيخ أثير الدين: إن الزمخشري تفرد بهذا القول وليس كذلك، فقد ذكر الأزهري في الأزهرية فقال: وتأتي الواو للتأكيد نحو: ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثوب حسن، وفي القرآن منه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وقال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] انتهى.

وأجازه أبو البقاء أيضاً في الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقال: يجوز أن تكون الجملة في موضع نصب صفة لـ «شيء»، وساغ دخول الواو لما كانت صورة الجملة هنا كصورتها إذا كانت حالاً.

وأجاز أيضاً في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَرَبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فقال: الجملة في موضع جر صفة لـ «قربة».

وأما قوله: ﴿فَأَضْرِبْ يَدِيهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾ [ص: ٤٤] فقيل: الواو زائدة ويحتمل إن يكون مجزوماً جواب الأمر بتقدير: اضرب به ولا تحنث.

ويحتمل أن يكون نبيهاً.

قال ابن فارس: والأول [أجود] (١).

وكذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ [يوسف: ٢١] قيل: الواو زائدة. وقيل: ولنعلمه فعلنا ذلك.

كذلك: ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ [الصافات: ٧] أي وحفظاً فعلنا ذلك.

وقيل: في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] إنها زائدة للتأكيد، والصحيح أنها عاطفة. وجواب «إذا» محذوف، أي سعدوا وأدخلوا.

وقيل: وليعلم فعلنا ذلك وكذلك ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ [الصافات: ٧] أي حفظاً فعلنا ذلك.

وقيل في قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَمَّوْاْ وَقَالُواْ لِجَبِيْنِ ﴿١٣٢﴾ وَوَدَّعَيْنَاهُ أَن يُتَابِعَهُمْ ﴿١٣٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] أي نادينا، والصحيح أنه عاطفة، والتقدير: عرف صبره ونادينا،: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيْهِمْ إِتْرَاهِيمَ مَلَكُوْتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٥].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْآيٰتُ نُدٰوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] أي لنعلم.

وقوله: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قَوْلٌ أَلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهٖ﴾ [آل عمران: ٩١] وزعم الأَخْفَشُ أن «إذا» من قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ اَنْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] مبتدأ وخبرها إذا في قوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣] والواو زائدة، والمعنى أن وقت انشقاق السماء هو وقت مد الأرض وانشاقها، واستبعده أبو البقاء لوجهين:

أحدهما: أن الخبر محط الفائدة، ولا فائدة في إعلامنا بأن الوقت الانشقاق في وقت المد، بل الغرض من الآية عظم الأمر يوم القيامة.

والثاني: بأن زيادة الواو تغلب في القياس والاستعمال.

وقد تحذف كثيراً من الجمل كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ﴾ [التوبة: ٩٢] أي «وقلت»، والجواب قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾.

(١) في المطبوع: أجو.

وقوله: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلَّغَةَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] وفي قول أكثر: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴿ الآية [الشعراء: ٢٣-٢٤] .
وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى لَعْنَةِ الْعَظِيمِ ﴿ [الواقعة: ٤٥-٤٦] .

ويكان

قال الكسائي: كلمة تندم وتعجب قال تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ اللَّهُ يُسْطُ الرِّزْقِ﴾ [القصر: ٨٢]
﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

وقيل: إنه صوت لا يقصد به الإخبار عن التندم، ويحتمل أنه اسم فعل مسماه «ندمت»،
أو «تعجبت» .

وقال الضفّار: قال المفسرون: معناه «ألم تر»، فإن أرادوا به تفسير المعنى فمسلّم، وإن
أرادوا تفسير الإعراب فلم يثبت ذلك .

وقيل: بمعنى «ويلك»، فكان ينبغي كسر «إن» .

وقيل: «وى» تنبيه، وكان للتشبيه، وهو الذي نص عليه سيبويه .

ومنهم من جعل كأن زائدة لا تفيد تشبيهاً، ولم يثبت فلم يبق إلا أنها للتشبيه، الأمر يشبه
هذا بل هو كذا .

قلت: عن هذا اعتذر سيبويه فقال: المعنى على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم
أو نبهوا فقبل لهم: أما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا!

وهذا بديع جداً كأنهم لم يحققوا هذا الأمر، فلم يكن عندهم إلا ظن فقالوا: نشبه أن يكون
الأمر كذا ونهوا، ثم قيل لهم: يشبه أن يكون الأمر هكذا على وجه التقرير انتهى .

وقال صاحب «البيسط»: كأنه على مذهب البصريين لا يراد به التشبيه بل القطع واليقين .

وعلى مذهب الكوفيين يحتمل أن تكون الكاف حرفاً للخطاب؛ لأنه إذا كان اسم فعل لم
يضاف .

وذهب بعضهم: إلى أنه بكماله [ق/ ٣٢٣] اسم .

وذهب الكسائي: إلى أن أصله «ويلك» فحذفت اللام، وفتحت على مذهبه أن باسم
الفعل قبلها .

وأما الوقف فأبو عمرو ويعقوب يقفان على الكاف على موافقة مذهب الكوفيين،
والكسائي يقف على الياء، وهو مذهب البصريين، وهذا يدل على أنهم لم يأخذوا قراءتهم من

نحوهم، وإنما أخذوها نقلاً، وإن خالف مذهبهم في النحو، ولم يكتبوها منفصلة، لأنه لما كثر بها الكلام وصلت.

ويل

قال الأصمعي: «ويل» تقييح قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].
وقد توضع موضع التحسر والتفجع منه كقوله: ﴿يَوَيْلُنَا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿يَوَيْلُيَ أَعَجَزْتُ
أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْقُرْبِ﴾ [المائدة: ٣١].

يا (١)

لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، ومنه قول الداعي: يا الله وهو: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] استصغاراً لنفسه واستبعاداً لها من مظان الزلفى.
وقد ينادى بها القريب، إذا كان ساهياً أو غافلاً تنزيلاً لهما منزلة البعيد.
وقد ينادى بها القريب الذي ليس بساه ولا غافل، إذا كان الخطاب المرتب على النداء في
حل الاعتناء بشأن المنادى.
وقد تحذف نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ
زِينَةً﴾ [يونس: ٨٨] ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ [الأعراف: ١٥٠].
وقد قيل في قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ آتَاءَ الْبَيْلِ﴾ [الزمر: ٩] في قراءة تخفيف «من» (٢):
إن الهمزة فيه للنداء، أي يا صاحب هذه الصفات.
قال ابن فارس: تأنى للتأسف والتلهف نحو: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥] وقيل: للتنبيه.
قال: وللتلذذ نحو:

يا بردها على الفؤاد لو تقف
وهذا مع التوفيق كاف فحصل

في آخر النسخة المنقول منها ما مثاله:

تمت النسخة المباركة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، ونسأل الله العظيم رب
العرش العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مقرباً بالفوز في جنات النعيم، وذلك في اليوم

(١) انظر: «الجنى الداني» (ص/ ٣٥٤-٣٥٨).

(٢) قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: [أَمَنْ هُوَ قانت] مشددة الميم.

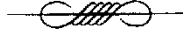
وقرأ ابن كثير ونافع وحمة: [أَمَنْ هُوَ قانت] خفيفة الميم.

الحجة (٦/٩٢).

المبارك السعيد رابع عشر شهر شعبان الفرد من شهور سنة تسع وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين .

وإن تَجِدْ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلْلَا فَعَجَلٌ مَنْ لَا فِيهِ عَيْبٌ وَعَلَا [ق/٣٢٤].



الفهرس

٥	مقدمة المحقق
٨	ترجمة المؤلف
١١	تقديم فضيلة الشيخ العلامة محمد رزق ساطور - حفظه الله -
١٤	تقديم الأستاذ الدكتور: علي علي لقم
١٥	مقدمة المؤلف
٢٢	فصل في علم التفسير
٢٤	فصل في علوم القرآن
٢٨	النوع الأول: معرفة أسباب النزول
٢٨	النزول
٣٢	فصل فيما نزل مكرراً
٣٣	فصل خصوص السبب وعموم الصيغة
٣٤	تقدم نزول الآية على الحكم
٣٥	فائدة
٣٦	النوع الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات
٣٩	أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض
٤٨	فصل في اتصال اللفظ والمعنى على خلافه
٥٠	النوع الثالث: معرفة الفواصل، ورعوس الآي
٥٥	إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل
٦٠	تفريعات ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين
٦٠	مبنى الفواصل على الوقف
٦١	المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتتامه
٦١	تقسيم الفواصل باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف
٦٣	تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف
٦٥	اختلف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام

٦٩	فصل وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها وذلك في مواضع: ...
٧٠	تنبيه
٧١	تنبيه
٧٢	تنبيه
٧٦	تنبيه
٧٨	فصل في ضابط الفواصل
٨١	النوع الرابع: في جمع الوجوه والنظائر
٨٧	النوع الخامس: علم المتشابه
٨٧	الفصل الأول
٨٧	المتشابه باعتبار الأفراد
١٠٠	الفصل الثاني ما جاء على حرفين
١٠١	الفصل الثالث ما جاء على ثلاثة أحرف
١٠٣	الفصل الرابع ما جاء على أربعة حروف
١٠٥	الفصل الخامس ما جاء على خمسة حروف
١٠٥	الفصل السادس ما جاء على ستة حروف
١٠٦	الفصل السابع ما جاء على سبعة حروف
١٠٦	الفصل الثامن ما جاء على ثمانية حروف
١٠٦	الفصل التاسع ما جاء على تسعة حروف
١٠٧	الفصل العاشر ما جاء على عشرة أحرف
١٠٧	الفصل الحادي عشر ما جاء على أحد عشر حرفاً
١٠٨	الفصل الثاني عشر ما جاء على خمسة عشر وجهاً
١٠٨	الفصل الثالث عشر ما جاء على ثمانية عشر وجهاً
١٠٩	الفصل الرابع عشر فيما جاء على عشرين وجهاً
١٠٩	الفصل الخامس عشر ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً
١١١	النوع السادس: علم المبهمات
١١٤	تنبيهات
١١٧	النوع السابع: في أسرار الفواتح والسور

- ١١٧ ١- الاستفتاح بالثناء
- ١١٨ ٢- الاستفتاح بحروف التّهجي
- ١٢١ تنبيهات
- ١٢٦ فصل
- ١٢٧ ٣- الاستفتاح بالنداء
- ١٢٧ ٤- الاستفتاح بالجمل الخبرية
- ١٢٧ ٥- الاستفتاح بالقسم
- ١٢٧ ٦- الاستفتاح بالشرط
- ١٢٧ ٧- الاستفتاح بالأمر
- ١٢٧ ٨- الاستفتاح بالاستفهام
- ١٢٨ ٩- الاستفتاح بالدعاء
- ١٢٨ ١٠- الاستفتاح بالتعليل
- ١٢٩ النوع الثامن: في خواتم السور
- ١٣٠ فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها
- ١٣١ فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها
- ١٣٢ النوع التاسع: معرفة المكي والمدني وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك
- ١٣٤ فصل
- ١٣٥ فصل
- ١٣٦ ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه
- ١٣٦ ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة وهو تسع وعشرون سورة
- ١٣٧ ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني
- ١٣٧ ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكي
- ١٣٨ ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية
- ١٣٨ ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية
- ١٣٨ ما نزل بالجحفة
- ١٣٩ ما نزل ببيت المقدس
- ١٣٩ ما نزل بالطائف

- ١٣٩ ما نزل بالحديبية
- ١٣٩ ما نزل ليلا
- ١٤٠ ما نزل مشيعاً
- ١٤١ الآيات المدنيات في السور المكية
- ١٤٢ الآيات المكية في السور المدنية
- ١٤٢ ما حمل من مكة إلى المدينة
- ١٤٣ ما حمل من المدينة إلى مكة
- ١٤٣ ما حمل من المدينة إلى الحبشة
- ١٤٤ النوع العاشر: معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل
- ١٤٤ معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل
- ١٤٨ النوع الحادي عشر: معرفة على كم لغة نزل
- ١٤٨ معرفة على كم لغة نزل
- ١٥٠ القول في القراءات السبع
- ١٦٠ النوع الثاني عشر: في كيفية إنزاله
- النوع الثالث عشر: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضى الله عنهم جمع
- ١٦٤ القرآن على عهد أبي بكر
- ١٦٤ في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضى الله عنهم
- ١٦٤ جمع القرآن على عهد أبي بكر
- ١٦٥ نسخ القرآن في المصاحف
- ١٦٩ فائدة في عدد مصاحف عثمان
- ١٧٠ فصل في بيان من جمع القرآن حفظاً من الصحابة على عهد رسول الله ﷺ
- النوع الرابع عشر: معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها
- ١٧٢ تقسيم القرآن بحسب سوره
- ١٧٥ فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه
- ١٧٨ فصل أنصاف القرآن ثمانية
- ١٧٨ فائدة
- ١٨٣ تنبيه ترتيب وضع السور في المصحف

- ١٨٥ فائدة سبب سقوط البسملة أول براءة
- ١٨٦ فائدة في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحًا
- ١٨٧ فائدة
- ١٨٧ في بيان معنى الآية لغة واصطلاحًا
- ١٨٩ خاتمة في تعدد أسماء السور
- ١٩٠ خاتمة أخرى في اختصاص كل سورة بما سميت
- ١٩٢ النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه واشتقاقاتها أسماء القرآن
- ١٩٢ معرفة أسمائه واشتقاقاتها
- ١٩٢ أسماء القرآن
- ١٩٤ تفسير هذه الأسماء
- ١٩٧ فائدة
- ١٩٨ فائدة
- النوع السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل
١٩٩ العرب
- ١٩٩ معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب
- ٢٠١ النوع السابع عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب
- ٢٠١ معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب
- ٢٠٤ النوع الثامن عشر: معرفة غريبه
- ٢٠٤ معرفة غريبه
- ٢٠٨ النوع التاسع عشر: معرفة التصريف
- ٢٠٨ معرفة التصريف
- ٢١٠ النوع العشرون: معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها
- ٢١٠ معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها
- ٢١٥ تنبيه
- ٢١٦ تنبيه
- ٢١٧ النوع الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح
- ٢١٧ معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

٢٢١	تنبيه
	النوع الثاني والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو
٢٢٢	إثبات لفظ بدل آخر
٢٢٢	معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر ..
٢٢٣	فائدة:
٢٢٣	فائدة
٢٣٤	فائدة
	النوع الثالث والعشرون: معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل
٢٣٥	قارىء
٢٣٥	معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارىء
٢٣٦	فصل في توجيه القراءة الشاذة
٢٣٧	النوع الرابع والعشرون: معرفة الوقف والابتداء
٢٣٧	معرفة الوقف والابتداء
٢٣٨	حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم
٢٤٢	أقسام الوقف
٢٤٥	مسألة
٢٤٥	مسألة
٢٤٦	مسألة
٢٤٦	قاعدة
٢٤٦	في الذي والذين في القرآن
	فصل ملخص في تقسيمات الوقف فصل جامع لخصته من كلام صاحب
٢٤٧	«المستوفى» في العربية
٢٥٠	فصل متى يحسن الوقف الناقص
٢٥٠	فصل خواص الوقف التام
٢٥١	فصل انقسام الناقص بانقسام خاص
٢٥٢	فصل في الكلام على كلا في القرآن
٢٥٥	الكلام على «بلى»

٢٥٧ الكلام على نعم
٢٥٨ النوع الخامس والعشرون: علم مرسوم الخط
٢٥٨ علم مرسوم الخط
٢٦١ مسألة في كتابة القرآن بغير الخط العربي
٢٦١ اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه
٢٦١ الزائد وأقسامه
٢٦١ القسم الأول: زيادة الألف
٢٦٤ القسم الثاني زيادة الواو
٢٦٤ القسم الثالث زيادة الياء
٢٦٥ الناقص وأقسامه
٢٦٥ القسم الأول: حذف الألف
٢٧٠ القسم الثاني حذف الواو
٢٧١ القسم الثالث حذف الياء
٢٧٦ فصل في حذف النون
٢٧٧ فصل فيما كتبت الألف فيه وأوًا على لفظ الترخيم
٢٧٨ فصل في مد التاء وقبضها
٢٨١ فصل في الفصل والوصل
٢٨٥ فصل في بعض حروف الإدغام
٢٨٨ فصل في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى
٢٨٩ فصل في كتابة فواتح السور
٢٩٠ النوع السادس والعشرون: معرفة فضائله
٢٩٠ معرفة فضائله
٢٩٢ النوع السابع والعشرون: معرفة خواصه
٢٩٢ معرفة خواصه
٢٩٣ تنبيه
٢٩٤ النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟
٢٩٤ هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

٢٩٧ فصل في أعظمية آية الكرسي
٣٠٠ فائدة
٣٠٠ في أي آية في القرآن أرجى؟
٣٠٢ النوع التاسع والعشرون: في آداب تلاوته وكيفيتها
٣٠٢ في آداب تلاوته وكيفيتها
٣٠٦ فصل في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر
٣٠٦ فصل في تعلم القرآن
٣٠٧ مسألة في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن
٣٠٨ فصل في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه
٣٠٨ مسألة في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة
٣٠٩ مسألة في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة
٣٠٩ مسألة
٣١٠ مسألة في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب
٣١١ مسألة في استحباب الجهر بالقراءة
٣١٢ مسألة في كراهة قطع القرآن لمكالمة الناس
٣١٢ مسألة في حكم قراءة القرآن بالعجمية
٣١٣ مسألة في عدم جواز القراءة بالشواذ
٣١٣ مسألة في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم
٣١٤ مسألة في فصل السور بعضها عن بعض
٣١٤ مسألة في ترك خلط سورة بسورة
٣١٦ مسألة في استحباب استيفاء الحروف عند القراءة
٣١٦ فصل في ختم القرآن
٣١٧ مسألة في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف
٣١٧ مسألة في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى
٣١٨ مسألة في تكرير الإخلاص
٣١٨ مسألة فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن
٣١٩ فائدة

- ٣١٩ مسألة في آداب الاستماع
- ٣١٩ مسألة في حكم من يشرب شيئًا كتب من القرآن
- ٣٢٠ مسألة القيام للمصاحف بدعة
- ٣٢٠ مسألة في حكم الأوراق البالية من المصحف
- ٣٢٠ مسألة في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله
- ٣٢٢ خاتمة
- النوع الثلاثون: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير وحركة
- ٣٢٣ إعراب
- ٣٢٤ مسألة يكره ضرب الأمثال بالقرآن
- ٣٢٤ تنبيه لا يجوز تعدى أمثلة القرآن
- ٣٢٦ النوع الحادى والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه
- ٣٢٦ معرفة الأمثال الكائنة فيه
- ٣٣٢ النوع الثانى والثلاثون: معرفة أحكامه
- ٣٣٢ معرفة أحكامه
- ٣٣٣ فائدة في ضرورة معرفة المفسر قواعد أصول الفقه
- ٣٣٥ فصل
- ٣٣٥ فصل
- ٣٣٦ فصل
- ٣٣٧ فصل
- ٣٣٧ فائدة
- ٣٣٧ فائدة
- ٣٣٧ فائدة
- ٣٣٨ فائدة
- ٣٣٨ قاعدة في الإطلاق والتقييد
- ٣٣٩ تنبيه
- ٣٤٠ قاعدة في العموم والخصوص

- ٣٤١ فصل الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب
- ٣٤٢ فصل في الحكم على الشيء مقيدًا بصفة
- ٣٤٤ النوع الثالث والثلاثون: في معرفة جدله
- ٣٤٤ في معرفة جدله
- ٣٤٧ النوع الرابع والثلاثون: معرفة ناسخه من منسوخه
- ٣٤٧ معرفة ناسخه من منسوخه
- ٣٤٩ مسألة في جواز النسخ بالكتاب
- ٣٥٠ فصل فيما يقع فيه النسخ
- تنبيهات التنبيه الأول في تقسيم سور القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم
يدخله
- ٣٥٠ يدخله
- ٣٥١ التنبيه الثاني في ضروب النسخ في القرآن
- ٣٥٤ فائدة
- ٣٥٥ التنبيه الثالث في تقسيم القرآن على ضروب من وجه آخر
- ٣٥٦ فائدة
- ٣٥٧ النوع الخامس والثلاثون: معرفة موهم المختلف
- ٣٥٧ معرفة موهم المختلف
- ٣٥٧ فائدة عن الغزالي في معنى الاختلاف
- ٣٥٨ فصل في القول عند تعارض الآي
- ٣٦٠ فصل في القول عند تعارض آي القرآن والآثار
- ٣٦١ فصل في تعارض القراءتين في آية واحدة
- ٣٦١ فائدة في القول في الاختلاف والتناقض
- ٣٦٢ فصل في الأسباب الموهمة للاختلاف
- ٣٦٧ فصل في الإجابة عن بعض الاستشكالات
- ٣٦٨ فصل في وقوع التعارض بين الآية والحديث
- ٣٧٠ النوع السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه
- ٣٧٠ معرفة المحكم من المتشابه
- ٣٧١ تفرعات

٣٧٦ النوع السابع والثلاثون: في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات
٣٧٦ في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات
٣٨٢ فائدة
ف النوع الثامن والثلاثون: معرفة إعجازه
٣٨٣ معرفة إعجازه
٣٨٥ بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز
٣٩٢ فصل في قدر المعجز من القرآن
٣٩٣ فصل
٣٩٣ مسألة في أن التحدى إنما وقع للإنس دون الجن
٣٩٤ فصل في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة
٣٩٤ مسألة في الحكمة في تنزيه النبي عليه السلام عن الشعر
٣٩٥ فصل في تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً
٣٩٧ فصل في اختلاف المقامات ووضع كل شيء في موضع يلائمه
٣٩٨ فصل في اشتمال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز
٤٠٠ تنبيه في أن معرفة مقامات الكلام لا تدرك إلا بالذوق
٤٠١ النوع التاسع والثلاثون: معرفة وجوب تواتره
٤٠١ معرفة وجوب تواتره
٤٠٢ فصل
٤٠٤ النوع الأربعون: في بيان معاضدة السنة للقرآن
٤٠٤ في بيان معاضدة السنة للقرآن
٤١٥ النوع الحادى والأربعون: معرفة تفسيره وتأويله
٤١٥ معرفة تفسيره وتأويله
٤١٥ معانى العبارات التي يعبر بها عن الأشياء
٤١٦ الفرق بين التفسير والتأويل
٤١٩ فصل في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم
 فصل في أمهات مآخذ التفسير للنناظر في القرآن لطالب التفسير مآخذ كثيرة
٤٢١ أمهاتها أربعة

- الأول: النقل عن رسول الله ﷺ ٤٢١
- الثاني: الأخذ بقول الصحابي ٤٢١
- مسألة في الرجوع إلى أقوال التابعين ثم ذكر طبقات المفسرين ٤٢٢
- تنبيه فيما يجب أن يلاحظ عند نقل أقوال المفسرين ٤٢٣
- الثالث: الأخذ بمطلق اللغة ٤٢٣
- الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع ٤٢٣
- أقسام التفسير ٤٢٦
- تنبيه في كلام الصوفية في تفسير القرآن ٤٢٩
- فصل ٤٣٠
- تنخيل لما سبق ٤٣٠
- فصل فيما يجب على المفسر البداءة به ٤٣١
- مسألة في أن الإعجاز يكون في اللفظ والمعنى والملائمة ٤٣١
- مسألة في أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن ٤٣٢
- مسألة فيما يجب على المفسر من التحوط في التفسير ٤٣٢
- مسألة في النهي عن ذكر لفظ الحكاية عن الله تعالى ووجوب تجنب إطلاق الزائد ٤٣٣
- على بعض الحروف الواردة في القرآن ٤٣٣
- فصل في تقسم التأويل إلى منقاد ومستكره ٤٣٣
- فائدة فيما نقل عن ابن عباس في تفسير بعض الآيات ٤٣٤
- فصل أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر ٤٣٥
- فصل في القرآن علم الأولين والآخرين ٤٣٥
- فصل قد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء ٤٣٦
- فصل في تقسيم القرآن إلى ما هو بين بنفسه وإلى ما ليس بين في نفسه فيحتاج إلى بيان ٤٣٦
- فصل قد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره ٤٤٣
- فصل قد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين في موضع ويعين في موضع آخر ٤٤٣
- فصل في ذكر الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال ٤٤٤
- فصل في الظاهر والمؤول ٤٤٨

- ٤٤٩ فصل في اشتراك اللفظ بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز
- ٤٥٠ فصل قد ينفي الشيء ويثبت باعتبارين
- ٤٥٠ فصل في الإجمال ظاهرًا وأسبابه
- ٤٥٣ فصل فيما ورد فيه مبيّنًا للإجمال
- ٤٥٥ النوع الثاني والأربعون: في معرفة وجوه المخاطبات
- ٤٥٥ وجوه المخاطبات
- ٤٥٥ الأول خطاب العام المراد به العموم
- ٤٥٥ الثاني خطاب الخاص والمراد به الخصوص
- ٤٥٥ الثالث خطاب الخاص والمراد به العموم
- ٤٥٦ الرابع خطاب العام والمراد بالخصوص
- ٤٥٨ فائدة في العموم والخصوص
- ٤٥٩ تنبيه
- ٤٦٠ الخامس خطاب الجنس
- ٤٦٠ السادس خطاب النوع
- ٤٦٠ السابع خطاب العين
- ٤٦١ الثامن خطاب المدح
- ٤٦١ التاسع خطاب الذم
- ٤٦٢ العاشر خطاب الكرامة
- ٤٦٢ الحادي عشر خطاب الإهانة
- ٤٦٢ الثاني عشر خطاب التهكم
- ٤٦٣ الثالث عشر خطاب الجمع بلفظ الواحد
- ٤٦٤ الرابع عشر خطاب الواحد بلفظ الجمع
- ٤٦٦ فائدة
- ٤٦٦ الخامس عشر خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين
- ٤٦٦ السادس عشر خطاب الاثنين بلفظ الواحد
- ٤٦٧ السابع عشر خطاب الجمع بعد الواحد
- ٤٦٧ الثامن عشر خطاب عين والمراد غيره

- ٤٦٩ التاسع عشر خطاب الاعتبار
- ٤٦٩ العشرون خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره
- ٤٦٩ الحادي والعشرون خطاب التلوين
- ٤٦٩ الثاني والعشرون خطاب الجمادات خطاب من يعقل
- ٤٧٠ الثالث والعشرون خطاب التهييج
- ٤٧٠ الرابع والعشرون خطاب الإغضاب
- ٤٧٠ الخامس والعشرون خطاب التشجيع والتحريض
- ٤٧١ السادس والعشرون خطاب التنفير
- ٤٧١ السابع والعشرون خطاب التحنن والاستعطاف
- ٤٧١ الثامن والعشرون خطاب التحبيب
- ٤٧١ التاسع والعشرون خطاب التعجيز
- ٤٧٢ الثلاثون التحسير والتلهف
- ٤٧٢ الحادي والثلاثون التكذيب
- ٤٧٢ الثاني والثلاثون خطاب التشريف
- ٤٧٢ الثالث والثلاثون خطاب المعدوم
- ٤٧٤ النوع الثالث والأربعون: في بيان حقيقته ومجازه
- ٤٧٤ في بيان حقيقته ومجازه
- ٤٧٥ نوعا المجاز
- ٤٧٥ المجاز في المركب وأقسامه
- ٤٧٦ المجاز الإفرادى وأقسامه
- ٤٧٧ الأول إيقاع المسبب موقع السبب
- ٤٧٧ الثاني عكسه، وهو إيقاع السبب موقع المسبب
- ٤٧٨ الثالث إطلاق اسم الكل على الجزء
- ٤٧٩ الرابع إطلاق اسم الجزء على الكل
- ٤٨٢ الخامس إطلاق اسم الملزوم على اللازم
- ٤٨٣ السادس إطلاق اسم اللازم على الملزوم
- ٤٨٣ السابع إطلاق اسم المطلق على المقيد

- ٤٨٣ الثامن عكسه
- ٤٨٣ التاسع إطلاق اسم الخاص وإرادة العام
- ٤٨٣ العاشر إطلاق اسم العام وإرادة الخاص
- ٤٨٥ الحادي عشر إطلاق الجمع وإرادة المثنى
- ٤٨٥ الثاني عشر التقصان
- ٤٨٥ الثالث عشر الزيادة
- ٤٨٨ الرابع عشر تسمية الشيء بما يتول إليه
- ٤٨٩ الخامس عشر تسمية الشيء بما كان عليه
- ٤٨٩ السادس عشر إطلاق اسم المحل على الحال
- ٤٩٠ السابع عشر إطلاق اسم الحال على المحل
- ٤٩٠ الثامن عشر إطلاق اسم آلة الشيء عليه
- ٤٩٠ التاسع عشر إطلاق اسم الضمدين على الآخر
- ٤٩١ العشرون تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه
- ٤٩٢ الحادي والعشرون إقامة صيغة مقام أخرى وله صور
- ٤٩٥ الثاني والعشرون إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلويح
- ٤٩٥ الثالث والعشرون إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة
- ٤٩٦ الرابع والعشرون إطلاق الفعل والمراد مقارنته ومشارفته لا حقيقته
- ٤٩٨ الخامس والعشرون إطلاق الأمر بالشيء المتلبس به والمراد دوامه
- ٤٩٨ السادس والعشرون إطلاق اسم البشرى على المبشر به
- ٤٩٩ التجوز عن المجاز بالمجاز
- ٥٠٠ النوع الرابع والأربعون: في الكنايات والتعريض في القرآن
- ٥٠٠ في القرآن
- ٥٠١ أسباب الكناية
- ٥٠٦ تنبيهان
- ٥٠٧ التعريض والتلويح
- ٥٠٩ التوجيه
- ٥١٠ النوع الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام في أقسام معنى الكلام

٥١٠ الخبير
٥١٥ فائدة
٥١٥ الاستخبار وهو الاستفهام
٥١٦ اقسام الاستفهام
٥١٦ الاستفهام بمعنى الخبير
٥١٦ استفهام الإنكار
٥١٨ استفهام التقرير
٥٢٢ الاستفهام بمعنى الإنشاء
٥٢٧ أحكام اختصت بها همزة الاستفهام
٥٢٨ فائدة
٥٢٩ الشرط
٥٤١ تنبيه في ضابط اعتراض الشرط على الشرط
٥٤٢ فائدة قد يسمى الشرط يمينًا
٥٤٢ القسم وجوابه
٥٤٢ الأمر
٥٤٣ النفي
٥٤٧ النوع السادس والأربعون: في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة
٥٤٧ أساليب القرآن وفنونه البليغة
٥٤٨ الأسلوب الأول التأكيد
٥٤٩ القسم الأول التوكيد الصناعي
٥٥١ تنبيهان
٥٥٢ ما يلتحق بالتأكيد الصناعي
٥٥٧ فائدتان
٥٥٩ فائدة
٥٥٩ فصل في أدوات التأكيد
٥٥٩ مؤكدات الجمل الاسمية
٥٦٤ فائدة مواضع إفادة الحصر

- ٥٦٦ مؤكدات الجمل الفعلية .
القسم الثاني الصفة وهي مخصصة إن وقعت صفة للنكرة، وموضحة للمعرفة
- ٥٦٩ الأسباب التي تأتي الصفة من أجلها .
فوائد تتعلق بالصفة الأولى الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة
- ٥٧٣ الثانية تأتي الصفة لازمة لا للتقييد فلا مفهوم لها .
الثالثة قد تأتي الصفة بلفظ والمراد غيره
- ٥٧٥ الرابعة قد تجيء للتنبية على التعميم .
الخامسة قد يحتمل اللفظ كثيرًا من الأسباب السابقة
- ٥٧٥ السادسة إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل .
السابعة في اجتماع التابع والمتبوع
- ٥٨٢ الثامنة عند تكرار النعوت لواحد .
التاسعة فصل الجمل في مقام المدح والذم أبلغ من جعلها نمطًا واحدًا
- ٥٨٣ تنيهان .
العاشرة في وصف الجمع بالمفرد
- ٥٨٥ الحادية عشر قد تدخل الواو على الجملة الواقعة صفة تأكيدًا .
الثانية عشرة الصفة لا تقوم مقام الموصوف إلا على استكراه
- ٥٨٦ القسم الثالث البديل .
تقسيم البديل باعتبار آخر
- ٥٨٧ تنييه في تكرار البديل .
تنييه في إعراب كلمة آزر في سورة الأنعام
- ٥٩١ القسم الرابع عطف البيان .
القسم الخامس ذكر الخاص بعد العام
- ٥٩٢ تنييه .
القسم السادس ذكر العام بعد الخاص
- ٥٩٧ القسم السابع عطف أحد المترادفين على الآخر، أو ما هو قريب منه في
المعنى، والقصد منه التأكيد
- ٥٩٧ تنيهان
- ٥٩٩

- ٦٠٠ القسم الثامن الإيضاح بعد الإيهام
- ٦٠٣ فائدة في التأكيد بمائة إلا واحدًا
- ٦٠٣ القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمهر
- ٦٠٤ الخروج على خلاف الأصل وأسبابه
- ٦٠٥ وللخروج على خلاف الأصل أسباب أحدها: قصد التعظيم
- ٦٠٥ الثاني قصد الإهانة والتحقير
- ٦٠٦ الثالث الاستلذاذ بذكره
- ٦٠٦ الرابع زيادة التقدير
- ٦٠٧ الخامس إزالة اللبس حيث يكون الضمير يُوهم أنه غير المراد
- ٦٠٨ السادس أن يكون القصد تربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السامع
- ٦٠٨ السابع قصد تقوية داعية المأمور
- ٦٠٨ الثامن تعظيم الأمر
- ٦٠٨ التاسع أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف
- ٦٠٩ العاشر التنبية على علة الحكم
- ٦١٠ الحادي عشر قصد العموم
- ٦١١ الثاني عشر قصد الخصوص
- ٦١١ الثالث عشر مراعاة التجنيس
- ٦١١ الرابع عشر أن يتحمل ضميرًا لا بد منه
- ٦١١ الخامس عشر كونه أهم من الضمير
- ٦١٢ السادس عشر كون ما يصلح للعود ولم يسق الكلام له
- ٦١٢ السابع عشر الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى
- ٦١٣ تنبيهان
- القسم العاشر تجيء اللفظة الدالة على التكثير والمبالغة بصيغ من صيغ
- ٦١٤ المبالغة
- ٦١٥ ما جاء على فعلا
- ٦١٧ تنبيهات
- ٦١٩ ما جاء على فعيل

٦١٩	ما جاء على فَعَّال
٦٢١	ما جاء على فعول
٦٢٢	ما جاء على فَعِيل
٦٢٢	ما جاء على فُعَل
٦٢٢	ما جاء على فعلى
٦٢٤	القسم الحادي عشر المثنى وإرادة الواحد
٦٢٦	القسم الثاني عشر إطلاق الجمع وإرادة الواحد
٦٢٦	القسم الثالث عشر إطلاق لفظ الثنية والمراد الجمع
٦٢٧	القسم الرابع عشر التكرار على وجه التأكيد
٦٢٨	فوائد التكرير
٦٤٢	فائدة في صنيعهم عند استئصال تكرار اللفظ
٦٤٢	القسم الخامس عشر الزيادة في بنية الكلمة
٦٤٤	القسم السادس عشر التفسير
٦٤٥	فائدة
٦٤٥	القسم السابع عشر خروج اللفظ مخرج الغالب
٦٤٦	القسم الثامن عشر القَسَم
٦٤٨	فوائد
٦٥٠	القسم التاسع عشر
٦٥١	القسم الموفي العشرين الاستثناء والاستدراك
٦٥٤	القسم الحادي والعشرون المبالغة
٦٥٥	تنبیه
٦٥٦	فائدة في اختلاف الأقوال في تقدير المبالغة في الكلام
٦٥٦	القسم الثاني والعشرون الاعتراض
٦٦١	فائدة
٦٦٢	القسم الثالث والعشرون الاحتراس
٦٦٤	فائدة
٦٦٤	القسم الرابع والعشرون التذييل

٦٦٥ التميم
٦٦٥ القسم السادس والعشرون الزيادة
٦٦٧ تنبيهات
٦٦٨ فصل في حروف الزيادة
٦٦٨ زيادة «إن»
٦٦٩ زيادة «أن»
٦٦٩ زيادة «ما»
٦٧٠ زيادة «لا»
٦٧٣ زيادة «من»
٦٧٤ زيادة الباء
٦٧٥ زيادة اللام
٦٧٨ القسم السابع والعشرون باب الاشتغال
٦٧٨ القسم الثامن والعشرون التعليل
٦٨٠ قاعدة تفسيرية
٦٨٥ الأسلوب الثاني: الحذف
٦٨٥ الحذف
٦٨٥ فصل في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور
٦٨٦ فصل في أن الحذف خلاف الأصل
٦٨٦ أوجه الكلام على الحذف
٦٨٦ فوائد الحذف
٦٨٧ أسباب الحذف
٦٨٩ أدلة الحذف
٦٩١ شروط الحذف
٦٩٤ تنبيهات
٦٩٥ أقسام الحذف
٧٠٥ فائدة
٧٠٦ الأول: الاسم حذف المبتدأ

٧٠٩	حذف الخبر
٧١١	ما يحتمل الأمرين
٧١١	حذف الفاعل
٧١٣	حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
٧١٦	تنبيه في جواز حذف المضاف مع الالتفات إليه
٧١٧	حذف المضاف إليه
٧١٧	حذف المضاف والمضاف إليه
٧١٨	حذف الجار والمجرور
٧١٨	حذف الموصوف
٧١٩	حذف الصفة
٧٢٠	حذف المعطوف
٧٢١	حذف المعطوف عليه
٧٢١	حذف المبدل منه
٧٢١	حذف الموصول
٧٢٢	حذف المخصوص في باب نعم إذا علم من سياق الكلام
٧٢٢	حذف الضمير المنصوب المتصل
٧٢٣	تنبيه عن ابن الشجري في تفاوت أنواع الحذف
٧٢٤	حذف المفعول
٧٢٩	تنبيهان التنبيه الأول
٧٣٠	التنبيه الثاني
٧٣٠	فصل
٧٣٥	حذف الحال
٧٣٥	حذف المنادى
٧٣٥	فائدة في حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم
٧٣٦	حذف الشرط
٧٣٦	حذف جواب الشرط
٧٣٧	حذف الأجوبة

٧٤٣	حذف جواب القسم
٧٤٤	حذف الجملة
٧٤٦	حذف القول
٧٤٨	حذف الفعل
٧٤٨	الخاص
٧٤٨	العام
٧٥٤	تنبيه
٧٥٥	تنبيه آخر
٧٥٥	حذف الحرف
٧٥٩	فائدة في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور
٧٥٩	فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى
٧٦٢	الإيجاز
٧٧٠	القول في التقديم والتأخير
٧٧٠	الفصل الأول في أسباب التقديم والتأخير
٧٧٤	الفصل الثاني في أنواعه
٧٧٤	النوع الأول ما قدم والمعنى عليه
٧٧٤	أحدها سبق
٧٧٩	الثاني بالذات
٧٧٩	الثالث بالعلة والسببية
٧٨٠	الرابع بالرتبة
٧٨٢	الخامس بالداعية
٧٨٢	السادس التعظيم
٧٨٢	السابع الشرف وهو أنواع
٧٨٧	الثامن الغلبة والكثرة
٧٨٩	التاسع سبق ما يقتضى تقديمه
٧٩٠	العاشر مراعاة اشتقاق اللفظ
٧٩١	الحادي عشر للحث عليه خيفة من التهاون به

- ٧٩١ الثاني عشر لتحقق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصوره
- ٧٩١ الثالث عشر الاهتمام عند المخاطب
- ٧٩٢ الرابع عشر للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد
- ٧٩٣ الخامس عشر للتنبيه على أن السبب مرتب
- ٧٩٣ السادس عشر التثقل
- ٧٩٤ السابع عشر الترقى
- ٧٩٥ الثامن عشر مراعاة الأفراد
- ٧٩٥ التاسع عشر التحذير منه والتنفير عنه
- ٧٩٦ العشرون التخويف منه
- ٧٩٦ الحادي والعشرون التعجب من شأنه
- ٧٩٦ الثاني والعشرون كونه أدل على القدرة
- ٧٩٦ الثالث والعشرون قصد الترتيب
- ٧٩٧ الرابع والعشرون خفة اللفظ
- ٧٩٧ الخامس والعشرون رعاية الفواصل
- ٧٩٧ تنبيه
- ٧٩٧ النوع الثاني مما قدم النية به التأخير
- ٨٠٣ النوع الثالث ما قدم في آية وأخر في أخرى
- ٨٠٥ القلب
- ٨٠٦ أحدها قلب الإسناد
- ٨٠٨ الثاني قلب المعطوف
- ٨٠٩ الثالث العكس
- ٨٠٩ الرابع المستوي
- ٨٠٩ الخامس مقلوب البعض
- ٨٠٩ المدرج
- ٨١٠ الترقى
- ٨١٠ الاقتصاص
- ٨١١ الإلغاز

٨١١	الاستطراد
٨١٢	الترويد
٨١٢	التغليب
٨١٢	الأول تغليب المذكّر
٨١٣	الثاني تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب
٨١٤	الثالث تغليب العاقل على غيره
٨١٦	الرابع تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به
٨١٧	الخامس تغليب الأكثر على الأقل
		السادس تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغمور فيما
٨١٨	بينهم بأن يطلق اسم ذلك الجنس على الجميع
٨١٨	السابع تغليب الموجود على ما لم يوجد
٨١٨	الثامن تغليب الإسلام
٨١٨	التاسع تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه
٨١٩	العاشر تغليب الأشهر
٨٢٠	الالتفات
٨٢٠	الأول: في حقيقته
٨٢٠	البحث الثاني: في أقسامه
٨٢٠	الأول الالتفات من التكلم إلى الخطاي
٨٢١	الثاني من التكلم إلى الغيبة
٨٢٢	الثالث من الخطاب إلى التكلم
٨٢٢	الرابع من الخطاب إلى الغيبة
٨٢٣	الخامس من الغيبة إلى التكلم
٨٢٥	فائدة في تكرار الالتفات في موضع واحد
٨٢٥	السادس من الغيبة إلى الخطاب
٨٢٦	السابع بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه
٨٢٧	البحث الثالث في أسبابه
٨٣٠	فائدة

- ٨٣١ البحث الرابع في شرطه
- ٨٣٢ البحث الخامس أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره
- ٨٣٥ التضمين
- ٨٤١ وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي
- ٨٤٣ وضع الطلب موضع الخبر
- ٨٤٤ وضع النداء موضع التعجب ق/٢٢٦
- ٨٤٥ وضع جمع القلة موضع الكثرة
- ٨٤٨ تذكير المؤنث
- ٨٥٢ تأنيث المذكر
- ٨٥٦ ضابط التأنيث
- ٨٥٦ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه
- ٨٥٩ مشاكلة اللفظ للفظ
- ٨٦٠ مشاكلة اللفظ للمعنى
- ٨٦٦ النحت
- ٨٦٦ الإبدال
- ٨٦٨ المحاذاة
- ٨٦٩ قواعد في النفي
- ٨٧٠ نفي الشيء رأساً
- إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم
- ٨٧٨ العناد
- ٨٧٩ الإعراض عن صريح الحكم
- ٨٨٠ الهدم
- ٨٨٠ التوسع
- ٨٨١ التشبيه
- ٨٨١ مباحث التشبيه
- ٨٨١ الأول في تعريفه
- ٨٨١ الثاني في الغرض منه

٨٨٢ الثالث في أنه حقيقة أو مجاز
٨٨٢ الرابع في أدواته
٨٨٢ الخامس في أقسامه
٨٨٤ التقسيم الثاني
٨٨٦ التقسيم الثالث
٨٨٧ البحث السادس يتنظم قواعد تتعلق بالتشبيه
٨٩٢ الاستعارة
٨٩٢ مباحث الاستعارة
٨٩٢ الأول
٨٩٣ الثاني
٨٩٤ الثالث
٨٩٥ الرابع
٨٩٧ تقسيم آخر
٩٠٠ التورية
٩٠١ تنبيه في الفرق بين التورية والاستخدام
٩٠١ التجريد
٩٠٣ التجنيس
٩٠٦ الطباق
٩٠٨ المقابلة مباحث المقابلة
٩٠٨ الأول: في حقيقتها
٩٠٨ الثاني: في أنواعها
٩١١ تقسيم
٩١٣ رد العجز على الصدر وعكسه
٩١٣ العكس
٩١٣ إجماع الخصم بالحجة
٩١٥ التقسيم
٩١٧ التعديد

- ٩٢٠ مع بالج
- ٩٢١ عدة فيما ورد في لقرآن موعاً ومفرراً والحكم في ذلك
- ٩٣٢ اعدة نحوية
- ٩٣٣ قاعدة في الضمائر
- ٩٤٥ قاعدة فيما يتعلق بالسؤال و جواب
- ٩٤٨ فائدة
- ٩٥٢ فائدة في أن أقل الأمم سؤالاً أمة محمد عليه السلام
- ٩٥٣ الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب إن ما في نفس الأمر
- ٩٥٥ تنبيه في التهكم
- ٩٥٦ التأدب في الخطاب بإضافة الخير إلى
- ٩٥٩ قاعدة في ذكر الرحمة والعذاب في القرآن
- ٩٦٠ فائدة في الفرق بين الخطاب بالاسم و اعل
- ٩٦٤ قاعدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ أَرْضٍ﴾ ونحوها
- ٩٦٥ قاعدة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ونحوها
- ٩٦٧ قاعدة في الجحد بين الكلامين
- ٩٦٧ قاعدة في ألفاظ يظن بها الترادف وليس منه
- ٩٧٢ فائدة عن الجويني في الفرق بين الإتياء والإعطاء
- ٩٧٣ قاعدة في التعريف والتكثير
- ٩٧٧ قاعدة فيما إذا ذكر الاسم مرتين
- ٩٨٢ قواعد تتعلق بالمعطف القاعدة الأولى
- القاعدة الثالثة ينقسم باعتبار المعطو إلى أقسام: عطف على اللفظ، وعطف
 على الموضع وعطف على التوهم
- ٩٨٧ قواعد في العدد
- ٩٩١ أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن فظ فعل
- ٩٩٣ لفظ كان
- ٩٩٤ مسألة في حكم «كان» إذا وقعت بعد «إن»
- ٩٩٧ مسألة في نفي «كان» وأخواتها
- ٩٩٧

- ٩٩٨ لفظ جعل
- ١٠٠٢ حسب
- ١٠٠٢ كاد
- ١٠٠٥ قاعدة في مجيء كاد بمعنى أراد
- ١٠٠٥ قاعدة فعل المطاوعة
- ١٠٠٨ فائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾
- ١٠٠٨ احتمال الفعل للجزم والنصب
- ١٠١١ رأي
- ١٠١٥ علم العرفانية
- ١٠١٥ ظن
- ١٠١٦ شعر
- ١٠١٧ عسى ولعل
- ١٠١٩ اتخذ
- ١٠٢٠ أخذ
- ١٠٢١ سأل
- ١٠٢٢ وعد
- ١٠٢٣ ود
- ١٠٢٣ أفعل التفضيل
- ١٠٢٧ تنبيه لفظ «سواء»
- النوع السابع والأربعون: في الكلام على المفردات من الأدوات والبحث عن معاني
الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها
- ١٠٢٨ والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها
- ١٠٢٨ الهمزة
- ١٠٢٩ مسألة في دخول الهمزة على «رأيت»
- ١٠٣٠ مسألة في دخول الهمزة على لم
- ١٠٣٠ أم
- ١٠٣٤ مسألة في ضرورة تقدم الاستفهام على «أم»

١٠٣٥	إذن
١٠٣٧	إذا
١٠٤٨	إذ
١٠٥٠	تنبيه في وقوع «إ» بعد و«اذ»
١٠٥٠	أو
١٠٥٤	إن المكسورة الـ عفيفة
١٠٥٨	أن المفتوحة الـ حمزة الساكنة ون
١٠٦٢	إن المكسورة مشددة
١٠٦٣	أنَّ المفتوحة مشددة
١٠٦٤	إنما
١٠٦٤	إلى
١٠٦٧	ألا بالفتح , تخفيف
١٠٦٧	ألا بالفتح , تشديد
١٠٦٨	إلا
١٠٧٢	أما المفتوح الهمزة المشددة الميم
١٠٧٣	إما المكسورة المشددة
١٠٧٥	أل
١٠٧٥	الآن
١٠٧٥	أف
١٠٧٦	أنى
١٠٧٧	أيان
١٠٧٧	إى
١٠٧٧	حرف الباء
١٠٨١	بل
١٠٨٤	بلى
١٠٨٧	ثم
١٠٩٠	ثم المفتوحة

	حاشا
	حتى
	حيث
	دون
	ذو وذات
	رُوَيْد
١	رَبِّمَا
٠٩	السين
٠٩٠	سوف
٠٩٨	عَلَى
٠٩٩	عن
١٠١	عسى
١٠٢	عند
١٠٣	غير
١٠٤	الفاء
٠٩	في
١١	قد
١ ١٤	الكاف
١١ ٥	كان
١١١	كان
١١١	كأين
١١١	كاد
١١١	كلا
١١١	كل
١١١	قولان:
١١٢	كلا وكلتا
١١٢٥	كم

١١٢٦	كيف
١١٢٨	اللام
١١٢٨	القسم الأول غير العاملة
١١٣١	القسم الثاني العاملة
١١٣٨	لا
١١٤٥	لات
١١٤٥	لا جرم
١١٤٥	لو
١١٥٥	لولا
١١٥٧	لوما
١١٥٧	لم
١١٥٧	لما
١١٦١	لما المخففة
١١٦١	لن
١١٦٢	لكن
١١٦٤	لعل
١١٦٦	ليس
١١٦٧	لذن
١١٦٧	ما
١١٦٧	ما الاسمية
١١٧٢	ما الحرفية
١١٧٥	مَنْ
١١٧٧	مِنْ
١١٨٥	مع
١١٨٦	النون
١١٨٧	الهاء
١١٨٨	ها

١١٨٨	هل
١١٨٩	هيات
١١٨٩	الواو الواو العاملة
١١٨٩	الواو غير العاملة
١١٩٤	ويكان
١١٩٥	ويل
١١٩٥	يا
١١٩٧	الفهرس
١٢٠٥	معرفة أحكامه
١٢٠٦	في معرفة جدله
١٢٠٦	معرفة ناسخه من منسوخه

